المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة طيبة
المدينة المنورة

الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية

بحث لنيل درجة الماجستير مقدم من الطالب
عبدالله بن محمد المديفر

إشراف
الأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن بن إبراهيم الجويير
أستاذ الإدارة والنظم بجامعة طيبة سابقًا

١٤٢٧هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

شكـــر وتـــقـــديـــر

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره، أهل المنِّ والإحسان، والرحمة والإنعام. الحمد لله على أن وفق إلى اختيار هذا الموضوع المهم، وما يسر وأعان، وألهم وأرشد، والحمد لله على ما ذلل من الصعاب الكثيرة، وهـيَّأ من السُبل المعينة، ووفق لإنهاء هذا العمل.

ثم أشكر فضيلة المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن إبراهيم الجـويبر، على عنايته الخاصة، ورحابة صدره، وتوجيهاته العلمية الرصينة، وحثه المستمر على إظهار شخصية الباحث، وقبوله الاستمرار بالإشراف على الرسالة حتى بعد تقاعده؛ كما أشكر الدكتور مازن صلاح مطبقاني، على قراءته لكثير من مادة هذا البحث، والتعليق عليه، ولدلالته على بعض المصادر والمراجع. وأسأل الله تعالى أن يتقبل هذا في أعمالهما الصالحة.

وللصرح العلمي: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ممثلة في كلية الدعوة بالمدينة، شكرٌ وعرفان؛ لقبولها الطالب، وموافقتها على تسجيل هذا الموضوع، واحتضانها إياه في أغلب مدته؛ والشكر ممتد لجامعة طيبة في المدينة النبوية، على إكمالها مدة الاحتضان، ورعايتها الطالب.

والشكر موصول لكل من علمني علـمًا نافعًا منذ بداية الطلب، وأشكر زوجتي أم محمد، على حثها لي بطلب العلم، وتضحيتها، وصبرها الجميل طيلة مدة الدراسة والبحث، وتوفيرها الجو الملائم، وأشكر ابنتـيّ: رزان وأمجاد، على جهودهما المستمرة في تنظيم المكتبة وترتيبها.

كما أشكر كل من أسهم بقليل أو كثير في إكمال هذا البحث، ممن قدَّم مشورة، أو أرشد إلى مرجع، أو أمدَّ به، أو ترجَمَهُ.

والله تعالى أسأل أن يتقبل هذا العمل، ويجعله في موازين حسنات الجميع.

المقدمة

تمهيد :

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣) .

أما بعد :

فإن الله عز وجل لم يخلق الناس عبثًا و لم يتركهم هملاً، بل أنزل إليهم الكتب، وأرسل إليهم الرسل، مبشرين ومنذرين، يتلون عليهم آيات الله، ويعلمونهم الكتاب، والحكمة، ويزكونهم .

فكانت الدعوة إلى الله مهمة الرسل عليهم السلام وكما أنها مهمتهم فهي مهمة أتباعهم أيضًا، ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾(٤) .

والدعوة إلى الله من أعظم الأعمال وأجلّها، قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٥)، فالدعاة إلى الله أحسن الناس قولاً، وأعظمهم نفعًا، وأجلُّهم قدرًا .

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٠٢ .

(٢) سورة النساء، الآية : ١ .

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان : ٧٠-٧١ .

(٤) سورة يوسف، من الآية : ١٠٨ .

(٥) سورة فصلت، الآية : ٣٣ .

وبالدعوة نالت أمَّة محمد ﷺ الخيرية على سائر الأمم، قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

والناس في كل زمان ومكان بحاجة إلى من يدعوهم ويهديهم إلى الصراط المستقيم، وحاجتهم إلى الهدى أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب.

ولقد كثرت في هذا العصر الوسائل المتنوعة المـُعِيْنَة على نشر الدعوة مما لم يسبق له مثيل في أي عصر مضى، ومن الوسائل التي برزت في هذا العصر -وكان للعالم الغربي منها نصيب وافر- (الدراسات المستقبلية)، التي تضيء الطريق أمام المخطط ومتخذ القرار؛ ليكون تخطيطه أحكم، وقراره أقرب إلى الصواب، فهل اهتم الدعاة إلى الله بالتعرف على أكثر الأساليب والوسائل المتاحة للإفادة منها في نشر دعوتهم؟

أهمية البحث وأسباب اختياره:

ظهرت في منتصف القرن العشرين الميلادي تقريبًا[2] دراسات تُعنى بشؤون المستقبل في مجالات متعددة وتكاثرت هذه الدراسات حتى أصبح لها معاهدها الخاصة، وأصبح لهذه الدراسات أساليب متنوعة ومناهج متعددة.

وهذه الدراسات الناشئة ليست -كما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة- ضربًا من الغيب المجرد، أو ادعاءات المنجمين التي لا أساس لها، بل هي ذات طابع علمي، تتناول (القضية) موضوع الدراسة بدراسة وافية لماضيها، وحاضرها بجميع معطياته ومؤثراته، ثم يُفْضِي ذلك عن طريق التحليل والتمحيص والمقارنة إلى نتائج تمثل مستقبل هذه القضية بعد عشر سنوات أو عشرين سنة أو أقل أو أكثر حسب المنهج المتبع في الدراسة.

ثم يأتي بعد ذلك دور المخطط وواضع المنهج الذي سيحاول بدوره التأثير على هذا المستقبل المتوقع، إيجابًا أو سلبًا، فالهدف الرئيس للدراسات المستقبلية إنارة الطريق أمام واضعي الخطط والمناهج ومتخذي القرارات.

---

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١١٠.

(٢) إسماعيل صبري عبد الله وآخرون، **صور المستقبل العربي**، ط٣، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩م)، ص ٢٨.

وقد بلغ عدد المؤسسات التي تُعنى بشؤون المستقبل في الولايات المتحدة الأمريكية فقط في عام (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) ستمئة مؤسسة، بل وأصبحت الدراسات المستقبلية تدرس ضمن مقررات عدد من الجامعات والمدارس فيها، وانفردت السويد بإنشاء وزارة للمستقبل عام (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)[١].

"ومن جانب آخر لم تحظ الدراسات المستقبلية ما تستحقه من اهتمام وعناية في العالمين العربي والإسلامي، حيث اقتصرت معظمها على جهود فردية تسعى لاستشراف بعض الجزئيات المتعلقة بالمستقبل العربي"[٢].

وإن الأمة الإسلامية اليوم تواجه من أعدائها كيدًا عظيمًا، قد أُرسيت قواعده، وشُيِّدت أركانه، وعلت رايته، أحد ركائزه التخطيط المتقن والنظر البعيد، ومن ذلك ما يقوم به المنصِّرون، وكثير من أصحاب المبادئ الأرضية، الذين أبدعوا في استخدام وسائل العصر بأساليب لا تكاد تحصر، ووضعوا الخطط لبث أفكارهم الضالة بين المسلمين بأحدث الوسائل المتاحة وأوسعها انتشارًا، وامتدت بعض خططهم وأهدافهم إلى خمسين سنة، فالله المستعان .

وهذا يوجب على المسلمين أن يواجهوا الكيد بإيمان بالله وتوكل عليه ثم بكيد من جنس كيد أعدائهم، وأن يُعدُّوا لأعدائهم ما يستطيعون من قوة أمرًا من الله عز وجل حيث قال سبحانه : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[٣]، "أي : كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك، مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي والسياسة، التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم،

(١) عواطف عبد الرحمن، "الدراسات المستقبلية : الإشكاليات والآفاق"، عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت: العدد ٤، (يناير-مارس / ١٩٨٨م)، ص ١٣ .

(٢) توفيق بن أحمد القصير، "آلية تحقيق واستمرار الدراسات المستقبلية"، أبحاث ندوة مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل، ط١، (الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٣هـ)، ص ١٦٦ .

(٣) سورة الأنفال، من الآية : ٦٠ .

وتعلُّم الرمي، والشجـــاعة والتدبير»[1]، فالتنكير في كلمة ﴿ قُوَّةٍ﴾ من الآية يفيد اســـتغراق الجنس، فلا يتوقف الإعداد على قوة بعينها، إذ الأسلحة والقوى تتنوع بتنوع الأزمنة وتطور التفكير والعلم والصناعات[2]، والعلم بأساليب الدراسات المستقبلية ومناهجهـــا ومـــن ثم إجراؤها من القوة المطلوب إعدادها .

وقد تعددت الأسباب التي دعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع وكان أهمها ما يأتي:

١- أن البحث في هذا الموضوع يبرز حاجة الدعوة الإسلامية إلى الدراسات المستقبلية في جلب المنافع ودفع المضار والأخطار .

٢- أن الدراسات المستقبلية تعد ضرورية للاسترشاد بها في رسم الخطط، وتحديد الأولويات، واتخاذ القرارات .

٣- جدَّة الموضوع، فإن الدراسات المستقبلية نشأت منتظمة في منتصف القرن العشرين الميلادي، ولم يسبق -حسب علمي- بحث هذا الموضوع بتأصيل إسلامي وربط له بالدعوة الإسلامية.

٤- أن هذه الدراسات مظنة إثراء لعلم الدعوة وفتح آفاق جديدة أمامه .

٥- حاجة الدعوة إلى التخطيط السليم المبني على أسس علمية وفكرية جديدة .

مشكلة البحث:

من خلال تتبع الباحث لِما وجد من الكتابات باللغة العربية أو ما ترجم إليهـــا حـــول الدراسات المستقبلية ومناهجها وأساليبها لاحظ -من حيث النظر- أن استحضار البُعْـــدِ المستقبلي لدى العاملين في الدعوة الإسلامية، وتطبيق الدراسات المســـتقبلية فيهـــا، يُثـــري الدعوة الإسلامية فيما يتعلق بموضوعها، وفقهها، ودعاتها، ومدعويها، وأساليبها، ووسائلها.

ولاحظ أن الوعي بالدراسات المستقبلية، وأهميتها، ومناهجها، وأساليبها، يغيب عـــن كثير من الدعاة والمؤسسات الدعوية الإسلامية، من حيث الفكر ومن حيث التطبيق .

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعـــدي، **تيســير الــكريم الــرحمن فـــي تــفســير كلام المنان**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـــ)، ص٣٢٤-٣٢٥.

(٢) محمد بهجة الأثري، **الاتجاهات الحديثة في الإسلام**، (القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، د.ت)، ص ٢٢-٢٣ .

ويأتي هذا البحث ليسهم في حل هذه المشكلة من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما الدراسات المستقبلية ؟ وما أهدافها ؟ وما أهميتها ؟
- ما مناهجها؟ وأساليبها؟ ونظرياتها ؟
- ما مدى مشروعيتها ؟ وهل لها نماذج عملية لدى السلف ؟
- ما ملامح المنهج الإسلامي في النظرة المستقبلية ؟
- ما أهمية الدراسات المستقبلية للدعوة الإسلامية ؟

حدود البحث :

لا يدخل في البحث ما يلي :

١- الحديث عن اليوم الآخر وأهواله، ولا ما يتعلق بأشراط الساعة الكبرى والصغرى، إلا ما يرد من ذلك تبعاً .

٢-التكهنات والتخرصات التي ليس لها أساس من الواقع وتتنافى مع الشرع وتعاليمه.

٣- لن يتطرق الباحث للحديث عن الأساليب الرياضية في الدراسات المستقبلية؛ لعدم معرفة الباحث بعلم الرياضيات، كما أنها لا تفيد سوى المختصِّين في علم الرياضيات، وليس كل الدراسات المستقبلية تعتمد عليها، وليس إهمالها مخلاً بالبحث؛ لأنها أساليب خاصة مقصور استخدامها على فئة معينة من العلماء يشكل عملهم آخر مرحلة من مراحل الدراسات المستقبلية التي تعتمد في نتائجها على استخدام الأساليب الرياضية.

الدراسات السابقة :

لا بد من بيان ما تتناوله خطة هذا البحث إجمالاً؛ ليتضح من خلال عرض الدراسات السابقة ما يقدمه هذا البحث من جديد للمكتبة الإسلامية.

فإن الخطة تتناول ثلاثة أمور، هي :

١-وصف الدراسات المستقبلية .

٢-التأصيل الإسلامي للدراسات المستقبلية .

٣-ربط الدراسات المستقبلية بالدعوة الإسلامية وبيان أهمية هذه الدراسات لها .

فأما الثالث لم يقف الباحث على أي دراسة تعالجه؛ مما يجعل المسؤولية كبيرة على الباحث، إذ انصبَّ أكثر جهده في بيان هذا الأمر .

وأما الثاني فلم يقف الباحث إلا على دراسة واحدة تعرضت لجانب من هذا الأمر بذكر بعض الأدلة على أن التخطيط للمستقبل من منهج الإسلام، وهي رسالة ماجستير -غير منشورة- تقدم بها الباحث عبد المولى الطاهر المكي لكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، بعنوان (**التخطيط للدعوة الإسلامية : دراسة تأصيلية**)، عام (١٤١٥هـ) تناولت مفهوم التخطيط، وأنواعه، وأهميته، وضوابط التخطيط الدعوي، ومشروعيته في القرآن والسنة، وعناصر التخطيط الدعوي، وهي: (معرفة الواقع، وتحديد الأهداف، وتحديد الوسائل المستخدمة)، وأشكال التخطيط الدعوي، وتأثير التخطيط في نجاح الدعوة، وعقبات التخطيط الدعوي وسبل مواجهتها.

ويُلحظ أن الرسالة لم تتعرض لذكر الدراسات المستقبلية وأساليبها وإنما تناولت جانب التخطيط، والتدليل عليه؛ مما يجعل ما جاء فيها غير كاف وشامل لموضوع الدراسات المستقبلية والجوانب المتعددة لهذه الدراسات .

وقد تضمنت كُتب عدد من علماء الإسلام ودعاته إشارات إلى أهمية أن يخطط المسلمون لمستقبلهم، وأن يكون لديهم قدر من الوعي المستقبلي، لكنها إشارات لا يمكن تصنيفها على أنها دراسات .

وأما الأمر الأول (وصف الدراسات المستقبلية) فقد تعَرَّض إليه عدد لا بأس به من المؤلفين على اختلاف في أسلوب الطرح، وتعدد في مجالات التناول، يصفون ما توصل إليه المجتمع الغربي فيها، وما وضع لها من مناهج وأساليب ووسائل، مجردًا من التأصيل الإسلامي لها ومن ربطها بالدعوة الإسلامية -كما سبق بيانه في الأمر الثالث والثاني- وكان عمل الباحث في هذا الأمر جمع ما تفرق منه، والتركيز في الحديث عند الأساليب التي يمكن أن تفيد منها الدعوة الإسلامية، واستعان بمن يُترجم ما يُحتاج إلى ترجمته؛ وأهم ما اطلع عليه الباحث مما أُلف في هذا ما يأتي :

١- **الدراسات المستقبلية وتحديات العصر**، د.جورج طعمة، ود.سعد حافظ، وأصل الكتاب بحثان من أبحاث الحلقة النقاشية الحادية عشرة للمعهد العربي للتخطيط في الكويت، تحت عنوان (مستقبل التنمية في الوطن العربي)، عُقدت خلال المدة من (ديسمبر١٩٨٧ إلى أبريل١٩٨٨م)، في (١٤٧) صفحة .

يعرض المؤلفان إلى جوانب من الدراسات المستقبلية من حيث تعريفها، وهدفها، ونشأتها، وتاريخها، وعلماؤها، وبعض نظرياتها، وخصائصها، وبعض مناهجها، وأسلوب من أساليبها، وعرض موجز للنماذج العالمية الخمسة التي استهدفت دراسة العالم بأسره دراسة مستقبلية في عدد من الجوانب، وإشارة إلى الجهود العربية في مجال الدراسات المستقبلية، ومناقشة تسمية الدراسات المستقبلية علمًا.

ويَعقِب كل بحث ردود وإجابات من الذين حضروا الحلقة النقاشية .

٢- **صور المستقبل العربي**، تأليف د.إبراهيم سعد الدين، ود.علي نصار، ود.محمود عبد الفضيل، ود.إسماعيل صبري عبد الله، وهو من مشروع المستقبلات العربية البديلة، التي تبنتها الأمم المتحدة[1]، في (٢١٠) صفحة .

يتعرض الكتاب إلى أهمية الدراسات المستقبلية، وتاريخها، وإشارات إلى مناهجها، وإشارة إلى أبرز الدراسات العربية، ثم يعرض أهم النماذج العالمية وكيف كانت معالجتها للعالم العربي، ويبين قصورها في المعالجة وأسباب هذا القصور، ويعرض ملامح المستقبل العربي في وثائق الاستراتيجية العربية، ويبين الحاجة إلى الدراسات المستقبلية وضرورتها للعالم العربي، ويختم الكتاب بعدد من التوصيات المتنوعة، والكتاب ينهج منهجًا قوميًا عربيًا .

٣- **إطلالة على دراسات المستقبل**، تأليف عبدالرحمن بن صالح المشيقح، في (١١٧) صفحة، وهو من أحدث الدراسات، طبع عام (١٤١٨هـ)، تحدث المؤلف عن مفهوم الدراسات المستقبلية، وأهميتها، وما ينبغي مراعاته فيها، ومبرراتها، وهل من شرطها أن تنجح؟ وأبرز علمائها، وأهم مؤسساتها العالمية والعربية، وبعض العوامل المساعدة لها، وخطر إهمال الدراسات المستقبلية، ونماذج من التخطيط المأمول، وهي: التخطيط، التربوي والاقتصادي، والحضاري، وعرض وصفًا موجزًا لبعض الدراسات المستقبلية غير ما عرضته الدراستان السابقتان، ويختمه ببعض التوصيات .

---

(١) وهو مشروع يغطي بلدان جامعة الدول العربية، ويعطي اهتمامًا خاصًا للدراسات المستقبلية، وتسند الأبحاث فيه إلى بعض المختصين في العلوم الاجتماعية في البلدان التي هي محل الدراسة، (عبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص٧).

وقد حاول المؤلف أن يثبت مشروعية الدراسات المستقبلية في ثلاث صفحات، لكنه لم يوفق في إيراد دليل واحد يصلح للاستدلال، وإنما أورد حديثًا وآية في التفكر ليس فيهما دلالة على المقصود.

هذا العرض للدراسات السابقة يؤكد أهمية البحث في هذا الموضوع؛ لربط الدراسات المستقبلية بالإسلام تأصيلاً، وبيان أهميتها للدعوة الإسلامية .

منهج الباحث في البحث :

اعتمد الباحث في تناوله لهذا البحث على ثلاثة مناهج :

١-المنهج الوصفي الوثائقي[1]، وقام الباحث من خلاله برصد واقع الدراسات المستقبلية، ومناهجها، وأساليبها، حسبما توافر له من مراجع .

٢-المنهج التاريخي، «وهو الذي نقوم فيه باسترداد الماضي تبعًا لما تركه من آثار أيـًّا كان نوع هذه الآثار»[2].

ولا يقتصر استخدام هذا المنهج في علم التاريخ بل يمتد إلى العلوم الأخرى[3]، ويتناول كثيرًا من الظواهر المتنوعة، منها الجغرافية والتربوية والاجتماعية والسياسية وغيرها[4]، ويمكن أن يتناول شخصًا معينًا أو فكرة أو حركة أو هيئة أو غير ذلك[5].

واعتمد الباحث في المنهج التاريخي على قسميه[6] كليهما : منهج المحدثين، ومنهج المؤرخين . وتتبع من خلاله ظاهرة النظرة المستقبلية في تاريخ المسلمين، واختار بعض النماذج الدالة على وجودها، وكيفيتها .

---

(١) ينظر: صالح بن حمد العساف، **المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية**، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ)، ص٢٠١-٢١١ .

(٢) عبد الرحمن بدوي، **مناهج البحث العلمي**، ط٣، (الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٧م)، ص١٩ .

(٣) حلمي محمد فودة، وعبد الرحمن صالح عبد الله، **المرشد في كتابة الأبحاث**، ط٤، (جدة، دار الشروق، ١٩٨٣م)، ص١٩؛ وسامي عريفج، وخالد حسين مصلح، ومفيد نجيب حواشين، **في مناهج البحث العلمي وأساليبه**، (عَمَّان، دار مجدلاوي، ١٩٨٧م)، ص١٢٢؛ والعساف، مرجع سابق، ص٢٨٣ .

(٤) فودة وعبد الله، مرجع سابق، ص١٩؛ وعريفج وآخران، مرجع سابق، ص١٢٢ .

(٥) أحمد بدر، **أصول البحث العلمي ومناهجه**، ط٧، (الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٤م)، ص٢٥٣-٢٥٤.

(٦) سعيد إسماعيل صيني، **قواعد أساسية في البحث العلمي**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ)، ص٦٥-٦٧.

٣-المنهج الوصفي الارتباطي، ويهدف هذا المنهج إلى معرفة وجـود علاقـة بـين متغيرَين أو أكثر أو عدمها، «وإذا كانت توجد فهل هي طرديـة أو عكسـية؟ سـالبة أم موجبة؟»[١].

والتوقع[٢] «يُعدُّ أحد أغراض البحث الاتباطي»[٣].

واستخدم الباحث هذا المنهج لبيان أوجه العلاقة بين الدراسات المسـتقبلية والـدعوة الإسلامية، وتوقُّعِ ما فيها من إيجابيات أو سلبيات .

قائمة الموضوعات :

تقتضي طبيعة البحث تقسيمه إلى ثلاثة أقسام مترابطة لا يغني بعضها عـن بعـض، فالقسم الأول توصيف وتأسيس، والقسم الثاني تأصيل وتوجيه، والقسم الثالث بيان أهميـة وثمرة مرجوة، وتفصيل ذلك كما يأتي :

المقدمة:

وتشتمل على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، ومشكلة البحث، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وقائمة الموضوعات.

التمهيد:

ويتضمن التعريف بالدراسات المستقبلية، والدعوة الإسلامية .

الباب الأول : الدراسات المستقبلية :

الفصل الأول : تاريخ الدراسات المستقبلية وأبرز علمائها ومؤسساتها .

الفصل الثاني : أهداف الدراسات المستقبلية، وأهميتها، وأهم نظرياتها.

الفصل الثالث : مناهج الدراسات المستقبلية وأساليبها .

الفصل الرابع : أهم العلوم التي تعتمد عليها الدراسات المستقبلية، وأسس نجاحها.

الفصل الخامس : أهم الدراسات المستقبلية العالمية، والعربية، والإسلامية .

---

(١) العساف، مرجع سابق، ص٢٦١؛ وينظر: محمد زيان عمر، **البحث العلمي مناهجه وتقنياته**، ط٥، (جدة، دار الشروق، ١٤٠٧هـ)، ص١٢٧-١٢٨ .

(٢) عُبِّر عنها في المرجع -في الحاشية التالية- (بالتنبؤ)، ولا يصح عقيدة ومعنى، وسيأتي إيضاحه ص١٨ .

(٣) العساف، مرجع سابق، ص٢٦٢.

الباب الثاني : التأصيل الإسلامي للدراسات المستقبلية :

الفصل الأول : النظرة المستقبلية في القرآن الكريم .

الفصل الثانـــي : النظرة المستقبلية في السنة النبوية .

الفصل الثـــالث : النظرة المستقبلية لدى بعض علماء الأمة الإسلامية .

الفصل الرابـــع : أساليب استشراف المستقبل الممنوعة والمشروعة .

الفصل الخامس : ملامح المنهج الإسلامي في النظرة المستقبلية .

الباب الثالث : أهمية الدراسات المستقبلية للدعوة الإسلامية :

الفصل الأول: الدراسات المستقبلية وفقه الدعوة .

الفصل الثاني : الدراسات المستقبلية والداعي إلى الله، والمدعو.

الفصل الثالث: الدراسات المستقبلية ووسائل الدعوة وأساليبها .

الفصل الرابع : الدراسات المستقبلية ومستقبل الإسلام .

الخـــاتـــمة : ١- النتائج . ٢- التوصيات .

الفهـــارس .

التمهيد

تعريف الدراسات المستقبلية والدعوة الإسلامية

المبحث الأول : تعريف الدراسات المستقبلية

المبحث الثاني : تعريف الدعوة الإسلامية

المبحث الأول

تعريف الدراسات المستقبلية

المطلب الأول : الاسم المصطلح عليه لهذه الدراسات :

الدراسات والأبحاث العلمية التي تهدف المستقبل وتحاول أن تستشرفه، وما يصاحبها من أساليب ومناهج، اُختلف في تسميتها، فأُطلق عليها عدد متنوع من الأسماء عند الغرب والعرب، منها ما يأتي:

١-الأسماء المصطلح عليها لدى الغرب :

أ-(بحث الأمور المستقبلية) ، أو (المستقبلات) (Futures research)(١) .

ب-(المستقبلية) (Futurism)(٢).

ج- (الدراسات المستقبلية) أو (دراسات المستقبل) (Future Studies)(٣).

د-(الريادات المستقبلية) (Futuristics)(٤).

هـ-(علم المستقبل) (Futurology) (٥)، أطلقه - أحد علماء السياسة في ألمانيا وهو من أصل روسي - (أوسيب ك. فلختهايم Ossip K. Flechtheim)، وتقبله عدد من المختصين في هذا المجال، وعارضه آخرون(٦).

---

(١) إدوارد كورنيش وأعضاء جمعية مستقبل العالم وهيئتها الإدارية، **المستقبلية: مقدمة في فن وعلم: فهم وبناء عالم الغد**، ترجمة محمود فلاّحة، (دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٤م)، ص ٤٨١، ٤٨٦.

(٢) المرجع نفسه، ص٤٨٩.

(٣) نفسه، ص٤٨١.

(٤) نفسه .

(٥) نفسه؛ ويُنظر: هاني عبد المنعم خلاّف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، كتاب الهلال، العدد ٤٢٤، (القاهرة، دار الهلال، ١٤٠٦هـ)، ص١٠؛ ومحمد بريش، **المنهج في استشراف المستقبل**، (الرباط، د.ن، ١٩٩٠م)، ص٧؛ وضياء الدين زاهر، "علم المستقبل في التربية (مفاهيمه وتقنياته)"، في "المجلة العربية للتربية"، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية، تونس: العدد ٢، (ديسمبر/١٩٩١م)، ص١٥.

(٦) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٤٨٢-٤٨٣؛ وينظر: خلاّف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص١١؛ وجورج طعمة، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، "حلقة نقاشية"، الكويت، المعهد العربي للتخطيط، (دمشق، دار طلاس، ١٩٨٨م)، ص٢٨؛ ومحمود زايد، "علم المستقبل في وقتنا الحاضر"، في "الفكر العربي"، معهد الإنماء العربي، طرابلس، ليبيا؛ بيروت، لبنان: العدد ١٠، (١٥/أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٢٦.

أو (علم الريادة) كما وضعه الفرنسي (غاستون برجيه Gaston Berger)[1].

و-(التنبؤ) (Forecasting)[2].

٢-الأسماء المصطلح عليها عند المهتمين بهذه الدراسات من العرب:

تعددت المصطلحات لاسم هذه الدراسات في الكتابات العربية؛ تبعًا لتعددها وتنوع ألفاظها عند الغرب، فنحى كثير ممن كتب من العرب نحوهم، لكنْ تميَّزت بعض الكتابات والدراسات باشتقاق اصطلاح من لغة العرب، وبرز في تلك الكتابات اسمان، هما:

أ-(استشراف المستقبل)، تميز هذا المصطلح عن المصطلحات الغربية، واختاره عدد من المختصين في الدراسات المستقبلية من العرب، منهم: أصحاب دراسة (صور المستقبل العربي)[3]، ومحمد بريش؛ «لما تحمله لفظة الاستشراف من دلالة عريقة في لغة العرب...تعبر أحسن تعبير عن المراد فعلاً من اكتشاف آفاق المستقبل، والتطلع لسبر أغواره»[4]، وخروجًا من اختلافات المصطلحات الأجنبية[5]. ويأتي بيان الدلالة اللغوية له عند التعليق عليه .

ب- (المذخُورية)، اشتقَّه الفقي من بعض معاجم اللغة العربية، وقال عن هذه الكلمة: «هي من الذخر أي ادخار الشيء إلى المستقبل»[6].

وقال الراغب الأصفهاني عند مادة (ذخر): «أصل الادّخار اذْتِخَار، يقال: ذَخَرْتُه، وادَّخرته: إذا أعددته للعقبى»[7].

---

(١) قسطنطين زريق، **نحن والمستقبل**، ط٢، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م)، ص٨٥؛ وأحمد صدقي الدجاني، **تجديد الفكر استجابة لتحديات العصر**، ط١، (القاهرة، دار المستقبل العربي، ١٩٩٦م)، ص٤٨.

(٢) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٤٨٦.

(٣) عبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٣ .

(٤) بريش، **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص٨.

(٥) عبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص٢٣-٢٤.

(٦) محمد أبو زيد الفقي، **المذخورية: الفكر المستقبلي عند المسلمين**، ط١، (القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٤١٤هـ)، ص٧ .

(٧) **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق صفوان عدنان داودي، ط١، (دمشق، دار القلم، ١٤١٢هـ)، ص٣٢٦.

٣-التعليق على تلك المصطلحات:

سيكون محور النظر إلى هذه المصطلحات هو دلالتها العربية؛ لأن الهدف النهائي والأساس هو اختيار اسم لهذه الدراسات يُرشحه الباحث للاستخدام بين المتكلمين باللغة العربية.

أ-مصطلح (بحث الأمور المستقبلية)، ومصطلح (الدراسات المستقبلية) أو(دراسات المستقبل) :

اعْتُرِض عليها بأن المستقبل لا وجود له، فكيف يُبحث أو يُدرس؟

وأجيب عنه: بأن الدراسة تكون لأفكار عنه وليست له، ويكون مصدر هذه الأفكار ثلاثة أمور : الماضي، والحاضر، وما نستطيع رسمه لصورة المستقبل ونختاره ضمن حدود القدرة على الفعل[١].

ب-مصطلح (المستقبلية)، ومصطلح (المستقبلات):

مصطلحان مبهمان وعامَّان لا يدلان على حقيقة مسميهما.

ج-مصطلح (الريادات المستقبلية):

جاء في بعض معاجم اللغة العربية:«الرَّوْد: فِعلُ الرَّائد»[٢]، «وأصل الرائد الذي يتقدم القوم يُبْصِر لهم الكلأ ومساقط الغيث... يقال : راد أَهلَه يرودهم مَرْعىً أو منزلاً ريادًا وارتاد لهم ارتيادًا»[٣]، «ويقال: بعثنا رائدًا يرود لنا الكلأ والمنزل ويرتاد...أي ينظر ويطلب ويختار أفضله»[٤].

---

(١) بتصرف، ضياء الدين عبد الشكور زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** (عَمَّان، منتدى الفكر العربي،١٩٩٠م)، ص٥٣-٥٤؛ ونفسه، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد٢، (ديسمبر/١٩٩١م)، ص٢٢.

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، ط٣، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، (مصر، مكتبة الخانجي، ١٤٠٢هـ)، ج٢، ص٤٥٧.

(٣) محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، ط١، (بيروت، دار صادر،١٤١٠هـ)، ج٣، ص١٨٧، مادة : (رود).

(٤) ابن منظور، المرجع نفسه، ج٣، ص١٨٧، مادة : (رود)؛ وينظر: ابن فارس، مرجع سابق، ج٢، ص٤٥٧ .

وعلى هذا فالريادات المستقبلية هي التي تتقدم الزمن الحاضر إلى المستقبل، فتنظر في احتمالاته، ثم تختار أفضلها وتدعوا إليه.

وممن رجح اختيار هذا المصطلح (كورنيش)؛ لأسباب يعود أكثرها إلى بُنْيَة الكلمة (Futuristics) وأصلها في لغته(١).

ويرى الباحث أنَّ مصطلح (الريادات المستقبلية) له دلالة في اللغة العربية جيدة، لكن إطلاقه على الدراسات المستقبلية بعامة فيه قصور؛ لأنه لا يُعبِّر عن الجهد المبذول فيها. ولا يُمنع استخدام هذا المصطلح في بعض الجوانب الفرعية المناسبة داخل الدراسات المستقبلية.

د-مصطلح (التنبؤ) :

لا يُستخدم مصطلح (التنبؤ) في الدراسات المستقبلية بالمعنى الذي تدل عليه اللغة العربية، وهو ادعاء النبوة والإخبار عن الله(٢).

لكن يستخدمه بعضهم للإشارة إلى المعرفة الدقيقة بالمستقبل التي لا تخطئ، ومنهم من يستخدمه تجوزًا للدلالة على معنى التوقع(٣).

ويعترف المختصون في الدراسات المستقبلية أنه لا أحد يستطيع معرفة المستقبل معرفة دقيقة، وإذا كان الدارسون للماضي لم يخلوا من الوقوع في الخطأ، فالدارسون للمستقبل من باب أولى(٤)، ولا يشذ عن هذا سوى أمور قليلة جدًا يمكن معرفتها بدقة ولو بعد سنين متطاولة، مثل الخسوف والكسوف(٥).

---

(١) مرجع سابق، ص٤٨٨.

(٢) بتصرف، ابن منظور، مرجع سابق، ج١، ص١٦٢، ١٦٣، مادة: (نبأ)؛ ومحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ط٢، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ)، ص٦٧، مادة: (نبأ).

(٣) بتصرف، كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٨٧-١٨٨.

(٤) بتصرف، المرجع نفسه، ص١٨٧.

(٥) إجور بستوجيف لادا، "التنبؤ كأسلوب لدراسة مشكلات المستقبل"، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، اليونسكو، القاهرة: العدد١، السنة الأولى، (شعبان/١٣٩٠هـ)، ص ٥٢.

وهم عندما يحددون سَنَةً معينة لوقوع حوادث محددة فلا يعنون وقوع ذلك فعــلاً في هذه السنة ولكنهم يشيرون إلى أن الاتجاه الحاضر يدل على أن وقوعها في عدد من السنوات المحددة وأن الأكثر احتمالاً تلك السنة المحددة[1].

فالباحث يرى أنَّ اللغة العربية لا تدل على صحة استخدام مصطلح (التنبؤ) على المعنى المراد له في الدراسات المستقبلية، كما أن استخدامه في هذه الدراسات فيه تساهل وعــدم دقة، ولم يجد الباحث من استخدمه من العلماء المســلمين الســابقين، وإنَّــما كــانوا يستخدمون لفظ (التوقع)، واقتصر استخدامهم للفظ (التنبؤ) ومشتقاته -فيما اطلع عليــه الباحث- على مدعي النبوة الكذابيين.

هـــ-مصطلح (علم المستقبل):

يمكن النظر إلى هذا الإطلاق من ناحيتين:

الأولى: هل يَــحْصل في هذه الدراسات تصور الأمور على ما هي عليه بحيث تطــابق الواقع فتسمى بذلك (علــمًا) ؟

لقد عُرِّف العلم بأنه : «معرفة المعلوم على ما هو به»[2]، أو«إدراك الشيء بحقيقته»[3]، أو «الاعتقاد الجازم المطابق للواقع»[4].

بينما يرى بعض العلماء[5] أن «العلم على وجهين: أحدهما على الحقيقة، والآخر حكم الظاهر وغلــبة الظن، والدليل على ذلك وأنه يسمى علــمًا قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾[6] ومعلوم أنا لا نحيط علما بما في ضمائرهن، وقد سمى الله تعالى ما ظهر لنا من أمرهن علمًا»[7].

---

(١) المرجع نفسه، ص٥٣.

(٢) سليمان بن خلف الباجي، **كتاب الحدود في الأصول**، تحقيق نزيه حمــاد، (القــاهرة، دار الآفــاق العربيــة، ١٤٢٠هـــ)، ص٢٤.

(٣) الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص٥٨٠، مادة : (علم).

(٤) علي بن محمد بن علي الجرجاني، **التعريفات**، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط٢، (بيروت، دار الكتــاب العــربي، ١٤١٣هـــ)، ص١٩٩.

(٥) منهم: أبو الحسن عبيد الله بن الحسين الكرخي المتوفى سنة ٣٤٠هـــ، **رسالة في الأصول**، مطبوعة مع تأســيس النظر، لعبيد الله بن عمر الدبوسي، (القاهرة، نشر زكريا علي يوسف، د.ت)، ص١١٤؛ وأبو بكر أحمــد بــن علي الجصاص المتوفى سنة ٣٧٠هـــ، **الفصول في الأصول**، تحقيق عجيل جاسم النشــمي، ط١، (الكويــت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٠٥هـــ)، ج٣، ص٩٠.

(٦) سورة الممتحنة، من الآية: ١٠.

(٧) الجصاص، مرجع سابق، ج٣، ص٩٠.

وقال الراغب : «الظن: اسم لما يحصل عن أمارة، ومتى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت جدًا لم يتجاوز حد التوهم»[١].

وعلى هذا الرأي يمكن إطلاق العلم على الدراسات المستقبلية إذ إنها تقوم على غلبة الظن.

وقد نحى الروسي (إجور بستوجيف لادا) إلى اعتقاد ميلاد هذا العلم في المستقبل القريب، و عبَّر عنه تارة بأنه (تاريخ المستقبل) وأكد على إمكانية وصوله إلى مثل النجاح الذي وصلت إليه دراسات تاريخ الماضي[٢].

الثانية: هل هذه الدراسات ذات مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة ؟

فقد أُطلق العلم في الاصطلاح على «مجموع مسائلَ وأصول كلّية تجمعها جهة واحدة، كعِلْم الكلام، وعِلْم النحو، وعِلْم الأرض، وعِلْم الكونيات، وعِلْم الآثار»[٣].

إنَّ العلاقة بين الدراسات المستقبلية وبعض العلوم الأخرى علاقة بيِّنة لا يُنكر المختصون وجودها، فالدراسات المستقبلية تُفيد في كثير من قواعدها وأحكامها من عدد من العلوم، ولا يمكن -إلى الآن- أنْ تستقلَّ بمسائلها الخاصة، وعلى هذا فلا يصح إطلاق (علم المستقبل) على هذه الدراسات.

لكنْ من العلماء من يرى أنه لا مانع عقلاً من أن تُعدَّ مسائل كثيرة غير مشتركة في الموضوع علمًا واحدًا يفرد بالتدوين إذا كانت تشترك من وجه آخر، مثل: أنها تَحْكُم بمجموعها على أمور أخرى، وجَوَّز أنَّ موضوعَ عِلْمٍ يكون موضوعَ عِلْمٍ آخر أخصّ منه أو أعمّ منه[٤]، ويشرح الباحث ذلك بمثال يوضحه من الدراسات المستقبلية: فإنه يُفاد فيها مسائل من علم الاجتماع وأخرى من علم التاريخ فيحكم بمجموع هذه المسائل المستمدة من العِلْمين على مستقبل قضية من القضايا المدروسة.

---

(١) **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص٥٣٩، مادة : (ظن).

(٢) لادا، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ١، (شعبان/١٣٩٠هـ)، ص٥٢، ٥٧.

(٣) مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط٣، (مصر، مجمع اللغة العربية، د.ت)، ج٢، ص٦٣٠، مادة: (علم).

(٤) مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٢هـ)، ص٧ .

ومع وجود مسوغات إطلاق (العلم) على مثل هذه الدراسات لدى بعض العلمـاء إلاّ أنّ عددًا كثيرًا من المختصين في هذه الدراسات عارض إطلاق العلم عليها، منـهم (٤٤٪) من أعضاء (جمعية المستقبل العالمية) الذين استطلعت رأيهم الجمعيـة عـام (١٩٧٥م)، و لم يؤيده سوى (١٤٪)[١]. وعدَّته الموسوعة الفرنسية العالمية أمرًا مبالـغًا فيه[٢].

يقول حافظ: «وفي رأيي أنه يصعب القطع في هذه المرحلة من مراحل تطور الدراسات المستقبلية بالحكم بأنها تشكل علـمًا أو فرعًا من علم»[٣].

ونفى الفرنسي (جوفينيل) في محاضرة ألقاها عام (١٩٦٤م) إمكانية تكـون (علـم المستقبل)؛ لأن الحوادث المستقبلية أمور احتمالية ليست أمورًا صحيحة أو زائفة[٤].

ويقول بريش : «وما نستطيع الجزم به الآن هو أن علم المستقبل ليس من العلوم البحتة التي تعتمد تحليلاً يوصل إلى نتائج نهائية»[٥].

ويرى الباحث أن إطلاق (علم المستقبل) على هذه الدراسات في وضعها الحاضر غـير سليم؛ لأنَّ مناهجها وأساليبها لا تزال في طور التكوين، والتجربة والاختبـار، والزيـادة والحذف، والتنازع والاختلاف في بعضها، فمن العجلة تسميتها علـمًا ولـمّا تُـشارف غايتها و لم تكتمل ملامحها.

ويمكن وصفها بأنَّها دراسات عِلْميَّة -لا أنّها (عِلْم)-؛ لأنَّها تعتمد مناهج علمية تنأى بها عن الرجم بالغيب، ولأنَّ نتائجها تقوم على غلبة الظن كما تقرر عند الكلام على الناحية الأولى من التعليق على هذا المصطلح.

---

(١) خلاّف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص١٥.

(٢) الموسوعة الفرنسية العالمية، "تعريفات موسوعية ، المستقبلية أو علم المستقبل"، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد ١٠، (أبريل/١٩٧٩م)، ص٢١٨.

(٣) سعد حافظ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص٥١.

(٤) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٧٣.

(٥) **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص٩.

و-(استشراف المستقبل):

جاء في الصحاح: «استشرفتُ الشيء: إذا رفعت بصرك تنظر إليه وبسطت كفَّك فوق حاجبك كالذي يستظل من الشمس»[1].

وقال في المحيط: «واسْتَشْرَفَ الرجلُ: رفع رأسه لينظر إلى شيء»[2].

«وأصله من الشرَف: العُلُو، كأنه ينظر إليه من موضع مرتفع فيكون أكثر لإدراكه»[3].

ومعنى مقولَة : (لا تستشرفوا للبلاء) : «أي لا تَتطلَّعوا إليه وتَتوقَّعُوه»[4].

فمعنى (استشراف المستقبل) في الدلالة اللغوية رفع الرأس له والنظر إليه ومحاولة تَبَيُّنه بأحسن وسيلة، وهذه الدلالة تصدق على نوع من الدراسات المستقبلية ذات منهج سهل وجهود فردية، لكن تكون مجحفة الدلالة مع الدراسات المستقبلية المعتمدة على مناهج وأساليب في غاية من الاتساع، وقامت على كبير من الجهد، أُنيط بمجموعة من المختصين والعلماء، وبُنيت على كثير من الدراسات عن الماضي والحاضر.

ومع ذلك فإن الباحث يرى أن (استشراف المستقبل) مصطلح جميل، وله دلالة لغوية قوية، فيمكن استخدامه في الدراسات البسيطة، وفي التعبير عن بعض الجوانب الفرعية المناسبة داخل الدراسات المستقبلية، وهو أولى من غيره، لكن إطلاقه على الدراسات المستقبلية بعامة فيه قصور.

ز-(المذخورية):

مدلولها على الإعداد والاتخاذ بمعنى الاحتفاظ بالشيء وتخبئته وإبقاؤه لأمر مستقبل[5]، وهذا جزء مما تحاول أن تصل إليه الدراسات المستقبلية، لكن القسم الأهم يتمثل في البذل

---

(١) إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ)، ج٤، ص١٣٨٠، مادة : (شرف).

(٢) الصاحب إسماعيل بن عباد، **المحيط في اللغة**، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط١، (بيروت، عالم الكتب، ١٤١٤هـ)، ج٧، ص٣٢١.

(٣) المبارك بن محمد الجزري الشهير بابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق محمود محمد الطناحي، وطاهر أحمد الزاوي، ط٢، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ)، ج٢، ص٤٦٢، مادة: (شرف) .

(٤) المرجع نفسه.

(٥) بتصرف، ابن منظور، ج٤، ص٣٠٢، مادة : (ذخر)؛ وينظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق محب الدين الخطيب، ط١، (القاهرة، دار الريان، ١٤٠٧هـ)، ج٣، ص٣٩٣.

والعطاء والإنفاق وتقديم التضحيات والتنازلات عن حظوظ النفس، وبذل كل ما من شأنه أن يحقق رِفعة في المستقبل، وهذا القسم الأهم لا يتناوله هذا المصطلح، كما أنه لا يُعبِّر عن الجهد المبذول في هذه الدراسات.

٤-المصطلح المختار:

أجرت (جمعية المستقبل العالمية) استفتاءً لأعضائها عام ١٩٧٥م[١] حول المصطلح المفضل لديهم لهذا الحقل، وكان الرد الإيجابي لصالح مصطلَحين اثنين :

أولهما: (الدراسات المستقبلية)، أو (دراسات المستقبل)، أيَّده (٢٩٪)، وعارضه (٦٪).

وثانيهما: (بحث الأمور المستقبلية)، أو (المستقبلات)، أيَّده (٢٥٪)، وعارضه (١١٪).

وممن استخدم الأول (الدراسات المستقبلية) أمانة الحكومة السويدية، بعد أن رفضت مصطلح (علم المستقبل)، وفضَّلت هذا المصطلح على (بحث المستقبل)[٢]؛ «لأن الدراسات المستقبلية لا تتضمن البحث فحسب، بل بيانًا بنتائج البحوث التي جرت من قبل في مختلف الحقول، وتطبيقًا للطرق المعروفة سابقًا»[٣].

أما أهم المصطلحات الأخرى التي شملها الاستفتاء فكان ترتيبها كالآتي:

-(تحليل الأمور المستقبلية) .

-(الريادات المستقبلية).

-(التنبؤ).

-(علم المستقبل).

وقد وقع اختيار الباحث على مصطلح (الدراسات المستقبلية)؛ لأنه أصدق المصطلحات المذكورة دلالة على مضمونه سواء كانت أجنبية أم عربية؛ ولوقوعه في المرتبة الأولى في

---

(١) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٤٨٦؛ ويُنظر: خلاَّف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص١٥.

(٢) كورنيش وآخرون، المرجع نفسه، ص٤٨٥، نقلاً عن: (تقرير سكرتارية الدراسات المستقبلية، دراسات المستقبل في السويد، ستوكهولم، ١٩٧٤، ص١) .

(٣) المرجع نفسه، والنقل نفسه.

الاستفتاء السابق؛ ولعجز المصطلحات الأخرى عن الوصول إلى العموم الذي يفيده هذا المصطلح؛ فكلمة (الدراسات أو الدراسة) تُفيد جهدًا مبذولاً متكررًا، وكلمة (المستقبلية) تُفيد أنَّ هذه الدراسات تهدف جزءً من المستقبل بدراسة العوامل المؤثرة فيه.

أمَّا إذا كان الجهد المبذول في الدراسة ضعيفًا، أو كان فرديًّا قائمًا على النظرة الذاتية، فإنَّ الباحث يرى استخدام مصطلح (استشراف المستقبل)، أو (الريادة) .

المطلب الثاني : تعريف المستقبل:

"(المستقبل): هو ما يُترقب وجوده بعد زمانك الذي أنت فيه، يسمى به، لأن الزمان يستقبله"[1].

فكل ما سيقابله الإنسان بعد اللحظة التي هو فيها الآن يُعدُّ من المستقبل، سواء كان قريبًا أم بعيدًا خيرًا أم شرًّا، لكن جرت عادة الناس في استعمال كلمة (المستقبل) للخير؛ تفاؤلاً بحصوله، فيقولون: فلان له مستقبل، وفلان ليس له مستقبل، فالأول يُرجى له الخير، والثاني يُنذِر حاله بسوء العاقبة[2].

والمراد بالمستقبل في هذا البحث هو معناه العام، سواء كان خيرًا أو شرًّا، قريبًا أو بعيدًا.

المطلب الثالث : الاسم المُطلق على المُختص في الدراسات المستقبلية:

يطلق كثيرون لفظ : (مستقبلي، ومستقبليين، The Futurist)، على المختص في الدراسات المستقبلية، مثل: (نحوي) للمختص في النحو، و(لغوي) للمختص في اللغة، و(أُصولي) للمختص في أصول الفقه، ويؤيد الباحث هذا الاستخدام؛ لأنَّ الدراسات المستقبلية أحرزت تقدمًا واضحًا، يحق معه أن يكون للمختصين فيها وصف خاص يتميزون به.

(١) الجرجاني، مرجع سابق، ص٢٧٢؛ وينظر: عبد الرؤوف بن المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، ط١، (القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٠هـ)، ص٣٠٥.

(٢) محمد جميل مصطفى، **المستقبل الحق: خطواته من الدنيا إلى الجنة**، ط١، (جدة، دار المنارة، ١٤١٩هـ)، ص٥.

المطلب الرابع : تعريف الدراسات المستقبلية :

١- تعريف الروسي (إجور بستوجيف لادا):

يقول : «يمكن تعريف التنبؤ عمومًا بأنه: أسلوب خاص في معالجة مشاكل المستقبل، وأنه عملية مستمرة موازية للتخطيط، والبرمجة، والتصميم، والتحكم، غرضها تحسين المستويات العلمية لهذه العمليات»[١].

٢-تعريف جمعية المستقبل العالمية (World Future Society) :

عرَّفت الجمعية الدراسات المستقبلية على أساس طبيعتها في أربعة عناصر رئيسة، هي[٢]:

أ-«أنها الدراسات التي تركز على استخدام الطرق العلمية في دراسة الظواهر الخفية».

ب-«أنها أوسع من حدود العلم فهي تتضمن الجهود الفلسفية والفنية جنبًا إلى جنب مع الجهود العلمية».

ج-«أنها تتعامل مع نطاق لبدائل النمو الممكنة وليس مع إسقاط مفردة محددة المستقبل».

د-«أنها تلك الدراسات التي تتناول المستقبل في آماد زمنية تتراوح بين ٥ سنوات وخمسين عامًا».

٣-تعريفا هاني عبد المنعم خلاَّف:

أ-«المستقبلية...منهج علمي وعملي محوره الوعي بأثر التراكم الزمني في تشكيل أو إعادة تشكيل أبعاد وأحجام الظواهر الاجتماعية أو الاقتصادية أو الطبيعية موضع الرصد، وذلك على ضوء عدد من الافتراضات المختلفة التي يؤدي كل منها إلى نتائج في اتجاه معين خلال فترة زمنية معينة.

فالمستقبلية إذن منهج للتفكير والتقدير والتعامل مع الأزمنة القادمة، وليست معرفة موضوعية مطلقة بحقائق المستقبل»[٣].

---

(١) في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ١، (شعبان/١٣٩٠هـ)، ص٤٩.

(٢) سعد حافظ، "حول منهج الدراسات المستقبلية"، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص٧٩-٨١، نقلاً عن:
The state of futures research – personal reflections. Futures, August 1984.

(٣) المستقبلية والمجتمع المصري، مرجع سابق، ص٤٠.

ب-«المستقبلية بهذا المفهوم هي علم (الـحُكْم) (والاعتبار) (والتمييز) (والاختيـار)، الحكم على الماضي والاعتبار بتجاربه والتمييز بين بدائل الممكن والمستحيل في المستقبل»[1].

٤-تعريف (ألفن توفلر):

«إن مصطلح (علم المستقبل) Futorology ... يعني مزيـجًا من تنبـؤات اجتماعيـة معينة، تتعلق بالمجتمع الإنساني ومصير الإنسان فيه، ويعني أيضًا علـمًا متنامـيًا بتـدرج في القوانين والمناهج ووسائل التنبؤ»[2].

٥-تعريف محمود عبد الفضيل:

«استشراف المستقبل هو جهد استطلاعي بالأساس، يتسع لرؤى مـستقبلية متباينـة، ويسعى لاستكشاف أو تكشف العلاقات المستقبلية بين الأشياء والنظم والأنـساق الكليـة والفرعية في عالم يموج بالحركة ويتصف بازدياد درجة (عدم اليقين) ... فالجهد الاستشرافي المستقبلي هو نوع من «الحدس التاريخي» المستند إلى قاعدة علمية »[3].

٦-تعريف خبراء مشروع (المستقبلات العربية البديلة):

«استشراف المستقبل: هو اجتهاد علمي منظم، يرمي إلى صوغ مجموعة من (التنبـؤات المشروطة)، والتي تشمل المعالم الرئيسة لأوضاع مجتمع ما، أو مجموعة من المجتمعات، وعـبر فترة مقبلة تمتد قليلاً لأبعد من عشرين عامـًا، وتنطلق من بعض الافتراضات الخاصة حول الماضي والحاضر، ولاستكشاف أثر دخول عناصر مستقبلية على المجتمع»[4].

٧-تعريف محمد بريش:

«استشراف المستقبل: هو النظر إلى الزمن القادم ببصر حديد ونظر ثاقب، بغية تـصور الواقع المقبل، انطلاقـًا من شرفة الواقع الحاضر، واستيعابـًا لعبر الواقع الراحل»[5].

---

(١) المرجع نفسه، ص١٨٤. ينتهي التعريف بهذا فلم يبيِّن (الاختيار)، ولعله دمجه مع (التمييز).

(٢) طعمة، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص٢٩-٣٠ ، نقلاً عـن: (ألفـن تـوفلر، المستقبليون **The futurists** ، ص ١٩٤-٢١١).

(٣) "الجهود العربية في مجال استشراف المستقبل(نظرة تقويمية)"، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (ينـاير/ ١٩٨٨م)، ص٥١؛ ومحمود عبد الفضيل، **حوار مع المستقبل**، كتاب الهـلال، العـدد ٥٣١، (القـاهرة، دار الهلال، شوال مارس/ ١٩٩٥م)، ص١٥-١٦.

(٤) عبد الله وآخرون ، مرجع سابق، ص ٢٣ .

(٥) **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص٨، وأعاد ذِكره ص١٤.

ويَظهر تأثر صدر التعريف بالمعنى اللغوي لكلمة (الاستشراف)، فالمستشرف يرفع بصره إلى الشيء؛ لينظر إليه نظرة متفحصة حتى يحيط به ويستبينه، ويبسط كفه فوق حاجبيه ليتجنب أي إشعاع ضوئي يشوش على رؤيته؛ حتى يكون نظره حديدًا، وصورة ما ينظر إليه أوضح[1].

ويشرحه بقوله: «والمتمعن في تعريفنا هذا يلاحظ أننا استعملنا كلمة «الواقع» في مراحل الزمن الثلاث: الماضي والحاضر والمستقبل، حتى نعكس الغاية المرجوة من دراسة المستقبل، والمتمثلة في تغيير مجرى نهر الواقع الدافق نحو الأفضل، وتوجيه وجهته ومصبه نحو الأمثل. ففي كلٍّ من المراحل الثلاث، يُهتم بالواقع ليس لذاته، وإنما لدفع عجلته نحو السبيل الأقوم والصراط المستقيم، فالماضي يُدرس ويُستوعب ليس حبًّا في الاحتماء به أو اللجوء إليه، وإنما لتوظيفه في عمليات التغيير للحاضر والتوجيه له، والحاضر لا يهتم به لتسجيل الشكل وتأبيد الصورة، وإنما يستكشف لإعمال الوعي فيه نحو إزالة المعوقات ومواجهة التحديات، والمستقبل يُهتم به ليس للحلم والتمني، وإنما لتمطي جواد كسب المعارف وتحسين الواقع بتحليل ودراسة صور متأزمة له محتملة الوقوع»[2].

٨-تعريف (شان Shane):

بحوث المستقبليات : هي «تخصص علمي جديد يختص بصقل البيانات وتحسين العمليات التي على أساسها تتخذ القرارات السياسية في مختلف مجالات السلوك الإنساني»[3].

٩-تعريف المهدي المنجرة:

الدراسات المستقبلية: «منهج يسمح بدراسة التطورات المختلفة المحتملة لوضع معين، في وقت محدد، وتطويق نتائج هذا القرار أو ذاك على هذه التطورات.

ويتميز منهجها بالشمولية، وتعدد التخصص، والسلوك الدائم لسبيل مفتوح يعتمد التفكير فيه على دراسة خيارات وبدائل »[4].

---

(١) المرجع نفسه، ص٨.

(٢) نفسه، ص١٤.

(٣) زاهر، في "المجلة العربية للتربية"، العدد٢، (ديسمبر/١٩٩١م)، ص١٥، نقلاً عن:
Harold G. Shane; The Educational Sigificance of the future, (Bloomin,) (Indiana, Phi Delta Kappa, 1973), P. 1.

(٤) **الحرب الحضارية الأولى**، ط٤، (الدار البيضاء، عيون، ١٩٩٢م)، ص٢٧٦.

١٠-تعريف توفيق بن أحمد القصير:

«بالإمكان تعريف «الدراسات المستقبلية» بأنها ذلك النشاط العلمي المنظم الذي يسعى إلى تصور الواقع المقبل، واستكشاف العلاقات المستقبلية للمتغيرات الرئيسية التي تحدد معالم هذا الواقع، بناء على معطيات الواقع الحاضر، وتراكم الخبرة من تجارب الماضي»[١].

١١-تعريفات (إدوارد كورنيش ومن معه):

أ-«المستقبلية تقبس الحقيقة التاريخية والمعرفة العلمية، وتضيف إليهما القيم الإنسانية والخيال لتشكل صورًا لما قد يحدث مستقبلاً، فهي علم حذر يدرج، إنها التاريخ الذي يسعى للتطلع إلى الأمام بدل النظر إلى الخلف»[٢].

ب-«إن المستقبليات يمكن تعريفها بأنها «التاريخ التطبيقي»، فهي تنشط وتتقوى حيث يتوقف التاريخ. والمستقبليون لا يقنعون بمجرد فهم ما حدث في الماضي، فهم يريدون أن يستخدموا معرفتهم لتنمية فهم احتمالات المستقبل، ويؤكدون أن المستقبل، لا الماضي، هو بؤرة الفعل الإنساني، وأن قيمة الماضي هي إمكان استخدامه لإنارة المستقبل»[٣].

ج-«الريادات المستقبلية Futuristics : ميدان نشاط يعمل على تحديد التغيرات المستقبلية المحتملة في الحياة الإنسانية والعالم، وتحليلها وتقويمها، وهي تعني ضمنًا نهجًا عقلانيًا للمستقبل أكثر منه صوفيًا، ولكنها تتقبل أيضًا النُهُج التجريبية والتصورية والفنّيّة كمساهمات معروضة يمكن أن تكون مفيدة وصالحة»[٤].

١٢-تعريفا أحمد صدقي الدجاني:

أ- «محاولة علمية تتكامل فيها الدراسات لمعرفة جوانب صورة الحاضر وتحليلها، وتلاحظ فيها السنن ومجرى الحركة التاريخية من خلال دراسة الماضي، ويكون الانطلاق من ثم إلى استشراف المستقبل وتشوفه وطرح ملامحه والتوقعات التي يحتمل حدوثها فيه استمرارًا للحركة التي تحكم الواقع، والبدائل والخيارات القائمة»[٥].

---

(١) في "أبحاث ندوة مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل"، مرجع سابق، ص ١٦٧ .

(٢) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ١٠٤.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٠٥.

(٤) نفسه، ص ٤٨٩.

(٥) **تجديد الفكر استجابة لتحديات العصر**، مرجع سابق، ص٤٦.

ب-أنَّها «جهد علمي لاستشراف المستقبل وتشوفه ورؤيته، بغية إحسان التعامل مع الواقع القائم والسعي لتحقيق أهداف محددة»[1].

١٣-تعريف علي نصار:

«إن الدراسات المستقبلية إنما تعني أمرين أساسيين :

الأول: هو القدرة على التحكم في المستقبل من خلال الاستعداد بمجموعة من المبادرات والخطط المتتالية لمواجهة الاحتمالات المختلفة...

الأمر الثاني: هو الإتيان بشيء جديد لم يؤت به من قبل»[2]. أي الإبداع باستخلاص سياسات لم يتوصل إليها من قبل[3].

التعريف المختار:

بعد هذا العرض لعدد من التعريفات للدِّراسات المستقبلية، وبعد نظرات فاحصة عليها، يرى الباحث أنَّ كل تعريف منها لا يخلو من اعتراض عليه وسيشير إلى بعض تلك الاعتراضات عند بيانه لتعريفه الذي يرتضيه، ويُرجِّح من تلك التعريفات تعريفين تميَّزا بالشمول وحسن الصياغة، هما: تعريف المنجرة، والتعريف الأول للدجاني.

ويصوغ الباحث التعريف الذي يرتضيه بقوله :

الدراسات المستقبلية : جهد علمي مُنظَّم، يسعى إلى تحديد احتمالات وخيارات مختلفة مشروطة لمستقبل قضية أو عدد من القضايا خلال مدة مستقبلة محددة، بأساليب متنوعة، اعتمادًا على دراسات عن الحاضر والماضي، وتارة بابتكار أفكار جديدة منقطعة الصلة عنهما .

فكلمة (جهد) في التعريف تُحدِّد أولاً نوع هذه الدراسات، هل هي (علم)؟ أم (منهج)؟ أم (أسلوب)؟ فليست هي أيًّا من ذلك بل هي (جُهد)؛ وتُفيد ثانيـًا إشارة إلى

---

(١) المرجع نفسه، ص١٧، وأعاد ذِكره ص٤٥.

(٢) في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية: نحو استراتيجية مشتركة"، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (١٤-١٦ أبريل/ ١٩٩٨م)، ص٢٠٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٠٨.

حجم العمل المبذول في إعداد هذه الدراسات، إذْ الجُهْد «الوسع والطاقــة»[1]، واســتعمال كلمة (جهد) أسلم من كثير من الكلمات المستخدمة في التعريفات السابقة، مثل: (أسلوب) و(تخصص) و(علم) و(منهج) و(محاولة).

وكلمة (علمي) تعني اعتماد هذه الدراسات على الــــمناهج والأســاليب العلميـــة، ويَخرج بهذا القيد : الكهانة، والسحر، والتنجيم، ونحوها مما هو غير علمي.

وكلمة (منظّم) تعني اتصال هذه الجهود العلمية ببعضها، وبناء بعضها على بعض.

و(الاحتمالات والخيارات المختلفة المشروطة) مع كلمة (علمي) تفيد أن الإنسان لــيس له قدرة يقينية تامة على إدراك ما سيكون عليه المستقبل بتمامه وحقيقته، بــل هــذا مــن خصائص الرب سبحانه وتعالى؛ لذا يلجأ المستقبليون إلى ذِكر أكثر من مســتقبل محتمــل، وذِكر مستقبل مختار منها أو أكثر، وتلك المستقبَلات مشروطة بإنْ، أو إذا، أو لو، مثل: إن استمر الأمر على ما هو عليه الآن فسيحدث -في الغالب- كذا وكذا، وإذا فُعِل كذا وكذا فسيحدث- في الغالب - كذا وكذا.

وقيل في التعريف: (قضية)؛ ليشمل جميع أنواع الدراسات المستقبلية، مثل: الدراســات التي تتناول مستقبل الناس أو أخلاقهم، أو الجمادات مثل الماء والنفط، أو السياســات، أو الجماعات، أو الأمم، أو البلدان، أو الأقطار، أو العالم أجمع؛ لذا فغــير ســليم أن تُقصــر الدراسات المستقبلية عند تعريفها على الظواهر الاجتماعية، أو الاجتماعيــة والاقتصــادية والطبيعية، كما ورد في بعض التعريفات.

نظرًا لأن المستقبليين يشترطون تحديد مدة محددة تستشرفها الدراسة -لتكون منضبطة- قيل في التعريف: (خلال مدة مستقبلة محددة)، وغير سليم ما ورد في بعض التعريفات مــن جعل أقل مدة تُستشرف هي خمس سنوات، ولا جعل مدة الاستشراف تــمتد قليلاً لأبعد من عشرين عامًا، إذ إنَّ تحديد المدة يعود إلى طبيعة الشيء المراد دراسته وطبيعة الحاجة إليه .

وقيل في التعريف: (اعتمادًا على دراسات عن الحاضر والماضي)، هذا توضــيح وبيــان لأساس المنهج العلمي في الدراسات المستقبلية، فإذا لم يكن أساسها الكهانة ولا الادِّعاءات

---

(١) ابن منظور، مرجع سابق، ج٣، ص١٣٣، مادة : (جهد).

المجردة فهي إذن نتاج دراسات عن الماضي بعِبَره والحاضر بوقائعه وتجاربه؛ وهذا وجه كونها (علْمية).

وليس دائمًا يكون اعتماد الدراسات المستقبلية على الماضي، بل تتجاوزه أحيانًا لابتكار أفكار جديدة، في حدود ما هو معقول؛ لأنه ليس حتمًا أن يكون المستقبل كالماضي لا يتغير، بل قد يأتي في صورة جديدة لم تُعهد من قبل.

ولم يَرد في التعريف ذكر أهداف الدراسات المستقبلية؛ لأن الأهداف منفصلة عن الدراسات المستقبلية، فذكرها ليس من مستلزمات التعريف، وقد جانب الصواب من أورد في تعريفه بعض أهداف الدراسات المستقبلية.

المبحث الثاني

تعريف الدعوة الإسلامية

المطلب الأول : تعريف الدعوة في اللغة :

الدعوة في اللغة العربية تطلق على عدد من المعاني المتباينة، وما يهم إيراده هنا تلك المعاني ذات الصلة الظاهرة بالمعنى الاصطلاحي، وهي على النحو الآتي:

الدعوة مصدر دعا يدعو، و«الدال والعين والحرف المعتل أصلٌ واحد وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت أدعو دعاءً»[١]. «ودعوت فلاناً: أي صِحت به واستدعيته»[٢]. والدعوة: النداء[٣]، ومنه قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾[٤]. والدعوة: طلب الإقبال[٥]. والدعوة: الحث على قصد الشيء[٦]، ومنه قول الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[٧].

«وبعض العرب يؤنث الدعوة بالألف فيقول: الدعوى»[٨].

---

(١) ابن فارس، مرجع سابق، ج٢، ص٢٧٩.

(٢) الجوهري، مرجع سابق، ج٦، ص٢٣٣٧، مادة: (دعا)؛ وينظر: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، **أساس البلاغة**، ط٣، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م)، ج١، ص٢٧٢.

(٣) الزمخشري، **أساس البلاغة**، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٢؛ وينظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج١٤، ص٢٥٨، مادة : (دعا)؛ وأحمد بن محمد بن علي الفيومي، **المصباح المنير**، (بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م)، ص٧٤، مادة: (دعا).

(٤) سورة الروم، من الآية: ٢٥.

(٥) الفيومي، مرجع سابق، ص٧٤، مادة : (دعا).

(٦) الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص٣١٥، مادة : (دعا).

(٧) سورة يونس، من الآية: ٢٥.

(٨) محمد مرتضى الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق علي شيري، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ)، ج١٩، ص٤٠٥، مادة : (دعا).

المطلب الثاني : تعريف الدعوة الإسلامية في الاصطلاح :

عرَّف الدعوة الإسلامية عدد من العلماء والباحثين، وكل واحد منهم يعرفها بجانب من جوانبها أو باعتبار من اعتباراتها، ومنهم من حاول تعريفها بتعريف جامع مانع.

وسيعرض الباحث جملة من تعريفاهم تحت التقسيمات الستة الآتية:

١-تعريفها باعتبار موضوعها وهو الإسلام، ومن التعريفات في هذا القسم ما يأتي:

أ- «الدعوة: هي رسالة السماء إلى الأرض، وهي هدية الخالق إلى المخلوق، وهي دين الله القويم، وطريقه المستقيم، وقد اختارها الله لنفسه وجعلها الطريق الموصل إليه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[١]، ثم اختارها لعباده، وفرضها عليهم، ولم يرض بغيرها بديلاً عنها: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[٢].

فالدعوة إذن هي الإسلام، وهي شريعة الله الخالدة»[٣].

ب- «الدعوة الإسلامية: هي الخضوع لله والانقياد لتعاليمه بلا قيد ولا شرط»[٤].

ج- «الدعوة الإسلامية هي الدين الذي ارتضاه الله للعالمين وأنزل تعاليمه وحيًا على رسول الله -ﷺ- وحفظها في القرآن الكريم، وبينها في السنة النبوية»[٥].

د- «الدعوة الإسلامية: هي النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة ومناهج السلوك للإنسان، التي جاء بها محمد -ﷺ- من ربه، وأمره بتبليغها إلى الناس، وما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب في الآخرة»[٦].

هـ- « الدعوة: نداء الحق للخلق، ليوحدوا المعبود، ويعبدوا الواحد، حنفاء لله غير مشركين، متبعين غير مبتدعين»[٧].

---

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٩.

(٢) سورة آل عمران، من الآية: ٨٥.

(٣) محمد محمود الصواف، **من القرآن وإلى القرآن: الدعوة والدعاة**، ط٣، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ)، ص٢٢-٢٣.

(٤) أحمد أحمد غلوش، **الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها**، ط٢، (القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٤٠٧هـ)، ص١٢.

(٥) المرجع نفسه، ص١٢-١٣.

(٦) نفسه، ص١٣.

(٧) عبد رب النبي علي أبو السعود، **التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته**، ط١، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٢هـ)، ص١٩.

و- «إنها دين الله الذي ارتضاه للعالمين تمكينًا لخلافتهم، وتيسيرًا لضرورهم، ووفاء بحقوقهم، ورعاية لشئونهم، وحماية لوحدهم، وتكريمًا لإنسانيتهم، وإشاعة للحق والعدل فيما بينهم، هي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني وتقرير الحقوق والواجبات، وهي قبل ذلك وبعده الاعتراف بالخالق والبر بالمخلوق»[1].

ز- «إنها برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس؛ ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين»[2].

٢-تعريف الدعوة بتغليب فعل الداعية وما يدعو إليه أو جزء من فعله؛ فمثال فعله: دلالة الناس على الخير، وجمعهم عليه، وحثّهم، ورد الناس إلى الله، والترغيب، والبيان، والتبليغ، والإرشاد، والإعانة، ولفت الأنظار، ونقل الأمة، وصرف الأنظار والعقول، والأمر والنهي؛ ومثال ما يدعو إليه: الإيمان بالله وتوحيده، وإقامة أركان الإسلام، وفعل الخير، واجتناب الشر؛ ومن التعريفات في هذا القسم ما يأتي:

أ- «الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به ، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يَعبد العبد ربه كأنه يراه»[3].

ب- «حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل»[4].

ج- «صرف أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة تفيدهم، أو مصلحة تنفعهم، وهي أيضًا ندبة لإنقاذ الناس من ضلالة كادوا يقعون فيها، أو من مصيبة كادت تحدق بهم»[5].

---

(١) محمد الراوي، **الدعوة الإسلامية دعوة عالمية**، ط١، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٥هـ)، ص٤٠.

(٢) محمد الغزالي، **مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة**، ط٢، (دار القلم، دمشق، ١٤١٧هـ)، ص١٧.

(٣) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، **مجموع الفتاوى**، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، د.ت)، ج١٥، ص١٥٧-١٥٨.

(٤) علي محفوظ، **هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة**، ط٧، (المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ١٣٩٥هـ)، ص١٨.

(٥) آدم عبد الله الألوري، **تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم**، ط٢، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٣٩٩هـ)، ص١٧.

د- «الحث على فعل الخير واجتناب الشر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحبيب بالفضيلة والتنفير عن الرذيلة، واتباع الحق ونبذ الباطل»[1].

هـ - «جمع الناس على الخير، ودلالتهم على الرشد، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر»[2].

و- «النداء والطلب، والحث على الإسلام، وبيانه، والترغيب فيه، وسوق الناس إليه»[3].

ز- «لفت أنظار الناس إلى عظمة رسالة الإسلام، وما تشتمل عليه من عناصر وأسس ومبادئ تحقق السعادة لبني البشر جميعًا؛ لأنها حق لا مراء فيه من عند الله تعالى»[4].

ح- «جمع الناس على الخير، ودلالتهم على الرشد بتنفيذ منهج الله في الأرض قولاً وعملاً، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، والصبر والمصابرة على أعباء البلاغ»[5].

ط- «تبليغُ الإسلام للناس، وتعليمُه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة»[6].

ي- «الدعوة إلى توحيد الله والإقرار بالشهادتين وتنفيذ منهج الله في الأرض قولاً وعملاً، كما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة -سنة رسول الله محمد -ﷺ- ليكون الدين كله لله »[7].

ك- «دلالة الناس على الله، وردهم إليه، ودعوتهم إلى توحيده وما يقرب إليه ويكمله ويتممه من طاعة الله عز وجل، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وجمع الناس على الخير، ودلالتهم على الرشد، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإعانتهم على تطبيق الإسلام بكل وسيلة مشروعة»[8].

---

(١) محمد نمر الخطيب، **مرشد الدعاة**، ط١، (بيروت، دار المعرفة،١٤٠١هـ)، ص٢٤.

(٢) محمد السيد الوكيل، **أسس الدعوة وآداب الدعاة**، ط٢، (دار الوفاء، القاهرة، ١٤٠٦هـ)، ص٩.

(٣) حسن عيسى عبد الظاهر، **فصول في الدعوة الإسلامية**، ط١، (قطر، دار الثقافة، ١٤٠٦هـ)، ص٢٦.

(٤) محمد إبراهيم الجيوشي، **مسار الدعوة في العهد المكي**، ط٢، (د.ن، د.م، ١٤١١هـ)، ص٥.

(٥) توفيق الواعي، **النساء الداعيات**، ط٢، (المنصورة، مصر، دار الوفاء، ١٤١٢هـ)، ص٩-١٠.

(٦) محمد أبو الفتح البيانوني، **المدخل إلى علم الدعوة**، ط١، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ)، ص١٧.

(٧) توفيق الواعي، **الدعوة إلى الله: الرسالة، الوسيلة، الهدف**، ط٢، (القاهرة، دار اليقين، ١٤١٦هـ)، ص١٩.

(٨) بدير محمد بدير، **مقومات الدعوة والداعية في ضوء سيرة السلف الصالح**، ط١، (القاهرة، دار نور الإسلام، ١٤١٦هـ)، ص١٤.

٣-تعريف الدعوة باعتبار أنّها علم وفن، ومن ذلك:

أ- «العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنيَة المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق»[١].

ب- «فن يبحث في الكيفيات المناسبة التي نجذب بها الآخرين إلى الإسلام أو يحافظ على دينهم بواسطتها»[٢].

ج- «العلم الذي تعرف [به][٣] كنه المحاولات الرامية إلى إبلاغ الناس دعوة الإسلام بما يحويه من عقيدة وشريعة وأخلاق»[٤].

٤-تعريف الدعوة مرادفة للعبادة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٥] : «فالدعوة والعبادة اسم جامع لغاية الحب لله وغاية الذل له»[٦].

٥-تعريفها بمعنى التجديد، ومن ذلك:

أ- «الدعوة عملية إحياء لنظام ما لتنتقل الأمة بها من محيط إلى محيط»[٧].

ب- «حركة إحياء للنظام الإلهي، الذي أنزله الله -عز وجل- على نبيه الخاتم»[٨] ﷺ.

---

(١) غلوش، مرجع سابق، ص١٠.

(٢) عبد الله يوسف الشاذلي، **الدعوة والإنسان**، (طنطا، المكتبة القومية الحديثة، د.ت، تاريخ المقدمة ١٤٠٥هـ)، ص٣٩.

(٣) غير موجودة في المرجع، ويقتضيها السياق.

(٤) محمد سعيد البارودي، **الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان**، ط١، (جدة، دار الوفاء، ١٤٠٧هـ)، ص٢٤.

(٥) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٦) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٠، ص٦.

(٧) رؤوف شلبي، **الدعوة الإسلامية في عهدها المكي (مناهجها وغاياتها)**، ط٣، (الكويت، دار القلم، ١٤٠٢هـ)، ص٣٢.

(٨) المرجع نفسه، ص٣٢.

٦-منهم من عرفها ليشمل تعريفه أكثر أركان الدعوة أو كلها، وهي: الداعي، والمدعو، وموضوع الدعوة، وكيفية الدعوة: الأسلوب والوسيلة، ومن هذه التعريفات ما يأتي:

أ- «هي قيام من عنده أهلية النصح الرشيد والتوجيه السديد من المسلمين، في كل زمان ومكان، بترغيب الناس في الإسلام اعتقادًا ومنهجًا، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة»(١).

ب- وهُذِّب التعريف السابق فقيل : «هي قيام من عنده أهلية النصح والتوجيه من المسلمين بترغيب الناس في الإسلام اعتقادًا ومنهجًا، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة»(٢).

ج-«تبليغ الناس جميعًا دعوة الإسلام، وهدايتهم إليها قولاً وعملاً في كل زمان ومكان، بأساليب ووسائل خاصة تتناسب مع المدعوين على مختلف أصنافهم وعصورهم»(٣).

د- «هي الإسلام من حيث المبادئ، والقيام بنشره وجذب الناس إليه بالوسيلة المناسبة»(٤).

هـ - «إبلاغ الناس دعوة الإسلام في كل زمان ومكان بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوال المدعوين»(٥).

و- «عرض الداعية خصائص الإسلام على الناس بدراية تامة في أسلوب يناسب حال المدعوين»(٦).

---

(١) أبو المجد السيد نوفل، **الدعوة إلى الله تعالى: خصائصها، مقوماتها، مناهجها**، ط١، (القاهرة، مطبعة الحضارة العربية، ١٣٩٧هـ)، ص١٨.

(٢) علي مشاعل، **الدعوة إلى الله في العصر العباسي الأول: مشكلاتها وأساليب مواجهتها**، ط١، (الرياض، دار العاصمة، ١٤١٤هـ)، ص٢٠.

(٣) محمد أمين حسن، **خصائص الدعوة الإسلامية**، ط١، (الزرقاء، الأردن، مكتبة المنار، ١٤٠٣هـ)، ص١٧.

(٤) عبد الله بن محمد آل موسى، **أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي**، ط١، (الرياض، عالم الكتب، ١٤٠٥هـ)، ص٢٧.

(٥) علي بن صالح المرشد، **مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر**، ط١، (دمنهور، مصر، مكتبة لينة، ١٤٠٩هـ)، ص٢١.

(٦) حسن مسعود الطوير، **الدعوة إلى الله تعالى على ضوء الكتاب والسنة**، ط١، (بيروت، دار قتيبة، ١٤١٣هـ)، ص٦٠.

ز- «الدعوة إلى الله هي: قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعًا في كل زمـان ومكـان، لاقتفاء أثر رسول الله ﷺ ، والتأسي به قولاً وعملاً وسلوكـًا»[1].

ح- «قيام المسلمين المؤهلين، دولة، وأمة، وأفرادًا، بتبليغ الناس كافة، وحثهم على اتباع الإسلام، إيمانـًا وعملاً ومنهاج حياة، بطرق مشروعة مخصوصة»[2].

التعريف الاصطلاحي للباحث :

الدعوة الإسلامية: هي الإسلام من حيث المبادئ؛ وقيام من عنده أهلية نصح وتوجيـه من المسلمين بنشره، وترغيب الناس فيه، بالأسلوب والوسيلة المناسبتين؛ وهي علم خاص له مناهجه وأساليبه.

وهذا التعريف أفاده الباحث من بعض التعريفات من القسم السادس، وهي التعريـف (ب) و(ج) و(د)، ومن التعريفات في القسم الثالث.

فالباحث يرى أنَّ التعريف المختار يجمع أركان الدعوة الأربعـة، وهـي: (الـداعي، والمدعو، والموضوع، والوسائل متضمنة الأساليب)؛ وهو يمزج بين القسمين اللذَين وضعهما عدد من الباحثِين عند تعريفهم للدعوة، وهما: تعريف الدعوة الإسلامية بمعنى الإسـلام أو الدِّين، وتعريفها بمعنى النشر والبلاغ؛ وأيضًا يشمل تعريفها باعتبارها علـمًا.

والمراد بالدعوة الإسلامية في هذه الرسالة ما تضمنه هذا التعريف.

---

(١) محمد بن سيدي بن الحبيب، **الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل**، ط٢، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ت)، ص٢٧.

(٢) يوسف محي الدين أبو هلالة، **الإحكام بين مراحل العمل في دعوة النبي ﷺ** ، (الرياض، دار العاصـمة، د.ت)، ص١٣.

الباب الأول

الدراسات المستقبلية

الفصل الأول: تاريخ الدراسات المستقبلية وأبرز علمائها ومؤسساتها

الفصل الثاني: أهداف الدراسات المستقبلية ، وأهميتها ، وأهم نظرياتها

الفصل الثالث: مناهج الدراسات المستقبلية ، وأساليبها

الفصل الرابع : أهم العلوم التي تعتمد عليها الدراسات المستقبلية، وأسس نجاحها

الفصل الخامس: أهم الدراسات المستقبلية العالمية ، والعربية ، والإسلامية

الفصل الأول

تاريخ الدراسات المستقبلية وأبرز علمائها ومؤسساتها

المبحث الأول: الكتابات قبل تكون الدراسات المستقبلية

المبحث الثاني: نشْأة الدراسات المستقبلية وتكوُّنها

المبحث الثالث: أبرز علماء الدراسات المستقبلية

المبحث الرابع : أبرز مؤسسات الدراسات المستقبلية

الفصل الأول

تاريخ الدراسات المستقبلية وأبرز علمائها ومؤسساتها

تمهيد: قِدم الاهتمام بالمستقبل في تاريخ الإنسان:

لم يكن الاهتمام بالمستقبل والتطلع إليه والإعداد له وليد هذا العصر بل كان منذ القِدم بألوان وطرق مختلفة، منها: النبوة الشرعية، والفِراسة، والإلهام، والتفكير والتأمل العقلي، ومنها: الخرافي المبني على الكهانة، أو التنجيم، أو الشعوذة، أو السحر[1].

وكان إقبال العلماء والمؤرخين على دراسة التاريخ وتدبر أحداثه والتأمل فيها، ورصد تجارب السابقين، كثيرًا ما يَحمل في طيَّاته الرغبة في استشراف المستقبل، من خلال الاتعاظ والاعتبار بالحوادث الماضية، ومحاولة معرفة الأمور التي ينتج عنها خير، والتي ينتج عنها شر[2].

ولـمَّا كان فعل الفرد أو الجماعة إنما يستهدف غاية كان البُعد المستقبلي متضمَّنًا في النفوس عند الفعل، إذ إن الغاية هي توجه مستقبلي[3]، ويستحضره بعضهم ويغيب عن آخرين.

بل يرى عدد من العلماء، والمؤرخين، والباحثين: أن استشراف المستقبل جبِلّة أصيلة في النفس الإنسانية[4]، يقول ابن خلدون: «اعلم أن من خواص النفوس البشرية التشوف إلى عواقب أمورهم، وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير وشر، سيما الحوادث العامة

---

(١) بتصرف، ماجد فخري، "تطور فكرة المستقبل في العصور القديمة والحديثة"، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص١٠؛ وطعمة، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص٥٨؛ وعبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٧-٨.

(٢) فخري، في "الفكر العربي"،مرجع سابق، العدد١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص١٠؛ وعبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٨.

(٣) بتصرف، مطاع صفدي، "وأين مستقبل العرب"؟ في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٤.

(٤) منهم: زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٧٠؛ وعبد العزيز شرف، **اللغة العربية والفكر المستقبلي**، (بيروت، دار الجيل، د.ت)، ص٧.

كمعرفة ما بقي من الدنيا، ومعرفة مدد الدول أو تفاوتها. والتطلع إلى هذا طبيعةٌ للبشر مجبولون عليها. ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك في المنام. والأخبار من الكهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة. ولقد تجد في المدن صنفًا من الناس ينتحلون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه، فينتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسألهم عنه. فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبيانها وكثير من ضعفاء العقول، يستكشفون عواقب أمرهم في الكسب والجاه والمعاش والمعاشرة والعداوة وأمثال ذلك»[١]. ويقول مسكويه[٢] : «الإنسان متطلع إلى الوقوف على كائنات الأمور ومستقبلاتها ومغيباتها... فهو بالطبع يَتشوَّفُها، ويروم معرفتها، على قدر استطاعته، وبحسب طاقته»[٣] . ويقول ابن القيم: النفس لها شرف إلى التطلع على الحوادث قبل وقوعها[٤].

وكيف لا يهتم الإنسان بمستقبله وقد أكرمه الله بالعقل المميز، بينما الحيوانات التي حرمت هذا العقل يجد أنَّ بعضًا منها يُعنى بأمر المستقبل ويعمل له، فذلكم النمل من عادته أنه «يُدبر أمر مستقبله فهو يفكر في يومه لِغده ويعملُ في يسره لعسره، ويـدَّخرُ في حره لبرده»[٥]، فمن «طبعه أنه يحتكر قوته من زمن الصيف لزمن الشتاء وله في الاحتكار من الحيل ما إنه إذا احتكر ما يخاف إنباته قسمه نصفين»[٦]، وإذا كان نوع الحَب يُنبت إذا

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط٣، (القاهرة، دار نهضة مصر، ١٤٠١هـ)، ج٢، ص٨٢١.

(٢) أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه، الخازن، فيلسوف، مؤرخ، أديب، ت٤٢١هـ. (عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ)، ج١، ص٣٠٣).

(٣) أحمد بن محمد بن يعقوب (مسكويه)، وأبو حيان التوحيدي، **الهوامل والشوامل**، تحقيق أحمد أمين، والسيد أحمد صقر، (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٠هـ)، ص٢٠٢.

(٤) محمد بن أبي بكر الدمشقي ابن القيم، **مفتاح دار السعادة**، (د.م، دار الفكر، د.ت)، ج٢، ص١٣٩.

(٥) عز الدين فراج، **عجائب النمل**، (د.م، د.ن، ١٩٧٥م)، ص١٠.

(٦) محمد بن موسى الدميري، **حياة الحيوان الكبرى**، ط٢، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ج٢، ص١٨٤؛ وينظر: محمد بن أبي بكرابن قيم الجوزية، **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، تحقيق مصطفى أبو النصر الشلبي، ط١، (مكتبة السوادي، جدة، ١٤١٢هـ)، ج١، ص١٨٨.

قُسم نصفين فإنه يقسمه أربعًا، وإذا حفر قريته جعل فيها تعاريج لئلا يجري إليهما ماء المطر[1]؛ وكذا الفأر وطائر العقعق[2] يدَّخران لوقت الحاجة[3].

وينطلق اهتمام الإنسان أولاً بمستقبله الشخصي، ثم تتسع دائرة اهتمامه لتشمل أسرته ثم قبيلته فأمته، واستمر الأمر منحصرًا في هذه المجالات إلى أن بُعث نبي الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ فاتسعت تلك الدائرة لتشمل العالم بأجمعه انطلاقـًا من خصائص الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[5]، وقال رسول الله ﷺ: ((أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي))، وذكر منها: ((وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً))[6]، وفي رواية: ((فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ))، وذكر منها: ((وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً))[7].

أمَّا الدراسات المستقبلية الحديثة فإنَّ المستقبليين يُؤرِّخون لبداية تكونها بأنَّه في منتصف القرن العشرين الميلادي، عقب الحرب العالمية الثانية عام (١٩٤٨م)، واشتدَّ ساعد هذه

---

(١) زكريا بن محمد القزويني، **عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات**، مع كتاب الدميري، ج٢، ص٤٤٦؛ والدميري، مرجع سابق، ج٢، ص١٨٤.

(٢) طائر بحجم الحمامة إلا أنَّ جناحية أطول منها، طويل الذنب، على شكل الغراب، ذو لونين: أبيض وأسود، (الدميري، مرجع سابق، ج١، ص٤٩١).

(٣) القزويني، مرجع سابق، ج٢، ص٤٤٢؛ والدميري، مرجع سابق، ج٢، ص١٨٤.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٦) محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، ط١، (بيروت، دار الفكر، ١٤١١هـ)، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، ج ١، ص ١٢٩، ح ٤٣٨؛ وأحمد بن شعيب النسائي، **سنن النسائي** مع شرح السيوطي وحاشية السندي، ط٢، (بيروت، دار المعرفة، ١٤١٢هـ)، كتاب الغسل والتيمم، باب التيمم بالصعيد، ج١، ص٢٣١، ح٤٣٠ .

(٧) مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ج ١، ص ٣٧١، ح٥٢٣ ؛ ومحمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق كمال يوسف الحوت، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، كتاب السير، باب ما جاء في الغنيمة، ج٤، ص١٠٤-١٠٥، ح١٥٥٣.

الدراسات وقَوِيَتْ خلال الستينيَّات والسبعينيَّات من القرن نفسه، لكنهم يشيرون إلى عدد من الكتابات ونوع من التآليف سبق هذا التاريخ بسنين وقرون متطاولة، له وجه صلة بالدراسات المستقبلية، منه الكتابات العلمية الجادَّة التي تستحق الإشارة إليها هنا، ومنه الكتابات القائمة أساسًا على الخيال، المتمثلة في كتابات (المدن الفاضلة) و(قَصص الخيال العلمي)، وهذا النوع الخيالي الأخير بنوعيه، على الرغم من عدم عِلْميَّته، فقد رأى الباحث الإشارة إليه في هذا الفصل؛ تبعًا لمؤرِّخي هذه الدراسات، ولِما لَحَظَ أنَّ عددًا من الدعوات والنُظم الخطيرة التي وردت فيه أخذت تُطبَّق ويُعمل بها في التاريخ الحديث والآخذ في التكون -لا مكَّن الله لها- وذلك مثل: الدعوة إلى الاشتراكية، والعولمة، والإباحية، والعُري، والمساواة، وغير ذلك.

لذا سيَعرض الباحث في **المبحث الأول** موجزًا لبعض ما كتب قبل تكون الدراسات المستقبلية؛ وفي **الثاني** سيتناول تاريخ تكونها؛ وفي **الثالث** أبرز علمائها، بصفتهم جزءًا من تاريخها؛ وفي **الرابع** أهم مؤسساتها.

المبحث الأول

الكتابات قبل تكون الدراسات المستقبلية

المطلب الأول : المدن الفاضلة(١):

١-تعريفها:

المدن الفاضلة: نوع من التأليف الأدبي، أو التنظيمي، يضع فيه الكاتب تصورًا لمجتمع خيالي مثالي، تتحقق فيه السعادة وتنتفي عنه الشقاوة، يُؤدي إليهما اتباع الأَحْكَام والنُظم السياسية والدينية والاجتماعية والأخلاقية التي يدعو إليها المؤلف، كلٌ حسب نزعته(٢).

٢-من أسباب التأليف فيها:

ظهرت الكتابات في المدن الفاضلة تُعبِّر ضِمنًا عن انتقادات مؤلفيها لمجتمعاتهم القائمة، وما فيها من نقائص وشرور، فكانت هذه الكتابات تُعبِّر عن الرغبة في تغيير أو تغير الواقع القائم، والحلم بحياة فاضلة، وحكومة عادلة، ومجتمع سعيد(٣).

٣-علاقتها بالدراسات المستقبلية:

المدن الفاضلة «تصور تداخله الرؤيا المستقبلية، إذ إن الغاية منه حث الناس على اكتساب ما أمكن من صفات المجتمعات المثالية المتخيَّلة وبالتالي على السعي المستقبلي فكرًا وعملاً»(٤).

---

(١) يُطلق عليها في عدد من اللغات الأجنبية (Utopia)، ويستخدمها عدد من المؤلفين العرب بهذا اللفظ (يوتوبيا)، وهي مشتقة "من الكلمتين اليونانيتين Ou بمعنى ((لا)) و Topos بمعنى ((مكان))، وتعني الكلمة في مجموعها ((ليس في مكان))"، ولكن أُسقط حرف (o) وكتبت الكلمة باللاتينية (Utopia)، (عطيات أبو السعود (مترجمة)، ماريا لويزا برنيري، **المدينة الفاضلة عبر التاريخ**، سلسلة عالم المعرفة: ٢٢٥، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤١٨هـ)، ص٩.

(٢) أُفيد في صياغة بعض التعريف من: زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٧٦-٧٧؛ وحافظ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص٧٤.

(٣) بتصرف، زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٧٦-٧٧؛ وعطيات أبو السعود (مترجمة)، برنيري، مرجع سابق، ص١٠.

(٤) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٧٦-٧٧.

٤-أنواع الكتابات في المدن الفاضلة:

الكتابات في المدن الفاضلة متنوعة تأخذ أشكالاً أدبية مختلفة، منـــها المقالـــة والقصـــة والرواية، ومنها ما يأخذ شكل نظريات سياسية تُقدِّم صورة نظام سياسي نموذجي بمؤسساته المختلفة أو بعضها[1].

٥-من أهمِّ الكتابات في المدن الفاضلة:

أ-**(الجمهورية) لأفلاطون:** من أول الكتابات التي عرفت فـــي هذا الضرب من التـــأليف؛ كتبها في فترة التدهور اليوناني والهزائم الساحقة التي مُنيت بها (أثينـــا)، وفي حـــال مـــن الصراعات والمنازعات الداخلية[2]؛ «ولهذا كان من الطبيعي أن تهتم كتاباته اهتمامـــاً شديدًا بالقضايا السياسية والاجتماعية، وأن يـــحاول استخلاص بعض الدروس المستفادة من هزيمة أثينا»[3].

وجمهوريته تقوم على الاشتراكية، حيث دعا إليها في مواطن، منها قولـــه: « فأفضـــل الطرائق في سياسة الدولة استعمال أكثرية أهلها كلمة ((لي)) أو ((ليس لي)) بفـــم واحـــد للشيء الواحد »[4]، وجاء فيها -بعد التهذيب- : «ومن الواجب أن تكون هذه الوحـــدة قوية بين الحراس بصفة خاصة، ولهذا السبب يلزم أن تكون هناك مشـــاعية في الزوجـــات والأطفال، حتى يعـــتقد المواطن أن كل شخص يقابله هو أخ له أو أخت، أو أب أو أم، أو ابن أو ابنة، أو حفيد أو جَد. هذا القانون سيجعلهم حراسًا حقيقيين، ويحـــول دون تمـــزق المدينة ، الذي يمكن أن يحدث إذا أطلق كل فرد كلمة ((ملكي)) على أشياء مختلفة ولـــيس على نفس الشيء »[5].

كما أنها تقوم على أربعة مبادئ، هي:

- الحكمة، وتستقر في الفئة الحاكمة.
- العفاف، في خاصة الناس وعامَّتهم.

---

(١) عطيات أبو السعود (مترجمة)، برنيري، مرجع سابق، ص١٠.

(٢) برنيري، مرجع سابق، ص٣٠.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٠.

(٤) أفلاطون، **جمهورية أفلاطون**، ترجمة حنا خباز، (مطبعة المقتطف والمقطم، ١٩٢٩م)، ص١٣٥.

(٥) برنيري، مرجع سابق، ص٤٠؛ ويُنظر: أفلاطون، مرجع سابق، ص١٣٦-١٣٨.

• العدل، في الدولة والفرد.

• الشجاعة، وتستقر في فئة (المساعدين) المحارِبة[1].

وبيَّن الصفتين اللازمتين لمن يريدون أن يكونوا حُكَّامـاً لهذه المدينة، وهما: أن يكونوا وُدعاء لا أفظاظًا، وأن تتوافر فيهم المزايا العقلية التي تـحرك في نفوسهم روح الهمة والحزم والقوة والحماسة[2]؛ وذَكرَ الوسائل التي تُخرج مثل هؤلاء الحكام -أو الـحُرَّاس كما سماهم- وهي التربية والتهذيب، وأهم الوسائل فيهما الموسيقى والتمرينات العسكرية[3]؛ ويكون اختيار الحكام والمساعدين من خلال اختبارات متعددة خلال مراحل زمنية طويلة[4].

ويـجري في المدينة تحسين النسل، وقصر التناسل -ما أمكن- على النوع الرفيع الأصلح، وسيضطر الحكام في سبيل تحقيق ذلك، إلى أن يلجأوا كثيرًا إلى الكذب والخداع من أجل نفع رعاياهم، وأن يستخدموا كميات كثيرة من الأدوية، أو اتباع نظام غذائي دقيق[5].

ويُلحظ أن أفلاطون اقتصر في (جمهوريته) على وصف الطبقة الحاكمة المثالية، و لم يصف الدولة المثالية، فلم يُعن كثيرًا بزراعات المدينة وصناعاتها وتجاراتها؛ وربما تصوَّرَ أنه إذا وُجدت الحكومة الصالحة، فإن سائر ما في الدولة يمكنه أن يُعنى بنفسه[6].

ب-(آراء أهل المدينة الفاضلة) لأبي نصر محمد الفارابي (ت ٣٣٩هـ):

وقد ظهر جليًا تأثره بجمهورية (أفلاطون) فشابهه في تصميمها، لكـنَّ التشريعات الإسلامية كان لها أثر متميز فيها[7]؛ وربما دفعه لتأليفها الأحوال السياسية للمسلمين في عصره، إذ ضعفت الخلافة الإسلامية، ووقعت فتن داخلية، ورفَضَ بعض الأمراء الانقياد

---

(١) محمد يونس الحسيني، **المدن الفاضلة**، (القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٧٠هـ)، ص٥٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٦.

(٣) نفسه، ص٤٧-٤٩.

(٤) نفسه، ص٥٠-٥١.

(٥) برنيري، مرجع سابق، ص٤٠-٤٣؛ وينظر: أفلاطون، مرجع سابق، ص١٣٢-١٣٣.

(٦) المرجع نفسه، ص٥٥.

(٧) علي عبد الواحد وافي، **المدينة الفاضلة للفارابي**، (القاهرة، نهضة مصر، د.ت)، ص٢٧.

لأوامر الخليفة واستقلوا بإماراتهم[1]، فكان أمله حاديًا له إلى مدينة فاضلة يرأسها من أهَّلته الصفات المجتمعة فيه لهذا المنصب، فيُعيد الحق، وينشر العدل، ويسعى لتحقيق السعادة لأبنائها كافة.

ويذهب أحد الباحثين إلى أن الفارابي «قَسَم كتابه قسمين: قِسم بدأ به ولخص فيه المبادئ الفلسفية التي يدين بها والتي سيراعيها إلى حد ما في إنشاء مدينته، وقسم ختم به كتابه وشرح فيه شؤون هذه المدينة وما ينبغي أن تكون عليه في مختلف فروع حياتها»[2].

أما القسم الأول: فقد شمل ما يقارب ثلاثة أخماس الكتاب، تحدث فيه بأسلوب فلسفي عن الخالق والمخلوقات غير المرئية[3].

وأما القسم الثاني: وهو المعني هنا فقد اشتمل على اثنتي عشرة فقرة[4]، وهي باختصار: احتياج الإنسان إلى الاجتماع والتعاون، والرئيس، وخصاله، ومضادات المدينة الفاضلة وهي: (المدينة الجاهلة، والفاسقة، والمبدِّلة، والضالة)، واتصال النفوس بعضها ببعض، والصناعات والسعادات، وأهل هذه المدن، والأشياء المشتركة لأهل المدينة الفاضلة، وآراء أهل المدن الجاهلة والضالة، والعدل، والخشوع، والمدن الجاهلة.

ج-(**المدينة الفاضلة** (Utopia) **لتوماس مور** Thomas More) (ت١٥٣٥م): من أشهر الكتب في المدن الفاضلة حتى العصر الحديث، اشتق عنوان كتابه من اللغة اليونانية وكتبه باللغة اللاتينية (Utopia) عام (١٥١٦م)، وظهرت ترجمتها الإنجليزية عام (١٥٥١م)، فهو أول من صاغ هذه الكلمة[5]، وغدا كتابه « أصلاً ونموذجًا لمحاولات كثيرة تصوّر المجتمع الإنساني الذي يسوده الخير والسعادة والكمال »[6].

---

(١) بتصرف، الحسيني، مرجع سابق، ص٧٦.

(٢) وافي، **المدينة الفاضلة للفارابي**، مرجع سابق، ص٢١.

(٣) يُنظر: المرجع نفسه، ص ٢١-٢٦.

(٤) نفسه، ص٢٧؛ وينظر: أبو نصر محمد الفارابي، **آراء أهل المدينة الفاضلة**، ط٢، (القاهرة، مكتبة الحسين، ١٣٦٨هـ).

(٥) عطيات أبو السعود (مترجمة)، برنيري، مرجع سابق، ص٩؛ ويُنظر: برنيري، نفسه، ص ٢٠٩ حاشية رقم (٤).

(٦) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٧٧.

وضع (مور) فيه تصورًا مستقبليًا للمجتمع المثالي الذي يخلو من كافة أشكال الاضطهاد والعنف والظلم والاستئثار، وتقوم فيه الحياة على أساس من العدل والحرية والتسامح بين المذاهب والأديان، وترتكز على الزراعة، وتتميز بوفرة البضائع، وبنظام وطني للتعليم، وهي ذات تنظيم دقيق صارم في كثير من مظاهرها، مثل: العمل واللباس وتناول الغذاء والتعليم[1].

وعلى غِرار (أفلاطون) في جمهوريته فقد أقام (مور) مدينته على الاشتراكية مُضحِّيًا بالرغبات الفردية، حيث جاء فيها قول الراوي: «فلكل امرئ حق في جميع الموجودات، وكل إنسان يدرك أنه ما دامت المستودعات العامة تغصُّ بالمؤن والأغذية فلن يحتاج أحد شيئًا؛ وليس ثمة توزيع ظالم، وليس هنالك فقراء، وليس هناك محتاجون؛ ومع أن فردًا ما، لا يملك شيئًا ما، فإنهم جميعًا أغنياء»[2].

وظهر بعد (مور) عدد من كتابات (المدن الفاضلة)، مثل: (مدينة الشمس) (لتوماسو كامبانيلا)، و(مدينة المسيحيين) (لفالنتين أندريا) (ت١٦٥٤م)، و(أطلنطا الجديدة) (لفرانسيس بيكون) (ت١٦٢٦م)، و(قانون الحرية) (لجيرارد ونستنلي) (ت١٦٦٠م).

وازداد نشاط التأليف في (المدن الفاضلة) طيلة القرن الثامن عشر الميلادي؛ وارتبط تاريخها في القرن التاسع عشر بميلاد الحركة الشيوعية؛ لكنَّ أدب (المدن الفاضلة) ضعف في القرن العشرين الميلادي، فما كتب بعد عام (١٩٠٠م) يُعدُّ أصداءً شاحبة من القرن التاسع عشر، أو ما قبله، على رأي (برنيري)[3].

٦-التأليف المُضاد للمدن الفاضلة:

يَذهب أكثر مؤلفي المدن الفاضلة إلى وصف مجتمع فاضل ذي تنظيم مُحكم صارم يتناول شتى أنواع الحياة، ويبدو أنهم لم يدركوا خطورة ذلك؛ إذ سيتعرض الإنسان لألوان

---

(١) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١١٠؛ وفخري، مرجع سابق، ص١٧؛ وفوزي عبد القادر الفيشاوي، "أدب الخيال والتنبؤ العلمي"، في "المنهل"، دارة المنهل للصحافة والنشر، جدة: العدد ٥٠٧، المجلد ٥٥، (صفر/١٤١٤هـ)، ص١٢٤؛ وبرنيري، مرجع سابق، ص١٠٢، ١٣٦؛ والحسيني، مرجع سابق، ص ١١٠-١١٢.

(٢) الحسيني، مرجع سابق، ص١٢٣، نقلاً عن: Utopia, Ed. Blackie & Son. London. P 197

(٣) مرجع سابق، ص ٢٦٠، ٣٠١، ٤١٩.

من المشكلات والأمراض إزاء التنظيم الشامل المحكم، أو قيام المدينة على حزب واحد وتجاهل بقية الناس[١].

لذا ظهر نوع مضاد من التأليف الأدبي دُعي بالمدينة الفاسدة (Anti - Utopian)، كان تعبيرًا نقديًّا للمدن الفاضلة، أو أنه نتج عن التشاؤم وضعف الإيمان بتحقق مدن فاضلة، وأول تأليف في المدن الفاسدة كان رواية (نحن We) (ليوجين زامياتين Eugene Zamiatin) (ت١٩٣٧م)، كتبها في روسيا بعد ثلاث سنوات من الثورة السوفيتية، يصف فيها مستقبلاً لعالم ليس فيه سوى دولة كبرى واحدة هي الولايات المتحدة الأمريكية، قد وفَّرت للناس الاستقرار والكمال والسعادة، ثم يُبيِّن المداخل التي تنافي هذه السعادة وتُضادها، وسعي الناس لتغيير هذه الحياة التي كرهوها[٢]. وهذه الرواية كانت بداية لكتابات أخرى في (المدينة الفاسدة)[٣].

المطلب الثاني : قَصص الخيال العلمي:

١-تعريفه :

هو أدب يسرد أحداثًا وروايات تُصوِّر مستقبل التطور العلمي والتقني وما يؤدي إليه من نتائج، يمزج بين الحقائق العلمية وسعة التخيل الحُر[٤].

٢-تاريخ ظهوره وأسباب انتشاره:

ظهر هذا النوع الأدبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وتطور وانتشر في الثلاثينيات من القرن العشرين الميلادي؛ لاطِّراد التطور العلمي والتقني الذي أحدث قدرات إنتاجية وعملية هائلة، فكان المجال خصبًا لتخيل مستقبل ما لتطور العلم، ومستقبل علاقة الإنسان مع الآلة، ومستقبل علاقة الإنسان والآلة مع الطبيعة[٥].

---

(١) بتصرف، المرجع نفسه، ص ٣٦٥؛ وينظر: جورج وود كوك (مقدم)، برنيري، نفسه، ص١٥-١٦.

(٢) بتصرف، كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٤٥؛ وينظر: برنيري، مرجع سابق، ص٤٤٩-٤٥٥.

(٣) للاطلاع على بعض أسماء هذه الروايات ومؤلفيها ينظر: كورنيش وآخرون، مرجع سابق ، ص١٤٥-١٤٦.

(٤) أُفيد بعض التعريف بتصرف من الفيشاوي، في "المنهل"، مرجع سابق، العدد ٥٠٧، (صفر/ ١٤١٤هـ)، ص١٢٦ .

(٥) بتصرف، حافظ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص٧٦-٧٧؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٥٥؛ والفيشاوي، في "المنهل"، مرجع سابق، العدد ٥٠٧، (صفر/ ١٤١٤هـ)، ص١٢٦.

٣-علاقته بالدراسات المستقبلية :

يُعدُّ قَصص الخيال العلمي من طرق التفكير في المستقبل وليس مجرد استرسال في شطحات الخيال؛ إذ مما يُعنى به كُتَّابه: تحذير البشرية من خطر الفناء النووي، وخطر التلوث، ونضوب الموارد الطبيعية، وغير ذلك، ومن جانب آخر يُبشِّرون بانتصارات في مجال الطب، والطاقة، وعمارة الصحارى، وغير ذلك(١).

وقد تحقق واقعًا عدد مما ذَكَرَته بعض قصص الخيال العلمي بعد نحو قرن من الزمان، مثل: صناعة القنبلة الذرية، وذهاب الإنسان إلى الفضاء على مركبة فضائية، والوصول إلى القمر، واختراع الهاتف، وغيرها؛ مما جعل بعضهم يعدُّ هذا النوع الأدبي نوعًا من الدراسات المستقبلية، والواقع أنه ليس كذلك(٢).

ويؤيد الباحث رأي من يرى أن قصص الخيال العلمي ليس من الدراسات المستقبلية، ويُوضح الباحث: بأنَّ هذا الأدب وإن بُني على أُسس علمية، فإن الخيال فيه مقصود لذاته، والتزام أهله بالأسس العلمية ضعيف وغير مقيَّد بها -على تفاوت بين كاتب وآخر- ؛ أما الدراسات المستقبلية فيتضمنها خيال لكن الأساس فيها علمي، والخيال فيها مرتبط بالعلم.

٤-الفرق بين القصص العلمي والمدن الفاضلة:

أن القصص العلمي يُركِّز على جانب من جوانب المعرفة العلمية والتقنية، ولا يُعنى بالأحوال الاجتماعية والنظم السياسية، ولا يُلقي ضوءاً كبيرًا على المُثل العليا والجوانب الأخلاقية؛ بينما تُعنى بذلك المدن الفاضلة(٣).

٥-من أبرز الكُتَّاب في قصص الخيال العلمي:

ترجع زعامة هذا الفن إلى اثنين، هما: الفرنسي (جول فيرن) (Jules Verne) (ت١٩٠٥م)، والإنجليزي (هربرت جورج ويلز) (Herbert G. Wells) (ت ١٩٤٦م)(٤).

---

(١) الفيشاوي، في "المنهل"، مرجع سابق، العدد ٥٠٧، (صفر/ ١٤١٤هـ)، ص١٢٦-١٢٧.

(٢) حافظ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص ٧٨ ؛ والفيشاوي، في "المنهل"، مرجع سابق، العدد ٥٠٧، (صفر/ ١٤١٤هـ)، ص١٢٩.

(٣) حافظ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٤) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٧٩ ؛ والفيشاوي، في "المنهل"، مرجع سابق، العدد ٥٠٧، (صفر/ ١٤١٤هـ)، ص ١٢٥.

أ-(**جول فيرن**): من كتبه في هذا المجال: (رحلة من الأرض إلى القمر)، و(حول العالم في ثمانين يومًا)، و(عشرون فرسخًا تحت سطح الماء)؛ ومن الغريب أنَّ ما يربو على المائة مما ذكره في مؤلفاته قد أصبح حقيقة واقعة في وقت لاحق، وقد مضى آنفًا أمثلة لذلك[١]، ويُعزَى هذا إلى أنَّه كَتَبَ عن أبحاث كانت بذورًا لما تحقق فيما بعد[٢]، أو « لكونها حددت للعلماء أهدافًا واتجاهات لبرامجهم البحثية»[٣].

ب-(**هربرت جورج ويلز**): من كتبه في هذا المجال: (آلة الزمن The Time Machine)، و(حين يستيقظ النائم When The Sleeper Wakes)[٤]، وكانت كتاباته أقرب من غيره إلى الواقع وتطوراته المرتقبة[٥]، بل كانت له مؤلفات غير خيالية في التاريخ والاجتماع ذات نظر مستقبلي، منها: (توقعات Anticipations)، وهي مجموعة مقالات تَفَحَّصَ فيها الاتجاهات الجديدة في المجتمع، وحدد العوامل التي ستحدث التغيير في المواصلات والنقل والاتصالات وحجم المدن والحروب وغير ذلك، ومنها: كتاب (إنقاذ الحضارة: مستقبل الإنسانية المرجح)، كما أنه كتب في المدن الفاضلة، مثل: (المدينة الفاضلة الحديثة)[٦].

وكان له إسهام كبير في المجلة التي أصدرتها (رابطة رواية الخيال العلمي) في (إنجلترا) بعنوان: (الغد: مجلة المستقبل Tomorrow : The Magazine of The Future)[٧].

المطلب الثالث : الكتابات الجادَّة قبل تكوُّن الدراسات المستقبلية :

يُؤرَّخ لأول الدراسات العلمية بدراسة الاقتصادي الإنجليزي (توماس روبرت مالتوس) (ت ١٨٤٣م)، التي نشرها في كتابه (مقال في نمو السكان) عام (١٧٩٨م)، ولقي

---

(١) الفيشاوي، في "المنهل"، مرجع سابق، العدد ٥٠٧، (صفر/ ١٤١٤هـ)، ص١٢٥. وتُنظر الأمثلة في الصفحة السابقة.

(٢) إريك فاي، "كيف تتصور القرن المقبل"، ترجمة ماجدة أباظة، في "الثقافة العالمية"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت: العدد١٠٢، (٩/٢٠٠٠م)، ص١٩٠.

(٣) حافظ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص٧٨.

(٤) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ١٣٨.

(٥) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٧٨ .

(٦) بتصرف، زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص ٧٩-٨٠؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٣٨.

(٧) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ١٥٥-١٥٦.

الكتاب انتشارًا واسعًا وتأثيرًا كبيرًا، وقد دَرَسَ فيه أحوال الفقراء وتزايد السكان في (إنجلترا) في الفترة التي تلت الثورة الصناعية[1] مباشرة ، وخلصت الدراسة إلى أنّه في حين يتزايد عدد السكان طبقًا لمتوالية هندسية، أي يتضاعفون بعد كل فترة معينة (١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢، ٦٤، ١٢٨ وهكذا) فإن موارد العيش لا تزيد بنفس السرعة ولن تلبث أن تعجز عن توفير الحد الأدنى المطلوب للعيش؛ مما يُسبب تناقضًا اجتماعـيًا، وتصاعدًا في احتمالات الصراع الطبقي في ظل سيطرة الطبقة الرأسمالية في المجتمع البريطاني آنذاك؛ وتوقّع - في الطبعة الأولى للكتاب - أن يتم التغلب على هذا التنافس من خلال الأوبئة والمجاعات والحروب التي تتولى تدمير الفـقراء، وإيقاف تزايدهم الذي يهدد مصالح الفئات التي تتحكم في مصادر الإنتاج والثروة والنفوذ السياسي؛ إلا أنه عدّل هذه النظرة فيما بعد، فاقترح لضبط تزايد السـكان اللجوء إلى وسائل التحكم في النسل[2]. وأصبحت هذه النظرة (المالتوسية) عقيدة يُنادى بها بين حين وآخر، بصفتها وسيلة تُجنِّب الفقراء بؤسهم، وتحل مشكلة الاكتظاظ السكاني[3] .

«ونشـر الكاتب الإنكليزي (وليام فوكت Vogt) كتابـًا بعنوان (الطريق للبقـاء) Road to Survival سنة ١٩٤٦ عرض فيه أن العالم سيضيق ذرعًا بالكتل البشرية الهائلة التي لا يستطيع أن يوفر لها العيش »[4].

وتُعدُّ قضية السكان والولادات من أبرز القضايا التي تتناولها الكتابات المستقبلية القديمة، والدراسات المستقبلية الحديثة، ومن يقوم باستعراضها يتضح له فساد النظر إلى هذه القضية في الجاهلية المعاصرة والجاهلية الأولى، وتعدد أبعادها وآثارها، وربما سوء القصد في بعـض اقتراحات علاجها، وسيشير الباحث إلى هذا في مواطن متفرقة.

---

(١) الثورة الصناعية: مصطلح يعبّر به عما شهدته أوروبا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين مـن حلول الإنتاج الآلي محل الإنتاج اليدوي. (خليل أحمد خليل، **معجم المصطلحات الاقتصادية**، (بـيروت، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٧م)، ص٨١).

(٢) زايد، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٢٩، نقلاً عن:
Paul A. Samuelson: Economics, Ninth edition (Tokyo, 1973). Pp.30-33.
وينظر: عبد الجليل الطاهر، **مسيرة المجتمع: بحث في نظرية التقدم الاجتماعي**، (بيروت، المكتبة العصـرية، ١٩٦٦م)، ص ٢١٥-٢١٦؛ وعبد الرحمن، في "عـالم الفكر"، مرجع سابق، العـدد٤، (ينـاير/ ١٩٨٨م)، ص١٠.

(٣) رولان برسا، **معجم مصطلحات الديموغرافيا**، ترجمة حلا نوفـل رزق الله، (بـيروت، المؤسسـة الجامعيـة للدراسات، ١٤١٠هـ)، ص٢٤٦.

(٤) الطاهر، مرجع سابق، ص ٢٢٠.

ومن الدراسات الأُولى أيضًا (تقرير عن الفحم)، قدمته لجنة برلمانية بريطانية عام (١٨٧١م)، اشتمل على تقدير لاحتياطي الفحم الصالح للاستغلال في المملكة البريطانية المتحدة[١].

ومنها كتاب (في مائة سنة In 100 Years) (لشارل ريشيه Charles Richet) نُشر عام (١٨٩٢م)، حدد فيه اتجاهًا إحصائيًا لنمو السكان في العالم من عام (١٨٩٢م) إلى عام (١٩٩٢م)، واستنتج أن أقوى دولتين في العالم عام (١٩٩٢م) ستكونان الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، إذ سيبلغ مجموع سكانهما حوالي (٦٠٠) مليون، وسيتفوقان على أوروبا نتيجة لانخفاض معدلات الولادة فيها. وتحدث الكاتب عن مجالات أخرى، مثل التوقع ببقاء الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا، وأنَّ مصر ستستطيع أن تتحرر من الاستبداد البريطاني، وتوقع للنفط أن يحل محل الفحم بصفته مصدرًا للطاقة، وغير ذلك[٢].

ومنها ما سبقت الإشارة إليها من كتابات (هـ. ج. ويلز)[٣].

وفي عام (١٩٢٠م) نشر (أ.سي. ليسكاربورا A.C. Lescarboura) مقالاً في (المجلة الأمريكية العلمية Scientific American) عن «المستقبل كما توحي به تطورات الخمس والسبعين سنة الأخيرة» . وفي عام (١٩٢٢م) نشرت مجلة (Popular Science Monthly) توقعات ندوة دراسية لعدد من المخترعين[٤].

ونشرت (لجنة الموارد القومية) في الولايات الأمريكية عام (١٩٣٧م)، تقريرًا عن (الاتجاهات التقنية والسياسية القومية، ومنها المضامين الاجتماعية للاختراعات الجديدة)، وتذكر مقدمته: أن التقرير هو أول محاولة رئيسة لتبيُّن أنواع المخترعات الجديدة التي قد تؤثر على الظروف الحياتية والعلمية في أمريكا، ما بين عشر إلى خمس وعشرين سنة، وهو يشير إلى بعض الصعوبات والمشكلات، ويؤكد على أهمية الجهود القومية لإحداث تكيف وتلاؤم فوري مع هذه الأوضاع المتغيرة[٥]، التي تأخذ شكل سلسلة متواصلة تبدأ من

---

(١) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٣١.

(٢) المرجع نفسه، ص١٣١-١٣٢.

(٣) ص٥٢.

(٤) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٤٧.

(٥) المرجع نفسه، ص١٥٢-١٥٣؛ وينظر:

Wendell Bell, **Foundations of Futures Studies**, Second printing, (New Brunswick U.S.A., Transaction Publishers, 1997), Vol. 1, P.7.

التغير التقني، يؤدي إلى تغير في النظام الاقتصادي، الذي بدوره يؤدي إلى تغيير في المؤسسات الاجتماعية، مثل: الأسرة والحكومة، ويؤدي التغيير الأخير إلى تغير في معتقدات الناس وسلوكهم[1].

هذا أبرز ما يعرضونه من الدراسات عند ذكرهم لتاريخ الدراسات المستقبلية قبل نهاية الحرب العالمية الثانية عام (١٩٤٨م)، ويرى الباحث أنه من المناسب هنا أن يُشير إلى بعض الدراسات الإسلامية المتصلة بهذه الفترة، وبعض الدراسات الغربية المتعلقة بالإسلام.

ففي عام (١٨٨٢م) نشر المستشرق الإنجليزي (و.ك. بلونت) في (لندن) كتابًا بعنوان (مستقبل الإسلام)[2]. وفي عام (١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) نشرت مجلة المنار[3] دراسة لمحمد توفيق البكري بعنوان: (المستقبل للإسلام)، ثمّ طُبعت مفردة في كتاب، تحدث فيها عن أن الإسلام يملك المقومات التي تجعل المستقبل له، وهي: كثرة السكان، وخصب المكان. وسيأتي تفصيل لهذه الدراسة في عرض الدراسات الإسلامية .

وقبيل الحرب العالمية الثانية ألّف (باول شمتز) الألماني كتابه: (الإسلام قوة الغد العالمية)، وقدّم له الناشر الغربي بكلمات[4]، منها قوله: « وهذا الكتاب يوضح الخطر المتوهج الذي يمر عليه الإنسان في أوروبا بكل بساطة وفي غير اكتراث. فأصحاب الإيمان بالإسلام يقفون اليوم (قبيل الحرب العالمية الثانية) في جبهة موحدة معادية للغرب، بينما الغرب نفسه لا يستطيع سوى أن يعرض تمزقه في غير حدود، تجاه هذه الإرادة الحازمة »، ونقل عن صحيفة الناشر الدورية قولها: «وهذا الكتاب هو نداء وتحذير يجب أن يلقى الاحترام الجدي من أجل مصالح الغرب وحدها » .

---

(١) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.8.

(٢) بتصرف، المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٢٨٢.

(٣) القاهرة: (شعبان/ ١٣٢٠هـ)، الجزء السادس عشر، المجلد الخامس، ص٦٠١-٦٣٤.

(٤) محمد البهي (مُقدِّم)، باول شمتز، **الإسلام قوة الغد العالمية**، ترجمة محمد شامة، (القاهرة، مكتبة وهبة)، ص١١. والناشر الغربي هو (Wilhelm Goldmann) في مدينة (Leipzig) بألمانيا.

المبحث الثاني

نشْأة الدراسات المستقبلية وتكوُّنها

تُؤرِّخ أكثر الكتابات - التي اطلع عليها الباحث - لنشأة الدراسات المستقبلية بتكوّن مؤسسة (راند RAND) الأمريكية، وبالتحديد عند استقلالها عام (١٩٤٨م).

وكان الداعي إلى تكوينها سعيَ الولايات المتحدة الأمريكية إلى تعزيز إمكاناتها الدفاعية بعد الحرب العالمية الأولى والثانية؛ للحفاظ على أمنها القومي، لاسيما بعد تسلح عدد من الدول بالصواريخ العابرة لآلاف الأميال[1]؛ فقد أنشأ سلاح الجو الأمريكي عام (١٩٤٥م) مشروع (راند)، وعَهِد به إلى شركة (دوغلاس) لبناء الطائرات، فحشدت له فريقًا من العلماء والتقنيين وغيرهم من الخبراء لتزويد سلاح الجو الأميركي وسواه من الأجهزة العسكرية بالبحوث المتصلة بتطوير الأسلحة والاستراتيجية الحربية، وبعد ثلاث سنوات استقل هذا المشروع، وأصبح هيئة خاصة سُجلت في ولاية (كاليفورنيا)، وغدت - بسعة اهتماماتها وغزارة نتاجها- من أهم الهيئات في الولايات المتحدة الأمريكية التي تعنى بالتطوير والاستطلاع والتخطيط في الشؤون العسكرية والاجتماعية والتعليمية وغيرها، ومثلاً يُحتذى به في البلدان الأخرى[2].

كانت الضرورات الحربية العامل الأصلي في نشأة الدراسات المستقبلية، لكنْ عندما وَضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، أخذت الدراسات المستقبلية تتعدى المجالات الحربية البحتة إلى مجالات الحياة الأخرى، الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية[3]، وغيرها. فكما توسعت (راند) في مجالاتها فقد تكوَّنت بعدها عدد من المؤسسات المعنية بشؤون المستقبل من جوانب متعددة.

---

(١) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٧٠.

(٢) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٨٧-٨٨؛ وينظر: كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٧٠-١٧٢.

(٣) زريق، المرجع نفسه، ص ٨٨.

وفي الستِّينيَّات والسبعينيَّات الميلادية ازدهرت الدراسات المستقبلية ازدهارًا ملموسًا، حيث شهدت توسعًا وانطلاقًا حقيقيين[1]، وتميزت هذه الفترة بعدد من المظاهر، وذلك على النحو الآتي:

١-إنشاء المئات من المؤسسات والجمعيات العلمية والبحثية المختصة في الدراسات المستقبلية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا[2]، بالدرجة الأولى.

٢-عَقْدُ عدد من المؤتمرات الدولية المختصة في الدراسات المستقبلية، وكذلك تنظيم عدد من الندوات العلمية[3].

٣-ظهور كثير من الدراسات المستقبلية في الدول الغربية[4]، فقد توافر في مكتبة مجلس النواب الأمريكي (الكونجرس) حتى عام (١٩٧٤م) أكثر من خمسة عشر ألف دراسة علمية في الدراسات المستقبلية[5].

٤-كَوَّنت دولٌ كثيرة جماعات ولجانًا خاصة، باسم (جماعات العام ٢٠٠٠)، أو(جماعات المستقبل) أو غير ذلك من الأسماء، وأوكلت إليها أمر استشراف المستقبل والتخطيط له في شتى مجالات الحياة، واتخذت من دراساتها أساسًا لسياستها في مختلف الميادين[6].

---

(١) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص ٢٧٥.

(٢) علي الدين هلال، "التعريف بدراسات المستقبل"، في "السياسة الدولية"، مؤسسة الأهرام، القاهرة: العدد ٧٥، (يناير/ ١٩٨٤م)، ص ٦٨؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٨٤؛ وناهد صالح، "المنهج في البحوث المستقبلية"، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص١٩٧؛ وعبد الرحمن، المرجع نفسه، ص١٣.

(٣) صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص١٩٧؛ وعبد الرحمن، المرجع نفسه، ص١٣.

(٤) هلال، في "السياسة الدولية"، مرجع سابق، العدد ٧٥، (يناير/ ١٩٨٤م)، ص٦٨؛ وعبد الرحمن، في "عالم الفكر" مرجع سابق، العدد٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص١٢؛ وعبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٨؛ وحافظ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص٧٩.

(٥) خلاف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص١٤.

(٦) عبد الله عبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، ط٣، (بيروت، دار العلم للملايين،١٩٨١م)، ص٣١.

٥-التركيز في إعداد الدراسات المستقبلية على الجهد الجماعي وفرق البحث المتكاملة التي تستند إلى تمويل حكومي أو دولي أو مؤسسات تجارية محلية أو عالمية، مثل وزارة الدفاع، ومؤسسة (راند)، و(فورد)، في الولايات المتحدة الأمريكية[١].

٦-الاهتمام بتأصيل الأسس المنهجية للدراسات المستقبلية، واستكمال أساليبها، وتجريب الحديث منها أو المأخوذ من العلوم المتنوعة[٢]، وقد استُخدِمت أساليب جديدة لم تُستخدم من قبل، مثل: أسلوب استشارة الخبراء (دلفي)، ومصفوفة التأثير المتقاطع، والعصف الذهني، و(بيرت) (PERT)، وغيرها[٣].

٧-بدأت الدراسات المستقبلية «تتحول شيئًا فشيئًا من مجرد الإسقاطات الخطية Linear Projectings التي تمد الماضي في المستقبل وتشكله، في إطار حتمي...، إلى التأكيد على مفهوم المستقبلات البديلة Alternative Futures الذي يتحرر قليلاً من الماضي ليسهم في صياغة أكثر من مستقبل ممكن، ويكشف عن إمكانية أن المستقبل يمكن ابتكاره أو على الأقل التأثير فيه»[٤].

٨-اتجاه الدراسات المستقبلية إلى محاولة التحكم في المستقبل وتغييره، عن طريق صياغة أشكال من المستقبلات الممكنة، وتطويرها إلى مستقبلات مرغوبة يمكن التخطيط لتحقيقها بأشكال متعددة[٥].

٩-تقرير مناهج الرؤية المستقبلية في التعليم المدرسي والجامعي، وقد بلغ مجموع المقررات الدراسية المختصة في الدراسات المستقبلية داخل المدارس والمعاهد الأمريكية حوالي (٤١٥) مقررًا دراسيًا موزعًا على ثماني عشرة ولاية أمريكية[٦].

١٠-قيام عدد من الجامعات بمنح الدرجات العلمية العالية في الدراسات المستقبلية[٧].

---

(١) خلاف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص١٣.

(٢) المرجع نفسه، ص١٣؛ وينظر: صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص١٩٧.

(٣) زاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص١٤.

(٤) المرجع نفسه، ص١٥، نقلاً عن: Harold G. Shane; Op.Cit., Pp. 7-11

(٥) بتصرف، نفسه، والنقل نفسه.

(٦) خلاف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص١٣.

(٧) ينظر: Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 56.

١١-اتجاه هذه الدراسات نحو العالمية، فظهرت دراسات أمريكية عن المستقبل النووي في القارة الآسيوية، وعن الطاقة في العالم العربي، ودراسات إسرائيلية عن مستقبل اقتصاديات الشرق الأوسط[١]، وظهر ما يسمى (بالنماذج العالمية)، التي تناولت جوانب متعددة للنشاطات الإنسانية على مستوى العالم والصور المستقبلية لها، ومنها: النمو السكاني، والموارد الطبيعية، ورأس المال، والزراعة، وتلوث البيئة والتقنية، والإسكان، والتعليم، والطاقة، وغير ذلك[٢].

وهذه المظاهر الكثيرة التي تميزت بها فترة الستينيات وما تلاها، جعلت بعض المستقبليين يعدّونها التاريخ الحقيقي لبداية الدراسات المستقبلية دون ما قبلها[٣].

وأصبحت الدراسات المستقبلية يومًا بعد يوم منهجًا شائعًا في كثير من ميادين الحياة، تحاول تقديم العلاج لكثير من مشكلات الاقتصاد، والسياسة، والثقافة، والتربية والتعليم، والاجتماع، والبيئة، والفلك، والطبِّ، والاتصالات، وغيرها[٤]؛ وغدت «همًّا يشغل بال المنظمات الدولية والمعاهد العلمية والشركات المتعددة الجنسية علاوة على الحكومات منفردة أو بصورة جماعية»[٥]؛ وأخذت مكانتها في التأثير في رسم السياسات والخطط العالمية والإقليمية والمحلية[٦].

وهنا قد يتبادر تساؤل مفاده: أنه إذا كان الاهتمام بالمستقبل قديمًا فما الجديد في هذه الدراسات المستقبلية التي برزت في الساحة خلال نصف القرن المنصرم؟

ويُجاب عن هذا: بأنَّ الجديد فيها هو شدة العناية بها والتركيز عليها لأن تأخذ مكانتها المتميزة بين الفنون[٧]؛ وأنها حملت سمات عامة جديدة تجعلها تختلف اختلافات أساسية عن

---

(١) خلاف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص١٣-١٤.

(٢) القصير، في "أبحاث ندوة مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل"، مرجع سابق، ص ١٦٦.

(٣) منهم: زاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص١٤.

(٤) بتصرف، عبد الدائم: **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٣١.

(٥) عبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص١٢.

(٦) زاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص١٥.

(٧) بتصرف، طعمة، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص٥٨.

الاستطلاعات السابقة للمستقبل[1]، وأبرز هذه السمات: التركيز على الجهد الجماعي وفرق البحث المتكاملة، والاهتمام بالـــمناهج والأساليب، وصياغة مقررات للدراسات المستقبلية في التعليم العام، واتجاهها نحو العالمية[2]، وقيام هيئات ومؤسسات مختصة فيهـــا، وصـــدور مجلات ودوريات لها.

---

(١) عبد الرحمن، في "عـــالم الفكر"، مرجع سابق، العدد٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٨.

(٢) خلاف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص١٣؛ وينظر:

Peter Moll, "The thirst for Certainty: Futures Studies in Europe and The United States", in Richard A. Slaughter, "Series Editor", **The Knowledge Base of Futures Studies**, First published, (Australia, DDM Media Group, 1996)., Vol. 1, P.16.

المبحث الثالث

أبرز علماء الدراسات المستقبلية

تُصدْر (جمعية المستقبل العالمية) في (واشنطن) دليلاً عالمـيًّا -يُحَدَّث دوريـًّا- بعنوان: (دليل المستقبليين The Futurist Directory)، يضم معلومات كاملة عـن المختصِّـين في الدراسات المستقبلية، وقد ضَم ما أصدرته عام (٢٠٠٠م) معلومات عن حـوالي (١٤٠٠) شخص من أنحاء العالم، اشتملت على: الاسم، والعنوان، ورقم الهاتف، ورقـم الناسـوخ، والبريد الإلكتروني، وعنوان موقع الشخص على الشبكة العالمية، ومهنته، ووظيفته، ومكان الولادة وتاريخها، ومؤهلاته العلمية، والوظائف التي شغلها، ومنشوراته العلمية، وأنشـطته المهنية، وحقل الاختصاص. وتَذْكرُ مقدمة الدليل أنَّه ليس شاملاً لكل المسـتقبليين، وإنمـا أُدرِجت أسماء من أرسلَ معلوماته كاملة[1]، وظهر من خلال تصفح الباحث له أنه مقتصـر على ذِكر الأحياء فقط.

وهؤلاء المستقبليون تتنوع اختصاصاتهم الأصلية، ويقلُّ فيهم من هو مختص أساسـًا في الدراسات المستقبلية، بل يأتي الاختصاص فيها ثانـيًا أو أكثر، فهم إما مختصون أساسـًا في العلوم الاجتماعية، أو السياسية، أو الاقتصادية، أو العلوم والشؤون العسكرية، أو غير ذلك من أنواع الاختصاصات والأعمال.

وقد بلغ عدد المختصين في الولايات المتحدة الأمريكية الذين أوردهم الـدليل (٩١٠) شخص، بينما لم يرد فيه أحد من المملكة العربية السعودية، وجاء فيه مـن بقيـة العـالم الإسلامي اسم شخص واحد من كلٍ مِن الكويت، ولبنان، وليبيا، وشخصين من كل مـن فلسطين، وماليزيا، وأربعة أشخاص من كل من باكستان، وإندونيسيا، وستة من تركيـا، وثمانية من مصر؛ وهذا يشير إلى قلةٍ شديدة في توجه عناية المسلمين إلى هذا الفن.

وليس في إيراد بعض المختصين هنا حصر للنظر المستقبلي فيهم، أو في بقية المختصين في الدراسات المستقبلية الحديثة، بل إن كل عالم بشرع الله على مراد الله، مؤتمرٍ بأوامره، منتـهٍ عن نواهيه مستقبلي؛ وكل مسلم عالم بالسنن الإلهية في الأمم والشعوب والأفراد مستقبلي؛

---

(١) World Future Society, **The Futurist Directory**, (Bethesda, Maryland, USA, World Future Society, 2000), P. Preface.

وكل عالم بتعبير الرؤى، خبير بتأويلها مستقبلي؛ وكل ذي خبرة وتجربة، وعى تجربته، وأفاد من خبرته مستقبلي؛ وكل مسلم انبرى لحمل رسالة سامية صحيحة، يسعى لتحقيقها، مستقبلي؛ وكل مسلم متفائل -بواقعية- مستقبلي؛ وآخرون غيرهم .

وفيما يأتي نماذج من الذين عُنوا بالدراسات المستقبلية الحديثة حتى صاروا من المختصين فيها، في العالم الغربي، والعالم الإسلامي .

المطلب الأول : المختصون الغربيون :

١-(غاستون بيرجيه Gaston Bergeh) :

فرنسي، ولد في السنغال عام (١٨٩٦م)، واشتغل بالأعمال الحرة والتدريس، وشغل منصب مديرِ عامٍ للتعليم العالي في وزارة التعليم الوطني الفرنسية[١]، ويعدُّ (بيرجيه) مؤسس الدراسات المستقبلية[٢] في أوروبا[٣]، فقد أنشأ (المركز الدولي المستقبلي) في (باريس) عام (١٩٥٧م)، وضمَّ هذا المركز لجانَ عمل شملت مختصين في كثير من الميادين، وفي العام التالي أصدر مجلة (التحسُّب Prospective) اهتمت بدراسة القضايا المستقبلية، مات عام (١٩٦٠م)[٤].

وصف (بيرجيه) الدراسات المستقبلية التي يطلق عليها: التحسب أو الريادة بقوله: "إنه ليس مذهبًا ولا نظامًا (فكريًا) . إنه تأمل في المستقبل . والقصد منه هو إبراز معالمه بهدف التوصل إلى عناصر منهج يمكن تطبيقه على عالمنا المنطلق بسرعة متزايدة"[٥].

---

(١) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٦٣-١٦٤.

(٢) عبد الله عبد الدائم، "التعليم الجامعي والعالي في مواجهة التغير الجذري السريع في البنى الاقتصادية والاجتماعية للعالم الحديث اليوم وفي مواجهة وعود المستقبل"، في "مجلة اتحاد الجامعات العربية"، الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية، عمَّان، الأردن: العدد ٢٠، (ذو الحجة، ١٤٠٥هـ)، ص ١٤؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٦٣.

(٣) الباحث .

(٤) زايد، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص ٣١؛ وعبد الدائم، في "مجلة اتحاد الجامعات العربية"، مرجع سابق، العدد ٢٠، (ذو الحجة/ ١٤٠٥هـ) ص ١٣؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٦٤، ١٦٦؛ و Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 20.

(٥) زايد، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص ٣١، نقلاً عن: كورنيش بالطبعة الإنجليزية، ص٨١ ؛ واعتمد الباحث عليه لأن ترجمته أفصح من المترجَم المطبوع؛ وينظر : كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٦٥.

ويقول: «إن هذا الالتفات بوجوهنا نحو المستقبل، والذي يبدو سهلاً وطبيعيًا، يتطلب، فعلاً، جهودًا قوية مثابرة لأنه عكس معظم عاداتنا المغروسة فينا. ولا ريب أننا غالبًا ما نفكر بالمستقبل، ولكننا نحلم به بدل بنائه، فالحلم هو في القطب المقابل للتخطيط، وهو يأخذنا بعيدًا عن العمل بدل أن يضعنا على الدرب إليه، ويتيح لنا أن نتمتع في تصوراتنا وخيالاتنا بثمرة عملنا الذي لم ننجزه»(١).

٢-(برتراند دي جوفينيل Bertrand de Jouvenel) :

ولد في (باريس) عام (١٩٠٣م)، ودرَس القانون، والاقتصاد، وعلم الحيوان، وعُني واشتُهر في الثلاثينيات الميلادية بالكتابة الصحفية في التطورات الأوروبية الاقتصادية والسياسية، وهو من أشهر المستقبليين وأشدهم أثرًا، له عدد من المؤلفات في السياسة، والاقتصاد، والدراسات المستقبلية، لكن مؤلفه الذي عُني به المستقبليون، وكان له أثر عليهم هو: (فن الحدس The Art of Conjecture)، نُشرت طبعته الأولى عام (١٩٦٤م) في (فرنسا)، يشرح فيه أشياء واضحة قد أخفق كثير من الناس في رؤيتها، ويَستخدم فيه -للتوضيح- كثيرًا من الأمثلة من مظاهر الحياة اليومية، ويُعدُّ (جوفينيل) أول من أدخل مصطلح (المستقبلات)، فتحدث عن مستقبلات وليس عن مستقبل واحد(٢). أسس مع زوجته (الجمعية الدولية للبدائل المستقبلية الممكنة) في (باريس) عام (١٩٦٠م)، ويصدر عنها مجلة (Futuribles)(٣)، ونظَّم هو وزملاؤه ثلاثة مؤتمرات في منهجية التفكير المستقبلي في الأعوام: (١٩٦٢، ١٩٦٣، ١٩٦٩م)(٤)، «وقد دفعت هذه المؤتمرات عددًا من العلماء الأوروبيين والأمريكيين إلى التفكير مليًّا في استكشاف المستقبل»(٥).

---

(١) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٦٥.

(٢) عبد الدائم، في "مجلة اتحاد الجامعات العربية"، مرجع سابق، العدد ٢٠، (ذو الحجة/ ١٤٠٥هـ) ص ١٤-١٥؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٦٥-٢٦٧.

(٣) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ١٦٨؛ و
Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 20.

(٤) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٧٤.

(٥) المرجع نفسه.

لقد كان الأثر الفرنسي في الدراسات المستقبلية مهمًّا، وجاء معظمه من (جوفينيل)، فقد قدّم الأساس الثقافي فيها[1].

من أقواله وآرائه[2]:

أ- «العالم يمكن تشكيله بتأنٍ وعن عمد وسواء أكان ذلك للأحسن أم للأسوأ ».

ب- «ليس لدي أي عمل نبوئي فذ مبني على أي شيء آخر ما عدا أبسط أشكال الفطرة السليمة».

ج-«لن يحدث أي تنبؤ بالمستقبل إذا رفض المرء أن يتمعن بالحاضر».

د- يقول: إنه لم يستخدم في أيٍّ من توقعاته أي طريقة «ما عدا أن لا يغلق المرء عينيه».

هـ- «قد يظن أن قدرة الإنسان على التنبؤ تزداد مع التقدم الإنساني. ولكن الصحيح هو العكس في رأي دي جوفينيل، فالحالة المستقبلية لمجتمع ما تعرف فقط في مجتمع سكوني تمامًا لا تتغير ثقافته».

و-«أؤكد بقوة: «لن يكون هناك علم مستقبل»، فالمستقبل ليس عالم «الصحيح أو الزائف» بل عالم الاحتمالات».

٣-(هيرمان كاهن Herman Kahn) :

ولد عام (١٩٢٢م) في الولايات المتحدة الأمريكية، واختصَّ في الرياضيات والفيزياء، وعمل أستاذًا مساعدًا في جامعة (كاليفورنيا) في ولاية (لوس أنجلوس)[3]، ومحلل أبحاث في مؤسسة (راند)، وبعد خلاف بينه من جهة، وبين إدارتها ووزارة الدفاع الأمريكية من جهة أخرى - بسبب السياسة النووية الأمريكية المشجعة لفرص الحرب النووية حسب رأيه - ترك المؤسسة، وأسس - بمشاركة غيره - معهد (هدسون)، عام (١٩٦١م)، وكان (كاهن) من المستقبليين اللامعين، لكنه كان قليل الاهتمام بالمنهجية. من أهم كتبه: (الحرب النووية الحرارية)، نشر عام (١٩٦٠م)، ونال على إثره شهرة واسعة، وأصبح يُدرَّس ضمن المقررات

---

(١) نفسه، ص ١٦٩.

(٢) جميع الأقوال الآتية : نفسه، ص ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٦٥، ٢٦٥، ٢٦٩-٢٧٠، ٢٧٣.

(٣) نفسه، ص ٣٤٤-٣٤٥؛ وعبد الرحمن بن صالح المشيقح، **إطلالة على دراسات المستقبل**، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ)، ص ٣٠.

الجامعية، وكتاب: (التفكير فيما لا يمكن التفكير فيه)، وهو إعادة صياغة لكتابه السابق، وأضاف فيه ردودًا على الاعتراضات التي وُجهت إليه. حاول (كاهن) الإقناع بأن يضع الأمريكيون في عين الاعتبار آثار الكوارث العالمية للحروب العالمية من الثالثة إلى الثامنة، التي قد تَحْدُث في أوقات مختلفة في المستقبل، فجعلهم يفكرون بالحياة المخيفة بعد الحرب النووية الحرارية التي تشمل الولايات المتحدة الأمريكية[(١)]. ثم تحول اهتمامه من المسائل العسكرية إلى مسائل المستقبل العامة[(٢)]. ومن الدراسات المهمة التي اشترك في تأليفها مع شخص آخر: (عام ٢٠٠٠ : إطار للتفكير في الثلاث والثلاثين سنة القادمة)، نُشر عام (١٩٦٧م)، ظهر فيها التفاؤل بأن العالم سيتغلب على كثير من مشاكله اللائحة في الأفق[(٣)]، "ويطرح هذا الكتاب آراء كاهن في الاتجاه الأساسي بعيد المدى متعدد الجوانب للمجتمع الغربي"[(٤)]. ونَشر عام (١٩٧٦م) مع آخرين كتاب (المائتا سنة التاليتان: سيناريو لأمريكا والعالم)، وهو أكثر مؤلفاته انتشارًا، يركِّز أساسًا على الخمسين سنة القادمة بدءً من تأليف الكتاب، ويتسم بوجهة نظر متفائلة بالعقود الزمنية المقبلة، وأن التقنية سوف تتغلب على مشكلات التلوث ونضوب الموارد الطبيعية[(٥)]. توفي (كاهن) عام (١٩٨٣م)[(٦)].

٤-(ألفين توفلر Alvin Toffler) :

وُلد في (نيويورك) في الولايات المتحدة الأمريكية، عام (١٩٢٨م) لعائلة يهودية، وحصل على الشهادة الجامعية في الأدب الإنجليزي عام (١٩٤٩م)، وزاول أعمالاً في الكتابات الصحفية[(٧)]، واختصَّ في علم الاجتماع[(٨)]، والدراسات المستقبلية[(٩)].

---

(١) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ٣٤٣-٣٤٨؛ و
Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, Pp. 31-34.

(٢) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ٣٤٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٧٨، ٣٤٧-٣٤٨ ؛ والمشيقح، مرجع سابق، ص ٣٠؛ و
Eleonora Barbieri Masini, **Why Futures Studies**, Second printing, (London, Grey Seal, 1994)., P. 61.

(٤) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ٣٤٨.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٤٨؛ والمشيقح، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٦) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 33.
Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 59.

(٧) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ٣٥٢.

(٨) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 61.

(٩) المشيقح، مرجع سابق، ص ٣٠.

أهم مؤلفاته المندرجة تحت الدراسات المستقبلية: (صدمة المستقبل)، و(الموجة الثالثة)، و(تحول القوة والمعرفة والثروة والعنف على حافة القرن الواحد والعشرين)، وقد أكسبه الكتاب الأول شهرة واسعة[1]، وكان الأكثر مبيعًا عام (١٩٧٠م)، فبيع منه أكثر من ستة ملايين نسخة بعشرين لغة، حذّر فيه من النتائج النفسية وغيرها، التي تنعكس من جرّاء التغير الاجتماعي السريع وكيفية التعامل معه[2]، والكتاب محصلة اتصال اجتماعي قام به المؤلّف مع مئات الأشخاص، في الجامعات، والمراكز، والمكاتب[3]، وقد عرض الباحث لعدد من أفكار الكتاب في ثنايا هذه الرسالة.

سعى (توفلر) إلى تطوير نهج سياسي للمستقبل، حيث كان له أثر رئيس في تكوين (اللجنة الديمقراطية التوقعية)، التي نَظّمت عام (١٩٧٥م) مؤتمرًا في مبنى مجلس الشيوخ الأمريكي (الكونجرس)، حثّ فيه (توفلر) وغيره على أن يُفيد المشرِّعون، من البحوث ذات التوجه المستقبلي، مشيرًا إلى أن (الكونجرس) أصبح مؤسسة عتيقة بحاله آنذاك. وقد أبدى كثير من أعضائه اهتمامًا بأفكار (توفلر)[4].

٥-(أولاف هلمر Olaf Helmer):

عالم في الرياضيات[5]، كان له أثر كبير في مناهج الدراسات المستقبلية وأساليبها، عمل في مؤسسة (راند) سنوات[6]، وفيها أحدث مع أحد الباحثين الأسلوب المهم: (دِلفي)[7]، ثم ترك المؤسسة، وأسهم عام (١٩٨٦م) في تأسيس (معهد المستقبل) بمدينة (ميدلتاون)، وعُني المعهد بدراسة المشكلات المدنية، وابتعد عن الدراسات العسكرية[8]، وكان من أهم معاهد الدراسات المستقبلية في الولايات المتحدة الأمريكية[9].

---

(١) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 61.

(٢) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ٣٥١.

(٣) ألفين توفلر، **صدمة المستقبل**، ترجمة محمد علي ناصف، (القاهرة، دار النهضة، ١٩٧٤م)، ص٥١٥ .

(٤) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ٣٥٤.

(٥) زايد، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص ٣٢؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٧٤.

(٦) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 60.

(٧) زايد، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص ٣٢.

(٨) المرجع نفسه؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٧٤؛ و
Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 34.

(٩) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 60.

المطلب الثاني : المختصون العرب والمسلمون :

١-قسطنطين زريق :

ولد في دمشق من عائلة نصرانية، عام (١٩٠٩م)، وتخرج في الجامعة الأمريكية في بيروت، وحصل على الماجستير والدكتوراة في الولايات المتحدة الأمريكية، اهتم بالقومية العربية، وأسهم في إنشاء (مركز دراسات الوحدة العربية) في بيروت[١]، وتوفي عام (١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠م) .

٢-إسماعيل صبري عبد الله :

ولد في مصر عام (١٩٢٤م)، حصل على الدكتوراة في الاقتصاد من جامعة (باريس)، وشغل عددًا من المناصب في مصر، منها وزير التخطيط، ومدير معهد التخطيط القومي، وهو منسق مشروع (المستقبليات العربية البديلة)، ومشروع (مصر ٢٠٢٠)[٢]. صدر له عام (١٩٨٣م) في لندن عن هيئة الأمم المتحدة (العالم العربي عام ٢٠٠٠)[٣]. واشترك في عدد من المؤلفات المستقبلية الواردة في هذا البحث، وتولى رئاسة (منتدى العالم الثالث) في القاهرة.

٣-المهدي المنجرة :

ولد في الرباط، في المغرب، عام (١٩٣٣م)، ودرَس في الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفيها حصل على الدكتوراة في العلوم الاقتصادية والعلاقات الدولية، عمل أستاذًا في كلية الحقوق بجامعة محمد الخامس في الرباط، واشترك فيما يربو على مئتي ندوة وملتقى دولي حول المستقبل، وكتب كثيرًا من المؤلفات والمقالات، أكثرها باللغة الإنجليزية، وحصل على عدد من الجوائز الدولية، وشغل عدة مناصب في هيئة الأمم المتحدة، منها: نائب المدير العام للدراسات المستقبلية لبرامج (اليونسكو)، وله عضوية في كثير من الجمعيات العالمية، وترأس عددًا من الجمعيات، من أهمها ما يأتي:

---

(١) الشرق الأوسط، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، لندن، العدد ٧٨٨٨، (٣/٧/٢٠٠٠م)، ص١٧.

(٢) World Future Society, Op. Cit, P. 1.

(٣) عبد الوهاب عبد الرزاق التحافي، "علم المستقبل واتجاهات الإجرام في الوطن العربي في القرن الحادي والعشرين"، في "الأمن والحياة"، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، العدد ١٧٥، (ذو الحجة/١٤١٧هـ)، ص٥٩ .

أ-الاتحاد العالمي للدراسات المستقبلية.

ب-المنظمة الدولية للدراسات المستقبلية .

ج-أسس الجمعية المغربية للدراسات المستقبلية، ورأسها[1].

تقول عنه (ماسيني) : «لقد كان المهدي المنجرة روح التفكير الأفريقي، وكان باستمرار يحثُّ الأفريقيين على التفكير بمستقبلهم الخاص»[2].

٤-راجا م. عزّام :

ولد في باكستان عام (١٩٤٠م)، حصل على الماجستير في دراسة المستقبل، من جامعة هيوستن، والدكتوراة في المستقبليات، من الجامعة الأمريكية بلندن، اشترك في تأليف كتاب (Thinking Aloud Futuristically) (التفكير مستقبليًّا بصوت مسموع)، عام (١٩٩٨م)، واشترك في تأليف كتاب (Toward the Third Millennium: The Islami Vision, World-View and Mind)(نحو الألفية الثالثة: الرؤية الإسلامية، النظرة العالمية والفكر)، عام (١٩٩٩م)[3].

٥-علي محمد نصار :

ولد في دمياط بمصر، عام (١٩٤١م)، حصل على شهادة الدكتوراة في الاقتصاد في جامعة العلوم الاقتصادية، في (برلين)، وهو مختص في الدراسات المستقبلية، والتخطيط طويل المدى، وبناء النماذج، والإحصاء، وله بحوث كثيرة في هذه المجالات، عمل مدربًا في معهد التخطيط القومى، بالقاهرة، ومديرًا لمركز الأساليب التخطيطية فيه، ومستشارًا فيه، واشترك في عدد من اللجان والمجموعات التي تولت القيام بصياغة مشاريع استراتيجية ومستقبلية، ومنها: (مجموعة التخطيط طويل المدى للبلدان العربية)، ومشروع (استشراف مستقبل الوطن العربي)، ومشروع (مصر٢٠٢٠)، وعمل مستشارًا لوزارة التخطيط الكويتية، والعراقية، والمعهد العربى للتخطيط في الكويت[4].

(١) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٢٧٢، ٣٠٥، ٣١٤، ٤٥٥-٤٥٧.

(٢) Eleonora Barbieri Masini, “International Futures Perspectives and Cultural Concepts of the Future”, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, P. 82.

(٣) World Future Society, Op. Cit., P.15.

(٤) موقع مغهد التخطيط القومي على الشبكة: www.inplanning.gov.eg

٦-إبراهيم حسن العيسوي :

ولد في دمياط بمصر، عام (١٩٤١م)، حصل على شهادة الدكتوراة في الاقتصاد في جامعة (أكسفورد)، في (بريطانيا)، عمل مدربًا في معهد التخطيط القومى، بالقاهرة، وهو مختص في الدراسات المستقبلية، والتخطيط، وبناء النماذج، وعمل نائبًا لمدير المعهد العربى للتخطيط في الكويت، واشترك في عدد من المشاريع المستقبلية، منها: مشروع (استشراف مستقبل الوطن العربي)، ومشروع (مصر٢٠٢٠)[١].

٧-إسماعيل خضر الشطي:

ولد في الكويت عام (١٩٥٠م)، وحصل على شهادات عالية في الهندسة الكيميائية، والصناعية، والمدنية، والعلوم السياسية، ويكتب مقالات في الدراسات المستقبلية، كانت له عضوية في عدد من المجالس العليا في الكويت، وفي بعض المؤسسات الخيرية، ورأس عددًا من اللجان، وحصل على العضوية الشرفية في معهد باكستان للمستقبليات، والعضوية لمدى الحياة في جمعية المستقبل العالمية، واختير المنسق الإقليمي للجمعية في منطقة الخليج منذ عام (١٩٨٩م)، ويرأس حاليًّا معهد الخليج للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية، ودار المشورة للخدمات الاستشارية، في الكويت[٢].

٨-ضياء الدين سردار :

ولد في باكستان عام (١٩٥١م)، حصل على الماجستير في العلوم، والدكتوراة في الفلسفة في جامعة (سيتي) في (لندن)، له عدد من المؤلفات والكتابات المستقبلية، ويُعنى بالدراسات المستقبلية غير الغربية[٣].

من مؤلفاته باللغة الإنجليزية: كتاب (مستقبل الحضارة الإسلامية)، وكتاب (المستقبل الإسلامي).

٩-سهيل طاهر عناية الله :

ولد في باكستان عام (١٩٥٨م)، حصل على الماجستير في المستقبلات البديلة، والدكتوراة في العلوم السياسية من جامعة (هاواي)، ويُعنى بالدراسات المستقبلية غير الغربية[٤].

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) موقع معهد الخليج للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية على الشبكة: www.gulf-futures.org

(٣) World Future Society, Op. Cit., P.298.

(٤) Ibid., Pp.156-157.

المبحث الرابع

أبرز مؤسسات الدراسات المستقبلية

تعدُّ مؤسسات استشراف المستقبل مهمة في المجتمع كأهمية الأذن والعين للإنسان[1]؛ لذا عُني الغرب -ثم تبعه الشرق- بإنشاء الكثير منها، فقد بلغ عدد المؤسسات التي تُعنى بشؤون المستقبل في الولايات المتحدة الأمريكية فقط في عام (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) ستمائة مؤسسة، وفي أوروبا بلغت عام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) ثلاثًا وتسعين ومئتي مؤسسة، ولا يكاد يوجد في الولايات المتحدة الأمريكية موسسة أو شركة لا تتضمن وِحدة لاستشراف المستقبل[2]، بل حتى المجالس الاستشارية العليا عُنيت بذلك، فعلى سبيل المثال : استُحدِث في مجلس (الكونجرس) الأمريكي خلال ربع القرن الماضي ثلاث إدارات تُعنى بالشؤون المستقبلية، تضم فريقًا من العلماء المتفرغين، وتغذي أعضاء المجلس بالمعلومات. ومن أهداف بعض هذه الإدارات : مساعدة الأعضاء في إدراك الطرق التي تؤثر بها قرارات اليوم على المستقبل، ومساعدتهم في جمع المعلومات المتعلقة بالآثار بعيدة المدى للتشريع الوضعي[3].

وهناك معاهد ومراكز مستقبلية في أمريكا اللاتينية، وفي بعض البلدان الأفريقية، وفي الصين، واليابان، والفلبين، وباكستان، والهند، وغيرها.

---

(١) روبرت جنك، "التنبؤ التكنولوجي أداة لاستراتيجية اجتماعية"، في : نيجل كروس، ودافيد أليوت، وروبن روي، **مستقبل يصنعه الإنسان : قراءات في المجتمع والتكنولوجيا والتصميم**، ترجمة وليد شحادة، (دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٦م)، ص٢٦١.

(٢) إيجور ف. بستوزف لادا، "نظرة عالم روسي إلى علم المستقبل"، في "رسالة اليونسكو"، هيئة اليونسكو، باريس- القاهرة: العدد ١١٩، (مايو/١٩٧١م)، ص ٢٤.

(٣) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٣٨٠-٣٨٥.

وفيما يأتي عرض موجز لأبرز المؤسسات المستقبلية الغربية والعربية، مِن التي برز فيها الهدف المستقبلي في أعمالها[1].

المطلب الأول : المؤسسات الغربية :

١-مؤسسة (راند) (Rand Corporation)، في الولايات المتحدة الأمريكية :

في أواخر عام (١٩٤٥م) قام سلاح الجو الأمريكي بترتيبات مع شركة دوجلاس لصناعة الطائرات؛ "لدراسة البحث في الحروب التي لا تجري على الأرض في ميادين القتال بين الدول التي تقع في قارات مختلفة، ومعرفة قدرات الدول التقنية، ودراسة النتائج الممكنة للحرب النووية؛ فنشأ مشروع (راند) ليتولى القيام بذلك، و(راند) اختصار لكلمتي (البحث والتطوير: Research and Development)[2].

وفي عام (١٩٤٨م) أصبحت (راند) مؤسسة مستقلة بذاتها، سُجلت في ولاية (كاليفورنيا)[3]، وأصبح التفكير المستقبلي علامة لها، وعُنيت المؤسسة بالابتكار، وبخاصة في

---

(١) هناك مؤسسات ومراكز عربية، حملت عناوين مستقبلية، وتضمن بعضها في أهدافها استشراف المستقبل، لكن لم يظهر عليها ذلك، ولم يقف الباحث على أعمال منجزة لها تتسم بالمستقبلية، من ذلك:

أ-مركز دراسات المستقبل، في صنعاء، في الجمهورية العربية اليمنية.

ب-مركز الدراسات المستقبلية، في قطر.

ج-هيئة مركز أبحاث المستقبل، في فلسطين.

د-مركز المستقبل للدراسات والأبحاث، في القاهرة.

هـ-المركز العربي للدراسات المستقبلية، ولا يشير موقع المركز على الشبكة العالمية للمعلومات إلى مكان تأسسه.

وهناك مؤسسات توصف بأنها مستقبلية ولم يتوافر للباحث معلومات عنها، مثل :

أ-المعهد العسكري للدراسات المستقبلية بوزارة الدفاع الوطني في الجزائر .

ب-الجمعية الجزائرية للدراسات المستقبلية.

ج-المركز العربي لبحوث التنمية والمستقبل، في القاهرة .

(٢) زايد، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص ٣٢؛ و
Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 29.

(٣) زايد، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص ٣٢؛ وزريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٨٧-٨٨؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٧١.

استحداث أساليب مستقبلية جديدة، مثل: أسلوب (دلفي)، و(مصفوفة التأثير المتقـــاطع)، و(العصف الذهني)، وغيرها، أو تعديل أساليب موجودة(١).

وقد نشأت (راند) لصالح الشؤون العسكرية المستقبلية للولايات المتحـــدة الأمريكيـــة، لكن بحلول عام (١٩٧٠م) أضافت إلى جدول أعمالها مشاريع غير عسكرية بحوالي ٣٥ ٪ من مناشطها(٢).

وهناك اتفاق بين هذه المؤسسة وإسرائيل، لابتعاث عدد من الطلاب اليهود سنويـــًّا، وتدريبهم في هذه المؤسسة(٣) .

وبعد الهجمات التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية، بالطائرات المدنيـــة علـــى بعض مدنها، في (٢٣/٦/١٤٢٢هـــ، الموافق ١١ /٩/ ٢٠٠١ م)، قدَّم (لورنت موراويك) المحلل في مؤسسة (راند) في (يوليو، ٢٠٠٢م)، للجنة السياسة الدفاعيـــة في وزارة الـــدفاع الأمريكية، دراسة للتعامل مع المملكة العربية السعودية، باعتبارها أساس الشر، والمحرك الأول للإرهاب، والمعارض الأخطر للولايات المتحدة في المنطقة، ويزعم أن الدعوة الإسلامية فيها تعارض الرأسمالية، وحقوق الإنسان، ولا تسمح بالحرية الدينية، وتقوم بنشر دعوتها في كافة أنحاء العالم؛ ولذلك يضع عددًا من المطالب التي ينبغي أن تلتزم بها الحكومة الســـعودية(٤)، "وخلص العرض إلى أن غزو العراق سيكون بمثابة الخطوة التكتيكية(٥) لأمريكـــا، وغـــزو المملكة بمثابة الخطة الاستراتيجية(٦)، وأما الغنيمة الكبرى ستكون غزو مصر"(٧).

---

(١) زاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص١٤؛ و
Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 30.

(٢) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 29.

(٣) مازن صلاح مطبقاني، "تعليق على مسودة هذا البحث".

(٤) http://slate.msn.com

(٥) التخطيط التكتيكي: يركز على الأمد القصير. (محمد قاسم القريوتي، ومهدي حسن زويلف، **المفاهيم الحديثة في الإدارة: النظريات والوظائف**، ط٣؛ (عَمَّان، دار الشروق، ١٤١٣هـــ)، ص١٢٧).

(٦) التخطيط الاستراتيجي: يركز على الأمد الطويل. (المرجع نفسه، ص١٢٦).

(٧) سامي سعيد حبيب، "الأسباب الحقيقية للتحريض ضد السعودية"، صحيفة المدينة، مؤسسة المدينـــة للصـــحافة والطباعة والنشر، جدة: العدد: ١٤٣٦٠، (٨/٦/١٤٢٣هـــ)، ص١٥.

ولعل تسريب هذا التقرير إلى بعض وسائل الإعلام، مقصود ومتعمد؛ لتشعر الدولة المعنية به بخطر التهديد؛ فتستجيب للمطالب بسهولة ويسر. وهذا مثل لما لمراكز الدراسات المستقبلية من تأثير على حكوماتها، وفي السياسات الدولية.

٢-معهد (هدسون) (Hudson Institute)، في الولايات المتحدة الأمريكية :

أنشأه عام (١٩٦١م) (هيرمان كاهن) والمحامي (ماكس سنقر)[١]، وأسهم المعهد «إسهاماً كبيراً في الأبحاث الاستراتيجية الحربية»[٢]، وتُعدُّ وزارة الدفاع الأمريكية العميل الرئيس لمعهد (هدسون)[٣]، وحاول المعهد أن يدرس كل شيء، حتى ما يتعلق بتطور القارات بأكملها، ومستقبل العالم الغربي بأجمعه[٤]، واهتم بالاستشراف التقني في مجال السلاح النووي، وجرى في المعهد تطوير أسلوب (المَشاهد)، وأسلوب (المستقبلات البديلة)[٥]، أو (التفكير بما لا يمكن التفكير فيه)، وهو يَعني: اختبار جميع البدائل في موقف معين، مهما كانت غير متوافقة مع الحكمة السائدة، ومهما كانت غير مستحبة[٦]، فحاول المعهد دراسة هذا بشكل جدي[٧]. وصدر عن المعهد مجموعة مهمة من الدراسات[٨].

---

(١) هلال، في "السياسة الدولية"، مرجع سابق، العدد ٧٥، (يناير/ ١٩٨٤م)، ص ٦٨؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٧٨، ٣٤٦؛ وزاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص١٤.

(٢) زايد، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٣٣.

(٣) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 32.

(٤) Ibid. by: Paul Dickson, **Think Tanks**, (New York, Atheneum, 1972), P. 91.

(٥) هلال، في "السياسة الدولية"، مرجع سابق، العدد ٧٥، (يناير/ ١٩٨٤م)، ص ٦٨.

(٦) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 32. by: Dickson, **Think Tanks**, Op. Cit., P. 116.

(٧) Ibid.

(٨) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ١٧٨؛ وهلال، في "السياسة الدولية"، مرجع سابق، العدد ٧٥، (يناير/ ١٩٨٤م)، ص ٦٨.

٣-جمعية المستقبل العالمية (World Future Society)[(١)]، في الولايات المتحدة الأمريكية :

أنشأها في العاصمة الأمريكية (واشنطن) مجموعة أشخاص عـــام (١٩٦٦م)، ونمـــت سريعًا[(٢)]، وأصبحت تضم أعضاء من مختلف أنحاء العالم، ووصل عـــدد أعضـــائها عـــام (١٩٩٥م) ثلاثين ألف عضو[(٣)]، ويرى (كورنيش) أنها أكبر جمعية مستقبلية في العـــالم[(٤)]، وللجمعية ممثلون في حوالي مئة مدينة في العالم[(٥)]، ويمثلها في دول الخليج العـــربي إسماعيـــل الشطي[(٦)].

---

(١) تفاوتت الترجمات لاسم هذه الجمعية على الرغم من وضوح الكلمات فيها:
فترجمة حافظ لها: (الجمعية الدولية للمستقبلات)، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع ســـابق، ص٧٩.
وترجمة محمد بريش لها: (الجمعية الدولية للمستقبل)، **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص١٨.
وترجمة عبد الدائم لها: (الجمعية العامة للمستقبل)، في "مجلة اتحاد الجامعات العربية"، مرجع سابق، العدد ٢٠، (ذو الحجة/ ١٤٠٥هـــ)، ص١٥.
وترجمة هاني خلاّف لها: (الجمعية الأمريكية لمستقبل العالم)، **المستقبلية والمجتمع المصـــري**، مرجـــع ســـابق، ص١٥.
وترجمة محمود فلاّحة لها: (جمعية المستقبل العالمية)، كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٤٨٦، وترجمها أيضًا: (جمعية مستقبل العالم)، المرجع نفسه، صفحة الغلاف.
وترجمة زكريا إبراهيم لها: (جمعية عالم المستقبل)، إيرين تافيس، "علم المستقبل ومشـــكلة القـــيم"، في "المجلـــة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد١، (شعبان/١٣٩٠هـــ)، ص٨٢.
وهذا مثال سهل يعكس مدى اختلاف المصطلحات المستخدمة فـــي الدراسات المستقبلية من مـــترجم لآخـــر للمصطلح الواحد نفسه، لا سيما في الكلمات الحديثة المبتدعة، التي لا وجود لها في القاموس الأجنبي فضلاً عن العربي؛ مما يجعل المترجم يُعمل اجتهاده في اشتقاق ما يناسبها في لغتها الأصلية ثم يُترجمها إلى اللغـــة العربيـــة. (يُنظر بتصرف: عبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص٢٢؛ وبريش، **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص١٧-١٨).

(٢) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٨٤، ٤٦٦؛ وعبد الفضيل، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد ١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٣٤.

(٣) Howard F Didsbury, "The World Future Society" in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 21.

(٤) مرجع سابق، ص٤٦٦.

(٥) المرجع نفسه، ص ٤٦٧.

(٦) موقع معهد الخليج للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية على الشبكة: www.gulf-futures.org

من أهداف الجمعية: الإسهام في الإدراك الراشد للمستقبل وأهمية دراسته، بدون تأييد عقائد خاصة، أو المشاركة في الفعاليات السياسية، وتقديم تحقيقات جادة ومسؤولة عن المستقبل(١).

وقد اهتمت الجمعية بتعزيز الدراسات المستقبلية، وتطوير أساليبها، وتبصير الرأي العام بالتطورات المستقبلية الممكنة والمحتملة(٢).

ويَصدر عنها أكثر من ستة إصدارات، ما بين نشرة، ومجلة، ودورية، منها ما هو موجه لعامة الناس، ومنها ما يهم المختصين المستقبليين(٣)، وتُصدر «حصرًا شهريًا، وآخر سنويًا بالدراسات المستقبلية»(٤)، وتعقد الجمعية مؤتمرًا عالميًّا سنويًّا، يحضره قرابة ألف باحث(٥)، تتناول في كل مؤتمر موضوعًا مختلفًا.

٤-نادي روما (Club of Rome)، في إيطاليا:

أسسه عام (١٩٦٨م) رجل الأعمال الإيطالي (أوريليو بيتشي Aurelio Peccei)(٦)، وهو منظمة غير حكومية؛ تهدف إلى التركيز على فهم العوامل الاقتصادية، والسياسية والطبعية، والاجتماعية المختلفة، التي تُكوِّن النظام العالمي؛ وإثارة اهتمام صانعي السياسة والجمهور في كل أنحاء العالم نحو فهم جديد للمشاكل العالمية المتداخلة؛ ومن ثم العمل

(١) Didsbury, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 17.

(٢) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٨٤، ٤٦٦؛ وعبد الفضيل، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد ١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٣٤.

(٣) خلاف، "المستقبلية بين المنهج العلمي والفكر الشرقي"، في "السياسة الدولية"، العدد ٥٠، (أكتوبر/ ١٩٧٧م)، ص١٠؛ و Didsbury, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 18.

(٤) حافظ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص ٧٩، الحاشية.

(٥) مارفين ج. سترون، "بدايات استشراف المستقبل في الولايات المتحدة الأمريكية"، ترجمة عبدالحفيظ جبَّاري، في "القافلة"، شركة أرامكو السعودية، الظهران، المملكة العربية السعودية: العدد ٤، (ربيع الآخر/ ١٤١٤هـ)، ص٤٢ .

(٦) وليم واتس (تقديم)، دونيلا هـ. ميدوز وآخرون، **حدود النمو : تقرير لمشروع نادي روما عن مأزق البشرية**، ترجمة محمد مصطفى غنيم، (القاهرة، دار المعارف، د.ت)، ص ١١؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٨٤، ٤٦١.

بسياسات جديدة[١]، وهو نادٍ منغلق جدًا، حُصر عدد أعضائه بمئة شخص فقط[٢]، «جرى اختيارهم من بلاد مختلفة من أنحاء العالم، وبمراتب مختلفة»[٣].

وصدر عنه أكثر من خمسة تقارير عالمية، تتعلق بمستقبل البشـــرية في القـــرن الحـــادي والعشرين الميلادي، اتسم أغلبها بالتشاؤم[٤]، وكان لهذا النادي خلال الربع الأخير من القرن الميلادي المنصرم أثر مهم على الرأي العام، ومتخذي القرار، بشأن قضايا عالمية في أجـــزاء مختلفة من العالم[٥]، وكان له أثر حتى على قادة الدول الكبرى[٦]، وكان له أثر مهم في تقدم الدراسات المستقبلية من عدة جوانب، حيث ركّز على الكلّيَّة، والعالمية، والمنـــهج المتعـــدد لمصادر المعرفة، وأسهم في تقدم التفكير البيئي، وفي تقدم أسلوب (المحاكاة والتشبيه)، وبنـــاء (النماذج)، واستخدامها في الدراسات المستقبلية[٧].

٥-الاتحاد العالمي للدراســـات المســـتقبلية (The World Futures Studies Federation)، **في فرنسا:**

أنشئ في (باريس)، عام (١٩٧٣م)، وكان أول رئيس له : (برتراند دي جوفنيل)، ومن الذين رأسوه: المهدي المنجرة، الأعوام (١٩٧٧-١٩٨١م)، والإيطالية: (إلينورا ماســـيني)، وغيرهم، ويضم الاتحاد أكثر من خمسمئة عضو، ينتمون إلى تسعين دولة، ويَعقـــد -كـــل عامين- مؤتمرًا دولـــيًّا متنقلاً[٨].

٦-الجامعات:

اهتمت كثير من الجامعات الأمريكية بالدراسات المستقبلية[٩]، فقد ارتفع عدد الجامعات التي تمنح الدرجات العلمية في الدراسات المستقبلية من جامعتين عام (١٩٦٩م)، إلى خمـــس

---

(١) وليم واتس (تقديم)، ميدوز وآخرون، مرجع سابق، ص ١١.

(٢) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٤٦٢.

(٣) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 71.

(٤) زاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص١٠.

(٥) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 71.

(٦) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, Pp. 46-47.

(٧) Ibid.

(٨) Stevenson, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, Pp. 28-30.

(٩) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 58.

وأربعين جامعة، وتعد جامعة (هيوستن) في مدينة (كليرلايك) في الولايات المتحدة الأمريكية من أهم الجامعات في ذلك، وتمنح الماجستير والدكتوراة في الدراسات المستقبلية[١].

كما تَعقد الجامعات الأمريكية دورات متواصلة عن الدراسات المستقبلية، وقُدِّر عـــدد الدورات التي أقيمت في المعاهد والجامعات في الولايات المتحدة وكندا عام (١٩٧٣م)، فبلغ ما بين (٣٥٠-٤٠٠) دورة عن المستقبل[٢]، وتقوم الجامعات، والمدارس الثانوية في الولايات المتحدة بتدريس مقررات مختصة في الدراسات المستقبلية، بلغ عددها (٤٧٥) مقررًا دراسيًّا، خلال المدة (١٩٦٩-١٩٧١م)، وأَدخلتْ ثماني عشرة ولاية أمريكية هذه المقررات ضــمن برامج التعليم الرسمية بها[٣].

وفي أوروبا كانت هناك اهتمامات مبكرة بالدراسات المستقبلية في بعض الجامعـــات، منها -حسب (كوفاس، ونوفاكي)- : جامعة (بودابست) للعلوم الاقتصادية، في (هنغاريا = المجر)، حيث بدأت بإجراء الأبحاث عام (١٩٦٨م)، وأقيمت في الجامعة سلسلة من الحلقات النقاشية حول الدراسات المستقبلية، وفي عام (١٩٧١م) دُرِّست بصورة مادة مستقلة بعنوان (الدراسات المستقبلية بعيدة المدى)، وفي عام (١٩٧٦م) اعترفت الأكاديمية الهنغارية بعلـــوم الدراسات المستقبلية بصفتها فرعًا معرفـــيًّا مستقلاً، وفي عام (١٩٩٢م) أنشئت في الجامعة إدارة مستقلة للأبحاث المستقبلية[٤].

وفي غير العالم الغربي هناك أقسام في بعض الجامعات، ففي الهند تأسس قسم الدراسات المستقبلية بجامعة (كيرالا)، عام (١٩٩٠م) بإشراف اللجنة العليا للجامعات بالهند، وقـــسم العلوم والتقنية بجامعة (كيرالا)، وحكومة الهند، ويمنح القسم درجات الماجستير والدكتوراه في مجال البحوث المستقبلية وغيرها[٥].

---

(١) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 63.

(٢) Ibid., Vol. 1, Pp. 62-63.

(٣) خلاف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص٧٨.

(٤) Geza Kovacs and Erzsebet Novaky, "The Futures Research Department, Budapest University of Economic Sciences, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, Pp. 45-46, 50.

(٥) موقع معهد الخليج للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية في الكويت : www.gulf-futures.org

وهناك اليوم -على مستوى العالم- آلاف المدرسين والمحاضرين والباحثين العاملين في التعليم المستقبلي[1].

المطلب الثاني : المؤسسات العربية :

إن «فكرة الدراسات المستقبلية والمراكز التي تخصص لها هي فكرة غريبة على الساحة الإسلامية، وليس ما نسمع اليوم من ذكر لها في بعض البلاد إلا محاولات بدائية لا تتجاوز الهواية الاستطلاعية إلى العمل الجاد»[2].

ويعرض الباحث هنا أهم المؤسسات التي وجهت عنايتها للمستقبل، ولو بشكل جزئي، ولو لم يكن من صميم عملها .

١-معهد التخطيط القومي في القاهرة :

أنشئ عام (١٩٦٠م)، ويرأسه وزير التخطيط المصري، ويسهم المعهد في تعميق مفاهيم التنمية الشاملة وآفاقها المتكاملة، وفي دراسة أساليب التخطيط القومي والإقليمي، وفي تدريب الكوادر المشتغلة بالتنمية والتخطيط[3].

وفي المعهد أنشئت (مجموعة التخطيط طويل المدى للبلدان العربية)، أشرف على نشاطها إبراهيم حلمي عبد الرحمن، وكان لها كيانها الخاص، وقد عملت المجموعة بالتعاون مع الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي ومنظمة (اليونيدو)، واتصلت المجموعة بعدد من المؤسسات المستقبلية الدولية، وبعدد من أصحاب النماذج العالمية، واستمر نشاطها أكثر من عامين، وصدر عنها (٥٨) مذكرة حول المنهجية والمتطلبات في دراسة المستقبل العربي[4].

---

(١) Richard A. Slaughter, **Futures: Tools and Techniques**, (Australia, Futures Study Centre, 1995, 1998)., P.12.

(٢) خليل صقر، **صناعة المستقبل**، (بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ)، ص ٤١.

(٣) موقع المعهد على الشبكة: www.inplanning.gov.eg

(٤) عبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٣٧؛ وخير الدين حسيب (مشرف) وآخرون، **مستقبل الأمة العربية التحديات والخيارات**، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨م)، ص٥٠؛ وعبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص١٧٦-١٧٧، نقلاً عن: محمد محمود الإمام، "النماذج الدولية"، المؤتمر العلمي السنوي للاقتصاديين المصريين، القاهرة، (٤/مايو/١٩٧٩م) .

ومن مراكز المعهد : (مركز التنبؤ الاقتصادى ونماذج التخطيط)، ويُعنى بتطوير الأساليب الكمية وتوظيفها لخدمة السياسات الاقتصادية وصناعة القرار، وتخطيط التنمية الشـــاملة في مصر، وتَوقُّع حركة المتغيرات الاقتصادية الكلية فى الأجلين المتوسط والطويـــل، وإجـــراء الدراسات المستقبلية[1].

ويصدر عن المعهد عدد من الإصدارات المستقبلية .

٢-المعهد العربي للتخطيط بالكويت:

أنشئ المعهد عام (١٩٦٦م)، بالتعاون بين حكومة الكويت وبرنامج الأمـــم المتحـــدة الإنمائي، بصفته مؤسسة كويتية مستقلة، وفي عام (١٩٧٢م) جرى تحويل المعهد إلى مؤسسة عربية مستقلة، وانتهى إسهام برنامج الأمم المتحدة الإنمائي فيه عام (١٩٨٠م)، ويضم المعهد في عضويته معظم الدول العربية، ويقدم خدماته لكافة الدول العربية[٢] .

وليست الدراسات المستقبلية من ضمن أهداف المعهد، لكن عُني المعهد في بعض حلقاته النقاشية بالتعريف بالدراسات المستقبلية، ومناقشة بعض الموضوعات من ناحية مســـتقبلية، و"في عام ١٩٨٠ كلف المكتب الإقليمي في برنامج الأمم المتحدة للتنمية، المعهـــد العـــربي للتخطيط في الكويت بإجراء عدة دراسات للتعرف على صورة المســـتقبل العـــربي عـــام ٢٠٠٠"[٣]، وعقد المعهد حلقته النقاشية الحادية عشرة بعنوان : (مستقبل التنمية في الـــوطن العربي: دراسات مستقبلية)، عامي (٨٧/١٩٨٨م)، ونتج عنها صياغة مشاهد بديلة محتملة لمسار قضايا الاقتصاد العربي، والتحرر العربي، والوحدة والتكامل[٤]، وطبعت بحوث الحلقة في خمسة كتب، هي :

أ-الدراسات المستقبلية وتحديات العصر.

ب-مستقبل التصنيع والتكنولوجيا في ضوء الخبرة الخليجية والمصرية .

ج-رؤية مستقبلية لدور التعليم والبحث العلمي.

---

(١) موقع المعهد على الشبكة : www.inplanning.gov.eg

(٢) موقع المعهد على الشبكة : www.arab-api.org

(٣) علي الدين هلال، "آفاق المستقبل وتطوير التعليم" ، سعد الدين إبراهيم (تحرير) وآخرون، **مستقبل النظام العالمي وتجارب تطوير التعليم**، (عمَّان، منتدى الفكر العربي، ١٩٨٩م)، ص٣١.

(٤) المعهد العربي للتخطيط: (تصدير) ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص١١-١٣.

د-مستقبل التعليم والبطالة في الوطن العربي.

هـ-المجتمع الجماهيري والقطاع العام : رؤية مستقبلية.

وفي عام (١٩٩٣م) عقد المعهد ندوة في تونس، عن مستقبل التخطيط في الأقطار العربية[١].

٣-مركز دراسات الوحدة العربية، في بيروت :

نبع الاهتمام بتأسيس المركز من الشعور بأهمية الوحدة العربية، وضرورة القيام بعمل ثقافي مستمر من أجلها، فتأسس رسميًّا عام (١٩٧٥م)، في بيروت، وهدفه : (البحث العلمي حول مختلف نواحي المجتمع العربي والوحدة العربية، بعيدًا عن كل نشاط سياسي، أو ارتباط حكومي، أو انتماء حزبي). وعني المركز -في مجال هدفه- باهتمام بقضية المناهج الدراسية في البلدان العربية. وصدر عن المركز مجموعة من المؤلفات المتنوعة، ويصدر عنه مجلة فصلية بعنوان (المستقبل العربي)[٢] .

عني المركز في مطبوعاته ومجلته الشهرية بقضايا المستقبل، وعبَّرت الكتب الصادرة عنه عن هذا التوجه، كما تنشر مجلته جملة من المقالات المستقبلية[٣] .

٤-منتدى العالم الثالث، في القاهرة :

تأسس المنتدى في القاهرة عام (١٩٧٥م)، وهو يضم مفكرين، ومثقفين، مهتمين في مجالات التنمية الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية؛ بهدف التحاور والتأثير الحقيقي والفاعل على مجتمعات العالم الثالث، وتحديد بدائل واقعية، ووضع توصيات سياسية؛ للعمل بها في مختلف المجالات المدروسة، ويضم المنتدى حوالي ألف شخصية من أفريقيا، وآسيا، وأمريكا اللاتينية[٤].

تبنى المنتدى القيام بالمشروع الكبير (المستقبلات العربية البديلة)[٥]، وأشرف على مشروع (مصر ٢٠٢٠)، ويعتمد -غالبًا- في تمويل مشروعاته على مؤسسات غربية.

---

(١) مركز المعلومات، **قائمة المطبوعات ١٩٩٦م**، (الكويت، المعهد العربي للتخطيط، ١٩٩٦م).

(٢) موقع المركز على الشبكة : www.caus.org

(٣) هلال، في إبراهيم وآخرين، مرجع سابق، ص٣٧-٣٩.

(٤) http://forumtiersmonde.net

(٥) يأتي تعريفٌ بهذا المشروع، ص٢٧١.

٥-الجمعية المغربية للدراسات المستقبلية[١]، في المغرب :

تأسست عام (١٩٧٩م) في الرباط، وتضم نحو (٤٠٠) عضو من المفكرين والمسؤولين في القطاع العام والخاص، ويصدر عنها عدد من المنشورات[٢].

٦-منتدى الفكر العربي، في الأردن:

تأسس عام (١٩٨١م)، في عَمَّان، وهو جمعية أهلية، فكرية، ثقافية، علمية، تنموية؛ ومن أهدافه: دراسة العلاقات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية في الوطن العربي والدول الاسلامية، والاهتمام بالفكرالعربي المعاصر، وتطويره، ونشره، وترسيخ الوعي خاصة فيما يتعلق بقضايا الوحدة القومية المشتركة[٣].

قام المنتدى بمشروع كبير في استشراف مستقبل التعليم في الوطن العربي[٤]، وهو جزء من برنامجه حول الدراسات الاستراتيجية المستقبلية[٥]، وصدر عن المنتدى جملة من الدراسات المتعلقة بمستقبل التعليم، وفي قضايا أخرى عامة.

٧-مركز دراسات المستقبل الإسلامي (١٩٨٩م)، في بريطانيا :

تعاون في إنشائه مجموعة من المفكرين المسلمين[٦]، عام (١٩٨٩م)، ومقره (لندن)، وعَقد ندوة عن قضايا المستقبل الإسلامي، في الجزائر عام (١٩٩٠م)، واتفق المشاركون في بيانهم الختامي على برنامج لأولويات الأمة الإسلامية ومن أهم نقاطه: ضرورة ترسيخ الدراسات المستقبلية في حياتنا الثقافية، والعلمية، والسياسية[٧].

---

(١) أو الجمعية المستقبلية المغربية.

(٢) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٣٤.

(٣) www.arabdecision.org

(٤) يأتي تعريف بهذا المشروع، ص٢٧٢.

(٥) سعد الدين إبراهيم (تحرير)، **تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين : الكارثة أو الأمل؟** التقرير التلخيصي لمشروع مستقبل التعليم في الوطن العربي، (عمان، منتدى الفكر العربي، ١٩٩١م)، ص١٠.

(٦) يوسف القرضاوي، **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**، ط١٢، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١١هـ)، ص٧؛ ومركز دراسات المستقبل الإسلامي، **المستقبل الإسلامي**، كتاب غير دوري، العدد٣، (محرم/ ١٤١٣هـ)، (الجزائر، دار المستقبل، ١٤١٣هـ)، ص١٦٨.

(٧) مركز دراسات المستقبل الإسلامي، مرجع سابق، ص١٦٨-١٦٩.

ولم يَر الباحث أن للمركز عناية تخصصية بالدراسات المستقبلية، ولم يُعن في أعماله بتطبيق الأساليب والمناهج المتبعة في الدراسات المستقبلية، فهو كغيره من مراكز البحوث غير المستقبلية.

٨-مركز دراسات المستقبل الإسلامي (١٩٩٩م)، في بريطانيا :

تأسس عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، في بريطانيا، وهو مؤسسة علمية مستقلة، يهدف إلى الإسهام في سد جزء من الفراغ الذي تعاني منه ساحة البحث العلمي الإسلامية في مجال الدراسات المستقبلية، ومما يصدر عنه: مجلة (المستقبلية) الفصلية، وسلسلة (كتاب المستقبل) الشهري، ويضم المركز هيئة استشارية، مكونة من (٢٠) شخصية إسلامية، من (١٢) بلدًا، كإيران، ولبنان، والعراق، ومصر، وغيرها، والمشرف العام للمركز مهدي العطار، رئيس مؤسسة الرسول الأعظم العلمية وحوزة أهل البيت[١].

ويظهر أن المركز يجمع خليطًا من أهل السنة والرافضة، ولم يظهر للباحث عناية المركز بأسس الدراسات المستقبلية.

٩-مركز دراسات المستقبل، في جامعة أسيوط، في مصر[٢]:

أنشئ عام (١٩٩٤م)، في جامعة أسيوط، في جمهورية مصر العربية، ومن أهدافه: الاهتمام باستشراف المستقبل ودراسة الخيارت الاجتماعية، والسياسية، وتحديد المتغيرات الحاكمة لحركة المستقبل، وتقديم أفضل البدائل الممكنة لترشيد القررات والتحكم في مسار التحولات المستقبلية، ووضع ذلك تحت تصرف دوائر صناعة القرار.

ويصدر عن المركز مجلة نصف سنوية، محكمة، بعنوان: (دراسات مستقبلية)، تعالج القضايا المستقبلية في ميادين العلوم الإنسانية، وله إصدارات أخرى، منها : كتاب (التطرف في أسيوط ومصر وطرق المواجهة المستقبلية).

---

(١) موقع المركز على الشبكة : www.islamicfuture.net

(٢) مركز دراسات المستقبل، في مجلة "دراسات مستقبلية"، ، جامعة أسيوط، أسيوط: العدد ١، (يوليو/ ١٩٩٦م)، ص٢٤٧-٢٥٠.

١٠-معهد الخليج للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية، في الكويت[١]:

أنشئ حديثًا في الكويت، يرأسه إسماعيل خضر الشطي، منسق جمعية المستقبل العالمية في منطقة الخليج، والمعهد مؤسسة بحثية، غير ربحية، تُعنى بمتابعة تطور مجريات الأحداث في منطقة الخليج، بالرصد والتحليل، والاستشراف، وتسعى لإدماج التفكير المستقبلي في طرق صنع القرار.

ويضم المعهد فريقًا مدرَبًا على أحدث الأساليب في الدراسات المستقبلية، ويقدم خدماته في المجالات المستقبلية والاستراتيجية ضمن دائرة دول مجلس التعاون الخليجي، وفي إطار من المسؤولية والاستقلالية، وللمعهد علاقات وثيقة مع بعض مراكز الدراسات المستقبلية العالمية، في مصر، وباكستان، والهند، وفرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية.

ويقوم المعهد بإجراء بحوث ودراسات مستقبلية في مجالات مختلفة، ولمدد زمنية مختلفة، ويقدم خدمات في فحص الآثار المستقبلية للقرارات والأنظمة؛ لتمحيصها وتفادي بعض سلبياتها، قبل سنِّها واعتمادها، وينظِّم المعهد -بصفة دورية- دورات تدريبية في مجال المستقبليات؛ تهدف لإكساب مهارات في التفكير المستقبلي والتخطيط الاستراتيجي، يُفيد منها متخذو القرارات الاستراتيجية والعاملين في مجال التخطيط.

---

(١) موقع المعهد على الشبكة : www.gulf-futures.org

خاتمة:

اتضح في هذا الفصل أن النظر المستقبلي كان قديمًا مع الإنسان، وازدادت العناية به في منتصف القرن الميلادي المنصرم، من حيث إيجاد مناهج علمية له، وأساليب ذات كفاءة أقدر على التوقع، وكان للمؤسسات العسكرية الجهد الأساس في حفز العلماء والمختصين لإيجاد ذلك.

وقد تسابق العالم إلى المعرفة بهذه المناهج والأساليب، فأنشؤوا مراكز للدراسات المستقبلية، وأقسامًا دراسية في بعض الجامعات، وكانت جهود العالم الإسلامي في هذا ضعيفة جدًا، ومتأخرة وقتًا.

الفصل الثاني

أهداف الدراسات المستقبلية ، وأهميتها ، وأهم نظرياتها

المبحث الأول : أهداف الدراسات المستقبلية

المبحث الثاني : أهمية الدراسات المستقبلية

المبحث الثالث : أهم نظريات الدراسات المستقبلية

المبحث الأول

أهداف الدراسات المستقبلية

تمهيد :

من الصعب جدًا حصر جميع الأهداف للدراسات المستقبلية؛ إذ لكل دراسة أهدافها الخاصة بها، وليست الدراسات في مجالات محددة بل تدخل أكثر الـــميادين والعلوم؛ ولذا سيكون الحديث هنا عن بعض الأهداف العامة التي تهدف إليها أكثر الدراسات المستقبلية على اختلاف مجالاتها وميادينها، أو التنبيه إلى بعض الأهداف الخاصة لأهميتها، وذلك كما يأتي:

المطلب الأول : إيجاد أساس سليم ورؤية أكثر وضوحًا تفيد في اتخـــاذ القـــرارات السليمة[(١)]:

الدراسات المستقبلية أداة فاعلة في مساعدة القادة ومتخذي القرارات علـــى اختيـــار القرارات والأفـــعال الرشيدة[(٢)]؛ فقدرة الدراسات المستقبلية على التطرق إلى الحاضر مـــن خلال حالة مستقبلية تُتصور أو تُتوقع تُتيح لهم حرية كبرى في الاختيار وتقدم لهم ضـــوابط أفضل للتحكم بالأحداث[(٣)].

يَذْكر (كورنيش) أن المستقبليين يؤكدون على أن مسألة الدراسة بكاملها للاحتمالات المستقبلية «هي لتحسين نوعية القرارات المتخذة الآن، فقرارات اليوم ستشكل عالم الغـــد، على أننا غالبًا ما نتخذ قرارات ونحن نبدي قليل اهتمام بتأثيراتها علـــى المســـتقبل بعيـــد الأمد»[(٤)].

---

(١) حافظ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص٩٩؛ وزاهر، **كيف تفكر النخبة العربيـــة في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٧؛ ونفسه، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص١٥، نقلاً عن: Harold G. Shane, Op. Cit., P. 1.

(٢) بتصرف، محمد نبيل نوفل، **تأملات في مستقبل التعليم العالي**، (القاهرة والكويـــت، مركـــز ابـــن خلـــدون للدراسات الإنمائية ودار سعاد الصباح، ١٩٩٢م)، ص١١؛ وزاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجـــع ســـابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص١٥، ١٧، نقلاً عن: Harold G. Shane, Op. Cit., P. 1

(٣) حسن أوزبخان، "انتصار التكنولوجيا: كلمة (يستطيع) تعني (يجـــب)"، في روْي وآخـــرَين، مرجـــع ســـابق، ص١٨٧.

(٤) مرجع سابق، ص ١٩٨-١٩٩.

فمهمة الدراسات المستقبلية لا تكمن في إصدار توقعات، بل يتجلى هدفها في تحديد الاتجاهات، وتخيل مستقبل مرغوب فيه، واقتراح الخطط المناسبة لتحويله إلى مستقبل ممكن؛ وهكذا فإن الأمر يتعلق بتسليط الأضواء على الاختيارات لمساعدة متخذي القرارات للتَّوجه نحو الأهداف بعيدة المدى، مع إطْلاعهم على التدابير الواجب اتخاذها في الحاضر للوصول إليها[1].

المطلب الثاني : إفادة التخطيط، وإيضاح الرؤية أمام واضعي الخطط وراسمي السياسات في شتى المجالات :

وهذا من الأهداف الرئيسة للدراسات المستقبلية، وهو أعمُّ من الهدف السابق، فالدراسات المستقبلية تقدِّم للقائمين على شؤون التخطيط المعلومات الضرورية التي تساعد في وضع الخطط وتبني السياسات المناسبة خلال مدَّة الخطة، وضبط عمليات التغيير بحيث تؤدي إلى الاقتراب الأمثل -بمشيئة الله تعالى- من صورة المستقبل المرغوبة[2].

فليس همُّ هذه الدراسات المحدَثة التي تستشرف الغد، أن تتوقعه فحسب، بل لِتجعل من ذلك أداة لرسم (صورة ممكنة للمستقبل)، فتضع المسؤولين عن التخطيط لسياسة الأمم والدول أمام الاختيارات المتباينة التي يمكن أن يختاروها والتي تؤثر على صورة المستقبل، وأن تبيِّن لهم نتائج كل اختيار وثمنه[3].

فالدراسات المستقبلية تمثل «مرحلة من مراحل إعمال الفكر في شؤون المستقبل، ترسي أساسًا لمراحل أخرى أقرب إلى التخطيط أو التدبير»[4]. فهي إذن لا تمثل ترفًا علميًّا بل تمثل حاجة إلى التخطيط العلمي للمستقبل على المدى القريب والبعيد[5].

---

(١) المهدي المنجرة، "المغرب الكبير عام ٢٠٠٠"، في "المستقبل العربي"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: العدد٥٣، (١٩٨٣/٧م)، ص ٦؛ وينظر: عبد الفضيل، **حوار مع المستقبل**، مرجع سابق، ص١٥؛ وعلي نصار، "الدراسات المستقبلية: المفهوم والأساليب والممارسات"، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ١، (صفر/ ١٤١٨هـ)، ص٢٠.

(٢) القصير، في "أبحاث ندوة مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل"، مرجع سابق، ص ١٦٧؛ وروي أمارا، "علم المستقبليات إلى أين؟" في "الثقافة العالمية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ربيع الأول/ ١٤٠٢هـ)، ص٩٨.

(٣) عبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص١٨.

(٤) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص ٥٢٨ .

(٥) صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص٢١٤.

المطلب الثالث : محاولة تبيُّن صوَر المستقبل من أجل التأثير في مسيرته، والتَّحكم بزمامه[1]:

وهذا الهدف يراه الباحث ناتجاً عن الهدفين السابقين ونابعًا منهما، ويعدُّه عبد الدائم أهم أهداف الدراسات المستقبلية[2]، بل قيل: إنَّه في صميم الدراسات المستقبلية[3].

فالدراسات المستقبلية تُسفر عن وجهين أو أكثر للمستقبل -من خلال ما ترسمه من (مشاهد)[4]-: وجه مرغوب محبوب، وآخر مخوف منبوذ، وتبقى بعد ذلك مهمة توجيه العوامل المؤثرة في المستقبل للحصول على الوجه الأول وتجنب الوجه الثاني[5]، حسب القدرة البشرية.

لذلك يجد المتصفحُ في كتابات عدد ممن يُنَظِّر للدراسات المستقبلية من الغربيين والعرب مصطلحات تُعَبِّر عن هذا الهدف، ومنهم من جعل بعضها عنوانًا لأحد مؤلفاته، ومن هذه المصطلحات: «اختراع المستقبل»[6]، «السيطرة على المستقبل»[7]، «توجيه المستقبل»[8]، «التحكم في زمامه»[9]، «التحكم في المستقبل»[10]، «الإمساك بالمستقبل»[11]،

---

(١) عبد الدائم، في "مجلة اتحاد الجامعات العربية"، مرجع سابق، العدد ٢٠، (ذو الحجة/ ١٤٠٥هـ) ص ١٣؛ وبريش، **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص١٠.

(٢) **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٤٣.

(٣) إيرين تافيس، "علم المستقبل ومشكلة القيم"، ترجمة زكريا إبراهيم، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ١، (شعبان/١٣٩٠هـ)، ص ٧٩-٨٠.

(٤) يُنظر تعريف (المشاهد) ص١٧٦.

(٥) بتصرف، عدنان الأمين، "الاتجاهات المستقبلية في الفكر التربوي العربي"، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد ١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٢٠٢؛ وعبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٣٣؛ وزاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص١٥.

(٦) سمَّى به (دينيس غابور Denis Gabor أحد علماء الفيزياء) كتابه الذي نُشر عام (١٩٦٣م)، ثم شاع استخدام هذا المصطلح لدى المهتمين بالدراسات المستقبلية. (حسن صعب، **العرب يدعون مستقبلهم**، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٠م)، ص١٥، ١٠٤؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٦٢).

(٧) فرانسوا هيتمان، **السيطرة على المستقبل**، ترجمة كمال خوري، (دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨١م)؛ وعبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٢٩.

(٨) الأمين، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد ١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٢٠٢.

(٩) بريش، **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص١٠.

(١٠) زاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص١٥.

(١١) هيتمان، مرجع سابق، ص٨٣.

«التأثير في مسيرته»[١]، «التأثير عليه»[٢]، «صناعة عالم أفضل»[٣]، «صناعة المستقبل»[٤]، «صنع المستقبل»[٥]، «بناء المستقبل»[٦]، «بـُناة المستقبل»[٧]؛ ولا شك أنَّه يجب على المسلم عند استخدامه لهذه المصطلحات أن يصطحب معه مشيئة الله تعالى النافذة، فلا تَحَوُّل للعبد من حال إلى حال إلا بالله سبحانه وتعالى، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع .

والمقصود أننا نحتاج الدراسات المستقبلية في السباق نحو المستقبل الأفضل، والبحث عن أسلم مسيرة نحوه، وأكثر الميزات قدرة على التنافس، وتنويع الخيارات أمام الأمَّة، واستدامة التنمية[٨].

لذا فالدراسات المستقبلية ليست مجرد هواية ممتعة لأناس يهتمون بالتأمل في مصيرهم، بل هي مطلب أساس لأي إنسان يرغب في السلوك سلوكـًا ذكـيًّا[٩].

والهدف من هذه الدراسات على مستوى الأمة: ألا تكون الأمة «مهزومة ولا مأزومة بل أمة منصورة ميسورة»[١٠].

«وحين أدرك الناس أن المستقبل لابد من دراسته إذا أراد الإنسان بناء عالم أفضل اندفعوا لإقامة المؤسسات ذات التوجه المستقبلي اللازمة لإنجاز مهمتهم»[١١].

---

(١) عبد الدائم، في "مجلة اتحاد الجامعات العربية"، مرجع سابق، العدد ٢٠، (ذو الحجة/ ١٤٠٥هـ)، ص ١٣.

(٢) نصار، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ١، (صفر/ ١٤١٨هـ)، ص٢٠.

(٣) نوفل، مرجع سابق، ص١١ .

(٤) حازم الببلاوي، **التغيير من أجل الاستقرار**، ط١، (القاهرة، دار الشروق، ١٤١٢هـ)، ص٣١؛ وأحمد علي الإمام، **المستقبل للإسلام**، كتاب الأمة، العدد ٤٦، (قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ربيع الأول ١٤١٦هـ)، ص٣٦؛ وينظر: توفلر، **صدمة المستقبل**، مرجع سابق، ص ٣٨؛ وحسن صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، ط١، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م)، ص ٨، ١٠٤، ١١٠.

(٥) فخري، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد ١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٢٢.

(٦) أندريه بوفر، **بناء المستقبل**، ترجمة أكرم ديري وبسام العسلي، (بيروت، المؤسسة العربية، ١٩٧٦م)؛ وعبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٣٣.

(٧) بروس بلفن، **بُناة المستقبل**، ترجمة إحسان أحمد القوصي، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، د.ت).

(٨) نصار، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ١، (صفر/ ١٤١٨هـ)، ص١٩.

(٩) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ١٨٣.

(١٠) صعب، **العرب يبدعون مستقبلهم**، مرجع سابق، ص ١٥؛ وينظر : عبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص١٨؛ ونوفل، مرجع سابق، ص١١.

(١١) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ١٨٣.

المطلب الرابع : محاولة السيطرة على النتائج السلبية للتقدم العلمي والتقني[١]:

تَدرس الدراسات المستقبلية النتائج السلبية التي يمكن أن تقع مستقبلاً أو تتفاقم بسبب خطورة المواد التي نتجت عن تقدم العلم، أو سوء الاستخدام لنتائج التقدم العلمي، وبخاصة سوء استخدامات الطاقة النووية في مجال التسلح، أو بسبب الاستخدام المتزايد للآلات التقنية التي بات العالم يستخدمها بأساليب مختلفة دون وعي كثير من مستخدميها بآثارها المدمرة على المدى الطويل على الإنسان والحيوان والنبات والجماد؛ وتحاول هذه الدراسات -من خلال حساباتها التراكمية- الوصول إلى حجم هذه الآثار، ثمّ نشر الوعي بها، وصياغة الحلول الكفيلة بالسيطرة على النتائج غير المرغوبة أو التقليل من آثارها[٢].

يقول نوفل: «إن الهدف النهائي لمحاولة استشراف المستقبل هو التمكن من السيطرة عليه وصناعة عالم أفضل يعيش فيه الإنسان»[٣].

ويقول (بِل): «الأهداف الأكثر شمولية وعمومية بالنسبة للدِّراسات المستقبلية: هي تحسين الحرية والصالح العام للبشر وإدامة ذلك، ويُضيف بعض المستقبليون: الصالح العام لجميع الكائنات الحية والنباتات ومحيط الأرض الحيوي»[٤].

وتَبْرز أهمية هذا الهدف في المبحث التالي لهذا.

---

(١) تافيس، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ١، (شعبان/١٣٩٠هـ)، ص ٧٢؛ ومحمد عاطف غيث، ومحمد علي محمد، **دراسات في التنمية والتخطيط الاجتماعي**، (بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٦هـ)، ص٢٠٧ .

(٢) بتصرف، غيث ومحمد، مرجع سابق، ص٢٠٧؛ ومحمد الخولي، **القرن الحادي والعشرون : الوعد والوعيد**، كتاب الهلال، العدد ٥٢٨، (القاهرة، دار الهلال، ديسمبر /١٩٩٤م)، ص٥٥.

(٣) مرجع سابق، ص١١؛ وينظر: عبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص١٨.

(٤) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.73.

المطلب الخامس: السباق للتفوق الحربي، وإحكام السيطرة العسكرية، واستعمار الشعوب بأساليب حديثة:

سبقت الإشارة[١] إلى أنَّ العامل الأساس في نشأة الدراسات المستقبلية كان الهدف العسكري؛ من أجل الحفاظ على الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية.

وكانت الغاية من إنشاء مؤسسة (راند) الأمريكية في أول الأمر هي: وضع دراسة موسعة للنُّظم الحربية المختلفة وتطورها في مجال الطيران بصورة خاصة، والحرب الجوية بين القارات، وأن تتضمن الدراسة توصيات بالوسائل والأدوات المفضلة للقوات الجوية الأمريكية[٢].

وأكثر المناهج والوسائل والأساليب البحثية التي تستخدمها المؤسسات التي تعنى بالدراسات المستقبلية قد أُحدثت «أو طورت أو طبقت أصلاً، وعلى مدى أوسع، في البحوث العسكرية»[٣] ، مثل (أسلوب المباراة)، و(أسلوب المحاكاة)، وإحداث النماذج واستعمالها، واعتماد الحاسب الآلي، وغير ذلك[٤].

ويَذكر المنجرة «أنه وحتى اليوم[٥]، قرابة الثلثين من الأبحاث حول المستقبل يقوم بها إما القطاع العسكري، وإما الشركات المتعددة الجنسية »[٦].

وبسبب هذا الهدف – وهو خدمة أغراض الأجهزة العسكرية ودوائر الاستخبارات- لقي عدد من المؤسسات الأمريكية احتجاجات وانتقادات من بعض الأوساط العلمية وبعض وسائل الإعلام في الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها[٧]«والتي أدت إلى انفصال عدد من هذه المؤسسات عن الجامعات أو فصل الجامعات لها»[٨].

---

(١) ص ٥٦ .

(٢) صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص ٢٢٤-٢٢٥، نقلاً عن البيان الآتي لمؤسسة (راند) بشأن نشاطها: The rand corporation, Nov 1963, Santa Monica, Cal, P. 40.
وهلال، في "السياسة الدولية"، مرجع سابق، العدد ٧٥، (يناير ١٩٨٤م)، ص٦٧-٦٩.

(٣) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٩٦؛ وينظر: صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص ٢٢٤-٢٢٥.

(٤) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٩٦ .

(٥) ذكره عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٦) **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص ٢٧٥.

(٧) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٩٧؛ ويُنظر:
Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.37.

(٨) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٩٧.

فمن أهداف هذه الدراسات إذن ما يمثل "وجهًا من وجوه «الاستعمار الجديد» الـذي يرمي إلى السيطرة على العالم الثالث[1] بوسائل الاقتصاد والعلم والإعـلام وسـواها مـن الأسلحة الجديدة النافذة ... إن هذه المحاولات لتحري المـستقبل، في الولايـات المتحـدة وسواها من الدول الغربية المتقدمة، إنما هي محاولات ... ترمي إلى «استعمار المـستقبل» أو الانتقال من استعمار الأرض إلى «استعمار الزمن»، وذلك بتجنيد طاقات الطبقات الحاكمة للتحكم في الاتجاهات العالمية الحاضرة والمقبلة وإخضاعها لمصالحها"[2]؛ وأن تجعل بونـًا شاسعًا بين تقدمها في جميع المجالات وبين تقدم بقية الشعوب، بل وتُوجه هذه الشعوب إلى سلسلة من المشاكل الـمُعيقة لتقدمها[3].

وذلك أصبح أولى بكثير من نشر الجيوش فوق بقاع الأرض، وإدارة شؤون سـكانها، وإفريقيا دليل حي على بشاعة الاستعمار المتحضر[4] الذي "ما زال يعصر القارة وسـكانها ويغذي النـزاعات بين أكثر من ٨٠٠ قبيلة مختلفة يتوزع عليها الأفارقة ليدير عجلة مصانعه الحربية، وحسب إحصاءات هيئة الأمم المتحدة فإن الدول الإفريقية (يُـستثنى مـن هـذه الإحصاءات الدول العربية) أنفقت عام ١٩٩٧[5] نحو ٧,٨٤ مليـار دولار (بمعـدل ١٤ دولارًا للفرد الواحد من سكان تلك الدول) لشراء الأسلحة، فيما تتراكم عليها ٢١٣ مليار دولار"[6] ديونـًا للدول الصناعية[7].

---

(١) "دول العالم الثالث هي مجموعة الدول التي لم تستفد من ثورة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الـصناعية أو ثورة القرن العشرين الاشتراكية"، والعالم الأول: هو الغرب الرأسمالي، والعالم الثاني: هو الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية، وقد استخدم هذه الاصطلاحات أصلاً: الفرنسي (الفريد سوفيه) عام ١٩٥٦م. (عبـد الوهـاب الكيّالي وآخرون، **موسوعة السياسة**، ط١، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسـات والنـشر، ١٩٨٣م) ج٣، ص٨٠١).

(٢) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٩٨.
وينظر: صفدي، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد ١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٥؛ و
Ziauddin Sardar, "Other Futures: Non- Western Cultures in Futures Studies", in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, P. 222.

(٣) صفدي، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد ١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٦.

(٤) محمد داود، www.islam-online.net

(٥) ميلادي، الموافق لعام (١٤١٧/ ١٤١٨هـ).

(٦) داود، مرجع سابق، www.islam-online.net

(٧) المرجع نفسه.

وذكر (بِل) أنَّ جمعًا من المستقبليين قد ركَّزوا جهودهم على مستقبل أفضل للإنسانية كافة، وتحدثوا بأنَّه لا ينبغي أن يُترك المستقبل لأولئك المستقبليين الاستثنائيين المحترفين مديرو الحرب الجدد الذين اشتملت (مشاهدهم) في الاحتمالات على مئات من الحروب النووية حتى عام (٢٠٤٤م)(١).

والدراسات المستقبلية التي تُجرى لهذا الهدف ونحوه يطلق عليها المنجرة اسم (مستقبلية الانتهاز) على المستوى الوطني، و(مستقبلية الاحتكار) على المستوى الدولي(٢).

وينقد ضياء الدين سردار الطريقة الغربية الاستعمارية في الدراسات المستقبلية بشكل عام التي تقوم على تعريف الأشياء حسب مفهومها وما تريد(٣)، وأنَّ على الثقافات الأخرى أن تقبل هذه التعريفات وترضخ للاستعباد والتبعية، ويقول: «لهذا السبب فإن العديد من الدراسات المستقبلية عقيمة وتافهة ... فقد أصبحت ... استعمارية وفروع مُستعبِدة؛ لهذا فإنَّها بشكل عام لا معنى لها لدى الغالبية العظمى من الناس في العالم الثالث»(٤).

(١) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit, Vol. 1, P.36.

(٢) **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص ١٨٨.

(٣) مثل: حقوق الإنسان، والحرية، والمساواة، ونحو ذلك.

(٤) Sardar, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, P. 224.

المبحث الثاني

أهمية الدراسات المستقبلية

تمهيد :

لقد أوضحَتْ أهداف الدراسات المستقبلية في المبحث السابق جوانب من أهمية هذه الدراسات، كما يُبرِزُ عددٌ من مباحث الرسالة -بعامة- أهميتها، لكن جاء عقد هذا المبحث لبيان أهمِّ الركائز الأساسية التي ظهرت معها هذه الأهمية لها، وهي: التغير الجذري السريع، والتهيئة للمستقبل، وإفادة الحاضر، وضخامة التحديات التي تواجه البشر، وكونها تتناول الحاضر الآتي، وبيانها على النحو الآتي:

المطلب الأول : التغير الجذري السريع المتتابع والشامل، والحاجة إلى مواكبته واستباقه:

لقد كان تاريخ الناس - قبل العصر الحديث الذي ظهرت فيه الاكتشافات والاختراعات العلمية - يتصف بتراخي الزمان وتباطؤ الأحداث، فعام الناس الحاضر مثل الذي قبله، ومظاهر نشاطهم وعاداتهم وحياتهم لا ترى فيها تغيُّرًا يذكر[1]؛ بينما تميَّز العصر الحديث بتحول جذري في مدى تسارع الأحداث، وأصبحت الحوادث تحدث والأمور تتغير في أيام بل ساعات، وأصبحت الساعة في حسابنا اليوم تساوي سنة أو يزيد في حساب السابقين[2]؛ وتُعزى أسباب هذا التغير الجذري إلى التقدم العلمي التقني بالدرجة الأولى[3]، ثم ما أحدثه الإنسان من أنظمة اجتماعية وهيئات كان لها أثر رئيس في التغير الاجتماعي، مثل هيئة الأمم المتحدة[4]، وما تفرع عنها من منظمات.

---

(١) فخري، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد ١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٢٣؛ والببلاوي، مرجع سابق، ص١٩؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٠٤.

(٢) بتصرف، فخري، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد ١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٢٣؛ والببلاوي، مرجع سابق، ص١٩؛ والمنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص١٤، ٤١.

(٣) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص١٠٧-١٠٨؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ١٩.

(٤) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٠.

ويحدد أحدهم الفترة التي مر بــها العصر الحديث بالتغير السريع بأنــها ما بين عــام (١٨٠٠م) إلى (١٩٥٠م)، أما عام (١٩٥٠م) فإنه بداية التغير الجذري[1].

إنَّ إعصار التغيير يجتاح المؤسسات الإنسانية كافة، فيقلب ويدمر ويوجد في خلال جيل واحد أكثر مما أنجزه خلال قرون أو حتى خلال آلاف السنين[2]، «قال مــدير تنفيــذي في شركة أدوية : اعتدنا أن نحرز تقدمًا رئيسيًّا كل ٢٥ سنة، أما الآن فلدينا تقــدم كــل ٢٤ ساعة »[3] .

فالأمم اليوم تعيش مرحلة جديدة من حياتها تختلف في كثير من معالمها عما عهدتــه في سابق تاريخها وتجاربــها[4]، فهي تمر بأسرع تغير في تاريخها «لا يقارن به أي تغير ســابق، سواء في المدى أو في السرعة »[5]، ويُشَاهَد في الأفــراد والجماعــات والأمــم والســلوك والأخلاق والعلوم والمناهج والنظريات وكافة أنشطة المجتمع[6] .

لذا تبرز أهمية الدراسات المستقبلية في مواجهة التغير بأمور، أهمها ما يأتي:

١-أنها أصبحت ضرورة لبيان طُرُق توجيه التغير السريع في الاتجاهات المرغوبة، وحرفه عن الاتجاهات غير المرغوبة أو على الأقل التقليل من حدته فيها[7]، ويُضيف الباحث: سواء كان التغير بسبب التقدم الذي تشهده حضارة اليوم أو كان تغييرًا موجهًا من أمة إلى أمة، والدراسات المستقبلية تدرس اتجاهات التغير أو التغيير وإمكانات أهل القدرة على الحد والتوجيه والتغيير المضاد.

٢-إن التغير السريع يوجِد عددًا من التطورات والمشكلات الاجتماعية التي تأخذ شكلاً تصاعديــًّا مضاعفًا باستمرار فهي تتغذى على ذاتها حيث ينتج عن كل مشكلة

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٦.

(٢) نفسه، ص ١١.

(٣) نفسه، ص ٢٨.

(٤) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٥) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ١٧.
وينظر: هلال، في إبراهيم وآخرين، مرجع سابق، ص٢٣.

(٦) إبراهيم عباس، **مقدمة في ظاهرة التغيير**، ط١، (د.م، مكتبة الصفدي، ١٤١٢هـــ)، ص٥؛ وهلال، في إبراهيم وآخرين، مرجع سابق، ص٢٣.

(٧) بتصرف، بريش، **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص٣٤.
وينظر: محمد عبد المنعم شلبي، "الدراسات المستقبلية العربية: عرض نقدي وتصــورات مقترحــة"، في "نــدوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص ٧٢.

مشكلات عديدة، وذلك يواجه القادة وأهل الحل والعقد في المجتمع بمسائل مستعجلة تتطلب قرارات فورية، فيصدرونها من غير دراسة وتأن، ويعتذرون لأنفسهم عند ضعف قراراتهم أو مجانبتها الصواب بأنهم لم يكن أمامهم أي خيار آخر وهم أمام ضرورة مُلِحَّة، وتتمثل أهمية الدراسات المستقبلية هنا بأنها تبرز أخطار هذه المشكلات، وما يُتوقع أن ينتج عنها من مشكلات أخرى، وسبل العلاج، ثم توضع نتائج هذه الدراسات بين يدي القادة فيفيدون منها بترشيد قراراتهم ويدركون حقيقة الأوضاع الجديدة الناشئة وهي في مهدها قبل أن تنمو وتتطور وتصل إلى حد يصعب معه التحكم فيها[١]، يقول (سردار): «المجتمع الذي ينساق باستمرار مع تغيير وراء تغيير سوف يتحول من أزمة إلى أزمة إلى أن يصل إلى أزمة لا مخرج منها »[٢] حتى يتداركه الله برحمته. إنَّه «كلما تأخر الإنسان في الاستعداد لمواجهة المشاكل، صعب عليه حلها. أما إذا توقع الإنسان حدوث المشكل واستعد له »[٣] سهلت عليه معالجته[٤]، وتنوعت الحلول أمامه.

وبتعبير آخر حسب منطق الدراسات المستقبلية : فإن (البدائل) و(الخيارات) مصطلحان رئيسان في الدراسات المستقبلية، و(البدائل) تعني: المشاهد والأحداث المستقبلية المحتملة وخط تطورها واتجاهها، بينما تعني (الخيارات): الانتقاء من مجال مُعطى؛ فكلما كان مجال البدائل أوسع كانت الخيارات أكثر، وكلما ازداد الوقت المُنفق في فهم البدائل ووضعها ضمن إطار مفاهيم كلما كانت الخيارات أكثر تنوعًا[٥]، و«ازدادت احتمالية القرارات الإيجابية ذات الأثر الدائم »[٦].

---

(١) بتصرف، هيتمان، مرجع سابق، ص٩؛ وعبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص ١٧٤؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٧٠؛ و Hugues de Jouvenel, "The Futuribles Group" in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P.8.

(٢) Ziauddin Sardar, **Islamic futures** : The Shape of Ideas to Come, First published, (London and New York, Mansell Publishing Limited, 1985)., P. 4.

(٣) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٤١.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) Slaughter, **Futures: Tools and Techniques**, Op. Cit., P. 20.

(٦) Jerome C. Glenn, "Participatory Methodology", (1994), in: American Council for The United Nations University, The Millennium Project, **Futures Research Methodology**, CD-ROM (Washington, D.C, American Council for The United Nations University, 1999), P.3.

ويذكر (لادا) أنّ الدراسات المستقبلية الاجتماعية قد أسهمت فعلاً في الإسراع في اتخاذ القرارات بشكل كبير[1].

٣-وإن التأخر في اتخاذ القرارات الملائمة الموصلة للغايات المنشودة، لا يعني تأخرًا زمنيًا مماثلاً في تحقيق النتائج، بل تأخرها لفترة أطول، أو عدم إمكان تحقيقها والتوصل إليها على الإطلاق[2]؛ بل قد يتكون المستقبل سلبًا بالإحجام عن قرار بنحو القدر الذي يتكون به إيجابًا عندما نتخذ فيه قرارًا[3]، فليس من طبيعة الحياة التوقف في زمن البُطء فكيف في زمن السرعة. لكن عندما يحدث الحدث وقد اتخذنا بشأنه قرارًا فإن تكونه يكون أقرب إلى ما نريد، وإذا أهملناه كان أبعد عما نريد، وكما يقول (سردار): «إننا بحاجة لفهم الرؤى المستقبلية في الحاضر؛ لنتمكن من اتخاذ الفعل الملائم لتحويلها إلى وقائع. كما أنّ تقدم الوقت بحد ذاته لا يُحوِّل المستقبل المرغوب إلى واقع، ولا يزيد معرفتنا بالمستقبل»[4].

فالدراسات المستقبلية كما يقول المنجرة: «مسألة تسيير، وليس هناك إلا نوعان من التسيير. التسيير بالأهداف... أو تسيير مبني على الكوارث، أي تنتظر حتى تحصل الكارثة لتحاول أن تواجهها»[5].

المطلب الثاني: تهيئة الإنسان للمستقبل ليصبح قادرًا على التعامل معه والتكيف الإيجابي مع متغيراته:

وهذه الفائدة مكملة للفائدة السابقة، فإنّ «التسارع الرهيب، الذي أصبح الصفة اللاصقة بعملية التغيير في وقتنا الحاضر، قد أصبح في حد ذاته قوة أساسية. فلهذا الاندفاع المتسارع تأثيراته الذاتية ومعقباته الخطيرة في النواحي النفسية والاجتماعية»[6].

وحول التغيُّر السريع ومن أجل التهيئة للتَّكيف معه ألَّف (توفلر) كتابه (صدمة المستقبل)، ويُفصح عن هدفه من تأليفه بقوله: «هو المعاونة على أن نتوافق مع المستقبل، وأن

---

(١) لادا، في "رسالة اليونسكو"، مرجع سابق، العدد ١١٩، (مايو/ ١٩٧١م)، ص٢٤.

(٢) عبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص١٢-١٣.

(٣) أُفيد مبدأ الفكرة من:

Hugues de Jouvenel, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P.13.

(٤) Sardar, **Islamic futures**, Op. Cit., P. 3.

(٥) **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٤١.

(٦) توفلر، **صدمة المستقبل**، مرجع سابق، ص١.

نتكيف بفعالية أكثر مع التغييرات التي تواجه الفرد والمجتمع عن طريق تعميق فهمنا لكيفية تجاوب الإنسان معها»[1]، ويقول: «هذا الكتاب مصمم لينمي الوعي المستقبلي لدى القارئ»[2].

و(صدمة المستقبل) يعدُّها مرضًا نفسيًّا يواجه الأفراد والمجتمعات بسبب التغير المتسارع، الذي يُحدث عملية تركيب ثقافة جديدة فوق أخرى قديمة[3]، ويصف بهذا المصطلح ما يصيب الأفراد من التشتت والتمزق عندما تُفرض عليهم تغيرات كثيرة جدًّا، خلال زمن قليل جدًّا[4].

إن (صدمة المستقبل) أشبه ما تكون (بصدمة الثقافة) التي أصبحت تعبيرًا شائعًا لدى كثير من الباحثين[5]، وهي تَـعْني «ذلك التأثير الذي يحدث للغريب عندما يجد نفسه فجأة، وبلا استعداد سابق، وسط ثقافة غريبة عليه»[6]؛ فتسبب له القطيعة مع واقعه، والإدراك الخطأ له، وعدم القدرة على المواجهة، ومع كل ذلك فصدمة الثقافة تعتبر شيئًا هينًا إذا ما قورنت بالمرض الأحدث والأخطر: (صدمة المستقبل)، حيث يعجز معها المرء عن التكيف مع مستجدات المستقبل، ومن ثم فقد تكون هذه الصدمة هي أخطر أمراض الغد[7].

وإذا استمرت وتائر المضاعفة في التغير على ما هي عليه اليوم «فإن الفرد يجد نفسه في كل عقد جديد من حياته في مجتمع مختلف اختلافًا جوهريًّا في حين يجد نفسه خلال حياته وقد تجاوزته وسحقته عمليات تنقض عليه بوتيرة تتحدى إدراكه وتصوره»[8].

يقول (توفلر): إن كتابه (صدمة المستقبل) «يطرح بقوة قضية خلاصتها: أننا-نحن البشر- إذا لم نستطع أن نتحكم في معدلات التغيير في شؤوننا الخاصة، وفي المجتمع ككل،

---

(١) المرجع نفسه، ص٣.

(٢) نفسه، ص٤.

(٣) نفسه، ص١٠-١١.

(٤) نفسه، ص٢.

(٥) نفسه، ص١٠.

(٦) نفسه.

(٧) توفلر، **صدمة المستقبل**، مرجع سابق، ص١١؛ والببلاوي، مرجع سابق، ص١٧-١٨.

(٨) هيتمان، مرجع سابق، ص٩؛ ويُنظر: الببلاوي، مرجع سابق، ص١٧-١٨.

فإنه مقضي علينا لا محالة بالتعرض للانهيار الجماعي كنتيجة لعجزنا عن التكيف مع عملية التغيير»[1].

فإمَّا أن يحتمل الإنسانُ «التغيير وإما أن يسيطر عليه، فلكي يسيطر على التغيير يجب على الإنسان أن يغير نفسه وأن يتبنى تبنيًا كاملاً حياة التجديد سواء مع المستوى الفردي أو مع المستوى الاجتماعي»[2].

«إنَّ تجاهل التحديات الجديدة المتسارعة وعدم إحداث الاستجابات الملائمة لها، سيعني نوعًا من توقف النمو، ثم الظمور والتآكل»[3].

واليوم يعاني أناس كثيرون من (صدمة المستقبل) بسبب وتيرة التغير السريعة، فباتوا غرباءَ في مجتمعهم الغريب عليهم، وأصبحوا -إلى حد كبير- غيرَ أكْفاء في التعامل بنجاح مع الحياة[4].

ولكي يعيش الناس حياة ناجحة يجب عليهم أولاً: أن يدركوا أن المجتمع يتغيّر، وثانيًا: أن يكونوا مستعدين للتكيف معه باستمرار، فهم مع التغيرات المقبلة سيحتاجون إلى اكتساب الجديد من المهارات والعلوم من أجل التعايش بنجاح في المجتمع[5] .

والدراسات المستقبلية توفِّر الوسائل المساعدة في تحقيق الأمرين الآنفين، فبها يتجلى - بشكل تقريبي- حجم التغير المحتمل في المجتمع ونوعه وسرعته، وهي -كما يذكر (كورنيش) وغيره- تحاول أن تجعل الناس يألفون الأشياء التي قد يواجهونها مستقبلاً مما يساعد على توفير التهيئة النفسية، وتمنحهم الثقة اللازمة للتقرب من المشاكل بإثارة واهتمام بدل الخوف والفزع[6].

ويُزيل الباحث اللبس المحتمل من هذا بأنه ليس المراد أن تُهيأ النفوس لقبول الشرور والوقوع في الآثام، ولكن التهيئة لمعرفة كيفية التعامل مع الحوادث المستقبلية، وسُبل الإفادة

---

(١) توفلر، **صدمة المستقبل**، مرجع سابق، ص٢.

(٢) هيتمان، مرجع سابق، ص٢٩؛ ويُنظر: الببلاوي، مرجع سابق، ص١٧-١٨.

(٣) عبد الكريم بكار، **رؤى ثقافية**، ط١، (الرياض، دار المسلم، ١٤٢١هـ)، ص ٦٨؛ ويُنظر: الببلاوي، مرجع سابق، ص١٧-١٨.

(٤) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٤٢٦.

(٥) المرجع نفسه، ص٤٢٥، ٤٢٦.

(٦) نفسه، ص٤٢٦-٤٢٧؛ وحسيب وآخرون، مرجع سابق، ص٥٤٣.

القصوى من خير ما فيها، وتجنب أكبر قدر ممكن من شر ما فيها إذا لم يمكن ردُّ الشر من أساسه. على أن هذا لا ينفي أن تكون بعض الدراسات المستقبلية أو ما يخدمها من دراسات أخرى تهدف إلى التهيئة لقبول أمر ما ومباشرته. فالتهيئة إذن يمكن أن تستخدم لأهداف حسنة وأهداف سيئة.

فالتكيف هو «التعديلات التي نقوم بها كي نظل متوافقين مع التعديلات التي تطرأ على بيئتنا[1] -بالمعنى الواسع- حتى لا نفقد زمام السيطرة عليها. التكيف المتوازن هو الذي يبقي علي الذات الثقافية واضحة حية متماسكة، ويفتح أمامها في الوقت نفسه سبل استيعاب المتغيرات الجديدة، إلى جانب نوع من العمل ضمن أطرها ومعطياتها، مع الاحتفاظ بالقدرة على تعديلها»[2].

والدراسات «المستقبلية هي تفكر بما سيكون عليه احتياج الغد حتى نتهيأ له ونرسم خطوط مواجهته ونتخطى بذلك صدمات مفاجآته قدر إمكاننا»[3] . يقول البِبْلاوي: «التغيير ليس فقط ابن الإنسان ولكنه أيضًا أبوه. والويل كل الويل لكل ابن عاق أنكر التغيير أو تخلف عن اللحاق به»[4]؛ فلا يحسن بالإنسان أن يدع التغيير يتجاوزه، فهذا من الخطأ الكبير[5].

وأقدر الناس على التكيف مع طبيعة العصر هم الذين أصبح استشراف المستقبل لديهم عادة، إنهم يستبقون الجديد ويسارعون إلى التكيف معه، هؤلاء هم أشبه ما يكونون بالسائق الذي يتعرف إلى خارطة الطريق قبل أن يجتازها، إن أمثال هؤلاء أقرب إلى النجاح من الذين يسيرون غير عارفين بالطريق التي سيجتازونها[6].

---

(١) البيئة: هي ما يحيط بالإنسان من كل جانب، فالأرض وما حوت، والسماء وما وسعت، وما بينهما، كله بيئة، ويدخل في ذلك الدواب والطيور. (شوقي أحمد دنيا، "الإسلام وحماية البيئة"، في "البحوث الفقهية المعاصرة"، عبد الرحمن بن حسن النفيسة، الرياض: العدد ٤٨، (رجب – رمضان، ١٤٢١هـ)، ص ٣٦-٣٧).

(٢) بكار، **رؤى ثقافية**، مرجع سابق، ص٦٨.

(٣) صالح بن عبد الرحمن العذل (مقدم)، في المشيقح، مرجع سابق، ص٥-٦.

(٤) مرجع سابق، ص ٢٠.

(٥) هيتمان، مرجع سابق، ص١٦.

(٦) ضعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص١٠٧-١٠٨.

المطلب الثالث : إفادة الحاضر :

قد يظن بعض الناس أن الاهتمام بالمستقبل ودراساته إنما هو هروب من حاضر مؤلم عسير، ومن هـــموم الحضارة ومصاعب الحياة إلى نعيم متوهم وحِمى بعيد نتعزى به، تاركين مشاكل حاضرنا حالمين بشروق مستقبلنا، في ظِل (مستقبلية تخديرية) كما يُسمِّيها المنجرة، وليس الأمر كذلك، بل للدراسات المستقبلية فوائد تعود على الحاضر قبل أن تكون عائدة على المستقبل(١)، ومن تلك الفوائد ما يأتي:

١-توجيه سلوك الفرد والجماعة واهتماماتهم :

يُسهم نشر الدراسات المستقبلية في توجيه سلوك الفرد والجماعة في الحاضر(٢)، فكل فرد سوي ومجتمع ينطلق في تصرفاته من خلال الصورة التي يُكِـــنُّها للمستقبل(٣)، ويتحقق ذلك الإسهام – حسب رأي الباحث – بمدى إيماهم بجدوى نتائج الدراسات، وحرصهم على ما ينفعهم ومجتمعَهم؛ "والإنسان ، بافتراضه المستقبل، يحتمل حاضره ويطيقه ويجعل ماضيه ذا معنى»(٤)؛ بل إنَّ هذه الدراسات تـــحضنا على دراسة الماضي وتلمس عِبره وتبصُّر بصائره، يقول زريق: إنَّ «الماضي والمستقبل يتفاعلان في النفس الإنسانية. على أن فعل الأول منهما لا يوازي فعل الثاني ولا يرتفع إلى مرتبته. فإن تسلط الماضي قلَّما يقود بذاتـــه إلى التحفـــز لاستطلاع المستقبل والإقبال على سلوك مجاهله. أمَّا الاهتمام بالمســـتقبل والتســـاؤل عـــن المصير، فإنه يؤدي غالـــبًا إلى محاولة استعادة الماضي وإلى إحياء التراث وتقييمه لإدراك معناه ولاستلهامه في صنع الحياة الحاضرة والمقبلة»(٥).

---

(١) بتصرف، عبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص١٥-١٦؛ والمنجرة، "من أجـــل استعمال ملائم للدِّراسات المستقبلية"، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص٤.

(٢) بتصرف، مريم أحمد مصطفى، والسيد عبد العاطي السيد، والسيد رشاد غنيم، **التغير ودراسة المســـتقبل**، (د.م، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م)، ص٣٧٢ .

(٣) صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص١٠٧، نقلاً عن:

L .Hadjotlache ،**Steiner et la Pensee Au 21 eme Siecle**, Fischbacher, Paris, 1972, P.66.

وزريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص١٢؛ وينظر:

Slaughter, **Futures: Tools and Techniques**, Op. Cit., P.11.

(٤) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٣٢٨، نقلاً عن: ماكهيل، مستقبل المستقبل (The Future of Future).

(٥) **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٢٣.

والمستقبليون -كما قيل عنهم-: يقومون «بغزل أحلام المستقبل للمساعدة في توجيه الفعل»[١].

وفي استبانة شملت مجموعة من المستقبليين أُجريت عامي (١٩٧١-١٩٧٢م)، قال (٨٧٪) منهم: إنَّهم وَجَّهوا دراساقم المستقبلية نحو إحداث التغيير في الحاضر[٢].

ومن الأمثلة على مستوى الدولة في قُدرة الدراسات المستقبلية في توجيه سياساتها في الحاضر: أنه إذا كانت دولة يعتمد جُلُّ اقتصادها على النفط، وأبانت الدراسة المستقبلية أنه سينضب بعد عشر سنين، فإن السياسة الاقتصادية لها ستتغير بناء على هذه الدراسة[٣].

وتذكر (ماسيني) أنَّ بعض الباحثين يرى أنَّ «هذه الدراسات وسيلة بنَّاءة للمشاركة في تغيير الوضع الحالي المتباين بين الدول الصناعية والدول النامية[٤]، وبين الدول النامية فيما بينها »[٥].

ويوافقهم الباحث في الشّق الأخير، وفيما بين الدول الصناعية أيضًا، أما بين الدول الصناعية والنامية فيخالفهم؛ كيف لا ومن أهداف الدراسات المستقبلية المعلَنة وغير المعلنة: (استعمار الغرب الشعوبَ بأساليب حديثة وإبقاء تبعيتها له)، وكما يقول (سردار) عن عدد من الدراسات: إنها تحاول «إغلاق المستقبل ضد أي شيء عدا الاحتمالات الغربية أو بدائلها»[٦]، فالمستقبل « يُقدَّم على أنه تحدٍّ غربي وعلى أنه فرصة غربية، أما نتائج غير الغربي فإنها تأتي على شكل سلبي، على أنها قديد الحضارة »[٧].

---

(١) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.172.

(٢) Ibid., P.89. by: John Mchale, "A Continuation of the Typological Survey of Futures Research, U.S." Division of Special Mental Health Programs, Center for Studies of Metropolitan Problems, National Institute of Mental Health (mimeographed). P.19.

(٣) محمد مصطفى الفولي، "علم المستقبل والإنسان"، في "الجديد"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: العدد١٦، (سبتمبر/ ١٩٧٢م)، ص٣٩.

(٤) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 1.

(٥) **الدولة النامية** : هي "التي لم تصل بعد إلى مرحلة النمو الاقتصادي التي تتميز بنمو التصنيع إلى مستوى لائق، وبمستوى للدخل القومي يكفي لتحقيق المدخرات الداخلية التي يحتاجها النشاط الاقتصادي لتمويل الاستثمارات الضرورية للمحافظة على تصاعد النمو". (عبد العزيز فهمي هيكل، **موسوعة المصطلحات الاقتصادية والإحصائية**، (بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٦هـ)، ص٢٣٨).

(٦) Sardar, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, P. 220.

(٧) Ibid., Vol. 1, P. 217.

ومن الفوائد الخاصة هنا أن الدراسات المستقبلية تقضي بألا تتغلب الأحداث الراهنة على ما هو مهم، فلا تَدَعُ التخطيط يتحول من أداة تهدف إلى تحقيق مستقبل أفضل إلى مجرد استجابة للأحوال الحاضرة[1]؛ فهي تُسهم «بقدرتنا في موازنة احتياجات الحاضر مقابل احتياجات المستقبل»[2].

٢-فهم الحاضر :

يقول (توفلر): «لقد درس الإنسان الماضي ليلقي الضوء على الحاضر، ولكني قلبت مرآة الزمن مقتنعًا بأن صورة واضحة للمستقبل يمكن أيضًا أن تمد حاضرنا بعديد من البصائر التي لا غنى عنها. إننا سنواجه مصاعب متزايدة في فهم مشكلاتنا الشخصية والعامة إذا لم نستعن بالمستقبل كأداة للفهم والإدراك »[3].

فالدراسات المستقبلية تُسلِّط الضوء على القضايا القائمة في الزمن الحاضر[4]، وتُعنى بتقصي العوامل المؤثرة فيها، والتشابكات التي تتداخل معها[5]، وبخاصة تلك المؤثرات التي لو لم ننظر فيها إلى المستقبل لم ندرك أنها تؤثر فيه، فيزداد فهمنا بجميع أبعاد القضية الحاضرة الماثلة بين أيدينا حسب القدرة البشرية.

إن فهم الحاضر وسبر مشاكله والدلالة على سبل العلاج لا يتأتى -في كثير من الأحيان- بشكل صحيح إلا في سياق استشراف المستقبل؛ ولذا وغيره من الأسباب كان الغرب يوجه نخبة من علمائه وأفضل مراكز الأبحاث لديه نحو هذه الدراسات[6].

---

(١) أوزبخان، في رويْ وآخرَين، مرجع سابق، ص١٨٩؛ وينظر: كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٣٦٣-٣٦٤.

(٢) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.90.

(٣) توفلر، **صدمة المستقبل**، مرجع سابق،ص٤.

(٤) تافيس، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ١، (شعبان/١٣٩٠هـ)، ص ٧٩.

(٥) نصار، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ١، (صفر/ ١٤١٨هـ)، ص١٨.

(٦) صفدي، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد ١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٧؛ وهلال، في إبراهيم وآخرين، مرجع سابق، ص٢٩-٣٠.

٣-ترشيد القرارات الحاضرة:

وقد سبق بيان هذا[١]، ويُضاف هنا: أنَّ الباحث يرى أنَّ القرارات التي تصدر اليوم تمكث مدة من الزمن حتى تظهر ثمرتها، وقد يكون من ثمارها ما لم يرده أصحابها؛ فيعلمون حينئذٍ أنَّ قراراتهم جانبت الصواب كلّيًا أو جزئيًا فيحصل منهم الندم، وتسخط غيرهم عليهم؛ والدراسات المستقبلية -كما يذكر المختصون فيها- تحاول أن تحصر الآثار التراكمية لقرارات معينة، فتضفي عليها جانب الخطورة أو الأهمية مما يساعد في ترشيد القرارات الحالية وفي اختيار القرارات المناسبة[٢].

٤-من يهتم بالدراسات المستقبلية يدرك جيدًا أين يقف اليوم :

هل هو سائر في الدرب الصحيح وبالسرعة المطلوبة؟ هل الأحداث تؤثر فيه أم أنَّه هو يؤثر فيها؟ أين موقعه من تجمع القوى الأخرى؟

المطلب الرابع: ضخامة التحديات التي تواجهها البشرية وخطورتها وعالميتها:

يرى الباحث أنَّه عندما تُحدق الأخطار على أناس، فإن العناية والأهمية في مواجهة هذه الأخطار ترتفع أو تنخفض حسب كثرتهم أو قلتهم وحسب مترلتهم في المجتمع، فتعلُّقُ الخطر بعشرات الأشخاص لا يكون له من الأهمية ما يكون عند تعلقه بملايين من البشر؛ وقد أدَّى التقدم العلمي والتقني الذي شهده هذا العصر إلى إفراز آثار سلبية شملت كثيرًا من نواحي الحياة، وكان منها آثار لا تُرى خطورتها ولا يُتبين حجمها إلا من خلال استشراف أو دراسة مستقبلية لها، وأصبح عدد من تلك الآثار يمثل بوادر ضرر يعمُّ العالم: في أرضه، وبحره، وجوِّه، وإنسانه، وحيوانه، ونباته.

وقد أعدَّ الاتحاد الدولي للجمعيات في (بروكسل ببلجيكا) قائمة تضم آلاف المشاكل، تُكوِّن في مجموعها إزعاجًا للعالم في المستقبل، مثل: موت المحيطات، والتهديد الأمني لشبكات الحاسوب، والانهيار المالي الدولي[٣]، وتزايد السكان مع تضاؤل الموارد الطبيعية،

---

(١) ص ٨٦.

(٢) عبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص ١٧٤ .

(٣) سترون، في "القافلة"، مرجع سابق، العدد ٤، (ربيع الآخر/ ١٤١٤هـ)، ص٤١ .

وتلوث البيئة، وتدميرها، والخطر النووي، وارتفاع درجـات الحـرارة، وترقـق طبقـة (الأوزون)[1]، وارتفاع مياه المحيطات التي ستغرق المدن الساحلية العامرة بالسكان نتيجـة لازدياد تركيز غاز ثاني أُكسيد الكربون في الغلاف الجوي، وتدهور الأراضي الذي يحد من إنتاجية الزراعة[2] .

كل تلك المشكلات الضخمة -ومثلها كثير- برزت معها أهمية الدراسات المستقبلية في تـجلية أخطارها وآثارها المدمرة على المدى البعيد؛ للبحث في سبل منـع وقـوع هـذه المشكلات انطلاقـاً من الحاضر أو على الأقل التقليل من حدة أخطارها[3]. وذلك مرهون- حسب رأي الباحث- بأمور، أهمها ما يأتي:

١-عدم تضخيم الأمور وإعطائها أكبر من حجمها.

٢-عدم التلاعب بحساباتها، أو تخير مدة ماضية معينة مقصودة بذاتها تتناولها الدراسـة لتعطي عند الاستشراف نتائج أخطر وأكبر للقضية.

٣-أن يكون العلاج المقترح عادلاً لا يصبُّ في مصلحة أصحاب الدراسات وحـدهم وظلم غيرهم.

---

(١) "الأوزون شكل من الأكسجين الموجود بكميات قليلة في طبقات الجو المحيطة بالأرض... تحتـوي جزيئـات الأكسجين العادية على ذرتين من الأكسجين، أما جزيئات الأوزون فإنها تحتـوي علـى ثـلاث ذرات مـن الأكسجين... تعمل طبقة الأوزون في الطبقة العليا في الجو كحجاب واق للأرض من ٩٥ ٪ إلى ٩٩ ٪ مـن أشعة الشمس فوق البنفسجية التي تعتبر سببًا يؤدي إلى سرطان الجلد، إذا ما تعرض لهـا الإنـسان بكثـرة". (مجموعة مؤلفين، **الموسوعة العربية العالمية**، ط١، (الرياض، مؤسسة أعمال الموسـوعة، ١٤١٦هـ)، ج٣، ص٣٩٣-٣٩٤؛ وينظر: جونثال شيل، **مصير كوكب الأرض في الـحروب النووية**، ترجمة موسـى الـزعبي وعيسى طنوس، ط١، (دمشق، مكتب الخدمات، ١٩٨٦م)، ص٢٩) .

(٢) فخري، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد ١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٢٣؛ والموسوعة الفرنسية العالمية، في "الفكر العربي"، المرجع نفسه، ص٢١٦؛ ومحمد الأحمد الرشيد، "من معالم استشراف المـستقبل في الـوطن العربي في القرن الحادي والعشرين"، في "رسالة الخليج العربي"، مكتب التربية العربي لدول الخلـيج، الريـاض: العدد ٢٥، (١٤٠٨هـ)، ص١٥٧؛ وزريق، **نحن والمستقبل**، مرجـع سـابق، ص٤٨؛ وفرانـك سـنودن هوبكنـز، "ما يراه المستقبليون"، (عرض لكتاب)، ترجمة حسين علي بندر، في "الثقافة العالمية"، مرجع سابق، العدد ٥٢، (شوال/ ١٤١٠هـ)، ص٢٠٤؛ وهرفيه لي برا، **العالم وحدوده: الأساطير الشائعة حول الطبيعـة والسكان**، ترجمة حليم طوسون، ط١، (القاهرة، دار المستقبل العربي، ١٩٩٧م)، ص٢٦٧؛ و Slaughter, **Futures: Tools and Techniques**, Op. Cit., P.21.

(٣) المشيقح، مرجع سابق، ص٥٦.

٤-ألاَّ يُعارض العلاج كتاب الله تعالى أو سُنَّة نبيه ﷺ ، مثل: تحديد النسل بسبب قلة الموارد الحالية أو المتوقعة .

وقد تتوج عدد من نوع تلك الأخطار أعمال مؤتمرات كبرى، مثل: مؤتمر (ريو دي جانيرو) عام (١٩٩٢م)(١)؛ ووُقِّعت بشأنها اتفاقيات رسمية، مثل: معاهدة (مونتريال) الرامية إلى الحد من ثقب طبقة (الأوزون)، وَقَّعت عليها عام (١٩٨٩م) إحدى وثلاثون دولة(٢)؛ واتفاقية تنوع الأحياء لحماية الأنواع المهددة بالانقراض(٣)، ومعاهدة حظر إجراء التجارب النووية في الجو، عام (١٩٦٣م)، غير أن فرنسا والصين رفضتا التوقيع عليها(٤).

وتتزايد أهمية هذه الدراسات -في نظر الباحث- إذا ما عُلم أن الطريقة التي تُكافح بها هذه الأخطار تحتاج إلى وقت طويل، قد يصل إلى عشرات السنين؛ إمَّا لكونها تتطلب مفاوضات طويلة على المستوى العالمي والتعامل مع حكومات ذات سياسات وعقائد مختلفة، ومصالح متباينة؛ وإمَّا عدم معرفة الطريقة أساسًا مما يستدعي تركيز الجهود في مجال الأبحاث النظرية والتجريبية التي تستغرق وقتًا طويلاً، أو غير ذلك من الأسباب.

ومن الأمثلة على نجاح الدراسات المستقبلية وأهميتها في درء أمور خطيرة: أنَّ التصريح باستخدام القنابل النووية بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي بلغ مدى خطيرًا، اتضح ذلك من خلال حديث وزير الخارجية الأمريكي ونظيره الروسي في لقاء بينهما في برلين عام (١٩٤٩م)(٥)؛ ويذكر (كورنيش) أنه لـمَّا ظهر كتاب (هرمان كاهن): (حول الحرب النووية الحرارية) سنة (١٩٦١م) كان له أثره على متخذي القرار في الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي في التفكير المتعقل إزاء التهديدات النووية فيما بينهما(٦)؛ لكنْ اتضح لدى الباحث أنَّ الوعي بخطر استعمال السلاح النووي لدى القيادتين

---

(١) لي برا، مرجع سابق، ص٢٦٧.
(٢) المرجع نفسه، ص٢٦٧؛ **والموسوعة العربية العالمية**، مرجع سابق، ج٣، ص٣٩٤.
(٣) لي برا، مرجع سابق، ص٢٦٧.
(٤) شيل، مرجع سابق، ص٢٠.
(٥) خالص جلبي، "جنون التسلح الذري"، الشرق الأوسط، مرجع سابق، العدد ٧٥٦٠، (٢٨/٤/١٤٢٠هـ)، ص٨.
(٦) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ٣٤٢،٣٤٦.

الأمريكية والسوفيتية كان قبل ظهور كتاب (كـاهن)، فقـد ذكـر الـزعيم الســوفيتي (خروشوف)[1] في مذكراته أنه وعى تأثير السلاح النَّووي عام (١٩٥٣م)[2]، وكذا الرئيس الأمريكي (أيزنهاور)[3] كتب عام (١٩٥٦م) في إحدى رسائله ما يفيد أنّ لديه قناعة بــأنّ عصر التسلح النووي قد انتهى[4]؛ ولا يستبعد الباحث أنّ هذه القناعات لديهما قد تحصَّلت لهما من خلاصة دراسات سرِّية غير منشورة قُدِّمت لهما، وأنّ (كورنيش) عزا هذا الأثر إلى أول كتاب عَلِمَه نُشر في الموضوع؛ لاسيما أن جــزءً من كتاب (كاهن) أُخذ عن تقريــر نــشرته مؤسسة (رانــد) عام (١٩٥٨م)[5].

وخلاصة هذه الفائدة: أنه كلما ازداد خطر مشكلة مصيرية ازداد تعلق الحل الحقيقــي المناسب للحاضر بنظرة شمولية للمستقبل[6]، ولو لم تُقدِّم الدراسات المستقبلية حُلولاً فــإن رصدها للمشكلات، وإرهاصها «بما ستكون عليه خطوة كبرى في طريق التعــرف علــى دروب الخلاص. وتلك هي سمة الدراسات المستقبلية بوجه عام»[7]، وكما يقــول المثــل اللاتيني: (إجادة عرض المسألة نصف الحل)[8].

---

(١) (نيكيتا سيرجيفتش خروشوف) وُلد عام (١٨٩٤م)، وتولى رئاسة الوزارة في جمهورية أوكرانيا عام (١٩٤٤م)، ثم انتقل عمله إلى موسكو عام (١٩٤٩م) في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، وانتُخب رئيسًا للاتحاد السوفيتي عام (١٩٥٨م)، ودامت رئاسته ست سنوات، وارتبطت سيرته بتوقيع معاهدة الحظر الجزئي للتجارب النوويــة بموسكو عام (١٩٦١م). (أحمد عطية الله، **القاموس السياسي**، ط٣، (القاهرة، دار النهضة العربيــة، ١٩٦٨م)، ص ٤٩٤- ٤٩٥).

(٢) جلبي، في "الشرق الأوسط"، مرجع سابق، العدد ٧٥٦٠، ص٨.

(٣) الــرئيس الرابع والــثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية، وُلد عام (١٨٩٠م) وانتُخب رئيسًا عــام (١٩٥٣م)، واعتزل السياسة عام (١٩٦١م)، دعا الرئيس السوفيتي إلى (واشنطن) واستقبله فيها عام (١٩٥٩م). (عطية الله، مرجع سابق، ص ١٦٥-١٦٦).

(٤) شيل، مرجع سابق، ص١٤.

(٥) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.31.

(٦) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص١٨٩.

(٧) عبد الله عبد الدائم (تقديم)، جاك أتالي، **آفاق المستقبل**، ترجمة محمد زكريا إسماعيــل، (بــيروت، دار العلــم للملايين، ١٩٩٢م)، ص١١-١٢.

(٨) المرجع نفسه، ص١١.

المطلب الخامس : أنها تتناول الحاضر الآتي الذي سنعيش فيه أو يعيش فيه أولادنا، وكون المستقبل أهم الأزمنة الثلاثة:

قال المخترع (تشارلز ف. كيترنغ Charles F. Kettering): «اهتمامي منصب على المستقبل لأنني سأمضي بقية حياتي فيه»، ثمَّ أصبح هذا القول شعارًا بين المستقبليين[١].

وقبله قال (ويلّز Wells): «إننا إلى المستقبل نمضي، والغد هو، بالنسبة لنا الشيء الحافل بالأحداث، ففيه سيكون كل ما يتبقى من مشاعرنا وجميع أولادنا وكل ما هو عزيز علينا»[٢].

ولو عقد المرء مقارنة من حيث الأهمية بين الأزمنة الثلاثة: (الماضي، والحاضر، والمستقبل) لوجد أن (المستقبل) أهمُّها:

أمَّا **الماضي** فقد مضى، ويستحيل أن يكون حاضرًا أو مستقبلاً[٣]، وبالطَّبع لن نستطيع تغيير أيِّ شيء فيه، إلا أنه يمكننا أن نعرف عنه الكثير معرفة واثقة[٤]، لكنَّ هذه المعرفة إنما تكتمل وتفيد بقدر ما تُسهم في إدراك الحاضر والإعداد للمستقبل[٥]، وإن خلت من ذلك فليست لها أية قيمة، سوى الترويح والترفيه .

وأمَّا **الحاضر** فإنَّه لحظة عابرة يستحيل فعل أمر يثمر فيه، وهو يحمل ثمار الماضي وكل ما خلَّفه من سيئ وحسن، وفي نفس الوقت هو منطلق وبداية للمستقبل، فهو قد انبثق من الماضي كما أنَّه يُحدد المستقبل بدرجة أو بأخرى، وإنَّ كثيرًا من الأزمات اليوم ناتجة عن عدم اهتمامنا بالمستقبل في السنوات الماضية[٦]. وإذا أردنا تجنبها وجلب الخير والنفع فلنعط المستقبل عنايتنا واهتمامنا، فنحن «لا نستخرج من الأشياء إلا ما نضعه فيها، ولا نستخرج

---

(١) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٤٩.

(٢) قاله في محاضرة ألقاها عام (١٩٠٢م)، كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٣) عبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٧ .

(٤) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٥، ٢٦٨، نقلا عن: دي جوفنيل، فن الحدس؛ و Sardar, **Islamic futures**, Op. Cit., P. 1.

(٥) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص١٢؛ و Sardar, **Islamic futures**, Op. Cit., P. 2.

(٦) صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص١٣؛ وهيتمان، مرجع سابق، ص٧٨؛ وطعمة، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص٣٠؛ وعبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص١٧٨؛ والمنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٤٠.

من حضارة الغد ما نرجوه للإنسان من سعادة ورفاهية إلا إذا وضعنا فيهـــا ذلـــك منـــذ اليوم»[١]؛ وكما قيل في المثل الشعبي الغربي: «اليوم هو الغد الذي قلقت عليه أمس»[٢].

وأمَّا **المستقبل** فمن ميزاته المهمة أنه يصبح حاضرًا وماضيًا، وهو قبل أن يصبح كذلك قابل للفعل والتغيير فيه والتكون على ما يُودَع فيه بإرادة الله تعالى، وبـــدون المســـتقبل «لا نستطيع أن نتصرف أبدًا، لهذا السبب دُعي المستقبل أحيانًا «مبدأ الفعل الحاضر» »[٣].

ويضيف الباحث أن في المستقبل تُتَصور آمال تحقق النتائج وجني الثمـــار. واكتمـــال المشاريع وتمام البناء، وهو ليس منبتَّ الصلة بالماضي والحاضر بل هو حصيلة تراكميـــة لمـــا يتتابع من أحداث وعمليات تغيير داخلية أو خارجية[٤]، فكل ما «نفعله... ينصب تـــأثيره على المستقبل»[٥]، فينبغي أن يكون التطلع إلى المستقبل «وكأن الزمن بكامله وببعديه الماضي والحاضر ينصب فيه»[٦]، وليس صحيحًا -في رأي الباحـــث- مـــا ذهـــب إليـــه بعـــض المستقبليين[٧] من أنَّ المستقبل مجال مفتوح وليس حاضرًا يمتد، وربما جاء هذا اللـــبس مـــن كونهم ينظرون إلى المستقبل -باستمرار- قبل حضوره؛ فيتوهمونه خالـــيًا من التأثر بالماضي والحاضر، أو أنهم أرادوا ألا يُلقي الإنسان اللوم على الماضي والحاضر فيستســـلم لتأثيرهمـــا ويُعطل قواه التي تحدد المستقبل وتُكوِّنه بإذن الله تعالى .

ويضرب الباحث مثلاً يُوضح ما قرره: وهو أنَّ المشاريع الكبرى لا تظهر نتائجها بـــين يوم وليلة بل تأخذ سنوات حتى تكتمل، وعند ذلك لا يقال: إنَّ تحقق المشروع بسبب عدم توجه تأثير عليه من الماضي السابق لبدء المشروع، بل إنَّ الذي جرى هو أنه عنـــدما بَـــدأ المشروع أخذ الحاضر والمستقبل يتخلصان تدريجيًّا من تأثير الماضي عليهما إلى أن ضـــعف تمامًا أو تلاشى، ثم نقول بعد ذلك: إنَّ المستقبل بدأ يتأثر بماض جديد هو مـــن بـــدء أثـــر

---

(١) عبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص١٦.

(٢) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٩١.

(٣) Slaughter, **Futures: Tools and Techniques**, Op. Cit., P.17.

(٤) عبد الرحمن، في "عـــالم الفكر"، مرجع سابق، العدد٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٧.

(٥) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٥.

(٦) طعمة، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص٢٢.

(٧) منهم : (غاستون بيرجيه)، هيتمان، مرجع سابق، ص٧٩ .

المشروع واكتماله، فانتقل من تأثير الماضي القديم قبل بدء أثر المشروع إلى تأثير ماض جديد... وهكذا.

ويستدركُ الباحث: أن للحاضر خاصيَّةً وأحوالاً يكون فيها أهم تلك الأزمنة، لكنه مع ذلك -من حيث العموم- لا يصل إلى درجة المستقبل : أما الخاصية فكونه موضع الفعل والعمل والشعور والإحساس، ومن ذلك أنَّ القدرة في التأثير على المستقبل كامنة فيه؛ وأمَّا الأحوال فمثل: أنَّ المسلم مُطالب بفعل الأوامر واجتناب النواهي كلما حضرت وهو غير مُطالَب – إجمالاً – بالنتائج المترتبة على ذلك في المستقبل .

وخلاصة ما ذُكر في هذه الفائدة: أنَّ المعرفة النافعة هي معرفتنا باحتمالات المستقبل وخياراتنا تجاهها[1]، وتلك- في رأي الباحث- خلاصة الدراسات المستقبلية، أمَّا معرفة الماضي والحاضر فإنما هي خادمة لهذه المعرفة، وجهدنا فيهما مُوجه لها، وإنَّ القدرة على التغيير فيهما غير ممكنة في الأول وغير مثمرة -بوجه عام- في ذات الثاني بل في المستقبل.

والمهم هنا ليس المستقبل بصفته زمنًا مجردًا، وإنَّما المهم الوعي بالمستقبل بصفته واقعًا قادمًا؛ بغية استكشاف كنهه، والتحكم في تكوينه[2]، «فإنَّ قيمة الزمان ترتبط بقيمة الفعل أو الحدث الذي يتم فيه»[3].

فالدراسات المستقبلية تسعى لإيجاد حاضر مرغوب سنعيشه بعد فترة من الزمن أو يعيشه مَن بعدَنا.

بل يرى بعض المستقبليين : أنَّ المختصين فيها يكادون يتفقون على خصلة حميدة هي: الرغبة في سعادة الكائنات البشرية جميعها في كافة الأزمنة والأمكنة[4].

ويقول (شين) في بداية الرُّبع الأخير من القرن العشرين الميلادي في خلال حديثه عن بعض الصفات الشخصية للأعضاء المشاركين في تغيير المناهج الدراسية لتكون موائمة مع

---

(١) طعمة، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص٣٠؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٦٨، نقلا عن: دي جوفنيل، فن الحدس ؛ وروْي وآخران، مرجع سابق، ص١٢-١٣؛ و
Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 163.

(٢) بريش، **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص٩.

(٣) كريم زكي حسام الدين، **الزمان الدلالي**، ط١، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٤١٠هـ)، ص٩.

(٤) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٣٦١؛ ويُنظر:
Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.88.

المتغيرات التي يمر بها المجتمع العالمي: «إنّ تصورهم عن التربية الجيدة يعكس بصدق مفهومهم بأنّ الأطفال والشباب الذين سوف يعيشون في عام ٢٠٥٠م عزيزون تماماً كأطفالنا وشبابنا .. ولأنهم كذلك فإنهم يستحقون أن نبذل من أجلهم كل وقتنا وطاقتنا الآن[١] بحيث إنهم بعد ٧٥ عاماً من الآن سوف يصبحون كائنات أفضل نظرًا لما قد كان لدينا من الحكمة وبعد النظر لعمله»[٢].

ويقول (أتالي): «إن المستقبل وحده هو الذي يعطي للماضي معنى. وما نتركه لأولادنا هو الذي يحدّد قيمة الحياة التي عشناها. والأرض هي مثل المكتبة التي نخلّفها سليمةً بعد أن نكون قد اغتنينا بقراءتها وأغنيناها»[٣].

(١) لا شك أنّ في هذا مبالغة لا يُوافق عليها، والأولى التعبير (بجزء من وقتنا وطاقتنا)؛ فالحاضر لا يُهمل من أجل المستقبل، كما أنّ المستقبل لا يُهمل من أجل الحاضر.

(٢) هارولد شين، **التغيير المنهجي للقرن الواحد والعشرين**، ترجمة عبد اللطيف بن حسين فرج، ط١، (مكة المكرمة، المترجم، ١٤١٤هـ)، ص٧٩-٨٠.

(٣) مرجع سابق، ص١٧٨.

المبحث الثالث

أهم نظريات الدراسات المستقبلية

المطلب الأول : تعريف النظرية، وأهميتها، وأهم وظائفها:

«النظرية العلمية نسق[1] تصوري تمت صياغته في ضوء الخبرة بالمعرفة العلمية المتاحة، وفي ضوء الخبرة بالواقع التاريخي والمعاصر للظواهر وحركتها. يصف هذا النسق ويفسر خصائص الظواهر ومكوناتها وحركتها وعلاقات هذه الظواهر ببعضها، ومستقبل هذه العلاقات. ولهذا يتألف هذا النسق من مفاهيم وقضايا ومقولات نظرية وقوانين ويستند النسق بجانب مصادر صياغته المذكورة على فلسفة واضحة أو كامنة لها رؤيتها للإنسان أو للمجتمع أو للكون أو لها جميعًا»[2].

وتُعدُّ النظرية العلمية للباحث العلمي كالبوصلة للملاح يسترشد بها في سيره في المحيط[3]؛ فهي إذن أحد العوامل الـمُوجِّهة لسير الباحث، وهذا الكلام ينطبق على المنهج أيضًا، غير أنَّه يأتي «لاحقًا بها ومدققًا فيها »[4]؛ كما أنَّ للنَّظرية أثرًا في تحديد المنهج المختار في الدراسات المستقبلية[5] وإثرائه[6].

---

(١) النسق "هو مجموعة من الأجزاء المرتبة ترتيبًا خاصًا والمتصل بعضها ببعض اتصالاً به تنسيق لكي تؤدي إلى غرض معين أو لكي تقوم بوظيفة خاصة"، أو "هو مجموعة من أوجه النشاط المتصل بعضها ببعض اتصالاً معينًا، بحيث تسير وفق فكرة تجمعها في إطار كلي". (مجموعة باحثين بإشراف اليونسكو، **معجم العلوم الاجتماعية**، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م)، ص٦٠٠، ٦٠١).

(٢) عبد الباسط محمد عبد المعطي، **البحث الاجتماعي: محاولة نحو رؤية نقدية لمنهجه وأبعاده**، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م)، ص٥٦، وقد انتهى المؤلف إلى صياغة هذا التعريف بعد محاولات تجاوزت عشرين محاولة.

(٣) عبد المعطي، مرجع سابق، ص٥٥.

(٤) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص٥٧.

(٥) عبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص١٥.

(٦) نصار، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ١، (صفر/ ١٤١٨هـ)، ص٢١.

وأهم وظائف النظرية ما يأتي :

١-أنها تُقدِّم إطارًا يمكن به ملاحظة الظواهر، ووصفها، وتحليلها، وتفسير أوضاعها، وعلاقاتها، وحركتها(١).

٢-أنها تُوجز الحقائق، وتُبيِّنها، وتُجلِّيها، من خلال التعميمات والتجريدات(٢).

٣-أنها تساعد في استشراف مستقبل الظواهر، وحركتها، والعلاقات فيما بينها(٣).

المطلب الثاني : حال النظريات في الدراسات المستقبلية :

لم تلقَ النظريات في الدراسات المستقبلية ما تستحقه من عناية و لم تحظ إلا بالنزر اليسير من الجهد العلمي(٤)، فلم يُقدِّم المستقبليون نظريات رصينة(٥)، ومنهم من يرى أن إنشاءها ليس من الوظائف الرئيسة للمستقبليين، وإنَّما هم يستخدمون المعارف الأخرى ويُؤلِّفون بينها(٦)، ومنهم من حاول تقديم صياغات نظرية لبعض جوانبها لكنْ بصفة (مبادئ)، أو (قواعد)، أو (فرضيات)، أو (مفاهيم)، واختارت (ماسيني) كلمة (مبدأ principle) وفضلتها على كلمة (مفهوم concept) وقالت: «لأنَّها تعبِّر عن أنَّ النظريات ما تزال تُبنى عن الدراسات المستقبلية في عملية ديناميكية مستمرة»(٧)؛ ولذا كثر استخدامهم لكثير من نظريات علم الاجتماع بخاصة(٨) – على الرغم من أنَّ وضعها فيه ليس بالجيد(٩)– ويُقَيِّد (كاهن H. Kahn ، وويِنر A. J. Weiner) هذا الاستخدام للنظريات الكبرى في

---

(١) عبد المعطي، مرجع سابق، ص٦١.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) نفسه؛ وينظر: هيتمان، مرجع سابق، ص ٨٠.

(٤) صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص١٩٧، نقلاً عن:
Robert Jungk, "Breakthrough to tomorrow" **Courier**, UNESCO, April 1971, P.10.

(٥) خلاف، في "السياسة الدولية"، مرجع سابق، العدد ٥٠، (أكتوبر، ١٩٧٧م)، ص١٧.

(٦) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.81.

(٧) Masini, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, P. 83.

(٨) بتصرف: Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.82.

(٩) تيودور آيل، "النظرية والتطبيق والتاريخ: مستقبل النظرية الاجتماعية"، ترجمة إبراهيم البرلسي، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ٤٧، (أبريل- يونيه/ ١٩٨٢م)، ص٤.

التغير الاجتماعي بعدم الالتزام المطلق بنظرية واحدة منها، وإنّما من خلال الاستعانة بالخصائص العامة للاتجاه الذي تمثله هذه النظريات[1].

ويشترك معظم المستقبليين في كثير «من المفاهيم المهمة والارتباطات النظرية»[2]، كما كان لعقائدهم وانتماءاتهم الفكرية أثرٌ «في اختيار المبادئ والمفاهيم والمناهج في الدراسات المستقبلية»[3].

ولما للنَّظرية من أهمية فإن الباحث يرى أنّه ينبغي على المستقبليين العناية بها، إنشاءً واختبارًا ونقلاً وتمحيصًا، فليس عذرًا أن تُهملَ العناية بها لكونهم مستخدمين للمعارف الأُخرى، لا سيِّما أنّهم يسعون جاهدين للرَّفع من مستوى هذه الدراسات لتأخذ مكانها اللائق بها بين مجالات المعرفة؛ ومن الضوابط في ذلك: ما ذَكره سهيل عناية الله، بأنَّ أيـة «نظرية للمستقبل ملائمة يجب أن تكون قادرة على معالجة مشكلة الوقت، ومناقشة المعاني العديدة له، حتى وإن كانت مرتبطة ببنية زمنية معينة»[4]، فمن أهم ما تقتضية الدراسات المستقبلية وجود نظرية تحليلية شاملة، قادرة على فهم الماضي وتفسير اتجاهاته وتغيره، وفهم الحاضر وحركته[5].

وسيعرض الباحث فيما يأتي أهم المبادئ والقواعد المقرَّرة في الدراسات المستقبلية، ثمَّ يذكر أهمَّ النظريات المأخوذة عن علم التاريخ والاجتماع.

المطلب الثالث : أهم المبادئ والقواعد المقررة في الدراسات المستقبلية :

١-المستقبل مستقبلات وليس مستقبلاً واحدًا:

من المقرر عقلاً ولغة وواقعًا أنَّ المستقبل إنَّما هو واحد، كما أنَّ الماضي واحد والحاضر واحد، ويستحيل وجود تعدد حقيقي واقعي لها، فلماذا استعمال الجمع؟ والجواب[6]: «أنَّ

---

(١) غيث ومحمد، مرجع سابق، ص٢٢٩-٢٣٠، نقلاً عن:
H. Kahn And J. Weiner, (eds). **The Year 2000**, (N. Y, The Macmillan Company, 1967), P.1.

(٢) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.82.

(٣) السيد يسين (تقديم)، عمر الخطيب، **الوطن العربي عام ٢٠٠٠: محاولة لاستشراف الأوضاع السياسية**، (القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٨٥م)، ص ٤.

(٤) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.116. by: Sohail Inayatullah, "From who am I? To when am I?" in Futures 25, No. 3. (April), P. 251.

(٥) عبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص٢٥؛ وعبد المعطي، مرجع سابق، ص١٠.

(٦) بريش، **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص١٩.

المستقبل الآتي الذي لا يعلم كنهه وشكله إلا الله واحد لا تعدد له، والصور التي يشكلها الإنسان في ذهنه، تحميسًا لذاته وتحفيزًا لها، واحتياطًا وترقبًا وإعدادًا لهذا المستقبل، هي متعددة»[1]؛ فمصير الإنسان في الآخرة إمَّا الجنة وإمَّا النار، لكن عمل المسلم لكي يكون من أهل الجنة يدفعه إلى الإيمان بأنَّه قد يدخل الجنة، وقد يدخل النار، فهو يرى لمصيره في الآخرة مستقبلين: مستقبل في الجنة يرجوه، ويدعوه للتوزد بما يوصل إليه، ومستقبل في النار يستعيذ منه، ويحثه على الابتعاد عن أسباب ما يُوصل إليه، وإيمانه بهذين المستقبلين لايبطل كون المستقبل المؤبَّد الذي سيقع واحدًا لا غير. هذا في الآخرة، مستقبلين لا ثالث لهما، أمّا في الدنيا فالمستقبلات متعددة حسب أشكال التوقع؛ ولهذا أكثرَ المستقبليون من استعمال صيغة الجمع، وهم على صواب في ذلك[2]، فجاءت عندهم مصطلحات مثل: (المستقبلات البديلة)، و(المشاهد البديلة)، و(صور المستقبل)، و(المستقبلات). فالغد مستقبلات وليس مستقبلاً واحدًا، واعتبار ذلك يجعل الإنسان يُدرك أنَّ له قُدرة، وإرادة، واختيارًا، بها يستطيع أن يؤثِّر على المستقبل[3]، بعد مشيئة الله تبارك وتعالى.

و«المستقبليون، يفترضون احتمالات بديلة للمستقبل، حيث قد تكون مرجَّحة أو غير مرجَّحة، ويحاولون تقدير الاحتمالية وأهمية أثر كل منها.

تعامل الافتراضات على أنها حقيقية على أسس شرطية "وكأن" أو "فيما إذا لو" لتخطيط الأفعال المشروطة. لذا، بالإمكان استخدام الافتراضات المناقضة لبناء الخطط البديلة، مثال نتائج الاحتمالات غير المرجحة: الحرب النووية على نطاق واسع بين الصين والولايات المتحدة...، فالافتراضات، المرجَّحة وغير المرجَّحة بالإمكان استخدامها في التخطيط بصفتها ذخيرة لأفعال بديلة. وبإيجاز، يعتبر الافتراض بالنسبة للمستقبليين، عبارة عن إمكانات المستقبل، وتَقييمٌ عن احتمالية حدوثها، ولا يهم مصادر المنطق المعتمدة عليها، وبالطبع بعض الافتراضات ذات أساس أفضل ومعقولة أكثر من غيرها ... وجميع النقاط فيها قد تكون مفيدة في الاستعداد للمستقبل»[4]، ومحاولة التحكم فيه وتغييره[5].

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) صعب، **العرب يبدعون مستقبلهم**، مرجع سابق، ص ١٠؛ وينظر: هلال، في إبراهيم وآخرين، مرجع سابق، ص٢٩.

(٤) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 225.

(٥) زاهر، في "المجلة العربية للتربية"، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص١٥، نقلاً عن:
Harold G. Shane; Op.Cit., Pp. 7-11.

وتُقسَّم المستقبَلات إلى ثلاثة أقسام في المدرسة الأوروبية[1]، «وهي الأفكار الرئيسة التي أكد عليها كثير من المستقبليين»[2]، وتارة عند بعضهم قسمين[3]، وتضيف المدرسة الأمريكية قسمًا رابعًا[4]، وذلك على النحو الآتي:

أ-المستقبلات الممكنة (Possible Futures) : وهي رؤى مستقبلية من الممكن حدوثها[5]، وهي أوسع أنواع المستقبلات.

ويتضمن استكشاف الرؤى المستقبلية (الممكنة) محاولة البحث في الحاضر بطرق جديدة، مختلفة عن التفكير العادي المألوف، وهذا يتضمن التفكير المبدع من أجل رؤية الوقائع التي لا يراها الآخرون، ويشمل التفكير في الفُرص الحالية، والعوائق، والقيود القادرة على التفوق، والأمور القابلة للتحول، وغير ذلك، فهو يشمل توسيع الخيارات البشرية؛ وتُعدُّ الإمكانات الحالية للمستقبل واقعية، وقُدرات التغيير والتطور الحالية للأفراد والجماعات والمجتمع – مهما كانت مكبوتة أو غير معترف بها – واقعية أيضًا، لكنَّها في حالة سكون[6]؛ فالمستقبلات الممكنة تتناول رؤى مستقبلية كثيرة، مهما كانت عدم أرجحيتها في الحدوث لكنَّها في إطار الممكن[7]، وهي «قد تحمل في طيَّاتها أشياء كامنة للتغيرات البعيدة تستحق أن توضع في عين الاعتبار، كما يقول توفلر . وكوننا مستعدين لها، فقط في حالة حدوثها بشكل غير محتمل، هو شكل من أشكال التخطيط الطارئ»[8].

---

(١) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 8.

(٢) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 73.

(٣) Ibid.

(٤) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 8.

(٥) Ibid., P. 16.

(٦) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, Pp.75-76.

وينظر: كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٠٩.

(٧) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.224.

(٨) Ibid.

ب-المستقبلات المحتملة (Probable Futures): وهـــي رؤى مســـتقبلية مـــن المحتمـــل حدوثها[١]، وهي من ضمن المستقبلات الممكنة لكنها مستخلصة لما هو أكثر احتمالا[٢].

ج-المستقبلات المفضلة (Preferable Futures) : وهي رؤى مستقبلية من الـــمُرجَّح حدوثها[٣]. كونها المطلوب[٤]، أو الذي نرغبه ونخافه[٥]. ولا يُوافق الباحث على التســـمية؛ لأن ما يُخاف منه لا يُطلق عليه (مُفضل)، ويَرى تسميتها : (المســـتقبلات الـــمُرجَّحة)؛ لتشمل ما هو مرغوب، وما هو مخوف، وما يمزج بينهما.

«ويبحث المستقبليون لمعرفة ماذا بالإمكان أن يكون (الممكن)، وما هـــو المـــرجح أن يكون (المحتمل)، وماذا ينبغي أن يكون (المفضَّل) »[٦]. (يُنظـــر الشـــكل رقـــم ١ لهـــذه التقسيمات الثلاثة).

وهم في النهاية لا يُقدِّمون توقعًا وحيدًا بل عددًا من الرؤى[٧]؛ «من أجـــل الســـماح بالتحضيرات لسلسلة من الأحداث المرجحة »[٨]، إلا أنَّها تتفاوت نظرات المستقبليين لهذا، فمنهم من يجعل نتيجة الدراسة مستقبلاً واحدًا، ومنهم من يجعلها رؤى مســـتقبلية كـــثيرة ممكنة، وبين هاتين النظرتين يُوجَد عدد من النظرات[٩].

---

(١) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 16.

(٢) Ibid., P. 8.

(٣) Ibid., P. 16.

(٤) Ibid., P. 8.

(٥) Ibid., P.7. by: Bertrand de Jouvenel, **The Art of Conjecture**, (New York, Basic Books, 1967).

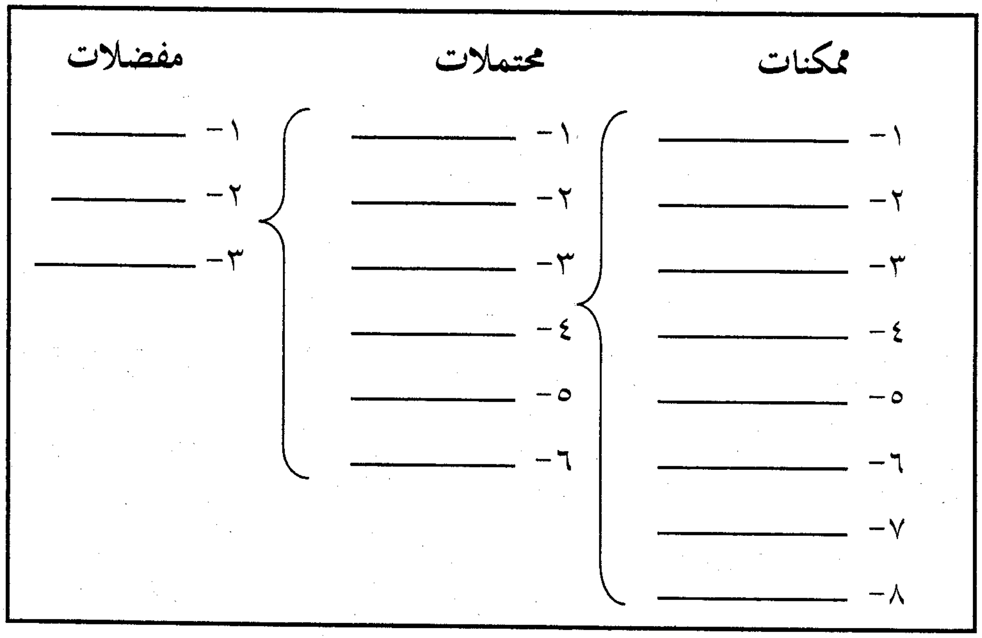
(٦) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.73.

(٧) Martha J. Garrett, "Planning and Implementing Futures Studies" in "The Knowledge Base of Futures Studies", Op. Cit., Vol. 2, P. 88.

(٨) Ibid.

(٩) Ibid. P. 86.

شكل رقم ١ :[١]



د-المستقبلات المعقولة (Plausible Futures): وهي رؤى مستقبلية مُــرجَّح حــدوثها بشكل أكبر[٢].

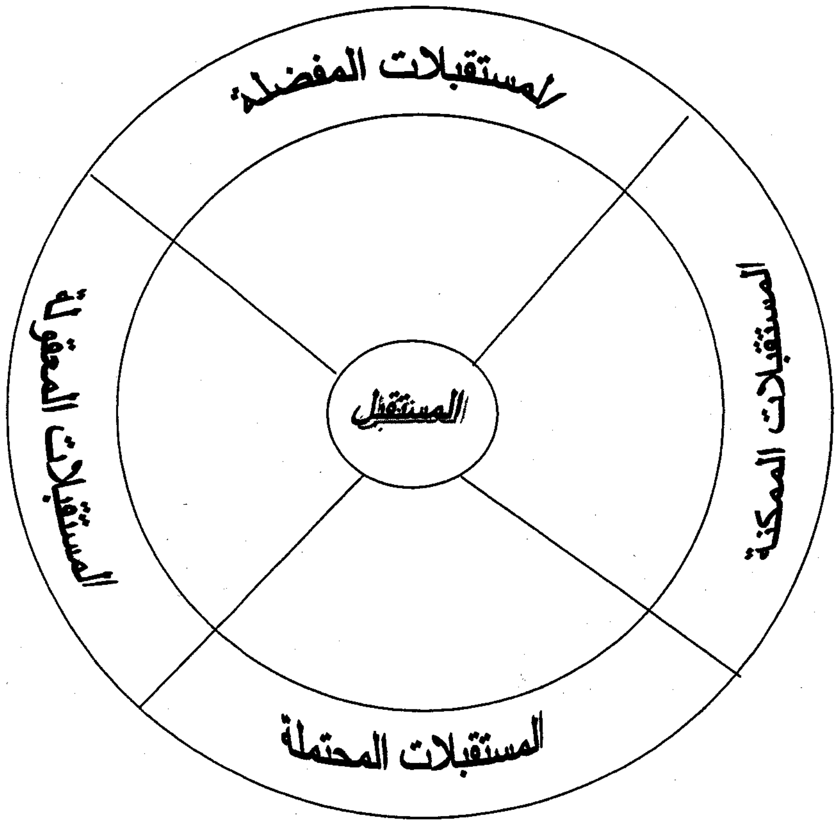
وجميع هذه المستقبلات تُكوِّن معًا المستقبل[٣]. (يُنظر الشكل رقم ٢ لهذه التقســيمات الأربعة). ويختار الباحث التقسيم الثلاثي؛ لأن هذه التقسيمات شكلية وليست جوهريــة، والقسم الرابع يدخل فيها.

(١) زاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص١٧، نقلاً عن:
James A. Johnson et. al, Indroduction to Foundations of American Education : Resource Boocklet and Overhead Transparency Masters to Accompany, (Boston : Allyn and Bacon, Inc., Fourth, 1979), P. 143.
وقد رتَّبها في المرجع: محتملات ثم ممكنات ثم مفضلات، وتصرَّفَ الباحث بتقديم الممكنات على المحتملات؛ تبعًا لمختصين آخرين في الدراسات المستقبلية؛ ولأنَّه هو الترتيب الصحيح، إذ إنَّ الممكنات يُقابلها المستحيلات، فهي إذن يُفترض فيها أنَّها تشمل جميع المستقبلات، أما المحتملات فهي مختارات من الممكنات وقوعها أوشك من بقية الممكنات.

(٢) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 16.

(٣) Ibid., P. 8.

شكل رقم ٢:[١]



وتلك المستقبلات إذا وعاها الإنسان كلها وعيًا شاملاً كان بوسعه أن يختار الأفضل منها[٢].

وإن كان هذا المبدأ يدعونا للتَّخلص من اعتقاد أنَّ المستقبل مسارٌ واحدٌ نبني عليه كل أحلامنا وأهدافنا وتخطيطنا، فإنَّه يدعونا أكثر إلى الحذر من التبسيط المتعسف للمستقبلات[٣]؛ و«سوف يزداد أهمية حالما تصبح التغيرات أسرع بشكل متزايد»[٤].

ويُؤكد هذا المبدأ على أنَّ المستقبليين يجهلون «ماذا سوف يحدث، فهم ليسوا دُعاة تنبؤ أو إخبار بالغيب، ولكنَّهم دُعاة معرفة بسلسلة من أحداث مستقبلية ممكنة ومطلوبة وكيف بإمكان هذه الأحداث أن تنشأ وتتطور»[٥].

---

(١) Ibid., P. 9.

(٢) صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص ١١٠.

(٣) زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٥، وقد استخدم المرجع كلمة (إشكالية) بدل (مبدأ).

(٤) Masini, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, P. 83.

(٥) Jerome C. Glenn, "Introduction to the Futures Research Methodology Series",(1994), in American Council, Op. Cit., P. 4.

٢-صور المستقبل تؤثـــــر في السلوك الحالي للإنسان:

كل إنسان يحمل في ذهنه صورًا عن المستقبل، هذه الصور تنعكس في توجيه ســلوكه الحاضر، فيتّجه للتّكيُّف مع صورة المستقبل، أو لتحقيق صورة المستقبل المرغوبة؛ لذا فــإنّ تلك الصور تُسهم في إيجاد شكل المستقبل ذاته؛ ومن هنا برزت أهمية صور المستقبل، فعُــني بعض المستقبليين بدراسة كيفية تكوُّن صور المستقبل ذاتها، وكيفية تأثيرها علــى الســلوك الإنساني، وكيف يسهم هذا السلوك في التأثير على المستقبل؛ ولأنّ دراسة ذلك كله لــيس بالأمر السهل اليسير فقد عُني المستقبليون بتحديد العوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية التي تولِّد صورًا محددة للمستقبل بين شعوب وثقافات خاصة وفي أوقات وأماكن معينة، ودراسة القدرة الفردية، والموازنة بينها وبين الرضى الحالي والمستقبلي نحــو صور المستقبل، بل ومحاولة معرفة ما إذا كانت هناك قوانين عامــة تشــرح الارتفــاع أو الانخفاض للصُّور الإيجابية والمتفائلة مقابل الصور السلبية والتشاؤمية؛ من ذلك دراسة أجراها أحد الباحثين على قضية معــيَّنة، تبيَّن له أنّ الجهل بالأحوال الحاضرة للقضية كان سببًا في النظرة التشاؤمية نحو مستقبلها عند بعض المسؤولين، وأنّ المسؤولين الذين كــان عنــدهم اطِّلاع حسن ومعرفة متنوعة عن القضية كانت لديهم رؤية مستقبلية متفائلة نحوها(١).

وقد أكّد مقدارٌ لا بأس به من البحث الاجتماعي الحديث بأنّ صور المستقبل الإيجابية لها نتائج مفيدة(٢)، «وهكذا، فصورة المستقبل التي يحملها الناس في عقولهم تلعب دورًا حاسمًا في تقرير المستقبل فعلاً» (٣).

٣-إنّ التغيرات كلما كانت أسرع كلما كانت حاجتنا إلى نظرة أبعد أشدَّ وأكبر:

تمامًا كالــمَثل الذي ذكره (جاستون برجيه) : «كلما كانت السيارة أسرع، كلمــا كانت مسافة أنوارها الأمامية أكبر؛ لكي نتجنب الأخطار والمآزق »(٤)، فسائق العربة الــتي تتحرك بسرعة الماشي في طريق يعرفه جيدًا لا يحتاج من الإضاءة ليبصر طريقه في الليــل إلا

---

(١) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, Pp.82-86.

(٢) Ibid., P. 85.

(٣) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٠٢.

(٤) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P.2. by: Gaston Berger, **Phenomenologie du temps et prospective**, Translation in Michel Godet, Grand Larousse, (Paris, PUF, 1964).

شيئًا يسيرًا، أما السيارة التي تسير بسرعة عبر منطقة غير معروفة فإنها يجب أن تكون مجهــزة بأنوار قوية، ومن التهور أن يقود المرء بسرعة بدون القدرة على رؤية شيء[1].

ويُوافق الباحث على هذا المبدأ بشرط ألا تبلغ سرعة التغيرات والتطورات مدى يصعب معه دراسة اتجاهها بسبب أنها لا تسير في اتجاه واحد، بل وتنتقل من طور يمكن دراسته إلى طور مجهول؛ وفي هذه الحالة يرى الباحث أن الدراسة المستقبلية يجب أن تتوقف عند الحد الزمني الذي يُطْمأنُّ معه أن تكون علمية لا تخمينية، وفي نفس الحال ينبغي أن نكون حذرين فنُعنى بالمتابعة والرصد الدائمين لأيَّة تغيرات غير متوقعة تَحْدث فتؤثر على صحة الدراسة أو انحراف مسار الخطة، وهذا يتطلب التصحيح المستمر للدراسة أو الخطة.

فهذا المبدأ يحتاج إلى قيد؛ ليكون سليمًا ، وذلك على النحو الآتي:

كلما كانت التغيرات أسرع كلما كانت حاجتنا إلى نظرة أبعد أشد وأكبر، وكلما كانت التغيرات أكثر سرعة كلما قلَّت ثِقَتُنا بالدراسات المستقبلية كلما بَعُد المدى الزمني الذي تتناوله.

٤-أنَّ الكون كُتلة واحدة وليس تجمعُ وحدات مستقلة غيــرِ مترابطة[2]:

يركِّز المستقبليون على أنّ كل شيء في العالم مترابط بما فيه الإنسان، وأنَّــه يســتحيل الفهم الكامل لأيٍّ شيء منفرد بدون أن يؤخذ بعين الاعتبار مكانه في الكل، وهــذا مــن المفاهيم الأساسية فــي الدراسات المستقبلية[3]؛ «لذا فــإنَّ مشــاريع بحــث المســتقبلات (Futures Research Projects) قد اشتملت في الغالب على فِرَق أبحاث متعددة المعــارف يَصدر عنهم هيئات متباينة في المعرفة؛ للتَّركيز على مشكلة محددة »[4]، ومن أمثلــة ذلــك: اتخاذ قرار جمع النفايات النووية الموجودة في الولايات المتحدة الأمريكية ودفنها في مكــان

---

(١) Hugues de Jouvenel, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P.9.

(٢) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٩٤.

(٣) المرجع نفسه، ص١٩٤؛و Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 155

(٤) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 156.

وينظر: صالح، في "عــالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٢٠٤، نقلاً عن:
Radovan Richta and Ota Sulc, "Forcasting and the Scientific and Technological Revolution", **Int. Social Science Journal**, Vol. XXI, No. 4, UNESCO, 1969, Pp. 564-565.

بولاية (نيو مكسيكو)، فقد تطلب اتخاذه اشتراك عدد مدهش من الخبراء في مجالات كثيرة من فروع المعرفة ذات علاقة بالموضوع من وجه ما، وجرت مراحل كثيرة في صياغة القرار، فساهم فيه فيزيائيون، ومهندسو تعدين، ومهندسو المخلفات الخطرة، ومهندسون مدنيون، وعلماء رياضيات، وعلماء مياه وجيولوجيا، وعلماء نوويون، ومهندسو أنظمة سلامة، وجغرافيون، ومؤرخون، واقتصاديون، وعلماء اجتماع، وعلماء سياسة، وعلماء نفس، وعلماء سكان، واختصاصيو لغويات، وعلماء فلك، ومحامون، ومستقبليون، وموظفون غيرهم[١]؛ وهكذا يحاول المستقبليون أن يُوَسِّعوا «مجالات التطور لديهم؛ من أجل التأكد بأنَّهم أصبحوا مُدرِكين للنتائج غير المقصودة وغير الملاحظة للأفعال الاجتماعية»[٢]، يقول (تشرتشمان Churchman) : «كلما أجرينا تنبؤًا، ومهما كان مجال الاهتمام، يجب اعتبار النظام بأكمله»[٣].

وبسبب عُمق الترابط الموجود في العالم الآن فإنَّ عددًا من القرارات المهمة التي تُتخذ، وبعضًا من المشاكل التي تحدث في بلد معين، لا يقتصر تأثيرها عليه وحده، بل إنَّها تتعداه فتؤثر على بلدان كثيرة غيره وإنْ كانت تقع بعيدة عنه[٤].

و«إنَّ وحدة الكون هي وحدة في الزمان كما هي في المكان، أي أنَّ عالم المستقبل ينبثق عن عالم الحاضر، ولهذا نستطيع أن نعرف شيئًا كثيرًا عن عالم المستقبل بالدراسة المتأنية لما يحدث في العالم خلال الماضي القريب، فالمستقبل يبنى إلى حد كبير بمواد الحاضر»[٥].

---

(١) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 91.
وقد شرح المؤلف أسباب احتياج هذا القرار جميع هذه المعارف، Pp. 91-92

(٢) Ibid., Pp.155-156.

(٣) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P.32. by: C. West Churchman, The Design of Enquiring Systems: Basic concepts of Systems and Organization, (New York, Basic Books, 1971).

(٤) بتصرف: كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٥٦.

(٥) المرجع نفسه، ص١٩٥.

٥-أيّ نمو لا يمكن أن يتواصل إلى ما لا نهاية له في وسط محدود[١]:

انطلق (مـــالتوس) من هذه النظرية فـــي دراســـته لسُكّـــــان (إنــــــجلترا) عـــام (١٧٩٨م)[٢]، وتوصل إلى أن تزايد السكان بشكل يفوق تزايد الموارد بنسبة كبيرة سيصل إلى حد الأزمة، التي تؤدي إلى تخلص السكان من فائضهم، ثمّ تستأنف هذه الحركة ذاتها من جديد حتى تقع الأزمة التالية[٣].

وجاء بَعدَهُ من حاول أن يُعمِّم هذه النظرية على سكان الأرض جميعهم، مـــن خـــلال البرهنة على صحة هذه النظرية عبر تجربتين معمليتين:

الأولى: على (ذُباب الخل)[٤].

والثانية: على (ذباب اللّقاعة المضيئة)[٥].

ونتج عن الأولى مبدأ: (النمو على شكل S)، الذي تعتمد عليه حتى الآن التعريفـــات المتعلقة بالحد الأقصى للسكان، ويعني أنّ النمو يرتفع بسرعة متتالية ثمّ يأخذ في التبـــاطؤ إلى أن يستقر عند حدّ أعلى نهائي، وصاحب هذه التجربة كثيرًا ما كان يردد: (إننا مثل الذباب المحصور داخل وعاء محكم يسمى الأرض)، وعمد في تجربته إلى تربية مجموعات من ذبـــاب الخل الصغير داخل قوارير **مغلقة**مُزوَّدة بما يحتاج إليه، بحيث تشبه عـــالم الأرض، وترَكــه داخلها ليتوالد، وهو يقول: إنّه أدخل فيها «آدم وحواء وعددًا من [أولادهما][٦] الصغار»[٧]؛

---

(١) لي برا، مرجع سابق، ص١٤٩.

(٢) سبقت الإشارة إلى هذه الدراسة ص٥٢.

(٣) لي برا، مرجع سابق، ص١٣، ١٤٩.

(٤) نوع من الذباب اشتهر بكثرة إجراء التجارب عليه، لتميزه بسهولة فحص بعض خلايا جسمه؛ لكونهـــا تضـــم صبغيات ذات حجم غير عادي. (نقولا ناهض (إشراف)، **الموسوعة العالمية**، (قبرص، إسترن بيليشـــر وآخـــر، ١٩٩٧م)، ج١٠، ص ١٧٥٣).

(٥) أجرى الأولى: الأمريكي (ر.بير) خلال النصف الأول من القرن الميلادي العشرين، وأجرى الثانية: (نيكلســـون) فـــي الـــخمسينيات الـــميلادية من القرن العشرين. (لي برا، مرجع سابق، ص١٥٠-١٥١).

(٦) في المرجع: (أبنائهما)، وهي في اللغة تطلق على الذكور، بخلاف الأولاد فإنّها تطلق على الذكور والإناث، وهو المقصود هنا.

(٧) لي برا، مرجع سابق، ص ١٥٣، نقلاً عن:

R. Pearl, **The Biology of Population Growth**, (New York, A. Knopf, 1925), P.27.

فحصلت عنده النتيجة السابقة، ثمَّ انتقل من الذباب إلى الإنسان، ليطبق هذا المبـدأ عليـه، فدرس تطور السكان في (السويد)، وكذا أهل الجزائر الأصليين المتجانسين؛ حتى لا يُقـال بتأثير الاختلافات العرقية والاجتماعية في مسار النمو، ثمَّ عمَّم نتيجته على سـكان العـالم جميعهم، فتوصل إلى أنَّ الحد الأقصى الذي لا يمكن أن يتجاوزوه هو (مليـاران وسـتمائة مليون شخص) حوالي عام (٢١٠٠م) ![١].

وفي نظرة بسيطة يلقيها الباحث على نتيجة هذه الدراسة يتضح مدى فشلها الـذريع وضعفها من حيث النتيجة ومن حيث المبدأ، فسكان العالم قبل قرن كامل من التاريخ الذي حدده بلغ (ستة مليارات نسمة)، وهم آخذون في ازدياد؛ ثم هل يصـح قيـاس الإنسـان المفكر، العاقل، صاحب الحيلة، الذي خُلقت السموات والأرض من أجله، على حشرة بهيمة ليس لها وزن في الدنيا ولا في الآخرة ؟ وأعجب من هذا كما يذكر (لي برا) كيف يمكـن مقارنة حياة الذباب في القارورة بحياته في الهواء الطلق، فهذان عالَمان مختلفـان جـذريًّا، فضلا عن مقارنتها بحياة الإنسان[٢].

ويرى الباحث أنَّ هذه النظرية ظاهرها صحيح إلا أنَّ تطبيقها لم يجر بشكل صـحيح، فقد بُني عليها استنتاجات غير صائبة؛ وذلك – في رأي الباحث – ناتج عن الإشـكالات الكثيرة المتعلقة (بالوسط المحدود)، ومنها ما يأتي:

ما حدود الوسط الذي يعيش فيـه الإنسـان؟ هـل هـو الأرض فقـط؟ أم الأرض والسماء[٣]؟ وإذا كانت السماء داخلة فيه فما نهاية حدوده فيها؟

(١) المرجع نفسه، ص١٥٠-١٥٥.

(٢) نفسه، ص ١٦٣، ولمناقشة موسّعة لهذا الموضوع يُنظر: المرجع نفسه، ص ١٤٩-١٨٢، ٢٠١-٢٢٠.

(٣) ويُلمح الباحث هنا إلى السعي الحثيث لوكالات الفضاء في البحث في السماء عن مكان صالح للعيش، ومـوارد مياه صالحة للشرب، وغيـرها من الاستكشافات السلمية للفضاء، وقد قال عبد العزيز بن عبد الله بن باز: "وقد تأملنا ما ورد في الكتاب العزيز من الآيات المشتملة على ذكر الشمس والقمر والكواكب، فلم نجد فيها ما يدل دلالة صريحة على عدم إمكان الوصول إلى القمر أو غيره من الكواكب . وهكذا السنة المطهرة لم نجد فيها مـا يدل على عدم إمكان ذلك"، وقال أيضًا: "لا يبقى إشكال في أن الوصول إلى سطح القمر أو غيره من الكواكب لا يخالف الأدلة السمعية، ولا يلزم منه قدح فيما دلّ عليه القرآن من كون الشمس والقمر في السماء". (**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**، جمع محمد بن سعد الشويعر، (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٣هـ)، ج١، ص٢٦١، ٢٦٥.

هل تدخل في هذا الوسط حِيلُ الإنسان وتدبيراته التي يهديه إليها ربه، من إيجاد متسع جديد للعيش فيه؟ أو إبداع وسيلة تُنَمِّي موارده وتُضاعفها؟

٦-المستقبل حصيلة تراكمية لما يتتابع من أحداث وعمليات تغيير[١]:

إنَّ مشكلات اليوم لم تظهر فجأة من فراغ، بل إنَّها كانت تتجمع وتتراكم – غالبًا– طيلة سنوات، إلى أن وصلت إلى حدٍّ لا يُطاق، وربما أمكن التعامل معها بطريقة أسهل لو جرى ذلك في وقت مبكر، فالأَزَمة التي نواجهها اليوم هي – بعامة – المشكلة الصغرى التي أهملناها أمس[٢]؛ فالتغيرات «الصغيرة تصبح بمرور الوقت كبيرة»[٣].

والتَّراكم على نوعين: نوع إيجابي، ونوع سلبي، فقد يكون إيجابيًّا حميدًا فيُسمى: (الدوائر التصاعدية الحميدة)، وقد يكون سلبيًّا مُحْدِثًا دوائر تراجعية مفرغة فيسمى: (دائرة التراكم المعيبة)[٤].

ويُعنى المستقبليون بالتغير الجزئي الذي لا يَعبأ به كثير من الناس، فتَضَاعُف عدد سكان مدينة في خلال جيل، يعني تحوُّلاً جذريًّا في حياة تلك المدينة نحو الأحسن أو الأسوأ، فهم يُميزون مثل هذه التغيرات التدريجية حتى يمكن رصدها واتخاذ الإجراء المناسب في وقته لتجنب الأزمات المؤلمة[٥].

وهكذا يُعدُّ الزمن عنصرًا حاسمًا في الأشياء، فإذا عُني بها في بداياتها أصبحت سهلة الإنجاز، أما إذا أُهملت فقد يصبح أمرها مستحيلاً[٦].

---

(١) عبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص١١؛ وعبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٧؛ وتعبير كورنيش عن هذا المبدأ: "الأهمية الحاسمة للزَّمن"، مرجع سابق، ص١٩٥.

(٢) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٩٥؛ وعبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٨ .

(٣) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٤٢٨.

(٤) خلاف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص٢٤.

(٥) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٩٥.

(٦) المرجع نفسه، ص١٩٦.

٧-«أنَّ النتائج المستقبلية تتأثر بشكل متفاوت بالفعل الفردي أو الجماعي»[١] :

يرى المستقبليون أنَّ «احتمالات المستقبل والعوامل المُحدِّدة للفعل تحت تحكم الأفراد والمجموعات والمنظمات الإنسانية على الأقل بشكل جزئي »[٢]؛ فالحياة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بنوع اختيار الإنسان ومداه، وبطبيعة قراراته، فهي تتأثر بما نعتزم فعله وما نصنعه، وهذا لا يجعلنا ننسى أنَّ للحياة قيودها وحدودها، من حيث المحيط الطبعي والمؤسسات الاجتماعية والأحوال السياسية والاقتصادية والثقافية، وإنَّ من صفات الاعتزام والصنع الصحيحين تبيُّن هذه الحدود والقيود[٣].

ويُقسِّم (جوفينيل) المستقبل إلى جزئين: "جزء مهيمن، وجزء قابل أن يسود؛ والمستقبل القابل لأن يسود: هو المستقبل الذي بإمكان الناس تحقيقه من المستقبل بأفعالهم الخاصة. وقد يوجد جزء من المستقبل أستطيع التحكم به وجزء آخر لا أستطيع التحكم به. وحتى الجزء الذي لا أستطيع التحكم به قد يخضع لتحكم شخص آخر»[٤]؛ فالناس إذن «مسؤولون عن مستقبلهم، والمستقبل لا يحدُثُ لهم مصادفة»[٥].

وهذه القاعدة من الأمور «الأكثر جوهرية للدراسات المستقبلية، فنحن أنفسنا نساعد في إيجاد المستقبل بقراراتنا وأعمالنا الحالية الخاصة»[٦].

المطلب الرابع : أهم النظريات المأخوذة عن علم التاريخ والاجتماع:

١-نظرية التقدم الصاعد:

ومعنى التقدم هنا أي: أنَّ الإنسانية تسير في خط سير تصاعدي نحو الأحسن، وتَضمَّن ذلك الإيمان بتقدم العقل البشري إلى ما لا نهاية[٧]، يقول (كوندرسيه

(١) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.154.

(٢) Ibid. P.154.

(٣) قسطنطين زريق، **نحن والتاريخ**، ط٢، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٣م)، ص١٧٩.

(٤) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.154. by: Jouvenel, **The Art of Conjecture**, Op. Cit., P. 52.

(٥) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٤٢٨.

(٦) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 154. by: Paul Dickson, **The Future File**, (New York, Avon, 1977), P. 16.

(٧) حسن محمد الكحلاني، **فلسفة التقدم:دراسة في اتجاهات التقدم والقوى الفاعلة في التاريخ**، (الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، ١٩٩٧م)، ص١٦، نقلاً عن: Philip Winer, 'editors', **Dictionary of The history of Ideas**, (New York, charles scribners Sons, 1973). Vol. 3, P. 634.

وينظر: مصطفى محمد متولي، "دراسة مقارنة للرؤية الغربية والإسلامية في تفسير حركة التاريخ وعلاقتها بالعملية التربوية"، في "رسالة الخليج العربي"، مرجع سابق، العدد ٤٥، (رمضان/ ١٤١٣هـ)، ص٢٨.

Condorcet)[١]: «ليس هناك حدود ثابتة توقف الإنسان من تحسين مستواه والحصول على خدمات إنسانية أوفر، وتقدم الإنسان إلى الكمال مطلقٌ بلا نهاية»[٢]، ويذهب بعضهم إلى أن التقدم محدود ببلوغ غاية، وهي تحقيق الحرية والكمال والسيطرة على الطبيعة[٣].

فهذه النظرية "رأت أن للتقدم اتجاهًا واحدًا خطيًّا لا متناهيًا، صاعدًا لا عودة فيه ولا تكرار، فيه جدة حقيقية، وإبداع متجدد للعقل البشري"[٤].

وتفترض نظرية التقدم "أن التقدم البشري سنة من سنن الكون، فكان كنه المستقبل أن يكون أفضل من الماضي لا محالة، أي أن البشرية مكتوب عليها التدرج دومًا وأبدًا نحو عالم أفضل، في ميادين الاقتصاد والعلم والاجتماع والسياسة والعلاقات البشرية وسواها"[٥]، وأنّ الأساس الذي يقوم عليه التقدم هو (العقل)، فبتقدمه يحدث الرقي في مجالات الحياة المادية والاجتماعية، ويَنتجُ تقدمُ العقلِ نفسه- في رأي (كوندرسيه) - عن تقدم الاستعدادات الفطرية في الإنسان[٦].

ظهرت هذه النظرية - بصورة واضحة ومقبولة لدى كثيرين في فرنسا- في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي[٧]، وجاءت رد فعل ضد النظرية الدائرية التي هيمنت على الفكر اليوناني، وفكرة التدهور التي ترى أن التقدم كان في الماضي وأن المستقبل آخذ في الانحطاط، ومذهب الجبرية الذي يرى أن الإنسان لا إرادة له ولا اختيار[٨]؛ وظهرت أيضًا نتيجة للتقدم العلمي وازدياد العلمانية في حياة الناس[٩].

---

(١) ولد عام (١٧٤٣م) وله كتابات في مجالات السياسة، والاجتماع، والفلسفة، وتوفي عام (١٧٩٤م). (السيد محمد بدوي، **نظريات ومذاهب اجتماعية**، (مصر، دار المعارف، ١٩٦٩م)، ص ٣٣-٣٨).

(٢) آيل، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ٤٧، (أبريل- يونيه/ ١٩٨٢م)، ص ١٠.

(٣) زريق، **نحن والتاريخ**، مرجع سابق، ص١٢١.

(٤) الكحلاني، مرجع سابق، ص١٤٧.

(٥) فخري، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص١٦.

(٦) عاطف وصفي، **كوندرسيه**، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، العدد ١٨، (مصر، دار المعارف، د.ت)، ص٣٨.

(٧) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ١١٥-١١٦؛ والكحلاني،مرجع سابق، ص٧٣.

(٨) بتصرف: الكحلاني، مرجع سابق، ص٧٣-٧٤؛ وينظر في تعريف الجبرية: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، **الملل والنحل**، تحقيق محمد سيد كيلاني، (القاهرة، مكتبة البابي الحلبي، ١٤٠٦هـ)، ج١، ص٨٥.

(٩) آيل، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ٤٧، (أبريل- يونيه/ ١٩٨٢م)، ص ١٠.

"ولم يلبث مفهوم التقدم هذا أن أصبح أحد مقومات الفكر الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والأخلاقي الحديث، حتى بات بعض العلماء والمؤرخين يتكلمون عن (ديانة التقدم)"[1]، وقال عنها المؤرخ (وارين واغر): إنَّها "دين الإنسان الغربي"[2].

ويُعدُّ (كوندرسيه) من أبرز من أوضح هذه النظرية ونشرها، فاستفاد من آراء من سبقه، وألَّف عام (١٧٩٤م) كتابه: (مخطط للوحة تاريخية عن ضروب التقدم التي أحرزها العقل البشري)[3]، وجعل هذه النظرية تفسيرًا للتاريخ[4]، فلم يَنظر إلى التاريخ على أنه تاريخ حكومات وقوانين وأخلاق وتقاليد للشعوب المختلفة، وإنَّما نظر إليه من زاوية تقدم العقل البشري[5]، "كيف استطاع الإنسان ... أن يخصب عقله بحقائق جديدة، ليطور ذكاءه، وينمي قدراته العقلية، ليتعلم أحسن الأساليب لاستثمارها من أجل تحسين وجوده والخير المشترك"[6]، فرأى من خلال تتبعه للتَّاريخ أنَّ العقل البشري قد مرَّ بتسع مراحل، وهذه المراحل هي:

"١- مرحلة الصيد.

٢- مرحلة الرعي.

٣- مرحلة الزراعة.

٤- مرحلة العلوم والفلسفة اليونانية.

٥- مرحلة الحضارة الرومانية.

٦- مرحلة الجمود العلمي.

---

(١) فخري، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد ١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص١٦.

(٢) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١١٢-١١٣، نقلاً عن: واغر، **أنباء جيدة: الإيمان بالتقدم من داروين حتى ماركوز**، (بلومنغتون، إنديانا، مطبعة جامعة إنديانا، ١٩٧٢م)، صفحة الغلاف.

(٣) بدوي، **نظريات ومذاهب اجتماعية**، مرجع سابق، ص ٣٦-٣٧، ٤٧.

(٤) الكحلاني، مرجع سابق، ص٧٤.

(٥) الطاهر، مرجع سابق، ص١٠٤.

(٦) المرجع نفسه، ص ١٠٤-١٠٥، نقلاً عن:

Howard Becker and harry Barnes; social thought from Lore to Frazer; Condorcet on the progress of the Human Mind, Oxford, 1933.
Science, dover Publications, Inc., N.Y., 3rd Ed., 1961,vol. 11. Sir James.

٧- مرحلة اختراع الطباعة.

٨- مرحلة التحرر الفكري والإصلاح الديني.

٩- مرحلة الثورة الفرنسية »[١].

ويمكن تلخيصها بشكل أوضح بأنَّها: المراحل الثلاثة الأُول السابقة، ثمَّ مرحلة الصناعة.

إنَّ تحديد هذه المراحل بهذا الترتيب أمر لا يَعرف الباحث أنَّه يقوم عليه دليل من الوحي، وقد كانت في أزمان متطاولة قبل بداية التدوين التاريخي، بل رَوى الطبري عن عدد من الصحابة ﷺ أنَّ ابني آدم اللذَين ذُكرت قصتهما في القرآن الكريم[٢] كان أحدهما راعيًا صاحب غنم أو ماشية، وكان الآخر حرَّاثًا صاحب زرع[٣]، مما يدل على أنَّ الرعي والزراعة كانتا مع بداية وجود الإنسان على الأرض، أمَّا مرحلة الصناعة بصورها المطوَّرة فحدثت بعد تدوين التاريخ، فيمكن قبولها لكونها تستند على حقائق تاريخية.

وتبعًا لنظرية التقدم ذهب مستقبليون إلى أننا على عتبة مرحلة جديدة من مراحل التقدم، وحاولوا استشراف هذه المرحلة التي تلي (مرحلة الصناعة)، وبيَّن (توفلر) أنَّ من يسبق إليها ويمتلك زمامها ويُهيء أفراده لها، يتفوق على غيره محليًّا وعالميًّا في ظل تلاشي قوة (مرحلة الصناعة) أمامها[٤]، ويُحدِّد بدء ولادتها بأنَّه العِقد الذي بدأ عام (١٩٥٥م) عندما لُوحظت زيادة عدد العاملين في قطاع الخدمات على عدد العاملين في التصنيع، وهو العِقد الذي شهد انتشار الحاسب الآلي[٥]، وذكر أنَّه ليس أمامها لتكتمل

(١) محمد أحمد الزعبي، **التغير الاجتماعي بين علم الاجتماع البرجوازي وعلم الاجتماع الاشتراكي**، ط٣، (دمشق، جامعة دمشق، ١٤١٩-١٤٢٠هـ)، ص٤٧؛ والطاهر، مرجع سابق، ص١٠٦-١٠٧؛ وينظر في بيان هذه المراحل: بدوي، **نظريات ومذاهب اجتماعية**، مرجع سابق، ص ٤٦-٦٣.

(٢) في سورة المائدة، الآيات: ٢٧-٣١.

(٣) محمد بن جرير الطبري، **تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق محمود محمد شاكر، تخريج أحمد محمد شاكر، (مصر، دار المعارف، د.ت)، ج١٠، ص ٢٠٢-٢٠٨.

(٤) ألفن توفلر، **بناء حضارة جديدة**، ترجمة سعد زهران، (القاهرة، مركز المحروسة، ١٩٩٦م)، ص ٣٣، ٣٦، ٤٧-٤٨، ٩٨-٩٩، ١٠٢.

(٥) المرجع نفسه، ص٢١.

سوى بضع عشرات من السنين؛ لأنَّ التاريخ اليوم أعظم تسارعًا من حاله في المرحلتين السابقتين[1]، واختلفوا في تسميتها، فسماها (بِل): (المجتمع ما بعد الصناعي)[2]، وأَخَذه عنه ونشره عدد من المستقبليين، منهم: (كاهن)، وأطلق عليها بعضهم (المجتمع ما بعد الحديث)، و(ما بعد الحضاري) و(ما بعد الاقتصادي) و (مجتمع المعرفة)[3]، أو (المعلومات)، وأطلق عليها (توفلر): (الموجة الثالثة)، وعَنون بها أحد كتبه، ويَعني بالموجة الأولى: (مرحلة الزراعة)، وبالثانية: (مرحلة الصناعة)[4]، وذَكر أنَّ سبب اختياره لهذا المصطلح: ليدل هذا التشبيه على ما تُحدثه الموجة عند اصطدامها بالأخرى من آثار[5]، «وعند تصادم موجات التاريخ، فإن حضارات بأسرها تتصادم. ويلقي هذا الضوء على كثير مما يبدو في عالم اليوم عشوائيًّا أو بلا معنى»[6]. وتدل التسميات السابقة باستثناء (مجتمع المعرفة) على عدم تحدد كُنه هذه المرحلة لديهم بوضوح؛ فأطلقوا عليها التسميات العامَّة التي تصدق على أيِّ شيء، ويدور كُنهها إجمالاً على الحاسب الآلي، والمعلومات، والخدمات. ويذكر (توفلر) أنَّه يُرمز لهذه المرحلة بالحاسب الآلي، وتشمل: شركات الإلكترونيات والحاسب الآلي المنطلقة نحو القمَّة، وكل الآلات والمصانع التي تحركها الحاسبات الآلية، وكل ما يعتمد على بيانات الحاسب الآلي وبرامجه من: الخدمات العلمية، والاستشارية، والتدريبية، والطِّبِّيَّة، والمالية، والعسكرية، والترويحية[7]. ولن تكون القيادة في مجتمع هذه المرحلة لرجال الأعمال والشركات المعروفة اليوم؛ لأنَّ غالبية الإنتاج ستكون مجرد عمل عادي، ولكن ستكون القيادة للمؤسسات العلمية من: الجامعات، ومؤسسات البحوث، ومعامل التجارب[8].

---

(١) نفسه، ص١٧-١٨.

(٢) دانييل بل، "ملاحظات حول المجتمع ما بعد الصناعي"، في روْي وآخرَين، مرجع سابق، ص١٥١.

(٣) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص١٢٢-١٢٥.

(٤) توفلر، **بناء حضارة جديدة**، مرجع سابق، ص١٧.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٩.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه، ص٣٣، ٩٨-٩٩.

(٨) بِل، في روْي وآخرَين، مرجع سابق، ص١٥١.

ولقد فُسِّرت فكرة التقدم بتفسيرات متنوعة، وذُكرتْ بتفصيلات كثيرة غير ما ذكره الباحث هنا في جملة الحديث عن هذه النظرية، ولقيت اعتراضات مِن كثير من علماء الاجتماع، وأنكروا صحتها كلِّيَّة[1]، وناقش (آيل) المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها ثمَّ قال: إنَّها «تمثل رغبة مأمولة أكثر مما تمثل حقيقة. وعلى ذلك، فإن فكرة التقدم إذا قوبلت بمفهوم التقدم لا تمثل إلا خرافة وعلى ذلك فإنها تُرفض- بحق — كنظرية اجتماعية »[2].

ويرى الباحث أنَّ الغلو في هذه النظرية وتعميم التقدم في كل شيء وإطلاقه أمر مرفوض تمامًا، وهو غلو ناتج عن مغالاة الإنسان في ثقته بنفسه واغتراره بقوته وما فتح الله عليه من علوم لم تكن قبله، ظنَّ أنه توصل إليها بفضل إرادته وَوُفور عقله فحسب، وتغاضيه عن نقائصه وعجزه، ونبذه للدِّين؛ لكنْ هذه النظرية منها ما هو مقبول حسب تفسير معين، ومنها ما هو باطل مردود، فمثلاً: كون الناس يستفيد لاحقهم من سابقهم ويبنون على ما استفادوا معارف جديدة، ويبني عليها من يجيء بعدهم؛ مما يجعل كل أُناس لاحقين متقدمين على من سبقهم، فهذا حق مُشاهدٌ لا يُنكَر. وليس التقدم بسبب تقدم عقول الناس عن من سبقهم، فعقول كثير من السابقين هي أوفر من كثير من عقول اللاحقين، وإنَّما كان التقدم بسبب ما تحصل لهم من معلومات وخلاصات من تجارب الأمم وما أحدثته. وهذا التقدم ليس مستمرًا بلا نهاية — كما يزعم عدد من المؤسسين لهذه النظرية— بل له أجل لا يعلمه إلا الله سبحانه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3]؛ وهناك فرق بين تقدم المجتمعات في مجالات الدنيا، وتقدمها في مجال الدين والخَلْق والأخلاق، فالأول صحيح يشهد له الواقع، والثاني الصحيح عكسه، فإنَّ الناس - إجمالاً -

(١) آيل، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ٤٧، (أبريل- يونيه/ ١٩٨٢م)، ص١٠. وينظر: الطاهر، مرجع سابق، ص١١٣-١٣٦؛ ومحمد هيشور، **سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها**، (المنصورة، دار الوفاء، ١٤١٧هـ)، ص ١٣٨.

(٢) آيل، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ٤٧، (أبريل- يونيه/ ١٩٨٢م)، ص ١٢.

(٣) سورة يونس، الآية: ٢٤.

مازال الدين والـخَلْق والأخلاق الحسنة فيهم في نقص، فعن الزبير بن عدي، قال: أتينا أنس بن مالك ﷺ، فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج، فقال: «اصْبِرُوا فَإِنَّهُ لا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إلا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ. سمعته من نبيكم ﷺ»[١]، وقال ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ قَالَ عِمْرَانُ فَلا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاثًا ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَخُونُونَ وَلا يُؤْتَمَنُونَ وَيَنْذُرُونَ وَلا يَفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ»[٢]، وقال ﷺ: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا ثُمَّ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنْ الْمَلائِكَةِ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ فَقَالَ السَّلامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الآنَ»[٣]، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ إلا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ هُـمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ لا يَدْعُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ إلا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ». فبينما هم على ذلك أقبل عقبة بن عامر ﷺ فقال له مسلمة: يا عقبة ! اسمع ما يقول عبد الله. فقال عقبة: هو أعلم. وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمْ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ». فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «أَجَلْ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ فَلا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ الإِيمَانِ إلا قَبَضَتْهُ ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[٤].

---

(١) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، ج٨، ص١١٥، ح٧٠٦٨؛ والترمذي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب ما جاء في أشراط الساعة، ج٤، ص٤٢٦، ح٢٢٠٦.

(٢) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ج٤، ص٢٢٨، ح٣٦٥٠؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضل الصحابة ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ج٤، ص ١٩٦٤، ح٢٥٣٥.

(٣) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ج٤، ص١٢٣، ح٣٣٢٦؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، ج٤، ص ٢١٨٣-٢١٨٤، ح٢٨٤١.

(٤) مسلم، مرجع سابق، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم)، ج٣، ص ١٥٢٤-١٥٢٥، ح١٩٢٤.

٢-نظرية التعاقب الحضاري:

وتعني هذه النظرية أنَّ الدولة وكذا الحضارة لهما حياة وطريقة تشبه حياة الكائنات الحية، حيث تبدأ بالميلاد، فمرحلة ضعيفة، ثم القوة والازدهار، ثم الهرم والضعف، فالانهيار؛ عنده تقوم مكان الدولةِ دولةٌ، وبدل الحضارةِ حضارةٌ تعقُبها؛ ومن أوائل من لفت الأنظار إلى هذه النظرية المؤرخ المسلم ابن خلدون حيث ذَكر أنَّ الدولة تمر بثلاثة أجيال متعاقبة[١]:

الأول: البداوة.

الثاني: التحضر.

الثالث: الهرم المؤذن بالانقراض، فتعقبها دولة أخرى.

ومن الغرب ذهب الإيطالي (فيكو Giambattista Vico) و(أوزفالد شبنجلر Oswald Spengler) وغيرهما «إلى أنَّ الوجود الإنساني هو سلسلة لا متناهية من الصعود والهبوط، إذ إن الثقافات الكبرى شأنها شأن أمواج المحيط. تظهر، وترتفع إلى أقصى مستوى. ثم لا تلبث أن تتدهور لتحل محلها ثقافة أخرى تتخذ نفس الدورة، فكل ثقافة تشبه الكائن الحي حيث إنَّها تمر بدورة حياة تبدأ بالميلاد، فالطفولة، ثم النضج، فالهرم وأخيرًا الموت. وهكذا»[٢].

٣-نظرية الحركة الدائرية:

«هذه النظرية تصورت التاريخ في حركة أبدية لا تنتهي، تتكرر فيها الأحداث بمسار دائري إذ لا مجال هنا لظهور الجديد، ثم إنها ألغت تأثير الإنسان وعقله؛ لأن القوى المحركة قوى خارقة للطبيعة»[٣]، وقد «سادت الفكر الشرقي واليوناني ثم ظهرت كطفرة أو كحالة استثناءة لدى نيتشه في الفكر الحديث »[٤]، وتنعكس هذه النظرية «بشكل جيد في

---

(١) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج٢، ص ٥٤٦-٥٤٧.

(٢) غيث ومحمد، مرجع سابق، ص٢٢٢، نقلاً عن:

O. Spengler, **The Decline Of The West**, (N. Y. Alfred A. Knopf, 1926),Pp. 104- 133.

وينظر: الطاهر، مرجع سابق، ص٢٣٧-٢٣٩؛ والزعبي، مرجع سابق، ص٦٤-٦٥.

(٣) الكحلاني، مرجع سابق، ص٨١-٨٢.

(٤) المرجع نفسه، ص٨١.

الهندوسية[1] والبوذية[2] »[3]، فخلال دوائر المليون سنة يأخذ المجتمع بالتردي والانحلال ليصل إلى أسوء عصر؛ عندها يظهر قائد يمنح المجتمع حياة جديدة[4]، وأكثرهم على أنَّ الـدورة «ثلاثون ألف سنة، وبعضهم على أنها ثلاثمائة ألف سنة وستين ألف سنة »[5].

وهذه النظرية جاهلية لا تقوم على وحي ولا عقل، فهي ظاهرة البطلان لا تحتـاج إلى تعليق.

٤ -«مبدأ القياس»[6] التاريخي، أو «التشـابه التـاريخي Historical Analogy»[7] أو أنَّ التاريخ يعيد نفسه:

«القياس التاريخي عملية مماثَلة مفتعلة غالبـًا يجري التماثل فيها بين مراحل»[8]، ولـيس المراد هنا أنَّ المستقبل تكرار للماضي حسب نظرية الدوران القديمة[9] الآنفة الذِّكْر، وإنَّمـا هو مبدأٌ «مبني على ملاحظتنا أن نماذج معينة من الأحداث تتكرر من وقت لآخـر. فـإذا لحظنا حدثـًا نعتقد أنه يشبه حدثـًا معينًا سابقًا فربما نتنبأ أن هذا الحدث الجديد سـتتلوه

(١) هي دين الغالبية في بلاد الهند، دخلت إليها عام (١٥٠٠ق.م)، وليس لها مؤسـس يُعـدُّ مصـدرًا لتعاليمهـا وأحكامها، لها عدد كثير من الكتب، وهي ديانة تجمع - بمزج - بين الوثنيـة السـاذجة، والآراء الفلسـفية، والزهد. (محمد سيد كيلاني، **ذيل الملل والنحل**، ضمن الشهرستاني، مرجع سابق، ص٩-١٠؛ والندوة العالميـة للشباب الإسلامي، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، ط٢، (الرياض، الندوة العالمية للشـباب الإسلامي، ١٤٠٩هـ)، ص٥٣١-٥٣٢).

(٢) ظهرت في الهند في القرن الخامس قبل الميلاد، أسسها (سدهارتا جوتاما) الملقب (بوذا)، بـدأت بالـدعوة إلى التصوف والخشونة في المعيشة، والتسامح وفعل الخير، وما لبثت بعد موت مؤسسها أن تحولـت إلى معتقـدات باطلة ذات طابع وثني، حتى ادَّعوا أُلوهية (بوذا). (الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مرجع سابق، ص١٠٧).

(٣) Masini, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, P. 76.

(٤) Sohail Inayatullah, "Methods and Epistemologies in Futures Studies", in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, Pp. 200-201.

(٥) الشهرستاني، مرجع سابق، ج٢، ص٢٥٥.

(٦) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٠٦.

(٧) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 76.

(٨) عبد المعطي، مرجع سابق، ص١٣٩.

(٩) فخري، في "الفكر العربي"، مرجع سابق،(**العدد**١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص ٢١.

أحداث أخرى معينة مشابهة لتلك التي حدثت بعد الحدث الأول المشابه»[1]؛ فهذا المبدأ مبني على أساسِ عقدِ نوع من المقارنة أو التشابه بين الحدث الذي نريد أن نتوقعه وبين أحداث أخرى مشابهة، وتوظيف معلوماتنا عن الأحداث المعروفة في توقع الأحداث المجهولة[2]، وهكذا فإنَّ ملاحظة ماضي الظاهرة يؤدي إلى توقع مستقبلها[3]. قال ابن الأثير مُعدِّدًا بعض فوائد التأريخ ومطالعته: «ومنها ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها فإنه لا يحدث أمر إلا قد تقدم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلا. ويصبح لأن يقتدى به أهلاً»[4].

و«من خلال محاولات الاستفادة من الماضي يبرز السؤال المتكرر: أيعيد التاريخ نفسه؟ ويأتي الجواب بالنفي عند البعض أو بالتأكيد عند آخرين ... والحقيقة: إن التاريخ لا يعيد نفسه حذو المثال بالمثال زمانًا ومكانًا، فإن هذا ليس من طبيعة الأمور وسنن الكون الربانية... فالصور لا تتطابق ولكن تتشابه، والوقائع لا تتكرر ولكن طبيعة العقل البشري وتركيبة الإنسان التي خلقه الله عليها تتشابه كثيرًا، مما يجعله يتصرف التصرفات نفسها أحيانًا مع اختلاف الزمان والمكان ويفكر بالطريقة نفسها... وكل هذا يجعلنا نقول: نعم، يعيد التاريخ نفسه ولكن بصور أخرى، وألوان أخرى، ولذلك ذكر القرآن الكريم قصص [نصر الله الأنبياءَ][5] والمؤمنين كما ذكر قصة بني إسرائيل وقصص الطغاة المتجبرين،

---

(١) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٠٦.

(٢) أحمد محمد فرحات: "أساليب التنبؤ في مجال العلوم والتكنولوجيا"، معهد التخطيط القومي، **الأساليب الحديثة في التخطيط طويل المدى للبلاد العربية**، ضمن مجلد : مفهوم ومشكلات وأساليب التخطيط طويل المدى للعالم العربي، الجزء الثاني، (القاهرة، معهد التخطيط القومي، ديسمبر/١٩٧٨م)، ص١٣.

(٣) صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص ١١٦.

(٤) علي بن محمد الشيباني ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ط٣، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٠هـ)، ج١، ص٨.

(٥) في المرجع (نَصره للأنبياء) بعود الضمير على القرآن وهو ليس بصحيح.

وأسباب هلاك الأمم لأنها ستعاد وتتكرر في تاريخ الإنسانية وسيُفعل بالمتأخر ما فُعل بالمتقدم»[1].

يقول (شمتز): «إن التطور التاريخي لا يسير في خط مستقيم، بل ينحني ويعاود السير في درب سبق له سلوكه، وهذا ما يعبر عنه بأن التاريخ يعيد نفسه -أي أن أحداثا سابقة تعود إلى الظهور متشحة نفس الثوب الذي ميزها عن غيرها في العصور السالفة- نجد ذلك واضحا في حركة الوهابيين، فقد عادت معها مميزات من عصر النبي»[2] ﷺ .

ويُبيِّن الباحث أنَّه لابد من الحذر والحيطة عند إجراء القياس، والقصد فيه، وعدم المبالغة، أو تعميم ما هو خاص، والتدقيق في صحة الروايات والوقائع التاريخية التي يُراد القياس عليها، والاعتماد على الصحيح منها، والعناية في تحري أوجه الشبه بين الحدثين، ودراستهما والتأمل فيهما بإمعان، وتَبيُّن العوامل المؤثِّرة الموجودة أو المحتمل وجودها في الحدث المقيس والتي لا توجَد في الحدث المقيس عليه، أو الموجودة في المقيس عليه والتي لا توجَد في المقيس، ويَصدق على هذا ما ذكره ابن خلدون من الخطأ الذي يقع فيه عدد من المؤرخين عند قياسهم الماضي على الحاضر، بقوله: «والقياس والمحاكاة للإنسان طبيعة معروفة، ومن الغلط غير مأمونة، تخرجه مع الذهول والغفلة عن قصده، وتعوج به عن مرامه. فربما يسمع السامع كثيرًا من أخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغير الأحوال وانقلابها، فيُجْريها لأول وهلة على ما عرف ويقيسها بما شهد، وقد يكون الفرق بينهما كثيرًا، فيقع في مهواة من الغلط »[3].

ولهذا المبدأ أثر مهم في إعداد المشاهد المستقبلية – أحد الأساليب المهمة في الدراسات المستقبلية – ؛ لأنَّه ينطوي على تحليل للخبرات السابقة؛ فيُفضي إلى الكشف عن الترتيب

---

(١) محمد العبده، **أيعيد التاريخ نفسه؟ دراسة لأحوال العالم الإسلامي قبل صلاح الدين مقارنة مع واقعنا المعاصر**، (لندن، المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ)، ص٥-٦؛ وينظر: فخري، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، **العدد١٠**، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٢٠-٢١.

(٢) مرجع سابق، ص١٢٢.

(٣) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج١، ص٣٢١-٣٢٢.

الزمني والمنطقي للأحداث المختلفة[1]، لكنْ مع التغير السريع والتعقيد في العلاقات المتبادلة للمتغيرات تزداد صعوبة استخدام هذا المبدأ في التوقع[2]، كما أنّه – في نظر الباحث – تزداد أهميته.

المطلب الخامس : التفاؤل والتشاؤم في نتائج الدراسات المستقبلية وأثر النظريات المتبناة فيهما :

عُرِّف التفاؤل والتشاؤم «بأنهما إما توقعات إيجابية للنتائج بوجه عام (عند المتفائل) أو سلبية (عند المتشائم) »[3].

ينقسم المستقبليون إلى قسمين: متفائلين، ومتشائمين[4]، والأكثر منهم ينظرون إلى أكثر الأمور نظرة متفائلة[5]. ويرون أنّ أي مشكلة قائمة أو متوقعة – مع قلقهم تجاهها – سوف يحلّها التقدم التقني العلمي ويتحكم بها ويتخلص منها، فمشكلة البطالة والفراغ، ومشكلة زيادة السكان مقابل نقص الموارد وانخفاض الأراضي الصالحة للزراعة، وغير ذلك سوف يواجهها التقدم بالحكمة والضبط؛ «وهكذا يمكن وصف جماع الرأي المستقبلي بأنه «تفاؤل عميق القلق » »[6].

---

(١) إبراهيم العيسوي، "عرض موجز للأساليب التي يمكن الاستفادة بها في إعداد التنبؤات والتصورات المستقبلية كأساس للتخطيط طويل المدى"، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص٢٠.

(٢) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 76.

(٣) حسن عبد اللطيف، ولولوة حمادة، "التفاؤل والتشاؤم وعلاقتهما ببعدي الشخصية: الانبساط والعصابية"، في "العلوم الاجتماعية"، جامعة الكويت، الكويت: العدد ١، (ربيع ١٩٩٨م)، ص٨٦، نقلاً عن:

Scheier, M. F. & Carver, C. S., "Optimism, coping, and health: Assessment and implications of generalized outcome expectancies". Health Psychology 4 (3): Pp. 219-247.

(٤) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 13.

(٥) يُنظر على سبيل المثال: تافيس، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ١، (شعبان/١٣٩٠هـ)، ص٨٢-٨٤؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٧٤-٨١؛ و

Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., Pp. 13-14.

وينظر نماذج من المتشائمين ودراساتهم: كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٤٩-٧٣.

(٦) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٧٥.

وترى (ماسيني) أن التفاؤل والتشاؤم أمران نسبيان، فمن الصعب أن يكون المرء متفائلاً دائمًا (بالكامل) أو متشائمًا دائمًا، فالشخص الواحد قد يكون متفائلاً في مجال ومتشائمًا في مجال آخر، وهما مسألة تركيز وغلبة وليستا مسألة سيطرة أو نظرة كلية أو استقطاب(١).

وقد أَرجعَ المستقبليون التفاؤل والتشاؤم إلى أسباب مختلفة، منها ما يعود إلى النظرية المتبناة، ومنها ما يعود إلى غيرها، على النحو الآتي:

١-التفاؤل أوالتشاؤم بسبب النظرية المتبناة:

أ-أنَّ الإيمان بنظرية التقدم يؤدي إلى نظرة متفائلة(٢)، ومن الأمثلة، (هِرمان كاهن) في كتابه « المائتا سنة القادمة »، فقد أبدى تفاؤله بأنَّ النمو السكاني والاقتصادي يمكن أن يستمرا، وأن المشكلات المرتبطة بهذا النمو يمكن معالجتها معالجة فعالة بالتقنية المحسنة(٣)؛ وفي دراسة لأحد الباحثين: وجد أن القادة الذين آمنوا بالتقدم كانت نظرتهم لمستقبل قضية البحث إيجابية متفائلة، والقادة الذين لم يؤمنوا بالتقدم كانت لهم صور مغايرة عن المستقبل(٤).

ب-الإيمان بنظرية تعاقب الحضارات، يرى الباحث أنه إذا ما توافرت للدولة أو الحضارة عوامل قوتها فإن النظرة تكون متفائلة في أوائل الدولة ووسطها، ومتشائمة في أواخرها عندما تُرى بعض عوامل السقوط ولا يُقابلها يقظة وإصلاحات صحيحة في بنية الدولة أو الحضارة.

ج-من أسباب التفاؤل: الثقة الكبرى "بقدرة الإنسان على التحكم في مصيره"(٥)، وهي جزء من نظرية التقدم، وهذا – في رأي الباحث – من الضلالات الكبرى لدى كثير من المستقبليين، فقد أعلو شأن الإنسان، وجعلوه الحاكم والمسيطر الذي لا يُعجزه شيء.

---

(١) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 13.

(٢) الزعبي، مرجع سابق، ص٤٣-٤٤.

(٣) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٢٠.

(٤) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, Pp. 83-84.

(٥) تافيس، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد١، (شعبان/١٣٩٠هـ)، ص ٨٤.

٢-التفاؤل أوالتشاؤم لأسباب أخرى:

أ-يرى (لينستون Linstone) أنّ التَّطلع طويل المدى – أكثر من عشر سنوات– يُسبب التشاؤم، والتطلع دون ذلك يُؤدِّي إلى التفاؤل، فهما عنده متعلقان بالبُعد الزماني للدراسات المستقبلية(١). وهو أمر لا يوافق الباحث عليه.

ب-ويرى (فاكا Vacca) أن التشاؤم ينتج أيضًا «عن التعقيد الحاصل في العالَم، والذي يجعله غير طيِّع، ولا يمكن السيطرة عليه »(٢).

ج-وترى (ماسيني) أنّه من خلال تعليم التطلع إلى الأمام سنتمكن من تكوين مفهوم المستقبل وفهمه بصفته (احتمالات)، منها نختار بِحرِّيَّة، عندها نتمكن من التفكير بصورة متفائلة عن المستقبل(٣).

ويرى الباحث أنّ التفاؤل الذي سَرى بين كثير من المختصين في الدراسات المستقبلية ليس بسبب اختصاصهم في هذا المجال وتكَوُّن مفهوم الدراسات المستقبلية لديهم، أو إيمانهم بنظرية معيَّنة، أو ما ذُكر من أسباب أخرى فحسب، بل إنَّه مرتبط قبل ذلك بأنّ كثيرًا منهم ينتمي إلى أمَّة غالبة، قد أمدَّها الله بأسباب القوة والعلم الدنيوي، والأمَّة الغالبة يسودها من التفاؤل مالا يسود الأمة المغلوبة المتشرذمة المتفرقة الضعيفة؛ كما أنّ التفاؤل أيضًا يكون مصدره استجابة القادة للمستقبليين وتبني آراءهم والسير في التغيير وَفق خططهم واحتمالاتهم، وأنّ التشاؤم يكون بعكس ذلك.

---

(١) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 49. by: Harold Linstone, W. H. Clive Simmonds (eds.). Futures research, new directions, (London and Amsterdam, Addison-Wesley, 1977).

(٢) Ibid, P.13. by: Roberto Vacca, **The coming of the dark ages**, (New York, Doubleday, 1973).

(٣) Ibid, P. 14.

خاتـــمة :

اتضح في هذا الفصل أن من أهم الأهداف السِّلمية للدراسات المســـتقبلية : المســـاعدة لحسن اتخاذ القرارات الحاضرة . وأن أهمية الدراسات المستقبلية تبرز في المجتمع المتميز بسرعة التغير وعمقه، والمهدد بتحديات ضخمة وخطيرة.

وأن النظريات في الدراسات المستقبلية لم تحظ بالعناية، وما قدمه المستقبليون عبارة عن بعض المبادئ، والقواعد، وهم عيال فيها على مجال التاريخ والاجتماع .

الفصل الثالث

مناهج الدراسات المستقبلية ، وأساليبها

المبحث الأول : مناهج الدراسات المستقبلية

المبحث الثاني : أساليب الدراسات المستقبلية

المبحث الأول

مناهج الدراسات المستقبلية

المطلب الأول : تعريف المنهج في اللغة والاصطلاح:

المنهج والمنهاج في اللغة العربية : الطريق البيِّن الواضح، ومنه قول الله تعالى[1]: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[2].

والمنهج في الاصطلاح عُرِّف بعامة، ومناهج الدراسات المستقبلية بخاصة[3]، بعدد من التعريفات، من أهمها ما يأتي :

١-«مناهج الدراسات المستقبلية هي: مجموعة...الأساليب والطرق التي استخدمت في إعداد الدراسات المستقبلية، والأدوات البحثية التي استندت إليها، كما أنها تتضمن أيضاً الفروض التي استندت إليها»[4].

٢-عرَّف المعجم الفلسفي المنهج: بأنَّه «مجموعة الإجراءات التي ينبغي اتخاذها بترتيب معين لبلوغ هدف معين»[5].

---

(١) ابن منظور، مرجع سابق، ج٢، ص٣٨٣، مادة : (نهج).

(٢) سورة المائدة، من الآية: ٤٨.

(٣) لم تتفق الكتابات التي تعرضت لذكر مناهج الدراسات المستقبلية على تسميتها (مناهج)، بل منهم من سماها بذلك، وبعضهم سمّاها: (أنماطًا)، وبعضهم: (أساليب)، وبعضهم: (سُبلاً)، وبعضهم: (طرقًا)، وبعضهم غير ذلك؛ كما أنَّ أكثرهم عند تعريفهم للمناهج لم يقصروها على المناهج حسبما سيورده الباحث وأورده غيره، وإنَّما شمل التعريف عند بعضهم المناهج والأساليب، وبعضهم أضاف إلى ذلك النظريات والمبادئ المستقبلية. (ينظر: روبرت يونج، "نظرة إلى الغد"، في "رسالة اليونسكو"، مرجع سابق، العدد ١١٩، (مايو/١٩٧١م)، ص١٢؛ ولادا، المرجع نفسه، ص٢٣؛ وكرم الله علي عبد الرحمن، "التنبؤ ودوره في اتخاذ القرارات"، في "الإدارة العامة"، معهد الإدارة العامة، الرياض: العدد ٣٢، (ربيع الآخر/ ١٤٠٢هـ)، ص١٩٠؛ وعبد الرحمن، في"عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص١٩-٢٢؛ وزاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٦؛ وعبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص٢٤؛ وزاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص٢٦).

(٤) حافظ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص٩٠.

(٥) عبد المنعم الحفني، **المعجم الفلسفي**، (بيروت، دار ابن زيدون، والقاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٢م)، ص٢٨٦، مادة : (منهج).

٣-«مناهج البحث العلمي المستقبلي هي طرق النظر المؤدية لمعرفة عواقب الأمور معرفة احتمالية»[١]، وهو التعريف المختار لدى الباحث.

المطلب الثاني : حال المناهج في الدراسات المستقبلية:

عُني الإنسان بالماضي والحاضر والمستقبل، ونجح في التوصل إلى المناهج الملائمة للبحث لكلٍ من الماضي والحاضر، غير أنَّ جهوده في مناهج الدراسات المستقبلية لا تزال في بداياتها[٢]، وقد حرص المستقبليون خلال فترة الستينيات والسبعينيات الميلادية - بخاصة - «بتأصيل الأسس المنهجية للدراسات المستقبلية من خلال توظيف التراث المنهجي للمعرفة العلمية في شتى ميادينها الطبيعية والإنسانية والاجتماعية والرياضية، والاستعانة بالمنهج التكاملي والأدوات البحثية التي تكفل أكبر قدر من الموضوعية والدقة في تحديد أطر ومستويات التحليل في البحوث المستقبلية»[٣]، «ورغم هذا، فلا يزال الاهتمام بموضوع المنهج ... في البحوث والدراسات المستقبلية لا يحظى إلا بالنزر اليسير من الجهد العلمي إذا قيس بالجهد الموجه أساسًا إلى إجراء البحوث والدراسات المستقبلية في حد ذاتها»[٤]، كما لا تزال المناهج والأدوات التحليلية محل مناقشة ونقد في الدوائر المعنية بالدراسات المستقبلية وبين المدارس والتيارات العلمية المختلفة[٥].

المطلب الثالث : تعدد المناهج:

تتعدد المناهج في الدراسات المستقبلية بسبب تعدد المدارس المختلفة لها وبخاصة المدرسة الأمريكية والأوروبية[٦]، ولم يتفق المستقبليون على ذِكر مناهج بعينها، فقد عدَّها بعضهم

---

(١) صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص١٢٥.

(٢) فؤاد أبو حطب، وآمال صادق، **مناهج البحث وطرق التحليل الإحصائي في العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية**، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩١م)، ص٦٦.

(٣) عبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص١٣.

(٤) صالح، المرجع نفسه، ص١٩٧، نقلاً عن:
Robert Jungk, "Breakthrough to tomorrow", in Courier, UNESCO, April 1971, P.10.

(٥) عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص١٥؛ وعبد الفضيل، **حوار مع المستقبل**، مرجع سابق، ص١٥ ؛ وطعمة، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص٥٩.

(٦) بتصرف: Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 18.

اثنين: المنهج الاستكشافي، والاستهدافي أو المعياري(١)، وبعضهم ثلاثـــة، بإضـــافة المنـــهج الحدسي(٢)، وبعضهم أربعة، بإضافة منهج التحليل المستقبلي(٣)؛ وهـــذا التعـــدد - في رأي الباحث - صورة من صور التدرج الحاصل في تطور الدراسات المستقبلية في سبيل استكمال مناهجها وأساليبها.

وقد يُستخدم في الدراسة الواحدة أكثر من منهج، وقد ينطوي منهج على منهج آخر أو يُؤسَس عليه(٤).

وتُسهم العوامل الآتية في تحديد المنهج لإجراء أي دراسة مستقبلية:

١-«مجال الدراسة المستقبلية »(٥).

٢-«التراكم المعرفي في مجال التخصص أو الفرع الذي أخضع للدراسة »(٦).

٣- «البعد الزمني للدراسة »(٧).

٤- «الإطار النظري للدراسة »(٨).

٥- الانتماء القومي والعقدي والفكري للباحث(٩).

٦-هدف الدراسة(١٠).

٧-المقدرة المادية(١١).

---

(١) منهم: زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٦.

(٢) منهم: يونج ، في "رسالة اليونسكو"، مرجع سابق، العدد ١١٩، (مايو/١٩٧١م)، ص١٢.

(٣) منهم: عبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص٢٤؛ وصالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العـــدد ٤، (ينـــاير / ١٩٨٨م)، ص٢٠٤؛ ولادا، في "رسالة اليونسكو"، مرجع سابق، العدد ١١٩، (مايو/ ١٩٧١م)، ص٢٣؛ و Joseph F. Coates, "Normative Forecasting", (1994), in: American Council, Op. Cit., P. 1.

(٤) زاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص٤٠.

(٥) عبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص١٥.

(٦) المرجع نفسه.

(٧) نفسه.

(٨) نفسه.

(٩) نفسه.

(١٠) بتصرف: Coates, in American Council, Op. Cit., P. 9.

(١١) بتصرف: Ibid.

المطلب الرابع : بيان مناهج الدراسات المستقبلية :

١-المنهج الحدسي (Intuitive):

الحَدْسُ في اللغة العربية: «الظَّنُّ، والتَّخْمينُ، والتَّوَهُّمُ في مَعاني الكلامِ والأمُورِ»(١)، وقيل: «الحدس : الظن المؤكد»(٢).

والحدس في الاصطلاح : «هو الإدراك المباشر لموضوع التفكير، وله أثره في العمليات الذهنية المختلفة، فيلحظ في الإدراك الحسي ويسمى حدسًا حسيًا...

ويكون أساسًا للبرهنة والاستدلال، ويسمى حدسًا عقليًا... فبالحدس ندرك حقائق التجربة كما ندرك الحقائق العقلية، وبه نكشف عن أمور لا سبيل إلى الكشف عنها من طريق سواه، وهو بهذا أشبه بالرؤية المباشرة والإلهام»(٣).

والمنهج الحدسي يقوم أساسًا على الحصيلة المعرفية والموهبة والخبرة والتجارب الشخصية للمرء(٤)، الذي يقوم بدوره بانتقاء بعض المتغيرات التي يَعتقد بأنها سوف تؤثِّر في المستقبل، ثم يَذكر أوجه تأثيرها ومداه(٥)؛ وغالبًا يكون ذلك من غير أن يُقِيْم البراهين عليها، ويَعجز عن شرح كيفية وصوله إلى توقعاته(٦).

وهذا المنهج مفيد في اتخاذ القرارات المستعجلة التي لا يمكن تأجيلها، وذلك عندما لا يوجد ما يكفي من الوقت لجمع البيانات وتحليلها(٧).

وانتُقد هذا المنهج بأنه عمل ذاتي أكثر من كونه عملاً علميًّا، حيث يفتقر إلى القاعدة الموضوعية من البيانات والملاحظات التي تُقَوِّم التوقعات التي يتوصل إليها الباحث تقويمًا

---

(١) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص٦٩٢، مادة : (حدس)؛ وينظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج٦، ص٤٦، مادة : (حدس).

(٢) ابن المناوي، مرجع سابق، ص١٣٧.

(٣) مجمع اللغة العربية، **المعجم الفلسفي**، (القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٤٠٣هـ)، ص ٦٩-٧٠ .

(٤) عبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص٢٤، حاشية رقم ١٠ ؛ و
Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 78.

(٥) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص ٧٤ .

(٦) صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٢٠١-٢٠٢؛ وعبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص٢٤، حاشية رقم ١٠.

(٧) كرم الله، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد ٣٢، (ربيع الآخر/ ١٤٠٢هـ)، ص١٩٠.

علميًّا؛ ولذلك توصف هذه الدراسات بالذاتية، فهي عادة تنبثق عن رؤية حدسية تعكس ذاتية الفرد وخبراته الخاصة[١]؛ فتأتي النتائج انعكاسًا مباشرًا لما يتخيره المستقبلي من متغيرات وما يركِّز عليه من ظواهر[٢].

ووصفه بأنَّه (حدسي) لا يقلل بأي حال من شأنه إذ إنَّ كل مناهج الدراسات المستقبلية تعتمد على قدر من الخيال[٣] المنضبط .

ويرى الباحث أنَّ هذا المنهج يُمارسه كثير من الناس – منذ القِدَم – في حياتهم العامة، وشؤونهم السياسية، والعسكرية، والعلمية، والاجتماعية، والاقتصادية. لكن لا يرى استخدامه إلا عند عدم إمكان استخدام غيره .

٢-المنهج الاستكشافي أو الاستطلاعي (Exploratory)، أو"الاستقرائي Extrapolation"[٤]:

يقوم بمدِّ الماضي والحاضر إلى المستقبل، من خلال دراسة الحاضر واستقراء فترة محددة من الماضي أو فترات[٥]؛ فأساس هذا المنهج يقوم على : "أن عالم الغد هو امتداد لعالم اليوم الذي هو بدوره امتداد لعالم الأمس، وأن اختلاف المستقبل عن الحاضر عن الماضي القريب هو اختلاف في الدرجة لا اختلاف في النوع ، فالتغير الذي سيحدث بالنسبة للمستقبل هو تغير كمي أساسًا أكثر منه تغيرًا كيفيًّا"[٦]؛ فالأحوال "التي كانت في الماضي سوف تتواصل في المستقبل... [و][٧]الوضع الذي نلحظه اليوم سيبقي نفسه أو أنه سيواصل تغيره

---

(١) صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص٢٠١-٢٠٢.

(٢) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص ٧٤.

(٣) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٠.

(٤) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 45.

(٥) زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٦؛ وعبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٣٢؛ وعبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص٢٤، حاشية رقم ١١؛ وفرحات، في: معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص٢؛ وزاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص٢٦.

(٦) صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص١٩٨.

(٧) زيادة من الباحث؛ لربط السياق بعد الحذف.

بالطريقة نفسها التي نلحظ الآن أنه يتغير بها »[1]؛ أي أنَّ هذا المنهج يعني «ضمنًا أن المستقبل صورة متغيرة الأرقام للماضي والحاضر»[2].

«ونادرًا ما يفرض التوقع الاستكشافي ناتجـًا واحدًا ، بل ينسجم إلى حد بعيد مع الأبحاث المستقبلية المعاصرة»[3] في وصفها لعدد من الرؤى المستقبلية المحتملة[4].

ويكون السؤال في هذا المنهج: ما صورة المستقبل المتوقع؟ أو: أين سنذهب؟[5]، ويهدف إلى استكشاف القوى المتعددة المؤثرة في مسيرة النظام موضوع الدراسة[6].

ويتميَّز هذا المنهج عن المنهج (الحدسي) السابق بأنَّه يعتمد أكثر على قاعدة موضوعية من البيانات والمعلومات[7]؛ وتفيد المؤشرات المستخدمة فيه التي تصف متغيرات مختلفة بأنَّها «ترفع إلى السطح الذي لايظهر عادة »[8].

وكان هذا المنهج الأكثر استخدامًا في بدايات الدراسات المستقبلية بعد الحرب العالمية الثانية عام (١٩٤٨م) إلى بداية السبعينيات الميلادية، ولا يزال يستخدمه كثير من المستقبليين[9]؛ وهو المستخدم «في غالب الأحيان من طرف المنظمات الدولية ومختلف المعاهد المستقبلية الغربية في دراستها حول العالم الثالث»[10].

---

(١) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٠٥-٢٠٦؛ وينظر: طعمة، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص٩٢.

(٢) طعمة، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص٩٤.

(٣) Coates, in American Council, Op. Cit., P. 3.

(٤) Ibid.

(٥) صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص٢٠٥، نقلاً عن:
Fred. L. Polak, **Prognostics : Ascience in Making Surveys and Creates Future**, (Amsterdam, Elsvier publishers, 1971). P. 244.

(٦) Coates, in American Council, Op. Cit., P. 3.

(٧) صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٢٠٤؛ وعبد الرحمن، المرجع نفسه، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٢٠.

(٨) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 74.

(٩) Ibid. Pp. 22, 45, 74.

(١٠) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٢٣٣.

ومن أمثلة استخدامات هذا المنهج الدراساتُ التي أُجريتْ عن توقع النمو السكاني، وزيادة تلوث البيئة، وزيادة المخزون من الأسلحة النووية، ونحوها، والتي تعد بمثابة نظام للإنذار المبكر يساعدُ في العمل على الحد من بعض الاتجاهات الخطيرة والعمل على زيادة سرعات بعض الجوانب الإيجابية(١).

وانتُقد هذا المنهج بما يأتي:

أ-أنَّه منهج امتدادي غير مبدع لأنَّه يُعيد إنتاج الحاضر في تحليله النهائي(٢)، وهدف الدراسات المستقبلية الحديثة ليس التوقع ومد الاتجاه فحسب بل ومحاولة التأثير في شكل المستقبل، وتكوينه بإحدى الصور المرغوبة التي قد تكون مختلفة تمامًا عن الماضي والحاضر.

ب-أنَّه يُعبِّر في حقيقة الأمر عن حالة الأمور في الماضي أكثر مما يُعبِّر عن احتمالات المستقبل(٣)، فلا غرو أن تكون «النتيجة تزكية للماضي أكثر مما هي استكشاف للمستقبل»(٤)؛ فهو بهذا يفقد الرؤية التطورية للأحداث(٥) والتحولات والتغيرات المُقبلة، إذ إنَّ تحولاً واحدًا من شأنه أن يؤثر على صحة التوقعات جميعها(٦)؛ ولذا فإنَّ معالجته جزئية(٧)، فهو منهج قاصر(٨).

ج-أنَّه لا يختفي منه العنصر الذاتي تمامًا، فهو يقوم على افتراضات معيَّنة يفترضها المختص، يُؤثِّر فيها: إيمانه العقدي، وانتماؤه القومي، وتوجهاته الفكرية، إضافة إلى أنَّ المختص لا يُعنى في هذا المنهج باختبار كافة الافتراضات الخاصة بدراسة مستقبل الظاهرة بل ما اختاره فقط(٩)؛ ويُخالف الباحث في كون هذا من الانتقاد المؤثِّر، فالمؤثِّرات المذكورة لا

---

(١) يونج، في "رسالة اليونسكو"، مرجع سابق، العدد ١١٩، (مايو/١٩٧١م)، ص١٣؛ و
Masini ،**Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 55.

(٢) زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٦.

(٣) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص ٧٤.

(٤) صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص١٢٨.

(٥) حافظ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص١٠١.

(٦) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٢٣٣؛ ويُنظر:
Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., Pp. 36-37.

(٧) نصار، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ١، (صفر/ ١٤١٨هـ)، ص١٨.

(٨) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٢٣٣.

(٩) عبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٢٠.

تنفك عنها كثير من دراسات الماضي والحاضر فضلاً عن الدراسات المستقبلية، وقد يكون منها ما هو مطلوب إذا قُيِّد بالموضوعية، والافتراضات ليست لها نهاية فلا بُدَّ من الاقتصار على المهم منها، فاقتصار المختص على بعضها أمر مطلوب إذا خلا من إهمال مُهمٍّ منها لهدف ما(١).

وقد بات واضحًا لدى المستقبليين أن المستقبل لن يكون بكل حال استطرادًا خطِّيًّا لما هو قائم، ولا استمرارًا لاتجاهات تحددت خلال الحركة التاريخية القريبة؛ ومن ثَمَّ أدركوا عدم ملاءمة هذا المنهج، فرفضوا الاعتماد عليه وحده(٢).

٣-المنهج الاستهدافي أو المعياري (Normative):

تَعني المعيارية في العلوم الاجتماعية(٣) «مجموعة قواعد سلوكية متعلقة بالقيم»(٤)، أمَّا في الدراسات المستقبلية فإنَّها تشير(٥) «إلى علاقة هذه الدراسات مع قيم محددة كالرغبات والأماني والحاجات المستقبلية»(٦).

ظهر هذا المنهج المعياري مع ظهور الدراسات المستقبلية في منتصف القرن العشرين الميلادي خلال الحرب العالمية الثانية(٧)، وهو يُعنى «بتحديد الأهداف البعيدة بناء على الاحتياجات الحالية أو المستقبلية وتصور مسار التطور في سبيل بلوغ هذه الأهداف باعتبار أن الحاجة هي أم الاختراع»(٨)، والخطوات المنهجية فيه تبدأ «من رسم صورة المستقبل المرغوب في تحقيقه ومنها تنتقل إلى الحاضر»(٩)، فالمستقبل في هذا المنهج (فاعلٌ) والحاضر

---

(١) لمزيد توضيح في هذا يُنظر ص١٨٣ (مراحل بناء المشاهد).

(٢) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٣) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 21.

(٤) Ibid.

(٥) Ibid.

(٦) Ibid.

(٧) Ibid. P. 74.
Coates, in American Council, Op. Cit., P. 2.

(٨) فرحات، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص٢.

(٩) صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص٢٠٨؛ وينظر :
Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 56.

(مفعول به)[1]، أي أن هذا المنهج يعود من المستقبل على الحاضر ليحرك مسالك ملائمة للانتقال من هذا الحاضر إلى المستقبل المأمول[2]، «أولاً نبدأ ونتمنى ونقول: ما هو المستقبل الذي نريد؟ بكل حرية وبدون ضغط من الحاضر. وعندما يصير هذا القرار رؤية نرجع إلى الحاضر لنحلله بجدية ونحدد وضعنا فيه. فإذا كان تحليل الحاضر جديًا فإننا نعرف نقطة الانطلاق... لكن المهم في الدراسات المستقبلية والذي يجب أن نركز عليه هو أن هناك فرقًا بين أن أتوقع مستقبلاً أريده وأرجع إلى الواقع وأنظر في وسائل تحليله، وبين أن أبدأ بالحاضر وتحت تأثير ضغطه. إذا بدأت من الحاضر فسأجد صعوبات جمة فيه، وليس في الانطلاق. لكن الدراسات المستقبلية تقول أريد أن أصل إلى كذا، وأرجع إلى الواقع لأغيره ابتداء من اليوم»[3].

ويكون السؤال فيه «ما... صورة المستقبل التي ينبغي تحقيقها؟ أو ... أين ينبغي علينا أن نذهب؟ »[4]، أو «كيف نريد أن يكون المستقبل ؟ »[5]، أو «ماذا يتوجب علينا أن نفعله؟»[6].

ويتضح من ذلك أنَّ هذا المنهجُ يتخطى المنهجين الحدسي والاستكشافي ، اللذين يكتفيان «برسم صورة المستقبل، إلى التكوين الواعي للمستقبل المرغوب في تحقيقه عن طريق وضع معايير وأهداف، ومحاولة التوصل إلى أفضل الأساليب للعمل على تحقيق الصورة المعيارية لهذا المستقبل »[7]؛ «وفيه يتخطى الباحث المستقبل المتوقع الممكن تحققه، إلى رسم صورة المستقبل المرغوب في تحقيقه »[8].

---

(١) أوزبخان، في روْي وآخرَين، مرجع سابق، ص١٨٧.

(٢) زاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص٣٦؛ ويونج، في "رسالة اليونسكو"، مرجع سابق، العدد ١١٩، (مايو/١٩٧١م)، ص١٤.

(٣) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٤١-٤٢.

(٤) صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص٢٠٥، نقلاً عن:
Polak, Op. Cit., P. 244.
وينظر: تافيس، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ١، (شعبان/١٣٩٠هـ)، ص ٨٥.

(٥) Coates, in American Council, Op. Cit., P. 1.

(٦) Ibid.

(٧) صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص٢٠٦.

(٨) المرجع نفسه، ص٢٠٤، نقلاً عن: Jungk, in "Courier", April 1971, Op. Cit., P. 14.

وتتكون إجراءات هذا المنهج «من جزأين رئيسين :

أولاً : بيان الهدف أو مجموعة الأهداف لوقت محدد .

وثانيـــًا : التحليل التفصيلي عن كيفية الوصول للهدف أو الأهداف؛ ويجب أن يكون بيان الهدف بحد ذاته واقعيـــًّا آخذًا في الحسبان الوعي الشامل بالظروف الحالية والمستقبلية، والمصادر والقرائن التقنية، إلخ . والأمر الحاسم للعملية هو التحليل التفصيلي الذي يكـــشف الخطوات والمراحل المحددة التي يجب مواجهتها وكيفية مواجهتها في أوقات محـــددة أثنـــاء الانتقال نحو الهدف »[١]، وإنّ تحديد الأهداف في هذا المنهج أمر بالغ الأهمية[٢].

وهناك ثلاثة أمور[٣] لابُدَّ من توافرها في استخدام هذا المنهج، وهي ما يأتي:

أ‌-توافر الوقت الكافي.

ب‌-تحديد الغاية من التوقع المعياري.

ج-وجود ميزانية.

والميزة الرئيسة لهذا المنهج هي: «التدخل الواعي لتغيير المسارات المـــستقبلية في ضـــوء أهداف وأحكام محددة سلـــفًا»[٤]؛ ومن مزاياه أنّه يُوصل «إلى طرق للموازنة بـــين جميـــع الأهداف الممكنة بطريقة حيادية على قدر الإمكان من أجل إقامة الأولويات»[٥] ؛ وتكمـــن قُوَّة التوقع المعياري في أنه أساس لأي تخطيط لأنظمة معقدة، وأن المخططـــين ومتخـــذي القرارات يُدفعون إلى إدراكِ مدى أوسع من الخيارات الممكنة[٦].

ويُستخدم هذا المنهج «بشكل رئيس في التخطيط الحكومي أو تخطيط المنظمـــات»[٧]، أي أنَّه يتعلق – في رأي الباحث – غالبـــًا بمن يملك إصدار القرار ويستطيع تهيئـــة الـــسُّبل لتحقيق مضمونه.

---

(١) Coates, in "Futures Research Methodology", Op. Cit., P. 1.

(٢) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 76.

(٣) Coates, in "Futures Research Methodology", Op. Cit., P. 9.

(٤) عبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص٢٤، حاشية رقم ١٢.

(٥) يونج، في "رسالة اليونسكو"، مرجع سابق، العدد ١١٩، (مايو/ ١٩٧١م)، ص١٤.

(٦) Coates, in "Futures Research Methodology", Op. Cit., P. 11.

(٧) Ibid. P. 1.

ومن أمثلة هذا المنهج قرار الرئيس الأمريكي (كِينيدي) -في بداية الستينيات الميلادية- (الصعود إلى القمر خلال عشر سنوات)، و لم يكن قراره ناتجًا عن احتمـــالات التطـــور في وقته، بل قرار شخصية سياسية ذات شعبية قوية دعت إلى تحقيق هذا الهدف؛ ممـــا أدّى إلى إطلاق سيل من الدراسات عن خطوات الوصول إليه[1]. «كان الهدف الوطني لرحلة القمـــر ذهابـــًا وإيابـــًا يَبرز فوق القدرات المتاحة، وكان على المخططين العودة إلى الواقع الحـــالي لتحديد جميع الأشياء الضرورية لتحقيق ذلك الهدف »[2].

مثال آخر لبلد نامٍ جعل نشر التعليم الابتدائي بين جميع السكان هدفًا له، فإنَّه ســـيعود إلى الخلف ويُفتِّش عن العمل اللازم لتحقيق هذا الهدف في خمس سنوات، أو عشر، أو أكثر من ذلك[3].

ويمكن إجمال خطوات المنهج المعياري بالآتي[4]:

أ-«الإشارة إلى الأهداف التي يريد النظام تحت التحليل الوصول إليها في المستقبل».

ب-«إمكانات النظام التقنية والاجتماعية ومصادرها (تقنية، علمية ، بشرية طبيعية)».

ج-«أثر الحدث المستقبلي على النظام وعلى التحليل الموصوف سابقًا وعلى بيئته، فيما يتعلق بالأهداف التي تشكل نقطة الانطلاق».

٤- منهج التحليل المستقبلي (Prospective Analysis) [5]:

وتُسمِّيه ماسيني: (الرؤية أو التصور Vision)[6]، وارتضى له بعض المستقبليين العرب[7] اسم (الاستشراف)؛ وهو منهج مُركَّب من المنهج الاستكشافي والاستهدافي المعيـــاري[8]،

---

(١) يونج، في "رسالة اليونسكو"، مرجع سابق، العدد ١١٩، (مايو/١٩٧١م)، ص١٤؛ والمنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٤١؛ و Coates, in American Council, Op. Cit., P. 3.

(٢) Coates, in American Council, Op. Cit., P. 3.

وينظر: المنجرة **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص١٤.

(٣) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 17.

(٤) Ibid. P. 75.

(٥) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٦) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 46. by: Masini,**Visions of Desirable Societies**, (Oxford, Pergamon, 1983).

(٧) منهُم: حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص ٧٧ .

(٨) زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٦.

ويقوم بالتركيز على مجمل المتغيرات والتشابكات في إطار موحد على شكل تغذية راجعة تعتمد على التفاعل المتبادل بينها، حتى لا يُهمل ماضي الظاهرة المدروسة ولا تُتجاهل الأسباب الموضوعية التي سوف تفرض نفسها لتغيير المسارات المستقبلية لها، كما يستفيد هذا المنهج من مزايا المنهجين السابقين باستناده إلى البيانات والحقائق الموضوعية كما في المنهج الاستكشافي، وعنايته الخاصة بالإبداع والتخيل والاستبصار كما في المنهج الاستهدافي، ويُعدُّ هذا المنهج خطوة متقدمة في المسار المنهجي للبحوث المستقبلية المعاصرة[١]، وهو لا يسعى إلى توقع المستقبل أو التخطيط له، بل يقوم بإجراء مجموعة من التوقعات المشروطة التي تفترض الواقع تارة، والمأمول فيه تارة أخرى، دون أن تنتهي إلى قرار بتحقق أي من هذه التوقعات؛ والقصد من ذلك إطْلاع القوى الفاعلة في المجتمع على متطلبات تحقيق أحد الرؤى المأمول فيها، وفقًا لتفضيلها الخاص؛ لكي تعمل على تغليبها على غيرها من الرؤى البديلة؛ وتوعية تلك القوى بالنتائج التي يمكن أن تترتب على تصرفات قد تبدو مقبولة، أو ليس لها بديلٌ واضحٌ إذا نُظر إليها نظرة جزئية، فإذا بالرؤية الكلية تقود إلى غير ما ترجوه[٢].

ويتجلى هدف هذا المنهج «في تحديد الاتجاهات، وتخيل مستقبل مرغوب فيه، واقتراح استراتيجيات تحويله إلى مستقبل ممكن»[٣].

إنّنا نعيش اليوم في عالم يموج بالتحولات والتغيرات الكيفية، حيث يشهد كثيرٌ من قطاعات المجتمع ومكوناته قفزات واسعة وتحوي انقطاعات هامة فيما يتعلق بالخبرة التاريخية الماضية، مما يستدعي وجود منهج مستقبلي غير خطي، يسمح بالانقطاعات والتحولات الهيكلية في بنيان المجتمع، وهو ما يحاول هذا المنهج تحقيقه[٤]؛ و«إن مستقبل الشعوب اليوم لا يبنى من خلال تجربة الماضي أو تجربة الحاضر، بل يبنى من خلال التعرف على المستقبل، المستقبل المتوقع من جهة، والمستقبل المنشود الذي نريد أن نبنيه انطلاقًا من ذلك المستقبل

---

(١) عبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٢٢، نقلاً عن:
Polak, Op. Cit., Pp. 262-267.

وعبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص٢٤، حاشية رقم ١٣.

(٢) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٢.

(٤) عبد الفضيل، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٥٣.

المتوقع من جهة ثانية . لم تعد تجربة الماضي والحاضر -على أهميتها- تكفي لبناء حياة الشعوب، بل لابد من نظرة مستقبلية تحسبية، نحدد على ضوئها مهماتنا وخطواتنا ورؤانا»[1].

---

(١) عبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٤٦.

المبحث الثاني

أساليب الدراسات المستقبلية

تمهيد:

حرص المستقبليون المعنيون بالمنهج في الدراسات المستقبلية على تحقيق المعالم الأساسية للبحث المستقبلي الحديث؛ فطوَّروا الأساليب وأضافوا أبعادًا جديدة لها[1]، فظهرت أساليب كثيرة تُستخدم في الدراسات المستقبلية، منها ما هو أساس في الاستشراف المستقبلي، ومنها أساليب مساعِدة[2]، وهناك ثلاثة أساليب هي في رأي الباحث من أبرز الأساليب الرئيسة في الدراسات المستقبلية، وتُستعمل في كثير من الدراسات، وهي: أسلوب (دِلْفي)، وأسلوب المشاهد، وأسلوب رياضي هو (النماذج)، وليست هذه، أو أحدها الأحسن على الإطلاق، فقد ذكر (آشِر): أنَّه لا يُوجد أسلوب ثبت أنَّه الأفضل بعامة[3]، وسيقتصر الباحث على بيان الأسلوبَين الأولَين[4]؛ لأهميتهما في كثير من الدراسات المستقبلية، ولإمكان الإفادة

---

(١) صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص٢١٣.

(٢) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص٤٦.

(٣) William Ascher, **Is There Progress In The Art of Forecasting?**, discussion paper no. 129, (--, Institute of Public Policy Studies, November, 1978)., P. 13.

(٤) أهمّ الأساليب الأخرى الرياضية وغيرها: منحنيات النمو ، والإسقاط (المدّ) بالقرينة ، وندوة الخبراء (غير دلفي)، والاستثارة الفكرية (أو العصف الذهني) ، والاستماع للعامة، ودراسة الأشكال ، وأسلوب المحاكاة، والألعاب، وتحليل الانحدار، وتحليل المتغيرات المتعددة، والتحليل بالرسم، والتحليل متقاطع الأثر، وتحليل التعارضات، وتحليل الأهداف وترجيحها، وتحليل النظم، والتحليل التشكلي، وتحليل الاتجاهات، وتحليل الاستفادة من الكلفة، وتحليل المجازفة، وشجرة العلاقات، وبيرت، والتخطيط الشبكي، وشبكات القرارات، والمباريات، والأسلوب المورفولوجي، والمحاكمة بالقياس، وأسلوب المماثلة ، وبحوث العمليات.

في بيان بعض هذه الأساليب يمكن الرجوع إلى ما يأتي:

فرحات، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق؛ والعيسوي، المرجع نفسه؛ وعبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق؛ وزاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)؛ والخولي، مرجع سابق؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، وجويبر ماطر الثبيتي، ومحمد معيض الوذيناني، **الأساليب الكمية للدراسات المستقبلية في التعليم العالي**، (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ)؛ و

Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit.
"Futures Research Methodology", Op. Cit.
Coates, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2.

منهما في كثير من مجالات الدعوة الإسلامية . وسيُعرف الباحث ببعض الأساليب الأخرى عند ورودها في موضعها المناسب.

وقبل بيان ذلك يَنقل فيما يأتي بعض النقاط المهمة بشأن الأساليب:

١- الأساليب جميعها ليست مُحْكَمة تمامـاً، وإنَّما تقوم على الاجتهاد(١)؛ لذلك يجري تحسينها باستمرار(٢).

٢- ليست الأساليب على مستوى واحد من حيث التعقيد والبساطة، بل تبدو أحياناً معقدة، وأحياناً بسيطة(٣).

٣- عادة ما يجري استخدام أسلوبين أو أكثر(٤)؛ لأنَّه كلما تعددت الأساليب في دراسة القضية الواحدة كلما كان الاقتراب من حقيقة القضية أحسن(٥) .

٤- ينبغي اختيار الأساليب المناسبة لطبيعة الدراسة(٦)، فليس هناك أسلوب أفضل من غيره مطلقاً، وإنما طبيعة الموضوع المطلوب إجراء دراسات عنه هي التي تُحدِّد الأساليب المناسبة(٧)، وأحياناً تظهر الحاجة إلى أسلوب معين أثناء سير الدراسة(٨).

٥- ليست كل الأساليب تُستخدم لغرض استشراف المستقبل، بل منها ما هو كذلك، ومنها ما يُهيئ المجال فقط لإنجاز هذه المهمة من خلال تنظيم عملية التفكير فحسب(٩).

---

(١) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص٢؛ و
Joseph P. Martino, **Technological Forecasting for Decision Making,** (New York, Elsevier Science Publishing, 1983). P. 28.

(٢) فرحات، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص٢.

(٣) Ascher, Op. Cit. P. 1.

(٤) فرحات، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص٣٤.

(٥) العيسوي، المرجع نفسه، ص٣؛ وزاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص٢٥.

(٦) فرحات، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص٣٤.

(٧) العيسوي، المرجع نفسه، ص٢؛ وزاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص٢٥.

(٨) Garrett, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 84.

(٩) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص٣.

المطلب الأول : أسلوب التشاور المتميز (دِلْفِي Delphi Method)[١]:

١-الاسم المصطلح عليه لهذا الأسلوب :

انتشر هذا الأسلوب على نطاق واسع بين المستقبليين، واصطلحوا عليه باسم (دِلْفِي)، نسبة إلى معبد (دلفي) في الحضارة اليونانية القديمة، كان الناس يقصدونه ويسألون كهنته عن بعض الأمور الغيبية[٢]. وهذا الربط بين الاسم ونسبته يُشعر بأنَّ هذا الأسلوب فيه شيء من الاعتماد على الخرافات والحدس الذي يُبنى على غير دليل، ولا يُصاحبه تعليل، وهو ليس كذلك كما سيتضح من عرضه، بل إنَّ الآراء أو التقديرات التي يُقدِّمها الخبراء إن لم تَستند إلى تعليل مقبول فإنَّها تُطَّرح وتُهمل.

ويرى الباحث أنَّ اصطلاحهم على هذا الاسم غير سليم، كيف وهم يؤكدون كثيرًا على عِلمية الدراسات المستقبلية ثم ينسبون أحد أساليبها المهمة إلى ما هو غير علمي، ومع أنَّهم لا يقرنون بين الاسم ونسبته إلا أنَّ الباحث يعدُّه من المؤاخذات الشكلية عليهم، وهذا يتطلب إيجاد اسم بديل، وقد حاول بعض المستقبليين تسميته بغير هذا، مثل: «استشارة الخبراء»[٣]، و«أسلوب المؤتمر عن بُعد»[٤]، وعند دراسة الباحث لهذا الأسلوب يجد أنَّه تبرز في محدداته القضايا الآتية:

أ-استشارة خبراء.

ب-إعادة الاستشارة نفسها مرّات في ضوء آراء أو معلومات جديدة.

---

(١) يرسمه بعضهم (**دلفاي**): علي عبد الحفيظ، "الحكم الجماعي وصنع القرارات الاستراتيجية (دلفاي)" ، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد ٣١، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـ)، ص٧٣؛ وزاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص ٥٨؛ وخلاَّف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص٢٩؛ وغيرهم. ورسمه أحدهم (**دلف**)، عبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٢٤٢ .

(٢) صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص٢١١؛ وعبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص١٣؛ و

Theodore J. Gordon, "The Delphi Method", (1994), in American Council, Op. Cit., P. 1.
Harold A. Linstone, & Murray Turoff, **The Delphi Method: Techniques and Applications**, (Reading, Massachusetts, U.S.A, Addison-Wesley Publishing Company, 1975), P. 16.

(٣) لادا، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد١، (شعبان/١٣٩٠هـ)، ص٥٣.

(٤) الثبيتي والوذيناني، مرجع سابق، ص٥٢.

ج-عدم اقتران كل رأي بمن قاله، بل يُذكر الرأي ولا يُذكر صاحبه، بحيث لا يعلم كل خبير رأي من هذا عند عرضها في جولات الاستشارة.

د-غالبًا لا يواجه الخبراء بعضهم بعضًا.

فهذه أربعة عناصر، ثلاثة أساس، والرابع أغلبي، وهي: الاستشارة، والتكرار، والسريّة، وعدم المواجهة.

وقد انتهى الباحث إلى جملة من الصِّيغ، وقع اختياره على مصطلح: (التشاور المتميز)؛ ليَدخل العنصرُ الأولُ في كلمة (التشاور) وتدخل العناصرُ الباقية في كلمة (المتميز)، ويأمل الباحث أن يصل أحد مجامع اللغة العربية إلى اسم أنسب من هذا، يكون أكثر تقييدًا.

٢-تعريف أسلوب التشاور المتميز (دلفي):

عُرِّف بأكثر من تعريف، يعرض الباحث فيما يلي ثلاثة تعريفات مختارة، ثمَّ يذكر تعريفه:

أ-هو أسلوب يعمد إلى الطلب من مجموعة من الخبراء مختلفي الاختصاصات بالإجابة على استبانة تتضمن مجموعة من التساؤلات، وتتكرر هذه العملية عدة مرات في مداولات بين مركز البحث والخبراء، يُتوصل في نهايتها إلى اتفاق في الآراء، أو تقارب بينها، أو تُصنَّف الآراء في أكثر من موقف متمايز[١].

ب-«أسلوب فني لمعالجة المشكلات المعقدة بطريقة خلاقة بواسطة جماعة من الخبراء المتخصصين وتنظيم اتصالاتهم بصورة رسمية. وتستخدم عامة قائمة الاستقصاء كأداة لطرح سلسلة من الأسئلة على المشتركين من الخبراء مع احتمال وجود عدد من الأشخاص المسئولين عن اتخاذ القرار النهائي»[٢].

ج-«مصطلح لنوع من الحكم الجماعي يشترك فيه عدد من الخبراء والمتخصصون بهدف الوصول إلى رأي موحد بصدد مشكلة ما، غير أنه يختلف عن أسلوب اللجان التقليدي»[٣].

---

(١) زاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص٣٧. نقلاً عن:
James Lewis, Jr., **Long-Rang and short – Rang Planning for Educational Administration**, (Boston, Allyn and Bacon, Inc., 1983), P. 89.

(٢) عبد الحفيظ، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد ٣١ ، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـ)، ص٧٨، نقلاً عن:
E.S. Quade, **Analysis For Public Decision**, (N.Y, American Elsevier Puls, 1976). P. 191.
وينظر أيضًا في الشق الأول من التعريف: Linstone & Turoff, Op. Cit., P. 3

(٣) عبد الحفيظ، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد ٣١، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـ)، ص٧٣ حاشية رقم١.

د-يُعرِّفه الباحث بأنّه: استبانة متكررة يُستخرج فيها رأي خبراء من غير أن يُنسب إليهم بأسمائهم .

٣-تاريخ ظهوره واستخدامه:

أحدثه ودعا إليه (أولاف هيلمر Olaf Helmer) عالم الرياضيات و(نورمان دالكي Norman Dalkey) في (مؤسسة راند Rand Corporation) في الولايات المتحدة الأمريكية في الخمسينيات الميلادية من القرن العشرين، وتحددت ملامحه واستخدم عمليًّا في الستينيات الميلادية[١]، وتوالت فيها أعداد كثيرة من الدراسات المعتمدة عليه، كما دُرس الأسلوب نفسه وحُسِّن[٢]، وأصبح الأسلوب الأكثر استخدامًا في الولايات المتحدة الأمريكية من قِبل القطاعين: الخاص والعام[٣]، واستخدم في أوروبا وفي اليابان بشكل مكثّف، وندر استخدامه في البلدان النامية[٤].

وقد وُجد هذا الأسلوب بناء «على افتراض معقول، مؤداه أن أبعاد المستقبل متعددة واحتمالاته لا حصر لها، وبالتالي قد لا يقدر فرد واحد أو نموذج واحد على إدراك هذه الأبعاد جميعًا، ولا على تصور كل الاحتمالات الممكنة، وأن الأسلم بالتالي هو الابتداء بأكثر من رأي وأكثر من تصور لأشخاص متنوعي التخصصات والخبرات يصل كل منهم إلى تصوره بأسلوب مختلف»[٥].

٤-مجالات استخدامه:

ليس استخدام أسلوب التشاور المتميز مقصورًا على الدراسات المستقبلية، بل يستخدم هذا الأسلوب ويطبق «في كل حالة تحتاج فيها سياسة ما أو خطة ما إلى أن تستند إلى رأي حصيف معلل؛ لهذا كان مجال استخدامه ... واسعًا في كل العمليات التي تتصل باتخاذ

---

(١) فرحات، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص٤؛ وعبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٢٤٢؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٧٣، ٢٣٤؛ و
Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., Pp. 79, 107.

(٢) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٧٣.

(٣) Coates, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 61.

(٤) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., Pp. 108, 111.

(٥) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٠؛ وينظر:
Coates, in American Council, Op. Cit., P. 4.

قرارات معينة»[1]. وليس هو أسلوبًا لاتخاذ القرار النهائي، بل مرشدًا إليه وصانعًا له[2]، ويُعدُّ أيضًا مصدرًا للمعلومات[3]، لكن أغلب استخدامه كان في الدراسات المستقبلية[4] : لاستشراف القضايا التقنية، والاجتماعية، والتعليمية، وميادين أخرى[5]، ويستخدم هذا الأسلوب لتوقع التغيرات «المستقبلية الممكنة في الحياة العامة أو في مجال محدود »[6]، و«للحكم على التوقيت والاحتمالية والأهمية ومضامين العوامل والاتجاهات والنزعات فيما يتعلق بالموضوع عين الاعتبار »[7]، ويمكن استخدامه «للوصول إلى أحكام إحصائية دقيقة أو إلى أحكام عامة »[8]، وتكون تطبيقات هذا الأسلوب أحيانًا استطلاعية، وأحيانًا مأمولة: فالاستطلاعية تهتم بما يمكن حدوثه من تطورات مستقبلية، وتتضمن الإجابة عن : متى يُتوقع وقوع الحدث؟ أو ما القيمة المستقبلية لبعض العوامل؟ بينما التوقعات المأمولة تهتم بما ينبغي أن يكون عليه المستقبل، وتتضمن الإجابة عن: هل يجب أن يحدث هذا الأمر؟ وما وسائل تحقيقه إذا كان مرغوبًا؟ وما وسائل تجنب وقوعه إذا كان غير مرغوب؟[9].

٥-أهداف أسلوب التشاور المتميز (دلفي) وفوائده:

أ-«الحصول على آراء الخبراء بشكل منهجي ومنظم»[10]، والتوصل بطريقة منطقية ومنظمة إلى القرارات الأكثر موضوعية وسلامة[11]، وأكثر التوقعات دقة وحيادًا وأبعدها

---

(١) عبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٢٤٣؛ وينظر: خلاَّف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص٢٩-٣٠.

(٢) بتصرف، عبد الحفيظ، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد ٣١، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـ)، ص٧٨.

(٣) Coates, in American Council, Op. Cit., P. 5.

(٤) Linstone & Turoff, Op. Cit., P. 12.

(٥) زاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص٣٧؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٣٦؛ وعبد الحفيظ، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد ٣١، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـ)، ص٨٣؛**و**صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص٢١١.

(٦) الثبيتي والوذيناني، مرجع سابق، ص٥٧ .

(٧) Coates, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, Pp. 59, 60.

(٨) الثبيتي والوذيناني، مرجع سابق، ص٥٧.

(٩) صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص٢١١؛ والثبيتي والوذيناني، مرجع سابق، ص٥٢؛ و Gordon, "The Delphi Method", in American Council, Op. Cit., P. 4.

(١٠) عبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٢٤٣؛ وينظر: خلاَّف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص٢٩-٣٠.

(١١) عبد الحفيظ، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد ٣١، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـ)، ص٧٨.

تأثرًا بالمؤثرات المختلفة[1]، وصقل الرأي في قضايا المستقبل[2].

ب-التوصل إلى رأي إجماعي بين الخبراء المشاركين أو أغلبي تجاه قضية من القضايا المستقبلية في مجال محدد من مجالات المعرفة[3].

ج-التحديث والتطوير في أساليب الدراسات المستقبلية[4].

د-أن لا يُترك أمر صنع القرارات في موضوع يتعلق باستراتيجيات المستقبل لشخص واحد مهما كانت قدراته ونزاهته[5].

هـ-زيادة فحص الجوانب الإيجابية والسلبية للموضوع بطريقة موضوعية، وإعادة تقويم الآراء المختلفة بهدوء في ضوء حقائق وحجج جديدة، وإتاحة الفرصة للخبير في معاودة النظر في تقديراته السابقة مرات[6]؛ وهو بهذا يُقلّل من تأثير قوة الخطابة، ويستخدم التعليم للخبراء أنفسهم[7]، ويتفادى الآثار النفسية السلبية المترتبة على المواجهات في نقاش مفتوح حول مائدة مستديرة، فيتيح حرية أكبر في إبداء الرأي والاعتراض أو التحفظ على الآراء الأخرى دون حرج أو أخذ اعتبارت مثل: التحيز إلى شخص، أو المجاملة، أو الخجل، أو عدم التراجع عن رأيٍ بان له خطأه بسبب الكبرياء الشخصي، أو الميل إلى عدم الخروج عن

(١) خلاَّف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص٣٠ .

(٢) بتصرف، زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٨ ؛ ونفسه، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص٢٦؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٣٥، ٢٣٦.

(٣) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٢؛ وزاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٨. ونفسه، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص٣٧؛ و Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 109.

(٤) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٣٤،١٧٣.

(٥) عبد الحفيظ، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد٣١، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـ)، ص٧٥-٧٦؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٣٤.

(٦) عبد الحفيظ، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد٣١، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـ)، ص٧٧؛ وعبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٢٤٢-٢٤٣، ٢٤٦؛ وزاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٨.

(٧) Gordon, "The Delphi Method", in American Council, Op. Cit., P.1.

رأي الأغلبية، أو التنازل عن رأيه تحت تأثير رأي الأغلبية من غير تأمل ودراسة أو بسبب نفوذ بعض الشخصيات الكبيرة المشتركة في النقاش(١).

و-تجنب الخطأ الفردي الناتج عن التقليل من أهمية وضع عوامل من خارج نطاق الموضوع المدروس، والتي قد تظهر على المدى البعيد بأنها أكثر أهمية من العوامل الداخلية(٢).

ز-الحصول على زيادة معلومات من الخبراء تثري عملية إصدار القرار أو الحكم في الموضوع المدروس، لاسيما إذا كان الموضوع يتسم بتشعب الجوانب(٣)، فنتائج هذا الأسلوب تحتوي على كمية وافرة من المعلومات أكثر مما يمكن الحصول عليه من اللجان العادية(٤).

ح-تحسين طرق اللجان في التوصل إلى النتائج، إذ يُقدِّم أسلوب التشاور المتميز اندماجًا حقيقيًّا وتمازجًا موضوعيًّا لآراء المشتركين من الخبراء وذلك عن طريق إخضاع آراء كل عضو للمناقشة عن طريق الأعضاء الآخرين(٥)، وهكذا يمكن القول : إنه على الرغم من تعدد الخبراء المكلفين بالدراسة، وتباين خبراتهم العلمية والعملية، واختلاف الزوايا التي ينظرون منها إلى المسألة إلا أنهم جميعًا يرون أمامهم موضوعًا يتفقون تمامًا في فهمه وإن تعددت المنظورات(٦).

---

(١) عبد الحفيظ، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد ٣١، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـ)، ص٧٦-٧٧، ٧٨ ؛ وعبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٢٤٣-٢٤٤؛ والعيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٢-١٣؛ وزاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٨؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٧٢-١٧٣، ٢٣٥-٢٣٦؛ و
Gordon, “The Delphi Method”, in American Council, Op. Cit., Pp.1, 3.

(٢) Martino, Op. Cit., P. 15.

(٣) عبد الحفيظ، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد ٣١، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـ)، ص٧٤-٧٥؛ وزاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٨.

(٤) Martino, Op. Cit., P. 19.

(٥) عبد الحفيظ، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد ٣١، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـ)، ص٧٨؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٣٦.

(٦) عبد الحفيظ، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد ٣١، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـ)، ص٨١ .

ط-يعالج هذا الأسلوب بعض جوانب القصور في الدراسات المستقبلية في المنـــهج، أو النظرية، أو النماذج الرياضية التي لا تخلو من عدم الموضوعية في بعض الجوانب[١]، مثـــال ذلك: أنه «يتيح لنا أن نَخْلص من افتراض أن الاتجاهات الحالية سوف تستمر، فعلى ســـبيل المثال تنبأت دراسة دلفي سنة ١٩٦٤ أن معدل التسارع في النمو السكاني العـــالمي ســـوف يتناقص تدريجيًا خلال العقود القليلة القادمة، فالخبراء لم يستطيعوا أن يبنوا تنبؤهم على معدل النمو السكاني نفسه في التسارع، فبدل ذلك عرفوا الاتجاهات في ميادين أخرى، مثل تحسين تقنية تحديد النسل، وزيادة الوفرة والبحبوحة، والتي سوف تبطئ النمو السكاني»[٢].

٦-دواعي استخدام أسلوب التشاور المتميز (دلفي):

أهمُّ الحالات والظروف التي ينبغي اللجوء فيها إلى هذا الأسلوب ما يأتي:

أ-عندما تستعصي المشكلة أو القضية المطروحة على وسائل التحليل التقليدية ويكـــون من المفيد استخدام أحكام صادرة عن خبراء[٣].

ب-عندما يصعب على الخبراء والمختصين الالتقاء وجهًا لوجه[٤].

ج-«عندما يكون الخلاف بين الأفراد الضالعين في بحث المشكلة حادًّا أو عنيفًا لدرجة يصعب معها تحقيق الاتصال المباشر فيما بينهم أو تحقيق هذا الاتصال علنيًّا»[٥].

د-عندما يكون الأشخاص الذين يُحتاج إليهم في حلول مشكلة عامة أو معقَّدة علـــى غير صلة كافية ببعضهم وقد يمثلون خلفيات واختصاصات مختلفة[٦].

هـــ-عندما يحول ضيق الوقت أو ضخامة التكاليف دون إمكان جمع الخبراء في مكـــان ووقت واحد[٧].

---

(١) بتصرف، الشبيي والوذيناني، مرجع سابق، ص٥٢، نقلاً عن:
Kenyon De greene, **The Adaptine Organization,** (--, John Wiley & son, 1982).

(٢) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٣٧.

(٣) Linstone & Turoff, Op. Cit., P. 4.
Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 110.

(٤) Linstone & Turoff, Op. Cit., P. 4.

(٥) Ibid. P. 4.
Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 110.

(٦) Linstone & Turoff, Op. Cit., P. 4.

(٧) Ibid.

و-عندما يكون إخفاء الهوية للمشاركين أمرًا ضروريًا لمنع أيَّة تحيزات، أولحجب أيَّة مؤثرات انفعالية[١].

ز-«عند عدم وجود المعلومات الصحيحة»[٢]، «أو أنَّ الحصول عليها مكلف جدًا»[٣].

ح-عندما يكون وقع العوامل الخارجية أكثر أهمية من العوامل التاريخية، وتشمل العوامل الخارجية: قرارات مؤيدين للقضية، أو معارضين لها، أو حدوث تغيرات في الرأي العام؛ مما يجعل البيانات عن الماضي غير ذات صلة، وقد يكون رأي الخبير المصدر الوحيد الممكن للتوقع[٤].

ولابد قبل اتخاذ القرار في استخدام هذا الأسلوب من الاطمئنان إلى أنه بالإمكان من خلاله الحصول على نتيجة مفيدة، وحصول قدر جيد من الفهم والإدراك بين الخبراء، وهذا أمر مهم، قليلاً ما يلقى الانتباه الذي يستحقه[٥].

٧-طريقة استخدامه والمراحل التي يمر بها:

يمرُّ هذا الأسلوب حتى يصل إلى نهايته بعدد من المراحل يمكن إبرازها بما يأتي:

أ-يُختار بعناية دقيقة مجموعة من الخبراء متنوعي الخبرات والاختصاصات[٦] ممن لهم صلة بالقضية التي يُستبان عنها، ثم يُعيَّن الذين وافقوا على الاشتراك في الإجابة على الاستبانات ويُتأكد من موافقتهم، وتُبيَّن لهم طريقة الإجراءات المتَّبعة، من وصف للمشروع، وأهدافه، وعدد الجولات، والوقت المتوقع لإنجازه، وشرح الأسلوب نفسه، وبيان الهدف من تتابع الجولات وهو حدوث تفاعل بين المجموعة[٧]، وقد يقتضي ذلك «طمأنتهم

---

(١) Ibid.

(٢) Ibid. P. 10.

(٣) Ibid.

(٤) Martino, Op. Cit., P. 14.

(٥) Ibid.

(٦) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٢؛ وسعد حافظ، **مدى فعالية نموذج التشابك القطاعي (المدخلات والمخرجات) في التنبؤ**، مذكرة خارجية رقم ١٣٨٩، (القاهرة، معهد التخطيط القومي، يناير/١٩٨٤م)، ص٣٠؛ و Gordon, "The Delphi Method", in American Council, Op. Cit., P. 3.

(٧) خلاّف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص٣٠؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٣٥؛ و Martino, Op. Cit., Pp. 23, 30.
Gordon, "The Delphi Method", in American Council, Op. Cit., Pp. 3, 6.

على السرية وأن أيـًّا من تصريحاتهم لن تنسب إليهم بالاسـم»[1]، و«تَستخدم معظم الدراسات قائمة مشاركين من ١٥ إلى ٣٥ شخصًا»[2]، ويرى (كوتس) أن عشرة أشخاص أو عشرين يُعدُّ كافيـًا[3]، وترى (ماسيني) أن سبعة خبراء هو العدد الصحيح[4]، ويرى الباحث أن العدد أمر نسبي، يختلف من مجال إلى آخر، ومن حجم موضوع إلى آخر ؛ ومما تجدر الإشارة إليه أنه ينبغي أن يكونوا أكثر من العدد المطلوب؛ لأنه معروف عنهم الانسحاب أثناء الجولات[5]، ويذكر (جوردون): أنه - من خلال خبرته - ليس كل الذين وافقوا على الاشتراك يستجيبون، وإنما يبلغ معدل المستجيبين من ٤٠ إلى ٧٥٪ من جملة المشاركين[6].

من أسس النجاح في تطبيق هذا الأسلوب دقة اختيار المشاركين المناسبين ممن تتوافر فيهم الخبرة المستندة إلى بيانات واقعية، مع القدرة على الرؤية المستقبلية التي تستلزم قدرًا من الخيال والإبداع العلمي[7]، ومن المهم اختيار من لديهم وقت للمشاركة، وممن لديهم دوافع للتركيز على الموضوع المدروس، وممن يُتوقع منه الاستمرار في الإجابة في جميع الجولات[8].

ب-تصمم استبانات غير مَقاليَّة -تأخذ شكل نقاط- تكون ملائمة للخبراء أكثر من ملاءمتها لمركز البحث، وتُعيَّن القضايا الرئيسة لها، وتحدد أنواع البيانات المطلوب الحصول عليها، وتُصاغ التساؤلات، وتوضع بشكل متسلسل سهل سالم من التعقيد،

---

(١) Gordon, "The Delphi Method", in American Council, Op. Cit., P. 3.

(٢) Ibid. P. 6.

(٣) Coates, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 61.

(٤) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 109.

(٥) Martino, Op. Cit., P. 30.

(٦) Gordon, "The Delphi Method", in American Council, Op. Cit., P. 7.

(٧) صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص٢١٣؛ و
Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 109.
Gordon, "The Delphi Method", in American Council, Op. Cit., P. 6.

(٨) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 110.

ويجري اختبار الاستبانات قبل تعميمها، ومن متطلبات ذلك: إلمام الباحث - في مركز البحث[1]- بطبيعة الظاهرة موضع الدرس، وإسهامات عدد من أصحاب الخبرة والرأي من العلماء المتميزين في المجال موضع الدراسة[2]، ويُفضَّل ألا تزيد الأسئلة عن ٢٥ سؤالاً باعتباره الحد العملي الأعلى في الغالب[3].

وتأخذ الاستبانات إحدى الصيغتين التاليتين أو هما معًا[4]:

• صيغة استقرائية (Inductive) : يكون السؤال فيها مباشرًا عن المجال موضوع الدراسة، ويترك للخبراء حرية الإدلاء بتصورهم[5].

• صيغة استنتاجية (Deductive) : وفيها يُقدَّم للخبراء معلومات عامة سياسية واقتصادية أو غيرها مما له علاقة بالموضوع؛ تُعينهم على الإدلاء برأيهم في ضوء متغيرات خارج اختصاصاتهم، يعقبها مجموعة من الأسئلة مفتوحة النهاية (Open – ended) ليعلقوا عليها ويضعوا تقديراتهم[6]؛ مثال ذلك: إذا كان الموضوع: الرغبة في إحداث وسيلة نقل جديدة في العاصمة، فإن الباحثين في مركز البحث يضعون له عددًا من الأهداف، ويُضمنوها الاستبانة، ويُطلب من الخبير تقييم كل هدف حسب الأهمية بإعطائه درجات من ١-١٠، فالرقم ١ يدل على أهمية قليلة أو معدومة، والرقم ١٠ يدل على أهمية عالية جدًا، كما يُعطَى لهم مجال لإضافة أهداف لم تُذكر في الاستبانة[7]، والأجوبة الكَمِّيَّة ليست

---

(١) يطلق عليه أحياناً: فريق البحث، أو فريق المراقبة أو الضبط (Monitor team) (صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق ، العدد ٤ ، (يناير/ ١٩٨٨م) ، ص٢١١) ، ويطلق عليه أيضًا: (الوسيط). Martino, Op. Cit., P. 18

(٢) زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٦١؛ وصالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٢١١-٢١٢؛ و Martino, Op. Cit., P. 30.

(٣) Gordon, "The Delphi Method", in American Council, Op. Cit., P. 7. Martino, Op. Cit., P. 31.

(٤) زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٩.

(٥) المرجع نفسه؛ وفرحات، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص٤.

(٦) المرجعان نفساهما: زاهر، ص٥٩؛ وفرحات، ص٤-٥.

(٧) Coates, in American Council, Op. Cit., P. 5.

مقصورة على هذه الصورة بل لها صور متعددة، مثل: الإجابة في أربع درجات أو ثــلاث وليست عَشرًا، وتكون الإجابة أحيانًا بتحديد تاريخ.

وينبغي على الباحثين في مركز البحث «تحديد المشكلة منذ البداية بطريقة واضحة حتى ينطلق الخبراء من فهمٍ متقارب للأمر...لا يدع مجالاً لتفسيرات فردية تُفضي بكل فهـــم إلى تصور يختلف اختلافـــًا جوهريًا عن تصور الآخرين مما يؤدي في النهاية إلى بُعـــد الشـــقة بينهم»[(١)]، «إنَّ تحضير الاستبانة، وإعداد الأسئلة المفيدة والفاعلة والواضحة هو مدخل العمل الحاسم في تحضير مسح (دلفي)، كما أنَّ الفشل في هذه المرحلة يُعدُّ الســـبب الـــرئيس في الحصول على نتائج هزيلة غير ذات فائدة »[(٢)].

ج-تُرسل الاستبانات إلى الخبراء جميعهم[(٣)].

د-يدلي كل خبير بتصوراته ويحررها في الاستبانات، ويذكر ما لديه من معلومات يرى أنها تُلقي ضوءًا على الموضوع المطروح للدراسة أو لـــها علاقة مباشرة به ويعيدها إلى مركز البحث[(٤)].

هـــ-عند تلقي الإجابات يُحدد نوع الخلاف القائم بين الأعضاء المشـــتركين، فـــإذا وُجدت خلافات جوهرية فإنـــها تُبحث الأسباب التي يُعتقـــد أنهـــا أدت إلى تبـــاين آراء الأعضاء، وتُناقـــش بطريقة موضوعية تُـــساعد على تـــقارب الآراء[(٥)]، وتُـــعاد الاستبانة

---

(١) عبد الحفيظ، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد ٣١، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـــ)، ص٨٠.

(٢) Coates, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 62.

(٣) عبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٢٤٢؛ وخـــلاَّف، **المســـتقبلية والمجتمـــع المصري**، مرجع سابق، ص٣٠؛ وزاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع ســـابق، ص٥٨؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٣٥.

(٤) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٢؛ وصالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص٢١٢؛ وعبد الحفيظ، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد ٣١، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـــ)، ص٨٠.

(٥) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٠؛ وعبد الحفـــيظ، في "الإدارة العامـــة"، مرجـــع سابـــق، العدد ٣١، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـــ)، ص٨١؛ وعبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٢٤٦؛ وحافظ، **مدى فعالية نموذج التشابك القطاعي في التنبؤ**، مرجع سابق، ص٣٠.

الأولى نفسها أو بعد إدخال تعديلات عليها إلى الخبراء عدة مرات(١) - يُطلق عليها (جولات Rounds)(٢) أو (تداولات Conference) (٣) - ويُلحق بها ما يستجد من معلومات، ويُعلمون بالنتائج، وقد يُطلب من الأشخاص الذين أبدوا آراءً فيها غلو أو تساهل أو غرابة أن يذكروا أسباب ذلك، فتُنقل هذه الأسباب إلى الجماعة كلها(٤)، وقد يؤدي ذلك كله إلى إعادة صيغة المسألة نفسها بطريقة أكثر موضوعية وتضمينها أشياء لم تُضَمَّن من قبل(٥).

إن تكرار النقاش مرات عن طريق التغذية الراجعة يُوصل إلى اكتشاف السبب الأساس في الخلاف، وإزالته، أو على الأقل تقليل عدد البدائل الممكنة(٦).

وثبت بالتجربة أن هذا الأسلوب حقق نجاحًا كبيرًا في تقارب الآراء، وتحسنًا في صوابها، أمَّا الحالات القليلة التي لم يقع فيها تقارب الآراء فقد بدا وكأن هنالك مدرستين فكريتين متباينتين نشأت عنهما الآراء(٧).

---

(١) "أربع مرات غالبًا"، عبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٢٤٢؛ و
Linstone & Turoff, Op. Cit., P. 5.
بينما يرى (كوتس) : أن جولتين تعطي نتائج جيدة بنفس ما تعطيه الطريقة الأصلية الأكثر كلفة والأكثر استهلاكًا للوقت. Coates, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 61

(٢) Martino, Op. Cit., P. 18.

(٣) صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص٢١٢؛وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٧٣.

(٤) فرحات، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص٤؛ والعيسوي، المرجع نفسه، ص١٠؛ وعبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٢٤٢، ٢٤٥ ؛ وحافظ، **مدى فعالية نموذج التشابك القطاعي في التنبؤ**، مرجع سابق، ص٣٠؛ وخلاَّف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص٣٠ ؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٣٥.

(٥) عبد الحفيظ، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد٣١، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـ)، ص٨١؛ وحافظ، **مدى فعالية نموذج التشابك القطاعي في التنبؤ**، مرجع سابق، ص٣٠.

(٦) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٠؛ وعبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٢٤٦.

(٧) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٤؛ وعبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٢٤٣، ٢٤٦.

و-تُحلَّل البيانات والمعلومات التي توافرت في المراحل السابقة، ويجري إطْلاع الخبراء المشتركين على النتائج عن طريق التغذية الراجعة لمعرفة تقويمهم للموقف في ضوء تلك النتائج[١]، و«كل خبير يتعرف - في مراحل متعددة لهذه العملية - على آراء نظرائه من واقع بيان مكتوب ودون نسبة كل رأي إلى صاحبه باسمه»[٢]، و«يستطيع الخبراء وبحرية أن يعدِّلوا آراءهم على أساس الأسباب التي قدمها زملاؤهم، كما أنهم أحرار أيضًا في التمسك بأحكامهم الأصلية، ولن يعرف أحد، سوى منسق دلفي أيًّا من الخبراء قد غيَّر رأيه»[٣].

ز-الترجيح بين الآراء عند عدم التوصل إلى وفاق بينها، وقد يكون هذا في آخر الأمر، أو خلال المرات التي تُتلقى فيها أجوبة الخبراء، أو فيهما معًا. وهناك موازين توزن[٤] بها آراء الخبراء وتقديراتهم، تعود إلى مدى وجاهة إجابة الخبير أو شذوذها في محيط الآراء الأخرى، أو إلى مدى ثقة الخبير في رأيه، أو إلى مدى تمكنه وكفاءته في كل جزئية من الجزئيات التي يجيب عنها، وتلك الموازين تتحكم بأخذ آراء واطِّراح أخرى، واعتماد تقدير وإلغاء آخر، وقد أشاروا إلى موازين ثلاثة:

● ميزان «المدى الربعي»[٥]: حيث يؤخذ النصف ميزانًا لمتوسط الآراء، وتُستبعد الآراء التي في الربعين الأول والرابع باعتبارها إما أراءً مُفْرِطَة (في الرُّبع الرابع) أو مُفَرِّطَة (في الرُّبع الأول)، ذلك إذا لم يُقدِّم صاحبها -بإيجاز- أسبابًا مقنعة وأدلة قوية تدعم رأيه[٦].

---

(١) عبد الحفيظ، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد ٣١، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـ)، ص٨١؛ وعبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٢٤٥ .

(٢) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٢.

(٣) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٣٥ .

(٤) قال ابن منظور: "وهذا القول أوزن من هذا أي: أقوى وأمكن". (مرجع سابق، ج١٣، ص ٤٤٨، مادة: (وزن)).

(٥) صيني، مرجع سابق، ص٤١٠؛ وأطلق عليه عبد الدائم " الانحراف الربيعي" ، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٢٤٥.

(٦) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٣؛ وعبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٢٤٥.

● ترجيح الآراء المختلفة بأوزان متناسبة مع مدى ثقة كل خبير في رأيه[1]: وطريقته أنْ يُتبع كل سؤال من أسئلة الاستبانة بميزان يبدأ بالصفر (ويدل على أن الرد لا يتعدى كونه مجرد تخمين)، وينتهي بالرقم (٣) (ويدل على أن الخبير يثق تمام الثقة بإجابته ولديه الاستعداد على أن يدافع عنها)، وفي هذا الميزان يمكن صرف النظر عن الإجابات التي في الرقم (٠) والرقم (١) باعتبار أن ثقة أصحابها فيها ضعيفة[2].

● ترجيح "آراء الخبراء المختلفين في القضايا المختلفة حسب درجة تمكنهم أو كفاءهم في كل قضية من القضايا المطروحة، فإذا كان المطلوب من كل خبير الإدلاء برأيه في مواضع مختلفة تتباين فيها درجة كفاءته، فإنه يُطلب منه توضيح أي المواضع يعتبر نفسه أكفأ في التعامل معها عن غيرها، ويمكن في هذه الحالة الاعتماد على رأي كل خبير فقط في القضايا التي يعتقد أنه كفؤ للإدلاء فيها بدلوه، ويحسب متوسط الآراء من هذه الآراء فقط، وليس من كل الاستجابات التي يتم الحصول عليها"[3].

قد يُكرر الوزن في كل مرة يجيب فيها الخبراء، وتُستبعد الآراء المُفرِطَة والمُفَرِّطَة إلى أن يتم التوصل إلى اتفاق، أو تفاوت غير مؤثِّر ، أو على الأقل إلى أن يتم تصنيف معظم الإجابات في موقفين متميزين[4]، ويمكن أن يؤخذ مقدار الاختلاف مؤشرًا لدرجة عدم اليقين المصاحبة لعملية التوقع[5].

---

(١) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٥، وأشار في الحاشية رقم ١ إلى أن بعضهم يطلق على هذه الطريقة: (Heuristic Method) ولم يشرحها. وفي قاموس المورد: (Heuristic) : "موجِّه أو مساعد على الكشف"، منير البعلبكي، ط٢٠، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٦)، ص٤٢٥.

(٢) عبد الحفيظ، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد ٣١، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـ)، ص٨٢، نقلاً عن:
Quade, Op. Cit., P. 195.
وأشار حافظ إلى هذا الميزان ، **مدى فعالية نموذج التشابك القطاعي في التنبؤ**، مرجع سابق، ص٣٠.

(٣) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٤-١٥؛ وينظر:
Gordon, "The Delphi Method", in American Council, Op. Cit., P. 11.

(٤) بتصرف، العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٣؛
Gordon, "The Delphi Method", in American Council, Op. Cit., P. 3.

(٥) فرحات، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص٥.

ح-والحصيلة النهائية لهذا الأسلوب في الدراسات المستقبلية في بعض أهدافها "لائحة من الحوادث أو الاتجاهات المقبلة مصحوبة بحكم مشترك حول احتمال وقوعها أو عدم احتمال وقوعها خلال فترة معينة"[1]؛ أو"تكوين وجهات نظر مختلفة وتحديد أقوى تلك الوجهات؛ لتكون حلولاً في أي سياسة رئيسية"[2].

ط-من الاستخدامات الـمُدخلة على هذا الأسلوب: استخدام المقابلات المعمَّقة مع كل خبير مباشرة أو عن طريق الهاتف بدلاً عن إرسال الاستبانة[3]، فتُحدَّد "المواعيد بما يلائم من تجرى معهم المقابلة، وتجهز مسودة المقابلة وتختبر للوصول إلى أحكام، ويقوم طاقم عمل عالي المستوى حسن الاطلاع على أهداف الدراسة بإجراء المقابلات"[4]. وتُوفِّر المقابلات ميزة تغيب عن طريقة إرسال الاستبانة، مثل: التركيز على النقاط المهمة، فهي تهيئ الفرصة لسبر غور الأسباب التي تقف خلفها التوقعات[5]. وإن كان لهذه الطريقة بعض الفوائد إلا أنها - في رأي الباحث - تلغي بعض الميزات الأساسية لهذا الأسلوب، كما أن فيها من صعوبة التطبيق ما لا يخفى، مثل: إيجاد عدد كاف مؤهل للقيام بإجراء المقابلات، والحصول على مواعيد مع الخبراء، ومشاق السفر إليهم واحدًا واحدًا، وكُلفة ذلك، كما أنَّ استخدام الهاتف فيها غير عملي .

---

(١) عبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٢٤٣؛ وينظر: صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص٢١٢.

(٢) زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٩-٦٠ .

(٣) Gordon, "The Delphi Method", in American Council, Op. Cit., P.5.

Coates, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 62.

(٤) Gordon, "The Delphi Method", in American Council, Op. Cit., P.5.

(٥) Ibid.

Coates, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 62.

٨-**ميزات أسلوب التشاور المتميز (دلفي):**

أ-إخفاء هوية المشتركين إلى نهاية الأمر[١].

ب-تكرار[٢]النظر في القضية وإعادة دراستها عدة مرات.

ج-«التحكم في التغذية » الراجعة[٣]، أي تحكُّم مركز البحث في المعلومات التي يبعث بها إلى الخبراء خلال الجولات، وبالتالي يظهر في هذا الأسلوب «قدرته على تركيز الانتباه على المجالات المرغوب فيها في الموضوع المدروس»[٤].

د-«تسهيل الحصول على معلومات من أكبر عدد ممكن من الأشخاص دون أية صعوبات جغرافية»[٥].

هـ-«تسهل إدارته بتكلفة منخفضة»[٦]، مقارنة بغيره من الأساليب التي تتطلب مشاركين كُثر.

٩-**العوائق والصعوبات والعيوب في استخدام هذا الأسلوب:**

رغم الفوائد الكثيرة والميزات المتعددة لهذا الأسلوب إلا أنه يواجه بعض الصعوبات، وتعترضه بعض العراقيل، وتعتريه بعض العيوب، وكل ذلك يؤثِّر سلبـًا في نجاحه، وسلامة الآراء المشاركة فيه، وما يُسفر عنه من نتائج، مما يستدعي تفادي ما يمكن تفاديه من ذلك، أوتقليل هذه المشاكل إلى أقل ما يمكن، وأهم تلك الأمور ما يأتي:

أ-عدم وجود معايير دقيقة يُؤخذ بها عند اختيار الخبراء[٧]، وهذا ليس خاصًا به بل مثله مثل غيره: من تكوين اللجان، والهيئات، والمجموعات، وغيرها[٨].

---

(١) فرحات، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص٤؛ والعيسوي، المرجع نفسه، ص١٢؛ وعبد الحفيظ، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد ٣١، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـ)، ص٧٩؛ وعبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٢٤٢؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٣٥؛ و
Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 109.

(٢) عبد الحفيظ، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد ٣١، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـ)، ص٧٩.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٨؛ و Martino, Op. Cit., P. 19.

(٥) زاهر، المرجع نفسه، ص٥٨.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه، ص٥٩؛ و Linstone & Turoff, Op. Cit., P. 6.

(٨) Linstone & Turoff, Op. Cit., P. 6.

ب-صعوبات الاتصال، وتدني مستوى إدارته[1]، لاسيما عندما تتسع الرقعة الجغرافية للخبراء.

ج-ضعف القدرة على تهيئة الظروف المناسبة لعمل الخبراء بكفاءة، من توفير جميع المعلومات المتصلة بالموضوع منشورة كانت أم غير منشورة، وجعْل الخبير يتفاعل مع الموضوع ويقوم بالاتصال مع خبراء آخرين قبل الإدلاء برأيه[2].

د-طول الوقت الذي يستغرقه، فاستخدامه في ثلاث جولات في الغرب يقتضي أربعة أشهر تقريبًا[3].

هـ-«تجاهل عدم الموافقات، وعدم استكشافها حتى يتوقف المخالفون عن الاشتراك الفعلي ويتم الحصول على إجماع مصطنع»[4].

و-جهالة الأمانة العلمية لمركز البحث، حيث يحتمل تحريف ملخص النتائج[5]، أو استخدام وسائل ضعيفة في تلخيص إجابات الخبراء[6].

ز-فرض أفكار مركز البحث وتصوره المسبق للمشكلة على مجموعة الخبراء[7].

ح-الضغط الاجتماعي الذي يمارسه مركز البحث على بعض الخبراء لموافقة رأي الأغلبية حتى وإن شعروا بأن الأغلبية على خطأ[8].

ط-فقدان حيوية النقاش البناء التي تثيرها المواجهة عادة بين الأعضاء المشتركين[9].

ي-«اختلاف المدارس الفكرية للمشاركين»[10].

---

(١) زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٩.

(٢) المرجع نفسه؛ والعيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٤.

(٣) Gordon, “The Delphi Method”, in American Council, Op. Cit., P.9.

(٤) Linstone & Turoff, Op. Cit., P. 6.

(٥) زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٩؛ و Linstone & Turoff, Op. Cit., P. 7.

(٦) Linstone & Turoff, Op. Cit., P. 6.

(٧) Ibid.

(٨) Martino, Op. Cit., P. 15.

(٩) عبد الحفيظ، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد ٣١، (نوفمبر/ ١٤٠٢هـ)، ص٨٣ ؛ وينظر: Linstone & Turoff, Op. Cit., P. 7.

(١٠) زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٩؛ و Linstone & Turoff, Op. Cit., P. 7.

ك-أن الخبراء يكونون مختصين في مجال محدد وضيق، وقد يعوزهم الشيء الكثير من المعرفة في الفروع الأخرى ذات الصلة بمجال اختصاصهم، فهم كمن يرى أوراق الشجرة ولا يرى الشجرة نفسها، فنظرتهم تفتقر إلى الشمول المطلوب(1)، وربما يعجز مركز البحث عن إعطائهم تلك النظرة بالصورة الكافية.

ل-«أن الخبراء الفنيين في مجال معين ليسوا بالضرورة خبراء في أساليب التنبؤ ذاتها»(2).

م-«أن بعض الخبراء ربما لا يرغب في إبداء آرائه»(3)، أو تخليه أثناء مداولات الاستبانات وانسحابه(4)، أو موافقته لرأي الأغلبية في الظاهر؛ لضيق الوقت لديه عن شرح وجهات نظره(5).

ن-طبيعة هذا الأسلوب أنه يبخس الخبراء بعض حقوقهم، فهو يأخذ من وقتهم وجهدهم وعلمهم دون مقابل مادي(6)، ولذا يقترح (لينستون وتورف) تعويضهم عن ذلك بشكل ملائم(7).

س- تأخر الردود بين الخبراء ومركز البحث(8).

ع-رغبة كثير من الخبراء بالاعتراف والتقدير لآرائهم وأفكارهم ونشرها بين بقية الخبراء(9).

ف-الأعباء المالية، والتنظيمية، وما يحتاجه من وقت وجهد(10).

---

(1) فرحات، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص٣ .

(2) المرجع نفسه .

(3) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٣٦.

(4) Gordon, "The Delphi Method", in American Council, Op. Cit., P.9.

(5) Martino, Op. Cit., P. 35.

(6) بتصرف: Linstone & Turoff, Op. Cit., P. 6.

(7) Ibid.

(8) Ibid. P. 7.

(9) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٣٦.

(10) خلاّف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص٣١. عدَّه المؤلف من الصعوبات، وخالفه غيره فجعل (انخفاض تكلفته) من ميزاته، ويظهر أن كلا الأمرين صحيح؛ إذ إنَّ إدارته وتكاليفه المالية أمور نسبية تختلف من دراسة لأخرى، وتختلف إذا قورن هذا الأسلوب بغيره من الأساليب والوسائل الأخرى مثل الندوات والمؤتمرات.

١٠-استخدامات الحاسوب في أسلوب التشاور المتميز (دلفي):

ارتبط أسلوب التشاور المتميز بالحاسوب بأوجه متعددة، منها ما يأتي :

أ-استخدامه وسيلة اتصال بدلاً عن البريد، بين الخبراء ومركز البحث(١)، استخدمتها وزارة الدفاع الأمريكية عام ١٩٦٠م، وهي الشبكة الأم للشبكة العالمية العنكبوتية (الإنترنت)(٢)، ويؤدى هذا الاستخدام بداهة إلى السرعة في التواصل والإنجاز، والقضاء على عدد من السلبيات الناتجة عن استخدام البريد.

ب-استخدامه – بعد تغذيته – بدلاً عن فريق الملاحظة في مركز البحث(٣)، فيقوم الحاسوب بتجميع النتائج الواردة من الخبراء، ويُلحظ في هذا النوع أنه يجب أن تكون كل الملابسات والظروف في عملية الاتصال محددة ومعروفة من قبل بدقة، على العكس من الأسلوب التقليدي الذي يقوم فيه فريق الملاحظة بضبط هذه الظروف لتكون صالحة لنتائج الاستبانة(٤)، ويتميز هذا الاستخدام بسرعة إصدار النتائج في كل جولة من الجولات والتي لا يوفِّرها استخدام الأسلوب العادي(٥) .

ج-جمع الخبراء في مكان واحد، وتوفير جهاز حاسوب لكل واحد منهم صُنِّع خصيصًا لتطبيقات هذا الأسلوب، وهو مُزوَّد بمقبضين: الأول: يسمح للمستخدم تقديم أحكام كمِّيَّة عن السؤال، والثاني: يُمَكِّن من تقديم تقدير بنسبة مئوية عندما يكون الخبير واثقًا من إجابته، كما يسمح بتقديم استجابات مفتوحة، وجميع أجهزة الخبراء مرتبطة بجهاز من يدير اللقاء، حيث تقوم برمجياته بتصنيف آراء الخبراء وتقديم رسم بياني فوري يبيِّن النتيجة، وتسمح بمناقشتها، وقد تكون مناقشة الحجج علنية لكن التصويت يكون سريًّا.

---

(١) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٧٣-١٧٤، ٢٣٦.

(٢) Glenn, "Participatory Methodology", in American Council, Op. Cit., P.2.

(٣) يطلق على هذه الطريقة مؤتمر دلفي (Delphi Conference) أو أسلوب الوقت الحقيقي (Real-Time Delphi)، ويُطلق على الطريقة التي لا تستخدم الحاسوب في تجميع النتائج: الأسلوب التقليدي (Conventional Delphi)، أو أسلوب الورقة والقلم (Paper and Pencil)، أو تمرين دلفي (Delphi - Exercise)، وهذه الطريقة التقليدية هي الأكثر شيوعاً. (زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٨-٥٩؛ و Linstone & Turoff, Op. Cit., P. 5.).

(٤) زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٩؛ وينظر: خلاَّف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص٣٢؛ و Linstone & Turoff, Op. Cit., P. 5.

(٥) Linstone & Turoff, Op. Cit., P. 5.

وقد أثبتت هذه الطريقة نجاحها عند الاحتياج لنتائج سريعة في قضية لا تحتمل التأجيل، وإجابات صريحة وكاملة[1]، وهذه الطريقة في - رأي الباحث - جيدة ؛ فهي تحاول أن تتلافى بعض عيوب هذا الأسلوب، وتجمع بين بعض ميزاته وبعض ميزات الاجتماعات المباشرة، لكنَّها لا تخلو من جوانب سلبية، مثل: أنها لا تُمَكِّن الخبير من الرجوع إلى المراجع العلمية عند الحاجة إليها؛ مما يجعله يدلي بالتصويت جزافًا أو يمتنع عنه.

د-يُوفِّر التقدم الذي يشهده مجال الحاسوب نجاحًا لهذا التطبيق من خلال الإجابة المباشرة عبر الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت)، أو من خلال ربط شبكي خاص أطلق عليه (الوقت الحقيقي: دلفي على الخط المباشر Real Time, On-Line Delphi)[2]، وتبع ذلك ظهور كثير من برامج التشاور بالحاسوب وبأشكال متنوعة[3].

المطلب الثاني : أسلوب المشاهد (السيناريو، أو السيناريوهات Scenario Method):

يُطلَق عليه غالبًا في الكتابات العربية (السيناريو أو السيناريوهات) من غير تعريب[4].

١-تعريف المشاهد:

عُرِّفت المشاهد بتعريفات كثيرة يُورد الباحث فيما يلي أربعة مختارة، ثم يذكر تعريفه:

أ-المشهد: «عبارة عن وصف لمجموعة الأحداث، والتصرفات، المحتمل وقوعها في المستقبل، والقوى المؤدية إلى وقوعها»[5].

---

(١) Martino, Op. Cit., P. 22.
Coates, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 63.
Gordon, "The Delphi Method", in American Council, Op. Cit., P.5.

(٢) Martino, Op. Cit., P. 21.
Coates, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 74.

(٣) Glenn, "Participatory Methodology", in American Council, Op. Cit., P.2.

(٤) ويرى إسماعيل صبري عبد الله: تعريبها إلى (سِنار، وسنارات)؛ لتتوافق مع الصوت الأعجمي. (فاتحة)، **ندوة الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي**، تونس، ٢٩-٣٠/أكتوبر/١٩٨٤م، منتدى العالم الثالث (مكتب الشرق الأوسط) في القاهرة، ط٣، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٥م)، ص٨، حاشية٦. ويخالفه الباحث؛ لأنَّ الصواب أن يَحمل الاسم العربي معنى مدلوله، وشواهد ذلك في اللغة كثيرة لا تحصى، فتعريبها إلى (مشاهد) هو المختار .

(٥) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٥.

ويُقصد بالأحداث في التعريف «هي تلك الوقائع غير المقصودة أو التي لا يمكن لمتخذ القرار التحكم فيها خلال الفترة الزمنية التي يشملها»[1] المشهد، مثل الأحوال الجوية، والتغيرات في معدل نمو السكان على المدى القريب ونحو ذلك[2].

«أما التصرفات فهي تتمثل في التغيرات المقصودة والمتعمدة في الهيكل الاقتصادي والاجتماعي. ويمكن وصف هذه التصرفات في السيناريو بدلالة التطلعات الجديدة أو الأهداف المرسومة إما مباشرة وإما بطريقة غير مباشرة من خلال التغييرات في أدوات السياسة وفي المؤسسات»[3].

ويُركَّز عند كتابة المشهد على التصرفات باعتبارها العناصر التي تُكَوِّن التطور في المجتمع[4].

ب-المشاهد: هي «سلسلة من الأحداث التي نتصورها تجري في المستقبل»[5].

ج-المشاهد: هي "تتابع افتراضي للأحداث بُنيت لغرض لفت الانتباه إلى العلاقات السببية ومجالات اتخاذ القرار»[6].

د-«المشاهد: هي محاولة لإيجاد تتابع منطقي للأحداث؛ لإظهار كيف يمكن التطور بالتدريج ابتداءً من الموقف الحالي »[7].

هـ-يُعرِّفها الباحث بأنَّها : أوصاف لما يُمْكِن وقوعه في المستقبل لقضايا محددة، والقوى الرئيسة المؤثرة فيها.

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه، ج٢، ص١٥-١٦.

(٤) زاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص٣٥ .

(٥) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٢١.

(٦) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 90.
The Futures Group International, "Scenarios", (1994), in American Council, Op. Cit., P. 1.
كلاهما نقلاً عن: Kahn & Weiner, **The Year 2000**, Op. Cit., P. 6.

(٧) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., Pp. 90-91. by: Eric Jantsch, **Technological Forecasting in Perspective**, (Paris, OECD, 1967).

٢-مثال بسيط لأسلوب المشاهد:

يُمثِّلون له – تقريباً للفهم والتصور- بأمثلة بسيطة من واقع الحياة اليومية للإنسان، ويُمثِّلُ له الباحث برجل سكن ناحية من نواحي المدينة النبوية، وحدّث نفسه: بأن يصلي الجمعة القادمة في المسجد النبوي، وهو لا يملك سيارة، فبدأ هنا يستعرض المشاهد الممكنة لتحقيق هذه الرغبة والمشهد الآخر إذا لم تتحقق، فهل يستأجر سيارة توصله وتعيده؟ ففي هذه الحالة سيحتاج إلى إنفاق كذا من المال، وينال أجر الصلاة في المسجد النبوي إن شاء الله تعالى، أم أنه سيُرتِّب للذهاب مع جاره أو قريبه في سيارته؟ وفي هذه الحالة سيوفر ذلك المال وينال الأجر إن شاء الله تعالى، أم أنه سيذهب ماشيًا؟ وفي هذه الحالة يوفِّر المال، وينال أجرين: أجر الصلاة، وأجر المشي إليها، لكنْ يتطلب منه ذلك أن يذهب باكرًا، أم أنه لن يتمكن من الذهاب بل سيصلي في الجامع القريب منه، فيوفر المال وتفوته زيادات ذلك الأجر؛ فهذه أربعة مشاهد كل واحد منها محتمل الوقوع، وكل مشهد يختلف عن الآخر.

٣-تاريخ ظهور أسلوب المشاهد و استخدامه:

ظهر هذا الأسلوب بعد الحرب العالمية الثانية لدى سلاح الجو الأمريكي بصفته وسيلة للتخطيط العسكري، وفي الستينيات قام بتحسينه (هرمان كاهن)، ووصل إلى أبعاد جديدة في السبعينيات[١]، وانتشر استخدامه، لاسيما بعد نشر (نادي روما) الدراسة المستقبلية العالمية: (حدود النمو The Limits to Growth)، وكان للأزمة العالمية للنفط عام (١٩٧٣م) أثر في تأكيد استخدام هذا الأسلوب[٢]، ويعكس استخدامه جانباً من تطور الدراسات المستقبلية[٣]. وقد استُخدم في كثير من المجالات في المؤسسات الحكومية، والشركات

---

(١) Peter Schwartz, **The Art of the Long View** : Planning for the Future in an Uncertain World, (New York: USA, Currency Doubleday, 1996)., P. 7.
International, "Scenarios", in American Council, Op. Cit., P. 1.

(٢) زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٩٥ حاشية رقم (٧٠).
وقد وقَعت هذه الأزمة بعد تأسيس منظمة الدول المصدِّرة للنفط (أُوبك)، وكان معظم أعضائها دول إسلامية، والتي استاءت من الدعم الغربي لإسرائيل، فاستطاعت أن تؤثر على الأسعار المستقرة للنفط بعد الحرب العربية الإسرائيلية عام (١٩٧٣م) فظهرت الأزمة العالمية. (Schwartz, Op. Cit., Pp. 7-8).

(٣) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٦٣.

والمؤسسات التجارية الكبيرة والصغيرة، والأمور الشخصية، مثل: الزواج، واختيار نوع التعليم، والتفكير في استثمار معين[١].

٤-أنواع المشاهد في الدراسات المستقبلية:

يمكن التمييز في الدراسات المستقبلية بين نوعين من المشاهد، وهي ما يأتي:

أ-المشاهد «الاستطلاعية»[٢](Exploratory Scenario): تبدأ من الحاضر، «من المعطيات والظروف القائمة في محاولة لاستطلاع ما يمكن أن تؤدي إليه من تطورات في المستقبل»[٣]، وهذا النوع « يتيح فرصة أكبر للخيال الأمر الذي يؤدي بدوره إلى عدد كبير من الاحتمالات والبدائل، ويثري النقاش الذي يمكن أن يدور حول»[٤]المشهد أو المشاهد المقترحة[٥].

ب-المشاهد «التوقعية»[٦](Anticipatory Scenario): تبدأ من أهداف معينة للمستقبل، ويرجع كاتب المشهد «من المستقبل إلى الحاضر لكي يكتشف البدائل الممكنة لتحقيق هذه الأهداف والوصول إلى هذا المستقبل، ويحدد النقط الحرجة التي تتطلب اتخاذ قرارات أو تصرفات هامة »[٧]؛ ويرى الباحث أن التسمية غير مناسبة، فالأولى تسميتها: (المشاهد الاستهدافية أوالمعيارية) كما سبق بيانه في أنواع المناهج[٨].

---

(١) Schwartz, Op. Cit., P. 4.
International, "Scenarios", in American Council, Op. Cit., P. 2.

(٢) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٦.
وأطلقت عليه الموسوعة الفرنسية: المشهد (النَّزَّاع)، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد ١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٢٢٠.

(٣) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٦؛ وينظر: نصار، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ١، (صفر/ ١٤١٨هـ)، ص١٩.

(٤) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٦-١٧.

(٥) المرجع نفسه، ج٢، ص ١٧.

(٦) نفسه. وأطلقت عليه الموسوعة الفرنسية: المشهد (المضاد)، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد ١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٢٢٠.

(٧) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٧ ؛ وينظر: نصار، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ١، (صفر/ ١٤١٨هـ)، ص١٩.

(٨) ص١٤٩.

والنوع الأول هنا يُعدُّ طريقة جامدة إذا حرص على مدِّ اتجاهات الماضي والحاضر في المستقبل، ولكن إذا تحرر من هذا المدِّ المبسَّط، وآمن كاتبوه أن التجارب الإنسانية لا تتكرر بالشكل نفسه، فإنَّ المشهد يتحول إلى توقعات مشروطة، تتراوح بين افتراضات عن امتداد الواقع بإمكاناته ومواصفاته، وتصورات عن المستقبل الذي نرغبه ونفضِّله(١)؛ فالجمع بين هذين النوعين من المشاهد ممكن؛ وتعظم معه الفائدة(٢)، بل إن الخبرة التاريخية تدل على أن للجمع بينهما أثرًا في إيجاد الوعي حول الحاضر والإبداع حول المستقبل(٣).

ويلحظ الباحث من نوعي المشاهد أن للمناهج المتَّبعة، والنظريات المعتقدة، والقواعد المتبناة أثرًا أساسًا في كتابة المشاهد؛ لذا ذكرت (ماسيني): أنه من الضروري توضيح الفرضيات منذ بداية كتابة المشهد؛ لأنها تحدد موقف المحلل(٤).

٥-فوائد أسلوب المشاهد وأهميته:

أ-تسعى المشاهد إلى «إيجاد صور كلِّيَّة متكاملة عن كيفية نشوء المستقبل وتكوُّنـــه»(٥)؛ مما يجعلنا نعي المشكلات المحتمل حدوثها، ومن ثَمّ التخلي عن تنفيذ قرارات بان أنها تسهم في حدوثها، واتخاذ احتياطات للحد منها(٦)، فـــالمشاهد «أداة لمساعدة صانعي القـــرارات، وذلك بتوفير البيئة لهم من أجل التخطيط والبرمجة بخفض مستوى عدم اليقين لديهم ورفـــع مستوى المعرفة فيما يتعلق بنتائج الأفعال التي اتخذت أو التي سوف تتخذ»(٧)، وهكذا تُقدِّم لهم وللمخططين(٨) «بوضوح وشمول المشاكل والتحديات والفرص»(٩)؛ فتمنح فرصة للنجاة

---

(١) زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٦٠؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٢٥-٢٢٦.

(٢) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٧.

(٣) نصار، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ١، (صفر/ ١٤١٨هـــ)، ص١٩.

(٤) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 91.

(٥) Coates, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 67.

(٦) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٢١-٢٢٢؛ والخولي، مرجع سابق، ص٣٦؛ و
International, "Scenarios", in American Council, Op. Cit., P. 3.

(٧) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 90.

(٨) International, "Scenarios", in American Council, Op. Cit., P. 1.

(٩) Ibid.

من كارثة محتملة، أو تحقيق فرصة رائعة[1]؛ فالمشاهد لا تهدف إلى الإخبار بالمستقبل فهذا أمر غير ممكن، وإنما هي أدوات تساعد الناس في التعلّم[2]، و«تسمح للمدير بأن يقول: أنا مستعد لكل ما قد يحدث»[3]، فهي تهتم بالسلوك الفكري لمتخذي القرارات، أكثر من اهتمامها بالتوقعات؛ ولذا دُعيت مقالات أحدهم عن المشاهد: «"الفن اللطيف في إعادة الملاحظة"، وليس "كيف تتنبأ بالمستقبل"»[4]، وفي القضية الواحدة يُبنى عدد من المشاهد «ليس بسبب أنها محتملة، بل بسبب احتمالية أن يكون لها أثر معين على من يقرأها»[5].

ب-استيضاح حساب الكلف والعوائد بما يساعد على الاختيار الواعي للمشهد المرغوب[6]، ولا يُنتظر من هذا الأسلوب أن يوجِّه متخذ القرار حيال الخيار الذي يجب اتخاذه، ولكن له حسنة، هي: قدرته على إلقاء الضوء على الطريق المؤدي إلى الغاية المطلوبة[7].

ج-يُمكِّن أسلوب المشاهد الإنسانَ من التفكير جيدًا بعواقب أفعاله، ومن رؤية البيئة التي ستقع فيها هذه الأفعال[8]، «وكيف يمكن لهذه الأفعال أن تتلاءم مع القوى، والنزعات، والتوجهات، والمؤثرات السائدة، أو كيف تُواجهها»[9]؛ فهو بذلك يُخرج لنا الفرضيات الخفية عن المستقبل إلى حيِّز الظهور، ويرفع عنَّا الحُجب التي تحدُّ من إبداعنا وسعة حيلتنا[10]، وهو كذلك يُعدُّ أساسًا لتحليل السياسات[11].

---

(١) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٢٢.

(٢) Schwartz, Op. Cit., P. 6.

(٣) Ibid.

(٤) Ibid. P. 9.

(٥) Garrett, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 88.

(٦) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص٩٠.

(٧) Hugues de Jouvenel, in Slaughter, **The Knowledge Base**,Op. Cit., Vol. 2, P.12.

(٨) Schwartz, Op. Cit., P. xiii.

(٩) Ibid.

(١٠) Ibid. P. xv.

(١١) Coates, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 67.

د- يُصمَّم هذا الأسلوب «على أمل أن يثمر فهمًا للمفاجآت والوثبات غير المتوقعة»(١).

هـ- يُمْكِن للمشهد أن يثير مشاهد أخرى، نستخدمها في تقويمِ وضعٍ، وتخطيط عملٍ(٢).

و-تعد المشاهد أداة مفيدة من أدوات التفكير(٣).

ز-المشهد «طريقة نستطيع بها صياغة المستقبل وتشكيله»(٤) في حدود القدرة البشرية المقيدة بمشيئة الله تعالى، ثمّ توافر الوسائل والإمكانات.

ح-إدخال الخيال والتصور الإبداعي العلمي إلى الدراسات المستقبلية(٥).

ط-يتيح لنا هذا الأسلوب - في حدود - أن نفكر بحرية في المستقبل(٦)، أي ألاّ تُعيقنا أحوال الحاضر وظروفه عن التفكير في سبل تحقيق مستقبل نرغبه قد يكون مختلفًا كليًّا عن الحاضر.

ي-تُفيد المشاهد في «أن تساعد نفسك في تغيير رؤيتك للواقع؛ لتقابله وتتطابق معه عن قرب أكثر كما هو»(٧).

ك-المشهد مهم جدًّا في الكشف عن وجود تناقضات بين التوقعات المستقبلية، أو تنافر بينها(٨).

---

(١) Schwartz, Op. Cit., P. xiii.

(٢) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٢٢؛ والموسوعة الفرنسية العالمية، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد ١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٢٢٠.

(٣) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 92.

نقلاً عن: كاهن (Kahn) ولم تُبيِّن المرجع.

(٤) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٢٦.

(٥) المرجع نفسه.

(٦) نفسه.

(٧) Schwartz, Op. Cit., P. 9.

(٨) زاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص٣٥ .

ل-لا يُرجى من النتيجة النهائية للمشاهد أنْ تَكُون صورة دقيقة عن الغد، بل قرارات أفضل عن المستقبل[1].

م-يكتسب الأعضاءُ المشتركون المعرفةَ والتعليمَ المستمرَّين أثناء بناء المشاهد، فينتهون وهم يحملون معهم وجهات نظر جديدة[2].

ن-«إن المشاهد هي الأدوات المفضلة في الدراسات المستقبلية؛ فهي تساعد على توقع المستقبل بالنسبة للبعض، بينما بالنسبة لآخرين فإنها توضح البدائل»[3].

٦-مراحل بناء المشاهد :

أ-تحديد المتغيرات الرئيسة التي تُكوِّن مستقبل القضية[4]، و«عادة يؤثر نحو ٦ إلى ٣٠ متغيرًا في الوضع المستقبلي المعين . ثم تجري غربلة هذه القائمة لتقليل الزائد منها ، وينتج عن هذه العملية عادة من ٦ إلى ٢٠ متغيرًا »[5]، وتحديدها إنما هو أمر تقريبي وليس نهائيًّا؛ إذ إنَّه من الصعب وضع حد للقوى المحركة[6]. ويرتكز تحديد المتغيرات الرئيسة وبيانها على عدد كبير من المصادر[7]، يقوم الباحثون بجمعها خلال مدة جمع المعلومات، ويستعان أيضًا بمستشارين مختصين[8]، ويجري التعرف من خلال ذلك على حاضر القضية وماضيها، والمتغيرات الخارجية المؤثرة فيها، ومن ذلك القدرات الظاهرة أو الكامنة لدى الأفراد والجماعات والأمم، ومطالبهم وآمالهم التي يتطلعون إليها[9]، أو ما يُعبَّر عنه في العلوم الاجتماعية (بتحليل الفاعلين): فإذا أُريد أن تُجرى دراسة مستقبلية على الطب، فلا بدَّ أن يوضع في عين الاعتبار مصالح وزارة الصحة وسياساتها، والمؤسسات الطِّبِّيَّة، ومصانع

---

(١) Schwartz, Op. Cit., P. 9.

(٢) Garrett, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 82.

(٣) Inayatullah, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, P. 202.

(٤) International, "Scenarios", in American Council, Op. Cit., P. 3.
Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 94.

(٥) International, "Scenarios", in American Council, Op. Cit., Pp. 3-4.

(٦) Ibid. P. 7.

(٧) Ibid. P. 3.

(٨) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٣٧٧.

(٩) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص٨٨؛ و Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 94.

الأدوية، وتحديد الفاعلين الرئيسيِّين من هؤلاء، وتحليل أهدافهم، وحدودهم، وسلوكهم الماضي، والأسس التي يعتمدون عليها في صنع القرار[1]؛ و«أفضل المشاهد إفادة تلك المركزة بحدة، التي تركز على القضايا الحساسة التي تواجهها المنظمة »[2]؛ وهذه المرحلة هي المرحلة المهمة[3] والأكثر استهلاكًا للوقت[4].

ب-تُحدَّد المشاهد التي سيجري بناؤها[5]، والمسألة المهمة في هذا تحديد العدد الملائم من المشاهد، فعددها لا يحده شيء[6]؛ لأن المستقبل مجال مفتوح يقبل كل شيء في رأي الباحث، لكنْ « يُستخدم بصفته حدًّا أدنى ثلاثة مشاهد، ونادرًا ما يُستخدم أكثر من خمسة مشاهد »[7]، وبوجه عام هناك مشهدان أساسان: مشهد تفاؤلي يعبِّر عن (أفضل حالة)، ومشهد تشاؤمي يعبِّر عن (أسوأ الحالات)، وبينهما يوجد عدد من المشاهد تقترب أو تبتعد عن كل واحد منهما[8]، ومن أنواع المشاهد ما يُطلق عليه (كاهن Kahn) (المشهد بدون مفاجأة)، وأطلق عليه آخرون (مشهد الاتجاه)، وهو ما يصف الأكثر احتمالاً، أو الذي يترك الأشياء التي لا يمكن رؤيتها، أي أنه يصف الأوضاع على أنها لن يتغير فيها شيء، ويميل كثير من الدراسات التي وقف الباحث عليها أو على معلومات عنها إلى عرض ثلاثة مشاهد فقط: مشهد تفاؤلي، ومشهد تشاؤمي، ومشهد وسط بينهما[9]، وينبغي أن يُصرف النَّظَر عن ترجيح مشهد من هذه المشاهد أنَّه سيقع في المستقبل، بل النظر إلى أنَّ المشاهد معًا

---

(١) بتصرف: Garrett, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 80.

(٢) International, "Scenarios", in American Council, Op. Cit., P. 7.

(٣) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص٨٨.

(٤) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 94.

(٥) International, "Scenarios", in American Council, Op. Cit., P. 3.

(٦) Coates, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 67.

(٧) Ibid.

(٨) زاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص٣٥.

(٩) من تلك الدراسات: المنجرة، "المغرب الكبير عام ٢٠٠٠"، في "المستقبل العربي"، مرجع سابق، العدد٥٣، (٧/ ١٩٨٣م)، ص٧؛ وحسيب وآخرون، مرجع سابق، ص٨٦-٨٧ ، ٢٣٦-٢٣٧؛ وزاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٢٨٦؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٣٧٦.

تُكوِّن أداة لتنظيم الإدراك، فليست النقطة المهمة في الموضوع (اختيارَ مشـــهد مســـتقبلي مفضل واحد) والأمل بأن يحصل، ولا بيانَ أرجح مشهد يحتمل وقوعه والتكيفَ معه والعملَ على أساسه[١]، «إنَّما المهم هو أن تَتخذ قرارات اســـتراتيجية تكـــون معقولـــة في جميـــع الاحتمالات المستقبلية بغض النظر عن أي من هذه الاحتمالات سيشكل واقع المســـتقبل، فينبغي أن تكون على أتم استعداد له ـــ وأن تكون مؤثِّرًا فيه ـــ إذا كنت قد فكَّرت بجدِّيَّة في المشاهد »[٢].

ج-«تعزى المشاهد إلى أفراد لصنعها»[٣]، ويبدأ المشهد بافتراضات شرطية تُعدُّ أساسًـــا لبناء المشهد، ثم يتم توصيف العلاقات والهياكل المرتبطة بها، وما يترتب عليها من آثار نتيجة التعامل مع المتغيرات المستقبلية الأخرى، لاسيما المتغيرات الخارجيـــة، ثم توقُّـــع لتـــداعياتها التالية[٤]؛ فيُقال: "(إذا استمر الوباء حسب النمط ذاته، حينئذ...)، (إذا وافقت الدولة على نظام التعليم المقترح...) »[٥]؛ "وعلى هذه القاعدة يتم وصف المواقف المستقبلية، آخذين في عين الاعتبار المتغيرات الرئيسة والفاعلين »[٦]. وتُبيَّن في المشاهد (المسارات): وهي ما تُوضح الاختيارات البديلة للانتقال من حالة أولية إلى حالات افتراضية وشروط هذا الانتقـــال[٧]؛ وتُختبر تلك المسارات، ويجري ذلك من خلال المتغيرات التي تقرر اعتمادها[٨]، "ويـــدور

---

(١) Schwartz, Op. Cit., Pp. xiii-xiv.
Tony Stevenson, " The World Futures Studies Federation", in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 24.

(٢) Schwartz, Op. Cit., P. xiv.
Stevenson, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 24.

(٣) International, "Scenarios", in American Council, Op. Cit., P. 4.

(٤) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص ٨٥، ٨٨.

(٥) Garrett, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 80.
والنقط في المرجع؛ وينظر أيضًا: Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 94.

(٦) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 94.

(٧) حافظ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص١١٢.

(٨) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص٨٨.

النقاش حول كل مشهد في هذا الإطار وفقًا للمنطق العام لتلك الافتراضات. ومع توسيع نطاق المشاركين في الحوار والنقاش تعاد كتابة المشهد وتعدّل بعض ملامحه أو تستبدل»[1]؛ «وبمجرد اكتمالها يجب مراجعتها من أجل الشمول والاكتمال»[2]. وقد يحتاج كاتب المشهد إلى بعض أساليب الدراسات المستقبلية الأخرى في إعداد بعض تصوراته[3]، فإنَّها تفيد في التغلب على بعض القيود وتذليل بعض الصعوبات[4].

ولا تحتاج تهيئة المشاهد إلا إلى فريق عمل قليل العدد يملك عددًا من المهارات ويضم بعض الشخصيات، ويجري في نهاية الأمر عرض مسودات المشاهد على مختصين لمراجعتها والتعليق عليها[5].

وتنتهي المشاهد — مهما تعددت طرقها - إلى[6] «وصف لظروف المستقبل والإحاطة بنطاق واسع بما يكفي لاستحضار سياسات ذات مغزى»[7]، و«بالإمكان الإشارة إلى استراتيجيات محتملة مختلفة»[8].

٧-الأشكال التي تخرج فيها المشاهد بصورها الأخيرة:

«تأتي المشاهد في أشكال متعددة: من مقطع مختصر في كتاب، أو من مقالة في عدة صفحات»[9]، ويجري «وصف المشاهد في نص مباشر تفسيري، ويستكمل ذلك برسومات بيانية، ورسومات بيانية دائرية، وجداول إحصائية تُعدُّ هي مقاييس معيارية، وفي الحقيقة، قد تكون هناك حاجة إليها لإقناع بعض المراقبين - الذين لديهم هدف معين - بأنَّ العمل جدي. كما أن التقديم الجاف الذي تعوزه الحياة ليس دائمًا طريقة الاقتراب الأكثر فاعلية،

---

(١) المرجع نفسه، ص٨٨-٨٩.

(٢) International, "Scenarios", in American Council, Op. Cit., P. 4.

(٣) فرحات، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٢ ؛ والعيسوي، المرجع نفسه، ص١٨؛ وزاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٦٠.

(٤) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 95.

(٥) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٣٧٧.

(٦) International, "Scenarios", in American Council, Op. Cit., P. 3.

(٧) Ibid.

(٨) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 95.

(٩) Coates, in American Council, Op. Cit., P. 9.

مع وجود بدائل أخرى. وبالإمكان التعبير عن المشهد بالشعر وقصص الخيال العلمي وتاريخ المستقبل أو أخبار المستقبل»[١]. ويوافق الباحث على ما ذُكر باستثناء قصص الخيـــال ومـــا بعده، ويُؤَكِّد على أهمية الرسوم البيانية في إعطاء صورة موجزة ومفهومة لدى من يطلـــع عليها.

٨-تسمية كل مشهد:

تُدوَّن أسماء المشاهد «عادة بمصطلحات محببة من قبل مستخدميها »[٢]؛ لإثارة العواطف عندما يُتحدث عن كل مشهد، ولإعطاء صورة سريعة عن المحتوى[٣].

ويحلو لبعض المستقبليين العرب[٤] تسمية مشاهدهم برموز من التاريخ الإسلامي، مثل: (الطوائفي الأندلسي) على المشهد التشاؤمي المتردي، و(الأيوبي)[٥] على المشهد الإصلاحي المعتدل، و(العُمَري)[٦]على المشهد التفاؤلي ذي التحولات الإصلاحية العميقة؛ وعندما يطلع الباحث لأول وهله إلى هذه الرموز يشعر بالرضا من التميُّز، وحُسن الانتقاء التاريخي، إلا أنَّه عندما يطَّلع على محتوى المشهدين: (الأيوبي والعمري) ، فإنَّه يَلحظ أنَّهمـــا لم يرقيـــا إلى مستوى هذين العَلَمين، و لم يتناسبا من حيث الجملة مع تفكيرهما - مع أنَّ المشهدين حاولا أن يتناولا قضايا العالم العربي بعامة - فمثلاً : ليس للجهاد ذِكر فيهما إلا علـــى المســـتوى الدفاعي، مع أنَّه اعتلى قائمة الأولويات لدى القائدَين، ولا يُوجد للأمة الإسلامية إشـــارة، بل الحديث فيهما عن الأمة العربية، وغني عن التنويه أن الأيوبي لم يكن عربيًّا، فضلاً عـــن التوجه القومي في المشهدين . ويرى الباحث: أنه ينبغي عند اختيار الأسماء أن يكون محتوى المشهد وأفكاره قريبة جدًا من صاحب الاسم وأعماله إن كان عَلَمًا، أو الاستغناء بالأسمـــاء الوصفية.

---

(١) Garrett, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 82.

(٢) Coates, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 68.

(٣) Gill Ringland, **Scenario Planning : Managing for the Future**, (Chichester: UK, John Wiley & Sons, 1998)., P. 102.

(٤) منهم: سعد الدين إبراهيم، ينظر: زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٢٨٦.

(٥) نسبة إلى صلاح الدين.

(٦) نسبة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٩-عوامل مهمة في نجاح أسلوب المشاهد:

أ-إشراك عدد من الباحثين والمخطِّطين المعنيين بالموضوع مبكرًا في مراجعة المشاهد وتطويرها[١].

ب-أن يكون المشهد كُلاً متكاملاً متناسقًا، فلا يحتوي المشهد على أهداف متنافرة[٢].

ج-أن يكون المشهد محكمًا[٣]، بمعنى ألا تُترك فيه فجوات، مثل أن يفضي أحد الأهداف إلى عجز ضخم في ميزان المدفوعات، فإنه يتعين أن يحتوي المشهد على إجراءات مناسبة لتجنب هذا العجز أو التغلب عليه[٤].

د-أن يتوافر للباحثين وكاتبي المشاهد حرِّيات في المعلومات، والرأي والتعبير، والتنظيم الذي يمكِّن الباحثين من التواصل والتحاور دون تدخل من سلطة أو مُمَوِّل[٥]، وفق الضوابط الشرعية.

هـ-أن تكون المشاهد معقولة قابلة للتصديق[٦].

و-أن تقدِّم المشاهد ما يمكن أن يُفيد في اتخاذ القرارات[٧].

١٠-ميزات أسلوب المشاهد:

أ-أنَّ كتابة المشهد سهلة يسيرة، وليست «عملاً صعبًا، فكل ما يتطلبه هو الخيال والتآلف مع الوضع الذي يرغب المرء في أن يكتب له»[٨]مشهدًا.

ب-تقوم أكثر الأساليب الأخرى بتحليل المستقبل إلى مكونات وتترك التكامل للقارئ لإنجازه في مخيلته، أما أسلوب المشاهد فإنه يتميز عنها في أنه يُوجِد صورة جذَّابة متكاملة مترابطة لبعض الحالات المستقبلية[٩].

---

(١) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٣٧٧-٣٧٨؛ ومصطفى كامل السيد، "الحريات الأكاديمية والدراسات المستقبلية في الوطن العربي"، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص١٦٤-١٦٥.

(٢) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٧ .

(٣) المرجع نفسه، ج٢، ص١٨؛ و International, "Scenarios", in American Council, Op. Cit., P. 1.

(٤) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٨.

(٥) السيد، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص١٦٥-١٦٦.

(٦) International, "Scenarios", in American Council, Op. Cit., P. 1.

(٧) Ibid.

(٨) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٢٣.

(٩) Coates, in American Council, Op. Cit., P. 8.

١١-الخيال في المشاهد:

إنّ منطق أسلوب المشاهد[1] «يتمتع دائمًا بدرجة من العلمية»[2]، فينبغي أن يكون واضحًا أن كتابة المشاهد في الدراسات المستقبلية ليست عملية خيال محض على غرار ما يحدث في قصص الخيال العلمي أو الأفلام التي تحاول تخيل الحياة على الكواكب الأخرى، فالخيال هنا له دور حقيقي، ينطلق من المعطيات والظروف المعاشة، ويعتمد على منهج التجميع للأحداث وترتيبها زمنيًا وسببيًا، بحيث يفضي هذا الترتيب الزمني للأحداث وتسلسلها المنطقي إلى صورة مستقبلية محتملة الحدوث[3]؛ فعملية بناء المشاهد لا تُجرى في معزل عن القوانين العلمية[4]، و«الخيال هنا لا يعني حلم اليقظة بل يعني (التصور)»[5]، ووظيفته: تبسيط احتمالات تطور النظم – وبخاصة التي لا تقبل القياس –[6] «إلى حد معقول، وصياغة الافتراضات التي تجعل تركيبة المتغيرات في كل احتمال تنطوي على قدر من المصداقية.

وحتى يتمتع بناء هذه السيناريوهات بجانب من المصداقية فإن إتمامها من خلال الحوار والنقاش داخل جماعة الباحثين يضمن بقاء الخيال في حدود ما هو ممكن واقعيًا»[7].

١٢-كفاءة أسلوب المشاهد:

أ-يقول (سشوارتز Schwartz): إنه استخدمه لأكثر من عشرين سنة هو وزملاؤه، ووجدوا أنه أسلوب نافع جدًا[8].

ب-من الوقائع العملية التي أثبتت كفاءة هذا الأسلوب: نجاح شركة (شل) للنفط في اجتياز الأزمة العالمية للنفط عام (١٩٧٣م)، حتى أصبحت إحدى أكبر شركتين في العالم، وتصاعدت أرباحها في السنوات التالية للأزمة، وتُرْجَعُ أسباب ذلك إلى أن مجموعة تخطيط

---

(١) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 95.

(٢) Ibid.

(٣) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١٦.

(٤) حافظ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص١١٦.

(٥) المرجع نفسه.

(٦) السيد، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص١٦٤.

(٧) المرجع نفسه، ص١٦٤.

(٨) Op. Cit., P. xiii.

في الشركة قدَّمت لإدارة الشركة مشهدين للأزمة قبل حدوثها بسنوات، وعلى الرغم من أن الإدارة لم تغير من سلوك الشركة شيئًا إلا أنهما أحدثا تغييرًا في رؤية المديرين للاحتمالات؛ فكانوا عند اندلاع الأزمة مستعدين بشكل جيد، فاستجابوا بسرعة للتغيير الإيجابي[١].

ج-إن المشاهد لا تعني المستقبل اليقيني، بل تعني أوضاعًا مختلفة لمجريات الأحداث في ظل شروط مختلفة، فإذا تحققت الشروط تحققت نتائج التصورات، وخاصية ضعف اليقين هذه خاصية عامة تحكم مناهج الدراسات المستقبلية وأساليبها، فنتائج التوقع ليست مقصودة في كمِّها وتفصيلاتها، ولكن في اتجاهاتها ومساراتها[٢]، وتأثيرها في اتخاذ القرارات، ومن هنا تبرز كفاءة هذا الأسلوب.

د-تبرز كفاءة هذا الأسلوب بصفته أسلوب علمي عندما تعجز الأساليب العلمية المتاحة عن بلوغ غاياتها في اكتشاف بعض الجوانب الغامضة عن المستقبل، وتحديد الوصول إليها[٣].

---

(١) Ibid., Pp. 7-9.

(٢) حافظ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص١١٦.

(٣) المرجع نفسه، ص١١٧.

خاتـــمة :

يخلص الباحث من خلال استعراض مناهج الدراسات المستقبلية، وأسلوبين مـــن أهـــم أساليبها إلى أن الدراسات المستقبلية تعتمد في مناهجها وأساليبها على المناهج والأســـاليب العلمية، وتنأى عن المناهج والأساليب الخرافية، والكهانة.

وأن المناهج والأساليب في الدراسات المستقبلية لم تصل بعد إلى حد الكمال والنهايـــة، بل ما تزال في تمحيص واختبار، وإضافة وابتكار.

الفصل الرابع

أهم العلوم التي تعتمد عليها الدراسات المستقبلية، وأسس نجاحها

المبحث الأول : أهم العلوم التي تعتمد عليها الدراسات المستقبلية

المبحث الثاني : أسس نجاح الدراسات المستقبلية

المبحث الأول

أهم العلوم التي تعتمد عليها الدراسات المستقبلية

المطلب الأول: ارتباط الدراسات المستقبلية بكثير من العلوم والفنون:

تحاول الدراسات المستقبلية أن توفر جميع المعرفة اللازمة للقضية، في أي اختصاص كانت المعرفة فيه، وتحاول الاستفادة من كل فن علمي يخدم في الاستشراف، وفي اكتمال إجراءاته بأحسن صورة ممكنة؛ لذلك يرى كثير من المستقبليين[(١)]: أن الدراسات المستقبلية – في معظم تصوراتها وأعمالها – هي في الأساس دراسات بينية، تحاول أن تنظر إلى القضية من خلال عدسات مختلفة من الاختصاصات، وهي أرض مشتركة لاختصاصات علمية متنوعة؛ لأن التوقع ((لا يمكن أن يكون دقيقًا وفعالاً إلا إذا كان معقدًا، أي إذا تضمن جميع قطاعات الحياة البشرية، حتى تلك التي قد لا تبدو ديناميكية في الوقت الحاضر، إذ أن الحركة في أي اتجاه على أبعاد متعددة تحدث شدًا قويًا بين القطاعات الساكنة والمناطق التي تتعرض للتغيير))[(٢)].

لقد ((أدرك العلماء أن عالم المستقبل مثله في ذلك مثل عالم الحاضر، كل معقد من الصعب الإحاطة بكافة جوانبه وبالعلاقات المتبادلة والمتفاعلة التي تسود فيما بينها، ومن ثم حرصت المؤسسات المعنية بالبحوث والدراسات المستقبلية في تشكيلها لفريق البحث أن يمثل تخصصات عدة: علم الطبيعة والرياضة، والتاريخ، والجغرافيا والاجتماع، وعلم النفس، والسياسة، والاقتصاد...إلخ))[(٣)]. ((وأبدعت أساليب بحث تتيح الاستفادة من كافة هذه

---

(١) منهم: زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٩٠؛ وصالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير /١٩٨٨م)، ص١٩٨؛ وسترون، في "القافلة"، مرجع سابق، العدد٤، (ربيع الآخر /١٤١٤هـ)، ص٤٢ – ٤٣؛ نقلاً عن: (تيم ويلارد) رئيس تحرير مجلة استشراف المستقبل؛ وزاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/١٩٩١م)، ص٢٣؛ و

Glenn, "Introduction to the Futures Research Methodology Series" , in American Council, Op. Cit., P.5.

Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.189.

(٢) رادوفان رشتا وأوتا سولك، "التنبؤ والثورة العلمية والتكنولوجية"، ترجمة أحمد كابش، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، مرجع سابق، العدد١، (شعبان /١٣٩٠هـ)، ص٦٢.

(٣) صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير /١٩٨٨م)، ص٢١٠؛ نقلاً عن:

Jungk, Op. Cit., P. 12.

التخصصات والخبرات – كأسلوب دلفي مثلاً – كما أدركت أن الفعل البشري يقصر عن الإحاطة بالكم الهائل من المعلومات التي لابد من الإحاطة بها لتكوين صورة المستقبل، ومن ثم لجأت إلى الاستعانة بأساليب بحث تساعد على تنسيق هذه المعلومات، وعلى تحليلها مثل أسلوب تحليل النظم وأسلوب النماذج))(١). وقد تحتاج تلك المؤسسات ((إلى لجنة من الخبراء لدعم الفريق المركزي))(٢).

والذين انضموا إلى مراكز الدراسات المستقبلية، وعملوا في المطبوعات المستقبلية، تنوعت مهنهم، وكان منهم أصحاب الثقافات العالية، ومنهم الأساتذة الجامعيون وبخاصة المختصون في الاجتماع والسياسة(٣).

إن أهل كل اختصاص لا يكادون يتعدون محيط اختصاصهم، أما مجال الدراسات المستقبلية فيحاول أن يعنى بكل ما يجري من أحداث، فهو يتناول اختصاصات متعددة، وينظر إلى النظام الاجتماعي والسياسي وغيرهما بما فيهما من تعقيدات وتشابكات(٤). هذه الميزة للدراسات المستقبلية إذا استُثمرت ووُجِّهتْ توجيهاً صحيحًا ((يمكن أن تصبح القوة الدافعة والمطلوبة لتشد كل تلك الميادين والفعاليات إلى ما يعتبر فن وعلم التداخل والتغيير، وهو الأمر المطلوب ليتمكن المجتمع من التعامل مع معدلات التغيير المتسارعة في عصرنا هذا))(٥).

وإنَّ تنوع اختصاصات المستقبليين ومهنهم قد يُكوِّن قوة لمجال الدراسات المستقبلية، الذي يحاول أن يستقل بنفسه، ويُكوِّن قوة في التعامل مع العلاقات المتبادلة بين الأشياء؛ من أجل الارتقاء بالآراء، والقرارات، والأفعال(٦).

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) Garrett, Op. Cit., Vol. 2, P. 94.

(٣) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٨٤ – ١٨٥.

(٤) سترون، في "القافلة"، مرجع سابق، العدد ٤، (ربيع الآخر /١٤١٤هـ)، ص٤٢ – ٤٣؛ نقلاً عن: (تيم ويلارد) رئيس تحرير مجلة استشراف المستقبل.

(٥) أمارا، في "الثقافة العالمية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ربيع الأول/١٤٠٢هـ)، ص٩٤.

(٦) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 67.

وتشترك الدراسات المستقبلية مع غيرها من مناهج التحليل في العلوم الإنسانية في مواجهة مشكلة عدم الاستقلال، أي الحاجة إلى استعارة أدوات غيرها من العلوم المستقرة؛ وذلك لحداثة الدراسات المستقبلية(١)؛ ولأنها تغطي مجالاً واسعًا من الموضوعات؛ ولأن كل شيء له مستقبل، وبإمكان الدراسات المستقبلية أن تتناوله بالدراسة(٢)؛ ولأن طبيعتها الخاصة تقتضي التعامل مع منظومة من الاختصاصات الأخرى؛ لتُكوِّن دراسات بينية، فمعظم «المعرفة التي يحتاجها المستقبليون لاتخاذ قرار سياسي محدد أوجدها آخرون متخصصون في مجالات قد يعرف المستقبليون عنها القليل»(٣). ومع ذلك فقد «استطاعت - برغم حداثة عهدها، أن تستحدث لنفسها وسائل خاصة بها»(٤). كأسلوب (دلفي)، وأسلوب (المشاهد)، وغيرهما .

ومن أمثلة «الوسائل التي تستعيرها الدراسات المستقبلية من غيرها أسلوب تحليل المضمون Content Analysis وهو يستهدف التعرف على النوايا المبيتة للأطراف المختلفة من خلال ما يصدر عنها من تصريحات أو أقوال مكتوبة أو مروية. وأسلوب الاحتمال الإحصائي، وهو يستخدم عادة في قياس المستقبل قصير المدى بافتراض ثبات معدلات التطور والحركة على ما هي عليه، وبافتراض عدم دخول عناصر خارجية غير مرئية عديدة. كذلك يلجأ بعض المستقبليين إلى استخدام الحاسب الإلكتروني في بناء نماذج رياضية تساعد على استكشاف أحداث المستقبل»(٥).

وتذهب الدراسات المستقبلية أيضًا إلى مسألة أبعد من إفادتها من سائر العلوم، وهي : الطلب بأن تقدِّم هذه العلوم مداخلها، وفرضياتها، وقواعدها، وطرقها، في جهد مشترك لتبادل (شيء ما غير متصل) يقع أبعد من مساهمة موازية(٦).

---

(١) خلاف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص١٢.

(٢) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 66.

(٣) Ibid. Vol. 1, P.91.

(٤) خلاف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص٢٤-٢٥.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٥.

(٦) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 18.

ويحاول بعض المستقبليين تصنيف الدراسات المستقبلية تحت علم أو فن معين، يقول الدجاني : مِن المستقبليين مَن يصنف الدراسات المستقبلية تحت علم الاجتماع، ومنهم من يراها امتدادًا لعلم التاريخ، وهو يرى أنها امتداد للدراسات التاريخية(١).

ولا يرى الباحث التحاق الدراسات المستقبلية بشيء من العلوم، بل هي فن آخذ في الاستقلال والتميز، ولا يعني ارتباطها بكثير من العلوم والفنون، واستفادتها منها، أنه لا يمكن تمايزها عنها، بل هناك عدد من العلوم والفنون يرتبط بأكثر من مجال ومع ذلك تمكن من الاستقلال والتميز .

ومن أحسن ما قيل في هذا : إن علم التاريخ يدرس الماضي ويُطلعنا على تجارب أهله، وعلم الاجتماع يدرس الحاضر ليفهمه ويحلله، ويتبقى في هذه المسيرة الفكرية الرائعة فجوة المستقبل تحتاج إلى فن يسدها، والدراسات المستقبلية تأخذ على عاتقها هذه المهمة(٢).

وإذا كان من أهم متطلبات الدراسات المستقبلية : استيعاب الماضي، والفهم الدقيق المتكامل لكل أبعاد الحاضر؛ فإن أهم العلوم والفنون التي ترتبط بها الدراسات المستقبلية ارتباطًا وثيقًا : التاريخ، والاجتماع، وكثيرًا ما تستفيد من التخطيط وتتشابه معه.

المطلب الثاني : ارتباط الدراسات المستقبلية بعلم التاريخ :

١–تعريفه:

التأريخ في اللغة : «تعريف الوقت . والتوريخ مثله»(٣).

والتاريخ في الاصطلاح : «فن يبحث عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت»(٤).

فالتاريخ يُعنى بمعرفة «أحوال الطوائف، وبلدانهم، ورسومهم، وعاداتهم، وصنائع أشخاصهم، وأنسابهم، ووفياتهم، إلى غير ذلك . وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية؛ من

---

(١) **تجديد الفكر استجابة لتحديات العصر**، مرجع سابق، ص٤٩.

(٢) طعمة، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص٢٦؛ و
Glenn, "Introduction to the Futures Research Methodology Series", in American Council, Op. Cit., P. 4.

(٣) الجوهري، مرجع سابق، ج١، ص٤١٨، مادة: (أرخ).

(٤) محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، تحقيق محمد عثمان الخشت، (الرياض، مكتبة الساعي، د.ت)، ص٢١ .

الأنبياء والأولياء، والعلماء، والحكماء، والشعراء، والملوك والسلاطين، وغيرهم . والغرض منه: الوقوف على الأحوال الماضية»(1).

٢-أهمية التاريخ بعامة :

قد يتساءل بعض الناس عن جدوى الاهتمام بالتاريخ في الوقت الحاضر، الذي تتصارع فيه الأمم والشعوب، وتكثر فيه المشكلات المستعصية؛ لذا أليس من الأجدى أن ننسى الماضي، وننصرف إلى العناية بالأخطار الداهمة(2) ؟

يقول ابن الأثير : «ولقد رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية، ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية، يحتقر التواريخ ويزدريها، ويعرض عنها ويلغيها، ظنًا منه أن غاية فائدتها إنما هو القصص والأخبار، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار؛ وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره، وأصبح مخشلبًا جوهره، ومن رزقه الله طبعًا سليمًا، وهداه صراطًا مستقيمًا، علم أن فوائدها كثيرة، ومنافعها الدنيوية والأخروية جمة غزيرة»(3).

وقد أشاد عدد من المؤرخين المسلمين بأهمية التاريخ، وذكروا عددًا من فوائده، يقول ابن خلدون : «فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال، وتشد إليه الركائب والرحال، وتسموا إلى معرفته السُّوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك... هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول... وفي باطنه نظر وتحقيق(4)، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق . فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق»(5). وهو «فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية؛ إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم»(6).

---

(1) أحمد بن مصطفى (طاش كبري زادة)، **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ج١، ص٢٣١.

(2) زريق، **نحن والتاريخ**، مرجع سابق، ص١٤.

(3) **الكامل**، مرجع سابق، ج١، ص٧.

(4) أي في صحة الوقائع.

(5) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج١، ص٢٨٢.

(6) المرجع نفسه، ج١، ص٢٩١.

ومن أهم ما ذكروا من فوائده ما يأتي :

أ- الاطلاع على سير الماضين من الصالحين والاقتداء بهم[1]، والاطلاع على سير الظالمين والعصاة من الماضين، ومعرفة ما حل بهم؛ والحذر من السير بسيرتهم[2]. يقول ابن الجوزي معددًا بعض فوائد السير والتاريخ : إنه «إن ذكرت سيرة حازم ووصفت عاقبة حاله علمت حسن التدبير واستعمال الحزم، وإن ذكرت سيرة مفرط ووصفت عاقبته خويت[3] من التفريط فيتأدب المتسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمن ذلك شحذ صوارم العقول، ويكون روضة للمتنزه في المنقول»[4].

ب-معرفة الآراء الصائبة في سيرتهم، التي مكنت لهم في الأرض وحمتهم -بإذن الله- من المهالك[5]. «ولولا التاريخ لضاعت مساعي أهل السياسات الفاضلة، ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام هي الفاصلة، ولقل الاعتبار بمسالمة العواقب وعقوبتها، وجهل ما وراء صعوبة الأيام من سهولتها، وما وراء سهولتها من صعوبتها»[6]. «إن (فقه التاريخ) ضرورة لكل أمة تريد أن يبقى لها دور متميز في التاريخ»[7].

ج- تحصيل «التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها فإنه لا يحدث أمر إلا قد تقدم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلاً . ويصبح لأن يقتدى به أهلاً»[8]؛ ولذا سمى ابن مسكويه كتابه في التاريخ : (تجارب الأمم).

---

(١) نفسه؛ وابن الأثير، **الكامل**، مرجع سابق، ج١، ص٧-٨.

(٢) ابن الأثير، **الكامل**، مرجع سابق؛ ج١، ص٨ .

(٣) أي : تجافيت وتباعدت، يُقال : "خوّى الرجل، إذا تجافى في سجوده، وكذا البعير إذا تجافى في بروكه". (ابن فارس، مرجع سابق، ج٢، ص٢٢٥).

(٤) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق محمد ومصطفى ابني عبد القادر عطا، ط٢، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ج١، ص١١٧ .

(٥) ابن الأثير، **الكامل**، مرجع سابق، ج١، ص٨ .

(٦) محمد بن محمد العماد الأصفهاني، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، تحقيق محمد محمود صبح، (د.م، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م)، ص٤٤ .

(٧) عبد الحليم عويس، **فقه التاريخ وأزمة المسلمين الحضارية**، (القاهرة، دار الصحوة، ١٤٠٧هـ)، ص٦.

(٨) ابن الأثير، **الكامل**، مرجع سابق، ج١، ص٨ .

٣-أهمية التاريخ للدراسات المستقبلية :

من المعترف به أن الماضي يطبع علاماته المميزة على الحاضر، والإنسان، فردًا وجماعة، هو -إلى حد بعيد- نتاج الماضي[١]، وكل مشكلة يواجهها العالم اليوم فإن لها جذورًا من الماضي، تسلمها هذا الجيل من الأجيال السابقة[٢].

وكثيرًا ما يصعب علينا فهم حاضر الشيء دون الرجوع إلى ماضيه، ومن ثم فإننا نستعين بالمنهج التاريخي في الحصول على أنواع من المعرفة الماضية بقصد التحليل والدراسة لبعض المشكلات الحاضرة[٣].

والتاريخ يفيد مختلف العلوم في نواح عديدة، من أهمها: الوصول إلى فهم أفضل للقضايا موضع البحث من خلال معرفة جذورها وأصولها، نشأة وتطورًا؛ ومن ثم القدرة على توقع اتجاهاتها في المستقبل[٤] . فنلاحظ أن كل عالم وصاحب فن لا غنى له في عمله من أخذ الماضي بعين الاعتبار، فالطبيب إذ يعالج الداء يبدأ أول ما يبدأ بالسؤال عن نشوئه وتطوره، وعما اعترى المريض من علل سابقة؛ والعالم الاجتماعي لا يستطيع دراسة المشكلات التي يعالجها إذا لم يأخذ بعين الاعتبار الجذور التي نبتت منها، والتبدلات التي طرأت عليها؛ وهكذا الأمر في العلوم الأخرى، الطبيعية منها والبشرية. فكلها تهتم بماضي الحقائق المتعلقة بموضوعها[٥]. «والذين يفتقدون الوعي بأخطاء التاريخ يكررونها في حاضرهم وفي مستقبلهم»[٦].

«إننا قلما نعود إلى الماضي من أجل الماضي ذاته وإن الذي يستحثنا إليه هو في الأغلب مشاكل الحاضر والمستقبل»[٧]، «فالمستقبل ليس مقومًا منفصلاً عن الماضي. بل إن دراسة المستقبل تستتبع بالضرورة توفر قدر كبير من المعلومات التاريخية. وكلما توفرت هذه

---

(١) غنيم وآخران، مرجع سابق، ص٣٧١ .

(٢) زريق، **نحن والتاريخ**، مرجع سابق، ص١٥.

(٣) محمد الغريب عبد الكريم، **البحث العلمي : التصميم والمنهج والإجراءات**، ط٢، (الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، د.ت)، ص١٠٨.

(٤) أبو حطب وصادق، مرجع سابق، ص٦١.

(٥) زريق، **نحن والتاريخ**، مرجع سابق، ص٥٠-٥١.

(٦) أبو حطب وصادق، مرجع سابق، ص٦١.

(٧) زريق، **نحن والتاريخ**، مرجع سابق، ص١٦٤-١٦٥.

المعلومات كلما زادت الرؤية وضوحًا بالنسبة للمستقبل»[1]، فالتاريخ، يستخدم في الدراسات المستقبلية مرجعًا للعقل في تصوير رؤيته للمستقبل[2]؛ ومن هنا فإن أية معالجة للقضايا الكبرى التي تواجه الأمة ينبغي أن تستند إلى معرفة تاريخية شاملة المدى، بعيدة الغور[3].

فإذا كان للتاريخ تلك الأهمية فهل نكتفي به للقيام بإجراءات الاستشراف ؟

الواقع أن التاريخ وحده يعجز عن استشراف المستقبل، بل لا بد له من وسائل مساعدة، وهي ما تحاول الدراسات المستقبلية أن تُكوِّنها، يقول (كندرسيه) : «يخضع التقدم البشري إلى قوانين تتيح الفرصة لإقامة أو بناء أطر تتعلق بمستقبل المجتمعات وذلك بمعرفة ماضيها. ولا يكفي التاريخ للوصول إلى الحقيقة الكاملة لما سيحدث في المجتمع — وإنما نحن بحاجة إلى علم وفن ممكنين يسمحان لنا أن نكشف مسبقًا عن التقدم الذي يحققه النوع البشري، وإدارته وتوجيهه وتعجيله»[4]. ويقول (كورنيش) : «إن معرفة الماضي لا تصبح آليًا معرفة للمستقبل، فهذه الثانية يجب أن ينشئها استخدام المعطيات المتوفرة في الماضي كمادة خام لصياغة أفكار عن المستقبل . ونحن نستخدم من أجل هذه الصياغة عددًا من الأدوات العقلية وخبرتنا في استخدام تلك الأدوات وهي المفاهيم والنظريات التي «تفيدنا»، كما نستخدم في عملياتنا أيضًا رغباتنا لأن الهدف الأولي لأفكارنا هي تقرير ما يسرنا فعلاً حتى نستطيع العمل لتحقيق ذلك»[5].

فالمهمة الفعلية للمؤرخ هي نقل الحدث الماضي، ومحاولة تأكيد وقوعه، أو نفي صحة وقوعه، ولا يعنيه المستقبل بحال من الأحوال، لا توقعًا ولا تخطيطًا . أما المستشرف فمهمته رسم صورة للمستقبل، من خلال قراءته للماضي والحاضر . فكل مستشرِف مؤرخ، وليس كل مؤرخ مستشرِفًا[6] .

---

(١) طعمة، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص٩٣.

(٢) هيتمان، مرجع سابق، ص٧٩.

(٣) زريق، **نحن والتاريخ**، مرجع سابق، ص١٥.

(٤) الطاهر، مرجع سابق، ص١١٠.

(٥) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢٠٧.

(٦) حسن السعيد، "مستقبل العالم: نبوءات وأساطير"، في "المستقبلية"، المركز الإسلامي للدراسات المستقبلية، بريطانيا: العدد ١، (ربيع/ ١٤٢١هـ)، ص٦٧-٦٨.

«والخلاصة: أن المستقبليين يوافقون على وجوب دراسة الماضي من أجل الحصول على أي تصور قد يوفر المساعدة لفهم الحاضر وتوجيه الفعل الموجه لتشكيل المستقبل، وفي الواقع، تعتمد بعض الأبحاث المستقبلية على هذه الدراسات»(١).

وهناك طرق متعدد للإفادة من التاريخ والتعامل معه في استشراف المستقبل، من أهمها ما يأتي :

أ-تحليل الاتجاه، وفيه تُجمع بيانات التسلسل الزمني لأي متغير من المتغيرات، والتعرف بعمق على كل منها، ووصف اتجاهاتها السابقة، والوقوف على السنن التي تحكم هذه الاتجاهات؛ ووفقًا لفرضيات مختلفة، يمكن إعطاء مَشاهد بديلة للمستقبل(٢). «وقد يطمح الدارس المستقبلي هنا إلى التعبير عن هذا كله بلغة رياضية»(٣). «والمستقبليون لا يقنعون بمجرد فهم ما حدث في الماضي، فهم يريدون أن يستخدموا معرفتهم لتنمية فهم احتمالات المستقبل، ويؤكدون...أن قيمة الماضي هي إمكان استخدامه لإنارة المستقبل»(٤). فالتاريخ له إشعاع يمتد إلى الحاضر الذي يعيشه الناس، والمستقبل الذي يتوقعونه ويرجونه(٥). وفي هذه الطريقة يكون رسم اتجاه خطي للمستقبل مماثل للماضي .

ب-التشابه التاريخي، وينبغي العناية بدقة التشابه بين الحالة التاريخية والحالة المستقبلية؛ للوصول إلى استنتاجات معقولة(٦) . ومن ذلك : النظر إلى التاريخ بشمول، وليس إلى حوادث مجزأة، منتزعة من سياق أحداثها؛ فلكي نستفيد من التاريخ في الدراسات المستقبلية لا بد أن نعرفه بتفسير لمجريات أحداثه، والأسباب التي أدت إلى النتائج، وارتباط النهايات بالنتائج .

---

(١) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.147

(٢) الدجاني، **عن المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة**، مرجع سابق، ص٣٣؛ و
Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.177.

(٣) الدجاني، **عن المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة**، مرجع سابق، ص٣٣.

(٤) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

(٥) عبد العليم عبد الرحمن خضر، **المسلمون وكتابة التاريخ: دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ**، ط٢، (الرياض، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٤١٥هـ)، ص٣٤؛ نقلاً عن:
Carr, E. **What is History**, (London, --, 1961)., Pp 63-69

(٦) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.177.

وأحيانًا في الدراسات المستقبلية ينبغي الانقطاع عن التاريخ، والنظر إلى المستقبل كفَرَسٍ حول عينيه غمَّامات لا يرى إلا ما أمامه؛ لإيجاد مستقبل جديد، ومختلف، وأكثر رحابة، وفي مثل هذه الحالة قد تكون المعرفة بالماضي عقبةً أكثر من كونها مساعدة(١)؛ لذا تحاول الدراسات المستقبلية في بعض المشاهد التي تبنيها للمستقبل أن تخرج عن فكرة : (أن المستقبل استمرار للماضي)، فيحاول المستقبليون أن يركزوا اهتمامهم على ظواهر ليست موجودة سوى في مخيلاتهم(٢) . ويُعللون ذلك بأمور، أهمها ما يأتي :

أ- أن "الأساليب والطرق الناجحة في الماضي ربما لا تفيد في المستقبل بسبب الظروف المتغيِّرة"(٣)، ولظهور "مسائل جديدة لم نعهدها من قبل"(٤)، فكثير من أشكال الحياة "ونظمها التي تبتدع في عصر ما وفي درجة معينة من درجات التطور لا تصلح للدرجات التالية، والسعي لفرضها فرضًا مصطنعًا لابد من أن يظهر عجزه واستحالته إزاء قوى الحياة المندفعة. ولئن نجح آنًا أو في حدود معينة، فإنه سينكفئ ويتراجع وسيضطر آخر الأمر إلى مجاراة سنن التطور . هذا ما دلت عليه اختبارات الأمم جميعًا وتواريخها المختلفة. وفي هذه المحاولة ما فيها من إضاعة للوقت وتبديد للجهود — خاصة في هذا العصر الذي تتسابق فيه الأمم وتتنافس إلى العمل والإنتاج أشد تنافس وتسابق" (٥).

ب- "قد توجد طرق لعمل الأشياء أكثر فاعلية وكفاءة وإنصاف من طرق الماضي القديمة وذلك بسبب إمكانية اختراع حلول جديدة"(٦).

ففي القسم الذي يمكن الاستفادة فيه من الماضي ينبغي على المستقبلي أن يستفيد من عالم التاريخ ما أمكن، بل أن يكون مؤرخًا؛ أما في القسم الذي ينبغي فيه أن ينقطع عن التاريخ، فعليه أن يستعين بقواه التخيلية(٧).

---

(١) Ibid. Vol. 1, Pp.146-148.

(٢) Garrett, Op. Cit., Vol. 2, P.80.

(٣) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٤٢٨.

(٤) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.146. by: Jack Goody. "Time: Social organization." in D.L. Sills (ed.), International Encyclopedia of the Social Sciences, Vol. 16. (New York: Macmillan & the Free Press. 1968). P. 40.

(٥) زريق، **نحن والتاريخ**، مرجع سابق، ص٢١٣-٢١٤.

(٦) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.146. by: Goody, Op. Cit., P. 40.

(٧) فخري، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، ع١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص ٢١.

لكن الباحث يرى أن الانقطاع عن الماضي والحاضر يحتاج إلى حذر كبير، ويحتاج إلى البرهنة التجريبية على صحة نتائجه؛ لأن الانقطاع عنهما إهمال للخبرة والتجربة، وهذان أمران مهمان في التوجه للمستقبل .

٤-معوقات الاستفادة من التاريخ :

يشكك البعض بأهمية الدراسات التاريخية في خدمة التوقع؛ لأن الباحث التاريخي لا يستطيع دائمًا أن يعمم بعض الأحكام على أساس الأحداث السابقة؛ بسبب أنها لم تنشأ أو تتطور بشكل مخطط له، أو عدم عدالة الناقلين للأخبار التاريخية، أو نقص المعلومات التاريخية المكملة للعبرة، ووجود عوامل كثيرة لا يمكن التحكم بها، كتأثير الأشخاص، والقيادات الفردية؛ مما يجعل النموذج غير قابل للتكرار مستقبلاً(١). ولا يرى الباحث أن هذه أمور تؤثر أو تقلل من شأن أهمية التاريخ للحاضر وتوقع المستقبل، بل هذه الأمور تؤكد أهمية العناية بدراسة التاريخ دراسة واعية، ناقدة، تُميِّز الأصيل من الدخيل، والصحيح من المكذوب، وتحاول أن تقف على مجمل الأسباب الحقيقية للنتائج، والمؤثرات التي صاحبتها.

المطلب الثالث : ارتباط الدراسات المستقبلية بعلم الاجتماع :

١-تعريف علم الاجتماع :

الاجتماع في اللغة : ضد التفرق(٢) .

والاجتماع في الاصطلاح : «هو علم يستهدف الحصول على المعلومات والوقائع الاجتماعية، والظواهر الاجتماعية، والأنماط الاجتماعية، ودراستها دراسة تحليلية وصفية وتفسيرية علمية صحيحة بقصد اكتشاف القواعد والقوانين التي تخضع لها هذه الظواهر في نشأتها وتطورها وواقعها الحالي، والتي يمكن الاعتماد عليها في الكشف عن الظواهر الاجتماعية، وتنبؤنا بما سيحدث في المستقبل»(٣).

---

(١) بدر، مرجع سابق، ص٢٥٦.

(٢) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص٩١٨، مادة : (جمع) .

(٣) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **علم الاجتماع وميادينه**، ط٢، (الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٣م)، ص٣.

ويعرَّف علم الاجتماع اختصارًا : بأنه «الدراسة العلمية للتفاعل الاجتماعي»(١).

وموضوعه : دراسة المجتمع البشري في كليته، فيتناول جميع صور السلوك البشري، ذات الطابع الاجتماعي، ويُعنى بدراسة جوانب الحياة الاجتماعية المختلفة(٢).

٢-العلاقة بين علم الاجتماع الدراسات المستقبلية :

تتداخل العلوم الاجتماعية وتتشابه مع الدراسات المستقبلية كثيرًا(٣)، فبعض فروع علم الاجتماع يماثل الدراسات المستقبلية في مجالات اهتمامها، والقطاعات المعرفية المعتمد عليها فيها، ومناهجها البحثية(٤)، بل هناك جانب يقوم به المختص في الاجتماع، وهو توقع المستقبل في ضوء الماضي وظروف الحاضر(٥)، فيُعنى بتعليل الوقائع، وتحديد العوامل الفاعلة فيها، واستنباط النُظم التي تُسيِّرها(٦). فيتناول الظواهر الاجتماعية الإرادية القابلة للإحصاء، سواء كانت سوية كظواهر الزواج والهجرة، أم غير سوية كظواهر الإجرام والانتحار، فيدرسها عن طريق إحصائها من مختلف الظروف والأحوال؛ ليصل في ضوء هذه الإحصاءات إلى الكشف عن النُّظم الخاضعة لها، في زيادتها أو نقصها، وفي تأثيرها في العوامل الاجتماعية المختلفة، ومدى اختلافها باختلاف الأزمنة والأمكنة(٧).

وتستفيد الدراسات المستقبلية من التعرف على (العادات والتقاليد)، بصفتها مؤثرات في السلوك الحالي، تسهم في تحقيق المستقبل؛ ويستخدمها المستقبليون بصفتها جزء من البيانات الخام التي يحتاجونها لكي يفهموا السلوك الحالي والترتيبات التنظيمية لاستكشاف الاحتمالات البديلة للمستقبل واتجاهات التغيير(٨).

---

(١) فادية عمر الجولاني، **مبادئ علم الاجتماع**، (الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، ١٩٩٧م)، ص٢٠؛ نقلاً عن : Hobbs, Donald A. and Blank, Sturat J. **Sociology and the Human Experience** (N. Y. and London : John Wiley & Sons, Inc, 1975).

(٢) المرجع نفسه، ص٢٧، ٥٥ .

(٣) حافظ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص١٢٠-١٢٣؛ و Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. xxii

(٤) حافظ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص١٢٠.

(٥) غنيم وآخران، مرجع سابق، ص٣٦١.

(٦) زريق، **نحن والتاريخ**، مرجع سابق، ص٥٢؛ وعبد المعطي، مرجع سابق، ص١٥٧.

(٧) وافي، مقدمته على **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٨.

(٨) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.176.

كما أفادت الدراسات المستقبلية من النظريات الاجتماعية في "تنظيم جهود الباحثين من مختلف فروع العلم من أجل تأمل المستقبل ووضع الخطط المتكاملة لمواجهة مختلف احتمالاته"[1] .

وتسهم العلوم الاجتماعية مع غيرها في تقدم مجال الدراسات المستقبلية، بما تُقدِّمه لها من وسائل ومفاهيم، وقواعد[2].

والخلاصة : أن الدراسات المستقبلية تحتاج إلى مساعدة العلوم الاجتماعية؛ لتحصل على فهم أفضل للحاضر[3].

المطلب الرابع : ارتباط الدراسات المستقبلية بالتخطيط :

١-تعريف التخطيط، وعلاقته بالدراسات المستقبلية :

تتنوع أنماط التخطيط، وصور تنظيماته، وأساليب تطبيقاته، ونتج عن هذا التنوع تنوع في مفهوم التخطيط وتعريفه؛ فاختلفت تعريفات التخطيط اختلافًا متباينًا[4]، ومما يختاره الباحث : مجموعة التعريفات[5] التي ترى بأن التخطيط : تحديد مسار خلال فترة زمنية معينة لتحقيق أهداف محددة سلفًا؛ لأن هذا التعريف هو المنسجم مع ما هو مشاهد من أنماط التخطيط القائمة .

---

(١) غيث ومحمد، مرجع سابق، ص ٢٢٩؛ نقلاً عن : Kahn And Weiner, Op. Cit., P. 2.

(٢) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. xxii

(٣) إلينورا باربيري ماسيني، "الدراسات المستقبلية والاتجاهات نحو التوحد والاختلاف"، ترجمة محمد جلال عباس، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ١٣٧، (أغسطس/ ١٩٩٣م)، ص ٣.

(٤) أحمد علي الحاج محمد، **التخطيط التربوي: إطار لمدخل تنموي جديد**، (بيروت، المؤسسة الجامعية، ١٤١٢هـ)، ص١٠١.

(٥) منها : تعريف إسماعيل صبري عبد الله، **مدخل لدراسة الاقتصاد الاشتراكي**، (القاهرة، معهد التخطيط القومي)، مذكرة رقم ٩٧، ص٩؛ وتعريف علي السلمي، **التخطيط والمتابعة**، (القاهرة، ١٩٧٨م)، ص١٥؛ نقلتهما عن : المرجع نفسه، ص١٠٤-١٠٥ .

والتخطيط إذا كان طويل المدى يوصف بالتخطيط الاستراتيجي، ويُعرَّف بأنه: «المخططات العامة طويلة الأجل التي تتضمن تحديد الأهداف وطرق العمل وتوزيع الموارد»[1].

والدراسات المستقبلية لا تنوب عن التخطيط ولا تغني عنه، ولا تضع نفسها بديلاً عنه، بل تُعدُّ وسيلة مكملة له، مضيفة له قيمة علمية وفنية لا يستهان بهما[2]. وللدراسات المستقبلية صور من التأثير المحتمل على التخطيط، من أهمها : إلحاحها على ضرورة المشاركة الأوسع والأشمل؛ مما يتيح فرصة لتطوير عملية التخطيط، وعدم مركزيتها[3].

ولا تستغني الدراسات المستقبلية -في رأي الباحث- عن الاستعانة ببعض أساليب التخطيط ووسائله، بل وبالمخططين أنفسهم .

٢- الفروق بين الدراسات المستقبلية والتخطيط :

أ-الدراسات المستقبلية «خطوة سابقة لعملية التخطيط، فهي تشوُّف واستطلاع وريادة؛ والتخطيط خطوة لاحقة، وهو توظيف لنتائج التشوُّف والاستطلاع.. والمستقبلي- على هذا المعنى- عبقري رائد، والمخطِّط أكاديمي عالِم»[4]. «فالمستقبلي يرتاد الساحة ويجول بفكره وخاطره ووجدانه في جنبات القضية ويُعمل... خياله وتصوراته وبعد ذلك قد يأتي الدور التالي وهو دور المخطط... الذي يتولى «عقلنة» تصورات المستقبلي ووضعها في إطار محدد ومقنن من حيث سياسات الأداء وبرامج العمل والجدول الزمني، ومراحل التنفيذ والموارد المادية والإمكانات البشرية وأساليب المتابعة وتقدير المحصلات وما إلى ذلك بسبيل»[5].

---

(١) فؤاد الشيخ سالم، وزياد رمضان، وأميمة الدهان، ومحسن مخامرة، **المفاهيم الإدارية الحديثة**، ط٣، (عَمَّان، دار المستقبل، ١٩٨٩م)، ص٩٦.

(٢) بريش، **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص٣٤.

(٣) أمارا، في "الثقافة العالمية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ربيع الأول/ ١٤٠٢هـ)، ص١٠٠.

(٤) الدجاني، **عن المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة**، مرجع سابق، ص٤٤؛ وينظر : كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢١١؛ ولادا، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد١، (شعبان/١٣٩٠هـ)، ص٤٨-٤٩.

(٥) الخولي، مرجع سابق، ص٣٢-٣٣.

ويَعدُّ الباحث الدراسات المستقبلية المعتمدة على المنهج الاستهدافي المعياري أقرب شيء إلى التخطيط، يقول (كوتس) : «التوقع المعياري هو في قلب التخطيط الـــمنظَّم»[1]أ.هـــ. ولا يَعني كون الدراسات المستقبلية تمهيدًا للتخطيط أن هذا هو وصفها، بل هذا جزء مـــن مهامها، فهي أكثر من ذلك[2]. و«أصبحت الدراسات المستقبلية مرتبطة بالتخطيط قصـــير المدى وبعيد المدى»[3]، لكن تظهر حاجة التخطيط الملحة للدراسات المستقبلية في التخطيط طويل المدى[4].

ب-يُعنى المخطط بنمو المجتمع وتوسيع امتداده القائم، بينما يُعنى المســـتقبلي بتغـــيير المجتمع، واستكشاف المؤثرات المحتملة في المستقبل[5]؛ فالتخطيط لا يعالج المستقبل، وليس له علاقة مع الأفعال المطلوب اتخاذها فيه، بل هو يُعنى بالحاضر، ويتعامل مع مستقبل الأفعـــال الحالية، ويرى أنها تتجه به إلى مستقبل شبه محتوم، فالمستقبل عنده لا يخبئ شيئًا[6]. «وربمـــا يكون الافتراض الأكثر تكرارًا هو أن عالم المستقبل سيكون، إلى حد كبير، كعالم الأمـــس الذي نستطيع اتخاذه لفرض التخطيط الذي سيكون مطابقًا لعالم الأمس . علـــى أن هـــذا الافتراض قد أصبح، بصورة متزايدة، غير صالح بسبب تسارع وتيرة التغير الاجتماعي»[7]. «والخلاصة: أن غاية التخطيط : هي في اختيار الأفعال من الحاضر، والتي تؤدي إلى مستقبل أفضل»[8].

---

(١) Coates, in American Council, Op. Cit., P. 4.

(٢) لادا، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد١، (شعبان/١٣٩٠هـــ)، ص٤٨.

(٣) Inayatullah, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, P. 188.

(٤) محمد فتحي محمد علي، **التنبؤ التجاري والاقتصادي**، (القاهرة، مكتبة عين شمس، د.ت)، ص١٢.

(٥) هيتمان، مرجع سابق، ص٧٩، ٨٨؛ و

Inayatullah, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, P. 190.

(٦) أوزبخان، في روْي وآخرَين، مرجع سابق، ص١٨٨؛ و Martino, Op. Cit., P. 172.

(٧) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٤٢٠-٤٢١.

(٨) Martino, Op. Cit., P. 174.

ج-يتعلق التخطيط بإطار زمني محدد من سنة إلى خمس سنوات في الغالب -باستثناء التخطيط طويل المدى- بينما تعمل الدراسات المستقبلية -عادة- لأكثر من خمس سنوات إلى خمسين سنة(١).

د-يعتمد التخطيط على مختصين محدودين، أما الدراسات المستقبلية فتحاول أن تشمل جميع المختصين، وتحاول أن تشرك أكبر قدر ممكن ممن تعنيهم القضية(٢).

هـ-يتعلق التخطيط بمجال واحد أو أكثر، بينما تضع الدراسات المستقبلية في اعتبارها العلاقات المتبادلة بين مجالات عديدة(٣).

و-إذا كان التخطيط طريقة تفصيلية للوصول إلى هدف أو مجموعة من الأهداف المحددة، فإنه لا يُعنى بالبدائل، لكن في الدراسات المستقبلية هناك أهداف بديلة متعددة(٤).

ز-يدخل الخيال المنضبط في الدراسات المستقبلية، ولا يأخذ التخطيط به(٥).

ح-من مهام الدراسات المستقبلية : أنها تُخبِر المخطط بالوجهة المحتملة، والطُّرُق إلى الغاية المحددة، والمسافة أو الصعوبة النسبية لكل طريق، ولا تفرض أية خيارات خاصة على المخطط، بل هي تقوم بتعريفها؛ في محاولة لتعزيز الربح إلى أقصى حد، أو تقليل الخسارة إلى أقصى حد(٦).

ط -أن التخطيط يقوم على الأهداف الواضحة المعلومة، لكن الدراسات المستقبلية تُجرى -أحياناً- للتعرف على أهداف جديدة غير معلومة، ومحاولة استكشافها.

---

(١) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 85.

(٢) Inayatullah, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, P. 188. Inayatullah, Ibid.

(٣) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 85.

(٤) Ibid.

(٥) Ibid. P. 86.

(٦) Martino, Op. Cit., P. 174.

المبحث الثاني

أسس النجاح في الدراسات المستقبلية

تمهيد :

هناك مجموعة من الأُسس المؤثرة في نجاح الدراسات المستقبلية سلبًا أو إيجابًا، ومظاهر دالة على نجاحها، لكن قبل بيان ذلك يشير الباحث إلى أنّ سوء الفهم لحقيقة الدراسات المستقبلية حاكم بفشلها عند كثير من النّاس ، فهُم - كما يذكر (مُول) - يطلبون عند أول اتصال لهم بالدراسات المستقبلية أن تُقدّم لهم المستحيل، فَيُريدون أن يعرفوا تمامًا ما الذي سيحدث ! وحيث إنّ هذا ليس هو ما يحصلون عليه فإنّ الإحباط هو النتيجة المنطقية(١)، وقد أكّد كثير من المستقبليين جملة من الأمور المُبيِّنة لطبيعة هذه الدراسات، والتي يُسهم إدراكها في إعطاء التّقويم السليم لحالها، وفيما يأتي بعضًا منها:

١-إنّ الدراسات المستقبلية لا يمكن أن تقوم بإعطاء صورة كاملة أو يقينية للأحداث المعقّدة في المستقبل، إنّما تحاول أن تكشف لنا عن مجموعة تطورات ممكنة، وخيارات ومخاطر تكمن في الأمام، يمكن أن يساعد هذا الكشف في التهيؤ لها(٢)، فهي دراسات لا تُخبر بالمستقبل ولكنها ترسم احتمالاته أو تستهدفه، و"ليس اهتمام تلك الدراسات بتوقع ما سيحدث بالفعل ولا حتى اختيار بديل بعينه للتنفيذ . هي تنطلق من الدور الإيجابي لما تقدمه من صور للمستقبل في التنبيه والوعي وتوليد ثقافات جديدة "(٣)، و"إنّ قولنا : إنّ المستقبل ليس محتومًا(٤) هو التأكيد فورًا على أنّه غير معلوم مسبقًا؛ لذلك ليس هناك (علم مستقبلي) يمكن أن يسمح لنا بصياغة استباقات دقيقة عنه "(٥)، والدراسات المستقبلية ليست "من العلوم ... التي ينتظر منها أن توصلنا إلى نتائج نهائية"(٦)، فالمستقبل "غير واضح ولا يمكن

---

(١) Moll, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, P. 25.

(٢) Ibid. Pp. 16, 25.

Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, Pp. 52, 102, 103, 148.
The Futures Group International, "Scenarios", in American Council, Op. Cit., P. 1.

(٣) نصار، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ١، (صفر/ ١٤١٨هـ)، ص١٤.

(٤) أي في علم الإنسان مما لم ينص عليه دليل من الكتاب أو السُّنّة .

(٥) Hugues de Jouvenel, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit.,Vol. 2. P.6.

(٦) زايد، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد ١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٣٨.

ملاحظته، لذلك لا توجد حقائق عنه»[1]، لكن من الممكن أن يكون لدينا معرفة تقريبية من خلال المعرفة بالماضي والحاضر، التي نُحوِّلها إلى تأكيدات حول المستقبل نعتمد عليها في قراراتنا وخططنا وأفعالنا، وبالإمكان قبول هذه المعرفة على أنَّها تقريبية وليست حقيقة كاملة[2]، والمختصون هنا «لا يتعاملون مع الوقائع الماضية والحاضرة فقط، بل أيضًا مع تأكيدات حول عدم وجود المستقبل وعدم وضوحه »[3]؛ لذا فالدراسات المستقبلية لا تهدف إلى الإخبار بالمستقبل فهذا أمر غير ممكن، وإنَّما هي أدوات تساعد الناس في التعلّم[4]، فهي تهتم بالسلوك الفكري لمتخذي القرارات، أكثر من اهتمامها بالتوقعات؛ فالسؤال المهم عند محاولة معرفة مدى نجاح الدراسات المستقبلية هو – كما يقول (لادا) – : «لا يقتصر على التنبؤ أيقع في صحة تامة أم لا، ولكن الأهم من ذلك أن يرفع التنبؤ من كفاءة البرامج والمشروعات والقرارات»[5].

٢-إنَّ الدراسات المستقبلية لا تدَّعي عصمة في توقعاتها ونجاحها، بل على العكس من ذلك، فالتوقعات التي تُصدرها ليس شرطًا أن تكون صحيحة بمعنى أنَّها تقع؛ إذ النظرة المستقبلية متعددة بطبيعة الحال، يكون فيها تصور لأوجه متعددة ممكنة للمستقبل[6]، وإنَّ من الحجج التي يتعلق بها المجادلون في منفعة الدراسات المستقبلية، أنَّ ما تصور المختصون وقوعه في الثمانينيات الميلادية لم يقع برمَّته، وهذا صحيح في أغلب الأحيان، فليس المهم أن تتحقق التوقعات بل المهم أن تتيح استكشاف المشاكل الحقيقية للمجتمع بشكل مفيد. ومُناف للحكمة مواجهة المشاكل بالموقف السلبي إلى أن نصطدم معها ! حيث لا ينفع الإيمان بها حينذاك شيئًا، كما أنَّ عدم وقوعها لا يُلغي ضرورة الرصد والإعداد[7].

---

(١) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.163.

(٢) Ibid. Pp. 150, 163.

(٣) Ibid. P. 191.

(٤) Schwartz, Op. Cit., P. 6.
Inayatullah, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, P. 191.

(٥) في "رسالة اليونسكو"، مرجع سابق، العدد ١١٩، (مايو/١٩٧١م)، ص٢٤.

(٦) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٢٧٧.

(٧) بريش، **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص٣٣؛ وهيتمان، مرجع سابق، ص١٧٤.

فالمختص في الدراسات المستقبلية ليس عرّافـًا يدعي علم الغيب، ولا صاحب كرامات يدعي أنّها لديه[1]، «بل هو للمجتمع كالطبيب للمريض، يصف له بعد الفحص ما يلزمه تجنبه وما عليه أن يعمله أو يتّبعه لشفائه أو الحيلولة دون استفحال مرضه وتعرضه للهلاك.

أما مريض لا يمتثل أوامر طبيبه ولا يعمل بنصيحته، ويهلك بما توقعه له في حالة مخالفته لما طبّبه له ، فلا حاجة في أن يقال لطبيبه صدقت في تطبيبك، فقد هلك فلان بما حذّرته منه، ولو عمل بما وصفت ونصحت لظل سليما معافى ، لأن ذلك لن يزيده إلا همًّا ونكدًا، ولن يضيف لمكانته كطبيب أو علمه بالطب فتيلاً!

بل ما أفرحه لو قيل له أخطأت في تشخيصك للمرض، وفلان رغم عدم عمله بوصاياك ما زال يتمتع بكامل الصحة ووافر العافية! إذن لأسعده أن تكون ذات مريضه مخالفة لسنن الطب، ولما أنقصت سلامة المريض شيئًا من قيمة الطب ولا من علم الطبيب ! ولهذا كثيرًا ما ترددت على ألسنة المستقبليين «القاعدة المستقبلية» القائلة: «الشيء الوحيد الذي لا ريب فيه في الدراسات المستقبلية ، هو حومان الريب حول توقعاتها جميعًا»»[2]، فهذا «النمط العلمي الريادي ليس فنًّا من فنون السحر، ولا هو قادر على صنع الخوارق والمعجزات، والصحيح الثابت منه لا يدعي هذه القدرة»[3]، وليس شرطًا أن تكون نتائجه صحيحة مائة في المائة لتكون مفيدة، فإنَّ الخرائط التي رسمها للعالَم الجغرافيون القدماء كانت أبعد ما تكون عن الدقة، وكانت مليئة بالأخطاء، ولكن من دونها لم يكن من الممكن أن تُكتشف الأراضي الجديدة، ولم يكن من الممكن أن ترسم الخرائط الحديثة الأكثر دقة، والمستقبليون مثلهم مثل راسمي الخرائط القدماء[4]، ولأَنْ نحوم حول الصواب خير من أن نقع في الخطأ مباشرة[5].

---

(١) بريش، المرجع نفسه، ص٣٣.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص ١٠٠-١٠١.

(٤) توفلر، **صدمة المستقبل**، مرجع سابق، ص٦؛ وينظر: المشيقح، مرجع سابق، ص٢٤.

(٥) وكان هذا شعار أحد المكاتب للدراسات المستقبلية في وزارة الدفاع الأمريكية. (صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص١٣٨).

٣-يرى (جلن) : بأنّه لا يُحكم على الدراسات المستقبلية بأنّها صـحيحة أم خطـأ؟ ولكن يُنظر إليها بقدرتها في مساعدة متخذي القرارات، فإنّهم إنْ لم يكونوا يعرفون نتـائج خياراتهم فإنّ حريتهم في الاختيار خدعة، لذا لا توجد حرية بـدون توقـع[١]، ويخالفـه الباحث، فيرى أنّ المساعدة يجب أن تكون مبنية على أمور صحيحة حسب الاستطاعة، فلا بُدَّ من الاطمئنان أولاً إلى صحة الأسس التي قامت عليها الدراسات، ثمّ النظر بعد ذلك إلى قدرتها في مساعدة متخذي القرارات، وإلاّ فإنّها قد تصبح مُضلّلة وليست مساعِدة.

٤-عندما ينتشر توقعٌ بين من يعنيهم أمره تنشأ نتائج تغير الواقع الذي يعمل فيه، أي أنّه يُغيِّر ذاته، فيقع الحدث مخالفـًا لما دلّ عليه التوقع[٢]، فلا يُحكم على التوقع هنا بأنّه فاشل، مثاله: «عندما تأتي دراسة استشرافية لتحذر من أن الكساد العالمي سيعم في حال تـوافرت ظروف معينة، ثم تبذل محاولات جادة لتجنب تلك الظروف والحيلولة دون تهيئها بحيث لا يتحقق الكساد العالمي هنا يكون الاستشراف قد نجح في حماية الاقتصاد العالمي، فيما يـنم الظاهر عن أنه فشل بدليل أن سيناريو الكساد لم يتحقق»[٣].

٥-ليست الدراسات المستقبلية هي الوحيدة في أنّ نتائجها غير يقينية، بل إنّ النتائج في منهجي الدراسة للماضي والحاضر كذلك، إلا أنّها في الدراسات المستقبلية بشكل أكبر.[٤]

٦-تتفاوت نسبة النجاح في الدراسات المستقبلية حسب الموضوع أو المظـاهر المـراد دراستها، فبعضها نعرف الكثير عنها وعن نتائجها مما يجعل التوقع بشأنها يصل إلى درجـة كبيرة من النجاح، وبعضها نجهل بعض ما يحيط بنتائجها مما يقلل من درجة النجاح[٥].

---

(١) Glenn, "Introduction to the Futures Research Methodology Series", in American Council, Op. Cit., P. 5.

(٢) تافيس، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد١، (شعبان/١٣٩٠هـ)، ص٨٠.

Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., Pp. 47-48.
Bell, **Foundations of Futures Studies**,Op. Cit., Vol. 1, P. 229.

(٣) العيسوي، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٤) أبو حطب وصادق، مرجع سابق، ص ٧٠.

(٥) Bell, **Foundations of Futures Studies**,Op. Cit., Vol. 1, P.104.

٧-أكَّد عدد من المستقبليين بأنَّها ما تزال في طور الإنشاء[1]؛ فمن التسرع -حسب رأي الباحث- إعطاء حكم نهائي وشامل بنجاحها أو عدمه وهي لـمَّا تتركز أصولها، ولـمَّا يصلب عودها، لكنْ من المهم ذِكر معالم وإشارات تفصيلية تبين حالها وما يؤثِّر فيها سلبًا أو إيجابًا.

المطلب الأول: مظاهر نجاح الدراسات المستقبلية:

١-أنَّها تُكسب التفكير المنظَّم والواضح:

كثير من الناس في تصرفاتهم يتعاملون مع المستقبل ويحسبون له بشكل ما، لكنَّ معظمنا لا يفكر كثيرًا كيف يفعل ذلك، فليس لدينا أجوبة جاهزة لمثل الأسئلة الآتية[2]:

أ-ما الإجراءات التي نستخدمها عندما نفكر بالمستقبل؟

ب-كيف نستعد لتنفيذ خططنا ومشاريعنا؟

ج-ما الذي يجعلنا ناجحين في تكوين أنفسنا أو تكْييفِها مع المستقبل القادم؟ وفي أي وقت معين؟

د-ما الحلول البديلة المتاحة لنا؟

هـ-ما النتائج المستقبلية عند اختيارنا فعلاً ما عوضًا عن فعل آخر؟

و-ماذا نريد أن يكون المستقبل؟

«هذه هي الأسئلة المركزية للدِّراسات المستقبلية، المجال الجديد للبحث والاستقصاء، الذي يشمل التفكير المنظم والواضح عن الرؤى المستقبلية البديلة»[3]، فالتوقع يُحاول «أن يزودنا بأجوبة عن تلك الأسئلة: أي أنَّ التوقع يقلص الشك عما يقع في الأمام»[4]،

---

(١) منهم: زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص١٠١؛ والخولي، مرجع سابق، ص٦٣؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٩٤؛ وخلاف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص١٧؛ وأمارا، في "الثقافة العالمية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ربيع الأول/ ١٤٠٢هـ)، ص ٩٤، ١٠١؛ وعبد الفضيل، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٥١؛ وعبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص١٧٧؛ وأبو حطب وصادق، مرجع سابق، ص ٧٠؛ و
Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, Pp. xxii-xxiii, 62, 112.

(٢) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, Pp 1-2.

(٣) Ibid, Vol. 1, P. 2.

(٤) Martino, Op. Cit., P. 175.

وبصرف النظر عن النتائج فإنَّه تتضح أهمية هذا المظهر إذا عرفنا أنَّنا نتعامل مع المستقبل بإحدى طرق ثلاثة: الكارثة، أو الانحراف والتخبط بدون هدف ولا تفكير، أو التخطيط الواعي[1].

٢-كثرة الإنتاج العلمي من الدراسات المستقبلية :

لقيت الدراسات المستقبلية انتشارًا عالميًّا واسعًا، وبخاصة في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات الميلادية[2]، تمثل بغزارة الإنتاج من الكتب والدراسات، وتَصدُّرُ كثير منها قوائم الكتب الأكثر مبيعًا، وصُدور عدد من المجلاّت المستقبلية الجديدة والصحف الاحترافية[3].

٣-الاستخدام الواسع للدراسات المستقبلية من القطاعين الحكومي والخاص، وتأثّر بعض الرؤساء والمديرين بها:

مرَّ فيما سبق أنَّ القطاع العسكري في الولايات المتحدة الأمريكية كان السبب الرئيس في نشأة الدراسات المستقبلية وتطورها، وأنَّ كثيرًا من الدراسات أُجريت من قِبله، بينما تناولت الشركات المتعددة الجنسية قِسمًا كثيرًا منها أيضًا، سرًّا وجهرًا[4]، وكان « نمو الدراسات المستقبلية هو أيضًا نتيجة لرغبة الحكومات في إيجاد المعلومات التي يمكن أن تساعدهم في بناء سياسات أفضل »[5]؛ فبدأت الأجهزة الحكومية في المجالات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية في كثير من البلدان تبدي اهتمامًا باعتبار البُعد الزمني في أنشطتها أكثر من ذي قبل[6]، «وأصبح المستقبليون باحثين مهمِّين، وناصحين، ومستشارين لأكثر صُنَّاع القرار تأثيرًا في يومنا هذا »[7]، من ذلك أنَّ ٩٠ ٪ من أعضاء

---

(١) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, Pp. 109-110.

(٢) Moll, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, P. 20.

(٣) Garrett, Op. Cit., Vol. 2, P. 85.

Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, Pp. 72, 165.

نقلاً عن: توفلر، في مؤتمر عقدته جمعية المستقبل العالمية في (نيويورك) في (يوليو، عام ١٩٨٦م).

(٤) ينظر ص٥٦، ٧١، ٩١؛ والمنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص١٨٧.

(٥) Inayatullah, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, P. 189.

(٦) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص١٨٨.

Inayatullah, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, P. 188.

(٧) Wendell Bell, "Toward a Futurist Code of Ethics", in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 3, P. 98.

مؤسسة (راند) –المعنية بالدراسات المستقبلية – شغلوا تسعة وستين ومائتي وظيفة استشارية في الولايات المتحدة الأمريكية: في البيت الأبيض، ووزارة الدفاع، ووزارة التجارة، وغيرها(١)، وفي مجلس النواب الأمريكي (الكونجرس) مكتبان معنيان بشؤون المستقبل، وفريق بحث مستقبلي(٢)، وقد أُعدَّ عدد من الدراسات المستقبلية لصالح الحكومات، من ذلك: (العالم عام ٢٠٠٠ The Global 2000)، أعدَّها (جيرالد بارني Gerald Barney) للحكومة الأمريكية في أواخر السبعينيات الميلادية(٣)، وذكر (توفلر) أنَّ كتابه (بناء حضارة جديدة)(٤) المنتمي إلى الدراسات المستقبلية كان له تأثير على رئيس مجلس النواب الأمريكي، فعندما قرأه حثَّ أعضاء المجلس على قراءته مع كتب أخرى(٥)، كما جرى توزيع كتابه (الموجة الثالثة) – أحد كتبه المستقبلية – على الموظفين في البيت الأبيض(٦) (المقر الرئاسي لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية).

٤– إشادة بعض الدراسات التقويمية بنجاحها :

على الرغم من قلة الدراسات التقويمية التي أجريت على الدراسات المستقبلية التي بلغت مداها الزمني، إلا أنَّه قام عدد من المستقبليين(٧) بمراجعة سريعة ظاهرية لعدد من الدراسات وتبين لهم أنَّ كثيرًا من التوقعات أصابت الهدف. وتُظهر نتائج التقويم لبعض الدراسات التي تناولها (آشر)(٨) إلى أنَّها حققت نجاحًا جيدًا من حيث الجملة، كما أوضحت بعض الدراسات «بالفعل أنه يمكن مضاعفة أرباح المؤسسة أو الحصول على ثلاثة أضعاف أرباحها، وخفض النفقات المرصودة بقدر يتراوح بين ٥ ٪ و١٠٪ »(٩).

---

(١) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 35.

(٢) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ٣٨٠-٣٨٦.

(٣) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 62.

(٤) ظهرت الطبعة الأولى له بلغته الأصلية عام (١٩٩٤م)، توفلر، **بناء حضارة جديدة**، مرجع سابق، ص ٢.

(٥) المرجع نفسه، ص٢-٣.

(٦) نفسه، ص ٩٨.

(٧) منهم: المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٦٣؛ و Gordon, "The Delphi Method", in American Council, Op. Cit., P.2.

(٨) Ascher, Op. Cit.

(٩) لادا، في "رسالة اليونسكو"، مرجع سابق، العدد ١١٩، (مايو/ ١٩٧١م)، ص٢٤.

٥-شهادات عدد من المستقبليين بنجاحها وأهميتها :

وهي في رأي الباحث شهادات لا تُقبل وحدها؛ لأنَّها من شهادة المرء لنفسه، لكنَّهم أقرب الناس إلى هذا المجال، فرؤيتهم لها وما وصلت إليه أوضح من رؤية غيرهم، فيُستأنس بشهاداتهم مع المظاهر الأخرى.

أ-يقول المنجرة : إنَّ «نجاح الدراسات المستقبلية لم يعد موضعًا لأدنى تشكك»(١).

ب-ويقول الدجاني : «أجد نفسي اليوم من خلال اشتغالي بالدراسات المستقبلية لسنين طويلة أشد اقتناعًا بهدف دراسة المستقبل ... فنحن هنا أمام رجاء النفع وتوقي الضرِّ ببذل الجهد، ونحن هنا أمام نظر في المستقبل من خلال النظر في الماضي والحاضر المقيم»(٢).

ويقول أيضًا: «والحق أنِّي بعد عشرين سنة أجد نفسي أكثر تأكدًا من هدف الدراسات المستقبلية. الدراسات المستقبلية لها هدف فاعل »(٣).

ج-بعد أن ذكر مصطفى السيد قيودًا أمام الحرِّيات المطلوبة للمستقبليين قال: «ومع وجود كل هذه القيود، فإن دراسة المستقبل تعد ذات أهمية بالغة في الوطن العربي، وهذا ما يدعو إلى القيام بها، رغم هذه القيود»(٤).

المطلب الثاني : عوامل النجاح العامة للدراسات المستقبلية :

ذكر عدد من الباحثين عوامل متعددة تُسهم في نجاح الدراسات المستقبلية بعامة، ومن أهمها ما يأتي :

١-أن يُشْهِر المستقبليون طريقتهم عمليـًّا من خلال اعتمادهم على الطرق العلمية، واجتنابهم غيرها حتى ولو كان على سبيل الاستئناس فقط :

إنَّ نتائج الدراسات المستقبلية – باستثناء تأثيرها على القرارات – إنَّما تظهر في المستقبل عند حلول الزمن الذي استهدفته الدراسة، لكنَّ الأسس التي تستند

---

(١) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص١٨٧.

(٢) أحمد صدقي الدجاني، **عن المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة**، ط١، (عَمَّان، دار البشير، ١٤١٢هـ)، ص١٦.

(٣) ندوة "الدراسات المستقبلية وواقع العالم الإسلامي"، (شريط سمعي)، (الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية).

(٤) مسعد، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص ١٧٦.

إليها -وتشمل الاستدلال الناشئ من حقائق عن الماضي والحاضر- بالإمكـــان اختبارهـــا علميـــاً[1]؛ لذا يُحاول المستقبليون أن يجعلوا «طريقتهم واضـــحة، وأن يكونـــوا نظـــاميِّين وعقلانيين[2]، وأن يجعلوا نتائجهم تعتمد على الملاحظة التجريبية للواقع حسب المناســـب، وأن يختبروا بدقة معقوليةَ منطقهم في مناقشة علنية ومناظرة فكريـــة »[3]؛ وبهـــذا تكـــون الدراسات المستقبلية أدعى للقبول لدى الأوساط العلمية، والمستفيدين من القادة والمدراء.

٢-حسن الاختيار لفريق العمل وحصول الانسجام بين أفراده:

إنَّ حسن الاختيار لفريق العمل، والانسجام بين أفراده من العوامل المهمـــة في نجـــاح الدراسات المستقبلية، فالفريق يتكون من مجموعة متباينة من الاهتمامـــات والمســـؤوليات والاختصاصات، وتذكر (جاريت): أنَّه إذا كان تنفيذ الدراسة سيُجرى من قِبل فريق فـــإنَّ تكوينه وعلاقته مع المشتركين الآخرين في العمل تصبح مسائل مهمة، فهل يُستحسن تكوين الفريق من مستويات عليا في السلم الهرمي الوظيفي لمتخذي القرارات أم مـــن مســـتويات متوسطة؟ وهل الأحسن اختيار رئيس الفريق من داخل المؤسسة أم من خارجهـــا؟ وهـــل يُستحسن له القيام بالعمل الفعلي أم يُعيَّن خبراء ضمن المؤسسة للتعامل مـــع التحلـــيلات وإصدار تقارير النتائج؟ وهل يجب التعاقد مع بعض المستشارين من خارج المؤسسة؟ وهـــل من الأفضل تكوين فريق مختلف من أجل الحصول على أفكار ووجهات نظـــر مختلفـــة، أم اختيار أعضاء الفريق من ذَوي الرؤى المشترَكة لأنَّهم سيعملون سوية؟ وإذا كانت الدراسة ستغطي قطاعات متعددة فكم من الـــمعارف المختلفة يجب تمثيلـــها؟[4] إنَّ التـــــوفيق إلى حسن الاختيار في هذه الأمور يُعدُّ عاملاً من عوامل النجـــاح في الدراســـات المســـتقبلية،

---

(١) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 180.

سوى الاستثناء فإنه من الباحث.

(٢) أي أن طريقتهم توافق العقل ولا تخالفه.

(٣) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 5.

(٤) Garrett, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 93.

وفي سبيل تلافي المشكلات التي تواجه فريق العمل وبخاصة الناشئة عن الاختلاف في طريقة التفكير، أشارت إلى أن (مؤشر مايرز بريقز للنوعية Myers Briggs Type Indicator) أداة جيدة في ذلـــك، وأيضًـــا للتـــدريب والإدارة وبناء فريق العمل، وأنه متاح بعدد من اللغات. Ibid. Vol. 2, P. 101

وليست هناك - في رأي الباحث – أمور محدَّدة يمكن أن يُقال: هي الاختيار الأمثل، وإنَّما تحددها طبيعة الدراسة، وهدفها، والبيئة التي تستهدفها الدراسة، ومدى كفاءة الأشخاص المراد اختيارهم، ونحو ذلك.

ومن الأمور التي تحقق النجاح: وضع أُطر في بداية الدراسة، يتحقق فيها أكبر قدر من التفاهم المشترك بين الباحثين[1] .

٣–قلّة المتغيرات في القضية المدروسة :

يؤثِّر عدد المتغيرات للقضية المراد دراستها في درجة النجاح في الدراسات المستقبلية، فكلما قَلَّت المتغيرات كانت التوقعات أفضل وأدق، وكلما زاد عددها أصبحت التوقعات أقل دقَّة[2]، وهذا أمر يعود إلى طبيعة القضية نفسها، وليس أمرًا خارجيًّا يمكن التحكم فيه.

٤–توافر الحرية المناسبة في التنظيم والرأي والتعبير والحصول على المعلومات:

«بدون توافر حريات المعلومات والرأي والتعبير، سوف يكون من الصعب على مثل هذا النوع من الدراسات أن يتمتع بالشروط الدنيا التي تكفل له النجاح. وبدون توافر قدر من حرية التنظيم ، بالمعنى الواسع، بما يسمح لجماعة الباحثين بهامش من الاستقلال الذاتي في إدارة شئونها وأعمالها العلمية، لن يكون من الممكن لأعضائها الباحثين أن يتواصلوا وأن يتحاوروا على نحو يقلل من آثار التحيزات الفردية لكل منهم على حدة»[3].

ومما يُعيق الحرية ويُقلل من نجاح الدراسات المستقبلية، أن يُضطر الباحثون في تمويل أبحاثهم إلى جهات أجنبية، فقد ذكر محمد محمود الإمام أنَّه اتضح له من الدراسات المستقبلية التي أجريت في الثمانينيات الميلادية، أنَّ للجهات الخارجية الممولة التي رعتها ونفذتها ضغوطًا معينة واختيارات بحثية محددة، مثل: الديمقراطية وحقوق الإنسان، مما قيَّد من قدرة الباحثين على الاختيار الموضوعي الحر، بل ووجَّه جهودهم في إطار جزئيات معينة، كالمرأة والأقلّيات ونحوهما[4].

(١) العيسوي، "مشروع (إيدكاس٢٠٠٠)"، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص ٥٧.

(٢) زاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص٢٤-٢٥.

(٣) السيد، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص ١٦٥.

(٤) مسعد، في المرجع نفسه، ص ١٧.

لذا من المهم أن تُعنى الحكومات الإسلامية، والمؤسسات التعليمية، ومراكز البحوث بإجراء الدراسات المستقبلية، وتمويلها تمويلاً كاملاً؛ وإلاّ سيكون هناك ثغرة يستطيع أن ينفذ منها أصحاب المآرب؛ لتحقيق بعض أغراضهم .

٥-أن تملك الجهة القائمة بالدراسات -أو التي تطلبها- صلاحيات التنفيذ لنتائجها :

فالدراسات قد تنجح في ذاتها، ولكن تفشل في تطبيق نتائجها؛ لأنَّ أصحابها ليس لهم سلطة اتخاذ القرار، و لم يطلب منهم هذه الدراسة من له هذه الميزة، فلا يُتصور من مركز بحث خاص أن تؤثِّر دراسته في إصلاح أوضاع العالم العربي أو الإسلامي مثلاً، بل الدراسة المؤهلة للتأثير هي التي تقوم بها أو تطلبها إحدى المؤسسات التي تضم بلدان العالم العربي جميعها، مثل: جامعة الدول العربية، أو الدول الإسلامية، مثل: منظمة المؤتمر الإسلامي، فالنجاح لا يقتصر على أن تنجح الدراسة بذاتها، ولكن النجاح الحقيقي أن يتحقق ما دلَّت عليه الدراسة من خير، وينتفي ما حذرت منه من شر، فكما يذكر كرم الله: إنَّ تكامل جهاز اتخاذ القرارات، مع الجهاز التنفيذي، وجهاز الدراسات المستقبلية، وتحديد الواجبات، واقتناع الأجهزة الإدارية بجدوى الدراسات المستقبلية، من الأمور المهمة في نجاحها[(١)]. وإنَّ ذلك لا يمنع - في رأي الباحث - من قيام مؤسسات ليس لها صلاحيات تنفيذية بإجراء دراسات مستقبلية لم تقم بها الجهة المعنية؛ وذلك من باب نشر العلم وإسداء النصح؛ إذ النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

وإذا كانت الجهة القائمة بالدراسة ليست على صلة بالقادة فيَقترِح عدد من المختصين بعض الأمور يرون أنَّها تسهم في نجاح الدراسات المستقبلية في هذا الجانب، فيرى بعضهم أهمية عقد ندوات محدودة العدد تجمع بين المختصين والقادة، بينما يُؤكّد آخرون أهمية التأثير على العلماء والمثقفين الذين يمثلون حلقة وصل بين القيادات والشعب، ولا يرون للمقترح السابق فائدة عملية، فإذا كان مجال الدراسات هو التعليم، فتُوجَّه الدعوة لمراكز البحوث التربوية، وكلّيات التربية، وللمختصين؛ في محاولة لإيجاد اقتناع وقبول لنتائج هذه الدراسات[(٢)]، ويرى الباحث أن يُعمل بالمقترحين معًا.

---

(١) في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد ٣٢، (ربيع الآخر/ ١٤٠٢هـ)، ص١٩٨-١٩٩.

(٢) مسعد، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص٢٢-٢٣؛ وينظر:
Garrett, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 97.

٦-ألاَّ تكون نتائج الدراسات المستقبلية أساسًا وحيدًا لاتخاذ القرار :

مِن الخطر البالغ الركون إلى نتائج دراسات ما تزال مناهجها وأساليبها تحت الاختبار، فنجعل منها أساسًا لاتخاذ القرارات[١]، والقصد من هذا - في رأي الباحث - ألاّ يُغالى في هذه الدراسات فتعطى أكبر من حجمها، وتُدار الحياة بها، وألاّ تهمل أيضًا ويُعزف عنها وتترك فوائدها، بل أن يكون الموقف تجاهها موقفًا وسطًا، وتكون مرشِدة إلى القرار، ولا تكون حاكمة .

٧-تعريف الرأي العام بنتائج الدراسات المستقبلية[٢] بأسلوب مناسب:

"بمعنى عدم حبسها في إطار لغات لا يتكلمها السواد الأعظم من المواطنين (أي اللغات الأجنبية)، أو في داخل مؤسسات هي بطبيعتها في متناول قلة من المثقفين (كالمؤسسات الأكاديمية والعلمية من جامعات ومعاهد، والبحثية من مراكز ومنظمات)"[٣].

ويؤكد الباحث على أهمية توخي الحكمة في هذا التعريف، فأكثر الناس غير مطلعين على حقيقة الدراسات المستقبلية، وربما لا يفرقون بينها وبين الكهانة والتنجيم والرجم بالغيب، مما يجعل التعريف يؤدي إلى ضد ما يُسعى إليه، وقد بوَّب البخاري : "باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا"[٤]، ومما أورد تحته قول علي ﷺ : «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟»[٥].

٨-تكوين نظرة عامة للمستقبل لدى جميع أفراد المجتمع وفئاته[٦]:

إنَّ المستقبل يؤثِّر فيه المجتمعُ بجميع فئاته، أفرادًا ومجتمعِين[٧]؛ لذا تظهر أهمية أن يوجد لديهم نظرة اجتماعية وثقافية عامة تجاه المستقبل، وهذا يستلزم -كما يقول زريق- :

---

(١) بيير بيجاتيول، "تأمل ما يستعصى تأمله"، في "رسالة اليونسكو"، مرجع سابق، العدد ١١٩، (مايو/١٩٧١م)، ص٣٠-٣١.

(٢) حلمي شعراوي (تقديم)، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب العلم، ج١، ص٤٦.

(٥) المرجع نفسه، ج١، ص٤٦، أثر١٢٧.

(٦) خلاف، في "السياسة الدولية"، مرجع سابق، العدد ٥٠، (أكتوبر، ١٩٧٧م)، ص١٨، نقلاً عن: (فلختايم)، ولم يحدد المصدر .

(٧) زريق، **نحن والتاريخ**، مرجع سابق، ص ١٨٥.

تكوين عقلية مستقبلية، يتصف بها القادة والعلماء والعامَّة، وأن تصبح الحافز الدافع، والضابط الموجِّه، والطابع المميز لكل ما يرسم من خطط، وما يتخذ من قرارات، وما ينفذ من أعمال؛ وأن يُبذل جهد فائق من قِبلهم، ينطلق من رؤية صحيحة، وإرادة حازمة، وتفكير سديد، وطاقة على التخطيط والتنظيم والتقشف والتضحية(١)؛ ويشمل ذلك أيضًا إيجاد إدارات ووكالات وتنظيمات اجتماعية جديدة في مختلف المستويات، تُعنى بتلك المطالب، وتساعد على الخلاص من المعضلات، وتَكُون أكثر فاعلية لإيجاد عالم أفضل(٢).

٩-التطور السياسي والاقتصادي الذي تزامن مع نشأتها:

أسهم التطورُ السياسي والاقتصادي العام في الغرب خلال الخمسينيات والستينيات الميلادية في نجاح الدراسات المستقبلية، فنمت نموًّا غير عادي في ذلك الوقت وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، التي طَوَّرت مناهج وأساليب لتأمين السيطرة الاستراتيجية والاقتصادية(٣)؛ فكانت ذات فائدة جيدة للدِّراسات المستقبلية.

١٠-التحقق اللاحق من صواب الدراسات وخطئها، بعد حلول مداها الزمني :

"من المهم تقويم الدراسات المستقبلية ومعرفة الأخطاء أكانت من الفرضيات، أم من المنهج، أم الأثر الواقع على الرأي العام"(٤)؛ لتحسين الأداء لهذه الدراسات، وتجنب أسباب الخطأ التي وقعت فيها الدراسات السابقة(٥)؛ ولنعرف إلى أيِّ مدى، وإلى أي درجة من الدقة يمكن أن تصل إليه(٦)، والتقويم "يقتضي دراسة الظروف المواتية وغير المواتية التي واجهت دقة "(٧) التوقع، وإنَّه على الرغم من صعوبة التحقق السليم؛ بسبب أنّ الدراسات المستقبلية غالبًا لا تكون في معزل عن الواقع، فظهورها يُحْدِث تغييرًا ما، يؤَثِّر في المسارات التي اعتمدتها الدراسات، إلا أنَّ التحقق بعامة له فوائد كثيرة(٨).

---

(١) **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص ١٩٧.

(٢) المرجع نفسه؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٣٤١-٣٤٢، نقلاً عن:
John Mchale, **The Future of The Future**.

(٣) Moll, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, Pp. 25-26.

(٤) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 53.

(٥) Martino, Op. Cit., Pp. 226- 227.

(٦) غيث ومحمد، مرجع سابق، ص ٢٤٦.

(٧) المرجع نفسه.

(٨) بزيادة يسيرة : Martino, Op. Cit., Pp. 226-227.

١١-أن يتوافر في الخطة المقترحة عوامل النجاح:

مما يتوقف عليه النجاح لكل خطة مستقبلية: تحديد صفتها ونوعها، دينية، أم صناعية، أم ثقافية، أم تعليمية، ووضع الأسس اللازمة والكفيلة لتنفيذها بطريقة صحيحة سليمة، وأية خطة مهما كان نوعها تتطلب خطة إدارية، بمعنى: وضوح الاختصاصات، وسلامة الجهاز ونقائه، واستعداد كل لتحمل مسؤولياته(١).

١٢-أن يراعى في الدراسات المستقبلية المنهج الإسلامي:

على ما سيأتي بيانه في فصل مستقل ؛ لتميز المنهج الإسلامي بعوامل نجاح أكبر تحققًا وأبعد مدى.

المطلب الثالث: عوامل النجاح المتعلقة بالدراسة نفسها :

١-أن يكون مدخل الدراسة موضوعيًّا لا ذاتيًّا :

مما يتطلبه نجاح الدراسات المستقبلية التزام الإنصاف والدقة والموضوعية، واعتماد الأسلوب العلمي في الاستشراف دون تخمين(٢)، وإذا كان من الممكن التأكد من وجود الموضوعية في الدراسات التي تُعنى بالحاضر، فإنَّ صعوبة ذلك تبدو واضحة في الدراسات المستقبلية، وقد حاول المستقبليون وضع بعض المتطلبات التي يحقق توافرُها الطابعَ العلمي لهذه الدراسات وتُبَيِّن أن مدخل الدراسة كان موضوعيًّا، ومن أهم هذه المتطلبات: أن يُمْكِن التحقق من مدى صحة التوقع، وهذا يستلزم أن تبيِّن الدراسةُ المناهجَ والأساليب التي اعتمدت عليها، وأن تحدِّد النظريات والقواعد والافتراضات التي استندت إليها؛ بحيث يمكن أن يقوم باحثون آخرون غير المشتركين في الدراسة بتتبع الخطوات التي وصلوا بمقتضاها إلى توقعاتهم، وتحدد الفترة الزمنية التي شملها التوقع؛ بحيث يمكن الحكم عليها عند حلول آخر الزمن الذي شملته، وأن تُبيَّن درجة الثقة بصحة التوقع، والشروط اللازم توافرها لوقوعه، وأن يستند جميع ذلك إلى معلومات ولو كانت غير دقيقة(٣).

---

(١) نواف بن صالح الحليسي، **المنهج الاقتصادي في التخطيط لنبي الله يوسف عليه السلام**، ط٤، (الرياض، المؤلف، ١٤١٤هـ)، ص٢٦٨-٢٦٩.

(٢) المنجرة، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٣؛ والرشيد، في "رسالة الخليج العربي"، مرجع سابق، العدد ٢٥، (١٤٠٨هـ)، ص ١٦٠.

(٣) صالح، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٢٠١-٢٠٢.

٢-الحرص على شمول جميع العوامل المؤثّـرة في القضايا المتناولة :

تتسم المتغيرات في الدراسات المستقبلية بتعددها، وتشعبها في أكثر من مجال واختصاص، وتوزعها بين متغيرات واقعة ومتغيرات متوقعة، وكلما وُفِّق المختص إلى شمول أهمّ العناصر المؤثرة كلما جاءت نتائج أبحاثه أكثر دقة، وهذا الشمول من أعظم الأمور أهميـــة في هـــذه الدراسات[١]، والخبرة المكتسبة في الدراسات المستقبلية ترفض أي اتجاه لا يتضـــمن جميـــع العوامل الكامنة في تطور الحضارة المعاصر، ومع أنَّ سعة النظرة وشمولها ليســتا مـــرادفتين لعمقها، وأنَّ التجميع المجرد للمادة لا يعطي عادة فهمًا عامـــًا للعلاقات المتبادلة بين العناصر المختلفة، فإنَّ استيعاب ذلك يُعدُّ من المتطلبات الرئيسة في الدراسات المستقبلية[٢].

«وإذا كان لمناهج الاستشراف من فضيلة، فهي أنها تجتهد في تحقيق حلم المشتغلين بعلوم المجتمع بإرساء أسس علم مجتمعي شمولي، وتزويد المفكرين بالأدوات التي تمكنهم من اختبار نتائج دراساتهم المتخصصة في موازنة مقبولة بين التعمق الرأسي الذي يفرضه التخصص والامتداد الأفقي الذي يعنيه الشمول »[٣].

٣-وفرة المعلومات، وصحتها، ودقتها، وسلامتها من التناقض:

أوضح عدد من المستقبليين أنَّ توافر المعلومات عن الماضي والحاضر من القضايا الرئيسة في القدرة على استشراف المستقبل استشرافـــًا سليمًا[٤]، وينبغي في هذه المعلومات أن تكون بكمِّـــيَّة كافية لحاجة الدراسة، وأن يتوافر فيها عنصران، هما : الدقة والصحة، فإذا تـــوافرا وكانت المعلومات كافية ازدادت نسبة النجـــاح في الدراســـة[٥]، وإذا حصـــل نقـــص في المعلومات أو انعدمت الدقة فيها، أو ظهر فيها تناقضات أو تفاوت مؤثِّر فإنَّ ذلك يؤثِّر سلبًا

---

(١) خلاّف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص ٢٣-٢٤؛ وينظر: زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٥؛ و Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 50.

(٢) رشتا وسولك، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ١، (شعبان/ ١٣٩٠هـ)، ص ٦٦.

(٣) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص ٥٢٤.

(٤) مسعد، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص ٢١٣.

(٥) الفولي، في "الجديد"، مرجع سابق، العدد١٦، (ســبتمبر/ ١٩٧٢م)، ص٣٨؛ والقصـــير، في "أبحـــاث نـــدوة مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل"، مرجع سابق، ص١٦٧؛ و Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 73

على الدراسة، ويُعيق نجاحها[1]، وعند ذلك ينبغي على القائمين على الدراسة أن يُبيِّنوا ذلك ، وأن يُحدِّدوا البيانات المفقودة؛ حتى تكون الدراسة علمية[2].

وفي دراسة أجريت على الدراسات المستقبلية التي صدرت في أمريكا اللاتينية، ظهر أنَّ قلة المعلومات وتناقضها من أهم العقبات التي واجهتها وقَلَّلت من إنجازها[3]. والحال في العالم الإسلامي يراه الباحث شبيهًا بهذا، فهناك قلة في المعلومات، وعدم اهتمام بالإحصاءات والدِّقة فيها، بل ويذكر عدد من المستقبليين العرب -من خلال تجارهم- أنَّهم واجهوا صعوبات في الحصول على معلومات متوافرة لدى جهاتها بشأن موضوعات عاديَّة بطبيعتها، مما يُبرز عراقيل أكبر عند حاجة الدراسة إلى معلومات ذات حساسية بذاتها، أو بسبب تعلقها بالمستقبل واستشراف تطوراته المحتملة[4].

ويرى الباحث أنَّه من الواجب على المستقبليين وغيرهم أن يُعنوا بدعم المؤسسات الإحصائية والتواصل معها، والدعوة إلى إنشاء غير الموجود منها، وأن تشمل ما لم تشمله مما يُحتاج إليه، وأن تُحدَّث معلوماتها باستمرار، والقيام بعقد لقاءات مع المسؤولين وشرح طبيعة الدراسات المستقبلية لهم، لتسهيل الحصول على المعلومات وإتاحتها.

٤-التأكد من صحة الفرضية وعرضها على عدد من المختصين:

الفرضية هنا: هي «الاحتمال المرجح لتشخيص عامل أو عوامل مجهولة »[5]، و«هي الخطوة السابقة لتكوين النظرية »[6]، وهي - في رأي الباحث - أمر مهم يتعلق بها كثير من جزئيات الدراسة، فإذا كانت صحيحة سرت صحتها إلى جزئيات الدراسة، وإن بعدت عن الصحة أثَّر ذلك في جزئيات الدراسة بحسبه، وفي هذا يشير (آشر) إلى أنَّ المصدر لمعظم

---

(١) حافظ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص١٠٢-١٠٣؛ ومسعد، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص٢١٤.

(٢) كرم الله، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد ٣٢، (ربيع الآخر/ ١٤٠٢هـ)، ص ١٩٨- ١٩٩.

(٣) لورديز فيرو، "الدراسات المستقبلية في أمريكا اللاتينية"، ترجمة محمد جلال عباس، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ١٣٧، (أغسطس/ ١٩٩٣م)، ص ٤٨.

(٤) مسعد، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص ٢١٣؛ وينظر:
Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 74.

(٥) صيني، مرجع سابق، ص٤٩.

(٦) المرجع نفسه، ص٥٠.

الأخطاء الفادحة في التوقعات هي الفرضيات الرئيسة التي يقوم بعملها المتوقع فيما يتعلق بالموضوع المطلوب توقعه[1]، ومن الأمثلة: أنّه في منتصف القرن العشرين الميلادي اعتقد كثير من الأفارقة بأنّه : (متى انتهى الاستعمار فسوف تزدهر أفريقيا بسرعة)، وعندما لم يحدث هذا، نمت النظرة التشاؤمية في إضعاف الجهود اللازمة لازدهار أفريقيا. وبشكل مشابه، ساد الاعتقاد في الثمانينيات الميلادية على نطاق واسع بأنّه : (متى اندحرت الشيوعية فسوف يجذب العالم الثاني استثمارات مالية ضخمة من العالم الأول)، ومع عدم حدوث هذا بالسرعة المتوقعة، بدأ التشاؤم يزداد في أوروبا[2].

لذا يجب على المتوقّع التأكد من صحة الفرضية باستشارة الخبراء المختصين، وأن يُدرك بأنّ الفرضية سوف تسيطر على ناتج التوقع[3].

٥- تَجنب المبالغة أو الإجحاف في التقديرات المستقبلية :

أظهر التقويم لعدد من الدراسات المستقبلية التي بلغت مداها الزمني : أنّ من أسباب الأخطاء التي وقعت فيها: المبالغة في تقدير بعض الأمور، أو الإجحاف في تقديرها وبخسها، وأيضًا الإغراق في التفاؤل نحو القضية المراد دراستها، أو الإغراق في التشاؤم نحوها[4]؛ فمما ينبغي في الدراسات المستقبلية لتكون ناجحة: أن تنحى في تقديراتها منحى الاعتدال، فلا إفراط ولا تفريط، ودون إغراق في التفاؤل أو التشاؤم.

٦- سهولة الصياغة، وتَوافقها مع الأسلوب اللغوي للمستفيد:

«إن المختصين في الدراسات المستقبلية لا يتوفقون دائمًا في استعمال خطاب في متناول الفهم، إذ غالبًا ما يتسترون وراء منهجيات تفضي صعوبة تقنياتها إلى حجب الغايات في نهاية المطاف، كما أنهم باستخدامهم مفاهيم مغلقة وعبارات غريبة ينفرون المنقبين عن المستقبليات»[5]، فمن المهم أن تكون الدراسات واضحة، وضمن اللغة التي يستطيع متخذو السياسات فهمها[6]، وغيرهم من الفئات المستفيدة.

---

(١) Ascher, Op. Cit., P. 27.

(٢) Glenn, "Participatory Methodology", in American Council, Op. Cit., P.3.

(٣) Martino, Op. Cit., P. 246.

(٤) Ibid. Pp. 228-232.
وينظر: الرشيد، في "رسالة الخليج العربي"، مرجع سابق، العدد ٢٥، (١٤٠٨هـ)، ص ١٦٠.

(٥) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص١٨٨.

(٦) Inayatullah, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, P. 191.

٧-ارتباط الدراسة بالواقع:

فترتبط بالسنن الأساسية للتطور الاجتماعي، ولا تُوضع المقترحات ولا تُصاغ السياسات في معزل عن تلك السنن، وإلا فإنّ الدراسة ستكون خيالية، أو أنّها تتوقف وتُسلِّم بوقوع الأزمات، وحلول الخراب الشامل(١).

٨- تعدد المستقبلات المتوقعة في الدراسة، وأن تكون مشروطة :

وهذا في رأي الباحث يؤدي إلى نجاحها من جهةِ أنّها لا تكون بذلك مجرد توقعات مجردة، بل تقدم مساحة من التفكير والمراجعة والحساب ثم الاختيار الواعي، كما أنّ ذِكر مستقبل واحد هو إشعار بأنّ الدراسات المستقبلية تعرف المستقبل تمامًا وهذا ما لا تدعيه أساسًا، والمستقبليون -كما يذكر (بِل)- نادرًا ما يتوقعون مستقبلاً واحدًا غير مشروط(٢).

٩-كثرة الأساليب المستخدمة فيها :

فقد جرى اللجوء إلى كثير من الأساليب في الدراسات المستقبلية بصورة تكميلية؛ للإسهام بزيادة النِّسبة في نجاح التوقع(٣).

١٠- اعتبار التغيير فرصة لإيجاد مستقبل أفضل :

«إنّ موقف أولئك الذين يريدون أن يعرفوا تمامًا ما يكمن لهم في المستقبل هو غالبًا الخوف من التغيير، لكنّ موقف الدراسات المستقبلية الجادة هو العكس تمامًا، فالتغيير يُنظر إليه بشكل أكثر إيجابية، على أنّه فرصة لتطوير شيء جديد، أو لإيجاد وضع مرغوب أفضل ولجعل المزيد من الناس يكسبون منه»(٤)، ويَعني هذا : أن تكون الدراسات المستقبلية فاعلة في ثنايا التغيير، وليست مستكشفة له فحسب، منزوية عنه، بل تسعى لتجعله كله مكاسب، أو تخرج منه بأكثر المكاسب وأقل الخسائر، على المستوى القريب والبعيد، وأن تستدعي التغيير إلى الأحسن وتطلبه .

---

(١) رشتا وسولك، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد١، (شعبان/١٣٩٠هـ)، ص ٦٥.

(٢) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 112.

(٣) حافظ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص١١٠-١١١؛ و
Garrett, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 98.

(٤) Moll, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, Pp. 26-27.

١١-المشاركة الشعبية:

«يَعدُّ أكثر المختصين في الدراسات المستقبلية من بين أهدافها: زيادة المشاركة الديموقراطية في عمليات التصور والتخطيط والرسم للمستقبل»(١)، وهم يعملون على تحقيق هذا الهدف، وليس المقصود هنا اشتراك مختصين أو ممثلين عن فئات الشعب، وإنَّما اشتراك الناس العاديِّين، من خلال وسائل الاتصال المتعددة(٢)، وطالب (جلن) أن يُستخدم فيها أسلوب التشاور المتميز (دلفي)، وقد جرت أول عملية مشاركة شعبية مخصَّصة للعمل لمستقبل طويل الأجل عام (١٩٧١م) في الولايات المتحدة الأمريكية(٣)، وأُطلق على عمليات المشاركة التي أجريت في (هنولولو) عام (١٩٨٢م) - بهدف زيادة مشاركة المواطنين في اتخاذ القرار الحكومي - : (اجتماع البلدة الإلكتروني)(٤)، وتدل تجارب كثير من الدول على أنَّ التجاوب الشعبي مع خطط التنمية له أثر مهم في النجاح الفعلي لتلك الخطط، بل وفي دقة التوقعات المسبقة عن هذا النجاح(٥)، فالمشاركة الشعبية تُسهم إسهامًا حقيقيًّا في تجنب النتائج الضارة التي تحذر منها الدراسات المستقبلية، وتؤدي إلى التفاعل الإيجابي لهم نحو المستقبل، وتَكُون بمثابة لجنة متابعة لمتخذي القرارات(٦)، ولذلك دعا عناية الله إلى أن تُوجِد الدراسة أو التوقع صورة تقوم بالإيحاء بالتحدي للمنظمة أو للأمة، وبخاصة إذا تعلق بهما التحقيق العملي لنتائج الدراسة(٧).

وليس المقصود هنا أن يعي الشعب نتائج الدراسات المستقبلية ويكون لديه اطلاع عليها، فهذا أمر حسن، وإنَّما المقصود إسهامه فيها وفي نتائجها، وهذا على الرغم من أنَّه يواجهه عدد من الصعوبات الإدارية والعلمية والمالية التي قد تحول دونه، فإنَّ الباحث يرى

---

(١) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 93.

(٢) Ibid, Vol. 1, Pp. 94-95.

(٣) Glenn, "Participatory Methodology", in American Council, Op. Cit., P.2.

(٤) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, Pp. 94-95.

(٥) خلاَّف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص ١٦٥.

(٦) عبد القادر ياسين، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص ٢٣؛ وينظر:
Garrett, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 103.

(٧) Inayatullah, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, P. 191.

أيضًا أنَّ إطلاقه فيه توسع غير محمود، ويرى أن تقتصر الإسهامات فيما يناسب الشعب من موضوعات، وما يتناوله مباشرة، مما يُثمر تفاعلاً مزدوجًا بين الشعب والدراسة، من غير توسع في ذلك؛ لأنَّ الشعب متعدد المشارب مختلف الطبائع، متباين المصالح، متفاوت في العلم والإدراك، وهذه الدراسات تميزت بأنَّها تُعنى بالخبراء والمختصين وتقوم على آرائهم، فأيّ هدم لهذه الميزة أن تقوم الدراسة على آراء الشعب من غير قيد ولا ضابط !

١٢-أن تقترح الدراسة الوسائل الموصلة إلى الغايات :

يرى الباحث أنَّه لا يَحسن للدراسات المستقبلية أن تقتصر على جانب حُسن التقدير فقط، فلا تُذكر الوسائل الموصلة إلى الغايات والمقاصد المأمولة، بل ينبغي فيها أن تتضمن ذلك؛ لأنَّ هذا من عوامل نجاحها وقبولها واكتمالها، ويُسهم في نقلها إلى مرحلة عملية، وقد ذَكَرَ عناية الله: أنَّ من عوامل النجاح: أن يكون التوقع قابلاً للتّصديق ، والسياسات المقترحة قابلة للتحقيق ، و إذا كانت في الظاهر غير ممكنة التحقيق فإنَّه يجب عمل بحوث في النقلات التي يمكن أن تزيد من احتمالية تحقق الحدث(١)، وتذكر (جاريت): أنَّ بعض المنظمات والمؤسسات أهملتْ دراسات مستقبلية تقدمت هي بطلبها؛ وعُزي سبب ذلك إلى فشل الدراسة في تقديم خطة تنفيذية(٢).

١٣-أن تبرِز الدراسة ما توصلت إليه من نجاح، وما أخفقت فيه :

فتُوضِّح ما واجهها من صعوبات وتحديات، وما كان متاحًا لها من خيارات، وأن تشير إلى ما تراه لما يليها من خطوات بحثية أو تطبيقية(٣)؛ وذلك في رأي الباحث يسهم في نجاح الدراسة، إذ لا يقتصر النجاح على أن تصل الدراسة إلى أعلى الإتقان، بل أن تكون ذات مصداقية تُوضِّح قصورها وعيوبها ونقصها؛ ليتداركها آخرون من بعد، ولئلا تُضلَّ متخذي القرارات .

---

(١) Ibid, Vol. 1, P. 191.

(٢) Garrett, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 97.

(٣) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص ٥٢٣

١٤-أن تجمع الدراسة بين التحليل الكمي والكيفي حسب الإمكان :

التحليل الكمي : هو ما يُعتمد فيه على الأرقام، **والتحليل الكيفي:** هو ما يُعتمد فيه على الكلمات(١)؛ ويكون مدخل المستقبلي -أحيانـــًا- ذا طبيعة كمِّية، حيث يعتمد في رؤيتـــه للمستقبل على بيانات كمِّية يقوم بتحليلها، ويصل إلى توقعات مبنية على هـــذا الأســـاس، وأصحاب هذا المدخل هم عادة من العلماء المتمكنين من الأساليب الرياضـــية؛ وأحيانـــــًا يكون المدخل ذا طبيعة كيفية، يستند فيه المختص إلى قيم وأحكام كيفية، وأصحابه يبتعدون تمامـــًا في رؤيتهم للمستقبل عن النماذج والبيانات الكمية، سواء بمحض اختيارهم أو نتيجة لعدم قدرتهم على استخدام الأساليب الرياضية، فيُركِّزون على الجوانب الكيفية، مثل: نوع الحياة، والتفكك الاجتماعي، والانحدار الأخلاقي(٢). وقد أصبح من الشائع أنَّ التوقعـــات التي تحظى بتقدير علمي هي ما تعتمد على أساليب البحث الكمية(٣)؛ لأنَّ لديها القدرة على إخراج نتائج رقمية مختصرة، ودِقَّة في التعبير تفوق ما تتصف به التحليلات الكيفيـــة مـــن تعميمات قد تدخلها في حيز الإبهام(٤)، إلا أنَّ الاتجاه الحديث بين العلماء المهتمين بمنـــاهج البحث وأساليبه في مجال الدراسات المستقبلية هو ضرورة الجمع بين المدخل الكمي والمدخل الكيفي للتوصل إلى التوقعات المستقبلية التي تتصف بالدقة والشمول، ومن ثم حرصوا علـــى وضع الضوابط التي تساعد على تحقيق التوازن بين المدخلين(٥)، من خلال النظر إلى موضوع الدراسة، وطبيعة الظاهرة المراد دراستها، والمنهج المعتمد في الدراسة، وأسســـها النظريـــة، ومصادر البيانات(٦).

---

(١) صبيني، مرجع سابق، ص ٨٤-٨٥.

(٢) صالح، في "عـــالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص٢٠٠-٢٠١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٠٩؛ وعبد الرحمن، المرجع نفسه، ص٢٢.

(٤) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص٧٥؛ وعبد الرحمن، في "عـــالم الفكر"، مرجع سابق، العـــدد ٤، (ينـــاير/ ١٩٨٨م)، ص٢٢.

(٥) صالح، في "عـــالم الفكر"، مـــرجع سابق، العدد ٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص ٢٠٩؛ وينظر: عبد المعطي، مرجع سابق، ص١٤٠-١٤٢.

(٦) عبد الرحمن، في "عـــالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص ٢٤.

١٥-أن تكون الأهداف واضحة أمام الدراسة قبل البدء بها:

وضوح الهدف من الأمور المهمة لنجاح الدراسات المستقبلية، وينتج عنه دراسات فاعلة ومتناسقة في مضمونها(١)؛ والهدف الواضحُ علاجٌ وقائي لكثير من المشكلات التي تحدث أثناء سير الدراسات، مثل التنازع حول الأساليب المناسبة؛ فإنَّه إذا كانت الغاية واضحة لم يحدث كثير إشكال في الوسائل، لذا ينبغي في كل دراسة مستقبلية أن تعلن الهدف الواضح لها قبل البدء فيها وأن يحرر كتابة، وإن كان هناك أهداف متعددة فينبغي وصفها جميعها، ومتى جرى تحديد الهدف فإنَّه ينبغي أن يكون هو الأساس لجميع القرارات اللاحقة بما فيها التخطيط الإجمالي للمشروع(٢).

المطلب الرابع: عوامل النجاح المتعلقة بالباحث في مجال الدراسات المستقبلية:

تعتمد الدراسات المستقبلية على علوم متعددة، واختصاصات مختلفة، ومهارات كثيرة، وإنَّ إنجازها يتطلب جهدَ فريقٍ منظَّم، ولا يقوم بجهد فرد واحد، مهما كان مستوى علمه ودرجة كفاءته(٣)، «ولكنها في آخر الأمر تحتاج إلى أفراد من ذوي البصيرة يتميزون بالقدرة على النظر الشامل والتحليل والتركيب والتوقع والاستجلاء، ليقوم الواحد منهم بصياغة الرؤية المستقبلية من خلال بلورة كل ما توصَّلت إليه دراسات الفريق »(٤)، وهذا الفرد - بالدرجة الأولى - وأعضاء ذلك الفريق الموجِّه جهده في الدراسات المستقبلية، مطلوب فيهم من الصفات ما يجعل الدراسة ترقى إلى المستوى المناسب والمطلوب لنجاحها، وجُلُّ هذه الصفات - في رأي الباحث - هي ما يُطلب في كل باحث في أي مجال كان، من الإخلاص، والصدق، والأمانة(٥)، والاجتهاد(٦)، والصبر(٧)، وتوافُر الاستعدادات الفطرية،

---

(١) Garrett, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, P. 85.

(٢) Ibid. Pp. 85-86.

(٣) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١.

(٤) الدجاني، **عن المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة**، مرجع سابق، ص٣٨-٣٩.

(٥) عبد الرحمن عميره، **أضواء على البحث والمصادر**، ط٦، (بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ)، ص ٥٧. وصفة (الصدق) ليست في المرجع وإنَّما إضافة من الباحث.

(٦) Bell, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 3, P. 101.

(٧) عميره، مرجع سابق، ص ٥٦.

والنفسية[1]، والثقافة الواسعة وبخاصة في الظواهر التي تتناولها الدراسة[2]، و"عمـــق الفهـــم لعمليات التغيير العامة "[3]، والقدرة على رؤية القوى البارزة المهمة والمؤثِّرة في التغـــيير[4]، والارتباط بالحياة العامة ومتابعة ما يستجد فيها تحسبًا لأية تغيرات جوهرية[5]، والاهتمـــام بجميع النواحي للحياة العامة المستقبلية المتعلقة بالإنسان والحيوان والجماد[6]، والمحافظة على خصوصيات الأشخاص، والعملاء، والوثائق والمعلومات الســـرية[7]، والكفـــاءة العلميـــة المكتسبة التي تؤهِّل بمجموعها للقيام بما تتطلبه الدراسات[8]، ومـــن الصـــفات: "الشـــك والتثبيت "[9]: بحيث لا يَقْبَل "كل ما يقرأه على أنه قضية مسلمة، بل لابد من أن يعمل فيه نظره، ويقلب فيه فكره ويزنه بميزان دقيق من الحنكة والفطنة "[10]؛ "لأن بعض الآراء يـــبنى على أساس غير سليم، من هنا وجب على الباحث أن يمحص ويفحص ما يقرأ فيعتمد مـــا يقوم على دعائم سليمة قويمة، ويرد غيره "[11].

ويتأكد في حقهم مجموعة صفات ثانية، وتخصهم صفات أخرى، يكون للتَّحلي بها أثر إيجابي في نجاح الدراسة المستقبلية، وفي تركها أثر سلبي عليها، وهي كما يأتي:

---

(١) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، **كتابة البحث العلمي: صـــياغة جديـــدة**، ط٥، (جـــدة، دار الشـــروق، ١٤١٤هـــ)، ص ٣٧.

(٢) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 187.

(٣) Ibid.

(٤) Schwartz, Op. Cit., P. 10.

(٥) Glenn, "Introduction to the Futures Research Methodology Series", in American Council, Op. Cit., P. 5.

(٦) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.187.

(٧) Bell, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 3, P. 98.

(٨) أبو سليمان، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٩) عميـــره، مرجع سابق، ص ٥٦.

(١٠) المرجع نفسه.

(١١) محمد عجاج الخطيب، **لمحات في المكتبة والبحث والمصادر**، ط١٧، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـــ)، ص ١٠٢.

١-التواضع:

قد يكون الاختصاص في الدراسات المستقبلية من بين سائر الاختصاصات أكثر مدعاة للكبر والإعجاب؛ لأن صاحبه يجتهد للوصول إلى الصواب بطرق كثيرة، ويستفيد من كثير من الاختصاصات والفنون، فيتوافر لديه من العلم المتنوع في القضية ما قد يجعله يعجب بنفسه؛ فيفضي به إلى ردّ الحق وغمط الناس، كما أن مجال الدراسات المستقبلية يتميز بالاعتماد على الآخرين من الخبراء والمختصين ومن العامة أحيانـًا، مما يجعل صفة التواضع مؤكّدة ومطلوبة بشدة، وإنّ في نبيّ الله يوسف عليه السلام لَقدوة حسنة للمستقبليين، فقد آتاه الله علم التأويل للرؤى، فعبَّر وأخبر الناس عمَّا يُكنُّه لهم المستقبل، بعد ما عجز عنه غيره، ثمّ مكّن الله له في الأرض، فانتقل من الكلام عن المستقبل إلى العمل له، فوضع خطته المستقبلية متناولاً فيها خمسة عشر عامـًا قادمة، فنجح فيها نجاحـًا منقطع النظير، ثم بعد ذلك يظهر تواضعه وتذللـه لربه، معترفًا له بالفضل والإحسان، ناسبـًا إليه ما أنعم به عليه، فيقول: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(١) .

٢-«الإنصاف والموضوعية»(٢) :

إنَّ الاتجاهات الفكرية والنفسية للباحث في الدراسات المستقبلية تُؤَثِّر في نظره وتحليلـه للمعلومات المتاحة واستخلاص النتائج منها(٣)، كما أنَّ حب الشرف والمال من أسباب ترك الإنصاف(٤) والموضوعية، ومنها: أنَّ المختص قد لا يرغب بـالاعتراف بوجـود نـواقص وعيوب في الدراسة، أو يكون لديه منفعة خاصة مع إحدى الجهـات فيـؤثّر في المسـار الصحيح للدراسة لحصول المنفعة أو إرضاءً لتلك الجهة، أو يريد من الدراسة أن تسير علـى ما يؤمن به هو، أو ينـزع إلى إخفاء توقعٍ ما يبدو أنّه يهدد أيـًّا من تلك المنـافع(٥)، أو

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

(٢) عميـره، مرجع سابق، ص ٥٧.

(٣) الفولي، في "الجديد"، مرجع سابق، العدد ١٦، (سبتمبر/ ١٩٧٢م)، ص٣٩.

(٤) محمد بن علي الشوكاني، **أدب الطلب ومنتهى الأرب**، (بيروت، دار الكتـب العلميـة، ١٤٠٢هـ)، ص٢٣.

(٥) Martino, Op. Cit., P. 235.

يكون للمختص رأيــًا أو موقفــًا سابقًا اشتهر عنه، فإذا ظهرت معلومات جديدة تُبــيِّن خطأً فيه أو نقصًا، التزم موقفه السابق و لم يجاوزه[1]؛ وبالجملة فالأســباب المانعــة مــن الإنصاف لا تخفى على الفطن وفي بعضها دقة تحتاج إلى تيقظ وتدبر، فالمعيار الذي لا يزيغ: أن يكون طالب العلم مع الدليل يدور معه حيث دار، فإذا وجد في نفسه حيادًا عنه، ورغبة منها لمخالفته، فليعلم عند ذلك أنه قد أصيب بأحد الأسباب المانعة له من الإنصــاف مــن حيث لا يشعر، فإن عرف ذلك بعد التدبّر فليجتنبها كما يجتنب العليل ما ورد عليه مــن الأمور التي كانت سببًا لوقوعه في المرض، وإن خفيت عليه العلة التي حالت بينه وبين اتباع الحق فليسأل من له ممارسة للعلم ومعرفة بأحوال أهله[2]، وليعلم أنَّ قيامه بالإنصاف «كمــا أنه سبب الفوز بخير الآخرة هو أيضًا سبب الوصول إلى ما تطلبه أهل الدنيا من الدنيا وأن له الثأر على من خالفه والظهور على من ناوأه في حياته وبعد موته»[3].

٣-الشعور بالمسؤولية تجاه المستقبل[4]:

إنَّ الشعور بالمسؤولية تجاه المستقبل تجعل صاحبه «يحيا حاضره حياة قوية عميقة، فتَخفق نفسه بما يضطرب في مجتمعه وجيله من آمال وآلام، ومن أفراح ومآسٍ، وينبض قلبــه بمــا يحققانه من كسب وانتصار وبما يصيبهما من إخفاق وانهزام... إنه أمين للحياة التي يحياها، فلا يهجرها ولا يتهرب منها إلى عالم خيالي ماضٍ أو مقبل، بل يشعر بارتباطه الوثيق بهــا وتعلق مصيره بمصيرها، ويدرك بالتالي مسؤوليته إزاءها»[5]؛ لأنَّ الطريق إلى سلامة المستقبل- بإذن الله - هي المجاهدة في إصلاح الحاضر، والتفاعل معه، وترشيد قراراته[6]، ولقد أظهــر التاريخ أنَّ فقدان المسؤولية قد دمَّر كثيرًا من الناس والمجتمعات[7] .

---

(١) الشوكاني، **أدب الطلب ومنتهى الأرب**، مرجع سابق، ص ٥٣؛ و Martino, Op. Cit., P. 236.

(٢) الشوكاني، المرجع نفسه، ص ٥٥؛ وينظر: الخطيب، مرجع سابق، ص١٠٢.

(٣) الشوكاني، المرجع نفسه، ص٢٣.

(٤) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., Pp. 43, 44.

(٥) زريق، **نحن والتاريخ**، مرجع سابق، ص ١٨٧.

(٦) الباحث.

(٧) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 44.

ويَظهر - والله أعلم - أنَّ الشعور بالمسؤولية جعل يوسف عليه السلام يطلب تحملها بعدما وجد من نفسه القدرة على الوفاء بمتطلباتها، ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[١]، "وبهذا قدَّم لنا يوسف عليه السلام درسًا إسلاميًا عن تحمل المسؤولية حيث تحمل يوسف عليه السلام المسئولية الكاملة "[٢] أثناء وضع الخطة، وما بعدها أعطانا درسًا إداريًا في كيفية إنجاح الخطة من خلال إدارته الحكيمة[٣]. ومن الشعور بالمسؤولية "التوجه نحو اتخاذ القرار الواعي، والفعل الاجتماعي الهادف؛ للتَّكيف مع المستقبل والسيطرة عليه"[٤].

٤-التجديد والإبداع:

إنَّ المستقبل مجال واسع مفتوح ، قابل لكل صنوف التجديد والإبداع، وإنَّ التنافس المشتد بين المجتمعات يجعل منهما شرطًا لازمًا للتقدم والبقاء، فالأمم التي تجري في ميادين التقدم هي الأمم المجددة المبدعة، وإذا توقفت عن الإبداع تخطاها من كان أكثر تجديدًا وأزخر إبداعًا، والتجديد والإبداع مطلب شامل لجميع نواحي الحياة الحسية والمعنوية، والباحث في مجال المستقبل ينبغي أن يكون ذا عقلية تجديدية مبدعة، قادرة على أداء ما يتطلبانه من جهد وبذل[٥]، وهذه العقلية مهمة في حقه؛ لأنَّه يتطلبها أمور، منها: تصور شيء ما غير الموقف الحالي أو الاستقراء المباشر من الموقف الحالي، والتأمل في إيجاد الحلول الممكنة واقتراح العملي منها[٦]؛ فهذه العقلية تسهم "في الحاضر لحسن إعداد المستقبل، أو في المستقبل لضمان سلامته وازدهاره وتقدمه" [٧]، وإنَّ رفض التجديد وتجاهله من الأخطاء المؤثرة في نجاح الدراسات المستقبلية، فهناك حالات من التجديد موجودة فعلاً، وتجاهل الباحث لها ولنتائجها المحتملة موقف غير سديد، ويُؤَّثر سلبًا في نجاح الدراسة[٨].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٥.

(٢) الحليسي، مرجع سابق، ص ٢٧٩.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 187.

(٥) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٢١٠.

(٦) Garrett, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 2, Pp. 98-99.

(٧) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٢١١.

(٨) Martino, Op. Cit., Pp. 239-240.

٥-شمول النظرة :

من المميزات التي ينبغي توافرها في المستقبلي أن تكون نظرته شاملة وإدراكه واسعًا، بحيث يدرك الأوضاع المتداخلة والمتفاعلة، التي أصبحت سِمة من سِمات هذا العصر، إذ يصعب جدًا أن ندرك قضية ما على حقيقتها أو نحسن معالجتها إذا اقتصرنا على وجه من وجوهها فحسب، أو حتى إذا تناولناها بمجموعها ولكن لم نعتبر علاقاتها بسواها(١)، وهذه الصفة تحتاج إلى تدريب عليها لتصبح من الخصال الثابتة لدى المستقبلي(٢)؛ لأنَّ المرء عندما يكون مختصًا في مجال معين من مجالات العلم فإنَّه عند التوقع يركِّز على مجاله، وقليلاً ما يخرج عنه، بسبب تركز خبرته وتدريبه فيه، فتكون نظرته ضيقة محدودة، ويقع في خطأ من أخطاء التوقع(٣).

٦-القدرة على التعاون:

ومن المميزات المطلوبة أيضًا: القدرة على التعاون في سبيل الفكر والتنفيذ كِليهما(٤)، فالتعاون يُعدُّ جزءًا لا يتجزأ من العناصر التطبيقية للخطة المستقبلية بجميع مستوياتها الإدارية، ويتوقف عليه نجاحها(٥)؛ إذ إنَّ طبيعة إعداد الدراسات المستقبلية تقتضي الحاجة إلى كثير من المختصين، والخبراء، وبعض الجهات الرسمية، والمؤسسات الأهلية، كما أنَّ تبني التطبيق لنتائجها، وتنفيذ الخطط الموصوفة فيها، يتطلب تعاونًا مع كل من له صلة بإنجاح الخطة، يكثرون أو يقلّون بحسب المستوى الذي يتناوله الموضوع .

٧-التميز بالفكر المستقبلي:

إنَّ الفكر المستقبلي هو إجمالاً: الإلمام بالمفاهيم المستقبلية، من مناهج، وأساليب، وقواعد، ومبادئ(٦)؛ ولا يكون الفكر مستقبليـًا إلا إذا كان متجهًا إلى الأمام، فيتميز بالتطلع إلى المستقبل والرغبة في ارتياده، وكلما كانت رؤيته أنفذ وأوضح، استطاع أن

---

(١) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٢٠٧.

(٢) بتصرف: Martino, Op. Cit., P. 236.

(٣) Ibid.

(٤) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٢٠٧.

(٥) الحليسي، مرجع سابق، ص ٢٧٩-٢٨٠.

(٦) بتصرف: Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.186.

يتعرف على الإمكانات المتاحة، والاختيارات الماثلة، وأن يَحْفِز إلى الجهد والعمل في سبيل تحقيقها، وإذا عاد إلى الماضي فإنَّه يعود إليه ليتعلم ويختبر، ويأخذ العبرة والعِظة؛ وإنَّ الفكر المستقبلي ليس تخيلاً جامحًا أو حلمًا مدغدغًا، إنَّما هو فكر يأبى أن يلهو أو ينخدع بالتخيلات والأحلام غير المنضبطة، وإنَّه لا يكتفي بمجرد الارتياد، بل يعمد إلى جعله مُحجًا منتظمًا، يحدد الأهداف ويرتبها، ويفصّل مراحل تحقيقها، ويحيط ما أمكن بالموارد المتوافرة، الكائنة والممكنة، وبالحدود القائمة أو التي قد تقوم، ويجسد ذلك كله بخطة عمل، قابلة للتطور تبعًا لتطور المتغيرات المحسوبة أو لظهور متغيرات لم تكن في الحسبان[١]. وتتميز حلول هذا الفكر بأنَّها حقيقية طويلة الأجل، وليست علاجات مهدئة مؤقتة؛ وهو فكر حسَّاس تجاه المشكلات التي تلوح أو تظهر، يريد عملاً فوريًّا تجاهها قبل أن تتحول المشكلة إلى أزمة[٢]. ومن مميزات الفكر المستقبلي أن يكون صاحبه متحليًا "بالمرونة والتكيف. فلا يصح أن يقابل التغير المتسارع في الأوضاع بجمود في التفكير ورتابة في التنظيم، أو أن يعالج التعقد المتكاثف بعقلية تبسيطية "[٣]؛ وصاحب الفكر المستقبلي يؤمن بأنَّ هذا الفكر قادر على زيادة الفاعلية للإنسان[٤] بمشيئة الله تعالى.

٨- التفاؤل المعتدل :

إنَّ التعامل مع المستقبل تعامل مع المجهول، وهو أمر يفضي إلى عدم الثقة وتشوش الرؤية، وحصول التشاؤم، وقد ذكر (مارتينو) أنَّه لوحظ في عدد من الدراسات تحول منتظم من التفاؤل إلى التشاؤم مع تزايد طول زمن التوقع، ويبدأ من حوالي خمس سنوات في المستقبل بصورة تقديرية، وهذه الملاحظة تساعد في تحذير المتوقع لمعرفة متى يحل موقف نفسي محل موقف آخر، وأن يعرف أنَّ هذا التحول من التفاؤل إلى التشاؤم أمر طبيعي، وبإدراكه له يتمكن من تقليل آثاره على التوقعات إلى أقل قدر ممكن[٥]؛ وينبغي له أن ينظر إلى الظواهر المرعبة المنذرة بالسوء على أنَّها قد تكون علامات ولادة بدل أن تكون علامات

---

(١) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٢٠٢-٢٠٥؛ وينظر: نفسه، **نحن والتاريخ**، مرجع سابق، ص١٩٠.

(٢) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ١٨٥.

(٣) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٢٠٩.

(٤) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P.186.

(٥) Martino, Op. Cit., P. 240.

موت[1]، كما أنَّ معرفة المنهج الإسلامي في التفاؤل والتشاؤم مفيد جدًا للمختص في الدراسات المستقبلية، وسيأتي بيانه في فصل مستقل.

إنَّ كل شخص يمكن أن يُخلَّ ببعض الصفات السابقة، أو يُبتلى بشيء من العيوب الناقضة لها، لأنَّهم بشر وهم غير معصومين من الخطأ أو التقصير، لكن إذا وضع المرء في اعتباره احتمال تعرضه لها، فحظه أفضل في تجنبها، وبذلك يزيد من فائدة التوقعات، وبخاصة إذا علم أنَّ الإخلال ببعض الصفات السابقة قد ثبت أنَّه تسبب في خفض الفائدة لبعض الدراسات المستقبلية[2]؛ وقد دعا (بل) بعض المؤسسات المستقبلية المشهورة في الولايات المتحدة الأمريكية إلى تكوين لجنة للصفات الأخلاقية للمستقبليين، تقوم بصياغة نظام خاص لهم -يكون له طابع رسمي فيما بعد- يُبيِّن الصفات المطلوب توافرها فيهم، والتزاماتهم ومسؤولياتهم[3].

المطلب الخامس: المدد الزمنية في الدراسات المستقبلية وأثرها في نجاح الدراسات:

أشهر تصنيف للمدد الزمنية في الدراسات المستقبلية تصنيف (إيرل جوزف Earle Joseph) محرر مجلة (اتجاهات المستقبل) التي تصدرها جمعية المستقبليين في ولاية (مينسوتا)[4] في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو كما يأتي :

« ١- المستقبل المباشر، ويمتد سنة من الآن.

٢- المستقبل القريب، ويمتد من سنة من الآن إلى خمس سنوات.

٣- المستقبل المتوسط، ويمتد من خمس سنوات من الآن إلى عشرين سنة.

٤- المستقبل البعيد، ويمتد من عشرين سنة من الآن إلى خمسين سنة.

٥- المستقبل البعيد [غير المنظور]»[5]، ويبدأ من أكثر من خمسين

---

(١) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ٣٥٧، نقلاً عن: (ريموند فليتشر Raymond Fletcher)، ولم يبين المصدر.

(٢) Martino, Op. Cit., P. 240.

(٣) Bell, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 3, P. 109.

(٤) زايد، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد ١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٢٨؛ وعبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص١٨؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٩٧.

(٥) زايد، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد ١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٢٨، والمعكوفين في المرجع؛ وينظر: عبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص١٨، نقلاً عن:
Earle Joseph, The Trends of Future. (Minnesuota, Feb, 1976). Pp. 25-30.
وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٩٧.

سنة من الآن[١].

ومن فوائد التحديد الزمني للدِّراسةِ القدرةُ على المراجعة والتقويم لدرجة النجاح في الدراسات المستقبلية عند انتهاء زمنها الذي استهدفته، فيمكن حينئذٍ معرفة العوامل التي أدَّت إلى نجاحها والعوامل التي أدَّت إلى تقليل هذا النجاح أو فشل الدراسة[٢]، وإن كان من شروط البحث العلمي بعامة أن تحدد المدة التي يتناولها فإنَّه في الدراسات المستقبلية شرط مؤكَّد عليه[٣].

وتقدير المدى الزمني المناسب للدراسة يُحدِّده غالبًا المجال المراد دراسته، فالدراسات المتعلقة بالبيئة تتناول المستقبل البعيد، والمتعلقة بالتعليم تتناول المستقبل المتوسط[٤]، والمتعلقة بالتجارة تتناول المستقبل المباشر[٥].

وقد قام (آشِر) بإجراء تقويم لعدد من الدراسات المستقبلية في مجال الكهرباء والنفط والسكان وغيرها، مِن التي بلغت المدى الزمني الذي تناولته، فكان من النتائج التي حصل عليها لهذا التقويم: أنَّ الوقت الأفقي للدراسات المستقبلية هو أهم عنصر يتعلق بالدقة في التوقع، وقال: «وعلى الرغم من أنَّ هناك بعض الاستثناءات، إلا أنَّ القاعدة العامة تقول: إنَّ التنبؤات الأقصر مدى تكون أكثر دقة»[٦]، وذكر أمثلة للدراسات التي شملها التقويم، ومنها: دراسة عن «استهلاك النفط لمدة خمس سنوات، كان متوسط الخطأ فيها حوالي (٦٪)... وكان متوسط الخطأ بالنسبة لاستهلاك (١٠) سنوات حوالي (١٣٪)»[٧]، وقد أثبتت التجربة صحة هذه القاعدة حتى مع استخدام أسلوب التشاور المتميز (دلفي) وهو أقوى الأساليب الغربية المعروفة في الدراسات المستقبلية للحصول على دقة التوقع[٨]، وتدل الخبرة

---

(١) المراجع نفسها، والنقل نفسه.

(٢) صالح، في "عـالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير / ١٩٨٨م)، ص ٢٠٢.

(٣) عبد الرحمن، المرجع نفسه، ص١٧.

(٤) المرجع نفسه؛ و Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 32.

(٥) مجدي الشوربجي، **التنبؤ الكمي للمشروعات والحكومات: الأساليب والنماذج والتطبيقات**، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٤هـ)، ص ٢٢.

(٦) Ascher, Op. Cit., P. 7.

(٧) Ibid.

(٨) بتصرف: Martino, Op. Cit., Pp. 24-25.

العملية على أنَّ التوقع الاستكشافي إلى سبع سنوات يمكن الاعتماد عليه بنسبة تتراوح بين (٩٥٪) و (٩٨٪) ولم تتحقق هذه النسبة فيما يزيد عن ذلك(١)، وفي التغيرات الاجتماعية تفيد الخبرة التطبيقية فيها أنَّ أقصى مدى يمكن الحديث عن الدِّقة فيه من حيث الاتجاهات العامة للتوقعات هو خمسة وعشرون عامـاً(٢).

والـخُلاصة: أنَّه كلما طال الزمن الذي تتناوله الدراسة كلما تناقصت دِقَّةُ التوقعات فيها، وكلما كان أقلّ كلما كانت التوقعات أدقّ؛ ولذلك – كما يذكر عدد من المستقبليين- : كان أكثر المستقبليين لا يُعنون بما سيجري في المستقبل غير المنظور (أكثر من خمسين عامـاً)(٣)، وبخاصة في هذا الزمن الذي أصبح التغير فيه أسرع ما يكون، حيث أصبحت مظاهر حياتنا في تبدُّل مستمر، فيستحيل علينا أن نرسم صورة للآتي يصح الركون إليها؛ مما يجعل من العبث أن نطلق أنظارنا إلى مستقبل غير منظور(٤) .

ويرى الباحث أنَّ المدى الزمني المناسب يُحدده هدف الدراسة، وطبيعة القضية، كمـا يرى ألا يزيد المدى الزمني الأعلى للدراسات المستقبلية إجمالاً عن عُمُرِ الجيل، وهو أربعون سنة عند ابن خلدون(٥)، وثلاثون سنة عند بعض المعاصرين(٦)، فينبغي ألا يزيد عن الأربعين؛ لأنَّ الدراسات المستقبلية الحديثة أغلبها مرتبط بالعمل واتخاذ القرارات، ولكل جيل أهدافـه

---

(١) لادا، في "رسالة اليونسكو"، مرجع سابق، العدد ١١٩، (مايو/ ١٩٧١م)، ص٢٣-٢٤.

(٢) حافظ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص١٠٤.

(٣) عبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص١٧؛ وخلاف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص٢٢؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٩٦.

وقد شذ عدد من الدراسات تناولت قرنًا أو قرونًا، مثل: (**حدود النمو**) لنادي روما، و(**العالم بعد ٢٠٠ عـام**) لمجموعة مؤلفين غربيين، والمرجعين الآتيين:

David Kristof & Todd W. Nickerson, **Predictions for the Next Millennium : Thoughts on the 1,000 Years Ahead from Today's Celebrities**.

Adrian Berry, **The Next 500 Years: Life in the Coming Millennium.**

(٤) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص١٠٥؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ١٩٦-١٩٧.

(٥) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج٢، ص٥٠٣، ٥٤٥-٥٤٧.

(٦) سيّار الجمـيْل، **المجايلة التاريخية: فلسفة التكوين التاريخي: نظرية رؤيوية في المعرفة العربية الإسـلامية**، ط١، (عَمَّان، الأهلية، ١٩٩٩م)، ص٦٩.

وهم إنَّما يأخذون النصف الثاني من عمر الإنسان على أنَّه جيله؛ إذ في هذا النصف يكون إنتاجه وفاعليته، أما النصف الأول فهو زمن تكوينه وإعداده وهو جيل الآباء وليس جيله. (المرجع نفسه، ص٧٦).

وطموحاته النابعة من حاله وقدراته وهي تختلف من جيل إلى جيل ؛ ولأنَّ هذه الدراسات تواجه صعوبة في إقناع أبناء الجيل نفسه بجدوى كثير من نتائجها، وهي عن إقناع جيل قادم أعجز؛ إضافة إلى أنّه كلما طال بُعدنا عن الدراسة كلما طويناها في صفحات النسيان، قال مؤلفو (حدود النمو): «إنه كلما كبر المكان وطال الزمان المرتبطين بمشكلة ما، قل عدد الأشخاص الذين يهتمون حقًّا بحلها»[1]، بل وأكَّدت بعض الدراسات التقويمية لعدد من الدراسات المستقبلية- كما يذكر (مارتينو) - : وجود تحول تدريجي منتظم من التفاؤل إلى التشاؤم كلما طال زمن التوقع، فالمستقبليون يشعرون بالتفاؤل والثقة بإمكانية التغلب على صعاب المدى القريب؛ إذ يَعدُّون أنفسهم مسؤولين عنها، وعندما يطول المدى الزمني للدراسة يضعف التفاؤل وتزول الثقة ويحل التشاؤم؛ لكثرة الصعاب والعوائق، وعدم معرفتهم في الوقت الحاضر بالتصور الصحيح للتغلب عليها[2]؛ فتبدو كبيرة، وتجعلهم ينسون أنَّ صعابًا مشابهة لها جرى التغلب عليها في الماضي[3].

ويُنبِّه الباحث إلى أنَّ هناك بعض الأمور تخرج عن الحد الأعلى، فتتجاوزه ولا يؤثِّر في نجاحها، مثل: الأحوال الفلكية المدرَكة بالحساب، وما يعتمد على أساليب إسلامية قادرة على تجاوز حدود الزمان على ما سيأتي بيانه في الأساليب الإسلامية، وبعض القضايا المعتمدة على المنهج الاستهدافي، كالإبقاء على جزء من الغابات ومنع قطعها لمصلحة الأجيال المقبلة، والنهي عن الإسراف والتبذير في استخدامات خيرات الأرض.

المطلب السادس: العوامل المؤثرة في التقليل من نجاح الدراسات المستقبلية :

١-صعوبة القياس بدقة لكثير من المظاهر:

إنَّ توقعات الفلكيين لأوقات الكسوف ناجحة بدقة متناهية، وتوقعات علماء الطقس والأحوال الجوية على درجة كبيرة من النجاح[4]، وكذلك التوقع بقدرة الإنتاج الزراعي لبلد ما على الوفاء بحاجات سكانه[5]، ونحو ذلك من الدراسات القائمة على المعلومات

---

(١) ميدوز وآخرون، مرجع سابق، ص ١٧.

(٢) وعدم مباشرتها أو قربها لهم؛ بحيث يشعرون بالمسؤولية الواجبة عليهم تجاهها.

(٣) Martino, Op. Cit., P. 240.

(٤) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٨٨.

(٥) السيد، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص ١٦٣.

الكمّية، فمعها يسهل إجراء الدراسات المستقبلية، وتزداد نسبة النجاح فيها، وتقل البيانات المطلوبة لها؛ أمّا الدراسات التي تعتمد على المعلومات الكيفية فإنّه يصعب فيها القياس والتفسير والملاحظة، فمن الصعب تصور كيفية تطور نظام سياسي معين، أو تنظيمات اجتماعية محددة، أو حتى اختيارات الناس وأهدافهم وقيمهم ونواياهم[1]؛ لأنّ سلوك الإنسان غير منتظم[2]، لكنْ «يوجد الآن العديد من الطرق الموضوعية لقياس المظاهر الذاتية في العلوم الاجتماعية، ويتم تحسينها باستمرار»[3]، ومع ذلك فقد أمكن في بعض الميادين التوقع بدقة كافية، مثل: السكان، والتعليم، والصحة[4].

٢- التطور بدون أساس :

من أهم معوقات نجاح الدراسات المستقبلية : (التطور الذي يحدث في المجتمع بدون أساس يمكن ملاحظته أو تتبعه)[5]، وهذا المعوِّق يُعطِي -في رأي الباحث- ميزة ينفرد المنهج الإسلامي في التعامل معها بنجاح؛ حيث يمتلك تشريعًا إلهيًا، إذا التزم به المجتمع حمى نفسه من وجود تطورات سلبية لا يمكن مشاهدتها، فيكون محميًا بذلك من حدوثها، وما ينتج عنها من أزمات وكوارث .

٣- التغير المستمر:

إنّ التغير المستمر للظواهر، والشك المستمر في المتغيرات الجديدة، يزيد من صعوبة الدراسات المستقبلية[6]، ويؤثّر على نجاحها، فقد تتحول بعض القيم في المجتمع بشكل

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٦٣-١٦٤؛ و
Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, Pp. 178-179.

(٢) هاريسون براون، **مشكلات المستقبل**، ترجمة محمود محمد موسى، (القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٣م)، ص١٠؛ وآيل، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ٤٧، (أبريل- يونيه/ ١٩٨٢م)، ص٧.

(٣) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 179. by: Charles Turner & Elizabeth Martin (eds.). Surveying Subjective Phenomena, Vol. 1& 2, (New York, Russell Sage Foundation, 1984).

(٤) غيث ومحمد، مرجع سابق، ص ٢٤٩.

(٥) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, Pp. 165-166. by: Donald Michael, "With both feet planted firmly in mid-air: Reflections on thinking about the future", in Futures 17 (April 1985), P. 95.

(٦) رشتا وسولك، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ١، (شعبان/ ١٣٩٠هـ)، ص ٦١.

تراكمي وببطء نتيجة لعوامل داخلية أو خارجية، مع قلة الانتباه للتحول حتى يصل إلى نسب مهمة، ويبدو هذا التحول واضحًا للمتأمل، ولكن المعدل الذي زحف به نحو المجتمع كان بطيئًا جدًا حتى كان من الصعب ملاحظته إلى أن أصبح التحول كبيرًا؛ لذا يجب على المختص أن يضع في اعتباره أية تحولات حديثة، أو اتجاهات في قيم ثقافية معتمدة من قبل المجتمع، كما يجب عليه إدراك أنَّ التوقع قد يصبح باطلاً بتحول لاحق لمثل هذه القيم(١).

حتى مع إمكانية دراسة الظواهر بصورة كمِّية، فإنَّ التطبيق دائمًا يقابل واقعًا متغيرًا مما يتطلب باستمرار تطويرًا في الأساليب والمناهج لمقابلة هذا التغير(٢). وقد أشار (آشر) إلى طريقة-يرى الباحث أنَّها يمكن أن تُفيد في تلافي تأثير هذا العامل أو التقليل منه، وبخاصة في الدراسات بعيدة المدى- وهي: أنَّه عند إجراء الدراسات المستقبلية التي تتطلب جهودًا كبيرة، وتكون مستهلكة لكثير من الوقت والمال، فإنَّه ينبغي أن يُصمَّم (النموذج) للدِّراسة المحددة بصورة محكمة ومتقنة، بحيث يظل محتفظًا بكفاءته لمدة طويلة، مع إمكانية إعادة تقويم القياسات فيه كل فترة زمنية حتى تواكب تقدم الزمان وتغير الأحوال، بطريقة يسيرة وغير مكلفة(٣).

٤- التفاعل المتزايد بين القطاعات المؤدي إلى التعقيد:

إنَّ التغير المستمر أدى إلى التفاعل المتزايد بين القطاعات المختلفة، وقد أدَّيا مع غيرهما إلى جعل الدراسات المستقبلية عملية في غاية التعقيد(٤)، وليس هناك طريقة للتقليل من هذا التفاعل؛ لأنَّه متأصل في النشاط الاجتماعي المتبادل(٥)، كما أنَّ الدراسات المستقبلية لا تكون دقيقة وفاعلة إلا إذا كانت معقدة، أي إذا تضمنت(٦) «جميع قطاعات الحياة البشرية، حتى تلك التي قد لا تبدو ديناميكية في الوقت الحاضر، إذ إن الحركة في أي اتجاه على أبعاد متعددة تحدث شدًا قويًا بين القطاعات الساكنة والمناطق التي تتعرض للتغيير»(٧).

---

(١) Martino, Op. Cit., Pp. 232-233.

(٢) حافظ، في "الدراسات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٣) Ascher, Op. Cit., Pp. 5-6.

(٤) رشتا وسولك، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ١، (شعبان/ ١٣٩٠هـ)، ص ٦١.

(٥) Ascher, Op. Cit., P.33.

(٦) رشتا وسولك، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ١، (شعبان/ ١٣٩٠هـ)، ص ٦٢.

(٧) المرجع نفسه.

وإن كانت دراسة التعقيد تُعدُّ من ميزات الدراسات المستقبلية وبخاصة التي تجريها المؤسسات المستقبلية(١)، وتُعدُّ دراسته من أسس نجاحها إلا أنّه يؤدي إلى أمرين لهما أثر سلبي في نجاح الدراسات المستقبلية ، هما(٢):

أ-الجهل بالقوانين الرئيسة لبعض الظواهر.

ب-صعوبة تحديد المتغيرات المؤثرة.

وقد عُني المستقبليون -وغيرهم- بدراسة التعقيد، فكان موضوع كثير من المناقشات في الدراسات المستقبلية في السنوات الأخيرة(٣).

٥- المفاجآت :

يُدرِكُ المستقبليون أنَّ المستقبل محمَّل بالمفاجآت، وبأحداث يصعب توقعها، وبطوارئ قد تغير مجرى الأمور؛ لذلك تُبنى دراساتهم على اشتراطات معيَّنة، تُخرجها من الحكم عليها بالفشل في حال وقوع شيء من تلك الأمور(٤).

وإذا كانت الدراسات المستقبلية متعددة الأهداف، ومن أهدافها التأثير على متخذي القرارات، وإتاحة اختيارات أكثر لهم، فإنَّ الباحث يرى أنَّ الاشتراطات غير كافية في سلامة الدراسات المستقبلية من الفشل، ويذهب إلى رأي خلّاف :« أن فكرة احتمال المفاجآت فكرة أساسية لابد أن يأخذ بها أصحاب الدراسات المستقبلية والأصح أن يتسع مدلولها ليشمل كل التطورات المحتمل حدوثها بغير مقدمات – أو العوامل غير المنظورة عيانًا وقت البحث.

وكلما اتسع أفق التصور العام ...[و] الخاص بموضوع معين ساعد ذلك في استيعاب أكبر قدر ممكن من العوامل غير المنظورة آنيًا، وفي توقع المفاجآت المرتبطة بمستقبل المسألة موضع الرصد، مما يؤدي إلى مزيد من الدقة والسداد في نتائج الدراسة.

ويمكن في حالات استحالة حصر جميع المفاجآت المحتملة – ويحدث ذلك عادة في البحوث المستقبلية المتصلة بعدد كبير من المتغيرات كتصور دور الأمم المتحدة مثلاً أو في

---

(١) الموسوعة الفرنسية العالمية، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد ١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٢٢١.
Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 20.

(٢) بيجاتيول، في "رسالة اليونسكو"، مرجع سابق، العدد ١١٩، (مايو/١٩٧١م)، ص٣٠.

(٣) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 19.

(٤) عبد الدائم، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص ١٨-١٩، ٤٤-٤٥.

البحوث المتصلة بالمستقبل البعيد، ما فوق ٥٠ سنة – يمكن أن يعوض عن ذلك بتخيل أنواع المفاجآت المحتملة واتجاهاتها العامة دون الدخول في تفاصيلها أو أحجامها»[١].

ومن أمثلة المفاجآت التي وقعت ولم تكن في حساب المختصين في الدراسات المستقبلية في المجال المحدد، ما يتعلق بحرب (فيتنام) من قِبل الولايات المتحدة الأمريكية، إذ لم تظهر توقعات «بالاحتجاجات والعصيان المدني ولا الشغب وثورات الجامعات، ولم يكن أحد مستعدًا لها[٢] عندما حدثت»[٣]؛ «وحين فوجئت أمريكا مثلاً في عام (١٩٧٩) بالأحداث الإيرانية الصاخبة[٤] ثارت ثائرة الكثيرين داخل الولايات المتحدة لعدم إمكان التنبؤ مسبقًا بهذه الأحداث وحجمها، وقامت على الفور مجموعة عمل خاصة على مستوى عال مكونة من عدة أجهزة بدراسة لنشاط وكالات المخابرات ودور المؤسسات الأمريكية العاملة في بحوث المستقبل والتنبؤ وذلك بهدف تحسين قدرتها على التنبؤ بالقلاقل السياسية وخاصة في البلاد ذات الأهمية المتميزة بالنسبة للولايات المتحدة»[٥].

فعنصر المفاجأة يقلل من النجاح في الدراسات المستقبلية. والدراسات التي تحاول استيعاب المفاجآت تكون أقل عرضة للفشل من التي تهملها وتُخرجها بالاشتراطات، لكن ينبغي – حسب رأي الباحث – التقليل من تضمين الدراسة مفاجآت، إما بالاقتصار على المفاجآت المحتملة، أو تخير مفاجآت لها تأثير كبير في موضوع الدراسة؛ لأنَّ المفاجآت ليس لها حصر، والإكثار من إيرادها يشتت الدراسة ويصيبها بالخلل، وتُحدث للمطلع عليها تشويشًا وعدم وضوح في الرؤية.

٦– التكلفة العالية لإجراء الدراسات المستقبلية :

هذه من المعوقات التي تقف أمام إجراء الدراسات المستقبلية ابتداءً، أو – كما يذكر (آشر) – تؤدي إلى إجبار القائمين على التوقع في بعض المجالات على أن يعتمدوا في المجالات الأخرى على ما سبق إصداره أيًّا كان، حتى ولو كان قديمًا مهملاً، ويَقترح

---

(١) **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص ٢٢-٢٣ .

(٢) أي لتلك الأمور من الاحتجاجات وغيرها مما حدث في أمريكا آنذاك .

(٣) Bell, **Foundations of Futures Studies**,Op. Cit., Vol. 1, P.38.

(٤) عندما أُطيح بالشاه ملك إيران، وترأس الخميني البلاد، وغيَّر نظام الحكم فيها.

(٥) خلاَّف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص ٧٦ .

أن تُجرى دراسات حديثة غير مكلفة يُعتمد عليها، مثل الدراسات القائمة على أسلوب التشاور المتميز (دلفي)؛ لأنَّها من المحتمل أن تكون أكثر دقة من الدراسات المكلفة المحْكَمة القديمة[1]، كما يمكن الاستفادة من الطريقة التي أشار إليها هو ونقلها الباحث في فقرة سابقة[2]، وهي تصميم (نموذج) قابل لتغيير القياسات فيه في كل فترة زمنية بصورة سهلة.

إنَّ تلك العوامل والصعوبات التي تواجه نجاح الدراسات المستقبلية -على وجاهتها- لا تمنع من الاستمرار في القيام بالدراسات المستقبلية، فإنَّه "قد يذهب بعض الباحثين إلى القول بأنَّ التخطيط ينبغي أن ينتظر حتى يمكن الحصول على كل الحقائق، وأن على عالم الاجتماع ألاَّ يقدم توصياته إلى واضعي السياسة الاجتماعية، بل عليه أن يتريث حتى يصبح متأكدًا من كل الحقائق على اختلاف أنواعها ودرجاتها. وربما كان هذا الموقف سليمًا من الناحية النظرية، ولكنه غير واقعي من الناحية التطبيقية، فالتخطيط يجب أن يعمل عن طريق شخص ما، مهما كان قائمًا على علم محقق أو على ظن أو تصور أو أي شيء آخر وهذا ضروري لأن التغير الاجتماعي لن ينتظر. ويقول روبرت ليند Robert Lynd سواء اشترك العلماء أو لم يشتركوا فسوف يبحث الناس عن أهدافهم وسوف يبحثون عن وسائل بلوغها وسوف يضعون الخطط"[3]، والحال في الدراسات المستقبلية مثل هذا تمامًا.

(١) Ascher, Op. Cit., Pp. 31-32.

(٢) ص ٢٤٢.

(٣) غيث ومحمد، مرجع سابق، ص ٢٦٨-٢٦٩ .

خاتـــمة :

أوضح هذا الفصل أن الدراسات المستقبلية تُعدُّ مجمعًا لاختصاصات علمية متنوعة، تقوم بالتوليف بينها في دراسات بينية موحَدة؛ كما بيَّن أن الدراسات المســتقبلية في إجراءاتهــا الخاصة تُعوِّل على بعض العلوم والفنون، وتستفيد من أساليبها .

ويخلص الباحث -من خلال هذا الفصل- إلى أنَّ نجاح الدراسات المستقبلية وفائــدتها محسومتان لدى المستقبليين، ولا يَشكون فيهما، وإنَّما جدلهم حول الأســاليب والمنــاهج المناسبة، وتطويرها، واستحداث أخرى، وتذليل الصعوبات، وإزاحــة العراقيــل، وحــلّ المشكلات، وجعل طريقتهم أكثر وضوحًا وأشدَّ تنظيمًا.

الفصل الخامس

أهم الدراسات المستقبلية العالمية، والعربية، والإسلامية

المبحث الأول : الدراسات العالمية

المبحث الثاني : الدراسات العربية

المبحث الثالث: الدراسات الإسلامية

المبحث الأول

الدراسات العالمية

تمهيد :

يُعنى هذا المبحث باستعراض أهم الدراسات المستقبلية التي تناولت العالم بأجمعه، بدراسة بعض متغيراته العامة، فقد تَركَّز - خلال السبعينيات الميلادية من القرن العشرين - النشاط البحثي في الدراسات المستقبلية حول بناء عدد من (النماذج) التي تهدف إلى تحليل المشكلات ذات الطابع الإقليمي والدولي(١)، ويُقصد بالنماذج هنا : أنه استخدام للأساليب الرياضية في دراسة العلاقات القائمة في كل متغير يُراد دراسته، وبينه وبين متغير آخر أو أكثر في الدراسة(٢).

وجرى الاعتماد على (النماذج) في دراسة مستقبل المشكلات العالمية للأسباب التالية:

«١-تعقد المشاكل بسبب نمو العلاقات المتبادلة لمجالات متعددة.

٢-المستوى العالي للتَّغيرات الاجتماعية المستمرة، والتي تعود بشكل خاص للتطورات العلمية والتقنية ...

٣-الحاجة إلى الدقة التحليلية في تحليل التعقيد»(٣).

يقول خورشيد: «وحيث إن المشكلات الدولية تتميز بتعقيدها وارتباطها المتبادل فإن النماذج العالمية تمثل من وجهة نظرنا أداة فعالة لتقييم الآثار المباشرة وغير المباشرة للقرارات التي يتم اتخاذها سواء على المستوى الإقليمي أو الدولي»(٤)، فمعدو النماذج يَرَون: أن العقل الإنساني لا يستطيع الإحاطة بكل المعطيات اللازمة لهذا الاستطلاع الممتد في المستقبل؛ ولذلك يعتمدون الحواسيب للحصول على الشمول الموضوعي والامتداد الزماني(٥).

---

(١) معتز خورشيد، "النماذج الرياضية والمحاكاة في اتخاذ القرارات والدراسات المستقبلية"، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص١٠٣.

(٢) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٣) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 81.

(٤) في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص ١٠٣.

(٥) صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص ١٧٧.

وأهم النماذج العالمية التي ظهرت ما يلي:

١- نموذج (حدود النمو)، وسيلي هذا عرض مفصَّل له .

٢- نموذج (البشرية في نقطة تحول)، وسيأتي عرض موجز له[١].

٣- نموذج (استراتيجية البقاء)، أعدَّه فرع (نادي روما) في مدينة (طوكيو) في (اليابان)، عام (١٩٧٤م)[٢].

٤- نموذج (باريلوتشي) : (كارثة أم مجتمع جديد؟)، وسيأتي عرض موجز له[٣].

٥- نموذج (مستقبل الاقتصاد العالمي The Future of The World Economy)، ويُعرف أيضًا بنموذج (ليونتيف)، نسبة إلى مُعدِّه (Wassilj Leontief)، وتميَّز بالتفاؤل تجاه المظاهر البيئية والاقتصادية، ونُشر عام (١٩٧٧م)[٤].

٦- نموذج (اليونيدو UNIDO) للتعاون الصناعي العالمي، وهو مشروع مشترك بين مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، ومنظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية، ويُركِّز على قضايا الاقتصاد العالمي[٥].

٧- نموذج (العالم سنة ٢٠٠٠ The Global 2000)، أعدَّه فريق بإشراف: (جيرالد باربي Gerald Barney) للحكومة الأمريكية في أواخر السبعينيات الميلادية[٦]، وعُرضت نتائجه في مجالات: السكان، والدخل القومي الإجمالي، والغذاء، والطاقة، والتقنية[٧].

---

(١) ص ٢٦١.

(٢) صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص ١٦٨-١٧٠.

(٣) ص ٢٦٤.

(٤) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 121.

وينظر: صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص١٧٠- ١٧٣؛ وعبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٣٠؛ وخورشيد، المرجع نفسه، ص١٠٧.

(٥) خورشيد، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص١٠٧، ١٠٨.

(٦) هلال، في إبراهيم وآخرين، مرجع سابق، ص٢٧؛ و

Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., Pp. 62, 123-124.

(٧) هلال، المرجع نفسه، ص٢٧.

٨- نموذج (ساروم Sarum)، أُعدَّ بإشراف هيئة البيئة البريطانية، وركَّز على إمكانية التوسع الزراعي[١].

٩- نموذج المستقبلات الدولية، أشرفت عليه منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية، عام (١٩٧٩م)[٢].

١٠- نموذج (الريو RIO) (إعادة تكوين النظام العالمي Reshaping the International Order)[٣].

١١- نموذج (جلوبس Globus) أُعدَّ في (برلين) الغربية عام (١٩٨٨م)، وهو أكثر النماذج العالمية تعقيدًا[٤].

١٢- نموذج هيئة الجنوب (the South Commission) ظهر عام (١٩٩٠م)، يُؤكِّد على حاجة الدول النامية إلى أن تحلَّ مشاكلها بنفسها، وأن تتعاون فيما بينها[٥].

وفيما يلي عرض لثلاثة نماذج عالمية، يمثل الأول والثاني منها مسار أكثر النماذج العالمية التي تنطلق من النظرة الغربية للعالم، ويمثل النموذج الثالث - نموذج باريلوتشي- نظرة الشعوب الأخرى الفقيرة، ويخالف فيها النظرة الغربية.

المطلب الأول: تقرير (حدود النمو The Limits to Growth) :

١- شهرته وأهميته:

يُعدُّ تقرير (حدود النمو) - حتى اليوم - من أشهر الدراسات المستقبلية التي تناولت ظواهر تعمُّ العالم بأجمعه[٦]، فقد تُرجم إلى تسعة وعشرين لغةً، وبيع منه أكثر من تسعة

---

(١) عبد الرحمن، في "عـالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٢٨.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٠.

(٣) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 122.

(٤) Ibid., P. 125.

(٥) Ibid.

(٦) Ibid., P. 115.
Moll, in Slaughter, **The Knowledge Base**, Op. Cit., Vol. 1, P. 19.

ملايين نسخة في أنحاء العالم[1]، وكان له أثر ظاهر في الرأي العام، وبعض القادة، حتى قادة الدول الكبار[2].

٢- الظواهر التي تناولتها الدراسات:

قام فريق دولي بقيادة (دنيس ميدوز Dennis Meadows) - بَعد عدد من الاجتماعات والمؤتمرات- بدراسة خمسة عوامل رئيسة، هي: السكان، والإنتاج الزراعي، والموارد الطبعية، والإنتاج الصناعي، والتلوث، رأو أنَّ لها أثرًا بالغًا في النمو على الأرض، ووضْع الخطوط النهائية له، ومَوَّلت هذه الدراسات مؤسسةُ (فولكس فاجن)، وقد خرجت خلاصة ما قاموا به من دراسات ونتائجها في تقرير أطلقوا عليه: (حدود النمو)، نُشِر عام (١٩٧٢م)[3].

٣- أهداف الدراسات:

يذكرون أن هدفهم من هذه الدراسات : «هو تقديم تحذيرات عن أزمة عالمية محتملة إذا سمح لهذه الاتجاهات بالاستمرار، وبهذا نتيح فرصة لإجراء تغييرات في أنظمتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية حتى نضمن أن هذه الأزمات لن تحدث»[4]، فالتقرير "يقدم مقترحات تجريبية بشأن حالة العالم مستقبلاً، ويفتح احتمالات جديدة لمواصلة السعي ثقافياً وعملياً لتشكيل هذا المستقبل»[5].

---

(١) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 40. by: Sam Cole, "Learning to Love Limits", Futures 25, No. 7 (September), P. 814.

(٢) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., Pp. 116, 117.

Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 47.

(٣) وليم واتس (تقديم)، في ميدوز وآخرين، مرجع سابق، ص ١٣-١٤؛ وينظر: ميدوز وآخرون، ص ٤، ٢٣. والشريك الرئيس لميدوز هو (فوستر)، وكلاهما عالمان أمريكيان. (عبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص ١٢، ٢٥).

(٤) ميدوز وآخرون، مرجع سابق، ص ١٥٥-١٥٦ .

(٥) المرجع نفسه (تعقيب)، ص ١٥٥-١٥٦ .

٤- حدود الدراسات :

تناولت دراساتهم المدة من عام (١٩٠٠م) إلى عام (٢١٠٠م)، وكانت التوقعات مجرد مؤشرات للاتجاهات السلوكية للنظام[١]، و تناولت من الناحية الجغرافية العالم كله[٢].

٥- الخطوات المتبعة في الدراسات:

يصف معدو التقرير الخطوات الرئيسة التي اتبعوها في دراساتهم بما يلي:

أ- بيان العلاقات المهمة بين الظواهر الخمسة، ومتابعة تركيب حلقات (التغذية الاسترجاعية)، وذلك بالرجوع إلى المراجع والمختصين؛ بهدف الحصول على أهم التركيبات الأساسية للتفاعلات بين الظواهر.

ب- تقدير كمية كل علاقة استنادًا إلى بيانات عالمية أو محلية .

ج- حساب العمليات التي تجري بين هذه العلاقات جميعها في وقت واحد، بواسطة الحواسيب، ثم اختيار أثر التغييرات العديدة في الافتراضات الأساسية، لإيجاد أخطر العوامل التي تحدد سير النظام.

د- اختبار أثر السياسات المختلفة التي تقترح الآن لتحسين سير النظام على النظام العالمي أو لتغييره[٣]، وهو ما يُعبَّر عنه بالتوقعات المشروطة .

وقد قدَّموا نتائج دراساتهم - قبل اعتماد التقرير - في اجتماعين دوليين، عُقدا عام (١٩٧١م)، في (موسكو) في (روسيا)، و(ريو دي جانيرو) في (البرازيل)، كما قُدِّمت مسودة التقرير إلى أربعين شخصًا تقريبًا، أغلبهم من (نادي روما)؛ لتقديم تعليقاتهم عليه[٤].

٦- خلاصة النتائج التي توصلت إليها الدراسات:

يُلخِّصون ما توصلت إليه دراساتهم بالنقاط التالية:

أ- «إذا استمرت اتجاهات النمو الحالية في سكان العالم، والتصنيع، والتلوث وإنتاج الطعام، واستنفاد الموارد، بلا تغيير، فسوف يتم الوصول إلى حدود النمو فوق هذا الكوكب

(١) نفسه، ص ٨٢ . و"النظام هو مجموعة ...من الأجزاء أو الكيانات يتفاعل بعضها مع البعض الآخر، ومع البيئة المحيطة بها، بهدف الوصول إلى هدف مشترك". (خورشيد، في "عـالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٧٥).

(٢) عبد الرحمن، في "عـالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٢٦.

(٣) ميدوز وآخرون، مرجع سابق، ص ٧٩-٨٠ .

(٤) المرجع نفسه (تعقيب)، ص ١٥٦ .

في وقت ما خلال المائة عام القادمة.. وأكثر النتائج ترجيحًا، هو حدوث نقص مفـــاجئ لا يمكن السيطرة عليه في السكان والقدرة الصناعية معًا[1]".

---

(١) بسبب أنّ المعدّل للاستعمالات الحالية للموارد المستخرجة من الأرض، والزيادة المنتظرة في هـــذه المعـــدلات؛ لازدياد الطلب على الموارد بالنسبة للفرد؛ نتيجة للزيادة السكّانية، سوف يجعل أغلب الموارد- غـــير المتجـــددة والمهمة حالـــيًا - باهظة الثمن جدًّا بعد مائة عام من إعداد هذه الدراسات. (ميدوز وآخرون، مرجع ســـابق، ص٦١، ٦٣). كما أن العوامل الخمسة المدروسة " يتفاعل كل منها مع الآخر باستمرار... فلا يمكن أن ينمـــو السكان بلا طعام، وإنتاج الطعام يزيد بنمو رأس المال، والمزيد من رأس المال يتطلب المزيد من الموارد، والموارد التي تنبذ تصبح تلوثًا، والتلوث، يتدخل في نمو السكان والطعام معًا " (المرجع نفسه، ص٧٨)، وقد "نما سكان العالم من بليون إلى بليونين خلال فترة تزيد على مائة عام، ثم أضيف البليون الثالث في ثلاثين عامـــًا، وأمـــام سكان العالم الآن أقل من ٢٠ عامـــًا للاستعداد للبليون الرابع. وقد يصل البليون الخامس والسادس بل ربمـــا السابع قبل عام ٢٠٠٠ أي بعد أقل من ٣٠ عامـــًا من الآن ". (نفسه، ص١٢٤)، وقد بلغ فعلاً عدد ســـكان العالم ستة بلايين، عام ٢٠٠٠م)، ومن الأمثلة لأثر التزايد السكاني في زيادة التلوث: أنّ ازديادهم يتطلب زيادة التنمية الاقتصادية وهي تعني استخدام المزيد من الطاقة لزيادة الإنتاج، ويُعلم أنّه في الوقت الحالي يأتي ٩٧٪ من إنتاج الطاقة الصناعية للجنس البشري من الوقود المستخرج من الأرض: (الفحم، والنفط، والغاز الطبيعـــي)، وعندما تحترق هذه الأنواع من الوقود، فإنها تطلق بين ما تطلقه من مواد أخرى، ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي، ويزداد هذا الإطلاق بصورة أُسّية. (نفسه، ص ٦٥-٦٦، نقلاً عـــن: قســـم الشـــؤون الاقتصـــادية والاجتماعية بالأمم المتحدة، **الكتاب السنوي للإحصاءات ١٩٦٩**، (نيويورك، الأمـــم المتحـــدة، ١٩٧٠م، ص٤٠). ويؤثّر التلوث على حياة الإنسان، ويصل من الشدة إلى حد يكفي لتخفيض متوسط العمر المتوقع إلى ٩٠٪ من قدره بدون وجود تلوث (نفسه، ص٩٧).

وفي المجال الزراعي تُستغلّ أراضٍ "جديدة، ولكن في الوقت نفسه تؤخذ بعض الأراضي الصـــالحة للزراعـــة لاستخدامها من أجل الصناعة في المدن وتتآكل بعض الأراضي نتيجة للأعمال الزراعية ذات التمويل المرتفع إلى أن يتم في النهاية الوصول إلى حدود الأراضي الصالحة للزراعة، وبعد تلك المرحلة. ومع استمرار الســـكان في الزيادة يتناقص الطعام بالنسبة للفرد وعندما يصبح نقص الطعام ظاهرًا، يتحول الإنتـــاج الصـــناعي إلى رؤوس أموال زراعية لزيادة إنتاج الأرض، ويقل رأس المال المتاح للاستثمارات وأخيرًا يبدأ الإنتاج الصناعي بالنســـبة للفرد في الهبوط.. وعندما ينخفض الطعام بالنسبة للفرد إلى مستوى القوت الضروري، يبدأ معدل الوفيات في الزيادة ويضع نهاية للنمو السكاني". (ميدوز وآخرون، مرجع سابق، ص ١١٣-١١٤، والـــنقط في المرجـــع). ويشيرون إلى جملة من الحلول الزراعية الممكنة، ثم يفندونها جميعها، فارتفاع التكلفة لتهيئة الأراضي غير الصالحة للزراعة يُعدُّ عائقًا كبيرًا، وعدم وجود مجال لتوسيع رقعة الزراعة في بعض البلاد يُعدُّ عائقًا، وقلة الماء العذب في الأرض يُعدُّ عائقًا . (نفسه، ص٤٤-٤٥، ٤٨) . وقد ظهر جليـــًا بعض هذه العوائق بعد نحو ٣٠ عامـــًا فقط من دراساتهم، ففي السعودية أعلن وزير الزراعة عن قرار بوقف زراعة الأعلاف الخضراء بشكل نهائي، ضـــمن خطة تستهدف المحافظة على مصادر المياه. (صحيفة الاقتصادية، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، الريـــاض: العدد:٣٣٠٠، (١٤٢٣/٨/١٧هـــ)، ص١).

ب- «في الاستطاعة تغيير اتجاهات النمو هذه، وإيجاد حالة من الاستقرار البيئي والاقتصادي المحتمل لفترة طويلة مستقبلاً، ومن الممكن إعداد تخطيط لحالة توازن عالمي، بحيث يتم إشباع الاحتياجات المادية الأساسية لكل شخص على ظهر الأرض، وتكون لكل شخص فرصة متكافئة لإدارك قدرته البشرية الفردية».

ج- «إذا قررت شعوب العالم أن تسعى لبلوغ هذه النتيجة الثانية بدلاً من الأولى فإنها كلما عجلت بالبدء في العمل لتحقيقها، كانت فرص نجاحها أكبر»[(١)].

ويقولون: «وهكذا نستطيع القول ببعض الثقة أنه مع افتراض عدم حدوث تغيير هام في النظام الحالي، فإن النمو السكاني والصناعي سوف يتوقف بكل تأكيد خلال القرن التالي على أكثر تقدير»[(٢)]، ولم يهملوا ما يمكن أن يُقدِّمه التقدم العلمي والتقني في تلافي الخطر المتوقع، لكنهم قدَّروا أن مفعوله سيكون دون المستوى المطلوب؛ لذلك ركزوا على تغيير السياسة الإنمائية[(٣)]، ففي ظِل بحثهم لنتيجة أفضل، يقترحون عددًا من السياسات؛ للحصول على نتيجة نموذجية تمثل نظامـًا عالميـًّا يكون: من الممكن دعمه دون انهيار مفاجئ لا يمكن السيطرة عليه؛ ويكون قادرًا على إشباع الاحتياجات المادية الأساسية لكل شعوبه[(٤)].

ويجعلون مقياس (إشباع الاحتياجات) هنا: (المتوسط الإجمالي لدخل الفرد الأوروبي في بداية السبعينيات الميلادية، وهو نحو(١٨٠٠) دولار أمريكي شهريـًّا)[(٥)].

تبدأ تلك السياسات بتخفيض معدل المواليد ليتعادل مع معدل الوفيات، بمعنى: أن يكون عدد الأطفال الذين يولدون كل عام مساويًا للعدد المتوقع من الوفيات بين السكان في ذلك العام، وإذا حصل نقص في معدل الوفيات فإنَّه يجري الإنقاص لمعدل المواليد في نفس الوقت[(٦)]، ويجعلون وسائل الإنقاص مفتوحة؛ لكي تشمل أية وسيلة للسيطرة على الإنجاب،

---

(١) الفقرات الثلاث جميعها، ميدوز وآخرون، مرجع سابق، ص ٢١-٢٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠٥ .

(٣) نفسه، ص ١١٩-١٢٠؛ وينظر: صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص ١٥٩.

(٤) ميدوز وآخرون، مرجع سابق، ص ١٣١.

(٥) المرجع نفسه، ص١٣٦ .

(٦) نفسه، ص ١٣١-١٣٢.

مثل: وسائل منع الحمل، والإجهاض، ونحو ذلك[1]؛ فإذا حصلنا على التوازن المطلوب بين المواليد والوفيات فإنَّه يؤدي إلى أن يظل عدد السكان ثابتــًا، ويؤدي إلى نمو سريع جــدًّا للدخل والطعام والخدمات بالنسبة للفرد، إلا أنه سرعان ما يتوقف بسبب نضوب المــوارد غير المتجددة، وعندئذ يرتفع معدل الوفيات، لكنَّ العدد الإجمالي للسكان لا ينقص بســبب معادلة معدل المواليد بمعدل الوفيات.

لذا إذا أُريد نظام مستقرٌّ لا يؤدي إلى التجاوز والانهيار فلا بد من تثبيت عدد السكان مع تثبيت رأس المال فيكون معدل الاستثمار مساويــًا لمعدل الاستنــزاف[2]؛ وهذا التثبيت هو ما يطلقون عليه: (التوازن)[3]، "ولكن في النهاية يؤدي نقص الموارد إلى الإقــلال مــن الإنتاج الصناعي، وتدهور الحالة الثابتة مؤقتًا"[4].

ولذلك يقترحون عددًا من السياسات[5]، تتلخص بالآتي:

أ-تثبيت عدد السكان كما سبق، وتثبيت رأس المال.

ب-تخفيض استهلاك الموارد غير المتجددة.

ج-تحويل الأفضليات الاقتصادية للمجتمع نحو الخدمات، مثل: التعليم، والصحة؛ لزيادة التقليل من التلوث واستنــزاف الموارد.

د-تخفيض "توليد التلوث بالنسبة للوحدة من الإنتاج الصناعي والزراعي إلى ربع القدر في عام ١٩٧٠" .

هـ -التأكيد على أولوية تحسين التربة الزراعية وصيانتها؛ لأنَّ الاستثمار في الزراعــة سيرتفع، بسبب ضرورة إنتاج الطعام الكافي، وهذا ســيؤدي إلى تآكــل التربــة بســرعة واستنــزاف خصوبتها.

---

(١) نفسه، ص٩٤.

(٢) نفسه، ص١٣٣ .

(٣) نفسه، ص١٤٠، ويُعرِّفون حالة التوازن العالمي: "بأنها هي الحالة التي يكون فيها السكان ورأس المال ثابتين بصفة أساسية، بينما تكون القوى التي تميل لزيادتهما أو انتقاصهما في توازن محكوم بدقة"، (نفسه، ص١٤١).

(٤) نفسه، ص١٣٤ .

(٥) نفسه، ص١٣٥-١٣٦ .

وبهذا يحصل السكان على متوسط دخل جيد، لكن ما زالـــت المـــوارد تستنـــــزف تدريجيًّا، غير أن معدل الاستنـــزاف بطيء جدًّا[1].

إنَّ تلك السياسات لابدَّ - بزعـــمهم - أن تـــأخذ حيّز التنفيذ بـــدءً مـــــن عـــام (١٩٧٥م)، وتأخيرها خمسة وعشرون سنة حتى عام (٢٠٠٠م) لا يُعطي النتائج نفســـها؛ بسبب الزيادات (الأُسِّيَّة)[2] (٤،٨،١٦، ...) خلال هذه المدة[3]، و"الزيادة الأسِّيَّة خادعة، لأنها تولد أعدادًا هائلة بسرعة بالغة "[4].

ويحثُّ التقرير على اتخاذ إجراءات عملية، وعدم تأجيلها؛ إذ إن " كل يوم يستمر فيـــه النمو الأسّي، يقرّب النظام العالمي من الحدود النهائية للنمو، والقرار بعـــدم القيـــام بـــأي عمل... قرار يزيد خطر الانهيار.. ونحن لا يمكننا أن نقول بتأكيد إلى متى يستطيع الجـــنس البشري تأجيل بدء السيطرة الحاسمة على نموه وقبل أن تضيع فرصة التحكم فيـــه.. وعلـــى أساس المعلومات الحاضرة عن القيود الطبيعية لكوكبنا، فإننا نشك في أن مرحلة النمو لـــن تستطيع الاستمرار لمائة عام أخرى..ونقول مرة أخرى إنه نظرًا لفترات التأخير في النظـــام، فإن المجتمع العالمي إذا انتظر إلى أن تصبح هذه القيود ظاهرة بوضوح، فإنه سيكون قد انتظر طويلاً جدًّا"[5].

وهم يدعون إلى وضع خطط مرسومة لتنفيذ تلك الأفكار، عن طريق التدخل لتغـــيير القيم والأهداف في كل دولة على حدة، وتغيير التعليم والأنشـــطة، واســـتبدال المصـــالح، وإحداث تغييرات في هياكل المؤسسات العالمية: السياسية، والاقتصادية، وفي هذا يقولـــون: "وأخيرًا..فإننا نؤكد أن أية محاولة حاسمة لتحقيق حالة معقولة من التـــوازن عـــن طريـــق إجراءات مرسومة وليس بطريق المصادفة أو بعد الكارثة، يجب أن تقوم في النهاية على تغيير أسس القيم والأهداف في كل دولة على حدة، وعلى مستويات عالمية.

---

(١) نفسه، ص١٣٦ .

(٢) "الأُسُّ في الحساب: العدد الدال على قوة الكمية؛ فالقوة الثانية أسُّها ٢ والقوة الثالثة أسُّها ٣ وهكذا". (مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، ج١، ص١٧) .

(٣) ميدوز وآخرون، مرجع سابق، ص١٣٨ .

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٥.

(٥) نفسه، ص ١٥٣-١٥٤.

وربما كان هذا التغيير قد بدأ في الجو فعلاً وإن كان لا يزال خافتًا، إلا أن تقاليـــدنا، وتعليمنا، وأنشطتنا، ومصالحنا الحالية سوف تجعل التحول شاقــًا وبطيئًا. والفهم الحقيقـــي للوضع الإنساني في هذه النقطة التاريخية من التحول، هو وحده الذي يســـتطيع أن يهيـــئ حافزًا كافيًا للناس لتقبل التضحيات الفردية، والتغييرات في هياكـــل ســـلطاتنا السياســـية والاقتصادية اللازمة لبلوغ حالة التوازن »[1].

وهكذا يتضح أن التقرير يتجاوز الحدود النظرية، فيدعو - بقوة - إلى بـــدء مرحلـــة عملية تنال دول العالم، في ظل غياب إسلامي عن المشاركة في بناء النماذج العالمية، وغياب بناء نموذج إسلامي عالمي ينطلق من النظرة الإسلامية .

٧- تعليق على تقرير (حدود النمو) ودراساته:

كان للدِّراسات التي أعدَّها أعضاء (نادي روما)، والتي صدر عنها تقرير (حدود النمو) إسهامات جيدة في عدد من الجوانب في الدراسات المستقبلية : فتركيزهم على الكُلِّيَّة والعالمية يُعدُّ من الأمور الجديدة، وإسهامهم بدراسة التلوث وتفاعله أدى إلى تقدُّم التفكير البيئي[2]، واستخدامهم الحاسوب في اختبار المسار للسلوك البشري يُعدُّ لا سابق له[3]، كما أنَّهم أسهموا في لفت الأنظار إلى التفاعل الوثيق بين الجوانب المختلفة لأبرز المشكلات العالمية، وتقوية الاستخدام لأسلوب الأنساق الكُلِّية، وهي تُعدُّ إضافة علمية جوهرية في مجال دراسة تطور العالم[4]،كما أسهموا في تقدُّم أسلوب المحاكاة والتشبيه وبناء النماذج واستخدامها في الدراسات المستقبلية[5]؛ وعلى الرغم من أن مؤلفين آخرين "كتبوا عن مشاكل عديدة تتعلق بالنمو، من النمو السكاني إلى الانحلال البيئي... لكن لم يتطرق أحد قبل مؤلفي ((الحدود)) في التعامل بآن واحد مع متغيرات رئيسة متعددة تتعلق ببقاء الجنس

---

(١) نفسه، ص ١٦٠- ١٦٥.

(٢) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 46.

(٣) الشرق الأوسط، "نظرية (حدود النمو) تصطدم بالواقع بعد ربع قرن من صدورها"، مرجـــع ســـابق، العـــدد ٦٩٧١، (٢٩/١٢/١٩٩٧م)، ص٤ .

(٤) عبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص٣٥؛ وعبد الرحمن، في "عـــالم الفكر"، مرجع سابق، العـــدد ٤، (ينـــاير/ ١٩٨٨م)، ص٢٧؛ ونادر فرجاني، "مستقبل البشرية بين رؤى العالم الثالث وفظاظة العالم : نموذج باريلوتشي"، المرجع نفسه، ص ٤٠.

(٥) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 46.

البشري بعيدًا في أغوار المستقبل، وعلاقات البشر المتبادلة فيما بينهم، ونتائجها، وكلّيتها، وشموليتها، ببساطة وإقناع، كما لم يفعل أحد -سابقًا- كل هذا مع ذلك الوضوح الرياضي، ((فالحدود)) استحوذت على انتباه العالم، وهي تستحقه، وقد لا تكون صحيحة بالكامل كما نبه المؤلفون لذلك»(1).

لكنَّ تقرير (حدود النمو) واجه انقادات شديدة من كل جانب، واتهمه كثير من النُّقَاد في العالم الثالث بأنه محاولة من الدول المتقدمة لإبقاء النظام العالمي الحالي على ما هو عليه، وإيقاف الدول الفقيرة في العالم عن التطور(2)؛ لا سيما أن ظهوره كان بعد أن اشتدَّت أزمة الدول الرأسمالية الصناعية خلال منتصف الستينيات الميلادية، بعد استكمال التحرر الوطني في العالم الثالث(3)؛ «مما أتاح إمكانية ظهور اجتهادات ورؤى فكرية وسياسية تسعى إلى إنجاز مهام المرحلة الثانية لحركة التحرر الوطني خصوصًا في المجال الاقتصادي والثقافي»(4)، وقد ظهرت فعلاً تكتلات جديدة – قُبيل صدور التقرير – تسعى لما فيه صالح التنمية المستقلة لبلدان العالم الثالث، وإلى التكافؤ مع الدول المتقدمة، مثل: (مجموعة السبعة والسبعين)(5)، و(مجموعة عدم الانحياز)(6) (7)؛ لذا جرى رفض التقرير ودراساته جزئيًّا بصفتها محاولة أخرى من العالم الأول في الحصول على أكبر حصة ممكنة من ثروة العالم(8).

---

(1) Ibid., Vol. 1, P. 44.

(2) Ibid., Vol. 1, Pp. 42-43.

(3) عبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٢٥.

(4) المرجع نفسه، ص٢٥.

(5) تكونت من البلدان النامية عام (١٩٦٤م)، عقب المؤتمر الأول للأمم المتحدة للتجارة والتنمية، وبلغ عدد الدول الأعضاء فيها عام (١٩٨٦م) (١٢١) دولة. (الكيّالي وآخرون، مرجع سابق، ج٦، ص٦٠-٦١) .

(6) هي الدول التي تعلن رسميًا عدم الانحياز إلى إحدى القوّتين: (الغربية الرأسمالية، والشرقية الشيوعية) في السياسة الدولية. وكان أعضاؤها عام (١٩٧٠م) (٥٤) دولة من العالم الثالث، وبلغوا عام (١٩٧٦م) (٨٥) دولة. (المرجع نفسه، ج٤، ص٢٥-٣٠) .

(7) عبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٢٥-٢٦؛ وعبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص٢٩.

(8) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 43.

فالناس انقسموا إزاء هذا التقرير إلى قسمين: قسم مؤيد ومصفّق، وقسم معارض ومستهجن[1]، وصف بعضهم واضعيه بأنهم (المالتوسيون الجدد)[2]، وكتب (فريمان Freeman) مقالاً ناقدًا حمل عنوان: (مالتوس مع الحاسوب)[3]، وقامت دراسات ونماذج معارضة للتقرير، منها: كتاب (المئتا سنة التاليتان: سيناريو لأمريكا والعالم)، من إعداد (كاهن) وآخرين، وهو يركز أساسًا على الخمسين سنة القادمة بدءًا من تأليف الكتاب، يتسم بوجهة نظر متفائلة بالعقود الزمنية المقبلة، وأن التقنية سوف تتغلب على مشكلات التلوث ونضوب الموارد الطبيعية[4]؛ ونشرت وحدة بحوث السياسة العلمية بجامعة (سسكس) الإنجليزية تقريرًا مضادًّا، يتضمن نقدًا لافتراضات تقرير (حدود النمو ونتائجه[5]؛ وقام فريق سوفيتي بقيادة (جلوفاني) - وهو عالم رياضي - بإعادة حساب نموذج (حدود النمو)، فتوصلوا إلى نتائج مختلفة تمامًا[6]؛ كما فتح تقرير (حدود النمو) الباب لبناء عدد من النماذج الأخرى .

ويرى الباحث أنَّه لا يمكن الحكم بصورة موضوعية على النتائج التي توصلت إليها دراسات (حدود النمو) إلا بعد بلوغها مداها الزمني الذي تناولته، ولكن يمكن الحكم على الأسس التي انطلقت منها، والفروض التي بنت عليها، والمبادئ والقواعد التي استندت إليها، ومن خلال النظر إلى عدالة الحلول والمقترحات.

---

(١) Ibid., Vol. 1, P. 40.

(٢) صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص ١٥٨-١٥٩. وينظر بيان وجه النسبة إلى (مالتوس) ص ٥٢ من هذا البحث.

(٣) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 43. by: Christopher Freeman, "Malthus with a computer". In H.S.D Cole, (eds.), Models of Doom: A Critique of the Limits to Growth. (New York, Universe Books, 1975).

(٤) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ٣٤٨ .

(٥) هلال، في إبراهيم وآخرين، مرجع سابق، ص٢٦.

(٦) عبد العظيم أنيس، "مستقبل البشرية والنماذج العالمية: هل يتجه العالم نحو كارثة أم مجتمع جديد؟"، في "الهلال"، مؤسسة دار الهلال، القاهرة: عدد (يناير/ ١٩٨٥م)، ص ٣٧.

ومن جملة الانتقادات التي وُجِّهت إلى التقرير في ضوء ذلك ما يلي:

أ- أنَّ قاعدة المعلومات التي اعتمدت عليها الدراسات غــير كافيــة؛ لأن البيانــات الصحيحة الملائمة لبناء نموذج عالمي كهذا غير موجودة؛ فالنتائج إذن غير صحيحة[1] . ويُقرُّ مؤلفو التقرير بضعف المعلومات الأساسية لدراساتهم، لكنهم يرون أن النموذج المبني علــى أساس تلك المعلومات مفيد؛ لأنه لا يوجد عمل علمي كعملهم، يكــون ســندًا لأغلــب القرارات السياسية، التي تقوم على معلومات ناقصة وحدس وتخمين[2] .

ب- أنَّ التحليل ينبغي أن يكون على «حسب اختلاف المناطق وليس حســب العــالم ككل؛ لأن المناطق المختلفة تختلف حسب نمو المتغيرات الرئيسة وسوف تصل إلى حــدود مختلفة في أوقات مستقبلية مختلفة» [3].

ج- « لم يضع النموذج التغيرات المهمة في نظام العالم في عين الاعتبار بشــكل ملائــم والتي بإمكانها تغيير متغيرات القيمة بالكامل» [4].

د- «قدَّم النموذج مظهرًا من المعرفة الدقيقة بالكميات والعلاقات غير المنطقية، وغــير المعروفة، وفي حالات عديدة لا سبيل لمعرفتها»[5]. وهو أمر أقرَّ به مؤلفو التقرير[6].

هـــ -أن وضع نموذج رياضي لتوقع حالة البؤس والجوع وكثير من الأزمات في الحياة اليومية أمر ليس لـــه حاجة؛ فـــإنَّها أزمات واقـــعة اليوم، يعاني منها ثلثا البشر في العـــالم الثالث[7]، فلا تحتاج إلى توقع.

---

(١) عبد الرحمن، في "عـــالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٢٧؛ وطعمة، في "الدراســات المستقبلية وتحديات العصر"، مرجع سابق، ص٩٧؛ و
Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 43.

(٢) ميدوز وآخرون، مرجع سابق، ص ١٠٠-١٠١.
Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 43.

(٣)
وينظر: عبد الرحمن، في "عـــالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٢٧.
Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 43.

(٤) Ibid. by: Christopher Freeman, "Malthus with a computer". In H.S.D Cole, (eds.), Models of Doom: A Critique of the Limits to Growth. (New York, Universe Books, 1975), P.12.

(٥)
وينظر: لي برا، مرجع سابق، ص ١٨٢.

(٦) ميدوز وآخرون، مرجع سابق، ص ٨٤.

(٧) عبد الرحمن، في "عـــالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٢٩، نقلاً عن:
R. Petrella, Ideological basis and Impact of World Models: Acomparison. In Seminar of Future Forecasts and World models, Rio de Janiero, 3-12-1975.

و- أنَّ الدعوة إلى السيطرة على النمو السكاني في العالم، جاءت في الوقت الذي لوحظ فيه - لأول مرة في التاريخ الحديث - زيادة سكان العالم الثالث على سكان البلدان الغربية المصنّعة، وفي الوقت الذي يُتوقع فيه أن ينخفض سكان الغرب إلى ثلث سكان العالم عند مطلع القرن الحادي والعشرين الميلادي(١).

ز- أن تقرير (حدود النمو) يأتي من منظور الغرب المصنّع، ولا ينطلق من الهموم والمشكلات التي يعاني منها أكثر البشر في العالم الثالث؛ فلا غرو أن تأتي نتائجه واقتراحاته بما يخدم الجانب الغربي(٢).

ح- يلحظ الباحث من خلال النظر إلى الدراسات التمهيدية للتقرير، التي قام بإعدادها أعضاء (نادي روما) كما هو موضح في آخر التقرير(٣)، وعددها تسع عشرة دراسة، أنَّ دراستين فقط كانتا عن السكان، وأكثر الدراسات الباقية كانت عن الموارد؛ وهذا يُعطي انطباعاً عن تركيز الدراسات على ما يخدم المصالح الصناعية، ودراسة ما يُعيق تقدمها وازدهارها في الغرب، ويتأكد هذا أن المؤسس والممول لنادي (روما) (أوريليو بيتشي Aurelio Peccei) : رجل اقتصادي صناعي إيطالي، له شراكة في شركتي (فيات) للسيارات، و(أوليفتي) للآلات الكاتبة وغيرها من الأجهزة، ويُدير مؤسسة (إيتالكونسالت)، وهي من كبرى المؤسسات الاستشارية في أوروبا للتنمية الاقتصادية والهندسية(٤).

المطلب الثاني: تقرير (البشرية في نقطة التحول(٥) Mankind at the Turning Point):

قام بالدراسات العالمان: الأمريكي (ميهايلو ميزاروفيتش Mesarofic)، والألماني (إدوارد بستل Pestel)، بمعاونة فريق من العلماء والمهندسين والمخططين، وصدرت خلاصة

---

(١) فرحاني، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص ٤١، حاشية ٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٩-٤٠.

(٣) ص ١٦٨-١٧٠.

(٤) وليم وانس (تقديم)، ميدوز وآخرون، مرجع سابق، ص ١١-١٢.

(٥) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص ١٤٩؛ أو (البشرية عند مفترق الطرق). (عبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص ٢٧، ح**)؛ أو (البشرية في مفترق الطرق). فرحاني، في "عالم الفكر"، المرجع نفسه، ص ٤١ .

الدراسات في كتاب بعنوان: (البشرية في نقطة تحول)، وهو التقرير الثاني لنادي روما[١]، نُشر عام (١٩٧٤م)[٢]، واكتسب شهرة كبيرة[٣].

جاءت هذه الدراسات لتلافي بعض الانتقادات التي وُجِّهت إلى (حدود النمو)؛ فالعالَم لا يصح أن يُنظر إليه على أنّه كيان متماثل، بل لا بد من ملاحظة حاجات مناطقه المختلفة وإمكاناتها، فقسَّما العالم إلى عشرة أقاليم متمايزة، يضم كلٌ منها بلداناً متشابهة الأحوال[٤]؛ والنموذج يتناول كل إقليم على حِدة، ثم يتناول الأقاليم مجتمعة؛ باعتبار تأثير بعضها على بعض[٥]؛ فجاء النموذج شاملاً للعالم كله، مع تطرُّقه لمختلف وجود العملية الإنمائية العالمية تطرقًا موضوعيًا برأيهم[٦]، فيتناول الوجه الجغرافي الطبيعي، والبيئي، والتقني، والاقتصادي، والنمو السكاني[٧]، بعمق أكثر من (حدود النمو) وتعدد وتنوع في المتغيرات التي تناولها[٨]، وكانت أهم الأساليب التي استخدمها: أسلوب النموذج بشكل رئيس، وأسلوب المشاهد، حيث يُذكر في كل مشهد العواقب المترتبة على اعتماد سياسة ما دون الأخرى[٩]، ولم يكن هدف التقرير التوقع ولكن لتقدم مؤشرات عملية[١٠].

---

(١) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص ٤٩.

(٢) عبد الرحمن، في "عـالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص ٢٧، ح**؛ وفرجاني، المرجع نفسه، ص ٤١ .

(٣) فرجاني، في "عـالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص ٤١ .

(٤) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص ٤٩؛ وعبد الرحمن، في "عـالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٢٧؛ والقصير، في "أبحاث ندوة مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل"، مرجع سابق، ص١٦٩؛ وصعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص ١٦٠-١٦١، ١٦٣.

(٥) خورشيد، في "عـالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/١٩٨٨م)، ص١٠٦؛ وصعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص ١٦١.

(٦) (برأيهم) زيادة من الباحث .

(٧) صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص ١٦٢.

(٨) عبد الرحمن، في "عـالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص ٢٧-٢٨.

(٩) صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص ١٦٢-١٦٣؛ وخورشيد، في "عـالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص١٠٦.

(١٠) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 118.

أمّا نتائجه وحلوله المقترحة فلم تختلف من حيث الجوهر عن (حدود النمـــو)[1]؛ «لأنّ الخبراء المشاركين في إنتاج النموذج كانوا جميعًا من الغرب، الأمر الذي أثّر على الأســـاس النظري »[2]، فكلا النموذجين «يتطلعان إلى تحقيق هدف واحد هو إنقاذ مســـتقبل الـــدول الرأسمالية الصناعية المتقدمة على حساب شعوب العالم الثالث »[3]؛ ونتائجه هـــي: «تفـــاقم الأزمات البيئية والتكنولوجية والبشرية تفاقمًا متزايدًا، وضرورة الإقبـــال الســـريع علـــى معالجتها، وذلك بتحليلها أدق تحليل وإبراز خطرها للرأي العام وللسياســـيين ومتخـــذي القرارات بخاصة، والإحاطة بها والتصدي لها تصديًا جريئاً منتظمًا وعلى نطاق عالمي. وإذا لم يحصل هذا كله في السنوات الخمسين التالية، فإن الأزمات المتفاقمـــة ســـتتجاوز طاقـــات الإنسانية وستؤدي بها إلى التهلكة »[4]، لكنْ «بدلاً من انهيار العالم، كما ذكـــر في حـــدود النمو سيواجه العالم كوارث شخصية في أقاليم مختلفة ضمن المائة عـــام القادمـــة، وهـــذه الكوارث لها تأثيرات عالمية »[5]؛ ومن الحلول المقترحة في التقرير ما يلي:

١- «قيام نظام اقتصادي عالمي جديد واعتماد نظام جديد لتوزيع الموارد »[6].

٢- التأكيد «بأن الأزمة الإنمائية الكونية يمكن أن تحل بالمفاوضة لا بالمجابهة... وتتطلب المفاوضة تنظيمًا دوليـــًا يتعاون الجميع في نطاقه »[7].

٣- «إيجاد توازن إنمائي اقتصادي بين مختلف أقاليم العالم قوامه تنويع الصناعة تنويعًـــا عالميـــًا ما بين الدول المتقدمة والدول النامية . ويتوجب على الدول المتقدمة أن تغير طريقة

---

(١) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص ٥٠؛ والقصير، في "أبحاث نـــدوة مســـتجدات الفكـــر الإســـلامي والمستقبل"، مرجع سابق، ص ١٦٩؛وعبد الرحمن، في "عـــالم الفكر"، مرجـــع ســـابق، العـــدد ٤، (ينـــاير/ ١٩٨٨م)، ص ٢٧.

(٢) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 119.

(٣) عبد الرحمن، في "عـــالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص ٢٨.

(٤) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص ٥٠؛ وينظر: صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص ١٦٤.

(٥) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 118.

(٦) صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص ١٦٣؛ وينظر: عبد الرحمن، في "عـــالم الفكـــر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص ٢٧.

(٧) صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص ١٦٣.

مساعدتها للدول النامية . فلا تساعدها ببيعها منتجاتها بل بالتثمير الذي يؤهلها لأن تنتج هي أيضًا. ولا يستثنى من ذلك إلا المنتوجات الغذائية التي يمكن أن تسعف بها الدول المتقدمة الدول النامية المهددة بالمجاعة»[١].

٤- «إيجاد توازن بين معدلات النمو المميزة للأقاليم المختلفة وليس من خلال نمو غير مميز أو نمو صفر كما ذكرته حدود النمو »[٢].

المطلب الثالث: تقرير (باريلوتشي): كارثة أم مجتمع جديد؟ (Catastrophe or new Society ?)[٣] :

نشأت فكرة بناء النموذج في الندوة التي عقدها (نادي روما)، في مدينة (ريو دي جانيرو) في (البرازيل)، صيف عام (١٩٧١م)؛ لمناقشة ما توصل إليه النادي قُبَيْل إصدار تقريره (حدود النمو)، وفي هذه الندوة قرر المشاركون من أمريكا اللاتينية تكليف مؤسسة (باريلوتشي) للأبحاث[٤] (Barilotche Foundation) ببناء نموذج للعالم يقوم على وجهات نظرهم التي عبَّروا عنها خلال عقد الندوة[٥]، وأشرف على المشروع لجنة مُكوَّنة من ستة من كبار المفكرين في أمريكا اللاتينية، وقام به فريق متعدد الاختصاصات، يتكون من عشرين باحثًا، برئاسة (أميلكار هيريرا A. Herrera)، ونُشرت خلاصة عن العمل باللغة الإنجليزية عام (١٩٧٦م)، ثم نُشر التقرير التفصيلي بعدد من اللغات[٦].

ويكتسب مشروع (باريلوتشي) «قيمة كبيرة من حيث كونه العمل الكبير الوحيد في ميدان الدراسات المستقبلية الذي نبع من العالم الثالث تعبيرًا عن رفض كثير من الأوضاع

---

(١) المرجع نفسه، ص١٦٣- ١٦٤.

(٢) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 118.

(٣) تُرجم بعنوان: (كارثة أم مجتمع جديد؟ نموذج للعالم من أمريكا اللاتينية، ترجمة نادر فرجاني، نشر المركز العربي في القاهرة عام ١٩٨٣م . (فرجاني، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص ٤٢، ح١٠) .

(٤) هي: هيئة بحثية خاصة، في جنوب غرب الأرجنتين على حدود شيلي، تقع فوق منتجع جبلي سُمِّيت عليه. (المرجع نفسه، ص ٤٢) .

(٥) نفسه، ص٤٠ – ٤١؛ وعبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٢٩.

(٦) فرجاني، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص ٤٢ .

السائدة في العالم وقت إعداده، بما في ذلك الدراسات المستقبلية، وكشفًا لخلفيات هذه الأوضاع، واستشرافًا لمستقبل أفضل وأكرم لكل البشر »[١].

وعلى خلاف النماذج الأخرى التي ادعت أنها تقوم على منهج استكشافي، فإنَّ هذا النموذج اعترف أصحابه بداية أنه يقوم على منهج معياري، بمعنى أنه يحاول رسم طريق يوصل إلى غاية محددة سلفًا، وهي: (عالم خال من التخلف والبؤس)[٢]، فاهتم النموذج "برسم طريق يساعد على التوصل إلى إشباع الحاجات الأساسية لشعوب العالم خلال ستين عامًا بدءًا من عام ١٩٨٠، وذلك بشرط تخصيص ٢٪ من إنتاج العالم المتقدم للمساعدة غير المشروطة لشعوب آسيا وأفريقيا »[٣]، ولم يُشر النموذج "إلى ما قد يحدث إذا استمر الوضع الراهن على ما هو عليه، بل أشار إلى كيفية الحصول على الهدف النهائي، وهو: عالم بدون فقر وبدون تباين »[٤].

"يقسم النموذج العالم إلى أربع مناطق جغرافية . واحدة للدول المتقدمة وثلاث للدول النامية (أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية »[٥]، ولا يُرجع النموذج المشكلات المتوقعة للعالم إلى النمو السريع للسكان كما في النموذجين السابقين وغيرهما، وإنَّما إلى التنظيم الاجتماعي السياسي للعالم، فينتقد واضعو النموذج التنظيمين: الرأسمالي والاشتراكي، ويقترحون إنشاء نظام عالمي جديد يقوم على التضامن، والمساواة بين البشر، ونبذ الاستغلال والسيطرة، لكنَّهم لا يُقدِّمون وصفاً تفصيليًا لهذا المجتمع المنشود[٦]، ثم يبيِّن النموذج إمكانية قيام هذا

---

(١) المرجع نفسه، ص ٤٨؛ وينظر كونه العمل الوحيد: Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 119 بل ظهر بعده عام (١٩٩٠م) نموذج هيئة الجنوب، كما أشارت (ماسيني) نفسها إليه في المرجع نفسه، ص١٢٥.

(٢) فرجاني، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص ٤٢؛ وعبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٢٩ .

(٣) عبد الرحمن، في "عالم الفكر"، المرجع نفسه، ص٢٩؛ وينظر: خورشيد، المرجع نفسه، ص١٠٨.

(٤) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 119.

(٥) خورشيد، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص١٠٨؛ وينظر: صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص ١٦٦؛ عبد الرحمن، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٢٩.

(٦) صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص١٦٥؛ وفرجاني، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص ٤٢ – ٤٣.

المجتمع، ويدحض المزاعم الواردة في (حدود النمو) بشأن نضوب الموارد الطبيعية وازدياد التلوث، فيُحلل أوضاعهما[1]: بأنَّ "تقديرات الاحتياطيات المعروفة من أي مورد معدني تتوقف على الظروف الاقتصادية والتقانية السائدة وقت التقييم، أما في المستقبل فستؤدي تركيبات مختلفة من هذه الظروف إلى تعديل هذه التقديرات. وتدل الخبرة التاريخية على أن التعديل كان دائمًا إلى الأعلى، وبفروق هائلة . وينتهي فحص المعلومات المتاحة عن الموارد المعدنية في القشرة الأرضية وقاع البحر إلى أنَّ الاحتياطيات المعدنية التي يمكن استغلالها بالفن الإنتاجي الحالي، أو المنتظر في المستقبل القريب، يحتمل أن تكفي البشرية لقرون عديدة مستقبلاً... وقد أثبت الفن الإنتاجي الحديث قدرته ... على تدوير المواد التي استخدمت قبلاً، مرة أو أكثر في استخدامات جديدة "[2]. كما فنَّد النموذج ما يتعلق بالطاقة، فأبطل مزاعم (حدود النمو) بنفادها، فقدَّر أن بعضها يكفي لأربعة قرون، وبيَّن أن مصدر الطاقة المستقبلي الأهم هو الوقود النووي، وأنَّ التقديرات الاحتياطية لمصادره تكفي لسدِّ الاحتياجات من الطاقة إلى الأبد[3] . كما أنَّ التلوث يمكن ضبطه بجميع أنواعه إذا اتُّخذت الإجراءات الاجتماعية والاقتصادية اللازمة[4].

وقد أكَّد مشروع (باريلوتشي) "أن مستقبل البشرية لا يتوقف، في النهاية، على عقبات طبيعية لا تذلل، وإنما على عوامل اجتماعية وسياسية هي من صنع البشر، وبالتالي فإن في مقدورهم تعديلها "[5]، "وليس مشروع باريلوتشي، للأسف، الأكثر انتشارًا في مجال الدراسات المستقبلية لمصير البشرية، حتى في العالم الثالث. وإن كان في هذا الأمر مدعاة للأسف، إلا أنه ليس بمستغرب . فمشرع باريلوتشي قام ضد كل العناصر المهيمنة في بنى القوة الحالية في العالم، ومن الطبيعي أن تحارب هذه العناصر انتشار مثل هذه الرؤى التي تنتصر للفقراء وتدعو لتقويض أركان الهيمنة والاستغلال في العالم "[6].

(١) المرجعان نفساهما: صعب، ص١٦٥؛ وفرجاني، ص ٤٤ — ٤٥.

(٢) فرجاني، نفسه، ص ٤٥ .

(٣) نفسه، ص ٤٥-٤٦ .

(٤) نفسه، ص ٤٦ .

(٥) نفسه، ص ٤٩ .

(٦) نفسه.

وخلاصة: «فالمشروع لم يحاول التنبؤ بمستقبل البشرية، وإنما قدم توقعات بما يمكن أن يكون عليه الأمر إذا تحققت افتراضات معينة حول السياسات الكفيلة بالتحرك صوب المجتمع المنشود»[1]. والنموذج يكتسب أهمية بصفته أحد الجهود العالمية الأولى غير الغربية، المقدَّم بطريقة علمية دقيقة محددة، تناقش قضايا الدول المتقدمة صناعيًّا مع غير المتقدمة[2].

المطلب الرابع : خلاصة ونتائج في عرض الدراسات العالمية:

تناول تقويم الباحثين (النماذج) التي ظهرت خلال السبعينيات الميلادية، وفيما يلي جملة من الملحوظات العامة على هذه النماذج:

١- «إن التمعن في النتائج التي توصلت إليها «النماذج العالمية» -إذا استثنينا نموذج باريلوتشي- يؤكد رغبة الهيئات التي أشرفت على هذه الدراسات، في تكريس العلاقات الدولية بشكلها الحالي، وتأكيد هيمنة الحضارة الغربية على العالم، وفرض وجهة نظرها فيما تراه يحقق مصالح العالم على المدى البعيد»[3]، ومن هنا تبرز الحاجة إلى استنهاض القدرات والكفاءات الفكرية لدى علماء العالم الثالث ومفكريه؛ للإسهام بجد في الدراسات المستقبلية، واقتراح الخيارات والبدائل، وإلا فليس أمام شعوب العالم الثالث سوى مزيد من التبعية وآثارها السيئة[4].

٢-«اختلفت النماذج في تقديرها تأثير النمو السكاني في المستقبل الإنمائي. فأنذر نموذج حدود النمو بالكارثة نتيجة التفاوت بين النمو السكاني والنمو الغذائي. وتفادا نموذجا استراتيجية البقاء والأمم المتحدة تحديد علاقة تلازمية بين المتغيرين. وربط النموذج الياباني بين النمو السكاني والنمو الإقليمي لمتوسط دخل الفرد. وربط النموذج الأمريكي اللاتيني بين تطور الأحوال الاجتماعية الاقتصادية والنمو السكاني»[5].

---

(١) نفسه، ص ٥٠ .

(٢) Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., Pp. 120-121.

(٣) القصير، في "أبحاث ندوة مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل"، مرجع سابق، ص١٧٠؛ وينظر: عبد الرحمن، في "عـالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٣١.

(٤) عبد الرحمن، في "عـالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص٣١.

(٥) صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص ١٧٥.

٣-اختلفت النماذج في توقعاتها بشأن الموارد الطبيعية، ما بين متشائمة ومتفائلة، فنموذج حدود النمو يرى أنها مهددة بالاستنزاف وارتفاع أسعارها بصورة كبيرة جدًّا، ويدعو نموذج (استراتيجية البقاء) إلى الاقتصاد في استخدام الموارد للحدِّ من هدرها، بينما في النظرة المتفائلة : يرى النموذج الأمريكي اللاتيني أن تزايد الموارد الطبيعية هو المترجح وليس تناقصها، ويشاركه النموذج الياباني في تزايد الموارد المعدنية، لكنه قلق تجاه موارد الطاقة(١) .

٤-تتسم معظم النماذج العالمية بضعف نظرتها للعنصر الثقافي للإنسان(٢)، فهي تتعامل معه كما تتعامل مع الجمادات.

٥-على الرغم من اختلاف الأهداف في بناء النماذج العالمية(٣) «فإن كل النماذج تتفق في أنها تتجه بالبحث في مجموعة مشتركة من المشاكل المترابطة وهي نمو السكان، والفقر، والموارد، وتدهور البيئة، وعدم الاستقرار الدولي»(٤).

٦- لم تُعامَل البلدان العربية في النماذج بصفتها مجموعة إقليمية متمايزة، وإنما توزعت في أكثر من إقليم، حسب تقسيم النموذج، وفي الغالب كان النظر إليها بصفتها مستودعاً للنفط الخام، ومنه تستمد أهميتها(٥).

٧-أحدثت هذه النماذج -نتيجة لترجمتها إلى كثير من اللغات، وما دار حولها من مناقشات وحوارات طويلة- نقلة في الاهتمام العام والخاص بدراسات المستقبل، وضرورة التعرف على قواه وتغيراته المحتملة، وكيفية الاستعداد لمواجهتها، وقد أدَّى هذا إلى تقدم ملموس للدراسات المستقبلية(٦).

٨-«أدركت الدول المتقدمة الدور المهم الذي تلعبه الدراسات المستقبلية في استشراف المستقبل، واستكشاف البدائل المختلفة لصورته، وارتباط ذلك بالتخطيط الاستراتيجي الذي

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٧٥-١٧٦.

(٢) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص١٨٦.

(٣) هلال، في إبراهيم وآخرين، مرجع سابق، ص٢٧، نقلاً عن: دونيلا ميدوز، "النماذج العالمية وتصور العالم"، في "المجال"، العدد ١٨٦، (سبتمبر/ ١٩٨٦م)، ص ١-٢.

(٤) المرجع نفسه، والنقل نفسه.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٨.

(٦) نفسه .

يـــيسر لها أفضل الظروف لاستمرار هيمنتها على مقدرات العالم، وتحكمها بزمام المبـــادرة والتوجيه لأحداثه، ولذلك تسارعت خطى التقدم في الدراسات المستقبلية في العالم الغـــربي، وخاصة في النصف الثاني من القرن الحالي »[1]، و"إنَّ هذه (النماذج العالمية) تمثـــل إحـــدى أدوات التخطيط بعيدة المدى التي يستخدمها الغرب لتسخير الإمكانيات البشرية ومواردها في تحقيق أهدافه ومصالحه، وأسلوب متقدم لتوزيع الأدوار على دول العالم، علـــى ضـــوء المعطيات المستقبلية التي تتوقعها هذه النماذج، والتي تؤمِّن أفضل المنافع وأكثر طرق الهيمنـــة فاعلية »[2].

٩-بعد ظهور العديد من الأعمال الفكرية من العالم الثالث حـــول التنميـــة البديلـــة، وضرورة الاعتماد على الذات، ظهرت في هذه الأثناء النماذج العالمية، وهنا يُلحـــظ[3] «أن هدف المشرفين على هذه النماذج العالمية لم يعد مقصورًا على مجرد التأثير في الرأي العام بل تجاوز ذلك إلى العمل على صياغة سياسات المستقبل على المستوى العالمي من خلال تقـــديم نماذج اتساق كلية للعالم وظواهره الاقتصادية والاجتماعية»[4].

١٠-ومن الأسئلة المهمة التي هي بمثابة الثمرة من استعراض الدراسات العالمية :

أ- هل تُكوِّن النماذج العالمية خطرًا على العالم الإسلامي ؟

ب - هل هناك حاجة وأهمية لبناء نموذج إسلامي عـــالمي ينطلـــق مـــن النظـــرة الإسلامية؟

وسيُجيب الباحث عنهما في الباب الثالث[5].

---

(١) القصير، في "أبحاث ندوة مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل"، مرجع سابق، ص١٦٨.

(٢) المرجع نفسه، ص١٦٦.

(٣) عبد الرحمن، في "عـــالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص١٢.

(٤) المرجع نفسه، ص١٢-١٣.

(٥) ص ٩٤٧-٩٦٤ .

المبحث الثاني
الدراسات العربيـــة

تمهيد :

يَلحظ عدد مِن المختصين في الدراسات المستقبلية[1] قلة الدراسات المستقبلية العربيـــة والإسلامية مقارنة بعدد الدراسات في العالم الغربي، ففي الوقت الذي لم يدخل العرب فيـــه مجال الدراسات المستقبلية بعد[2]، توافر -كما يذكر خلاّف- في مكتبة مجلـــس النـــواب الأمريكي (الكونجرس) أكثر من خمسة عشر ألف دراسة علمية في الدراسات المســـتقبلية[3]. ويُقدِّر المنجرة حجم الدراسات المستقبلية في العالم الثالث كلِّه بأنه (٤٪) فقط من الجهـــد العالمي .

ويلوم المنجرةُ العربَ في الأسباب التي تدعوهم إلى إجراء الدراسات المستقبلية، فمنها: أنهم يلجؤون إليها لكون أزمات معينة ترغمهم عليها؛ لمقاومة الحاضر بتبرير الماضي عوضًـــا عن ابتكار المستقبل، وهذه (مستقبلية تفاعلية)؛ كذلك تُطلب النجـــدة مـــن الدراســـات المستقبلية حينما يصبح الواقع لا يُطاق؛ لتبريرِ هروبٍ إلى الأمام؛ إخلاءً للحاضـــر، وهـــذه (مستقبلية تحديرية)[4] . وإذ يوافقه الباحث، إلا أنـــَّه يرجو أنَّ هذا الوضع قد تغير بعد تجلي الحقد الغربي على المسلمين، ووضوحه للعيان لمن كان غافلاً عنه، وذلك بعد أحداث الهجوم بالطائرات المدنية على بعض المدن في الولايات المتحدة الأمريكية، في (١٤٢٢/٦/٢٣هـــ، الموافق ١١ /٩/ ٢٠٠١ م) .

---

(١) مِنهم: عمر الخطيب، مرجع سابق، ص٨؛ والمنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص١٨٢؛ والقصير، في "أبحاث ندوة مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل"، مرجع سابق، ص ١٧٠؛ وحسيب وآخرون، مرجـــع سابق، ص٢٠؛ وإسماعيل صبري عبد الله، "مشروع (مصر ٢٠٢٠)"، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربيـــة"، مرجع سابق، ص٦٥؛ وغيرهم .

(٢) يرى عدد من الباحثين والمختصين في الدراسات المستقبلية أن الاهتمام العربي بها بدأ في منتصـــف الســـبعينيات الميلادية . (عمر الخطيب، مرجع سابق، ص٨؛ وهلال، في إبراهيم وآخرين، مرجع سابق، ص ٣٠؛ والدجاني، **تـــجديد الفكر استجابة لتحديات العصر**، مرجع سابق، ص٤٥ ؛ والتحافي، في "الأمن والحياة"، مرجع سابق، العدد ١٧٥، (ذو الحجة/ ١٤١٧هـــ)، ص٥٩).

(٣) **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص١٤.

(٤) **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص١٨٧- ١٨٨.

وفيما يأتي أهم الدراسات المستقبلية العربية :

١- مشروع (المستقبلات العربية البديلة)، شارك في صياغته مجموعة من الباحثين العرب، واعتمدته جامعة الأمم المتحدة عام (١٩٨٠م)، ليستمر أربع سنوات بدء من عام (١٩٨١م)، بإشراف إسماعيل صبري عبد الله، وهدفَ المشروع إلى إثارة الوعي بأهمية الدراسات المستقبلية في البلاد العربية، وأول دراسة صدرت عنه: (صور المستقبل العربي)[١]، وأكمل المشروع «دراسته في شكل كتاب من ستة عشر مجلدًا، أتبعه بما أسماه ملف المستقبلات العربية البديلة وأصدر منه ثلاثة وعشرين عددًا تضمنت حصيلة المعلومات المتبادلة بين العاملين في المشروع وعلماء العرب وخبرائهم، بحيث بلغ إجمالي عدد المشاركين في المشروع على هذه المستويات كافة تسعمائة مشارك توزعوا على ستة عشر بلدًا عربيًّا»[٢]. «ولم يتمكن المشروع من تغطية مجالي: الموارد البشرية وموارد واستخدامات العلم والتكنولوجيا، وذلك لتعذر الحصول على الموارد المالية اللازمة للقيام بالأبحاث المعنية»[٣].

ويُعدُّ هذا المشروع، والمشروع الذي يليه، أكبر مشروعين بحثيين أُجريا حتى أواخر الثمانينيات الميلادية، كما أنهما البدايات الأولى لمحاولات استشراف مستقبل الوطن العربي، وولوج أبواب الدراسات المستقبلية على نحو طموح، وبخبرات عربية[٤]. وهذا المشروع والذي يليه متشابهين إلى درجة كبيرة، والملحوظات عليهما واحدة إجمالاً[٥] .

٢- مشروع (استشراف مستقبل الوطن العربي)، قام به مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، وسياتي عرض مفصل للتقرير النهائي للمشروع، الذي نشر عام (١٩٨٨م) .

---

(١) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص٥٣؛ وعبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص١٨٢.

(٢) إبراهيم سعد الدين، "مشروع المستقبلات العربية البديلة"، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص ٥٢.

(٣) إبراهيم سعد الدين، "تقرير تجميعي عن نشاطات مشروع المستقبلات العربية البديلة في الفترة (١٩٨١-١٩٨٥)"، في المرجع نفسه، ص ٢٣٠.

(٤) عبد الفضيل، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص ٥٥.

(٥) محمد عبد المنعم شلبي، "الدراسات المستقبلية العربية: عرض نقدي وتصورات مقترحة"، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص ٧٤.

٣- مشروع (مستقبل التعليم في الوطن العربي)، أنجزه منتدى الفكر العربي بعَمَّان، خلال المدة من (١٩٨٦م) إلى(١٩٩١م)، وصدر عنه التقرير النهائي بعنوان (تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين: الكارثة أو الأمل؟)، ومن الدراسات التي صدرت عن المشروع: دراسة (كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟)، وسيأتي عرض مفصل لها.

٤- الوطن العربي عام (٢٠٠٠)، أجرتها ونشرتها مؤسسة المشاريع والإنماء العربية في بيروت، عام (١٩٧٥م)، بإشراف أنطوان زحلان .

٥- دراسات (مجموعة التخطيط طويل المدى للبلدان العربية)، بإشراف إبراهيم حلمي عبد الرحمن .

٦- (استشراف النتائج الاقتصادية، والديموغرافية، لاستراتيجيات بديلة للتنمية في مصر حتى عام ٢٠٠٠)، ويسمى اختصارًا : (إيدكاس ٢٠٠٠)، أشرف عليه إبراهيم العيسوي، برفقة أربعة عشر باحثًا، وتناول المدة من (١٩٨٠-٢٠٠٠م)[١] .

٧- (مصر ٢٠٢٠)، وهو مشروع حديث، يرعاه منتدى العالم الثالث، (مكتب الشرق الأوسط)، في القاهرة[٢]، وقُدِّر له ثلاث سنوات عمل لإنجازه، ابتدأت في بداية عام (١٩٩٨م)، وهو مشروع ضخم واسع، يهدف إلى استنتاج مسيرة محورين، هما: المجتمع المصري، واقتصاده، ويندرج تحتهما اثنا عشر موضوعًا[٣].

وهناك دراسات عن المستقبل لا تقوم على الجهد الجماعي بل هي دراسات فردية؛ ولذلك لم يُشر الباحث إليها هنا[٤] .

وفيما يلي عرض لدراستين من الدراسات المستقبلية العربية: الأولى: تقرير (مستقبل الأمة العربية: التحديات والخيارات)، وجرى اختيارها؛ لأنها إحدى أكبر دراستين شهدهما العالم العربي حتى الآن؛ والثانية: دراسة (كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟)،

---

(١) العيسوي، "مشروع (إيدكاس ٢٠٠٠)"، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص ٥٧.

(٢) منتدى العالم الثالث، "مصر ٢٠٢٠: عرض موجز للمشروع"، في المرجع نفسه، ص ٢٥٩.

(٣) إسماعيل صبري عبد الله، "مشروع (مصر ٢٠٢٠)"، نفسه، ص ٦٦-٦٨.

(٤) ينظر أمثلة لها : شلبي، في المرجع نفسه، ص ٩٢-١٠٢.

وجرى اختيارها؛ لتميزها في استخدام أسلوب التشاور المتميز (دلفي) بصورة لم تُسبق إليها، حسب اطلاع الباحث .

المطلب الأول: تقرير (مستقبل الأمة العربية: التحديات والخيارات):

١- منشأ فكرة مشروعه، ومَحاوره، والقائم به :

هو التقرير النهائي لمشروع (استشراف مستقبل الوطن العربي)، الذي صدر عنه هذا التقرير عام (١٩٨٨م)، وجملة أخرى من الدراسات .

نشأت فكرة المشروع استجابة لنداء كثير من المثقفين في الوطن العربي بضرورة إجراء دراسة شاملة حول مستقبل الوطن العربي، تُقدِّم بدائل لمسيرته؛ تُعينه على مجابهة ما يقابله من تحديات: سياسية، واجتماعية، واقتصادية[١]، وهذه الموضوعات الثلاثة هي المحاور التي دارت عليها دراسات هذا المشروع.

والمشروع حصيلة جهود متقطعة دامت سبع سنوات كُثِّفت في السنتين الأخيرتين منها[٢]، وتبنى تنفيذه مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، بدعم من الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، وصندوق النقد العربي، ومنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول، والصندوق العراقي للتنمية الخارجية[٣] .

٢- أهمية المشروع وحدوده :

يقول محمد بريش عن المشروع: إنه «أوسع دراسة استشراف شهدها العالم العربي»[٤]، وورد على الغلاف الخلفي للتقرير: أنَّ المشروع «يمثل أول جهد علمي عربي جماعي كبير من نوعه للتعرف على إمكانات الوطن العربي وقدرات الأمة حاضرًا ومستقبلاً، في إطار المتغيرات العديدة التي تحكم النظامين الإقليمي والدولي خلال العقود الثلاثة القادمة».

والمدة الزمنية لهذه الدراسة المستقبلية تتناول ثلاثين عامًا، تبدأ من عام (١٩٨٥م) إلى عام (٢٠١٥م)، وتناولت العالم العربي بأجمعه[٥].

---

(١) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص١٧.

(٢) المرجع نفسه .

(٣) نفسه، ص٢٩.

(٤) **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص٢١.

(٥) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص٦٠،٢٣؛ وعبد الفضيل، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص ٦١.

٣- فريق العمل وتكوينه :

عُقد عدد من الندوات؛ لوضع الإطار العام للمشروع، ثم جرى تكوين فريق عمل مركزي، بإشراف خير الدين حسيب ورئاسته، ومشاركة كل من : سعد الدين إبراهيم، وإبراهيم سعد الدين، وعلي نصار، وعلي الدين هلال؛ ويعاون هذا الفريق مجموعة من الباحثين المتفرغين وغير المتفرغين، تجاوز عددهم خمسين باحثًا، وعَقد الفريق المركزي أكثر من خمسين اجتماعًا مشتركًا، وحرص على الحوار مع عدد كبير من القيادات الفكرية والسياسية العربية في المراحل المختلفة من تنفيذ المشروع[1]، وجرى الانتهاء من مسودة التقرير النهائي للمشروع والتقارير الرئيسة المساندة له، عام (١٩٨٧م)، وفيها جرت مناقشة المسودة في اجتماع موسع، عقد في تونس خلال المدة من ١٧-٢٠ أكتوبر[2]، وحضره مئتي مفكر عربي، وألقى فيه الأمين العام لجامعة الدول العربية كلمة افتتاحية[3] .

٤- المنهج والأساليب المستقبلية المستخدمة في المشروع :

اعتمدت الدراسات على منهج (التحليل المستقبلي) (الاستشراف)، وركّزت على استخدام أسلوب المشاهد، الذي يَفترض الأكثر توقعًا تارة، والمأمول فيه تارة أخرى، ومن الأساليب المستخدمة أسلوب (النمذجة)، وينطوي على صياغات كمية وكيفية لشبكة التفاعلات بين المتغيرات[4].

٥- أقسام التقرير، والمشاهد المستقبلية فيه :

ينقسم التقرير إلى أربعة أقسام مع مقدمة، ويقع في (٥٧٤) صفحة:

القسم الأول : يتحدث عن بعض المفاهيم في الدراسات المستقبلية، وفيه مسح موجز لحال الفكر العربي، وقاعدة معلوماته، ومناهجه، ومشكلاته، ويُستنبط من ذلك مجموعة معايير تحدد مجالات التمحيص عند إعادة قراءة الماضي والحاضر العربي ؛ تمهيدًا لاستشراف المستقبل.

---

(١) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٦-٢٧.

(٢) عبد الفضيل، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص ٦٠-٦١.

(٣) صعب، **العرب يدعون مستقبلهم**، مرجع سابق، ص ١٨، ١٩.

(٤) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٣-٢٤.

القسم الثاني : تضمن الحديث عن ثلاثة محاور رئيسة تحكم حركة المجتمع عبر الزمن، وهي ما يلي:

أ- مقومات حركة المجتمع ونوازعه الحاكمة التي كوَّنت مسيرته في تاريخه الطويل، وجرى في هذا المحور استقراء الماضي بغرض استخلاص أهم المحددات التاريخية التي سوف تنتقل مع المجتمع العربي إلى المستقبل .

ب- الواقع المادي الذي يعيشه الوطن العربي والذي يغلب عليه الطابع الاقتصادي، وجرى في هذا المحور تأمل الحاضر؛ لفرز تلك الجوانب التي يمكن اعتبارها نقاط الانطلاق المادية إلى المستقبل .

ج- مجموعة العوامل الخارجية التي يتوقع أن يواجهها هذا المجتمع، وجرى في هذا المحور انتخاب المعطيات الخارجية الأكثر احتمالاً والتي يجب أخذها بعين الاعتبار عند التفكير بالمستقبل .

القسم الثالث : فيه صياغة مشاهد بديلة لمستقبل الوطن العربي .

القسم الرابع : خاتمة التقرير، وتتضمن ملخصًا له، والنتائج والدروس الخاصة التي حصل عليها القائمون على المشروع .

أما القسم الثالث : فيمثل خلاصة نتائج هذه الدراسات المستقبلية، وفيه «صياغة مشاهد بديلة لمستقبل الوطن العربي: تعتمد هذه الصياغة على مزيج من الأساليب ... التي تسترشد بخبرة الماضي وتجربة الحاضر والآفاق المعروفة للمستقبل عالميًا، والقدرات العربية الظاهرة أو الكامنة، والمطالب والآمال التي تتطلع إليها الشعوب العربية، وما يتصوره المثقفون العرب كبدائل مطروحة أو محتملة، وأهداف وقدرات القوى الصديقة أو المعادية للشعوب العربية»(1)، وقوام هذه المشاهد ثلاثة، فيما يلي عرض موجز لها :

المشهد الأول: (مشهد التجزئة) أو (المشهد الاتجاهي):

وهو يمثل أسوأ ما يمكن أن تؤول إليه أحوال الوطن العربي(2)، «يفترضُ هذا المشهد استمرار الأوضاع التي سادت الوطن العربي منذ حرب ... أكتوبر ١٩٧٣، وبقاء التجزئة

(١) المرجع نفسه، ص٢٤.

(٢) نفسه، ص٣٣١، ٣٣٣.

على حالها، خلال الإطار الزمني لهذه الدراسة»[1]، وأي تغييرات تحدث ستظل محكومــة في تطورها بمنطق التجزئة[2] وما يتسق معها من تسليم باستمرار خيارات معينة في باقي مظاهر الحياة[3] .

وبحكم ما ينطوي عليه هذا المشهد من ضعف وفرقة، «يترك كل قطر نهبًا للقوى المحيطة به والطامعة في ثرواته. لذلك فإن المعطيات الخارجية تتولى دور القيادة »[4] .

وفي هذا المشهد هناك دول معرضة للتقسيم، مثل : لبنان، وسوريا، والعراق، والسودان، وقد يكون هذا مستندًا إلى قوانين دولية، وستتعرض دول أخرى للضم أو الهيمنة، مثل : ضم البحرين لإيران، وهيمنة إسرائيل على مقدرات الشرق الأوسط، وستتعرض دول أخرى لضعف شديد، وصراعات داخلية، وتبعية، وإن لم تحدث تلك الأمور– حسب أقل احتمالات المشهد سوءًا – فسيزداد الضعف الاقتصادي والعسكري، وستزداد التبعية[5] .

وعن قوة الولايات المتحدة الأمريكية ومدى هيمنتها في الوطن العربي ومحيطه فإن هذا المشهد يسمح بتعاظم مقدرتها على تحقيق سياساتها الأساسية التي تريدها، أما احتمالات تعرضها لضغوط تدفعها إلى تغيير أساسٍ في سياساتها تجاه المنطقة فإنها احتمالات ضعيفة جدًا، وعلى ذلك فإنه من المرجح أن تتسم السياسة الأمريكية في ظل هذا المشهد بما يلي[6] :

أ– رفض التعامل مع الأقطار العربية بصفة مجموعة .

ب– التركيز على القوة العربية الرئيسة، فالسياسة الأمريكية ستكون متشددة تجاه أية قوة عربية غير منحازة إليها، أو حليفة للاتحاد السوفيتي، وستسعى لاحتواء هذه القوة إما بدعم العلاقات الأمريكية بدول الجوار، وإما بزعزعتها من الداخل ما أمكنها ذلك .

---

(١) نفسه، ص٢٧١.

(٢) يبدأ واقع التجزئة منذ تسويات ما بعد الحرب العالمية الأولى. (نفسه) .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه، ص٥٢٦.

(٥) نفسه، ص٣٣٢-٣٣٣ .

(٦) نفسه، ص٢٧٢-٢٧٥.

ج- استكمال متطلبات الاستراتيجية الأمريكية، وأهمها : التضييق على الاتحاد السوفيتي، وإقصائه من المنطقة العربية، وإبقاء إسرائيل متفوقة على أي تجمع لقوى عربية، وردع الأقطار العربية عند اللجوء إلى الخيار العسكري لتغيير ميزان القوى بين العرب وإسرائيل، وستظل المطالب العربية الموجهة للإدارات الأمريكية المتعاقبة أُمنيات، غير قادرة على انتزاع تجاوب أمريكي .

أما القوة العظمى الأخرى – الاتحاد السوفيتي – المهيمنة على العالم إبان بناء مشاهد هذه الدراسة، فإنه يواجهها في هذا المشهد عوامل متعددة تسهم في عرقلة مساعيها لدعم نفوذها في المنطقة العربية وما حولها، أهمها قوة نفوذ الولايات المتحدة في حكومات المنطقة العربية، وعلى الرغم من أن الدراسة لم تشر إلى احتمال سقوط الاتحاد السوفيتي – الذي حصل بعد نشرها ببضع سنوات – إلا أنها لم تجعل له أثرًا مهمًّا أو قويًّا على المنطقة العربية(١) .

وستأخذ الهيمنة للنظام الدولي ثلاثة أشكال رئيسة(٢) :

أ- الهيمنة السياسية من خلال إحكام روابط التبعية الاقتصادية السافرة للأقطار العربية الفقيرة والمحملة بالديون .

ب- الهيمنة السياسية من خلال الابتزاز(٣) للأقطار العربية الغنية والضعيفة (البلدان النفطية)؛ لأن غياب نظام الأمن القومي العربي والجماعي سيُشعر هذه الأقطار بالتهديد من جيرانها الأكبر حجمًا والأقل يسارًا، فتسعى للحماية من إحدى القوى الكبرى، ولا بد للطرف الأجنبي، الذي تلجأ إليه أن يطلب ثمن الحماية التي يقدمها، وهو عادة ينقص من سيادة الدولة(٤) .

ج- الهيمنة السياسية من خلال استخدام القوة السافرة مباشرة أو بالوساطة(٥) .

وفي ظل المعطيات لهذا المشهد يقترحون ما يمكن عمله لمنع أسوأ الاحتمالات التي ينطوي عليها، فهم لا يضعون مشهدًا بديلاً، وإنما يدورون في فلك المشهد نفسه، فيقترحون

---

(١) نفسه، ص٢٧٦.

(٢) نفسه، ص٣٢٣-٣٢٤، ٣٤٢.

(٣) الابتزاز : الغلبة وأخذ الشيء بجفاء وقهر . (الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص٦٤٧، مادة : (بزز)).

(٤) وقد حصل هذا بعد عامين من نشر التقرير، عندما غزا العراق الكويت، وما تبعه من طلب الحماية .

(٥) وهذا ما حصل ضد ليبيا إبان الاستشراف، والسودان بعده، والعراق .

تسعة إجراءات اقتصادية، وإجراءين سياسيَّـيْن، هما : توسيع المشاركة السياسية تدريجيًا، وتحسين كفاءة جهاز الدولة وأدائه، وخمسة إجراءات اجتماعية، وسبعة إجراءات إقليمية، وإجراءًا دوليًا، هو : أنْ تُنوِّع الدولة العربية علاقاتها الدولية(١) .

المشهد الثاني : (مشهد التنسيق والتعاون) أو (المشهد الإصلاحي) :

يقوم هذا المشهد على افتراض أن تداعيات الأوضاع الحالية – زمن الدراسة – تَدفع إلى قيام بعض الفئات الحاكمة بتكوين تجمعات إقليمية، أو إيجاد تنسيق جماعي عربي في مجال أو أكثر؛ لإدراكها حجم التحديات والمخاطر المحدقة بأنظمتها ودولها؛ فيحفزها إلى اتخاذ مجموعة من السياسات الإصلاحية الواسعة في الداخل والخارج؛ أو أن ذلك يحدث بسبب تردي مستوى الأداء الاقتصادي والسياسي، أو سوء إدارة الموارد المتاحة، أو تصاعد الضغوط الشعبية على الفئات الحاكمة لاعتبارات دفاعية أو اقتصادية أو غيرها، وحدوث شيء من هذه الأمور يمثل البدء في هذا المشهد، أو فتح الستار له(٢) .

أما التجمعات المحتملة في هذا المشهد فهي ما يلي(٣) :

أ-إقليم المغرب العربي، ويضم : الجزائر، والمغرب، وتونس، وليبيا، وموريتانيا .

ب-إقليم الجزيرة والخليج، ويضم : أقطار مجلس التعاون الخليجي واليمن، وهو – باستثناء اليمن- التجمع الإقليمي الوحيد القائم وقت الدراسة .

ج- إقليم المشرق العربي، ويضم : العراق، وسوريا، والأردن، ولبنان.

د- إقليم وادي النيل، ويضم : مصر، والسودان، والصومال، وجيبوتي، وليبيا(٤).

وهذا المشهد لا يفترض قيام تغييرات عظيمة، لكنه يفترض قيام حركات إصلاحية واسعة تحدث بسرعة معقولة(٥)، "ويقوم على أساس التدرج في بناء العلاقات، وهو ما يعني البدء بالأمور الأقل خلافية وبالحد الأدنى المتفق عليه، ثم مع بناء زيادة الشعور بالثقة بين

---

(١) حسيب وآخرون، مرجع سابق، ص٣٣٣-٣٤٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٤٥، ٣٤٦، ٤١٤ . وفي التقرير شرح آخر للسياسات اللازمة لاستمرار المشهد وتداعياته بعد بدئه، ص٤٢٣-٤٣٧.

(٣) نفسه، ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٤) يمكن لليبيا أن تكون في هذا التجمع أو في التجمع الأول . (نفسه، ص ٣٤٦-٣٤٧، ح١).

(٥) نفسه، ص ٣٤٥.

الأطراف المكونة للتنسيق الجماعي أو التجمع الإقليمي، يتم توسيع مجالات التعاون والتنسيق تدريجيًا من خلال الإقناع والتفاوض وشعور الأطراف بالفوائد الصافية التي تتحقق من جراء ذلك . ويتضمن ذلك عدم استخدام أساليب الضغط والإكراه في اتخاذ القرارات في إطار هذا المشهد، وترشيد العلاقات الاقتصادية وعدم استخدامها كأداة في الضغوط السياسية»[1].

وخلاصة الاستشراف لنتائج هذا المشهد : أنه لا يقدم شيئًا كثيرًا على مستوى الغذاء والزارعة، لكنه يضيف كثيرًا في الصناعة، والخدمات، ومقدرة الإنفاق الحكومي على الأمن القومي، وتوفير فرص عمل أكثر على مستوى الوطن العربي كله، ويعد إقليم الخليج والجزيرة من أكثر الأقاليم استفادة حسب المنطق التنموي العام لهذا المشهد، أما أقل الأقاليم استفادة فإقليم المغرب العربي[2].

و لم يغفل المشهد سعي بعض القوى المعادية لإحباط قيام هذا المشهد، وأهمها : الولايات المتحدة الأمريكية، وإسرائيل، وإيران، ويرى أنه من المهم إيجاد شكل من أشكال التحالف والتعاون مع إحدى القوتين: (أمريكا ، وروسيا)؛ لإنجاح قيام المشهد[3].

المشهد الثالث : (مشهد الوحدة العربية) :

يقوم هذا المشهد على افتراض أن الكيان الاتحادي الجديد هو القائد والمهيمن على مجريات الأمور في الوطن العربي، وأسس هذا الاتحاد وجود أربعة أمور بصفتها حدًّا أدنى، وهي : وجود سياسة خارجية واحدة، وجيش واحد، وعملة واحدة، ونظام تعليمي واحد[4].

ويقوم أيضًا على افتراض قيام وحدة اتحادية عربية تضم معظم الأقطار العربية الرئيسة، مع احترام التنوع في إطار هذه الوحدة، فللدول أن تحتفظ بما يميزها من خصوصية دينية أو مذهبية أو ثقافية[5] .

---

(١) نفسه، ص٤٢٠-٤٢١.

(٢) نفسه، ص٣٩١.

(٣) نفسه، ص ٣٩٨-٤٠١.

(٤) نفسه، ص٤٤٢.

(٥) نفسه، ص ٤٤٢، ٤٤٩.

أهم الملامح العامة التي يحققها المشهد[1] :

أ- «الإحساس بالانتماء إلى كيان عربي أوسع» .

ب- «مزيد من التوجه للتخطيط على المستوى القومي العام للدولة الاتحادية».

ج-«زيادة معدل النمو لاتساع الموارد المتاحة والسوق» .

د- إيجاد قاعدة تقنية عربية متنامية .

هـ- «زيادة القدرة العسكرية العربية» .

و- «قيام ... صناعة عسكرية عربية مستقلة» .

ز- ازدياد فرص الاحتواء والتصفية التدريجية لإسرائيل .

ويتحدث المشهد عن الوسائل والخيارات في مواجهة الدول الخارجية المعادية لقيام مثل هذا الاتحاد، وهذه الدول يُتوقع أن تكون : الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفيتي، وإسرائيل، وإيران، وتركيا، بينما يمثل التعاون مع دول أخرى تقويةً للمشهد وإنجاحًا له، وهي بالدرجة الأولى : الجماعة الأوروبية، واليابان، والصين[2] .

متطلبات قيام المشهد :

يتطلب قيام هذا المشهد «تعديلاً أساسيًا في النخب الحاكمة وتوجهاتها القطرية، أو على أقل تقدير تطورًا جذريًا في مفاهيم تلك النخب وممارساتها، ينشأ عن نضج في التفكير واستيعاب لمضمون التكامل والوحدة»[3]، وهذا التعديل يحدث في الغالب بإحدى طرق ثلاثة:

الطريق الأولى : « قيام قوة إقليمية تغييرية جذرية (ثورية)، تتكون من قطر عربي أو أكثر، ويكون لها من المركزية والثقل والمصداقية ما يجعلها ذات تأثير عام على المنطقة بأسرها»[4]، والأقطار التي يمكن أن يبدأ الاتحاد بين اثنين منها أو أكثر : مصر، والعراق، وسوريا، والجزائر، والسعودية[5] .

---

(١) نفسه، ص٤٤٣-٤٤٤.

(٢) نفسه، ص ٤٥٢-٤٦٤.

(٣) نفسه، ص٤٩٣.

(٤) نفسه، ص٥٠٢.

(٥) نفسه، ص ٥٠٧.

الطريق الثانية : يتمثل في قيام المشهد الثاني ونجاحه، واستمرار إنجازاته، ليكون ممهدًا وموصلاً إلى قيام دولة اتحادية عربية[1] .

الطريق الثالثة : حدوث تحول في طريقة الحكم في معظم الأقطار العربية، بحيث تشارك الشعوب في الحكم مشاركة كاملة، وبما أن غالبية الشعوب العربية ترغب في الوحدة فإن كل تحول نحو مشاركتها في الحكم سيقرّب هذه الشعوب من رغبتها[2] .

وفي بيانٍ لنوع القوة التي سيقوم على عاتقها الاتحاد، فإنهم يرون أنَّ الأكثر ترشيحًا لذلك: (حركة قومية جديدة)، مرجعها العقدي والتنظيمي مرجع (قومي)[3].

٦- تعليق على التقرير ودراساته:

من الصعب جدًّا توجيه نقد إلى الدراسات المستقبلية أو إشادة بها بصورة موضوعية متكاملة، إلا بعد بلوغها مداها الزمني، أو مِن خلال فريق عمل متنوع، مماثل لفريق الدراسة، وجهد كبير كجهدها، وهو أمر يصعب القيام به لمجرد النقد والحكم، لكن يمكن هنا ذكر بعض الأمور العامة، والقضايا المنهجية، والمسائل الواضحة، والاستئناس برأي بعض من اشترك في إعداد هذه الدراسات، وذلك فيما يلي :

أ-بعد مُضي نحو عشر سنوات على نشر هذا التقرير، يرى نصَّار -أحد منسقي المشروع- : أن المشروع قدَّم -ولأول مرة- قراءة شديدة التميز للموارد العربية: الطبيعية والبشرية، وقدم رؤية مستقبلية على جانب كبير من الصواب لاحتمالات تطور المدن العربية، لكنه في المقابل لم يتطرق لاحتمال غزو العراق الكويت ولا بتطورات شرق أوروبا[4] -وعلى رأيه- ولا بالهجوم بالطائرات المدنية على بعض المدن في الولايات المتحدة الأمريكية، في (١٤٢٢/٦/٢٣هـ، الموافق ١١ /٩/ ٢٠٠١ م)، وتداعيات ذلك، لكنَّ الباحث يخالفه في كونها لم تتطرق لاحتمال غزو العراق الكويت ... إلخ ، فالدراسات المستقبلية ليست وسيلة تنبؤ، تخبر عما يكون بالضبط، وإنما ترسم مسارات عامة، والباحث

---

(١) نفسه، ص ٥٠٣-٥٠٤.

(٢) نفسه، ص ٥٠٤ .

(٣) نفسه، ص ٥٠٥ .

(٤) "مشروع مستقبل الأمة : التحديات والخيارات"، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص ٥٥. والمقصود بتطورات شرق أوروبا، أي: سقوط النظام الشيوعي وتداعياته .

يرى أن التقرير وُفِّق إلى حد كبير عندما شرح الأطماع الأمريكية في المنطقة العربية، ومدى احتمالات مقدرة أمريكا على تحقيق سياساتها الرئيسة التي تريدها، وبعض وسائلها في تحقيقها، وترجيح تفوقها على الاتحاد السوفيتي السابق، وبسط نفوذها في المنطقة العربية، كما وُفِّق التقرير في بيان أطماع دول الجوار فيما بينهم واحتمالات تعدي بعضها على بعض؛ إذن فإنَّ كل تلك الأحداث التي يُزعم أن التقرير لم يتطرق لاحتمالاتها، هي داخلة ضمن المسارات العامة التي رسمها التقرير .

ب-من الأمور الحسنة في الدراسة أنها تقترح في نهاية المشهد الأول سياسات لتلافي الأزمة، وفي المشهد الثاني والثالث سياسات لتحقيق الغايات، وهو أمر يؤيده الباحث في منهجية الدراسات المستقبلية؛ لكنْ يرى عبد الفضيل -أحد المشاركين في دراسات المشروع- : أنَّ منهجية بناء (المشاهد) عانت من بعض نواحي القصور، لاسيما في مجال تحديد شروط الإمكان، وشروط الاستمرار؛ وركَّزت (المشاهد) على إثارة قضايا مستقبلية، ولم تركز على إيجاد وسائل ومسارات للوصول إلى الهدف المطلوب بدءً من نقطة الأساس والانطلاق، ويرتبط بهذا غموض وسائل الانتقال من مشهد إلى آخر، فقد جاءت المشاهد المستقبلية كما لو كانت معلقة في الهواء[1].

ج- ويضيف عبد الفضيل: أنَّ الدراسة استخدمت أسلوب (النمذجة) لدراسة ظواهر غير اقتصادية؛ وأدى هذا إلى ظهور عيوب منهجية رئيسة؛ فالاعتماد المطلق على الاستبانة لتحديد الأوزان والترجيحات اللازمة للظواهر والاعتبارات غير الاقتصادية، يجعل كل نتائج الاستشراف في هذا المجال عرضة للتحيزات الذاتية والشخصية لمن قاموا بملء الاستبانة مهما حسنت نواياهم أو أوتوا من العلم والحكمة الشيء الكثير[2] .

د- كما أنَّ الاستبانة قد اقتصرت على استطلاع رأي النخبة السياسية والفكرية، فلم تشمل العَيِّنة ممثلين للنقابيين، والحركات الشعبية الفاعلة، والشباب -رمز المستقبل- وهي فئات لها ترجيحات وتقديرات مختلفة، ولها رؤى مستقبلية مغايرة لرؤى النخب السياسية

---

(١) عبد الفضيل، في "عالم الفكر"، مرجع سابق، العدد ٤، (يناير/ ١٩٨٨م)، ص ٦٩-٧٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧١.

والفكرية؛ واقتصار الاستطلاع على هذه الفئة يُعمِّق من مقدار الفجوة القائمة بين (النخبة) و(الجماهير)[1].

هـ- أنَّ قاعدة البيانات اللازمة لأغراض الاستشراف كانت ضعيفة؛ نظرًا لضعف البيانات الخام المتاحة؛ وقصور قاعدة البيانات يمثل أحد أهم المشكلات التي تعيق تقدم الجهود الاستشرافية -بعامة- للمستقبل العربي بخيره وشره[2].

و- لم يُستخدم في هذه الدراسات أسلوب التشاور المتميز (دلفي)، وهو في رأي الباحث أسلوب رئيس في مثل هذه الدراسات التي تتناول ظواهر كثيرة، وتشمل رقعة جغرافية واسعة، تضم دولاً متعددة، لها أسس متفاوتة، ويُطلب في الدراسات العمل الجماعي لتحقيق الممكن المرغوب فيه من المشاهد المتوقعة .

ز- يَلحظ الباحث أن أسس الاتحاد في المشهد الثالث: (النهج الواحد في: السياسة الخارجية، والجيش، والعملة، والتعليم) هي أمور ذات حساسية شديدة، ومتباينة بين بعض الأقطار العربية، وليس في المشهد سياسات مقترحة، وخطوات تمهيدية تقرب الأقطار العربية بين بعضها في هذه الأسس، ولذلك يأتي فتح الستار لهذا المشهد مع بداية التسعينيات الميلادية- أي قبل نشر الدراسة بسنتين - قفزة على الواقع، من غير تمهيد ولا تهيئة للاتحاد .

ويلحظ الباحث ضعف بناء هذا المشهد مقارنة بالمشهدين الأول والثاني، فإنه يظهر تارة بصفته مشهدًا مستقلاً، وتارة يظهر باعتباره جزءًا من المشهد الثاني، أو أنه ينبثق ويخرج في أثنائه، وتارة يظهر كأنه امتداد للمشهد الثاني ونتيجة له .

ح- يرى الباحث أن اختيار ثلاثة مشاهد للمستقبل العربي اختيار غير موضوعي، ولا منصف، ففيه إلغاء للمستقبل الإسلامي، مع كونه محتمل قوي، فالعرب لا يعملون في معزل وحدهم، بل لهم تعاون وتعامل مع باقي الدول الإسلامية، ولهذا مؤسساته القائمة، والفاعلة أحيانًا، والاحتمالات قوية في ازدياد قوة هذه المؤسسات في مجال التنسيق والتعاون المثمر، وتوحيد السياسات تجاه المسائل الدولية، كما أن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية -كما يذكر صعب- تزامنت مع الدعوة إلى الوحدة العربية[3]، هذا على مستوى العالم الإسلامي؛ أما

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) صعب، **العرب يبدعون مستقبلهم**، مرجع سابق، ص ٢٠.

على مستوى كل دولة عربية، فالاتجاه الإسلامي في عدد من الدول العربية اتجاه صاعد، له في الانتخابات السياسية في عدد من الدول شأن ظاهر في الوقت الذي أُعدَّت فيه تلك الدراسات . فتجنب ذكر المشهد الإسلامي العربي وفقـًا لاقتصار دراساتهم على العالم العربي فقط، أو المشهد الإسلامي على مستوى العالم الإسلامي، هو نوع مما يطلق عليه المنجرة : (مستقبلية الانتهاز)، أي : الدراسات المستقبلية الانتهازية، التي تسعى للتأثير على الحركات الفكرية، بحصر المستقبل في تصوراتها هي، وإلغاء الآخرين[1] .

ط- ومِثلُ السابق ما ورد في آخر المشهد الثالث، في بحثهم عن القوة القادرة على تكوين الوحدة العربية وإدارتها، فإنهم يرون : أن الأكثر ترشيحًا لذلك هو (حركة قومية)...إلخ، فهل حقًّا أنَّ الأمر كما يزعمون ؟ أم أنَّهم وقعوا في خطأ من الأخطاء التي تقع فيها بعض الدراسات المستقبلية، مِن تأثر نتائجها بالتوجه الفكري للباحثين ومجانبة الموضوعية ؟

إنَّ النظر إلى هذا بأدوات الدراسات المستقبلية نفسها ينفي أن تكون المرشحة حركة قومية، لا سيما أنهم يتحدثون عن ثلاثة عقود قادمة، يمكن أن تظهر فيها هذه القوة، وهذا النظر – باختصار شديد – ما يلي :

أ- أن القياس التاريخي على الحركات القومية السابقة ينفي أن تكون مثلها مُوصلة إلى الاتحاد، ولو وصلت فالقياس ينفي قدرتها على النجاح والاستمرار.

ب- أنَّه يُلحظ بجلاء في واقع المجتمعات العربية – وقت إعداد الدراسة – تراجع التمسك بالقوميات، والتخلي عنها، واتجاه الشعوب نحو الإسلام، ومطالبتها بتطبيق الشريعة الإسلامية.

ج- في استطلاع أراء كثير من الخبراء من مختلف الأقطار العربية، عن أهم التحديات المستقبلية التي يتوقعون أن يواجهها المواطن العربي، جاءت (مسألة الوحدة القومية) في مؤخرة التحديات التي توقعها الخبراء في المنظور القطري؛ وجاء استطلاع آرائهم بشأن الأهداف المتوقعة مستقبلاً للتعليم يفيد: بأن (التنشئة الدينية) هي في مقدمة أهداف التعليم في المستقبل[2]، مما يؤكد توجه المجتمع العربي نحو الإسلام لا القوميات .

---

(١) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص ١٨٨.

(٢) ينظر الاستطلاع: زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص١٠٥-١٠٧ ، ١٧٣.

فالأمر إذن -كما يقول شلبي-: «إنها حركة قام المؤلف بتفصيلها على قدر الحلم المرغوب دون مبررات كافية لوجودها الواقعي»[١] . ويقول سردار في نقده لدراسة (صور المستقبل العربي) -وهو نقد يَسْري على هذا التقرير أيضًا-: «إن عبد الله وزملاءه مدانون بالجريمة ذاتها التي يتهمون بها مؤلفي النماذج العالمية، فهم يتنبأون بمستقبل غريب للقومية العربية على منطقة ذات هوية إسلامية مميزة، وحاجات وطموحات يجب أن تتحقق ليس من وجهة نظر قومية عربية بل ضمن نظرة الإسلام للعالم . وتطور الدراسات المستقبلية العربية يجب أن يكون جزءًا من تطور النظريات والمناهج للرؤى المستقبلية الإسلامية»[٢] .

وإجمالاً : من الناحية الفنية -مع ملاحظة ما سبق آنفًا من ملحوظات، ومع غض النظر عن مدى سلامة الاختيار للخبراء والباحثين المشاركين في إعداد الدراسات- فإنَّ هذه الدراسة تُعدُّ - في رأي الباحث - من الدراسات المستقبلية العربية الرائدة؛ لاعتمادها على جهد جماعي متنوع، واختيارها منهج (التحليل المستقبلي)، وهو من المناهج القوية في الدراسات المستقبلية، حيث يجمع بين الاستفادة من الماضي، وعدم تجاهل ما يمكن أن يطرأ في المستقبل، ولاستخدامها جملة من الأساليب المهمة المستخدمة في الدراسات المستقبلية، وجمعها بين الأساليب الكمية والكيفية .

المطلب الثاني: دراسة (كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل ؟) :

١- تعريف بالمشروع الرئيس لهذه الدراسة[٣]:

هذه إحدى دراسات (مشروع مستقبل التعليم في الوطن العربي)، وهو مشروع بحثي كبير، يهدف إلى صياغة التوجهات، والاستراتيجيات، والسياسات المستقبلية لتعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين الميلادي، قام به منتدى الفكر العربي بعَمَّان، بدءًا من عام (١٩٨٦م)، واشتمل على دراسات تمهيدية، ورئيسة، ومقارنة، اندرجت تحت أربعة محاور، هي :

أ- محور الدراسات العالمية المقارنة .

---

(١) في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص ٨٤.

(٢) Sardar, **Islamic futures**, Op. Cit., P. 29.

(٣) سعد الدين إبرهيم (تقديم)، زاهر، المرجع نفسه، ص ٢١-٢٥.

ب- محور أوضاع التعليم الحالية في الوطن العربي .

ج- محور المتطلبات والتحديات التربوية المستقبلية في الوطن العربي، وتندرج تحته هذه الدراسة المراد عرضها .

د- محور التوجهات والاستراتيجيات والسياسات لتعليم الأمة في القرن القادم .

وتناول المشروع استشراف التعليم خلال ثلاثة عقود قادمة، للمدة من (١٩٩٠م إلى ٢٠٢٠م) .

٢- محتويات الدراسة :

نشر منتدى الفكر العربي هذه الدراسة عام (١٩٩٠م)، وقام على تأليفها ضياء الدين زاهر[1]، وتقع في (٣٨٢) صفحة من الحجم العادي .

قُسِّمت الدراسة بعد المقدمة إلى ثلاثة أقسام، وسبعة فصول:

القسم الأول: مدخلات مستقبل التعليم العربي ، يندرج تحته الفصل الثاني .

القسم الثاني: عمليات وآليات صنع المستقبلات التعليمية، يندرج تحته الفصل الثالث إلى السادس .

القسم الثالث: المخرجات المستقبلية للتعليم العربي، يندرج تحته الفصل السابع .

أما المقدمة فأشار فيها إلى أهمية التعليم في تحديد مستقبل الأمة، وبيّن واقع التعليم في البلاد العربية، وذكر هدف الدراسة وأسلوبها ومدى ما حققته .

وأما الفصل الأول فكان كالمقدمة الثانية للكتاب، تضمن الحديث عن ملامح عالم الغد: وفيه الحديث عن سبع خطايا للتعليم العربي، متداخلة ومتشابكة؛ تمهيدًا للسيطرة عليها، وعلاجها، وتلك الخطايا هي: تنمية تربوية مشوهة، وتفاقم الفجوة بين الخطابين الرسمي والواقعي الممارس، وتعظيم التمايزات، وارتفاع التكلفة مع انخفاض المردود، وتنمية البطالة، وتهافت محتوى التعليم، وغياب التخطيط المستقبلي للتعليم؛ ثم بيَّن منهج الدراسة، وأساليبها، وتصميم الاستبانات، وضوابط اختيار عينة الدراسة، وخصائص العينة، وطريقة التحليل الإحصائي .

---

(١) كان وقتها أستاذًا مساعدًا للتربية في جامعة عين شمس في مصر . (سعد الدين إبرهيم (تقديم)، زاهر، نفســه، ص٢٦).

٣- منهج الدراسة وأساليبها المستقبلية :

اختار المؤلف منهج (التحليل المستقبلي)؛ لما يحتويه هذا المنهج من قوة في الدراسات المستقبلية، ولمزاياه المتعددة[١].

أما الأساليب: فقد اعتمدت الدراسة على ثلاثة أساليب، هي : أسلوب التشاور المتميز (دلفي)، في أربع جولات، وأسلوب المشاهد، وأسلوب العصف الذهني، أو الاستثارة الفكرية[٢].

وتناولت بالتحليل العلمي الدقيق آراء (٢٥٠) شخصية عربية[٣] في قضايا الأمة عمومًا، ودور التعليم فيها حاضرًا ومستقبلاً؛ ولأول مرة يُستخدم أسلوب التشاور المتميز (دلفي) في عمل من هذا النوع، في جولات متتابعة، على مدى سنتين تقريبًا، للانتقال بأصحاب هذه الآراء من العام إلى الخاص، ثم إلى الأكثر خصوصية في قضايا التربية؛ و لم يقتصر الأمر فيها على أصحاب الرأي، وإنّما شمل أصحاب القرار أيضًا[٤] .

٤- القسم الأول للدراسة : مدخلات مستقبل التعليم العربي :

الفصل الثاني : التحديات المجتمعية المستقبلية للتعليم العربي :

« التعليم ليس مجرد عمليات فنية فحسب، بل هو في الأول والأخير، عمليات مجتمعية تتأثر بما يحدث وما سيحدث في المجتمع وتؤثر فيه »[٥]؛ لذا فقد بدأ فريق البحث « بسؤال

---

(١) زاهر، المرجع نفسه، ص ٥٣-٥٧.

(٢) نفسه، ص ٥٧-٦١ .

(٣) كان من المملكة العربية السعودية منهم من يلي:

أ - إبراهيم بن مبارك الجوير، أستاذ علم الاجتماع في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ومستشار لوزير التعليم العالي .

ب- عبد الله بن عبد المحسن، مختص في العلوم السياسية، مدير عام شؤون الحدود بوزارة الداخلية آنذاك .

ج- علي عبد الرحمن خلف، مختص في الهندسة، رئيس مجلس الإدارة في شركة السعودية للحديد والصلب آنذاك.

د- محمد بن أحمد الرشيد، مختص في العلوم التربوية، تولى منصب وزير التربية والتعليم من عام ١٤١٥هـ إلى بداية عام ١٤٢٦هـ . (نفسه، ص ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٢)، وتعريف الوضع الحالي لهم من الباحث .

(٤) سعد الدين إبرهيم (تقديم)، زاهر، المرجع نفسه، ص ٢٦ ، وقد ذكر المقدم : أن التحليل تناول آراء ألف شخصية عربية ! لكن أعلى رقم وصل في هذه الدراسة هو (٢٥٠) . ينظر: زاهر، المرجع نفسه، ص ٦٨.

(٥) زاهر، المرجع نفسه، ص ١٠٥.

النخب العربية من كافة الأقطار العربية عن أهم المشكلات، والتحديات المجتمعية التي يتوقعون أن يواجهها المواطن العربي مع بدايات القرن الحادي والعشرين على مستوى[1] الوطن العربي ككل (منظور قومي)، وعلى المستوى القطري الذي ينتمي إليه المفكر»[2] .

وقد حصلوا «على قائمة بأكثر من خمسين مشكلة وتحد مستقبلي أمكن تصنيفها ... إلى ثماني مجموعات رئيسية هي: تحديات اقتصادية وتكنولوجية، وتحديات المسألة الاجتماعية، وتحديات ديموجرافية وبيئية، والتبعية والاستعمار الجديد[3]، والأمن الوطني والتهديدات الخارجية، والمسألة القومية الوحدوية، والمسألة التعليمية، والمسألة الديموقراطية والمشاركة الجماهيرية »[4] .

ونالت التحديات الاقتصادية والتقنية الأولية من المنظورين القومي والقطري، وجاءت (المسألة القومية الوحدوية) في مؤخرة التحديات المستقبلية[5] .

وخلاصة هذا الفصل أنّ «أهم عشرة تحديات مستقبلية تتوقع النخب العربية أن تواجه مجتمعنا العربي حتى أواخر الربع الأول من القرن الحادي والعشرين، وهي من المنظورين القطري والقومي متشابهة إلى حد كبير .

فمن المنظور القطري، هناك التحديات التالية :

(١) التحدي التكنولوجي والمعلوماتي، (٢) البطالة، (٣) الكفاية الخارجية للتعليم[6]، (٤) تخلف البنى والهياكل الأساسية الاقتصادية، (٥) انخفاض مستوى المعيشة وارتفاع تكلفتها (٦) الصراع القيمي والتفكك الاجتماعي، (٧) الصراع العربي الصهيوني، (٨) الأمن الغذائي، (٩) الكفاية الداخلية للتعليم[7]، (١٠) الانفجار السكاني ...

---

(١) في المرجع (المستوى) وهو خطأ مطبعي .

(٢) نفسه، ص ١٠٥.

(٣) يُقصد به: "وجود درجة عالية من التأثير في الشؤون السياسية والاقتصادية لبلد ما من قبل دولة أجنبية أو مصالح تجارية أجنبية" . (نفسه، ص ١٢٩) .

(٤) نفسه، ص ١٠٥.

(٥) نفسه، ص ١٠٦-١٠٧.

(٦) أي: مخرجات التعليم الكيفية والكمية. (نفسه، ص١٣٢) .

(٧) أي: "مدى مطابقة مخرجات النظام التعليمي لأهدافه المرسومة أو المبتغاة" . (نفسه، ص١٣٣) .

ومن المنظور القومي، رأت النخب العربية أن أهم عشرة تحديات سوف تواجه الأمة العربية خلال العقود الثلاثة القادمة هي على الترتيب :

(١) التحدي التكنولوجي والمعلوماتي، (٢) الوحدة والتشرذم العربي، (٣) تخلف البنى والهياكل الأساسية الاقتصادية، (٤) الصراع العربي الصهيوني، (٥) الأمن الغذائي، (٦) الكفاية الخارجية للتعليم، (٧) ندرة الموارد الطبيعية، [٨][(١)] الأطماع والتهديدات الدولية، (٩) المشاركة والممارسة الديمقراطية، (١٠) الصراع القيمي والتفكك الاجتماعي»[(٢)] .

٥- القسم الثاني للدراسة : عمليات وآليات صنع المستقبلات التعليمية :

يندرج تحت هذا القسم أربعة فصول، هي :

الفصل الثالث : الأهداف المستقبلية للتعليم العربي .

الفصل الرابع : المضامين المستقبلية للتعليم العربي .

الفصل الخامس : الإدارة المستقبلية للتعليم العربي، وصيغه المستقبلية .

الفصل السادس : مهنة التعليم وإعداد المعلم .

جرى في كل فصل أربع جولات تشاور بين منتدى الفكر العربي، والخبراء، والمختصين، والقيادات العربية .

أما الجولة الأولى ففيها أسئلة مفتوحة طلب منهم فيها تحديد أهم ما يتعلق بموضوع الفصل، وقد أكمل هذه الجولة (٢٣٠) مستجيب، من (٥٠٠) شخص، بنسبة (٤٦٪)[(٣)].

وأما الجولة الثانية فتضمنت أهم نتائج الجولة الأولى، وكانت الأسئلة فيها مغلقة، وهدفت الجولة إلى أمرين : الأول: تعليمي: إعلام عدد من القيادات والمختصين البعيدين عن احتراف التعليم وتعريفهم به، وبغاياته؛ والثاني: استفتاؤهم مرة أخرى بشأن نتائج الجولة الأولى؛ فالجولة الثانية كانت فرصة للاقتراب أكثر من النخب العربية، واقترابهم هم من المسألة التعليمية؛ وقد أكمل هذه الجولة (٢٢٦) مستجيب، من (٢٥٠) شخص[(٤)]، بنسبة (٩٠،٤٪)[(٥)] .

---

(١) سقط الرقم من المرجع.

(٢) نفسه، ص ١٣٣- ١٣٤.

(٣) نفسه، ص ٦٥.

(٤) زاد العدد هنا عن المستجيبين في الجولة الأولى؛ بسبب تأخر ورود إجاباتهم، فلم يدرجوا في نتائج الاستبانة الأولى وأُدرجوا في الثانية . (نفسه، ص ٦٨).

(٥) نفسه، ص ٦٦، ٦٨.

وأما الجولة الثالثة فتضمنت نتائج الجولة الثانية، وطُلب منهم تحديد درجة مرغوبية كل فقرة على حدة، مما تضمنته نتائج الجولة الثانية بعد تحليلها، وفق مقياس مكون من ثلاثة اختيارات: (مرغوب جدًا ، مرغوب فيه، مرغوب عنه)، وتوجهت هذه الجولة إلى مئة شخصية عربية، هم نخبة النخبة؛ لما يتميزون به من وجهات نظر متميزة، أجاب منهم (٩٧) شخصًا[١] .

وأما الجولة الرابعة فاقتصرت على متخذي القرار، وأصحاب التأثير في السياسات التعليمية، من الذين اشتركوا في هذه الدراسة، وطُلب منهم -في ضوء نتائج الجولات الثلاث- أن يضعوا تقديرًا رقميًا لمدى تحقق كل قضية مستقبلية للتعليم -مما تضمنته فصول هذا القسم- في أوائل القرن الحادي والعشرين الميلادي، طبقًا لكل مشهد مستقبلي من المشاهد الثلاثة للدراسة، أجاب فيها (١٧) قائدًا عربيًا[٢]، ولم يُوضَّح العدد الكلي لمن شملتهم هذه الجولة .

وسيقتصر الباحث -بصورة رئيسة- على عرض نتائج الجولة الثالثة؛ لأنها خلاصة الجولات، ويكون التطرق إلى غيرها من الجولات فيما يفيد لبيان الناحية الفنية للدراسات المستقبلية، أو الناحية الدعوية، ولن يشير في عرض هذا القسم إلى نتائج الجولة الرابعة؛ لأنَّ نتائجها متضمنة في القسم الثالث، وسيأتي عرض له .

الفصل الثالث : الأهداف المستقبلية للتعليم العربي :

تصدى هذا الفصل لرصد اتجاهات النخبة العربية نحو الأهداف العامة للتعليم؛ لأنَّ تحديدها ووضوحها بمثابة القلب في توجيه النُّظم التعليمية في سياقها المجتمعي والفني؛ ويوضح الجدول التالي نتائج تحليل الجولة الأولى، التي طُلب فيها من النخبة العربية أن يعطوا تصوراتهم عن أهم الأهداف التي يجب أن يتوجه نحوها التعليم في أقطارهم في المستقبل في ضوء المشكلات والتحديات التي سبق لهم تحديدها[٣] .

---

(١) نفسه، ص ٦٨، ٧٠.

(٢) نفسه، ص ٧١.

(٣) نفسه، ص ١٤٥-١٤٦.

شكل رقم ٣ :

«استجابات الخبراء في الجولة الأولى بشأن الأهداف المستقبلية للتعليم العربي»[(١)]

الأهداف المستقبلية للتعليم العربي	التكرار	النسبة المئوية
تدعيم الهوية الثقافية العربية	٤٥	٥ر٧
تأكيد مفهوم الوحدة العربية لدى المواطن	٣٥	٤ر٥
تنمية شعور المواطنة بالانتماء للوطن العربي الكبير	٥٦	٧ر١
التنشئة الدينية للمواطن العربي	٣٣	٤ر٢
تنمية التفكير العلمي لدى المواطن العربي	٦٤	٨ر١
تنمية قدرة الإنسان العربي القدرة على الابتكار والإبداع	٥٢	٦ر٦
تنمية قدرة الإنسان العربي القدرة على التفكير التوقعي والمستقبلي	٥٩	٧ر٥
تنمية مهارات التفاعل الاجتماعية وفق أسس ديموقراطية لدى المواطن	٩١	١١ر٦
تدعيم العلاقة بين العمل والتعليم	٤٥	٥ر٧
إعداد الكوادر الفنية المدربة اللازمة لقطاعات التنمية	٩٨	١٢ر٥
تنمية المهارات اللازمة لفهم واستيعاب التكنولوجيا المتقدمة	٩٠	١١ر٥
مساعدة المواطن على النمو المتكامل نفسيًا وجسميًا وعقليـــاً	٧٠	٨ر٩
أهداف أخرى	٤٨	٦ر١
المجموع	٧٨٦	١٠٠ر٠

ويلحظ أن هدف : «إعداد الكوادر الفنية المدربة...» قد احتل المرتبة الأولى[(٢)] . ويقول المؤلف : "ومن الملفت حقًا ورود التنشئة الدينية في المرتبة الأخيرة (٤ر٢ ٪) وهذه النتيجة وإن كانت غير متوقعة، إلا أنه قد يمكن تفسيرها، على أساس أن التنشئة الدينية متضمنة نسبيًا داخل هدف تدعيم الهوية العربية الثقافية، خاصة وأن عينة المشاركين تضم عددًا ليس قليلاً من المفكرين ذوي الاتجاهات الأصولية والذين عبروا بقوة عن اتجاهاتهم في استجاباتهم»[(٣)]، وهذا في رأي الباحث تعليل ضعيف؛ لأنَّه لو كان في الأمر لبس أو تداخل لأمكن تلافيه في الجولات اللاحقة، لا سيما أنَّه اتضح للمشاركين خلال الجولة الثانية انفصال الهدفين عن بعضهما؛ وعلى صحة ما علل به المؤلف فإن كلا الهدفين جاءا في

(١) نفسه، ص ١٤٦.

(٢) نفسه .

(٣) نفسه، ص١٤٩ .

مؤخرة أهداف التعليم، بل وجرى تأكيد هذا الموقع لهما في الجولات التالية . ومن المفارقات العجيبة أنَّه لـمَّا طُلب من المشاركين في الجولة الثانية ترتيب أهم خمسة أهداف مما سبق ذكرها يُتوقع أن تتصدر قائمة أهداف التعليم في الوطن العربي مع بدايات القرن الحادي والعشرين الميلادي، كانت الإجابة: أن هناك خمسة أهداف رئيسة هي(١) :

أ- التنشئة الدينية، وجاء في مقدمة اختيارات النخبة، وهذا التوقع -كما يقول المؤلف: «قد يكون نابعًا من قناعة عدد من القيادات الفكرية بأن التوجهات والتحولات الدينية الحالية، لا سيما الصحوة الإسلامية، تحتم سيادة هذا الهدف لقائمة أهداف التعليم العربي في المستقبل»(٢) .

ب- تدعيم الهوية الثقافية العربية .

ج- إعداد الكوادر الفنية المدربة اللازمة لقطاعات الإنتاج والخدمات .

د- تنمية التفكير العلمي .

هـ- تدعيم علاقة التعليم بالعمل .

وهناك هدفان لا تتوقع النخبة وجودهما ضمن أهداف التعليم في المستقبل، لكنهم يتمنون وجودهما، وهما(٣):

أ- تأكيد مفهوم الوحدة العربية .

ب- تنمية القدرة على الابتكار والإبداع .

ومن هذا يُلحظ أنَّه لـمَّا يكون الحديث عن الأهداف المتوقعة يأتي هدف التنشئة الدينية في مقدمة الأهداف، وعندما يكون الحديث عن الأهداف المرجوة والمرادة يأتي هذا الهدف في مؤخرة الأهداف، بل من الخبراء من لا يرى أهميته أساسًا، كما يوضحه الجدول التالي في خلاصة الجولة الثالثة ؛ فلماذا الوقوف أما التيار وتقليله ما دام أن التوقعات تشير إلى أنَّه جارٍ، وهو تيار حميد، يحبه الله ورسوله ﷺ، ويعود بالعاقبة الحسنة على الأمة في شتى مجالاتها؟ بل هل يليق لهدفٍ، حَصَرَ الله سبحانه غاية خلق الإنس والجن لـه، أن يكون في

---

(١) نفسه، ص١٧٣-١٧٤ .

(٢) نفسه، ص١٧٤ .

(٣) نفسه، ص١٧٦ .

ذيل قائمة أهداف التعليم ؟ أم أنَّ الأحوال الدينية في العالم العربي قد بلغت الغاية فلا مظاهر شرك منتشرة، ولا خرافات متبعة، ولا أركان متروكة، ولا مساجد مهجــورة، فـــاكتفوا بتنشئة البيت والمسجد ؟

شكل رقم ٤ :

"التوزيع النسبي لاستجابات نخب الجولة الثالثة على مدى مرغوبية الأهداف المستقبلية للتعليم (نسبة مئوية)"[1]

الـــهـــدف / المرغوبية	مرغوب جدًا	مرغوب فيه	مرغوب عنه
١- تنمية الهوية الثقافية العربية	٦٨ر٨	٣١ر٢	-
٢- التنشئة الدينية المستنيرة	٥٨ر٩	٤٣ر٥	١ر١
٣- تدعيم علاقة التعليم بالعمل	٥ر ٥٨	٢١ر٥	-
٤- تنمية التفكير العلمي والتحليلي والنقدي	٩٢ر٦	٧ر٥	-
٥- تنمية قدرات الإنسان العربي على التكيف مع الغير	٦٩ر٦	٢٨ر٣	٢ر٢
٦- تنمية القيم والسلوكيات الديموقراطية	٧٣ر٩	٢٥	١ر١
٧- تنمية قدرات الإبداع الفكري والجمالي والعلمي	٧١ر٤	٢٨ر٦	-
المجموع (٦٤٧)	٧٢	٢٦ر٤	١ر٦

جرى في الجولة الثالثة تطوير الأهداف المستقبلية للتعليم العربي وفقًا لما اقترحته النخبة العربية، حيث تبلورت في سبعة أهداف فقط، هي في تحليلها النهائي المجموعات الأساسية التي أظهرها تحليل الجولة الثانية، وقد طلب من كل مشارك تحديد درجة مرغوبية كل هدف على حدة، وهو ما أظهره الجدول السابق، الذي يُعدُّ خلاصة هذا الفصل .

وفي بيان تأثير عُمر المشارك على إدراك الأهداف المستقبلية للتعليم العربي، يعرض المؤلف في نتائج الجولة الأولى جدولاً يوضح ذلك، ومن أمثلته : أن جميع الأعمار تؤكد على (دعم الهوية الثقافية العربية)، لكن يلحظ في هدف (تأكيد الوحدة العربية)، أن الحماس نحوه

(١) نفسه، ص١٧٧ .

كان لدى الفئة العمرية (٣٥-٤٥)، وكان أقل الفئات حماساً تجاهه هم شريحة الشباب أقل من (٣٥) عامـــًا، ويُرجع المؤلف سبب ذلك إلى أن الفئة المتحمسة للوحدة قد عاصرت تجربتها، والتهبت مشاعرها بقيامها، فهي ما تزال تتمنى تكرارها، بينما فئة الشباب عاصرت انفصال الوحدة بين مصر وسوريا ولم تعاصر قيامها، وسمعوا عن فشل صور الوحدة العربية كافة خلال أواخر القرن الخامس عشر الهجري[١] .

وأعلى نسبة لاختلاف آراء المشاركين ظهرت في جدول اختلاف اختصاصاتهم، بينما ظهرت أقل نسبة في جدول اختلاف نوعهم (ذكر وأنثى)[٢] .

إنَّ تلمس المختص في الدراسات المستقبلية الفروق النسبية للمشاركين — في رأي الباحث — أمر له فائدة وأهمية، سواء كانت الفروق في العمر، أم في المهنة، أم الاختصاص، أم المستوى التعليمي[٣]، أم غير ذلك، إلا أنه أيضًا لا يخلو من إشكالية في الاهتداء إلى السبب الصحيح في الاختلاف -عند وجوده- وفي طريقة الترجيح عند تعذر التقريب بين الآراء، هل يكون الترجيح موضوعـــيًّا ؟ أم بطريقة القياس الربعي المتبعة في أسلوب التشاور المتميز (دلفي)؟ وهذا يتطلب من القائمين على الدراسة بذل الجهد في محاولة التعرف على السبب الصحيح في الاختلاف، وفي اختيار الطريقة المناسبة للترجيح .

الفصل الرابع : المضامين المستقبلية للتعليم العربي :

في هذا الفصل طلبوا من المشاركين تحديد أهم الميادين التي يجب الاهتمام بها، أو إضافتها إلى مضمون التعليم الذي ينبغي أن يتلقاه المواطن العربي مع بداية القرن الحادي والعشرين الميلادي، وهي تمثل في الوقت نفسه أهم الاحتياجات التعليمية للمجتمع العربي مستقبلاً واحتياجات مواطنيه[٤] .

والخلاصة الموجزة لهذا الفصل تظهر في الجدول التالي، وهو يُعبِّر عن نتيجة الجولة الثالثة، التي جرى فيها تطوير ميادين مضمون التعليم لكي تتناسب مع مقترحات المشاركين في الجولتين الأولى والثانية، وأضيف إليها ما يناسبها من المسائل التربوية .

---

(١) نفسه، ص١٥٦-١٥٨ .

(٢) نفسه، ص ١٦٥ .

(٣) وقد أجاد المؤلف في عرضه لتفاصيل هذه الفروق، ص ١٥٠-١٦٢.

(٤) نفسه، ص ٢٠٣ .

شكل رقم ٥ :

«التوزيع النسبي لاستجابات أفراد عينة الجولة الثالثة على مدى مرغوبية مضمون التعليم المستقبلي (نسبة مئوية)»[(١)]

المـــرغوبـــية	مرغوب جدًا	مرغوب فيه	مرغوب عنه
١) البيئة ومشكلاتها واستغلالها	٥٥٫٩	٤٤٫١	-
٢) قيم ومهارات العمل اليدوي المنتج	٦٣٫٤	٣٦٫٦	-
٣) الديانات والعقائد السماوية	٢٦٫٧	٦٦٫٣	٧
٤) مهارات النقد والتقويم المنهجي	٧٨٫٥	١٩٫٤	٢٫١
٥) مهارات التعليم الذاتي	٦٤٫٤	٣٢٫٢	٣٫٣
٦) قضايا الانتاج والاستهلاك والتنمية	٥٧٫٦	٤٢٫٤	-
٧) التأكيد على أساسيات المعرفة العلمية والاجتماعية	٧٣٫٦	٢٥٫٣	١٫١
٨) العناية بالجسم الإنساني والصحة الشخصية والمجتمعية	٥١٫٧	٤٨٫٣	-
٩) قيم وسلوكيات التعاون والمشاركة	٦٨٫٧	٢٩٫٢	٢٫١
١٠) مهارات التعامل مع تكنولوجيا المعلومات	٧٥	٢٥	-
١١) اللغة العربية	٨٧٫٨	١٢٫٢	-
١٢) اللغة الأجنبية	٦٠٫٩	٣٨٫٠	١٫١
١٣) التربية القومية	٦٢٫١	٣٧٫٩	-
١٤) التعرف على الثقافات والحضارات	٤٢٫٤	٥٥٫٤	٢٫٢
١٥) تنمية المشاعر والانفعالات الفردية	٢٠٫٧	٥٥٫٢	٢٤٫١
الجملة	٥٩٫٦	٣٧٫٧	٢٫٨

ويلحظ في الجدول أن ميدان (الديانات والعقائد السماوية) جاء في مؤخرة الاختيارات، ويُرجِعُ المؤلف سبب ذلك إلى احتمالين، هما[(٢)] :

(١) نفسه، ص ٢٢١ .

(٢) نفسه، ص ٢٢٣ .

أ- اعتقاد المشاركين أن المجتمع المستقبلي سيكون علمانيــًّا، وسينعكس هذا بالضرورة على التعليم، فلن يتضمن تدريس الديانات والعقائد السماوية .

ب- موقف عدد من هؤلاء النخبة من قضية الدين بعامة .

ولا يوافق الباحث على الاحتمال الأول؛ إذ إنَّ نتائج الفصل السابق تناقضه، فقد كانت النظرة المستقبلية للمشاركين، سيادة التنشئة الدينية، أما الاحتمال الثاني فقوي في مثل هذه النتائج التي يغلب عليها البُعد عن منهج الله، وعن الغرض من خلق الإنسان .

وعلى الرغم من وضعهم معايير متنوعة لاختيار المشاركين إلا أن مثل هذه الملحوظة تدعو إلى التساؤل والتشكيك في صدق تمثيل كثير من هؤلاء لمجتمع عربي يقوم على الإسلام منذ أربعة عشر قرنًا .

الفصل الخامس : الإدارة المستقبلية للتعليم العربي، وصِيَغه المستقبلية :

جرى فيه التعرف على اتجاهات النخبة العربية نحو (مستقبل الإدارة التعليمية العربية)، و(طبيعة الصيغ والتنظيمات الإدارية اللازمة لتحقيق الأهداف المستقبلية للتعليم العربي).

الفصل السادس : مهنة التعليم وإعداد المعلم :

و"كشفت نتائج الجولات الأربع عن وجود قناعة قوية لدى معظم قيادات الرأي العام العربي بأن التطوير المستقبلي لمهنة التعليم ولإعداد المعلم مرهون أساســًا بضرورة شروط مجتمعية أساسية في مقدمتها، تأمين الشروط السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المجتمع، والعمل على تعزيز المكانة الاجتماعية لمهنة التعليم وإعلاء مكانتها في الأجندة السياسية، وضرورة توفير الحريات الأكاديمية لكل من معلم الجامعة ومعلم التعليم قبل الجامعي، على أن يكون هذا كله مقرونــًا بخطة قومية شاملة لتدعيم المكانة المجتمعية للمعلم والتعليم"(١) .

٦- القسم الثالث للدراسة : المخرجات المستقبلية للتعليم العربي :

جرى في هذا القسم صياغة ثلاثة مشاهد مستقبلية للتعليم العربي إلى عام (٢٠١٥م)، تقوم على وصف تفصيلي افتراضي لشكل المجتمع والتعليم وعلاقتهما ببعض .

---

(١) نفسه، ص٢٧٧ .

يقوم المشهد الأول: (مشهد التردي)، على فرضية استمرار الوضع الراهن للمجتمع والتعليم، وهما في حالة من التردي والتدهور، مع احتمال تفاقم هذا الوضع؛ في حين ينطلق المشهد الثاني: (المشهد الإصلاحي)، من تصور إصلاحي يعمق إيجابيات الحاضر ويدفعها أكثر إلى الأمام؛ أما المشهد الثالث: (مشهد الوحدة والإبداع)، فيستند إلى تصور وِحدة عربية تصل بالمجتمع إلى أقصى حالات الإبداع .

ويجري في كل مشهد وصف للملامح العامة للمجتمع العربي وتداعياتها، في ظل فروض المشهد، ثم يجري وصف التداعيات التعليمية في سياق هذا المجتمع .

وبالنظر إلى هذه المشاهد يجد الباحث أنها - من حيث الملامح العامة لكل مشهد - هي المختارة في التقرير السابق الذي جرى عرضه، وهو (مستقبل الأمة العربية)، وكان هذا التقرير من المراجع الرئيسة لهم بالإضافة إلى مراجع أخرى، إلا أنَّ المؤلف هنا يضيف قضية التعليم ويُركِّز عليها، لذا سيكتفي الباحث بعرض موجز لتداعيات التعليم في كل مشهد، ويُحيل القارئ إلى ما جرى عرضه سابقًا لمعرفة وصف المجتمع العربي في كل مشهد(1) .

المشهد الأول : مشهد التردي (الطوائفي الأندلسي)(2):

تمشيًا مع الأوضاع العامة للمجتمعات العربية سوف يسعى التعليم لتكريس التفتيت والتجزئة والتخلف، وسيعجز عن تنمية الشخصية العربية، وسيستمر عجز النظم التعليمية، وتصبح غير قادرة على الإعداد لمواجهة التحديات المجتمعية والحضارية، وسيحمل التعليم أهدافًا ليست سوى مجرد شعارات لفظية براقة، تفوق قدرته على تحقيقها .

وفي مجال إدارة التعليم سيستمر العجز -شكلاً ومضمونًا- عن مجاراة التحولات التعليمية والمعلوماتية المرتقبة، لكن هناك احتمالات قوية لاستخدام أساليب وتقنيات إدارية متقدمة، كالإدارة بالأهداف والميزانيات المبرمجة، وستنجح الإدارة في استخدام الحاسوب بصورة جيدة، ويلحظ في هذا المشهد حدوث طفرة في الإسهام الأهلي لتمويل التعليم، إلا أنه ستظل جهود الإدارة التعليمية محصورة في التحسين الإداري دون تجاوزه إلى التغيير والإبداع .

---

(1) ص٢٧٥-٢٨١ .

(2) زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص ٢٨٧-٣٠٢ . وينظر توضيح للأسماء التاريخية التي اختاروها للمشاهد ما سبق، ص ١٨٧ .

وعن مضمون التعليم : سيستمر الاعتماد على مجموعة من الموضوعات المتفرقة التي لا تناسب طبيعة العصر، ولا التحديات التي تواجهها الأمة، وسيظل الاهتمام بالجانب التلقيني على حساب المهارات والمناهج النقدية، وبالتالي العجز عن تنميةِ شخصيةِ المتعلم .

وعن مهنة التعليم وإعداد المعلم : سيظل المعلمون ومهنة التعليم في مكانة منخفضة؛ لعجز المجتمع عن توفير الاحتياجات لتطوير المهنة، وعدم قدرة الإعداد التربوي على إيجاد كفاءات مهنية .

هذا المشهد يمثل أسوأ احتمالات المستقبل العربي، ويتحول فيه التعليم من وسيلة لمواجهة مشكلات التخلف إلى مشكلة من مشكلاته .

المشهد الثاني : المشهد الإصلاحي (الأيوبي)[1]:

يتحول التعليم في هذا المشهد من (مشكلة تخلُّف) إلى (وسيلة لحل مشكلة التخلُّف)، فهو أداة فاعلة في الإصلاح والتقدم، وستشهد فترة هذا المشهد تعميق الجمع بين إيجابيات التراث الإسلامي ومستجدات العصر، وسيُربط التعليم بالتنمية ربطًا حقيقيًّا، بحيث يُعاد تخطيط التعليم في ضوء متطلبات سوق العمل وخطط التنمية، وستتجه المؤسسات التعليمية إلى التأكيد على التفكير العلمي والنقدي، وتنمية القدرات الإبداعية .

وإدارة التعليم ستخضع لمراجعة شاملة في جميع مفرداتها، وستشيع أساليب إدارية متقدمة، وتتنامى المشاركة الشعبية في عمليات التطوير الإداري والتمويل، وسيحدث توجه متزايد نحو اللامركزية في الإدارة .

وفي تنظيم التعليم سيحدث تحول تدريجي في التعليم الثانوي عن النظام السائد إلى نظام أكثر ارتباطًا بالحياة وسوق العمل، وسيزدهر التعليم الجامعي كميًّا فيتضاعف عدد الجامعات، ويرتفع معدل الالتحاق بها، كما سترتفع إنتاجية العلماء العرب، وتقل هجرتهم إلى الخارج، وستتنامى مؤسسات التعليم غير النظامي، وتتكاثر برامج التعليم عن بُعد، عن طريق الاتصالات الحديثة .

وفي مضمون التعليم سيكون التركيز على مجالات البيئة، والمعلوماتية، والطاقة، إلى جانب العلوم الأخرى التي يتضمنها التعليم وقت الدراسة، إلا أنَّ هذا المضمون لن يصل إلى أهدافه العليا في ظل هذا المشهد .

---

(١) زاهر، المرجع نفسه، ص ٣٠٢-٣١١ .

وعن مهنة التعليم وإعداد المعلم : سيصبح للمعلم دور اجتماعي متصاعد، وسيؤدي هذا إلى إقبال المتميزين على مهنة التعليم، وستجري إعادة نظر جذرية في برامج إعداد المعلمين في المستوى الجامعي والعالي .

المشهد الثالث : المشهد الإبداعي الوحدوي (العُمَري)[1]:

يقوم التعليم في هذا المشهد بمهمة إبداعية تقدمية، يسعى إلى تنمية الإبداع التقني والمعرفي والاجتماعي، وتعميق صلة المتعلم بدينه وعصره وعروبته، ولن تواجه أهداف التعليم بقوى مستترة تلغي فاعليتها؛ لأنَّ سياق المجتمع بمؤسساته المختلفة ستسهم في تحقيق هذه الأهداف؛ مما سيترتب عليه إعادة رسم الخريطة التربوية للمجتمع العربي لتشمل المجتمع بأكمله .

وفي إدارة التعليم ستشتد مشاركة المجتمع في اتخاذ القرارات التعليمية، وفي الدعم المالي للتعليم، وسيُسمح بإنشاء الجامعات والمعاهد الخاصة، وستَستوعب النظمُ الإدارية في التعليم المفاهيم والتقنيات المعلوماتية الحديثة، كالإدارة بالأهداف، والتقويم الذاتي، واعتماد التعليم عن بُعد باستخدام أحدث الوسائل، وسيقوم تكامل قومي فيما يتصل بإدارة التعليم، فيُنشأ مجلس أعلى للإدارة التعليمية العربية، تكون له سلطة فاعلة، ويُلحق به صندوق لتمويل التعليم .

ويقوم تنظيم التعليم على التعليم المستمر، الذي له بداية وليس له نهاية، ويجري خلط الجنسين – البنين والبنات – في المرحلة الأساس (من سن ست سنوات إلى خمس عشرة سنة)، وستتعهد هذه المرحلة تخريج المواطن العربي المتمكن في مهارات التعليم؛ ويترتب على تصور هذه المرحلة المختلطة مراجعة النظم التعليمية التي تُخوِّل إشراف هيئات دينية، أو مدنية، أو أجنبية على بعض المدارس؛ فهذا التخويل يترتب عليه تفاوت وتباين في تكوين القاعدة الثقافية المشتركة، التي يصعب بدونها تحقيق التواصل الفكري والتماسك الاجتماعي والعمل الفريقي المشترك لصناعة المستقبل، ويرى الباحث أن القائمين على هذه الدراسة قد جانبوا الموضوعية هنا- وهي من الأمور المهمة في البحوث بعامة وفي الدراسات المستقبلية بخاصة- واتجهوا نحو تحقيق أهداف معيارية انتهازية يحتكرون بها المستقبل ويهيمنون عليه

(١) نفسه، ص ٣١١-٣٢٤ .

بفكرهم وتوجهاتهم هم، لا بمنظور موضوعي، ويُوهمون بأنه أفضل مستقبل ينتظر الأمة إن أرادته؛ ففي الوقت الذي يدعو فيه عقلاء الغرب وبعض قياداته إلى الفصل بين الجنسين في التعليم، وأن بقاء الاختلاط مُضرٌّ في التحصيل الدراسي ومؤثر في مستقبل الأجيال، تأتي في هذه الدراسة -في أعلى مشهد إيجابي يمكن أن تصل إليه الأمة العربية- الدعوة إلى الاختلاط في أهم المراحل التي تتكون فيها تربية الإنسان وتُؤسس فيها مبادئه، وتأتي الدعوة ضِمنًا إلى توحيد الإشراف على هذه المرحلة التعليمية وإلغاء أي إشراف ديني أو غيره، ليتسنى صياغة منهج ثقافي واحد، وتُرى من سيصوغه ؟

إذا عُلم أن هذا المشهد يبدأ من عام (١٩٩٠م) وهو العام الذي نُشرت فيه هذه الدراسة، فلا شك أنه سيتسنم صياغته في ضوء هذا المشهد النخبة العربية التي شاركت في هذه الدراسة، وهم - من غير تعميم - من جعلوا هدف (التنشئة الدينية) آخر هدف مستقبلي مرغوب فيه من أهداف التعليم(١)، ومنهم من يقول عنهم المؤلف: لهم موقف من قضية الدين(٢) .

وإن النظرة العامة إلى المشاهد التي جرى في ضوئها اختيار أهداف التعليم وترتيبها تشير إلى انفتاح أبواب لغزو ثقافي غربي قادم على الأمة العربية الإسلامية، فكان الأجدر إزاءه أن يكون داعيًا لرفع أهمية التنشئة الدينية لدى الناشئة العربية، للتَّحصن ضد هذا الغزو ومقاومته .

وإكمالاً لتنظيم التعليم، ستتسم هياكل التعليم العالي بالمرونة المناسبة لمواقع الانتاج والخدمات، وترتفع انتاجية العلماء إلى قريب من المعدلات العالمية، وستُمكِّن الجامعة خريجيها من إعادة تأهليهم وتدريبهم، وستتجه الجامعات العربية إلى التعاون الفاعل .

وسيُركِّز مضمون التعليم على تنمية قدرات المتعلم ومهاراته على التساؤل النقدي، وسيتيح دعم وعيه وقدرته على المبادرات الذاتية، والتهيؤ للمشاركات الإنتاجية، وستوجَّه مضامين التعليم لاستثارة المتعلم للإبداع والامتياز .

---

(١) نفسه، ص١٧٩ .

(٢) نفسه، ص٢٢٣ . .

وفي مهنة التعليم وإعداد المعلم: ستشهد برامج إعداد المعلمين انقلابـًا نوعـيًّا إلى الأحسن، وستتنامى فكرة (المعلم غير الدائم) من خلال اشتراك بعض الخبراء والمهنيين بالتدريس في موضوعات معينة، وستضطلع معاهد المعلمين بتخريج مربين يملكون القدرة في التعامل مع الغد ومتغيراته، ويجيدون التفكير العلمي والنقدي، وسترتفع المكانة الاجتماعية للمعلم ومهنته .

المشهد الممكن ووسائل تحقيقه:

بعد أن انتهى المؤلف من عرض المشاهد الثلاثة ختم الدراسة بعرض مشهد يُعدُّ رابعًا، يأتي بين المشهد الثاني الإصلاحي، والثالث الإبداعي، على اعتبار أن هذا المشهد يقدم مكسبًا للأمة العربية، وهو قريب ممكن التحقيق . وعند النظر إلى محتوى هذا المشهد فإن الباحث لا يوافق على كونه مشهدًا رابعًا، وإنما هو اقتراحات وتوصيات مستفادة من المشاهد الثلاثة مجتمعة، يدعو إلى الأخذ بها، بصرف النظر عن أي مشهد سارت فيه الأمة، وخلاصة هذه التوصيات ما يلي[1] :

أ- التأكيد على القومية العربية للتعليم .

ب- إعادة النظر في مؤسسات التعليم وبيئاته بما يحقق الازدهار للتعليم المستمر .

ج- تطوير مناهج التعليم بما يتناسب مع الثورة المعلوماتية الحديثة والقادمة .

د- تنويع مصادر تمويل التعليم .

هـ- تحديث برامج إعداد المعلم .

و- تأسيس بُنى أساسية للإصلاح والتكامل التعليمي .

٧- تعليق على الدرسة :

أ- أهم ما يُميِّز الدراسة وتنفرد به استخدامها لأسلوب التشاور المتميز (دلفي)، والتوسع فيه على نحو لم يُعهد استخدامه في المنطقة العربية، وهو أمر يُحمد لهم؛ لنشرهم هذا الأسلوب في منطقة قل فيها التشاور، وكثرت فيها القرارات والأساليب الارتجالية .

---

(١) نفسه، ص٣٢٩-٣٣٥ .

ب- من الأمور الإيجابية في منهجية الدراسة أنها بينت الفروق في استجابات الخبراء حسب اختلافاتهم الإقليمية، والاختصاصية، والعمرية، والذكورية، وهو أمر مهم؛ حتى لا تعمم الدراسة على أنها رأي موحد، بل تراعى فيها الاختلافات، إلا أن النتائج النهائية للدراسة أخذت طابع العموم؛ مما جعل أحد المختصين في الدراسات المستقبلية[1] يرى أن بيان هذه الفروق هدْرٌ للوقت والجهد بلا فائدة .

ج- كانت الدراسة ذكية عندما استهدفت عددًا من القيادات العربية: السياسية، والتربوية، والاجتماعية، والإعلامية، والعسكرية، وأشركتهم في جولاتها، فأتت البيوت من أبوابها؛ وبهذا تحصل على ثلاثة أمور: الإفادة من خبرات اختصاصية متنوعة؛ ومحاولة تثقيف المشاركين بالجوانب التربوية بطريق غير مباشرة، والتأثير عليهم، وبخاصة على القيادات التربوية؛ أو على الأقل تعريفهم بهذه الدراسة ونتائجها . لكن نتج عن هذا الملحوظة التالية .

د- إنَّ لاستخدام أسلوب التشاور المتميز (دلفي) أهدافًا رئيسة وأهدافًا تابعة، وينبغي أن تكون جميعها في مصلحة الدراسة، فلا يؤثر هدف على هدف، لكنَّ الباحث يَلحظ أنَّ توسيع دائرة التشاور في هذه الدراسة كان لتحقيق هدف تعليمي، أي: لتعليم المشاركين في التشاور ببعض القضايا التربوية، وهذا الهدف ليس هدفًا رئيسًا في الدراسة، لكنه أثَّر على أهداف رئيسة، فقد أثَّر على نتائج الدرسة إشراك أشخاص ليس لهم علاقة بالقضايا التربوية -لا من قريب ولا من بعيد- في تحديد قضايا تربوية خالصة، أو ترتيبها، أو قياسها؛ وبهذا تضيع آراء أهل الخبرة، والاختصاص، والقيادة، في خِضمِّ الآراء الأخرى، وتخرج الدراسة بنتائج غير مُطَمْئِنة .

هـ- في بناء المشاهد المستقبلية كان الوصف المجتمعي للعالم العربي -في الغالب- مبنيًّا على أثر تجمعات إقليمية ثلاثة، هي : مجلس التعاون الخليجي، واتحاد المغرب العربي، ومجلس التعاون العربي، ورُكِّز عليها في المشهد الأول: (مشهد التردي)؛ بينما أخذ وصف المستقبل التعليمي العربي طابع العموم على المجتمع العربي بعامة، بدون بيان تفاوت على مستوى الدول أو الأقطار والأقاليم؛ مما يجعل هذا التعميم غير علمي؛ لأنه أوجد انفصامًا

(١) هو: شلبي، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص ١٠٢-١٠٣.

بين الوصف المجتمعي للمشاهد والوصف التعليمي لها، مع أنَّ الدراسة أكَّدت على تأثر نظام التعليم بحال المجتمع .

و- أظهرت نتائج الدراسة غلبة التوجه العلماني والنظرة الدنيوية القاصرة، لدى النخبة العربية إجمالاً المشاركة في هذه الدراسة، والتقليل - في المجال التربوي- من شأن الهدف الذي خلق من أجله الإنسان، وهو عبادة الله سبحانه وتعالى .

ز- جاء هدف (التنشئة الدينية) في مؤخرة أهداف التعليم المرغوبة، وجاء مضمون (الديانات والعقائد السماوية) في مؤخرة مضمون التعليم المرغوب؛ وينتج عن هذا لمن يأخذ بهذه النتائج أحد أمرين: إما أن يجعل المناهج الدينية أقل مناهج التعليم في مقدار مادتها، ومقدار الوقت المخصص لتدريسها؛ وإما عند تزاحم الأهداف أن تُطرَّح المناهج الدينية وتُلغى .

ح- جانبت الدراسة الموضوعية عندما اقتصرت على اختيار ثلاثة مشاهد للمستقبل العربي وتعليمه، ليس منها المشهد الإسلامي، على نحو ما سبق بيانه في التعليق على التقرير السابق[1] .

ط- لا تتفق أحوال الدول العربية حاضرًا وماضيًا، بل تختلف دولة عن أخرى، ومجموعة دول عن أخرى، فمنها ما خضع للاستعمار فترة من الزمن، ومنها من لم يُستعمر؛ ومنها ما كان تأثيره فيها كبيرًا، ومنها كان التأثير فيها قليلاً، ومنها من تبنت المنهج الإسلامي، ومنها الرأسمالي، ومنها الاشتراكي؛ كما أن الدول العربية تختلف أنظمتها التعليمية، فبعض الدول ترى أن لديها قصورًا في جانب تعليمي، فَتُوجِّه له الاهتمام في المستقبل، وترى أن جانبًا أصبح لديها اكتفاء وتشبُّعٌ فيه، فترى أن من الأنسب تقليل الاهتمام به في المستقبل؛ وهذا الاختلاف بِشقَّيه: السياسي، والتعليمي، له تأثيره في تفكير الخبراء، والأوليات والمبادئ التي يؤمنون بها؛ فكان التعميم في نتائج هذه الدراسة من

---

(١) ص٢٨٣.

الأخطاء المنهجية -في رأي الباحث- فالخبير عندما يُدلي برأيه في أمر ما في التعليم، فإنه يُفترض فيه الأمور التالية :

- أن خبرته في التعليم محلية، فيُعمم خبرته المحلية على العالم العربي؛ وهذا خلل .
- أو يحاول أن يدرس العالم العربي من منظور شمولي، في وقت قصير - وفي الغالب لن تكون دراسة متقنة- ويعطي رأيه على موجب هذه الدراسة .
- أو يُمده مركز البحث المتولي لهذه الدراسة بتصور ليُبدي رأيه على هذا التصور؛ وهذا قد يوجَد فيه تأثير في الرأي من قِبل مركز البحث .

فالأَولى في هذه الدراسة — على الأقل — أن تكون ثلاث دراسات، لكل تجمع إقليمي له أسس قائمة وثابتة، ولِدُوَله تقارب وتشابه في الماضي والحاضر، دراسة مستقلة له وعنه .

ولا تصلح هذه الدراسة بتعميمها هذا إلا للمشهد الثالث: (المشهد الإبداعي الوحدوي)، وهذا طبعًا إذا كانت الوحدة شاملة، ولم تكن مقصورة على جوانب معينة، فإن اقتصرت على بعض الجوانب كان حالها حال ما سبق ذكره .

وإجمالاً : من الناحية الفنية -مع ملاحظة ما سبق آنفًا من ملحوظات، وما سبق من تعليق أثناء العرض- فإنَّ هذه الدراسة تُعدُّ — في رأي الباحث — من الدراسات المستقبلية الرائدة، والفريدة، والمتميزة جدًا؛ نظرًا لاعتمادها على جهد جماعي، ولاختيارها منهجًا قويًّا هو (التحليل المستقبلي)؛ ولاختيارها جملة من الأساليب المهمة في الدراسات المستقبلية، وبخاصة التوسع في استخدام أسلوب التشاور المتميز (دلفي)؛ وحُسن التفصيل في عرض نتائجه، والأمانة في بيانها -فيما يظهر- وتنوع الاختصاصات للذين جرى معهم التشاور، فقد بلغت حوالي خمسة عشر اختصاصًا[1]؛ والحرص على إيجاد معايير يجري عليها اختيار المشاركين من النخبة، بصرف النظر عن ماهية هذه المعايير؛ وعنايتهم بالتنوع العلمي، والفكري، والعمري للمشاركين؛ وإشراك فئات متعددة لاختيار هؤلاء المشاركين، منهم وزراء ورؤساء جامعات وغيرهم[2].

---

(١) نفسه، ص٦٣ .

(٢) نفسه، ص٧٢ .

المطلب الثالث: خلاصة ونتائج في عرض الدراسات المستقبلية العربية:

١- المتتبع لما صدر من الدراسات المستقبلية في العالم العربي يجد أن الاهتمام العربي بالدراسات المستقبلية ما زال في المهد، وكان له نشاط واضح في حقبة الثمانينيات الميلادية[١].

٢- كان الاهتمام بالدراسات المستقبلية على المستويات غير الحكومية؛ أما المستوى الحكومي فلا يزال اتخاذ القرارات فيه على المدى القصير[٢] .

٣- كان الغرب وراء انطلاق عدد من الدراسات المستقبلية العربية[٣]، «خاصة بعد أن هزت مضاجعه الصحوة الإسلامية، وصدمه قبلها إدراك الدول العربية قيمة الثروة البترولية، وحيرته مختلف المفاجآت التي كان العالم العربي والإسلامي مسرحًا لها»[٤].

٤- جرى تجاهل الإسلام وصحوة أهله في جميع الدراسات المستقبلية العربية، مع اعترافهم بثقل وزنهما، وحضورهما في الساحة العربية[٥] .

٥- أجمعت الدراسات المستقبلية العربية المتكاملة على أمرين:

الأول: إقصاء الإسلام عن المستقبل العربي.

الثاني: تكريس الدعوة إلى القومية العربية، وأنه لا مستقبل للأمة العربية إلا بها .

وهذا يدعو إلى تسليط بعض الضوء على تاريخ نشأة الدعوة إلى القومية العربية، وبعض ما ترمي إليه .

«يرجع أول جهد منظم في حركة العرب القومية إلى سنة ١٨٧٥م ... حين ألف خمسة شبان، من الذين درسوا في الكلية البروتستنتية السورية ببيروت جمعية سرية. وكانوا جميعًا نصارى، ولكنهم أدركوا قيمة انضمام المسلمين والدروز إليهم ، فاستطاعوا أن يضموا إلى

---

(١) بريش، **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص٣١.

(٢) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص ٣٥؛ والتحافي، في "الأمن والحياة"، مرجع سابق، العدد ١٧٥، (ذو الحجة ١٤١٧هـ)، ص٥٩ .

(٣) بريش، **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص٣١.

(٤) المرجع نفسه .

(٥) ينظر أمثلة لهذا الاعتراف: عبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص١٨٣-١٨٤؛ وعبد الله، (فاتحة)، في ندوة "الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي"، مرجع سابق، ص٨؛ وحسيب وآخرون، مرجع سابق، ص٢١٦، ٢٢٢.

الجمعية نحو اثنين وعشرين شخصًا ينتمون إلى مختلف الطوائف الدينية ويمثلون الصفوة المختارة المستنيرة في البلاد . وكانت الماسونية قد دخلت قبل ذلك بلاد الشام على صورها التي عرفتها أوروبة، فاستطاع مؤسسو الجمعية السرية، عن طريق أحد زملائهم، أن يستميلوا إليهم المحفل الماسوني الذي كان قد أنشئ منذ عهد قريب، ويشركوه في أعمالهم.

وكان مركز منظمتهم في بيروت وأنشأوا لها فروعًا في دمشق وطرابلس وصيدا»[١].

وبعد قرن كامل يأتي نصراني آخر هو قسطنطين زريق -وهو من المستقبليين العرب الأوائل- فيسهم في بيروت نفسها بإنشاء (مركز دراسات الوحدة العربية)[٢] عام (١٩٧٥م)، وليس بصورة سرية، بل بصفة علنية .

وهكذا يظهر : أنَّ الحركة القومية العربية نشأت في النصارى وتزوَّجت بالماسونية اليهودية، فأيُّ خير يُرجى من فكرة كرسها عدوان لدودان للإسلام والمسلمين ؟ بل الأمر كما يقول أبو الحسن الندوي : «قد أصبح العرب المسلمون في ذلك فريسة سهلة لدهاء الأقلية غير المسلمة في الشرق العربي التي يتوقف مصيرها[٣] على انتشار فكرة القومية العربية، وحلولها محل الدين الإسلامي، والتي تستطيع أن تصل عن طريقها إلى مركز الزعامة والقيادة والتوجيه في العالم العربي، وتستطيع أن تفصل بها العرب عن بقية العالم الإسلامي الذي لا ترتبط به هذه الأقلية عقيدة وعاطفة وتاريخًا»[٤] .

فإجماع الدراسات المستقبلية العربية على تكريس الدعوة إلى القومية، والإقصاء الواضح للإسلام، يدل على أن أمر هذه الدراسات قد بُيِّت بليل، وأنَّ وراء الأكمة ما وراءها.

---

(١) جورج أنطونيوس، **يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية** ، ترجمة ناصر الدين الأسد، وإحسان عباس، ط٧، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٢م)، ص ١٤٩-١٥٠.

(٢) ينظر: الشرق الأوسط، "حياة قسطنطين زريق بين السر والعلن"، العدد: ٧٨٨٨، (٣/٧/٢٠٠٠م)، ص١٧.

(٣) لعله يقصد مصيرها في الزعامة والقيادة والتوجيه؛ إذ إن الأقلية غير المسلمة قد حصلت على حقوقها، وعاشت عيشة حميدة عبر التاريخ، في ظل الحكومات الإسلامية المقيمة لشرع الله تعالى .

(٤) أبو الحسن علي الحسني الندوي، **العرب والإسلام**، (لكهنؤ: الهند، المجمع الإسلامي العلمي- ندوة العلماء، ١٣٨٤هـ) ، ص٧.

المبحث الثالث

الدراسات الإسلامية

إنَّ مصطلح (المستقبل) أو ما يرادفه مصطلح محبب، له رونقه وجاذبيته، تنجذب إليه النفوس بفطرتها؛ لذلك تضمنته عناوين دراسات كثيرة تفوق الحصر، ومؤتمرات وندوات[١]، لكنها في الواقع لم تُعْن بالمستقبل العناية التي يستحقها ولا قريبًا منها، بل من المؤلَّفات ما خلا من أي حديث عن المستقبل، أو تأثير أمر حاضر على المستقبل[٢] .

وبادئ ذي بدء يُقال: ليس في الدراسات الإسلامية دراسة واحدة يصح أن تندرج تحت مفهوم الدراسات المستقبلية الحديثة .

وإنما سيجري في هذا المبحث عرض لنماذج من أهم الكتابات الإسلامية التي حاولت أن تستشرف المستقبل؛ للتعرف على طريقتها في الاستشراف، وميزاتها، وأهم ما يَنقصها .

ويُختم المبحث بخلاصة ونتائج في عرض الدراسات الإسلامية مما سيُعرض وما لا يُعرض مما اطلع عليه الباحث، ولم يحتمل المجال عرضه هنا .

المطلب الأول : (المستقبل للإسلام)، لمحمد توفيق البكري[٣]:

١- عرض موجز للكتاب :

نشرته مجلة المنار في مصر قبل ما يزيد عن قرن من الزمان [٤]، وطُبع في كتاب مستقل.

قسَّمه إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في رأس مال الإسلام: (المكان والسكان).

---

(١) يُشيد الباحث بالتوصيات التي صدرت عن ندوة قضايا المستقبل الإسلامي، التي عُقدت بالجزائر في شوال عام (١٤١٠هـ)؛ لما تضمنته من إبراز لبعض الاحتياجات المستقبلية للأمة الإسلامية .

(٢) من هذا النوع الأخير : محمد داود، **الإسلام والزمن المقبل** .

(٣) أديب شاعر صوفي، أجاد الفرنسية والتركية، وتولى عددًا من المناصب في مصر، منها: نقابة الأشراف، ومشيخة المشايخ الصوفية، زار أوروبا مرتين وتلقى العلوم فيها، من مؤلفاته: التعليم والإرشاد، وتراجم بعض الصوفية، وأراجيز العرب، توفي عام (١٣٥١هـ) . ("المنار"، مرجع سابق، (شعبان /١٣٢٠هـ)، ص٦٠١ الحاشية؛ وكحالة، مرجع سابق، ج ٣، ص١٨٧).

(٤) عدد (شعبان / ١٣٢٠هـ)، ص٦٠١-٦٣٤.

الفصل الثاني: في أسباب الانحطاط: (الجهل).

الفصل الثالث: في وسائل الارتفاع: (العلم).

ركّز في الفصل الأول على أن الأمم يتوقف مستقبلها على أمرين طبعيين همـا: كثـرة السكان، وخصب المكان.

وهذان هما لُبُّ البحث لديه ونتيجته، «فإذا استوفت الأمة حظها من هـذين الأمـرين عظم مستقبلها بقدر ذلك، مهما حرمت في الحال من الأسباب الأخرى الكسبية كـالعلم والأخلاق والقوانين والحكومة وغير ذلك، فإن هذه جميعها يأتي بها دور الزمان، وإن أخرها آونةً طوارق الحدثان[1]»[2].

ودلّل على ذلك بحال اليابان وروسيا في زمنه وما كانتا عليه قبل ثلاثة قرون[3].

ثم قال: «فإذا تقرر ذلك علمنا أن مستقبل الإسلام كبير، وشأنه خطير، فإن حظه مـن هذين الأمرين وافر، وقسطه متكاثر»[4].

وأخذ يبين ما يتمتع به العالم الإسلامي من هذين الأمرين، وما يمتاز به عن غيره مـن الأمم الوثنية والنصرانية، مستدلاً في الغالب بكلام الغربيين.

وختم الفصل ملخِّصًا ما جاء فيه بقوله: «ومنه يعلم أن حظ الإسلام من الأرض أوفـر حظ، وأن أرضه له لا يمكن أن ينتزعها منه غيره[5]، وأن عدد المسلمين كثير، وأن صـفاتهم الفطرية قويمة، وجامعتهم الدينية عظيمة، وأنهم يزيدون زيادة تستوقف الأبصـار، وتحـير الأفكار، وأنه لا يتسنى لغيرهم أن يجاريهم في هذا المضمار.

وإذا كان الأمر كذلك كان رأس مال الإسلام من الأصـلين الطبيعـيين الضـروريين لمستقبل الأمم كبيرًا في الحال، أكبر من غيره في الاستقبال، ولا ينقصه إلا الأمور الكسـبية والأسباب الوضعية التي لابد أن تدفعه طبيعة العمران لتحصيلها شاء أو أبى، فيصل إلى مـا قدره له الله من السعادة والعلاء والمجادة»[6].

---

(١) الـحَدَثانُ: نوائب الدهر وحوادثه. (ابن منظور، مرجع سابق، ج٢، ص١٣٢، مادة: (حدث)).

(٢) "المنار"، مرجع سابق، (شعبان/١٣٢٠هـ)، ص ٦٠١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٦٠١.

(٤) نفسه، ص٦٠٢.

(٥) بسبب أن الله تعالى جعل وسطها الطبعي غير صالح لأن تعيش فيه الأمم الغربية المتغلبة الآن، على ما بيّنه المؤلف، ص٦٠٤.

(٦) نفسه، ص٦١٨.

وأَرْجَعَ -في الفصل الثاني- تلك الأمور الكسبية إلى العلم: رأس الأسباب في ارتفاع الأمم، والبعد عن ضده وهو الجهل: رأس الأسباب في انحطاط الأمم، وأوضح أن الجهل هو سبب انحطاط الأمم الإسلامية في زمانه.

وفي الفصل الثالث تحدث عن العلم، وفصَّل في ذكر الوسائل اللازمة لإدخال العلم إلى أرض المسلمين، وركَّز على أربعة أمور، هي:

أ- أهمية نقل العلوم من الغرب .

ب- فتح المدارس، وأن يكون التعليم إجبارياً على ثلاث طبقات (ابتدائي، وثانوي، وعال)، وأن يكون الطلاب قدر (٢٠٪) من عدد السكان، وأن يوضع لذلك منهج مقرر متنوع .

ج- إيجاد المال اللازم لذلك، إمَّا أن توفره الحكومة، أو الأمة من خلال إنشاء صناديق تبرع.

د- من يقوم بتلك الأمور ؟

بعد أن استعرض من يمكن أن يقوم بها، استبعد أن تكون الحكومة الوطنية، ولا الحكومة الأجنبية، ولا الأمة، وإنما (عقلاء المسلمين) وهم «فئة قليلة بلغت الرشد فعرفت الحال والمآل»(١).

ثم قال: «لا سبيل إلى نجاة المسلمين وإعلاء كلمة الإسلام إلا أن يؤلف هؤلاء العقلاء في كل قطر جمعية يسمونها جمعية (مستقبل الإسلام)، وأن يؤلفوا جمعية أخرى عامة تضم هذه الجمعيات تسمى (المؤتمر الإسلامي) ينعقد في مكة -أو في أي مكان يتفق عليه- كل سنتين مرة، ويكون أعضاؤه مندوبو جمعيات الأقطار المختلفة، ووجهته إصلاح أحوال المسلمين ونشر التعليم الذي هو وسيلة ذاك»(٢).

٢- التعليق على الكتاب:

أ- يُعدُّ المؤلِّف أول من دعا إلى تأليف (جمعية مستقبلية)، وكانت دعوته هذه قبل ظهور الدراسات المستقبلية في الغرب بنحو نصف قرن، لكنْ كان مضمونها العناية بالتعليم

---

(١) نفسه، ص٦٣١.

(٢) نفسه، ص٦٣١-٦٣٢.

لكونه أهم وسائل ارتفاع الأمم، ولم تكن بالصورة التي عليها كثير من الجمعيات المستقبلية الحالية، لكنها قد ناسبت زمانه، وقد تمثل -فيما بعد- مضمون هذه الجمعيـة في وزارات التربية والتعليم والمعارف في البلاد الإسلامية .

ب- قَصْـرُ المستقبل على أمرين: السكان والمكـان، أمـر غـير صـحيح -في رأي الباحث- لما يلي:

• أن اتساع الـمكان وخصبه بدون وسائل تحمـيه عُرضة لنقصـانه واستـيلاء الطامعين عليه.

• أن تحقق المستقبل على عدد السكان وحده دون النظر إلى حال عقيدهم وقربهم من الله وبعدهم منه، أمر لا تؤيده النصوص الشرعية بل إنها تناقضه، فقد نفى الله فائدة الكثرة مع الكفر، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] . ولم تُجدِ المسلمين في معركة حنين كثرتهم لما وُكلوا إليها، قال تعـالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾[2]. وقال رسول الله ﷺ : ((يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا)) . فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : ((بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ))[3]. وكثير من انتصارات المسلمين كانت مع قلة عَدد وعُدَّة .

بل والمثال المتعلق بروسيا وجعله الكاتب دليلا من أدلة صحة هذه القاعدة، فقد توافر لروسيا شأو في الأمرين ومُكِّن لها في الأرض، فأين هي الآن؟ قد جعلها الله شذر مذر ومزقها كل ممزق !

---

(١) سورة الأنفال، من الآية: ١٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٥.

(٣) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق مجموعة علماء بإشراف عبد الله بن عبد المحسن التركـي، ط١، (بـيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ-١٤٢١هـ)، ج٣٧، ص٨٢، ح٢٢٣٩٧ ؛ وأبـو داود سليمان بن الأشـعث السجستاني، **سنن أبي داود**، تحقيق عزت عبيد دعاس، (حمص، دار الحديث، د.ت)، كتاب الـملاحم، باب في تداعي الأمـم على الإسلام، ج٤، ص٤٨٣-٤٨٤، ح ٤٢٩٧.

المطلب الثاني : (المستقبل لهذا الدين)، لسيد قطب :

١- عرض موجز للكتاب :

يقع الكتاب في ٩٧ صفحة من الحجم الصغير، وقد بدأ المؤلف كتابه بالجزم بأن المستقبل لدين الإسلام، وختمه مؤكدًا ذلك بقوله: "فمن طبيعة المنهج الذي يرسمه هذا الدين، ومن حاجة البشرية إلى هذا المنهج نستمد نحن يقيننا الذي لا يتزعزع في أن المستقبل لهذا الدين"(١).

ودار الكتاب على هذين الدليلين :

الدليل الأول: طبيعة المنهج الذي يرسمه هذا الدين، فالإسلام منهج حياة، يشمل التصور الاعتقادي، والتشريعي، والأخلاقي.

الدليل الثاني: حاجة البشرية إلى هذا المنهج، وعجز أي منهج آخر عن أن يقوم بما يقوم به الإسلام .

واستشهد في معرض توضيحه لهذين الدليلين بأقوال غربيين واعترافاتهم، وما وصلت إليه الأحوال في بلاد الغرب .

ثم عَرَضَ أمثلة يمكن جعْلها دليلاً ثالثًا يندرج تحت (القياس التاريخي) : فالإسلام قد صمد لما هو أعنف وأقسى من هذه الضربات الوحشية التي يتعرض لها اليوم، فهو الذي حمى أرضه في الشرق من هجمات التتار، وحماها من هجمات الصليبيين على السواء، فهذه الحرب المشبوبة على الإسلام اليوم لا تفقدنا الثقة المطلقة في أن المستقبل لهذا الدين(٢).

ودعا المؤلف في آخر كتابه إلى أنه يجب أن نستعد، بأن نرتفع إلى مستوى هذا الدين، في حقيقة إيماننا بالله، وفي عبادتنا له سبحانه، وأن نعي ما حولنا ونتعرف على أساليب عصرنا، ونحيط بثقافته وحضارته ونُفيد منهما في ضوء الاختيار والاختبار، "ونرتفع إلى مستواه في إدراكنا لطبيعة الحياة البشرية وحاجاتها الحقيقية المتجددة، فنرفض ما نرفض من هذه الحضارة، ونستبقي ما نستبقي عن خبرة بالحياة ذاتها تعادل خبرتنا بهذه الحضارة كذلك"(٣).

---

(١) سيد قطب، **المستقبل لهذا الدين**، ط١٤، (القاهرة، دار الشروق، ١٤١٣هـ)، ص٩٣.

(٢) بتصرف، المرجع نفسه، ص٩٠.

(٣) نفسه، ص٩٥-٩٦.

٢- التعليق على الكتاب:

أ- أوضح المؤلف حاجة البشرية لدين الإسلام توضيحًا جيدًا، وذكر أن الأعداء يتربصون به، ويكيدون له وأهله، وهذا أمر مُشكِل؛ إذ كيف تكون البشرية بحاجة إلى الإسلام، ويُعدُّ هذا من الدلائل على أن المستقبل له، ثم هي لا تتقرب إليه ولا تطلبه، بل تعاديه وتحاربه ؟

ب-قِلَّة الأدلة التي أوردها المؤلف على أن المستقبل للإسلام، فالأدلة عليه كثيرة وليست دليلين فقط، وقد يكون هذا مقصودًا لدى المؤلف؛ لتوضيحهما، والإفاضة فيهما، وتثبيتهما في النفوس .

ج-ندرة الاستدلالات الفرعية من الكتاب والسنة على أن المستقبل لهذا الدين، فكان دليلاه عقليين، وغالب ما اندرج تحتهما من أدلة فرعية هي أيضًا عقلية .

د-اكتفى المؤلف بالماحات لما ينبغي على المسلم فعله لتحقيق المستقبل الحسن للإسلام، وهي مطالب عامة مختصرة تحتاج إلى تفصيل أكثر، وبيان أوسع .

المطلب الثالث : (الإسلام ومستقبل البشرية)، لعبد الله عزام :

١- عرض موجز للكتاب :

يقع الكتاب في (٧٩) صفحة من الحجم المتوسط ، كتبه المؤلف قبل سقوط الاتحاد السوفيتي بنحو عِقد من الزمن، فمقدمته مؤرخة في عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) .

ذكر المؤلف أن المبشرات تشير إلى أن العقيدة الإسلامية "هي المرشحة الآن لإنقاذ البشرية، ولتأخذ على عاتقها تخليص الإنسانية من الشقاء الذي لم تعد تجد منه مهربًا، وكاد الإنسان ييأس من النجاة... وعاد كل ذي لب يحس بهذه النتيجة التي آلت إليها البشرية وأصبح كل مبصر يدرك أن هذا الدين الذي ارتضاه الله للبشرية رحمة وشفاء قد جاء دوره"[(١)] .

وأكَّد : أن المستقبل -بإذن الله- لدين الإسلام، وذكر أربعة مبررات لذلك، دار عليها بحثه :

المبرر الأول: الإسلام دين الفطرة .

---

(١) عبد الله عزام، **الإسلام ومستقبل البشرية**، (بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٠هـ)، ص ٧ .

المبرر الثاني: انهيار الحضارة الغربية:

انهارت لأنها قامت بلا دين، فأرادت أن تطير بجناح واحد (الجناح المادي) .

ومن سُنَّة الله في المجتمعات ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾[1] .

فهناك ثلاثة أطوار مرت بها أوروبا، وتمر بها كل الحضارات العلمانية المادية:

أ - الهرب من الله.

ب- فتح أبواب كل شيء عليها : الإنتاج والإبداع في ناحية أو نواح كثيرة.

ج- الضمور والانحلال فالاستبدال[2] .

وذكر جملة من الإحصاءات تدل على الضمور، والانحلال، ومظاهر الانهيار في أوروبا وأمريكا بخاصة، ثم الشرق الشيوعي الملحد.

وصرح المؤلف بنظرته المستقبلية لهاتين الحضارتين : الغربية، والشيوعية، وأنهما آيلتان للسقوط بكل تأكيد، وأن الذبول في الفرع الشرقي أشد، رغم أنه أحدث سنًا وأصغر عمرًا ويقول : "إن شجرة المادية بفرعيها الغربي النفعي العلماني، والشرقي الإلحادي، تتآكل اليوم وينخر بها السوس من كل طرف وجزء من كيانها ... إنني ألمح الذبول في فرعي الحضارة (الغربي والشرقي) ولكنني أرى أن الضمور والاصفرار في الفرع الشرقي أشد وأكثر هذا مع تأكدي – والله أعلم – أن الشجرة بفرعيها ستذوي وليس زمن سقوطها نهائـيًا بعيدًا لأنها سنة الله : ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ ﴾[3] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[4] "[5] .

المبرر الثالث: المبشرات النصية في الكتاب والسنة:

مثل : قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٣٢ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٤٤.

(٢) عزام، مرجع سابق، ص ٢٤-٢٥.

(٣) سورة يونس، من الآية: ١٣.

(٤) سورة يونس، من الآية: ٨١.

(٥) عزام، مرجع سابق، ص ٣٠-٣٢ .

عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾(1) .

ومثل قوله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»(2) . والأحاديث التي تبين أن الأرض المباركة والديار الشامية بكاملها سيكون لها أثر كبير في التاريخ والقيادة .

المبرر الرابع: المبشرات من واقع الحياة:

اتَّسم النصف الأخير من القرن العشرين الميلادي بالرجوع إلى الإله بعد أن سقطت من نفوس الناس جميع الأنظمة؛ لاصطدامها بالفطرة، ثم ذكر عددًا من الأمثلة والمظاهر التي تؤكد وتبين رجوع الناس إلى الله والتمسك بدينه.

وختم المؤلف كتابه بعنوان: (الطريق إلى المجتمع الإسلامي) ذكر فيه : أنه لابد من أجل الوصول إلى المجتمع المسلم من طلائع تتحمل تكاليف الطريق، وتتوافر لديهم صفات أهمها- في نظره- ما يلي :

أ- أن يكونوا ربانيين: من حيث العلم والعمل والحركة والدعوة والسمة والصبر...

ب- التجرد للدعوة عن كل منفعة دنيوية .

ج- بناء القاعدة الصلبة، بتربية النماذج لا بإكثار الأعداد ؛ لأن الناس إنما يتغيرون بفعل النماذج والأفذاذ، فالاعتناء ينبغي أن يكون بالكيف لا بالكم .

د- بناء الدعاة لأنفسهم بالعلم الحقيقي والعبادة الخالصة .

«هذه النماذج هي التي يصدقها الله ويجعلها ستارًا لقدره وأداء لنصرة دينه»(3) .

٢- التعليق على الكتاب:

أ- الكتاب من الدراسات المبشرة بأن المستقبل للإسلام، ومبشر بسقوط المعسكر

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٣٢-٣٣.

(٢) مسلم، مرجع سابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ج٤، ص٢٢١٥، ح٢٨٨٩؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثا في أمته، ج٤، ص٤١٠، ح٢١٧٦؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، ج٤، ص٤٥٠-٤٥١، ح ٤٢٥٢؛ وابن ماجه محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة، دار الريان للتراث، د.ت)، كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن، ج٢، ص١٣٠٤، ح٣٩٥٢.

(٣) عزام، مرجع سابق، ص ٧٥.

الشيوعي والحضارة الغربية وإن طالت.

ب- وهو من الدراسات التي أبانت هذه المبشرات بأحسن بيان.

ج- اعتمد في عرضه لهذه المبشرات على الوحيين : الكتاب والسنة .

د- يظهر للباحث أنّ ما وضعه من (شروط) للوصول إلى المجتمع الإسلامي إنما هي عامة، وهي على قوتها وأصالتها غير كافية في توجيه أمة إلى تحقيق مجتمعها الإسلامي المنشود.

المطلب الرابع : ندوة (الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي) :

١- عرض موجز لأبحاث الندوة وتعليق عليها :

هذه الندوة تمثّل إحدى الدراسات التي أعدها منتدى العالم الثالث (مكتب الشرق الأوسط)، بتكليف من جامعة الأمم المتحدة، ضمن مشروع (المستقبلات العربية البديلة)، ويُفترض في هذه الندوة أن تكون الدراسات المستقبلية الوحيدة التي تستشرف مستقبل الصحوة الإسلامية في المنطقة العربية؛ لما أُوتي القائمون على منتدى العالم الثالث من علم حديث بالدراسات المستقبلية، إلا أن الدراسة عُدِلَ بها عن ذلك، فجاءت مشوهة في بداياتها، وتُجُنِّب فيها استخدام الأساليب المستقبلية، وسلكت مسلك البحث التقليدي، فصارت ندوة ألقيت فيها أربعة أبحاث تحدثت عن تاريخ بعض الحركات الإسلامية في بعض الدول العربية، وهي: مصر، وسوريا، والمغرب، وتونس، وجرى تعقيب بعض الحضور على هذه الأبحاث .

وكان الموضوع الأساس الذي عُقدت له الندوة التمهيدية في تونس في (مارس ١٩٨٣م) لإقرار محاور البحث فيه هو: استشراف مستقبل الصحوة الإسلامية في العالم العربي(١)، لكن الأبحاث سارت على خلاف ذلك ، وأهم ما يُلحظ على هذه الندوة ما يلي:

أ- دارت أعمال الندوة بحضور ستة من تونس، وثلاثة من المغرب، واثنين من مصر، وواحد من الجزائر، وهذا تمثيل لا يتناسب مع حجم الدراسة التي تعنى بالعالم العربي، وليس شمال أفريقيا .

---

(١) ينظر: ندوة "الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي"، مرجع سابق، ص١٤.

ب- كانت الأفكار والأسس التي وضعت للمناقشة ضعيفة، وتضمنت أخطاء واضحة، مثل: جعلهم العناية بمقامات الأولياء وأضرحتهم من أبرز علامات الصحوة الإسلامية(١) .

ج- سردهم جملة من أمثلة الفشل -برأيهم- لأعمال الصحوة الإسلامية(٢)، مما يجعل حاجزًا نفسيًّا أمام التفكير في مستقبلها، والتوقع المسبق لسريان الفشل فيه .

د- إخراجهم الصحوة الإسلامية في المملكة العربية السعودية وباقي دول الخليج من دائرة البحث، وهذا خلل كبير في البحث، وجهلهم بالدعوة التجديدية على منهاج النبوة للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ووصفها (بالإسلام الوهابي)، ثم وصفهم الصحوة الإسلامية في هذه المنطقة بأنها واقعة تحت تأثير الثورة الإيرانية(٣)، وهي مغالطة لا أساس لها .

هـ- الخلط بين الصحوة الإسلامية، وصحوة الفرق المنتسبة إلى الإسلام، المخالفة للمنهج الإسلامي الصحيح، وعدم التمييز بين الصحوتين .

و- إسناد بعض الأبحاث الرئيسة عن الصحوة الإسلامية إلى غرباء عنها، وليسوا من أهلها؛ مما جعل محمد الغزالي يقول في تعقيبه على بحث (الصحوة الدينية في مصر)، لمحمد أحمد خلف الله :«ذلك أن الإسلاميين يعرفون عن د.خلف الله أمرين: أولهما أنه يرى الإسلام دينًا لا دولة، وعقيدة لا شريعة، والثاني أنه يعطي الحاكم حق وقف النص الديني إذا رأى أنه يعارض المصلحة... ومناقشة الموضوع -إن جازت- لا محل لها هنا، وإنما لفتنا النظر فقط إلى أن الباحث خصم طبيعي لما يسمى بالصحوة الإسلامية، لا لما يسودها من خلل وقصور، بل لأنه خصم لحقائق الإسلام نفسه»(٤).

ز- لا عجب أن يعتري الندوة وأبحاثها كل تلك الملحوظات الجوهرية إذا كان المشرف على أعمالها يرى أن بحث مستقبل الصحوة الإسلامية ضمن المستقبلات العربية البديلة بحث (هامشي) بصريح العبارة؛ لأن الأغراض العقائدية ليست من الأغراض المألوفة في أدبيات الاستشراف المستقبلي، كما يقول(٥) .

---

(١) المرجع نفسه، ص١٥.

(٢) نفسه، ص١٧.

(٣) نفسه، ص٢٢.

(٤) نفسه، ص٩٩.

(٥) ينظر: مصطفى الفيلالي، "تقرير تجميعي: الصحوة الدينية الإسلامية: خصائصها-أطوارها-مستقبلها"، نفسه، ص٣٣٧.

كل هذه الأمور شوهت انطلاقة البحث، وقصُرت به عن غايته، وأساءت إلى نتائجه.

وقد جرى عقد الندوة الرئيسة في تونس خلال المدة (من ٢٩ إلى ٣٠ أكتوبر ١٩٨٤م)، حضرها واحد وثلاثون شخصًا، أكثرهم من تونس، ونُوقشت فيها أربعة أبحاث رئيسة، هي:

أ- الصحوة الدينية في مصر، أعدَّه: محمد أحمد خلف الله .

ب- الصحوة الإسلامية في بلاد الشام (مثال سوريا)، أعدَّه: الحبيب الجنحاني .

ج- الحركة السلفية والجماعات الدينية المعاصرة في المغرب، أعدَّه: محمد عابد الجابري .

د- الإسلام الاحتجاجي في تونس، أعدَّه: عبد الباقي الهرماسي .

وخرجت هذه الأبحاث بجملة من التساؤلات عن: خصائص الحركة الإسلامية، وأثرها في الواقع المعاصر، ومستقبلها، ومدى بقاء أثرها، وما لها من فاعلية في تغيير ملامح الحاضر وإنشاء صفات المستقبل . والحقيقة أن الأبحاث الأربعة المعتمدة لم يتيسر لأصحابها أن يقدموا في أبحاثهم مواد الإجابة عن هذه التساؤلات[1] .

وتضمنت أبحاث الندوة أبحاثًا لم تُعرض فيها؛ لوصول البحث الأول متأخرًا[2]، وتعذُّر حضور صاحبي البحثين الثاني والثالث[3] مما يلي:

أ- عن الصحوة الإسلامية في لبنان، أعدَّه: حسن صبرا، وتركز في بحث الحركات الرافضية في لبنان .

ب- الصحوة الإسلامية بين الواقع والطموح، أعدَّه: شكري فيصل، وتميز عن الأبحاث السابقة بالمنهج التوجيهي للصحوة، لبعض ما تحتاجه في المرحلة المستقبلية، لكنه كان بحثًا قصيرًا لم يتجاوز ثماني صفحات في كتاب بلغت صفحاته (٤٢٢) صفحة، ولم يُعرض في أعمال الندوة، واعتَمد على عمل فردي لا يناسب طبيعة الدراسات المستقبلية المعتمدة على الجهد الجماعي .

ج-مستقبل الصحوة الإسلامية، أعدَّه: عبد الله النفيسي، وهو أهم بحث من الأبحاث المعروضة، تميز ببيان التحديات المستقبلية الداخلية والخارجية التي ستواجه الصحوة

---

(١) الفيلالي، نفسه، ص٣٣٦.

(٢) ندوة "الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي"، نفسه، ص١٦١، ح *.

(٣) الفيلالي، نفسه، ص٣٣٥.

الإسلامية، اعتمادًا على الدراسات المستقبلية العالمية، وما ينبغي على الصحوة فعله أمام هذه التحديات المستقبلية، لكنَّه كان كالبحث السابق.

وفي آخر أبحاث الندوة تقرير تجميعي بعنوان: (الصحوة الدينية الإسلامية: خصائصها-أطوارها-مستقبلها)، أعدَّه: مصطفى الفيلالي، المشرف على الندوة وإعداد أبحاثها، وهو مفكر تونسي عضو في مجلس أمناء مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، وهذا التقرير يؤلِّف بين الأبحاث السابقة جميعها في ثلاثة محاور[1]، ويُستثنى من ذلك بحث (عن الصحوة الإسلامية في لبنان)؛ لتأخر وروده[2]، وفي التقرير رجوع إلى بعض المراجع خارج نطاق هذه الأبحاث، وكانت محاوره ما يلي :

المحور الأول : خصائص الصحوة وملامحها الفكرية والسلوكية .

المحور الثاني : ما طرأ على هذه الخصائص من تطور في المضامين أو الوسائل .

المحور الثالث : مستقبل الحركة الإسلامية ذاها، ومدى تأثيرها على مستقبل المجتمع العربي .

و لم يقدِّم هذا التقرير شيئًا جوهريًّا يُضاف لما قدمته أبحاث الكتاب .

٢- تعليق إجمالي على أبحاث الندوة :

خلاصة رأي الباحث في هذه الدراسة التي حاولت أن تدرس مستقبل الصحوة الإسلامية: أنَّ تناولها لهذا الموضوع كان تناولاً حذرًا، لم يُهيأ له الإطار الشمولي الذي تُعنى به الدراسات المستقبلية عادة، ولا دُرس بدرجة مقبولة من العمق التحليلي، ولا جَرى فيه استخدام الأساليب المستقبلية، و لم يتضمن برنامجًا مستقبليًّا عمليًّا متكاملاً وواضحًا، و لم يكن الموضوع متوجهًا إلى المستقبل بقدر ما هو تعليق وإبراز لجوانب من فشل الصحوة الإسلامية .

المطلب الخامس : (أيعيد التاريخ نفسه؟)، لمحمد العبدة :

١- عرض موجز للكتاب :

يقع الكتاب في (١٠٥) صفحة من الحجم الكبير، تناول المؤلف فيه البحث التاريخي

---

(١) نفسه، ص٣٣٦.

(٢) ندوة "الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي"، نفسه، ص١٦١، ح *.

للقرن الرابع الهجري وما تلاه حتى مجيء صلاح الدين الأيوبي[1]، ولا يستعرض تاريخًا محضًا بقدر ما يربط الماضي بالحاضر ويستشرف المستقبل[2]؛ وهو بهذا يعتمد على القياس التاريخي في استشرافه للمستقبل .

والسبب الذي جعل المؤلف يختار تلك الفترة للدراسة : أنها فترة تشبه من بعض الوجوه العصر الحاضر[3]، ومن تلك الوجوه المشابهة لعصرنا ما يلي[4] :

أ- أن تلك الفترة تحوَّل فيها المسلمون إلى دول صغيرة متناحرة، هَمُّ الحاكم منهم المحافظة على كرسي الحكم.

ب- كثرة الانقلابات في ذلك العصر، والتمزق الداخلي لتلك الدويلات.

ج- انعدام ردود الأفعال من المسلمين المجاورين لتلك المدن التي أخذت تقع في أيدي الصليبيين واحدة تلو الأخرى حتى وصل الصليبيون إلى القدس، وذلك مثل ما يحدث اليوم حذو القذة بالقذة، من احتلال اليهود أرض فلسطين، ولا ناصر للمسلمين فيها ولا معين.

د- طلب المساعدة من الكفار.

هـ- «تكديس الأموال والنهب من خزانة الدولة»، بل وصل التعدي إلى أموال الناس .

و- إعطاء الأعطيات للمغنين.

ز- تفويض بعض العمال بما يؤول إلى الضرر بالناس وظلمهم.

ح- مساومة الإنكليز على القدس.

احتوى الكتاب على مقدمة ، وأربعة فصول، وخاتمة :

المقدمة: بَيَّن فيها أهمية التاريخ في الماضي والحاضر، وقرر أن التاريخ لا يعيد نفسه حذو المثال بالمثال زمانًا ومكانًا، ولكن يعيد التاريخ نفسه بصور أخرى وألوان أخرى، وبَين فيها الفترة موضوع الدراسة، خاتمًا مقدمته بإشارة سريعة إلى حال المسلمين اليوم.

---

(١) العبدة، مرجع سابق، ص ٧ .

(٢) المرجع نفسه، ص ١٢.

(٣) نفسه، ص ٦.

(٤) نفسه، ص ١١- ٢١، ٣٢ .

الفصل الأول: الأحوال العامة للمسلمين قبل الهجوم الصليبي:

أ- الخلافة في بغداد والتمزق الداخلي:

تطرق إلى ضعف الخلافة، وتحول دولة الإسلام إلى دُول صغيرة متناحرة، وعدم وجود تعاون بين المدن الإسلامية لصدِّ هجوم الصليبيين، أو إخراجهم من المدن الإسلامية التي استولوا عليها .

ب- ونموذج من الخراب الاقتصادي:

أشار إلى ما حصل من تكديس لأموال الدولة والنهب من خزانتها، والتعدي على الناس بظلمهم في أرزاقهم .

ج- العلماء والسياسة:

أشار إلى وجود العلماء في هذه الفترة، وكثرتهم في شتى الفنون، من أئمة الحديث، والفقه، والأصول، والعلوم الطبيعية، لكنَّهم ابتعدوا عن السلاطين وعن قيادة الأُمَّة.

د- الباطنيون والإرهاب الداخلي:

ابتلي المسلمون بالباطنية الذين أخافوا الناس، وقتلوا العلماء والولاة والوزراء من أهل السنة، وتحالفوا مع أعداء الإسلام من الصليبيين والتتار ووالوهم.

هـ- التجاوب الضعيف:

«بسبب هذا الضعف والتفرق وهذه الصراعات الداخلية وفساد الباطنية لم يتمكن المسلمون في بغداد وغيرها من مساعدة إخوانهم في بلاد الشام حين دهمها الفرنجة والصليبيون ففي حين وصل الصليبيون إلى القدس كان العالم الإسلامي يعيش بعيدًا عن هذه الأحداث، وكأن في أذنيه وقرًا كما يحدث الآن حذو القذة بالقذة، فاحتلال اليهود للقدس لم يثر نخوة الدول القريبة أو البعيدة، واكتفوا بالاحتجاجات والشجب لدى الأمم المتحدة والرأي العام العالمي»(1).

---

(1) نفسه، ص ٣٢.

الفصل الثاني: الاتجاهات الشيعية والباطنية تحاول السيطرة:

«ما إن أطل القرن الرابع الهجري حتى بدأت الدول الشيعية تظهر هنا وهناك... وتتوسع حتى بدا للناظر أنهم سيطروا على أكثر العالم الإسلامي يومها»[1]، فظهر منهم: العبيديون، والبويهيون، والقرامطة، وبنو حمدان، والأسديون، والصليحيون. وذكر نماذج من إفسادهم.

الفصل الثالث: بشائر العودة:

وهذه البشائر ما يأتي:

أ- الخلفاء العباسيون وإظهار السنة:

ومن ذلك ما قام به الخليفة القادر بالله عام (٤٠٨هـ) من استتابة فقهاء المعتزلة، وتبرؤهم من الرفض والمقالات المخالفة للإسلام، وفي سنة (٤٢٠هـ) جَمع القضاة والعلماء وقَرأ عليهم كتابًا جمعه، وفيه الرد على أهل البدع.

ب- بروز دول سُنِّية قوية:

- محمود الغزنوي (٣٦٠ - ٤٢١هـ)، ظهر بالمشرق، وكان مجاهدًا، شديدًا على أهل البدع، فتح الهند.
- السلاجقة: أنقذت دولتهم الخلافة في بغداد من الدولة البويهية، وأزالت آثار الرافضة في بغداد.

ج- الاهتمام بالعلم:

ومن أمثلة ذلك: عناية الإمام الماوردي بحل مشكلات عصره عندما ألف كتابه أدب الدنيا والدين، وكذا أبو المعالي الجويني وكتابه (غياث الأمم في التياث الظُلم)، وهو من كتب السياسة الشرعية التي تبحث في مشكلات المُسلمين الواقعية.

وبرزت المدرستان الشافعية والحنبلية، اللتان مهدتا للعودة إلى أجواء الجهاد والإصلاح الإسلامي.

د- الإحساس بالخطر الباطني وبدء اندحاره.

هـ- تراجع بعض الأقاليم عن تأييد الشيعة، وفرح الناس بعودة السنة.

---

(١) نفسه، ص ٣٧.

الفصل الرابع: الجهاد يوحد الأمة:

أ- فتح الرها، وطرد الصليبيين منها، وعودة الثقة:

جرى هذا على يد عماد الدين زنكي، حيث تسلم مدينة حلب عام (٥٢٢هـ)، ثم فتح (الرها) عام (٥٣٩هـ).

ب- نور الدين محمود الملك الزاهد العادل الورع، وقعت أوائل معاركه الجهادية عام (٥٤٣هـ).

ج- صلاح الدين الأيوبي، فتح القدس في رجب عام (٥٨٣هـ)، وتوفي عام (٥٨٩هـ).

وكان من مظاهر التجديد عند نور الدين محمود، وصلاح الدين ما يلي :

- الحديث عن الجهاد وممارسته عمليًا.
- إشاعة العدل.
- عدم التصرف بأموال الدولة.
- العمل بالشريعة، وترك العمل بالسياسة المخالفة لها .
- تقريب العلماء.

الخاتمة : والعاقبة للمتقين :

(العاقبة للمتقين) : سنَّةٌ من سنن الله تعالى، «فكم من طاغوت هوى وكم من دولة ظلم ذهبت كأن لم تكن، وكم حاول أعداء الإسلام الكيد له من الداخل ومن الخارج، والنتيجة أنه خرج منصورًا»[(١)].

«وفي محاولات التفتيش عن دروس التاريخ لم نجد أكثر عبرة ولا ماضيًا أشبه بحاضر من مثل ما حدث في الحقبة التي درسناها... ومع ملابسات وظروف الحاضر وتشابك العلاقات الدولية بشكل لم يسبق له مثيل، فإن مشكلة المسلمين ستبقى بحاجة إلى تيار كبير يقوده علماء حكماء، ستبقى بحاجة إلى التقاء العلم والسياسة، العلماء والأمراء، كما التقوا في شخص نور الدين محمود وصلاح الدين، وأظن أن الدعاة أصبحوا على قناعة بأن التغيير لا يأتي إلا بالسير مع سنن الله التي أودعها في كتابه...»[(٢)].

---

(١) نفسه، ص ١٠٣-١٠٤ .

(٢) نفسه، ص ١٠٤-١٠٥ .

٢- التعليق على الكتاب :

أ- لم يُبرز المؤلف الإصلاحات الداخلية لنور الدين محمود، وصلاح الدين، ومِن قَبْلِهما عماد الدين زنكي، بل مرَّ على أهمها مرورًا سريعًا[١]، وكان ينبغي أن تستغرق جزءًا كبيرًا من بحثه؛ لما للإصلاحات الداخلية من أثر كبير في إعداد الأمة، وصلاح الأحوال، واستقامة الجهاد، ونزول النصر، وغيرها من عوامل النهوض؛ ولأن هدف الكتاب ربط الماضي بالحاضر واستشراف المستقبل، وهذا يؤكد أهمية العناية بإبراز هذه الإصلاحات، إذ هي حاضرهم آنذاك الذي نقلهم -بمشيئة الله- إلى مستقبلهم بطرد الصليبيين، ودحر خطرهم، وفتح القدس .

ب- رتَّب المؤلف دراسته بذكر مظاهر انحطاط المسلمين وضعفهم، ثم بشائر عودهم ومظاهرها، ثم المرحلة التي توجتها المرحلة السابقة، وهي مرحلة بدء الجهاد التي آتت أُكلها وأثمرت . ويرى الباحث أن المؤلف بالغ في ربط عودة الناس إلى دينهم في عهد نور الدين محمود، وصلاح الدين، بحوادث بعيدة حدثت وانتهت في القرن الرابع الهجري وأوائل الخامس، فبشائر العودة التي تُوِّجَت بانتصارات على الصليبيين وفتح بيت المقدس، إنما تبدأ- حسب رأي الباحث - في ولاية عماد الدين زنكي الموصل عام (٥٢١هـ) وليس قبله، ولا يظهر لأكثر تلك الحوادث التي ذكرها المؤلف أثرها المباشر في المرحلة الجهادية في القرن السادس، وإنما كانت حوادث جزئية، متفرقة في البلاد الإسلامية، وقعت وانتهت دون أن يكون لها امتداد تابع لها، بل تبع أكثرها مظاهر من الضعف والانحطاط .

المطلب السادس: (دور أوروبا في مستقبل العمل الإسلامي)، لعبد الحليم خفاجي[٢]:

١- عرض موجز للكتاب :

يقع في ٤١ صفحة، اتَّبع المؤلف فيه (القياس التاريخي) للدلالة على مستقبل العمل الإسلامي في (ألمانيا)، فسرد عددًا من الدروس التاريخية التي يقيس واقع (ألمانيا) عليها، وهي كما يأتي:

---

(١) نفسه، ص ٨٢-٨٤، ٨٨، ٩٢-٩٤، ٩٨-٩٩.

(٢) (ميونخ- ألمانيا، مؤسسة بارفايا، ١٤١٣هـ) .

درس من فتح فارس والشام[1] :

أدى حُسن تعامل المسلمين الأوائل مع أهل فارس والشام إلى دخولهم الإسلام أفوجـــًا، ويتساءل المؤلف عن أثر مليوني مسلم في (ألمانيا) في الدعوة إلى الله وعن احتياجاهم .

درس من النجاشي[2] :

يحثّ المؤلف المسلمين في أوروبا على حسن التعامل مع المجتمعات الأوروبية؛ ليدخلوا في الإسلام كما دخل النجاشي .

الدولة العصرية وتغير ميزان القوى[3] :

تحدث عن أن الإسلام يتجدد شبابه كل فترة زمنية بظهور قوة سياسية جديدة، فكلما سقطت دولة قامت أخرى، فهذه الريادة العربية زمن الخلفاء والأمـــويين، وهـــذه الريـــادة الفارسية والريادة البربرية كلاهما زمن العباسيين، ثم المماليك، ثم الدولة العثمانية، ومحمـــد الفاتح، الذي أعاد للإسلام هيبته، وجدد له شبابه؛ وهذا يدل على أنه : (كلمـــا ضـــعف المسلمون وتردت أحوالهم ظهرت قوة سياسية جديدة تؤدي مهمتها التاريخية)، وهذا هـــو القانون التاريخي؛ والوجود الإسلامي في أوروبا يبشر بميلاد قوة سياسية إسلامية عصـــرية، قياســـًا على تلك القوى الإسلامية التي ظهرت سابقـــًا، ويتفـــاءل المؤلِّـــف بعـــدد مـــن المؤشرات التي تؤكد - في نظره - أثر أوروبا في مستقبل العمل الإسلامي، وذكر منها مـــا يأتي[4] :

أ-مؤشرات دولية: وهي تَقبُّل المجتمع الدولي الحوار بشأن الأديان على أرضـــه، وهـــي ظاهرة أخصب ما تكون في أوروبا. وعندما يحاور الإسلام فلن يهزم .

ب-مؤشرات قَبَلِيَّة : وهي أنه إذا أسلم شيخ القبيلة دخلت قبيلته معـــه في الإســـلام ، والمؤلف يُعطي للأحزاب السياسية في أوروبا ما للقبيلة من تأثرها برئيســـها ، ويـــدعو إلى توجيه الدعوة إلى المسؤولين في الحزب والمنظرين له .

(١) المرجع نفسه، ص ٨-١٣.

(٢) نفسه، ص ١٤-١٥.

(٣) نفسه، ص ١٦-٢٠.

(٤) نفسه، ص ٢١-٢٩.

ج-مؤشرات اقتصادية : وهي إفلاس النظامين الاقتصاديين : الرأسمالي والشيوعي ، وحاجة الغرب الشديدة إلى نظام جديد؛ مما يفسح المجال أمام العلماء المسلمين لبيان النظام الاقتصادي الإسلامي، وقدرته في تحقيق آمال البشرية في الأمن والاكتفاء، وبهذا تستطيع الدعوة الإسلامية أن تمد نشاطها داخل الأوساط العلمية .

د-مؤشرات اجتماعية : وهي المعاناة الاجتماعية لشعوب أوروبا بجميع فئاتها العمرية، على الرغم من التقدم الكبير . وعلى دعاة الإسلام أن يسارعوا إلى استثمار هذه الفرصة.

هـ-مؤشرات حركية: تتمثل في انتشار المساجد، والمراكز، والجمعيات الإسلامية ، وإصدارها عددًا من الدوريات ، وهجرة كثير من المجلات والصحف العربية من موطنها إلى أوروبا .

و-مؤشرات سياسية : وهي ما تقتضيه المصالح السياسية والاقتصادية المشتركة بين الدول العربية والأوروبية؛ الأمر الذي دفع الأخيرة إلى التعرف على الشرق وتغيير الخطاب نحوه.

ز-مؤشرات علمية : وهي تَنَقُّل الدعوات من مكان إلى آخر ، فدعوة إبراهيم عليه السلام بدأت في العراق وانتهت في مكة ، ودعوة عيسى عليه السلام بدأت في مصر، وقام ملك بني إسرائيل في الشام، بل حتى الدعوات الدنيوية تسير على هذه السُّنَّة .

ح-مؤشرات إيمانية : وهي النص النبوي على فتح (روما) .

دور خاص لألمانيا :

تحدث فيه عن الأثر الإسلامي في (ألمانيا)، وما تتميز به من التعاون الجيد بين المسلمين والألمان في المجالات العلمية وبخاصة ما يتعلق بالإسلام وتراثه الفكري ، وعناية الألمان أنفسهم بالتراث الإسلامي وخدمتهم له، ونقل جملة أسباب لهذا التميز؛ تجعل من (ألمانيا) أرضًا خصبة أمام الدعوة الإسلامية .

ثم يذكر هدفين : هدف أعلى، وهدف أدنى؛ لتحقيق المستقبل المنشود للدعوة الإسلامية في أوروبا[1]:

---

(١) نفسه، ص ٣٦.

أما الأدنى : فالحفاظ على أبناء الجالية الإسلامية الموجودين في أوروبا من الذوبان في المجتمع الأوروبي .

وأما الأعلى : فتكوين حزب إسلامي في كل بلد أوروبي، يكون له حق المشاركة في الحياة السياسية .

وهذان يقتضيان جملة من الأعمال، أهمها السعي لتوحيد العمل الإسلامي في (ألمانيا) ثم في بقية أوروبا، ويذكر جملة من الأعمال المترتبة على هذه الخطوة .

٢- التعليق على الكتاب :

أ- يقيس المؤلِّف المسلمين الذين اضطروا أو اختاروا الهجرة إلى الغرب، على الصحابة ﷺ الذين دخلوا أرض فارس والشام قادة، أعزة، فاتحين، حاكمين؛ ولم يدخلوها أذلة صاغرين، أو لاجئين ومهاجرين، محكومين، فالقياس الذي استخدمه المؤلف هنا قياس مع الفارق، لا يمكن أن يكون للمقيس من التأثير والظهور ما كان للمقيس عليه؛ لاختلاف الحال بينهما .

ب- الدعوة إلى الله بالحكمة، وإظهار المسلم محاسن دينه بين الكفار، ونحوها من الأمور التي حث المؤلف المسلمين في الغرب عليها، أمور حسنة يوافقه الباحث عليها، وقد تؤدي إلى إسلام أفراد وجماعات، لكن ما لا يوافق الباحث عليه أن تؤدي هذه إلى تحول دولة غربية ذات تاريخ نصراني[1] إلى دولة مسلمة؛ لأنَّ الإسلام عندما يصبح لدى الغرب ظاهرة، ويتجاوز الحد الذي يقدرونه لها، يصبح تعاملهم معها تعاملاً آخر، وإذا كانت الأحزاب الإسلامية في البلاد الإسلامية يقف الغرب لها بالمرصاد أمام وصولها إلى الرئاسة السياسية، فكيف بها في عقر داره ؟

فتفاؤل المؤلِّف بميلاد قوة سياسية إسلامية عصرية، على أرض أوروبا؛ بسبب الوجود الإسلامي الحالي فيها، تفاؤل ليس في محله، ويراه الباحث مغرقًا في التفاؤل؛ وقياسه إمكانية ظهور قوة سياسية إسلامية في أوروبا، على تلك القوى الإسلامية التي ظهرت في التاريخ الإسلامي قياس مع الفارق الكبير . ولا يدعو الباحث إلى ترك توجيه الدعوة لرؤساء الدول وأحزابها، فهي سنة نبوية ماضية، بل يُدعون وتُقام عليهم الحجة .

---

(١) لو كانت دعوة المؤلف في بلاد وثنية لكان هناك مجال للنظر فيها، وتحقيقها للنتيجة التي ذكر؛ ففي التاريخ -في آسيا، وأفريقيا- ما يشهد له.

ج- هناك نصوص من كتاب الله -عز وجل- يرى الباحث أنها تُنافي ما ذهب إليه المؤلف، من ظهور قوة سياسية إسلامية في أوروبا، بالدعوة التي لا تُساندها قوة، مثل: قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[2].

المطلب السابع : (الدعوة إلى الله : الواقع والأمل : دراسة عن إفريقيا)، لسيد محمد ساداتي الشنقيطي[3] :

١- عرض موجز للكتاب :

يقع الكتاب في (١١٩) صفحة من الحجم الكبير، استهدف استشراف المستقبل الدعوي في إفريقيا، ويرى الباحث أن الدراسة اعتمدت من مناهج الدراسات المستقبلية (المنهج الاستهدافي)، فقد ذَكر بين يدي الدراسة أسئلة محددة تمثل لب الموضوع وجوهره، وهي:

أ- «هل يمكن رسم منهج محدد المعالم للدعوة إلى الله في إفريقيا كلها»؟

ب- «وما ركائز هذا المنهج وأساسياته»؟

ج- «وإلى أي مدى يمكن التزامه في الواقع الدعوي وتطبيقه؟ وما العوامل المؤثرة فيه»؟

د- «ما علاقة إخفاقات العمل الدعوي الحالي بغياب هذا المنهج؟»[4] .

ويقول: «وقد آثرت أن تكون هذه الأسئلة هي محور البحث، ولا يعني هذا بالضرورة تجاهل الماضي والحاضر»[5]. وكان الهدف المحوري المقترح لخطة الدعوة في إفريقيا هو: أن تصبح قارة إفريقيا قارة مسلمة عام (١٤٥٠هـ)[6] .

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ١٢٠.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ١٠٩.

(٣) (الرياض، دار عالم الكتب، ١٤١٥هـ) .

(٤) الأربعة جميعها، نفسه، ص ٨-٩.

(٥) نفسه، ص ٩ .

(٦) نفسه، ص ٦٠.

قسَّم المؤلف الكتاب إلى فصل تمهيدي: تناول تاريخ دخول الإسلام إلى إفريقيا وحالها قبله، وفصلين رئيسين : الأول: واقع الدعوة في إفريقيا، والثاني : رؤية مستقبلية للدعوة في إفريقيا.

الفصل الأول: واقع الدعوة في إفريقيا:

تحدث في توطئته عن مذكيات الأمل في مستقبل الإسلام في إفريقيا، وهي ما يأتي[1]:

أ- "وعد الله بإظهار دينه".

ب- "مناسبة الدين للفطرة البشرية واستجابته لحاجتها الفطرية".

ج- "قدرته على تقديم حلول ناجحة للمشكلات".

د- "حفزه للتطلعات وتفجيره للطاقات الكامنة".

هـ- سقوط العقائد والمذاهب المختلفة.

و- "الأوضاع الدولية الجديدة أو ما يسمى بالنظام العالمي الجديد".

ز- "الثروة المالية للعالم الإسلامي".

ح- "الثقل الدولي للعالم الإسلامي".

ط- "الصحوة الإسلامية التي تعم أرجاء المعمورة بفضل الله".

عَرَض ذلك قبل وصف واقع الدعوة في إفريقيا تثبيتًا للدعاة[2]؛ لأن صورة الواقع الدعوي قد لا تكون حافزة على النشاط مع ما فيها من خير، وصورة التحدي النصراني والإلحادي قد يكون لها أثر سلبي على الدعاة[3].

وتضمن هذا الفصل ستة مباحث، تناولت القائمين بالدعوة في إفريقيا حاليًا وتنوع مشاربهم، وموضوع الدعوة في إفريقيا وأنه ينبغي أن يكون محصورًا في الكتاب والسنة، ووسائل الدعوة وأساليبها في إفريقيا حاليًا، وفئات المدعوين، وعوائق الدعوة الداخلية والخارجية: في مقدمتها الهجمة النصرانية، والتيارات الفكرية، والاستعمار.

---

(١) المرجع نفسه، ص ٣٦.

(٢) ينظر: نفسه، ص ٣٦.

(٣) ينظر: نفسه، ص ٣٦-٣٧.

الفصل الثاني: رؤية مستقبلية للدعوة في إفريقيا[1]:

لخص محتويات هذا الفصل بقوله: «يتركز الحديث فيه حول الكشف عن معالم استراتيجية دعوية متكاملة للدعوة في إفريقيا تقوم على محاور أساسية تتمثل في البناء الذاتي والتحصين والهجوم على الأعداء»[2]، وهذه الثلاثة هي مباحث هذا الفصل .

وهناك هدف محوري كبير ضمَّنه المؤلف الاستراتيجيةَ المقترحة للدعوة في إفريقيا، يُسعى لتحقيقه في زمن محدد، والهدف والزمن : هو أن تصبح قارة إفريقيا قارة مسلمة عام (١٤٥٠هـ)، حيث تختفي النصرانية، والوثنية، والإلحاد عمومًا، بكل صوره وأشكاله منها، عن طريق وضع خطط دعوية مرحلية، منها ما هو خاص بالمسلمين، ومنها ما هو خاص بدعوة غير المسلمين في إفريقيا . ولا يُفرَّق في هذه الخطط، بين العرب وغير العرب، ولا بين شمال القارة وجنوبها؛ لأن أسباب قيام النشاط الدعوي موجودة في القسمين[3] .

المبحث الأول: بناء الذات :

«المقصود هنا هو إفراد النشاط الدعوي الموجه للمسلمين في إفريقيا باهتمام خاص يغطي كافة جوانب الحياة البشرية»[4]، والأخذ بالأسباب المادية والمعنوية[5]، «وذلك ما يتطلب إعدادًا قياديًا وبشريًا ودينيًا ودنيويًا وتربويًا وعلميًا من خلال أهداف محددة توزع فيها المسؤوليات والاختصاصات»[6] .

ويقترح لتحقيق ذلك خمسة وعشرين مقترحًا من قبيل التمثيل، فيما يلي أهمها[7] :

أ- «إقامة رابطة أو هيئة إسلامية عليا تتولى مهمة القيام على النشاط الدعوي في إفريقيا تخطيطًا وتنفيذًا» .

ب- «تكوين رابطات تخصصية ومهنية على أساس دعوي».

---

(١) نفسه، ص ٥٤-٩٠.

(٢) نفسه، ص ١١.

(٣) نفسه، ص ٦٠-٦١.

(٤) نفسه، ص ٦٣.

(٥) نفسه، ص ٦٥-٦٦.

(٦) نفسه، ص ٦٦.

(٧) نفسه، ص ٦٧-٧٨.

ج- «إقامة مراكز دعوية إقليمية في المناطق الاستراتيجية من القارة» .

د- «دعم كافة هيئات الإغاثة الإسلامية العاملة في القارة والتنسيق بين أعمالها الدعوية وأعمال الجهات والمراكز الأخرى» .

هـ- «ضرورة السعي لإيجاد برامج تنموية ثابتة» .

و- «محاولة تأسيس قاعدة التمويل الذاتي في العمل الدعوي عن طريق تشجيع الوقف والاستثمار وغير ذلك من صور الكسب المشروع وبالطرق المناسبة» .

ز- «إعطاء عناية خاصة بالتعليم في جميع مراحله عن طريق العناية بالمدارس والجامعات الإسلامية والمراكز المنتشرة في القارة وتوجيهها الوجهة الصحيحة ورعاية منسوبيها» .

ح- «الاستفادة المثلى من جميع وسائل الإعلام الحديثة» .

ط- العناية بتخريج دعاة حقيقيين، وتربيتهم، وتزكيتهم، وتدريبهم، بما يُكسبهم الصفات الرئيسة للداعية الحق .

ي- «إيجاد مركز معلومات حديث يعمل على إمداد العاملين والدارسين والباحثين بما يحتاجون إليه من معلومات وحقائق وآراء وبيانات» .

ك- «السعي الحثيث لإزالة كل صنوف الخلاف بين العاملين للدعوة في إفريقيا خاصة والعالم الإسلامي عامة عن طريق دعوتهم إلى التزام قواعد ثابتة في تحقيق أعلى درجات الوئام والإخاء والتعاون على البر والتقوى بإظهار الحق وإيثاره على الخلق وترك الحرص على الانتصار».

المبحث الثاني: تحصين المسلمين في إفريقيا[(1)]:

وتقوم خطة التحصين على توجيه الاهتمام بثلاثة أمور، هي ما يأتي :

أ- متابعة «الأفكار المنحرفة والمفاهيم المغلوطة والشبه التي تثار ضد الإسلام والمسلمين ودحضها».

ب- «متابعة وسائل تحقيق القوة المعنوية والمادية للمسلمين».

ج- «تنظيم نشاط اتصالي إعلامي تستثمر فيه كافة مستويات الاتصال الشخصي والجمعي والجماهيري يشترك في الواجبات المحددة في البعدين السابقين ... وقيام هذا النشاط

---

(١) نفسه، ص ٨٠-٨٣ .

على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقواعده وأحكامه ".

المبحث الثالث: الهجوم الدعوي[1]:

ويقصد به المبادأة بالدعوة، مع أخذ مناقشة الدعوات الأخرى بالاعتبار، فلا بد من وضع خطة دقيقة ومفصلة لدعوة المخالفين لدين الإسلام، ويعتذر المؤلف عن بيانها؛ لأنه ليس من الحكمة أن يتولى إعدادها باحث واحد .

٢- التعليق على الكتاب :

أ-حاول الكتاب تقديم ملامح خطة دعوية طويلة المدى في إفريقيا، وهو تطرق نادر في الدراسات الإسلامية، وتوجه يُحمد للمؤلف .

ب-تتطلب طبيعة الدراسات الاستشرافية وقتًا ليس بالقليل لإنجازها؛ لكثرة متطلباتها، ويلحظ على هذه الدراسة أنها أُنجزت في مدة يسيرة بلغت ستة أسابيع فقط[2]؛ ولذلك يرى الباحث أن المؤلف قدم أهدافًا عامة، وبعض مفردات مهمة لخطة دعوية، ولم يقدم خطة دعوية .

ج-على الرغم من اتصال المؤلف بكثير من المؤسسات في المملكة العربية السعودية ذات العلاقة بالدعوة في إفريقيا، ومقابلة عدد من المهتمين والخبراء في الشؤون الإفريقية، والإفادة منهم، إلا أنه من المهم جدًّا إشراك المؤسسات والجهات المعنية بشؤون إفريقيا في إعداد الدراسة وصياغة الخطة الدعوية المقترحة؛ لإيجاد تفاعل عملي ينقل مرحلة التنظير إلى مرحلة عملية، بخاصة عندما يتحدث الكتاب عن خطة دعوية كاملة وشاملة، تغطي رقعة كبيرة ومتباينة، وتتناول المسلمين وغير المسلمين، وتستهدف مدى زمني طويل، ويستحيل لأية مؤسسة القيام بها وحدها .

والموضوع جدير بأن يُعيد المؤلف دراسته، مستخدمًا أسلوب التشاور المتميز (دلفي)، ويشترك في الإعداد أو التشاور أكبر قدر ممكن من المؤسسات الإسلامية المعنية بإفريقيا، والشخصيات المؤثرة، وأصحاب القرار، وأن يُخصص للدراسة الوقت الكافي لإنجازها .

---

(١) نفسه، ص ٨٤-٩٠ .

(٢) ينظر: نفسه، ص ٦، ح١ .

المطلب الثامن : (حمى سنة ٢٠٠٠)، لعبد العزيز بن مصطفى كامل :

١- عرض موجز للكتاب :

يقع الكتاب في (٢٦٢) صفحة من الحجم الكبير، وموضوعه «سياسي يتناول الصراعات اليهودية والعربية وربما العالمية المستقبلية»(١)، ويرصد ظواهر هذه الصراعات المحتملة؛ لوصف خطورتها وتفاعلاتها العملية المحتملة(٢)، وبخاصة ما يتعلق منها بالمستقبل القريب جدًا الدالف مع الألفية في سنواتها الأولى(٣) .

أدلة التوقع في الدراسة:

أ-«شهادات الواقع، فالوقائع التاريخية والمعاصرة تشير بأسهمها كلها على أن روح الدين تدب رويدًا رويدًا في أجساد الأمم بالحق أو بالباطل عندما توشك الحضارات على التصادم»(٤)، وهذا الدليل في رأي الباحث هو: (القياس التاريخي) .

ب-«والتصادم قادم -لا بشهادة المفكرين والفلاسفة فحسب- بل بشهادة السنن الماضية والنواميس الحاكمة»(٥)، وهذا دليل السنن.

ج-الحوادث الواقعة، والتصريحات المعلنة لأرباب السياسة وأصحاب القرار لدى أهل الكتاب(٦) .

د-العقائد(٧) المستمدة من الكتب المقدسة لدى أهل الكتاب .

هـ-«الأفكار والمخططات المتعلقة بالزمن الأخير - الذي يرجحون أنه في (الألفية الثالثة)»(٨) .

---

(١) عبد العزيز بن مصطفى كامل، **حمى سنة ٢٠٠٠**، (الرياض، دار السليم، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص ٢١ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٥٢ .

(٣) نفسه، ص ١٠ .

(٤) نفسه، ص ٩ .

(٥) نفسه، ص ٩ .

(٦) ينظر: نفسه، ص ٩، ١٠ .

(٧) نفسه، ص ١٣ .

(٨) نفسه، ص ١٣ .

الصحوة الدينية في الديانات الثلاث:

نتجت صحوة دينية لدى أصحاب الديانات الثلاث -وربما غيرهم- نتيجة لحرب الأيام الستة بين العرب واليهود في فلسطين عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، أحدثت لديهم نقلة، ويتصور المؤلف أن هناك نقلة أخرى كبيرة متوقعة سيكون موضوعها ونقطة انطلاقها عام (٢٠٠٠م) وبدايات القرن الميلادي الجديد؛ فاليهود يرون القرن الجديد أنه عصر العلو الكبير، والسيطرة الكاملة، والعودة الجماعية لأرض الميعاد؛ والنصارى يرون فيه عصر الخلاص العالمي، والتعميد الأممي الذي سيعود بعودة المسيح إلى الأرض؛ ويتوقع المسلمون أن تتحرك حميتهم الدينية الجماعية مرة أخرى عندما يسمعون دق طبول الحرب على أبوابهم؛ فعندها -والله أعلم- سيجتمعون حول صيحات الأذان[١].

«إن في العالم الآن ظاهرة عامة بين جماهير كبرى من أصحاب الديانات تتحسب لحلول الألفية الثالثة، وتربط بها أحداثًا وأحاديث في السياسة والاجتماع والاقتصاد والبيئة ... وتستمد من النصوص والآيات، لتحاول بها فهم المستقبل أو بالأحرى صنع المستقبل.

ولهذا فمن المتوقع أن تتصاعد صراعات (صناعة المستقبل) عند أولئك القوم الذين أدمنوا الشعور بالنجاح حتى ظنوا أنهم سيغالبون القدر»[٢].

وللصدام القادم زمان ومكان، أما الزمان فهم يدعون أن الدخول الفعلي فيه سيكون مع بدايات القرن الحادي والعشرين للميلاد؛ وأما المكان فإيمانهم وإيماننا أنه على أرض الشام وما حولها من بقاع في مصر والعراق والحجاز، تلك الأراضي التي أسموها قديمًا: (أرض الميعاد)، وحديثًا: (إسرائيل الكبرى)[٣].

وأورد المؤلف نُقولاً من كتبهم المقدسة، لحدود دولة اليهود التي يرونها، وأنها مِن نهر مصر إلى نهر الفرات، وهذه النقول توضح الخلفيات العقدية التي تربط اليهود بالأرض الإسلامية في فلسطين، وسوريا، والأردن، والعراق، ومصر، والحجاز[٤].

---

(١) نفسه، ص ٩.

(٢) نفسه، ص ١٠.

(٣) نفسه، ص ١١.

(٤) نفسه، ص ٢٩.

وقد انتقل الأمر من التنظير الاعتقادي والفكري إلى التنظيم العملي والحركي، منذ قرن واحد، بدءً من بدايات الهجرة اليهودية ونشاط الحركة الصهيونية في فلسطين، ومنذ ذلك الوقت كانت إسرائيل الكبرى واضحة في أذهان رواد الحركة الصهيونية(١)، ولمَّا قامت دولة إسرائيل على أرض فلسطين، وكُوِّنت لجنة دولية في هيئة الأمم المتحدة عام (١٩٤٧م) للتحقيق في حدود دولة إسرائيل، تَقدَّم عضو الوكالة اليهودية بخريطة توضح الحدود، وهي: «من مدينة الإسكندرية، محيطة بمنطقة الدلتا غربـاً في مصر، ثم تمتد جنوبـاً مع مجرى نهر النيل، لتتجه شرقًا في خط مستقيم، قاطعة الجزيرة العربية، حتى محاذاة مصب نهر الفرات، ثم تصعد الحدود مع مجرى الفرات، حتى حدود تركيا لتتصل إلى سورية، لتقفل الدائرة بعد ذلك بالحدود الشرقية للبحر الأبيض المتوسط»(٢) .

ويُتابع المؤلف عرض بعض تصريحات الرؤساء الذين توالوا في الدولة اليهودية، تنطق بإسرائيل الكبرى وحدودها، وأشار إلى تَنَقُّل أساليبهم في تحقيق هذه الحدود بين الأساليب العسكرية والدهاء والمكر .

ومن أساليب المكر : مخططات السلام التي يُدعى إليها من وقت إلى آخر، وهي تهدف إلى أمرين –حسب تصريح أحد مخططيهم–(٣) :

الأول : الحصول على الوقت اللازم لتسليح جيوشهم، وتقوية أجهزتهم الحربية .

والثاني: وقف سباق التسلح لدى الدول المعادية لهم، بل وإرغامها على تدمير أسلحتها وتخفيض جيوشها .

ويتابع هذا المخطِط قوله: «وعندما نتيقن من نجاح مخططاتنا هذه؛ ستكون ساعة الصفر قد أزفت، فتزحف جيوشنا إلى الميادين المعينة لها، وتقضي سريعًا على مقاومة أعدائنا التي ستكون حتمًا هزيلة، ونزيل الدول المنهارة عن طريقنا، ثم نعلن للعالم انتصارنا، ونفرض سيادتنا تحت ظل دولتنا الموحدة وعلمها ذي النجمة المقدسة»(٤) .

---

(١) يستند المؤلف هنا إلى تصريحات (ثيودور هرتزل) في دعوته إلى إيجاد أرض لليهود يتوسعون فيها حتى يصلوا إلى ما أسماه: (فلسطين داود وسليمان) عليهما السلام، أي ليست فلسطين بحدودها المعروفة الآن. (نفسه، ص٣٢-٣٣).

(٢) نفسه، ص ٣٤ .

(٣) نفسه، ص ٤٣ .

(٤) نفسه، ص ٤٤، نقلاً عن : نشرة الصليب والعَلَم الدورية، الصادرة عام (١٩٥٥م) .

ويتحدث المؤلف عن توقعاته باحتمال هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل مكانه، مدللاً لذلك بجملة من الشواهد القوية، ويُسهب في ذكرها، ويقترح مقابل ذلك أن يَدعم المسلمون الآن الحركات الجهادية الإسلامية في فلسطين[1] .

و"إذا كنا على يقين بأن الله سينصر دينه ويعلي كلمته كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾[2]، فإن هذا النصر يستدعي نصرة منا أولاً : ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[3]، ونصرة الدين مسؤولية الجميع"[4] .

فإلى "متى نظل نمثل نحن (ردة الفعل) ويقوم أعداء الأمة بـ (الفعل)؟ أما آن لنا أن ننتقل من دائرة ردود الأفعال إلى دائرة الأفعال؟ سؤال ينتظر الإجابة في زمن الانتظار"[5] .

٢- التعليق على الكتاب :

أ-حاولت الدراسة أن تقدم مما له علاقة بالمستقبل ما يأتي:

- رصد ظاهرة الرؤية الدينية اليهودية والنصرانية لنهاية القرن العشرين الميلادي وبداية القرن الحادي والعشرين والأعمال المصاحبة لتلك الرؤية، ووصف خطورتها وتفاعلاتها المحتملة[6] .

- الحث على السعي لنصرة هذا الدين وهي مسؤولية الجميع، وترك التعلق بالغيبيات من انتظار المهدي، والسفياني، ونزول عيسى عليه السلام بل الانطلاق للعمل الجاد وفق سنن الله في الأنفس والآفاق[7] .

ب-عُني المؤلف بإيراد الأدلة من الكتب المقدسة، ومن أقوال السياسيين أصحاب القرار؛ للدلالة على التوجه المستقبلي، وهو منهج حسن ومهم .

ج-إن فلسطين وما حولها من الدول، لها في المنظور الغربي واليهودي جوانب متعددة: دينية، وسياسية، وعسكرية، واقتصادية، واجتماعية، وأمنية؛ وإنَّ الكتابة في مستقبل المنطقة

---

(١) نفسه، ص ٦٧ .

(٢) سورة المجادلة، من الآية: ٢١.

(٣) سورة محمد، من الآية: ٧.

(٤) نفسه، ص ٢٥٣-٢٥٤ .

(٥) نفسه، ص ٢٥٧ .

(٦) نفسه، ص ٢٥٢ .

(٧) نفسه، ص ٢٥٤ .

اعتمادًا على جانب أو جانبين يعد قصورًا في الدراسة، والكتابة فيها جميعها بشكل فردي لا يمكن أن يَجري بصورة صحيحة ودقيقة، بل لا بد من فريق متعدد الاختصاصات يقوم بهذه الدراسة، أو تُجمع آراؤه وينسق بينها . وهذه الدراسة لم تشمل كل تلك الجوانب، وكانت معتمدة على جهد فردي لا يتناسب مع طبيعة الدراسات المستقبلية التي تتناول شبكة من التفاعلات.

د-من الملحوظات: التركيز على الأدلة والقضايا الدينية في كتب أهل الكتاب، والتركيز على الجانب اليهودي، وبيان معتقداته حول إسرائيل الكبرى، وعودة المسيح، والمعركة الفاصلة، وقلة العناية بالخطط والتصريحات السياسية الأمريكية، مع أن الكتاب يبحث في القضايا السياسية، وتتأكد هذه الملحوظة عندما يشير المؤلف في الحاشية[١] إلى إحدى هذه الخطط، فينقل عن صحيفة الحياة[٢]، قول وزيرة الخارجية الأمريكية بتاريخ (١٩٩٩/٢/٤م): «إن إدارة الرئيس كلينتون تعتزم بذل كل ما بوسعها لدحر ما وصفته بـ(الخطر الثلاثي) المتمثل في دول وتنظيمات إرهابية وشبكات متطرفين تمتاز بحرية في الحركة»، وأعلنت الوزيرة عن برنامج جديد تبنته الولايات المتحدة يمتد خمس سنين لمواجهة (الإرهاب) وخصصت له الإدارة الأمريكية خمسين بليون دولار، وقالت: «إن الخطة الخمسية تمثل مجرد بداية» .

إن مثل هذا التصريح الصادر عن مسؤول كبير، ينبغي أن يُفرد لأبعاده -على الأقل- فصل من فصول الكتاب العشرة .

هـ-لم يُقدِّم المؤلف ملامح خطة عملية للمسلمين في ضوء ما يتهددهم من احتمالات خطيرة .

المطلب التاسع : خلاصة ونتائج في عرض الدراسات الإسلامية :

١- لا يوجَد دراسات مستقبلية عالمية أو عربية أو إسلامية تناولت العالم الإسلامي بصفته منظومة واحدة، بل جاءت دراسته ضمن الدراسات المستقبلية العالمية مقسَّمًا داخل العالم الثالث كما مضى في عرض النماذج العالمية؛ وبالتالي تبقى الصور المستقبلية للعالم

(١) نفسه، ص ١٧٣ .
(٢) ١٩٩٩/٢/٦م .

الإسلامي مرهونة بتوقعات النماذج العالمية[١] . ولا يُستبعد وجود دراسات مستقبلية غربية سرِّية توجهت له بخاصة .

٢- اعتمد عدد من الدراسات الاستشرافية الإسلامية على قواعد مستقبلية عامة من الكتاب والسنة، وهو منهج قويم .

٣- برز استخدام (القياس التاريخي) في الدراسات الاستشرافية الإسلامية، ولا شك أنها طريقة إسلامية أصيلة، دل عليها الكتاب والسنة، ويوافق الباحث عليه إذا أُحسن استخدامه، واكتملت شروطه .

٤- استند عدد من الدراسات الإسلامية في الاستشراف، إلى الأساس العقدي الديني للأمة المراد دراستها، أخذًا من كتبها المقدسة، وهو منهج لا يُوافِق عليه أحد الباحثين[٢]؛ لأن الشأن الديني يستعصي على التحليل العلمي المستقبلي، ويُخالفه الباحث، فيرى أنَّ الأساس العقدي الديني من أهم الأسس في الاستشراف، حتى وإن بدا على أصحابه هجره أو ضعف الانتماء إليه، فإنهم لا يلبثون أن يعودوا إليه أو يَقوى لديهم، يقول العقاد : تؤكد العبرة التاريخية الوافية أن العقائد أثبت من السياسات[٣] .

٥- كانت الدراسات الاستشرافية الإسلامية ذات طابع فردي، وغاب عنها الجهد الجماعي الذي تعنى به الدراسات المستقبلية، ولا يُقال : إن المؤتمرات التي تحمل عناوين مستقبلية[٤] وكذا الندوات[٥] والمؤلفات التجميعية التي يشارك فيها مجموعة أشخاص[٦] هي

---

(١) القصير، في "أبحاث ندوة مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل"، مرجع سابق، ص١٦٦.

(٢) عبد العزيز عبد الغني صقر، "مستقبل إسرائيل بين التحليل السياسي والمنطق الديني"، في "البيان"، المنتدى الإسلامي، لندن : العدد ١٧٨، (جمادى الآخرة، ١٤٢٣هـ)، ص٨٨.

(٣) عباس محمود العقاد، **الإسلام في القرن العشرين : حاضره ومستقبله**، ط٢، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م)، ص٢٠٢.

(٤) مثل: مؤتمر (الدعوة الإسلامية وسبل تطويرها: نظرة إلى المستقبل)، عقدته رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، عام (١٤٠٨هـ)؛ وملتقى خادم الحرمين الشريفين الإسلامي الثقافي: (المؤسسات الإسلامية في مجتمع الجاليات والأقليات: نظرة مستقبلية)، عقدته وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية في (كوبنهاجن، بالدانمارك)، عام (١٤٢٢هـ) .

(٥) مثل: ندوة (قضايا المستقبل الإسلامي)، المنعقدة في الجزائر، في شوال عام (١٤١٠هـ) .

(٦) مثل: عبد الله فهد النفيسي وآخرون، **الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية: أوراق في النقد الذاتي** .

جهد جماعي مستقبلي؛ لأن البحث فيها لا يجري بصورة جماعية، بل من المعلوم عنها أنها تُصاغ تنائجها وتوصياتها قبل الانعقاد بمدة، وغالبـًا لا يجري عليها تغيير، فالقضايا فيها لا تُبحث بصورة جماعية، وليس فيها فرصة للتَّمعن والتروي أثناء النقاش، ولا يجري فيها إعادة البحث أو تركيزه على جانب أثناء الدراسة، إلى غير ذلك مما تعنى به الدراسات المستقبلية .

٦- غلب على الدراسات الاستشرافية الإسلامية استخدام المنهج (الحدسي، والاستكشافي)، وندر استخدام المنهج (الاستهدافي)، وغاب عنها استخدام منهج (التحليل المستقبلي) . وهذه ملحوظة مهمة؛ فإن المنهجين الأخيرين أهم من اللذَين قبلهما موضوعيًّا وعمليـًّا .

٧- غاب في الدراسات الاستشرافية الإسلامية غيابـًا كاملاً استخدام الأساليب المهمة الحديثة في الدراسات المستقبلية، مثل: أسلوب التشاور المتميز (دلفي)، وأسلوب المشاهد .

٨- اتَّسمت نظرة الدراسات الاستشرافية الإسلامية تجاه العوامل التي تحقق المستقبل المنشود للأمة، بأنها نظرة جزئية، تنطلق من التقديرات الشخصية لكل مؤلف . وهذا يؤكد أن الدراسات المستقبلية لا يَحسن أن يقوم بها أفراد، بل نخبة من العلماء والخبراء والمختصين.

٩- نَحى جُلُّ الدراسات الاستشرافية الإسلامية إلى إجمال الحديث عن المستقبل، وذِكر نتائج عامة غير مفصلة، وغير محددة بزمن، وهي نتائج قد تَصدق بعد زمن يسير، وقد تصدق بعد قرن أو قرون؛ وهذا يتلاءم مع المنهج الإسلامي في الابتعاد عن التخرصات التي لا تقوم على أساس صحيح، لكن أيضًا يعود إلى ندرة استخدامها المنهج (الاستهدافي) ومنهج (التحليل المستقبلي)، وهما يتلاءمان مع المنهج الإسلامي ويمكن فيهما تحديد زمن مستقبلي .

١٠- تركَّزت الدراسات الاستشرافية الإسلامية على التبشير بأن المستقبل للإسلام، وقَلَّتْ فيها البرامج العملية المحققة لهذا المستقبل، فتجد «أن بعض الكتابات الإسلامية التي تحدثت عن المستقبل نظرت إليه بعمومية وإطلاق، من غير تشخيص دقيق للمراحل والخطوات، ومن غير الاستناد على خطط وبرامج مجدولة زمنيًا، تأخذ معطياتها وأسسها من

مسح شامل يستوعب حقائق العالم الإسلامي في الميادين كافة، وتحويل هذه الحقـائق مـن الوضعية الكيفية، إلى الوضعية الرقمية الكمية»[1].

١١- ظَهرَ عدم وضوح معنى المستقبل في كثير من الكتابات الـتي حملـت عنـاوين مستقبلية، فنَحَى بعضها إلى دراسة الماضي دون أن تتجاوزه، وانكفأت أخرى على دراسـة الحاضر دون رفعِ بَصرٍ لما بعده .

١٢- حاولت بعض الدراسات الاستشرافية الإسلامية استكشاف المستقبل عن طريـق حساب بعض آي الذِكر الحكيم التي تتحدث عن قضية معينة؛ ليوصل الحساب إلى تـاريخ محدد لتلك القضية[2]، وهي طريقة لم تُعهد عن سلف هذه الأمة من الأئمة المفسرين، بـل أصولها معروفة عند اليهود في (حساب الـجُمَّل) .

---

(١) زكي الميلاد، **المسألة الحضارية: كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟** (الدار البيضاء، المركز الثقـافي العـربي، ١٩٩٩م)، ص١١٥.

(٢) من هذه الدراسات: بسَّام نهاد جرّار، **زوال إسرائيل (٢٠٢٢م) نبوءة قرآنية أم صدف رقمية ؟**

خاتـــمة :

اتضح في هذا الفصل أن الغرب درس –حسب منظوره– عددًا من القضايا المســـتقبلية العالمية، واقترح الحلول بمنظوره، في معزل عن مشاركة المسلمين في ذلك، وأن بعض تلـــك الحلول المقترحة صار يركز على المطالبة بها في العمل السياسي والاقتصادي الدولي .

وخلص الباحث إلى أن الدراسات المستقبلية العربية –السياسية منها والتربوية– لا يمكن الاطمئنان إليها، في اتخاذ القرارات، وصياغة المشاريع المستقبلية، بل لا بد مـــن تمحيصـــها، وتَكُون الإفادة منها في بعض جوانبها.

و لم يجد الباحث دراسات مستقبلية إسلامية بالمفهوم الحديث للدراسات المستقبلية.

ويؤكد الباحث على أهمية عناية علماء الإسلام بالدراسات المستقبلية إجراءً لها، ونقـــدًا للخلل الموجود في الدراسات المستقبلية العالمية والعربية؛ نصحًا للأمة، وإبراءً للذمة.

الباب الثاني

التأصيل الإسلامي للدراسات المستقبلية

الفصل الأول : النظرة المستقبلية في القرآن الكريم

الفصل الثاني : النظرة المستقبلية في السنة النبوية

الفصل الثالث : النظرة المستقبلية لدى بعض علماء الأمة الإسلامية

الفصل الرابع : أساليب استشراف المستقبل الممنوعة، والمشروعة

الفصل الخامس : ملامح المنهج الإسلامي في النظرة المستقبلية

تـمهـيد :

تعريف التأصيل :

أصل الشيء في اللغة : «قاعدته التي لو تُوهّمت مرتفعة لارتفع بارتفاعه سائره لذلك»[1]، فالتأصيل هو وضع القواعد التي يُبنى عليها الشيء .

والتأصيل الإسلامي للدراسات المستقبلية في اصطلاح الباحث : بناء أُسس استشراف المستقبل على نهج الإسلام[2] .

أهمية التأصيل الإسلامي للدراسات المستقبلية، والنظرة المستقبلية :

يزعم أعداء الأمة الإسلامية أن الحضارة القائمة على أسس دينية كالحضارة الإسلامية تفتقر إلى العقلية المستقبلية؛ فهي غير قادرة على إرساء قواعد علمية للدراسات المستقبلية[3]، ويسير على هذا النحو من النفي والتشكيك بعض بني جلدتنا، المتكلمين بألسنتنا، عند ما يأتي الحديث عن الإسلام وصحوة أهله، وقدرة هذه الصحوة -بما تملك من أصول شرعية وتجارب سلفية- على التأصيل للمستقبل وبنائه[4]؛ ويترتب على هذا إقصاء للدعوات الإسلامية الإصلاحية، وإبعاد لها عن مناطق التأثير، والرأي، والقرار، أو المشاركة فيها، على اعتبار أن هذه الصحوة رمز للتخلف، العاكف على ماضيه، الرافض لكل تقدم، المانع من كل جديد، وعدم قدرتها على امتلاك برنامج مستقبلي بديل، يحل أزمات الأمة وينهض بها.

ويرى بريش : أن التأصيل الإسلامي للدراسات المستقبلية تَصَنُّعٌ، وتحميل للتاريخ ما لا يحتمل، مع اعترافه بوجود آيات قرآنية وأحاديث نبوية تحث على الاهتمام بالمستقبل، وأن المسلمين الأوائل لم يكونوا فاقدي الحس المستقبلي، والتخطيط بعيد المدى، فهذا لا يكفي عنده للدلالة على سبق المسلمين في ميدان الدراسات المستقبلية[5] .

---

(١) الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص٧٩، مادة : (أصل).

(٢) استفاد الباحث في صياغة هذا التعريف من تعريف مقداد يالجن لتأصيل العلوم الاجتماعية، **أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون**، ط١، (الرياض، دار عالم الكتب، ١٤١٦هـ)، ص٣٦.

(٣) خلف محمد الجراد، "الدراسات المستقبلية: البدايات والتطور"، في "المستقبلية"، مرجع سابق، العدد ١، (ربيع/ ١٤٢١هـ)، ص ٣٨.

(٤) ينظر مثال لهذا التشكيك: ندوة "الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي"، مرجع سابق، ص ١٧.

(٥) **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص٨-٩.

ويرى خَلاَّف -بعد أن أشار إلى اهتمام الإسلام بأمر المستقبل ووعيه بأمره- : أنَّ المحاولات التي تحاول استخراج أوجه سبق القرآن لكل مستحدث في العلم، محاولات سخيفة، ومرفوضة من حيث المبدأ(١).

لذا يأتي عقد هذا الباب لمحاولة نفي هذه الادعاءات، وبيان بطلانها، ومحاولة الحصول على فوائد التأصيل الإسلامي، ومن أهمها ما يأتي :

١-عندما نؤصِّل فإننا ننقل الدراسات المستقبلية عند المسلمين من انطلاقاتها الغربية، العلمانية، الوجودية، الملحدة، المغترة بحولها وقوتها، إلى طريقة إيمانية، نتعبد الله بها، تَعرف للخالق حقه ولا تتعالى عليه، وتستمد العون والتسديد منه، وتتخذ من مشكاة كلامه سبحانه وكلام نبيه ﷺ قواعد مستقبلية، ترتكز عليها في بناء عالم الغد، أو التحذير من شؤم الأفعال والتصرفات التي تؤثر في الغد . «إن تجارب الأمم الاجتماعية وما تحققه من إنجازات كبرى لا يمكن نقلها من أمة لأخرى لمجرد الرغبة في ذلك، لأن هذه التجارب تنبع من حاجات وتطلعات كل أمة بحسب ذاتيتها وخصائصها الدينية والثقافية ومواريثها الحضارية، والأمة الإسلامية تملك من ذلك الكثير وتستطيع أن تعتمد عليه في سباق التقدم العلمي والحضاري والاجتماعي»(٢).

٢-ويأتي التأصيل الإسلامي؛ لأن شريعة الإسلام غنية بجميع ما ينفع الإنسان في دنياه وآخرته، وتتميز بأنَّ مصدرها إلهي سالم من الخطأ، والضعف، والوقتية، فلا غرو ألا تُهمل هذه الشريعة أمر المستقبل بل يكون لها منهجها الخاص معه .

٣-عندما نؤصِّل نتعرَّف على الأساليب والوسائل التي استخدمت في الإسلام لاستشراف المستقبل ونبرزها؛ فالإسلام لم يترك خيرًا إلا دلَّ عليه، ولا شرًّا إلا حذر منه، وقد يكون من تلك الوسائل والأساليب ما هو أجدى نفعًا، وأوقع أثرًا، وأكثر دقة في الاستشراف، مما لم تدركه مناهج الدراسات المستقبلية الغربية .

---

(١) في "السياسة الدولية"، مرجع سابق، العدد ٥٠، (أكتوبر، ١٩٧٧م)، ص١٥.

(٢) جمال الدين محمود، "المسلمون ودخول القرن الواحد والعشرين"، في "الباحثون"، (نشرة إعلامية)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض: العدد: ٥، (١٤١٨هـ)، ص١٠.

٤-إن الإسلام -بتأثيره العام في حياة الناس، وامتداده قرونًا طويلة عبر مرحلة الـــزمن، وقبول المسلمين له منهجًا يُسيِّر لهم حياتهم، ويفصل بين نزاعاتهم- ينبغي له -وهذا حالــه- أن يكون له أثر في صياغة المناهج العامة للدراسات المستقبلية، وأن يكون له الحظ الأوفر من الإبداع فيها.

٥-تقويم الجانب النظري لمناهج الدراسات المستقبلية وأساليبها لدى الغرب، ودعم مـــا هو صالح إيجابي، ومعالجة ما هو سلبي مخالف لمنهج الإسلام .

٦-وبهذا نكون قد أثرينا هذا المجال، وهو ما حثَّ عليه أحد المعترِضـــين، إذ يقـــول: "وننوي في حديثنا هذا التطرق لعلوم المستقبل للتعريف بها، وحـــث العـــاملين في الحقـــل الإسلامي على بلورتها والعمل على ضوئها، وصياغة الاســـتراتيجيات والخطـــط اســـتنارة بنتائجها، بل صياغة نموذج مستقبلي، يخضع لخاصيات المجتمـــع الإســـلامي ويســـتجيب لحاجياته، لا ندعي الآن أن بإمكاننا بلورته، بل نحث المهـــتمين مـــن علمـــاء ورياضـــيين واقتصاديين على الانكباب على الابتكار في هذا المجال، وأن لا نترك الآخر يفسر لنا الماضي، ويحدد لنا الواقع، ويشكل لنا بدائل المستقبل" (١).

٧-يقول أحد المستقبليين : "إن مفاتيح التفكير المستقبلي تكمـــن بشـــكل أســـاس في الأدوات والمفاهيم، وعندما نستخدمها بشكل جيد فإنها تعطينا الطريقة لمعالجة المستقبل"(٢). ويقول آخر : "ولا شك أن الدولة التي سينجح علماؤها في تشكيل نظرية تنبـــؤ ســـتمتلك سلاحاً قويـــًّا ذا فاعلية مرتفعة جدًا في الأمور العلمية والاقتصادية والأيديولوجية والسياسية وغيرها من المجالات الهامة"(٣). ويوافقه الباحث؛ ولذا يكون التأصيل مدخلاً لمحاولة امـــتلاك هذا السلاح القوي .

٨-أن الأحوال التي مر بها العالم الإسلامي في القرون القريبة الماضية، وما يمر بـــه الآن، تُحتِّم عليه التسلح السريع بمنهج محكم في التعامل مع المستقبل، وإعداد العدة له، والأخـــذ بأسباب التحصين، وامتلاك أسباب التحكم .

---

(١) بريش، **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص٣.

(٢) Slaughter, **Futures: Tools and Techniques**, Op. Cit., P.9.

(٣) لادا، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ١، (شعبان/١٣٩٠هـــ)، ص ٥٧.

كيفية التأصيل:

ليس التأصيل : الاقتصار على الاستدلال بالنصوص الشرعية لِما توصل إليه الغرب، وبيان أنه لا يتعارض مع شريعة الإسلام؛ وليس التأصيل : الاقتصار على ما يُستنبط من الأدلة الشرعية، ولكن بالجمع بينهما؛ لإرساء منهج إسلامي رصين في الدراسات المستقبلية، وفي التعامل مع المستقبل، ولما يلي من الأسباب :

١-أن الدراسات الغربية في كثير من جوانبها دراسات دنيوية بحتة، تقوم على رسم الخطط، وبيان طرق تنفيذها، والتهيئة، والإعداد، والحذر، والاحتراس، والاحتياط، ونحو ذلك. فليس من العقل إهمال ثمرات أكثر من خمسين عاماً من جهود الغرب والشرق وأبحاثهم، وتجاوزها، والبدء من جديد، وهي كما ذُكر دنيوية بحتة، بل الصواب دراسة ما لديهم، ومحاولة النظر إليه نظرة إسلامية سليمة، والإفادة من الصالح، وطرح الباطل .

٢-أن الاطلاع على الدراسات المستقبلية الغربية، ومعرفة مناهجها وأساليبها هو بحد ذاته ذو فائدة للأمة الإسلامية؛ إذ فيه معرفة الطريقة التي يفكر بها العدو، ومن عَرف عدوّه أَمِن منه؛ وفيه الاطلاع على خطط العدو وأطماعه -صراحة- إذا كانت الدراسات منشورة، وتلمسًا من خلال الطرق، والمناهج، والأساليب، والدوافع، إذا كانت غير منشورة. وكما قال تعالى -في شأن المنافقين- : ﴿ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡ ﴾[(١)]، ومن أساليب الحذر منهم : معرفة طريقة تفكيرهم .

٣- بهذه الطريقة نجمع بين الاستقلالية في النظر والتفكير، وبين الإفادة بصالح ما لدى الآخرين .

فالمنهج الذي يراه الباحث صواباً في التأصيل الإسلامي للدراسات المستقبلية، أن يرتكز التأصيل : في البحث عن جوانب عناية الإسلام بأمر المستقبل، وطريقته في التعامل معه، وليس النظر إلى الأصول الغربية في الدراسات المستقبلية وإبقاء ما يوافق الشريعة، وإلغاء ما يخالفها، بل يكون الاهتمام بكلا الجانبين .

---

(١) سورة المنافقون، من الآية: ٤ .

الفصل الأول
النظرة المستقبلية في القرآن الكريم

المبحث الأول: النظرة المستقبلية من حيث عِلمُ مُنـــــزِلِ القــرآن
الكريم، ومُشرِّعِ ما فيه من أحكام سبحانه وتعالى

المبحث الثاني : القصص القرآني، ومغزاه المستقبلي

المبحث الثالث: القواعد المستقبلية في القرآن الكريم

تمهيد :

تعريف القرآن الكريم :

القرآن في اللغة: مصدر قرأ، ومعناه الضم والجمع، أي ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل[1].

والقرآن في الاصطلاح : كلامُ اللهِ «المعجزُ المنـزل علـى السـنبي ﷺ ، المكتـوبُ في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته»[2].

اتِّساع النظر المستقبلي في القرآن :

إن النظرة المستقبلية في القرآن الكريم تفوق الحصر، والحديث فيها يطول جدًا، ولا يمكن لفصل واحد أن يشير إليها، فضلاً عن أن يحيط بها، ويحتاج الحديث عن النظرة المستقبلية في القرآن الكريم إلى رسالة مستقلة أو أكثر .

ويتعرض هذا الفصل إلى إشارات للدلالة على وجود النظرة المستقبلية في القرآن الكريم، واستجلاء أهميتها، والاستفادة من هدْيه فيها .

---

(١) الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص٦٦٨، مادة: (قرأ).

(٢) محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط١، (د.م، دار قتيبة، ١٤١٨هـ)، ج١، ص٣٣.

المبحث الأول

النظرة المستقبلية من حيث عِلمُ مُنـــزِلِ القرآن الكريم، ومُشرِّعِ ما فيه من أحكام سبحانه وتعالى

يتصف منـــزل الكتاب سبحانه بجميع صفات الكمال، فمن القواعد في صـــفات الله تعالى : أن «صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحيـــاة والعلم والقدرة والسمع والبصر والرحمة والعزة والحكمة والعلو والعظمة وغير ذلك. وقد دل على هذا السمع والعقل والفطرة»(١).

كما أن الصفات السلبية في حقه سبحانه منفية عنه، وهي «ما نفاها الله سبحانه عـــن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وكلها صفات نقص في حقه كالموت والنوم والجهل والنسيان والعجز والتعب... مثال ذلـــك قولـــه تعـــالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾(٢) فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته. مثال آخر قوله تعـــالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾(٣) نفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله . مثال ثالث قوله تعـــالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾(٤) فنفي العجز عنه يتضمن كمال علمـــه وقدرته ولهذا قال بعده : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾(٥) لأن العجز سببه إما الجهل بأسباب الإيجاد وإما قصور القدرة عنه فلكمال علم الله تعالى وقدرته لم يكـــن ليعجـــزه شـــيء في السموات ولا في الأرض. وبهذا علمنا أن الصفة السلبية قد تتضمن أكثر من كمال»(٦).

---

(١) محمد بن صالح العثيمين، **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**، (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٥هـ)، ص١٨.

(٢) سورة الفرقان، من الآية: ٥٨.

(٣) سورة الكهف، من الآية: ٤٩.

(٤) سورة فاطر، من الآية: ٤٤.

(٥) سورة فاطر، من الآية: ٤٤.

(٦) العثيمين، مرجع سابق، ص٢٣-٢٤.

وترجع صفات الكمال جميعها إلى ثلاث صفات : العلم، والقدرة، والغنى، وهي لا تصلح على وجه الكمال إلا لله وحده[1].

ولا شك أن من يتصف بصفات الكمال المطلق، فإن أي شيء يصدر عنه في أفعاله، أو أقواله، أو تشريعاته وأحكامه، يكون فيه الكمال .

والمطالب التالية تتعرض لصفة علم الله سبحانه وتعالى، وبعض آثار علمه سبحانه؛ ليتضح من خلالها جوانب النظر المستقبلي العام في كتاب الله تعالى، من حيث أنه أُنزل بعلم، وشُرع ما فيه عن علم وحكمة .

المطلب الأول : علم الله سبحانه وتعالى :

"تقرر في الكتاب والسنة والإجماع أن الله بكل شيء عليم . وأن علمه محيط بالعالم العلوي والسفلي، والظواهر والبواطن، والجليات والخفيات، والماضي والمستقبل، وقد علم ما العباد عاملون قبل أن يعملوا"[2].

والله سبحانه : "يعلم المستقبلات[3] بعلم قديم لازم لذاته، ولا يتجدد له عند وجود المعلومات نعت ولا صفة، وإنما يتجدد مجرد التعلق بين العلم والمعلوم"[4].

و(العليم) "اسم من أسماء الله متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان قال الله تعالى : ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾[5]. العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا"[6].

وقد ورد اسم (العليم) لله تعالى في سبعة وخمسين ومئة موضع في كتابه الكريم، وورد اسم (العالم) له سبحانه في ثلاثة عشر موضعًا، وورد اسم (العلاَّم) في أربعة مواضع[7].

---

(١) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١١، ص٣١٢.

(٢) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٢٠هـ)، ص١٤٨.

(٣) المراد : ما يقع في الزمن المستقبل من أمور، وليس ما يتعارف عليه المستقبليون من أن المستقبل : مستقبلات.

(٤) ابن تيمية، **جامع الرسائل**، "رسالة في تحقيق مسألة علم الله"، تحقيق محمد رشاد سالم، (الرياض، دار العطاء، ١٤٢٢هـ)، ج١، ص١٧٧.

(٥) سورة طه، من الآية: ٥٢.

(٦) العثيمين، مرجع سابق، ص٧.

(٧) محمد بن حمد الحمود، **النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى**، (الكويت، مكتبة الإمام الذهبي، ١٤١٣هـ)، ج١، ص٢٠١-٢٠٢.

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[5]. «فذكر إحاطة علمه بعد ذكر خلقه للأرض والسموات، يدل على إحاطة علمه بما فيها من العوالم العظيمة»[6].

وقال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[7].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[8].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[9].

---

(١) سورة الحشر، من الآية: ٢٢.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٠٩.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٤٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٦) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص٦٠.

(٧) سورة النمل، من الآية: ٦٥.

(٨) سورة النمل، الآيتان: ٧٤-٧٥.

(٩) سورة يونس، الآية: ٦١.

وقال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[2].

«فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولـمَّا يكن بعدُ قبل أن يكون، لم يزل عالـمًا ولا يزال عالـمًا بما كان وما يكون، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء سبحانه وتعالى، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها دقيقها وجليلها على أتم الإمكان»[3].

ويقابل علم الله جهل الإنسان المطبق أو الجزئي، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[4]، فالبشر مهما بلغوا من العلم، فإن علمهم لا يُعدُّ شيئًا مع علم الله تعالى، وما علمهم مع علمه سبحانه إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره من البحر .

قال تعالى يصف عِلم البشر: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[5].

والبشر لا يتعلمون شيئًا إلا بتعليم الله لهم، فهو الذي يمدهم من علمه بما شاء، قال سبحانه: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[6]. وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[7].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

(٣) ابن منظور، مرجع سابق، ج١٢، ص٤١٦، مادة: (علم).

(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢١٦.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٧) سورة البقرة، من الآية: ٢٨٢.

وقال تعالى عن داود عليه السلام : ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٢).

«فاعترفوا لله بسعة العلم، وكمال الحكمة، وأنهم مخطئون في مراجعتهم رهم في استخلافه آدم في الأرض التي خلقت له وهيئت لنزوله . وفي هذا : أن الملائكة على عظمتهم وسعة معارفهم برهم اعترفوا بأن علومهم تضمحل بجانب علم رهم، وأنه لا علم لهم إلا منه»(٣).

ولما ذكر الله سبحانه مواريث الورثة، وقدرها، قال : ﴿ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(٤). «فكونه عليمًا حكيمًا يعلم ما لا يعلم العباد، ويضع الأشياء مواضعها. فاخضعوا لما قاله، وفصله وحكم به في توزيع الأموال على مستحقيها الذين يستحقونها بعلم الله وحكمته. فلو وكل العباد إلى أنفسهم، وقيل لهم : وزعوها أنتم بحسب اجتهادكم لدخلها الجهل والهوى، والغي والظلم . وصارت المواريث فوضى وسببًا في إراقة الدماء، وحصل من ذلك من الضرر ما الله به عليم»(٥).

«والآدميون –وإن كانوا يوصفون بالعلم– فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات، دون نوع، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترضهم الآفات فَيَخْلُفُ علمَهم الجهلُ، ويعقب ذكرهم النسيان، وقد نجد الواحد منهم عالمًا بالفقه غير عالم بالنحو، وعالمًا بهما غير عالم بالحساب والطب ونحوهما من الأمور، وعلم

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٠.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ٣٠-٣٢.

(٣) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص٦٠-٦١.

(٤) سورة النساء، من الآية: ١١.

(٥) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص٦٥.

الله -سبحانه- علم حقـــيقة، وكمال، ﴿ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[1]، ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾[2]»[3].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[4] . «قال العلماء معناه أن الله تعالى عرض التكاليف على السموات والأرض والجبال، وقال لهن: إن حملتـــن التكاليف وأطعتـــن فلكن الثواب الجزيل، وإن عصيتـــن فعليكن العذاب الوبيل، فقلن : لا نعدل بالسلامة شيئًا، ثم عرضت على الإنسان فالتزم ذلك، فأخبر الله تعالى أنه كان ظلومًا لنفسه، جهولاً بالعواقب، فلا جرم هلك من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، وسلم من كل ألف واحد، كما جاء في الحديث الصحيح»[5].

وفي حديث الاستخارة : «وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ»[6]، فيه دليل على مدى جهل الإنسان وقلة علمه، فلذلك هو لا يعلم أين يكون الخير، وهو يسأل ربه عنـــدما يختار له: أن يرضيه بما اختار له . ومن أسرار الاستخارة : أن العبد «لا يقترح على ربه ولا يختار عليه ولا يسأله ما ليس له به علم، فلعلَّ مضرَّته وهلاكه فيه وهو لا يعلم، فلا يختـــار على ربه شيئًا بل يسأله حسن الاختيار له وأن يرضيه بما يختاره فلا أنفع له من ذلك»[7].

فهذا هو ربنا تبارك وتعالى، وهذا هو عِلمه سبحانه، أفيُعقل ألا يكون كتابـــه نـــورًا وهدى للناس؟

---

(١) سورة الطلاق، من الآية: ١٢.

(٢) سورة الجن، من الآية: ٢٨.

(٣) حمد بن محمد الخطابي، **شأن الدعاء**، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، (دمشق، دار المأمون، ١٤٠٤هـــ)، ص٥٧.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٥) أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي، **الفروق**، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـــ)، ج٣، ص٣١.

(٦) البخاري، وأصحاب السنن، يأتي تخريجه ص٦٠٢، حاشية٢.

(٧) ابن القيم، **الفوائد**، تحقيق بشير محمد عيون، ط٢، (الرياض، مكتبة المؤيد، ١٤٠٨هـــ)، ص٢٤٧.

المطلب الثاني : دلائل علم الله في طبيعة خلقه لمخلوقاته، وتدبيره شؤونهم :

في المخلوقات «من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها، لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير علم»(1). وقد خلق الله الكون على نظام ثابت، مستقر، فمنذ آلاف السنين وهو يسير على وتيرة واحدة . والله سبحانه خلق الإنسان فأودع فيه عند خلقه في بطن أمه كل احتياجاته الخَلْقية، وزوَّد جسمه في أصل خلقه بما يكون عونًا له في مستقبل حياته، وهذا يَستوعب الكلام عنه أسفارًا، لكن من أمثلته : أن الله سبحانه خَلَقَ العين للإنسان، وهي ليِّنة حساسة، والإنسان يتعرض للحوادث الكثيرة، فلم يجعلها في يده أو رجله أو بطنه أو ظهره، ولكنه سبحانه جعلها في أشرف مكان في الإنسان وأعلاه؛ لتكون أبعد عن التعرض للحوادث، وجعلها محمية بالعظام من جوانبها، ووَضَعَها سبحانه في مكان غائر ولم يجعلها بارزة؛ لتكون دُرَّة محمية، وخَلَقَ لها ما يكمل هذا الحفظ، فجعل لها الحواجب، والأجفان، والرموش، والدموع . ومثل هذا المثال سائر الجوارح والأعضاء، الظاهرة والباطنة .

فهذا مثال واحد على أن طبيعة خلق الإنسان قد تضمنت البُعد المستقبلي، كيف لا وخالقه العليم، الحكيم، اللطيف، الخبير، البديع .

وإذا كان الله سبحانه قد قدَّر لهذا الإنسان أن يعيش في الأرض زمنًا، يتناسل فيه، جيلاً بعد جيل، فلا بد من شيء يضمن بقاء نوعه، واستمراره إلى قيام الساعة؛ لذا أودع العليم الحكيم سبحانه، وركَّب في خلق الإنسان ما يضمن تناسله وبقاء جنسه، بصورة طبيعية تلقائية فطرية .

يقول ابن الجوزي : «لما كان مراد الله تعالى من إيجاد الدنيا اتصال دوامها إلى أن ينقضي أجلها وكان الآدمي غير ممتد البقاء فيها إلا إلى أمد يسير أخلف الله تعالى منه مثله فحثه على سببه في ذلك تاره من حيث الطبع بإيقاد نار الشهوة وتارة من باب الشرع بقوله تعالى : ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾(2)»(3).

---

(1) ابن أبي العز، مرجع سابق، ص١٤١.

(2) سورة النور، من الآية: ٣٢.

(3) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، **تلبيس إبليس**، تحقيق السيد الجميلي، (بيروت، دار الكتاب العربي،١٤٠٥هـ)، ص٣٦٢ .

ويقول ابن القيم : لما أراد الله سبحانه أن يذر نسل آدم عليه السلام وحواء "في الأرض ويكثره، وضع فيهما حرارة الشهوة ونار الشوق والطلب، وألهم كلاًّ منهما اجتماعه بصاحبه، فاجتمعا على أمر قد قدر... أودع جسده[1] حرارة، وسلط عليه هيجانها، فصارت شهوة غالبة... ثم اقتضت حكمته سبحانه أن قدر لخروجها أقوى الأسباب المستفرغة لها من خارج ومن داخل . فقيض لها صورة حسنها في عين الناظر، وشوقه إليها، وساق أحدهما إلى الآخر بسلسلة الشهوة والمحبة، فحن كل منهما إلى امتزاجه بصاحبه، واختلاطه به، ليقضي الله أمرًا كان مفعولا. وجعل هذا محل الحرث، وهذا محل البذر. ليلتقي الماءان على أمر قد قُدر"[2].

فهذا دليل على علم الله المحيط، وحكمته العظيمة، وتدبيره اللطيف، سبحانه وتعالى ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[3]. وكيف لا يعلم سبحانه خفايا النفوس البشرية، وما يُصلحها ويَصلح لها، وما يُفسدها ويكون به هلاكها، وهو سبحانه خلقها، قال تعالى : ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[4]. "فخلقه للمخلوقات وتسويتها على ما هي عليه من إنسان وحيوان ونبات وجماد : من أكبر الأدلة العقلية على علمه . فكيف يخلقها وهو لا يعلمها؟"[5].

ولو أوكل الله سبحانه أمر بقاء النسل في الأرض إلى الناس، بل إلى أعلمهم، لفني البشر في قرونهم الأولى .

ومن كمال عِلمه وحكمته : تعهده سبحانه لعباده بتجديد الدين لهم، كلما اندرس أو أوشك على الاندراس. فمنذ آدم عليه السلام والله سبحانه يوالي على عباده الأنبياء والرسل عليهم السلام، يجددون لهم الدين ويعلمونهم أحكامه، ولما ختم الله الأنبياء بمحمد ﷺ، تكفل الله تعالى بأن يبعث للناس في كل قرن من يجدد لهم دينهم، وهذا فيه حفظ مستمر للدين من

---

(١) أي : جسد الإنسان .

(٢) ابن القيم، **التبيان في أقسام القرآن**، تحقيق محمد شريف سكر، (بيروت، دار إحياء العلوم، ١٤٠٩هـ)، ص٤١٥-٤١٦.

(٣) سورة طه، من الآية: ٥٠ .

(٤) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٥) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص٦٠.

الزوال والاندثار، وهو من رحمة الله تعالى بعباده . قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ على رَأْسِ كُلِّ مائة سَنَة مَنْ يُجدِّدُ لها دِينَها»[1]. «قال ابن كثير قد ادعى كل قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث والظاهر أنه يعم جملة من العلماء من كل طائفة وكل صنف مفسر ومحدث وفقيه ونحوي ولغوي وغيرهم»[2]. قال ابن تيمية: "وهذا الحديث يفيد المسلم أنه لا يغتم بقلة من يعرف حقيقة الإسلام، ولا يضيق صدره بذلك، ولا يكون في شك من دين الإسلام»[3]. وقال رسول الله ﷺ: «لا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِه »[4]. يقول السندي : «ولعل هذا هو الـمجدد للدين على رأس كل مائة سنة ويحتمل أنــه أعم فيشمل كل مَن يدعو الناس إلى إقامة دين اللّه وطاعته وسنة نبيه صلوات اللّه وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه»[5].

المطلب الثالث : المستقبل معتبَر في أصل وضع اللفظ القرآني :

يَتعرض النظام الأساس لكل دولة في العالم لتغيير دوري في الصياغة، وتجري عليه عملية حذف وإضافة؛ نظرًا لمستجدات الحياة التي لم يستوعبها النظام، ولوُضوح الخلل في بعـــض مواد النظام . وتتعرض بعض الأنظمة لهذه العملية خلال سنين قليلة من اعتماد النظام؛ وهذا يدل على ضعف البشر، وقلة علمهم .

---

(١) أبو داود، مرجع سابق، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المئة، ج٤، ص٤٨٠، ح٤٢٩١؛ وسكت عنــه الحاكم والذهبي، محمد بن عبد الله الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، وبهامشه تضمينات الذهبي في التلخيص، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـــ)، كتاب الفتن والملاحم، ج٤، ص٥٦٨، ح٨٥٩٢؛ وصحح إسناده محمد ناصر الدين الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ط٤، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـــ)، ج٢، ص١٥١، ح٥٩٩.

(٢) محمد عبد الرؤوف المناوي، **فيض القدير**، تحقيق أحمد عبد السلام، ط١، (بـيروت، دار الكتـب العلميـة، ١٤١٥هـــ)، ج٢، ص٣٥٧ .

(٣) **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١٨، ص٢٩٧.

(٤) ابن ماجه، مرجع سابق، المقدمة، باب اتباع ســنة رســول الله ﷺ، ج١، ص٥، ح٨ ؛ وقال أحـــمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري : "هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات". (**مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، تحقيق كمال يوسف الحوت، (بيروت، دار الجنان، ١٤٠٦هـــ)، ج١، ص٤٤)؛ وحسَّنه الألبــاني، **سلسـلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، ج٥، ص٥٧١، ح٢٤٤٢ .

(٥) أبو الحسن الحنفي السندي، **شرح سنن ابن ماجه القزويني**، (بيروت، دار الجيل، د.ت)، ج١، ص٨.

أما القرآن العظيم، كتاب الله تعالى، فإن أحكامه مستمرة، وشريعته ماضية، لا يستغير منها شيء، ولا يتضح فيها خلل، أو قصور، بل لا يزيدها التقدم في الزمان إلا قوة ورسوخًا، في نظر المنصفين؛ لما يَتضح لهم من حكمتها عبر السنين.

وقد استوعب القرآن الكريم في خطابه من عاصروا نزوله، كما استوعب من يأتي بعدهم إلى آخر الزمان، فجَعَلَ لما يستوي فيه الأوَلين والآخِرين حكمًا واحدًا، وفرَّق بين ما يختلفون فيه؛ لأنه أنزله العليم الخبير.

يقول السعدي: إن الله أمر عباده بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وغيرها من الشرائع الراتبة، والأخلاق الكريمة، على صفة وهيئة معلومة، تجب على الأولين من هذه الأمَّة والآخِرين على السواء، لا يتغير من صفاتها شيء. كما نهاهم عن الشرك، والقتل بغير حق، والزنى، وشرب الخمر، ونحوها من المنكرات. وكل ذلك أمور ثابتة في كل زمان ومكان، لا يتغير حكمها، أمَّا ما كان يختلف باختلاف الأمكنة، والأزمنة، والأحوال، فإن الله تعالى يردهم فيه إلى العرف والعادة والمصلحة المتعينة في ذلك الوقت، قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ﴾[2]، فأمر سبحانه بالإحسان إلى الوالدين، ولم يُعيِّن لعباده – كما فعل في الصلاة، والزكاة – نوعًا خاصًا من الإحسان والبر؛ ليعم كل ما يتجدد من الأوصاف، والأحوال، فقد يكون الإحسان إليهم في وقت غير الإحسان في الوقت الآخر، وفي حق شخص دون الشخص الآخر. فالواجب الذي أوجبه الله: هو النظر في الإحسان المعروف في وقتك ومكانك، في حق والديك. ومثل ذلك: ما أمر به من الإحسان إلى الأقارب والجيران والأصحاب ونحوهم. فإن ذلك راجع في نوعه وجنسه وأفراده إلى ما يتعارفه الناس إحسانًا. ومثله قوله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[4]، فردَّ الله الزوجين في عشرتهما، وأداء حق كل منهما إلى الآخر،

---

(١) سورة الإسراء، من الآية: ٢٣.

(٢) سورة الأحقاف، من الآية: ١٥.

(٣) سورة النساء، من الآية: ١٩.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢٢٨.

إلى المعروف المعتاد عند الناس في القُطر، والبلد، والحال، والمركز الاجتماعي، وذلك يختلف اختلافًا عظيمًا، لا يمكن إحصاؤه عدًّا، فدخل ذلك كله في هذه النصوص المختصرة . ومثله قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[1]، ومن المعلوم: أن السلاح والقوة التي كانت موجودة وقت نزول القرآن غير نوع السلاح والقوة التي وجدت بعد ذلك، فهذا النص يتناول كل مستطاع من القوة، في كل وقت بحسبه، وبما يناسبه، ويليق به . وذلك من آيات إحكام القرآن وبراهين صدقه[2]، ودليل على صلاحيته لكل زمان ومكان .

المطلب الرابع : القرآن يهدي للتي هي أقوم :

«مما يدل على تعظيم القرآن عقلاً أن العقلاء ما زالوا يستدلون على حسن الكتب وعظم نفعها بمقدار صاحبها... ولا شك أن تآليف العلماء قد تفاضلت على قدر علومهم، والقرآن كلام علام الغيوب، وقد أنزله هدى وشفاء ونورًا وبيانًا... فإذا تقرر هذا، فالرجوع إلى كتاب من يعلم من مصالحنا ومفاسدنا ما لا نعلمه أولى بنا»[3].

وإذا كان الله سبحانه -منزل الكتاب- يتصف بصفات كمال، ومنها : العلم المحيط الشامل -على ما جرى وصفه في المطالب السابقة- فإن كتابه بلا ريب يهدي في كل شيء إلى ما هو أصلح وأكمل، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[4] .

ومعنى ﴿ أَقْوَمُ ﴾ أي : أكرم، وأنفس، وأصلح، وأكمل استقامة، وأعظم قيامًا وصلاحًا للأمور، فهو يهدي في كل حالة إلى أقوم شيء فيها، سواء في مجال العقائد، أو الأخلاق، أو الأعمال، أو السياسات الكبار والصغار، أو الصناعات، أو الأعمال الدينية والدنيوية[5].

ففي السياسات الدينية والدنيوية "يرشد إلى سلوك الطرق النافعة في تحصيل المقاصد والمصالح الكلية وفي دفع المفاسد . ويأمر بالتشاور على ما لم تتضح مصلحته والعمل بما تقضيه المصلحة في كل وقت بما يناسب ذلك الوقت والحال حتى في سياسة الوالد مع أولاده

---

(١) سورة الأنفال، من الآية: ٦٠.

(٢) **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص٧٣-٧٥.

(٣) محمد بن المرتضى اليماني (ابن الوزير)، **ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان**، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ)، ص١٤.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٥) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص١٧٧.

وزوجه وأهله، وخادمه، وأصحابه، ومعامليه فكل مصلحة يتفق العقلاء أنها أقوم وأصلح من غيرها . فإن القرآن يرشد إليها نصًا أو ظاهرًا، أو دخولاً تحت قاعدة من قواعده الكلية... فكل التفاصيل الواردة في الكتاب والسنة، وما تقتضيه المصالح تفصيلاً لهذا الأصل المحيط. وبهذا وغيره يتبين لك أنه لا يمكن أن يرد علم صحيح أو معنى نافع، أو طريق صلاح يحرمه القرآن»(1).

والله سبحانه أنزل كتابه، وشرع ما فيه من أحكام لمصالح عباده، رحمة منه وفضلاً، «والشريعة كلها مصالح: إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح، فإذا سمعت الله يقول ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ فتأمل وصيته بعد ندائه فلا تجد إلا خيرًا يحثك عليه أو شرًا يزجرك عنه أو جمعًا بين الحث والزجر؛ وقد أبان في كتابه ما في بعض الأحكام من المفاسد حثًا على اجتناب المفاسد، وما في بعض الأحكام من المصالح حثًا على إتيان المصالح»(2).

«والقول الجامع أن الشريعة لا تهمل مصلحة قط... لكن ما اعتقده العقل مصلحة وإن كان الشرع لم يرد به فأحد الأمرين لازم له، إما أن الشرع دل عليه من حيث لم يعلم هذا الناظر أو أنه ليس بمصلحة، وإن اعتقده مصلحة؛ لأن المصلحة هي المنفعة الحاصلة أو الغالبة، وكثيرًا ما يتوهم الناس أن الشيء ينفع في الدين والدنيا ويكون فيه منفعة مرجوحة بالمضرة، كما قال تعالى في الخمر والميسر : ﴿ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾(3). وكثير مما ابتدعه الناس... حسبوه منفعة أو مصلحة نافعًا وحقًا وصوابًا ولم يكن كذلك... فإذا كان الإنسان يرى حسنًا ما هو سيئ كان استحسانه أو استصلاحه قد يكون من هذا الباب»(4).

«وقد عرفت البشرية في عصور التاريخ ألوانًا مختلفة من المذاهب والنظريات والنظم والتشريعات التي تستهدف سعادة الفرد في مجتمع فاضل، ولكن واحدًا منها لم يبلغ من الروعة، والإجلال مبلغ القرآن في إعجازه التشريعي»(5)؛ لأنه تشريع العليم الحكيم، الذي لا تخفى عليه خافية، فشرَّع سبحانه وهو يعلم المآل والعاقبة؛ ويأمر سبحانه بفعل الشيء؛ لما

---

(1) المرجع نفسه، ص178.

(2) عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، مرجع سابق، (بيروت، دار المعرفة، دت)، ج1، ص9.

(3) سورة البقرة، من الآية: 219.

(4) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج11، ص344-345.

(5) مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ط14، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1403هـ)، ص276.

فيه الخير لعبده، وينهى سبحانه عن الشيء أو الاقتراب منه؛ ليحمي عبده من الشر، يقول الشاطبي: «الأدلة الشرعية والاستقراء التام أن المآلات معتبرة في أصل المشروعية»[1] أ.هـ.

«وعلى كل فإن الشمس الساطعة دليل من نفسها على نفسها فإذا كنت في حاجة إلى الدليل فلا تشح بوجهك عنها»[2].

إن مِن رحمة الله تعالى، ولطفه بعباده، أن أنزل عليهم القرآن العظيم، فكفاهم مؤونة البحث في أمور كثيرة، وهو في حق الإنسان بحث شاق متعسر، ولا يهتدي لأقومه إلا ما شاء الله، فالإنسان يقصر نظره عن إدراك حقيقة الأمور، وما تؤول إليه الأحداث، فهو يُبدي ما توصل له اجتهاده، أما معرفة حقيقة ما تصير إليه الأمور فليس هذا إلا لله تعالى.

يدعوا المستقبليون إلى أن تكون الدراسات المستقبلية أساساً لوضع الخطط، واتخاذ القرارات، وسنِّ الأنظمة، وإقامة المجتمعات وتنظيمها، وتسيير شؤون الدولة الداخلية والخارجية، ويطالبون المجتمع والقيادة بأن يؤخذ كلامهم وتُطبَّق نتائج دراساتهم، وهم يرون أن الصواب والنجاة في اتباعهم، والضلال في مخالفتهم، وهم يعلمون علم اليقين - ويصرِّحون بذلك- أن نتائجهم غير يقينية ولا قاطعة بل قد يتطرق إليها الخطأ، وقد تنسفها المفاجآت نفسًا. لكنَّهم يَعدُّون أنفسهم النذير العريان، والرائد الذي لا يكذب أهله، ويرون أن في اتباع ما يدعون إليه نجاة المجتمع وفلاحه .

ومن أسباب هذه الدعوة : أن الدراسات المستقبلية تُعنى بدراسة القضية دراسة وافية، من جميع جوانبها، يقوم بها فريق علمي مُكوَّن من أهل الاختصاص والخبرة، فيدلي فيها أهل كل علم بدلوهم؛ من أجل الإحاطة بكنهها، والوصول إلى خفاياها .

وإذا كان المستقبليون يريدون أن يكون المجتمع على وفق ما يرونه في دراساتهم، مع أن علمهم في الحاضر المعاين قاصر، وفي الماضي الغابر أقصر؛ وبالتالي فإنَّ علمهم عن المستقبل أقصر وأقصر، مع قلة حيلتهم وقدرتهم وإرادتهم، أفلا يكون الله عز وجل وهو العليم الحكيم، القدير الخبير، الملك الغني، السالم من كل نقص، أحق بالرجوع إليه سبحانه في بناء المجتمعات، وإقامة نظام الحياة في جميع شؤونها ؟

---

(١) إبراهيم بن موسى اللخمي المالكي الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، تحقيق عبد الله دراز وآخرَين، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ج٤، ص١٤٢.

(٢) أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، **الفوز الكبير في أصول التفسير**، ترجمة سلمان الحُسيني الندوي، ط٢، (بيروت، دار البشائر، ١٤٠٧هـ)، ص١٠٣.

« أيكونُ إنسانٌ سميعًا مبصرًا متكلمًا بمشيئة وبيانِ
وله الحياةُ وقدرةٌ وإرادةٌ والعلمُ بالكليِّ والأعيانِ
واللهُ قد أعطاه ذاك وليس هـذا وصفَهُ فاعْجبْ مِن البهتانِ»[(١)]!

فمن أراد أن يكسب المستقبل حقًّا -فرْدًا كان، أو مجتمعًا، أو أمَّة- فعليه بكتاب الله تعالى، فإنه بحرٌ، لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائبه، قال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[(٢)]. يقول عبد الله بن مسعود ﷺ : «من أراد العلم فَلْيُثَوِّر[(٣)] القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين»[(٤)].

وليس معنى هذا أن نلغي مجال الدراسات المستقبلية، ونعرض عنها، ولكن معناه نحصرها في مجال الاجتهادات فيما لم ينصَّ عليه القرآن ولا السنة النبوية، وبهذا نحصل على جملة أمور، من أهمهما ما يأتي :

١-التحلي بالإيمان الواجب، بردِّ التشريع والحكم إلى الله تعالى، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[(٥)]. ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[(٦)]. ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾[(٧)].

٢-الحصول على أحسن التشريعات والأنظمة، ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[(٨)]. فالقرآن الكريم فيه بيان كل شيء، وهو كفيل بجميع

---

(١) ابن القيم، **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**، تحقيق عبد الله بن محمد العمير، (الرياض، دار ابن خزيمة، ١٤١٦هـ)، ص٦٦.

(٢) سورة النحل، من الآية: ٨٩.

(٣) "أي لِيُنقِّر عنه ويُفكِّر في معانيه وتفسيره وقراءته". (ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج١، ص٢٢٩، مادة: (ثور)).

(٤) سليمان بن أحمد الطبراني، **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، (د.ن، د.م، د.ت)، ج٩، ص١٤٦، أثر٨٦٦٦؛ وقال علي بن أبي بكر الهيثمي : "رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح". (**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٢هـ)، ج٧، ص٣٤٣).

(٥) سورة المائدة، من الآية: ٤٤.

(٦) سورة المائدة، من الآية: ٤٥.

(٧) سورة المائدة، من الآية: ٤٧.

(٨) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

المصالح، مبين لها، حاث عليها، زاجر عن المضار كلها، ومن جعل هذا نصب عينيه، ونـــزله على كل واقع وحادث، سابق أو لاحق، ظهر له عظم موقعه، وكثرة فوائده[1].

٣-أن التسليم لله بما شرعه يريح العبد «من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات، ويفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات التي يصعد منها في عقبة وينـــزل في أخرى، ومع هذا فلا خروج له عما قدر عليه، فلو رضي باختيار الله أصابه القدر وهو محمود مشكور ملطوف به فيه، وإلاَّ جرى عليه القدر وهو مذموم غير ملطوف به فيه»[2].

٤-تقلُّ القضايا التي تستدعي دراستها من خلال الدراسات المستقبلية؛ مما يوفر الجهد، والوقت، والمال.

٥-إذا قلّت القضايا استطعنا أن نوجِّه جهودنا بصورة أفضل إلى القضايا التي نحتاج إلى دراستها؛ فتكون النتائج أفضل بإذن الله.

---

(١) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص٦.

(٢) ابن القيم، **الفوائد**، مرجع سابق، ص٢٤٧-٢٤٨.

المبحث الثاني

القصص القرآني ومغزاه المستقبلي

المطلب الأول : تعريف القصص، ومكانته في القرآن :

القصُّ في اللغة : تتبع الأثر، يقال : قصَّ أثره، أي : تتبعه[١].

والقصة القرآنية في الاصطلاح : هي «كلام حسن في لفظه ومعناه مشتمل على أحداث حقيقية سابقة ومتضمن على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الخير»[٢].

ويزخر القرآن الكريم بكثير من قصص السابقين، من الأنبياء عليهم السلام، وأقوامهم، والمصلحين، والطغاة، والأخيار، والمفسدين، والأمم المعذَّبة، والأمم المسَلَّمة، وما جرى لهؤلاء وأولئك، ممن أطاع الله واتقاه، أو عصاه وعادى أنبياءه عليهم السلام وأولياءه، ويدعو القرآن إلى التبصر بحالهم، والاعتبار بما جرى لهم .

والقصص أو (علم التذكير بأيام الله) أحد العلوم الخمسة الرئيسة التي اشتمل عليها القرآن الكريم[٣]، «وهو بيان تلك الوقائع والحوادث التي أحدثها الله تعالى إنعاماً على المطيعين ونظالاً للمجرمين»[٤].

فالقرآن الكريم ينقل لنا كثيرًا من القصص التاريخية، ووقائعها -بدءً من بداية الخلق، إلى بعثة نبينا محمد ﷺ وبعض ما جرى له مع قومه- وهي أصدق القصص، وأحسنه؛ لأن من نقلها هو من رآها، وعرف عللها وأسبابها وملابساتها، ولم يخف عليه من ذلك شيء، قال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾[٥]. أي : «نحن نقص عليك أحسن ما يُقصّ، أي أحسن الأخبار المقصوصات»[٦].

---

(١) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص٨٠٩، مادة : (قصص) .

(٢) غلوش، مرجع سابق، ص٢٨٨.

(٣) الدهلوي، مرجع سابق، ص١٩.

(٤) المرجع نفسه .

(٥) سورة يوسف، من الآية: ٣.

(٦) عبد الكريم زيدان، **المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ)، ج١، ص٥.

وهذا النقل لتاريخ السابقين؛ من أجل أن تستفيد منه هذه الأمة، جيلاً بعد جيل، ولم يكتف الله عز وجل بالنقل الخبري عن تاريخ السابقين، بل أبقى شواهد محسوسة مشاهدة من آثارهم؛ لتـزداد عبرة الناس بالتاريخ، قال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩٠ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٩١ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾[٢]. مُرَّ -إن شئت- بمدائن صالح، وتساءل: أين من نحت هذه الجبال بهذا الاتقان؟

قال الشافعي عن القرآن: « ووعَظَهم بالأخبار عمن كان قبلهم، ممن كان أكثر منهم أموالاً وأولادًا، وأطولَ أعمارًا، وأحمد آثارًا. فاستمتعوا بخلاقهم في حياة دنياهم، فـأذاقهم عند نـزول قضائه مناياهم دون آمالهم، ونـزلت بهم عقوبته عند انقضاء آجالهم، لِيعتبروا في أُنُف الأوان، ويتفهموا بجليَّة التبيان، ويَتنبَّهوا قبل رَين الغفلة، ويَعملوا قبل انقطاع المدة، حين لا يُعتبُ مُذنب، ولا تُؤخذ فدية، و ﴿ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾[٣] »[٤].

المطلب الثاني: أهداف القصة في القرآن الكريم:

«إن القرآن يأتي بذكر الحوادث التاريخية تعليمًا للأمة بفوائد ما في التاريخ ويختار لذلك ما هو من تاريخ أهل الشرائع، لأنه أقرب للغرض الذي جاء لأجله القرآن»[٥]. قال عمر بن

---

(١) سورة يونس، الآيات: ٩٠-٩٢.

(٢) سورة هود، الآية: ١٠٠.

(٣) سورة آل عمران، من الآية: ٣٠.

(٤) محمد بن إدريس الشافعي، **الرسالة**، تحقيق أحمد محمد شاكر، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ص١٨.

(٥) محمد الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)، ج٢، ص٤٨٧.

الخطاب ﷺ في شأن بعض الآيات الواردة في بني إسرائيل : «إن بني إسرائيل قد مضوا، وإنكم أنتم تُعنَونَ بهذا الحديث»[1].

فليس المقصود من قصص الأنبياء «أن تكون سمرًا. وإمام القصد أن تكون عبرًا »[2]. يقول ابن تيمية : «وإنما قص الله قصص من قبلنا من الأمم، لتكون عبرة لنا . فنشبه حالنا بحالهم، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها . فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المقدمين . ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان للكافرين والمنافقين من المتقدمين»[3]. «فينبغي للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه في عباده . ودأب الأمم وعاداتهم»[4].

ويقول القاسمي : «اعلم أن قصص القرآن الكريم لا يراد بها سرد تاريخ الأمم والأشخاص، وإنما هي عبرة للناس... ولذلك لا تذكر الوقائع والحوادث بالترتيب، ولا تستقصى»[5].

«إن الإسلام يريدنا أن نفتح أبصارنا على الأحداث والوقائع ثم نستلهم منها الموعظة والعبرة ونفقهها وفق السنن الإلهية الربانية، فالأمم الضالة والحضارات التي قامت في الأرض على أسس فاسدة كانت سنة الله فيها أن تدمر وتبيد قال تعالى : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَـٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج٢، ص٣١٠.

(٢) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص١٠٨.

(٣) **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٨، ص٤٢٥.

(٤) المرجع نفسه، ج٢٨، ص٤٢٧.

(٥) محمد جمال الدين القاسمي، **محاسن التأويل**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، (بيروت، دار إحياء التراث، ١٤١٥هـ)، ج١، ص٧٥.

﴿ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝١٤ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴾[1]
وقال تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ۝٤٥ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[2]. لقد دمرت أمم وزالت حضارات، لأنها كانت تحمل في وجودها سبب زوالها، وتلك سنة الله عز وجل في خلقه، فالباطل لا يدوم»[3].

وبذلك يقدم القرآن الكريم أصول (منهج) متكامل في التعامل مع التاريخ البشري، والانتقال بهذا التعامل من مرحلة العرض والتجميع، إلى محاولة استخلاص النظام الذي يحكم الظواهر الاجتماعية التاريخية . وبهذا يحرّك القرآنُ الإنسانَ صوب الأهداف التي رسمها الإسلام، ويبعده عن المزالق والأخطار التي أهلكت السابقين[4].

المطلب الثالث : أمثلة من القصص القرآني، ودعوته للاعتبار بها، والوقوف على أماكن أهلها :

لما كان الرسول ﷺ بمكة يدعو قومه إلى الإسلام، كانوا يقابلون دعوته بالرفض، والاستهزاء، والصد عن سبيل الله، فكان القرآن الكريم يتنزل بالقصص الحق، ومما نزل: سورة الشعراء، يذكر فيها عددًا من قصص الأنبياء عليهم السلام[5]، ويبين مواقف أقوامهم معهم، وكيف كانت نهايتهم، فيذكر قصة موسى عليه السلام مع فرعون، وقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، وقصة نوح عليه السلام مع قومه، وقصة هود عليه السلام مع قومه، وقصة صالح عليه السلام مع قومه، وقصة لوط عليه السلام مع قومه، وقصة شعيب عليه السلام مع قومه، ويختم الله سبحانه كل قصة من هذه القصص بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[6].

---

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ١١-١٥.
(٢) سورة الحج، الآيتان: ٤٥-٤٦.
(٣) عمر سليمان الأشقر، **محاضرات إسلامية هادفة**، (عَمَّان، دار النفائس، ١٤١٨هـ)، ص٨٧-٨٨.
(٤) خضر، مرجع سابق، ص٢٧١-٢٧٢.
(٥) الآيات: ١١-١٩٠.
(٦) سورة الشعراء، الآيات: ٦٧، ١٠٣، ١٢١، من الآية : ١٣٩، من الآية : ١٥٨، ١٧٤، ١٩٠.

ففي قصة موسى عليه السلام مع فرعون (آية)، والمعنى : "إن فيما فعلت بفرعون ومن معه من تغريقي إياهم في البحر إذ كذّبوا رسولي موسى، وخالفوا أمري بعد الإعذار إليهم، والإنذار لدلالة بينة يا محمد لقومك من قريش على أن ذلك سنتي فيمن سلك سبيلهم من تكذيب رسلي، وعظة لهم وعبرة أن ادّكروا واعتبروا أن يفعلوا مثل فعلهم من تكذيبك مع البرهان والآيات التي قد أتيتهم [بها]، فيحلّ بهم من العقوبة نظير ما حلّ بهم، ولك آية في فعلي بموسى، وتنجيتي إياه بعد طول علاجه فرعون وقومه منه، وإظهاري إياه وتوريثه وقومه دورهم وأرضهم وأموالهم، على أني سالك فيك سبيله، إن أنت صبرت صبره، وقمت من تبليغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه قيامه، ومظهرك على مكذّبيك ومعليك عليهم"(١).

ويقول تعالى في قصة لوط عليه السلام في سورة الشعراء : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٢).

"يقول تعالى ذكره : إن في إهلاكنا قوم لوط الهلاك الذي وصفنا بتكذيبهم رسولنا، لعبرة وموعظة لقومك يا محمد، يتعظون بها في تكذيبهم إياك، وردّهم عليك ما جئتهم به من عند ربك من الحق"(٣).

وهكذا في كل قصة من هذه السورة يلفت الله سبحانه وتعالى نظر قريش إلى الاعتبار بها، وأخذ الموعظة منها؛ فيُسلموا ويطيعوا نبيه ﷺ؛ حتى لا يحل بهم ما حل بأولئك .

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٩، ص٣٦٠-٣٦١.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٦٠-١٧٤.

(٣) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٩، ص٣٨٩.

ويتتالى القصص في باقي سور القرآن العظيم، تارة بذكر القصة مفصلة، قد تستوعب سورة بأكملها، كما في سورة يوسف، وتارة ترد القصة بإيجاز، بمجرد إشارة إليها . يقول غلوش: وما جاء قصص القرآن على هذا النحو إلا لتصل إلى أفهام الناس وعقولهم[1].

قال الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾[3].

وقال تعالى : ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾[5].

وعندما يشتد الحزن على رسول الله ﷺ ؛ بسبب عناد قومه، وتكذيبهم له، يقول له الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[6].

---

(١) غلوش، مرجع سابق، ص١٨٨.

(٢) سورة البروج، الآيات: ١٧-٢٠.

(٣) سورة الفجر، الآيات: ٦-١٤.

(٤) سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٤-٤٥.

(٥) سورة هود، الآية: ٨٩.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٣٤.

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[1].

فعلى "البشر أن يسيروا وينظروا ويتدبروا في الأمم التي خلت ليدركوا عن يقين واطمئنان صدق هذا التحذير. ولقد جاء التوجيه إلى السير والنظر ثلاث عشرة مرة في القرآن الكريم منها ما ورد بالأمر صراحة ومنها ما يفهم بالأمر من سياقها. وكلها تأتي بعد إخبار بالقصص تأكيدًا لإخبارها بالرؤية وتكميلاً بالتدبر والتفكير .. ولا يكتفي القرآن بالحكاية ولا يقصرها مجردة عن أغراضها بل نراه يطلب إلى جانب الأخبار مع أن في مجرد ذكرها مدخلاً كبيرًا للاعتبار نراه يحث على الرؤية وعلى تدبر القلب وإعمال الفكر حتى يكمل الاعتبار ويتم، ولذلك جاءت المواضع كلها بعد الإخبار عن الأمم السابقة ومنها أمر بالمسير والرؤية وحث على الاعتبار والتفكير وقد جاء الأمر الصريح في ستة مواضع هي"[2]:

يقول الله تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[3].

ويقول تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[4].

ويقول تعالى : ﴿ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[5].

ويقول تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[6].

ويقول تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[7].

ويقول تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾[8].

---

(١) سورة هود، الآية: ١٠٢.

(٢) غلوش، مرجع سابق، ص١٩١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١١.

(٥) سورة النحل، من الآية: ٣٦.

(٦) سورة النمل، الآية: ٦٩.

(٧) سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.

(٨) سورة الروم، الآية: ٤٢.

«وفيها جميعًا أمر واضح للناس بالسير في الأرض حيث مواطن الأمم السابقة لينظروا ما حدث لهم ويتأكدوا من سنة الله الخالدة في الناس ويعرفوا عاقبة المكذبين المشركين.

أما المواضع السبعة الباقية فهي»[1] :

قول الله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[2].

وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[3].

وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[4].

وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾[5].

وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾[6].

وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[7].

---

(١) غلوش، مرجع سابق، ص١٩٢.

(٢) سورة يوسف، من الآية: ١٠٩.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٤) سورة الروم، الآية: ٩.

(٥) سورة فاطر، الآية: ٤٤.

(٦) سورة غافر، الآية: ٢١.

(٧) سورة غافر، الآية: ٨٢.

وقوله تعـــالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾[1].

"ويلاحظ أن هذه المواضع السبعة قد جاءت بإحدى صيغتين هما: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا ﴾ أو : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا ﴾ وكلاهما يتضمن محذوفًا بين الهمزة والواو أو الهمزة والفاء تقديره . أجهلوا فلم يسيروا فينظروا. وهذا مشتمل على الحث على السير مع التدبر"[2]. يقــول الــرازي: "يحتمل أهم ما سافروا فحثهم على السفر ليرو مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا، ويحتمل أن يكونوا قد سافروا ورأو ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كــأن لم يسافروا و لم يرو "[3].

إن أمر القرآن الكريم بالسير في الأرض، والتفكر في الأمم السابقة، وما حلها بهم، وإرشاده إلى أخذ العبرة من ذلك، يؤكد على أن القرآن يريد أن يحمي الناس من (صدمات المستقبل)، بتنبيههم وإيقافهم على الأسباب الموصلة إليها؛ حتى لا تأتيهم الأمور بغتة، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[4]. وقال تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[5]. ويصف تعالى حال المشركين عند ملاقاهم عقوبة الله في الدنيا، أو النار في الآخرة -في رأي أكثر المفسرين- وكيفة ذلك، فيقول تعالى : ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾[6]، أي : يحل ذلك "بهم بغتة وفجأة، وهو أشد على النفوس لعدم التهيُّؤ له والتوطن عليه... والبغتة : المفاجأة، وهي حدوث شيء غير مترقب. والبَهت : الغلب المفاجئ المعجز عن المدافعة... وما أشد انطباق هذه الهيئة على ما حصل لهم يوم بدر"[7].

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٠.

(٢) غلوش، مرجع سابق، ص١٩٣.

(٣) محمد بن عمر بن الحسين الرازي، **التفسير الكبير**، ط٢، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ)، مج٨، ج٢٣، ص٢٣٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٤٤.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٥٥.

(٦) سورة الأنبياء، من الآية: ٤٠.

(٧) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج١٧، ص٧١-٧٢.

المطلب الرابع : قصص القرآن بيان لسنن الله في خلقه :

السنة في اللغة : النهج والوجهة[1].

وسنة الله : طريقة حكمته[2]. وقيل : إنها «طريقٌ عامة يجري بها أمره في عباده، كما قال تعالى: ﴿ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ ﴾[3]»[4].

«في قصص القرآن بيان لسنن الله في خلقه من الأمم والجماعات والأفراد، وهي سنن جرت على الماضين وتجري على اللاحقين ليعتبرها المؤمنون»[5]. واقترنت كلمة (سُنَّة) في القرآن بالأمم الماضية، قال تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[6]. وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[7]. وقال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾[8].

«وتتصف السنن الربانية بثلاث خصائص مميزة هي: الشمولية، والثبات، والاطّراد»[9]، قال تعالى : ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾[10]. وقال تعالى: ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾[11].

---

(١) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١٥٥٨، مادة: (سنن).

(٢) الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص٤٢٩، مادة: (سنّ).

(٣) سورة غافر، الآية: ٨٥.

(٤) عبد الحميد الفراهي، **مفردات القرآن : نظرات جديدة في تفسير ألفاظ القرآن**، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، ط١، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢م)، ص١٩٦ .

(٥) زيدان، **المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**، مرجع سابق، ج١، ص٧.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٣٧.

(٧) سورة النساء، من الآية: ٢٦.

(٨) سورة الكهف، الآية: ٥٥.

(٩) أحمد كنعان، **أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق**، (بيروت، دار النفائس، ١٤١٨هـ)، ص٥٥.

(١٠) سورة الإسراء، الآية: ٧٧.

(١١) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

والمراد بالسنن هنا : المتعلقة بدينه سبحانه، وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وهي ثابتة لا تتبدل، ولا تتحول، وليس المراد بها السنن المتعلقة بالأمور الطبيعية كسنته في الشمس، والقمر، والكواكب، وغيرها، فإن هذه السنة ينقضها إذا شاء بما شاءه من الحِكَم، كما شقّ القمر لنبينا ﷺ، وأحيا الموتى غير مرة[1].

ومن أمثلة سنة الله تعالى : «أنه إذا أراد إظهار دينه، أقام من يعارضه، فيُحق الحق بكلماته، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق»[2].

وسنته سبحانه بأوليائه إكرامهم، وسنته في عُصاته إهانتهم وعقوبتهم[3].

فمن أهم فوائد القصص : أنها تنبه «على سنن الله تعالى في الاجتماع البشري، وتأثير أعمال الخير والشر في الحياة الإنسانية»[4].

«وإن وجود السنن رحمة من الله -تبارك وتعالى- للإنسان؛ إذ إنه تمكن بسببها من اختصار الكثير من الجهود التي كان عليه أن يبذلها لفهم الكون من حوله والتعامل معه»[5].

« وتتجلى الرحمة أيضًا من خلال وجود السنن في أن التحول في أكثر الظواهر الاجتماعية يتم ببطء، وعمر الإنسان إذا ما قيس بعمر الحضارات قصير جدًا، مما يجعل الإنسان يبصر مقدمات الحدث دون أن يراه، أو يبصر نتائجه دون أن يرى مقدماته، وحينئذ فإن من السهولة بمكان أن يصاب المرء باضطراب الرؤية وضلال الأحكام؛ ولذا جاء الأمر الإلهي بالضرب في الأرض: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[6]. إن الهدف من السير في الأرض هو اكتشاف السنن ما دام الواقع المعاش لا يتيح للمرء أن يرى الصورة كاملة بكل أبعادها . والسير في الأرض ليس سيرًا في

---

(١) ابن تيمية، **جامع الرسائل**، مرجع سابق، ج١، ص٥٢، ٥٦.

(٢) محمد بن أحمد بن عبد الهادي، **العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، تحقيق محمد حامد الفقي، (الرياض، مكتبة المؤيد، د.ت)، ص٣٦٤؛ نقلاً عن رسالة كتبها ابن تيمية في السجن قبيل وفاته.

(٣) ابن تيمية، **جامع الرسائل**، مرجع سابق، ج١، ص٥٠.

(٤) القاسمي، مرجع سابق، ج١، ص٧٥.

(٥) عبد الكريم بكار، **فصول في التفكير الموضوعي**، ط١، (دمشق، دار القلم، وبيروت، الدار الشامية، ١٤١٣هـ)، ص٢٢.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٣٧.

المكان فقط؛ ولكنه أيضًا سير في الزمان حتى نرى قصة البشرية كاملة في رشدها وغيها، والعواقب التي آلت إليها . إن السنة تجسِّر[1] العلاقة بين الماضي والحاضر والمستقبل، وحين نكتشف سنة في مجال ما فإن ذلك يعني سهولة فهم الماضي والحاضر، كما يعني استشرافاً حسنًا للمستقبل، مما يجعل المسلم يخرج من عالم التوقعات والتخمينات إلى عالم العلم الراسخ الذي يعتمد عليه في البناء والعمل»[2].

المطلب الخامس : الاعتبار بالأمم الماضية، واستشراف المستقبل بالقياس عليها :

«الاعتبارُ والعِبْرَة : الحالة التي يُتوصل بها من معرفة الـمُشَاهَد إلى ما ليس بِمُشَاهَد»[3].

وتُعرَّف العبرة أيضًا بأنها : «حدوث تغيير نفسي وعقلي وسلوكي، نتيجة لتأثر وجداني... بظاهرة كونية من عجائب صنع الله، أو بحادثة اجتماعية أو عالمية، أو بقصة أو واقعة تاريخية»[4].

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[5].

وقال تعالى مخبرًا عما فعل بفرعون : ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾[6].

وقال تعالى آمرًا أولي الأبصار بالاعتبار : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾[7].

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ

---

(١) أي : تصل بين الأزمنة بجسر. (الباحث).

(٢) بكار، **فصول في التفكير الموضوعي**، مرجع سابق، ص٢٢-٢٣.

(٣) الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص٥٤٣، مادة : (عبر).

(٤) عبد الرحمن النحلاوي، **التربية بالعبرة**، (دمشق، دار الفكر، ١٤١٥هـ)، ص٨٣.

(٥) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٦) سورة النازعات، الآيتان: ٢٥-٢٦.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٣.

تَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾(1).

فأمرنا سبحانه «أن نعتبر بأحوال المتقدمين علينا من هذه الأمة، وممن قبلها من الأمم. وذكر في غير موضع: أن سنته في ذلك سنة مطردة، وعادته مستمرة»(2).

وقال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةًۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(3). أي: جعلنا إغراقهم، أو قصتهم عظة وعبرة للناس يعتبرون بها(4).

فالقرآن الكريم لم يكتف بذكر قصص السابقين، بل أمر بالاعتبار بها.

وينقسم الاعتبار في القرآن الكريم إلى قسمين:

«1 — العبر ذات الموضوع التاريخي وهذا الموضوع: إما أن يكون من السيرة المحمدية، وإما من قصص الأنبياء السابقين والأمم الغابرة البائدة، فالأول كغزوة بدر، وغزوة بني النضير؛ والثاني كقصة موسى وقصة يوسف.

2 — الاعتبار بآيات الله الكونية كالسماوات والأرض والطير، والسحاب والمطر والبرد والبرق، وكاللبن يخرج من ضروع الأنعام»(5).

والمراد هنا القسم الأول.

إن «الاعتبار أو العبرة أسلوب تربوي قرآني يقوم على انتقال الذهن من قصة أو واقعة مشهودة أو محكية، إلى ما يقابلها أو يشابهها أو يناظرها من أحوال الناس أو المتعلمين، أو إلى ما يتوقع أن تؤول إليه أحوالهم، أو أحوال شعب ما، أو مجتمع ما، أو أمة ما... قياساً على هذه القصة؛ لأن مقدماتها وأحوال أبطالها تشبه ما عليه هذا الفرد المعْتبر أو هذا الشعب أو المجتمع، فيجب أن يكون المصير والمآل متشابهًا، كما تشابهت المقدمات»(6).

---

(1) سورة الحشر، من الآية: 2.

(2) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج28، ص426.

(3) سورة الفرقان، الآية: 37.

(4) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج19، ص269؛ والرازي، **التفسير الكبير**، مرجع سابق، مج8، ج24، ص459.

(5) النحلاوي، مرجع سابق، ص31.

(6) المرجع نفسه، ص17.

وهذا ما يسمى بالقياس التاريخي، أو التشابه التاريخي، وهو من أنواع قياس التمثيل، وقياس التمثيل : هو " الحكم على شيء بما حكم به على غيره بناء على جامع مشترك بينهما"[1].

يقول ابن القيم : "لفظ القياس لفظ مجمل، يدخل فيه القياس الصحيح والفاسد، والصحيح هو الذي وردت به الشريعة، وهو الجمع بين المتماثلين والفرق بين المختلفين؛ فالأول قياس الطَّرْد، والثاني قياس العكس، وهو من العدل الذي بعث الله به نبيه ﷺ؛ فالقياس الصحيح مثل أن تكون العلة التي علق بها الحكم في الأصل موجودة في الفرع من غير معارض في الفرع يمنع حكمها، ومثل هذا القياس لا تأتي الشريعة بخلافة قط، وكذلك القياس بإلغاء الفارق، وهو : أن لا يكون بين الصورتين فرق مؤثر في الشرع، فمثل هذا القياس أيضًا لا تأتي الشريعة بخلافه، وحيث جاءت الشريعة باختصاص بعض الأحكام بحكم يفارق به نظائره فلا بد أن يختص ذلك النوع بوصف يوجب اختصاصه بالحكم يمنع مساواته لغيره، ولكن الوصف الذي اختص به ذلك النوع قد يظهر لبعض الناس وقد لا يظهر، وليس من شرط القياس الصحيح أن يَعْلم صحتَه كل أحد؛ فمن رأى شيئًا من الشريعة مخالفًا للقياس فإنما هو مخالف للقياس الذي انعقد في نفسه، وليس مخالفًا للقياس الصحيح الثابت في نفس الأمر"[2].

ويقول ابن تيمية : الاستدلال بسنته وعادته طريق برهاني ظاهر لجميع الخلق، وحقيقته: اعتبار الشيء بنظيره، وهو التسوية بين المتماثلين، والتفريق بين المختلفين، وهو الاعتبار المأمور به في القرآن، كما في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[3]. وإنما تكون العبرة به بالقياس والتمثيل، فإذا عرفتَ قصص الأنبياء، ومن اتَّبعهم، ومن كذَّبهم، وأن متبعيهم كانت لهم النجاة، والعاقبة، والنصر، والسعادة، ولمكذبيهم الهلاك، والبوار، جعلتَ الأمر في المستقبل مثلما كان في الماضي؛ فعلِمتَ أن من صدَّقهم كان سعيدًا، ومن كذَّبهم كان شقيًّا، وهذه سنة الله وعادته؛ ولهذا يقول سبحانه في

---

(١) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٩، ص١٩٧.

(٢) **إعلام الموقعين**، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، (بيروت، دار الجيل، د.ت)، ج٢، ص٣-٤.

(٣) سورة يوسف، من الآية: ١١١.

تحقيق عادته وسنته وأنه لا ينقضها ولا يبدلها : ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ﴾ [١]. يقول: فاذا لم يكونوا خيرًا منهم، فكيف ينجون من العذاب مع مماثلتهم لهم؟ هذا بطريق الاعتبار والقياس، ثم قال: ﴿ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ﴾، أي : معكم خبر من الله بأنه لا يـعذبكم، فنفى الدليلين العقلي، والسمعي . وقد قال للمؤمنين في تحقيق سنته وعادته: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [٢]. فسنة الله وعادته في إكرام مصدقي الرسل، وإهانة مكذبيهم، مطردة لا تنتقض[٣] . "ولولا القياس واطراد فعله وسنته لم يصح الاعتبار بها[٤]. والاعتبار إنما يكون حكم الشيء حكم نظيره"[٥]أ.هـ.

"من قاسَ ما لم يره بما رأى   أراه ما يدنو إليه ما نأى"[٦].

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[٧]. يقول سبحانه لنبيه محمد ﷺ : "فلن يعدو هؤلاء المستهزئون بك من هؤلاء الكفرة أن يكونوا كأسلافهم من الأمم المكذبة رسلها، فينـزل بهم من عذاب الله وسخطه باستهزائهم بك نظير الذي نزل بهم"[٨].

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[٩]. أي : "كما أهلكنا هذه القرون من قبلكم، أيها المشركون، بظلمهم أنفسهم، وتكذيبهم رسلهم، وردِّهم نصيحتهم، كذلك

---

(١) سورة القمر، الآية: ٤٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

(٣) ابن تيمية، **النبوات**، تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان، ط١، (الرياض، أضواء السلف، ١٤٢٠هـ)، ج٢، ص٩٥٨-٩٧٨.

(٤) أي : بسنة الله .

(٥) ابن تيمية، **جامع الرسائل**، مرجع سابق، ج١، ص٥٥.

(٦) محمد بن الحسن بن دريد، **مقصورة ابن دريد**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، (القاهرة، دار مصر للطباعة، د.ت)، ص١٢٨ .

(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٤١.

(٨) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٨، ص٤٤٥.

(٩) سورة يونس، الآية: ١٣.

أفعل بكم فأهلككم كما أهلكتهم بتكذيبكم رسولكم محمدًا ﷺ، وظلمكم أنفسكم بشرككم بربكم، إن أنتم لم تُنيبوا وتتوبوا إلى الله من شرككم»[1].

روى ابن إسحاق أن النجاشي لما عَرض الإسلام على عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال له: «ويحك يا عمرو أطعني واتَّبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده»[2]. فالنجاشي هنا يستدل على أنه سيكون الظهور والغلبة للإسلام، قياسًا على ظهور موسى -عليه السلام- على فرعون وملائه.

ويلوم الله سبحانه أولئك الذين لا ينتفعون بحواسهم في الاتعاظ والعبرة، قال تعالى مخاطبًا نبيه محمدًا ﷺ: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[3].

إن «الرؤية لها حظ عظيم في الاعتبار وكذلك استماع الأخبار فيه مدخل، ولكن لا يكمل هذان الأمران إلا بتدبر القلب لأن من عاين وسمع ثم لم يتدبر ولم يعتبر لم ينتفع ألبتة»[4]. «فالقرآن يطالب بتوجيه السمع والعقل والبصر إلى الآثار الدالة على الهلاك والدمار، الذي أنزله بهؤلاء الأقوام؛ لمعرفة نتائج الخسران الذي لحق بهم بسبب كفرهم وعدولهم عن الحق. والمعلومات التي تنقلها الحواس إلى العقل، يجب انتقاؤها لتفيد في هذا الصدد وهذا المجال، ولتحقق هذا الهدف بالذات. فكم من منقب عن الآثار لا يرى فيها شيئاً من آثار عدل الله وسننه في جزاء الجاحدين أو المفسدين في الأرض، بل ربما رأى فيها

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٥، ص٣٨.

(٢) ابن هشام، مرجع سابق، ج٣، ص٢٢٧.

(٣) سورة الحج، الآيات: ٤٢-٤٦.

(٤) الرازي، **التفسير الكبير**، مرجع سابق، مج٨، ج٢٣، ص٢٣٣.

ما يفخر به بعض أحفاد هؤلاء المفسدين، أو المنتسبون إلى حضاراتهم المادية، أو المجبذون لها!... وهكذا يختلف الصدى النفسي للإحساس في المجال الواحد، باختلاف الهدف من الإحساس، أو باختلاف الموقف، أو الجو النفسي أو الاجتماعي»[1].

إن «ممارسة (الاعتبار) بآيات الله الكونية والتاريخية، مرة بعد مرة، بصدق ووعي واستمرار، يترك في الإنسان آثارًا تربوية، واضحة؛ إذ يربي عنده عادات مفيدة فعالة، فكرية كانت أو وجدانية أو سلوكية، تنمو معها أحاسيسه ومشاعره وأفكاره وخبراته نموًا سليمًا قويماً، ومنتجًا فعالاً»[2].

ومن رحمة الله تعالى وحكمته أن جعل النظر إلى الماضي مفعمًا بالإيجابية، وليس داعياً إلى الانهزام، والمآسي، والوهن، فقد « تعلقت فكرة الزمان الماضي في القرآن الكريم بالعبرة التي هي رمز الشعور الماثل بحضور المغزى والنفاذ إلى أعماقه وغاياته، ولم تتعلق بالحسرة التي هي رمز الضياع، ونقصان الشعور الحي بالوجود»[3].

إن رصيد التجربة البشرية التاريخي، بكل ما فيه ينتهي إلى القرآن الكريم؛ وعلى هذا فالأمة الإسلامية تقف على قمة التجربة البشرية، وينبغي ألاَّ تقف وقوف الذاهل، الغافل، وإنما وقوف المبصر الذي يمتلك أدوات النظر، ومعاييره؛ لتستطيع أن تتعرف على الماضي البعيد، وتتأمل في مسيرته، وتتمكن من استشراف المستقبل، والمآلات، والعواقب في ضوء ذلك الماضي الذي استقرَّ فيه نظام الاجتماع البشري، والحركة التاريخية، وتأكدت فيه سنن الله[4] .

«إن الرؤية التي يمنحها الإسلام للمستقبل بشكل أخص، ولعالم الغيب بشكل أعم، ليست رؤية غائمة حالمة... بعيدة عن القدرة على التصور والإحاطة العقلية بها وإنما هي رؤية تمتلك كامل مقوماتها المادية في الدنيا ونماذج السنن التي تحكمها وحيث يمدنا التاريخ بدليل صدقها وفاعليتها ويضعنا على عتبة المستقبل، متحققين بالزاد المطلوب»[5].

---

(١) النحلاوي، مرجع سابق، ص١٣٧.

(٢) المرجع نفسه، ص١٣٣.

(٣) إبراهيم العاتي، **الزمان في الفكر الإسلامي**، (بيروت، دار المنتخب العربي، ١٤١٣هـ)، ص٢٠٣.

(٤) عمر عبيد حسنه، (تقديم)، الإمام، مرجع سابق، ص١١-١٢.

(٥) حسنه، المرجع نفسه، ص١٣.

وإذا كان التاريخ هو الركيزة المهمة في الدراسات المستقبلية، فإن المنهج الإسلامي يتميز بامتلاكه أصدق الأخبار التاريخية، يرويها من شاهدها رواية حق، منوطة بها أسباب وقائعها، وعلل أحكامها. قال الله تعالى في سورة القصص: ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1]. ثم قال تعالى بعد ذكر هذه القصة: ﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٤٥ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾[4].

فعلينا أن نبذل جهدنا في فهم القصص القرآن، وأن نتعرف على حقائق القصص بالتفصيل؛ إذ من الخطورة في استخدام (منهج القياس التاريخي) في الدراسات المستقبلية: أنه إذا لم تكن الدراسة لماضي القضية وافية، وصادقة، وسالمة من الخلل، فإنَّ صحة التشخيص لحاضرها وتوقع مساره تقل درجتهما حسبما قصرت فيه الدراسة، فينتج من الخطأ في دراسة الماضي أخطاء، من أهمها:

١- التجني على القرآن، أو التاريخ، بحسب حجم الخطأ.

٢- الخطأ في سبر مسار الواقع (الحاضر).

٣-الإخفاق في التوقع والاستشراف.

---

(١) الآية: ٣.

(٢) سورة القصص، من الآية: ٤٥، والآية: ٤٦.

(٣) سورة هود، من الآية: ٤٩.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٢.

المبحث الثالث

القواعد المستقبلية في القرآن الكريم

المطلب الأول : تعريف القواعد المستقبلية :

القواعد جمع قاعدة، وهي في اللغة : الأساس(١).

والقاعدة في الاصطلاح : «هي قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها»(٢).

وإذا كان الوحي أسلوبًا من الأساليب التي يستكشف بها المستقبل ويُستهدف، وهو الأسلوب الوحيد اليقيني فإنه من المهم التعرف على بعض ما يفيد في الاستشراف، بصورة قواعد عامة وخاصة، يطلق الباحث عليها : (القواعد المستقبلية).

وتَعني القواعد المستقبلية في اصطلاح الباحث : الأحكام الكلية المؤثرة في المستقبل، وتستند إلى كتاب الله تعالى، أو سنة نبيه ﷺ، أو اجتهاد عالم .

وتكون القاعدة المستقبلية قرآنية، ونبوية، واجتهادية. وغني عن التنبيه أن حدود القواعد المقصودة في هذا البحث هي –في الأساس– القواعد الدنيوية .

المطلب الثاني : أهمية القواعد المستقبلية القرآنية، والنبوية، والاجتهادية الصحيحة:

للقواعد المستقبلية فوائد مهمة للإنسان، سواء كانت قواعد قرآنية، أو نبوية، أو اجتهادية؛ وتبرز أهميتها من خلال ما تقدمه لصاحبها، وفيما يأتي أهم ذلك:

١–أن القواعد المستقبلية تقدم للباحث المستقبلي أصولاً كلية، يَردّ إليها الجزئيات، يقول ابن تيمية :«لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت؟ وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم»(٣).

٢–أنها تنظم للمستقبلي «منثور المسائل في سلك واحد، وتقيد له الشوارد، وتقرّب عليه كل متباعد»(٤).

---

(١) الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص٦٧٩، مادة : (قعد).

(٢) الجرجاني، مرجع سابق، ص٢١٩

(٣) **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١٩، ص٢٠٣.

(٤) عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، **القواعد**، ط٢، (بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ)، ص٢، وكلامه عن القواعد الفقهية.

٣-«أنها توجه الإنسان في الحياة توجيهًا سليمًا»[١]، فهي «كالبوصلة توجه الإنسان إلى المسار الصحيح في معترك الحياة كما توجه البوصلة قبطان السفينة في المحيطات إلى المسارات الصحيحة والسليمة»[٢].

٤-«أنها تنقذ الإنسان من الحيرة والبلبة أمام المشكلات والصعوبات ومنعطفات الحياة»[٣].

٥-«أنها تساعد على تحقيق أهدافه وطموحاته في هذه الحياة»[٤].

٦-«أنها تجعله حيويًا ونشطًا»[٥].

٧-«أنها تعطي معنى للحياة ومعنى للكفاح والمجادلة في كل الظروف والأحوال»[٦].

٨-«أنها تساعد على استثمار طاقاته وتنميتها ومضاعفة إنتاجياته»[٧].

٩-«أنها تدفعه إلى البحث الدائم والطموح في المعرفة للوصول إلى ما هو أفضل وأحسن»[٨].

١٠-«أنها تساعد على النجاح والتفوق في الإنجازات العظيمة»[٩].

١١-«أنها تساعد على النجاح في قيادة ذاته وغيره»[١٠].

١٢-«أنها تكسب الإنسان شخصية متميزة وثبات في الحياة والقيم والأخلاق.

ولهذا يوجد هناك تسابق بين الدول المتقدمة في تبني المبادئ القوية والدافعة إلى مزيد من التقدم والرقي»[١١].

---

(١) مقداد يالجن، **التربية الذاتية القيادية النموذجية ومضاعفة الإنتاجية**، (الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٥هـ)، ص١٥٥؛ وحديث المؤلف هنا عن المبادئ الاجتهادية، ولم يُشِر إلى القرآنية أو النبوية، ولم يصفها بالمستقبلية، وهذه الفوائد -في رأي الباحث- تسري على القواعد المستقبلية أيضًا.

(٢) المرجع نفسه، ص١٥٦.

(٣) نفسه، ص١٥٥.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

(٨) نفسه.

(٩) نفسه.

(١٠) نفسه، ص١٥٦.

(١١) نفسه، ص١٥٦.

ومن خصائص القواعد المستقبلية الشرعية: أنه لا يستفيد منها إلا المؤمن؛ لأنه هو الذي يصدق بمضمونها ودلالتها، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[1]. قال ابن تيمية: "المرض والنفاق فى القلب يوجب الريب فى الأنباء الصادقة"[2].

ومن الفقه المروي عن عائشة رضي الله عنها في تطبيق القواعد المستقبلية المستفادة من القرآن، أنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «لا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللاتُ وَالْعُزَّى. فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[3]. أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا قَالَ إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً . فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ . فَيَبْقَى مَنْ لا خَيْرَ فِيهِ . فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ»[4]. فعائشة رضي الله عنها آمنت بهذه القاعدة المستقبلية بفهم عام، ثم إن الرسول ﷺ هذّب فهمها للقاعدة.

وإذا تقررت القاعدة، ثم ظهر ما يشذ عنها، فلا تبطل القاعدة به؛ إذْ -كما يقول بكار- : إن لكل قاعدة شواذ، والشذوذ يؤكد القاعدة ولا يسقطها، فالقاعدة لا تسقط بالمثال الشاذ[5].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١٢.

(٢) **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٨، ص٤٥٠.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٣ ؛ وسورة الصف، الآية: ٩.

(٤) مسلم، مرجع سابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذي الخلصة، ج٤، ص٢٢٣٠، ح٢٩٠٧.

(٥) **فصول في التفكير الموضوعي**، مرجع سابق، ص٣٣.

والقواعد القرآنية التي لها تعلق أكبر بالحاضر وتسري على المستقبل كثيرة جدًا، ولكن سيركّز الباحث هنا على بعض القواعد التي تُعنى بالمستقبل أكثر من الحاضر . وهذا المبحث يعد مدخلاً وأساساً للتوسع في القواعد المستقبلية في القرآن الكريم، فالقواعد المستقبلية شأنها شأن القواعد الفقهية، حيث يقول القرافي عنها : إنها «كثيرة العدد عظيمة المدد مشتملة على أسرار الشرع وحكمه»[1].

المطلب الثالث : مِن القواعد العَقَدية في القرآن الكريم :

١-الإيمان أصل الخير كله والفلاح في الدنيا والآخرة، وبفقده يفقد كل خير ديني ودنيوي وأخروي[2] :

قال الله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[3]. وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[5]. والضنك : الشقاء[6]. وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ

---

(١) مرجع سابق، ج١، ص٥.

(٢) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص١٠٢.

(٣) سورة يونس، الآيات: ٦٢-٦٤.

(٤) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٥) سورة طه، الآيات: ١٢٤-١٢٧.

(٦) رواه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٨، ص٣٩٠ .

ٱلْمِيعَادَ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾[2].

وقد جعل الله فاتحة سورة (المؤمنون): ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾. وجعل في خاتمتها: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[3]. «فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة»[4].

ولما كان أمر الإيمان كذلك «أكثر الله من ذكره في القرآن جدًّا: أمرًا به، ونهيًا عن ضده، وترغيبًا فيه، وبيانًا لأوصاف أهله وما لهم من الجزاء الدنيوي والأخروي... فإن الله رتب على الإيمان في كتابه من الفوائد والثمرات ما لا يقل عن مائة فائدة. كل واحدة منها خير من الدنيا وما فيها. رتب على الإيمان نيل رضاه الذي هو أكبر من كل شيء... والبشرى الكاملة في الحياة الدنيا وفي الآخرة، والثبات في الدنيا على الإيمان والطاعات وعند الموت وفي القبر ورتب عليه الحياة الطيبة في الدنيا والرزق الكريم والحسنة وتيسيره لليسرى وتجنيبه للعسرى، وطمأنينة القلوب، وراحة النفوس والقناعة التامة، وصلاح الأحوال، وصلاح الذرية والصبر عند المحن والمصائب. وحمل الله عنهم الأثقال ومدافعة الله عنهم جميع الشرور، والنصر على الأعداء»[5].

٢-لا يكون شيء في الوجود إلا بإرادة الله تعالى ومشيئته:

قال الله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[6]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[7]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[8]. «وحسب المؤمن من القدر أن يعلم أن الله لا يقوم شيء دون إرادته، ولا يكون شيء إلا بمشيئته. له الخلق والأمر كله، لا شريك له»[9].

---

(١) سورة الرعد، من الآية: ٣١.

(٢) سورة آل عمران، من الآية: ١٥١.

(٣) سورة المؤمنون، من الآية: ١١٧.

(٤) الرازي، **التفسير الكبير**، مرجع سابق، مج٨، ج٢٣، ص٣٠٠.

(٥) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص١٠٢، ١٠٥-١٠٦.

(٦) سورة القصص، الآية: ٦٨.

(٧) سورة الإنسان، من الآية: ٣٠ ؛ وسورة التكوير، من الآية : ٢٩.

(٨) سورة القمر، الآية: ٤٩.

(٩) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق محمد الفلاح، (د.م، مكتبة الغرباء، ١٤٠٠هـ)، ج٣، ص١٣٩.

٣-الأمور التي تقوم على أصولها الصحيحة تبقى وتثبت، والأمور التي تقوم على الباطل تذهب وتضمحل:

قال الله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[٣].

٤-كل خصلة ذكر الله عز وجل أنه مع صاحبها، بالرضا والتأييد، فإن المستقبل له:

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[٦].

٥-من جعل الله حسبه كفاه:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[٧]. ومعنى ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ أي: "كافينا الله"[٨]. قال ابن كثير في معنى الآية الأولى: "أي الذين توعدهم الناس الناس بالجموع

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٧.

(٢) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤-٢٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ١٩٤؛ وسورة التوبة، من الآيتن: ٣٦، ١٢٣.

(٥) سورة البقرة، من الآية: ١٥٣.

(٦) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٧) سورة آل عمران، الآيتان: ١٧٣-١٧٤.

(٨) الرازي، **التفسير الكبير**، مرجع سابق، مج٣، ج٩، ص٤٣٤؛ نسبه لابن الأنباري.

وخوفوهم بكثرة الأعداء فما اكترثوا لذلك بل توكلوا على الله واستعانوا به وقالوا (حسبنا الله ونعم الوكيل)»[1] أ.هـ. وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[2].

٦-الله «يكفي من عبده وتوكل عليه» [3] :

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[5]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾[6]. وقال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾[7]، قال ابن كثير : «وقرأ بعضهم ﴿عِبَادَهُ﴾ يعني أنه تعالى يكفي من عبده وتوكل عليه»[8].

«فكلما كان العبد أقوم بحقوق العبودية كانت كفاية الله له أكمل وأتم، وما نقص منها نقص من الكفاية بحسبه»[9].

٧- من يحفظ الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، يحفظه الله :

قال الله تعالى : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[10]. وقال تعالى : ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن**، ط١، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٧هـ)، ج١، ص٤٣٨.

(٢) سورة الزمر، من الآية: ٣٨.

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، ج٤، ص٥٩.

(٤) سورة الحج، من الآية: ٣٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٣٧.

(٦) سورة الحجر، الآية: ٩٥.

(٧) سورة الزمر، من الآية: ٣٦.

(٨) **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، ج٤، ص٥٩.

(٩) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص١٦.

(١٠) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦.

بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[1]. «معنى الآية: أن كل من صبر على أداء أوامر الله تعالى واتقى كل ما نهي الله عنه كان في حفظ الله فلا يضره كيد الكافرين ولا حيل المحتالين»[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ»[3].

قال ابن رجب: "وفي الجملة ، فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه، عامله الله باللطف والإعانة في حال شدَّته"[4].

٨–من يتقي الله يجعل له مخرجًا :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾[5].

٩–من يتقي الله يرزقه من حيث لا يحتسب :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[6].

١٠–﴿ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[7] :

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ ۝١٢٧ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[8]. وقال تعالى : ﴿ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[9].

---

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٢٠.

(٢) الرازي، **التفسير الكبير**، مرجع سابق، مج٣، ج٨، ص٣٤٤.

(٣) الترمذي وقال: "حسن صحيح"، مرجع سابق، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب، ج٤، ص٥٧٦، ح٢٥١٦.

(٤) عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ط٣، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ)، ج١، ص٤٧٤.

(٥) سورة الطلاق، من الآية: ٢.

(٦) سورة الطلاق، من الآيتين: ٢، ٣.

(٧) سورة هود، من الآية: ٤٩.

(٨) سورة الأعراف، الآيتان: ١٢٧-١٢٨.

(٩) سورة طه، من الآية: ١٣٢.

١١–من كمال الإيمان أن يخاف المؤمن ربه، ولا يخاف أولياء الشيطان مهما بلغوا من القوة:

قال الله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[٣]. أي: أنه يخوف المؤمنين بالكفار[٤]. ومعنى الآية: «فلا تخافوا أيها المؤمنون المشركين ولا يعظمن عليكم أمرهم ولا ترهبوا جمعهم من طاعتكم إياي، ما أطعتموني واتبعتم أمري وإني متكفل لكم بالنصر والظفر، ولكن خافون واتقوا أن تعصوني وتخالفوا أمري فتهلكوا»[٥].

قال ابن تيمية: «ولن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض في قلبه...ولهذا أوجب الله على عباده أن لا يخافوا حزب الشيطان؛ بل لا يخافون غيره تعالى»[٦].

وقال القرافي: «هذه النصوص محمولة على خوف غير الله تعالى المانع من فعل واجب أو ترك محرم أو خوف مما لم تجر العادة بأنه سبب للخوف»[٧].

١٢–طاعة الكافرين لا تحقق المستقبل للمؤمنين، بل هي من أسباب خسارتهم:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾[٨]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴾[٩]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[١٠].

---

(١) سورة المائدة، من الآية: ٣.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ١٥٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٤) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج٧، ص٤١٦.

(٥) المرجع نفسه، ج٧، ص٤١٨.

(٦) **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٨، ص٤٤٩.

(٧) مرجع سابق، ج٤، ص١٨٢.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٤٩.

(٩) سورة آل عمران، الآية: ١٠٠.

(١٠) سورة هود، الآية: ١١٣.

١٣-رغبة كثير من أهل الكتاب في ضلال المسلمين، وارتدادهم عن دينهم، وشقائهم وتعبهم:

وكثير من أعمالهم في العالم، واحتفالاتهم، وتنظيماتهم، ومؤتمراتهم، ومؤمراتهم، تندرج تحت تفسير هذه القاعدة، فتُفسَّر أعمالهم بها .

قال الله تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1]. وقال تعالى : ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[2]. وقال تعالى : ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾[3]. وقال تعالى : ﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾[4]. وقال تعالى : ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾[5]. وقال تعالى : ﴿ وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ ﴾[6].

١٤-ليس لأهل الكتاب والمشركين رغبة في تحقق الخير لأهل الإسلام :

قال الله تعالى : ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[7].

١٥-لن يرضى اليهود ولا النصارى عن المسلمين حتى يتبع المسلمون ملتهم، ويتخلوا عن إسلامهم :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[8].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٩.
(٣) سورة النساء، من الآية: ٤٤.
(٤) سورة النساء، من الآية: ٢٧.
(٥) سورة النساء، من الآية: ٨٩.
(٦) سورة آل عمران، من الآية: ١١٨.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.
(٨) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

١٦-لا يفلح الساحر :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[(١)]. وقال تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾[(٢)].

١٧- الأمد في الحياة الدنيا محدد بوقت بداية ووقت نهاية، لا يعلمهما إلا الله تعالى:

قال الله تعالى : ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾[(٣)]. وقال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[(٤)].

قال ابن كثير مستدلاً ببعض الأحاديث : «ما بقي من الدنيا بالنسبة إلى ما مضى منها شيء يسير جدًا، ومع هذا لا يَعلَمُ مقداره على اليقين والتحديد إلا الله تعالى،كما لا يَعلَمُ مقدار ما مضى إلا الله عز وجل، والذي في كتب الإسرائيليين وأهل الكتاب من تحديد ما سلف بألوف ومائتين من السنين قد نص غيرُ واحد من العلماء على تخطئتهم فيه وتغليطهم، وهم جديرون بذلك حقيقون به»[(٥)].

المطلب الرابع : من القواعد الاجتماعية في القرآن الكريم :

١-بالصلاح والإصلاح صلاح الدنيا والآخرة :

«وهذه القاعدة من أهم القواعد . فإن القرآن كله لهذا المقصد نزل .

والصلاح : أن تكون الأمور كلها مستقيمة معتدلة آخذة سبيلها الذي سنة الله، مقصودًا بها غاياتها الحميدة . التي قصد الله إليها . فأمر الله بالأعمال الصالحة، وأثنى على الصالحين . لأن أعمال الخير تصلح القلوب والإيمان، وتصلح الدين والدنيا والآخرة .

---

(١) سورة طه، من الآية: ٦٩.

(٢) سورة يونس، الآية: ٧٧.

(٣) سورة الكهف، من الآية: ٥١.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.

(٥) ابن كثير، **الفتن والملاحم الواقعة في آخر الزمان**، تحقيق يوسف علي بديوي، ط١، (دمشق وبيروت، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ)، ص ٢٩.

وضدها فساد هذه الأشياء . وكذلك في آيات متعددة فيها الثناء على المصلحين لما أفسد الناس، والمصلحين بين الناس وأخبر على وجه العموم أن الصلح خير . فإصلاح الأمور الفاسدة : هو السعي في إزالة ما تحتوي عليه وتنتجه من الشرور والضرر العام والخاص . ومن أهم أنواع الإصلاح : السعي في إصلاح أحوال المسلمين في إصلاح دينهم ودنياهم . كما قال شعيب ﷺ ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴾[(١)]. فكل ساع في مصلحة دينية أو دنيوية، فإنه مصلح . والله يهديه ويرشده ويسدده . وكل ساع بضد ذلك فهو مفسد . والله لا يصلح عمل المفسدين... وأمثلة هذه القاعدة لا تنحصر . وحقيقتها : السعي في الكمال الممكن حسب القدرة بتحصيل المصالح أو تكميلها، أو إزالة المفاسد والمضار أو تقليلها : الكلية منها والجزئية، المتعدية والقاصرة»[(٢)].

قال الله تعالى : ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾[(٣)]، وقال تعالى : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾[(٤)]، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾[(٥)]، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[(٦)]. وقال تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[(٧)] .

٢- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[(٨)] :

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟

(١) سورة هود، من الآية: ٨٨.

(٢) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص١٤٤-١٤٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٥.

(٤) سورة الأنفال، من الآية: ١.

(٥) سورة الحجرات، من الآية: ١٠.

(٦) سورة الأعراف، من الآية: ١٧٠.

(٧) سورة الأعراف، من الآية: ٣٥.

(٨) سورة يونس، من الآية: ٨١.

ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[1]. وقال تعالى حكاية عن قوم قارون قولهم له : ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[2].

٣-المستقبل رهن بما تقدمه أيدي الناس اليوم، من طاعة لله تعالى، أو معصية له سبحانه :

وقد دل عدد من الآيات على أن العقوبات والمصائب تحل بالأمم والأفراد بسبب أعمالهم السيئة، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]. وقال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[4]. وقال تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾[5]. وقال تعالى مخاطبًا المؤمنين : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[6]. تشير هذه الآية إلى ما أصاب المسلمين في أُحد من هزيمة، وقتل سبعين منهم، فقالوا: من أين أصابنا هذا الذي أصابنا، ونحن مسلمون وهم مشركون[7]؟ فقال الله : ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾، «أي

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ٨٥-٨٦.

(٢) سورة القصص، من الآية : ٧٧.

(٣) سورة القصص، الآية: ٤٧.

(٤) سورة النحل، الآيتان: ٣٣-٣٤.

(٥) سورة الإسراء، من الآية: ٧.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٦٥.

(٧) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج٧، ص٣٧١.

بسبب عصيانكم لرسول الله ﷺ حين أمركم أن لا تبرحوا من مكانكم فعصيتم يعني بذلك الرماة»[1].

ولذا، إذا أردنا أن نغـيِّر واقعنا السيئ، وننتقل إلى مستقبل أفضل، فلا بد من تغيير ما بأنفسنا، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[2].

٤-إقامة الحدود والقصاص في الأرض حياة للناس، واستباب للأمن، وطمأنينة للمجتمعات :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[3]. قال ابن كـثير :«إذا علم القاتل أنه يقتل انكف عن صنيعه فكان في ذلك حياة للنفوس»[4]. وقال ابن القـيم : «فلولا القصاص لفسد العالم، وأهلك الناس بعضهم بعضًا ابتداءً واستيفاء، فكأن في القصاص دفعًا لمفسدة التجرّئ على الدماء بالجناية وبالاستيفاء»[5]. وقال : «فكان من بعض حكمته سبحانه ورحمته أن شرع العقوبات في الجنايات الواقعة بين الناس بعضهم على بعـض، في النفوس والأبدان والأعراض والأموال، كالقتل والجراح والقذف والسرقة؛ فأحكم سـبحانه وجوه الزجر الرادعة عن هذه الجنايات غاية الإحكام، وشرعها على أكمل الوجوه المتضمنة لمصلحة الردع والزجر، مع عدم المجاوزة لما يستحقه الجاني من الردع... لتـزول النوائب، وتنقطع الأطماع عن التظالم والعدوان، ويقتنع كل إنسان بما آتاه مالكه وخالقه؛ فلا يطمع في استلاب غير حقه»[6]. «ولذلك يشاهد في أقطار الدنيا قديـمًا وحديـثًا قلـة وقـوع القتل في البلاد التي تحكم بكتاب الله، لأن القصاص رادع عن جريمة القتل»[7].

وأمر سبحانه عند إقامة الحد على الزاني والزانية أن تشهد طائفةٌ هذا العذاب؛ ليحصل الانزجار، وتقع الموعظة، قال تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن**، مرجع سابق، ج١، ص٤٣٤.

(٢) سورة الرعد، من الآية: ١١.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ١٧٩.

(٤) **تفسير القرآن**، مرجع سابق، ج١، ص٢١٧.

(٥) إعلام الموقعين، مرجع سابق، ج٢، ص١٢٢.

(٦) المرجع نفسه، ج٢، ص١١٤.

(٧) محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٣هـ)، ج٣، ص٣٨٩-٣٩٠.

﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

٥- التوسط في تناول الأمور هو الطريقة المثلى للحاضر، والسلامة الحسنة في المستقبل :

قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾[2]. وقال تعالى حكاية عن قوم قارون قولهم له: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾[3].

٦-قد يحب الإنسان شيئًا ويرغب فيه، وهو شر له في مستقبله، من غير أن يعلم ذلك؛ وقد يكره شيئًا، ويبتعد عنه، مع أن فيه خيرًا لمستقبله، وهو لا يعلم ذلك :

قال الله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[4].

٧-من طلب المستقبل من غير وجهه المشروع عوقب بنقيض قصده :

قال الله تعالى : ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾[5].

قال الطبري في معنى الآية : إن الشيطان قال لآدم : «إن أكلت منها خلدت فلم تمت، وملكت ملكًا لا ينقضي فيبلى»[6]أ.هـ. فكانت النتيجة: أنه لا تحقق لآدم المستقبل

(١) سورة النور، الآية: ٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

(٣) سورة القصص، من الآية: ٧٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

(٥) سورة طه، الآيات: ١١٦-١٢٢، ومن الآية: ١٢٣.

(٦) **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٨، ص٣٨٧.

المرغوب فيه، ولا بقي على حاله من الرخاء والنعيم، بل عومل بنقيض قصده، وأخرجه الله وزوجه من الجنة، وهكذا كل من يطلب المستقبل من غير حله .

٨-"من ترك ما ينفعه مع الإمكان ابتلي بالاشتغال بما يضره، وحرم الأمر الأول"(١) :

دل القرآن على هذه القاعدة في عدة آيات، منها قول الله تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾(٢). فإنه "لما عرض عليهم الإيمان أول مرة فعرفوه، ثم تركوه قلب الله قلوبهم . وطبع عليها"(٣) .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾(٤).

"والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًا، يخبر الله فيها أن العبد كان قبل ذلك بصدد أن يهتدي الطريق المستقيم . ثم إذا تركها بعد أن عرفها، ونكص عنها بعد أن سلكها: عوقب بإبعاده في طريق ضلاله الذي ارتضاه لنفسه وترك به طريق الهدى. فالاهتداء غير ممكن في حقه ما دام سادرًا في طريق غوايته ممعنًا في سبيل ضلالته . جزاءًا على فعله"(٥).

٩-"من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه"(٦) :

"وهذه القاعدة وردت في القرآن في مواضع كثيرة فمنها: ما ذكره الله عن المهاجرين الأولين الذين هجروا أوطانهم وأموالهم وأحبابهم لله . فعوضهم الله الرزق الواسع في الدنيا، والعز والتمكين(٧) . وإبراهيم ﷺ لما اعتزل قومه وأباه، وما يدعون من دون الله: وهب له إسحق ويعقوب والذرية الصالحين(٨) . ويوسف عليه السلام لما ملك نفسه وعصمها من

---

(١) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص١١٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٠.

(٣) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص١١٨.

(٤) سورة التوبة، الآيات: ٧٥-٧٧.

(٥) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص١١٨.

(٦) المرجع نفسه، ص١٩٧.

(٧) تنظر الآية ٤١، في سورة النحل .

(٨) تنظر الآية ٤٩، في سورة مريم .

الوقوع مع امرأة العزيز، مع ما كانت تمنيه به من الحظوة وقوة النفوذ في قصر العزيز ورياسته، وصبر على السجن وأحبه وطلبه ليبعد عن دائرة الفساد والفتنة: عوضه الله : أن مكن له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، ويستمتع بما يشاء مما أحل الله له من الأموال والنساء والسلطان... ومن ترك ما تهواه نفسه من الشهوات لله تعالى عوضه الله من محبته وعبادته والإنابة إليها ما يفوق لذات الدنيا كلها»[1].

وَقَالَ رسول الله ﷺ : « إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ»[2]. وفي رواية : «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ، إِلاَّ بَدَّلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ »[3].

١٠-"يأمر الله بالتثبت وعدم العجلة في الأمور التي يخشى من سوء عواقبها، ويأمر ويحث على المبادرة على أمور الخير التي يخشى فواتها"[4] :

"وهذه القاعدة في القرآن كثيرة . قال تعالى في القسم الأول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ الآية[5] . وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ ﴾[6]... ومن هذا الباب : الأمر بالمشاورة في الأمور، وأخذ الحذر، وأن لا يقول الإنسان ما ليس له به علم. وفي هذا آيات كثيرة .

وأما القسم الثاني : فقوله ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾[7]... وقوله ﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾[8]. وقوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ

---

(١) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص١٩٧.

(٢) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٣٤، ص٣٤٢، ح٢٠٧٣٩؛ وقال الهيثمي رواه "أحمد بأسانيد ورجالها رجال الصحيح" (**مجمع الزوائد**، مرجع سابق، ج١٠، ص٥٣١، ح١٨١٢٩).

(٣) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٣٨، ص١٧٠، ح٢٣٠٧٤؛ وصحح إسناده الهيثمي كما في الحاشية السابقة، ح١٨١٢٨ .

(٤) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص١٤٢.

(٥) سورة النساء، من الآية: ٩٤.

(٦) سورة الحجرات، من الآية: ٦.

(٧) سورة آل عمران، من الآية: ١٣٣.

(٨) سورة البقرة، من الآية: ١٤٨.

﴿ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾[1]. وقوله ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾[2]. أي السابقون في الدنيا إلى الخيرات: هم السابقون في الآخرة إلى الجنات والكرامات . والآيات في هذا المعنى كثيرة»[3].

١١- عاقبة الصبر حميدة :

قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[5].

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[6].

وقال تعالى -في غير ما آية- آمرًا نبيه ﷺ بالصبر، مذكرًا له بوعده سبحانه : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾[7].

١٢-عاقبة الإحسان حميدة :

قال الله تعالى -بعد أن ذكر أنواعًا من الإفضال على بعض عباده المحسنين- : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[8]، ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[9]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٦١.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ١٠.

(٣) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص١٤٢-١٤٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.

(٥) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٦) سورة النحل، الآيتان: ١٢٦-١٢٧.

(٧) سورة الروم، من الآية: ٦٠؛ وسورة غافر، من الآية: ٥٥، ومن الآية: ٧٧.

(٨) سورة الأنعام، من الآية: ٨٤؛ وسورة يوسف، من الآية: ٢٢.

(٩) سورة الصافات، الآيات: ٨٠، ١٢١، ١٣١، ومن الآية: ١٠٥.

﴿ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[1]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[2].

«ولقد دل العقل والنقل والفطرة وتجارب الأمم -على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها- على أن التقرب إلى رب العالمين، وطلب مرضاته، والبر والإحسان إلى خلقه من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استُجلبت نعم الله واستُدفعت نقمته بمثل طاعته والتقرب إليه، والإحسان إلى خلقه»[3].

وللإحسان تأثير عجيب «في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد ولو لم يكن في هذا إلا تجارب الأمم قديمًا وحديثًا لكفى به فما يكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملاً فيه باللطف والمعونة والتأييد وكانت له فيه العاقبة الحميدة . فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه وصدقته عليه من الله جنة واقية وحصن حصين»[4].

والإحسان عامٌ، كتبه الله في كل شيء، قال ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»[5].

---

(١) سورة الأعراف، من الآية: ٥٦.

(٢) سورة التوبة، من الآية: ١٢٠.

(٣) ابن القيم، **الداء والدواء**، تحقيق يوسف علي بديوي، ط٤، (المدينة المنورة، مكتبة دار التراث، ١٤١٢هـ)، ص٣٨-٣٩.

(٤) ابن القيم، **بدائع الفوائد**، (بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت)، ج٢، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٥) مسلم، مرجع سابق، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، ج٣، ص١٥٤٨، ح١٩٥٥؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب الديات، باب ما جاء في النهي عن المُثلة، ج٤، ص١٦، ح١٤٠٩؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب الضحايا، باب الأمر بإحداد الشفرة، ج٧، ص٢٦٠، ح٤٤١٧؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الأضاحي، باب في النهي أن تصبر البهائم والرفق بالذبيحة، ج٣، ص٢٤٤، ح٢٨١٥؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الذبائح، باب إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، ج٢، ص١٠٥٨، ح٣١٧٠.

١٣-«الشكر قيد للنعم الموجودة، وصيد للنعم المفقودة»(١) :

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(٢) . وقال تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام : ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾(٣). «قال سليمان التيمي رحمه الله تعالى: إن الله عز وجل أنعم على عباده بقدر طاعتهم، وكلَّفهم الشكر بقدر طاقتهم؛ فكلٌّ شكرٍ -وإن قل- ثمن لكل نوال وإن جَلَّ؛ فإذا لم يشكر المرءُ؛ فقد عرَّض النعمة للزوال، ووسمها بسمة الإضلال. وفي كلام بعضهم: إن حقًّا على من لعب بنعم الله عز وجل أن يسلبه إياها. وقد قيل: الشكر قيد للنعم الموجودة، وصيد للنعم المفقودة. وقالوا: كفران النعم بوار، وهو وسيلة إلى الفرار... وفي كلام بعضهم: «استدع شَاردَها بالشكر، واستدم راهنها بلزوم حسن الجوار، حَصِّن نعمتك من الزوال بكثرة العطايا والإفضال» »(٤). «فالشكر حارس النعمة من كل ما يكون سببا لزوالها»(٥).

١٤-«مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: مَا أَمَرَهُ اللَّهُ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾(٦). اللَّهُمَّ ! أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا - إلا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا منها»(٧).

قال الله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾(٨).

---

(١) محمد بن أحمد السفاريني، **نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار**، تحقيق عبد العزيز بن سليمان الهبدان،وعبد العزيز بن إبراهيم الدخيل، (الرياض، دار الصميعي، ١٤١٦هـ)، ص٣٢٥؛ نقلاً عن غيره من غير تعيين.

(٢) سورة إبراهيم، من الآية: ٧.

(٣) سورة النمل، من الآية: ٤٠.

(٤) السفاريني، مرجع سابق، ص٣٢٥-٣٢٦.

(٥) ابن القيم، **بدائع الفوائد**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٤٣.

(٦) سورة البقرة، من الآية: ١٥٦.

(٧) مسلم، مرجع سابق، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، ج٢، ص٦٣٢، ح٩١٨.

(٨) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥-١٥٧.

قالت أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها -بعد أن ذكرت الحديث الوارد في هذه القاعدة-: «فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ»(١).

١٥-من يُنْفِق يُخلف الله عليه ما أنفقه ويزيده :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾(٢). وقال سبحانه : ﴿ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾(٣). أي : يزيد في المال الذي تُخرج منه الصدقة. وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾(٤).

وقال رسول الله ﷺ: « قَالَ اللَّهُ: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ، أُنْفِقْ عَلَيْكَ»(٥). وقال رسول الله ﷺ : «ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ»، وذكر منها : «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ»(٦).

١٦-لا يُنظر في الزواج إلى الحالة المادية الحاضرة لكلٍ من الرجل والمرأة، بل ينبغي أن يتم الزواج، ويُتفاءل بالرزق والغنى بعده :

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(٧).

«يقول تعالى ذكره: وزوّجوا أيها المؤمنون من لا زوج له، من أحرار رجالكم ونسائكم، ومن أهل الصلاح من عبيدكم ومماليككم . والأيامى : جمع أيم...يوصف به الذكر والأنثى، يقال: رجل أيم، وامرأة أيمة وأيِّمة: إذا لم يكن لها زوج... يقول : إن يكن هؤلاء الذين تنكحوهم من أيامى رجالكم ونسائكم وعبيدكم وإمائكم أهل فاقة وفقر، فإن

---

(١) مسلم، مرجع سابق، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، ج٢، ص٦٣٢، ح٩١٨.

(٢) سورة سبأ، من الآية: ٣٩.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢٧٦.

(٤) سورة الليل، الآيات: ٥-٧.

(٥) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، ج٦، ص٢٣٢، ح٥٣٥٢؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، ج٢، ص٦٩٠، ح٩٩٣.

(٦) الترمذي وقال : "حسن صحيح"، مرجع سابق، كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر ج٤، ص٤٨٧، ح٢٣٢٥.

(٧) سورة النور، الآية: ٣٢.

الله يغنيهم من فضله، فلا يمنعنكم فقرهم من إنكاحهم... وقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يقول جل ثناؤه: والله واسع الفضل، جواد بعطاياه فزوجوا إماءكم، فإن الله واسع يوسع عليهم من فضله، إن كانوا فقراء... ذو علم بالفقير منهم والغنى، لا يخفى عليه حال خلقه في شيء وتدبيرهم»[1].

روى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال في هذه الآية: «أمر الله سبحانه بالنكاح، ورغّبهم فيه، وأمرهم أن يزوجوا أحرارهم وعبيدهم، ووعدهم في ذلك الغنى»[2].

ورَوى عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: «التمسوا الغنى في النكاح»[3]، ثم تلا الآية.

وذهب الرازي: إلى أن هذا ليس وعدًا من الله تعالى بإغناء من يتزوج، حتى لا يجوز أن يقع فيه خلف، بل المعنى: لا تنظروا إلى فقر من يخطب إليكم أو فقر من تريدون تزويجها ففي فضل الله ما يغنيهم[4].

ويرجح الباحث أنه وعد؛ لقوله ﷺ: «ثَلاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ»[5].

ولا يمتنع أن يتخلف هذا الوعد لتخلف بعض أسبابه، كتخلف نية الاستعفاف.

وهذه القاعدة تثير النظر من المستقبل إلى الحاضر، وليس العكس، وهذا نظر عزيز نفيس.

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٩، ص١٦٥-١٦٦.

(٢) المرجع نفسه، ج١٩، ص١٦٦.

(٣) نفسه.

(٤) **التفسير الكبير**، مرجع سابق، مج٨، ج٢٣، ص٣٧١.

(٥) الترمذي وحسّنه، مرجع سابق، كتاب فضائل الجهاد، باب ماجاء في المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله إياهم، ج٤، ص١٥٨، ح١٦٥٥؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب معونة الله الناكح الذي يريد العفاف، ج٦، ص٣٦٩، ح٣٢١٨؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الأحكام، باب المكاتب، ج٢، ص٨٤١، ح٢٥١٨؛ والحاكم وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب النكاح، ج٢، ص١٧٤، ح٢٦٧٨.

١٧- **عاقبة الزنى سيئة :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[١]. ومن العاقبة السيئة له: أن المرأة تتعرض إلى الإهمال بإعراض الناس عن تزوجها، وطلاق زوجها إياها، وما ينشأ عن الغيرة من التقاتل[٢]، وقد تحدث كثير من العلماء[٣] عن أضرار كثيرة تنتج عن هذه الفاحشة، تعود على صاحبها، في دينه، وقلبه، وأهله، وماله، وصحته؛ وهي أمور قد عرفها العقلاء من المسلمين وغيرهم، قديمًا وحديثًا.

١٨- **المظلوم والمبغي عليه منصور :**

قال الله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[٤]. وقال تعالى : ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾[٥].

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾[٦]. وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ﴾[٧]. قال ابن القيم : «فإذا كان الله قد ضمن له النصر مع أنه قد استوفى حقه أولاً فكيف بمن لم يستوف شيئًا من حقه بل بغي عليه وهو صابر وما من الذنوب ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم وقد سبقت سنة الله أنه لو بغى جبل على جبل جعل الباغي منهما دكا»[٨].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

(٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج١٥، ص٩٠.

(٣) ينظر: كلام كثير من المفسرين عند هذه الآية، وغيرها؛ وينظر : ابن القيم، **الداء والدواء**، مرجع سابق، ص٢٨٢-٢٩٢.

(٤) سورة الحج، الآية: ٣٩.

(٥) سورة الإسراء، من الآية: ٣٣.

(٦) سورة يونس، من الآية: ٢٣.

(٧) سورة الحج، من الآية: ٦٠.

(٨) **بدائع الفوائد**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٣٩ .

١٩- ولي المقتول ظلـــمًا منصورٌ :

يَستدل ابن عباس رضي الله عنهما بهذه القاعدة، ويُقسِم عليها، فقد رُوي أنه قال: "لما كان من أمر هذا الرجل ما كان يعني عثمان قلت لعلي اعتـــزل فلو كنت في جحر لطلبت حتى تستخرج فعصاني وأيم الله ليتأمرن عليكم معاوية وذلك أن الله عز وجل يقول: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾[(١)]، ولتحملنكم قريش على سنة فارس والروم"[(٢)]أ.هـــ. ومعاوية ﷺ هو ابن عمّ عثمان ﷺ والطالبُ بدمه[(٣)]؛ فابن عباس رضي الله عنهما يُقسم على هذا في أوائل الأمور، وقد وقع ما أقسم عليه فتأمر معاوية ﷺ على المسلمين.

٢٠-لا يفلح الظالم :

قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[(٤)]. وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[(٥)]. وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[(٦)].

٢١-لولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لفسدت الأرض[(٧)] :

لما ذكر الله انتصار طالوت ومن معه من عباد الله الصالحين قال سبحانه : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ

---

(١) سورة الإسراء، من الآية: ٣٣.

(٢) الطبراني، **المعجم الكبير**، مرجع سابق، ج١٠،ص٣٢٠، أثر ١٠٦١٣؛ وقال الهيثمي : "رواه الطبراني، وفيه : من لم أعرفهم". **مجمع الزوائد** مرجع سابق، ج٧، ص٤٧٧، أثر١٢٠٣٣ .

(٣) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق مجموعة باحثين بإشراف شعيب الأرنـــؤوط، ط٧، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـــ)، ج٣، ص١٤٠.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٢٣.

(٥) سورة القصص، الآية: ٣٧.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٢١.

(٧) محمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف**، (بيروت، دار المعرفة، د.ت)، ج١، ص٣٨٢.

وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١].

قال الزمخشري: "ولولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض. وقيل ولولا أن الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الأرض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين أو لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل أهل الأرض"[٢]. فمن فضل الله على الناس أن شرع الجهاد في سبيله؛ ليدفع كيد الفجار، وتكالب الكفار، ولولا ذلك لفسدت الأرض باستيلاء الكفار عليها، وإقامتهم شعائر الكفر، ومنعهم من عبادة الله تعالى، وإظهار دينه[٣].

٢٢-في القتال: "لا عبرة بكثرة العدد إنما العبرة بالتأييد الإلهي، والنصر السماوي"[٤]:

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[٦].

٢٣-يداول الله في الحروب الغلبة بين الناس:

قال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[٧]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾[٨].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

(٢) الزمخشري، **الكشاف**، مرجع سابق، ج١، ص٣٨٢.

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مرجع سابق، ص١٠٩.

(٤) الرازي، **التفسير الكبير**، مرجع سابق، ج٦، ص٥١٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

(٦) سورة آل عمران، من الآية: ١٢٦.

(٧) سورة آل عمران، من الآية: ١٤٠.

(٨) سورة التوبة، من الآية: ٥٢.

٢٤-ليس للكافرين ضرر بالغ على المسلمين، ومع ذلك يجب أخذ الحذر منهم، وإعداد العدة لهم:

قال الله تعالى في شأن أهل الكتاب: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾(١). وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾(٢). وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾(٣).

٢٥-لا يثبت الكفار أمام جند الله المخلصين:

قال الله تعالى: ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾(٤).

٢٦-الغلبة لجند الله الصادقين:

قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾(٥). وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾(٦). وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾(٧). وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾(٨). وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾(٩). وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١٠).

---

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١١١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧١.

(٣) سورة الأنفال، من الآية: ٦٠.

(٤) سورة آل عمران، من الآية: ١١١.

(٥) سورة المجادلة، الآية: ٢١.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٥٦.

(٧) سورة الصافات، الآيات: ١٧١-١٧٣.

(٨) سورة محمد، الآيتان: ٧-٨.

(٩) سورة الحج، من الآية: ٤٠.

(١٠) سورة الروم، الآية: ٤٧.

٢٧-يكون الفرج مع الشدة :

قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[١]. وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[٢]. وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[٣].

٢٨-لا ينفع الإنسان فراره من الموت أو القتل :

قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٤]. وقال تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[٥]. وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٦].

قال ابن تيمية : «فأخبر الله أن الفرار لا ينفع لا من الموت ولا من القتل . فالفرار من الموت كالفرار من الطاعون... والفرار من القتل كالفرار من الجهاد . وحرف ﴿لن﴾ ينفى الفعل فى الزمن المستقبل. والفعل نكرة . والنكرة فى سياق النفى تعم جميع أفرادها . فاقتضى ذلك: أن الفرار من الموت أو القتل ليس فيه منفعة أبدًا . وهذا خبر الله الصادق . فمن اعتقد أن ذلك ينفعه فقد كذب الله فى خبره . والتجربة تدل على مثل ما دل عليه القرآن»[٧].

---

(١) سورة الشرح، الآيتان : ٥-٦ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

(٣) سورة يوسف، الآية : ١١٠ .

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ١٦.

(٥) سورة النساء، من الآية: ٧٨.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٥٦.

(٧) **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٨، ص٤٥٣-٤٥٤ .

وقال في شأن من فروا من مواجهة التـــتار في الشام: إنهم «لم ينفعهم فرارهم؛ بل خسروا الدين والدنيا، وتفاوتوا فى المصائب . والمرابطون الثابتون نفعهم ذلك فى الدين والدنيا، حتى الموت الذى فروا منه كثر فيهم . وقل في المقيمين . فما منع الهرب من شاء الله. والطالبون للعدو والمعاقبون له لم يمت منهم أحد، ولا قتل؛ بل الموت قل فى البلد من حين خرج الفارون. وهكذا سنة الله قديمًا وحديثًا... قال تعالى : ﴿ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] يقول: لو كان الفرار ينفعكم لم ينفعكم إلا حياة قليلة، ثم تموتون . فإن الموت لابد منه. وقد حكي عن بعض الحمقى أنه قال : فنحن نريد ذلك القليل . وهذا جهل منه بمعنى الآية. فإن الله لم يقل: إنهم يمتعون بالفرار قليلاً . لكنه ذكر أنه لا منفعة فيه أبدًا . ثم ذكر جوابـــًا ثانيـــًا. أنه لو كان ينفع لم يكن فيه إلا متاع قليل . ثم ذكر جوابـــًا ثالـــثًا، وهو أن الفار يأتيه ما قضي له من المضرة، ويأتي الثابت ما قضي له من المسرة. فقال : ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[2]... فمضمون الأمر : أن المنايا محتومة، فكم ممن حضر الصفوف فسلم، وكم ممن فر من المنية فصادفته»[3].

٢٩-السيادة بين أهل الكفر للنصارى إلى قيام الساعة :

قال الله تعالى مخاطـــبًا عيسى عليه السلام : ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[4].

٣٠- الذلة والمسكنة محتومة على اليهود في أي مكان وأي زمان، إلا بإمداد الله لهم ثم الناس بعهد أو ذمة :

قال الله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ﴾[5].

---

(١) سورة الأحزاب، من الآية: ١٦.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ١٧.

(٣) **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٨، ص٤٥٤-٤٥٥.

(٤) سورة آل عمران، من الآية: ٥٥.

(٥) سورة آل عمران، من الآية: ١١٢.

٣١-أعْلم الله[١] ليبعثن على اليهود من يسومهم سوء العذاب إلى آخر الزمان :

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢]. قال ابن كثير : "وفي قوة الكلام ما يفيد معنى القسم من هذه اللفظة" ﴿ تَأَذَّنَ ﴾[٣]. ونقل الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وغيرهما: أن المبعوثين عليهم هم العرب[٤]. وقد استدل بهذه القاعدة بعض العلماء على أن اليهود "لا يكون لهم دولة ولا عز، وباتصال ذلهم"[٥].

٣٢-لا تنــزلُ عاقبة المكر السيء إلا بأهله :

قال الله تعالى في شأن قريش : ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝٤٢ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾[٦].

---

(١) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٣، ص٢٠٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٧.

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٧٠.

(٤) **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٣، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٥) القاسمي، مرجع سابق، مج٣، ج٧، ص٦٦١.

(٦) سورة فاطر، الآيتان: ٤٢-٤٣.

خاتـــمة :

القرآن الكريم، هو كتاب الله العليم، أنزله بعلمه، وشرع ما فيـــه بحكمتـــه، فجـــاءت شريعته أحسن الشرائع، وفاقت كل الأنظمة البشرية؛ فلا غرو أن تسير بالمجتمع نحو المستقبل الأفضل، وتدرأ عنه الأخطار المحتملة .

وقد دعا القرآن إلى استخدام (القياس التاريخي)؛ لاستشـــراف المســـتقبل، ولفظـــه في القرآن: (العِبرَة)، وعاب على الذين لا يستفيدون مما حلَّ بغيرهم؛ فعطلوا قلوبهم، وأسماعهم، وأبصارهم .

والقرآن الكريم مليئ بالقواعد المستقبلية المعصومة، وهي تفيد المسلم في كثير من مجالات حياته، ومجالها في القرآن خصب، يحسن بالمختصين في علوم القـــرآن بحثهـــا ودراســـتها، بالتحديد، والاستنباط، والصياغة، والشرح والبيان .

الفصل الثاني

النظرة المستقبلية في السنة النبوية

المبحث الأول: النظرة المستقبلية في السيرة النبوية

المبحث الثاني: النظرة المستقبلية في التشريع وما يُلحق به

المبحث الثالث: النظرة المستقبلية في تنظيم المجتمع الإسلامي، وآدابه وأخلاقه، ومعاملاته

المبحث الرابع: القواعد المستقبلية في السنة النبوية

المبحث الأول

النظرة المستقبلية في السيرة النبوية

تُعدُّ حياة النبي ﷺ مثالاً لأفعال موجهة للمستقبل، وصياغة المستقبل ضمن طيف (الاحتمالات الممكنة)، فقد توقع النبي ﷺ احتمالات مستقبلية قبل اتخاذ الإجراءات: فالهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة اعتمدت -في بعض إجراءاتها- على توقع مستقبل أكثر قابلية للنمو والتطور للجماعة الإسلامية الصغيرة؛ فعند ذلك خطط لها . وتوقّعَ النبي ﷺ وقوف قريش ضده، فاستعد لها وقابل جيشها المتقدم في بدر. وتوقع ﷺ الفوائد الناتجة من صلح الحديبية، فعقده، على الرغم من تذمر عدد من أصحابه ﷺ من عقده[1]."والقارئ المتأمل لسيرة رسول الله ﷺ يتبين له أنه لم يكن غافلاً عن مستقبل دعوته، بل كان يفكر فيه، ويخطط له، في حدود ما هيأ الله له من فرص، وما آتاه من أدوات»[2].

وفيما يأتي أمثلة -غير حاصرة- للنظرة المستقبلية في سيرته ﷺ؛ وهناك أمور بـــارزة في النظرة المستقبلية في السيرة النبوية، أغفل الباحث ذكرها هنا؛ لإبرازها بصورة أوسع عنـــد استعراض أساليب استشراف المستقبل المشروعة.

المطلب الأول: التهيئة والإعداد للمستقبل:

لم يأت إبلاغ النبي ﷺ ببعثته إلى الناس بغتة في غار حراء، بل سبق ذلك تهيئة له وإعداد وإرهاصات، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَـــبُ مَـــعَ الْغِلْمَانِ . فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ . فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ . فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً . فَقَـــالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ . ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ . ثُمَّ لأَمَهُ . ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ . وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ (يَعْنِي ظِئْرَهُ) فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ . فَاسْـــتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ . قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَئِي أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ»[3].

---

(١) Sardar, **Islamic futures**, Op. Cit., P. 9.

(٢) القرضاوي، **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**، مرجع سابق، ص١٢٣.

(٣) مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، ج١، ص١٤٧، ح١٦٢.

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً. يَسْمَعُ الصَّوْتَ، وَيَرَى الضَّوْءَ، سَبْعَ سِنِينَ، وَلا يَرَى شَيْئًا»[١].

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ. إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ»[٢].

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: «كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ به رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ . فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ . ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ . فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيه . (وَهُوَ التَّعَبُّدُ) اللَّيَالِيَ أُوْلاتِ الْعَدَدِ . قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ . وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ . ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا . حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ . فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ»[٣]. إلى غير ذلك من الإرهاصات، التي أُعدَّ وهُيِّئ بها النبيّ ﷺ للرسالة.

و«إنما ابتدئ ﷺ بالرؤيا لئلا يفجأه الملك، ويأتيه صريح النبوة بغتة، فلا يحتملها قوى البشرية، فبدئ بأول خصال النبوة وتباشير الكرامة»[٤] .

وإذا كان الاتصال بالبشر يحتاج إلى تهيئة، فإن الاتصال بغيرهم من الملائكة المكرمين، يحتاج إلى تهيئة أشد، وإعداد أكبر، لا سيما إذا كانت الغاية من الاتصال تحمُّلَ رسالة عظيمة، إلى أهل الأرض قاطبة، «وهذا شأنه -سبحانه- أن يُقدِّم بين يدي الأمور العظيمة مقدِّمات تكون كالمدخل إليها، المنبهة عليها... ومن تأمل أسرار الشرع والقدر، رأى من ذلك ما تَبْهَرُ حكمته الألباب»[٥].

وفي الهجرة النبوية إلى المدينة كان هناك تهيؤ وتهيئة سابقان لها، ابتدأ التهيؤ للرسول ﷺ ومن معه بمكة برؤياه ﷺ : «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ

(١) المرجع نفسه، كتاب الفضائل، باب كم أقام النبي ﷺ بمكة، ج٤، ص١٨٢٧، ح٢٣٥٣ .

(٢) نفسه، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، ج٤، ص١٧٨٢، ح٢٢٧٧.

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، ج١، ص٤، ح٣؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج١، ص١٤٠، ح١٦٠.

(٤) محيي الدين بن يحيى بن شرف النووي، **المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط١، (بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ)، ص٢٤٢؛ نقلاً عن القاضي عياض وغيره.

(٥) ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، ط٢٣، (بيروت، مؤسسة الرسالة، والكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠٩هـ)، ج٣، ص٤١٩-٤٢٠ .

وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرٌ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ»(١)؛ وكانت التهيئة للمكان المقصود بالهجرة، بالتنظيم فيها لمدة عامين كاملين وبضعة أشهر، منذ لقائه ﷺ الأول بستة من الأنصار في موسم الحج وقبولهم دعوته، إلى أن وصل ﷺ المدينة.

المطلب الثاني: السِّرِّية في السيرة النبوية:

إن مراعاة النبي ﷺ للسِّرِّية تُعدُّ سمة بارزة في بعض مجريات سيرته ﷺ؛ وإنما يفعل ذلك حفاظًا على مصلحة الإسلام والمسلمين، فيلجأ إلى السرية احتياطًا مما يخشاه، فإذا زالت الخشية صار الأمر علنيًّا، وهذا من النظر المستقبلي للنبي ﷺ.

ففي بدء الدعوة كانت دعوته ﷺ سرِّية لمدة ثلاث سنوات(٢)؛ إذ إنَّ هذه الدعوة تُناقض دين قريش، وتَصطدم بأصول راسخة لديها، فليس من الحكمة الجهرُ بالدعوة وإعلانها على الملأ، قبل أن تشتد؛ فاجتهد ﷺ «في دعوة من يغلب على ظنه أنه سيدخل في هذا الدين، وسوف يكتم أمره، وهذا من باب السياسة الشرعية والنظر المصلحي للدعوة»(٣)؛ «وخلال هذه الفترة تكونت جماعة من المؤمنين تقوم على الأخوة والتعاون، وتبليغ الرسالة وتمكينها من مقامها»(٤).

ولمَّا جهر النبي ﷺ بالدعوة، لقي كثير من المسلمين الأذى في سبيل الله، وكانت الأحوال تشير إلى أن قريشًا لن تسمح للمسلمين بالاجتماع بالنبي ﷺ، وأداء عباداتهم، وقد يصل الأمر إلى حد الاصطدام بين الفريقين، وليس للمسلمين قوة؛ فاختار النبي ﷺ مكانًا سريًّا يجتمع فيه بالمسلمين، يعلمهم الدين، وهو دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه قُرب الصفا، وكان هذا الاختيار؛ «لأن الأرقم لم يكن معروفًا بإسلامه، ولأنه من بني مخزوم التي تحمل لواء التنافس والحرب ضد بني هاشم إذ يبتعد أن يختفي الرسول ﷺ في قلب العدو، ولأنه

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب التعبير، باب إذا رأى بقرًا تُنحر، ج٨، ص١٠٤، ح٧٠٣٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، ج٤، ص١٧٧٩، ح٢٢٧٢.

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار، **سيرة ابن إسحاق: المبتدأ والمبعث والمغازي**، تحقيق محمد حميد الله، (الرباط، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ١٩٧٩م)، ص١٢٦.

(٣) أحمد فريد، **وقفات تربوية مع السيرة النبوية**، (الرياض، دار طيبة، ١٤١٤هـ)، ص٦٥.

(٤) صفي الرحمن المباركفوري، **الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية**، (بيروت، دار مكتبة المتنبي، د.ت)، ص٦٧.

كان فتى صغيرًا عندما أسلم . في حدود الست عشرة سنة، إذ إنه في هذه الحالة تنصرف الأذهان إلى منازل كبار الصحابة»[1]؛ وفي هذا يُلحظ أنَّ النبي ﷺ اتَّخذ جملة من الاحتياطات التي تضمن بقاء السِّرِّية، وعدم تفشي ما لا يُريد إفشاءه .

وفي لقائه بالأنصار في بيعة العقبة الثانية، كان اللقاء بعد ثلث الليل، وأُحيط بسرِّيَّة تامة.

وكانت هجرته ﷺ سرِّيَّة، إلى أن وصل المدينة، «فلم يطلع عليها إلا من لهم صلة ماسة. ولم يتوسع في إطلاعهم إلا بقدر العمل المنوط بهم»[2].

و«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلا وَرَّى بِغَيْرِهَا»[3].

المطلب الثالث: الرفق بالحاضر أثناء التوجه إلى المستقبل:

إذا كان القائد المسلم يسعى إلى غاية مستقبلية، وتَوَجَّهَ إليها بجدٍّ وعزم، فإنه ينبغي عليه ألا يجعل الغاية تُضِرّ بالحاضر، بل عليه أن يرفق بالحاضر، ولا يُضِرّ به، ويُوجِد لمن معه متنفسًا؛ وقد كان الرسول ﷺ في مكة متوجهًا إلى إقامة دولة الإسلام، فلقي كثيرٌ من أصحابه ﷺ الأذى في سبيل الله، فرفق ﷺ بهم، وبحث لهم عن متنفس، وأدار هذه المسألة بدراية، واقتدار، ورؤية ثاقبة : قالت أمّ سلمة رضي الله عنها: «لما ضاقت علينا مكة، وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ، وفتنوا، ورأو ما يصيبهم من البلاء في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه وعمه لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ : إن بأرض الحبشة ملكًا لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجًا ومخرجًا مما أنتم فيه . فخرجنا إليها أرسالاً، حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أمنا على ديننا، ولم نخش منه ظلمًا»[4].

---

(١) مهدي رزق الله أحمد، **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، ط١، (الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ١٤١٢هـ)، ص١٩٥؛ نقلاً عن صفي الرحمن، **الرحيق المختوم**، ولم أجده عنده .

(٢) محمد الغزالي، **فقه السيرة**، ط٧، خرّج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، (القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٦م)، ص١٧١.

(٣) متفق عليه عن كعب بن مالك ﷺ : البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب من أراد غزوة فورى بغيرها، ج٤، ص٧، ح٢٩٤٨؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ﷺ، ج٤، ص٢١٢٨، ح٢٧٦٩.

(٤) ابن إسحاق، مرجع سابق، ص١٩٤؛ وأحمد بن الحسين البيهقي، **السنن الكبرى**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ)، كتاب السير، باب الإذن بالهجرة، ج٩، ص١٦، ح١٧٧٣٤.

ولم يكن توجيه النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة جزافاً، بل كان عن نظرة واضحة، ودراية بالأحوال الواقعة، وبيَّن ﷺ لهم: أن هذه الهجرة ليست هي الحل المستقبلي المنشود، يظهر ذلك فيما يأتي:

١-هذا الملك لا يُظلم أحد عنده، وهذا فيه معرفته ﷺ بالواقع السياسي في عصره، وفيه الاحتياط لحماية أصحابه من أي غدر قد يقع عليهم في المكان الذي سيهاجرون إليه، فاختار لهم ما يضمن سلامتهم.

٢-هذه الهجرة مؤقتة وليست دائمة، بل «حتى يجعل الله لكم فرجًا ومخرجًا».

٣-انتظار الفرج من الله، والثقة به سبحانه.

٤-لم "يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة أن يأمرهم بالهجرة إلى مكان مهما بَعُد، في شبه جزيرة العرب، فإن قريشًا -بما لها من نفوذ ديني وأدبي- تستطيع أن تلاحقهم. ولم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة أن يذهبوا إلى بلد تحت سيطرة الفرس أو الروم، حيث يحكمها أباطرة لا يقبلون مثل هذه الدعوة الجديدة. ولم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة أن يذهبوا بعيدًا إلى بلاد مثل الهند والصين، حيث تنقطع أخبارهم، وتكون الهجرة مهلكة لهم. ولقد كانت الحبشة هي المكان المناسب جغرافيًا، فهو ليس جد بعيد، ولا جد قريب، بل بينه وبين قريش بحر. وكانت الحبشة هي المكان المناسب دينيًا، فقد كانوا أهل كتاب من النصارى الذين يُعدون أقرب مودة للمسلمين"[(١)].

المطلب الرابع: البحث عن مستقبل الإسلام خارج مكة:

ولم تكن هجرة النبي ﷺ إلى المدينة قفزةً، تجاوزت الأسباب الحسية، التي يتطلبها التخطيط، والعمل المنظم، بل جمع النبي ﷺ بين التوكل على ربه وثقته به، وبين الأسباب الحسية المتقَنة، التي تَبرز معها النظرة المستقبلية عند الرسول ﷺ، فلم يُسند ظهره عند الكعبة المشرَّفة وينتظر نصر ربه سبحانه، بل بادر باتخاذ الأسباب الموصلة إلى النصر؛ فأخذ يتلمس الوفود في الحج عامًا إثر عام، يعرض عليهم دعوته، ويطلب منهم حمايته ونصرته[(٢)]، إلى

(١) يوسف القرضاوي، **الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة**، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٤هـ)، ص١١٢-١١٣.

(٢) عن جابر ﷺ قال: «مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَتَتَبَّعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ، وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًى، يَقُولُ: مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي؟ حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ». (أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٢٢، ص٣٤٦، ح١٤٤٥٦؛ وحسن إسناده ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٧، ص٢٦٣.

أن لقي عام (١١) من البعثة، ستة من الأنصار فأجابوه، ثم التقى عام (١٢) من البعثة اثني عشر رجلاً منهم، فلم يكتف بجوار معهم والتزام منهم، بل أكّد الأمر بعقد بيعة، يستوثق فيه لثبات موقفهم[1]، ومع ذلك لما بايعوه ﷺ لم يأذن لأحد بالهجرة؛ لأنّه كان حريصًا على سلامة أصحابه ﷺ، بل أرسل مصعب بن عمير معلّمًا ومربّيًا وداعية لأهل المدينة؛ تقوية إيمانية وعِلمية لمن أسلم من أهل المدينة، واستقطابًا لأنصار جدد، يكثر بهم الصف الإسلامي؛ حتى تصبح المدينة قادرة على حماية الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين، وتكون مهيأة لانطلاق الكتائب والسرايا الجهادية، غازية في سبيل الله، وقادرة على حرب الأسود والأحمر. والهدف العددي تمناه قبله ﷺ لوطٌ عليه السلام مع قومه المكذبين: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ﴾[2]، "وإنما أراد لوط عليه السلام العدة من الرجال، وإلا فهو يعلم أن له من اللّه ركنًا شديدًا؛ ولكنه جرى على الحكم الظاهر"[3].

" ولم تمض ثلاثة أعوام على تسامع الأنصار الجدد بالإسلام حتى أصبحوا كهفه الحصين، وموئله القريب"[4]، وظَهَرَ تحقق الهدفين -العددي، والتربوي الإيماني- من خلال أحداث البيعة الثانية عام (١٣) من البعثة، فقد بايع النبيَّ ﷺ من الأنصار ستةُ أضعاف من بايعه في الأولى غير من أسلم بالمدينة ولم يحضر البيعة، ولما وصل ﷺ إلى المدينة مهاجرًا ومعه أبو بكرﷺ "استقبلهما زُهَاءُ خمس مئةٍ من الأنصار"[5]؛ وتجلّى أثر التربية الإيمانية التي قام بها مصعب ﷺ في موقف البراء بن معرور ﷺ أثناء عقد بيعة العقبة الثانية، وهو لم يحضر في العامين السابقين، فإنه لـمَّا قال النبي ﷺ: ((أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم)). أخذ البراءُ بيده، ثم قال: "نعم، والذي بعثك بالحق نبيًّا، لنمنعنَّك مما نَمنع منه

(١) "البيعة هي العهد على الطاعة؛ كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لاينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المَنشَط والمَكْرَه ... هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع؛ وهو المراد في الحديث في بيعة النبي ﷺ ليلة العقبة وعند الشجرة وحيثما ورد هذا اللفظ، ومنه بيعة الخلفاء". (**مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج٢، ص٦٠٨-٦٠٩).

(٢) سورة هود، من الآية: ٨٠.

(٣) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٣، ص٢٤٠؛ نقلاً عن ابن بَطّال .

(٤) محمد الغزالي، **فقه السيرة**، مرجع سابق، ص١٥١.

(٥) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٢١، ص٤٠، ح١٣٣١٨؛ و أحمد بن الحسين البيهقي، **دلائل النبوة**، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ)، ج٢، ص٥٠٧.

أُزُرَنا، فبايِعْنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب، وأهل الحلقة، ورثناها كـابرًا عـن كابر»[1]. ولَمَّا أوضح العباس ﷺ العواقب التي يمكن أن تلحق بالأنصار من هجرة الـنبي ﷺ إليهم، وانضمامه لهم، قال كعب بن مالك[2]: «فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت»[3]؛ «وهذا الجواب يدل على ما كانوا عليه من عـزم وتصميم وشجاعة وإيمان وإخلاص في تحمل هذه المسؤولية العظيمـة، وتحمـل عواقبـها الخطيرة»[4].

فلـمَّا عَقد النبي ﷺ هذه البيعة، وتَبيَّنت فيها عزيمة الأنصار على تحمل تبعاتها؛ واطمأنَّ إلى أن المدينة أصبحت آمنة لهجرة أصحابه ﷺ، عندها أذن النبي ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى المدينة، وقال: «إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانـًا ودارًا تأمنون بها»[5].

« وهكذا أخذ المهاجرون يتركون مكة زرافات ووحدانا . حتى كادت مكة تخلو مـن المسلمين»[6]، ويُلحظ أن النبي ﷺ تأخر في الهجرة عن أصحابه ﷺ، فكان مـن آخـرهم هجرة؛ ذلك لتأمين سلامة المسلمين أولاً[7]؛ فلو هاجر ﷺ أولاً لَلَحِق المسلمين بمكـة أذى عظيم، ومُنعوا من الهجرة، وعُذِّبوا، وقُتِّلوا؛ وقد يكون الرسول ﷺ نظر إلى هذا المغزى، أو أنه فقط انتظر إذن الله تعالى له بالهجرة، وفي كلتا الحالين هو من النظر المستقبلي الإسلامي .

«لقد كانت بيعة العقبة الأولى عقدًا اجتماعيًا وميثاقـًا للسلوك الإسلامي وتضـمنت أهم معالم المجتمع الإسلامي. وأما بيعة العقبة الثانية فهي عقد سياسي بين الأمـة وقائـدها بمحض إرادة الطرفين وكانت هاتان البيعتان بمثابة التمهيد الاجتماعي والسياسي للهجرة إلى المدينة وحجر الزاوية في بناء الدولة الإسلامية الأولى في المدينة»[8].

---

(١) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، ط٢، (القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ)، ج٢، ص٤٤٢.

(٢) إن كان هو القائل، فهو دليل آخر مؤكِّد على أثر مصعب ﷺ؛ لأنه لم يحضر في العامين السابقين للبيعة.

(٣) ابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٤٤٢.

(٤) صفي الرحمن، مرجع سابق، ص١٣٤.

(٥) ابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٤٦٨.

(٦) محمد الغزالي، **فقه السيرة**، مرجع سابق، ص١٦٧.

(٧) حسن عبد الغني أبو غدة، "الهجرة النبوية معالم تأسيس وبناء"، في "الأمن والحياة"، مرجع سابق، العدد ٢٢٤، (محرم/ ١٤٢٢هـ)، ص٢٧.

(٨) خالد سليمان الفهداوي، **الفقه السياسي للوثائق النبوية**، (عمَّان، دار عمار، ١٤١٩هـ)، ص١٠٩.

المطلب الخامس : التخطيط للمستقبل مِن بَعد الهجرة إلى قُبيل غزوة بدر:

أولى النبي ﷺ « عناية خاصة بالتخطيط للمستقبل لدرجة جعلته يتفوق على واضعي الخطط والاستراتيجيات الذين جاءوا من بعده، رغم بساطة الوسائل...في جزيرة العرب وقتها. وإذا كانت الاستراتيجية العسكرية هي وضع هدف نهائي لأي صراع عسكري، ومحاولة الوصول إليه بمجموعة من الأهداف والخطط التكتيكية، فإننا سنرى أن النبي ﷺ، كان يخطط لهدفه العسكري، ولمجموعة لا تحصى من أهداف السلم ، وبناء الحضارة الإسلامية العظيمة»[1].

فقد حفلت السنتان الأُوليان من هجرة النبي ﷺ بجملة من الأعمال، تنبئ عن بصيرة ورؤية فذة للرسول ﷺ في التنظيم الاجتماعي، والتخطيط العسكري، المبنيان على نظر مستقبلي ثاقب؛ لتوفير سياج أمني متين للمجتمع المدني الجديد، لَخَّصها الباحث العسكري اللواء : محمد جمال الدين محفوظ في خمسة أمور، وهي ما يأتي[2]:

١- تأمين الجبهة الداخلية:

كان من أول ما عمد إليه النبي ﷺ بعد الهجرة أن وحَّد صف الأنصار من الأوس والخزرج، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وعقد معاهدة بين المسلمين واليهود والمشركين في المدينة[3]؛ وذلك أدى إلى وحدة المدينة وتماسك الجبهة الداخلية، فتكوَّنت لديها مقومات للنجاح في صدِّ أي عمليات عسكرية تستهدف المدينة.

٢- دراسة مسرح العمليات:

كانت الغارات شكلاً للقتال قبل الإسلام، وهي أعمال محدودة تنحصر في مساحة محدودة هي أرض الخصم، وغالبـًا ما تكون معروفة ومطروقة للمهاجِم، أما بعد الهجرة

---

(١) الفقي، مرجع سابق، ص٧٧.

(٢) "كيف أعدَّ الرسول ﷺ المسلمين لمواجهة أعدائهم بعد الهجرة؟"، في "الوعي الإسلامي"، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت : العدد ٣٧٤، (شوال/ ١٤١٧هـ)، ص٣٨-٣٩ .

(٣) يقول محمود إبراهيم الديك: "وقد يكون الدافع إلى عقد المعاهدة [أيّ معاهدة] درء خطر متوقع، واتقاء ضرر محتمل إذ يجب على رئيس الدولة أن يكون حذرًا حكيمًا حتى لا تتعرض الدولة لويلات كان من الممكن أن يتلافاها، فإذا ما توقع خطرًا سيلحق بالدولة، ويستطيع أن يتقيه بعقد معاهدة، فينبغي له أن يبادر بعقدها". **المعاهدات في الشريعة والقانون الدولي العام**، ط٢، (عَمَّان، دار الفرقان، ١٤١٨هـ)، ص١٠٦.

النبوية فقد تغير شكل الصراعات وطبيعته، حيث اتَّسع مسرح عمليات المسلمين حتى شمل الجزيرة العربية برمتها؛ فكانت دراسة هذا المسرح ضرورية للغاية، وقد بدأ فيها الرسول ﷺ مبكرًا بعد هجرته ﷺ، ففي غضون عشرة أشهر[1] قاد ﷺ بنفسه -قبل معركة بدر الكبرى- أربع غزوات، وبعثَ أربع سرايا، جرى فيها تغطية الطرق المؤدية إلى المدينة من جهة الشمال، والغرب، والجنوب، والجنوب الغربي[2]، وحظي طريق القوافل من مكة إلى الشام على ساحل البحر بأكبر قسط .

٣- معاهدة القبائل المجاورة:

كتب النبي ﷺ إلى عدد من القبائل المجاورة[3] يعاهدها، وكان لهذا العمل البارع نتائج استراتيجية، منها كفالة حرية المسلم في نشر الدعوة، وحرمان قريش من محالفة هذه القبائل أو الحصول على معاونتها، وتحييد القبائل التي بينها وبين قريش موادعة .

٤- إضعاف قوة العدو الاقتصادية:

سعى الرسول ﷺ إلى تهديد تجارة قريش، التي هي قِوامُها، ونجح في ضرب حصار اقتصادي على قريش، بحرمانها من طريق (مكة - الشام)، وطريق (مكة - العراق).

٥- الاحتكاك المباشر بالعدو:

تحقق للمسلمين قبل معركة بدر قدْرٌ من الاحتكاك المباشر بقريش لا يصل إلى حد نشوب القتال، ولكنه يُنمي في المسلمين ثقتهم في قدرتهم على الدفاع عن عقيدتهم وأنفسهم عند الحاجة، وينطبق على هذه الآثار المصطلح المعروف في العلوم العسكرية: (تطعيم المقاتلين ضد شدائد المعركة)، فإن اشتراك الرجال في بعض العمليات القتالية المحدودة من حيث طبيعتها وأهدافها والأخطار التي تنطوي عليها، يؤدي إلى تحصينهم ضد شدائد الحرب

---

(١) من رمضان سنة (١هـ) إلى رجب سنة (٢هـ).

(٢) جعْلُ هذه الغزوات والسرايا للتعرف على مسرح العمليات، يحتاج مزيد دراسة؛ لتأكيده، فمصادر السيرة تشير إلى أن هذه الغزوات والسرايا جميعها كانت لاعتراض قوافل تجارية لقريش، سوى غزوة بدر الصغرى (غزوة سفوان) فكانت لملاحقة قوة صغيرة من المشركين أغارت على مراعي المدينة ونهبت بعض المواشي، وقد يكون اعتراض القوافل هو الهدف المعلن، والهدف الأصلي ما أشار إليه (محفوظ)، وهو مختص في العلوم العسكرية .

(٣) مثل: بني ضمرة، وبني مدلج. وأوْصَل الفهداوي وثائق هذه المعاهدات إلى سبع وثائق، واثق بها النبي ﷺ عددًا من قبائل العرب حول المدينة. (مرجع سابق، ص١١٧).

ومعاناتها القاسية على النفوس والعقول والأجسام، وهكذا كان المسلمون قادرين على مواجهة التحدي في بدر .

المطلب السادس : غزوة بدر الكبرى والأساليب المستقبلية المستخدمة فيها:

جرى لخوض معركة بدر الكبرى استخدام جملة من الأساليب المستقبلية، ولا غرو أن تكثر فيها الأساليب وتتنوع؛ فالعصابة المؤمنة ستخوض أول لقاء لها مع الباطل، فهي بحاجه إلى الإعداد الجيد، والتهيئة المناسبة، والدخول إلى المستقبل برؤية جيدة، تُسهم بمردود إيجابي، وبخاصة أن العدو أضعافهم عددًا وعُدَّة، وأبرز الأساليب ما يأتي:

١- إشراك الجميع بالرأي والتخطيط لمستقبل المعركة.

٢- إخباره ﷺ بوعْد الله له بإحدى الطائفتين، وتبشيره ﷺ بذلك، " سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم"[١]. والطائفتان: قافلة أبي سفيان ومن معه، وما معهم من الأموال؛ والطائفة الأخرى: جيش مكة، الذي خرج لحماية القافلة[٢] .

٣- تبشيره ﷺ بقتال الملائكة معهم، «أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله . هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده، على ثناياه النقع[٣]»[٤].

٤- تحديده ﷺ في ساحة المعركة لمواضع مصارع العدو فردًا فردًا.

٥- مخاطبته ﷺ من معه بحديث الواثق من النصر، " هذه مكة ألقت إليكم أفلاذ كبدها»[٥]؛ وهذا له أثر في زيادة الشجاعة والإقدام .

٦- رَمْي الرسول ﷺ المشركين بالحصباء، وهذه معجزة له ﷺ، وتُعطي دلالة معنوية لمن معه بأنهم منتصرون عليهم إن شاء الله.

---

(١) ابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٦١٥؛ وينظر: الترمذي، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنفال، ج٥، ص٢٥١، ح٣٠٨٠ .

(٢) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٣، ص٣٩٨.

(٣) "النَّقْع: الغُبار". (ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج٥، ص١٠٩، مادة : (نقع)).

(٤) ابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٦٢٧.

(٥) المرجع نفسه، ج٢، ص٦١٧.

٧- إلحاحه ﷺ بالدعاء بالنصر، حتى أشفق عليه أبو بكر ﷺ وقال : «يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك . فإنه سينجز لك ما وعدك»[(١)]. «قال الخطابي لا يجوز أن يتوهم أحـد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبي ﷺ في تلك الحال، بل الحامل للنبي ﷺ على ذلك شفقته على أصحابه وتقوية قلوبهم ، لأنه كان أول مشهد شهده، فبالغ في التوجه والدعاء والابتـهال لتسكن نفوسهم عند ذلك ، لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة»[(٢)] .

٨- حتى وهو يدعو ﷺ كان يستحضر مشهد النصر، وما يُثمره، ومشهد الهزيمة ومـا تثمره، «اللَّهُمَّ إنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ لا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ»[(٣)]؛ «فهو يقـول لربه: هذه ذخيرتي وعدتي لبناء أمة الإسلام، وإن تهلكها فلن تعبد بعد ذلك، لأنها الرسـالة الخاتمة»[(٤)].

تلك الأساليب أسهمت -بعد توفيق الله تعالى وعنايته ولطفه- في صـناعة مسـتقبل المعركة، تارة باستنـزال النصر، وتارة بوضع الخطط والسيطرة على أرض المعركة، وتـارة ببث الحماس ورفع المعنويات في نفوس المؤمنين .

المطلب السابع: الإحصاء والعَدُّ في سيرة الرسول ﷺ:

يُعدُّ الإحصاء من الأمور الرئيسة في الدراسات المستقبلية، ومنه تنطلق الدراسـات -في الغالب- وقد كان للنبي ﷺ عناية بهذا الجانب في سيرته، وبعض غزواته، ففي بداية الإسلام بمكة لـمَّا كان عدد المسلمين ثمانية وثلاثين رجلاً، وطلب أبو بكر ﷺ من الرسـول ﷺ الظهور بدينهم، قال ﷺ: «إنا قليل»[(٥)]. وفي المدينة طلب الرسـول ﷺ أن يُحصَـى عـدد

---

(١) مسلم، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، ج٣، ص١٣٨٤، ح١٧٦٣؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنفال، ج٥، ص٢٥٢، ح٣٠٨١.

(٢) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٧، ص٣٣٨ .

(٣) مسلم، والترمذي، المرجعان نفساهما في الحاشية ما قبل السابقة؛ وأعاد ﷺ هذا التصور المشهدي في معركة أحد. (مسلم، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العـدو، ج٣، ص١٣٦٣، ح١٧٤٣).

(٤) الفقي، مرجع سابق، ص١٠٨.

(٥) **من حديث خيثمة بن سليمان القرشي الأطرابلسي**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، (بيروت، دار الكتـاب العربي، ١٤٠٠هـ)، ص١٢٦.

المسلمين، عن حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اكْتُبُوا لِي مَنْ تَلَفَّظَ بِالإِسْلامِ مِنَ النَّاسِ فَكَتَبْنَا لَهُ أَلْفًا وَخَمْسَ مِائَةِ رَجُلٍ فَقُلْنَا نَخَافُ وَنَحْنُ أَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا ابْتُلِينَا حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي وَحْدَهُ وَهُوَ خَائِفٌ(1)»(2). وفي رواية: «أَحْصُوا لِي كَمْ يَلْفِظُ الإِسْلامَ»(3). هذا الحديث من الأدلة القوية في مشروعية الدراسات المستقبلية، فالنبي ﷺ يريد أن يتعرَّف على عدد المسلمين، ليستشرف مدى قدرتهم على مواجهة عدوهم، فيضع الترتيبات المناسبة وفقًا للاستشراف المستند على نتيجة الإحصاء، قال ابن حجر في سبب طلب الإحصاء: "وكأن ذلك وقع عند ترقب ما يخاف منه، ولعله كان عند خروجهم إلى أحد أو غيرها»(4). وترجم البخاري للحديث :"باب كتابة الإمامِ الناسَ»(5). قال ابن المنير في مناسبة الترجمة: «من الفقه أن لا يتخيل أن كتابته الناس إحصاء لعددهم... تكون ذريعة لارتفاع البركة منهم... فإنما خرج هذا من هذا النحو لأن الكتابة لمصلحة دينية»(6).

فالرسول ﷺ "كان يريد أن يعرف مقدار ما لديه من قوة، حتى يبني خطته على أساس سليم من الإحصاء والمعلومات الدقيقة»(7)؛ فمسألة جَمع المعلومات الإحصائية، والتقدير بناء عليها في الفعل أو الترك، أمر معلوم من السنة النبوية.

---

(1) قال النووي: "فلعله كان في بعض الفتن التي جرت بعد النبي ﷺ، فكان بعضهم يُخفي نفسه ويصلي سرًّا مخافة من الظهور والمشاركة في الدخول في الفتنة والحروب". (**المنهاج**، مرجع سابق، ص٢٣٣).

(2) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب كتابة الإمام الناس، ج٤، ص٤٢، ح٣٠٦٠ .

(3) مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب الاستسرار بالإيمان للخائف، ج١، ص١٣١، ح١٤٩؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، ج٢، ص١٣٣٧، ح٤٠٢٩.

(4) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٦، ص٢٠٦.

(5) **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، ج٤، ص٤٢.

(6) ناصر الدين ابن المنير، **المتواري على أبواب البخاري**، تحقيق علي حسن عبد الحميد، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١١هـ)، ص١٨٠.

(7) يوسف القرضاوي، "الإطار العام للصحوة الإسلامية المعاصرة"، في **ندوة الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي**، عَمَّان، تحرير: سعد الدين إبراهيم، منتدى الفكر العربي بالتعاون من مؤسسة آل البيت لبحوث الحضارة الإسلامية، (١٤-١٦/٣/١٩٨٧م)، ص٣٠ .

وحدَّد النبي ﷺ عددًا معيَّنًا، أخبر أنه لا تلحقه هزيمة بسبب قِلّتـه، قـال ﷺ: «خَيْـرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُمِائَةٍ، وَخَيْرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلافٍ وَلا يُغْلَبُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ»(١).

المطلب الثامن : صلح الحديبية:

خرج النبي ﷺ في شهر ذي القعدة من السنة السادسة من الهجرة معتمرًا، ومعه -كمـا في الصحيحين- خمس مئة وألف رجل(٢)، ولم يَخرج لقتال أحد(٣)، وقد كانت المواجهات الكبرى فيما سبق تدور بينه وبين قريش، ويطير بحديثها الركبان، فلما دنا رسول الله ﷺ من مكة، علم أن أهلها صادّوه ومانعوه من دخولها، ومقاتلوه إن أراد ذلك، فنـزل بالحديبيـة قرب مكة، ودارت مفاوضات بينه ﷺ وبين قريش حتى انتهوا إلى الصلح، وكان من أهـم بنوده :

١- أنَّ من جاء من المسلمين إلى الكفار، لا يَردُّونه إليهم(٤) .

٢- أنَّ من جاء من الكفار إلى المسلمين، ردُّوه إليهم، وإن كان مسلمـًا(٥) .

٣- أنْ يَرجع هذا العام، ويعتمر من العام المقبل، ويمكث بمكة ثلاثة أيام فقط(٦).

٤- «اصْطَلَحُوا عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِينَ يَأْمَنُ فِيهِنَّ النَّاسُ»(٧) .

---

(١) الترمذي وقال: "حسن غريب"، مرجع سابق، كتاب السير، باب ما جاء في السرايا، ج٤، ص١٠٦، ح١٥٥٥؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب فيما يستحب من الجيـوش والرفقـاء والسـرايا، ج٣، ص٨٢، ح٢٦١١؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الجهاد، بـاب السـرايا، ج٢، ص٩٤٤، ح٢٨٢٧؛ والحـاكم وصححه، مرجع سابق، كتاب الجهاد، ج٢، ص١١٠، ح٢٤٨٩؛ وصححه الألباني، **صحيح سنن الترمذي**، ط١، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ)، ج٢، ص١٠٥.

(٢) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج٤، ص٢٠٦، ح٣٥٧٦.

(٣) المرجع نفسه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، ج٣، ص٢٣٧، ح٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٤) مسلم، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، ج٣، ص١٤١١، ح١٧٨٤.

(٥) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحـرب، ج٣، ص٢٣٩، ح٢٧٣١، ٢٧٣٢؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبيـة، ج٣، ص١٤١١، ح١٧٨٤.

(٦) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحـرب، ج٣، ص٢٣٩، ح٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٧) أبو داود، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب في صلح العدو، ج٣، ص٢١٠، ح٢٧٦٦.

وقد أثار الشرطان الأولان حمية المسلمين، واستَبعدوا موافقة الرسول ﷺ عليهما، «فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنَكْتُبُ هَذَا ؟ قَالَ نَعَمْ . إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ. وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ، سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا»[1]. وكان من أشدِّ الصحابة ﷺ معارضة للصلح عمر بن الخطاب ﷺ[2]، المحدَّث، صاحب النظر المستقبلي؛ لما تضمنته الشروط من تنازلات من جَانِب المسلمين، لكن شاء الله تعالى أن يتغلب النَّظَرُ المستقبلي للرسول ﷺ على نظرة عمر ومن كان على رأيه ﷺ.

ويَظهَر أن أفعال النبي ﷺ خلال مجريات الصلح كانت اجتهادًا منه ﷺ، ولم يأته فيها وحي، سوى استدلاله ﷺ ببروك راحلته لما أشرف على الحديبية، فأقام بها ولم يدخل مكة، وتلك الأفعال تُفصح عن نظر مستقبلي ثاقب للنبي ﷺ؛ كان من أوائله أن بدأهم بطلب الصلح، ومن هذا يُؤخذ: "جواز ابتداء الإمام بطلب صلح العدو إذا رأى المصلحة للمسلمين فيه، ولا يَتوقف ذلك على أن يكون ابتداء الطلب منهم"[3].

فإنَّ الصلح "كان في الصورة الظاهرة ضيمًا وهضمًا للمسلمين، وفي الباطن عزًّا وفتحًا ونصرًا، وكان رسول الله ﷺ ينظر إلى ما وراءَه مِن الفتح العظيم، والعز، والنصر من وراء ستر رقيق، وكان يُعطي المشركين كلَّ ما سألوه من الشروط، التي لم يحتملها أكثر أصحابه ورؤوسهم، وهو ﷺ يعلم ما في ضمن هذا المكروه من محبوب: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾[4].

وربما كان مكروه النفوس إلى محبوبها سببًا ما مثله سببُ

فكان يَدخل على تلك الشروط دخول واثق بنصر الله له وتأييده، وأن العاقبة له، وأن تلك الشروط واحتمالها هو عينُ النصرة، وهو من أكبر الجند الذي أقامه المشترطون، ونصبُوه لحربهم، وهم لا يشعرون، فذلُّوا مِن حيث طلبوا العز، وقُهِروا من حيث أظهروا القدرة والفخر والغلبة، وعزَّ رسولُ الله ﷺ وعساكرُ الإسلام من حيث انكسروا لله،

(١) مسلم، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، ج٣، ص١٤١١، ح١٧٨٤.

(٢) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجزية والموادعة، بابٌ، ج٤، ص٨٤، ح٣١٨٢؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، ج٣، ص١٤١١، ح١٧٨٥.

(٣) ابن القيم، **زاد المعاد**، مرجع سابق، ج٣، ص٣٠٤.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢١٦.

واحتملوا الضَّيم له وفيه، فدار الدَّورُ، وانعكس الأمرُ، وانقلب العزُّ بالباطل ذُلاً بحق، وانقلبت الكَسرة لله عزًا بالله، وظهرت حكمة الله وآياتُه، وتصديقُ وعده، ونصرةُ رسوله على أتمِّ الوجوه وأكملها التي لا اقتراح للعقول وراءها»[١].

ولما انصرف الرسول ﷺ راجعًا إلى المدينة، نزلت[٢] «سُورَةُ الْفَتْحِ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَفَتْحٌ هُوَ قَالَ نَعَمْ»[٣].

وكان فتح مكة بعد عقد الصلح بعامين اثنين، ظهر فيهما تفسير ﴿ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾[٤] واقعًا مُشاهدًا، فقد كان عدد المسلمين في عمرة الحديبية خمسَمئة وألفَ رجل، بينما خرجوا -كما يقول ابن إسحاق- لفتح مكة وعددهم عشرة آلاف[٥]؛ فالصلح الذي رأى النبي ﷺ ملامح آثاره، واغتبط به، واختلفت نظرته نحوه عن أكثر أصحابه ﷺ، كان فتحًا؛ لأنه كان «مُقَدِّمَة بين يدي الفتح الأعظم»[٦] فتح مكة، ولأن «الناس أَمِنَ بعضهم بعضًا، واختلط المسلمون بالكفار، وبادؤوهم بالدعوة، وأسمعوهم القرآن، وناظروهم على الإسلام جهرةً آمنين، وظهر من كان مختفيًا بالإسلام»[٧]، «وتَمكن مَن يخشى الدُّخول في الإسلام والوصول إلى المدينة مِن ذلك كما وقع لِخالد بن الوليد وعمرو بن العاصِ وغيرهما»[٨]، «واعترفت قريش رسميًا بأن النبي ﷺ وأصحابه أصبحوا أمة لها كيانها، بل دولة لها خطرها»[٩]، وهو مكسب سياسي مهم، واستطاع النبي ﷺ بعد الصلح أن يتحرك بحرية

---

(١) ابن القيم، **زاد المعاد**، مرجع سابق، ج٣، ص٣١٠.

(٢) رَوى أحمد من حديث مُجمِّع بن جارية ﷺ قال: «شَهِدْنَا الْحُدَيْبِيَة، فَلَمَّا انْصَرَفْنَا عنها... وَجَدْنَا رَسُول اللَّه ﷺ على رَاحِلَتِه عِنْد كُرَاعِ الْغَمِيمِ، واجتمَعَ النَّاس، فقرَأَ عَلَيْهِمْ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [سورة الفتح، الآية:١] فَقَالَ رَجُل من أصحاب رسول الله ﷺ: أي رَسُول اللَّه وفَتْحٌ هُوَ ؟ قَالَ: أَيْ وَالَّذِي نَفْسِي محمد بِيَدِهِ إِنَّهُ لَفَتْحٌ». (**المسند**، مرجع سابق، ج٢٤، ص٢١٢، ح١٥٤٧٠).

(٣) متفق عليه: سبق تخريجه، ص٤٢٥، حاشية ٢.

(٤) سورة الفتح، من الآية: ١.

(٥) ابن هشام، مرجع سابق، ج٤، ص٤٠٠ .

(٦) ابن القيم، **زاد المعاد**، مرجع سابق، ج٣، ص٣٠٩.

(٧) المرجع نفسه، ج٣، ص٣٠٩-٣١٠.

(٨) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٧، ص٥٠٦ .

(٩) محمد أحمد باشميل، **من معارك الإسلام الفاصلة: صلح الحديبية**، ط٤، (د.م، دار الفكر، ١٤٠٣هـ)، ص٣٣١-٣٣٢.

باتجاه الشمال، ففتح خيبر، وما كان له -بمقياس العلوم العسكرية- أن يقابل عشـــرة آلاف من اليهود، على بعد خمسة أيام من المدينة، إلا بعد أن أمِنَ بالصلح جانب أعظم خصومه ، فتوجه إلى خيبر دون أن يترك قوة في المدينة، واستطاع كذلك مد المواجهة إلى أرض الروم، فأرسل جيشًا بقيادة خالد بن الوليد ﷺ، وتمكن النبي ﷺ من توسيع دائرة الدعوة إلى خارج الجزيرة العربية، فراسل عددًا من الملوك، ووجه إليهم الدعاة[1]؛ لذلك كانـــت «مصـــالحة المشركين ببعض ما فيه ضيم على المسلمين جائزة للمصلحة الراجحة، ودفع ما هو شر منه، ففيه دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما»[2].

والقرآن الكريم «لفت نظر الذين لم يُدركوا الحكمـــة مـــن هـــذا الصـــلح فكرهـــوه وعارضوه... إلى أن هذا الذي كرهوا حدوثه له مكاسب عظيمة وأنه فتح وانتصار للجماعة الإسلامية فقال تعالى: ﴿ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[3] »[4].

«كما أن هذا الصلح لم ينهِ أزمة الحديبية، بل تناول النـــزاع الجوهري القائم بين قريش والمسلمين منذ بزغت شمس الدعوة الإسلامية، أو منذ بدأت حالة الحرب بين المعســـكرين لخمس سنوات مضت»[5].

وهذه الحادثة تُصَعِّب مهمة الدراسات المستقبلية، فإذا كان الصحابة ﷺ أهل الـــرأي والبصيرة، وفيهم المحدَّثون وأهل الفِرَاسة، وقعت منهم معارضة شديدة لعقد الصلح، وكان المباشر له رسول الله ﷺ، فكيف بالمختصيين في الدراسات المستقبلية، وهم من سائر الناس، هل سيكون لآرائهم قبول؟ أم ستَلقى معارضة شديدة ورفضًا ؟ «وهذا يعطينـــا درسًـــا في العمل الإسلامي: أن نستشرف دائمًا أبعاد معركتنا، وأن نتفهم الآراء المطروحة أمامنا، وأن نتأنى في الحكم على تصرفات القادة الذين يكرمهم الله عز وجل بتحمل المسؤولية، فكثيرًا ما نُصْدِر أحكامـــًا مستعجلة، ظاهرها الصواب وباطنها الخطأ»[6].

---

(١) المرجع نفسه، ص٣٣١، ٣٥١-٣٥٤.

(٢) ابن القيم، **زاد المعاد**، مرجع سابق، ج٣، ص٣٠٦.

(٣) سورة الفتح، من الآية: ٢٧.

(٤) باشميل، مرجع سابق، ص٢٨٠.

(٥) المرجع نفسه .

(٦) سعيد حوى، **الأساس في السنة وفقهها: السيرة النبوية**، (القاهرة، دار السلام، ١٤٠٩هـــ)، ج٢، ص٧٨٨.

المطلب التاسع : عناية النبي ﷺ بإطلاق كلمات ذات معنى مستقبلي إيجابي:

قال ﷺ : «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى، يَقُولُونَ: يَثْرِبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»[1]. فقوله ﷺ: «تَأْكُلُ الْقُرَى» له مدلول إيجابي، في عزِّ المسلمين، وانتصارهم، وعلوهم على غيرهم؛ ومعنى الحديث:"أمرت بالهجرة إليها، واستيطانها، وذكروا في معنى أكلها القرى وجهين : أحدهما : أنها مركز جيوش الإسلام في أول الأمر، فمنها فتحت القرى، وغنمت أموالها، وسباياها . والثاني : معناه : أن أكلها وميرتها تكون من القرى المفتتحة، وإليها تساق غنائمها"[2].

ولـمَّا قَدِم رسول الله ﷺ من خيبر وَبَدَا لَهُ أُحُدٌ، قَالَ :«هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»[3]، وكرَّر هذه العبارة لما قدم من غزوة تبوك[4]. فما سرُّ عناية النبي ﷺ بأُحُد، وتكراره هذه الكلمات؟

لقد ارتبط أُحد في صورة المسلمين بهزيمتهم عنده، وقَتْلِ صفوة منهم، فكان أول ما يتبدى لهم عند قدومهم من سفرهم هذه الصورة؛ ولعل النبي ﷺ خشي أن يكون هذا باعثًا على التشاؤم به، فَقَلَبَ ﷺ ما يخشاه من التشاؤم إلى الحب المتبادل، وهو حب حقيقي؛ ولعل سبب الحب والله أعلم أنه من جبال الجنة، فأحبَّ أهلَها، وهم أحبُّوه لذلك؛ فصارت الصورة التي تتبدى لهم عند قدومهم هي صورة حبيب يلقى حبيبه، وقَطَعَ النبي ﷺ بذلك وسيلة التشاؤم المحتمل، والتشاؤم -وهو التَّطيُّر- خصلة سلبية، تُعيق الحركة الإيجابية نحو المستقبل.

وكما كان لغزواته ﷺ وسراياه التي يبعثها راياتٌ تُرفع وتُشاهد، كان لبعضها شعارات تُقال وتُسمع، ويكون لها وقع سيئ على الكافرين، وفأل طيب على المسلمين، يُستشرف بها

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الحج، باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس، ج٢، ص٢٧٠، ح١٨٧١؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها، ج٢، ص١٠٠٦، ح١٣٨٢.

(٢) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٠٤٠.

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب فضل الخدمة في الغزو، ج٣، ص٢٩٤، ح٢٨٨٩؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الحج، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، ج٢، ص١٠١١، ح١٣٩٣.

(٤) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المغازي، بابٌ، ج٥، ص١٥٧، ح٤٤٢٢؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الحج، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، ج٢، ص١٠١١، ح١٣٩٢.

-نفسيًّا- مستقبل المعركة، مع -ما ذكر ابن الأثير- كونها علامة لهم يتعارفون بها في الحرب[1] عند ضعف الرؤية، قال رسول الله ﷺ : «إِنْ بَيَّتَكُمْ الْعَدُوُّ فَقُولُوا (حم) لا يُنْصَرُونَ»[2]. وعن سَلَمَةَ بن الأكوع ﷺ قَالَ : «غَزَوْنَا مَعَ أَبِي بَكْرٍ ﷺ زَمَنَ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ شِعَارُنَا أَمِتْ أَمِتْ»[3]. «قَالَ ابْن الأَثِير : هُوَ أَمْر بِالْمَوْت، وَالْمُرَاد بِهِ التَّفَاؤُل بِالنَّصْرِ بَعْد الأَمْر بِالإِمَاتَةِ مَعَ حُصُول الْغَرَض لِلشِّعَارِ»[4]. «وكان شعار أصحاب الرسول الله ﷺ يوم خيبر: يا منصور أَمِتْ أَمِتْ»[5].

المطلب العاشر : احتياط النبي ﷺ لأمن المدينة النبوية وأمن المسلمين العام :

من النظرة المستقبلية الأمنية عند الرسول ﷺ احتياطه لأمن المدينة، فحرص على ألاَّ تكون نواحيها خالية فيفجؤ المدينة عدو قبل أن يستعدوا، عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: أَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَتَحَوَّلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ، فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُعْرَى[6] الْمَدِينَةُ وَقَالَ: «يَا بَنِي سَلِمَةَ أَلا تَحْتَسِبُونَ آثَارَكُمْ» ؟ فَأَقَامُوا[7].

---

(١) **النهاية**، مرجع سابق، ج٢، ص٤٧٩، مادة: (شعر).

(٢) الترمذي، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الشعار، ج٤، ص١٧٠، ح١٦٨٢؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب في الرجل ينادي بالشعار، ج٣، ص٧٤، ح٢٥٩٧؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الصلاة، ج٢، ص١١٧، ح٢٥١٢-٢٥١٤.

(٣) أبو داود، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب في الرجل ينادي بالشعار، ج٣، ص٧٤، ح٢٥٩٦؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الصلاة، ج٢، ص١١٨، ح٢٥١٦.

(٤) محمد شمس الحق العظيم آبادي، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ)، ج٧، ص١٨٤؛ و لم أجده لابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، مادة : (شعر، وموت).

(٥) ابن هشام، مرجع سابق، ج٣، ص٣٣٣ .

(٦) أي "تخلو وتصير عراء، وهو الفضاء من الأرض" . (ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج٣، ص٢٢٦، مادة : (عرا).

(٧) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الحج، باب كراهية النبي ﷺ أن تُعرى المدينة، ج٢، ص٢٧٤، ح١٨٨٧؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب المساجد والجماعات، باب الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجرًا، ج١، ص٢٥٨، ح٧٨٤.

ومن عنايته ﷺ بأمن المسلمين العام، ترغيبه في الحراسة والرباط في سبيل الله، قال ﷺ: «عَيْنَانِ لا تَمَسُّهُمَا النَّارُ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»(١).

وقال ﷺ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»(٢).

المطلب الحادي عشر : إعداد النبي ﷺ وتهيئته لقيادات قادرة على قيادة الأمة من بعده ﷺ :

كان لا بد للأُمَّة بعد نبيها ﷺ من علماء أفذاذ، يقودونها، ويُفَقِّهونها في دينها، ويفصحون عن معاني كتاب ربها، وكان هذا حاضرًا لدى الرسول ﷺ، فكان من النظر المستقبلي لديه ﷺ أنْ أعدَّ بعض شباب الصحابة لذلك في زمنه ﷺ، كعمر، وعلي، وأبي هريرة، ومعاذ، وابن مسعود، وغيرهم ﷺ ؛ لِيلُوا قيادة الجيل الجديد من بعده ﷺ، عن جدارة واقتدار، سياسة، وعِلمًا، وتربية، وجهادًا، وقدوة.

فالخليفتان الراشدان من بعده ﷺ كانا -رضي الله عنهما- شديدي القرب من رسول الله ﷺ والتزامه، والأخذ عنه، وقد أورد المحدِّثون جملة من الأخبار في ثناء الرسول ﷺ عليهما، ومدْحِهما، عن علي ﷺ قال : «إِنِّي كَثِيرًا أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ »(٣).

وتارة يكون إعداده ﷺ من خلال توجيه عام، مثل ترغيبه ﷺ في تعلم العلم والفقه في الدين، وبيان فضل العالم والمتعلم، وتارة يكون من خلال توجيه خاص، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَبْسُطْ ثَوْبَهُ فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي . فَبَسَطْتُ ثَوْبِي حَتَّى

---

(١) الترمذي وقال: "حسن غريب"، مرجع سابق، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، ج٤، ص١٥٠، ح١٦٣٩؛ وصححه الألباني، **مشكاة المصابيح**، لمحمد بن عبد الله التبريزي، (تحقيق)، ط٣، (بيروت ودمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ)، ج٢، ص١١٢٥، ح٣٨٢٩، حاشية ٨.

(٢) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، ج٣، ص٢٩٥، ح٢٨٩٢.

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ، ج٤، ص٢٤١، ح٣٦٨٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر ﷺ، ج٤، ص١٨٥٩، ح٢٣٨٩.

قَضَى حَدِيثَهُ . ثُمَّ ضَمَمْتُهُ إِلَيَّ . فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ »[1]. فلا غرو أن يكون أبو هريرة ﷺ أكثر من حفظ العلم ونقله للجيل اللاحق . وعن ابن مسعود ﷺ قال : قلت لرسول الله ﷺ: «عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ، قَالَ: إِنَّكَ غُلامٌ مُعَلَّمٌ، قَالَ: فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً»[2]. وفي موطن قَالَ له النَّبِيُّ ﷺ : « اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ . قُلْتُ : آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ قَالَ: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»[3]. وقال ابن مسعود ﷺ: «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ التَّشَهُّدَ، كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ»[4].

وقد تجلت للرسول ﷺ ثمار هذا الإعداد، وتأهَّل أصحابه لما أُعدُّوا له؛ فكان يُوصي الناس من بعده بأشخاص بأعيانهم، وكان من وصيته ﷺ: « اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي مِنْ أَصْحَابِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ»[5].

وقال ﷺ : «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -فَبَدَأَ بِهِ- وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ »[6].

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المزارعة، باب ما جاء في الغرس، ج٣، ص١٠١، ح٢٣٥٠؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي ﷺ، ج٤، ص١٩٣٩، ح٢٤٩٢.

(٢) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٦، ص٨٣، ح٣٥٩٩؛ وحسن إسناده محققو هذا الجزء.

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب فضائل القرآن، باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره، ج٦، ص١٣٧، ح٥٠٤٩؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه، ج١، ص٥٥١، ح٨٠٠.

(٤) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الاستئذان، باب الأخذ باليدين، ج٧، ص١٧٥، ح٦٢٦٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، ج١، ص٣٠٢، ح٤٠٢.

(٥) الترمذي وقال: "حسن غريب"، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن مسعود ﷺ، ج٥، ص٦٣٠، ح٣٨٠٥؛ والحاكم، مرجع سابق، كتاب معرفة الصحابة، ج٣، ص٨٠، ح٤٤٥٦؛ وصححه الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، ج٣، ص٢٣٣، ح١٢٣٣ .

(٦) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بن كعب ﷺ، ج٤، ص٢٧٦، ح٣٨٠٨؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما، ج٤، ص١٩١٣، ح٢٤٦٤.

وقال ﷺ : «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيٌّ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»[1]، وفي رواية ابن ماجه: «وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ».

وهيأ النبيُّ ﷺ بعضَ صغارالصحابة ﷺ ، كابن عباس، فعنه رضي الله عنهما قال: ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ»[2]، وعنه رضي الله عنهما قال: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْخَلاءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا قَالَ: « مَنْ وَضَعَ هَذَا» فَأُخْبِرَ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[3].

فالنظرة المستقبلية والتخطيط للمستقبل لدى الرسول ﷺ يتجلى في الإعداد لبعض الكبار، والتهيئة لبعض الصغار .

المطلب الثاني عشر : اهتمامه ﷺ لأهله من بعده:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ أَمْرَكُنَّ مِمَّا يُهِمُّنِي بَعْدِي، وَلَنْ يَصْبِرَ عَلَيْكُنَّ إِلا الصَّابِرُونَ»[4]. فمن عنايته ﷺ بأزواجه، ووفائه لهن، كان يقول هذا الكلام؛ وهذا ينشأ من تخيل المشاهد المستقبلية، فالأنبياء لا تُورث، وما يتركونه صدقة، فهو يهتم لأمر معيشتهن من بعده ﷺ؛ ولذلك وغيره كان يُوصِي بأهل بيته.

---

(١) الترمذي وحسَّنه، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل ﷺ، ج٥، ص٦٢٣، ح٣٧٩٠؛ وابن ماجه، مرجع سابق، المقدمة، باب فضائل خباب ﷺ، ج١، ص٥٥، ح١٥٤؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب معرفة الصحابة، ج٣، ص٤٧٨، ح٥٧٨٤.

(٢) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ «اللهم علمه الكتاب»، ج١، ص٣١، ح٧٥.

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، ج١، ص٥١، ح١٤٣؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ج٤، ص١٩٢٧، ح٢٤٧٧.

(٤) الترمذي وقال : "حسن صحيح غريب"، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف ﷺ، ج٥، ص٦٠٦، ح٣٧٤٩.

المبحث الثاني

النظرة المستقبلية في التشريع وما يُلحق به

المطلب الأول : توقعُ الرسول ﷺ للتشريع الإلهي :

أثبتت السُّنَّة أن النبي ﷺ -بعد بعثته، وبصفته البشرية- كان يَتوقع أن ينـزل في أشياء حكم شرعي من الله عزَّ وجل، بتحريم أو إيجاب. فإنَّه "لما نزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[1]. قال رسول الله ﷺ "[2] : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَرِّضُ بِالْخَمْرِ . وَلَعَلَّ اللَّهَ سَيُنْزِلُ فِيهَا أَمْـرًا . فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلْيَبِعْهُ وَلْيَنْتَفِعْ بِهِ». قَالَ: فَمَا لَبِثْنَا إلا يَسيرًا حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْخَمْرَ فَمَنْ أَدْرَكَتْهُ هَذِهِ الآيَةُ وَعِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلا يَشْرَبْ وَلا يَبِعْ» قَـالَ: فَاسْتَقْبَلَ النَّاسُ بِمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْهَا، فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ، فَسَفَكُوهَا»[3]. فالنبي ﷺ "نصحهم، وحثهم على الانتفاع بها قبل تحريمها، حين توقع نزول تحريمها"[4].

وكان ﷺ -وهو يتلقى التشريع الإلهي- يَتوقع الشيء فيقع مثلما تَوقع، كمـا ههنـا؛ وأحيانـًا يتوقع الشيء ولا يقع، كما في قوله ﷺ : «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[5]، فقد قُبض رسول الله ﷺ ولم يكن الجار وارثـًا في أي زمـن مـن التشريع؛ وكان أحيانـًا يحتاط لئلا يقع ما توقعه، فيكون الأمر كما احتاط له ﷺ، كتوقعه أن تُفرض صلاة القيام؛ فامتنع من القيام بالناس في ليالي رمضان، بعد أن قام بهم ثلاث ليال،

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢١٩.

(٢) المبارك بن محمد الجزري الشهير بابن الأثير، **جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ**، تحقيق أيمن صالح شعبان، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ج٥، ص١٢٠، ح٣١٤٣؛ من رواية نسبها لرزين.

(٣) مسلم، مرجع سابق، كتاب المساقاة، باب تحريم بيع الخمر، ج٣، ص١٢٠٥، ح١٥٧٨.

(٤) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٢٠٤.

(٥) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، ج٧، ص١٠٣، ح٦٠١٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسـان إليـه، ج٤، ص٢٠٢٥، ح٢٦٢٥.

وقال: «خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ صَلاةُ اللَّيْلِ . فَتَعْجِزُوا عَنْهَا »[1]؛ وهذا من رحمته بأُمَّته، وشفقته عليها ﷺ.

المطلب الثاني : المنهج المستقبلي الاستهدافي:

قال رسول الله ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثٍ» وذَكَر منهم : «الصَّغِيرَ حَتَّى يَكْبُرَ»[2].وفي رواية: «حَتَّى يَبْلُغَ»[3]. يدل هذا الحديث على أن من لم يَبْلُغ غير مطالب بأداء العبادات، ثم نجد أن النبي ﷺ يأذن للصبي بالحج، "رَفَعَتْ امْرَأَةٌ صَبِيًّا لَهَا . فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلِهَذَا حَجٌّ"؟ قَالَ: «نَعَمْ. وَلَكِ أَجْرٌ»[4]، وقال السَّائِب بْن يَزِيدَ ﷺ : «حُجَّ بِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ»[5]؛ وبايع عبدُ الله بن الزبير رضي الله عنهما النبيَّ ﷺ وهو ابن سبع سنين أو ثمان[6]؛ وأقرَّ ﷺ أصحابه ﷺ على تصويمهم صبيانهم، عَنْ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ رضي الله عنها قَالَتْ : « أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الأَنْصَارِ: مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِه، وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيَصُمْ . قَالَتْ: فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا وَنَجْعَلُ لَهُمْ اللُّعْبَةَ مِنْ الْعِهْنِ . فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَاكَ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الإِفْطَارِ»[7]؛ بل في

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد، ج١، ص٢٥١، ح٩٢٤؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، ج١، ص٥٢٤، ح٧٦١.

(٢) النسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب الطلاق، باب من لا يقع طلاقه من الأزواج، ج٦، ص٤٦٨، ح٣٤٣٢؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدًا، ج٤، ص٥٥٨، ح٤٣٩٨؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم، ج١، ص٦٥٨، ح٢٠٤١؛ وصححه النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص٨٥٥.

(٣) أبو داود، مرجع سابق، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدًا، ج٤، ص٥٦٠، ح٤٤٠٢.

(٤) مسلم، مرجع سابق، كتاب الحج، باب صحة حج الصبي وأجر من حج به، ج٢، ص٩٧٤، ح١٣٣٦؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب مناسك الحج، باب الحج بالصغير، ج٥، ص١٢٨، ح٢٦٤٥؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب المناسك، باب في الصبي يحج، ج٢، ص٣٥٢، ح١٧٣٦.

(٥) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الحج، باب حج الصبيان، ج٢، ص٢٦٦، ح١٨٥٨؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب الحج، باب ما جاء في حج الصبي، ج٣، ص٢٦٥، ح٩٢٥.

(٦) مسلم، مرجع سابق، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته، ج٣، ص١٦٩١، ح٢١٤٦.

(٧) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الصوم، باب صوم الصبيان، ج٢، ص٢٩٦، ح١٩٦٠؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الصيام، باب من أكل في عاشوراء فليكف بقية يومه، ج٢، ص٧٩٨، ح١١٣٦.

بعض العبادات ارتفعت درجة العناية من الإذْن إلى التعليم والتأديب، فأمر النبيُّ ﷺ بتعليم الصبيان الصلاة لسبع سنين، وضرْبهم عليها لعشر[1] .

فكل ذلك لا يُراد منه استهداف الصبيان لهذه المرحلة من العمر، ترغيبًا كان أم ترهيبًا، وإنما الهدف منه تعويدهم الخير، وتدريبهم عليه، وتحبيبه إليهم، وتأصيله في نفوسهم؛ ففي التربية على الصلاة للصبي الذّكَر، يظل عمل المربي -نحو سبع سنين أو ثمان: تعليمًا، وتوجيها، ونصحًا، أو ضربًا- عملاً مستقبليًّا استهدافيًّا يُقصد به -أساسًا- البلوغ. قال النووي في حديث تصويم الصبيان: « وفي الحديث تمرين الصبيان على الطاعات، وتعويدهم العبادات، ولكنهم ليسوا مكلفين»[2].

فالإسلام لا يطالب من لم يبلغ، بأداء الفرائض على سبيل الوجوب، وإنما يطالبهم بها؛ للتنشئة عليها، وتهيئتهم لأدائها عندما تصبح فرضًا عليهم؛ ولذلك من حجَّ صغيرًا فإنَّه لا تُجزئه هذه الحجة عن حجة الإسلام، قال ﷺ: «أَيُّمَا صَبِيٍّ حَجَّ ثُمَّ بَلَغَ الحِنْثَ عَليه أَن يَحُجَّ حَجَّةً أُخرَى»[3].

ومن ناحية أخرى تَظهر في الإسلام العناية الفائقة للمنهج الاستهدافي في الوسائل التي جعلها لتحقيق الأهداف الكبرى في الإسلام، إذْ كانت غاية في الدقة والقوة، حتى لو لم تتحقق هذه الأهداف إلا بإزهاق الأنفس، وقتل الأرواح، وإراقة الدماء، لَلُجِئ إليه بصفته الحل الأخير؛ فتقتل في سبيل تحقيقها أنفس مؤمنة تجاهِد، وأنفس كافرة تجاهَد، قال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ . فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلا بِحَقِّ الإِسْلامِ،

---

(١) الترمذي وقال: "حسن صحيح"، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة، ج٢، ص٢٥٩، ح٤٠٧؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ج١، ص٣٣٢، ح٤٩٤.

(٢) **المنهاج**، مرجع سابق، ص٨٥٥.

(٣) الطبراني، **المعجم الأوسط**، مرجع سابق، ج٣، ص٣٥٣، ح٢٧٥٢؛ وصحح إسناده ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٤، ص٨٥؛ وقال الهيثمي: "رجاله رجال الصحيح" (**مجمع الزوائد**، مرجع سابق، ج٣، ص٤٧٣، ح٥٢٥٤).

وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»[1]. قال ابن حجر: «جعلت غاية المقاتلة وجود ما ذكر»[2]. والحديث موافق لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]. فتشريع الجهاد "يبين إيجابية الإسلام. ويحركه لتحقيق الأهداف النبيلة. وبذلك سبق كثيرًا من الاتجاهات الحديثة. حيث تجند الدول سائر قواها لتحقيق أغراضها»[4].

فأَنْ (يشهد الناس ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) فيدخلون في الإسلام: هدف، (وأن يقيموا الصلاة): هدف، (وأن يؤتوا الزكاة): هدف؛ ويكون تحقيق هذه الأهداف بالدعوة واللين، فإن لم تُقبَل فبالمصالحة -في الهدف الأول- على دفع الجزية ممن تُقبل منهم[5]، ثم بالقتال . وقتال الناس -من الكفار والمسلمين- له ضوابط وشروط وأحوال، أوضحها الفقهاء، ينبغي أن تُعرف، وليس لأحد الخوض في دماء الناس بلا علم راسخ ولا فقه سديد.

المطلب الثالث : دلالته ﷺ على علامات بقاء الخيرية في الأمة؛ لِتعنى بها، وتحرص على أدائها:

١-تعجيل الفطر للصائم: قال رسول الله ﷺ : «لا يَزَالُ النَّاسُ بخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ»[6]، وفي رواية: «لا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ، لأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ»[7].

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ﴾، ج١، ص١٤، ح٢٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ج١، ص٥٣، ح٢٢.

(٢) **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١، ص٩٦ .

(٣) سورة التوبة، الآية: ٥.

(٤) غلوش، مرجع سابق، ص٢٦٢.

(٥) وهم : أهل الكتاب، والمجوس.

(٦) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الصوم، باب تعجيل الإفطار، ج٢، ص٢٩٥، ح١٩٥٧؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه واستحباب تأخيره، ج٢، ص٧٧١، ح١٠٩٨.

(٧) أبو داود، مرجع سابق، كتاب الصيام، باب ما يستحب من تعجيل الفطر، ج٢، ص٧٦٣، ح٢٣٥٣؛ وصحح إسناده الألباني، **مشكاة المصابيح**، مرجع سابق، ج١، ص٦٢٢، ح١٩٩٥، حاشية ١.

٢-تعجيل المغرب، وعدم تأجيلها إلى أن تشتبك النجوم: قال ﷺ: «لا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ، أَوْ قَالَ عَلَى الْفِطْرَةِ، مَا لَمْ يُؤَخِّرُوا الْمَغْرِبَ، إِلَى أَنْ تَشْتَبِكَ النُّجُومُ»[١].

٣-تعظيم الكعبة[٢]: قال ﷺ: «لا تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ بِخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا هَذِهِ الْحُرْمَةَ حَقَّ تَعْظِيمِهَا . فَإِذَا ضَيَّعُوا ذَلِكَ، هَلَكُوا»[٣].

٤-تولي الناس أمر جنائزهم، وعدم إسنادها إلى المغسلين: قال ﷺ: «لا تزالُ أُمَّتي على مَسَكَةٍ من دِينِها ما لم يَكلوا الجنائز إلى أهلها»[٤].

المطلب الرابع : تشريع الوقف:

الوقف هو: «تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة»[٥].

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثَةٍ إِلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ»[٦]. قال النووي: «وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظيم ثوابه»[٧].

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : «أَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ لَمْ أُصِبْ مَالاً قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُ بِهِ ؟ قَالَ : إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا. قَالَ: فَتَصَدَّقَ بِهَا

---

(١) أبو داود، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب في وقت المغرب، ج١، ص٢٩١، ح٤١٨؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب وقت صلاة المغرب، ج١، ص٢٢٥، ح٦٨٩؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الصلاة، ج١، ص٣٠٤، ح٦٨٥.

(٢) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٣، ص٥٢٥ .

(٣) ابن ماجه، مرجع سابق، كتاب المناسك، باب فضل مكة، ج٢، ص١٠٣٨، ح٣١١٠؛ وحسَّن ابن حجر إسناده، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٣، ص٥٢٥ .

(٤) الطبراني، **المعجم الكبير**، مرجع سابق، ج٣، ص٢٣٧، ح٣٢٦٣؛ وقال الهيثمي: "رجاله ثقات". (**مجمع الزوائد**، مرجع سابق، ج٣، ص١٣٧، ح٤١٥٢).

(٥) ابن قدامة، **المقنع**، ومعه كتاب الشرح الكبير، والإنصاف، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة، دار هجر، ١٤١٥هـ)، ج١٦، ص٣٦١.

(٦) مسلم، مرجع سابق، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ج٣، ص١٢٥٥، ح١٦٣١؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب الأحكام، باب في الوقف، ج٣، ص٦٦٠، ح١٣٧٦؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب الوصايا، باب فضل الصدقة عن الميت، ج٦، ص٥٦٢، ح٣٦٥٣؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الوصايا، باب ما جاء في الصدقة عن الميت، ج٣، ص٣٠٠، ح٢٨٨٠.

(٧) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٢٤٥.

عُمَرُ أَنَّهُ لا يُبَاعُ وَلا يُوهَبُ وَلا يُورَثُ . وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الْفُقَرَاءِ وَفِي الْقُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالضَّيْفِ، لا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ، وَيُطْعِمَ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ»[١].

قال الدهلوي : ومن التبرعات : الوقف، «استنبطه النبي ﷺ لمصالح لا توجد في سائر الصدقات، فإن الإنسان ربما يصرف في سبيل الله مالاً كثيرًا، ثم يفنى ، فيحتاج أولئك الفقراء تارة أخرى، ويجيء أقوام آخرون من الفقراء فيبقون محرومين»[٢].

فالوقف يهدف إلى نفع جهتين: الموقِف؛ لاستمرار عمله بعد موته، والموقَف عليه؛ لاستمرار الانتفاع بالوقف.

المطلب الخامس : تنبيه النبي ﷺ إلى أن بعض الأعمال لا تؤثِّر في المستقبل وليس لها علاقة به:

هناك أمور ليست مُحَرَّمة، يُظنُّ أنَّ لها أثرًا في تحقق المستقبل، وتُطلب لذلك، وهي ليست كذلك، مثل: النذر، قال ﷺ :«إِنَّ النَّذْرَ لا يُقَرِّبُ مِنْ ابْنِ آدَمَ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ قَدَّرَهُ لَهُ. وَلَكِنْ النَّذْرُ يُوَافِقُ الْقَدَرَ. فَيُخْرَجُ بِذَلِكَ مِنْ الْبَخِيلِ مَا لَمْ يَكُنْ الْبَخِيلُ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَ»[٣].

« فقد أخبر النبي ﷺ: أن النذر لا يأتي بخير، وأنه ليس من الأسباب الجالبة للخير، أو الدافعة لشر أصلاً»[٤]. وقام في نفوس بعض من نذر نذورًا فتحقق لهم مرادهم[٥]، «أنَّ هذه النذور هي السبب في حصول مطلوبهم، ودفع مرهوبهم. وقد أخبر الصادق المصدوق أن نذر

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف، ج٣، ص٢٤٣، ح٢٧٣٧؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الوصية، باب الوقف، ج٣، ص١٢٥٥، ح١٦٣٢.

(٢) أحمد شاه ولي ابن عبد الرحيم الدهلوي، **حجة الله البالغة**، تحقيق عثمان جمعة ضميرية، ط١، (الرياض، مكتبة الكوثر، ١٤٢٠هـ)، ج٢، ص٩٤٤-٩٤٥.

(٣) متفق عليه: البخاري، الصحيح، مرجع سابق، كتاب القدر، باب إلقاء العبدِ النذرُ إلى القدر، ج٧، ص٢٧١، ح٦٦٠٩؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب النذر، باب النهي عن النذر، وأنه لا يرد شيئًا، ج٣، ص١٢٦٢، ح١٦٤٠.

(٤) ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم**، تحقيق ناصر بن عبد الكريم العقل، ط٢، (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١١هـ)، ج٢، ص٧١٤.

(٥) المرجع نفسه، ج٢، ص٧١٥.

طاعة الله -فضلاً عن معصيته- ليس سببًا لحصول الخير، وإنما الخير الذي يحصل للناذر يوافقه موافقة»[1]، ليس للنّذر دخل فيها.

المطلب السادس : إباحة الشروط، والحث على الوفاء بها:

يَشترِط المشترط -غالبــًا- ليحترز من أمور مستقبلية يخشاها، ويحتاط لأمور مستقبلية يريدها، وقد أباح الرسول ﷺ الشروط، إلا ما أَحَلَّ حرامــًا أو حرم حلالاً، قال رسول الله ﷺ: «الصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ . إلا صُلْحًا حَرَّمَ حَلالاً أَوْ أَحَلَّ حَرَامًا . وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ، إلا شَرْطًا حَرَّمَ حَلالاً أَوْ أَحَلَّ حَرَامًا»[2]. وقال ﷺ: «أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ»[3].

وأرشد النبي ﷺ من خشي عدم استطاعته إكمال الحج أن يشترط، وهذا فيه احتيــاط مستقبلي للعبادة، "دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ لَهَــا: «لَعَلَّــكِ أَرَدْتِ الْحَجَّ» قَالَتْ: وَاللَّهِ لا أَجِدُنِي إلا وَجِعَةً، فَقَالَ لَهَا: «حُجِّي وَاشْتَرِطِي، وَقُولِي اللَّهُمَّ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي»[4]. وهذا الاشتراط يكون عند توقع عدم الاستطاعة؛ إذْ أن النبي ﷺ "لم يكن يأمر بذلك كل من حج "[5].

وعُني المحدِّثون بأحاديث الشروط، فعقدوا لها أبوابــًا، ويُعدُّ الإمام أحمد -كما يقــول ابن تيمية-: أكثر الفقهاء الأربعة تصحيحًا للشروط[6].

---

(١) نفسه، ج٢، ص٧١٥.

(٢) الترمذي وقال: "حسن صحيح"، مرجع سابق، كتاب الأحكام، باب ما ذكر عن رسول الله ﷺ في الصلح، ج٣، ص٦٣٥، ح١٣٥٢.

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الشروط، باب الشروط في المهر عند عقد النكاح، ج٣، ص٢٣٢، ح٢٧٢١؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب الوفاء بالشروط في النكاح، ج٢، ص١٠٣٦، ح١٤١٨.

(٤) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، ج٦، ص١٤٩، ح٥٠٨٩؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الحج، باب جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض، ج٢، ص٨٦٨، ح١٢٠٧.

(٥) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٦، ص١٠٦-١٠٧.

(٦) المرجع نفسه، ج٢٩، ص١٣٢- ١٣٣.

المطلب السابع : العمل على الاحتياط:

سأل رجل رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ اللُّقَطَة، فقَالَ ﷺ : «عَرِّفْهَا سَنَةً ثُمَّ اعْرِفْ وِكَاءَهَا وَعِفَاصَهَا، ثُمَّ اسْتَنْفِقْ بِهَا، فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ»[1]. وهذا من العدل، والاحتياط لحفظ الحقوق من الضياع، وإنْ تطاول عليها الزمان .

وقال ﷺ: «لا تُقْطَعُ الأَيْدِي فِي الْغَزْوِ»[2]. وفيه مراعاة العوامل النفسية، والاحتياط في الأحوال المساعدة للنفس في جنوحها نحو الأسوأ.

وليس كل احتياط مشروعًا، فلا صيام قبل رمضان احتياطًا له، ولا دخول في عقود التأمين على المستقبل، في قول جمهور العلماء المعاصرين.

المطلب الثامن : نهي النبي ﷺ عن ترك النكاح؛ حفاظًا على مستقبل المسلمين:

عن سَعْد بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قال: «رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لاخْتَصَيْنَا»[3]. «قال العلماء : التبتل: هو الانقطاع عن النساء وترك النكاح انقطاعًا إلى عبادة اللَّه... قوله: «رد عليه التبتل» معناه : نهاه عنه»[4].

«والحكمة في منعهم... إرادة تكثير النسل ليستمر جهاد الكفار، وإلا لو أذن في ذلك لأوشك تواردهم عليه فينقطع النسل فيقل المسلمون بانقطاعه ويكثر الكفار ، فهو خلاف المقصود من البعثة المحمدية»[5]، وفي هذا تتجلى النظرة المستقبلية لدى الرسول ﷺ لنتائج التبتل، وأن فيه تقليلاً للأمة، و لم يكتف الرسول ﷺ بذلك، بل حث أمته على النكاح، ورغب في نكاح الودود الولود.

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب في اللقطة، باب إذا جاء صاحب اللقطة بعد سنة ردها عليه، ج٣، ص١٣٠، ح٢٤٣٦؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب اللقطة، بابٌ، ج٣، ص١٣٤٨، ح١٧٢٢.

(٢) الترمذي، مرجع سابق، كتاب الحدود، باب ما جاء أن لا تقطع الأيدي في الغزو، ج٤، ص٤٣، ح١٤٥٠؛ وصحح إسناده الألباني، **مشكاة المصابيح**، مرجع سابق، ج٢، ص١٠٦٨، ح٣٦٠١، حاشية ١.

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء، ج٦، ص١٤٥، ح٥٠٧٣؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤونة، ج٢، ص١٠٢٠، ح١٤٠٢.

(٤) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٠٥٢.

(٥) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٩، ص٢١ .

المطلب التاسع : توجيهُ النبي ﷺ إلى أن ينظر المسلم في حال ذريَّته وورثته بعد موته، وتشريعه ﷺ في الوصية بما يوافق ذلك:

عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاص ﷺ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنْ الْوَجَعِ، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلا يَرِثُنِي إِلا ابْنَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ : «لا». فَقُلْتُ: بِالشَّطْرِ؟ فَقَالَ: «لا». ثُمَّ قَالَ: «الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ -أَوْ كَثِيرٌ- إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ»[١].

المطلب العاشر : امتناعه ﷺ عن تشريع أمور، أو المداومة على فعلها فتصير واجبة؛ خشية أن يشق على أمته، وأن يعجزوا عن أدائها؛ وامتناعه ﷺ عن فعل أشياء خشية آثارها المستقبلية:

قال ﷺ: «لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي -أَوْ عَلَى النَّاسِ- لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاةٍ»[٢].

ولما صلى النبي ﷺ بالناس العشاء قريبًا من منتصف الليل، قال: «لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُصَلُّوا هَكَذَا»[٣].

وامتنع ﷺ من القيام بالناس في ليالي رمضان، بعد أن قام بهم ثلاث ليال، وقال: «خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ صَلاةُ اللَّيْلِ. فَتَعْجِزُوا عَنْهَا»[٤].

وهذا الامتناع يحصل من خلال تدبر ما ينتج عن أمره أو فعله ﷺ، من حصول المشقة أو عدمها، أو أنْ يترتب على الاستمرار في الفعل إيجاب له، وهو تفكير مستقبلي لنتائج

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجنائز، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة ﷺ، ج٢، ص١٠٢، ح١٢٩٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، ج٣، ص١٢٥٠، ح١٦٢٨.

(٢) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، ج١، ص٢٤١، ح٨٨٧؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الطهارة، باب السواك، ج١، ص٢٢٠، ح٢٥٢.

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب مواقيت الصلاة، باب النوم قبل العشاء لمن غُلب، ج١، ص١٦١، ح٥٧١؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب وقت العشاء وتأخيرها، ج١، ص٤٤٤، ح٦٤٢.

(٤) متفق عليه: سبق تخريجه ص ٤٣٤، حاشية ١ .

الفعل أو تركه؛ فالسواك إذا كان مع كل صلاة، فإن يتكرر في اليوم والليلة كثيرًا، وقد لا يتيسر الحصول عليه لكل أحد، وهذا فيه مشقة؛ وتأخير العشاء يتكرر يوميًا، وهذا يشق على الناس في الانتظار الطويل، وأكثر الناس ليس لديهم أعمال في الليل يؤدلها إلى أنْ يحين هذا الوقت، بل كان وقت راحتهم ونومهم .

ومن حرصه ﷺ على ألا يَشُقَّ على أُمَّته: أنه أحيانًا يفعل بعض السنن، ثم يَودُّ أنه ما فعلها؛ خوفًا من إلحاق المشقة بأمَّته من بعده، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: خَرَجَ النَّبيُّ ﷺ مِنْ عِنْدِي، وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ طَيِّبُ النَّفْسِ . فَرَجَعَ إِلَيَّ وَهُوَ حَزِينٌ فَقُلْتُ لَهُ؟ فَقَالَ «إِنِّي دَخَلْتُ الْكَعْبَةَ وَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ فَعَلْتُ . إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ أَتْعَبْتُ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي»(١).

وامتنع النبي ﷺ عن قتل مَن أظهر النفاق، وقتْل نابتة الخوارج(٢)، وكان يقول: «لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»(٣). «وفيه ترك بعض الأمور المختارة، والصبر على بعض المفاسد خوفًا من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم منه»(٤) .

وتَرَكَ ﷺ بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام، وقال لعائشة رضي الله عنها: «وَلَوْلا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالأَرْضِ»(٥). «ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة، ومنه ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه، وأن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم

---

(١) الترمذي وقال: "حسن صحيح"، مرجع سابق، كتاب الحج، باب ما جاء في دخول الكعبة، ج٣، ص٢٢٣، ح٨٧٣؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب المناسك، باب في دخول الكعبة، ج٢، ص٥٢٦، ح٢٠٢٩؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب المناسك، باب دخول الكعبة، ج٢، ص١٠١٨، ح٣٠٦٤.

(٢) وهو رجل أتى رسولَ الله ﷺ بالجعرانة منصرفه من حنين، وهو يُعطي الناس من فضة في ثوب بلال ﷺ، فقال: يا محمد اعدل. (تخريجه في الحاشية التالية).

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب قوله : (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم)، ج٦، ص٧٨، ح٤٩٠٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا، ج٤، ص١٩٩٩، ح٢٥٨٤؛ وحديث الخوارج: مسلم، نفسه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاقم، ج٢، ص٧٤٠، ح١٠٦٣.

(٤) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٨٤٧.

(٥) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، ج٢، ص١٩٠، ح١٥٨٤؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الحج، باب جدر الكعبة وبابها، ج٢، ص٩٧٣، ح١٣٣٣.

ولو كان مفضولاً ما لم يكن محرمًا»[1]، «وفيه اجتناب ولي الأمر ما يتسرع الناس إلى إنكاره وما يخشى منه تولد الضرر عليهم في دين أو دنيا»[2] .

المطلب الحادي عشر : عدم تقدير الأمور وفق الحاضر بل لا بد من مراعاة المستقبل:

عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ»؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : «فَلا تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا . وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ». فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قَالَ: «فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلام وَلا تَزِدْ عَلَيْهِ». قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلام؟ قَالَ: «نِصْفَ الدَّهْرِ». وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ: يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ ﷺ[3]. وفي رواية: «قَالَ فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ . قَالَ : وَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّكَ لا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمْرٌ . قَالَ : فَصِرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ . فَلَمَّا كَبِرْتُ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قَبِلْتُ رُخْصَةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ »[4]. وفي رواية: «فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَصُومُ ذَلِكَ الصِّيَامَ حَتَّى أَدْرَكَهُ السِّنُّ وَالضَّعْفُ كَانَ يَقُولُ لأَنْ أَكُونَ قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي»[5]. فهذا نموذج لغياب النظر المستقبلي وبعض آثاره . والمسْلم – وإن كان حريصًا على الخير– ينبغي له أنْ يُراعي المستقبل في عباداته، ولا يُكلِّف نفسه ما يَظنُّ أنه يعجز عنه مستقبلاً.

---

(١) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١، ص٢٧١.

(٢) المرجع نفسه، ج٣، ص٥٢٤ .

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، ج٢، ص٣٠٠، ح١٩٧٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، ج٢، ص٨١٢، ح١١٥٩.

(٤) مسلم، مرجع سابق، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، ج٢، ص٨١٣، ح١١٥٩.

(٥) المرجع نفسه، ج٢، ص٨١٢، ح١١٥٩؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب الصيام، باب صوم يوم وإفطار يوم، ج٤، ص٥٢٨، ح٢٣٩١.

المطلب الثاني عشر : الاشتراط، والعزم على الفعل وفق ما اشترطه ﷺ :

كان النبي ﷺ يَشترط أمورًا، ويَعزم على الفعل وفق ما اشترطه، وكان يَشترط بحرف (إنْ)، و(لو) .

ومن الاشتراطات التي توفي النبي ﷺ قبل تحققها: الحج متمتعًا وعدم سوق الهدي، قال ﷺ: «لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الْهَدْيَ وَلَحَلَلْتُ مَعَ النَّاسِ حِينَ حَلُّوا»[١]. ومنها: أنَّ النبي ﷺ لـمَّا صام يوم عَاشُوراءَ قَالَ : «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ»[٢]، «فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»[٣].

واشترط النبي ﷺ أشياء مستحيلة، فقَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ : «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ»[٤]؛ لأنه أجار النبي ﷺ عند ما رجع من الطائف، وكف أذى المشركين عنه[٥]؛ ومن فوائد هذا الافتراض ما ذكره ابن بطَّال: أنه ﷺ يُنَبِّهِ إلى حكم شرعي لمن بعده في جواز أن يَمنَّ الإمام على الأسرى بغير فداء[٦].

المطلب الثالث عشر : حمايته ﷺ عقيدة المسلم من دخول الخلل إليها، وسده الذرائع الموصلة إلى ذلك:

قال ﷺ: «لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا؛ وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ »[٧]. فنهى ﷺ أن يُجعل قبره مَجمعًا كالأَعيَاد التي يجتمع النَّاس لها[٨]؛

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب التمني، باب قول النبي ﷺ: لو استقبلت من أمري ما استدبرت، ج٨، ص١٦٤، ح٧٢٢٩؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج، ج٢، ص٨٨٤، ح١٢١٦.

(٢) مسلم، مرجع سابق، كتاب الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء، ج٢، ص٧٩٨، ح١١٣٤؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الصيام، باب صيام يوم عاشوراء، ج١، ص٥٥٢، ح١٧٣٦.

(٣) مسلم، مرجع سابق، كتاب الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء، ج٢، ص٧٩٨، ح١١٣٤؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الصوم، باب ما روي أن عاشوراء اليوم التاسع، ج٢، ص٨١٩، ح٢٤٤٥.

(٤) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب فرض الخمس، باب ما مَنَّ النبي ﷺ على الأسارى من غير أن يُخمَّس، ج٤، ص٦٧، ح٣١٣٩؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب في المن على الأسير بغير فداء، ج٣، ص١٣٨، ح٢٦٨٩.

(٥) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٧، ص٣٧٦ .

(٦) المرجع نفسه، ج٦، ص٢٨٠ .

(٧) أبو داود، مرجع سابق، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، ج٢، ص٥٣٤، ح٢٠٤٢؛ وصحح إسناده النووي، **الأذكار**، مرجع سابق، ص٢٠٦.

(٨) **تعليقات ابن القيم على سنن أبي داود**، بحاشية العظيم آبادي، ج٦، ص٢٣.

سدًّا لباب الغلو فيه ﷺ، وبَوَّب محمد بن عبد الوهاب: «باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حِمَى التوحيد وسدِّهِ طرق الشرك»[1]، ومَن تأمل سُنَّته ﷺ رأى نصوصًا كثيرة تحث على القيام بكل ما يقوي التوحيد، وينميه، من التعلق بالله سبحانه، ونصوصًا في الحذر مما يُنافي التوحيد أو كماله، من التعلق بالمخلوقين، والغلو فيهم، والتشبه بالمشركين، أو التحذير من أقوال قد تكون وسيلة إلى الشرك، كل ذلك حماية للتوحيد[2].

المطلب الرابع عشر : عناية النبي ﷺ بالتحذير من الأسباب التي كانت سببًا في هلاك الأمم السابقة؛ حماية لأمَّته، وصيانة لها؛ وفيه العناية بالعبر التاريخية وعدم إهمالها في التوجه إلى المستقبل:

في الوقت الذي كان ينهى فيه الرسول ﷺ عن مشابهة أهل الكتاب، ويدعوا إلى مخالفتهم ومفارقتهم، نجده ﷺ يُكثر الحديث عنهم، ويأذن فيه، عن عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنهما قَالَ : «كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُنَا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى يُصْبِحَ، مَا يَقُومُ إِلا إِلَى عُظْمِ صَلاةٍ[3]»[4]. وقَالَ ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ»[5].

هذا وهُمْ من الأمم الهالكة، المغضوب عليها، فلا بدَّ من وجود حكمة من التحديث عنهم والإذن فيه؛ ومن يستعرض جملة من سنته ﷺ يجد أن (الاعتبار) كان المقصد الأساس من ذلك، فيفيدُ ﷺ من قصصهم في الجوانب الحسنة، ويُنبه إلى الجوانب السيئة، ويتعرَّف على أسباب هلاكهم، ويحذِّر أُمَّته من مقارفتها، وهذا يُبرز عناية النبي ﷺ بعِبَرِ التاريخ .

---

(١) **كتاب التوحيد**، (د.م، د.ن، د.ت)، ص٨٣.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **المجموعة الكاملة لمؤلفاته**، ط٢، (عنيزة، مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤١٢هـ)، ج٣ ، ص٢٨.

(٣) "عُظْم الشيء: أكْبَرُه، كأنه أرادَ لا يقُوم إلا إلى الفريضة ". (ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج٣، ص٢٦٠، مادة : (عظم)).

(٤) أبو داود، مرجع سابق، كتاب العلم، باب الحديث عن بني إسرائيل، ج٤، ص٧٠، ح٣٦٦٣؛ وصححه الحاكم بلفظ: "يحدثنا عامة ليله"، ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب التفسير، ج٢، ص٤١١، ح٣٤٣٢.

(٥) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج٤، ص١٧٥، ح٣٤٦١؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب العلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل، ج٥، ص٣٩، ح٢٦٦٩.

فكثيرًا ما كان النبي ﷺ ينظر إلى أحوال متفرقة في الأمم السابقة، ويحذر أمته أن تقع في مثلها، مصرِّحًا بأنها كانت سببًا في هلاك السابقين: فنهى ﷺ عن الغلو في الدِّين[1]، والتنازع في القَدَر[2]، وحذَّر من الاختلاف في الكِتَاب[3]، وكثرة السؤال في الدِّين والاختلاف على النبي ﷺ[4]، والاختلاف فيما بينهم[5]، واتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد[6]، والتمييز بين الناس في إقامة الحدود[7]، وتضييع صلاة العصر[8]، وتنافس الدنيا[9]، والشح[10]، وفتنة الدينار والدرهم[11]، وفتنة النساء[12].

---

(١) النسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، ج٥، ص٢٩٦، ح٣٠٥٧؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، ج٢، ص١٠٠٨، ح٣٠٢٩؛ وصححه الألباني، **صحيح سنن ابن ماجه**، ط١، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ)، ج٢، ص١٧٧.

(٢) الترمذي، مرجع سابق، كتاب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، ج٤، ص٣٨٦، ح٢١٣٣؛ وحسنَّه الألباني، **مشكاة المصابيح**، مرجع سابق، ج١، ص٣٦، ح٩٨، حاشية ٥.

(٣) مسلم، مرجع سابق، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، ج٤، ص٢٠٥٣، ح٢٦٦٦.

(٤) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ج٨، ص١٨٠، ح٧٢٨٨؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، ج٢، ص٩٧٥، ح١٣٣٧.

(٥) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم، ج٣، ص١٢١، ح٢٤١٠.

(٦) مسلم، مرجع سابق، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، ج١، ص٣٧٨، ح٥٣٢.

(٧) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ج٤، ص١٨١، ح٣٤٧٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، ج٣، ص١٣١٥، ح١٦٨٨.

(٨) مسلم، مرجع سابق، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها، ج١، ص٥٦٨، ح٨٣٠؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب المواقيت، باب تأخير المغرب، ج١، ص٢٨١، ح٥٢١.

(٩) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المغازي، بابٌ، ج٥، ص٢٣، ح٤٠١٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الزهد والرقائق، بابٌ، ج٤، ص٢٢٧٤، ح٢٩٦١.

(١٠) مسلم، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج٤، ص١٩٩٦، ح٢٥٧٨.

(١١) الطبراني، **المعجم الكبير**، مرجع سابق، ج١٠، ص١١٧، ح١٠٠٦٩؛ وصححه الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، ج٤، ص٢٧٩، ح١٧٠٣.

(١٢) مسلم، مرجع سابق، كتاب الذكر والدعاء، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، ج٤، ص٢٠٩٨، ح٢٧٤٢.

المطلب الخامس عشر : دلالة النبي ﷺ على التوجه الإيجابي نحو المستقبل، وقطع النظر السلبي تجاه الماضي:

إذا كُنّا نستطيع تأمل الماضي ودراسته، ولا نقدر على تغيير شيء حسي فيه، فإنّ دراساتنا عن المستقبل -برؤية إسلامية- تمكننا -بإذن الله تعالى- من التأثير فيه، وصياغته، وصناعته، وتُعطينا نظرة إيجابية نحوه، وقد حث النبي ﷺ على التوجه نحو المستقبل بإيجابية، وحذر من الانكفاء السلبي على الماضي والتقوقع في دائرته، قال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّه مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيف . وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ . احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّه. وَلا تَعْجَزْ . وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا . وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللَّه . وَمَا شَاءَ فَعَلَ . فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَان »[(١)]؛ «وذلك لأن قوله: لو كنتُ فعلتُ كذا وكذا، لم يَفُتْني ما فاتني، أو لم أقع فيما وقعت فيه، كلامٌ لا يُجدي عليه فائدةً البتة، فإنه غيرُ مستقبلٍ لما استدبر من أمره، وغير مستقيلٍ عَثْرَتَه بـ «لو» »[(٢)].

فالمؤمن القَوِيّ في أَعمَال البرّ، المتحمل مَشَاقّ الطَّاعَة، الصابر على البلاء، الـمُتَيَقِّظ في الأُمُور، المُهتَدِي إِلى التَّدبير والـمَصلَحَة بالنَّظر إِلى الأَسبَاب واستعمال الفكر في العاقبة[(٣)]- وهذه من مظاهر القوة- أَحَبُّ إِلى اللَّه من المؤمن الضَّعيف؛ لأن الله سبحانه "يلومُ على العجز، ويحب الكَيْسَ، ويأمر به، والكَيْسُ: هو مباشرة الأسباب التي ربط الله بها مُسَبِّباتِها النافعة للعبد»[(٤)]، و«التيقظ في الأمور»[(٥)].

وكَانَ النَّبيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ»[(٦)]. «فقال : «أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ» وهما قرينان، فإن المكروه الوارد على القلب ينقسم

---

(١) مسلم، مرجع سابق، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، ج٤، ص٢٠٥٢، ح٢٦٦٤؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب المقدمة، باب في القدر، ج١، ص٣١، ح٧٩ .

(٢) ابن القيم، **زاد المعاد**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٥٧.

(٣) السندي، **سنن ابن ماجه بشرح أبي الحسن الحنفي السندي**، تحقيق خليل مأمون شيحا، (بيروت، دار المعرفة، ١٤١٦هـ)، ج١، ص٦١.

(٤) ابن القيم، **زاد المعاد**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٥٧.

(٥) السندي، مرجع سابق، طبعة دار المعرفة، ج١، ص٦١.

(٦) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من الجبن والكسل، ج٧، ص٢٠٥، ح٦٣٦٩؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب ما جاء في جامع الدعوات عن النبي ﷺ، ج٥، ص٤٨٦، ح٣٤٨٤؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الهم، ج٨، ص٦٥٠، ح٥٤٦٥؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة، ج٢، ص١٨٩، ح١٥٤٠، ١٥٤١.

باعتبار سببه إلى قسمين، فإنه إما أن يكون سببه أمرًا ماضيًا، فهو يُحدثُ الحَزَنَ، وإما أن يكون توقع أمر مستقبل، فهو يُحدِث الهم، وكلاهما مِن العجز، فإن ما مضى لا يُدفع بالحزن، بل بالرضى، والحمد، والصبر، والإيمان بالقدر، وقول العبد: قدر الله وما شاء فَعَلَ. وما يُستقبل لا يُدفع أيضًا بالهمِّ، بل إما أن يكون له حيلة في دفعه، فلا يعجز عنه، وإما أن لا تكون له حيلة في دفعه، فلا يجزع منه، ويلبسُ له لباسه، ويأخذُ له عُدته، ويتأهّبُ له أهبته اللائقة به، ويَستَجَنُّ بجُنَّة حصينة من التوحيد، والتوكل، والانطراح بين يدي الرب تعالى، والاستسلام له والرضى به ربًا في كل شيء، ولا يرضى به ربًا فيما يحب دون ما يكره، فإذا كان هكذا، لم يرضَ به ربًا على الإطلاق، فلا يرضاه الرب له عبدًا على الإطلاق، فالهمُّ والحَزَنُ لا ينفعان العبد البتة، بل مضرهما أكثر من منفعتهما، فإنهما يُضعفان العزم، ويُوهنان القلبَ، ويحولان بين العبد وبين الاجتهاد فيما ينفعه، ويقطعان عليه طريق السير، أو يُنكسانه إلى وراء، أو يَعوقانه ويَقِفَانه، أو يَحجُبانه عن العَلَمِ الذي كلما رآهُ، شمَّر إليه، وجدَّ في سيره، فهما حِمل ثقيل على ظهر السائر»[1].

«إنَّ الذي يتعيَّن بعد وقوع المقدور التسليمُ لأمر اللّه، والرضى بما قدَّره الله تعالى، والإعراض عن الالتفات لما مضى وفات . فإن افتكر فيما فاته من ذلك وقال: لو أني فعلت كذا لكان كذا جاءته وساوس الشيطان، ولا تزالُ به حتى تفضي به إلى الخسران؛ لتعارض توهُّم التدبير سابق المقادير، وهذا هو عمل الشيطان الذي نهى عنه النبي ﷺ»[2] .

فإذا أغلق المسلم باب التحسر على الماضي والأسف عليه، دفعه هذا إلى الانطلاق نحو المستقبل؛ للتعويض عن الماضي، وللحذر عمَّا حصل في الماضي أن يقع له مثله في المستقبل، وصار لديه حرص على ما ينفعه، وارتفع عنه العجز والكسل.

و«لقد كان رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يمضي على نور الوحي نحو المستقبل، غير ملتفت للوراء، ولا مكترث بما يحدثه... الراغبون في منعه من بناء المستقبل. ذلك أن الإسلام دينًا ومجتمعًا يهتم أساسًا بالرؤية نحو الآفاق، بغية التحفيز على العمل في الدنيا

---

(١) ابن القيم، **زاد المعاد**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٥٨-٣٥٩.

(٢) أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، تحقيق محيي الدين مستو، ويوسف بديوي، وأحمد السيد، ومحمود بزّال، (دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٧هـ)، ج٦، ص٦٨٣.

والآخرة، وينهى عن الكر إلى الماضي والتقوقع في دوامة قضايا الواقع المجرد من دوافعه الماضية، ونتائجه المقبلة»[1].

المطلب السادس عشر: من الأمور التي جلاّها النبي ﷺ بأنها لن تكون في المستقبل:

قال رسول الله ﷺ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي»[2]. وقال ﷺ: «وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لا نَبِيَّ بَعْدِي»[3]. وقال ﷺ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»[4].

فبيَّن ﷺ أنه خاتم النبيين، وأكّد أنّه لا نبي بعده، وأكّده تارة أخرى بضرب المَثَل؛ لتمكين المعنى من نفس السامعين له، ويكون المراد منه ماثلاً لهم؛ فيستحضرون هذا المعنى دومًا؛ وذلك حرصًا منه ﷺ على تجلية هذا الأمر؛ لِمَا عَلِمه بالوحي أنه سيكون بعده كذّابون مدعون للنبوة، فحذّر أمته من الاغترار بهم، مُنوِّعًا الأساليب في ذلك؛ وهذا يُفيد عناية النبي ﷺ بمستقبل أمته، وحرصه ﷺ على حمايتها من الدجّالين الأدعياء، الذين هم « ألد أعداء الإسلام وأدهاهم وأمكرهم، وأضر على الإسلام والمسلمين، وأنفع لأعداء الإسلام والكائدين له»[5].

---

(١) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٢٧٤-٢٧٥ .

(٢) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج٤، ص١٧٤، ح٣٤٥٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، ج٣، ص١٤٧١، ح١٨٤٢.

(٣) أبو داود، مرجع سابق، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، ج٤، ص٤٥١، ح٤٢٥٢؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن، ج٢، ص١٣٠٤، ح٣٩٥٢؛ وصحح إسناده الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، ج٤، ص٢٥٢،ح١٦٨٣.

(٤) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، ج٤، ص١٩٦، ح٣٥٣٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، ج٤، ص١٧٩٠، ح٢٢٨٦.

(٥) أبو الحسن علي الحسني الندوي، **النبوة والأنبياء في ضوء القرآن**، ط٧، (دمشق، دار القلم، ١٤٢٠هـ)، ص١٦٢.

المبحث الثالث

النظرة المستقبلية في تنظيم المجتمع الإسلامي، وآدابه، وأخلاقه، ومعاملاته

المطلب الأول : حماية النبي ﷺ للروابط الاجتماعية مما يؤثر فيها، وعنايته بمقومات النجاح المستقبلي للمجتمع :

عندما يكون للمجتمع ضوابط صحيحة يسير على وفقها، وآدابٌ حسنة يتأدب أفراده بها، يسود هذا المجتمع التماسك والقوة، ويقطع السبيل أمام نشوء المشكلات، والعداوات، والمخاصمات، والمقاطعات، والتنافر، والتباغض؛ ويكون بذلك حقق مقومات النجاح المستقبلي المجتمعي .

وقد حرص النبي ﷺ على أن يسود المجتمع الإسلامي التآخي والترابط، فدلَّ على جملة من الآداب التي تزيد من ترابطه، وحذَّر من جملة من التصرفات تؤثِّر فيه .

فحثَّ على إفشاء السلام، والمصافحة، وصلة الأرحام، وحفظ حقوق الجار، والإحسان إلى الناس، وإصلاح ذات الْبَيْنِ، وأداء الأمانة، وإجابة دعوة المسلم، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتقديم العزاء والمواساة، وكفالة اليتيم وحسن التعامل معه، والعناية بالأرامل، ونفع الناس، والعدل مع الناس، وبين الزوجات، وبين الأولاد، والتناصح، وكف الأذى، وتفريج الكرب، والتيسير على المعسر، والتعاون على البر والتقوى، والضيافة، وإكرام الضيف، والصَّدَقة، والتهادي، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وأن يُوقِّر الصغيرُ الكبيرَ، ويرحم الكبيرُ الصغير.

ونهى عن الهجر، والغيبة، والنميمة، والحسد، وأن يحقر المسلم أخاه المسلم، أو يبغي عليه، أو يفخر عليه، وأن يخطب الرجل على خطبة أخيه، وأن تسأل المرأة طلاق أختها، وعن تتبع عورات الناس؛ لأن تتبعها يفسدهم، وأن تُنكح المرأة على عمتها أو خالتها؛ لتبقى روابط الرحم سليمة .

وحذَّر من إفساد ذَاتِ الْبَيْنِ وهو التسبب في المخاصمة والمشاجرة بين اثنين أو قبيلتين[1]، ومِن أخذ الرشوة: وهي من الأمور التي تفتك بالمجتمعات، وتعيق تقدمها وازدهارها .

تلك أمثلة على حماية الرسول ﷺ للروابط الاجتماعية، وتقويته لها، و"الإسلام دين شامل ينتظم علاقات المجتمع كلها، ويهتم بارتقائها إلى أعلى مستوى من التعامل الرفيع، والتعاون البديع"[2].

المطلب الثاني : حثه ﷺ على تزويج مَرْضِيِّ الدِّين والخُلق إذا خطب؛ درءًا للفتن والفساد العريض:

قال رسول الله ﷺ: « إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ، فَزَوِّجُوهُ . إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»[3]؛ لأن عدم تزويجه يجعل كثيرًا من النساء بلا أزواج، وكثيرًا من الرجال بلا زوجات؛ فيكثر الافتتان بالزِّنَى، وربما يَلْحَقُ الأولياءَ عَارٌ؛ فَتَهِيجُ الفتن[4]. كان أبو مسلم الخولاني يقول: « يا معشر خولان زوجوا شبابكم وأيامكم، فإن النعظ[5] أمر عارم، فأعدوا له عدته واعلموا أن ليس لمنعظ إذن»[6]. فالنظرة المستقبلية عند الرسول ﷺ تستهدف منع ظهور المشكلات أساسًا.

---

(١) محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، ط٢، (المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ١٣٨٥هـ)، ج٧، ص٢١١؛ نقلاً عن المناوي.

(٢) أكرم ضياء العمري، **التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام**، (الرياض، دار إشبيليا، ١٤١٧هـ)، ص٢٤٧.

(٣) الترمذي، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، ج٣، ص٣٩٤، ح١٠٨٤؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب الأكفاء، ج١، ص٦٣٣، ح١٩٦٧؛ وحسنَّه الألباني، **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، ط٢، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ)، ج٦، ص٢٦٦، ح ١٨٦٨.

(٤) المباركفوري، مرجع سابق، طبعة المكتبة السلفية، ج٤، ص٢٠٤.

(٥) النَّعْظُ، والنَّعَظُ: هيجان الشهوة. (الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص٩٠٣، مادة : (نعظ)) .

(٦) محمد بن جعفر بن محمد الخرائطي، **اعتلال القلوب**، تحقيق حمدي الدمرداش، ط٢، (مكة المكرمة، مكتبة نزار الباز، ١٤٢٠هـ)، ج١، ص١٠٥، أثر٢٠٤.

المطلب الثالث : دلالة النبي ﷺ على عدد من الأخلاق الحسنة التي تؤثر إيجابـــاً في المستقبل:

من ذلك البِّر، وصلة الرحم، وحُسْن الجوَار، وَحُسن الخُلُق، فإنها تُؤدي إلى الثَّرَاء فِـــي المَال، والزيادة في الأعمار، قال ﷺ : «لا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إلا الدُّعَاءُ وَلا يَزِيـــدُ فِـــي الْعُمْـــرِ إلا الْبِرُّ»[1]، وقال ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَـــهُ »[2]. وقال ﷺ: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الأَهْـــلِ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ»[3]، «ومعنى قوله «مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ» يَعني زيادةً في العُمر»[4]. وقال ﷺ: «وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُـــرَانِ الـــدِّيَارَ، وَيَزِيـــدَانِ فِـــي الأَعْمَارِ»[5].

ومن ذلك: الصِّدق، قال ﷺ : «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّـــةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»[6]. فالنبي ﷺ يبيِّن أن للصدق أثرًا تراكميًّا، يصل بصاحبه بعد زمن حتى يكون صِدِّيقًا، كما أن الكذب مثله، يصل بصـــاحبه إلى أن يُكتب عند الله كذابـــاً.

---

(١) الترمذي وقال: "حسن غريب"، مرجع سابق، كتاب القدر، باب ما جاء في لا يرد القـــدر إلا الـــدعاء، ج٤، ص٣٩٠، ح٢١٣٩؛ وحسَّنه الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، ج١، ص٢٣٨،ح١٥٤.

(٢) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الـــرحم، ج٧، ص٩٦، ح٥٩٨٦؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ج٤، ص١٩٨٢، ح٢٥٥٧.

(٣) الترمذي، مرجع سابق، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في تعليم النسب، ج٤، ص٣٠٩، ح١٩٧٩؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب البر والصلة، ج٤، ص١٧٨، ح٧٢٨٤.

(٤) الترمذي، المرجع نفسه .

(٥) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٤٢، ص١٥٣، ح٢٥٢٥٩؛ وقال ابن حجر : "رجاله ثقات"، **فتح البـــاري**، مرجع سابق، ج١٠، ص٤٢٩ .

(٦) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)، ج٧، ص١٢٤، ح٦٠٩٤؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ج٤، ص٢٠١٢، ح٢٦٠٧.

وللصِّدق معان، منها: «صدق في القول، وصدق في النية والإرادة، وصدق في العـــزم، وصدق في الوفاء بالعزم، وصدق في العمل»[1].

وقد عاقب الله سبحانه أناســًا بالنفاق في قلوبهم؛ لَمَّا تركوا الصدق فيما وَعدوا به، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝٧٦ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾[2].

وللصدق أثر في حصول الزيادة والنماء في البيع، وبعكسه الكذب، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا. فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا . وَإِنْ كَـذَبَا وكَتَمَـا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»[3].

وللصدق أثر في الصحة الجسمية والنفسية، فإنَّ دراسات كثيرة أثبتت أنه يُنشِّط المناعة في الجسم، بينما الكذب يثبطها ويضعفها، ويَعدُّ الأطباءُ والمربُّون الصدق علامة جيـــدة في الصحة النفسية، ويَعدُّون الكذب من عوامل وَهن الصحة النفسية والجسمية[4].

والصدق له أثرٌ في صناعة المستقبل، ونجاح الدراسات المستقبلية والتخطيط، فإذا أخلص المستقبلي والمخططُ العمل لله تعالى وتبعهم في ذلك من يُناط بهم نجـــاح العمـــل وبنـــاؤه، وصدقوا الله في ذلك فإنَّ الله يَصْدُقهم، ويحقق تخطيطهم على ما أرادوا، أو خيرًا منه، جـــاء رجلٌ من الأعراب فآمن بالنبي ﷺ وَاتَّبَعَهُ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ، قسمَ له النبي ﷺ من الغنيمـــة، فقال: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا -وَأَشَارَ إِلَـى حَلْقِـهِ- بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ. فقال ﷺ: «إِنْ تَصْدُقْ اللَّهَ يَصْدُقْكَ، فَلَبِثُوا قَلِيلاً ثُمَّ نَهَضُوا فِي

---

(١) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، (بيروت، دار المعرفة، د.ت)، ج٤، ص٣٨٧-٣٨٨.

(٢) سورة التوبة، الآيات: ٧٥-٧٧.

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان و لم يكتما ونصـــحا، ج٣، ص١٤، ح٢٠٧٩؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب البيوع، باب الصدق في البيـــع والبيـــان، ج٣، ص١١٦٤، ح١٥٣٢.

(٤) كمال إبراهيم مرسي، "تنمية الصحة النفسية : مسؤوليات الفرد في الإسلام وعلم النفس"، في "المسلم المعاصر"، مؤسسة المسلم المعاصر، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، الكويت: العدد ٥٤، (ربيع الآخر-جمادى الآخـــرة/ ١٤٠٩هـــ)، ص٥١.

قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَهُوَ هُوَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ»[1].

المطلب الرابع : معالجة النبي ﷺ لعدد من الأخلاق السيئة التي تؤثر في المستقبل:

من ذلك: الغَضَب، وهو: "تغير يحصل عند غليان دم القلب ليحصل عنه التشفي للصدر"[2].

وهو جمرة إذا اتقدت أحرقت ما حولها وتجاوزت الحدود وطغت، وسفكت الدماء وهتكت الحرمات، وانتهكت الأعراض، وعاد صاحبها بعد خمودها وذهاب السَورة الغضبية يعض أصابع الندم ، ويتجرع الحسرات؛ فالغضب -ما لم يكن لله تعالى، في حدود ما يرضاه سبحانه- خصلة ذميمة ينتقل من سَوْرة غضبية بسيطة إلى أكبر من ذلك؛ فيدفع صاحبه ليضرب، ويشجَّ، ويجرح، ويقتل، ويُطلِّق، ويهجر، ويقطع ما أمر الله به أن يُوصَل، وقد يَخرج من الدِّين ويرتد.

وقد ذمَّ النبي ﷺ الغضب، ونهى عنه، وأوضح علاجه، قال ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»[3]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي قَالَ: «لا تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: «لا تَغْضَبْ»[4]. وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رضي الله عنه قَالَ : «كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلانِ يَسْتَبَّانِ، فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ . فَقَالُوا لَهُ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ:

---

(١) النسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهداء، ج٤، ص٣٦٢، ح١٩٥٢؛ والحاكم وسكت عنه ومثله الذهبي، مرجع سابق، كتاب معرفة الصحابة، ج٣، ص٦٨٨، ح٦٥٢٧؛ وصححه الألباني، **صحيح سنن النسائي**، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ)، ج٢، ص٤٢٠.

(٢) الجرجاني، مرجع سابق، ص٢٠٩ .

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ج٧، ص١٢٩، ح٦١١٤؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، ج٤، ص٢٠١٤، ح٢٦٠٩.

(٤) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ج٧، ص١٣٠، ح٦١١٦؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في كثرة الغضب، ج٤، ص٣٢٦، ح٢٠٢٠.

وَهَلْ بِي جُنُونٌ؟»[1]. وقال ﷺ : «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ، وَإِلا فَلْيَضْطَجِعْ»[2]. وقال ﷺ: «عَلِّمُوا، وَيَسِّرُوا، وَلا تُعَسِّرُوا، وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ، وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ، وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ»[3]. فهذه جملة من الآداب عند الغضب، كان حريًا بمن أتى بها ألا يقوده الغضب إلى ما لا تُحمد عقباه .

المطلب الخامس : تَضَمُّن الآداب الإسلامية العناية بالمستقبل الصحي:

أشار أحد المستقبليين الغربيين[4] إلى أنه ينبغي أن يُعنى المستقبليون، بالعادات التي لها آثار مستقبلية، ومَثَّل لذلك بالنوم على الشِّق الأيسر، وذَكر أنَّ الاستمرار على هذه العادة قد يسبب قرحة المعدة.

وقد جاءت السُّنة النبويَّة بكثير من ذلك، أشار إلى أصولها ابن القيم بقوله: "ومن تأمل هدي النبي ﷺ وجده أفضل هدي يُمكن حِفظُ الصحة به، فإن حفظها موقوف على حسن تدبير المطعم والمشرب، والملبس والمسكن، والهواء والنوم، واليقظة والحركة، والسكون والمنكح، والاستفراغ والاحتباس، فإذا حصلت هذه على الوجه المعتدل الموافق الملائم للبدن والبلد والسن والعادة، كان أقرب إلى دوام الصحة أو غلبتها إلى انقضاء الأجل"[5].

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ج٤، ص١١١، ح٣٢٨٢؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء، ج٤، ص٢٠١٥، ح٢٦١٠.

(٢) أبو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب، ج٥، ص١٤١، ح٤٧٨٢؛ وصححه الألباني، **مشكاة المصابيح**، مرجع سابق، ج٣، ص١٤١٥، ح٥١١٤، حاشية٢.

(٣) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٤، ص٣٣٨، ح٢٥٥٦؛ وصححه الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، ج٣، ص٣٦٣، ح١٣٧٥.

(٤) Bell, **Foundations of Futures Studies**,Op. Cit., Vol. 1, P.234.

(٥) ابن القيم، **زاد المعاد**، مرجع سابق، ج٤، ص٢١٤؛ وللوقوف على تفاصيل هذه الأصول بتوسع، ينظر: المرجع نفسه، ج٤، ص٢١٣-٢٨٠؛ ولولوة بنت صالح بن حسين آل علي، **الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسنة**.

المطلب السادس : توجيه النبي ﷺ بالعناية بالحاضر من أجل المستقبل:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ»(١). وفي رواية: «تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ»(٢).

ويَحفظ العبدُ ربَّه بالوقوف «عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده، فلا يتجاوز ما أمر به، وأذن فيه إلى ما نهى عنه»(٣)؛ فإذا فعل ذلك حفظه الله؛ «فإن الجزاء من جنس العمل»(٤).

« وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله»(٥).

« النوع الثاني من الحفظ، وهو أشرف النوعين: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المُضِلَّة، ومن الشهوات المحرَّمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإيمان»(٦).

« فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه، عامله الله باللطف والإعانة في حال شدَّته »(٧)، كقصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم صخرة وهم في الغار، فنجَّاهم الله سبحانه؛ لبعض إحسانهم في رخائهم .

«ومن حفظ الله في صباه وقوّته، حفظه الله في حال كبره وضعف قوّته، ومتَّعه بسمعه وبصره وحوله وقوَّته وعقله.

كان بعض العلماء قد جاوز المئة سنة وهو ممتَّع بقوَّته وعقله، فوثب يومًا وثبة شديدة، فعُوتب في ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصِّغر، فحفظها الله علينا في

(١) الترمذي وقال: "حسن صحيح"، مرجع سابق، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، بابٌ، ج٤، ص٥٧٦، ح٢٥١٦.

(٢) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٥، ص١٩، ح٢٨٠٣.

(٣) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، مرجع سابق، ج١، ص٤٦٢ .

(٤) المرجع نفسه، ج١، ص٤٦٥ .

(٥) نفسه .

(٦) نفسه، ج١، ص٤٦٨ .

(٧) نفسه، ج١، ص٤٧٤ .

الكبر . وعكس هذا أنَّ بعض السلف رأى شيخًا يسأل الناس، فقال: إنَّ هذا ضـيَّع الله في صغره، فضيعه الله في كبره.

وقد يحفظ الله العبدَ بصلاحه بعد موته في ذريَّته كما قيل في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَلِحًا ﴾[1] : إنَّهما حُفِظا بصلاح أبيهما»[2].

ومن العـناية بالحاضر من أجـل المستقبل: توجيه الـنبي ﷺ باختيـار الصـاحب، والصديق، والـزوج مَرْضِي الدين، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه، فَلْيَنْظُـرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»[3]، وقال ﷺ : «لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِنًا، وَلا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقِيٌّ »[4]، وحثَّ ﷺ في النكاح على الظفر بذات الدين[5]، وحثَّ على تزويج مَرْضِي الخلق والدِّين إذا خَطب[6].

فالإنسان على عادة صَاحِبه وَطَرِيقَته وَسِيرَته، فليَتأمَّل ويَتدبر مَن يُخَالِل، فمَن رَضِـي دِينه وخُلُقه خَالَلَهُ ومَن لا تَجنَّبه[7]؛ «لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بـل الطبـع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه فمجالسة الحريص على الدنيا تحـرك الحـرص ومجالسة الزاهد تزهد في الدنيا»[8].

---

(١) سورة الكهف، من الآية: ٨٢.

(٢) نفسه، ج١، ص٤٦٦- ٤٦٧.

(٣) الترمذي وقال: "حسن غريب"، مرجع سابق، كتاب الزهد، باب ما جاء في أخذ المال بحقـه، ج٤، ص٥٠٩، ح٢٣٧٨؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب من يـؤمر أن يجـالس، ج٥، ص١٦٨، ح٤٨٣٣؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب البر والصلة، ج٤، ص١٨٨، ح٧٣١٩، ح٧٣٢٠ .

(٤) الترمذي، مرجع سابق، كتاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، ج٤، ص٥١٩، ح٢٣٩٥؛ وأبـو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، ج٥، ص١٦٧، ح٤٨٣٢؛ والحاكم وصححه ووافقـه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الأطعمة، ج٤، ص١٤٣، ح٧١٦٩.

(٥) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب النكاح، بـاب الأكفـاء في الـدين، ج٦، ص١٥٠، ح٥٠٩٠؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الرضاع، باب اسـتحباب نكـاح ذات الـدين، ج٢، ص١٠٨٦، ح١٤٦٦.

(٦) الترمذي؛ وابن ماجه؛ مضى تخريجه، ص٤٥١، حاشية ٣.

(٧) العظيم آبادي، مرجع سابق، ج١٣، ص١٢٢.

(٨) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، مرجع سابق، ج٢، ص١٧٣.

ومن ذلك النهي عن موالاة الكافرين، والسكنى معهم، قال ﷺ: «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ»[1]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

ومن ذلك النهي عن التشبه بالكافرين والعصاة؛ لأنّ "الله تعالى جبل بني آدم بل سائر المخلوقات على التفاعل بين الشيئين المتشابهين وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم حتى يؤول الأمر إلى أن لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط... فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي»[3].

المطلب السابع: فقه النبي ﷺ للأثر المستقبلي لكل من الغنى والفقر، ووجود الضعفاء في المجتمع:

قال ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا»[4]. «معنى الحديث أنه طلب الكفاف، فإنّ القوت ما يقوت البدن ويكفّ عن الحاجة، وفي هذه الحالة سلامة من آفات الغنى والفقر جميعًا»[5]. ويوضّحه قوله ﷺ: «مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إلا بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ، يُسْمِعَانِ أَهْلَ الأَرْضِ إلا الثَّقَلَيْنِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى»[6].

---

(١) أبو داود، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب في الإقامة بأرض الشرك، ج٣، ص٢٢٤، ح٢٧٨٧؛ وحسّنه الألباني، **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، ط٢، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ)، ج٢، ص١٠٦٤، ح٦١٨٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣.

(٣) ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم**، مرجع سابق، ج ١، ص٤٨٧-٤٨٨.

(٤) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه، ج٧، ص٢٣٢، ح٦٤٦٠؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، ج٢، ص٧٣٠، ح١٠٥٥.

(٥) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١١، ص٢٩٩؛ نقلاً عن القرطبي؛ وينظر: القرطبي، **المفهم**، مرجع سابق، ج٣، ص١٠٠.

(٦) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٣٦، ص٥٣، ح٢١٧٢١؛ وقال الهيثمي: "رجاله رجال الصحيح" (**مجمع الزوائد**، مرجع سابق، ج٣، ص٣٠٦، ح٤٦٧٦).

وعن مُصعبِ بن سعد بن أبي وقاص قَالَ: رَأَى سَعْدٌ ﷺ أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ[1]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إلا بِضُعَفَائِكُمْ»[2]. «قال ابن بطال : تأويل الحديث أن الضعفاء أشد إخلاصًا في الدعاء وأكثر خشوعًا في العبادة لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا»[3]، فهم يحسنون استخدام أسلوب مهم من الأساليب المستقبلية، وأثره معهم ليس كأثره مع غيرهم .

وقال ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ »[4]. «أي: لو حلف على وقوع شيء أوقعه اللَّه إكرامًا له بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث في يمينه . وهذا لعظم منـزلته عند اللَّه تعالى، وإن كان حقيرًا عند الناس»[5].

وقال ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ ثُلَّة تَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، الَّذِينَ يُتَّقَى بِهِمْ الْمَكَارِهُ، وَإِذَا أُمِرُوا، سَمِعُوا وَأَطَاعُوا، وَإِذَا كَانَتْ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ حَاجَةٌ إِلَى السُّلْطَانِ لَمْ تُقْضَ لَهُ، حَتَّى يَمُوتَ وَهِيَ فِي صَدْرِهِ»[6].

فشتَّان بين هذا الفقه النبوي في الاحتياط لآله من آفات الفقر والغنى، وبين الاستماتة في طلب المال من وجهه ومن غير وجهه، والإجحاف في حق الفقير وسحقه؛ وشتَّان بين الفقه النبوي لمنـزلة الضعفاء في المجتمع وأثرهم في حفظه حاضرًا ومستقبلاً، وبين بعض التصرفات الغربية الجاهلية، التي تريد أن تجتث جذور الضعفاء وذوي العاهات، بطرق إجرامية شرعًا وعرفًا[7].

---

(١) "بسبب شجاعته". (ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٦، ص١٠٤).

(٢) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين، ج٣، ص٢٩٧، ح٢٨٩٦.

(٣) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٦، ص١٠٥ .

(٤) مسلم، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الضعفاء والخاملين، ج٤، ص٢٠٢٤، ح٢٦٢٢.

(٥) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٨٦٥.

(٦) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج١١، ص١٣٣، ح٦٥٧١؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الجهاد، ج٢، ص٨١، ح٢٣٩٣.

(٧) كشف المؤرخ السويسري (توماس هونكير) عن أكثر من ألف حالة في مدينة (زيوريخ) السويسرية خلال المدة من (١٨٩٠م) إلى (١٩٧٠م)، من حالات الاحتجاز، وإجراء عمليات طبِّية لجعل الإنسان عقيمًا، والطلاق، والحرمان من الزواج، لفئات تُوصف بأنها (أحط قدرًا)، وغير صالحة للحياة والبقاء، وجرى ذلك بإشراف أطباء ومسؤولين في الخدمات الاجتماعية؛ للحيلولة دون نشأة جيل جديد من هؤلاء الناس.

(http://www.swissinfo.org/sar).

المطلب الثامن : عناية النبي ﷺ بما تصاحبه البركة، ودلالته أمته عليه:

البركة في الشرع : «هي ثبوت الخير ودوامه، وكثرة الخير وزيادته»[(١)]؛ فهي متوجهة للمستقبل، وقد دلَّ النبي ﷺ على جملة أشياء تصاحبها البركة، أبرزها ما يأتي:

١-أخذ المال من غير إشراف نفس ولا طمع:

عن حَكيم بن حزَام ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ فَأَعْطَاني، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَاني، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَاني، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكيمُ، إنَّ هَذَا الْمَالَ خَضرَةٌ حُلْوَةٌ[(٢)]، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيه، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَاف نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فيه، وَكَان كَالَّذي يَأْكُلُ وَلا يَشْبَعُ. الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ منْ الْيَد السُّفْلَى»[(٣)]. ومعنى «بِسَخَاوَة نَفْسٍ» : أي من غير سؤال، ولا إشراف، وتطلُّع؛ ومعنى «أَخَذَهُ بِإِشْرَاف نَفْسٍ» : أي أخذ المال بتطلع إليه، وتعرض له، وطمع فيه[(٤)]؛ ومن فوائد الحديث: أنْ "لا يغتر الإنسان بكثرة ما يحصل له بإشراف ونحوه، فإنه لا يبارك له فيه»[(٥)] .

وقال ﷺ : «لا تُلْحفُوا بالمَسْأَلة فإنَّه مَنْ يَسْتَخْرِجْ منَّا بِهَا شَيْئًا لَم يُبَارَكْ لَه فيه»[(٦)].

٢-الصدق والبيان في البيع والشراء:

قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : «الْبَيِّعَان بالْخيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا أَوْ قَالَ حَتَّى يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»[(٧)]. «أي: بيَّن كل واحد

---

(١) ناصر بن عبد الرحمن الجديع، **التبرك: أنواعه وأحكامه**، ط٢، (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٣هـ)، ص٤٣.

(٢) "شبهه في الرغبة فيه والميل إليه وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء الحلوة المستلذة، فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده، والحلو كذلك على انفراده . فاجتماعهما أشد، وفيه إشارة إلى عدم بقائه، لأن الخضراوات لا تبقى ولا تراد للبقاء". (النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص٧٩٦).

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، ج٢، ص١٥٧، ح١٤٧٢؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، ج٢، ص٧١٧، ح١٠٣٥.

(٤) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص٧٩٦؛ نقلاً عن العلماء.

(٥) المرجع نفسه .

(٦) أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي، **مسند أبي يعلى الموصلي**، تحقيق حسن سليم أسد، (دمشق، دار المأمون، ١٤٠٧هـ)، ج٩، ص٤٧٨، ح٥٦٢٨؛ وقال الهيثمي: "ورجاله رجال الصحيح". (**مجمع الزوائد**، مرجع سابق، ج٣، ص٢٥٦، ح٤٥١٩).

(٧) متفق عليه: سبق تخريجه، ص٤٥٣، حاشية ٣.

لصاحبه ما يحتاج إلى بيانه من عيب ونحوه في السلعة والثمن، وصدق في ذلك... ومعنى: «مُحِقَتْ بَرَكَة بَيْعِهِمَا». أي: ذهبت بركته، وهي: زيادته ونماؤه»[1] .

٣-اتخاذ الخيل، وارتباطها للجهاد في سبيل الله:

قال ﷺ: «الْبَرَكَةُ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ»[2]. وقال ﷺ : «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ : الأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ»[3].

٤-اتخاذ الغَنَم:

عَنْ أُمِّ هَانِئٍ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «اتَّخِذِي غَنَمًا، فَإِنَّ فِيهَا بَرَكَةً»[4].

قال السندي: "هي مجربة فإنه يكثر نماؤها"[5] .

٥-البكور في أول النهار:

عن صَخرٍ الغامدي رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا» قَالَ: وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ . وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلاً تَاجِرًا . وَكَانَ إِذَا بَعَثَ تِجَارَةً بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ، فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ[6].

---

(١) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١١٧٠.

(٢) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، ج٣، ص٢٨٤، ح٢٨٥١؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، ج٣، ص١٤٩٤، ح١٨٧٤.

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد ماض مع البر والفاجر، ج٣، ص٢٨٤، ح٢٨٥٢؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، ج٣، ص١٤٩٣، ح١٨٧٣.

(٤) ابن ماجه، مرجع سابق، كتاب التجارات، باب اتخاذ الماشية، ج٢، ص٧٧٣، ح٢٣٠٤؛ وقال البوصيري: "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات". مرجع سابق، تحقيق محمد المنتقى الكشناوي، (بيروت، دار العربية، ١٤٠٥هـ)، ج٣، ص٤٠؛ وصححه الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، ج٢، ص٤١٧، ح٧٧٣.

(٥) مرجع سابق، طبعة دار الجيل، ج٣، ص٨٧.

(٦) الترمذي وحسَّنه، مرجع سابق، كتاب البيوع، باب ما جاء في التبكير بالتجارة، ج٣، ص٥١٧، ح١٢١٢؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب في الابتكار في السفر، ج٣، ص٨٠، ح٢٦٠٦؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب التجارات، باب ما يرجى من البركة في البكور، ج٢، ص٧٥٢، ح٢٢٣٦.

٦-كَيْلُ الطعام وتقديره على النفقه:

عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كِيلُوا طَعَامَكُمْ، يُبَارَكْ لَكُمْ»[(١)]. أي: «أَخْرِجُوا بِكَيْلٍ مَعْلُومٍ يَبْلُغْكُمْ إِلَى الْمُدَّةِ الَّتِي قَدَّرْتُمْ»[(٢)]، و«ليس بين هذا الحديث وحديث عائشة «كَانَ عِنْدِي شَطْرُ شَعِيرٍ آكُلُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكِلْتُه فَفَنِيَ»[(٣)] لأن معنى حديث عائشة أنها كانت تخرج قوتها - وهو شيء يسير - بغير كيل فبورك لها فيه مع بركة النبي ﷺ، فلما كالته علمت المدة التي يبلغ إليها عند انقضائها»[(٤)].

٧-اللحم والماء لأهل مكة:

لما زار إبراهيم ابنه إسماعيل عليهما السلام في مكة ولم يجده وقالت له زوجته: «أَلا تَنْزِلُ فَتَطْعَمَ وَتَشْرَبَ؟ فَقَالَ: وَمَا طَعَامُكُمْ، وَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ: طَعَامُنَا اللَّحْمُ وَشَرَابُنَا الْمَاءُ- قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ . قَالَ : فَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ : بَرَكَةٌ بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ»[(٥)]. فلم تزل دعوة إبراهيم عليه السلام إلى اليوم، فمكة اليوم تُصدِّر الماء واللحم إلى أنحاء كثيرة من العالم.

٨-زيت الزيتون:

قال ﷺ: «كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ»[(٦)].

---

(١) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب البيوع، باب ما يستحب من الكيل، ج٣، ص٢٩، ح٢١٢٨؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب التجارات، باب ما يرجى في كيل الطعام من البركة، ج٢، ص٧٥٠، ح٢٢٣١، ص٧٥١، ح٢٢٣٢.

(٢) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٤، ص٤٠٦؛ نقلاً عن ابن بَطَّال.

(٣) متفق عليه بمعناه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الرقاق، باب فضل الفقر، ج٧، ص٢٢٩، ح٦٤٥١؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الزهد والرقائق، بابٌ، ج٤، ص٢٢٨٣، ح٢٩٧٣.

(٤) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٤، ص٤٠٦؛ نقلاً عن المُهَلَّب.

(٥) البخاري، الصحيح، مرجع سابق، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلا)، ج٤، ص١٤١، ح٣٣٦٥.

(٦) الترمذي، مرجع سابق، كتاب الأطعمة، باب ماجاء في أكل الزيت، ج٤، ص٢٥١، ح١٨٥١؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الأطعمة، باب الزيت، ج٢، ص١١٠٣، ح٣٣١٩؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الأطعمة، ج٤، ص١٣٦، ح٧١٤٢؛ وصححه الألباني، **صحيح سنن ابن ماجه**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٣٣.

٩-توقير الأكابر وبرهم والعناية بهم :

قال ﷺ: «البركة مع أكابركم»[(١)].

المطلب التاسع: الادخار لنفقة العام:

كان رسولُ الله ﷺ يَدَّخر لأهله قُوت سَنَة، قال عمر رضي الله عنه: «كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِمَّا لَمْ يُوجِفْ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلا رِكَابٍ، فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِ، ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السِّلاحِ وَالْكُرَاعِ[(٢)] عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[(٣)].

فهذا فيه ادِّخار خاص وعام، خاص بأهله ﷺ، وعام في سبيل الله؛ « وإذ أمر الله المسلمين بإعداد العدة للجهاد من ظهر وعتاد نشأ السعيُ لادخار ما به العدةُ لوقت الحاجة إذا داهمهم العدو، وذلك مبدأ تكوُّن بيت المال»[(٤)] . قال النووي: «وفي هذا الحديث: جواز ادخار قوت سنة، وجواز الادخار للعيال، وأن هذا لا يقدح في التوكل»[(٥)].

ويُفارق هذا الحديث ما رَوى أنس رضي الله عنه قال: «كان النَّبيُّ ﷺ لا يَدَّخر شيئًا لِغَدٍ»[(٦)]. وهو محمول على الادخار لنفسه ﷺ، أما الحديث السابق فالادخار لغيره[(٧)]؛ أو أنَّ الادخار «كان باختلاف الحال فيتركه عند حاجة الناس إليه ويفعله عند عدم الحاجة»[(٨)].

---

(١) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الإيمان، ج١، ص١٣١، ح٢١٠؛ ويوسف بن عبد الله بن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ط٦، (الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢٤هـ)، ج١، ص٦١٤، ح١٠٥٣.

(٢) "الكُراع: اسم لجميع الخيل". (ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج٤، ص١٦٥، مادة : (كرع)).

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب المجن ومن يترس بترس صاحبه، ج٣، ص٢٩٩، ح٢٩٠٤؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء، ج٣، ص١٣٧٦، ح١٧٥٧.

(٤) محمد الطاهر بن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، تحقيق محمد الميساوي، (الأردن ، دار النفائس، ١٤٢١هـ)، ص٣٠٦-٣٠٧ .

(٥) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٣٥٢.

(٦) الترمذي، مرجع سابق، كتاب الزهد، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله، ج٤، ص٥٠١، ح٢٣٦٢؛ وصححه الألباني، **صحيح الترغيب والترهيب**، ط٢، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ)، ص٣٨٩، ح٩٢٠.

(٧) ابن دقيق العيد، **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، (بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت)، ج٤، ص٢٣٨.

(٨) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٠، ص٢٨ .

المطلب العاشر : إقرار النبي ﷺ البيع بالآجل:

عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ : كَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَوْبَان قِطْرِيَّـان غَلِيظَـان. فَكَانَ إِذَا قَعَدَ فَعَرِقَ، ثَقُلا عَلَيْه . فَقَدِمَ بَزٌّ مِنْ الشَّامِ لِفُلانٍ الْيَهُودِيِّ . فَقُلْتُ : لَوْ بَعَثْتَ إِلَيْه فَاشْتَرَيْتَ مِنْهُ ثَوْبَيْنِ إِلَى الْمَيْسَرَة . فَأَرْسَلَ إِلَيْه فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ مَا يُرِيدُ . إِنَّمَـا يُرِيـدُ أَنْ يَذْهَبَ بِمَالِي، أَوْ بِدَرَاهِمِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «كَذَبَ قَدْ عَلِمَ أَنِّي مِنْ أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ وَآدَاهُمْ لِلأَمَانَة»(١).

قال ابن عَبَّاس رضي الله عنهما: « أَشْهَد أَنَّ السَّلَف الـمَضْمُون إِلَى أَجَل مُسَمًّى قَـدْ أَحَلَّهُ اللَّه فِي الكِتَاب وَأَذِنَ فيه، قال الله عــز وجــل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾(٢)»(٣).

وفي ذلك دلالة على جواز عقد النية على الفعل في المستقبل، والـدخول في عقـود في ذلك.

المطلب الحادي عشر : الحث على استثمار الحاضر قبل العجز في المستقبل:

قال النَّبيّ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ : «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْل خَمْس، شَـبَابك قَبْـل هَرَمِـك، وَصِحَّتك قَبْل سَقَمك، وَغِنَاك قَبْل فَقْرك، وَفَرَاغك قَبْل شُغْلك، وَحَيَاتك قَبْل مَوْتِـك»(٤). وقَالَ ﷺ:«بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ . يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا. أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا . يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا»(٥). وقَال ﷺ :«بَادِرُوا بِالأَعْمَـال سِتًّا : الدَّجَّالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّة، وَخُوَيْصَةَ أَحَدِكُمْ»(٦). وقَالَ ﷺ:«بَادِرُوا بِالْمَوْتِ سِتًّا : إِمْرَةَ السُّفَهَاءِ، وَكَثْرَةَ الشُّرَط، وَبَيْعَ الْحُكْـمِ،

(١) الترمذي وقال: "حسن غريب صحيح"، مرجع سابق، كتاب البيوع، باب ما جاء في الرخصة في الـشراء إلى أجل، ج٣، ص٥١٨، ح١٢١٣؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب البيوع، باب البيع إلى الأجل المعلوم، ج٧، ص٣٣٩، ح٤٦٤٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٣) الحاكم وصححه، مرجع سابق، كتاب التفسير، ج٢، ص٣١٤، ح٣١٣٠.

(٤) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الرقاق، ج٤، ص٣٤١، ح٧٨٤٦ .

(٥) مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظـاهر، ج١، ص١١٠، ح١١٨؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم، ج٤، ص٤٢٢، ح٢١٩٥.

(٦) مسلم، مرجع سابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية مـن أحاديـث الـساعة، ج٤، ص٢٢٦٧، ح٢٩٤٧.

وَاسْتِخْفَافًا بِالدَّمِ، وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ، وَنَشْوًا يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ يُقَدِّمُونَهُ يُغَنِّيهِمْ، وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ مِنْهُمْ فِقْهًا»[1] .

فهذه «الأشياء كلها تعوق عن الأعمال، فبعضها يشغل عنه، إما في خاصَّة الإنسان، كفقره وغناه ومرضه وهرمه وموته، وبعضها عام، كقيام الساعة، وخروج الدجال، وكذلك الفتن المزعجة... وبعض هذه الأمور العامة لا ينفع بعدها عمل...

فالواجب على المؤمن المبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن لا يقدر عليها ويُحال بينه وبينها، إما بمرض أو موت، أو بأن يُدركه بعض هذه الآيات التي لا يُقبل معها عمل»[2]، وهذا من الفقه المستقبلي للنبي ﷺ .

المطلب الثاني عشر : إيثاره ﷺ المستقبل على الحاضر:

لما كان للأنبياء مقام كريم، كانت لهم دعوات مستجابة تناسب هذا المقام، فيعم أثرها الأمة جمعاء، ومن فقه نبينا محمد ﷺ وبُعد نظره أنه اختبأ دعوته شفاعة لأمته يوم القيامة، فلم يضطره إلحاح الحاضر، ولم يستهوه حب العاجل، بل آثر أعظم المصلحتين، وأبقى النفعين. قال ﷺ : «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ . فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ . وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَهِيَ نَائِلَةٌ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»[3] .

المطلب الثالث عشر : الفأل بالأسماء والكلمات :

«الفأل هو الاستدلال بما يستمع من الكلام على ما يريد من الأمر إذا كان حسنًا»[4]، «ومن شرطه أن لا يقصد إليه فيصير من الطيرة»[5]، «وإنما ذلك فيما يفجأ من الكلام دون ما يترقب سماعه ويقدم من أجله على ما فعل أو يرجع من أجله عن أمر»[6].

---

(١) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٢٥، ص٤٢٧، ح١٦٠٤٠؛ وصححه الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، ج ٢، ص٧٠٩، ح٩٧٩.

(٢) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٨٨-٣٩٠.

(٣) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة، ج٧، ص١٨٧، ح٦٣٠٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة، ج١، ص١٨٩، ح١٩٩.

(٤) محمد بن عبد الله بن العربي، **أحكام القران**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ج٤، ص١٢٦.

(٥) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٠، ص٢٢٥ .

(٦) سليمان بن خلف بن سعد الباجي، **المنتقى شرح موطأ الإمام مالك**، ط٣، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ)، ج٧، ص ٢٩٧.

وكان ﷺ يحب الفأل، قال ﷺ: «لا طِيَرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ» قَال: وَمَا الْفَأْلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ»(1). وفي رواية: «وَأُحِبُّ الْفَأْلَ الصَّالِحَ»(2). وكان ﷺ «يُعْجِبُهُ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَةٍ أَنْ يَسْمَعَ يَا رَاشِدُ يَا نَجِيحُ»(3). «والفأل الذي يحبه هو أن يفعل أمرًا أو يعزم عليه متوكلاً على الله، فيسمع الكلمة الحسنة التي تسره: مثل أن يسمع يا نجيح! يا مفلح! يا سعيد! يا منصور! ونحو ذلك»(4)، كما في مفاوضات صلح الحديبية، لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ»(5).

فالرسول ﷺ كان يتفاءل بما يسمع، ويتفاءل بالأسماء، عَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ عَامِلاً سَأَلَ عَنْ اسْمِهِ: فَإِذَا أَعْجَبَهُ اسْمُهُ فَرِحَ بِهِ وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهُ رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِذَا دَخَلَ قَرْيَةً سَأَلَ عَنْ اسْمِهَا: فَإِنْ أَعْجَبَهُ اسْمُهَا فَرِحَ وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهَا رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ»(6).

«إنما يسلك [في الفأل والطيرة] مسلك الاستخارة لله، والتوكل عليه، والعمل بما شرع له من الأسباب، لم يجعل الفأل آمرًا له، وباعثًا له على الفعل، ولا الطيرة ناهية له عن الفعل، وإنما يأتمر وينتهي عن مثل ذلك أهل الجاهلية الذين يستقسمون بالأزلام»(7).

وكان ﷺ يغير الاسم القبيح إلى اسم حسن، قَالَ أَبُو دَاوُد: «وَغَيَّرَ النَّبِيُّ ﷺ اسْمَ الْعَاصِ وَعَزِيزٍ وَعَتَلَةَ وَشَيْطَانٍ وَالْحَكَمِ وَغُرَابٍ وَحُبَابٍ وَشِهَابٍ فَسَمَّاهُ هِشَامًا، وَسَمَّى حَرْبًا سَلْمًا،

---

(١) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الطب، باب الفأل، ج٧، ص٣٥، ح٥٧٥٥.

(٢) مسلم، مرجع سابق، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، ج٤، ص١٧٤٦، ح٢٢٢٣ .

(٣) الترمذي وقال: "حسن غريب صحيح"، مرجع سابق، كتاب السير، باب ما جاء في الطيرة، ج٤، ص١٣٨، ح١٦١٦.

(٤) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٣، ص٦٦- ٦٧.

(٥) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، ج٣، ص٢٣٩، ح٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٦) أبو داود، مرجع سابق، كتاب الطب، باب في الطيرة، ج٤، ص٢٣٦، ح٣٩٢٠؛ وحسَّن إسناده ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٠، ص٢٢٦.

(٧) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٣، ص٦٧.

وَسَمَّى الْمُضْطَجِعَ الْمُنْبَعِثَ، وَأَرْضًا تُسَمَّى عَفِرَةَ سَمَّاهَا خَضِرَةَ، وَشَعْبَ الضَّلالَةِ سَمَّاهُ شَعْبَ الْهُدَى، وَبَنُو الزِّنْيَةِ سَمَّاهُمْ بَنِي الرِّشْدَةِ، وَسَمَّى بَنِي مُغْوِيَةَ بَنِي رِشْدَةَ»[١].

عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ أَبَاهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا اسْمُكَ؟» قَالَ :حَزْنٌ قَالَ: «أَنْتَ سَهْلٌ» قَالَ: لا أُغَيِّرُ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ : فَمَا زَالَتْ الْحُزُونَةُ فِينَا بَعْدُ[٢]. «يُشِير إِلَى الشِّدَّة الَّتِي بَقِيَتْ فِي أَخْلاقهمْ . فَقَدْ ذَكَرَ أَهْل النَّسَب أَنَّ فِي وَلَده سُوء خُلُق مَعْرُوف فِيهِمْ لا يَكَاد يُعْدَم مِنْهُمْ»[٣].

قال ابن القيم: «لما كانت الأسماء قوالبَ للمعاني، ودالَّةً عليها، اقتضت الحكمة أن يكون بينها وبينها ارتباط وتناسب، وأن لا يكون المعنى معها بمنـزلة الأجنبي المحض الذي لا تعلق له بها، فإن حكمة الحكيم تأبى ذلك، والواقع يشهد بخلافه، بل للأسماء تأثيرٌ في المسميات، وللمسمَّيات تأثر عن أسمائها في الحُسن والقبح، والخِفَّة والثِّقَل، واللطافة والكَثَافة، كما قيل:

وقلَّما أبْصَرَتْ عيناك ذا لَقَبٍ إلا ومعناه إن فكَّرتَ في لَقَبِهْ»[٤].

وإنما كان الرسول ﷺ يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن باللَّه تعالى على كل حال[٥] . ففي الحديث القدسي: «قَالَ اللَّهُ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»[٦]. «أي قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به»[٧]؛ فأُعامله «على حسب ظنه بي وأفعل به ما يتوقَّعه مِنِّي من خيرٍ أو شر، والمراد الحث على تغليب الرجاء على الخوف وحسن الظنِّ باللَّه»[٨].

---

(١) مرجع سابق، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح، ج٥، ص٢٤١-٢٤٣؛ وقال: "تركت أسانيدها للاختصار".

(٢) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب اسم الحزن، ج٧، ص١٥٢، ح٦١٩٠؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح، ج٥، ص٢٤١، ح٤٩٥٦.

(٣) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٠، ص٥٩٠-٥٩١ .

(٤) **زاد المعاد**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٣٦.

(٥) الحسين بن الحسن الحليمي، **المنهاج في شعب الإيمان**، تحقيق حلمي محمد فودة، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ)، ج٢، ص٢٥.

(٦) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (يريدون أن يبدلوا كلام الله)، ج٨، ص٢٥٠، ح٧٥٠٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، ج٤، ص٢٠٦١، ح٢٦٧٥.

(٧) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٣، ص٣٩٧.

(٨) المباركفوري، مرجع سابق، طبعة المكتبة السلفية، ج١٠، ص٦٤؛ نقلاً عن الطيبي .

« ولا ريب أن حسن الظن إنما يكون مع الإحسان فإن المحسن حسن الظن بربه أنه يجازيه على إحسانه... أما المسيء المصرّ على الكبائر والظلم والمخالفات فإن وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه»[1]، «وبالجملة فحسن الظن إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاة، وأما مع انعقاد أسباب الهلاك فلا يتأتى إحسان الظن»[2].

«سأل بعض المتطيرين بعض العلماء فقال له: إنني لأتطير فلا ينخرم علي ذلك، بل يقع الضرر بي، وغيري يقع له مثل ذلك السبب فلا يجد منه ضررًا. وقد أشكل ذلك علي فهل لهذا أصل في الشريعة؟ فقال له: نعم . قوله ﷺ حكاية عن الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء»، وفي بعض الطرق: «فليظن بي خيرًا». وأنت تظن أن الله تعالى يؤذيك عند ذلك الشيء الذي تطيرت منه فتسيء الظن بالله ﷻ فيقابلك الله على سوء ظنك به بإذايتك عند ذلك الشيء الذي تطيرت به، وغيرك لا يسيء ظنه بالله تعالى ولا يعتقد أنه يحصل له ضرر عند ذلك فلا يعاقبه الله تعالى، فلا يتضرر»[3].

«والنفس الإنسانية ميالة بالفطرة إلى معرفة ما سيحدث مستقبلاً. ومن حَسُنَ ظنه بالله أراح نفسه من التفكر في أحداث المستقبل المغيبة، وأدرك أن الغيب لا يعلمه إلا الله وحده، واطمأنت نفسه باليقين الراسخ أن الله لن يقدِّر له إلا خيرًا، وكان إحسان الظن بالله ومشيئته بوجه التطلع الفطري للنفس إلى معرفة ما غيب عنها توجيهًا يحقق لها السكينة والرضا»[4].

---

(١) ابن القيم، **الداء والدواء**، مرجع سابق، ص٤٩.

(٢) المرجع نفسه، ص٥٢.

(٣) القرافي، مرجع سابق، ج٤، ص١٨٣.

(٤) مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، **موسوعة القيم ومكارم الأخلاق** : (٤) اجتناب سوء الظن، (الرياض، دار رواح، ١٤٢١هـ)، ص٣٥.

المبحث الرابع
القواعد المستقبلية في السنة النبوية

تزخر السنة النبوية بالقواعد المستقبلية، حتى كأنها تنتظم حياة المسلم كلها، وتنير له طريقه؛ فيسير على هدى وبصيرة، واثقًا بربه سبحانه، وهي تستحق أن تُفرد بدراسة مستقلة، وفيما يأتي إشارات إلى أهم القواعد المستقبلية في السنة النبوية.

المطلب الأول : قواعد الآداب الإسلامية :

١- ما ظُلِمَ أحدٌ فصبر إلا زاده الله عزًا:

قال ﷺ: «ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ» وذكر منها: «وَلا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا»(١).

٢- «لا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلا الدُّعَاءُ»(٢):

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «وَلا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلاَّ الدُّعَاءُ»(٣).

٣- «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»(٤).

---

(١) الترمذي وقال : "حسن صحيح"، مرجع سابق، كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، ج٤، ص٤٨٧، ح٢٣٢٥.

(٢) حديث مرفوع رواه الترمذي، وحسّنه؛ وكذا الألباني، سبق تخريجه، ص٤٥٢، حاشية١.

(٣) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٣٧، ص٦٨، ح٢٢٣٨٦؛ وابن ماجه، مرجع سابق، المقدمة، باب في القدر، ج١، ص٣٥، ح٩٠؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الدعاء والتكبير، ج١، ص٦٧٠، ح١٨١٤؛ وحسنه الألباني، **شرح العقيدة الطحاوية**، (تخريج)، ط٩، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ)، ص١٤٤.

(٤) حديث مرفوع رواه مسلم، مرجع سابق، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، ج٤، ص٢٠٨٠، ح٢٧٠٨؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا نزل منزلاً، ج٥، ص٤٦٣، ح٣٤٣٧؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الطب، باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه، ج٢، ص١١٧٤، ح٣٥٤٧.

٤- مَن قال «فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ»[١].

٥- من يخذُل مسلماً -وهو قادر على نصرته- يخذُله الله تعالى، ومن ينصر مسلماً ينصره الله:

قال ﷺ: «مَا مِنْ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إلا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنْ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إلا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ»[٢].

«الخذل : تَرْكُ الإغاثة والنُّصْرَة»[٣]، «والمعنى ليس أحد يترك نصرة مسلم مع وجود القدرة عليه بالقول أو الفعل عند حضور غيبته أو إهانته أو ضربه أو قتله أو نحوها»[٤].

٦- من كانت الدنيا همَّه لم يَنجح فيها، ومن جعل الآخرة همَّه أنجح وأفلح فيهما:

المقصود: النجاح المتكامل لمقومات سعادة الإنسان؛ إذ قد ينجح طالب الدنيا في جانب، لكن يفوته جوانب تعكِّر عليه جانب النجاح، فكأنَّه لم ينجح، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إلا مَا قُدِّرَ لَهُ»[٥].

---

(١) حديث مرفوع رواه الترمذي وقال : "حسن صحيح غريب"، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، ج٥، ص٤٣٤، ح٣٣٨٨؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، ج٥، ص٣٢٤، ح٥٠٨٨؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى، ج٢، ص١٢٧٣، ح٣٨٦٩؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الدعاء والتكبير، ج١، ص٦٦٩٥-٦٦٩٦، ح١٨٩٥.

(٢) أبو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب من رد عن مسلم غيبة، ج٥، ص١٩٧، ح٤٨٨٤.

(٣) ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج٢، ص١٦، مادة : (خذل).

(٤) العظيم آبادي، مرجع سابق، ج١٣، ص١٥٦.

(٥) الترمذي، مرجع سابق، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، ج٤، ص٥٥٤، ح٢٤٦٥؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا، ج٢، ص١٣٧٥، ح٤١٠٥.

٧- لا يكون الرفق في شيء إلا زانه، ولا يُنـــزع من شيء إلا شانه:

قَال ﷺ : «إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ. وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ»(١). وقال ﷺ : «مَنْ يُحْرَمْ الرِّفْقَ، يُحْرَمْ الْخَيْرَ»(٢). قال النووي: "والرفق سبب كل خير"(٣).

٨- من قال عند مجامعته أهله: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَـــا، لم يضرّ ما وُلد له من هذا الجماع شيطانٌ أبدًا:

قال ﷺ : «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّـــيْطَانَ، وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»(٤).

المطلب الثاني : القواعد الاجتماعية:

١- يُملي الله للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته:

قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾(٥)»(٦).

٢- من أضرَّ بالناس أضرَّ الله به، ومن شقَّ عليهم شقَّ اللَّهُ عَلَيْه، ومن لطف بهم لطف الله به:

قال رَسُول اللَّه ﷺ : «مَنْ ضَارَّ أَضَرَّ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ شَاقَّ شَقَّ اللَّهُ عَلَيْـــهِ»(٧).وقـــال ﷺ: «اللَّهُمَّ! مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ . وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا

---

(١) مسلم، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ج٤، ص٢٠٠٤، ح٢٥٩٤؛ وأبـــو داود، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الهجرة وسكنى البدو، ج٣، ص٧، ح٢٤٧٨.

(٢) مسلم، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ج٤، ص٢٠٠٣، ح٢٥٩٢؛ وأبـــو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب في الرفق، ج٥، ص١٥٧، ح٤٨٠٩؛ وابن ماجه، مرجع ســـابق، كتـــاب الأدب، باب الرفق، ج٢، ص١٢١٦، ح٣٦٨٧.

(٣) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٨٥٠.

(٤) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أتى أهلـــه، ج٧، ص٢١٠، ح٦٣٨٨؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب ما يستحب أن يقوله عند الجمـــاع، ج٢، ص١٠٥٨، ح١٤٣٤.

(٥) سورة هود، الآية: ١٠٢.

(٦) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب قولـــه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ﴾ الآية، ج٥، ص٢٥٥، ح٤٦٨٦؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآداب، بـــاب تحريم الظلم، ج٤، ص١٩٩٧، ح٢٥٨٣.

(٧) الترمذي وقال : "حسن غريب"، مرجع سابق، كتاب البر والصلة، باب ما جـــاء في الخيانـــة والغـــش، ج٤، ص٢٩٣، ح١٩٤٠؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الأقضية، باب من القضاء، ج٤، ص٥٠، ح٣٦٣٥؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، ج٢، ص٧٨٥، ح٢٣٤٢.

فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ »[1]. وقال ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»[2]. والإضرار بالناس من البغي عليهم.

٣- «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»[3].

٤- «مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ»[4]:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلا تُعَيِّرُوهُمْ وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»[5]. وفي رواية: «يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»[6].

٥- «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ»[7]:

وقال ﷺ: «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[8].

---

(١) مسلم، مرجع سابق، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، ج٣، ص١٤٥٨، ح١٨٢٨.

(٢) الترمذي وقال: "حسن صحيح"، مرجع سابق، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، بابٌ، ج٤، ص٥٧٣، ح٢٥١١؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي، ج٥، ص٢٠٨، ح٤٩٠٢؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الزهد، باب البغي، ج٢، ص١٤٠٨، ح٤٢١١.

(٣) حديث مرفوع رواه مسلم، مرجع سابق، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ج٤، ص٢٠٧٤، ح٢٦٩٩؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الستر على المسلم، ج٤، ص٢٨٨، ح١٩٣٠؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب في المعونة للمسلم، ج٥، ص٢٣٥، ح٤٩٤٦؛ وابن ماجه، مرجع سابق، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ج١، ص٨٢، ح٢٢٥.

(٤) نص حديث مرفوع كما في الحاشية التالية.

(٥) الترمذي، مرجع سابق، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن، ج٤، ص٣٣١، ح٢٠٣٢؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب في الغيبة، ج٥، ص١٩٤، ح٤٨٨٠؛ وحسَّنه الألباني، **صحيح سنن الترمذي**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٠٠.

(٦) أبو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب في الغيبة، ج٥، ص١٩٥، ح٤٨٨٠.

(٧) متفق عليه مرفوعًا: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ج٣، ص١٣٤، ح٢٤٤٢؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج٤، ص١٩٩٦، ح٢٥٨٠.

(٨) مسلم؛ والترمذي؛ وأبو داود؛ وابن ماجه؛ سبق تخريجه، ص٤٧٢، حاشية ٣.

٦- «صنائعُ المعروف تقي مَصَارِعَ السوء»[١].

٧- «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً»:

وقد أفاد من هذه القاعدة، وانتفع بها، الصحابي أبو بَكْرَةَ نفيع بن الحارث بن كلدة رضي الله عنه، عندما همَّ بالمشاركة مع عائشة رضي الله عنها في وقعة الجمل، قَالَ: «لَقَدْ نَفَعَنِي اللَّهُ بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا[٢] مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيَّامَ الْجَمَلِ بَعْدَ مَا كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى، قَالَ: لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً»[٣].

٨- «إذا ظهر الزنى والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله»[٤]:

وقال رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إلا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا»[٥]. وقال ﷺ: «وَلا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إلا سَلَّطَ اللَّه عَلَيْهِمْ الْمَوْتَ»[٦]. وقال ﷺ: «لا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَفْشُ فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَى فَإِذَا فَشَا فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَى فَيُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُم اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعِقَابٍ»[٧].

---

(١) حديث مرفوع رواه الطبراني، **المعجم الكبير**، مرجع سابق، ج٨، ص٣١٢، ح٨٠١٤؛ وحسَّن إسناده عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، تحقيق مصطفى محمد عمارة، (القاهرة، دار الحديث، ١٤٠٧هـ)، ج٢،ص٣٠؛ وحسَّنه الهيثمي، **مجمع الزوائد**، مرجع سابق، ج٣، ص٢٩٣، ح٤٦٣٧؛ وحسَّنه لشواهده الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، ج٤، ص٥٣٥، ح١٩٠٨، **وصحيح الترغيب والترهيب**، مرجع سابق، ص٣٧٣، ح٨٨٠.

(٢) وفي رواية الترمذي والنسائي: ((عَصَمَنِي اللَّهُ بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ)) .

(٣) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، ج٥، ص١٥٨، ح٤٤٢٥؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب ما جاء في النهي عن سب الرياح، ج٤، ص٤٥٧، ح٢٢٦٢؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب آداب القضاة، باب النهي عن استعمال النساء في الحكم، ج٨، ص٦١٩، ح٥٤٠٣ .

(٤) من حديث مرفوع رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب البيوع، ج٢، ص٤٣، ح٢٢٦١.

(٥) ابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب العقوبات، ج٢، ص١٣٣٣، ح٤٠١٩؛ وحسَّنه الألباني، **صحيح سنن ابن ماجه**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٧٠.

(٦) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الجهاد، ج٢، ص١٣٧، ح٢٥٧٧؛ وجوَّد ابن حجر إسناده، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٠، ص٢٠٣ .

(٧) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٤٤، ص٤١٣، ح٢٦٨٣٠؛ وقال ابن حجر: "سنده حسن"، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٠، ص٢٠٣ .

٩- إذا ظهر الفُسُوق والفُجُور، وقع خسف ومسخ وقذف، وإن كان في الناس صالحون:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «يَكُونُ فِي آخِرِ هَـذِهِ الأُمَّـةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ، قَالَتْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَهْلَكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَـالَ نَعَـمْ إِذَا ظَهَرَ الْخُبْثُ»(١). والخبث: الفُسُوق والفُجُور(٢).

١٠- لا يدخل الدَّجَّالُ مكة والمدينة:

قال ﷺ : «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلا عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا»(٣).

١١- لا يدخل الطاعونُ المدينة النبوية:

قال ﷺ : «عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلائِكَةٌ، لا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلا الدَّجَّالُ»(٤).

المطلب الثالث : قواعد المال والاقتصاد والكسب والولايات :

١- من كان عليه دَيْن فقال: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِـي بِفَضْـلِكَ عَمَّـنْ سِوَاكَ»، أدَّى الله عنه دينه وإن كان كثيرًا:

عَنْ عَلِيٍّ ﷺ أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَـابَتِي فَـأَعِنِّي. قَـالَ: أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ ثَبِيرٍ(٥) دَيْنًا أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»(٦).

---

(١) الترمذي، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب ما جاء في الخسف، ج٤، ص٤١٥، ح٢١٨٥؛ وصححه الألبـاني، **صحيح سنن الترمذي**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٣٧.

(٢) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٩٩٤؛ نسبه إلى جمهور العلماء.

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الحج، باب لا يدخل الدجال المدينـة، ج٢، ص٢٧٢، ح١٨٨١؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، بـاب قصـة الجساسـة، ج٤، ص٢٢٦٥، ح٢٩٤٣.

(٤) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الحج، باب لا يدخل الدجال المدينـة، ج٢، ص٢٧٢، ح١٨٨٠؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والـدجال إليهـا، ج٢، ص١٠٠٥، ح١٣٧٩.

(٥) جبل معروف عند مكة المكرمة . (ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٧، مادة : (ثبر)).

(٦) الترمذي وحسَّنه، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ، ج٥، ص٥٢٣، ح٣٥٦٣.

٢- «مَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»[١].

٣- ما فتح عبدٌ باب مسألة، إلا فتح الله عليه باب فقر:

قال ﷺ: «ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ» وذكر منها: «وَلا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إلا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ»[٢].

٤- «مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ، فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ»[٣].

٥- «ما منع قوم الزَّكاة إلا ابتلاهم الله بالسِّنين»[٤]:

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إلا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا»[٥]. وفي رواية : «وَلا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إلا حَبَسَ اللهُ عَنهُم القَطْرَ»[٦].

٦- ما نَقَصَ قومٌ «الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إلا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ»[٧].

٧- من سأل ولايةً وُكِلَ إلى نفسه، ومن وليها من غير سؤال أعانه الله عليها.

٨- طريقة الإنسان في دخوله المستقبل تُحدِّد بعض مكونات هذا المستقبل:

دَلَّ لهاتين القاعدتين ما رواه عَبْدُ الرَّحْمَنِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ! لا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ. فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا[٨]. وَإِنْ

---

(١) مسلم؛ والترمذي؛ وأبو داود؛ وابن ماجه، سبق تخريجه، ص٤٧٢، حاشية ٣.

(٢) الترمذي وقال : "حسن صحيح"، مرجع سابق، كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، ج٤، ص٤٨٧، ح٢٣٢٥.

(٣) حديث مرفوع رواه الترمذي وقال: "حسن صحيح غريب"، مرجع سابق، كتاب الزهد، باب ما جاء في الهم في الدنيا وحبها، ج٤، ص٤٨٨، ح٢٣٢٦؛ وأبو داود بلفظ: "أَوْشَكَ اللَّهُ لَهُ بِالْغِنَى: إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ، أَوْ غِنًى عَاجِلٍ"، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب في الاستعفاف، ج٢، ص٢٩٦، ح١٦٤٥.

(٤) حديث مرفوع رواه الطبراني، **المعجم الأوسط**، مرجع سابق، ج٧، ص٤٠٤، ح٦٧٨٤؛ وقال الهيثمي: "ورجاله ثقات". (**مجمع الزوائد**، مرجع سابق، ج٣، ص٢٠٤، ح٤٣٥٠).

(٥) ابن ماجه؛ وحسَّنه الألباني، سبق تخريجه، ص٤٧٣، حاشية ٥.

(٦) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي؛ وجوَّد ابن حجر إسناده، سبق تخريجه، ص٤٧٣، حاشية ٦.

(٧) ابن ماجه؛ وحسَّنه الألباني، سبق تخريجه، ص٤٧٣، حاشية ٥.

(٨) **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١١، ص٩٨.

أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا»[1]؛ ولهذا[2] لمّا جاء النبيَّ رَجُلانِ من الأشعريِّين، فَقَالَ أَحَدُهما: أَمِّرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَالَ الآخَرُ مِثْلَهُ، قَالَ النبي ﷺ: «إِنَّا لا نُوَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ وَلا مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ»[3]. «ويستثنى من ذلك من تعين عليه كأن يموت الوالي ولا يوجد بعده من يقوم بالأمر غيره، وإذا لم يدخل في ذلك يحصل الفساد بضياع الأحوال»[4]، و«من قام بالأمر عند خشية الضياع يكون كمن أعطي بغير سؤال لفقد الحرص غالبًا عمن هذا شأنه، وقد يغتفر الحرص في حق من تعين عليه، لكونه يصير واجبًا عليه»[5].

وفي الحديثين دليل على أنَّ طريقة الإنسان في دخوله المستقبل تُحدِّد بعض مكونات هذا المستقبل .

٩- الحج والعمرة ينفيان الفقر:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ . فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ . وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلا الْجَنَّةُ»[6]. وقال ﷺ: «مَا أَمْعَرَّ حَاجٌّ قَطُّ ». قيل لجابر ﷺ: ما الإمعار؟ قال: ما افتقر[7].

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأحكام، باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله عليها، ج٨، ص١٣٥، ح٧١٤٦؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا منها، ج٣، ص١٢٧٣، ح١٦٥٢.

(٢) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٢٦١.

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة، ج٨، ص١٣٦، ح٧١٤٩؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، ج٣، ص١٤٥٦، ح١٧٣٣.

(٤) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٣، ص١٣٥؛ نقلاً عن المُهلّب.

(٥) المرجع نفسه .

(٦) الترمذي وقال: "حسن غريب"، مرجع سابق، كتاب الحج، باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة، ج٣، ص١٧٥، ح٨١٠؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب مناسك الحج، باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة، ج٥، ص١٢٢، ح٢٦٣٠.

(٧) الطبراني، **المعجم الأوسط**، مرجع سابق، ج٦، ص١٠١، ح٥٢٠٩؛ وقال الهيثمي: ورواه البزار ورجاله رجال الصحيح . (**مجمع الزوائد**، مرجع سابق، ج٣، ص٤٧٨، ح٥٢٧٢). وضعفه الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، ط١، (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ)، ج٤، ص٤٦٢، ح٢٠٠٠.

ووجه كون هذه القاعدة مستقبلية، أنَّ الرسول ﷺ عبَّر عن النفي بالمضارع، كما أنَّ الفقير لا يمكنه الحج، وليس واجبًا في حقه، فدل على أن المراد من هو أعلى من الفقير، ووُعد بألاّ يأتيه الفقر.

١٠- ينبغي الحذر من الاشتغال بآلة الزرع:

قال البخاري: «بَاب مَا يُحَذَّرُ مِنْ عَوَاقِبِ الاشْتِغَالِ بِآلَةِ الزَّرْعِ أَوْ مُجَاوَزَةِ الْحَدِّ الَّذِي أُمِرَ بِهِ»، وأورد تحته حديثًا واحدًا، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ -وَرَأَى سِكَّةً وَشَيْئًا مِنْ آلَةِ الْحَرْثِ- فَقَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لا يَدْخُلُ هَذَا بَيْتَ قَوْمٍ إِلا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الذُّلَّ»(١). والسِّكَّة: «هي الحديدة التي تحرث بها الأرض... وقد أشار البخاري بالترجمة إلى الجمع بين حديث أبي أمامة والحديث... في فضل الزرع والغرس وذلك بأحد أمرين : إما أن يحمل ما ورد من الذم على عاقبة ذلك ومحله ما إذا اشتغل به فضيع بسببه ما أمر بحفظه، وإما أن يحمل على ما إذا لم يضيع إلا أنه جاوز الحد فيه»(٢).

المطلب الرابع : قواعد التشريع والجهاد والقتال :

١- لا تضل الأمة ما تمسكت بكتاب الله تعالى:

قال ﷺ في حجة الوداع : «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ .كِتَابُ اللَّهِ»(٣). «وإنما اقتصر على الكتاب لأنه مشتمل على العمل بالسنة لقوله تعالى: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾(٤) وقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾(٥) فيلزم من العمل بالكتاب العمل بالسنة»(٦).

---

(١) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المزارعة، باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع، ج٣، ص٩٢، ح٢٣٢١.

(٢) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٥، ص٧.

(٣) مسلم، مرجع سابق، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، ج٢، ص٨٩٠، ح١٢١٨؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي ﷺ، ج٢، ص٤٦٢، ح١٩٠٥؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب المناسك، باب حجة رسول الله ﷺ، ج٢، ص١٠٢٥، ح٣٠٧٤.

(٤) سورة النساء، من الآية: ٥٩.

(٥) سورة الحشر، من الآية: ٧.

(٦) العظيم آبادي، مرجع سابق، ج٥، ص٢٦٣.

٢–ما لم تحكُم أئمةُ المسلمين «بكِتَابِ اللَّهِ وَيَتخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إلا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»[١].

٣– من يلتزم الاقتصاد في العبادة، ويتجنب الغلو والإفراط فيها، يَبْلُغ :

قال ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ أَحَدٌ إلا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ»[٢].

أَورَد البخاري هذا الحديث عَقب أحاديث تضمنت الترغيب في القيام والصيام والجهاد؛ لِيُبين أنَّ الأَوْلَى لِلْعَامِلِ بذلك ألاَّ يُجهد نفسه بحيث يَعْجز وَيَنْقَطِع، بل يعمل بتلطف وتدريج؛ ليدوم عمله ولا ينقطع[٣].

٤– «حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنْ الدُّنْيَا إلا وَضَعَهُ»[٤]:

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كَانَتْ نَاقَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ، وَكَانَتْ لا تُسْبَقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَسَبَقَهَا، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَقَالُوا: سُبِقَتْ الْعَضْبَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنْ الدُّنْيَا إلا وَضَعَهُ»[٥].

قال الشاعر: «إذا تمَّ أمر بدا نقصُه توقَّعْ زوالاً إذا قيل تم»[٦].

وقال ابن المبارك: «ما طار شيءٌ فارتفع إلا كما طار وقع»[٧].

---

(١) حديث مرفوع رواه ابن ماجه؛ وحسَّنه الألباني، سبق تخريجه، ص٤٧٣، حاشية ٥.

(٢) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ج١، ص١٨، ح٣٩؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب الإيمان وشرائعه، باب الدين يسر، ج٨، ص٤٩٨، ح٥٠٤٩.

(٣) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١، ص١١٨.

(٤) حديث مرفوع رواه البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب ناقة النبي ﷺ، ج٣، ص٢٩٠، ح٢٨٧٢؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب في كراهية الرفعة في الأمور، ج٥، ص١٥٢، ح٤٨٠٢.

(٥) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الرقاق، باب التواضع، ج٧، ص٢٤٣، ح٦٥٠١؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب الخيل، باب الجنب، ج٦، ص٥٣٧، ح٣٥٩٤؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب في كراهية الرفعة في الأمور، ج٥، ص١٥٢، ح٤٨٠٢.

(٦) حسين بن محمد الراغب الأصفهاني، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، (بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٦١م)، ج٤، ص٣٨٨؛ وعلي بن محمد بن حبيب الماوردي، **قوانين الوزارة وسياسة الملك**، ط٢، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٤هـ)، ص ٥٥؛ ولم ينسباه لمعيَّن.

(٧) ابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، مرجع سابق، ج١، ص٦٢٩، قول١٠٨٣.

٥- لا تُهلك الأمة الإسلامية جميعها بقحط عام، ولا يُسلَّط عليها عدو من غيرها فيستأصلها:

قال ﷺ: «وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ . وَأَنْ لا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ . فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ . وَإِنَّ رَبِّي قَالَ : يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لا يُرَدُّ . وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ . وَأَنْ لا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ . يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ . وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا -أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا- حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»(١).

٦- لا تزال طائفة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة:

قال ﷺ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٢).

٧- «مَنْ لَمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ أَصَابَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٣).

٨- «لا يُغْلَبُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ»(٤).

٩- «مَا نَقَضَ قَوْمٌ العَهْدَ قَطُّ إِلا كَانَ القَتلُ بَينَهُم»(٥).

١٠- ما نَقض قومٌ «عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ »(٦).

---

(١) مسلم، مرجع سابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ج٤، ص٢٢١٥، ح٢٨٨٩؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثا في أُمته، ج٤، ص٤١٠، ح٢١٧٦؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، ج٤، ص٤٥١، ح٤٢٥٢؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن، ج٢، ص١٣٠٤، ح٣٩٥٢.

(٢) مسلم، مرجع سابق، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ : «لا تزال طائفة...»، ج٣، ص١٥٢٤، ح١٩٢٣.

(٣) حديث مرفوع رواه أبو داود، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، ج٣، ص٢٢، ح٢٥٠٣؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب التغليظ في ترك الجهاد، ج٢، ص٩٢٣، ح٢٧٦٢؛ وحسَّنه الألباني، **صحيح سنن ابن ماجه**، مرجع سابق، ج٢، ص١٢٣.

(٤) الترمذي؛ وأبو داود؛ وابن ماجه؛ والحاكم؛ سبق تخريجه، ص٤٢٤، حاشية ١.

(٥) رواه مرفوعاً الحاكم وصححه ووافقه الذهبي؛ وجوَّد ابن حجر إسناده، سبق تخريجه، ص٤٧٣، حاشية ٦.

(٦) حديث مرفوع رواه ابن ماجه؛ وحسَّنه الألباني، سبق تخريجه، ص٤٧٣، حاشية ٥.

خاتـــمة :

كان النظر إلى المستقبل من صميم عملية التغيير في المنهج النبوي، دلّت عليه سيرته ﷺ المكية، والمدنية، وكان تخطيطه ﷺ يجرى وفق النظر المستقبلي.

ولم يكن نظره ﷺ مقتصرًا على عصره، بل شمل أمته إلى قيام الساعة، وفي هذا يصـــدق عليه قول الشافعي في وصفه ﷺ، وأنه بسببه -بعد الله عز وجل- نالت أمته ما نالت مـــن الخير : «فلم تُمْسِ بنا نعمةٌ ظهرت ولا بطنت، نِلنا بها حظًّا في دين ودنيا، أو دُفِع بها عَنَّـــا مكروه فيهما وفي واحد منهما: إلا ومحمد ﷺ سببُها، القائد إلى خيرها، والهادي إلى رُشدها، الذائدُ عن الهلكة وموارد السوء في خلاف الرشد، المنبّهُ للأسباب التي تُورِد الهلكة، القـــائم بالنصيحة في الإرشاد والإنذار فيها»[1].

(١) مرجع سابق، ص١٦-١٧.

الفصل الثـــالث

النظرة المستقبلية لدى بعض علماء الأمة الإسلامية

المبحث الأول : النظرة المستقبلية عند الصحابة رضي الله عنهم

المبحث الثاني : النظرة المستقبلية عند بعض العلماء من مختلف العصور

المبحث الثالث : النظرة المستقبلية عند المؤرخين

المبحث الرابع : النظرة المستقبلية عند ابن تيمية

المبحث الخامس : القواعد المستقبلية التي صاغها الفقهـــاء في القواعـــد الشرعية

تمهيد :

حفلت سير العلماء من الصحابة ﷺ ومن بعدهم إلى عصرنا الحاضر بشواهد من النظر المستقبلي لهم، وظهر هذا في فقههم، وأقضيتهم، وفتاويهم، واستشاراتهم، وعلمهم، وعملهم، ما لو أراد باحث جمعه لصار في مجلدات، وسيعرض الباحث مقتطفات وأمثلة من ذلك، وهي ليست استقراءً كاملاً للنظرة المستقبلية عند العلماء، بل هي مجرد مدخل يمكن التوسع فيه .

وقد توازعت أيضًا أمثلة للنظرة المستقبلية لدى العلماء في مواضع متفرقة في هذا البحث، مما يغني عن إعادة ذكرها هنا، وتنتظم مباحث هذا الفصل ما لم يذكر منها .

المبحث الأول

النظرة المستقبلية عند الصحابة رضي الله عنهم

المطلب الأول : أبو بكر الصديق رضي الله عنه (ت ١٣هـ):

من وصاياه لقادته في معارك الإسلام العظيمة : «فإنكم أعوان الله؛ والله ناصر من نصره، وخاذل من كفره، ولن يؤتى مثلكم من قلة؛ وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أتُوا من تلقاء الذنوب؛ فاحترسوا الذنوب، واجتمعوا باليرموك متساندين ولْيُصلِّ كل رجل منكم بأصحابه»[(١)].

وهذه الوصية تنطق بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؛ مما يدل على أن أبا بكر رضي الله عنه اكتسب نظره المستقبلي منهما، بفقه عميق، وعمل رشيد.

المطلب الثاني : عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت ٢٣هـ):

نعته ابن القيم بإمام المتفرسين، وشيخ المتوسمين، لم تكن تخطئ له فراسة[(٢)]، وهو كذلك، ونظره المستقبلي يستحق أن يفرد بدراسة مستقلة .

اشتُهِر عن عمر رضي الله عنه في سيرته أنه كان يأخذ بالحزم والاحتياط، فلا ينتظر الأمور حتى تقع بل يبتدرها قبل وقوعها، ويمنع غرس الشر أن يغرس، وبذرته أن تلقى في تُربة، وشرارة الباطل أن تنطلق، وهذا من النظر المستقبلي الحصيف، ومن أمثلة هذا ما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : «كُنَّا فِي مَجْلِسٍ عِنْدَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ . فَأَتَى أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ مُغْضَبًا حَتَّى وَقَفَ . فَقَالَ : أَنْشُدُكُمْ اللَّهَ ! هَلْ سَمِعَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «الاسْتِئْذَانُ ثَلاثٌ . فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلاَّ فَارْجِعْ» . قَالَ أُبَيٌّ : وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَمْسِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ . فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ . ثُمَّ جِئْتُهُ الْيَوْمَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ . فَأَخْبَرْتُهُ؛ أَنِّي جِئْتُ أَمْسِ فَسَلَّمْتُ ثَلاثًا . ثُمَّ انْصَرَفْتُ . قَالَ : قَدْ سَمِعْنَاكَ وَنَحْنُ حِينَئِذٍ عَلَى شُغْلٍ . فَلَوْ مَا اسْتَأْذَنْتَ حَتَّى يُؤْذَنَ لَكَ ؟ قَالَ : اسْتَأْذَنْتُ، كَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. قَالَ فَوَاللَّهِ ! لأُوجِعَنَّ ظَهْرَكَ وَبَطْنَكَ . أَوْ لَتَأْتِيَنَّ بِمَنْ يَشْهَدُ لَكَ عَلَى هَذَا . فَقَالَ

---

(١) محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت، د.ن، د.ت)، ج٣، ص٣٩٣ .

(٢) **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، تحقيق محمد حامد الفقي، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ص٢٨ .

أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ : فَوَاللَّهِ لا يَقُومُ مَعَكَ إلاَّ أَحْدَثُنَا سِنًّا. قُمْ. يَا أَبَا سَعِيد! فَقُمْتُ حَتَّى أَتَيْتُ عُمَرَ . فَقُلْتُ : قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ هَذَا»[1]. «فَقَالَ عُمَرُ لأَبِي مُوسَى : إِنِّي لَمْ أَتَّهِمْكَ، وَلَكِنَّ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَدِيدٌ »[2].

وفي رواية : «أَمَا إِنِّي لَمْ أَتَّهِمْكَ، وَلَكِنْ خَشِيتُ أَنْ يَتَقَوَّلَ النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[3].

يقول النووي : إن عمر خاف مسارعة النَّاس إلى القول على النَّبيّ ﷺ، فيتقوَّل عليه بعض المبتدعين، أو الكاذبين، أو المنافقين، ونحوهم ما لم يقل، فإذا وقعت لأحدهم قضيَّة وضع فيها حديثًا على النَّبيّ ﷺ، فأراد عمر رضي الله عنه سدّ الباب خوفًا مِن غير أبي موسى لا شكًّا في روايته، فإنه عند عمر أجل مِن أنْ يُظَنّ به الكذب على رسول الله ﷺ، بل أراد زجر غيره بطريقه، فإذا أراد من في قلبه مرض وضع حديث خاف من مثل قضية أبي موسى، فامتنع من وضع الحديث، أو الرواية بغير يقين[4].

«إن الأخذ بالحزم ناحية من نواحي التفكير الصحيح؛ لأنه يقي المرء الوقوعَ في الأرزاء التي قد يتعسر دفعها أو يضيع في دفعها وقت ثمين، فالحزم ملاك النجاح. والحزم نوع ضعيف من سوء الظن، لكنه لا يرتب عليه صاحبه معاملة المظنون به على حسب ما ظن به، بل يرتب عليه العذر مما عسى أن يأتيه المظنون به... فهو غير الكثير من الظن المنهي عنه بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[5]»[6].

ومن فراسة عمر رضي الله عنه أنه كان «إذا نظر إلى معاوية، قال : هذا كسرى العرب»[7]. ولم تخطئ هذه الفراسة لعمر رضي الله عنه، بل مَلَكَ معاويةُ رضي الله عنه بعد نحو عقدين من وفاة عمر رضي الله عنه.

---

(١) مسلم، مرجع سابق، كتاب الآداب، باب الاستئذان، ج٣، ص١٦٩٤، ح٢١٥٣؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في أن الاستئذان ثلاث، ج٥، ص٥١، ح٢٦٩٠.

(٢) أبو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان، ج٥، ص٣٧٢، ح٥١٨٣.

(٣) المرجع نفسه، ج٥، ص٣٧٢، ح٥١٨٤.

(٤) **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٦١٤.

(٥) سورة الحجرات، من الآية: ١٢.

(٦) ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص١٠٢-١٠٣.

(٧) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج٣، ص١٣٤ .

ولما جاءت الغنائم العظيمة إلى عمر ﷺ ونظر إليها بكى، فقيل له : «ما يبكيك يا أمير المؤمنين، فوالله إنَّ هذا لموطن شكر! فقال : عمر : والله ما ذاك يبكيني، وتالله ما أعطَى الله هذا قومًا إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا ألقِيَ بأسهم بينهم»[1].

وكتب عمر ﷺ إلى المجاهدين: «أن احتازوا فيئكم فإنكم إن لم تفعلوا فتقادُم الأمر يلحج؛ وقد قضيت الذي عليّ. اللهم إني أشهدك عليهم فاشهد»[2]. ومعنى (يُلْحِج) أي : يجعل الأمور متعسرة على الحل[3].

فهذا طرف مما أُثر عنه في نظره المستقبلي ﷺ، وهو كما قال الشاعر :

«بصير بأعقاب الأمور كأنما   يَرى بصواب الرأي ما هو واقع»[4].

المطلب الثالث : عثمان بن عفان ﷺ (ت ٣٥هـ):

لما حوصر عثمان ﷺ وهُدِّد بالقتل، أشرف على الناس فقال : « أيها الناس لا تقتلوني واستتيبوني، فوالله لئن قتلتموني لا تصلّون جميعًا أبدًا ولا تجاهدون عدوًا جميعًا أبدًا ولتختلفن حتى تصيروا هكذا، وشبَّكَ بين أصابعه»[5]. وهكذا كان حال المسلمين بعد مقتله ﷺ.

المطلب الرابع : علي بن أبي طالب ﷺ (ت ٤٠هـ):

روى ابن عساكر[6] : أنه لـمَّا أراد أبو بكر ﷺ جهاد الروم في الشام استشار جمعًا من الصحابة ﷺ، فوافقه عمر بن الخطاب ﷺ، وقال : سرِّب إليهم الخيل في إثر الخيل، وابعث الرجال بعد الرجال، والجنود تتبعها الجنود، فإن الله ناصر دينه، ومعز الإسلام وأهله.

ورأى عبد الرحمن بن عوف ﷺ : أن يبعث الخيل فتغير في قواصي أرضهم، ثم ترجع إليه، فإذا فعلوا ذلك بهم مرارًا أضروا بهم، وغَنموا من أداني أرضهم؛ فقووا بذلك على عدوهم، حتى إذا استكملوا قوتهم غزاهم أبو بكر بنفسه .

---

(١) **تاريخ الطبري**، مرجع سابق، ج٤، ص٣٠ .

(٢) المرجع نفسه، ج٤، ص٣٢ .

(٣) "يقال : لَحِجَ في الأمر يَلحَج إذا دخل فيه ونشِب". (ابن منظور، مرجع سابق، ج٢، ص٣٥٧، مادة: (لحج)).

(٤) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، تحقيق يوسف علي طويل، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ج١، ص٩٢.

(٥) محمد بن سعد بن منيع البصري، **الطبقات الكبرى**، (بيروت، دار بيروت، ١٤٠٠هـ)، ج٣، ص٧١.

(٦) علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ)، ج٢، ص٦٣-٦٤.

وقال عثمان بن عفان ﷺ -ووافقه جمع من الصحابة ﷺ- : أي رأي تراه فاعزم عليه فنحن معك.

"وعلي في القوم لم يتكلم- قال أبو بكر : ماذا ترى يا أبا الحسن؟ فقال : أرى أنك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نصرت عليهم إن شاء الله فقال : بشّرك الله بخير، ومن أين علمتَ ذلك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا يزال هذا الدين ظاهرًا على كل من ناوأه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون» فقال : سبحان الله ما أحسن هذا الحديث، لقد سَررتني به سَرك الله"(١).

وقد تحققت فراسة علي ﷺ بالانتصار على الروم، وهي فراسة مستندة إلى قاعدة مستقبلية نبوية، صرَّح بها عليٌّ في رأيه، وسرَّ بها طالب الاستشارة رضي الله عنهما .

وعن علي ﷺ يقول -مستبطئًا مقتله- : «لَتُخْضَبَنَّ هَذه منْ هَذَا(٢)، فَمَا يَنْتَظرُ بِي الأَشْقَى؟! قَالُوا : يَا أَميرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَخْبِرْنَا به نُبِيرُ عِتْرَتَهُ . قَالَ : إذًا تَاللَّه تَقْتُلُونَ بي غَيْرَ قَاتلي. قَالُوا : فَاسْتَخْلفْ عَلَيْنَا . قَالَ : لا، وَلَكنْ أَتْرُكُكُمْ إِلَى مَا تَرَكَكُمْ إِلَيْه رَسُولُ اللَّه ﷺ. قَالُوا: فَمَا تَقُولُ لرَبِّكَ إِذَا أَتَيْتَهُ؟ -وَقَالَ وَكيعٌ مَرَّةً: إِذَا لَقيتَهُ؟- قَالَ: أَقُولُ: اللَّهُمَّ تَرَكْتَنِي فِيهِمْ مَا بَدَا لَكَ، ثُمَّ قَبَضْتَني إِلَيْكَ وَأَنْتَ فِيهِمْ، فَإِنْ شِئْتَ أَصْلَحْتَهُمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَفْسَدْتَهُمْ»(٣).

وهذا من نظره المستقبلي ﷺ، فإنه لو استخلف فمعنى هذا أنه أمدَّ أمدَ الصراع مع معاوية ﷺ، فكان في عدم استخلافه خير كثير للمسلمين .

وفيه قوة يقينه بالوحي، فإنهم مهما فعلوا فلن يصلوا إلى من سيقتله؛ لأن النبي ﷺ أخبره بأنه سيقتله أشقاها، وكلامه ﷺ وحي يوحى.

وقال علي ﷺ: "لا تكرهوا إمرة معاوية، فلو قد فقدتُموه لرأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها"(٤). وقد تحققت هذه الفراسة لعلي ﷺ، بعد وفاة معاوية ﷺ.

---

(١) المرجع نفسه، ج٢، ص٦٤.

(٢) أي : ستخضب لحيته من دم رأسه. (الحاكم، مرجع سابق، كتاب معرفة الصحابة، ج٣، ص١٥٣، أثر٤٦٨٦).

(٣) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٢٥، أثر١٠٧٨ .

(٤) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج٣، ص١٤٤.

وقال علي ﷺ لابن الكواء : « هل تدري ما قال الأول؟ أحبب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما»[1]أ.هـ. فلا يُصاب بكبيرٍ من يفعل هذا، إذا انقلب الحب بغضًا، أو انقلب البغض حُـبًّا.

المطلب الخامس : عبد الله بن رواحة ﷺ (ت ٨هـ):

لما تخوف المسلمون من قتال الروم في غزوة مؤتة؛ لأن عدد المسلمين كان ثلاثة آلاف، وعدد الروم كان مئة ألف، انتظر المسلمون ليلتـين ينظرون في أمـرهم، «فشجّع النـاس عبدُ الله بن رواحة، وقال : يا قوم؛ والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنـا الله بـه؛ فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين؛ إما ظهور؛ وإما شهادة، فقال الناس : قد والله صَـدَق ابن رواحة . فمضى الناس»[2].

فربط ﷺ تحقق المستقبل بالدين وليس بكثرة عدد أو عدة، ثم عرض مشهدين : مشهد النصر والظهور، ومشهد الشهادة ودخول الجنة، وكلاهما مشهد نفيس، تتسـابق النفـوس للحصول عليه؛ مما يرفع معنويات المجاهدين، ويثبت أقدامهم بإذن الله .

وكما ذكَّرهم بهذين المشهدين، ذكَّرَ نفسه بمشهدين آخرَين، لما رأى منها تـرددًا[3]: مشهد القتل، ومشهد الموت، فإن الموت لا بد أنه ملاقيه؛ وهذا جعـل نفسـه تتشـجع للحصول على المشهد الأول : مشهد الاستشهاد في سبيل الله، لا الموت على الفراش . يقول عندما تسلَّم الراية -بعد مقتل قائدي المسلمين قبله- :

«يانفس إلا تُقتَلي تموتي هذا حِمام الموت قد صَليتِ
وما تمنَّيت فقد أُعطيتِ إن تفعلي فِعلهما هُـديتِ...

فقاتل حتى قُتل»[4].

---

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، **الأدب المفرد**، (بيروت، مؤسسـة الكتـب الثقافيـة، ١٤٠٦هـ)، ص٢٨٠، أثر١٣٩٥؛ وقال الترمذي -بعد أن أشار إلى رواية مرفوعة لعلي ﷺ-: "والصحيح عن علي، موقوف قولـه"، مرجع سابق، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض، ج٤، ص٣١٧، ح١٩٩٧.

(٢) **تاريخ الطبري**، مرجع سابق، ج٣، ص٣٧-٣٨ .

(٣) روى ابن إسحاق : "فلما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية، ثم تقدَّم بها، وهو علـى فرسـه، فجعـل يستنــزل نفسه، ويتردد بعض التردد، ثم قال..."، وأورد أبياتـًا، من ضمنها المذكوران هنا. (ابن هشام، مرجع سابق، ج٣، ص٣٧٩)؛ وقال الهيثمي: "رواه الطبراني ورجاله ثقات". (**مجمع الزوائد**، مرجـع سـابق، ج٦، ص٢٣٤، ح١٠٢٢١).

(٤) رواه ابن إسحاق، ابن هشام، المرجع نفسه؛ ووثق رجاله الهيثمي، المرجع نفسه .

المطلب السادس: خالد بن الوليد ﷺ (ت ٢١هـ):

لما نزل خالد بن الوليد ﷺ قِنّسرين من أرض الشام تحصنوا منه، فقال: "إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم الله إلينا... فنظروا في أمرهم... فصالحوه"(١).

وكان مرارًا ما يضمن رسائله إلى رؤساء الكفر من العبارات مثل السابقة، فيقول – بعد أن يعرض عليهم الإسلام أو الجزية –: "وإلا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت، كما تحبون شرب الخمر"(٢). ويقول أحيانًا: "وإلا كان ذلك [أي: دخولكم تحت إمرتنا] وأنتم كارهون على غلب، على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة"(٣). ويقول أحيانًا: "وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة"(٤).

هذا النص الموجز وإن كان يتضمن الإصرار والعزم على الحصار ومواصلة القتال حتى يترلوا على إحدى الثلاث، إلا أنه يفيد أيضاً إغلاق خيارات المستقبل أمامهم سوى خيارات خالد التي هي خيارات الإسلام، وهذا من الفقه المستقبلي عند سيف الله ﷺ، إذ يُحْدِث هذا عوامل قوية من عوامل الهزيمة النفسية، وضعف الاستمرار في التحصن، وانهيار الصمود، واليأس وانقطاع الأمل.

ومن فراسته الدالة على نظره المستقبلي قوله: "والله يا أبا الدرداء لئن مات عمر لترين أمورًا تنكرها"(٥).

المطلب السابع: أبو ذر الغفاري ﷺ (ت ٣٢هـ):

كان من أشد الصحابة ﷺ على إنفاق ماله وعدم كنزه، ومع ذلك كان يدخر قوت سنة، فقد "كان عطاؤه أربعة آلاف فكان إذا أخذ عطاءه دعا خادمه فسأله عما يكفيه لسنة فاشتراه له، ثم اشترى فلوسًا بما بقي وقال: إنه ليس من وعاء ذهب أو فضة يُوكى عليه إلا وهو يتلظى على صاحبه"(٦).

---

(١) **تاريخ الطبري**، مرجع سابق، ج٣، ص٦٠١.

(٢) المرجع نفسه، ج٣، ص ٣٧٠.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه، ج٣، ص ٣٤٨.

(٥) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج١، ص٣٨٢.

(٦) ابن سعد، مرجع سابق، ج٤، ص ٢٣٠.

المطلب الثامن : عبد الله بن مسعود ﷺ (ت ٣٢هـ):

«لما بعث عثمان إلى ابن مسعود يأمره بالمجيء إلى المدينة، اجتمع إليه الناس، فقالوا: أقم فلا تخرج، ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه . فقال : إنَّ له علي طاعة، وإنها ستكون أمور وفتن لا أحب أن أكون أول من فتحها. فرد الناس وخرج إليه»(١). فهو يعلم من الوحي أنه ستقع فتن، فلا يريد أن يأتي بتصرف يكون فيه فتح لهذه الفتن؛ فيصير إثمها إليه، وإن لم يَرضها .

ومن دعاء ابن مسعود ﷺ : «اللهم إني أَسأَلُكَ إيمانــًا لا يَرْتَد»(٢). فالإيمان عُرضه للزيادة، والنقصان، والزوال، أسأل الله حسن الخاتمة .

وكانت بعض خُطَبِه تحمل عبارات من الفقه الدال على النظر المستقبلي لديه، يقول : «والسعيد من وعظ بغيره... وخير الأمر ناجزه... وكل ما هو آت قريب... ومن يصبر على الرزايا يعقبه الله، ومن يعرف البلاء يصبر عليه، ومن لا يعرفه ينكره، ومن يستكبر يضعه الله، ومن يبتغي السمعة يسمع الله به، ومن ينوي الدنيا تعجزه»(٣).

المطلب التاسع : حذيفة بن اليمان ﷺ (ت ٣٦هـ):

وهو صاحب النظر المستقبلي، يقول ﷺ : «كَان النَّاسُ يَسأَلُونَ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الخَيرِ، وكُنتُ أَسأَلُه عَن الشَّرِ مَخافَة أَن يُدرِكَني»(٤).

وعن أنس بن مالك ﷺ : « أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ

---

(١) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج١، ص٤٨٩.

(٢) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٧، ص٢٨٨، ح٤٢٥٥؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب معرفة الصحابة، ج٣، ص٣٥٩، ح٥٣٨٦ .

(٣) ابن أبي شيبة، مرجع سابق، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، (بيروت، دار التاج، ١٤٠٩هـ)، ج٧، ص١٠٦، أثر٣٤٥٥٢؛ وصححه إسناده محقق **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، تحقيق قاسم بن صالح القاسم، ط١، (الرياض، دار العاصمة ودار الغيث، ١٤٢٠هـ)، ج٢٥، ص٩٠، أثر٣١٢٥.

(٤) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج٤، ص٢١٥، ح٣٦٠٦؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، ج٣، ص١٤٧٥، ح١٨٤٧.

اخْتِلافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى : فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ . فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاثَةِ : إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنْ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنْ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ»[1].

فهكذا، لما رأى حذيفة ﷺ شرارة الفتنة قد ظهرت، سارع بتداركها قبل أوار نارها، فاقترح جمع الناس على رسم واحد، وأن يكون هذا الرسم هو الحجة المعتمدة في القراءات؛ لمنع الاختلاف والفرقة، ووافقه عليه عثمان ﷺ، وفي هذا نظر مستقبلي لكليهما رضي الله عنهما.

وقال حذيفة ﷺ: «تعوَّدوا الصبر فإنه يوشك أن ينزل بكم البلاء مع أنه لا يصيبكم بلاء أشد مما أصابنا مع رسول الله ﷺ»[2]. فالأمور العظيمة التي تحل بالمرء، تحتاج إلى أن يتهيأ لها، ومن لم يتعود الصبر قد لا يصبر إذا نزلت به.

وعن حذيفة ﷺ قال: «أشتري ديني بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله»[3]. وهذا من الفقه المستقبلي؛ فإن العاقل يُقدِّر ويوازن بين الأمور، بحيث لا يؤثر أمر على آخر.

المطلب العاشر: حسان بن ثابت ﷺ (ت ٤٠هـ، أو ٥٤هـ):

يقول حسان في هجاء المشركين من قريش:

«ثَكِلْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَنَفَيْ كَدَاءِ
يُبَارِينَ الأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاءُ

(١) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ج٦، ص ١٢٠، ح٤٩٨٧؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، ج٥، ص ٢٦٥، ح ٣١٠٤.

(٢) أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، **البحر الزخار**، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، ط١، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٥هـ)، ج٧، ص ٣٢٢، أثر ٢٩٢٠؛ وقال الهيثمي: "وفيه: مُجالد، وقد وثق، وفيه ضعف". (**مجمع الزوائد**، مرجع سابق، ج٧، ص ٥٥٣، أثر ١٢٢١٧).

(٣) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، **حلية الأولياء**، (د.م، دار الفكر، د.ت)، ج١، ص ٢٧٩.

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ... تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ
فَإِنْ أَعْرَضْتُمُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
وَإِلاَّ فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ ... يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ»[1].

ويثير حسان ﷺ في هذه الأبيات مَشاهد الهزيمة في نفوس المشركين، وأن النصر متحقق للإسلام وأهله، في وصف مستقبلي تفصيلي بديع، يصف فيه خيل المسلمين وهي تدخل من كداء من أعلى مكة فاتحة، تثير الغبار، حتى لا يبقى أمامها سوى نساء أهل مكة، يضربن خيول المسلمين بخمرهن . ويقول هذه الأبيات قبل فتح مكة بمدة[2]؛ لأنه جاء عند مسلم أن النبي ﷺ أرسل إلى عدد من شعراء الصحابة لهجاء قريش، وكان منهم عبد الله بن رواحة، حتى جاءه حسان بن ثابت، ثم أورد أبياتًا، كان من ضمنها هذه الأبيات، ومن المعلوم أن ابن رواحة توفي في معركة (مؤتة) في جمادى الأولى عام ثمان من الهجرة، وفتح مكة كان في شهر رمضان من العام نفسه . كما أن معنى الأبيات يؤكد تراخيها قبل الفتح، ومن المرجح أنها قيلت عام ست من الهجرة، عام الحديبية، أو في عمرة القضاء عام سبع من الهجرة؛ لمناسبة قول حسان ﷺ: «فَإِنْ أَعْرَضْتُمُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا».

فبعد مضي مدة، يكون وصف حسان واقعًا كما قاله ﷺ. عن عائشةَ رضي الله عنها: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَامَ الْفَتْحِ مِنْ كَدَاءٍ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ»[3]. وقال ابن هشام : «لما رأى رسول الله ﷺ النساء يَلطِمن الخيل بالخُمُر تبسَّم إلى أبي بكرالصديق ﷺ»[4]أ.هـ. وهي الصورة التي وصفها حسان ﷺ .

---

(١) مسلم، مرجع سابق، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل حسان بن ثابت ﷺ، ج٤، ص١٩٣٧، ح٢٤٩٠.

(٢) وليس صحيحًا ما ذهب إليه ابن هشام: أنه قالها يوم فتح مكة، مرجع سابق، ج٤، ص٤٢٤ .

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الحج، باب من أين يخرج من مكة، ج٢، ص١٨٩، ح١٥٧٩؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الحج، باب استحباب دخول مكة من الثنية العليا، ج٢، ص٩١٩، ح١٢٥٨.

(٤) مرجع سابق، ج٤، ص٤٢٤، بلاغًا عن الزهري.

المطلب الحادي عشر : أبو موسى الأشعري ﷺ (ت ٤٤هـ):

عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال لي أبو موسى ﷺ: «جهزني يا أنس وقال للناس إني خارج إلى ثلاث فلما جاء الوقت قال يا أنس فرغت قال قلت بقي كذا وكذا قال إني خارج فقلت لو أقمت حتى يفرغ منه قال إني أكره أن أكذب أهلي فيكذبوني وأخوهم فيخونوني»[1].

المطلب الثاني عشر : عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (ت ٦٨هـ) :

قال ابن حجر : «حكى ابن عبد البر ...عن الرشيد أو المهدي أو المنصور أنه أراد أن يعيد الكعبة على ما فعله ابن الزبير، فناشده مالك في ذلك وقال : أخشى أن يصير ملعبة للملوك، فتركه . قلت : وهذا بعينه خشية جدهم الأعلى عبد اللّه بن عبَّاس رضي اللّه عنهما فأشار على ابن الزبير لـمَّا أراد أن يهدم الكعبة ويجدِّد بناءها بأن يَرُمّ ما وهى منها ولا يتعرض لها بزيادة ولا نقص، وقال له : «لا آمن أن يجيء من بعدك أمير فيغير الذي صنعت»»[2].

وكان للصحابة ﷺ طريقة مميزة في تعلم القرآن وحفظه، عن جندب ﷺ قال: «كنَّا مع النبي ﷺ ونحن فتيانٌ حَزَاوِرَةٌ[3] . فتَعَلَّمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن . ثم تَعلَّمنا القرآنَ . فَازدَدنا به إيماناً»[4].

وهذه الطريقة في تعلم القرآن يراها ابن عباس رضي الله عنهما أنها الطريقة الصواب، وأنه متى يُسارع الناس إلى حفظ القرآن قبل أن يتربوا على الإيمان يحصل من الفتن ما الله به عليم، يقول ابن عباس رضي الله عنهما : «قدِم على عمر رجل، فجعل عمر يسأله عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا . فقلت: والله ما أُحبُّ أن يُسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة . قال : فزبرني عمر، ثم قال: مه. فانطلقتُ إلى

---

(١) أحمد بن حنبل، **الزهد**، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٩هـ)، ص٢٩٢، أثر١٠٩٩.

(٢) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٣، ص٥٢٤، وقال عن قول ابن عباس: "أخرجه الفاكهي من طريق عطاء عنه" .

(٣) الـحَزْوَر : من قارب البلوغ . (ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج١، ص٣٨٠، مادة : (حزور)).

(٤) ابن ماجه، مرجع سابق، كتاب المقدمة، باب في الإيمان، ج١، ص٢٣، ح٦١. وقال البوصيري : "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات". (مرجع سابق، طبعة دار الجنان، ج١، ص٥٠).

منـــزلي مكتئبًا حزينًا، فقلت: قد كنت نزلت من هذا بمنـــزلة، ولا أُراني إلا قد سقطت من نفسه، فاضطجعت على فراشي، حتى عادني نسوة أهلي وما بي وجع، فبينا أنا على ذلـــك، قيل لي: أجب أمير المؤمنين . فخرجت، فإذا هو قائم على الباب يتنظرني، فأخذ بيـــدي، ثم خلا بي، فقال: ما الذي كرهتَ مما قال الرجل آنفًا؟ قلت: يا أمير المؤمنين، إن كنتُ أسأتُ فإني أستغفر الله، وأتوب إليه، وأنزل حيث أحببتَ . قال: لتخبرنِّي . قلت: متى ما يسارعوا هذه المسارعة، يَحْتَقُّوا، ومتى ما يَحْتَقُّوا، يختصموا، ومتى ما اختصموا، يختلفوا، ومـــتى مـــا يختلفوا، يقتتلوا. قال: لله أبوك . لقد كنتُ أكتمها الناسَ حتى جئتَ بها »[1].

وهذا الاختلاف والاقتتال الذي أشار إليه ابن عباس في زمن عمر رضي الله عنهم، ظهر في آخر خلافة عثمان، وفي خلافة علي رضي الله عنهما، وكان منهم قوم قُرَّاء.

ومن فراسة ابن عباس في حال الحسين بن علي ﷺ قوله له : «إني لأظنك ستُقتل غدًا بين نسائك وبناتك كما قُتل عثمان، وإني لأخاف أن تكون الذي يُقادُ به عثمان، فإنا لله وإنـــا إليه راجعون»[2]. فكان كما قال ابن عباس رضي الله عنهما .

المطلب الثالث عشر : المغيرة بن شعبة ﷺ (ت ٥٠هـــ):

استعمل عمر ﷺ «المغيرة بن شعبة على البحرين، فكرهوه، فعزله عمـــر، فخـــافوا أن يردَّه. فقال دهقانهم : إن فعلتم ما آمركم لم يرده علينا . قالوا : مرنا. قال : تجمعون مئـــة ألف حتى أذهب بها إلى عمر، فأقول : إن المغيرة اختان هذا، فدفعه إليَّ . قال : فجمعوا له مئة ألف، وأتى عمر، فقال ذلك . فدعا المغيرة، فسأله، قال : كذب أصـــلحك الله، إنمـــا كانت مئتي ألف، قال : فما حملك على هذا؟ قال : العيال والحاجة . فقال عمر للعلج: ما تقول؟ قال: لا والله لأصدقنك ما دفع إلي قليلاً ولا كثيرًا . فقال عمر للمغيرة : مـــا أردت إلى هذا؟ قال: الخبيث كذب عليَّ، فأحببت أن أخزيه»[3].

وهكذا ينبغي أن يكون المسلم واعيًا لما يخطط له عدوه، وألا يقع في حبائـــل الخطـــط المستقبلية لأعدائه، بل يكون حصيفًا يمنع تنفيذ الخطة ويحتاط من وقوعها .

---

(١) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج٣، ص٣٤٨-٣٤٩؛ وروى نحوه الحاكم وصححه علـــى شـــرط الشيخين ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب معرفة الصحابة، ج٣، ص٦٢٢، أثر ٦٣٠١.

(٢) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج٣، ص٢٩٧.

(٣) المرجع نفسه، ج٣، ص٢٦-٢٧.

المطلب الرابع عشر: سعد ابن أبي وقاص ﷺ (ت٥٥هـ):

كغيره من قادة الجيوش، كان يرسل الطلائع قبل المعركة تستطلع أحوال العدو، وما تراه من أمره، فأرسل قبيل معركة القادسية رجلين من خيرة الفرسان الشجعان، وقد توغل أحدهما حتى غشي عسكر الفرس(١). فهو لا يخوض معاركه بلا رؤية، بل يرسل العيون تُبصر ما هو مقدم عليه، وترتاد له خبر القوم. وترْك هذا يعد من أسباب الهزيمة، فقد عَزى بعض الباحثين(٢) بعض أسباب هزيمة التتار في معركة (عين جالوت) عام (٦٥٨هـ) إلى كونهم ليس لهم طلائع تتقدم الجيش.

المطلب الخامس عشر: أبو سعيد الخدري ﷺ (ت٧٤هـ):

«كان أهل الكوفة يكتبون إلى الحسين يدعونه إلى الخروج إليهم زمن معاوية، كل ذلك يأبى، فقدم منهم قوم إلى محمد بن الحنفية، وطلبوا إليه المسير معهم، فأبى، وجاء إلى الحسين، فأخبره، وقال: إن القوم يريدون أن يأكلوا بنا، ويشيطوا دماءَنا، فأقام حسين على ما هو عليه متردد العزم، فجاءه أبو سعيد الخدري، فقال: يا أبا عبد الله، إني لك ناصح ومشفق، وقد بلغني أنه كاتبك قوم من شيعتك، فلا تخرج إليهم، فإني سمعت أباك يقول بالكوفة: والله لقد مللتهم وملوني وأبغضتهم وأبغضوني، وما بلوت منهم وفاءً، ولا لهم ثبات ولا عزم ولا صبر على السيف»(٣).

وفي هذا دليل على فقه أبي سعيد ﷺ، وعنايته بالتجارب، والإفادة منها.

المطلب السادس عشر: مواقف الصحابة ﷺ مع أخبار الوحي المستقبلية:

كان للصحابة ﷺ، مواقف إيجابية في تعاملهم مع أخبار الوحي المستقبلية، تجاوزت الإيمان بها والتصديق الجازم بوقوعها كما أخبر بها النبي ﷺ، إلى مسألة التعرف على عملهم فيها، ومواقفهم نحوها، والإفادة منها في أمورهم الدنيوية.

فعن عبد اللّه بن مسعود ﷺ أَنَّ النَّبِي ﷺ قال: «سَيَلِي أُمُورَكُمْ بَعْدِي رِجَالٌ يُطْفِئُونَ السُّنَّةَ وَيَعْمَلُونَ بِالْبِدْعَةِ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلاَةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنْ أَدْرَكْتُهُمْ، كَيْفَ أَفْعَلُ؟ قَالَ تَسْأَلُنِي يَا ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ كَيْفَ تَفْعَلُ؟ لا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَى اللَّهَ»(٤).

---

(١) **تاريخ الطبري**، مرجع سابق، ج٣، ص ٥١٠ – ٥١١.

(٢) ماجد اللحام، **معجم المعارك الحربية**، (دمشق، دار الفكر المعاصر، ١٤١٠هـ)، ص ٢١٧.

(٣) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج٣، ص ٢٩٣ – ٢٩٤.

(٤) ابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب لا طاعة في معصية الله، ج٢، ص ٩٥٦، ح ٢٨٦٥؛ وصححه الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، ج٢، ص ١٣٩، ح ٥٩٠.

وعنه ﷺ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «كَيْفَ بِكُمْ إِذَا أَتَتْ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُصَلُّونَ الصَّلاَةَ لِغَيْرِ مِيقَاتِهَا؟ قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: صَلِّ الصَّلاَةَ لِمِيقَاتِهَا، وَاجْعَلْ صَلاَتَكَ مَعَهُمْ سُبْحَةً»(١).

وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : بَيْنَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ ذَكَرَ الْفِتْنَةَ، فَقَالَ : « إِذَا رَأَيْتُمْ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ وَكَانُوا هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ : فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ؟ قَالَ: الْزَمْ بَيْتَكَ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ»(٢).

وعن أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قال : قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ . أَلا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي فِيهَا . وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي إِلَيْهَا . أَلا، فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ . وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ . وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ . قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلا غَنَمٌ وَلا أَرْضٌ؟ قَالَ : يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ . ثُمَّ لِيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ. اللَّهُمَّ! هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ! هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ! هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ : يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ . وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(٣).

وهكذا كل المسلم، ينبغي أن يعرف كيف يفعل عند وقوع بعض الفتن، فيحتاط لدينه، مستفيدًا في ذلك من كنوز الوحي.

---

(١) أبو داود، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب إذا أخر الإمام الصلاة عن الوقت، ج١، ص٣٠٠، ح٤٣٢؛ وصححه الألباني، **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، مرجع سابق، ج٢، ص٨٤٢، ح٤٥٩٣.

(٢) أبو داود، مرجع سابق، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ج٤، ص٥١٣، ح٤٣٤٣؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الأدب، ج٤، ص٣١٥، ح٧٧٥٨.

(٣) مسلم، مرجع سابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر، ج٤، ص٢٢١٢، ح٢٨٨٧؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الفتن والملاحم، باب في النهي عن السعي في الفتنة، ج٤، ص٤٥٥، ح٤٢٥٦.

وكان بعض الصحابة ﷺ يوجهون الناس في بعض أمورهم المستقبلية مستندين إلى الوحي، فعن أَبِي صَعْصَعَةَ أن أبا سَعِيد الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ له : إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَتَتَّخذُهَا، فَأَصْلِحْهَا وَأَصْلِحْ رُعَامَهَا[١]، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَكُونُ الْغَنَمُ فِيهِ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ[٢] -أَوْ سَعَفَ الْجِبَالِ- فِي مَوَاقِعِ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ»[٣].

كما كان بعض الصحابة ﷺ يستثمرون الوحي لتحقيق بعض مصالحهم الدنيوية المستقبلية، منهم : تميم الداري ﷺ، فعن عكرمة ﷺ قال : «لما أسلم تميم الداري قال: يا رسول الله، إن الله مُظهرك على الأرض كلها، فهب لي قريتي من بيت لحم، قال : هي لك. وكتب له بها. فلما استُخلف عمر وظهر على الشأم، جاء تميم الداري بكتاب النبي ﷺ ، فقال عمر : أنا شاهد ذلك . فأعطاها إياه»[٤].

ومنهم : أبو ثعلبة الخُشَني، قال : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ : «يَا رَسُولَ اللَّه اكْتُبْ لِي بِأَرْضِ كَذَا وَكَذَا -لأَرْضِ الشَّامِ لَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ حِينَئِذ- فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَلا تَسْمَعُونَ إِلَى مَا يَقُولُ هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو ثَعْلَبَةَ: وَالَّذي نَفْسِي بِيَده لَتَظْهَرُنَّ عَلَيْهَا. قَالَ: فَكَتَبَ لَهُ بِهَا»[٥].

المطلب السابع عشر : نَهْيُ الصحابة ﷺ عن استعجال الأمور، والسؤال عن ما لم يكن :

نهى عدد من الصحابة ﷺ عن استعجال البلايا قبل نزولها، وعن السؤال عن أشياء لم تكن بعد، منهم عمر بن الخطاب، ومعاذ بن جبل، وعمار بن ياسر، وغيرهم ﷺ.

قال عمر بن الخطاب ﷺ وهو على المنبر: «أحرِّج بالله على كل امرئ سأل عن شيء لم يكن؛ فإن الله عز وجل قد بين ما هو كائن»[٦].

---

(١) الرُّعام: ما يسيل من أنوف الغنم . (ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٣٥، مادة : (رعم)).

(٢) أي: رؤوسها، وأعلاها . (ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج٢، ص٤٨١، مادة : (شعف)).

(٣) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج٤، ص٢١٣، ح٣٦٠٠.

(٤) أبو عبيد، مرجع سابق، ص٣٦٨-٣٦٩، أثر ٦٨٣.

(٥) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٢٩، ص٢٧٣، ح١٧٧٣٧.

(٦) ابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، مرجع سابق، ج٢، ص١٠٦١، أثر ٢٠٥١؛ وقال المحقق: "رجال إسناده ثقات".

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «يا أيها الناس! لا تسألوا عما لم يكن؛ فإن عمر كان يلعن من سأل عما لم يكن»(١).

و«كان زيد بن ثابت إذا سأله إنسان عن شيء قال: آلله! أكان هذا؟ فإن قال: نعم، نظر وإلاّ لم يتكلم»(٢).

وعن مسروق قال: «سألت أبي بن كعب عن مسألة فقال: أكانت هذه بعد؟ قلت: لا، قال: فأجمّني حتى تكون»(٣).

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تعجلوا بالبلية قبل نزولها؛ فإنكم إلا تفعلوا أوشك أن يكون فيكم من إذا قال سُدّد ووفق، وإنكم إن عجلتم تشتت بكم الطرق هاهنا وهاهنا»(٤).

و«سئل عمار – ﷺ – عن مسألة فقال: كان هذا بعد؟ قالوا: لا. قال: دَعُونا حتى يكون، فإذا كان تَجشّمناها لكم»(٥).

وهذه النصوص تدل على فقه الصحابة ﷺ؛ فليس كل مسألة مستقبلية يصلح السؤال عنها، أو دراستها؛ وقد يؤدي هذا إلى إيجاد مشكلات لم تكن موجودة أصلاً.

وهذا النهي محمول على ما لا يترتب عليه فائدة، كما نص عليه بعض العلماء(٦)، أما ما كان له فائدة فليس بمنهي عنه، بل حتى بعض من رُوي عنه هذا النهي كانت لهم استشرافات مستقبلية أعطوا فيها أحكامهم وآراؤهم، كعمر بن الخطاب، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما(٧).

---

(١) المرجع نفسه، ج٢، ص ١٠٦٧، أثر ٢٠٦٧؛ وصححه المحقق.

(٢) نفسه، ج٢، ص ١٠٦٨، أثر ٢٠٦٨؛ وصححه المحقق.

(٣) نفسه، ج٢، ص ١٠٦٥، أثر ٢٠٥٧؛ وصححه المحقق.

(٤) عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، **المسند**، تحقيق حسين سليم الداراني، (الرياض، دار المغني، ١٤٢١هـ)، المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، ج١، ص ٢٥٦ -٢٥٧، أثر ١٥٥؛ وابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، مرجع سابق، ج٢، ص١٠٦٣، أثر ٢٠٥٥؛ وحسنه ابن حجر مختصراً، **المطالب العالية**، مرجع سابق، ج٢٤، ص ٦٠٧، أثر ٣٠٣٠.

(٥) الدارمي، مرجع سابق، المقدمة، باب كراهية الفتيا، ج١، ص ٢٤٣ – ٢٤٤، أثر ١٢٥؛ وقال ابن حجر: "هذا موقوف رجاله ثقات، وهو صحيح، إن كان الشعبي سمع من عمار ﷺ"، **المطالب العالية**، مرجع سابق، ج٢٤، ص ٦٠٣، أثر ٣٠٢٨.

(٦) منهم ابن القيم، ينظر ص ٧٢٦؛ ومنهم محمد بن محمد بن أحمد المقّري، **القواعد**، تحقيق أحمد بن عبد الله بن حميد، (مكة، جامعة أم القرى، د.ت)، ج٢، ص ٤٦٦، أجازه في المستقبل المتيقن.

(٧) ينظر مثال لذلك: وقف أرض السواد، ص ٦٠٩ – ٦١٥.

المبحث الثاني

النظرة المستقبلية عند بعض العلماء من مختلف العصور

المطلب الأول : الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ):

قال له ابنه عبد الملك:"يا أمير المؤمنين ما أنت قائل لربك غدًا إذا سألك فقال : رأيت بدعة فلم تمتها أو سنة فلم تحيها؟ فقال له : يا بني أشيء حملك الرغبة إليّ أم رأي رأيته من قبل نفسك؟ قال : لا والله ولكن رأي رأيته من قبل نفسي، عرفت أنك مسؤول، فما أنت قائل؟ فقال له أبوه : رحمك الله وجزاك من ولد خيرًا فوالله إني لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير. يا بني إن قومك قد شدّوا هذا الأمر عُقدةً عقدّة وعُروةً عروة ومتى ما أريد مكابرقم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا علي فتقًا تكثر فيه الدماء، والله لزوال الدنيا أهون علي من أن يهراق في سببي محجنة من دم، أوما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة؟ حتى يحكم الله بيننا بالحق وهو خير الحاكمين"[1].

فهو يريد أن يسير في الرعية بسنة التدرج، والانتقال من مرحلة لمرحلة، حتى لا تنفر النفوس منه جملة واحدة، فالأناة في موطنها من النظر المستقبلي الحصيف، وما السيل إلا اجتماع النقط .

المطلب الثاني : مسلمة بن عبد الملك بن مروان (ت ١٢٠هـ) :

لما عزم الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك (ت ٩٩هـ) على غزو (القسطنطينية)، استشار أخاه مسلمة بن عبد الملك، وموسى بن نصير، "فقال موسى: يا أمير المؤمنين، إن أردت ذلك، فسر سيرة الصحابة فيما فتحوه، كلما فتحوا مدينة اتخذوها دارًا، وحازوها للإسلام، فابدأ بالدروب وافتح حصوها حتى تبلغ القسطنطينية، فإهم سيعطون بأيديهم؛ فقال لمسلمة: ما تقول أنت؟ قال: هذا الرأي إن طال عمر إليه، أو كان الذي يأتي على رأيك، وبريد ذلك، خمس عشرة سنة؛ ولكني أرى أن تغزي المسلمين برًّا وبحرًا القسطنطينية، فيحاصروها، فإهم ما دام عليهم البلاء أعطوا الجزية، أو أخذت عنوة، فمتى وقع ذلك، كان

---

(١) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، **صفة الصفوة**، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ)، ج٢، ص٩٠.

ما دونها من الحصون بيدك. قال: هذا الرأي؛ فأغزى أهل الشام، والجزيرة في البر، في نحو من عشرين ومئة ألف، وأغزى أهل مصر والمغرب في البحر في ألف مركب، عليهم عمر بن هبيرة، وعلى الكل مسلمة بن عبد الملك. قال الوليد بن مسلم: فأخبرني غير واحد أن سليمان أخرج لهم العطاء، وبين لهم غزوهم وطولها»[1].

فهذا يدل على أن فتوحات المسلمين ما كانت جزافًا، ولا اقتصرت على الاتيان بأدنى الإعدادات، بل كانت لهم فيها آراء، وتخطيط، وتقديرات مستقبلية منضبطة.

وواضح في القصة أن كل قائد قام بعرض المشهد المستقبلي الذي يراه يحقق النصر .

المطلب الثالث : عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (ت ١٥٧هـ) :

عني الدعاة في قرون الإسلام الأولى بتذكير الناس بالأمم الماضية وما حلّ بهم بسبب العصيان والكفر، وتذكيرهم بنعم الله ووجوب شكرها[2]، ومن هؤلاء الأوزاعي، ومن مواعظه في هذا :

«أيها الناس، تقوَّوا بهذه النعم التي أصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، فإنكم في دار الثواء فيها قليل وأنتم فيها مؤجلون خلائف من بعد القرون الذين استقبلوا من الدنيا أنفها وزهرتها فهم كانوا أطول منكم أعمارًا وأمد أجسامًا وأعظم آثارًا فخددوا الجبال وجابوا الصخور ونقبوا في البلاد مؤيَّدين ببطش شديد وأجسام كالعماد فما لبثت الأيام والليالي أن طَوت مُددهم وعفت آثارهم وأخوت منازلهم وأنست ذكرهم، فما تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزًا، كانوا بِلَهوِ الأمل آمنين لبيات قوم غافلين أو لصباح قوم نادمين، ثم إنكم قد علمتم الذي نزل بساحتهم بياتًا من عقوبة الله عز وجل فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين وأصبح الباقون ينظرون في آثار نقمة وزوال نعمة ومساكن خاوية فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم وعبرة لمن يخشى، وأصبحتم من بعدهم في أجل منقوص ودنيًا مقبوضة في زمان قد ولى عفوه وذهب رخاؤه فلم تبق منه إلا حمة شر وصبابة كدر، وأهاويل عبر، وعقوبات غير وأرسال فتن، وتتابع زلازل ورذالة خلف بهم ظهر الفساد في البر والبحر، فلا تكونوا أشباهًا لمن خدعه الأمل وغر بطول

---

(١) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج٤، ص٥٠١.

(٢) مشاعل، مرجع سابق، ج١، ص٢٤٢.

الأجل وتبلّغ بالأماني . نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن وعى نذره وانتهى، وعقل سُرّاه فمهد لنفسه»[1].

المطلب الرابع : الفضيل بن عياض (ت ١٨٧هـ):

قال الفضيل: «لو أن لي دعوة مستجابة ما صيرتها إلا في الإمام، قيل له: وكيف ذلك يا أبا علي؟ قال : متى ما صيرتها في نفسي لم تجزني، ومتى صيرتها في الإمام فصلاح الإمام صلاح العباد والبلاد، قيل: وكيف ذلك يا أبا علي؟ فسر لنا هذا، قال: أما صلاح البلاد فإذا أمن الناس ظُلْم الإمام عمروا الخرابات ونزلوا الأرض، وأما العباد فينظر إلى قوم من أهل الجهل فيقول: قد شغلهم طلب المعيشة عن طلب ما ينفعهم من تعلم القرآن وغيره، فيجمعهم في دار خمسين خمسين أقل أو أكثر، يقول للرجل: لك ما يصلحك، وعلّم هؤلاء أمر دينهم، وانظر ما أخرج الله عز وجل من فيهم مما يزكي الأرض فرده عليهم. قال: فكان صلاح العباد والبلاد، فقبّل ابن المبارك جبهته وقال: يا معلم الخير من يُحسن هذا غيرك»[2].

وهذا من فقه الدعوة؛ حيث عُني بما ينتج عنه أثر أكبر .

المطلب الخامس : الفضل بن موسى السيناني (ت ١٩٢هـ) :

نعته الذهبي بالإمام، الحافظ، الثبت[3].

عن «علي بن إسحاق بن راهويه قال : ولد أبي من بطن أمه مثقوب الأذنين، قال فمضى جدي راهويه إلى الفضل بن موسى السيناني فسأله عن ذلك وقال : ولد لي ولد خرج من بطن أمه مثقوب الأذنين ! فقال : يكون ابنك رأسًا إما في الخير، وإما في الشر»[4].

قال ابن القيم : «فكأن الفضل بن موسى، والله أعلم، تفرس فيه، أنه لما تفرد عن المولودين كلهم بهذه الخاصة أن ينفرد عنهم بالرياسة في الدين أو الدنيا . وقد كان رحمه الله رأس أهل زمانه في العلم والحديث والتفسير والسنة والجلالة والأمر بالمعروف والنهي عن

(١) ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، مرجع سابق، ج٤، ص٢١٥-٢١٦.

(٢) أبو نعيم، **الحلية**، مرجع سابق، ج٨، ص٩١-٩٢؛ وصححه محقق **جامع بيان العلم وفضله**، مرجع سابق، ج١، ص٦٤١، قول١١١٠ .

(٣) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج٩، ص١٠٣ .

(٤) أحمد بن علي الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ)، ج٦، ص٣٤٤-٣٤٥ .

المنكر... وهو الذي نشر السنة في بلاد خراسان وعنه انتشرت هناك... وكان الإمام أحمد يسميه أمير المؤمنين... والمقصود صحة فراسة الفضل بن موسى فيه وأنه يكون رأسًا في الخير والله أعلم»[1].

المطلب السادس : الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ):

من أقواله الدالة على نظره المستقبلي ما يأتي :

١-«العقل التجربة»[2].

٢-«لا تُشاور من ليس في بيته دَقيق، لأنه مُدَلَّه العقل»[3].

٣-«إذا اجتمع في الصبي الحياءُ والرهبة، رُجي فلاحه»[4].

٤-«لا ينفعك من جار السوء التوقي»[5].

٥-«المخدوع من اغترَّ بالأماني»[6].

٦-«الآمالُ قطعت أعناق الرجال، كالسَّراب خان من رآه، وأخلف من رجاه»[7].

٧-«من العجب أن يَشغل المرءُ نفسه بشيءٍ، التدبيرُ فيه إلى غيره»[8].

٨-«حُسن الظن بالأيام داعيةٌ إلى تغيير النِّعم، ثم أنشأ يقول:

أحسنتَ ظَنَّكَ بالأيام إذ حسُنَتْ ... ولم تخفْ سوءَ ما يأتي بـه القَدَرُ

وسالَـمَتْكَ الليالي فاغترَرتَ بها ... وعند صفوِ الليالي يَحدثُ الكَدَرُ »[9].

٩-«صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور، والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم. الرؤية والفكر يكشفان عن الحرام، والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس، وقوة البصيرة، ففكر قبل أن تعزم، وتدبر قبل أن تهجم، وشاور قبل أن تقدم»[10].

---

(١) **تحفة المودود بأحكام المولود**، تحقيق عبد اللطيف آل محمد الفواعير، ط١، (عمَّان، دار الفكر،١٤٠٨هـ)، ص١٨١-١٨٢.

(٢) يوسف بن عبد الله بن عبد البر الأندلسي، **الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء**، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، (بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٧هـ)، ص١٣٨.

(٣) المرجع نفسه، ص١٤٢.

(٤) نفسه، ص١٥٨.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

(٨) نفسه، ص١٥٩.

(٩) نفسه.

(١٠) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، **مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ)، ص١٦٧.

المطلب السابع: طاهر بن الحسين بن مصعب بن رُزيق (ت٢٠٧هـ):

مُقدَّم جيوش الخليفة المأمون، كان شجاعًا، عالـمًا، خطيبًا، داهية[١]، يقول في وصيته لابنه عبد الله لما ولاَّه المأمون الرّقّة ومصر وما بينهما: "وأكثر مشاورة الفقهاء، واستعمل نفسك بالحلم، وخذ عن أهل التجارب وذوي العقل والرأي والحكمة. ولا تدخلن في مشورتك أهل الرَّفه والبخل ولا تسمعن لهم قولاً، فإن ضررهم أكثر من نفعهم... وإذا أردت أن تأمرهم [أي: عُمَّاله] بأمر فانظر في عواقب ما أردت من ذلك، فإن رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فأمْضِه، وإلا فتوقف عنه، وراجع أهل البصر والعلم به، ثم خذ فيه عدته؛ فإنه ربما نظر الرجل في أمره وقد أتاه على ما يهوى، فأغواه ذلك وأعجبه؛ فإن لم ينظر في عواقبه أهلكه، ونقض عليه أمره. فاستعمل الحزم في كل ما أردت وباشره بعد عون الله عز وجل بالقوة. وأكثر من استخارة ربك في جميع أمورك... واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى من قبلك من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والأمم البائدة"[٢].

فهنا لما صار ابنه قائدًا، ومن أصحاب القرار، أخذ يوجهه بالنصائح التي تفيده في اتخاذ قراراته – والتي تؤثر في المستقبل بلا شك – فيوصيه باستشارة من هو مؤهل للاستشارة، ولا يستبد برأيه، وبالاستفادة من أهل التجربة، وبالنظر في عواقب قراراته قبل إمضائها، وبالاستفادة من عبر التاريخ، وغير ذلك من النصائح المفيدة.

المطلب الثامن: الحارث بن أسد المحاسبي (ت٢٤٣هـ):

يقول: المحاسبة في مستقبل الأعمال هي: "النظر بالتثبت قبل الزلل، ليبصر ما يضره مما ينفعه، فيترك ما يضره على علم، ويعمل بما ينفعه على علم، فمن اتقى العجلة وتثبت قبل فعله، واستدل بالعلم؛ أبصر ما يضره مما ينفعه قبل العمل بهما"[٣].

والمحاسبي مِن أكثر السلف استخدامـًا للمشاهد المستقبلية، يقول: "وكذلك أهل الدنيا في صناعاتهم وأعمالهم : إذا أراد أحدهم أن يبتدئ العمل روَّاه في نفسه وقدَّره ومثَّله

---

(١) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج١٠، ص ١٠٨- ١٠٩.

(٢) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج٢،ص ٧٨٠، ٧٨٣، ٧٨٦.

(٣) الحارث بن أسد المحاسبي، **الرعاية لحقوق الله**، تحقيق عبد الرحمن عبد الحميد البر، (المنصورة، دار اليقين، ١٤٢٠هـ)، ص ٧٠.

في وهمه؛ وصوّره في العاقبة: كيف يكون إذا فرغ منه؟ فإذا تمثل في وهمه على ما يريد من الإحكام والتمام ابتدأ فيه، حتى إذا فرغ منه اعترضه خشية أن يكون كان منه زلل أو نسيان فأخطأ فيه وفرّط في إحكامه، فإن رأى تفريطًا أتم ما بقي منه وأصلح ما فسد منه.

فعمال الله عز وجل أولى بذلك، أن يتثبتوا قبل أعمالهم، ويمثلوها في أوهامهم: كيف تكون بعد فراغهم منها، فلا فراغ لهم من جميعها إلا عند موهم»[1].

ويَغلب استخدامه للمشَاهد في وصف الآخرة، وله كتاب (التوهم)، يأخذ فيه القارئ إلى مشاهد الاحتضار، والبرزخ، والقيامة، وأحوالها، ينتقل بالقارئ من مشهد إلى مشهد، ويدعوه إلى أن يتمثل كل مشهد، لحظة لحظة، وموقفًا موقفًا، وكأنه الآن هو واقع فيه.

المطلب التاسع: عمر بن الحسين الخرقي (ت٣٣٤هـ):

وهو من الفقهاء الحنابلة، يقول في صفة الحج: «وإذا دخل المسجد الحرام فالاستحباب أن يدخل من باب بني شيبة، فإذا رأى البيت رفع يديه وكبر، ثم أتى الحجر الأسود – إن كان – فاستلمه إن استطاع وقبله»[2].

يقول هذا الكلام بعد فتنة انتُزع فيها الحجر الأسود، وصار مكانه خالياً لمدة اثنتين وعشرين سنة، ولم يعد إلى مكانه حتى توفي الخرقي[3]، وهذه الصياغة للخرقي تدل على فقهه المستقبلي، إذ من المرجح عَودْ الحجر إلى مكانه، فلا يَتعطل الفقه بهذه النازلة، ولا يَترك شرح المسألة لأجلها.

المطلب العاشر: علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت٤٥٠هـ):

يقول في أدب الوزير: «وعول على استشارة من جرب الأمور وخبرها، وتقلب فيها وباشرها، حتى عرف مواردها ومصادرها، فلن يخفى عليه خيرها وشرها، ما لم يوهنه ضعف الهرم»[4]. فيشير الماوردي إلى أهمية التجربة والخبرة، وأن من يلي مصلحة من مصالح المسلمين عليه أن يُعنى بالاستشارة.

---

(١) المرجع نفسه، ص ٧٣.

(٢) عمر بن الحسين الخرقي، **مختصر الخرقي**، ط٣، (د.م، مؤسسة الخافقين، ١٤٠٢هـ)، ص ٤٧.

(٣) وذلك لما ثار القرامطة في الحج عام (٣١٧هـ)، وقتلوا خلقاً كثيراً من الحُجاج. (ابن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق عبد الرحمن اللادقي، ومحمد غازي بيضون، (بيروت، دار المعرفة، ١٤١٦هـ)، ج١١، ص ١٩٠-١٩١).

(٤) الماوردي، **قوانين الوزارة وسياسة الملك**، مرجع سابق، ص ٥٢.

المطلب الحادي عشر : أحمد بن محمد بن مُرِّي الحنبلي (ت بعد ٧٢٨هـ):

وهو من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، وعندما توفي ابن تيمية أخذ ابن مري يراسل تلاميذه، يستحثهم على جمع مؤلفات الشيخ وعلومه . ويبدأ كلامه بذكر القياس التاريخي، من أن الناس سوف ينتفعون بعلم ابن تيمية بعد موته، كما انتفع الناس بعلم كثير من العلماء بعد موتهم، حتى وإن عُودي، أو سجن، وهذا التوقع لا يمنع بذل الوسع في تحقيق الأسباب الحسية لحصول ذلك، يقول :

«وكما انتفع الشيخ بكلام الأئمة قبله فكذلك ينتفع بكلامه من بعده إن شاء الله تعالى، فاتبعوا أمر الله، واقصدوا رضا الله بجمع كل ما تقدرون عليه من أنواع المؤلفات الكبار، وأشتات المسائل الصغار، ومن نسخ الفتاوى المتفرقة، وسائر كلامه الذي قد مليء، ولله الحمد، من الفوائد والفرائد والشوارد، فأيقظوا الهمم، وابذلوا الأموال الكثيرة في تحصيل هذا المطلب العظيم الذي لا نصير له، فهذا هو الذي يلزمنا من حيث الأسباب. والتمام على رب الأرباب ومسبب الأسباب وفاتح الأبواب، الذي يقيم دينه، وينصر كتابه وسنة نبيه على الدوام، ويثبت من يؤهله لذلك من أنواع الخاص والعام... ووالله إن شاء الله ليقيمن الله سبحانه لِنصر هذا الكلام ونشره وتدوينه وتفهمه، واستخراج مقاصده واستحسان عجائبه وغرائبه، رجالاً هم إلى الآن في أصلاب آبائهم»[1].

وقد تحقق ما توقعه ابن مري، وما زال إلى يومنا هذا بعد مئات السنين من كلامه، حتى صارت بعض كتبه مناهج رئيسة تُدرس في عدد من الجامعات والمدارس الإسلامية، وصارت سيرته وعلومه موضوعًا لأطروحات علمية كثيرة جدًا.

ولا يقول ابن مري هذا الكلام جزافًا وتخرصًا، بل يقوله من فقهه لسنة الله تعالى في العلماء وعلمهم؛ ويقيس سيرة شيخه ببعض من مضى من العلماء، وما حصل لهم ولعلمهم، وأن السر في حفظ الله علمهم أنهم بنوها على الأصول الصحيحة الثابتة؛ يقول معللاً لكلامه وتوقعه : «وهذه هي سنة الحياة الجارية في عباده وبلاده، والذي وقع من هذه الأمور في الكون لا يحصي عدده غير الله تعالى.

---

(١) "رسالة من الشيخ أحمد بن محمد بن مُرِّي الحنبلي إلى تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية"، في: محمد عزيز شمس، وعلي بن محمد العمران، **الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية**، (مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، ١٤٢٠هـ)، ص١٠١-١٠٢.

ومن المعلوم أن البخاري مع جلالة قدره أُخرج طريدًا ثم مات بعد ذلك غريبًا، وعوضه الله سبحانه عن ذلك بما لا خطر في باله، ولا مرّ في خياله. من عكوف الهمم على كتابه، وشدة احتفالها به، وترجيحها له على جميع كتب السنن وذلك لكمال صحته، وعظمة قدره، وحسن ترتيبه، وجمعه، وجميل نية مؤلفه، وغير ذلك من الأسباب.

ونحن نرجو أن يكون لمؤلفات شيخنا أبي العباس من هذه الوراثة الصالحة نصيب كثير إن شاء الله تعالى، لأنه كان بنى جملة أموره على الكتاب والسنة، ونصوص أئمة سلف الأمة. وكان يقصد تحرير الصحة بكل جهده ويدفع الباطل بكل ما يقدر عليه، لا يهاب مخالفة أحد من الناس في نصر هذه الطريقة، وتبيين هذه الحقيقة، وتسهيل العبارات، وجمع أشتات المتفرقات»[1].

المطلب الثاني عشر : محمد بن أبي بكر ابن القيم (ت ٧٥١هـ) :

يحدد ابن القيم ويبين الصفات المهمة التي ينبغي أن يتحلى بها من يريد تحقيق هدف مستقبلي، أخروي أو دنيوي، يقول : «طالبُ النفوذ إلى الله والدار الآخرة بل وإلى كل علم وصناعة ورئاسة بحيث يكون رأسًا في ذلك مقتدى به فيه، يحتاج أن يكون شجاعًا مقدامًا حاكمًا على وهمه، غير مقهور تحت سلطان تخيله، زاهدًا في كل ما سوى مطلوبه، عاشقًا لما توجه إليه، عارفًا بطريق الوصول إليه والطرق القواطع عنه، مقدام الهمة، ثابت الجأش، لا يثنيه عن مطلوبه لوم لائم، ولا عذل عاذل، كثير السكون، دائم الفكر، غير مائل مع لذة المدح، ولا ألم الذم، قائمًا بما يحتاج إليه من أسباب معونته، لا تستفزه المعارضات، شعاره الصبر، وراحته التعب، مُحبًّا لمكارم الأخلاق، حافظًا لوقته، لا يخالط الناس إلا على حذر، كالطائر يلتقط الحب بينهم، قائمًا على نفسه بالرغبة والرهبة، طامعًا في نتائج الاختصاص على بني جنسه، غير مرسل شيئًا من حواسه عبثًا، ولا مسرحًا خواطره في مراتب الكون. وملاك ذلك هجر العوائد، وقطع العلائق الحائلة بينك وبين المطلوب»[2].

ويَذكر ابن القيم الطريقة التي تحصل بها للعبد اللذة والنعيم وطيب العيش، ويندفع عنه بها أضداد ذلك، ويحددها بستة أمور :

---

(١) المرجع نفسه، ص١٠٢ .

(٢) **الفوائد**، مرجع سابق، ص٣٣٤-٣٣٥.

«أحدها : معرفة الشيء النافع للعبد الملائم له الذي بحصوله لذته وفرحه وسروره...

الثاني : معرفة الطريق الموصلة إلى ذلك .

الثالث : سلوك تلك الطريق .

الرابع : معرفة الضار المؤذي المنافر الذي ينكد عليه حياته .

الخامس : معرفة الطريق التي إذا سلكها أفضت به إلى ذلك .

السادس : تجنب سلوكها»[1].

ويقول : «أكثر الناس غلط في تحصيل هذا المطلوب المحبوب النافع، إما في عدم تصوره ومعرفته، وإما في عدم معرفته الطريق الموصلة إليه»[2].

وكلام ابن القيم يدل على أن من أراد التوجه إلى المستقبل، ينبغي أن تكون الرؤية لديه واضحة عما هو متوجه إليه، ووضوحها مع وجود الهمة والعمل يحقق له مقصوده بإذن الله تعالى .

المطلب الثالث عشر : عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت ١٤٢٠هـ):

كان عبد العزيز بن باز يُكثر الدعاء لولاة الأمور، ورُئي مـا لا يُحصـى في مـواطن الإجابة: في عرفة، والطواف، والسعي، يكثر الدعاء لهم، وهذا من بعد نظر الشيخ وفقهه[3].

---

(١) **رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه**، تحقيق عبد الله بن محمد المديفر، (الرياض، المحقق، ١٤٢٠هـ)، ص٢٦.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) عبد العزيز بن محمد السدحان، **الإمام ابن باز: دروس ومواقف وعبر**، (د.م، د.ن، ١٤٢١هـ)، ص٤٢-٤٣.

المبحث الثالث

النظرة المستقبلية عند المؤرخين

يُعدُّ التاريخ من الأسس المهمة التي تستند إليها الدراسات المستقبلية، حتى إن بعض المستقبليين ألحق الدراسات المستقبلية به، وجعلها تابعة له . وإذا كانت القضية ليس لها تاريخ فإنه يصعب إجراء الدراسات المستقبلية لها .

إنَّ «التاريخ مرآة الأمة، تنطبع عليها أحداث ماضيها . وهو منظار دقيق، يرى الناظرُ فيه تجاربَها على مر العصور، ويتطلع منه إلى ما يأتي به المستقبل القريب والبعيد نتيجةً لهضم أحداثه ومعرفة سُننها على صعيد الأفراد والجماعات والأمة... فالمستقبل الأفضل الذي ينشده الإنسان لن يتحقق إلا بتفحص الماضي الذي يرفد الحاضر بكل مكوناته الأساسية، ويدفعه نحو المستقبل، وهو يحمل بين طياته الكثير من هذه المكونات»(١).

وإذا تجاوز عمل المؤرخ مسألة التأريخ، إلى محاولة تفسيره، فإنه يكاد يقارب عمل الدراسات المستقبلية، فكل مفسر للتاريخ يكون لديه رؤية مستقبلية .

«وقد عُني الإسلام بالتاريخ عناية بالغة، فدعا القرآنُ الكريم إلى تدبر أحوال الماضين، وحدَّثنا عن الماضي في جل مساحاته لبلورة عدد من القواعد الأساسية في حركة التاريخ البشري، سماها «سُنَنًا»، ودعانا إلى تأملها، واعتماد مدلولاتها في حاضرنا ومستقبلنا»(٢).

و«كان للإسلام أثر كبير في إيجاد الاهتمام بالتاريخ عند العرب وتطور الكتابة التاريخية، حتى فاق المسلمون غيرهم من الأمم في هذا الميدان»(٣). «فلم يبدأ المؤرخون الأوروبيون تفردهم في الميدان إلا في القرنين...الحادي عشر والثاني عشر الهجريين»(٤).

---

(١) بشار عواد معروف، "دور التاريخ الإسلامي في بناء المستقبل"، في : اللجنة التحضيرية العليا لمؤتمر القمة الإسلامي الخامس، **الإسلام والمستقبل**، (الكويت، اللجنة الإعلامية لمؤتمر القمة الإسلامي الخامس، ١٤٠٧هـ)، ص٢٥٥.

(٢) المرجع نفسه .

(٣) خضر، مرجع سابق، ص٢٨١.

(٤) المرجع نفسه، ص١٧٦.

وتُعدُّ الأمة الإسلامية أمةً مؤرِّخة -كما يقول العقاد عن وصف الأوروبيين لها- فهي مطبوعة على تسجيل الحوادث وتوريث الروايات من السلف إلى الخلف[1].

وكما عُني الإسلام بالتاريخ، فقد عُني به العلماء المسلمون عناية بالغة، تناقلاً، وتدوينًا، وجمعًا، ودراسة، ونقدًا، وتفسيرًا وتعليلاً، وتنوعت مؤلفاتهم فيه، فألفوا في التاريخ العام، وفي المغازي والسير، والتراجم والرجال، والطبقات، وتواريخ البلدان، وتواريخ رجال معينين. وكان ممن اشتغل بالتاريخ منهم مَن هو من كبار العلماء، كالطبري، والبخاري، وابن الجوزي، وابن كثير، والذهبي، وغيرهم. يقول ابن خلدون: «إن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها»[2].

وإذا كان المسلمون أمة مؤرِّخة فإن المستقبل حاضر في مخيلتهم، غير غائب عنهم، وإن لم يصرح بعض المؤرخين بفوائد التاريخ للحاضر والمستقبل، فمجرد كونهم تناولوا هذا الفن بالتصنيف والتأليف دليل على النظر المستقبلي لديهم؛ لأن التأثر بالتاريخ يحدث -في الغالب تلقائيًا- للمطلع عليه؛ ولأنهم بمجرد التدوين قد خدموا الأجيال اللاحقة، تستفيد من التجارب المسطرة، وتقتدي بالأفعال الحسنة، وتجتنب الأفعال السيئة.

وقد أشار عدد من المؤرخين المسلمين إلى فوائد التاريخ، وأهميته في بناء المستقبل، ومضى نقل جملة من كلامهم في هذا[3]، وفيما يأتي أمثلة أخرى من أقوالهم:

المطلب الأول: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ):

يقول في مقدمة كتابه (عيون الأخبار): «فإن هذا الكتاب، وإن لم يكن في القرآن والسنة وشرائع الدين وعلم الحلال والحرام، دالٌّ على معالي الأمور مُرشد لكريم الأخلاق زاجر عن الدناءة ناهٍ عن القبيح باعث على صواب التدبير وحسن التقدير ورفق السياسة وعِمارة الأرض وليس الطريق إلى الله واحدًا ولا كل الخير مجتمعًا في تهجد الليل وسرد الصيام وعلم الحلال والحرام، بل الطرق إليه كثيرة وأبواب الخير واسعة وصلاح الدين

(١) عباس محمود العقاد، **مع عاهل الجزيرة العربية**، (بيروت، المكتبة العصرية، د.ت)، ص١٣.

(٢) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج١، ص٢٨٢.

(٣) ص١٩٧-١٩٨.

بصلاح الزمان، وصلاح الزمان بصلاح السلطان، وصلاح السلطان بعد توفيق الله بالإرشاد وحسن التبصير»[1].

فالأخبار ليست للتسلية والترويح عن النفس، بل لها مقصد عظيم، وهدف كريم، ذو تعلق ظاهر بالمستقبل، من حسن التقدير، وصواب التدبير، وجميل التبصير.

المطلب الثاني: أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت٤٢١هـ):

يُعد كلامه من أهم ما قاله المؤرخون عن فوائد التاريخ للمستقبل، يقول في مقدمة كتابه في التاريخ (تجارب الأمم): «وإني لما تصفحت أخبار الأمم، وسير الملوك، وقرأت أخبار البلدان، وكتب التواريخ، وجدت فيها ما يستفاد منه تجربة لا تزال يتكرر مثلها وينتظر حدوث شبهها وشكلها: كذكر مبادئ الدول، ونشء الممالك، وذكر دخول الخلل فيها بعد ذلك، وتلافي من تلافاه وتداركه إلى أن عاد إلى أحسن حال، وإغفال من أغفله واطرحه إلى أن تأدّى إلى الاضمحلال والزوال، وذكر ما يتصل بذلك من السياسات في عمارة البلدان، وجمع كلم الرعية، وإصلاح نيات الجند، والحروب ومكائد الرجال، وما تم منها على العدو، وما رجع على صاحبه، وذكر الأسباب التي تقدم بها قوم عند السلطان، والأحوال التي تأخر لها آخرون، وما كان منها محمود الأوائل مذموم العواقب، وما كان بضد ذلك، وما استمر أوله وآخره على سَنن واحد؛ وذكر سياسات الوزراء، وأصحاب الجيوش، ومن أسند إليه حرب وسياسة، أو تدبير أو إيالة، فوفى بذلك وتأتى له، أو كان بخلاف ذلك.

ورأيت هذا الضرب من الأحداث إذا عُرف له مثال مما تقدّم، وتجربة لمن سلف، فاتخذ إمامًا يقتدى به، حذر مما ابتلي به قوم، وتمسك بما سعد به قوم، فإن أمور الدنيا متشابهة، وأحوالها متناسبة، وصار جميع ما يحفظه الإنسان من هذا الضرب كأنه تجارب له، وقد دفع إليها، واحتنك بها، وكأنه قد عاش ذلك الزمان كله، وباشر تلك الأحوال بنفسه، واستقبل أموره استقبال الخَبِر وعرفها قبل وقوعها، فجعلها نصب عينيه وقبالة لحظه، فأعد لها أقرانها وقابلها بأشكالها. وشتان بين من كان بهذه الصورة وبين من كان غِرًّا غُمرًا لا يتبين

(١) ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، مرجع سابق، ج١، ص ٤٢.

الأمر إلا بعد وقوعه، ولا يلاحظه إلا بعين الغريب منه، يحيره كل خطب يستقبله، ويدهشه كل أمر يتجدد له... فلذلك، جمعت هذا الكتاب، وسمّيته تجارب الأمم»(1).

حتى إنه لم يُهمِل المفاجآت، والحوادث التي تقع بالاتفاق، وتخرج عن القياس، بل أشار إليها، ونبه عليها، وأن على المرء أن يتوقع حدوث مثلها، يقول : «وقد ذكرت أشياء مما يجري على الاتفاق والبخت وإن لم يكن فيها تجربة، ولا تقصد بإرادة . وإنما فعلنا ذلك لتكون هي وأمثالها في حساب الإنسان وفي خَلَده ووهمه، لئلا تسقط من ديوان الحوادث عنده وما ينتظر وقوع مثله، وإن لم يستطع تحرزًا من مكروهه إلا بالاستعانة بالله، ولا توقعًا لمحبوبه إلا بمسألته التوفيق وهو -عزّ اسمه- خير موفّق ومعين»(2).

المطلب الثالث : عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) :

لابن الجوزي تآليف في التاريخ متعددة متنوعة، تناول فيها التاريخ العام، وتطرق إلى السير والتراجم، وهو يرى أن للتاريخ فوائد كثيرة، يستفيد منها المرء في حاضره، ويعمل لما ينفعه في مستقبله .

ويذكر ابن الجوزي منبهًا أن على المؤرخ أن يؤرخ لما يستفاد منه ويبتعد عن الأمور التي لا تفيد، «مما يضيع الزمان بكتابته؛ إما لعدم صحته أو لفقد فائدته»(3). ويحذر من ذِكر أحوال الملوك في شرب الخمور وفعل الفواحش، لصعوبة تصحيح ذلك عنهم، « فإن صح كان ذلك إشاعة الفواحش، وإن لم يصح كان في مرتبة القذف، وهو في العاجل يهوّن على أبناء الجنس ما هم فيه من الزلل على أن الأخبار لا تسلم من بعض هذا »(4).

فعمل المؤرِّخ عنده ينبغي أن يكون متوجهًا لما له فائدة تعود على الحاضر أو المستقبل.

ويقول : «واعلم أن من طالع سير السلف الصالح عاش قلبه الميت بالهوى، ومن تفكر في العواقب واتعظ فقد استعمل غاية الدواء»(5).

---

(1) أحمد بن محمد بن يعقوب (مسكويه)، **تجارب الأمم**، تحقيق أبي القاسم إمامي، ط٢، (طهران، دار سروش، ٢٠٠١م)، ج١، ص٤٧-٤٩.

(2) المرجع نفسه، ج١، ص٥٠.

(3) **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، مرجع سابق، ج١، ص١١٦ .

(4) المرجع نفسه، ج١، ص١١٦-١١٧ .

(5) **حفظ العمر**، تحقيق محمد رياض المالح، (دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ)، ص٣٥.

ويقول عن كتاب (الحلية) لأبي نعيم : إن "هذا الكتاب إنما وضع لذكر أخبار الأخيار، وإنما يراد من ذكرهم شرح أحوالهم وأخلاقهم ليقتدي بها السالك"[١]. ويقول في نقده للكتاب: إنه " ذكر أشياء عن الصوفية لا يجوز فعلها، فربما سمعها المبتدئ القليل العلم فظنها حسنة فاحتذاها"[٢].

فهذا الاقتداء والاحتذاء هو للحصول على النتيجة التي حصلت للمؤرِّخ لهم، وهي أمر مستقبل، وهو يدعو إلى التفكر والتأمل في العواقب للفعل الحسن، والفعل السيء.

المطلب الرابع : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ):

تتضح النظرة المستقبلية لدى ابن خلدون بدءًا من عنوان كتابه في التاريخ (كتاب العِبَر...)، فالتاريخ عبر، لا تسلية ونظر .

ويعد ابن خلدون من أوائل من عُني بتفسير التاريخ[٣]؛ "بقصد محاولة الوصول إلى قوانين تاريخية عامة"[٤]. وهو -من خلال مقدمته- مفسرًا رائدًا للتاريخ[٥]، "يقدم لنا صورة تبدو وكأنها إعادة حية (متحركة) للوقائع، حتى نحس بطبيعة العوامل التي تقف خلف الأحداث . ولهذا يلجأ... لرصد كل العوامل النفسية... والفكرية والعقدية والاقتصادية، ويربط بينها ويعطي لكل عامل حجمه في مرحلته التاريخية"[٦]. "ولقد أصبح التاريخ بفضل "ابن خلدون" علـمًا منهجـيًا راسخًا، ولم يعد سردًا للحوادث بل تعليلاً لها"[٧]، فكان عمله أوسع وأشمل من عمل المؤرخ، وأصبح بهذا يضاهي عمل الدراسات المستقبلية .

يقول : " فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء "[٨]. وهذا على نحو قول الشاعر :

"وما الدهر إلا مثلُ أمسِ الذي مضى ومثلُ الغدِ الجائي وكلٌّ سيذهبُ"[٩].

---

(١) **صفة الصفوة**، مرجع سابق، ج١، ص٦.

(٢) المرجع نفسه، ج١، ص١٠.

(٣) عبد الحليم عويس، **تفسير التاريخ علم إسلامي**، (مصر، دار الوفاء، ١٤١٨هـ)، ص١١٥.

(٤) مصطفى محمد متولي، "دراسة مقارنة للرؤية الغربية والإسلامية في تفسير حركة التاريخ وعلاقتها بالعملية التربوية"، في "رسالة الخليج العربي"، مرجع سابق، العدد ٤٥، (رمضان ١٤١٣هـ)، ص١٩.

(٥) عويس، **تفسير التاريخ علم إسلامي**، مرجع سابق، ص١٣٠.

(٦) المرجع نفسه، ص١٣٠، وسياق كلامه عن مفسر التاريخ بعامة.

(٧) خضر، مرجع سابق، ص١٤٦.

(٨) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج١، ص٢٩٢.

(٩) الراغب، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، مرجع سابق، ج٤، ص٣٨٩؛ نسبه لحارثة بن بدر.

ويقول في وصف كتابه في التاريخ (العِبَر) : "وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكًا غريبًا، واخترعته من بين المناحي مذهبًا عجيبًا، وطريقة مبتدعة وأسلوبًا. وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية ما يمتعك بعلل الكوائن وأسبابها، ويعرفك كيف دخل أهل الدول من أبوابها؛ حتى تنزع من التقليد يدك، وتقف على أحوال ما قبلك من الأيام والأجيال **وما بعدك**... داخلاً من باب الأسباب على العموم إلى الأخبار على الخصوص"(1).

المطلب الخامس : محمد بن سليمان الكافيجي (ت ٨٧٩هـ) :

يقول عن التأريخ : "وأما موضوعه، فهو أمور حادثة غريبة، لا تخلو من مصالح وترغيب وتحذير وتنشيط وتثبيط ونصح واعتبار وبسط وانفعال"(2). ومثّل لذلك بوقائع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وسائر الحوادث من حدوث ملة، وظهور دولة، وزلزلة، وطوفان، وغير ذلك(3).

ويقول : "فالتأريخ من المهمات العظام، مقبول عند الأنام، مشتمل على فكر وعبر، ومنطو على مصالح ومحاسن، على وجه معتبر... والتأريخ يحتاج إليه الملك والوزير والقائد وغيرهم.

أما الملك، فيعتبر بما مضى من الدول، ومن سلف من الأمم.

وأما الوزير، فيعتبر بفعال من تقدم ممن حاز فضلي السيف والقلم .

وأما قائد الجيوش، فيطلع منه على مكائد الحرب ومواقف الطعن والضرب.

وأما غيرهم، فيسمعونه على سبيل المسامرة، فيحصل لهم بذلك المبادرة إلى أنواع الخيرات، والاجتناب عن المنكرات.

ولأجل هذا قالوا : يجب على الملك أن يسلك طريق الملوك الذين تقدموا، ويعمل عملهم في الخير، وأن يقرأ كتب مواعظهم ووصاياهم، لأنهم أكثر تجربة واعتبارًا، وأنهم فرقوا بين الجيد والرديء، وعرفوا الجلي من الخفي"(4).

---

(١) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج١، ٢٨٥-٢٨٦.

(٢) محمد بن سليمان الكافيجي، **المختصر في علم التاريخ**، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، (بيروت، عالم الكتب، ١٤١٠هـ)، ص٦٥.

(٣) المرجع نفسه، ص٦٥-٦٦.

(٤) نفسه، ص١١٧-١١٨.

المطلب السادس : محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٣هـ) :

يقول عن التاريخ : "وينتفع به في الاطلاع على أخبار العلماء والزهاد والفضلاء والملوك والأمراء والنبلاء وسيرهم ومآثرهم في حربهم وسلمهم وما أبقى الدهر من فضائلهم أو رذائلهم بعد أن أبادهم الحدثان وأبلى جديدهم الأوان حيث تتبع الأمور الحسنة من آثارهم ولا يسمع منهم فيما تنفر عنه العقول المستحسنة من أخبارهم ويعتبر بما فيه من المواعظ النافعة واللطائف المفيدة"(١).

ونقل أبياتًا أُعجب بمعناها :

" إذا علم الإنسان أخبار من مضى   توهمته قد عاش من أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره   إذا كان قد أبقى الجميل من الذكر
فقد عاش كل الدهر من كان عالمًا   حكيمًا كريمًا فاغتنم أطول العمر"(٢).

ويتضح من جملة وصف العلماء لأهمية التاريخ، وعيهم أن للتاريخ فوائد مستقبلية، وهي ترغيب المطَّلِع على التاريخ بجنس الأعمال الصالحة التي فعلها المؤرِّخ لهم؛ حتى يحصل على النتيجة التي حصلت لهم . وكذلك تحذيره على نحو ذلك . وهذا هو الاعتبار وتشبيه الحال بالحال، وتوقع النتيجة المصاحبة للأفعال، كما كانت في التاريخ .

"في الذاهبين الأولين   من القرون لنا بصائر"(٣).

فالتاريخ عندهم "ليس سردًا للماضي، وليس عودة للوراء، وإنما هو عمل لفهم الحاضر وخدمة المستقبل"(٤).

ولـمَّا وعى أعداء الإسلام هذه الحقيقة، والأثر الذي يحدث من ربط الأمة بتاريخها، سعوا جاهدين إلى تشويه التاريخ الإسلامي، وعزل الأمة عن تاريخها، ومحاولة ربطها بالتاريخ الجاهلي في الأمم الغابرة، كالفرعونية وغيرها.

---

(١) محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، (القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت)، ص٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٣، نسبها للقاضي الإرجاني.

(٣) نسبه عمرو بن بحر الجاحظ لقس بن ساعدة، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣، (القاهرة، مؤسسة الخانجي، د.ت)، ج١، ص٣٠٩.

(٤) متولي، في "رسالة الخليج العربي"، مرجع سابق، العدد ٤٥، (رمضان / ١٤١٣هـ)، ص١٦، وسياق كلامه عن التاريخ بوجه عام .

ومما يتميز به منهج المؤرخين المسلمين عناية كثير منهم بالإسناد، وعناية بعضهم بنقد الروايات التاريخية وتمحيصها؛ وهذا يُكسب التاريخ قوة عند الاستفادة منه في الدراسات المستقبلية.

المبحث الرابع

النظرة المستقبلية عند ابن تيمية

تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابـــن تيميـــة، ولـــد عـــام (٦٦١هـــ) في حران ، سار به والده وبإخوته إلى الشام بعد جور التتار، وقدموا دمشق في سنة (٦٦٧هـــ)، وفيها تلقى علومه، وظهر نبوغه منذ صـــغره، وتـــوفي بدمشـــق عـــام (٧٢٨هـــ)[١].

قال ابن دقيق العيد بعد ما اجتمع بابن تيمية وسمع كلامه : «ما كنت أظن أن الله بقي يخلق مثلك»[٢].

وقال أحد أهل العلم المعاصرين : «لو لم نُخبَر بختام النبوة، لقلنا: إنَّ ابن تيمية نـــبي»، وعُرضت هذه المقولة على ابن باز فقال: إنَّ لها أصلاً، وذكر حديث النبي ﷺ : «لَوْ كَـــانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ»[٣] [٤] .

وكان ابن تيمية من المستقبليين الكبار، وتجلى نظره المستقبلي في مواطن متعددة مـــن سيرته العلمية والعملية . يقول ابن القيم : «ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإســـلام ابـــن تيمية-رحمه الله- أمورًا عجيبة . وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم. ووقائع فراسته تستدعي سفرًا ضخمًا»[٥]. ثم ذكر أمثلة من استشرافاته المستقبلية، التي وقعت كما أخـــبر عنـــها . وقال: «وأخبرني ببعض حوادث كبار تجري في المستقبل . ولم يعين أوقاتها. وقـــد رأيـــت بعضها وأنا انتظر بقيتها»[٦].

---

(١) ابن عبد الهادي، مرجع سابق، ص٢-٤، ٣٦٩.

(٢) المرجع نفسه، ص١١٩، أخبره به الذهبي عن ابن تيمية؛ وذكره ابن كثير، **البداية والنهاية**، طبعة دار المعرفـــة، ج١٤، ص٤٣٦.

(٣) الترمذي وقال : "حسن غريب"، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بـــن الخطـــاب ﷺ، ج٥، ص٥٧٨، ح٣٦٨٦.

(٤) السدحان، مرجع سابق، ص٢٩.

(٥) **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق محمد حامد الفقي، (القاهرة، مكتبة السنة المحمدية، ١٣٧٥هـــ)، ج٢، ص٤٨٩.

(٦) المرجع نفسه، ج٢، ص٤٩٠.

وهناك حادثة مشهورة تجلى فيها نظره المستقبلي الحصيف، واستشرافه الفذ، المستند إلى أساليب متعددة، وهي مواجهة التتار في الشام، بعد انهزام المسلمين أمامهم في وقعة (قازان) عام (٦٩٩هـ) .

والتتار هم سكان براري بأطراف بلاد الصين، مشهورون بالشر والغدر[١]. ابتدأت مناوشاتهم للعالم الإسلامي في أوائل القرن السابع الهجري، وامتلكوا في سنة واحدة هي سنة (٦١٧هـ) جميع الممالك الإسلامية سوى العراق، والجزيرة، والشام، ومصر، وقتلوا من المسلمين وغيرهم ما لا يحد ولا يوصف، وأفسدوا، وخرَّبوا، ونهبوا، وأحرقوا، ولم يبت أحد من البلاد التي لم يطرقوها إلا وهو خائف، يتوقعهم، ويترقب وصولهم إليه[٢].

ودخل التتار بغداد عام (٦٥٦هـ)، واستولوا عليها، وقتلوا خليفة المسلمين، وبلغ تقدير من قتل فيها ما بين ثمانمئة ألف إلى ألفي ألف نفس[٣].

واستولوا على دمشق عام (٦٥٨هـ)، ثم قاتلهم المماليك واستعادوا دمشق في معركة (عين جالوت)، فلم تلبث في أيدى التتار سوى بضعة أشهر[٤]، ويتتابع تهديد التتار للشام، ويطمعون في الوصول إلى مصر والاستيلاء عليها.

وفي مطلع عام (٦٩٩هـ) سار التتار إلى الشام، وانهزم المسلمون أمامهم في وقعة (قازان)، وولوا الأدبار، وأصاب أهل دمشق ذعر منهم، وفر عدد من أعيان البلد والعلماء إلى مصر، فخرج ابن تيمية وعدد من أعيان البلد إلى التتار يطلبون الأمان للبلد، وكان في هذا نفع عظيم للمسلمين، لكن اللصوص عاثوا في الشام نهبًا، وشرع بعض التتار أيضًا بالنهب والإفساد في الشام، وسبوا خلقًا من النساء، وقتلوا خلقًا من الرجال، وصار يُدعى في الجمعة لسلطان التتار (قازان) لمدة مئة يوم، وكان لابن تيمية مواقف مشهودة في الجهاد والإصلاح[٥].

---

(١) السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق سعيد محمود عقيل، (بيروت، دار الجيل، ١٤٢٤هـ)، ص٤٣٠، حكاه لغيره.

(٢) ابن الأثير، **الكامل**، مرجع سابق، ج٩، ص٣٢٩-٣٣٠؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، طبعة دار المعرفة، مرجع سابق، ج١٣، ص١٠٢ .

(٣) ابن كثير، **البداية والنهاية**، طبعة دار المعرفة، مرجع سابق، ج١٣، ص٢٣٥، ٢٣٨ .

(٤) المرجع نفسه، ج١٣، ص٢٥٦-٢٥٨ .

(٥) نفسه، ج١٤، ص٤١٣-٤١٩ .

وتوالت الأخبار في السنة التالية بقصد التتار بلاد الشام فانزعج الناس، وقوي الإرجاف بأمر التتار، وكان لابن تيمية مواقف مشهودة في تثبيت الناس، ووعدهم بالنصر هذه المرة، لكن التتار عادوا و لم يكملوا طريقهم[١].

وفي شهر رجب عام (٧٠٢هـ) "قويت الأخبار بعزم التتار على دخول بلاد الشام، فانزعج الناس لذلك واشتد خوفهم جدًا"[٢] ثم وصل جيش التتار واستولى على بعض المدن حول دمشق[٣].

وكانت هذه السنين - من عام (٦٩٩هـ) إلى عام (٧٠٢هـ)- من أصعب الأوقات على أهل الشام، وارتبطت بذكرايات كثيرة سيئة عن التتار، وأحوال مشاهدة لهم، من قتل، وإفساد، وتخريب، وسبي، ونهب، وانهزام قريب للمسلمين أمامهم، وفي وقت يفر فيه من البلد أعيانه، من قضاة وعلماء وغيرهم، فلم يبق في دمشق من أكابرها إلا القليل، وتأخُّر استجابة الجيش المصري لنجدة إخوانهم في الشام. يقول ابن كثير: "وقلق الناس قلقًا عظيمًا، وخافوا خوفًا شديدًا، واختبط البلد لتأخر قدوم السلطان ببقية الجيش، وقال الناس: لا طاقة لجيش الشام مع هؤلاء المصريين بلقاء التتار لكثرتهم، وإنما سبيلهم أن يتأخروا عنهم مرحلة مرحلة، وتحدث الناس بالأراجيف"[٤]. ويقول ابن تيمية عن حال الناس عند قدوم التتار: "فزاغت الأبصار زيغًا عظيمًا، وبلغت القلوب الحناجر؛ لعظم البلاء... وظن الناس بالله الظنونا. هذا يظن أنه لا يقف قدامهم أحد من جند الشام حتى يصطلموا أهل الشام... وهذا يظن أنهم يأخذونها، ثم يذهبون إلى مصر فيستولون عليها، فلا يقف قدامهم أحد، فيحدث نفسه بالفرار إلى اليمن ونحوها. وهذا - إذا أحسن ظنه- قال: إنهم يملكونها العام كما ملكوها عام هولاكو سنة [ثمان][٥] وخمسين. ثم قد يخرج العسكر من مصر فيستنقذها منهم، كما خرج ذلك العام. وهذا ظن خيارهم... وهذا قد استولى عليه الرعب والفزع، حتى يمر الظن بفؤاده مر السحاب، ليس له عقل يتفهم، ولا لسان يتكلم. وهذا قد تعارضت

---

(١) نفسه، ج١٤، ص٤٢٢-٤٢٤.

(٢) نفسه، ج١٤، ص٤٣١.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) في المرجع (سبع)، والصواب ما أثبت.

عنده الأمارات، وتقابلت عنده الإرادات»[1]. فهذه الحادثة «أطلع فيها النفاق ناصية رأسه، وكشر فيها الكفر عن أنيابه وأضراسه، وكاد فيه عمود الكتاب أن يجتث ويخترم. وحبل الإيمان أن ينقطع ويصطلم. وعقر دار المؤمنين أن يحل بها البوار. وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار... ونزلت فتنة تركت الحليم فيها حيران، وأنزلت الرجل الصاحي منزلة السكران، وتركت الرجل اللبيب لكثرة الوسواس ليس بالنائم ولا اليقظان، وتناكرت فيها قلوب المعارف والإخوان، حتى بقي للرجل بنفسه شغل عن أن يغيث اللهفان... وحدث من أنواع البلوى ما جعلها قيامة مختصرة من القيامة الكبرى... وكان من الناس من أقصى همته النجاة بنفسه لا يلوي على ماله ولا ولده ولا عرسه»[2].

في هذا الوقت العصيب المدلهم، «بعد أن كاد الإسلام أن ينثلم، وكر العدو كرة فلم يلو عن.. وخذل الناصرون فلم يلووا على.. وتحير السائرون فلم يدروا من.. ولا إلى.. وانقطعت الأسباب الظاهرة»[3]. وخلال المدة من عام (٦٩٩هـ) بعد انهزام المسلمين أمام التتار، وحتى مواجهتهم في وقعة (شقحب) عام (٧٠٢هـ)، وابن تيمية يسعى لطمأنة الناس، والرفع من معنوياتهم، وتبشيرهم بالمستقبل، وحضهم على الجهاد، والصبر والثبات، ووعدهم بالنصر في المواجهة القادمة مع التتار، ويلتقي الأمراء، ويسافر إلى السلطان، ففي جمادى الأول سنة (٧٠٠هـ)، لما جاءت أخبار بقدوم التتار، «خرج الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى... إلى نائب الشام في المرج فثبتهم، وقوى جأشهم، وطيب قلوبهم، **ووعدهم النصر والظفر على الأعداء**»[4] وسار إلى مصر وأقام فيها ثمانية أيام، واجتمع بالسلطان والوزير وأعيان الدولة يحثهم على الجهاد والخروج إلى العدو، وقوى جأشهم **وضمن لهم النصرة هذه الكرة**[5]. ولكن التتار عادوا، ولم يَغزوا هذا العام.

وفي عام (٧٠٢هـ) لما وصلت الأنباء بتهديد التتار لبلاد الشام كان له مواقف مشابهة لهذه، ووعود مؤكّدة بالنصر والظفر، يقول ابن كثير: «وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية

(١) **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٨، ص٤٤٦ - ٤٤٧.

(٢) المرجع نفسه، ج٢٨، ص٤٢٧ - ٤٢٨.

(٣) نفسه، ج٢٨، ص٤٤٦.

(٤) ابن كثير، **البداية والنهاية**، طبعة دار المعرفة، مرجع سابق، ج١٤، ص٤٢٣.

(٥) المرجع نفسه.

يحلف للأمراء والناس إنكم في هذه الكرة منصورون، فيقول له الأمراء : قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا»[1]. ويقول ابن كثير في يوم آخر أيضًا : «وحرض السلطان على القتال وبشره بالنصر، **وجعل يحلف بالله الذي لا إله إلا هو إنكم منصورون عليهم في هذه المرة، فيقول له الأمراء : قل إن شاء الله، فيقول : إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا**»[2].

ويقول ابن القيم : «أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام: **أن الدائرة والهزيمة عليهم . وأن الظفر والنصر للمسلمين . وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينًا . فيقال له : قل إن شاء الله . فيقول : إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا**. وسمعته يقول ذلك... قال : وأطعمت بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو»[3].

وقال ابن فضل الله : «وحُكي أنه قال للسلطان: **اثبُتْ فأنت منصور، فقال له بعض الأمراء: قل إن شاء الله تعالى، فقال: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا**، فكان كما قال»[4].

وقد تحقق فعلاً نصر المسلمين على التتار، في بضعة أيام من القتال، يقول ابن كثير : «وفي يوم الاثنين رابع الشهر [من رمضان] رجع الناس من الكسوة إلى دمشق فبشروا الناس بالنصر. وفيه دخل الشيخ تقي الدين بن تيمية البلد ومعه أصحابه من الجهاد، ففرح الناس به، ودعوا له، وهنؤه بما يسر الله على يديه من الخير... ودخل السلطان إلى دمشق يوم الثلاثاء خامس رمضان وبين يديه الخليفة، وزينت البلد، وفرح كل واحد من أهل الجمعة والسبت والأحد... واستقرت الخواطر، وذهب اليأس وطابت قلوب الناس»[5].

ومن خلال تتبع الباحث لبعض المصادر يجد أن ابن تيمية اعتمد في هذا التوقع على جملة من أساليب الاستشراف، ولم يقتصر على واحد أو اثنين، بل تضافرت الأدلة لديه بشأن مستقبل المواجهة مع التتار، وكان أسلوب الوحي من أهم هذه الأساليب؛ مما جعله يؤكد

(١) نفسه، ج١٤، ص٤٣٢.

(٢) نفسه، ج١٤، ص٤٣٤.

(٣) **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج٢، ص٤٨٩.

(٤) أحمد بن يحيى ابن فضل الله العُمَري، "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، في: شمس والعمران، مرجع سابق، ص٢٦١.

(٥) ابن كثير، **البداية والنهاية**، طبعة دار المعرفة، مرجع سابق، ج١٤، ص٤٣٤-٤٣٥.

توقعه ويجزم به، ويَعِدُ الأمراء والسلاطين والناس بالنصر تحقيقًا، وقد توصل الباحث إلى سبعة أساليب استخدمها ابن تيمية في هذه الحادثة، وهي ما يأتي :

١-الوحي :

فإنه كان يلتقي الجند والأمراء ويتلو عليهم «قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾[(١)]»[(٢)]. يقول ابن كثير عن جزم ابن تيمية بهذا التوقع : إنه كان يتأول في ذلك أشياء من كتاب الله، منها هذه الآية[(٣)] أ.هـ. فابن تيمية يستند هنا إلى قاعدة مستقبلية قرآنية .

ويقول ابن تيمية عن الذين تعارضت لديهم الأدلة والأمارات في أثناء هذه الأزمة : «ولا يعرف النصوص الأثرية معرفة العلماء؛ بل إما أن يكون جاهلاً بها وقد سمعها سماع العبر، ثم قد لا يتفطن لوجوه دلالتها الخفية، ولا يهتدي لدفع ما يتخيل أنه معارض لها في بادئ الرؤية. فلذلك استولت الحيرة على من كان متسمًا بالاهتداء، وتراجمت به الآراء تراجم الصبيان بالحصباء»[(٤)].

ويقول : «وبان صدق ما جاءت به الآثار النبوية، من الأخبار بما يكون»[(٥)].

إن ذلك يدل على أن ابن تيمية كان يستند إلى الكتاب والسنة في هذا التوقع؛ ولذلك هو يجزم به.

٢- الدعاء :

أخبر «حاجب من الحجاب الشاميين، أمير من أمرائهم، ذو دين متين، وصدق لهجة معروف في الدولة . قال: قال لي الشيخ -يوم اللقاء، ونحن بمرج الصُّفَّر، وقد تراءى الجمعان- : يا فلان، أوقفني موقف الموت . قال : فسقته إلى مقابلة العدو، وهم منحدرون كالسيل، تلوح أسلحتهم من تحت الغبار المنعقد عليهم... فرفع طرفه إلى السماء، وأشخص بصره، وحرَّك شفتيه طويلاً . ثم انبعث وأقدم على القتال . وأما أنا فخُيِّل إليّ أنه دعا عليهم

---

(١) سورة الحج، من الآية: ٦٠.

(٢) ابن كثير، **البداية والنهاية**، طبعة دار المعرفة، مرجع سابق، ج١٤، ص٤٢٣.

(٣) المرجع نفسه، ج١٤، ص٤٣٢.

(٤) **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٨، ص٤٤٧.

(٥) المرجع نفسه، ج٢٨، ص٤٢٨.

وأن دعاءه استجيب منه في تلك الساعة . قال : ثم حال القتال بيننا والالتحام، وما عـــدت رأيته... وكان آخر النهار . قال : وإذا أن بالشيخ وأخيه يصـــيحان بـــأعلى صـــوتيهما تحريضـــًا على القتال، وتخويفًا للناس من الفرار . فقلت : ياسيدي، لك البشارة بالنصـــر. فإنه قد فتح الله ونصر، وهاهم التتار محصورون بهذا السفح . وفي غد، إن شاء الله تعـــالى، يؤخذون عن آخرهم. قال : فحمد الله تعالى، وأثنى عليه بما هو أهله ، ودعا لي في ذلـــك الموطن دعاء وجدت بركته في ذلك الوقت وبعده»[1].

٣-التحديث[2]:

يقول ابن تيمية في وصفه حال الناس في هذه الأزمة : «وهذا يظن أن ما أخبره به أهل الآثار النبوية، وأهل التحديث والمبشرات أماني كاذبة، وخرافات لاغيـــة... وهـــذا قـــد تعارضت عنده الأمارات، وتقابلت عنده الإرادات؛ لا سيما وهو لا يفرق من المبشرات بين الصادق والكاذب . ولا يميز في التحديث بين المخطئ والصائب »[3].

ويقول : «وبان صدق ما جاءت به الآثار النبوية، من الأخبار بما يكـــون . وواطأتهـــا قلوب الذين هم في هذه الأمة محدثون، كما تواطأت عليه المبشرات التي أريها المؤمنون»[4].

٤-الرؤى الصادقة :

دلّ عليه النصان السابقان من قوله : «المبشرات» .

٥-التفاؤل :

يقول ابن تيمية : «وأطعمت بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر قبل خـــروجهم إلى لقاء العدو»[5] أ.هـــ. وهذا فيه تفاؤل له ولهم، ورفع من معنوياتهم .

ويقول ابن كثير واصفًا خروج المسلمين من الشام لملاقاة التتـــار عـــام (٧٠٢هـــــ): «وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية... من باب النصر بمشقة كبيرة، وصحبته جماعة ليشهد القتال بنفسه ومن معه»[6]. فخروجه من (باب النصر) فيه تفاؤل بالنصر، فلم يخـــرج مـــن (باب الفرج)، ولا من (باب الفراديس)، ولا غيرهما .

---

(١) ابن عبد الهادي، مرجع سابق، ص١٧٧-١٧٨، نقلاً عن خطٍ لبعض أصحاب ابن تيمية .

(٢) ينظر التعريف بهذا الأسلوب ص٦٤٧.

(٣) **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٨، ص٤٤٦-٤٤٧.

(٤) المرجع نفسه، ج٢٨، ص٤٢٨.

(٥) ابن القيم، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج٢، ص٤٨٩.

(٦) **البداية والنهاية**، طبعة دار المعرفة، مرجع سابق، ج١٤، ص٤٣٢.

٦- **النية الخالصة، والهمة الصادقة :**

يقول ابن تيمية : «إن النية الخالصة والهمة الصادقة ينصر الله بها، وإن لم يقع الفعل، وإن تباعدت الديار»[(١)]. قاله بعد انسحاب التتار عن دمشق عام (٦٩٩هـ) . وقال فيها: «وكان الله سبحانه وتعالى لما ألقى في قلوب المؤمنين ما ألقى من الاهتمام والعزم : ألقى الله في قلوب عدوهم الروع والانصراف»[(٢)]. ويقول ابن عبد الهادي : «وفي أول شهر رمضان من سنة اثنتين وسبعمائة كانت وقعة «شقحب» المشهورة. وحصل للناس شدة عظيمة. وظهر فيها من كرامات الشيخ وإجابة دعائه، وعظيم جهاده، وقوة إيمانه، وشدة نصحه للإسلام... وغير ذلك من صفاته: ما يفوق النعت، ويتجاوز الوصف . ولقد قرأت بخط بعض أصحابه -وقد ذكر هذه الواقعة، وكثرة من حضرها من جيوش المسلمين- قال: واتفقت كلمة إجماعهم على تعظيم الشيخ تقي الدين ومحبته... ولم يبق من ملوك الشام تركي ولا عربي إلا واجتمع بالشيخ في تلك المدة، واعتقد خيره وصلاحه، ونصحة لله ولرسوله وللمؤمنين»[(٣)].

فالنية الخالصة، والهمة الصادقة من ابن تيمية وممن حضر هذه الواقعة كانت سببًا، ودليلاً يستند إليه في جملة الأسباب التي يُتوقع بها تحقق النصر للمسلمين .

ويوافق الباحث على هذا؛ لأن النبي ﷺ قال : «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ »[(٤)]. فأناط النبي ﷺ الأمرين بالنية، قال ابن حجر: «قوله : (أتلفه الله) ظاهره أن الإتلاف يقع له في الدنيا وذلك في معاشه أو في نفسه . وهو علم من أعلام النبوة لما نراه بالمشاهدة ممن يتعاطى شيئًا من الأمرين»[(٥)].

---

(١) **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٨، ص٤٦٣.

(٢) المرجع نفسه، ج٢٨، ص٤٤٥.

(٣) مرجع سابق، ص١٧٥-١٧٦.

(٤) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، ج٣، ص١١٣، ح٢٣٨٧.

(٥) **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٥، ص٦٦ .

٧- **تطهير البلاد من المنكرات :**

إذا كان النصر له أسباب، فإن ابن تيمية سعى جاهدًا لتحقيق جملة من أسبابه، ومنها: تطهير البلاد من المنكرات الظاهرة، يقول ابن كثير وغيره: ففي بكيرة يوم الجمعة السابع عشر من رجب عام (٦٩٩هـ) دار ابن تيمية وأصحابه على الخمارات والحانات بدمشق، فكسروا آنية الخمور، وشققوا الظروف، وأراقوا الخمور، وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش[١]. و«تمكن ابن تيمية في الشام حتى صار يحلق الرؤوس ويضرب الحدود ويأمر بالقطع والقتل»[٢].

٨- **القياس التاريخي :**

وهذا القياس خاص بما جرى للمسلمين مع التتار عام (٦٩٩هـ)، صرَّح ابن تيمية بأنه كتبه بعد انصراف التتار عن الشام[٣]، في نَصٍّ طويل ماتع، وقد يُظن أن هذا القياس لا يعدو أن يكون تشبيهًا فحسب، وليس قياسًا كان قبل المعركة، يقاس فيه حالة تاريخية سابقة على أخرى حاضرة، والتوقع بأن يكون مستقبلها كالحالة السابقة (الأصل المقيس عليه)، لكن بعض كلام ابن تيمية قبل مواجهة التتار يدل على حضور هذا المعنى لديه -مع ما توافر لديه من الأدلة الأخرى- فقد قال في معرض استدلاله بالقياس التاريخي : «فإن الله صرف الأحزاب عام الخندق بما أرسل عليهم من ريح الصبا : ريح شديدة باردة... كما كان هم هذا العدو فتح الشام والاستيلاء على من بها من المسلمين، فردهم الله بغيظهم، حيث أصابهم من الثلج العظيم، والبرد الشديد، والريح العاصف، والجوع المزعج، ما الله به عليم . وقد كان بعض الناس يكره تلك الثلوج والأمطار العظيمة التي وقعت في هذا العام، حتى طلبوا الاستصحاء غير مرة . **وكنا نقول لهم : هذا فيه خيرة عظيمة . وفيه لله حكمة وسر، فلا تكرهوه.** فكان من حكمته : أنه فيما قيل : أصاب قازان وجنوده، حتى أهلكهم، وهو كان فيما قيل: سبب رحيلهم »[٤] أ.هـ. فكونه يقول لهم ذلك، يُشعر بأن القياس كان حاضرًا لديه، وأنه

---

(١) ابن كثير، **البداية والنهاية**، طبعة دار المعرفة، مرجع سابق، ج١٤، ص٤١٩؛ والقاسم بن محمد البرزالي، "المقتفي لتاريخ أبي شامة"، في: شمس والعمران، مرجع سابق، ص١٥٠.

(٢) أحمد بن يحيى ابن فضل الله العمري، "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، في: شمس والعمران، مرجع سابق، ص٢٥٩.

(٣) **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٨، ص٤٦٧ .

(٤) المرجع نفسه، ج٢٨، ص٤٦٣.

كان يَتوقع أن تتسبب هذه الثلوج برحيل العدو أو هلاكه. كما أن كلامه العامَّ حول القياس التاريخي يرجح استخدامه له .

يقول : «فإن هذه الفتنة التي ابتلي بها المسلمون مع هذا العدو المفسد، الخارج عن شريعة الإسلام: قد جرى فيها شبيه بما جرى للمسلمين مع عدوهم على عهد رسول الله ﷺ في المغازي التي أنزل الله فيها كتابه، وابتلى بها نبيه والمؤمنين : مما هو أسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وذكر الله كثيرًا إلى يوم القيامة؛ فإن نصوص الكتاب والسنة، اللذين هما دعوة محمد ﷺ، يتناولان عموم الخلق بالعموم اللفظي والمعنوي، أو بالعموم المعنوي . وعهود الله في كتابه وسنة رسوله تنال آخر هذه الأمة، كما نالت أولها. وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم، لتكون عبرة لنا . فنشبه حالنا بحالهم، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها... فينبغي للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه في عباده . ودأب الأمم وعاداتهم، لا سيما في مثل هذه الحادثة العظيمة»[(١)].

«فإذا قرأ الإنسان «سورة الأحزاب» وعرف من المنقولات في الحديث، والتفسير، والفقه، والمغازي : كيف كانت صفة الواقعة التي نزل بها القرآن، ثم اعتبر هذه الحادثة بتلك: وجد مصداق ما ذكرنا... وتبين له كثير من المتشابهات»[(٢)].

وملخص هذا القياس ما يأتي[(٣)] :

١-أن المسلمون هُزموا في معركة أُحد بسبب ذنوبهم؛ وكذا هُزم المسلمون عام (٦٩٩هـ) في وقعة (قازان) بسبب ذنوب ظاهرة، وخطايا واضحة.

٢- ابتُلي المسلمون بعد أُحد بأكثر من سنة - وقيل بسنتين - بالأحزاب في معركة الخندق؛ وكذا ابتلي المسلمون في الشام بعدوهم بعد وقعة (قازان).

٣- في الخندق نَصر الله عبده ﷺ، وهزم الأحزاب وحده بغير قتال، بل بثبات المؤمنين بإزاء عدوهم؛ كما كان ذلك في غزو المسلمين للتتار .

٤- انقسم الناس عام الخندق إلى ثلاثة أقسام : مؤمنين، وكافرين، ومنافقين؛ وكذلك انقسموا هنا.

---

(١) نفسه، ج٢٨، ص٤٢٥، ٤٢٧.

(٢) نفسه، ج٢٨، ص٤٤٠.

(٣) ينظر : نفسه، ج٢٨، ص٤٣١-٤٦٤.

٥-أن المسلمين في الأحزاب، تحزب عليهم عامة المشركين الذين حولهم، فاجتمعت قريش، وحلفاؤها من بني أسد، وأشجع، وفزارة، وغيرهم من قبائل نجد، وكان معهم اليهود؛ وفي هذه الحادثة تحزب العدو من مغول، وتُرك، وفُرس، ومستعربة، ونحوهم من أجناس المرتدة، ومن نصارى الأرمن، وغيرهم .

٦-أن الكثرة كانت في جانب العدو في الأحزاب؛ كما كانت هنا أيضًا .

٧-نزل أولئك بنواحي المدينة بإزاء المسلمين ليستأصلوهم؛ ونزل هذا العدو بجانب ديار المسلمين، ومقصوده الاستيلاء على الدار واصطلام أهلها .

٨-دام الحصار على المسلمين عام الخندق بضعًا وعشرين ليلة؛ وهذا العدو عبر الفرات ثم انصرف راجعًا عن حَلب في مثل ذلك .

٩-«كان عام الخندق برد شديد وريح شديدة منكرة بها صرف الله الأحزاب عن المدينة... وهكذا هذا العام أكثر الله فيه الثلج والمطر والبرد على خلاف أكثر العادات... وكان ذلك من أعظم الأسباب التي صرف الله به العدو ؛ فإنه كثر عليهم الثلج والمطر والبرد حتى هلك من خيلهم ما شاء الله . وهلك أيضًا منهم من شاء الله . وظهر فيهم وفي بقية خيلهم من الضعف والعجز بسبب البرد والجوع ما رأو أنهم لا طاقة لهم معه بقتال» .

١٠-قال الله في شأن الأحزاب : ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾[1]؛ وهكذا حصل مع هذا العدو، وتزلزل المسلمون على ما وصف آنفًا.

١١-«قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[2]. وهكذا قالوا في هذه الفتنة فيما وعدهم أهل الوراثة النبوية والخلافة الرسالية وحزب الله المحدثون عنه» .

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ١٠-١١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ١٢.

١٢-قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾[١]، أي: لا مقام لكم في الخندق والقتال؛ لكثرة العدو . فارجعوا إلى المدينة؛ وهكذا لما قدم هذا العدو قال بعض الناس: ما بقيت الدولة الإسلامية تقوم، وقال بعضهم: ما بقيت أرض الشام تسكن. وقال بعضهم: المصلحة الاستسلام لهؤلاء والدخول تحت حكمهم . فهذه المقالات الثلاث قد قيلت في هذه النازلة . كما قيلت في تلك .

١٣-"قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾[٢] . وكان قوم من هؤلاء المذمومين يقولون - والناس مع النبي ﷺ عند سلع داخل الخندق والنساء والصبيان في آطام المدينة - : يا رسول الله إن بيوتنا عورة . أي مكشوفة ليس بينها وبين العدو حائل... قال الله تعالى : ﴿ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ﴾ لأن الله يحفظها ﴿ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ فهم يقصدون الفرار من الجهاد ويحتجون بحجة العائلة . وهكذا أصاب كثيرًا من الناس في هذه الغزاة . صاروا يفرون من الثغر إلى المعاقل والحصون وإلى الأماكن البعيدة كمصر . ويقولون : ما مقصودنا إلا حفظ العيال وما يمكن إرسالهم مع غيرنا . وهم يكذبون في ذلك . فقد كان يمكنهم جعلهم في حصن دمشق لو دنا العدو... وقد كان يمكنهم إرسالهم والمقام للجهاد . فكيف بمن فر بعد إرسال عياله؟".

١٤-"قال تعالى : ﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٣]. وصفهم بثلاثة أوصاف... وهذه الصفات الثلاث منطبقة على كثير من الناس في هذه الغزوة كما يعرفونه من أنفسهم ويعرفه منهم من خبرهم" .

١٥-جرى في غزوة الخندق مناوشات صغار؛ كما جرى في هذه الحادثة .

---

(١) سورة الأحزاب، من الآية: ١٣.

(٢) سورة الأحزاب، من الآية: ١٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢٠.

ويَلحظ الباحث من جميع ما سبق ما يأتي :

١-في هذه الواقعة تضافرت الأدلة لدى ابن تيمية، واستخدم فيها أساليب استشـــراف متعددة، لا تكاد توجد في غيرها .

٢-يُحدِّث ابنُ تيمية الناس بهذه الأمور في وقت عصيب، ادلهمت فيه الأمور، وأصـــبح الحيلم حيران، واضطربت فيه التقديرات حول قدرة المسلمين على مواجهة التتار، مع تخاذل بعض الناس والعلماء ومغادرتهم البلد فرارًا بأنفسهم وأهليهم . وهنا تظهر حاجة الأمـــة إلى عالم راسخ، بالكتاب والسنة، وبسنن الله الكونية، ثابت الجأش، يثبت الناس، ويقوي مـــن عزائمهم، ويرفع من معنوياتهم، ويبشرهم، ويوحدهم.

٣-هذه الحادثة تدل على المقدرة القيادية الفذة لدى ابن تيمية، حيث إن من أركـــان القيادة -كما يقول السويدان ومن معه- : الرؤية المستقبلية، والمقدرة على توضيحها للناس، وتحريكهم نحوها[1].

٤-يُلحظ في استخدام ابن تيمية للقياس التاريخي أن أكثر اعتماده كان علـــى القـــرآن الكريم في وصف الحالة التاريخية السابقة، وهذا من الفقه العظيم؛ فإن الاعتماد على روايات تاريخية لا يُعلم صدقها من كذبها، ويقينها من وهمها، يؤثِّر في صحة القياس ونتيجته .

---

(١) طارق محمد السويدان، وفيصل عمر باشراحيل، **صناعة القائد**، (الرياض، مكتبة جرير وغيرها، ١٤٢٣هـــ)، ص٦٩-٧٠.

المبحث الخامس

القواعد المستقبلية التي صاغها الفقهاء في القواعد الشرعية

صاغ عدد من علماء الإسلام من الفقهاء والأصوليين جملة من القواعد الفقهية والأصولية، وكان في بعضها دلالة على قوة النظر المستقبلي لديهم، وحصافة فكرهم، وتميزهم بالنظر إلى الأمور نظر موضوعي مرتبط بالواقع، غير جانح إلى الوهم والخيال.

ويعرض الباحث هنا أهم القواعد المستقبلية التي نصّوا عليها، ويَنقل بعض الأمثلة لها؛ لتوضيح القاعدة، أو لتأكيد وجه المستقبلية فيها بالمثال.

المطلب الأول: قواعد التشريع والاجتهاد:

١- ((خبر النبي ﷺ حجة يجب المصير إليه، والعمل به، ولا يُترك إلا لمعارض مثله، أو أقوى منه))[1]:

مفاد ((القاعدة: أن حديث رسول الله ﷺ وفعله العبادي حجة ودليل يجب العمل بموجبه والاستدلال به على الأحكام، ولا يجوز تركه والعدول عنه إذا صحت طريقه، إلا إذا وجد معارض لحكم الخبر مثله من السنة فيقع الترجيح بينهما إن أمكن، أو كان المعارض أقوى في ثبوته ودلالاته، كنص القرآن أو الخبر المتواتر أمام خبر الآحاد))[2].

ونتائج التوقعات والدراسات المستقبلية، لا بد من عرضها على الكتاب والسنة، فإن وافقتهما عمل بها، وإن خالفت رُدَّت، وهذا ما نصت عليه القاعدة التالية.

٢-((الرأي يسقط اعتباره إذا جاء الحكم بخلافه))[3]:

((هذه القاعدة بمعنى القاعدة المشهورة القائلة: ((لا اجتهاد مع النص)). حيث إن مفاد هذه القاعدة: أن الحكم أو الفتوى باجتهاد الرأي يسقط اعتبارها ويلغو ولا يعتد به إذا

---

(١) عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، **المغني**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، (القاهرة، دار هجر، ١٤١٢هـ)، ج٢، ٤١٧.

(٢) محمد صدقي بن أحمد البورنو، **موسوعة القواعد الفقهية**، ط٢، (الرياض، مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ)، ج٥، ص٢٦٤.

(٣) محمد بن أحمد السرخسي، **شرح السير الكبير**، ج٢، ص٧٩٢، اعتمادًا على شركة حرف، برنامج "جامع الفقه الإسلامي"، قرص ليزر، الإصدار الأول، ١٩٩٨م.

جاء حكم الشرع منصوصًا بخلاف الرأي والاجتهاد، لأنه: لا مساغ للاجتهاد في مورد النص»[1].

٣-«الأصل في الأحكام المعقولية لا التعبد لأنه أقرب إلى القبول، وأبعد عن الحرج»[2].

«فغسل اليدين قبل إدخالهما في الإناء معلل بالنظافة مما لا تخلو اليد عنه غالبًا بسبب الجولان، ثم طُلب عند أمن ذلك طردًا للباب»[3].

٤-«حاجة الناس أصل في شرع العقود»[4]:

«إن شرع العقود وجوازها مبني على حاجة الناس لتبادل المنافع، حيث إنه لا يستطيع الإنسان أن يقوم بكل ما يحتاجه بنفسه دون استعانة بالآخرين، ولذلك شرعت العقود بناءً على حاجة الناس إلى تبادل المنافع ليعمر الكون»[5].

ومن أمثلة القاعدة: «شرع عقد النكاح ليحل الاستمتاع بين الرجل والمرأة، وليكثر النسل ويحفظ الجنس. ولولا شرع العقود لتهارج الناس ولأكل القوي الضعيف وفسد الكون»[6].

وهذه القاعدة تؤكد وجود النظر المستقبلي في أصل التشريع الإسلامي.

٥-«الأصل في المنافع الإذن، وفي المضار المنع»[7]، وفي لفظ: **«الشرع لا يرد بتحريم المصالح التي لا مضرة فيها، بل بمشروعيتها»**[8]:

مفاد «هذه القاعدة: أن الشرع الحكيم لا يحرم مصالح ومنافع لا مضرة فيها ولا مفسدة، بل إن الشرع قد ورد بمشروعية كل عمل فيه مصلحة ومنفعة وفائدة وخلا عن المضرة والمفسدة. بل أباح الشرع ما غلبت فيه المصلحة على المفسدة»[9].

---

(١) البورنو، مرجع سابق، ج٥، ص٣٨٥.

(٢) المقري، مرجع سابق، ج١، ص٢٩٦.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) محمد بن أحمد السرخسي، **المبسوط**، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ)، ج١٥، ص٧٥.

(٥) البورنو، مرجع سابق، ج٥، ص٦٦.

(٦) المرجع نفسه.

(٧) محمد بن عمر بن الحسين الرازي، **المحصول في علم أصول الفقه**، تحقيق طه جابر العلواني، ط١، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ)، ج٢، قسم٣، ص١٣١.

(٨) ابن قدامة، **المغني**، مرجع سابق، ج٦، ص٤٣٧.

(٩) البورنو، مرجع سابق، ج٦، ص١١٥.

فكل ما لم يرد الشرع بتحريمه فهو مباح، ما لم تظهر مضرة فيه؛ لذا فكل قضية نازلة تأتي في المستقبل، فالأصل فيها الإباحة إلا إذا دل دليل على غير الإباحة، أو تضمنت النازلة مفسدة .

٦-الحدود شرعت زواجر عن ارتكاب أسبابها، عند من يعتقد حرمة السبب[١] :

مفاد «هذه القاعدة: أن الحدود إنما شرعها الله عز وجل وأوجبها للمنع من ارتكاب أسبابها بالنسبة للواقع فيها حتى لا يعود إليها، وبالنسبة لغيره حتى يعتبر به.

وهذا عند مَن يعتقد حرمة سبب الحد»[٢]. فالذمي «لا يقام عليه حد السكر لأنه لا يعتقد حرمة الخمر»[٣] .

ومن أمثلة القاعدة : «شرع حد القتل قصاصًا للزجر عن ارتكاب جريمة القتل بغير حق، وعقوبة للقاتل، وشفاءً لصدور أولياء القتيل وسل سخائم قلوبهم.

ومنها: شرع حد القطع في السرقة عقوبة للسارق، وزجرًا عن سرقة الأموال حفظًا على أربابها »[٤] .

٧-«ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[٥]، وفي لفظ: **«ما كان وسيلة إلى الواجب : فهو واجب»**[٦]:

«إذا أمر الله تعالى عبده بفعل من الأفعال وأوجبه عليه، وكان المأمور لا يتوصل إلى فعله إلا بفعل غيره وجب عليه كل فعل لا يتوصل إلى فعل الواجب إلا به»[٧] .

---

(١) السرخسي، **شرح السير الكبير**، مرجع سابق، ج٥، ص٢٠١٤.

(٢) البورنو، مرجع سابق، ج٥، ص٩٩.

(٣) المرجع نفسه، ج٥، ص١٠٠.

(٤) نفسه، ج٥، ص٩٩.

(٥) أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء، **العدة في أصول الفقه**، تحقيق أحمد بن علي سير المباركي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ)، ج٢، ص٤١٩.

(٦) علي بن أحمد الندوي، **القواعد والضوابط المستخلصة من التحرير** لجمال الدين الحصيري شرح الجامع الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، ط١، (القاهرة، المؤسسة السعودية، ١٤١١هـ)، ص٤٩٣.

(٧) الفراء، مرجع سابق، ج٢، ص٤١٩.

٨-« **التحرز عن البدعة واجب**»[١] :

مفاد «القاعدة: أنه عند وجود البدعة أو ظن وقوعها فعلى المسلم أن يتحرز ويستحفظ منها، وعليه البعد عنها. وما تردد بين المباح والبدعة فلا يؤتى به»[٢] .

٩-« **الرخصة عند تحقق الضرورة**»[٣] :

«الرخصة باعتبارها فعل الأمر المحرم مع بقاء دليل التحريم لا يجوز الإقدام عليها إلا عند تحقق الضرورة، والمراد بالضرورة هنا: الاضطرار بحيث أن المضطر إذا لم يقدم على فعل الرخصة هلك أو قارب على الهلاك»[٤] .

١٠-« **الرخصة في الإقدام على ما لا يحل بسبب الإكراه : عند تحقق خوف الهلاك**»[٥]:

مفاد «القاعدة: أن الإقدام على الأمر المحرم في حالة الإكراه والترخص في فعله لا يجوز إلا عند تحقق خوف الهلاك بسبب الإكراه، وهو المسمى بالإكراه الملجئ، كالتهديد بالقتل أو بقطع عضو أو انتهاك عرض ممن يقدر على تنفيذ ما هدد به»[٦] .

١١-« **الرخصة لا تناط بالشك**»[٧] :

«هذه القاعدة توضح شيئًا من مدلول سابقتها ومفادها أن الإقدام على الرخص لا يجوز في حالة الشك في وجود الضرورة أو حصولها.

أو عند عدم اليقين من وجود السبب المرخص»[٨] .

ومن أمثلة القاعدة : «من شك بالهلاك إذا لم يأكل من الميتة فلا يحل له الإقدام عليها.

ومنها: إذا شك بأن المُكْرِه لا يستطيع أن يفعل ما هدد به فلا يجوز للمكرَه في هذه الحالة أن يقدم على فعل المحرم المطلوب منه فعله»[٩] .

---

(١) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج٣، ص١٩٥.

(٢) البورنو، مرجع سابق، ج٣، ص٢١٦.

(٣) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج٢٤، ص٧٦.

(٤) البورنو، مرجع سابق، ج٥، ص٣٩٧.

(٥) السرخسي، **شرح السير الكبير**، مرجع سابق، ج٤، ص١٤٨٣.

(٦) البورنو، مرجع سابق، ج٥، ص٣٩٥.

(٧) عبد الرحمن السيوطي، **الأشباه والنظائر**، (القاهرة، مكتبة مصطفى البابي، ١٣٧٨هـ)، ص١٤١؛ نقلاً عن: تقي الدين ابن السبكي.

(٨) البورنو، مرجع سابق، ج٥، ص٤٠٠.

(٩) المرجع نفسه، ج٥، ص٤٠٠.

١٢-« حال تحقق الضرورة مستثنى من الحظر»[١] :

«حـــرم الله عز وجل أشياء، ولكنه سبحانه وتعالى عقب تحريمه لما حرم بقوله سبحانه : ﴿ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾[٢]. فكانت حالة الضرورة مستثناة من الحظر والتحـــريم وتفيـــد إباحة المحرم. وهذا أمر متفق ومجمع عليه.

فمفاد القاعدة: أن الضرورة الاستثناء من حالة الحظر والتحريم يجب أن تكون محققة لا موهومة. وهذا شرط متفق عليه»[٣] .

ومن أمثلتها : «إذا أكره إنسان على شرب خمر أو قذف إنسان أو أكل ميتـــة... فـــلا يجوز له الإقدام على ما أكره عليه إلا عند تحقق الضرورة بشروطها: وهي أن يعلم أو يغلب على ظنه أن المكره قادر على تنفيذ ما هدد به، وأنه جاد في تهديده غـــير هـــازل وأنـــه لا يستطيع الصبر على ما هُدد به، وأنه لن يجد ناصرًا ينصره، ففي هذه الحال يجوز له الإقـــدام على ما أكره عليه، وقد يجب»[٤] .

١٣-«المتوقع، هل يجعل كالواقع؟»[٥].

وفي لفظ : «**هل العبرة بالحال، أو بالمآل؟**»[٦]، أو «**هل الاعتبار بالحال أو بالمآل**»[٧]؟

وفي لفظ : «**إذا اختلف حكم الشيء بالنظر إلى حاله ومآلـــه... بم يعتـــبر منـــهما في بـــاب العبادات؟**»[٨].

وفي لفظ: «**إذا كان للشيء مآلان مختلفا الحكم فهل يعتبر بأولهما أو بآخرهما؟**»[٩].

---

(١) السرخسي، **شرح السير الكبير**، مرجع سابق، ج٤، ص ١٥٧٣.

(٢) سورة الأنعام، من الآية: ١١٩.

(٣) البورنو، مرجع سابق، ج٥، ص٧٧؛ وينظر : السرخسي، **شرح السير الكبير**، مرجع سابق، ج٤، ص١٤٢٧.

(٤) البورنو، مرجع سابق، ج٥، ص٧٧.

(٥) السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مرجع سابق، ص١٧٨.

(٦) المرجع نفسه؛ ونحوها: محمد بن عمر بن مكي بن الوكيل، **الأشباه والنظائر**، تحقيق أحمد بن محمد العنقـــري، وعادل بن عبد الله الشويخ، ط٢، (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٨هـــ)، ج٢، ص٣٠٨ .

(٧) البورنو، مرجع سابق، ج٣، ص٢٢٦؛ نقلاً عن : ابن السبكي، **الأشباه والنظائر**، ج١، ص١٠٣.

(٨) المقري، مرجع سابق، ج٢، ص٦٠٦.

(٩) المرجع نفسه .

وفي لفظ : « **التحريم المتوقع لا يؤثر في الحال عدم الحل، كما أن [الحلّ] المتوقع لا يؤثر في منع الحل في الحال**»[1].

وفي لفظ : «**الطوارئ هل تراعى أو لا؟**»[2] :

«المراد بالحال: هو الحاضر، أو وقت التكلم أو الفعل.

والمراد بالمآل: أي العاقبة وما يؤول ويصير إليه الأمر»[3] .

و«المراد بالطوارئ : جمع طارئ وهو الأمر الحادث، من طرأ عليه بمعنى ورد وحدث وحصل بغتة»[4].

«قد يختلف حكم الشيء بين الحال التي هو عليها وبين ما يؤول إليه مستقبلاً، وقد يختلف أيضًا إذا كان للشيء مآلان مختلفا الحكم. فهل ينظر في الحكم للحال الحاضر أو لمآله الآخر؟»[5] .

اختلف الفقهاء في ذلك : فعند «الحنفية إنما يبنى على ما يؤول ويصير إليه الأمر لا للحال الحاضرة، وأما عند الشافعية والمالكية والحنابلة فالأمر مختلف فيه»[6] .

قال السيوطي : إن فيها خلافــًا بين الفقهاء، والترجيح مختلف بحسب المسألة، «جزم باعتبار الحال في مسائل:

منها : إذا وهب للطفل من يعتق عليه -وهو معسر- وجب على الولي قبوله، لأنه لا يلزمه نفقته في الحال، فكان قبول هذه الهبة تحصيل خير، وهو العتق بلا ضرر ولا ينظر إلى ما لعله يتوقع من حصول يسار للصبي، وإعسار لهذا القريب لأنه غير متحقق أنه آيل»[7]أ.هـ.

---

(١) بدر الدين بن محمد بهادر الزركشي، **المنثور في القواعد الفقهية**، تحقيق تيسير فائق أحمد محمود، ط٢، (الكويت، وزارة الأوقاف، ١٤٠٥هـ)، ج١، ص٢٤٨.

(٢) أحمد بن يحيى الونشريسي، **إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك**، تحقيق الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، ط١، (طرابلس: ليبيا، كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، ١٩٩١م)، ص١٠٦.

(٣) البورنو، مرجع سابق، ج٦، ص٣٧٤.

(٤) المرجع نفسه، ج٦، ص٣١٦.

(٥) نفسه، ج١، ص٢٣٩.

(٦) نفسه، ج٦، ص٣٧٤-٣٧٥.

(٧) **الأشباه والنظائر**، مرجع سابق، ص١٨٠.

ومنها : «من أعتق في مرضه أمةً، جاز لوليه القريب أن يزوجها، وكذلك يجوز للمعتق أن يتزوجها؛ لأن العتق قد وقع ممن هو أهله. والتحريم المتوقع هو احتمال أن لا تخرج من ثلث مال المريض عند الوفاة فيكون بعضها ما زال رقيقاً. أو أن يوجد على الميت دين مستغرق فتباع في دينه فتكون كلها رقيقًا؛ لأن العتق في مرض الموت وصية»[(١)].

قال السيوطي : «وجزم باعتبار المآل في مسائل :

منها : بيع الجحش الصغير جائز، وإن لم ينتفع به حالاً لتوقع النفع به مآلاً.

ومنها : جواز التيمم لمن معه ماء يحتاج إلى شربه في المآل، لا في الحال.

ومنها : المساقاة على ما لا يثمر في السنة ويثمر بعدها»[(٢)]أ.هـ.

ومنها : تزويج المرأة عبد أبيها، كرهه الإمام مالك؛ خشية أن يموت أبوها فترث زوجها العبد فيؤول ذلك إلى فسخ النكاح[(٣)] .

١٤ -«سد الذرائع»[(٤)] :

الذرائع: جمع ذريعة، وهي الوسيلة إلى الشيء . واعتبر العلماء سدَّها حسمًا لمادة وسائل الفساد؛ دفعاً لها . فمتى كان الفعل السالم من المفسدة وسيلة إليها مَنَعَ منه الإمام مالك في كثير من الصور حسمًا لها[(٥)]. وكذا عند كثير من العلماء غيره، فكل ما يؤدي إلى الحرام فهو حرام .

«فمفاد القاعدة: أن الفعل السالم من المفسدة – في ظاهره – إذا كان وسيلة إليها منع منه سدًا لباب الفساد»[(٦)] .

ومن أمثلتها : «إذا أراد شخص أن يشتري سلاحًا وعلم البائع –أو غلب على ظنه– أن هذا المشتري يريد بشرائه السلاح أن يقتل به معصومًا، فلا يجوز له أن يبيعه»[(٧)] .

---

(١) البورنو، مرجع سابق، ج٣، ص٢٢٧.

(٢) السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مرجع سابق، ص١٨٠.

(٣) الونشريسي، مرجع سابق، ص١٠٦.

(٤) البورنو، مرجع سابق، ج٦، ص٣٠؛ نقلاً عن : ابن السبكي، **الأشباه والنظائر**، ج١، ص١١٩.

(٥) القرافي، مرجع سابق، ج٢، ص٣٨ .

(٦) البورنو، مرجع سابق، ج٦، ص٣٠.

(٧) المرجع نفسه، ج٦، ص٣٠.

١٥–" إذا اعتبرت الذرائع فالأصح وجوب صونها عن الاضطراب بالضبط والتعميم، كسائر العلل الشرعية"[١] :

"والمراد بوجوب صونها عن الاضطراب تعميمها في كل المسائل لا تخصيصها بنية الفاعل. كمنع زراعة العنب لمن يظن أنه يزرعها للخمر. فهذا لم يقل به أحد"[٢].

من أمثلتها : "من حفر بئرًا في طريق المسلمين ليوقعهم فيه، ومن يضع السم في مائهم ليقتلهم به فهذا كله ممنوع"[٣] .

١٦–"ما نهي عنه لسد الذريعة يباح للمصلحة الراجحة"[٤] :

ومن أمثلتها[٥]: إباحة النظر إلى المرأة لمن يريد الزواج بها .

ومنها: السفر بالمرأة الأجنبية إذا خيف ضياعها .

١٧–" تقدير خوارق العادات ليس من دأب الفقهاء"[٦] :

"والمقصود بخوارق العادات: الأمور التي تخرق بظهورها العادة، أي أن تكون فوق عادة البشر وقدرهم.

فمسائل خوارق العادة وتقديرها وإعطاء حكم لها ليس من عادة الفقهاء والعلماء ودأبهم؛ لأن الخارق إذا حصل يبحث عن حكمه حين حصوله، ولا يقدر له حكم قبل وجوده؛ لأن في ذلك ضياع للوقت والجهد بما لا يؤدي إلى منفعة أو مصلحة"[٧] .

وهذه قاعدة مهمة للدراسات المستقبلية، وينبغي العمل على وفقها؛ حفظًا للجهود والأوقات، وسيرًا على هَدي السلف .

---

(١) المقري، مرجع سابق، ج٢، ص٤٧٢.

(٢) نفسه، ج١، ص٢٥٥.

(٣) نفسه .

(٤) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٣، ص١٨٦.

(٥) المثالان، المرجع نفسه.

(٦) المقري، مرجع سابق، ج٢، ص٤٦٥؛ ونسبها للمازري.

(٧) البورنو، مرجع سابق، ج٤، ص٤٣٨؛ وينظر: المقري، مرجع سابق، ج٢، ص٤٦٥.

١٨-الأحكام "لا تبنى على ما لا طريق لنا إلى معرفته"[١] :

"تدل هذه القاعدة على أن الأحكام المترتبة على أفعال المكلفين إنما تنبني على ما يمكن معرفته أي على ظواهر الأمور التي يمكن معرفتها للبشر، أو تقع تحت قدرتهم، ولا يجوز بناؤها على ما لا يمكن معرفته أو العلم به، أو الاطلاع عليه"[٢]؛ لذا فالدراسات المستقبلية للمستقبل البعيد، التي تقوم على غير دليل بين، لا يتخذ بشأنها أحكام، ولا تصرفات؛ لأنّ الأحكام لا تبنى على ما لا طريق لنا إلى معرفته. يقول المقري : "لا تقدمنَّ إلا بإذن ودليل، واحذر ما لاينفع ما ستطعت، فقد يضر"[٣] .

١٩-"الأحكام تنبني على العادة الظاهرة"[٤] :

"تدل هذه القاعدة على أن الأحكام الشرعية إنما تُبنى على الظاهر، وليس للقاضي أو الحاكم أن يبني حكمًا على أمر خفي أو متوهم كما أن الأحكام إنما تبنى أيضًا على العادة الغالبة لا على الحالات النادرة"[٥] .

٢٠-"القادر على اليقين هل يأخذ بالظن؟"[٦]، وفي لفظ : **"القادر على اليقين هل له الاجتهاد والأخذ بالظن؟"**[٧].

فيها خلاف، والحكم بحسب المسألة، فتارة يجزم بعدم جوازه، وتارة يجوز بلا خلاف، وتارة يختلف رأي العلماء في المسألة الواحدة[٨] .

٢١-"البناء في زمان الاستمرار على ما تأكد بالتكرار"[٩] :

"إن ما تأكد بتكراره مرتين أو ثلاثًا يبنى الحكم عليه لا على ما حصل مرة واحدة؛ لأنه لم يتأكد بالتكرار"[١٠] . وهذه القاعدة مفيدة في عملية التوقعات.

---

(١) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج١٤، ص١٢.

(٢) البورنو، مرجع سابق، ج١، ص١٩٧.

(٣) مرجع سابق، ج١، ص٢٩٥.

(٤) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج٦، ص٤٥ .

(٥) البورنو، مرجع سابق، ج١، ص١٩٦.

(٦) ابن الوكيل، مرجع سابق، ج٢، ص٧٠.

(٧) السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مرجع سابق، ص١٨٤.

(٨) ابن الوكيل، مرجع سابق، ج٢، ص٧٠.

(٩) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج٢، ص١٨.

(١٠) البورنو، مرجع سابق، ج٣، ص٨٥.

٢٢-"العمل بأكبر الرأي جائز"(١)، وفي لفظ: **"غالب الرأي يجوز تحكيمه فيما لا يمكن معرفة حقيقته"**(٢)، وفي لفظ: **"غالب الرأي يقام مقام الحقيقة فيما لا طريق إلى معرفته حقيقة"**(٣)، وفي لفظ: **"غالب الرأي بمنزلة اليقين فيما بني أمره على الاحتياط"**(٤):

المراد بغالب الرأي وأكبره هو: "غلبة الظن، والإدراك للجانب الراجح.

فمفاد القاعدة: أن عند عدم اليقين يكفي غلبة الظن في بناء الأحكام عليها؛ لأن القطع في أكثر الأحكام متعذر"(٥).

"ومفادها: أن غالب الرأي وأكبره هو في رتبة اليقين والحقيقة في وجوب العمل به فيما بني أمره على الاحتياط للدين، وذلك عند عدم إدراك الحقيقة حفظًا لسلامة الدين والبعد عن المحرمات والمشبوهات، ودفعًا ورفعًا للحرج؛ لأنه ليس كل أمر يمكن أن تدرك حقيقته أو أن يوقف على اليقين منه"(٦).

وهذه القاعدة من القواعد التي يُعتمد عليها في الدراسات المستقبلية، إذ إن كثيرًا من أحكامها مبنية على غلبة الظن.

٢٣-"طمأنينة القلب إلى ما اجتمع عليه فريقان أظهر"(٧):

"عند الاختلاف في أمر ما فمن قواعد الترجيح أن ما اتفق عليه فريقان أو جمعان يكون أقوى وأرجح مما انفرد به واحد. ويكون ذلك أكثر طمأنينة لقلب المكلف؛ لأن نظر اثنين أقوى وأقرب للصواب من نظر واحد"(٨).

وهذه القاعدة مفيدة في إحدى طرق الترجيح في أسلوب التشاور المتميز من أساليب الدراسات المستقبلية.

---

(١) محمود بن محمد بن حمزة الحسيني، **الفرائد البهية في القواعد والفوائد الفقهية**، ط١، (دمشق، دار الفكر، ١٤٠٦هـ)، ص١٩٧؛ نقلاً عن: **الفتاوى الخانية**.

(٢) السرخسي، **شرح السير الكبير**، مرجع سابق، ج١، ص٢٩٢.

(٣) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج٢٤، ص٤٩.

(٤) السرخسي، **شرح السير الكبير**، مرجع سابق، ج٤، ص١٤٣٦.

(٥) البورنو، مرجع سابق، ج٦، ص٤٥٦.

(٦) المرجع نفسه، ج٦، ص٤٩٢.

(٧) السرخسي، **شرح السير الكبير**، مرجع سابق، ج٣، ص٨٨٦.

(٨) البورنو، مرجع سابق، ج٦، ص٣١٠.

٢٤-" التحري عند انعدام الأدلة مشروع"[1]، وفي لفظ " الحكم عند الاشتباه التَّحري ما لم يتيسر اليقين"[2] :

"التحري : "عبارة عن طلب الشيء بغالب الرأي عند تعذر الوقوف على حقيقته ، وقد منع بعض الناس العمل بالتحري لأنه نوع ظن والظن لا يغني من الحق شيئا ولا ينتفي الشك به من كل وجه ومع الشك لا يجوز العمل ولكنا نقول : التحري غير الشك والظن فالشك أن يستوي طرف العلم بالشيء والجهل به والظن أن يترجح أحدهما بغير دليل والتحري أن يترجح أحدهما بغالب الرأي وهو دليل يتوصل به إلى طرف العلم وإن كان لا يتوصل به إلى ما يوجب حقيقة العلم ولأجله سمي تحريا "[3] .

٢٥-" شهادة القلب في التحري تكفي"[4] :

"المراد بشهادة القلب: طمأنينة القلب وارتياحه إلى نتيجة التحري، كطمأنينته وارتياحه بعد الاستخارة المشروعة...

فمفاد القاعدة: أن طمأنينة القلب وارتياحه لنتيجة التحري تكفي في التزام ما وقع عليه تحرِّيه، والتحري إنما يكون فيما يباح للضرورة، وما لا يباح في حالة الضرورة لا يجوز التحري فيه"[5] .

٢٦-" تحكيم السيماء فيما يحكم فيه بالعلامة أصل"[6]، وفي لفظ : "تحكيم السيماء أصل فيما لا يوقف في حقيقته"[7] :

السيماء في اللغة: العلامة[8].

---

(١) مسعود بن أحمد الكاساني، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م)، ج١، ص١٦٥.

(٢) المقري، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٠.

(٣) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج١٠، ص١٨٥.

(٤) المرجع نفسه، ج١، ص٢١٩.

(٥) البورنو، مرجع سابق، ج٦، ص١٤٩.

(٦) السرخسي، **شرح السير الكبير**، مرجع سابق، ج٢، ص٧١٠.

(٧) المرجع نفسه، ج٤، ص١٤٤٤.

(٨) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١٤٥٢، مادة : (سوم).

ومفاد «القاعدة: أن ما لا يوقف على حقيقته وما يجهل – وكان لا بد من إعطائه حكمًا شرعيًا – أنه ينظر إلى العلامات المميزة وبناءً عليها يكون الحكم وهذا أصل شرعي عظيم»[١].

٢٧–«الثابت بظاهر الحال كالثابت بالبينة حال عدم البينة»[٢]، وفي لفظ: «**ظهور أمارات الشيء هل تنزل منزلة تحققه؟**»[٣]، وقريبًا منها: «**الموهوم فيما يُبنى على الاحتياط: كالمتحقق**»[٤]:

«ظاهر الحال: الأمارات والعلامات التي تدل على أمر وراءَها. فعند الحنفية أن ظهور أمارات وعلامات تدلنا على أمر مقصود أو مظنون تقوم مقام البينة – عند عدم وجود البينة– في بناء الأحكام عليها. وعند الشافعية خلاف في العمل بظاهر الحال»[٥].

ومن أمثلتها: «إذا ظهرت أمارات الإفلاس على شخص هل يحجر عليه أو لا؟

عند الحنفية: نعم، وعند الشافعية: خلاف.

ومنها: إذا ظهرت على السفيه أمارات التبذير حجر عليه بلا خلاف»[٦].

٢٨–«لا عبرة للتوهم»[٧]:

«المراد بالتوهم الاحتمال العقلي البعيد النادر الحصول. فهذا لا يبنى عليه حكم، ولا يمنع القضاء، ولا يؤخِّر الحقوق»[٨].

مثال القاعدة: لو «شهد الشهود بانحصار إرث المتوفى... بورثة معينين وقالوا: لا نعلم له وارثًا غيرهم، يقضى لهم بالإرث، ولا عبرة لاحتمال ظهور وارث آخر، لأن ذلك موهوم، فلا يعوق القضاء»[٩].

---

(١) البورنو، مرجع سابق، ج٣، ص٢٣٤–٢٣٥.

(٢) الندوي، مرجع سابق، ص٤٨٥.

(٣) الزركشي، مرجع سابق، ج٢، ص٣٥٢.

(٤) الندوي، مرجع سابق، ص٤٩٧.

(٥) البورنو، مرجع سابق، ج٤، ص٥٤٥.

(٦) المرجع نفسه؛ وينظر: الزركشي، مرجع سابق، ج٢، ص٣٥٢.

(٧) مجموعة من علماء الدولة العثمانية، **مجلة الأحكام العدلية**، في: علي حيدر، **درر الحكام شرح مجلة الأحكام**، تعريب فهمي الحسيني، (الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ)، ج١، ص٧٣.

(٨) مصطفى أحمد الزرقاء، **المدخل الفقهي العام**، ط١، (دمشق، دار القلم، ١٤١٨هـ)، ج٢، ص٩٩٧.

(٩) نفسه، ج٢، ص٩٩٧ – ٩٩٨.

٢٩-« يكره تكثير الفروض النادرة، والاشتغال عن حفظ نصوص الكتاب، والسنة، والتفقه فيهما بحفظ آراء الرجال والاستنباط منها، والبناء عليها، وبتدقيق المباحث، وتقدير النوازل، فالمهم المقدم»(١) :

وهذه القاعدة من القواعد المهمة في الدراسات المستقبلية، تدعو إلى التوسط، وعدم الاسترسال في تقدير الفروض بلا حاجة.

٣٠-«درء المفاسد أولى من جلب المصالح»(٢)، وفي لفظ : **«عناية الشرع بدرء المفاسد أشد من عنايته بجلب المصالح، فإن لم يظهر رُجحان الجلب قُدم الدرءُ»**(٣) :

«فإذا تعارض مفسدة ومصلحة؛ قدم دفع المفسدة غالبًا؛ لأن اعتناء الشرع بالمنهيات أشد من اعتنائه بالمأمورات»(٤) .

٣١-« تُقدَّم المصلحة الغالبة على المفسدة النادرة، ولا تترك لها »(٥) :

«فإذا كانت المصلحة أغلب والمفسدة مغلوبة وجب تقديم المصلحة على المفسدة، ولا تترك المصلحة بحجة وجود المفسدة، ويكون ذلك استثناء من القاعدة القائلة: (درء المفاسد أولى من جلب المصالح)»(٦) السابقة .

من أمثلة هذه القاعدة: «الكذب مفسدة محرمة لكن متى تضمن ذلك جلب مصلحة تربو عليه جاز كالكذب في الإصلاح بين الناس، وفي الحرب لخداع العدو، وعلى الزوجة لإصلاحها»(٧) .

---

(١) المقري، مرجع سابق، ج٢، ص٤٧٦.

(٢) السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مرجع سابق، ص٨٧؛ والونشريسي، بلفظ: (مقدم) بدل (أولى)، مرجع سابق، ص٨٢.

(٣) المقري، مرجع سابق، ج٢، ص٤٤٣.

(٤) السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مرجع سابق، ص٨٧.

(٥) المقري، مرجع سابق، ج١، ص٢٩٤.

(٦) البورنو، مرجع سابق، ج٤، ص٤٣٧.

(٧) المرجع نفسه، ج٤، ص٤٣٧.

٣٢-"إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمهما ضررًا بارتكاب أخفهما"[1]، وفي لفظ: **"احتمال أخف المفسدتين لأجل أعظمهما هو المعتبر في قياس الشرع"**[2]، وفي لفظ: **"الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف"**[3]، وفي لفظ: **"يختار أهون الشرين"**[4]:

"هذه القواعد مهما اختلفت ألفاظها وصيغها فهي متحدة المعنى، ومتفق على مضمونها بين الفقهاء. وذلك دليل على عظم مكانتها وأهميتها، وأثرها، وهي مندرجة تحت قاعدة – لا ضرر ولا ضرار – أو الضرر يزال. وتدل على أنه إذا ابتلي إنسان ببليتين ولا بد من ارتكاب إحداهما فللضرورة جاز ذلك"[5].

وإذا كانت هذه القاعدة مهمة ومفيدة للدراسات المستقبلية، فإن الدراسات المستقبلية بالمقابل تقدِّم خدمة لهذه القاعدة، بتمحيص التحقيق في أي الضررين أخف، وأيهما أشد.

٣٣-" الطاعة إذا صارت سببًا للمعصية ترتفع الطاعة"[6]:

"إذا ترتبت على إرادة فعل الطاعة معصية كبيرة ارتفعت الطاعة – أي لا يجب على المكلف فعلها – لأنها تصبح وسيلة للمعصية، فالامتناع عن فعل الطاعة في هذه الحالة حتى لا يكون فعلها سببًا في وجود المعصية ووقوعها.

فإذا أصبحت الطاعة سببًا ووسيلة للمعصية أخذت حكمها؛ لأن للوسائل أحكام المقاصد"[7].

ومن أمثلتها: إذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -وهو طاعة- يترتب عليه معصية أشد فلا يجب القيام به[8].

---

(١) السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مرجع سابق، ص٨٧.

(٢) ابن الوكيل، مرجع سابق، ج٢، ص٥٠.

(٣) مجموعة من علماء الدولة العثمانية، مرجع سابق، ج١، ص٤٠.

(٤) المرجع نفسه، ج١، ص٤١.

(٥) البورنو، مرجع سابق، ج١، ص٢٣٠.

(٦) ابن حمزة الحسيني، مرجع سابق، ص١٧؛ نقلاً عن **الفتاوى الخانية**.

(٧) البورنو، مرجع سابق، ج٦، ص٣٠٠.

(٨) المرجع نفسه.

٣٤-«الشيء إنما يلحق بغيره إذا تساويا من جميع الوجوه»(١) :

«هذه قاعدة أصولية فقهية تتعلق بالإلحاق القياسي.

مفادها: أنه إذا أريد قياس فرع على أصل فيجب أن يتساوى الفرع مع أصله في جميع الوجوه التي يثبت معها القياس – أي المماثلة – حتى لا يكون القياس قياسًا مع الفارق – ويسمى هذا القياس قياسًا في معنى الأصل. وليس المراد بجميع الوجوه جميع الصفات وإلا كان هو هو»(٢) .

ويمكن أن يستفاد من هذه القاعدة في القياس التاريخي، عند إجراء الدراسات المستقبلية.

٣٥-«أصلُ مالك كراهةُ الدخول اختيارًا في عهدة يضعف الوفاء بها إيثارًا لتحقق السلامة على رجاء الغنيمة»(٣):

«كره مالك رضي الله عنه الدخول الاختياري في عبادة قد يضعف المكلف عن الوفاء بها، كنذر الطاعة من صوم أو صلاة وكذلك كره نذر الاعتكاف على ظاهر الرواية... فإيثارًا للسلامة كره مالك أن يدخل الإنسان في عبادة نافلة يمكن أن يضعف عن أدائها أو إتمامها»(٤) .

المطلب الثاني : القواعد المستقبلية في المعاملات :

١-« الساقط لا يعود»(٥)، وفي لفظ : «الساقط متلاش لا يتصور عوده»(٦)، وفي لفظ : «الساقط من الحق يكون متلاشيًا لا يتصور عوده»(٧) :

«المراد بالساقط: هو الحكم أو التصرف الذي تم أو الحق الذي يسقطه صاحبه، ويبرئ منه غريمه. والمتلاشي هو المعدوم... فمفاد القاعدة: أن من تنازل عن حق له على غيره، وأبرأه منه، وأسقطه عنه، أنه لا حق له في المطالبة به بعد ذلك؛ لأنه قد تلاشى، وما تلاشى

---

(١) البورنو، مرجع سابق، ج٦، ص١٩٠؛ نقلاً عن : **شرح الخاتمة** : (خاتمة مجمع الحقائق)، ص٤٩.

(٢) المرجع نفسه .

(٣) المقري، مرجع سابق، ج٢، ص ٥٧٥.

(٤) البورنو، مرجع سابق، ج٢، ص٥١.

(٥) زين العابدين بن إبراهيم بن نجيم، **الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ)، ص٣١٨؛ ومجموعة من علماء الدولة العثمانية، مرجع سابق، ج١، ص٥٤.

(٦) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج٢١، ص٤٤.

(٧) المرجع نفسه، ج١٢، ص١٠٨ .

وعُدم لا يمكن عوده مرة ثانية؛ لأنه يصبح معدومًا لا سبيل إلى إعادته إلا بسبب جديد يعيد مثله لا عينه. والإسقاط كما يكون بفعل المكلف يكون أيضًا بالشرع »[1] .

ومن أمثلة القاعدة : «حق القصاص يسقط بالعفو»[2] .

ومنها : لو «أبرأ الدائنُ مدينَهُ سقط الدَّين، فلا تمكن استعادته إذا ندم الدائن»[3].

٢-« الحق لا يسقط بتقادم الزمان»[4]، وفي لفظ: « **الحق متى ثبت لا يبطل بالتأخير ولا بالكتمان»**[5] :

«إذا ثبت الحق لصاحبه لا يسقط بمضي المدة وتقادم الزمان ما دام هناك من يطالب به. والمقصود بهذه القاعدة الحق المخصوص بالعباد لا حق الله تعالى... هذا حكم القاعدة العام، ولكن إذا حدد الإمام مدة معينة للمطالبة بالحقوق فيجب التزامها، فإذا جاء إنسان وطالب بحق له بعد مضي المدة فلا ينظر بطلبه، هذا إذا كان عن طريق الدعوى، حيث لا تقبل الدعوى به لأمر الإمام...ولكن لا تبرأ ذمة المطالب بالحق إلا بالأداء أو الإبراء»[6] .

٣-« تعجيل الحق قبل وجود سبب وجوبه لا يجوز »[7] :

ومن أمثلة القاعدة : «لا يجوز للمرأة أن تهب صداقها قبل عقد زواجها؛ لأن عقد الزواج سبب لوجوب المهر فما لم يوجد العقد لا يجب المهر، ولا تجوز هبته بناءً على عدم وجود سببه...

ومنها: تعجيل الزكاة قبل ملك النصاب؛ لأنه ربما لا يوجد النصاب مستقبلاً، بخلاف ما لو كان النصاب موجودًا وعجل زكاة عام أو عامين »[8] .

---

(١) البورنو، مرجع سابق، ج٦، ص٦-٧.

(٢) المرجع نفسه، ج٦، ص٨.

(٣) الزرقاء، مرجع سابق، طبعة دار القلم، ج٢، ص١٠٢٨؛ وينظر : حيدر، مرجع سابق، ج١، ص٥٤.

(٤) ابن نجيم، مرجع سابق، ص٢٢٢.

(٥) السرخسي، **شرح السير الكبير**، مرجع سابق، ج٥، ص ٢١٤٩.

(٦) البورنو، مرجع سابق، ج٥، ص١٣١-١٣٢.

(٧) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج٣، ص١١ .

(٨) البورنو، مرجع سابق، ج٤، ص٣٧٥.

٤-« التأقيت إلى مدة لا يعيش الإنسان إليها غالبًا تأبيد»[(١)] :

«فإذا حددت مدة لعمل ما أو عقد ما وكانت هذه المدة -لطولها- لا يعيشها الإنسان غالبًا كمائتي سنة، فيعتبر ذلك تأبيدًا للعقد أو العمل، أي يكون العقد مؤبدًا كأنه أطلق المدة ولم يحددها»[(٢)] .

من أمثلة هذه القاعدة: «إذا باع أرضًا لمدة مائتي عام فيكون هذا العقد تمليكًا مؤبدًا؛ لأن الإنسان لا يعيش مائتي عام غالبًا»[(٣)] .

٥-«حكم ما بعد الغاية مخالف لما قبل ذلك»[(٤)]، وفي لفظ: **«حكم ما بعد الغاية بخلاف ما قبله»**[(٥)].

ومن أمثلتها : للمطلَّقة حق حضانة الولد ما لم تتزوج، فإذا تزوجت فللأب أن يأخذ منها الولد[(٦)] .

٦-« الحادث بعد انعقاد السبب قبل تمامه يجعل كالموجود عند ابتداء السبب»[(٧)] :

ومن أمثلتها : «الزيادة التي تحدث من المبيع قبل القبض تجعل كالموجود عند ابتداء العقد»[(٨)]. مثل: أن يشتري بقرة حاملاً وقبل تسلمها من البائع ولدت. فالبقرة وولدها للمشتري؛ حيث يكون المولود ملكًا للمشتري تبعًا لملكيته لأمه، كأنه وُجد معها قبل العقد، فيكون الثمن لكليهما[(٩)] .

---

(١) ابن نجيم، مرجع سابق، ص١٨٤.

(٢) البورنو، مرجع سابق، ج٣، ص١٥٣.

(٣) المرجع نفسه .

(٤) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج٥، ص٢١٠.

(٥) المرجع نفسه، ج١٢، ص٧٥.

(٦) نفسه، ج٥، ص٢١٠.

(٧) نفسه، ج١٠، ص١٠٢.

(٨) نفسه .

(٩) البورنو، مرجع سابق، ج٥، ص٧٠.

٧-" الطارئ بعد العقد قبل حصول المقصود به كالمقترن بالعقد"[١]، وفي لفظ : **"الطارئ قبل حصول المقصود بالسبب كالمقترن بأصل السبب"**[٢] :

"المراد بالطارئ: الوصف الطارئ، مِن طَرَأ : بمعنى نزل فجأة وحصل"[٣].

ومفاد هذه القاعدة: "أن ما ينزل بالعقد بعد عقده وقبل حصول المقصود به يفسد العقد وكأنه مقترن بأصله، وأما إذا نزل بعد حصول المقصود بالعقد فلا أثر له فيه"[٤] .

ومن أمثلتها : "إذا عقد على صغيرة ثم أرضعتها زوجة كبيرة له بطل زواجه من الصغيرة، لأنها صارت بنت زوجته من الرضاع وبنته هو من الرضاع، وعلى زوجته الكبيرة ضمان مهر الصغيرة، لإفسادها عقد نكاحها بإرضاعها.

ومنها: إذا اشترى عصيراً فتخمر قبل القبض يفسد العقد ويبطل ؛ لأن الخمر ليست مالاً في حق المسلم"[٥] .

٨-" العارض من السبب لا يؤثر فيما انتهى حكمه بالاستيفاء"[٦] :

"هذه القاعدة تقابل القاعدة السابقة؛ لأن مفادها: أن الطارئ على العقد أو التصرف إذا وجد بعد التنفيذ والاستيفاء أنه لا أثر له على الحكم"[٧] .

ومن أمثلتها : "إذا اشترى طيورًا في قفص وتسلمها من البائع ثم طارت من يده، فإنه لا حق له في الرجوع"[٨] على البائع .

٩-الشيء في معدنه لا يعطى له حكم الظهور ما لم يظهر[٩] :

"مفاد القاعدة: أن الشيء ما دام موجودًا في أصله مغروسًا فيه، لم يخرج منه، لا يعطى له حكم الظهور، ولا تبنى عليه الأحكام ما لم يظهر، كالذهب في ترابه"[١٠] .

---

(١) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج٢١، ص١٥١.

(٢) المرجع نفسه، ج١٩، ص١٠٨.

(٣) البورنو، مرجع سابق، ج٦، ص٢٩٧.

(٤) المرجع نفسه، ج٦، ص٢٩٨.

(٥) نفسه؛ وينظر : السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج٢١، ص١٥١.

(٦) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج٢٥، ص١٦٤.

(٧) البورنو، مرجع سابق، ج٦، ص٣٤٧.

(٨) المرجع نفسه .

(٩) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج٣، ص١٥١.

(١٠) البورنو، مرجع سابق، ج٦، ص١٩١.

١٠-" الشرط لما صح وجب الوفاء به شرعًا"[١] :

"الشرط الصحيح المفيد الموافق لمقتضى العقد إذا كان موافقًا لحكم الشرع غير مخالف له يجب الوفاء به، وما لا يمكن الوفاء به شرعًا لا يجوز اشتراطه"[٢] .

ومن أمثلة القاعدة : "إذا وادع المسلمون المشركين مدة سنة وكتبوا بذلك كتابًا وجب على المسلمين الوفاء بهذا العهد وشروطه مالم يكن فيها شرط مخالف لحكم الشرع"[٣].

١١-"الشرط إن كان مفيدًا يجب مراعاته"[٤]، وفي لفظ: " الشرط المفيد في العقد معتبر"[٥]:

مفاد "القاعدة أن الشرط إذا كان يجر نفعًا ومصلحة لأحد العاقدين أو كليهما -بشرط عدم تصادمه مع حقيقة العقد -فإن هذا الشرط يجب اعتباره ومراعاته . وأما إذا كان الشرط غير مفيد ولا نفع فيه لأحدهما فلا تجب مراعاته ولا اعتباره فيلغى ويصح العقد"[٦].

١٢-"الشرط أملك"[٧] :

مفاد "القاعدة: أن من اشترط على نفسه شرطًا فقد قيد نفسه به، وعليه الوفاء بشرطه"[٨].

١٣-" الشرط وجوابه لا يتعلقان إلا بمعدوم مستقبل"[٩] :

مفاد "القاعدة: أن الشرط وجوابه وهو الجزاء إنما يتعلقان بمعدوم في الحال ممكن الوجود في المستقبل، ولكن يجب أن يسبق الشرط جزاءه وجوابه في وجوده؛ لأن وجود الجواب أو الجزاء مترتب على وقوع الشرط"[١٠].

---

(١) محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، **قواعد الفقه**، ط١، (باكستان، الصدف ببلشرز، ١٤٠٧هـ)، ص٨٥.

(٢) البورنو، مرجع سابق، ج٦، ص١٠١.

(٣) المرجع نفسه .

(٤) السرخسي، **شرح السير الكبير**، مرجع سابق، ج١، ص٢٩٩.

(٥) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج١٥، ص١٢٠.

(٦) البورنو، مرجع سابق، ج٦، ص٨٨.

(٧) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج١٥، ص٣١ . وهي نص حديث نبوي .

(٨) البورنو، مرجع سابق، ج٦، ص٩٣.

(٩) القرافي، مرجع سابق، ج١، ص٨٦.

(١٠) البورنو، مرجع سابق، ج٦، ص١٠٦؛ وينظر: القرافي، مرجع سابق، ج١، ص٨٦-٨٧.

ومن أمثلة القاعدة : إذا قال لزوجه: إن دخلت الدار فأنت طالق . يحمل على دخول مستقبل، والطلاق لم يقع قبل التطليق بالإجماع، ولكن يقع إذا وجد الدخول في المستقبل(١).

١٤–« **إنشاء التعليق جائز، وتعليق الإنشاء لا يجوز**»(٢) :

«إنشاء التعليق: ابتداؤه، والتعليق ربط حصول مضمون جملة بحصول مضمون جملة أخرى.

وتعليق الإنشاء: ربط فعل ماض بأمر مستقبل.

وتدل هذه القاعدة على أن تعليق حصول أمر بحصول أمر آخر جائز وهو ما فيه شرط يترتب وقوعه عليه . وأما ربط فعل ماض بأمر مستقبل فلا يجوز»(٣) .

من أمثلة إنشاء التعليق: لو «قال: بعتك إن شئت صح»(٤).

ومن أمثلة تعليق الإنشاء: «لو قال: له عليَّ درهم إن شاء فلان. لم يكن إقرارًا شاء فلان أم لا... ومشيئة فلان لا توجب شيئًا عليه»(٥).

١٥–« **الأصل أن المعلق بالشرط عند وجوده كالمنجز**»(٦) :

«فمتى علّق أمر بشرط ثم وجد الشرط فالمعلق بالشرط ينفذ ويأخذ حكمه كما لو كان منجزًا»(٧) .

ومن أمثلتها : إذا نذر أن يصوم إذا قدم زيدٌ من سفره، فعند وجود القدوم يصير كالمجدد للنذر(٨).

---

(١) القرافي، مرجع سابق، ج١، ص٨٦.

(٢) الزركشي، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٦ .

(٣) البورنو، مرجع سابق، ج٢، ص٢٩٩.

(٤) الزركشي، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٦.

(٥) المرجع نفسه، ج١، ص٢٠٧.

(٦) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج٣، ص٩٧.

(٧) البورنو، مرجع سابق، ج٢، ص١٥٣.

(٨) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج٣، ص٩٧.

١٦-" شرط الزيادة الموهومة المرغوب فيها يفسد العقد"[1] :

"الزيادة الموهومة: هي زيادة غير متحققة بل مبناها على الوهم.

المرغوب فيها: المحبوبة التي تجعل المشتري يرغب في السلعة ويزيد من ثمنها.

فمفاد القاعدة: أن المبيع إذا شرط البائع أو المشتري فيه شرطاً مبنياً على الوهم، أو باعه على أنه موصوف بصفة محبوبة تزيد في ثمنه وهي غير متحققة بل زائدة عليه، فإن هذا الشرط مفسد للعقد؛ لأن الموهوم لا حقيقة له، وما ليس له حقيقة فإنه مثار للنزاع والخصومة"[2] .

ومن أمثلة القاعدة : "ابتاع بستانًا أو مزرعة واشترط على البائع ثمرة مقدرة كأن يشترط أن يثمر نخل البستان ألف صاع من التمر، فالعقد فاسد"[3] .

١٧-"شرط الوصف المرغوب فيه المعلوم وجوده جائز"[4] :

من أمثلتها : إذا "باع عبدًا على أنه خباز أو كاتب، جاز البيع"[5] .

١٨-" أسباب ملك الأعيان لا يحتمل التعليق بالخطر"[6] :

"أسباب ملك الأعيان: كالبيع، والهبة، والرهن وأشباه ذلك.

تعليقها بالخطر: أي ربط حصولها بأمر محتمل الوقوع فيه وعدمه.

والخطر: السَبَق الذي يتراهن عليه .

فتدل القاعدة على أن ربط حصول سبب الملك بما يكون أوْ لا يكون باطل لأنه يشبه القمار"[7] .

من أمثلة هذه القاعدة : "إذا قال: بعتك هذه الدابة إذا حضر فلان من سفره، فالعقد باطل"[8] .

---

(١) ابن حمزة الحسيني، مرجع سابق، ص٤٢؛ نقلاً عن : **خاتمة مجمع الحقائق**.

(٢) البورنو، مرجع سابق، ج٦، ص٧٤.

(٣) المرجع نفسه، ج٦، ص٧٥.

(٤) ابن حمزة الحسيني، مرجع سابق، ص٤٣.

(٥) المرجع نفسه .

(٦) السرخسي، **شرح السير الكبير**، مرجع سابق، ج٥، ص ١٧٧٩.

(٧) البورنو، مرجع سابق، ج١، ص٣٦٣؛ وتعريف (الخَطَر) نقلاً عن **مختار الصحاح**، مادة : (خطر).

(٨) المرجع نفسه .

١٩-« الأصل عند الإمام مالك بن أنس ﷺ أن العزم على الشيء بمنزلة المباشرة لذلك الشيء. وليس العزم على الشيء بمنزلة المباشرة لذلك الشيء»[١]، عند غير مالك[٢] .

«فتفيد هذه القاعدة أن الراجح عند مالك ﷺ أن قصد فعل الشيء قصدًا مؤكدًا حكمه حكم الفعل المباشر قولاً أو فعلاً»[٣] .

٢٠-« الزعيم غارم»[٤] :

«والمراد بالزعيم هنا: الحميل والكفيل والضمين...

والغارم: المؤدي لما تحمله وضمنه.

فمفاد القاعدة أن من تحمل شيئاً عن غيره فيجب عليه أداؤه»[٥] .

ومن أمثلتها: «من كفل إنساناً بدين فلم يؤد الأصيل -المكفول- الدين في موعده، فيجب على الكفيل الأداء وقضاء الدين»[٦] .

٢١-« الأصل عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه يعتبر التهمة في الأحكام فكل من فعل فعلاً وتمكنت التهمة في فعله حكم بفساد فعله»[٧]، «خلافاً للصاحبين والشافعي»[٨] :

«المراد بتمكن التهمة: أن لها مؤيدًا من ظاهر الحال.

فتفيد هذه القاعدة أن من تصرف تصرفاً ما ووجد احتمال قوي أنه إنما قصد من وراء تصرفه هذا تحايلاً على الشرع أو إضرارًا بمن تعلق به تصرفه فإنه يحكم بفساد هذا الفعل، ويُرَدُّ على الفاعل فعله ولا يعتبر تصرفه صحيحًا. لكن بشرط أن يكون احتمال التهمة قوياً مبنياً على دليل لا مجرد احتمال موهوم»[٩] .

---

(١) عمر بن عيسى الدبوسي، **تأسيس النظر**، تحقيق مصطفى محمد القباني، (بيروت، دار ابن زيدون، والقاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت)، ص١٠٢-١٠٣.

(٢) البورنو، مرجع سابق، ج٢، ص٤.

(٣) المرجع نفسه .

(٤) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج٢٠، ص١٤٩. وهي نص حديث نبوي .

(٥) البورنو، مرجع سابق، ج٥، ص٤٢٧.

(٦) المرجع نفسه؛ وينظر : السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج١٩، ص١٦١.

(٧) الدبوسي، مرجع سابق، ص٤٤.

(٨) البورنو، مرجع سابق، ج٢، ص١٩٠.

(٩) المرجع نفسه .

من أمثلة هذه القاعدة: «مريض في مرض الموت إذا أقر لبعض ورثته بدين، فلا يعتبر إقراره لاحتمال إرادة تفضيل بعض الورثة – إلا إذا صدقه باقي الورثة.

وكذلك من طلق زوجته بغير رضاها بائنًا في مرض موته فرارًا من الميراث يُرد عليه قصده وترث منه لأن احتمال إرادة الفرار من الميراث احتمال قوي بدليل مرض الموت»[1] .

٢٢-« الخلف في الوعد حرام»[2] :

مفاد «القاعدة: أن من وعد عدة بخير وكرم فيجب عليه الوفاء به؛ لأن عدم الوفاء بهذا الوعد حرام، وعدم الوفاء هو معنى الخلف؛ لأنه نوع من الكذب والكذب حرام، وأيضًا الخلف في الوعد من صفات المنافقين»[3].

٢٣-« بيع ما يحتمل أن يكون سبباً للمعصية وغيرها ممن يتخذه سببًا لها يجوز»[4] عند أبي حنيفة[5] :

وحجة أبي حنيفة في ذلك : «أنه لما كان المبيع محتملاً للطاعة والمعصية أو الإباحة... فتخصيص المعصية ترجيح بلا مرجح سوى سوء الظن، وسوء الظن لا يصلح معيّنًا»[6]، «ونحن أمرنا بحسن الظن بأهل القبلة. ولكن التنزه عن ذلك أولى»[7] .

ومن أمثلة القاعدة : يجوز -عند أبي حنيفة- بيع العنب لمن يحتمل أن يتخذه خمرًا، وإجارة الدار لمن يتخذها للمعاصي[8] .

وبيع العنب في هذه الحال عند الشافعية «مكروه مع التوهم، وأما عند التحقق فوجهان أصحهما التحريم.

ومنها: بيع السلاح لمن يتحقق إثمه به كقاطع طريق وقاتل نفس، فحرام ومع التوهم مكروه»[9] .

---

(١) نفسه، ج٢، ص١٩٠-١٩١.
(٢) البورنو، مرجع سابق، ج٥، ص٢٩٦؛ نقلاً عن : **شرح الخاتمة**، ص٤٠.
(٣) المرجع نفسه .
(٤) ابن حمزة الحسيني، مرجع سابق، ص١٣٢.
(٥) البورنو، مرجع سابق، ج٣، ص١١١.
(٦) ابن حمزة الحسيني، مرجع سابق، ص١٣٢.
(٧) البورنو، مرجع سابق، ج٣، ص١١١.
(٨) ابن حمزة الحسيني، مرجع سابق، ص١٣٢.
(٩) البورنو، مرجع سابق، ج٣، ص١١١-١١٢.

٢٤-« استحقاق الأصل بالبينة يوجب استحقاق الزوائد المنفصلة»[(١)]، وفي لفظ : **«استحقاق الأصل سبب لاستحقاق المتولد منه»**[(٢)] :

«تدل هاتان القاعدتان على أن من استحق الأصل بأي معنى أو سبب كان فهو أيضاً مستحق للزوائد المنفصلة أو المتولدة من ذلك الأصل»[(٣)] .

ومن أمثلة القاعدتين : «إذا اشترى بقرة ثم حملت وولدت وثبت أنها مستحقة فلمستحقها البقرة وولدها لأنها زوائد ملكه، ويعود المشتري على البائع بالثمن»[(٤)] .

٢٥-« الأصل أن ما يستدام فإنه يعطى لاستدامته حكم إنشائه»[(٥)] :

ومن أمثلة القاعدة : «إذا غصب إنسان مالاً لآخر وزاد في يده زيادة متصلة فالغاصب ضامن للمغصوب وزيادته إذا هلك المغصوب في يده، لأن سبب الضمان إثبات اليد العادية، واليد مستدام فكأنه أنشأ الغصب بعد وجود الزيادة»[(٦)] .

٢٦-« الرضا بالشيء رضًا بما يتولد منه»[(٧)] :

معنى هذه القاعدة : «من رضي بالشيء أو العمل فهو راض ضمنًا بما يتولد من ذلك الشيء ويترتب عليه»[(٨)] .

ومن أمثلة القاعدة : «إذا رضي بإجراء عملية جراحية فهو راض ضمنًا بنتائجها، فلو مات من جرائها -دون تقصير الطبيب المعالج- فلا حق لورثته في التعويض»[(٩)] .

---

(١) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج١٧، ص١١٠.

(٢) المرجع نفسه، ج١٧، ص١٧٧.

(٣) البورنو، مرجع سابق، ج١، ص٣٧٦.

(٤) المرجع نفسه .

(٥) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج١١، ص٥٦.

(٦) البورنو، مرجع سابق، ج٢، ص١٣٦؛ وينظر : السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج١١، ص٥٥-٥٦.

(٧) السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مرجع سابق، ص١٤١.

(٨) البورنو، مرجع سابق، ج٥، ص٤١٠.

(٩) المرجع نفسه.

٢٧-" الجهالة التي لا تفضي إلى المنازعة لا تمنع صحة العقد"[١]، وفي لفظ: **"الجهالة في المعقود عليه إذا كانت تفضي إلى المنازعة تمنع صحة العقد"[٢]** :

"فالمقصود من العقود انتفاع كل من المتعاقدين أو المتعاملين عمومًا بما تعاقدا عليه، ويحرص الشارع دائمًا على حسن المعاملة والتراضي والتحاب بين المتعاملين.

ولذلك كان كل ما يسبب الخصومة والمنازعة بينهما مفسدًا للعقد والمعاملة؛ درءًا لفساد العلاقة بين المسلمين وجلبًا للمحبة والتعاون على الخير والبر بينهم"[٣] .

٢٨-" شراء المعدوم باطل"[٤]، وفي لفظ: **" بيع المعدوم باطل"[٥]**، ونحوها: **" استيهاب المعدوم باطل"[٦]**:

"المعدوم هو ما لا وجود له حين العقد.

فمفاد القاعدة: أن شراء المعدوم وبيعه لا يجوز والعقد عليه باطل؛ لعدم القدرة على تسليمه لانعدامه؛ ولأن من شروط صحة العقد القدرة على التسليم"[٧] .

ومن أمثلتها: مَن "اشترى ثمرة نخلة قبل حملها به ووجوده، فالعقد باطل"[٨] .

ومنها: مَن "عقد على ابنة رجل قبل أن تحمل بها أمها وقبل أن تولد، فالعقد باطل"[٩].

٢٩-" الانتظار إنما يؤمر به إذا كان مفيدًا"[١٠] :

"تدل هذه القاعدة على أن المكلف إذا فقد شيئًا أو غاب عنه شيء فإذا كان هذا الشيء يمكن أن يوجد بعد فقده أو يعود بعد غيبته فيؤمر المكلف بالانتظار على طمع في وجوده، وأما إذا كان لا يطمع في الوجود ولا في الحضور فلا فائدة من الانتظار"[١١] .

---

(١) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج١٣، ص٥٥.

(٢) المرجع نفسه، ج١٤، ص١٨٣.

(٣) البورنو، مرجع سابق، ج٥، ص٣٩.

(٤) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج٢٣، ص١١٥.

(٥) المرجع نفسه، ج٥، ص٨٣.

(٦) نفسه، ج٢٣، ص٩٠.

(٧) البورنو، مرجع سابق، ج٦، ص٦٤.

(٨) المرجع نفسه.

(٩) نفسه.

(١٠) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج١، ص١٠٦.

(١١) البورنو، مرجع سابق، ج٢، ص٣٢١.

من أمثلتها: من لا يجد الماء يتيمم ولا يؤخر الصلاة عن وقتها طمعًا في وجوده، إلا إذا غلب على ظنه وجوده قبل خروج الوقت[1].

٣٠–((الأصل منع المواعدة بما لا يصح وقوعه في الحال حماية))[2]:

تفيد القاعدة تحريم إعطاء وُعود ((بما لا يمكن وقوعه حالاً حماية للأحكام الشرعية من الانتهاك))[3].

ومن أمثلتها: ((إذا واعد رجل امرأة معتدة على الزواج منها صريحًا حُرِّم ذلك، أو خطبها في العدة، لأنه لا يجوز نكاح المعتدة أو خطبتها في الحال فحرُم مواعدتها على الزواج بعد انقضاء العدة، وإن جاز التعريض مثل أن يقول: إني فيك لراغب))[4].

المطلب الثالث: القواعد المستقبلية الاجتماعية:

١–((دفع الضرر واجب بحسب الإمكان))[5]:

((هذه القاعدة تعبِّر عن وجوب دفع الضرر قبل وقوعه، بكل الوسائل الكافية الكافلة... لأن الوقاية خير من العلاج، وذلك بقدر الإمكان، لأن التكليف الشرعي على حسب الاستطاعة))[6].

٢–((دفع الضرر عن المسلمين واجب))[7]:

((هذه القاعدة بمعنى سابقتها، ولكن تلك تفيد دفع الضرر عن العامة والخاصة، وهذه مفادها دفع الضرر عن الإسلام وأهله))[8].

---

(١) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج١، ص١٠٦.

(٢) الونشريسي، مرجع سابق، ص٩٩.

(٣) البورنو، مرجع سابق، ج٢، ص١٦٧.

(٤) المرجع نفسه؛ وينظر: الونشريسي، مرجع سابق، ص٩٩.

(٥) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج١١، ص٩٤.

(٦) الزرقاء، مرجع سابق، طبعة دار القلم، ج٢، ص٩٢٢.

(٧) السرخسي، **شرح السير الكبير**، مرجع سابق، ج٢، ص٥٨١.

(٨) البورنو، مرجع سابق، ج٥، ص٣٣٦.

٣-"المنع أسهل من الرفع"[١]، وفي لفظ: **"الدفع أولى من الرفع"**[٢] :

"الدفع : المراد به الاحتياط للأمر والإعداد له قبل وقوعه، وهذا من باب الوقاية خير من العلاج. فالدفع يكون قبل الثبوت والرفع بعده.

وأما الرفع: فهو إزالة الضرر بعد وجوده ووقوعه"[٣] .

ومن أمثلتها : "إذا أريد تولية إمام أو مسؤول فلا يولى إلا من استوفى الشروط المطلوبة في من أريد توليته بحسب المهمة التي يراد توليته لأجلها. ولا يولى من لم يستوف هذا الشروط"[٤] .

٤-"رفع الضرر واجب"[٥]، وفي لفظ: **"الضرر يزال"**[٦] :

ومفاد هذه القاعدة " أن إزالة الضرر ورفعه عن الفرد أو الجماعة بعد وقوعه ونزوله واجب شرعًا...ولكن بقدر الإمكان"[٧] . وإذا كان المسلمون يرزحون منذ زمن طويل تحت الضرر فإن رفع الضرر الحاصل عليهم واجب، وقد يكون أحسن السبل لرفعه أن يكون وفق رؤية مستقبلية، تُرتب الأولويات، وتوازن بين المصالح والمفاسد.

٥-"الضرر لا يزال بالضرر"[٨] :

ومن أمثلتها: لا يحل للمضطر إلى الطعام أن يقتل ولده؛ ليسُدَّ به اضطراره[٩] .

---

(١) ابن رجب، **القواعد**، مرجع سابق، ص٣٢٥.

(٢) المقري، مرجع سابق، ج٢، ص٥٩٠ .

(٣) البورنو، مرجع سابق، ج٥، ص٣٣٩.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) السرخسي، **المبسوط**، مرجع سابق، ج٢٠، ص١٥٩.

(٦) السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مرجع سابق، ص٨٣.

(٧) البورنو، مرجع سابق، ج٥، ص٤١٤.

(٨) السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مرجع سابق، ص٨٦؛ وابن نجيم، مرجع سابق، ص٨٧.

(٩) السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مرجع سابق، ص٨٦.

٦-«من تعجل حقه أو ما أبيح له قبل وقته على وجه محرم عوقب بحرمانه»[(١)]، وفي لفظ: **«من استعجل شيئًا قبل أوانه عوقب بحرمانه»**[(٢)].

«هذه القاعدة من باب السياسة الشرعية في القمع وسد الذرائع»[(٣)].

ومن أمثلتها[(٤)]: من قتل مُوَرِّثَه، حُرم من الميراث.

ومنها: من قتل الموصِي له، حُرِم الموصَى له من الوصية.

ومنها: من غَلَّ من الغنيمة، يُحرم أسهمه منها في رواية عن الإمام أحمد.

لأن وقت استحقاق هذه الأمور يكون بعد الموت الطبعي للمورِّث والموصِي، وبعد قسم الإمام الغنيمة؛ ومن استعجل شيئًا قبل أوانه عوقب بحرمانه.

٧-«طالب التولية لا يُوَلّى»[(٥)]:

وهي في معنى حديث نبوي، سبق في القواعد المستقبلية في السنة النبوية.

٨-« الحرب خدعة»[(٦)]:

وفيها "إشارة إلى استعمال الرأي في الحرب، بل الاحتياج إليه آكد من الشجاعة»[(٧)].

ومن أمثلتها: «إذا أراد الإمام حرب قوم -ليس بينه وبينهم عهد ولا ميثاق- فعليه أن يورِّي حين خروجه بأن يذكر أنه يريد حربًا في جهة الشمال مثلاً، وهو يريد قومًا في جهة الجنوب أو الغرب، حتى لا ينذروا به فيستعدوا، لكي يأخذهم على غِرَّة وغفلة»[(٨)].

٩-« السرفُ محرم»[(٩)]:

والسَّرفُ: هو «الزيادة على مقدار الضرورة والحاجة، وما أُذن فيه من التكملة»[(١٠)].

---

(١) ابن رجب، **القواعد**، مرجع سابق، ص٢٤٧.

(٢) السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مرجع سابق، ص١٥٢.

(٣) الزرقاء، مرجع سابق، طبعة دار القلم، ج٢، ص١٠٢٠.

(٤) الأمثلة الثلاثة، ابن رجب، **القواعد**، مرجع سابق، ص٢٤٧.

(٥) ابن حمزة الحسيني، مرجع سابق، ص٣٥؛ نقلاً عن: **الإسعاف**.

(٦) السرخسي، **شرح السير الكبير**، مرجع سابق، ج١، ص١١٩. وهي نص حديث.

(٧) البورنو، مرجع سابق، ج٥، ص١٠٥.

(٨) المرجع نفسه، ج٥، ص١٠٦.

(٩) المقري، مرجع سابق، ج٢، ص٥٠٨.

(١٠) المرجع نفسه.

ويتضح من خلال تلك القواعد التي قعَّدها الفقهاء وضوح الرؤية المستقبلية لديهم، وحرصهم على عدم بنائها على الوهم والحظ، بل محاولة بنائها على اليقين وما يقاربه ما استطاعوا إلى ذلك. ولاشك أنَّ لهذا أثرًا في منع نشوء كثير من المشكلات في المعاملات . أيضًا برز من خلال قواعدهم عنايتهم بالاحتياط؛ وصولاً إلى مواطن السلامة، والهرب من مغبة الملامة .

خاتمة :

أظهر هذا الفصل جوانب من النظر المستقبلي لدى الصحابة ﷺ ، ولدى عدد من علماء الأمة الإسلامية، من الخلفاء، والقادة، والفقهاء، والمؤرخين، وقد تنوَّع استنادهم في نظرهم المستقبلي ما بين الاعتماد على الوحي، إلى الأخذ بالحزم والاحتياط، والفراسة الصادقة، والذكاء، واستخدام المَشاهد، والإفادة من التجارب والتاريخ، وغير ذلك من الأساليب .

وتبيَّن للباحث -من خلال هذا الفصل وغيره- تميُّز ثلاثة من هذه الأمة -بعد نبيها ﷺ- بالنظر المستقبلي الحصيف، نظريًّا، وعمليًّا، وتقدمهم فيه على غيرهم، وهم : شيخ المتوسمين عمر بن الخطاب ﷺ ، وحَبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وشيخ الإسلام ابن تيمية .

الفصل الرابع

أساليب استشراف المستقبل الممنوعة والمشروعة

المبحث الأول : أساليب استشراف المستقبل الممنوعة

المبحث الثاني : أساليب استشراف المستقبل المشروعة

المبحث الأول

أساليب استشراف المستقبل الممنوعة

المطلب الأول : الكهانة :

الفرع الأول : التعريف اللغوي والاصطلاحي :

الكَهانة في اللغة: - «بفتح الكاف ويجوز كسرها»(١) - القضاء للشخص بالغيب(٢). ومن يقوم بها يسمى كاهناً .

والكهانة في الاصطلاح : «ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة، فيلقيه في أذن الكاهن»(٣).

والكاهن في الاصطلاح : «هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدَّعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب»(٤).

الفرع الثاني : الأسباب التي تستند إليها الكهانة:

« منها ما يتلقونه من الجن، فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضًا إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذي يليه، إلى أن يتلقاه من يُلْقِيه في أذن الكاهن فيزيد فيه، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين، وأرسلت عليهم الشهب، فبقي من استراقهم ما يتخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب، إلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾(٥) . وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جدًّا ... وأما في الإسلام فقد ندر ذلك جدًّا حتى كاد يضمحل ولله الحمد .

---

(١) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٠، ص٢٢٧؛ وينظر: الجوهري، مرجع سابق، ج٦، ص٢١٩١، مادة: (كهن) .

(٢) ابن منظور، مرجع سابق، ج١٣، ص٣٦٢، مادة: (كهن)؛ والفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١٥٨٥، مادة: (كهن).

(٣) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٠، ص٢٢٧ .

(٤) الجرجاني، مرجع سابق، ص٢٣٥.

(٥) سورة الصافات، الآية: ١٠.

ثانيها ما يخبر الجني به من يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالبًا . أو يطلع عليه من قرب منه لا من بعد .

ثالثها ما يستند إلى ظن وتخمين وحدس، وهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه .

رابعها ما يستند إلى التجربة والعادة، فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك[1]، ومن هذا القسم الأخير ما يضاهي السحر»[2].

الفرع الثالث: انتشار الكهانة لدى العرب:

«كانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصًا في العرب لانقطاع النبوة فيهم»[3]، ويجد الناظر في أشعارهم وأخبارهم أنَّ منهم من يعتقد أن للكاهن القدرة على كل شيء، وأنهم يستشيرونهم في العظيم من أمورهم، ويتنافرون إليهم في خصوماتهم، ويستطبونهم في

---

(١) ليس هذا القِسم على إطلاقه، بل المقصود ما يتعلق بفعل الكُهَّان، وهو بعمل المنجمين أليق :

قال ابن خلدون في معرِض كلامه عن التنجيم : "فالمتقدمون منهم يرون أن معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها بالتجربة، وهو أمر تقصر الأعمار كلها لو اجتمعت عن تحصيله؛ إذ التجربة إنما تحصل في المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم أو الظن؛ وأدوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن فيحتاج تكرره إلى آماد وأحقاب متطاولة يتقاصر عنها ما هو طويل من أعمار العالم". (**مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج٣، ص١٢١٧).

وقال ابن القيم ضمن ردِّه على المنجمين: "(الوجه السابع عشر) أنه لا سبيل إلى معرفة طبائع البروج وطبائع الكواكب وامتزاجاتها إلا بالتجربة وأقل ما لا بد منه في التجربة أن يحصل ذلك الشيء على حالة واحدة مرتين إلا أن الكواكب لا يمكن تحصيل ذلك فيها لأنه إذا حصل كوكب معين في موضع معين في الفلك وكانت سائر الكواكب متصلة به على وضع مخصوص وشكل مخصوص فإن ذلك الوضع المعين بحسب الدرجة والحقيقة لا يعود إلا بعد ألوف السنين وعمر الإنسان الواحد لا يفي بذلك بل عمر البشر لا يفي به والتواريخ التي تضبط هذه المدة مما لا يمكن وصولها إلى الإنسان فثبت أنه لا سبيل إلى الوصول إلى هذه الأحوال من جهة التجربة ألبتة". (**مفتاح دار السعادة**، مرجع سابق، ج٢، ص١٣٤) .

(٢) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٠، ص٢٢٧؛ وذكر النووي الأنواع الثلاثة الأولى عن القاضي عياض، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٦٥٩.

(٣) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٠، ص٢٢٧ .

أمراضهم، ويستنبؤهم عن مستقبلهم[1]، «وهم موجودون إلى اليوم، لكنهم قليل بالنسبة لما كانوا عليه في الجاهلية، لأن الله تعالى حرس السماء بالشهب، و لم يبق من استراقهم إلا ما يخطفه الأعلى، فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب»[2]، أمَّا مَن دون هؤلاء من الكهان ممن لا تأتيه أخبار مسترقي السمع، ويمارسون أعمالهم بطرق مختلفة فكثير جدًا[3]، بُليت بهم الأمة على مرِّ العصور .

الفرع الرابع : بعض الأدلة الواردة في الكهانة، وأقوال بعض العلماء فيها:

اتضح من مفهوم الكهانة أنها: ادعاء علم الغيب، وقد نَصَّ عدد من الآيات في كتاب الله ﷻ على أن علم الغيب من خصائصه تعالى، لا يعلمه أحد سواه، إلا مَن ارتضى من رسولٍ فإنه يُعلمه من الغيب ما يشاء، ومن هذه الآيات الدالة على ذلك ما يأتي:

قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[4] . وأتى سبحانه بلفظ ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰت ﴾ مجموعة؛ لأن المراد نفي علم الغيب عن كل من هو في واحدة منها[5].

وقال سبحانه: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[6].

---

(١) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج١، ص٤٢١؛ وعمر سليمان الأشقر، **عالم السحر والشعوذة**، ط٣، (عمَّان، دار النفائس، ١٤١٨هـ)، ص٢٧٥؛ وإيلي منيف شهلا، **قصة التنبؤ بالغيب عبر التاريخ**، (دمشق، الأهالي، ١٩٩٩م)، ص٧٦.

(٢) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، ط٣، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٧هـ)، ص٤٠٥ .

(٣) ينظر: المرجع نفسه .

(٤) سورة النمل، الآية: ٦٥.

(٥) ابن القيم، **بدائع الفوائد**، مرجع سابق، ج١، ص١١٧.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾[1]. «أي عالم الغيب هو الله وحده فلا يطلع عليه أحدًا من خلقه إلا من ارتضاه للرسالة فإنه مطلعه على ما يشاء من غيبه»[2].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[3]. «احتج أهل الإسلام بهذه الآية على أنه لا سبيل إلى معرفة المغيبات إلا بتعليم الله تعالى وأنه لا يمكن التوصل إليها بعلم النجوم والكهانة والعرافة»[4]. وإذا عجزت الملائكة عن معرفة الغيب فعجزنا عن معرفته أولى[5].

"وفي اختصاصه بعلم غيب السموات والأرض ردّ لما يتكلفه كثير من العباد من الاطلاع على شيء من علم الغيب كالمنجمين والكهان»[6]، وغيرهم.

كما جاءت جملة من الأحاديث عن النبي ﷺ تؤكد على أن الغيب من خصائص الله سبحانه وتعالى، منها ما يأتي:

قال رسول الله ﷺ: «مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهَا إلا اللَّهُ: لا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ، وَلا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الأَرْحَامِ، وَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ»[7].

وقال ﷺ: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[8]»[9].

---

(١) سورة الجن، الآيتان: ٢٦-٢٧.

(٢) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، ط٣، (القاهرة، مكتبة البابي الحلبي، ١٣٩٨هـ)، ج٢، ص١٠٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٣.

(٤) الرازي، **التفسير الكبير**، مرجع سابق، ج٢، ص٤٢٥.

(٥) المرجع نفسه.

(٦) محمد بن علي الشوكاني، **فتح القدير**، ط٢، (القاهرة، مكتبة البابي الحلبي، ١٣٨٣هـ)، ج١، ص١٦٥.

(٧) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الاستسقاء، باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله، ج٢، ص٢٩، ح١٠٣٩.

(٨) سورة لقمان، من الآية: ٣٤.

(٩) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (إن الله عنده علم الساعة)، ج٤، ص٢٤، ح٤٧٧٨.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : «ثَلاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ»، وذكرت اثنتين، ثم قالت : «وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ[1] يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ . وَاللَّهُ يَقُولُ : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[2]»[3].

تلك جملة من الأدلة من الكتاب والسنة على أن الغيب من خصائص الله تعالى، ومن ادعاه فقد كذب، ونازع الله في خصائصه، وهي أدلة عامة لا تقتصر على الكهانة، بل تتناول جميع الأساليب الممنوعة في استكشاف المستقبل مما يأتي عرضه في هذا المبحث وغيرها، وهذا يُغني عن إعادة ذكر هذه الأدلة عند الحديث عن الأساليب الممنوعة الأخرى .

أما الآيات التي نصَّت على الكهانة، فقد جاء تنزيه النبي محمد ﷺ عن أنْ يكون كاهنًا، وجاءت دلالات في ذمِّ الكهانة، وذمِّ إطلاق السمع والبصر والفؤاد فيما ليس للإنسان به علم، كما يأتي :

قال تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ:﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾[4].

وقال تعالى:﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[5] .

وقال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾[6] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾[7].

---

(١) أي الرسول ﷺ . (ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٣، ص٣٧٦).

(٢) سورة النمل، من الآية: ٦٥.

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (عالم الغيب...)، ج٨، ص٢٠٩، ح٧٣٨٠؛ ومسلم واللفظ له، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله ﷻ: (ولقد رآه نزلة أخرى)، ج١، ص١٩٥، ح١٧٧.

(٤) سورة الطور، الآية: ٢٩.

(٥) سورة الحاقة، الآيات: ٤٠-٤٣.

(٦) سورة الشعراء، الآيات: ٢٢١-٢٢٣.

(٧) سورة الأنعام، من الآية: ١٢١.

وقال تعـــالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[1] .

وجاءت أحاديث في ذمِّ الكهانة والنهي عنها، وعن إتيان الكهان وتصديقهم، وحَكَـم عدد من العلماء بكفر الكاهن وشركه، وذلك كما يأتي:

فعن معاوية بن الحَكَمِ السُّلَميِّ ﷺ قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّه ! أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِــي الْجَاهِلِيَّةِ . كُنَّا نَأْتِي الْكُهَّانَ . قَالَ «فَلا تَأْتُوا الْكُهَّانَ» قَالَ قُلْتُ: كُنَّا نَتَطَيَّــرُ . قَــالَ «ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ، فَلا يَصُدَّنَّكُمْ»[2].

وعن عائشة – رضي الله عنها –قالت: سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْكُهَّانِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ»[3] قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانـــًا بِالشَّــيْءِ يَكُونُ حَقًّا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنْ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ[4] فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ»[5] .

وعن أَبِي مَسْعُودٍ الأَنصَارِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ، وَمَهْرِ الْبَغِيِّ، وَحُلْوَانِ الْكَاهِنِ[6]»[7]. قال النووي عن (حلوان الكاهن) : «هو حرام بإجماع المســلمين. وقد نقل الإجماع في تحريمه جماعة»[8].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٢) مسلم، مرجع سابق، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهـــان، ج٤، ص١٧٤٨-١٧٤٩، ح٥٣٧؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب السهو، باب الكلام في الصلاة، ج٣، ص١٩-٢٢، ح١٢١٧؛ وأبـــو داود، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب تشميت العاطس في الصلاة، ج١، ص٥٧٠-٥٧٣، ح٩٣٠ .

(٣) "أي ليس قولهم بشيء يعتمد عليه". (ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٠، ص٢٣٠).

(٤) "قر الدجاجة: صوتها إذا قطعته". (النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٦٦٠).

(٥) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب قول الرجل للشيء : ليس بشيء وهو ينوي أنه لـــيس بحق، ج٧، ص١٥٨، ح٦٢١٣؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ج٤، ص١٧٥٠، ح٢٢٢٨.

(٦) "حُلْوَانُ الْكَاهِنِ رَشْوَتُهُ، وَمَا يُعْطَى عَلَى أَنْ يَتَكَهَّنَ". (مالك بن أنس، **الموطأ**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط٢، (القاهرة، دار الحديث، ١٤١٣هـــ)، ج٢، ص٥٠٨).

(٧) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب البيوع، باب ثمـــن الكلـــب، ج٣، ص٥٧، ح٢٢٣٧؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب المساقاة، باب تحريم ثمن الكلب، ج٣، ص١١٩٨، ح١٥٦٧.

(٨) **المنهاج**، مرجع سابق، ص٥٠٧؛ وينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٣٥، ص١٩٤.

وقال ﷺ : «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»(١). «وفيه دليل على كفر الكاهن والساحر والمصدق لهما، لأنهما يدعيان علم الغيب وذلك كفر، والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به وذلك كفر أيضًا»(٢)، و«قوله (فقد كفر) ظاهره أنه الكفر الحقيقي وقيل هو الكفر المجازي وقيل من اعتقد أن الكاهن والعراف يعرفان الغيب ويطلعان على الأسرار الإلهية كان كافرًا كفرًا حقيقيًا كمن اعتقد تأثير الكواكب وإلا فلا»(٣).

قال ابن العربي : «وأما من ادَّعى عِلْم الكسب في مستقبل العمر فهو كافر، أو أخبر عن الكوائن الجُملية أو المفصّلة فيما يكون قبل أن يكون، فلا ريبة في كفره أيضًا»(٤).

قال السِّعدي تحت باب (ما جاء في الكهان ونحوهم): «أي من كل من يدعي علم الغيب بأي طريق من الطرق وذلك أن الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب فمن ادعى مشاركة الله في شيء من ذلك بكهانة أو عرافة أو غيرها أو صدق من ادعى ذلك فقد جعل لله شريكا فيما هو من خصائصه وقد كذب الله ورسوله . وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك والتقرب إلى الوسائط التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية، فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختص به ، ومن جهة التقرب إلى غير الله»(٥).

المطلب الثاني : التنجيم المُحَرَّم:

الفرع الأول : التعريف اللغوي والاصطلاحي:

التنجيم، ويقال: التَّنَجُّمُ، والنِّجَامة، نسبة إلى النَّجْم، و«النَّجْمُ في الأصل : اسم لكل واحد من كواكب السماء، وهو بالثريَّا أخص...

---

(١) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج١٥، ص٣٣١، ح٩٥٣٦؛ والحاكم وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الإيمان، ج١، ص٤٩-٥٠، ح١٥.

(٢) سليمان بن عبد الوهاب، مرجع سابق، ص٤١٠ .

(٣) محمد بن علي الشوكاني، **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار**، (بيروت، دار الكتب العملية، د.ت)، ج٧، ص١٨١.

(٤) مرجع سابق، ج٢، ص٢٥٩.

(٥) **المجموعة الكاملة لمؤلفاته**، مرجع سابق، ج٣، ص٣٠ .

والـمُنَجِّمُ والـمُتَنَجِّمُ : الذي ينظر في النجوم يحسب مواقيتها وسيرها»[1].

وفي الاصطلاح : قال الراغب: «التَّنَجُّمُ: الحُكمُ بالنُّجُوم»[2]. وهو تعريف مجمل.

وعرَّفه ابن تيمية: بأنّه « الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى [الفلكية][3] والقوابل الأرضية»[4].

و«هذه الصناعة يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر[5] قبل حدوثها من قِبَل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها...»[6].

وغاية هذه الطريقة: العلم بما سيكون[7] .

الفرع الثاني : أقسام التنجيم:

ينقسم التنجيم إلى قسمين:

«أحدهما مباحٌ، وتعلمُه فضيلةٌ»[8]. ويسمى الحساب[9]، وهو «علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والحس، كالذي يعرف به الزوال ويعلم به جهة القبلة»[10].

---

(١) ابن منظور، مرجع سابق، ج١٢، ص٥٧٠، مادة: (نجم)؛ وينظر: الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١٤٩٩، مادة: (نجم) .

(٢) **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص٧٩٢، مادة : (نجم).

(٣) في المرجع: "الفلكي"، ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٣٥، ص١٩٢. ويُطلق على الشطر الثاني من التعريف: "الطِّلسمات"، فيما نقله ابن تيمية عن ابن سينا في (إشاراته)، من أن خوارق العادات في العالم ثلاثة أنواع: وذكر منها ما يكون "بأسباب فلكية كتمزيج القوى الفعَّالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية وهذا هو الطِّلسمات". (**الصفدية**، تحقيق محمد رشاد سالم، ط٢، (د.م، د.ن، ١٤٠٦هـ)، ج١، ص١٤٢). وهذا النوع من التنجيم (الطِّلسمات): شرك يقوم على عبادة النجوم والكواكب . (ينظر: محمد بن إسحاق النديم، **الفهرست**، تحقيق رضا تجدد، (طهران، مكتبة الأسدي، ١٣٩١هـ)، ج٨، ص٣٦٩.

(٥) "(العنصر): هو الأصل الذي تتألف منه الأجسام المختلفة الطباع، وهو أربعة: الأرض، والماء، والنار، والهواء". (الجرجاني، مرجع سابق، ص٢٠٤).

(٦) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج٣، ص١٢١٧ .

(٧) حاجي خليفة، مرجع سابق، طبعة مكتبة المثنى، ج١، ص٢٢.

(٨) علي بن أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي، **القول في علم النجوم**، تحقيق يوسف بن محمد السعيد، (الرياض، دار أطلس، ١٤٢٠هـ)، ص١٢٦.

(٩) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٣٥، ص١٨١.

(١٠) الخطابي، **معالم السنن**، بحاشية **سنن أبي داود**، ج٤، ص٢٢٦-٢٢٧.

«والآخر محظور»[1]، وهو ما يكون مضمونه الأحكام والتأثير[2]، وهو قسمان:

١- «القول بأن الموجودات في العالم السفلي مركبة على تأثير الكواكب والروحانيات، وأن الكواكب فاعلة مختارة وهذا كفر بإجماع المسلمين، وهذا قول الصابئة المنجمين الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل عليه السلام، ولهذا كانوا يعظمون الشمس والقمر والكواكب تعظيمًا يسجدون لها ويتذللون لها ويسبحونها تسابيح معروفة في كتبهم، ويدعونها دعوات لا تنبغي إلا لخالقها وفاطرها وحده لا شريك له»[3].

٢- «الاستدلال على الحوادث الأرضية بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها ونحو ذلك، ويقول: إن ذلك بتقدير الله ومشيئته، فلا ريب في تحريم ذلك، واختلف المتأخرون في تكفير القائل بذلك . وينبغي أن يقطع بكفره، لأنها دعوى لعلم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه بما لا يدل عليه»[4].

الفرع الثالث : انتشار التنجيم المُحَرَّم بين الناس :

منذ زمن إبراهيم الخليل عليه السلام -وقد يكون قبله- والتنجيم منتشر وفاش في أكثر الأمم، ومنها الأمة الإسلامية، ومن مظاهر انتشاره في الزمن الحاضر: الأعمدة اليومية في الصحف في كثير من بلدان المسلمين، تخبر بالطالع اليومي للناس، وبروجهم، وحظوظهم؛ والمجلات المتخصصة في التنجيم؛ و ما تنشره المكتبات في مطلع كل عام جديد مما قاله المنجمون من الحوادث التي يزعمون أنها ستقع في هذا العام؛ والبرامج المسموعة والمرئية في وسائل الإعلام؛ وقد صار للمنجمين منظمات وهيئات عالمية، وتُعقد لهم المؤتمرات واللقاءات السنوية .

«وأكثر الناس مستجيبون لهؤلاء، مؤمنون بهم، ولا سيما ضعفاء العقول، كالسفهاء، والجهال، والنساء، وأهل البوادي، ومن لا علم لهم بحقائق الإيمان، فهؤلاء هم المفتونون بهم، وكثير منهم يُحسن الظن بأحدهم، ولو كان مشركًا كافرًا بالله مجاهرًا بذلك، ويزوره،

---

(١) البغدادي، مرجع سابق، ص١٢٦.

(٢) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٣٥، ص١٨١.

(٣) سليمان بن عبد الوهاب، مرجع سابق، ص٤٤١؛ وينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٣٥، ص١٧١.

(٤) سليمان بن عبد الوهاب، مرجع سابق، ص٤٤٢؛ وينظر: ابن تيمية، المرجع نفسه .

وينذر له، ويلتمس دعاءه... وسبب هذا كله خفاء ما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق على هؤلاء وأمثالهم، ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾[1]»[2].

الفرع الرابع:بعض الأدلة الواردة في التنجيم المُحَرَّم، وأقوال بعض العلماء فيه:

"صناعة «التنجيم» التي مضمونها الأحكام والتأثير... : صناعة محرمة بالكتاب والسنة، وإجماع الأمة؛ بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين في جميع الملل[3]»[4].

أما الكتاب: فمنه الآيات التي جاءت في الشِّرك، وهي كثيرة في كتاب الله، ومنه الآيات التي جاءت في السِّحْر؛ لأن التنجيم شعبة من السحر، قال تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾[5]. وقال تعالى : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[6].

وأما السُّنَّة فمنها ما يأتي :

عن زَيدِ بن خَالدٍ الـجُهَنِيِّ ﷺ قال : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنْ اللَّيْلِ . فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : قَالَ : «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ . فَأَمَّا

---

(١) سورة النور، من الآية: ٤٠.

(٢) ابن القيم، **زاد المعاد**، مرجع سابق، ج ٥، ص٧٨٧.

(٣) لأن فيها شركـًا بالله سبحانه، وإنما دعوة الرسل جميعهم – عليهم الصلاة والسلام– كانت إلى التوحيد، ونفي الشريك عن الله سبحانه .

(٤) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٣٥، ص١٩٢.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٦) سورة طه، من الآية: ٦٩.

مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِه، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ . وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِنَوْءِ[1] كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»[2].

وقال ﷺ: «لا عَدْوَى وَلا هَامَةَ وَلا نَوْءَ وَلا صَفَرَ»[3].

وقال ﷺ: «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنْ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنْ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ»[4].

« فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر؛ وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[5] وهكذا الواقع؛ فإن الاستقراء يدل على أن أهل النجوم لا يفلحون؛ لا في الدنيا ولا في الآخرة»[6].

وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار ﷺ: أَنَّهُم بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟» قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ . وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «فَإِنَّهَا لا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِه. وَلَكِنْ رَبُّنَا، تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ، إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ . ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ . حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا . ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ : مَاذَا

---

(١) "الأنواء: هي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة منزلة منها... ويسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلها ذلك الوقت في الشرق، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة. وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر، وينسبونه إليها، فيقولون: مُطرنا بنوء كذا". (ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج٥، ص١٢٢، مادة : (نوأ)).

(٢) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، ج١، ص٢٣٠، ح٨٤٦؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، ج١، ص٨٣-٨٤، ح٧١.

(٣) مسلم، مرجع سابق، كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة، ج٤، ص١٧٤٤، ح٢٢٢٠؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الطب، باب في الطيرة، ج٤، ص٢٣٢، ح٣٩١٢ .

(٤) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٥، ص٤١، ح٢٨٤٠؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الطب، باب في النجوم، ج٤، ص٢٢٦-٢٢٧، ح٣٩٠٥؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب تعلم النجوم، ج٢، ص١٢٢٨، ح٣٧٢٦؛ وصحح إسناده النووي وابن تيمية. (**رياض الصالحين**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، (الرباط، مكتبة المعارف، ١٤١٩هـ)، ص٤٦٩، ح١٦٧١؛ **ومجموع الفتاوى**، ج٣٥، ص١٩٣).

(٥) سورة النحل، الآية: ١٦.

(٦) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٣٥، ص١٩٣.

قَالَ رَبُّكُمْ ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ . قَالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا . حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا . فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ . وَيُرْمَوْنَ بِهِ . فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ. وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ(1) فِيهِ وَيَزِيدُونَ»(2).

قال ابن تيمية : خاطبتُ المنجمين "بدمشق، وحضر عندي رؤساؤهم . وبينت فساد صناعتهم بالأدلة العقلية التي يعترفون بصحتها قال رئيس منهم : والله إنا نكذب مائة كذبة، حتى نصدق في كلمة»(3).

وعن الْمُغيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ﷺ قال: انْكَسَفَتْ الشَّمْسُ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النَّاسُ انْكَسَفَتْ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِه، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ»(4).

قال قتادة: «إنَّ الله -تعالى- إنما خَلَقَ هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء، وجعلها نهتدي بها، وجعلها رجومًا للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك، أخطأ حظه، وقال رأيه، وأضاع نصيبه، وتكلّف ما لا علم له به، وإن أناسًا جهلةً بأمر الله -تعالى- قد أحدثوا في هذه النجوم كهانةً : مَنْ أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما مِنَ النجوم نجمٌ إلا يولدُ به الطويل والقصير، والأحمر والأبيض، والحسن والذميم، قال: وما علمُ هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب...»(5).

---

(1) يقرفون، أي: "يخلطون فيه الكذب". (النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٦٦١).

(2) مسلم، مرجع سابق، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ج٤، ص١٧٤٨-١٧٤٩، ح٢٢٢٩؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة سبأ، ج٥، ص٣٣٧-٣٣٨، ح٣٢٢٤ .

(3) **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٣٥، ص١٧٢.

(4) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الكسوف، باب الدعاء في الخسوف، ج٢، ص٣٧، ح١٠٦٠؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الكسوف، باب ذكر النداء بصلاة الكسوف : الصلاة جامعة، ج٢، ص٦٣٠، ح٩١٥.

(5) ذكره البخاري تعليقًا، إلى قوله: "وتكلف ما لا علم له به"، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب بدء الخلق، باب في النجوم، ج٤، ص٨٩-٩٠؛ والطبري بسنده قدْرَ ما أورده البخاري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٧، ص١٨٥؛ والبغدادي، مرجع سابق، ص١٨٥-١٨٦ .

وقال محمد القرطبي: «فمن قال : إنه ينـزل الغيث غدًا وجزم فهو كافر، أخبر عنه بأمارة ادعاها أم لا ... فإن لم يجزم وقال : إن النوء ينـزل الله به الماء عادة، وأنه سبب الماء عادة، وأنه سبب الماء على ما قدره وسبق في علمه لم يكفر؛ إلا أنه يستحب له ألا يتكلم به، فإن فيه تشبيهًا بكلمة أهل الكفر، وجهلاً بلطيف حكمته؛ لأنه ينـزل متى شاء، مرة بنوء كذا ومرة دون النوء»[(١)].

«ولو كان النظر في أحكام النجوم يفيد علمـًا صحيحًا، لم يجز لنا استعماله؛ لأن شريعتنا قد حظرته ونهت عنه، فلا يجوز لمسلم الدخول فيه، وكيف يجوز استعمال ذلك وقد حظر علينا النبي ﷺ ما دونه من تعليق الخرز والحلق للمنفعة بها... فكيف في خِدْمة كوكبٍ وطاعة مُنجِّم؟»[(٢)].

المطلب الثالث: الزَّجْرُ والعِيَافَة والتَّطَيُّر والطِّيرة :

الفرع الأول : التعريف اللغوي والاصطلاحي:

الزَّجْرُ، والعِيافة، والطِّيَرة، تدور كلها حول التَّطَيُّر، فشيء قبله، وشيء بعده ناتج عنه، فالذي قبله: الزجر والعيافة، وهما بمعنى واحد، والذي بعده: الطِّيَرة، وقد يقع التطير بلا زجر ولا عيافة، كرؤية مباشرة أو سماع .

والزَّجْرُ في اللغة: «العِيافة، والتَّكهُّن»[(٣)]، «وعِفْتُ الطير أَعِيفُها عِيافَةً أي زجرتها، وهو أن تعتبر بأسمائها ومَساقطها وأصواتها . والعائِفُ: المتكهِّنُ»[(٤)].

و«الطائرُ: ما تيمنت به أو تشاءمت»[(٥)]، والحظُّ والبخت من الخير والشر[(٦)]، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾[(٧)] ، أي حظه من الشقاء والسعادة[(٨)].

والطِّيَرة : «ما يُتشاءم به من الفأل الرديِء»[(٩)].

---

(١) **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، ج٧، ص ٤.
(٢) البغدادي، مرجع سابق، ص١٧٢-١٧٣ .
(٣) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص٥١٠، مادة: (زجر).
(٤) الجوهري، مرجع سابق، ج٤، ص١٤٠٨، مادة: (عيف).
(٥) ابن منظور، مرجع سابق، ج٤، ص٥١١، مادة: (طير).
(٦) المرجع نفسه .
(٧) سورة الإسراء، من الآية: ١٣.
(٨) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٧، ص٣٩٧.
(٩) ابن منظور، مرجع سابق، ج٤، ص٥١٢، مادة: (طير).

والطيرة في الاصطلاح: «هي التَّشاؤم بالشيء»[1]. فالطِّيَرة نتيجة التطير، و«فيهـا سـوء الظن، وتوقع البلاء»[2] .

والتَّطَيُّر في الاصطلاح : هو زجر الطائر وإزعاجه عن وكْرِه عند إرادة الخروج للحاجة، فإذا مرَّ عن اليمين تفاءل به ومضى على وجهه، وإذا مر عن الشمال تشاءم به وقعد[3]، ثم أطلق على كل ما يتشاءم به، من الحيوان وغيره[4]، «وذلك مستعمل عندهم فيما يرون من الأشخاص، ويسمعون من الكلام»[5].

وهذا التعريف وإن كان يدخل فيه معنى الطيرة، إلا أنه تعريف موافق لألفـاظ التَّطَيُّـر والطِّيَرة الواردة في النصوص النبوية، حيث لم يلحظ الباحث فروقًا قاطعة بينهما.

« وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير فإذا خرج أحدهم لأمر فـإن رأى الطير طار يمنه تيمن به واستمر، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع... وكانوا يسمونه السانح... والبارح... فالسانح ما ولاك ميامنه بأن يمر عن يسارك إلى يمينـك، والبـارح بالعكس . وكانوا يتيمنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح»[6].

الفرع الثاني : انتشار التطير والتشاؤم بين الناس:

التطير بالطائر هو الأصل، إلا أن التطير بغيره كثير لا يمكن حصره، فهو في الناس فـاش بأمور وأحوال كثيرة : بأزمان، وأشخاص، وأماكن، وأعداد، وغيرها، ومن الأمثلة المعاصرة الظاهرة : تشاؤمهم بالرقم (١٣)، حتى حـذفوه عنـد تـرقيم مـرافقهم ووسـائلهم، كالمستشفيات، والفنادق، ومقاعد الطائرات والحافلات، ونحو ذلك . وحمى الله أُمـمًا من شر التشاؤم؛ لما استناروا بالوحي، واقتفوا أثره، وتوكلوا على ربهم مالك النفع والضر .

---

(١) ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج٣، ص١٥٢، مادة : (طير).

(٢) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٦٥٨.

(٣) أحمد بن الحسين البيهقي، **شعب الإيمان**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ)، ج٢، ص٦١.

(٤) ابن عبد البر، **التمهيد**، مرجع سابق، ج٩، ص٢٨٢؛ وابن حجر، **هدي الساري مقدمة فتح الباري**، تحقيـق محب الدين الخطيب، ط١، (القاهرة، دار الريان، ١٤٠٧هـ)، ص١٥٩.

(٥) ابن عبد البر، **التمهيد**، مرجع سابق، ج٩، ص٢٨٣.

(٦) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٠، ص٢٢٣ .

الفرع الثالث : بعض الأدلة الواردة في التَّطَيُّر، وأقوال بعض العلماء فيه:

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾[2].

وقال تعالى في تطَيُّر أهل القرية برسلهم، وردِّ رسلهم عليهم :﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾[3].

وقال تعالى مبينًا أن الضر والنفع بيده : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[4].

وقال ﷺ :«ليسَ مِنا من تَطير، ولا تُطُيِّر له[5]، ولا من تَكَهَّن، ولا تُكُهِّن له، ولا من سَحر، ولا سُحِر له»[6].

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان :١٣٠-١٣١.

(٢) سورة النمل، الآيات : ٤٥-٤٧.

(٣) سورة يس، الآيتان : ١٨-١٩.

(٤) سورة يونس، الآية : ١٠٧.

(٥) "أي : فعله بنفسه، أو طلب من يفعله له". (سليمان بن عبد الوهاب، مرجع سابق، ص٤١١) .

(٦) البزار، علي بن أبي بكر الهيثمي، **كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة**، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ)، باب الطيرة والكهانة والسحر، ج٣، ص٣٩٩، ح٣٠٤٣؛ ورواه الطبراني، **المعجم الكبير**، مرجع سابق، ج١٨، ص١٦٢، ح٣٥٥؛ وجوَّد المنذري إسناد البزار، وحسَّن إسناد الطبراني؛ وقال الهيثمي: "رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع، وهو ثقة" . (المنذري، مرجع سابق، ج٤، ص٣٣؛ والهيثمي، **مجمع الزوائد**، مرجع سابق، ج٥، ص١٠١، ح٨٤٨٠).

وقال ﷺ: «الطِّيَرَةُ مِنْ الشِّرْكِ وَمَا مِنَّا إلا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»[1] .

وقال ﷺ: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ»، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ : «أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ : اللَّهُمَّ لا خَيْرَ إلا خَيْرُكَ، وَلا طَيْرَ إلا طَيْرُكَ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ»[2].

وقال ﷺ: «لا عَدْوَى، وَلا طِيَرَةَ، وَلا هَامَةَ، وَلا صَفَرَ»[3].

قال النووي: "قوله ﷺ : «ولا هامة» فيه تأويلان؛ أحدهما : أن العرب كانت تتشاءم بالهامة وهي الطائر المعروف من طير الليل[4]. وقيل : هي البومة. قالوا : كانت إذا سقطت على دار أحدهم رآها ناعية له نفسه أو بعض أهله"[5]، وذكر التأويل الثاني[6]، وقال: "ويجوز أن يكون المراد النوعين، فإنهما جميعًا باطلان"[7].

---

(١) أبو داود، مرجع سابق، كتاب الطب، باب في الطيرة، ج٤، ص٢٣٠، ح٣٩١٠؛ والترمذي، وقال: "حسن صحيح"، مرجع سابق، كتاب السير، باب ما جاء في الطيرة، ج٤، ص١٣٨، ح١٦١٤؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة، ج٢، ص١١٧٠، ح٣٥٣٨؛ وصححه الألباني مرفوعًا بكامله، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، ج١، ص٧١٦، ح٤٢٩ .

(٢) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج١١، ص٦٢٣، ح٧٠٤٥؛ وصحح الألباني إسناده، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، ج٣، ص٥٣-٥٥، ح١٠٦٥.

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الطب، باب لا هامة، ج٧، ص٣٥، ح٥٧٥٧؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب السلام، باب لا عدوى، ج٤، ص١٧٤٤، ح٢٢٢٠.

(٤) وهو "طائر صغير يألف المقابر". (ابن منظور، مرجع سابق، ج١٢، ص٦٢٥، مادة : (هَوْم)).

(٥) وهذا تفسير مالك بن أنس . (النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٦٥٥؛ وينظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج١٢، ص٦٢٤-٦٢٥، مادة : (هَوْم)).

(٦) وهو "أن العرب كانت تعتقد أن عظام الميت، وقيل : روحه تنقلب هامة تطير، وهذا تفسير أكثر العلماء، وهو المشهور". (النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٦٥٦؛ وينظر: ابن منظور، مرجع سابق، ج١٢، ص٦٢٤، مادة: (هَوْم)).

(٧) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٦٥٦.

وقوله ﷺ: ((ولا صفر))، أحد القولين فيه : أن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بشهر صفر فنفاه النبي ﷺ[1]، ((ولعلَّ هذا القولَ أشبهُ الأقوال))[2].

فنفى النبي ﷺ -في جملة هذه الأحاديث- الطِّيَرة، وعرَّفَ الناس : ((أن ذلك إنما هو شيء من طريق الاتفاق، ليرفع عن المتوقع ما يتوقعه من ذلك كله، ويعلمه أن ذلك ليس يناله منه إلا ما كتب له))[3].

وبما مضى من الأدلة يتضح أن الطِّيَرة باب من أبواب الشرك، مُنافٍ للتوحيد أو لكماله؛ لأنها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته[4].

قال ابن القيم: ((المؤمن لا يتطير . فإن التطير شرك . ولا يصده ما سمع عن مقصده وحاجته . بل يتوكل على الله ويثق به . ويدفع شر التطير عنه بالتوكل))[5] . والله سبحانه ((إذا فتح لعبده رحمة لم يستطع أحدٌ حبسها عنه، وإذا أمسكها لم يستطع أحد إرسالَها إليه من التطير والتَّنجيم، واختيار الطالع ونحوه))[6].

وقال ابن حجر: ((وليس في شيء من سنوح الطير وبروحها ما يقتضي ما اعتقدوه، وإنما هو تكلف بتعاطي ما لا أصل له، إذ لا نطق للطير ولا تمييز فيستدل بفعله على مضمون معنى فيه، وطلب العلم من غير مظانه جهل من فاعله))[7].

---

(١) والقول الآخر : أنه وجع يأخذ البطن، فكانوا يقولون: هو يعدي . فقال ﷺ : ((لا صفر)). (رَوى كلا القولين أبو داود عن محمد بن راشد، مرجع سابق، كتاب الطب، باب في الطيرة، ج٤، ص٢٣٤، أثر٣٩١٥)؛ وبوَّب له البخاري بهذا المعنى. (**الصحيح**، كتاب الطب، باب لا صفر وهو داء يأخذ البطن، ج٧، ص٢٤).

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، تحقيق ياسين محمد السّواس، (دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٣هـ)، ص١٤٨.

(٣) ابن عبد البر، **التمهيد**، مرجع سابق، ج٩، ص٢٨٣.

(٤) سليمان بن عبد الوهاب، مرجع سابق، ص٤٢١ .

(٥) **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج٢، ص٤٩٢.

(٦) ابن القيم، **زاد المعاد**، مرجع سابق، ج٢، ص٤٤٤ .

(٧) **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٠، ص٢٢٣ .

المطلب الرابع: الخَطُّ والرَّمْل:

الفرع الأول : التعريف اللغوي والاصطلاحي:

الخط في اللغة: يُقال: «خَطَّ الشيءَ يَخُطُّه خَطًّا: كتبه بقلم أوغيره... والخطُّ: الكتابة ونحوها مما يُخطُّ»(١).

والرَّمْلُ في اللغة: «نوع... من التراب»(٢) .

والخط والرمل شيء واحد، ويُطلَق عليهما أحيانًا : (الطَّرْقُ)، و(الضَّرْبُ)، و(الخط في الرَّمل).

وتعريفها في الاصطلاح: هي «علمٌ بضروبِ أشكالٍ من الخطوط والنقط بقواعدَ مَعلومةٍ، تخرجُ حروفًا تُجمَعُ ويُستخرَجُ جملةٌ دالَّةٌ على عواقبِ الأمور»(٣) .

ويُلحظ على التعريف: وصفه (الرمل) بأنه علم، وإنما هو تحكمات لا ترجع إلى علم.

و«خط الرمل نسبة إلى المادة التي يضعون فيها عملهم. ومحصول هذه الصناعة أنهم صيروا من النُّقَط أشكالاً ذات أربع مراتب تختلف باختلاف مراتبها في الزوجية والفردية واستوائها فيهما، فكانت ستة عشر شكلاً ... واستنبطوا من ذلك فنًّا حاذوا به فنّ النِّجامة ونوع قضائه. إلا أن أحكام النِّجامة مستندة إلى أوضاع طبيعية... وهذه مستندها أوضاع تحكمية وأهواء اتفاقية، ولا دليل يقوم على شيء منها... فإذا أرادوا استخراج مغيب بزعمهم عَمَدوا إلى قرطاس أو رمل أو دقيق فوضعوا النقط سطرًا على عدد المراتب الأربع»(٤)، ثم تابَعُوا طريقتهم إلى نهايتها، «ثم يحكمون على الخط كله بما اقتضته أشكاله من السعودة والنحوسة بالذات والنظر والحلول والامتزاج والدلالة على أصناف الموجودات وسائر ذلك تحكمًا غريبًا»(٥) .

---

(١) ابن منظور، مرجع سابق، ج٧، ص٢٨٧، مادة: (خطط).

(٢) المرجع نفسه، ج١١، ص٢٩٤، مادة: (رمل).

(٣) محمد أمين بن عمر (ابن عابدين)، **حاشية ابن عابدين: رد المحتار على الدر المختار**، تحقيق حسام الدين ابن محمد فرفور، (دمشق، دار الثقافة والتراث، ١٤٢١هـ)، ج١، ص١٤٥، وتعريفه هذا للرمل.

(٤) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج١، ص٤٢٦-٤٢٧ .

(٥) المرجع نفسه، ج١، ص ٤٢٨ .

الفرع الثاني : انتشارها بين الناس :

"كثرت هذه الصناعة في العمران ووضعت فيها التآليف واشتهر فيها الأعلام من المتقدمين والمتأخرين"[1]، ولا تزال منتشرةً في مصر وتونس والمغرب، ومن أشهر المؤلفات فيها: (قرعة الأنبياء)[2].

الفرع الثالث : بعض الأدلة الواردة، وأقوال بعض العلماء :

قال ﷺ :"«الْعِيَافَةُ وَالطِّيَرَةُ وَالطَّرْقُ[3] مِنْ الْجِبْتِ». قَالَ: الْعِيَافَةُ مِنْ الزَّجْرِ، وَالطَّرْقُ مِنْ الْخَطِّ»[4]. قال عمر بن الخطاب ﷺ : «الجبت : السحر»[5].

عن معاوية بن الحكم السُّلَمي ﷺ قال : قلت : يا رسول الله، ومنا رجال يَخُطُّونَ، قال: «كان نبيٌّ من الأنبياءِ يَخُطُّ؛ فمن وافق خَطَّه فذَاكَ»[6].

قال الخطابي: «أراد به الزجر عنه وترك التعاطي له إذ كانوا لا يصادفون معنى خط ذلك النبي لأن خطه كان علمًا لنبوته وقد انقطعت نبوته فذهبت معالمها»[7].

وقال النووي : «اختلف العلماء في معناه؛ فالصحيح أن معناه: من وافق خطه فهو مباح له، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة، فلا يباح . والمقصود أنه حرام؛ لأنه لا يباح إلا بيقين الموافقة، وليس لنا يقين بها»[8].

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) عبد القادر محمد سيلا، **المسلمون في السنغال: معالم الحاضر وآفاق المستقبل**، سلسلة كتاب الأمة: ١٢، (قطر، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤٠٦هـ)، ص١٢٦.

(٣) "الطَّرق: الضرب بالحصا الذي يفعله النساء . وقيل هو الخطُّ في الرَّمْل". (ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج٣، ص١٢١، مادة : (طرق)).

(٤) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٢٥، ص٢٥٦، ح١٥٩١٥؛ وأبو داود، وعنده : ((الطرق: الزجر، والعيافة: الخط))، مرجع سابق، كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير، ج٤، ص٢٢٨-٢٢٩، ح٣٩٠٧.

(٥) ذكره البخاري معلّقـًا، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (وإن كنتم مرضى أو على سفر)، ج٥، ص٢١٣).

(٦) مسلم، مرجع سابق، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة، ج١، ص٣٨١-٣٨٢، ح٥٣٧؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب السهو، باب الكلام في الصلاة، ج٣، ص٢٠-٢١، ح١٢١٧؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير، ج٤، ص٢٢٩-٢٣٠، ح٣٩٠٩ .

(٧) **معالم السنن**، مرجع سابق، ج١، ص ٥٧٢.

(٨) **المنهاج**، مرجع سابق، ص٥٠٧.

وقال ابن العربي في آخر كلام له عن الخط : إنْ كان أحد الأنبياء يخط واتخذ أصحاب الخط هذا سببًا يتعلقون به في درك الغيب، «فإن الله تعالى قد رفع تلك الأسباب، وطمس تِيكَ الأبواب وأفرد نفسه بعلم الغيب؛ فلا يجوز مزاحمته في ذلك، ولا تحلُّ لأحدٍ دعواه، وطلبه عَنَاء لو لم يكن فيه نهي، فإذ قد ورد النهي فطلبه معصية أو كفر بحسب قَصد الطالب»[1].

وقال ابن حجر الهيتمي: «تعلم الرمل وتعليمه حرام شديد التحريم وكذا فعله لما فيه من إيهام العوام أن فاعله يشارك الله في غيبه وما استأثر بمعرفته»[2] .

المطلب الخامس: الاستقسام بالأزلام :

الفرع الأول : التعريف اللغوي والاصطلاحي:

الاستقسام في اللغة : طلب القَسْم[3].

والأزلام في اللغة : «هي السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها»[4]، مفردها زَلَم، أو زُلَم[5]، وهو: «القِدْح[6] الذي لا ريش عليه»[7].

والاستقسام بالأزلام في الاصطلاح : هو طلب علم ما قُسِم أو لم يقسم، بإجالة القِداح[8] .

وكان أهل الجاهلية إذا أراد أحدهم «سفرًا أو غزوًا أو نحو ذلك، أجال القداح... وكانت قداحًا مكتوبًا على بعضها: «نهاني ربّي»، وعلى بعضها: «أمرني ربّي»= فإن خرج القدح الذي هو مكتوب عليه: «أمرني ربي»، مضى لما أراد من سفر أو غزو أو تزويج وغير ذلك . وإن خرج الذي عليه مكتوب: «نهاني ربي»، كفّ عن المضي لذلك وأمسك»[9].

---

(١) مرجع سابق، ج٤، ص١٢٥.

(٢) **الفتاوى الحديثية**، (القاهرة، مكتبة محمود توفيق، ١٣٥٣هـ)، ص٨٥ .

(٣) ابن منظور، مرجع سابق، ج١٢، ص٤٧٩، مادة: (قسم).

(٤) المرجع نفسه، ج١٢، ص٢٧٠، مادة: (زلم).

(٥) نفسه، ج١٢، ص٢٦٩، مادة: (زلم).

(٦) القِدْح : هو "السهم قبل أن يُنَصَّل ويُراشَ" . (نفسه، ج٢، ص٥٥٦، مادة: قدح).

(٧) نفسه، ج١٢، ص٢٦٩، مادة: (زلم).

(٨) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج٩، ص٥١٠.

(٩) المرجع نفسه، ج٩، ص٥١٠، وأورَد في هذا المعنى جملة من الآثار .

"ومن هذا الباب رقاع يكتب فيها مثل ذلك وتطوى ثم يؤخذ منها واحدة ويقرأ ما فيها"[1].

الفرع الثاني : بعض الأدلة الواردة في الاستقسام بالأزلام :

حرَّمَ الله الاستقسام بالأزلام في موضعين من القرآن: قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾[2]. "أي حرّم عليكم أيها المؤمنون الاستقسام بالأزلام"[3]، وأنَّ "تعاطيه فسق وغي وضلالة وجهالة وشرك"[4].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[5].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ أَبَى أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ وَفِيهِ الآلِهَةُ، فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ، فَأَخْرَجُوا صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا الأَزْلامُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «قَاتَلَهُمْ اللَّهُ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَقْسِمَا بِهَا قَطُّ» . فَدَخَلَ الْبَيْتَ فَكَبَّرَ فِي نَوَاحِيهِ، وَلَمْ يُصَلِّ فِيهِ»[6].

المطلب السادس: خلاصة في الأساليب الممنوعة :

تلك كانت أصولاً وجملةً مما جاء النَّصُّ على تحريمه من الأساليب الممنوعة في استشراف المستقبل، لكنْ ما هو ممنوع لا ينحصر فيها، فالأساليب الممنوعة بحر لا ساحل له، وفي كل وقت تستجد طريقة جديدة، وتظهر خرافة منتحلة، ومن أمثلة الأساليب الممنوعة التي لم تُذكر: السِّحْر فمنه ما يُقصد به الإخبار بالمستقبل، وقراءة الكف، والقَدَم، والجبهة،

---

(١) الباجي، **المنتقى شرح موطأ الإمام مالك**، مرجع سابق، ج٧، ص٢٩٧.

(٢) سورة المائدة، من الآية: ٣.

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، ج٢، ص١٣.

(٤) المرجع نفسه .

(٥) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

(٦) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الحج، باب من كبر في نواحي الكعبة، ج٢، ص١٩٥، ح١٦٠١؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب المناسك، باب الصلاة في الكعبة، ج٢، ص٥٢٥، ح٢٠٢٧.

والفنجان، وورق اللعب، وزهر الطاولة: وهو حجر مكعب يحمل كل ضلع منه رقمًا، والنظر في الأجسام الشفافة، مثل : المرايا، وآنية الماء، والكُرَات البلُّورية، والنظر في قلوب الحيوانات، وأكبادها، وعظامها، وغيرها من أعضائها ، وفي أشكال الزيت بعد سكبه على الماء، ولُهب النار، والتأمل جلوسًا، وسماع إيقاع الدفوف، وحل (الزايرجة)، وهي منتشرة بين أعلام أهل التصوف في المغرب، وتقوم على طريقة معينة في حساب الحروف والأعداد وحل الرموز داخل دوائر وخطوط[(١)]، والكشف الناشئ عن غير استقامة، ككشف ضُلاَّل الصوفية، والسحرة، وأهل الرياضة الذين يروضون أنفسهم بالجوع والخلوة[(٢)]، وحساب الـجُمَّل المصطلح عليه بحروف (أبجد) أو (أبي جاد) للاستدلال على المستقبل بحسابها بطريقة معينة[(٣)]، ومنه حساب الحروف المقطعة في أوائل بعض سور القرآن بحساب الـجُمَّل؛ لمعرفة مدة أمد هذه الأمة[(٤)]، وكلام المجانين وإخبارهم عن بعض المستقبلات، وكلام المقتولين بعد قتلهم مباشرة، وكلام النائم عند مفارقته اليقظة والتباسه بالنوم[(٥)]، والخرافات التي يظن أن لها تأثيرًا في حدوث أمر في المستقبل أو امتناعه، والخرافة أمرها واسع جدًا، إلى غير ذلك من أساليب كثيرة يعجز المجتهد عن حصرها واستيعابها .

ولما كَثُرَ حرص الناس على معرفة مستقبلهم وتشوفهم إليه، وبخاصة أصحاب المطالب الدنيوية العالية، كثر الكذَّابون في ذلك، وراجت صناعتهم، وأُكلَت بها أموال عظيمة بالباطل؛ ولهذا يُنوِّعون طرق الكذب ويتعمدونه –من غير أن تكون قد دلت طريقتهم على المطلوب–[(٦)]: "تارة بالإحالة على الحركات والأشكال الجسمانية الإلهية من حركات

---

(١) ينظر للتوسع في معنى (الزايرجة) : **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج١، ص ٤٣١-٤٣٦ .

(٢) ينظر: المرجع نفسه، ج٣، ص ١١٠٢؛ وابن القيم، **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، تحقيق محمد عفيفي، ط٢، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٩هـ)، ج١، ص١٨٨.

(٣) ينظر للتوسع: **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج١، ص ٤٢٨-٤٣١.

(٤) المرجع نفسه، ج٢، ص ٨٢٥؛ وذَكر أن السهيلي استدل بها، وعقَّب : بأنها طريقة لا يُعول عليها؛ وذكر في (ج٢، ص ٨٢٥) : أن ابن عربي الصوفي استدل بحساب الـجُمَّل على زمن ظهور الإمام المنتظر؛ "إلى كلام من أمثال هذا يعينون فيه الوقت والرجل والمكان بأدلة واهية وتحكمات مختلفة، فينقضي الزمان ولا أثر لشيء من ذلك، فيرجعون إلى تجديد رأي آخر منتحل". (نفسه، ج٢، ص٨١٦)؛ وقال ابن تيمية: إنها موروثة عن اليهود. (**مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٤، ص٨٢).

(٥) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج١، ص ٤٢٠، ٤٢٢ .

(٦) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٤، ص٨٠، ٨١.

الأفلاك والكواكب . والشهب والرعود، والبروق والرياح، وغير ذلك، وتارة بما يحدثونه هم من الحركات والأشكال، كالضرب بالرمل والحصا والشعير والقرعة باليد ونحو ذلك، مما هو من جنس الاستقسام بالأزلام... فكل ما يحدثه الإنسان بحركة من تغيير شيء من الأجسام ليستخرج به علم ما يستقبله فهو من هذا الجنس»[1]. وهذه قاعدة جليلة في هذا الباب .

وتحريم حلوان الكاهن تنبيه على تحريم حلوان غيره ممن تطلب منهم الأخبار عن المغيبات[2].

وكما أنَّ الخمر يندرج تحتها كل مسكر مهما كان اسمه إلى يوم القيامة، فإنه يندرج تحت الكهانة كل طريقة يحاول فيها الوقوف على الغيب، لم يدل عليها الشرع، ولم تقم على الحس، أو تُؤدي إلى الإدراك بالعقل .

قال ابن تيمية : «والعلم إما نقل مصدق عن معصوم، وإما قول عليه دليل معلوم، وما سوى هذا فإما مزيف مردود، وإما موقوف لا يُعلم أنه بُهرج ولا منقود»[3].

وقال ابن القيم: طرق العلم: الحس، والعقل، وإخبار الرسل عليهم السلام عن الله تعالى[4].

وقال دراز: «العقول البشرية لها في إدراك الأشياء طريق معيَّنٌ تسلكه، وحَدٌّ محدود تقف عنده ولا تتجاوزه. فكل شيء لم يقع تحت الحس الظاهر أو الباطن مباشرة، ولم يكن مركوزًا في غريزة النفس ، إنما يكون إدراك العقول إياه عن طريق مقدمات معلومة توصل إلى ذلك المجهول، إما بسرعة كما في الحَدْس وإما ببطء كما في الاستدلال والاستنباط والمقايسة. وكل ما لم تمهّد له هذه الوسائل والمقدمات لا يمكن أن تناله يد العقل بحال»[5].

---

(١) المرجع نفسه، ج٤، ص٨٠ .

(٢) يُنظر: ابن القيم، **زاد المعاد**، مرجع سابق، ج ٥، ص٧٨٦.

(٣) **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١٣، ص٣٢٩-٣٣٠.

(٤) **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، تحقيق علي بن محمد الدخيل الله، ط٢، (الرياض، دار العاصمة، ١٤١٢هـ)، ج٣، ص٨٧٠-٨٧٦.

(٥) محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن**، تخريج عبد الحميد أحمد الدخاخني، (الإسكندرية، دار المرابطين، ١٤١٧هـ)، ص٤٢.

وكما أنَّ الكهانة وما يُلحق بها غير جائزة في المنهج الإسلامي في استشراف المســـتقبل، فإنها في المنهج الغربي للدراسات المستقبلية العلمية غير مقبولة، ولا ينظرون إليها .

المبحث الثاني

أساليب استشراف المستقبل المشروعة

تمهيد:

بادئ ذي بدء ينبغي التذكير بأن أساليب الاستشراف تنتمي إلى المناهج في الدراسات المستقبلية، فكما أن هناك منهجًا استكشافيًّا، فهناك أساليب استكشافية، وكما أنَّ هناك منهجًا استهدافيًّا فهناك أساليب استهدافية .

يُقال هذا؛ تمهيدًا لعرض الأساليب الإسلامية في الدراسات المستقبلية والاستشراف؛ لأنه قد يُظن أن الأساليب استكشافية فحسب، فلا يدخل فيها الأساليب الاستهدافية أو الحدسية، والأمر ليس كذلك .

المطلب الأول: الوحي:

١-تعريف الوحي، وذِكرُ خصائصه :

الوحي في أصل اللغة: الإعلام الخفيُّ السريع(١).

وفي الاصطلاح: هو إعلام الله عز وجل أنبياءه بما شاء، بكلام مباشر، أو عن طريق الملائكة، أو الإلهام، أو المنام، أو إنزال الكتب(٢) .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾(٣).

وقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الرُّوح الأمين نَفَثَ فِي رُوعِي إنه ليس من نفْسٍ تموت حتى تستوفي رزقَها»(٤) .

---

(١) ابن منظور، مرجع سابق، ج١٥، ص ٣٨١، مادة : (وحي)، ونسبه إلى أبي إسحاق؛ والجرجاني، مرجع سابق، ص٥٩ .

(٢) ينظر: الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص٨٥٨-٨٥٩، مادة : (وحي)؛ والزرقاني، مرجع سابق، ج١، ص٩٢.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٤) ابن أبي الدنيا، **القناعة والتعفف**، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، (القاهرة، مكتبة القرآن، د.ت)، ص٣٩ .

والوحي إما مَتْلُوٌّ، وهو كتاب الله تعالى، وهذا قطعي الدلالة؛ وإما غير متلو وهو سُـنَّة نبيه ﷺ[1]، وما ثبت منها فهو قطعي الدلالة، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[2].

ويتميز الوحي بعدد من الخصائص، من أهمها : الربانية؛ والكمال، فلا نقص فيـه ولا عيب؛ والوضوح؛ والشمول، حيث أحاط بجميع ما يحتاجه الإنسـان في دنيـاه وأخـراه؛ والوسطية، فهو يحقق الانسجام بين الأشياء، بين الروح والمادة، بين العقل والقلـب، بـين الحقوق والواجبات؛ والعملية، وهي صلاحية الشيء للتطبيق والعمل بـه في كـل زمـان ومكان؛ والإعجاز؛ والثبوت القطعي المتواتر باتصال السند؛ والحفظ، وهو السـلامة مـن التحريف والزيادة والنقص[3]، وقد مضى أربعة عشر قرنًا على نزوله، ولا يزال محفوظـاً حفظًا تامـًا كاملاً، وسالمـًا من أي تحريف أو زيادة أو نقص. و"ليس في الأمم ممن ينقل عن نبيه أقواله وأفعاله على وجه يحصل به الثقة إلا نحن، فإنه يروي الحديث منا خالف عن سالف، وينظرون في ثقة الراوي إلى أن يصل الأمر إلى رسول الله ﷺ، وسائر الأمم يـروون ما يذكرونه عن صحيفة لا يدرى من كتبها، ولا يعرف من نقلها"[4].

ويتميز أسلوب الوحي من حيث كونه أسلوب استشراف بأنه من خصائص المؤمن، لا يستفيد منه غيره، والمؤمن متنعمٌ بالوحي كما يتنعم هو وغيره بالأكل والشرب؛ "فإن التنعم إما بالأمور الدنيوية، وإما بالأمور الدينية. فأما الدنيوية فهي الحسية: مثل الأكل والشرب والنكاح واللباس وما يتبع ذلك، والنفسية: وهي الرياسة والسلطان.

فأما الأولى، فالمؤمن والكافر والمنافق مشتركون في جنسها... وأما الدين فجماعه شيئان: تصديق الخبر، وطاعة الأمر. ومعلوم أن التنعم بالخبر بحسب شرفه وصدقه، والمؤمن

---

(١) ينظر: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، **المستصفى من علم الأصول**، (بيروت، دار صادر، مصورة عن طبعة المطبعة الأميرية عام ١٣٢٢هـ)، ج١، ص١٢٩؛ وعلي ابن أبي علي بن محمد الآمدي، **الإحكام في أصول الأحكام**، (د.م، د.ن، د.ت)، ج١، ص١٤٥.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣-٤.

(٣) يوسف القرضاوي، **الخصائص العامة للإسلام**، ط٤، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٠٩هـ)، ص٧، ٩٥-١٧٢؛ والبيانوني، مرجع سابق، ص١٢٤-١٣٢.

(٤) عبد الرحمن بن الجوزي، **الحث على حفظ العلم**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ)، ص١١-١٢.

معه من الخبر الصادق عن الله وعن مخلوقاته ما ليس مع غيره، فهو من أعظم الناس نعيمًا بذلك، بخلاف من يكثر في أخبارهم الكذب»[1].

تلك الخصائص الفريدة للوحي تفيد في أمور، من أهمها ما يأتي :

أ-أن استشراف المستقبل بطريق الوحي أهم أساليب الاستشراف قاطبة.

ب-أن تطبيق ما جاء به الوحي عن علم وفقه، فيه كسب مستقبلي متحقق، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[2].

ج-أن أي إخلال في تطبيق ما جاء به الوحي يعود سلبًا على المستقبل بحسب ذلك الإخلال. قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[3].

٢-كيفية الإفادة من الوحي في استشراف المستقبل والعمل له :

يرى الباحث أن الوحي يعدُّ أسلوبًا من أساليب استشراف المستقبل، بينما يراه (سردار) بما يشبه المنهج، عندما قسَّم الدراسات المستقبلية الإسلامية إلى ثلاثة أقسام[4]:

أ-الأدب النبوئي، ويقوم على نبوءات الكتاب والسنة.

ب-الاستكشافي.

ج-الذي يعيد البناء.

ولا يوافقه الباحث على أن يكون منهجًا بل هو أسلوب، ويمكن استخدامه في المناهج جميعها .

ويفاد من الوحي -كتابًا وسنة- بأكثر من طريق في استشراف المستقبل أو العمل لأجله، وهي ما يأتي :

أ-الإفادة من إخباره الصريح بشأن حوادث أو قضايا مستقبلية محددة، مطلقًا كان، أو مقيدًا بشرط، ومثال المطلق : قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ

---

(١) ابن تيمية، **جامع الرسائل**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٣٩، ٣٤١.

(٢) سورة النحل، من الآية: ٨٩.

(٣) سورة طه، الآية: ١٢٤.

(٤) Sardar, **Islamic futures**, Op. Cit., P. 29.

لَحَٰفِظُونَ﴾[1]، ومثال المقيد: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[2].

ب-الإفادة من القصص الواردة فيه، والوقوف على بصائرها وعِبرها، وتشبيه الحال بالحال، وقياس الأمر على الأمر.

ج-الإفادة من القواعد المستقبلية المبثوثة في الكتاب والسنة.

د-الالتزام بالشريعة التي جاء بها، وعدم الخروج عنها. فقد جاء الوحي بتشريعات كثيرة تخص الفرد، والجماعة، والأمة، وتتناول العبادات، والمعاملات، والأخلاق، وبَيَّن أن في اتباعها اهتداء إلى الحق، وأن في تركها ضلالاً وشقاء.

وينبغي عند الإفادة من الوحي في استشراف المستقبل، العناية والتحقق من صحة الفهم له، وألاَّ يُحمَّل الوحي ما لا يَحتمل، فيُنـزَّل الوحي على غير ما هو له.

عن حفصة رضي الله عنها أنها سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «لَيَؤُمَّنَّ هَذَا الْبَيْتَ جَيْشٌ يَغْزُونَهُ. حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ، خُسِفَ بِأَوْسَطِهِمْ. وَيَتَنَادَى أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ. فَيُخْسَفُ بِهِمْ. فَلا يَبْقَى مِنْهُمْ إِلاَّ الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ». فَلَمَّا جَاءَ جَيْشُ الْحَجَّاجِ، ظَنَنَّا أَنَّهُمْ هُمْ. فَقَالَ رَجُلٌ: أَشْهَدُ عَلَيْكَ أَنَّكَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى حَفْصَةَ وَأَنَّ حَفْصَةَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ[3].

وعن عبد الله بن عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، صَلاةَ الْعِشَاءِ، فِي آخِرِ حَيَاتِهِ. فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ». قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَوَهَلَ النَّاسُ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ، فِيمَا يَتَحَدَّثُونَ مِنْ هَذِهِ الأَحَادِيثِ، عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ. وَإِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ. يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَنْخَرِمَ ذَلِكَ

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) سورة محمد، الآية: ٧.

(٣) ابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب جيش البيداء، ج٢، ص١٣٥٠، ح٤٠٦٣؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الفتن والملاحم، ج٤، ص٤٧٦، ح٨٣٢٢.

الْقَرْنُ»[1]. ففي هذا الحديث يصحح ابن عمر رضي الله عنهما تنـزيل الناس هـذا الخبر المستقبلي على غير ما هو له.

وهذان الأثران يؤكدان على أن نُعنى عناية فائقة بالتحري الدقيق عند تـنـزيل الوحي على حادثة معينة .

وينبغي الحذر من الأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ إذ لا قيمة لها في مجال الاستشـراف والدراسات المستقبلية، «ومنها : أحاديث التواريخ المستقبلة... وهي كل حديث فيـه : «إذا كانت سَنَةُ كذا وكذا حَلَّ كذا وكذا»»[2].

٣- أمثلة من القرآن :

قـال الـله تعـالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[3]. أخبر «القرآن عن الروم بأنهم سينتصرون في بضع سنين من إعلان هذا النبأ... وبيان ذلك أن دولة الرومان وهي -مسيحية- كانت قد انهزمت أمام دولة الفرس -وهي وثنية- في حروب طاحنة بينهما سنة (٦١٤م) فاغتم المسلمون بسبب أنها هزيمة لدولة متدينة أمام دولة وثنية، وفرح المشركون، وقالوا للمسلمين في شماتة العدو : إن الروم يشهدون أنهم أهل كتاب وقد غلبهم المجوس، وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أُنزل عليكم، فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم. فنـزلت الآيات الكريمة يبشر الله فيها المسلمين بأن هزيمة الروم هذه سيعقبها انتصار في بضع سنين، أي : في مدة تتراوح بين ثلاثة سنوات وتسع . ولم يك مظنونـاً وقت هذه البشارة أن الروم تنتصر على الفرس في مثل هذه المدة الوجيزة . بل كانت المقدمات

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء، ج١، ص١٦٧، ح٦٠١؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ : (لا تأتي مائة سنة...)، ج٤، ص١٩٦٥، ح٢٥٣٧.

(٢) ابن القيم ، **المنار المنيف في الصحيح والضعيف**، تحقيق عبد الفتاح أبو غـدة، ط٦، (بـيروت، دار البشـائر الإسلامية، ١٤١٤هـ)، ص١١٠ .

(٣) سورة الروم، الآيات: ١-٦.

والأسباب تأبى ذلك عليها؛ لأن الحروب الطاحنة أنهكتها حتى غُزيت في عقر دارها، كما يدل عليه النص الكريم ﴿ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ . ولأن دولة الفرس كانت قوية منيعة وزادها الظفر الأخير قوة ومنعة . حتى إنه بسبب استحالة أن ينتصر الروم عادة أو تقوم لهم قائمة، راهن بعض المشركين أبا بكر على تحقق هذه النبوءة . ولكن الله تعالى أنجز وعده وتحققت نبوءة القرآن سنة (٦٢٢م) الموافقة للسنة الثانية من الهجرة المحمدية . ومما هو جدير بالذكر أن هذه الآية نفسها حملت نبوءة أخرى، وهي البشارة بأن المسلمين سيفرحون بنصر عزيز في هذا الوقت الذي ينتصر فيه الروم، ﴿ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ ولقد صدق الله وعده في هذه كما صدقه في تلك. وكان ظفر المسلمين في غزوة بدر الكبرى واقعًا في الظرف الذي صدر فيه الرومان»[١].

وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[٢]. فالله «سبحانه أخبر عن وقوع شيء في المستقبل إخبارًا على التفصيل وقد وقع المخبر مطابقـًا للخبر»[٣].

٤-أمثلة من السنة النبوية :

عن عمْرو بن أَخطَبَ ﷺ قال : «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ . وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتْ الظُّهْرُ . فَنَزَلَ فَصَلَّى . ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ . فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتْ الْعَصْرُ. ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى . ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ . فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ. فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ . فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا»[٤].

وعن حُذيفةَ ﷺ قال : «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا . مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِه ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إلا حَدَّثَ بِهِ . حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ . قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي

---

(١) الزرقاني، مرجع سابق، ج٢، ص٤٢٧-٤٢٨.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٣) **التفسير الكبير**، مرجع سابق، مج٨، ، ج٢٤، ص٤١٢.

(٤) مسلم، مرجع سابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيـام السـاعة، ج٤، ص٢٢١٧، ح٢٨٩٢.

هَؤُلاءِ . وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ . كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ . ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ»(١).

وعن الـمُغيرَة بن شُعْبَةَ ﷺ قال: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا، فَأَخْبَرَنَا بِمَا يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَعَاهُ مَنْ وَعَاهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ»(٢).

و«قد كان ﷺ يرتل كلامه ويُفسره، فلعله قال في مجلسه ذلك ما يُكتب في جزء؛ فذكر أكبر الكوائن، ولو ذكر أكثر ما هو كائن في الوجود، لما تهيأ أن يقوله في سنة، بل ولا في أعوام، ففكّر في هذا »(٣).

وعن أَبِي هُرِيرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ. وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ. فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْتُمْ تَنْتَثِلُونَهَا (٤). قال النووي : «هذا من أعلام النبوة، فإنه إخبار بفتح هذه البلاد لأمَّته, ووقع كما أخبر ﷺ . وللَّه الحمد والمنة . قوله ﷺ : (وَأَنْتُمْ تَنْتَثِلُونَهَا) يعني تستخرجون ما فيها، يعني خزائن الأرض وما فتح على المسلمين من الدنيا»(٥).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ التُّرْكَ، قَوْمًا وُجُوهُهُمْ كَالْمَجَانِّ الْمُطْرَقَةِ . يَلْبَسُونَ الشَّعَرَ، وَيَمْشُونَ فِي الشَّعَرِ »(٦).

وعنه ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا. فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»(٧).

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب القدر، باب (وكان أمر الله قدرًا مقدورًا)، ج٧، ص٢٦٩، ح٦٦٠٤؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، ج٤، ص٢٢١٧، ح٢٨٩١.

(٢) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٣٠، ص١٦٢، ح١٨٢٢٤.

(٣) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٦٦.

(٤) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ (نصرت بالرعب)، ج٤، ص١٥، ح٢٩٧٧؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بابٌ، ج١، ص٣٧١، ح٥٢٣.

(٥) **المنهاج**، مرجع سابق، ص٤٩٨.

(٦) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب قتال الترك، ج٣، ص٣٠٦، ح٢٩٢٨؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، ج٤، ص٢٢٣٣، ح٢٩١٢.

(٧) مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، ج١، ص١٣٠، ح١٤٥.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ : يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ»(١). وهذا لم يقع حتى الآن، ولكن وقعت مباديه .

وهذه الأخبار التي تُنقل عن النبي ﷺ يُطلَقُ عليها أعلام النبوة، أو علاماتها، أو دلائلها؛ لأنها إخبار عما سيقع، فإذا وقعت كانت كما أخبر بها النبي ﷺ ؛ فتكون علامة على صدق نبوّته.

فالنبي ﷺ أخبر بأشياء كثيرة ستقع بعده، وهي على أقسام(٢) :

أ- ما وقع وفق ما قال ﷺ . وقد استوفى البيهقي في كتابه (دلائل النبوة) ما ورد من ذلك -حتى زمنه- بالأسانيد المقبولة. ومن أمثلته اقتتال فئتين عظيمتين، وظهور الفتن، وكثرة القتل .

ب-ما وقعت مباديه ولم يَستحكم(٣). ومن أمثلته : كثرة الزلازل، وخروج الدجالين الكذابين.

ج-ما لم يقع منه شيء ولكنه سيقع .

وقد تتبع باحث معاصر(٤) نبوءات النبي ﷺ فتحصل لديه (١٨٨) نبوءة، منها (٢٨) نبوءة لم تتحقق بعد.

والواجب على المسلم "كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولاً، أو نحمله شبهة أو شكًّا، أو نقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم"(٥).

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود، ج٣، ص٣٠٥، ح٢٩٢٦؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، ج٤، ص٢٢٣٩، ح٢٩٢٢.

(٢) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٣، ص٩٠ .

(٣) مثاله المعاصر: تجمع اليهود في فلسطين، وهو مبادئ ما أخبر الرسول ﷺ أننا سنقاتلهم شرقي نهر الأردن.

(٤) محمد ولي الله عبد الرحمن الندوي، **نبوءات الرسول ﷺ : ما تحقق منها وما يتحقق**، ط٦، (القاهرة، دار السلام، ١٤٢٤هـ).

(٥) ابن أبي العز، مرجع سابق، ص٢٠٠.

وإنَّ البشر مهما بلغوا من العلم، ومهما أوتوا من الفطنة والذكاء، يظلون قاصرين عن إدراك المستقبل، واستكشاف مجاهيله، ولا يجرؤ عاقل على إصدار حكم قطعي بشأن المستقبل، إلا على سبيل الظنون والاحتمالات، وقد تكشف الأيام -في زمن وجيز- عن خطأ هذه الظنون والاحتمالات أو أكثرها[1] .

أما الوحي -كتابًا، وسُنَّة- فقد جاء بأخبار كثيرة تقع في المستقبل الدنيوي، ثم تَمضي الشهور، والسنين، والقرون، وإذا بالأمور تكون كما جاء الخبر بها، بدقة متناهية، يقول ابن تيمية: فإخباره ﷺ عن الأمور المستقبلة من باب (العلم الخارق)[2]، كإخباره عن مملكة أمته، وزوال مملكة فارس والروم، وقتال الترك، وألوف مؤلفة من الأخبار التي أخبر بها، مذكور بعضها في (كتب دلائل النبوة)، و(سيرة الرسول ﷺ) و(فضائله ﷺ)، و(كتب التفسير، والحديث، والمغازي)، في مصنفات كثيرة جدًا[3] .

« فانظر إلى عجيب شأن النبوءات القرآنية كيف تقتحم حجب المستقبل قريبًا وبعيدًا، وتتحكم في طبيعة الحوادث توقيتًا وتأييدًا، وكيف يكون الدهر مصداقًا لها فيما قل أو كثر، وفيما قرب وبعد؟

بل انظر إلى جملة ما في القرآن من النواحي الإخبارية كيف يتناول بها محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما وراء حسه وعقله من أنباء ما كان وما سيكون وما هو كائن، وكيف أنه كلما حدثنا فيها عن الماضي صدقته شواهد التاريخ، وكلما حدثنا عن المستقبل صدقته الليالي والأيام، وكلما حدثنا عن الله وملائكته وشئون غيبه صدقته الأنبياء والكتب»[4].

«فإنكار العقل لما يخبر به النبي عينُ الجهل ولا مستند له في إنكاره إلا أنه لم يبلغه ولم يصل إليه فيظن أنه غير ثابت في نفسه»[5].

---

(١) حسن ضياء الدين عتر، **المعجزة الخالدة**، ط٢، (د.م، المؤلف، ١٤٠٩هـ)، ص٦٧.

(٢) معجزات الأنبياء قسمان: ما هو من باب العلم الخارق، وما هو من باب القدرة والتأثير. (ينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١١، ص٣١١-٣١٨) .

(٣) المرجع نفسه، ج١١، ص٣١٥-٣١٦.

(٤) دراز، مرجع سابق، ص٦٣.

(٥) ابن القيم، **الصواعق المرسلة**، مرجع سابق، ج٣، ص٩٥٩ .

المطلب الثاني : الدعاء:

١- تعريف الدعاء، وفضله، وأهميته:

الدعاء في اللغة: «الرغبة إلى الله عز وجل»[١] .

وفي الاصطلاح: «مناداة الله تعالى لما يريد من جلب منفعة، أو دفع مضرة»[٢].

ويكفي في فضله وأهميته بشكل عام قول النبي ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»[٣]. وقال ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ الدُّعَاءِ»[٤].

٢-استجابة الدعاء:

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[٥].

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٦].

ولما شكا الناس القحط، قال لهم الرسول ﷺ : «إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ»[٧].

---

(١) ابن منظور، مرجع سابق، ج١٤، ص ٢٥٧، مادة: (دعا)؛ والفيروزآبادي، مرجع سابق، ص ١٦٥٥، مادة: (دعا).

(٢) عبد الله بن أسعد اليافعي، **الدعاء :آدابه وأسبابه**، تحقيق مسعد عبد الحميد السعدني، مع كتاب: **الترشيح لبيان صلاة التسبيح**، لمحمد بن علي بن طولون، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ص١٤٤؛ نقلاً عن: ابن العربي، **مراقي الزلفى**، ولم أقف على كتاب ابن العربي؛ وينظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١٥، ص١٠.

(٣) الترمذي وقال: "حسن صحيح"، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، ج٥، ص٤٢٦، ح٣٣٧٢؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب الدعاء، ج٢، ص١٦١، ح١٤٧٩؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، ج٢، ص١٢٥٨، ح ٣٨٢٨؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، ج١، ص٦٦٧، ح١٨٠٢.

(٤) الترمذي، وقال: "حسن غريب"، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، ج٥، ص٤٢٥، ح٣٣٧٠؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، ج٣، ص١٢٥٨، ح٣٨٢٩؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الدعاء والتكبير، ج١، ص٦٦٦، ح١٨٠١.

(٥) سورة البقرة، من الآية: ١٨٦.

(٦) سورة غافر، من الآية: ٦٠.

(٧) أبو داود، وقال: "غريب إسناده جيد"، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء، ج١، ص٦٩٢-٦٩٣، ح١١٧٣.

ولما ارتفعت أصوات الصحابة ﷺ بالتهليل والتكبير قال لهم الرسول ﷺ : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ، وَتَعَالَى جَدُّهُ»(١).

فالله سبحانه قريبٌ من عباده، سميعٌ لهم، بصير بهم(٢)، وقد وعد بالإجابة لمن دعاه، والله لا يُخلف الميعاد.

لكنْ هناك شروط ينبغي تحققها؛ لتقوى الإجابة وتقع، وهناك موانع ينبغي الاحتراز منها؛ إذ في اقترافها حرمان الإجابة، ذَكَرَها العلماء وبينوها، ولا يحتمل المقام ذكرها هنا.

وقد تقتضي حكمة الله تعالى، ونظره في مصلحة عبده أن يدَّخر له من الخير مثل دعوته، أو يصرف عنه من السوء مثلها، قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إلا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهَا» قَالُوا : إِذًا نُكْثِرُ ؟ قَالَ : «اللَّهُ أَكْثَرُ»(٣).

٣-الدعاء والمستقبل:

أ- الدعاء يغلب عليه الجانب المستقبلي :

"الدعاء بوضعه اللغوي إنما يتناول المستقبل؛ لأنه طلب"(٤)، والطلب متوجه للمستقبل.
وتنقسم مطالب السائلين من رب العالمين إلى أربعة أقسام، عليها مدار طلباتهم، وهي(٥):

- شر موجود يطلب رفعه.

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، ج٤، ص٢٠، ح٢٩٩٢؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، ج٤، ص٢٠٧٦، ح٢٧٠٤.

(٢) في رواية عند البخاري، زاد فيها عن السابقة: "بصيراً"، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة، ج٧، ص٢٠٩، ح٦٣٨٤.

(٣) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج١٧، ص٢١٣-٢١٤، ح١١١٣٣؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الدعاء والتكبير، ج١، ص٦٧٠، ح١٨١٦؛ وقال المنذري : "رواه أحمد والبزار وأبو يعلى بأسانيد جيدة"، مرجع سابق، ج٢، ص٤٧٨-٤٧٩؛ وصححه ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١١، ص٩٨ .

(٤) القرافي، مرجع سابق، ج٤، ص٢٢٥.

(٥) ابن القيم، **بدائع الفوائد**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٠٧-٢٠٨ .

• شر معدوم يطلب بقاؤه على العدم .

• خير موجود يطلب دوامه وثباته، وألا يُسلبه .

• خير معدوم يطلب وجوده وحصوله .

والمتأمل في هذه الأقسام يجد أنه يغلب عليها التوجه للمستقبل، وإرادته .

ب- لماذا تَقِلُّ العناية بالدعاء بالمستقبل ؟

مع أن جُلَّ مطالب السائلين متوجهة للمستقبل، والدعاء نفسه في حسِّ الأمة الإسلامية عالي المكانة، إلا أنَّ توظيفه للمستقبل يغيب عن البعض، وتَقِلُّ عناية النفس به؛ لأن «النفس بطبعها تطلب ما هي محتاجة إليه من زوال الضرر الحاصل من الحال قبل طلبها زوال ما تخاف وجوده من الضرر في المستقبل»[1]؛ أو يكون لدى النفس احتجاج بالقدر، فترى أن الدعاء لا تُجلب به منفعة، ولا تُدفع به مضرة[2]، وقد نفى هذا النبي ﷺ في قوله: «لا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلا الدُّعَاءُ»[3]، وفي رواية: «وَلا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلا الدُّعَاءُ»[4]، فالدعاء من القدر، وهو قَدَرٌ يدفع الله به قدرًا.

ومن الناس من أعرض عن الدعاء، واكتفى بما اعتقده من أسباب ظاهرة[5]، وترك الاستعانة بإلهه وخالقه، والصواب الذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة : أن الدعاء سبب من الأسباب، وأن له تأثيرًا في المطلوب، كسائر الأسباب المقدرة والمشروعة[6]، بل إن «الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار»[7] .

---

(١) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١٠، ص٢٤٨.

(٢) نَسبَ ابن أبي العز هذا الرأي إلى قوم من المتفلسفة وغالية الصوفية، مرجع سابق، ص٤٦٠.

(٣) الترمذي، وقال: "حسن غريب"، مرجع سابق، كتاب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، ج٤، ص٣٩٠، ح٢١٣٩.

(٤) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٣٧، ص٦٨، ح٢٢٣٨٦؛ وابن ماجه، مرجع سابق، المقدمة، باب في القدر، ج١، ص٣٥، ح٩٠؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الدعاء والتكبير، ج١، ص٦٧٠، ح١٨١٤؛ وحسنه الألباني، **شرح العقيدة الطحاوية**، (تخريج)، مرجع سابق، ص١٤٤.

(٥) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١٤، ص١٢.

(٦) ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم**، مرجع سابق، ج٢، ص٧١٢؛ **ومجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج ٨، ص١٩٢-١٩٥.

(٧) ابن أبي العز، مرجع سابق، ص٤٥٩.

فينبغي للمسلمين أن يُعنوا بالدعاء حق العناية، وألا يتعاظموا شيئًا أن يسألوه ربهم مالك كل شيء وهو على كل شيء قدير، قال ﷺ : «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلا يَقُلْ: اللَّهُمَّ ! اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ . وَلَكِنْ لِيَعْزِمْ الْمَسْأَلَةَ . وَلْيُعَظِّمْ الرَّغْبَةَ . فَإِنَّ اللَّهَ لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»[1].

فإذا «علق رجاءه بالله –جل ثناؤه– ينبغي له أن يسأله ما يحتاج إليه صغيرًا أو كبيرًا، لأن الكل بيده لا قاضي للحاجات غيره»[2]. والدعاء ليس له حدٌّ محدود، فيدعو المرء بما يدفع الضر ويرفعه، وبما يعود بالنفع لنفسه، وأهله، ومجتمعه، وأمَّته، حاضرًا ومستقبلاً، ما لم يكن في الدعاء اعتداء .

ج- الحث على الدعاء للمستقبل:

قال ﷺ : «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكُرَبِ فَلْيُكْثِرْ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ»[3]. قال في تحفة الأحوذي: «لأن من شيمة المؤمن أن يريش السهم قبل أن يرمي، ويلتجئ إلى الله قبل الاضطرار»[4].

وعن علي بن الحسين قال: «لم أر للعبد مثل التقدم في الدعاء فإنَّه ليس كلما نزلت بليَّة يستجاب له عنها.

قال : وكان علي بن الحسين إذا خاف شيئًا اجتهد في الدعاء»[5].

«وكان «عبد الأعلى التيمي» يقول «أكثروا من سؤال الله العافية فإن المبتلى وإن اشتد بلاؤه ليس بأحق بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء، وما المبتلون اليوم إلا من أهل العافية بالأمس، وما المبتلون بعد اليوم إلا من أهل العافية اليوم»[6].

---

(١) مسلم، مرجع سابق، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت، ج٤، ص٢٠٦٣، ح٢٦٧٩.

(٢) البيهقي، **شعب الإيمان**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٧.

(٣) الترمذي، وقال: "حديث غريب"، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، ج٥، ص٤٣١، ح٣٣٨٢؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الدعاء والتكبير، ج١، ص٧٢٩، ح١٩٩٧.

(٤) المباركفوري، مرجع سابق، تحقيق علي معوض، وعادل عبد الموجود، ط٣، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ)، ج٩، ص٣٠١.

(٥) البيهقي، **شعب الإيمان**، مرجع سابق، ج٢، ص٥٣، أثر ١١٤٥.

(٦) ابن القيم، **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، تحقيق محمد علي قطب، (بيروت، دار القلم، ١٤٠٧هـ)، ص١٦٤.

وقد يُلِمُّ بالمرء أمور يتمنى معها الموت، فيراه خياره الوحيد، وفي هذا يدل النبي ﷺ أمته على أن يكلوا الأمور إلى الله سبحانه، فيكون لديهم خياران مستقبليان يكلون إلى ربهم اختيار الأصلح لهم منهما، قال ﷺ: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ فَاعِلاً فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي»[1] ؛ لأنَّه «إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ»[2].

والمؤمنون قلوبهم دائمًا وجلة من المستقبل الديني لهم، فهم يخافون إضلال الله لهم بعد الهداية، فتراهم يدعون ربهم دائمًا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[3]، وكان النبي ﷺ يدعو في سجوده بنحو هذا مكثرًا منه .

د- أهمية الدعاء من حيث كونه أسلوبًا استشرافيًّا:

يرى الباحث أن أسلوب الدعاء أهم أسلوب في الكتاب والسنة من أساليب استشراف المستقبل، علَّمه الله تعالى أبا البشر آدم عليه السلام، وكان دأب الأنبياء والصالحين، وقد كانت له هذه المنزلة عن سائر الأساليب الأخرى لعدد من الأمور، أهمها ما يأتي:

- أنه طلبٌ مباشر من الخالق، القدير، القوي، المحيط، المهيمن، العليم، الخبير، السميع، البصير، الحكيم، المجيب، الغني، المعطي، المعز؛ أي : أنه طلب ممن يملك صفات الكمال، وهي "ترجع إلى «ثلاثة» : العلم، والقدرة، والغنى ... وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلا لله وحده؛ فإنه الذي أحاط بكل شيء علمًا، وهو على كل شيء قدير، وهو غني عن العالمين»[4].
- أنه أسلوب استهدافي قوي محكم، لا يُجاريه أسلوب آخر؛ فإذا كانت أكثر الأساليب الأخرى تضعف كلما زادت مدة الاستشراف، فإن أسلوب الدعاء لا تؤثر فيه

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، ج٧، ص١٢، ح٥٦٧١؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به، ج٤، ص٢٠٦٤، ح٢٦٨٠.

(٢) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، ج٧، ص١٣، ح٥٦٧٣؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب الجنائز، باب تمني الموت، ج٤، ص٢٩٩-٣٠٠، ح١٨١٧، ١٨١٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨.

(٤) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١١، ص٣١٢.

الزيادة ولا تُغيِّر منه شيئًا، فهذا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يدعوان لذريتهما: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [1]. وهذه هي دعوتهما عليهما السلام "لنبينا محمد ﷺ خاصة، وهي الدعوة التي كان نبينا ﷺ يقول: أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى"[2]. فأراد إبراهيم عليه السلام عمارة الدين في الحال وفي المستقبل[3]، وهذا من فقهه المستقبلي عليه السلام .

• أنه أسلوب ناجح في جميع الأحوال؛ لأنه إمَّا أن يقع المطلوب فيه، أو يُصرف من الشر مثله، أو يؤجل إلى يوم القيامة، بخلاف أكثر الأساليب الأخرى فإنه يعتريها الخطأ والتخلف.

• أنه من الأساليب القوية والمهمة في بث الأمن والاطمئنان للنفوس من مخاوف المستقبل ومشاهده السيئة؛ وبهذا يمنع حصول القلق والأمراض النفسية الأخرى، وهذا يكون بالأدعية بعامة، وبالاستخارة بخاصة .

• أنه أسلوب لا يُستغنى عنه، ولا تَقوم مقامه الأساليب الأخرى، فمِنْ فِقْهِ الدعاء أنه إذا كان هناك استشراف بمستقبل معين، أو كان عن طريق رؤى منامية، عَبرها حاذق بالتعبير، أو وعْدٌ في الكتاب أو السُّنَّة، فإن الشخص يُتْبِع ذلك كله بالدعاء بتحققه، قال تعالى مخبرًا عن بعض دعاء أُولي الألباب، أصحاب "العقول التامة الزكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها"[4] : ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [5]، فهم يسألون ربهم : أن "ينجز لهم ما وعدهم به على ألسنة رسله من

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

(٢) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج٣، ص٨٢؛ وعند أحمد بلفظ: «إِنِّي عِندَ اللَّهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ، دَعْوَةِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةِ عِيسَى قَوْمَهُ...»، **المسند**، مرجع سابق، ج٢٨، ص٣٩٥، ح١٧١٦٣؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ج٢، ص٦٥٦، ح٤١٧٥ .

(٣) الرازي، **التفسير الكبير**، مرجع سابق، ج٤، ص٥٨.

(٤) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، ج١، ص٤٤٧.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٩٤.

النصر، والظهور في الدنيا، ومن الفوز برضوان الله وجنته في الآخرة»[1]. وكان الرسول ﷺ- الموعود بالمقام المحمود في الآخرة- من أكثر الناس استغفارًا ودعاءً، وكان العشرة المبشرون بالجنة كذلك ﷺ، فلم يَتَّكِلوا على هذه الوعود والبشائر وهي حق، بل طلبوها بالدعاء والعمل الصالح.

لذلك يحق للدعاء أن يكون جماعَ الأساليب المستقبلية، على نحو ما قال مطرف بن عبدالله الشخّير :«تذاكرتُ: ما جماع الخير؟ فإذا الخير كثير الصيام والصلاة، وإذا هو في يد الله، وإذا أنت لا تقدر على ما في يد الله إلا أن تسأله فيعطيك، فإذا جماع الخير الدعاء»[2].

٤- مظاهر عناية الإسلام بالدعاء:

لقد عُني الشارع الحكيم بالدعاء أيما عناية، فإذا «التفتَّ إلى فاتحة كتاب الله -تعالى- وخاتمته بَدَا لك من أسرار التنزيل عجبًا؛ فإن الله -سبحانه- افتتح كتابه الكريم بالدُعاء في: «سورة الفاتحة»: «دعاء ثناء»: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[3] و: «دعاء مسألة»: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[4]. واختتم -سبحانه- كتابه الكريم بالدعاء في «سورتي المعوذتين»: «دعاء مسألة» متضمنًا: «دعاء الثناء»»[5].

وعَلَّم الشارعُ الحكيمُ المسلمَ أدعية معَيَّنة في كثير من أفعاله في حياته، في الفرائض والنوافل، في السراء والضراء، في الرضا والغضب، في العظيم والصغير، عند الدخول والخروج، عند النوم والاستيقاظ، عند الركوب والنزول، عند السفر والقدوم، وفي مناسبات أخرى كثيرة، وإذا عُلم أن من جملة الدعاء ذكر الله تعالى والحمد والثناء عليه أدرك المتأمل شمول الدعاء لأكثر شأن المسلم، فالدعاء بحق ينتظم حياة المسلم كلها، «فهذه الأدعية دليل مستقل من دلائل نبوته ﷺ، ومعجزة ذاتية كمعجزاته الأخرى الكثيرة»[6].

---

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مرجع سابق، ص١٦١-١٦٢.

(٢) ابن بطة، **الإبانة**، مرجع سابق، ج٢، ص١٩٥.

(٣) سورة الفاتحة، الآيات: ٢-٤.

(٤) سورة الفاتحة، الآيتان: ٥-٦.

(٥) بكر بن عبد الله أبو زيد، **تصحيح الدعاء**، (الرياض، دار العاصمة، ١٤١٩هـ)، ص ١٦.

(٦) محمد نعمان الدين الندوي، **الروائع والبدائع في البيان النبوي**، (بيروت، دار الشهاب، ١٤٢٠هـ)، ص١٣٥.

٥- من الأدعية الجامعة:

من أمثلة أدعية النبي ﷺ الجامعة، المتضمنة لمعان متوجهة للمستقبل -وأكثر أدعيته ﷺ كذلك- ما يأتي:

أ- «اللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ الْخَيْرِ كُلِّه، عَاجِله وَآجِله، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الشَّرِّ كُلِّه، عَاجِله وَآجِله، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ. اللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ. اللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي، خَيْرًا»(١).

ب-«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي. وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي. وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي. وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ. وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»(٢).

ج-«اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»(٣).

د-أتى رجل النبي ﷺ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَيْفَ أَقُولُ حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي ؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ ! اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي» وَيَجْمَعُ أَصَابِعَهُ إِلا الإِبْهَامَ «فَإِنَّ هَؤُلاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ»(٤).

---

(١) ابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الدعاء، باب الجوامع من الدعاء، ج٢، ص١٢٦٤، ح٣٨٤٦؛ والحاكم وصححه، وعنده أنَّ النبي ﷺ قال لعائشة: «يا عائشة، عليك بالكوامل»، وذكر الحديث، ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الدعاء والتكبير، ج١، ص٧٠٣، ح١٩١٤؛ وصحح إسناده الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، ج٤، ص٥٦، ح١٥٤٢.

(٢) مسلم، مرجع سابق، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ج٤، ص٢٠٨٧، ح٢٧٢٠.

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة)، ج٧، ص٢١٠، ح٦٣٨٩؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة، ج٤، ص٢٠٧٠، ح٢٦٩٠.

(٤) مسلم، مرجع سابق، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، ج٤، ص٢٠٧٣، ح٢٦٩٧؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الدعاء، باب الجوامع من الدعاء، ج٢، ص١٢٦٤، ح٣٨٤٥.

هـ-عن شدَّاد بن أوس ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ : «يا شدَّاد إذا رأيت الناس يكنزون الذهب والفضة فاكنز هؤلاء الكلمات اللهم إني أسألك التثبيت في الأمور وعزيمة الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا وخلقًا مستقيمًا وأستغفرك لما تعلم وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم إنك أنت علام الغيوب»(١).

و-قال ﷺ : «أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ قَالَ أَحْسَبُهُ قَالَ فِي الْمَنَامِ... وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ»(٢).

ز-"وقد كثرت الأحاديث في الأمر بسؤال العافية، وهي من الألفاظ العامة المتناولة لدفع جميع المكروهات في البدن والباطن، في الدين والدنيا والآخرة"(٣).

ح-واستعاذ النبي ﷺ من جملة من الأمور، والاستعاذة "تدل على التحرز والتحصن والنجاة وحقيقة معناها الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه"(٤). والمستعاذ به هو الله وحده لا شريك له، والمستعاذ منه أمور كثيرة، لا يكاد يحيط بها الإنسان، لكنَّ النبي ﷺ دلَّ أمَّته على أصول تكاد تجمع كل مخوف يُستعاذ منه إلى قيام الساعة، وهذا من جوامع كلمه ﷺ، ودليل على أهمية العناية بالأدعية المأثورة .

جاء في الصحيحين استعاذة النبي ﷺ من جملة أمور، أو تعليم أصحابه ﷺ الاستعاذة من شيء منها، وهي: الاستعاذة من فتنة المحيا والممات، وفتنة الدنيا، وفتنة المسيح الدجال، ومن شرها، وفتنة القبر، وعذاب القبر، والنار،وفتنة النار، وعذاب النار، وعذاب جهنم، ومن الفتن ما ظهر منها وما بطن، وفتنة الفقر، وشر فتنة الغِنى، والمأثم، والمغرم: (ضلع الدين)،

---

(١) الحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الدعاء والتكبير، ج١، ص٦٨٨، ح١٨٧٢.

(٢) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٥، ص٤٣٧-٤٣٨، ح٣٤٨٤؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة (ص)، ج٥، ص٣٤٢، ح٣٢٣٣؛ وصححه الألباني، **إرواء الغليل**، مرجع سابق، ج٣، ص١٤٧، ح٦٨٤.

(٣) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٣٤٠.

(٤) ابن القيم **بدائع الفوائد**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٠٠.

والبخل، والجبن، والعجز، والكسل، والهرم: (أن يُردَّ إلى أرذل العُمر)، والهمِّ، والحــزن[1]، وغلبة الرجال، والشيطان، والهامَّة[2]، والعين اللامَّة[3]، وشر الحُلُم، ومن شر ما صنع، ومن شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، وجهد البلاء، ودرك الشقاء[4]، وسوء القضاء، وشماتـة الأعداء، وبرضى الله من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، وبه منه سـبحانه، ومـن وعثـاء السفر[5]، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل، والـحَوْر بعد الكَوْن[6]، ودعـوة المظلوم، وبكلمات الله التامات من شر ما خلق، ومن شر كل شيء الله آخـذ بناصـيته، ويستعيذ بعزة الله لا إله إلا هو من أن يُضلَّه، ومِن عِلْمٍ لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعوة لا يستجاب لها، ومن زوال نعمته سبحانه، وتـحول عافيته، وفجاءة نقمته، وجميع سخطه، وكان يقرأ ﷺ على نفسه بالمعوذات وينفث، وفي المرض يستعيذ بالله وقدرته من شر ما يجد ويحاذر. وعند أصحاب السنن وغيرهم زيادات على ذلك. وجُلُّ هذه الأمور استعاذة من أمور مستقبلية .

فإذا لهج العبد بشيء من هذه الأدعية التي فيها «صلاح مستقبله الديني والدنيوي بقلب حاضر، ونية صادقة، مع اجتهاده فيما يحقق ذلك، حقق الله له ما دعاه ورجاه وعمل لـه، وانقلب همه فرحًا وسرورًا»[7].

٦-الاستخارة:

لا يخلو المرء في عدد من أحواله أن يخالجه القلق، ويداهمه الخوف من المستقبل المجهـول، هل يُقْدِم على هذا الأمر أم يحجم عنه ؟ هل مصلحته في الفعل أم الترك ؟ وهكـذا يظـل

---

(١) قال ابن القيم : الفرق بين الهم والحزن: "أن الهم توقع الشر في المستقبل والحزن التألم على حصول المكـروه في الماضي أو فوات المحبوب وكلاهما تألم وعذاب يرد على الروح فإن تعلق بالماضي سمي حزناً وإن تعلق بالمستقبل سمي هماً". (المرجع نفسه، ج٢، ص٢٠٧).

(٢) سبق تعريفها، ص٥٧٤.

(٣) أي: ذات لَمَم، واللَّمَم : طرف من الجنون يعتري الإنسان. (ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج٤، ص٢٧٢، مادة: (لمم)).

(٤) أي: الوصول إليه . (المرجع نفسه، ج٢، ص١١٤، مادة (درك)).

(٥) "أي شدَّته ومشقَّته". (نفسه، ج٥، ص٢٠٦، مادة: (وعث)).

(٦) أي : الرجوع عمَّا كان عليه من الخير. (ابن عبد البر، **التمهيد**، مرجع سابق، ج٢٤، ص٣٥٣).

(٧) السعدي، **المجموعة الكاملة لمؤلفاته**، مرجع سابق، ج٥ ، مج٢، ص٤٩٠ .

مترددًا لا يدري ما يفعل . فكان من حكمة الله تعالى أن شرع الاستخارة؛ ليخلص الإنسان من الحيرة التي تنـــزل به، والقلق الذي أوشك أن يسيطر عليه، والتخوف مـــن المســـتقبل المجهول، وذلك بتسليم الأمر كله لله، والخروج من الحَـــول والطَـــوْل، والالتجـــاء إليـــه سبحانه[1].

والاستخارة رواها جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَـــا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ يَقُولُ: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِـــالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ . ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْـــتَخِيرُكَ بِعِلْمِـــكَ، وَأَسْـــتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَـــلامُ الْغُيُوبِ . اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْـــرِي -أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ . وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاصْـــرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ»[2].

«فإذا انشرح قلب المستخير بعد الاستخارة، ومالت نفسه إلى فعل الشيء من غير هوى ولا تشهِّي، أقبل عليه وفعله مستعينًا بالله تعالى، راضيًا بما يختاره له سبحانه، فإن الخير فيه إن شاء الله تعالى، وإن انقبضت نفسه عن فعل الشيء تركه من غير أسف عليه، مفوِّضًا أمـــره إلى الله تعالى»[3].

---

(١) حسن عبد الغني أبو غدة، "دع التردد وبادر بالاستخارة"، في "الدعوة"، مؤسسة الدعوة الإسلامية الصـــحفية، الرياض: العدد، ١٨٨٩، (٢٢/صفر/١٤٢٤هـــ)، ص٥٣.

(٢) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، ج٢، ص٦٤، ح١١٦٢؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب ما جاء في صلاة الاســـتخارة، ج٢، ص٣٤٥-٣٤٦، ح٤٨٠؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب كيف الاستخارة، ج٦، ص٣٨٩، ح٣٢٥٣؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب في الاستخارة، ج٢، ص١٨٧-١٨٨، ح١٥٣٨؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الاستخارة، ج١، ص٤٤٠، ح١٣٨٣.

(٣) حسن أبو غدة، ، في "الدعوة"، مرجع سابق، العدد: ١٨٨٩، (٢٢/صفر/١٤٢٤هـــ)، ص٥٣.

وإذا فوَّض العبدُ أمرَه «إلى ربه ورضي بما يختاره له أمدَّه فيما يختاره له بـــالقوة عليـــه والعزيمة والصبر، وصرف عنه الآفات، التي هي عرضة اختيار العبد لنفسه، وأراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه، بما يختاره هو لنفسه»[1].

والإسلام بهذا التشريع قضى عمليـــًّا على الطريقة الجاهلية في طلب الفعل والترك وهي الاستقسام بالأزلام ونحوها من الأساليب، وعوَّض الأمة الإسلامية ببديل شرعي كله توحيد وتوكل .

المطلب الثالث : الشورى :

١- التعريف اللغوي[2] والاصطلاحي :

شاورَه، واستَشاره: طلب منه المشورة. وأشار يشير: إذا وَجَّه الرأي . وفلان خَـــيِّـــرٌ شَـــيِّـــرٌ : أي يصلُح للمُشاورَة . وأشار إليه وشَوَّر : أَوْمَأ . وأشار عليه بكذا : أمَرَه .

والشورى في الاصطلاح:

أ-قال ابن العربي: «إن المشاورة هي الاجتماع على الأمر ليستشير كلٌّ واحد منهم صاحبه ويستخرجَ ما عنده»[3] .

ب-وعرَّفها الخيَّاط بأنها: «استخراج الرأي من أهل الرأي، ومراجعة البعض للبعض، وذلك بعرض الأمر على من عندهم القدرة على بيان الرأي، ويرتجى منهم الوصول إلى الصواب»[4]. وهو التعريف المختار لدى الباحث .

٢- الشورى في القرآن الكريم :

(الشورى) اسم حملته إحدى سور القرآن، granted وورد هذا الاسم ومشتقاته في القرآن الكريم في ثلاث آياتٍ كريمات، وجاءت آيات أُخر لا تحمل لفظ (الشورى) لكنَّها تؤدي معنى الشورى، وتزيد منها وضوحًا[5]؛ وفيما يلي عرض للآيات الثلاث :

---

(١) ابن القيم، **الفوائد**، مرجع سابق، ص٢٤٧.

(٢) ابن منظور، مرجع سابق، ج٤، ص٤٣٦-٤٣٧، مادة: (شور)؛ والفيروزآبادي، مرجع سابق، ص٥٤٠، مادة: (شور).

(٣) مرجع سابق، ج١، ص٣٨٩.

(٤) عبد العزيز الخياط، **وأمرهم شورى**، (عمّان، مؤسسة آل البيت،١٩٩٣م)، ص٥.

(٥) عدنان علي رضا النحوي، **ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية**، ط٢، (د.م، د.ن، ١٤٠٤هـــ)، ص٤١.

أ- قـال تعالى : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾[١].

أي: إن أراد والد المولود ووالدته، فصال ولدهما قبل الحولين، أي : فطامه ومنعه اللبن، إلى الاغتذاء بالأقوات التي يغتذي بها الكبير، فلا حرج عليهما، إذا كان عن تراض منهما، وتشاور بينهما فيما يؤدي إلى صلاح الصغير[٢].

ب- قال الله – سبحانه – مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[٣] .

تبرز أهمية الشورى في هذه الآية، حيث أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يستشير أصحابه ﷺ، «مع ما تكفل به من إرشاده وعونه وتأييده»[٤]، ومع أنه ﷺ أكمل الخلق عقلاً، وإدراكًا، ووعيًا، وفهمًا، ومعرفة، وخبرة بالأمور[٥].

وقد نزلت هذه الآية ضمن آيات، عقب معركة أحد[٦]، وكان النبي ﷺ قد استشار الناس قبل المعركة، وكان رأيه ﷺ ألا يخرج إلى قريش عند أُحد، بل يبقى في المدينة فإن دخلوها حاربهم فيها ﷺ، بينما رأى كثير من الناس الخروج، فخرج ﷺ نزولاً لرأيهم، وقد أصاب رأيــُهُ ﷺ وأخطأوا، ومع ذلك نزلت الآية آمرة له بالمشورة، وفي هذا دليل على أهميتها، وعظم شأنها.

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢٣٣.

(٢) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج٥، ص ٦٧-٧١؛ ومحمد القرطبي، مرجع سابق، ج٣، ص ١١٣.

(٣) سورة آل عمران، من الآية: ١٥٩.

(٤) علي بن محمد بن حبيب الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، ط٢، (القـاهرة، الـدار المصرية اللبنانية، ١٤١١هـ)، ص٣٥٩.

(٥) عبد القادر بن شيبة الحمد، **تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما لحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل**، (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٤هـ)، ج٣، ص١٠٨.

(٦) ينظر في سبب النـزول: علي بن أحمد الواحدي، **كتاب أسباب النـزول**، (بـيروت، المكتبـة العصـرية، ١٤٢١هـ)، ص٦٨.

ج- قال تعالى عن عباده المؤمنين : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[1]. قال الطبري : «إذا حزبهم أمر تشاوروا بينهم»[2] . وقد جاءت هذه المنقبة للمؤمنين في سياق مناقب وصفات أُخر لهم في قوله تعالى : ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾[3] .

وفي هذا دليل على أهمية الشورى؛ حيث ذكرها الله -سبحانه- مع الإيمان، وبين الصلاة والزكاة[4]، وفيه إشارة إلى أهمية تحلي هؤلاء المتشاورين بهذه الصفات[5] .

فهذه المواضع الثلاثة من كتاب الله تعالى وردت فيها كلمة (الشورى) ومشتقاتها، وقد شرع الله سبحانه «بهاته الآيات المشاورة في مراتب المصالح كلها: وهي مصالح العائلة ومصالح القبيلة أو البلد، ومصالح الأمَّة»[6] .

٣- الشورى في السيرة النبوية :

جاءت سيرة النبي ﷺ حافلة بتطبيقات الشورى في الأمور المدنية والعسكرية، «وَيُرْوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مَشُورَةً لأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[7]، وقد

---

(١) سورة الشورى، من الآية: ٣٨.

(٢) **جامع البيان**، مرجع سابق، ج٢١، ص٥٤٦.

(٣) سورة الشورى، الآيات: ٣٦- ٣٩ .

(٤) أحمد بن علي الرازي الجصاص، **أحكام القرآن**، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، (بيروت، إحياء التراث العربي، ١٤١٢هـ)، ج٥، ص٢٦٣، ولم يذكر (الزكاة)؛ وعلي بن سعيد الغامدي، **فقه الشورى: دراسة تأصيلية نقدية**، (الرياض، دار طيبة، ١٤٢٢هـ)، ص٢٣٥، ولم يذكر (الإيمان) .

(٥) النحوي، مرجع سابق، ص٤٥؛ وذَكَرَ أحمد بن الزبير الغرناطي: أن الآيات تضمنت اثني عشر مطلوبًا. (**ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، تحقيق محمود كامل أحمد، (بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ)، ج١، ص١٨٤) .

(٦) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج٤، ص ١٤٧-١٤٨.

(٧) ذكره الترمذي، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب ما جاء في المشورة، ج٤، ص١٨٦، ح ١٧١٤؛ وقال ابن حجر: "ورجاله ثقات إلا أنه منقطع". (**فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٣، ص٣٥٢)؛ ورواه أحمد مرسلاً في أثناء حديث طويل، **المسند**، مرجع سابق، ج٣١، ص٢٤٤، ح١٨٩٢٨، وقال ابن حجر: "وهذا القدر حذفه البخاري لإرساله لأن الزهري لم يسمع من أبي هريرة". (**فتح الباري**، مرجع سابق، ج٥، ص٣٩٣).

ذَكَرَ أحد الباحثين: أن الرسول ﷺ طبّق الشورى العسكرية إحدى وعشرين مرة، في تسع غزوات، ضمَّت ألوانًا شتى من الشورى[1]، واستشار ﷺ في فراق زوجه حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا، وفي عقوبتهم والاستنصار عليهم، قبل أن ينـــزل القرآن في شأنهم، واستشار ﷺ في إعلام الصلاة، قبل تشريع الأذان، إلى غيرها من أمثلة كثيرة.

٤ الشورى لدى خليفتي رسول الله ﷺ: أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما :

دَأَبَ الصحابة رضي الله عنهم على اتباع سنة نبيهم ﷺ في أمر الشورى، وأول ما تشاوروا فيه رضي الله عنهم بعد وفاة النبي ﷺ هو تعيين خليفة لرسول الله ﷺ يخلفه على شؤون الناس، فاجتمعوا على بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

والمتتبع لسيرة الخلفاء منهم رضي الله عنهم –وبخاصة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما– يجد بوضوح شواهد كثيرة على التزامهم الشورى في شؤون البلاد والعباد، قال البخاري: "وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداءً بالنبي ﷺ"[2].

وفيما يأتي عرضٌ لبعض وقائع الشورى لدى الخليفتين الراشدين أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما :

أ- أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ذا علم عميق بالكتاب والسنة، وملازمةٍ للنبي ﷺ قبل الهجرة وبعدها، وفقه عميق للأحكام، وصفاء في الذهن، ومع ذلك كان كثير الاستشارة، فعن ميمون بن مهران قال : "كَانَ أَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنه - إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ الْخَصْمُ نَظَرَ فِي كِتَابِ اللَّه، فَإِنْ وَجَدَ فيه مَا يَقْضِي بَيْنَهُمْ، قَضَى بِه، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْكِتَاب، وَعَلِمَ مِنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ فِي ذَلِكَ الأَمْرِ سُنَّةً، قَضَى بِهِ، فَإِنْ أَعْيَاهُ، خَرجَ فَسَأَلَ الْمُسْلِمِينَ وقَالَ: أَتَانِي كَذَا وَكَذَا، فَهَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَضَى فِي ذَلِكَ بِقَضَاءٍ؟ فَرُبَّمَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّفَرُ كُلُّهُمْ يَذْكُرُ مِنْ

---

(١) محمود شيت خطّاب، "الشورى العسكرية في الإسلام"، ندوة "الشورى في الإسلام"، (عَمَّـــان، مؤسســـة آل البيت، ١٩٨٩م)، ج٣، ص ٩٣٧.

(٢) **الصحيح**، بغير إسناد، مرجع سابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب وأمـــرهم شـــورى بينـــهم، ج٨، ص٢٠٥ .

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فيه قَضَاءً. فَيَقُولُ أَبُو بَكْرٍ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِينَا مَنْ يَحْفَظُ عَلَى نَبِيِّنَا ﷺ، فَإِنْ أَعْيَاهُ أَنْ يَجِدَ فيه سُنَّةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، جَمَعَ رُءُوسَ النَّاسِ وَخِيَارَهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَإِذَا اجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَمْرٍ، قَضَى بِهِ»[1] .

وفيما يأتي مثال من شورى الصديق ﷺ، وهو شوراه فيمن يلي الخلافة من بعده:

«لما ثقل أبو بكر واستبان له من نفسه. جمع الناس إليه فقال: إنه قد نزل بي ما قد ترون، ولا أظني إلا ميت لما بي. وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم، فأمِّروا عليكم من أحببتم، فإنكم إن أمرتم عليكم في حياةٍ منِّي كان أجدرَ أن لا تختلفوا بعدي. فقاموا في ذلك، وخلوا عليه فلم تستقم لهم، فرجعوا إليه فقالوا: رأينا يا خليفة رسول الله رأيك. قال: فلعلكم تختلفون. قالوا: لا. قال: فعليكم عهد الله على الرِّضى، قالوا : نعم . قال : فأمهلوني حتى أنظر لله ولدينه ولعباده. فأرسل أبو بكر إلى عثمان بن عفان فقال: أشِرْ عليَّ برجل، ووالله إنك عندي لها لأَهْلٌ وموضع. فقال: عمر. فقال: اكتب. فكتب حتى انتهى إلى الاسم فغُشِيَ عليه. ثم أفاق. فقال: اكتب عمر»[2].

ورُوي من طرق ضعيفة استشارته لآخرين غير عثمان من المهاجرين والأنصار ﷺ[3].

ومن دروسه المستقبلية ما يأتي :

- كان لأبي بكر ﷺ أن يقول: مات رسول الله ﷺ و لم يُولِّ، ولكنَّ درس التاريخ علَّمه؛ فقد كادت الأمَّة أن تختلف على الخليفة وتفترق ولَّما يُلْحَد النبي ﷺ، فلم يهنأ حتى عهد -بعد المشورة- لخليفة على المسلمين يكون من بعده؛ ليحسم مادة الخلاف، ويَمنع

---

(١) الدارمي، مرجع سابق، المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة، ج١، ص٢٦٢، أثر١٦٣؛ والبيهقي، **السنن الكبرى**، مرجع سابق، كتاب آداب القاضي، باب ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي...، ج١٠، ص١٩٦، أثر٢٠٣٤١؛ وصحح إسناده ابن حجر. (**فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٣، ص٣٥٤). لكنه مرسل.

(٢) عمر بن شبّة النميري البصري، **تاريخ المدينة المنورة**، تحقيق فهيم محمد شلتوت، (قم:إيران، دار الفكر، د.ت)، ج٢، ص٦٦٥-٦٦٦؛ وابن الجوزي، **مناقب عمر بن الخطاب**، تحقيق سعيد محمد اللحَّام، (بيروت، دار الهلال، ٢٠٠٣م)، ص٧١. أورداه عن الحسن البصري مرسلاً بغير إسناد .

(٣) أكرم ضياء العمري، **عصر الخلافة الراشدة : محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين**، (المدينة النبوية، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٤هـ)، ص٤٨ .

شرارة نار الفُرقة، حتى إذا قُبض بايع الناس عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سكينة وثبات من الأمر واستتباب في الأمن .

قال ابن خلدون : للإمام النَّظر في مصالح الأُمَّة في حياته، ويتبع ذلك أن ينظر لها بعد مماته، ويقيم لها من يتولى أمورها كما كان هو يتولاها، وهذا جائز ومنعقد بإجماع الأمة(١).

وفِعْل أبي بكر هذا يُعد من أولياته رضي الله عنه ، ومضى سُنَّة لمن بعده، وفيه من النظر المستقبلي لمصلحة الأمة ما هو ظاهرٌ بيِّن .

● وكان لأبي بكر رضي الله عنه أن يولِّيه من غير مشورة، ويَمضي فيه برأيه، وقد عَلِمَه من خيرة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو القائل فيه لما قيل له : «ماذا تقول لِربِّك وقد استخلفت علينا عمر. فقال : أقول استخلفت عليهم خير أهلك»(٢)، ولكن ما كان لِـيَختم عمله باستبداد من الرأي، وكتابه القرآن وسنته سنة خير الأنام صلى الله عليه وسلم، وسيرته في الخلافة قائمة على الشورى.

● يُعدُّ من فراسة أبي بكر رضي الله عنه اختياره عمر رضي الله عنه للخلافة، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «أفرس الناس ثلاثة : العزيز حين قال لامرأته: «أكرمي مثواه»، والقوم فيه زاهدون= وأبو بكر حين تفرس في عمر فاستخلفه= والمرأة التي قالت : «يا أبتِ استأجره»»(٣) . ولقد صدَّق التاريخ فراسته في عمر -رضي الله عنهما- فلم يُر عبقري يفري فريه .

ب- عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

برزت الشورى في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشكل كبير؛ وذلك لطول مدة خلافته مقارنة بخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولاتساع الفتوحات في عهده، ووقوع النوازل، والحاجة إلى التطوير والتنظيم؛ فجاءت سيرته مليئة بتطبيقات الشورى، حتى قال الشعبي: «إذا اختلف

---

(١) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج٢، ص٦١١.

(٢) ابن سعد، مرجع سابق، ج٣، ص١٩٩؛ وقال ابن حجر : "رجاله ثقات"، **المطالب العالية**، مرجع سابق، ج٣٠، ص٧٥٧، أثر ٣٨٨٩؛ وحسَّنه الألباني، **إرواء الغليل**، مرجع سابق، ج٦، ص٨٠.

(٣) ابن أبي شيبة، مرجع سابق، تحقيق مختار أحمد الندوي، (الهند، الدار السلفية، ١٤٠٣هـ)، كتاب المغازي، باب ما جاء في خلافة عمر بن الخطاب، ج١٤، ص٥٧٤، اثر١٨٩٠٤؛ والطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٦، ص١٩، أثر١٨٩٥١؛ والطبراني، **المعجم الكبير**، مرجع سابق، ج٩، ص١٨٥، أثر ٨٨٢٩، ٨٨٣٠؛ وقال الهيثمي عن إسنادي الطبراني: "رجال أحدهما رجال الصحيح إن كان محمد بن كثير هو العبدي وإن كان هو الثقفي فقد وثق على ضعف كثير فيه". (**مجمع الزوائد**، مرجع سابق، طبعة دار الريان، ج١٠، ص٢٦٨).

الناسُ في أمرٍ فانظر كيف قضى فيه عمرُ فإنَّه لم يكن يقضي في أمرٍ لم يُقْضَ فيه قَبْله حتى يشاور»[1]. وتَوَسَّعَ رضي الله عنه في الشورى حتى أشرك الكهول والشباب بل والنساء، قال ابن عباس -رضي الله عنهما- :«...وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّانًا...»[2]. وقال محمد بن سيرين: «إن كان عمر -رضي الله عنه- ليستشير في الأمر حتى إن كان ليستشير المرأة فربما أبصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذ به»[3].

وسيَعرض الباحث فيما يلي مثالاً واحدًا لتطبيق الشورى في عهد عمر رضي الله عنه وهو استشارته في (أرض السَواد)؛ لِمَا تضمنه من دروس في النظرة والإدارة المستقبلية بالإضافة إلى قضية الشورى :

لَمَّا فتح المسلمون العراق وغنموا علوجها[4]، وأموالها المنقولة، وأراضيها الزراعية بعث سعدُ بن أبي وقاص رضي الله عنه يستأذن عمر رضي الله عنه في تقسيم الغنائم، وفي هذا يقول أبو يوسف : «وحدثني غير واحد من علماء أهل المدينة قالوا : لما قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشُ العراق من قِبل سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه شاور أصحابَ محمد ﷺ في تدوين الدواوين... وشاورهم في قسمة الأرضين التي أفاء الله على المسلمين من أرض العراق والشام، فتكلم قوم فيها وأرادوا أن يقسم لهم حقوقهم وما فتحوا . فقال عمر رضي الله تعالى عنه: فكيف بمن يأتي من المسلمين فيجدون الأرض بعلوجها قد اقتسمت وورثت عن الآباء وحيزت، ما هذا برأي. فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه: فما الرأي، ما الأرض والعلوج إلا مما أفاء الله عليهم . فقال عمر : ما هو إلا كما تقول ولست أرى ذلك، والله لا يفتح بعدي بلد فيكون فيه كبير نيل بل عسى أن يكون كَلاًّ على المسلمين. فإذا قسمت أرض العراق بعلوجها، وأرض الشام بعلوجها، فما يسد به الثغور وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أرض الشام والعراق ؟ فأكثروا على عمر رضي الله

---

(١) ابن سعد، مرجع سابق، ج٢، ص٣٣٦؛ وأبو نعيم، **حلية الأولياء**، مرجع سابق، ج٤، ص٣٢٠، وعنده: (صنع ويَصنع) بدل (قضى ويُقض) .

(٢) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، ج٥، ص٢٣٥، ح٤٦٤٢.

(٣) البيهقي، **السنن الكبرى**، مرجع سابق، كتاب آداب القاضي، باب من يشاور، ج١٠، ص١٩٣، أثر٢٠٣٣٢ .

(٤) "العِلْج : الرجل من كفار العجم" . (ابن منظور، مرجع سابق، ج٢، ص٣٢٦، مادة: (علج)).

تعالى عنه وقالوا: أتقف ما أفاء الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا و لم يشهدوا، ولأبناء القوم ولأبناء أبنائهم و لم يحضروا ؟ فكان عمر ﷺ لا يزيد على أن يقول : هذا رأي . قالوا : فاستشر. قال فاستشار المهاجرين الأولين، فاختلفوا. فأما عبد الرحمن بن عوف ﷺ فكان رأيه أن تقسم لهم حقوقهم، ورأي عثمان وعلي وطلحة وابن عمر ﷺ رأي عمر . فأرسل إلى عشرة من الأنصار، خمسة من الأوس وخمسة من الخزرج من كبرائهم وأشرافهم. فلما اجتمعوا حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : إني لم أزعجكم إلا لأن تشتركوا في أمانتي فيما حملت من أموركم، فإني واحد كأحدكم وأنتم اليوم تقرون بالحق، خالفني من خالفني ووافقني من وافقني، ولست أريد أن تتبعوا هذا الذي هواي، معكم من الله كتاب ينطق بالحق، فوالله لئن كنت نطقت بأمر أريده ما أريد به إلا الحق . قالوا : قل نسمع يا أمير المؤمنين قال : قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أني أظلمهم حقوقهم . وإني أعوذ بالله أن أركب ظلمًا، لئن كنت ظلمتهم شيئًا هو لهم وأعطيته غيرهم لقد شقيت . ولكن رأيت أنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى، وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعلوجهم فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله، وأخرجت الخمس فوجهته على وجهه وأنا في توجيهه، وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج(١) وفي رقابهم الجزية(٢)، يؤدونها فتكون فيئًا للمسلمين : المقاتلة والذرية ولمن يأتي بعدهم . أرأيتم هذه الثغور لابد لها من رجال يلزمونها، أرأيتم هذه المدن العظام -كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر- لا بد لها من أن تشحن بالجيوش، وإدرار العطاء عليهم . فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرضون والعلوج ؟ فقالوا جميعًا : الرأي رأيك، فنعم ما قلت وما رأيت، إن لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال وتجري عليهم ما يتقوون به رجع أهل الكفر إلى مدنهم . فقال : قد بان لي الأمر فمن رجلٌ له جزالة وعقل يضع الأرض مواضعها، ويضع على العلوج ما يحتملون ؟ فاجتمعوا له على عثمان بن حنيف...»(٣).

---

(١) الخراج: هو "ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها ". (علي بن محمد بن حبيب الماوردي، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ)، ص١٨٦.

(٢) الجِزْية: "عبارة عن المال الذي يُعْقَد للكتَابي عليه الذِّمَّة". (ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج١، ص٢٧١، مادة: (جزا)؛ وينظر: الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص١٩٥، مادة: (جزا)) .

(٣) أبو يوسف، **كتاب الخراج**، تحقيق أحمد محمد شاكر، (بيروت، دار المعرفة، د.ت)، ص ٢٤-٢٦.

وقال أبو يوسف: "وحدثني محمد بن إسحاق عن الزهري أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه استشار الناس في السواد حين افتتح، فرأى عامتهم أن يقسمه، وكان بلال بن رباح من أشدهم في ذلك وكان رأي عمر رضي الله تعالى عنه أن يتركه ولا يقسمه. فقال اللهم اكفني بلالاً وأصحابه، ومكثوا في ذلك يومين أو ثلاثة أو دون ذلك، ثم قال عمر رضي الله تعالى عنه: إني قد وجدت حجة، قال الله تعالى في كتابه: ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[1]. حتى فرغ من شأن بني النضير، فهذه عامة في القرى كلها. ثم قال: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[2]. ثم قال: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[3] ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾. فهذا فيما بلغنا والله أعلم للأنصار خاصة. ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[4] فكانت هذه عامة لمن جاء من بعدهم. فقد صار هذا الفيء بين هؤلاء جميعًا فكيف نقسمه لهؤلاء وندع من تخلف بعدهم بغير قسم، فأجمع على تركه وجمع خراجه"[5].

---

(١) سورة الحشر، الآية : ٦.

(٢) سورة الحشر، الآية : ٧.

(٣) سورة الحشر، الآية :٨.

(٤) سورة الحشر، الآية : ٩.

(٥) أبو يوسف، مرجع سابق، ص ٢٦-٢٧؛ ورواه عبد الرزاق بن هَمَّام الصنعاني، **المصنف**، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، (جنوب إفريقيا، المجلس العلمي، ١٣٩٢هـ)، كتاب الزكاة، باب قسم المال، ج٤، ص١٥١-١٥٢، أثر٧٢٨٧، وكتاب الجامع، باب الديوان، ج١١، ص١٠١-١٠٢، أثر٢٠٠٤٠ ؛ وابن أبي شيبة، مرجع سابق، طبعة الدار السلفية، كتاب الجهاد، باب ما قالوا في الفيء لمن هو من الناس، ج١٢، ص٣٥١-٣٥٢، أثر١٣٠٦٣؛ والبيهقي، **السنن الكبرى**، مرجع سابق، كتاب قسم الفيء والغنيمة، باب ما جاء في قول أمير المؤمنين عمر ﷺ...، ج٦، ص٥٧١-٥٧٢، أثر١٣٠٠٢، و١٣٠٠٣؛ وحسَّن الألباني إسناد الرواية الأولى للبيهقي، وصحح إسناد الثانية. (**إرواء الغليل**، مرجع سابق، ج٥، ص٨٤- ٨٥).

ومن هذا أنَّ عمر ﷺ قال : «أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، لَوْلا أَنْ أَتْرُكَ آخرَ النَّاسِ بَبَّانًا[1] لَيْسَ لَهُمْ شَيْءٌ مَا فُتِحَتْ عَلَيَّ قَرْيَةٌ إِلا قَسَمْتُهَا كَمَا قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْبَرَ، وَلَكِنِّي أَتْرُكُهَا خِزَانَةً لَهُمْ يَقْتَسِمُونَهَا»[2].

وقوله ﷺ : «لَوْلا آخِرُ الْمُسْلِمِينَ مَا فَتَحْتُ قَرْيَةً إِلا قَسَمْتُهَا بَيْنَ أَهْلِهَا كَمَا قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْبَرَ»[3].

وعن عمرو بن ميمون قال: «رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامٍ بِالْمَدِينَةِ وَقَفَ عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ قَالَ : كَيْفَ فَعَلْتُمَا ؟ أَتَخَافَانِ أَنْ تَكُونَا قَدْ حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لا تُطِيقُ ؟ قَالا : حَمَّلْنَاهَا أَمْرًا هِيَ لَهُ مُطِيقَةٌ، مَا فِيهَا كَبِيرُ فَضْلٍ . قَالَ : انْظُرَا أَنْ تَكُونَا حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لا تُطِيقُ . قَالا : لا . فَقَالَ عُمَرُ : لَئِنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ لأَدَعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ لا يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا . قَالَ فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلا رَابِعَةٌ حَتَّى أُصِيبَ»[4] .

فوائد هذه الواقعة في النظر المستقبلي :

تضمَّنت هذه الواقعة دروسًا عميقة ومتنوعة في الاستشراف ووسائله، أبرزها ما يأتي:

● «قال أبو يوسف: والذي رأى عمر ﷺ من الامتناع من قسمة الأرضين بين من افتتحها عند ما عرَّفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك توفيقًا من الله كان له فيما صنع، وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين، وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم، لأن هذا لو لم يكن موقوفًا على الناس في الأعطيات والأرزاق لم تشحن الثغور ولم تقو الجيوش على السير في الجهاد، ولما أمن رجوع أهل الكفر إلى مدنهم إذا خلت من المقاتلة والمرتزقة، والله أعلم بالخير حيث كان»[5] .

---

(١) بَبَّانًا :"بموحدتين مفتوحتين الثانية ثقيلة وبعد الألف نون ... البَبَّان المعدم الذي لا شيء له... قال الطبري:... فالمعنى لولا أن أتركهم فقراء معدمين لا شيء لهم أي متساوين في الفقر" . (ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج ٧، ص٥٦٠-٥٦١) .

(٢) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ج٥، ص٩٦، ح٤٢٣٥.

(٣) البخاري، المرجع نفسه، كتاب الحرث والمزارعة، باب أوقاف أصحاب النبي ﷺ وأرض الخراج ومزارعتهم ومعاملتهم،ج٣، ص٩٧، ح ٢٣٣٤؛ وأبو داود، مرجع سابق،كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب ما جاء في حكم أرض خيبر، ج٣، ص٤١٥، ح٣٠٢٠ .

(٤) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان ﷺ، ج٤، ص٢٤٥، ح ٣٧٠٠.

(٥) مرجع سابق، ص ٢٧.

• لم يكن التفكير في أمر المستقبل -بعيد المدى- غائبــًا عن الصحابة ﷺ وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل ﷺ ، بل كان حاضرًا في تفكيرهم وعملهم، ولم يرو أن العمل للمستقبل ينافي التوكل، أو ينافي الإيمان بالقَدَر، أو يعارض ما تكفل الله به مِن جعل رزق عباده إليه؛ وهكذا ينبغي على المسلم عندما يُعمِل رأيه في مسألة أن ينظر في مستقبلها كما ينظر إلى حالها الحاضر، ويربط المسببات بأسبابها، ويعمل في ضوء سنن الله الكونية، مع عمله بأحكامه الشرعية .

• يتضح من الروايات الواردة أنَّ عمر ﷺ استشار أولاً، ثمَّ وسَّع الشورى بإشراك المهاجرين الأولين، فصار هناك رأيان، فأدخل في الشورى عشرة من الأنصار من كبرائهم وأشرافهم؛ لترجيح أحد الرأيين، وكان بين شورى وأُخرى تمحيص للرأي ومراجعة له وعرض له على كتاب الله تعالى، وهذه الطريقة فيها شَــبَهٌ كبير بأسلوب التشاور المتميز (دلفي) المستخدم في الدراسات المستقبلية، من حيث عرض الشورى أكثر من مرة، وإعطاء فرصة للتروي والبحث، واستخدام طريقة للتَّرجيح.

• بعد أن استقر الرأي على عدم قسمة الأرض، جاء بعدها مباشرة الاستشارة عن وسيلة التنفيذ: عن الرجل المقتدر على وضع الأرض مواضعها، ويضع على العمال ما يحتملون[1]، وهذا أمر تُغفله بعض الدراسات المستقبلية، فتقتصر على التشاور في القضية المباشرة، وتُهمل وسيلة التنفيذ، أو تَستأثر بها برأي فردي دون إدخالها في عملية التشاور .

• ظَهَرَ التزام الجميع بالمنهج الرباني قرآنــًا وسنة، وهذه القاعدة هي منطلق الشورى، وهي قوة لها وحماية، ومصدر توجيه ونماء[2]، وليست الشورى إبداء ما يميل إليه الإنسان ويهواه من غير تدبر لما يريده الله تعالى من عباده، ويرضاه لهم، وما لا يريده، ويكرهه لهم، «لقد مارس المسلمون في هذه القضية إيمانهم كله وعلمهم كله، ولم يمارسوا جزئية واحدة فحسب. مارسوا إيمانهم وعلمهم على تناسق وتكامل، وعلى حب وصفاء، وعلى قوة ومضاء وبقوا صفــًا واحدًا، وأمة واحدة، وحزبًا واحدًا، ﷺ أجمعين»[3].

---

(١) الغامدي، مرجع سابق، ص١٥٩.

(٢) النحوي، مرجع سابق، ص٣١٠.

(٣) المرجع نفسه، ص٣١٢.

• "نظر عمر بن الخطاب ﷺ إلى مستقبل الأمة الإسلامية وأجيالها القادمة، فرأى أن كثيرًا منها سيقع في شظف العيش والحرمان ، إذا ما قسمت تلك الأراضي المفتوحة عنوة ووزعت على الفاتحين . ولهذا رأى عدم التقسيم ، ووقف الأرضين ، وضرب الخراج عليها ليكون موردًا ماليـًا ثابتـًا للأجيال القادمة"[1]؛ حيث أدرك ﷺ أنّ مصلحة الأمة الإسلامية في المستقبل منوطة بالموارد المتاحة، وأنه يجب ألا تستهلك جميع الموارد في جيل واحد، فرفض توزيع الأراضي، بل تركها لتكون مصدرًا مستقبلـيًّا للدخل للأجيال القادمة[2]، والإنفاق منها على حماية الثغور، وهذا من الفقه المستقبلي .

وفي هذا يروي أبو عبيد: أنه لما فُتحت مصر كتب عمرو بن العاص ﷺ إلى عمر ﷺ في قَسْمها، "فكتب إليه عمر : أن دَعْهَا حتى يغزو منها حَبَلُ الـحَبَلة[3] .

قال أبو عبيد: أُراه أراد: أن تكون فيئًا موقوفًا للمسلمين ما تناسلوا، يرثه قَرْنٌ عن قرن، فتكون قُوة لهم على عدوّهم"[4].

ورحم الله أبا بكر ﷺ عندما وصف عمر ﷺ بقوله :"يَرْصُد لما هوَ آتٍ عَتَادَه من الحذر والطاعة"[5].

• أدى فِعل عمر ﷺ إلى "توزيع الثروة وعدم حصرها في فئة معينة : كما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡ ﴾[6] وقد أشار معاذ بن جبل ﷺ على عمر ﷺ، لما رأى إصرار بعض الصحابة على التقسيم بقوله"[7] : "والله إذا ليكونن ما تكره، إنك

---

(١) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**، ط٢، (الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٠هـ)، ج١٩، ص ٥٧ .

(٢) Sardar, **Islamic futures**, Op. Cit., P. 9.

(٣) أي : نجعلها وقفًا حتى يغزو من ريعه حَمْل الجنين الذي في بطن الناقة . "فالـحَبَل الأول يراد به ما في بُطون النُوق من الـحَمْل، والثاني حَبَلُ ما في بطون النوق". (ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج١، ص٣٣٤، مادة : (حبل)).

(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام، **كتاب الأموال**، تحقيق محمد عمارة، (بيروت، دار الشروق، ١٤٠٩هـ)، ص١٣٥-١٣٦، الأثر ١٤٩.

(٥) ابن شبّة، مرجع سابق، ج٢، ص ٦٦٧، وعنده: "والظلم" بدل "والطاعة"؛ وابن الجوزي، **مناقب عمر بن الخطاب**، مرجع سابق، ص٧٢. كلاهما عن عاصم بن عدي بغير إسناد .

(٦) سورة الحشر، من الآية: ٧.

(٧) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**، مرجع سابق، ج١٩، ص٥٧-٥٨ .

إن قسمتها صار الرَّبْع العظيم في أيدي القوم، ثم يَبيدون . فيصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة الواحدة، ثم يأتي من بعدهم قوم يَسُدُّون من الإسلام مَسَدًّا، وهم لا يجدون شيئًا، فانظر أمرًا يَسعُ أوَّلهم وآخرهم»[١] .

إن دوران الثروة بين الناس وعدم بقائها في أيدي أناس قلائل أمر كبير الجدوى للمجتمع؛ لأنه يُعلل من يصير بيده زمنًا ما فلا يبقى أحد محرومًا حرمانــًا دائمًا، ويحصل بذلك لطفُ التفادي من حسد الفاقد على الواجد، وعدم ثورانه عليه عند فقد الوازع[٢]، «فمن واجب ولاة الأمور تدقيقُ النظر في وسائل دوران الثروة وطرق توزيعها كما فعل عمر بن الخطاب لَــمَّا عَدَل عن قسمة أرض السواد...»[٣].

• «مع أن عمر رأى أن اجتهاده فيه بعد نظر ومصلحة عامة لم ينفرد برأيه بل وسع أمر الشورى ليعلم من بعده كيف يقع الاجتهاد للأمة وكيف يفكر في أمر المستقبل؟»[٤]، وهذا من عبقريته ﷺ فمع كونه أُعطي نظرًا مستقبليـــًّا ثاقبـــًا، تجلى ذلك في سيرته منذ أسلم إلى استشهاده، وموافقات القرآن له تشهد ببعض ذلك، فكان بإمكانه استخدام هذه الهبة الإلهية في اتخاذ قراراته، دون الرجوع إلى أحد، إلا أنه مع ذلك استطاع أن يُطبِّق أسلوبـــًا من أهم الأساليب في الدراسات المستقبلية، فجعل الشورى من أُسس الحكم عنده، وقاعدة متينة فيه، وهذا هو النظر الثاقب في الحقيقة .

٥- أهمية الشورى وعلاقتها بالمستقبل :

أ-«المشاورة أحد أصول السياسة الدينية بل هي أهم قواعدها... وقد اتفق العقلاء أن الطريق الوحيد للصلاح الديني والدنيوي هو طريق الشورى»[٥] .

ب-إذا كان أسلوب التشاور المتميز (دلفي) أحد الأساليب الرئيسة في الدراسات المستقبلية فإنه - في رأي الباحث - صورة من صور الشورى الإسلامية، طُوِّرتْ فيه وسائل الاتصال بالمستشارين، وفرز آرائهم، ومَكَّن لنجاحه مخترعات الاتصال والحساب الحديثة.

---

(١) أبو عبيد، مرجع سابق، ص١٣٦-١٣٧، الأثر ١٥٢.

(٢) ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص٣١٦-٣١٧ .

(٣) المرجع نفسه، ص٣١٧ .

(٤) الغامدي، مرجع سابق، ص١٥٨.

(٥) السعدي، **المجموعة الكاملة لمؤلفاته**، مرجع سابق، ج٥، مج ١، ص١٦٥-١٦٦.

يقول الغامدي: «الناظر في الأمثلة التي وقعت في عهد الرسول ﷺ وخلفائه يجد أن للشورى طرقًا متعددة، وذلك حتى لا تحرج الأمة، فإن العمل الشوري عمل اجتهادي وهو يطبق في حياة البشر، وهم يختلفون في أنماط حياتهم وتفكيرهم وفيما يعرض لهم من مشكلات.

ثم إن الظروف التي كانت تطبق فيها الشورى أيضًا مختلفة؛ فمنها ما يكفي فيه رأي القلة، ومنها ما يحتاج إلى توسيع الشورى وعرض الأمر بشكل عام، ومنها ما يحتاج إلى رأي فوري كالأمور الحاسمة، ومنها ما يكون الناس في سعة من الوقت، ويمكن أخذ آراء الناس على أصناف مختلفة، وهكذا مما يجعلنا نقول باطمئنان إن الأسلوب الذي كانت تجري به الشورى متنوع وليس ذلك في قالب معين بحيث لا تصح إلا به، وفي ذلك توسعة على الأمة»[(١)].

ويقول زيدان : يدل مجمل النصوص النبوية في موضوع الشورى «على أن الشريعة الإسلامية لم تنص على كيفية خاصة لتحقيق مبدأ الشورى، ومعنى ذلك أنها تركت تنظيم الشورى للأمة الإسلامية على النحو الذي يلائم ظروفها وأحوالها ويحقق مقصود الشورى ومعرفة رأي الأمة. وهذا في الحقيقة من حسنات الشريعة واحتياطها للمستقبل»[(٢)].

ج-أن الأمة التي تستند إلى قاعدة الشورى في إدارة شؤونها، واتخاذ قراراتها، أمةٌ مرجح لها البقاء والاستمرار، ما دامت تشارك في الحكم وتبدي الرأي[(٣)]. ولقد شهد التأريخ: أن أسعد فترات الأمة الإسلامية يوم طبقت شرع الله، وساد مبدأ الشورى حياتها، فكان الناس في بحبوحة من العيش ورغد في الحياة، كما أن أشقى فتراتها يوم بعدت الأمة عن شريعة الله، واستبدَّ الحكام بالأمر، وألغوا الشورى[(٤)] .

د-الشورى «أُلفةٌ للجماعة»[(٥)] ؛ «فالمجتمع الذي تطبق فيه الشورى على الطريقة الشرعية يشعر فيه الأفراد بإنسانيتهم ويحسون أنهم يحققون ذواتهم، ونجد أن ذلك المجتمع مترابط يسود

---

(١) مرجع سابق، ص١٨٩؛ ويُنظر: الخياط، مرجع سابق، ص١٧.

(٢) عبد الكريم زيدان، **أصول الدعوة**، ط٩، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٣هـ)، ص٢٢٥.

(٣) بتصرف: الخياط، مرجع سابق، ص١٢.

(٤) محمد أبو فارس، "ارتباط الشورى بالفتوى وقضايا الاجتهاد الجماعي"، في ندوة "الشورى في الإسلام"، مرجع سابق، ج٣، ص ٩٩٨؛ والغامدي، مرجع سابق، ص٦١.

(٥) ابن العربي، مرجع سابق، ج٤، ص٩١.

بين أفراده الإخاء والمحبة، وتلاحم الصفوف، والألفة والرحمة»[١]؛ وإذا توافرت تلك الخصال في المجتمع فقد حصل على أسس مهمة في صناعة مستقبله .

هـ-بالشورى يسلم الحاكم والقائد والإداري من تحمل المسؤولية وحده، عند وقوع أي خطأ في المستقبل؛ بسبب ضعف الرأي؛ ولذلك قال بعض العقلاء: «ما أخطأتُ قط؛ إذا حزبني أمرٌ شاورت قومي، ففعلت الذي يرون، فإن أصبت فهم المصيبون، وإن أخطأت فهم المخطئون»[٢]. وقال آخر: « مَن أكثرَ المشورة لم يعدم في الصواب مادحـًا، وفي الخطأ عاذرًا»[٣] . «وقال آخر: المشاوِر بين إحدى الحسنيين: صواب يفوزُ بثمرته أو خطأ يُشارك في مكروهه»[٤] . وقال آخر: «وإذا شاورتَ فأصبتَ أَحْمَدَ الجماعةُ رأيَكَ، لأنَّهم لنُفوسِهم يَحمَدُون، وإن أخطأتَ حَمَلَ الجماعةُ عَنْكَ، لأنَّهم عن نُفوسِهم يُكَافِحُونَ»[٥] .

وإذا تُركت الشورى، وظهر الخطأ، فإنه قد تعلو الأصوات، ويفترق الناس، ويختلفون، وتنشأ الفتن؛ لأنهم لم يُستشاروا، فحملّوا الخطأ المستبد بالرأي، وهم سالمون منه؛ وعلى هذا فالشورى ينتج عنها وحدة الصف، واجتماع الكلمة عند حدوث بعض دواعي التفرق والاختلاف في المستقبل.

و-القائد لا يولد قائدًا، بل لا بد له من التعلم، والمراس، والتجربة، وإنَّ مشاركته- وهو في مرحلة الإعداد – في الشورى، تُكسبه كثيرًا من صفات القيادة، وتُنمِّي فكره وقدراته؛ فالشورى تصنع القادة، وهي كالجامعة، تُخرِّج للمجتمع - في كل مرحلة- حاجته الإدارية من الموارد البشرية .

---

(١) الغامدي، مرجع سابق، ص٥٧؛ وينظر: السعدي، **المجموعة الكاملة لمؤلفاته**، مرجع سابق، ج٥، مج١، ص١٦٥.

(٢) نقَلَهُ ابن العربي، مرجع سابق، ج٤، ص ٩٢.

(٣) إبراهيم بن على الحصري القيرواني، **زهر الآداب**، تحقيق زكي مبارك، ط٤، (بيروت، دار الجيل، د.ت)، ج٣، ص٨٨١؛ ومحمد بن علي القلعي، **تهذيب الرياسة وترتيب السياسة**، تحقيق: إبراهيم يوسف عجو، (الزرقـاء: الأردن، مكتبة المنار، ١٤٠٥هـ)، ص١٨٥، نسبَاه للخليفة العباسي عبد الله بن المعتز .

(٤) المرجعان نفساهما، نسباه لبشار بن برد.

(٥) محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي، **سراج الملوك**، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٤هـ)، ج١، ص٣٢٣.

يقول السعدي معددًا فوائد المشاورة: «ومنها أن المشاورة تتنوَّر فيها الأفكار وتترقَّى فيها العقول والآراء لأنها تمرين للأذهان، واستعمالٌ للقوة العقلية فيما خُلقت له وهيئت، واقتباس بعضهم من آراء بعض»[1].

ز- «من أصول السياسة الراشدة أن يكون الإمام مطلعـًا على مطامح قومه وآمالهم، ومدى ما يتمتعون به من روح سامية وعزيمة ماضية، أو ما يعانونه من وهن وضعف في النفس، وتثاقل إلى الدُّون، وذلك كي يتبيَّن مظاهر القوة فيهم، فيفيد منها، ويوجهها الوجهة الصالحة، ولكي يعلم مكامن الضعف والقصور فيهم، فيعالجها بالحكمة والسبل الممكنة.

وخير سبيل للكشف عن ذلك كله، عقد مجالس التشاور والتحاور معهم، في كل ما من شأنه أن يستثير خفايا الرغائب، ويكشف عن الأفكار واتجاهاتها، والنفوس وأهوائها .

وإذا لم يعدم الإمام لباقة ورشدًا، فما أكثر ما يهديه سبيل هذا التشاور الدائم إلى أنواع من المخاطر، وما كان له أن يتنبه إليها، وإلى تيارات من الأفكار والوساوس الدخيلة، وما كان له أن يطَّلع عليها، لولا مجالس الشورى، واحتكاكه الدائم بأهلها»[2] .

ح-الشورى سبب إلى الرأي الصواب[3]؛ ولهذا قال الشعبي في الأمر المستجد: انظر كيف قضى فيه عُمرُ ﷺ فإنَّه كان يُشاوِر[4]، وقال عمر بن عبد العزيز: «إن المشورة والمناظرة بابا رحمة، ومفتاحا بركة، لا يضلّ معهما رأي، ولا يفقد معهما حزم»[5]، وقال الحسن البصري: «والله ما استشار قوم قط إلا هُدُوا لأفضل ما بحضرهم»[6].

فإذا كانت الشورى سببًا للوصول إلى أقرب الآراء إلى الصواب، فإنَّ الرأي يصبح قرارًا يأخذ حيِّز التنفيذ، وإنما تظهر آثاره ونتائجه في المستقبل طال أو قصر، حسب نوع القرار

---

(١) السعدي، **المجموعة الكاملة لمؤلفاته**، مرجع سابق، ج٥ ، مج١، ص١٦٥.

(٢) محمد سعيد رمضان البوطي، "خصائص الشورى ومقوماتها"، في ندوة "الشورى في الإسلام"، مرجع سابق، ج٢، ص٥٩٣-٥٩٤.

(٣) ابن العربي، مرجع سابق، ج٤، ص٩١.

(٤) ابن سعد؛ وأبو نعيم، سبق تخريجه، ص٦٠٩، حاشية ١.

(٥) الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، مرجع سابق، ص ٢٥٩.

(٦) البخاري، **الأدب المفرد**، مرجع سابق، باب المشورة، ص٦٤، أثر٢٥٩؛ وصحح إسناده الألباني، **صحيح الأدب المفرد**، ط٢، (الجبيل، دار الصديق، ١٤١٥هـ)، ص١١٤، ح١٩٥؛ ويُروى نحوه عن أنس بن مالك ﷺ، القلعي، مرجع سابق، ص ١٨٣-١٨٤.

ومُتعلَقه؛ فبالشورى نكون أقرب إلى كسب المستقبل، وبتركها قد نخسر المستقبل أو جـــزءًا منه .

ط-يُلحظ من أمثلة الشورى عند النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده ﷺ، أن الشورى ارتبطت باتخاذ القرارات، و لم تكن لاستشراف المستقبل فحسب، وهكذا ينبغي أن تكـــون الشورى في الدراسات المستقبلية الإسلامية، فيكون الحافز إليها اتخاذ قرارات، وقيام أعمال، وليس استشرافـــًا مجردًا .

المطلب الرابع: الـــمَشَاهد :

١-تعريف الـــمَشاهد :

قال الراغب : «الشُّهُود والشهادة: الـــحُضُور مع المشاهدة؛ إما بالبَصَر، أو بالبصيرة... ويقال للمَحْضَر: مَشهدٌ... وجمع مشهد: مَشاهدُ ... والشهادةُ: قول صادر عن علم حصل بمُشاهدة بصيرة أو بصر...»[١]أ.هـــ. وقد يُطلق على المشهد (رؤية)؛ إذْ الرُّؤْيـــة : «إدراك المرئي، وذلك اضربٌ بحسب قُوى النفس: [ومن أضربها: الرؤية] بِالوهمِ والتخيل، نحو أرى أنَّ زيدًا منطلق، ونحو قوله : ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[٢]»[٣].

والـــمَشاهد في الاصطلاح : أوصاف لبعض ما يُمْكِن وقوعه في المستقبل.

٢- الـــمَشاهد في القرآن الكريم :

الله سبحانه علمه محيط، ويعلم المستقبل كما هو، لا يخفى عليه منه شـــيء، والقـــرآن الكريم فيه آيات كثيرة تتحدث عن مشاهد الآخرة، وهي مشاهد مؤكّدة الوقوع، وليست تقديرات قد تقع، أو لا تقع .

وما يهم إيراده هنا هو ما يتعلق بالأمر الدنيوي، الذي فيه عرض لبعض المشاهد التي قد تقع، وقد لا تقع؛ لأن الإنسان لا يعلم المستقبل، ولكن يقدر بعض مشـــاهده، الممكنـــة، والمحتملة، والمفضلة . ففي القرآن يخاطب الله تعالى عباده بمثل هذا في عدد من الآيات، منها ما يأتي :

---

(١) **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص٤٦٥، مادة : (شهد).

(٢) سورة الأنفال، من الآية: ٥٠.

(٣) الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص٣٧٤، مادة : (رأى).

قال الله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[١]. وهذه أربعة مشاهد محتملة: مشهد الخسف، ومشهد أن يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون، ومشهد الأخذ في تقلبهم وأسفارهم، ومشهد الأخذ على تخوف.

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾[٢].

ولـــمَّا أرسل أصحابُ الكهف أحدَهم؛ ليشتري لهم طعامــــًا، وأوصوه بأخذ الحذر من أن يطّلع قومهم الضالون على حالهم، فإنهم لو اطّلعوا عليهم، فإنَّ أصحاب الكهف سيتعرضون لمشهدين محتملين : إما أن يرجموهم، وإما أن يُعيدوهم في ملتهم الضالة، يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَـٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾[٣].

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[٤]. وهـــذه الآية فيها عَرْضُ مشهد واحد.

(١) سورة النحل، الآيات: ٤٥-٤٧.

(٢) سورة الإسراء، الآيات: ٦٧-٦٩.

(٣) سورة الكهف، الآيتان: ١٩-٢٠.

(٤) سورة يونس، الآية: ١١.

وقال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[1].

وفيها مشهد موت الرسول ﷺ، وموقف المسلمين السلبي بعده؛ ومشهد قتله ﷺ، وموقف المسلمين السلبي بعده؛ وكلا المشهدين يحتويان -ضمنًا- مشهدًا ثالثًا، وهو : الثبات على الدين، في حالة قتله ﷺ أو موته، وهو ما أشار إليه ختم الآية: ﴿ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾.

يقول الرازي : إن الله تعالى بيَّن في آيات كثيرة أن نبيه ﷺ لا يُقتل، قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[2]. وقال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[3]. فليس لقائل أن يقول : لما عَلم سبحانه أن نبيه ﷺ لا يُقتل فلم قال : ﴿ أَوْ قُتِلَ ﴾ ؟ لأن صِدْق القضية الشرطية لا يقتضي صدق جزأيها، مثل قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[4]. فهذا حق مع أنه ليس فيهما آلهة، وليس فيهما فساد، فكذا ههنا . وليس لقائل أن يقول : إن قوله تعالى : ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ شك وهو على الله تعالى لا يجوز! يقال : هذا صحيح، إنه ليس بشك، ولكن المراد : أنه سواء وقع هذا أو ذاك فلا تأثير له في ضعف الدين ووجوب الارتداد[5] .

وقال تعالى : ﴿ فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[6].

أي فليقاتل المؤمنُ النافر[7]، هؤلاء الكفار الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة[8]؛ وينتظر أحد مشهدين: مشهد الشهادة والأجر العظيم؛ أو مشهد الغلب والنصر والأجر العظيم؛

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٣) سورة المائدة، من الآية: ٦٧.

(٤) سورة الأنبياء، من الآية: ٢٢.

(٥) **التفسير الكبير**، مرجع سابق، مج٣، ج٩، ص٣٧٧.

(٦) سورة النساء، الآية: ٧٤.

(٧) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، ج١، ص٥٣٧.

(٨) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مرجع سابق، ص١٨٧.

«فإذا كان الأجر حاصلاً على كلا التقديرين لم يكن عمل أشرف من الجهاد . وهذا يدل على أن المجاهد لا بد وأن يوطن نفسه على أنه لا بد من أحد أمرين، إما أن يقتله العدو، وإما أن يغلب العدو ويقهره، فإنه إذا عزم على ذلك لم يفر عن الخصم ولم يحجم عن المحاربة، فأما إذا دخل لا على هذا العزم فما أسرع ما يقع في الفرار، فهذا معنى ما ذكره الله تعالى من التقسيم في قوله : ﴿ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ ﴾ »[1]. وفي هذا دلالة على فوائد ذِكر المشاهد المستقبلية، واستحضارها .

ومن الفقه في هذه الآية : أنه ينبغي أن نركِّز على إبراز الجوانب الإيجابية في المشهد؛ فتُصاغ المشاهد بصورة تدفع الناس وتحركهم إلى الاتجاه الصحيح؛ فالقتل الذي يراه بعض الناس مشهدًا سلبيًّا، جعله القرآن مشهدًا إيجابيًّا، وهذا مثل حرص القرآن «على تحويل السنن إلى دافع حركي يحرك الناس والقادة في اتجاه العقيدة الصحيحة. فالقرآن لا يؤكد ثبات السنن وصدقها فحسب، لكنه يحولها إلى دافع حركي يفرض على الجماعات المؤمنة الملتزمة أن تتجاوز مواقع الخطأ التي قادت الجماعات البشرية السابقة إلى الهلاك والدمار، مع الالتزام بالأساليب الفكرية والسلوكية التي أدت إلى رفع راية بعض الجماعات إلى درجة الإيمان الصحيح التي استحقت من أجله رضاء الله سبحانه»[2].

وقد ربَّى الله سبحانه عباده المؤمنين على هذا، فيأمرهم سبحانه بأن يقولوا للمنافقين: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾[3]. فجعلَ ما يصيب المؤمنين أحدَ مشهدين حسنين؛ فمَشاهدهم في غاية التفاؤل . وما يصيب المنافقين أحد مشهدين سيئين.

٣- المَشاهد في السُّنَّة النبوية :

لما صدَّتْ قريش النبيَّ ﷺ عن أداء العمرة عام الحديبية، وجندت الجنود لحربه إن أراد الدخول، قال ﷺ : «إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمْ

(١) الرازي، **التفسير الكبير**، مرجع سابق، مج٤، ج١٠، ص١٤٠.

(٢) نبيل محمد توفيق السمالوطي، **المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع**، ط٢، (جدة، دار الشروق، ١٤٠٦هـ)، ص٥٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٥٢.

الْحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا . وَإِلاَّ فَقَدْ جَمُّوا . وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ »[1].

وعند ابن إسحاق: فقال النبي ﷺ : « يا ويح قريش! لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة »[2].

فالرسول ﷺ يرى لقريش: أنها لو بنت لنفسها هذه المشاهد الثلاثة لكان خيرًا لها حاضرًا ومستقبلاً، وهي :

أ-مشهد : أن يتركوه وشأنه؛ فيقتله غيرهم؛ فيتحقق لقريش ما أردات، من غير خسائر.

ب-مشهد : أن يتركوه وشأنه؛ فيظهر على الناس؛ ثم لا يكون لقريش خيار إلا اتباعه، فيتبعوه من غير خسائر أيضًا.

ج-مشهد : أن يتركوه وشأنه؛ فيظهر على الناس؛ ويكون خيار قريش حربه وعدم اتِّباعه؛ فيقاتلوه عن قوة، لم تدمِّرها مواجهات سابقة .

د-مشهد : ألاَّ يقبلوا شيئًا من هذه المشاهد؛ فإن الرسول ﷺ عازم بقوة على حربهم، ما بقي.

ومن رحمة نبينا ﷺ : أنه هو الذي يبني المَشاهد الإيجابية لعدوه، ويبين له من الخيارات أحسنها، فأين هذا من بعض أهداف الدراسات المستقبلية العالمية والعربية الانتهازية؟

فلما بلغ هذا قريشًا قال عروة بن مسعود : «فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ اقْبَلُوهَا ودعوني آتيه»[3]. فقد أحسَّتْ قريش بفوائد ما عرضه النبي ﷺ، واطمأنت للصلح معه، لمدة

---

(١) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب، ج٣، ص٢٣٧، ح٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٢) ابن هشام، مرجع سابق، ج٣، ص٣٠٩؛ وصححه الألباني، **فقه السيرة**، لمحمد الغزالي، (تخريج)، ط٧، (القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٦م)، ص٣٥٠، حاشية ١.

(٣) البخاري، التخريج نفسه، في حاشية ١، من هذه الصفحة.

عشر سنين، ولـــمَّا ظهر نقضه أرسلت أبا سفيان ليشدّ العقد ويزيد في المدة، فقد أدركـــوا أن موادعة النبي ﷺ خير لهم؛ دلّ على هذا طلبهم زيادة المدة.

وكان ﷺ يَعرض المشاهد عن طريق (ضرب الـــمَثَل)، ولهذا نماذج عديدة، منها: قوله ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ : يَا قَـــوْمِ إِنِّـــي رَأَيْـــتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَـــانَهُمْ، فَصَـــبَّحَهُمْ الْجَـــيْشُ فَـــأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي، فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ الْحَقِّ»(١).

أهل المشهد الأول: صدَّقوا النذير، فساروا أول ليلهم، بهدوء وسكينة، وحصلت لهـــم النجاة من خطر الجيش.

وأهل المشهد الثاني: كذَّبوا النذير، فبقوا، حتى اجتاحهم الجـــيش في حـــين نـــومهم، وغفلتهم، وعدم استعدادهم، فأهلكهم.

ويَعرض النبي ﷺ هذين المشهدين للناس؛ ترغيبًا لهم في اختيار المشهد الأول، الذي فيه سلامتهم ونجاتهم؛ وتحذيرًا لهم من سلوك المشهد الثاني، الذي فيه عطبهم وهلاكهم.

وكان النبي ﷺ يُعلل بعض الأحكام بذكر بعض المشاهد المحتملة، ويكون حكمه فيهـــا على وفق المشهد الأكثر سلامة وبيِّنةً، فعن أنس بن مالك ﷺ : «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ بَيْعِ الثِّمَارِ حَتَّى تُزْهِيَ . فَقِيلَ لَهُ : وَمَا تُزْهِي؟ قَالَ : حَتَّى تَحْمَرَّ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّـــهِ ﷺ : أَرَأَيْتَ إِذَا مَنَعَ اللَّهُ الثَّمَرَةَ بِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ؟»(٢). وعن ابن عمر رضي اللّه عنهما

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ج٨، ص١٧٨، ح٧٢٨٣؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الفضائل، باب شـــفقته ﷺ علـــى أمتـــه، ج٤، ص١٧٨٨، ح٢٢٨٣.

(٢) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب البيوع، باب إذا باع الثمار قبل أن يبدو صـــلاحها ثم، ج٣، ص٤٦، ح٢١٩٨؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب المساقاة، بـــاب وضـــع الجـــوائح، ج٣، ص١١٩٠، ح١٥٥٥.

قال: «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ بَيْعِ الثَّمَرَةِ حَتَّى يَبْدُوَ صَلاحُهَا . وَكَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ صَلاحِهَا قَالَ: حَتَّى تَذْهَبَ عَاهَتُهُ»[(١)].

ويحث الرسول ﷺ على العمل بالمشهد الأعلى الأحسن، فإذا لم يستطعه العبد ينتقل إلى ما هو أدنى منه: فعن أَبِي ذَرٍّ ﷺ قال : قلتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ . قَالَ : قُلْتُ : أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ : أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا . قَالَ : قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ : تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ. قَالَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ : تَكُفُّ شَرَّكَ عَنْ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ»[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ : «قَالَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ .فَقَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ . قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ : يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ. قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ : فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيُمْسِكْ عَنْ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»[(٣)].

٤- أمثلة من استخدام المَشاهد لدى الصحابة رضي الله عنهم :

يُعدُّ أسلوب المشاهد من أبرز ما استند إليه عمر بن الخطاب ﷺ عندما رأى وقْف (أرض السواد) على عامة المسلمين، وألاَّ تكون من الغنائم التي تقسم، فإنه قال: "والله لا يفتح بعدي بلد فيكون فيه كبير نيل بل عسى أن يكون كَلاًّ على المسلمين. فإذا قسمت أرض العراق بعلوجها، وأرض الشام بعلوجها، فما يسد به الثغور وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أرض الشام والعراق ؟»[(٤)].

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب من باع ثماره أو نخله أو أرضه أو زرعه، ج٢، ص١٦٣، ح١٤٨٦؛ ومسلم دون كلام ابن عمر رضي الله عنهما، مرجع سابق، كتاب البيوع، باب النهي عن بيع الثمار قبل بدو صلاحها بغير، ج٣، ص١١٦٦، ح١٥٣٤.

(٢) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل، ج٣، ص١٦٠، ح٢٥١٨؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، ج١، ص٨٩، ح٨٤.

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب على كل مسلم صدقة فمن لم يجد فليعمل، ج٢، ص١٤٨، ح١٤٤٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع، ج٢، ص٦٩٩، ح١٠٠٨.

(٤) أبو يوسف، مرجع سابق، ص٢٤.

فإنَّه لو اختيرت ثلاثة مشاهد لمصادر التمويل الإسلامي في تلك المدة بعد فتح العراق مباشرة، لكانت ما يلي:

أ- المشهد الأحسن: فتح بلدان جديدة تُدرُّ غنائم كثيرة.

ب- المشهد المتوسط: فتح بلدان تُدر غنائم متوسطة أو قليلة. وهو قول عمر ﷺ : «والله لا يفتح بعدي بلد فيكون فيه كبير نيل».

ج- المشهد المتردي: فتح بلدان ليس فيها غنائم، بل تحتاج إلى رعاية ودعم من المسلمين. وهو قول عمر ﷺ : «بل عسى أن يكون كَلاًّ على المسلمين ».

وهذه مشاهد أهل الهمم الإيمانية، فليس منها: توقف الفتوحات الإسلامية أو انحسارها؛ وذلك لأن نيتهم كانت صالحة، وكانوا عاملين مجتهدين.

ويلحظ هنا أن عمر ﷺ عرض المشهدين الأخيرين؛ ليكون الاحتياط بالعمل في ضوئهما، فيُقنع من يحاوره.

وبعد أن جعل عمر الخراج على أهل السواد في العراق، قال : «أما والله لئن بقيتُ لأرامل أهل العراق لأدعنهم لا يفتقرون إلى أمير بعدي»[1] . وهكذا كان ينظر ﷺ، فلك أن تتخيل كم من المشاهد المستقبلية التي كانت تتراءى أمام عينيه من بعد وفاته: مشاهد الأمراء من بعده، مشاهد الأرامل، والأيتام، والذرية، والضعفة، وغيرها .

ولـمَّا قدم الأنصار مكة لمبايعة النبي ﷺ ، وعرض عليهم النبي ﷺ البيعة، قال لهم العباس بن عبادة بن نَضْلة الأنصاري ﷺ : «يا معشر الخزرج، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم؛ قال إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نُهكت أموالكم مصيبة، وأشرافُكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله خزي الدنيا والآخرة، إن فعلتم وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال، وقتل الأشراف، فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة؛ قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف؛ فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفَّينا بذلك؟ قال: الجنة. قالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه»[2].

---

(١) المرجع نفسه، ص ٣٧.

(٢) ابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٤٤٦.

ويلحظ الباحثُ أن أسلوب الـــمَشاهد لم يَرِد كثيرًا لدى الســـلف، و لم يســـتخدموه كاستخدامهم الأساليب السابقة؛ وذلك -في رأي الباحث- لأن المشـــاهد عمـــل ذهـــني، والشخص عندما يريد أن يتخذ قرارًا، وكذا المتكلم عندما يُطلب منه رأي له تعلق بالمستقبل فإنه يجول في ذهنه عدد من المشاهد، ولا يُخبر في الغالب بها، بل يتخذ قراره، ويعطي رأيه، أو يُخبر بمشهد واحد فقط؛ ولذلك عندما يشتد الخلاف في المسألة، أو تكون المسألة مـــن المسائل المهمة، فإنه يجري التصريح بذكر المشاهد التي كانت تدور في الذهن .

المطلب الخامس: الرؤى :

١- التعريف والأدلة :

الرؤى جمع رؤيا، وهي في اللغة والاصطلاح -بمعنى واحد-: «ما يُرى في المنام»[(١)].

امتازت سورة يوسف عن بقية سور القرآن بذكر عدد من الرؤى، وتعبير بعضها، وقصٍّ وقوع تعبيرها جميعها، بأسلوب إلهي كريم، ففي أول السورة يرى يوسف عليه السلام أحد عشر كوكبـــًا والشمس والقمر له ساجدين، ويجري قصٌّ ما آلت إليه الرؤيا في آخر السورة في قصة من أحسن القصص، وفي وسط السورة يرى كل واحد من السجينين مع يوسف عليه السلام رؤيا ويعبرهما لهما، ويرى عزيز مصر رؤيا عظيمة، ويعبرها يوسف عليه السلام بعد ما عجز المعبرون عن معرفة تعبيرها، وكانت سببًا في خلاص يوسف عليه السلام من السجن، وتمكينه في الأرض، فهذه أربع رؤى تضمنتها السورة، وتضمن تعبير رؤيا العزيز شيئًا عظيمًا من الاستشراف المستقبلي، ما يدل على حنكة يوسف عليه السلام في الاستشراف، ووضع الخطة المستقبلية، والإشراف على تنفيذها .

و«الرؤيا حالة شريفة ومنـــزلة رفيعة»[(٢)]، «اتفقت الأمم عليها مع اختلافهم في الآراء والنِّحَل»[(٣)]، وجاء في تعظيمها أحاديث كثيرة تزيد عن الثلاثين[(٤)]، منها ما يأتي:

---

(١) الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص٣٧٥، مادة: (رأى)؛ وينظر: الفيروزآبادي، مرجع ســـابق، ص١٦٥٨، مادة: (رأى)؛ وابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٢، ص٣٦٩.

(٢) محمد القرطبي، مرجع سابق، ج٩، ص٨٢.

(٣) ابن العربي، مرجع سابق، ج٣، ص٣٥.

(٤) حمود بن عبد الله التويجري، **كتاب الرؤيا**، (الرياض، دار اللواء، ١٤١٢هـــ)، ص٦.

عن عُبَادة بن الصَّامت ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[1] قَالَ: «هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تُرَى لَهُ»[2].

وقال ﷺ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ تَكْذِبُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ»[3]، "وصفها بأنها جزء من النبوة لما كان فيها من الإنباء بما يكون في المستقبل على وجه يصح ويكون من عند الله عز وجل"[4]؛ فأشبهت النبوة في صدقها بما تنبئ به[5]، وفي الاطلاع على بعض الغيب[6].

وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ﷺ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا» ؟ قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُصَّ"[7]. وإكثار سؤال النبي ﷺ أصحابه ﷺ عن رؤاهم؛ "ليستبشر بما وقع من ذلك مما فيه ظهور الدين وإعزازه"[8]، "وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِذَلِكَ تَعْلِيمَهُمْ الْعِبَادَةَ وَتَنْبِيهَهُمْ عَلَى فَضْلِهَا وَلِذَلِكَ كَانَ يَقُولُ «لَيْسَ يَبْقَى بَعْدِي مِنْ النُّبُوَّةِ إلا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ»[9] حَضًّا لَهُمْ عَلَى تَعْلِيمِهَا وَالاهْتِبَالِ بِهَا لِيَبْقَى لَهُمْ بَعْدَهُ جُزْءٌ مِنْ النُّبُوَّةِ يُدْخِلُ عَلَيْهِمْ بِهَا مَسَرَّةً وَيَحُضُّهُمْ عَلَى مَصْلَحَةٍ وَيَزْجُرُهُمْ بِهَا عَنْ مَعْصِيَتِهِ"[10].

---

(١) سورة يونس، من الآية: ٦٤.

(٢) الترمذي، وقال: "حديث حسن"، مرجع سابق، كتاب الرؤيا، باب قوله: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، ج٤، ص٤٦٣، ح٢٢٧٥؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب تعبير الرؤيا، باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له، ج٢، ص١٢٨٣، ح٣٨٩٨؛ وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب تعبير الرؤيا، ج٤، ص٤٣٣، ح٨١٧٩ .

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب التعبير، باب القيد في المنام، ج٨، ص٩٨، ح٧٠١٧؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الرؤيا، ج٤، ص١٧٧٣، ح٢٢٦٣.

(٤) الباجي، **المنتقى شرح موطأ الإمام مالك**، مرجع سابق، ج٧، ص٢٧٦.

(٥) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٢، ص٣٨٠؛ نقلاً عن: ابن بطال.

(٦) المرجع نفسه .

(٧) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، ج٨، ص١٠٨، ح٧٠٤٧؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، ج٤، ص١٧٨١، ح٢٢٧٥.

(٨) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج٣، ص١١١٦.

(٩) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب التعبير، باب المبشرات، ج٨، ص٨٩، ح٦٩٩٠؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، ج١، ص٣٤٨، ح٤٧٩؛ وهذا لفظ أبي داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب ما جاء في الرؤيا، ج٥، ص٢٨٠-٢٨١، ح٥٠١٧.

(١٠) الباجي، **المنتقى شرح موطأ الإمام مالك**، مرجع سابق، ج٧، ص٢٧٦-٢٧٧.

وقال ﷺ : «مَنْ تَحلَّمَ(١) بِحُلُمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ»(٢). وفي الحديث دلالة على جلالة قدر الرؤيا وعظم أمرها؛ حيث رَتَّبَ ﷺ هذا الوعيد على من كذب فيها.

الرؤيا تختلف عن الكهانة ونحوها؛ لأن الرؤيا حق مستند إلى الوحي المنامي، وهي جزء من أجزاء النبوة؛ ولهذا كلما كان الرائي أصدق كانت رؤياه أصدق، وكلما كان المعبِّرُ أصدق، وأبر، وأعلم، كان تعبيره أصح، بخلاف الكاهن ونحوه ممن لهم مدد من الشياطين، فإن صناعتهم لا تصح من صادق ولا بار(٣). والرؤى ليست طريقًا لمعرفة الغيب المطلق، بل هو من خصائص الله تعالى، ولكن يستأنس ويستبشر بها.

قال ابن القيم: «والرؤيا من الله وهي حق إذا رأى صاحبها في منامه ما ليس ضغثًا فقصها على عالم وصدق فيها فأوَّلها العالم على أصل تأويلها الصحيح، ولم يحرف، فالرؤيا تأويلها حينئذ حق، وقد كانت الرؤيا من الأنبياء وحيًا، فأيُّ جاهل أجهل ممن يطعن في الرؤيا ويزعم أنها ليست بشيء؟»(٤).

٢- من آداب الرائي :

أ-أن يضبط ما رأى ضبطًا تامًّا، وينقله للمعبِّر بدقة وصدق .

ب-ألا يُعَبِّر الرؤيا بنفسه إذا لم يؤت التعبير، ويتجنب تعبيرها في الكتب المؤلفة فإن القياس والمشابهة على ما فيها لا يصح غالبًا، قال القرافي: «اعلم أن تفسير المنامات قد اتسعت تقييداته، وتشعبت تخصيصاته، وتنوعت تعريفاته، بحيث صار الإنسان لا يقدر أن يعتمد فيه على مجرد المنقولات؛ لكثرة التخصيصات بأحوال الرائين»(٥)، فتأويل الرؤى هبة إلهية يخص الله بها من يشاء من عباده .

---

(١) "أي قال إنه رأى في النوم ما لم يَرَه". (ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج١، ص٤٣٤، مادة: (حلم)).

(٢) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب التعبير، باب من كذب في حُلُمه، ج٨، ص١٠٦، ح٧٠٤٢؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب الرؤيا، باب في الذي يكذب في حلمه، ج٤، ص٤٦٦، ح٢٢٨٣؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب ما جاء في الرؤيا، ج٥، ص٢٨٥، ح٥٠٢٤؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب تعبير الرؤيا، باب من تحلَّم حلما كاذبًا، ج٢، ص١٢٨٩، ح٣٩١٦.

(٣) ابن القيم، **زاد المعاد**، مرجع سابق، ج ٥، ص٧٨٩.

(٤) **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، تحقيق يوسف علي بدوي، (بيروت، دار ابن كثير، ١٤١١هـ)، ص٥٥٧.

(٥) مرجع سابق، ج٤، ص١٩٢.

ج- ألا يعرض رؤياه إلا على عالم بالتأويل، ولا يُخبر بها إلا ناصحًا أو محبًا؛ لأنَّ الرسول ﷺ قال : «إنَّ الرُّؤيَا تَقعُ عَلى مَا تُعبَرُ بِهِ، ومَثَلُ ذَلك مَثَلُ رَجُلٍ رَفَعَ رِجلَهُ فَهُو يَنتظِرُ متى يَضعُهَا، فإذا رَأى أحدُكم رُؤيا فَلا يُحَدِّث بها إلا ناصِحًا أو عالِمًا»[1].

د- دَلَّت السُّنَّة فيمن رأى في منامه ما يُحب: أن يحمد الله على الرؤيا، ويستبشر بها، ويُحدِّث بها من يحب دون غيره .

هـ- ودَلَّت السُّنَّة فيمن رأى ما يكره في منامه أنْ يأتي بجملة من الآداب، ولا يضره ما رأى، وهي: أنْ ينفث عن يساره ثلاثـًا، ويستعيذ بالله من شرِّ ما رأى، ومن شر الشيطان ثلاثـًا، وأن يتحول عن جنبه الذي كان عليه، وأن يقوم يصلي، ولا يخبر بها أحدًا .

و-ألاَّ يقطع بمقتضاها حكمًا، ولا يبني عليها أصلاً، بل يعتدل في أخذها حسبما فهم من الشرع فيها، فالعبارة «للمنام قياس واعتبار وتشبيه وظن، لا يُقطع بها ولا يُحلف على غيبها، إلا أن يظهر في اليقظة صدقها أو يرى سرها بها»[2]؛ لكن تكون تأنيسًا، وبشارة، ونذارة[3]؛ وأن يحذر من غرورها، فقد خرج رجال وأقوام إلى سفك الدماء بها، وما أصابوا[4]، قال الإمام أحمد : «الرُّؤيا تَسُرُّ المؤمن ولا تغُرُّه»[5]. ورأى أحدهم رؤيا حسنة في عبد العزيز بن باز فكتب إليه يُخبره بها، فكان من ردِّ الشيخ إليه: «أما الرؤيا التي أشرت إليها، فهي رؤيا صالحة، وتبشر بالخير لنا ولكم، ولكن يا محب الرؤيا الحسنة تسر الإنسان، ولا تغره بل يزداد اجتهادًا في الخير، ونسأل الله أن يثبتنا وإياكم على دينه»[6].

---

(١) الحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب تعبير الرؤيا، ج٤، ص٤٣٣، ح٨١٧٧؛ وصححه الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، ج١، ص١٨٦، ح١٢٠.

(٢) عبد الغني النابلسي، **تعطير الأنام في تعبير المنام**، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ص٧١٨.

(٣) إبراهيم بن موسى الشاطبي، **الاعتصام**، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، (الخُبر، دار ابن عفان، ١٤١٢هـ)، ج١، ص٣٣٦.

(٤) من ذلك: الحادثة الشهيرة في الحرم المكي عام ١٤٠٠هـ، حيث كثرت الرؤى بأن محمد بن عبد الله القحطاني هو المهدي المنتظر؛ فخرجوا على إثرها، وكان في آخر الأمر أن قتل وجمعٌ ممن كانوا معه .

(٥) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج١١، ص٢٢٧؛ ومحمد بن مفلح المقدسي، **الآداب الشرعية**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعمر القيَّام، ط١، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ)، ج٣، ص٤٣٦؛ كلاهما نقلاً عن المرُّوذي .

(٦) السدحان، مرجع سابق، ص٩٦-٩٧.

ز-ألاَّ يبالغ العبد بطلب تعبير الرؤى، بل يتوسط في ذلك، فما يَشعر أنها ذات أهمية، يحسن له طلب تعبيرها، وأكثر الرؤى ليست كذلك، فيعرض عنها .

٣- من آداب الـمُعَبِّر :

أ-تقوى الله تعالى، وعدم الجرأة في تعبير الرؤيا؛ لأنها من النُّبوَّة، «قيل لمالك رحمه الله أيعبر الرؤيا كل أحد ؟ فقال: أبالنبوة يلعب؟»(١) .

ب-ألاَّ يُعبِّر كل الرؤى، وبخاصة التي يجلب تفسيرها لصاحبها الهمَّ والقلق والنكد، ولا يعود تعبيرها عليه بشيء، كان ابن سيرين -وهو من كبار المعبرين- «يسأل عن مائة رؤيا فلا يجيب فيها بشيء إلا أن يقول: اتق الله، وأحسن في اليقظة فإنه لا يضرك ما رأيت في النوم»(٢).

ج-لا يجوز للمعبر أن يعبر الرؤيا على الخير وهي عنده على المكروه، ولا على المكروه وهي عنده على الخير؛ لأنه كذِب ولعب بالنُّبوَّة، لكن يقول خيرًا أو يصمت(٣) .

د-أن يحفظ أسرار الناس ولا يُفشها، فإن المعبر يطلع - من خلال رؤاهم - على أسرارهم وعوراتهم ما لا يطلع عليه غيره؛ فعليه استعمال الستر فيما لا يحسن إظهاره(٤).

هـ-ألاَّ يقصر عمله على التعبير، بل يكون داعية ومرشدًا لما فيه خير العبد .

٤- شروط قبول التعبير :

أ- ألاَّ يخالف التعبير سننًا كونية(٥).

ب-أن يكون تعبير المعبر عن علم: وهو: نور ينقدح في قلب المعبر، وليس عن ظن، أو اجتهاد، أو مجرد تفكير، أو قياس، أو نقل التعبير نفسه لكل رؤيا(٦).

---

(١) ابن عبد البر، **التمهيد**، مرجع سابق، ج١، ص٢٨٨.

(٢) ابن مفلح، مرجع سابق، ج٣، ص٤٣٤-٤٣٥ .

(٣) ابن عبد البر، **التمهيد**، مرجع سابق، ج١، ص٢٨٨؛ نقلاً عن مالك؛ وينظر: أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي الأزهري، **الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، (بيروت، دار المعرفة، د.ت)، ج٢، ص٤٥٧ .

(٤) ابن القيم، **إعلام الموقعين**، مرجع سابق، ج٤، ص٢٥٧.

(٥) سامي بن عبد العزيز الماجد، "تعبير الأحلام والاستسلام لخدرها"، البيان، مرجع سابق، العدد: ١٧٣، ص٢٢.

(٦) صالح بن سعد اللحيدان، "الحديثان وما هي حقيقة الرؤيا والأحلام"، صحيفة الجزيرة، مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، الرياض: العدد: ١٠١٤٣، (١٤٢١/٤/٤هـ)، ص٨.

ج-أن يكون هناك علاقة ظاهرة بين الرؤيا والتعبير[1]، وهذا -في رأي الباحث- يَحكم فيه أهل التعبير؛ «فإن دلالة الرؤيا على تأويلها دلالة خفية غامضة لا يهتدي لها جمهور الناس»[2] .

د-ألاَّ يذكر المعبر تفصيلات دقيقة جدًا، وهذا الشرط مستفاد من تعبير الرؤى الثابتة في الكتاب والسنة[3].

هـ-ألاَّ يكون مستند المعبر سماع هاتف يخبره بالتعبير، أو رؤية صورة التعبير أمامه[4].

و-ألاَّ يُعرف المعبر بالكذب، أو بإسفاف بالقول والعمل[5].

ز-القدرة على التفريق بين الرؤيا، وحديث النفس، وتلاعب الشيطان[6]. وصفات الرؤيا هي: أن تكون قصيرة، واضحة، مُعَيَّنة، على مستطاع، هينة، متكررة -وليس لازمًا-، مقبولة، معلومة التعبير[7]. وأمارات ما ليس برؤيا: أن يرى مستحيلاً، أو يرى ما قد رآه في اليقظة، أو يرى ما كان يُحدِّث به نفسه في اليقظة، والحلم الذي يصاحبه احتلام[8].

هذه الشروط: ضوابط مهمة في التفريق بين المعبر الصادق، والكاهن الذي اتخذ لكهانته طريقة جديدة مستترًا بتعبير الرؤى[9]؛ والتفريق بين الصادق والمتطفل على التعبير، المتلاعب بالنُّبوَّة.

---

(١) عبد الله بن مرزوق القرشي، "بين تعبير المنام وأخبار الشيطان"، في "الدعوة"، مرجع سابق، العـدد: ١٨٥٧، (٢٠/جمادى الآخرة/١٤٢٣هـ)، ص٣٩.

(٢) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١٧، ص٤٠٣.

(٣) القرشي، في "الدعوة"، مرجع سابق، العدد: ١٨٥٧، (٢٠/جمادى الآخرة/١٤٢٣هـ)، ص٣٩.

(٤) المرجع نفسه .

(٥) نفسه، ص٤٠.

(٦) نفسه، ص٤١.

(٧) اللحيدان، الجزيرة، مرجع سابق، العدد: ١٠١٤٣، ص٨.

(٨) عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ابن الصلاح)، **فتاوى ومسائل ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه**، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٦هـ)، ج١، ص١٤٣-١٤٤ .

(٩) القرشي، الدعوة، مرجع سابق، العدد: ١٨٥٧، ص٤١.

٥- العمل بالرؤى :

رؤيا الأنبياء وحي يُعمل به ويُصار إليه؛ لأنها معصومة من الشيطان، أما رؤيا غيرهم فلا بُدَّ من عرضها على الكتاب والسنة، فإن وافقتهما و لم تأت بشيء زائد مبتدع، جاز العمل بها، وإن خالفتهما لم يجز العمل بها[1]، ولو كان المرئي النبي ﷺ، يأمر بشيء، أو ينهى عن شيء، ورؤى غير الأنبياء ليست من طرق الاستدلال الشرعي التي يُتوصل بها إلى معرفة الأحكام، وهذا هو الأصل الذي قرره العلماء في شأن الرؤى، فينبغي أن يُصار إليه، ويُحمل عليه ما ظاهره المخالفة له[2] .

ومن أدلة جواز العمل بها إذا لم تخالف الكتاب والسنة -إضافة إلى الأدلة العامة في مقدمة هذا الأسلوب- ما يأتي:

أ- «أن قاضيًا من قضاة أهل الشام أتى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ! رأيت رؤيا أفظعتني، قال : وما رأيت ؟ قال : رأيت الشمس والقمر يقتتلان ، والنجوم معهما نصفين، قال : فمع أيهما كنت ؟ قال : كنت مع القمر على الشمس ، فقال عمر ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ فانطلق فوالله لا تعمل لي عملاً أبدًا ، قال عطاء : فبلغني أنه قتل مع معاوية يوم صفين»[3] .

فعزْل القضاة وإثباتهم من الأمور التي ترجع إلى نظر الحاكم، وليست من الأحكام الشرعية، التي تُوجب إبقاء القاضي وعدم عزله إلا بدليل صحيح، فاستناد عمر ﷺ هنا على الرؤيا استدلال على أمر جائز مباح[4]؛ احتياطًا لنفسه وللناس، وتحسبًا لحسن اختياره .

---

(١) ابن القيم، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج١، ص٥١؛ وينظر: الشاطبي، **الموافقات**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٠٢-٢٠٣، ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) مِن ذلك أنَّ أبا بكر ﷺ نفَّذَ وصية ثابت بن قيس بن شماس ﷺ بعد موته بسبب رؤيا رؤيت له: أوصى فيها بسداد ديونه، وعتق أحد رقيقه. وجاء في آخر الرواية : "فلا نعلم أحدًا بعد ما مات أنفذ وصيته غير ثابت بن قيس بن شماس"ﷺ. (روى الحاكم فيها روايتين، صحح الأولى ووافقه الذهبي، وسكتا عن الثانية، مرجع سابق، كتاب معرفة الصحابة، ج٣، ص٢٦٠-٢٦١، أثر٥٠٣٥، ٥٠٣٦). ولا إشكال في سداد الديون فإنها موافقة للشرع، وإنما الإشكال في عتق الرقيق. قال الشاطبي: "فهي قضية عين لا تقدح في القواعد الكلية لاحتمالها، فلعل الورثة رضوا بذلك، فلا يلزم منها خرم أصل". (**الموافقات**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٠٣).

(٣) ابن أبي شيبة، مرجع سابق، طبعة الدار السلفية، كتاب الأمراء، ج١١، ص١٤٤، أثر ١٠٧٥٤.

(٤) ذهب الحنفية، والحنابلة في رواية، إلى أنه يجوز للإمام عزل القاضي مع سداد حاله . (علي بن محمد بن أحمد السمناني، **روضة القضاة وطريق النجاة**، تحقيق صلاح الدين الناهي، ط٢، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ)، ج١، ص١٤٨؛ وابن قدامة، **المغني**، مرجع سابق، ج١٤، ص٨٨).

ب-عن مسلم أبي سعيد مولى عثمان بن عفان: «أن عثمان بن عفان أعتق عشرين مملوكًا، ودعا بسراويل فَشدَّها عليه، ولم يَلبَسْها في جاهلية ولا إسلام، وقال: إني رأيتُ رسول الله ﷺ البارحة في المنام، ورأيتُ أبا بكر وعمر، وإنهم قالوا لي: اصبِرْ فإنك تُفطِرُ عندنا القابِلة . ثم دعا بمصحف فنَشَرَه بين يديه، فقُتِل وهو بين يديه»(١). وفيه أن عثمان رضي الله عنه تأهب، واستعد، واحتاط؛ استنادً إلى الرؤيا.

ج- وعن أبي جمرة قال: « سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن المتعة فأمَرني بها، وسألته عن الهدي فقال فيها جَزورٌ أو بقرة أو شاة أو شِركٌ في دم . قال : وكأنَّ ناسًا كرهوها، فنِمتُ فرأيت في المنام كأنَّ إنسانـــًا يُنادي : حجٌّ مبرور، ومتعة متقبَّلة . فأتيتُ ابن عبَّاس رضي الله عنهما فحدَّثتُهُ، فقال : الله أكبر، سنَّةُ أبي القاسم ﷺ»(٢).

وهذا الأثر «فيه استئناس بالرؤيا فيما يقوم عليه الدليل الشرعي لما دل الشرع عليه من عظم قدرها وأنها جزء من [ستة](٣) وأربعين جزءاً من النبوة وهذا الاستئناس والترجيح لا ينافي الأصول. وقول ابن عباس: «الله أكبر سنة أبي القاسم» يدل على أنه تأيد بالرؤيا واستبشر بها. وذلك دليل على ما قلناه»(٤).

د-رأى الشافعي وهو بمصر رؤيا لأحمد بن حنبل تدل على أنَّه سيمتحن ويدعى إلى القول بخلق القرآن، فكتب إليه في بغداد(٥)؛ ليستعد لذلك(٦).

---

(١) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج١، ص٥٤٥، ح٥٢٦؛ وقال الهيثمي: "رواه عبد الله وأبو يعلى في الكبير ورجالهما ثقات". (**مجمع الزوائد**، مرجع سابق، ج٩، ص١١٥، أثر١٤٥٦٣)؛ ورواه الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما، مختصرًا دون ذكر الشاهد هنا، وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب معرفة الصحابة، ج٣، ص١١٠، أثر٤٥٥٤.

(٢) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الحج، باب (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج...)، ج٢، ص٢١٨-٢١٩، ح١٦٨٨؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الحج، باب جواز العمرة في أشهر الحج، ج٢، ص٩١١، ح١٢٤٢.

(٣) في المرجع (ست) وهو خطأ.

(٤) ابن دقيق العيد، مرجع سابق، ج٣، ص٥١ .

(٥) رواها عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، **مناقب الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط٢، (القاهرة، دار هجر، ١٤٠٩هـ)، ص٦٠٩-٦١١ .

(٦) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ)، ج٩، ص٨٥.

ومن أدلة عدم جواز العمل بها إذا خالفت الكتاب والسنة، أو زادت عليهما، ما يأتي:

أ-لأنَّ الدِّين قد كمل، قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[1][2].

ب-"و لم يأتنا دليل يدل على أن رؤيته في النوم بعد موته ﷺ إذا قال فيها بقول أو فعل فيها فعلاً يكون دليلاً وحجة"[3]، "وقد تكلم العلماء فيما إذا رأى النبي ﷺ ، فأمره في منامه أو نهاه، وتلخيصه أنه لا يغير ما تقرر في اليقظة شرعًا إجماعًا"[4]، "أما إذا رأى النبي ﷺ يأمره بفعل ما هو مندوب إليه، أو ينهاه عن منهي عنه، أو يرشده إلى فعل مصلحة، فلا خلاف في استحباب العمل على وفقه؛ لأن ذلك ليس حكمًا بمجرد المنام، بل تقرر من أصل ذلك الشيء، والله أعلم"[5]، "وهذا كله معنى كلام الشيخ تقي الدين بن تيمية"[6]. قال النووي: "لو كانت ليلة الثلاثين من شعبان و لم ير الناس الهلال فرأى إنسان النبي ﷺ في المنام فقال له الليلة أول رمضان لم يصح الصوم بهذا المنام لا لصاحب المنام ولا لغيره"[7]. قال ابن تيمية: ومن الناس "من رأى منامـــًا قيل له فيه: ادع بكذا وكذا، ومثل هذا لا يجوز أن يكون دليلاً باتفاق العلماء"[8].

ج-لأن الرؤيا إحدى ثلاث -كما قال ﷺ- : "فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنْ اللَّهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنْ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ"[9]. وقد لا يُميَّزُ بينها أحيانـــًا، قال الشاطبي : كل واحد سوى الأنبياء غير معصوم، بل يجوز عليه الغلط والنسيان، ويجوز أن

---

(١) سورة المائدة، من الآية: ٣.

(٢) محمد بن علي الشوكاني، **إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول**، تحقيق محمد سعيد البدري، (مكة المكرمـــة، مكتبة الباز، ١٤١٣هـ)، ص٤١٧.

(٣) المرجع نفسه .

(٤) ابن مفلح، مرجع سابق، ج٣، ص٤٢٩-٤٣٠؛ وينظر : ابن دقيق العيد، مرجع سابق، ج٢، ص٢٤٨-٢٤٩.

(٥) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص٧٥.

(٦) ابن مفلح، مرجع سابق، ج٣، ص٤٣٠ .

(٧) النووي، **المجموع شرح المهذب**، (د.م، دار الفكر، د.ت)، ج٦، ص٢٨١.

(٨) **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، (الرياض، رئاســة إدارة البحــوث العلميــة والإفتاء، ١٤٢٠هـ)، ص١٤٦.

(٩) مسلم، مرجع سابق، كتاب الرؤيا، ج٤، ص١٧٧٣، ح٢٢٦٣؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب الرؤيا، باب أن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين...، ج٤، ص٤٦١، ح٢٢٧٠؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب ما جاء في الرؤيا، ج٥، ص٢٨٢، ح٥٠١٩ .

تكون رؤياه حلمـــًا، ولو تكرر منه رؤى صادقة، فإمكان الخطأ والوهم باق، وكان الصحابة ﷺ لا يُعاملون أنفسهم إلا بأمر مشترك لجميع الأمة، وهو جواز الخطأ، فكان الواحد منهم يقول فيما مستنده الرؤى ونحوها: (أرى)، أو (أظن)[١].

د-رأى رجل رؤيا: «من صلى الليلة في المسجد دخل الجنة» فخرج عبد الله بن مسعود وهو يقول: اخرجوا لا تغتروا فإنما هي نفخة شيطان»[٢]. فنهاهم ﷺ من غرورها؛ لأنها خالفت الكتاب والسنة .

هـــ-وتعبير الرؤى ظن، وليس بيقين، كان ابن سيرين يقول وهو يعبر: «إنما أجيبه بالظن، والظن يخطئ ويصيب»[٣]، «وإذا كان هذا قول إمام المعبرين في زمانه وما بعده من الأزمان فما الظن بغيره»[٤].

و- «لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي... فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه»[٥]؛ لأن من «شرط الراوي والمخبر والشاهد أن يكون متيقظًا حال التحمل وهذا مجمع عليه»[٦].

ز-إجماع العلماء على أنَّ المنام لا تبطل به سنة ثابتة، ولا تثبت به سنة لم تثبت[٧].

إنَّ من الخطأ -في رأي الباحث- إهمال الرؤى وتركها بالكلية، فإنَّ منها ما ينبه إلى دنو أجل؛ فيستعد الإنسان للرحيل ويُقدِّم بين يدي أجله عملاً صالـــحًا، وتوبة نصوحًا وكثرة استغفار وذكر، وهذا حَدَثَ كثيرًا؛ ومنها ما ينبه إلى طريق ضلالة في حين غفلة من صاحبه فتُجتنب؛ ومنها ما ينبه إلى إعادة حقوق إلى أهلها، أو ظلم ارتكب في حق أحد؛ ومنها ما يدل كافرًا إلى إسلام فيسلم؛ ومنها ما ينبه إلى عدم اغترار بحال وصلاح وسابقة فيتساهل المرء لذلك في بعض ما يُكره أو يحرم عن عمد أو جهل، فتأتي الرؤيا تعيد إليه توازنه بين

(١) ملخَّصًا : الشاطبي، **الموافقات**، مرجع سابق، ج٤، ص٦١-٦٣ .

(٢) ابن أبي شيبة، مرجع سابق، طبعة الدار السلفية، كتاب الإيمان والرؤيا، باب ما قالوا فيما يخبر به الرجـــل مـــن الرؤيا، ج١١، ص٥٨، أثر١٠٥٢٤.

(٣) ابن مفلح، مرجع سابق، ج٣، ص٤٣٥.

(٤) التويجري، مرجع سابق، ص١٦٩.

(٥) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص٧٥.

(٦) النووي، **المجموع**، مرجع سابق، ج٦، ص٢٨٢.

(٧) حكى الإجماع القاضي عياض وغيره، (النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص٧٥).

الخوف والرجاء؛ ومنها ما يفيد في بيان ترتيب الأوليات وتقديم ما هو أهم على ما هو مهم؛ إلى غير ذلك من أمثلة كثيرة تفيد المسلم في حاله ومستقبله، وقد جاءت ببعض ما تقدم جملة من الآثار والمرويات؛ قال القرطبي : «الرؤيا الصادقة قد تكون منذرة من قبل الله تعالى لا تسر رائيها، وإنما يريها الله تعالى المؤمن رفقًا به ورحمة، ليستعد لنـــزول البلاء قبل وقوعه، فإن أدرك تأوّلها بنفسه، وإلا سأل عنها من له أهلية ذلك»[1]، وقال ابن القيم : إن الله تعالى وكَّل بالرؤيا الصادقة ملـــكًا، يُخبِر الإنسان بما هو مصيبه من خير وشر في دينه ودنياه، فتارة يبشره بخير قدمه، وتارة ينذره من معصية ارتكبها[2]، وتارة «يحذره من مكروه انعقدت أسبابه ليعارض تلك الأسباب بأسباب تدفعها، ولغير ذلك من الحكم والمصالح التي جعلها الله في الرؤيا نعمة منه ورحمة وإحسانـــًا وتذكيرًا وتعريفًا»[3]؛ ومن الرؤى العظيمة التي ترتب عليها عمل جليل فضيل: ما رآه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن أقسنقر: أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام يستنجد به على رجلين أشقرين، فشد رحله إلى المدينة وقدمها في ستة عشر يومًا، في قصة طويلة، وقبض على رجلين نصرانيين بعدما وجد أنهما يحاولان نبش قبر النبي ﷺ، وأمر بقتلهما، وأحاط حجرته ﷺ بخندق ملأه رصاصـــًا[4].

كما أنَّه من الخطأ أن تكون الرؤيا للمرء هادية، ولطريقه راسمة، وأن يجعلها مقياســًا لاختياره وترجيحه، وتكون مرجعه في تدبير شؤون حياته، بل ينبغي أن يُراعى فيها الاعتدال؛ فالرؤى لا يعتمد عليها اعتمادًا كليـــًّا، لكنها يُتعامل معها تعاملاً وسطًا، فلا تلغى ولا يُبالغ فيها، وهي جيدة في الأعمال القلبية: من الاستبشار، والطمأنينة، والتهيئة، ونحوها.

---

(١) محمد القرطبي، مرجع سابق، ج٩، ص٨٥.

(٢) ابن القيم، **الروح**، تحقيق يوسف علي بديوي، ط١، (دمشق وبيروت، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ)، ص١١١-١١٢؛ نقلاً عن (بعض السلف).

(٣) المرجع نفسه، ص١١٢؛ تابع للنقل عن (بعض السلف) .

(٤) علي بن أحمد السمهودي، **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ)، ج٢، ص٦٤٨-٦٥٠؛ نقلاً عن رسالة صنفها جمال الدين الأسنوي في المنع من استعمال الولاة للنصارى.

وخلاصة القول في العمل بالرؤى: أن ما عبَره العالم بالتعبير على أنها رؤيا صادقة، فإنه يستأنس ويستبشر بها، ولا تكون أصلاً يعتمد عليه، ولا يُلتفت إلى رؤى خالف تعبيرها ما دل عليه الكتاب والسنة، وسار عليه سلف الأمة .

٦- مكانة أسلوب الرؤى من أساليب الاستشراف :

أسلوب الرؤى من أوسع أساليب الاستشراف الاستكشافية -بعد الوحي- وأقدرها على خوض غمار المستقبل، يقول ابن القيم عن قلم التعبير[١]: "وهو من ألطف الأقلام، وأعمها جولاناً، وأوسعها تصرفـــاً، وأشدها تشبثًا، بسائر الموجودات: علويها وسفليها، وبالماضي والحال والمستقبل"[٢].

ومع قوة هذا الأسلوب وسعته إلا أنَّ الباحث يرى أنه من أساليب الاستشراف المكمِّلة، التي يُفاد منها ضمن الأساليب الأخرى المعتمدة، ولا يعتمد عليه لوحده؛ لما مضى في حُكْمه، ويدل على هذا الرأي : أنَّ قريشًا لـــمَّا هُزمت في معركة بدر، وجَمعت الأموال، وجهَّزت جيشها، وقدمت المدينة؛ للثأر من المسلمين، فلما سمع النبي ﷺ بقدومهم شاور الناسَ، وأخبرهم برؤيا رآها، فقال ﷺ: «رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، وَرَأَيْتُ بَقَرًا مُنَحَّرَةً، فَأَوَّلْتُ أَنَّ الدِّرْعَ الْحَصِينَةَ الْمَدِينَةُ، وَأَنَّ الْبَقَرَ نَفَرٌ[٣]، وَاللَّهُ خَيْرٌ» . قال: فقال لأصحابه: «لَوْ أَنَّا أَقَمْنَا بِالْمَدِينَةِ، فَإِنْ دَخَلُوا عَلَيْنَا فِيهَا، قَاتَلْنَاهُمْ» فَقَالُوا : يا رسولَ اللَّه، وَاللَّهِ ما دُخِلَ علينا فيها في الجاهليَّة، فكيف يُدْخَلُ علينا فيها في الإسلامِ؟! -قال عفَّان في حديثه: فقال: «فَشَأْنَكُمْ إِذًا»- قال: فَلَبِسَ لأْمَتَهُ، قال: فقالت الأنصارُ: رَدَدْنا على رسول اللَّه ﷺ رَأْيَهُ. فجاؤُوا، فقالوا: يا نبيَّ اللَّه، شَأْنك إذًا. فقال: «إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ»[٤].

---

(١) المقصود بالقلم: الوسيلة المعروفة التي يكتب بها .

(٢) ابن القيم، **التبيان في أقسام القرآن**، مرجع سابق، ص٢٦٧.

(٣) وفي رواية: «وَرَأَيْتُ بَقَرًا تُذْبَحُ، فَبَقَرٌ وَاللَّهِ خَيْرٌ» . (أحمد، **المسند**، مرجع ســابق، ج٤، ص٢٥٩، ح٢٤٤٥؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب قسمة الفيء، ج٢، ص١٤١، ح٢٥٨٨).

(٤) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٢٣، ص٩٩-١٠٠، ح١٤٧٨٧؛ وصحح ابن حجر والهيثمي إسناده . (**فتح الباري**، مرجع سابق، ج٧، ص٤٣٦؛ **ومجمع الزوائد**، مرجع سابق، ج٦، ص ١٥٣)؛ ورواه الدارمي، مرجع سابق، ج٢، ص١٣٧٨-١٣٧٩، ح٢٢٠٥؛ وينظر: ابن إسحاق، مرجع سابق، ص٣٠١-٣٠٣؛ وابن هشام، مرجع سابق، ج٣، ص٦٠-٦٢.

فالنبي ﷺ ومن معه استخدموا في استشرافهم للمعركة ثلاثةً من أساليب الاستشراف: الشورى، والـمَشاهد[1]، والرؤيا؛ ومع أنَّ رؤيا الأنبياء حق ووحي، إلا أنه لـمَّا تعارضت نتيجة الشورى ونتيجة الرؤيا اعتمد ﷺ نتيجة الشورى مع أن الأخرى كانت أقوى.

ويمكن أن يُفاد من الرؤى باستخدام أسلوب التشاور المتميز، بإشراك عدد من المعَبِّرين المبرِّزين، وأهل الاختصاصات الأخرى المناسبة لقضية الاستشراف؛ وذلك للحصول على أمرين: تمحيص التعبير وعرضه على الشرع ومعرفة ما يُقبل منه وما يُردُّ، ومعرفة الرؤى التي تواطأت، فإنَّ ابن القيم يرى أنَّ رؤى المؤمنين إذا تواطأت فهو كتواطؤ روايتهم[2]، وظاهر كلامه يفيد أن الرؤى يُعمل بها أيضًا إذا احتفت بها قرائن أخرى[3]، وقال: "إذا تواطأت رؤيا المسلمين لم تكذب"[4]، وقال ابن حجر: "توافق جماعة على رؤيا واحدة دال على صدقها وصحتها كما تستفاد قوة الخبر من التواتر على الأخبار من جماعة"[5].

المطلب السادس: الفراسة، والإلهام، والتحديث، والكشف:

١- الفراسة:

أ- تعريف الفراسة:

الفِراسة في اللغة: -بكسر الفاء- النَّظرُ، والتثبُّت، والتأمل للشيء، والبصَر به[6]؛ والفِراسة: البصيرة، والعبرة[7]. "ويقال للفراسة الصادقة: ذاتُ البصائر وذات البَصِيرة"[8]؛ "وتفرَّس فيه الشيءَ: توسَّمَه"[9].

---

(١) مشهد: إنْ دخلتْ قريش المدينة : قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم الصبيان والنساء بالحجارة من فوقهم.
ومشهد: إنْ أقامت خارج المدينة : أقاموا بشر مقام.
ومشهد: إنْ رجعتْ : رجعت خائبة كما جاءت.
(ينظر: ابن إسحاق، مرجع سابق، ص ٣٠٣-٣٠٤؛ وصححه الألباني، محمد الغزالي، **فقه السيرة**، (التخريج)، مرجع سابق، ص٢٦٩، حاشية١).

(٢) **الروح**، مرجع سابق، ص٦٣ .

(٣) المرجع نفسه، ص٧٣-٧٧. وكلامه في التواطؤ والقرائن محمول على ما نُقل عنه في بداية الكلام عن حكم الرؤى.

(٤) **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج١، ص٥١ .

(٥) **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٢، ص٣٩٧ .

(٦) ابن منظور، مرجع سابق، ج٦، ص ١٦٠، مادة: (فرس).

(٧) الصاحب ابن عباد، مرجع سابق، ج٨، ص١٣٦، مادة: (بصر).

(٨) المرجع نفسه.

(٩) ابن منظور، مرجع سابق، ج٦، ص ١٦٠، مادة: (فرس).

والفِراسة في الاصطلاح : «مكاشفة النفس ومعاينة الغيب وهي من مقامات الإيمان»[1].

وهذا التعريف يتناول نوعًا من الفراسة، وهو ما لا يُستدل عليه بسبب ظاهر، بل تأتي الفراسة للنفس مباشرة.

أما الفِراسة التي تستند إلى سبب ظاهر فعُرِّفت بأنها: «الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية»[2].

ب- أدلة الفراسة:

«مدح الله سبحانه الفراسة وأهلها في مواضع من كتابه فقال تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾[3] وهم المتفرسون الآخذون بالسِّيما . وهي العلامة . يقال: تفرست فيك كيت وكيت وتوسمته . وقال تعالى ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾[4] وقال تعالى ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾[5]»[6].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾[7]»[8] . قيل: إن معنى (المتوسمين) في الآية:

(١) ابن القيم، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج٢، ص٤٨٤؛ نقلاً عن: الداراني.

(٢) محمد علي بن علي التهانوي، **كشاف اصطلاحات الفنون**، (استانبول، دار قهرمان، ١٤٠٤هـ)، ج٢، ص١١٢٣.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٧٥.

(٤) سورة محمد، من الآية: ٣٠.

(٥) سورة البقرة، من الآية: ٢٧٣.

(٦) ابن القيم، **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، مرجع سابق، ص١٢.

(٧) سورة الحجر، الآية: ٧٥.

(٨) الترمذي وقال: "حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه"، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر، ج٥، ص٢٧٨، ح٣١٢٧؛ والطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٧، ص١٢١.

ورواه الطبراني عن أبي أمامة ﷺ بدون الآية، **المعجم الكبير**، مرجع سابق، ج٨، ص١٢١، ح٧٤٩٧؛ وقال الهيثمي: "إسناده حسن". (**مجمع الزوائد**، مرجع سابق، طبعة دار الريان، ج١٠، ص٢٦٨)؛ وقال السيوطي: "وأما حديث أبي أمامه فإنه بمفرده على شرط الحسن" (**اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٣هـ)، ج٢، ص٣٣٠). وذهب عدد من العلماء إلى تضعيفه، ومن المعاصرين: الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**، مرجع سابق، ج٤، ٢٩٩، ح١٨٢١؛ وتعقبه محمود سعيد ممدوح فصحح الحديث، **بشارة المؤمن بتصحيح حديث (اتقوا فراسة المؤمن)**، (د.م، د.ن، ١٤١٦هـ).

المتفرسين، وقيل: الناظرين، وقيل: المعتبرين، وقيل: المتفكرين[(١)]، «ولا تنافي بين هذه الأقوال، فإن الناظر متى نظر في آثار ديار المكذبين ومنازلهم، وما آل إليه أمرهم: أورثه فراسة وعبرة وفكرة»[(٢)].

قال الطبري: «يقول: إن الذي فعلنا بقوم لوط من إهلاكهم، وأحللنا بهم من العذاب لَعَلامات ودلالات للمتفرسين المعتبرين بعلامات الله، وعبره على عواقب أمور معاصيه والكفر به»[(٣)].

وقال ﷺ : «إنَّ للهِ -عَزَّ وَجَلَّ- عِبَادًا يَعرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ»[(٤)].

وقال ﷺ: «إنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ...»[(٥)] . «فأخبر سبحانه أن تقرب عبده منه يفيده محبته له، فإذا أحبه قرب من سمعه وبصره ويده ورجله، فسمع به وأبصر به وبطش به ومشى به، فصار قلبه كالمرآة الصافية تبدو فيها صُورُ الحقائق على ما هي عليه؛ فلا تكاد تخطئ له فراسة، فإنَّ العبد إذا أبصر بالله أبصر الأمر على ما هو عليه، فإذا سمع بالله سمعه على ما هو عليه، وليس هذا من علم الغيب بل علام الغيوب قذفَ الحق في قلب قريب منه؛ مستبشر بنوره، غير مشغول بنقوش الأباطيل والخيالات والوساوس التي تمنعه من حصول صور الحقائق فيه . وإذا غلب على القلب النورُ فاض على الأركان، وبادر من القلب إلى العين؛ فكشف بعين بصره بحسب ذلك النور»[(٦)] .

---

(١) ابن القيم، وصرَّح بقائليها، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج٢، ص٤٨٢.

(٢) المرجع نفسه، ج٢، ص٤٨٣.

(٣) **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٧، ص١٢٠ .

(٤) الطبراني، **المعجم الأوسط**، مرجع سابق، ج٣، ص٤٤٥، ح٢٩٥٦؛ والطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٧، ص١٢١؛ وحسن إسناده الهيثمي، **مجمع الزوائد**، مرجع سابق، طبعة دار الريان، ج١٠، ص٢٦٨؛ والألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، ج٤، ص٢٦٧، ح١٦٩٣ .

(٥) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الرقاق، باب التواضع، ج٧، ص٢٤٣-٢٤٤، ح٦٥٠٢.

(٦) ابن القيم، **الروح**، مرجع سابق، ص٥٣٢.

«وكان الصديق ﷺ أعظم الأمة فراسة . وبعده عمر بن الخطاب ﷺ . ووقائع فراسته مشهورة ... ويكفي في فراسته : موافقته ربه في المواضع المعروفة»[(١)]، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «مَا سَمِعْتُ عُمَرَ لِشَيْءٍ قَطُّ يَقُولُ إِنِّي لأَظُنُّهُ كَذَا إِلا كَانَ كَمَا يَظُنُّ . بَيْنَمَا عُمَرُ جَالِسٌ إِذْ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ جَمِيلٌ فَقَالَ عُمرُ: لَقَدْ أَخْطَأَ ظَنِّي، أَوْ إِنَّ هَذَا عَلَى دِينِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَوْ لَقَدْ كَانَ كَاهِنَهُمْ، عَلَيَّ الرَّجُلَ . فَدُعِيَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ . فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ اسْتُقْبِلَ بِهِ رَجُلٌ مُسْلِمٌ . قَالَ : فَإِنِّي أَعْزِمُ عَلَيْكَ إِلا مَا أَخْبَرْتَنِي . قَالَ : كُنْتُ كَاهِنَهُمْ»[(٢)].

و«روي أن رجلاً دخل على عثمان وقد نظر امرأة أجنبية فلما نظر إليه قال: هاء!! أيدخل علي أحدكم وفي عينيه أثر الزنى ؟ فقال له الرجل: أوحي بعد رسول الله ﷺ؟ قال: لا !! ولكن قول حق وفراسة صدق»[(٣)] .

«وفراسة الصحابة ﷺ أصدق الفراسة»[(٤)].

قال ابن القيم: «ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أمورًا عجيبة. وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم. ووقائع فراسته تستدعي سفرًا ضخمًا ... قال مرة يدخل عليَّ أصحابي وغيرهم. فأرى في وجوههم وأعينهم أمورًا لا أذكرها لهم. فقلت له -أو غيري- لو أخبرتهم ؟ فقال: أتريدون أن أكون معرّفًا كمعرف الولاة ؟ وقلت له يومًا: لو عاملتنا بذلك لكان أدعى إلى الاستقامة والصلاح . فقال: لا تصبرون معي على ذلك جمعة، أو قال : شهرًا . وأخبرني غير مرة بأمور باطنة تختص بي مما عزمت عليه، و لم ينطق به لساني وأخبرني ببعض حوادث كبار تجري في المستقبل . و لم يعين أوقاتها . وقد رأيت بعضها وأنا أنتظر بقيتها . وما شاهده كبار أصحابه من ذلك أضعاف أضعاف ما شاهدته . والله أعلم »[(٥)].

---

(١) ابن القيم، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج٢، ص٤٨٥.

(٢) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب إسلام عمر بن الخطاب ﷺ، ج٤، ص٢٩٣، ح٣٨٦٦.

(٣) أحمد المحب الطبري، **الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرين بالجنة**، (بيروت، دار الندوة الجديدة، ١٤٠٨هـ)، ج٣، ص٣٦؛ نقلاً عن: الملاء في سيرته، و لم أقف على هذا المرجع .

(٤) ابن القيم، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج٢، ص٤٨٦.

(٥) المرجع نفسه، ج٢، ص٤٨٩-٤٩٠ . وذكر ابن القيم عددًا من الوقائع مما يدل على فراسة عجيبة لشيخ الإسلام.

ج- أنواع الفراسة:

الفراسة ثلاثة أنواع[1]:

أ-فراسة إيمانية: وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده يفرق به بين الحق والباطل، ويخطر له الشيء فيكون كما خطر له، وينفذ إلى العين فيرى ما لا يراه غيره، وهي على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيمانـــًا فهو أحدُّ فراسة، وتُكتسب بغض البصر عن المحارم[2]، وترك الشهوات، وتعوّد أكل الحلال، وعمران الباطن بدوام المراقبة، والظاهر باتباع السنة[3]؛ فَتَنشأ هذه الفراسة «له من قربه من الله، فإنَّ القلب إذا قرب من الله انقطعت عنه معارضات السوء المانعة من معرفة الحق وإدراكه، وكان تلقيه من مشكاة قريبة من الله بحسب قربه منه، وأضاء له من النور بقدر قربه، فرأى في ذلك النور ما لم يره البعيد والمحجوب»[4]. و«صدق الفراسة من صدق الحال . فكلما كان الحال أصدق وأصح فالفراسة كذلك»[5].

ب-فراسة الرياضة والجوع والسهر والتخلي، وكشفها جزئي، وهي مشـــتركة بـــين المؤمن والكافر، ولا تدل على إيمان ولا ولاية.

ج-الفراسة الـــخَلْقية: وهي ما يُستدل به من الـــخَلق على الـــخُلق، كالاســـتدلال بخمود العين وكلال نظرها على بلادة صاحبها، وبتدويرها مع حمرتها وكثرة تقلبها علـــى خيانة صاحبها ومكره وخداعه، وهذه العلامات أسباب لا موجبة، فقـــد تتخلـــف عنـــها أحكامها لفوات شرط أو لوجود مانع.

---

(١) نفسه، ج٢، ص٤٨٣-٤٨٨؛ وبعض الإضافات في النوع الأول من : ابن القيم، **الـــروح**، مرجـــع ســـابق، ص٥٣٧.

(٢) قال ابن تيمية: "ذكر سبحانه آية النور عقيب آيات غض البصر فقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة النور: من الآية ٣٥] ... والله تعالى يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله فمن غض بصره عما حـــرم يعوضه الله عليه من جنسه بما هو خير منه؛ فيطلق نور بصيرته ويفتح عليه باب العلم والمعرفة والكشوف ونحـــو ذلك مما ينال بصيرة القلب". (**مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢١، ص٢٥٧-٢٥٨).

(٣) وهذه الطرق في تحصيل الفراسة مروية في مقولة عن شاه بن شجاع الكرماني.

(٤) ابن القيم، **الروح**، مرجع سابق، ص٥٣٢.

(٥) ابن القيم، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج٢، ص٤٩٤ .

٢- الإلهام:

أ- تعريف الإلهام:

الإلهام في اللغة: «ما يُلْقَى في الروع . يقال أَلهمه الله . واستلْهَمتُ الله الصبر»[١]. «وألهمه الله خيرًا لقنه إياه واستلهمه إياه سأله أن يلهمه»[٢].

وفي الاصطلاح: «إلقاءُ الشيء في الرُّوْعِ، ويختص ذلك بما كان من جهة الله تعالى، وجهة الملإ الأعلى»[٣]، فيجد «علم شيء في نفسه من غير تقدم ما يوصل إليه بحس أو استدلال»[٤].

«والملهَم هو الذي يُلقَى في نفسه الشيء فيُخبِر به حَدْسًا وفِراسة ، وهو نوع يَختصُّ به الله عز وجل من يشاء من عباده الذين اصطفى، مثل عمر، كأنهم حُدِّثوا بشيء فقالوه»[٥].

«والإلهام في القلب تارة يكون من جنس القول والعلم والظن والاعتقاد، وتارة يكون من جنس العمل والحب والإرادة والطلب، فقد يقع في قلبه أن هذا القول أرجح وأظهر وأصوب، وقد يميل قلبه إلى أحد الأمرين دون الآخر... وكثير من أهل الكشف يلقى في قلبه أن هذا الطعام حرام، أو أن هذا الرجل كافر أو فاسق، من غير دليل ظاهر، وبالعكس قد يلقى في قلبه محبة شخص وأنه ولي لله أو أن هذا المال حلال»[٦].

ب- الفرق بين الإلهام وغيره:

الفرق بين الإلهام والرؤيا: «أن المنام يرجع إلى قواعد مقررة وله تأويلات مختلفة ويقع لكل أحد، بخلاف الإلهام فإنه لا يقع إلا للخواص»[٧]. والمقصود هنا الإلهام الخاص، فإن الإلهام منه خاص، ومنه «عام للمؤمنين بحسب إيمانهم فكل مؤمن قد ألهمه الله رشده الذي حصل له به الإيمان»[٨].

---

(١) الجوهري، مرجع سابق، ج٥، ص٢٠٣٧، مادة: (لهم).

(٢) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١٤٩٨، مادة: (لهم) .

(٣) الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص٧٤٨، مادة: (لهم)؛ وينظر: الجرجاني، مرجع سابق، ص٥١؛ وابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج٤، ص٢٨٢، مادة: (لهم).

(٤) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٢، ص٣٨٣ .

(٥) ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج١، ص٣٥٠، مادة : (حدث).

(٦) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١٠، ص٤٧٦، ٤٧٧.

(٧) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٢، ص٤٠٥.

(٨) ابن القيم، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج١، ص٤٤.

والفرق بين الإلهام ولَمَّة الشيطان: أن الخاطر الذي يكون من الحق يستقر ولا يضطرب، والذي يكون من الشيطان يضطرب ولا يستقر[١]، فليست من الإلهام الهواتف التي تُسمع من الشياطين[٢]، وليست منه مخاطبة الإنسان نفسه ويتوهم أنه من الخارج وإنما هو من نفسه[٣]. ونُصَّ على أنَّ من مأكله حرام لا يُميـــز بين الإلهام ولمة الشيطان[٤].

والفرق بين الإلهام والفراسة: «أن الفراسة قد تتعلق بنوع كسب وتحصيل . وأما الإلهام فموهبة مجردة، لا تنال بكسب ألبتة»[٥].

وهذه الفروق التي ذُكرت فروق نسبية، لكنَّ التمييز بين الإلهام، والفراســـة الإيمانيـــة، والكشف، والتحديث، بصورة قاطعة غير متضح من كلام العلماء، فقد يُطلق هـــذا علـــى الآخر.

ج- أدلة الإلهام:

قال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[٦]، «قيل في تفسيرها : قَوُّوا قلوبهم، وبشروهم بالنصر . وقيل: احضُروا معهم القتال . والقولان حـــق. فإنهم حضروا معهم القتال، وثبتوا قلوبهم»[٧].

وقال تعالى في أصحاب الكهف: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾[٨]، أي: «ألهمناهم صبرًا»[٩].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[١٠]. جاء في معنى ﴿فُرْقَانًا ﴾ أربعة أقول متقاربة عن السلف[١١]، الرابع منها: «أنه هدى في قلوبهم يفرقون بـــه

---

(١) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٢، ص٤٠٥، ونسبه لأهل المعرفة.

(٢) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١٣، ص٦٨، ٧١، ٧٧-٧٨.

(٣) ابن القيم، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج١، ص٤٧.

(٤) علي بن سلطان القاري، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، تحقيق صدقى العطار، (مكة المكرمة، المكتبـــة التجارية، د.ت)، ج١، ص٢٥٢.

(٥) ابن القيم، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج١، ص٤٥.

(٦) سورة الأنفال، من الآية: ١٢.

(٧) ابن القيم، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج١، ص٤٦.

(٨) سورة الكهف، من الآية: ١٤.

(٩) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (أم حسبت أن أصحاب الكهف والـــرقيم)، ج٤، ص١٧٧؛ والطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٧، ص٦١٥.

(١٠) سورة الأنفال، من الآية: ٢٩.

(١١) الثلاثة: المخرج، والنجاة، والنصر.

بين الحق والباطل»[1]. وجمع بينها ابن كثير بقوله: «فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره وفق لمعرفة الحق من الباطل فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا وسعادته يوم القيامة وتكفير ذنوبه وهو محوها، وغفرها سترها عن الناس وسببًا لنيل ثواب الله الجزيل كقوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]»[3].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : «إن للشيطان لـمة وللملك لـمة . فأما لـمة الشيطان فتكذيب بالحق وإيعاد بالشر، وأما لـمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق . فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله عليه، ومن وجد الأخرى فليستعذ من الشيطان . ثم قرأ : ﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾[4]»[5]. واللَّمَّة: ما يقع في القلب بواسطة الملك، وتسمى: إلهامًا، وبواسطة الشيطان، وتسمى: وسوسة[6]، فالملائكة تُلقي في قلوب المؤمنين ما تخاطب فيه أرواحهم، والشياطين تلقي في قلوب العباد ما تخاطب فيه أروحهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[7]، «فمبدأ العلم الحق، والإرادة الصالحة: من لمة الملك . ومبدأ الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة: من لمة الشيطان»[8].

وقال ﷺ: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ : يا أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ

(١) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق أحمد شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ)، ج٣، ص٢٦٣، ونسبه لابن زيد، وابن إسحاق .

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، ج٢، ص٣١٤.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢٦٨.

(٥) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج٥، ص٢٦٨، أثر٦١٧٦؛ وصححه أحمد شاكر، تخريجه للمرجع نفسه، حاشية ١ .

(٦) المباركفوري، مرجع سابق، طبعة دار إحياء التراث العربي ج٨، ص٣٢٨-٣٢٩.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٨) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٤، ص٣٤.

تِلْكَ الأَبْوَابِ، قَالَ : وَيْحَكَ لا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ : الإِسْلامُ، وَالسُّورَانِ : حُدُودُ اللَّهِ، وَالأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ : مَحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِن فَوْقَ الصِّرَاطِ : وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ»[1]. قال ابن القيم: «فهذا الواعظ في قلوب المؤمنين هو الإلهام الإلهي بواسطة الملائكة»[2].

٣- التحديث:

أ- تعريف التحديث:

الحديثُ في اللغة : «ما يتحدّث به وينقل»[3]، «وكلُّ كلامٍ يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه يقال له : حديث»[4]، «ويقال للرَّجل الصادق الظن مُحَدَّثٌ»[5].

والمحدَّث في الاصطلاح جاء تعريفه في السُّنَّة بأنه : من تتكلم الملائكة على لسانه، فعن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «...وإنه لم يَبْعَثْ نبيًا إلا كان في أُمَّتِهِ مُحَدَّث، وإن يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر». قالوا: يا رسول الله، كيف مُحدَّث؟ قال: «تتكلم الملائكة على لسانه»[6].

وقال الراغب: المحدَّث: «مَنْ يُلقى في رُوعه من جهة الملأ الأعلى شيء»[7].

وقال ابن القيم: «هو الذي يحدَّث في سره وقلبه بالشيء، فيكون كما يحدث به»[8].

وهذه التعريفات بمعنى واحد .

(١) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٢٩، ص١٨١-١٨٢، ح١٧٦٣٤؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب الأمثال، باب ما جاء في مَثَل الله لعباده، ج٥، ص١٣٣، ح٢٨٥٩؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الإيمان، ج١، ص١٤٤-١٤٥، ح٢٤٥؛ وصححه الألباني، **مشكاة المصابيح**، مرجع سابق، ج١، ص٦٧، ح١٩١، حاشية ٣.

(٢) **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج١، ص٤٦.

(٣) الفيومي، مرجع سابق، ص٤٨، مادة: (حدث).

(٤) الراغب، مرجع سابق، ص٢٢٢، مادة: (حدث).

(٥) الجوهري، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٩، مادة: (حدث).

(٦) الطبراني، **المعجم الأوسط**، مرجع سابق، ج٧، ص٣٧٢، ح٦٧٢٢؛ قال الهيثمي : "وفيه أبو سعد خادم الحسن البصري، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات". **مجمع الزوائد**، مرجع سابق، ج٩، ص٦٩، ح١٤٤٣٩.

(٧) **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص٢٢٣، مادة: (حدث).

(٨) **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج١، ص٣٩.

والتحديث في الاصطلاح: : «هو ما يلقى في القلب من الصواب والحق»(١).

ب- أدلة التحديث:

قال ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنْ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ»(٢). وفي رواية: «لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ»(٣).

قال ابن حجر: «كذا قاله النبي ﷺ على سبيل التوقع، وكأنه لم يكن اطلع على أن ذلك كائن، وقد وقع بحمد الله ما توقعه النبي ﷺ في عمر ﷺ، ووقع من ذلك لغيره ما لا يحصى ذكره»(٤).

وقال رَسُول اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ »(٥).

٤- الكشف:

أ- تعريف الكشف:

الكشف في اللغة : «رفع شيءٍ عما يُواريه ويُغطِّيه»(٦).

وفي الاصطلاح: «عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة»(٧)، «وهو علم الصديقين المقربين»(٨).

وعُرِّف أيضًا بأنه : «علوم يحدثها الرب سبحانه وتعالى في قلب العبد. ويطلعه بها على أمور تخفى على غيره . وقد يواليها وقد يمسكها عنه بالغفلة [عنه](٩)، ويواريها عنه بالغين

---

(١) ابن القيم، **بدائع الفوائد**، مرجع سابق، ج١، ص٧٢.

(٢) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب أحاديث الأنبياء، بابٌ، ج٤، ص١٧٩، ح٣٤٦٩؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر ﷺ، ج٤، ص١٨٦٤، ح٢٣٩٨.

(٣) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ، ج٤، ص٢٤١، ح٣٦٨٩.

(٤) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٦، ص٥٩٦.

(٥) الترمذي وقال: "حسن صحيح غريب من هذا الوجه"، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب ﷺ، ج٥، ص٥٧٦، ح٣٦٨٢.

(٦) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١٠٩٧، مادة: (كشف).

(٧) الغزالي، **إحياء علوم الدين**، مرجع سابق، ج١، ص ١٩-٢٠.

(٨) المرجع نفسه، ج١، ص١٩.

(٩) في المرجع (عنها)، ولعل الصواب ما أثبت .

الذي يغشى قلبه . وهو أرق الحجب، أو بالغيم . وهو أغلظ منه، أو بالران . وهو أشدها»[1].

وكلا التعريفين حسن.

ويكون الكشف «بأن يسمع العبد مالا يسمعه غيره . وتارة بأن يرى مالا يراه غيره يقظة ومنامًا . وتارة بأن يعلم ما لا يعلم غيره وحيًا[2] وإلهامًا، أو إنزال علم ضروري، أو فراسة صادقة، ويسمى كشفًا ومشاهدات، ومكاشفات ومخاطبات: فالسماع مخاطبات، والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله «كشفًا» و«مكاشفة» أي كشف له عنه»[3].

«فإذا كانت الأمور الكونية قد تنكشف للعبد المؤمن يقينًا أو ظنًّا، فالأمور الدينية كذلك بطريق الأولى، فإنه إلى كشفها أحوج، لكن هذا في الغالب لا بد أن يكون كشفًا بدليل، وقد يكون بدليل ينقدح في قلب المؤمن لا يمكنه التعبير عنه وهذا أحد ما فُسِّر به معنى الاستحسان»[4].

وأفضل الكشف الرحماني «وأجله : أن يكشف للسالك عن طريق سلوكه ليستقيم عليها . وعن عيوب نفسه ليصلحها، وعن ذنوبه ليتوب منها»[5].

و«الكشف كثيرًا ما يعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم، وكذلك يدركون كثيرًا من الواقعات قبل وقوعها... وفي فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ كثير منها... ثم إن هذا الكشف لا يكون صحيحًا كاملاً عندهم إلا إذا كان ناشئًا عن الاستقامة؛ لأن الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلوة وإن لم يكن هناك استقامة كالسحرة وغيرهم من المرتاضين»[6].

---

(١) ابن القيم، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج٣، ص٢٢٢-٢٢٣.

(٢) من أنواع الوحي ما يكون لغير الأنبياء، كوحي الله إلى الحواريين، وأم موسى. (ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١٢، ص٣٩٨).

(٣) المرجع نفسه، ج١١، ص٣١٣.

(٤) ابن تيمية، **جامع الرسائل**، مرجع سابق، ج٢، ص٩٩-١٠٠.

(٥) ابن القيم، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج٣، ص٢٢٨.

(٦) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج٣، ص ١١٠١-١١٠٢.

ب- أدلة الكشف:

قال عمر ﷺ : «اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم، فإنه تتجلى لهم أمور صادقة»[1]. «وهذه الأمور الصادقة التي أخبر بها عمر بن الخطاب ﷺ أنها تتجلى للمطيعين هي الأمور التي يكشفها الله عز وجل لهم . فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ كَانَ نَحَلَهَا جَادَّ عِشْرِينَ وَسْقًا[3] مِنْ مَالِهِ بِالْغَابَةِ[4]. فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ : وَاللَّهِ، يَا بُنَيَّةُ مَا مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ غِنًى بَعْدِي مِنْكِ . وَلا أَعَزُّ عَلَيَّ فَقْرًا بَعْدِي مِنْكِ . وَإِنِّي كُنْتُ نَحَلْتُكِ جَادَّ عِشْرِينَ وَسْقًا . فَلَوْ كُنْتِ جَدَدْتِيهِ وَاحْتَزْتِيهِ كَانَ لَكِ . وَإِنَّمَا هُوَ الْيَوْمَ مَالُ وَارِثٍ . وَإِنَّمَا هُمَا أَخَوَاكِ وَأُخْتَاكِ . فَاقْتَسِمُوهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقُلْتُ يَا أَبَتِ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ كَذَا وَكَذَا لَتَرَكْتُهُ . إِنَّمَا هِيَ أَسْمَاءُ فَمَنْ الأُخْرَى ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : ذُو بَطْنِ بِنْتِ خَارِجَةَ . أُرَاهَا جَارِيَةً»[5]. «وذلك أنه كان تزوج امرأة من الأنصار يقال لها: حَبيبة بنت خارجة بن زيد الأنصاري، وكان له منها حَبْلٌ في وقت موته ففيه قال: «أُرَاهَا جَارِيَةً» فكان الأمر كما ظن، وُلدت بعد موته جارية سمتها عائشةُ أم كُلثوم، وبقيت حتى بلغت»[6].

نصَّ ابن القيم والشاطبي على أن هذه الواقعة من الكشف الرحماني[7]، وقال بعض الفقهاء : ذلك لرؤيا رآها أبو بكر ﷺ تأول فيها ذلك، وهذا لا يمتنع[8]؛ وكلاهما لا يَعلم

---

(١) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١١، ص٢٠٥، و لم أقف عليه في عدد من كتب الآثار.

(٢) المرجع نفسه .

(٣) الجادّ: بمعنى المجدود، أي : يُقطع من تمر نخله في الغابة ما يبلغ عشرين وسقًا، والوَسْق: ستون صاعـًا. (ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج١، ص٢٤٤-٢٤٥، مادة : (جدد)، ج٥، ص١٨٥، مادة : (وسق)).

(٤) "موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال لأهل المدينة". (ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ)، ج٤، ص١٨٢، مادة: (غابة)).

(٥) مالك، **الموطأ**، مرجع سابق، كتاب الأقضية، باب ما لا يجوز من النَّحْل، ج٢، ص٥٧٦، ح٤٠ .

(٦) عبد الملك بن حبيب السُلمي الأندلسي، **تفسير غريب الموطأ**، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ)، ج٢، ص٣٧-٣٨.

(٧) ابن القيم، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج٣، ص٢٢٨؛ والشاطبي، **الموافقات**، مرجع سابق، ج٤، ص٦١.

(٨) الباجي، **المنتقى شرح موطأ الإمام مالك**، مرجع سابق، ج٦ ، ص١٠٤؛ نقلاً عن ابن مُزَيْن قال: "قال بعض فقهائنا" وذكره.

الباحث له دليلاً قاطعًا، والثاني أقرب؛ لأن الرؤى تكثر في الناس، وأبو بكر رضي الله عنه من المعبرين.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أن عمر بعث جيشًا وأمَّر عليهم رجلاً يُدعى سارية، قال : فقام عمر يخطبُ الناس يوم الجمعة، فأقبل يصيح وهو على المنبر: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فقدم رسولُ الجيش فسأله، فقال : يا أمير المؤمنين لقينا عدوَّنا فهزمونا، فإذا صائح يصيح يا سارية الجبل، فاستندنا بأظهرنا إلى الجبل، فهزَمَهم الله، فقيل: إنك كنتَ تصيحُ بذلك»[1].

وعن وهب السُّوائِي قال : «خطبنا علي، فقال: مَنْ خير هذه الأُمة بعد نبيها ؟ فقلت: أنت يا أمير المؤمنين . قال: لا، خيرُ هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، وما نُبعِدُ أن السكينة تنطق على لسان عمر»[2] رضي الله عنه.

وعن طارق بن شهاب قال: «كنا نتحدث أن عمر بن الخطاب ينطق على لسانه ملك»[3].

وصح[4] عن جعفر الصادق «أنه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم، فتصح كما يقول. وقد حذر يحيى ابن عمه زيدٍ من مصرعه وعصاه، فخرج وقتل بالجوزجان كما هو معروف. وإذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فما ظنك بهم علمًا ودينًا وآثارًا من النبوة، وعناية من الله بالأصل الكريم تشهد لفروعه الطيبة»[5] .

ومن الكشف ما يحصل للمؤمنين عند خروج الدجال، حيث يقرؤون بين عينيه ما لا يقرأه غيرهم، وسواء كانوا قارئين أم أُمِّيين، قال ﷺ عن الدجال: «مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ .

---

(١) أحمد، **فضائل الصحابة**، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، (مكة، جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ)، ج١، ص٢٦٩-٢٧٠، أثر٣٥٥؛ وأبو نعيم الأصبهاني، **دلائل النبوة**، تحقيق محمد قلعه جي، وعبد البر عباس، ط٣، (بيروت، دار النفائس، ١٤١٢هـ)، ج٢، ص٥٧٩، أثر٥٢٦؛ وذكره ابن كثير وقال: "هذا إسناد جيدٌ حسنٌ"، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، ج١٠، ص١٧٥ .

(٢) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٠١، أثر ٨٣٤.

(٣) أحمد، **فضائل الصحابة**، مرجع سابق، ج١، ص٢٦٣-٢٦٤، أثر٣٤١ .

(٤) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج٢، ص ٨٢٩ .

(٥) المرجع نفسه.

يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»(١). وفي رواية: «بَيْنَ عَيْنَيْهِ: ك ف ر، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ قَارِئٌ وَغَيْرُ قَارِئٍ»(٢).

٥- هل يُطلب تحصيل الفراسة الإيمانية، والإلهام، والكشف، والتحديث؟

هذه الأمور ليست غاية تُطلب لِذَاتها، بل الغاية أن يجاهد المسلم نفسه على الاستقامة، ولا يَطلب تحصيل هذه الأمور.

«قال أبو علي الجوزجاني: كن طالبًا للاستقامة لا طالبًا للكرامة. فإن نفسك منجبلة على طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة»(٣). قال ابن تيمية: "فتعلم هذا؛ لأنه أصل كبير للطالبين، والعلماء الزاهدين، ومشايخ الصوفية»(٤).

وكان العظماء من أهل المجاهدة وعلى رأسهم الصحابة ﷺ لم تقع لهم عناية بهذه الأمور، وكان حظهم منها أوفر الحظوظ، بل كانوا يَعُدُّون ما وقع لهم منها امتحانًا، ويستعيذون بالله منه(٥).

٦- هل تُعدُّ الفراسة، والإلهام، والكشف، والتحديث من الأساليب المعتمدة في استشراف المستقبل؟

تكلم العلماء عن حكم العمل بها، وكونها من طرق الاستدلال الشرعية أم لا؟ وكلامهم عن واحد من الأربع يُعدُّ حكمًا لها جميعها؛ لأنها متقاربة، ويُطلَق بعضها على بعض(٦).

فمن العلماء من جعلها دليلاً بإطلاق، ومنهم من ألغاها مطلقًا، ومنهم من توسط فيها، قال ابن تيمية: "والذين أنكروا كَون الإلهام طريقًا شرعيًا على الإطلاق، أخطأوا كما أخطأ الذين جعلوه طريقًا شرعيًا على الإطلاق»(٧).

---

(١) مسلم، مرجع سابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ج٤، ص٢٢٤٩، ح٢٩٣٤.

(٢) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٢١، ص٢٢٥، ح١٣٦٢١.

(٣) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١١، ص٣٢٠.

(٤) المرجع نفسه، ج١١، ص٣٢١.

(٥) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج٣، ص ١١٠١.

(٦) مضى نقل نص عن ابن تيمية قريبًا من هذا المعنى، ص٦٤٩؛ وجاء في **الموسوعة الفقهية**: أن جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة يُلحقون الفراسة بالإلهام والكرامة. (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مرجع سابق، ج٣٤، ص٩٤).

(٧) ابن تيمية، **جامع الرسائل**، مرجع سابق، ج٢، ص٩٤-٩٥.

والصحيح أنه لا بد من عرضها على الكتاب والسنة، فإن ظهر في الإلهام ونحوه معارضة لهما لم يلتفت إليه؛ لأنه «قد ضمنت لنا العصمة فيما جاء به الكتاب والسنة، ولم تضمن لنا العصمة في الكشوف والإلهام»[1]. ولهذا كان إمام المحدَّثين عمر بن الخطاب ﷺ يَعرض رأيه على الكتاب والسنة، وكان يُشاوِر الصحابة ﷺ في الأحكام وغيرها، فحري بمن دونه أن يَعرض ما يعتريه على الكتاب والسنة فما وافقهما أخذ به وما خالفهما رده[2]. وما وافق الشريعة الإسلامية «فهو صالح للمتابعة والاستشهاد لا أنه عمدة لأنها في غنية بما بعث الله به نبيها عن كل منام أو مكاشفة أو إلهام أو تحديث»[3]. ومن أوجه العمل بالإلهام ونحوه: أن السالك إذا اجتهد «في الأدلة الشرعية الظاهرة فلم ير فيها ترجيحًا، وأُلهم حينئذ رجحان أحد الفعلين مع حسن قصده وعمارته بالتقوى، فإلهام مثل هذا دليل في حقه، قد يكون أقوى من كثير من الأقيسة الضعيفة، والأحاديث الضعيفة، والظواهر الضعيفة، والاستصحابات الضعيفة التي يحتج بها كثير من الخائضين في المذهب والخلاف وأصول الفقه... وليس المقصود هنا بيان أن هذا وحده دليل على الأحكام الشرعية، لكن أن مثل هذا يكون ترجيحاً لطالب الحق إذا تكافأت عنده الأدلة السمعية الظاهرة، فالترجيح بها خير من التسوية بين الأمرين المتناقضين قطعًا، فإن التسوية بينهما باطلة قطعًا، كما قلنا: إن العمل بالظن الناشئ عن ظاهر أو قياس، خير من العمل بنقيضه إذا احتيج إلى العمل بأحدهما»[4].

و«مخالفة الخوارق للشريعة دليل على بطلانها في نفسها. وذلك أنها قد تكون في ظواهرها كالكرامات وليست كذلك، بل أعمالاً من أعمال الشيطان»[5]؛ فهذه الأمور يتنازعها أن تكون من الله تعالى أو المَلَك، أو من الشيطان، أو من إيحاء النفس[6]، و«يقع فيها[7] من الصواب والخطأ نظير ما يقع في الرؤيا وتأويلها، والرأي، والرواية، وليس شيء

---

(١) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٢٦؛ نقلاً عن: أبي الحسن الشاذلي.

(٢) المرجع نفسه، ج١٣، ص٧٣؛ ج١١، ص٢٠٥-٢٠٧.

(٣) ابن القيم، **مفتاح دار السعادة**، مرجع سابق، ج١، ص٢٥٥.

(٤) **جامع الرسائل**، مرجع سابق، ج٢، ص٩٤، ٩٩-١٠١.

(٥) الشاطبي، **الموافقات**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٠٩ .

(٦) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١٠، ص٦١٣؛ وابن القيم، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج١، ص٥١؛ وابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٢، ص٤٠٥.

(٧) يعود الضمير هنا إلى (المكاشفات) .

معصومًا على الإطلاق إلا ما ثبت عن الرسول [ﷺ]؛ ولهذا يجب رد جميع الأمور إلى ما بعث به ولهذا كان الصديق المتلقي عن الرسول كل شيء؛ مثل أبي بكر أفضل من المحدث مثل عمر؛ وكان الصديق يبين للمحدث المواضع التي اشتبهت عليه؛ حتى يرده إلى الصواب. كما فعل أبو بكر بعمر يوم الحديبية؛ ويوم موت النبي ﷺ ، وفى قتال ما نعي الزكاة، وغير ذلك»[1].

«فكل من كان من أهل الإلهام والخطاب والمكاشفة لم يكن أفضل من عمر، فعليه أن يسلك سبيله في الاعتصام بالكتاب والسنة تبعًا لما جاء به الرسول [ﷺ]، لا يجعل ما جاء به الرسول [ﷺ]تبعًا لما ورد عليه»[2].

ومن اتبع شيئًا من هذه الواردات التي ترد عليه عن طريق الإلهام ونحوه، ولم يعرضها على الكتاب والسنة فإنما يتبع ظـنًا لا يُغني من الحق شيئًا[3].

قال الشاطبي: «هذه الأمور لا يصح أن تراعى وتعتبر، إلا بشرط أن لا تخرم حكمًا شرعيًا ولا قاعدة دينية؛ فإن ما يخرم قاعدة شرعية أو حكمًا شرعيًا ليس بحق في نفسه، بل هو إما خيال أو وهم، وإما من إلقاء الشيطان؛ وقد يخالطه ما هو حق وقد لا يخالطه. وجميع ذلك لا يصح اعتباره، من جهة معارضته لما هو ثابت مشروع»[4].

«ومن هنا يعلم أن كل خارقة حدثت أو تحدث إلى يوم القيامة فلا يصح ردها ولا قبولها إلا بعد عرضها على أحكام الشريعة. فإن ساغت هناك فهي صحيحة مقبولة في موضعها، وإلا لم تقبل»[5].

و«الخارق كشفًا كان أو تأثيرًا إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين كان من الأعمال الصالحة المأمور بها دينًا وشرعًا، إما واجب وإما مستحب، وإن حصل به أمر مباح كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكرًا»[6]، «كأن يرى المكاشَف أن فلانـًا يقصده في الوقت

(١) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١١، ص٤٢٩.

(٢) المرجع نفسه، ج١٣، ص٧٤ .

(٣) المرجع نفسه، ج١٣، ص٧٣ .

(٤) الشاطبي، **الموافقات**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٠٢-٢٠٣ .

(٥) المرجع نفسه، ج٢، ص٢١٢ .

(٦) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١١، ص٣١٩ .

الفلاني، أو يعرف ما قصد إليه في إتيانه من موافقة أو مخالفة، أو يطلع على ما في قلبه من حديث أو اعتقاد حق أو باطل، وما أشبه ذلك، فيعمل على التهيئة له حسبما قصد إليه، أو يتحفظ من مجيئه إن كان قصده الشر، فهذا من الجائز له؛ كما لو رأى رؤيا تقتضي ذلك، لكن لا يعامله إلا بما هو مشروع كما تقدم»[1].

والخلاصة: أنَّ الفراسة، والإلهام، والكشف، والتحديث، منها ما هو صحيح موافق لأصول الكتاب والسنة، فيقبل من باب المتابعة والاستئناس والاستبشار، أو الاحتياط والاحتراز والتحذير، ومنها ما هو باطل معارض لها فَيُرَدّ.

وعلى ذلك فإنَّ هذه الأربعة تُعدُّ أساليب استشرافية مُكمِّلة، وليست عمدة، فيُفاد منها في ظل الأساليب الأخرى المعتمدة مثل أسلوب التشاور المتميز لأهل الخبرة والاختصاص، ولا تستخدم لوحدها.

---

(١) الشاطبي، **الموافقات**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٠٨ .

خاتمة :

أساليب الاستشراف الممنوعة كثيرة جدًا، تفوق الحصر، فمن أهم أصولها التي ترجع إليها : الكهانة، والتنجيم، والتطير، والخط، والاستقسام بالأزلام .

وتوصل الباحث إلى أن الأساليب الإسلامية المشروعة في استشراف المستقبل هي: الوحي، والدعاء، والشورى، والمشاهد، والرؤى، والفراسة، والإلهام، والتحديث، والكشف، وهناك أمور أخرى تُعدُّ مساعدة لهذه الأساليب وهي كثيرة، وعلاقتها بالمستقبل نفسه وبالحاضر أكثر من علاقتها بعملية الاستشراف، وذلك مثل: التوكل، والتفاؤل، والتخطيط، والصبر، والحزم، ونحو ذلك؛ وهناك أمور لها علاقة بالاستشراف، لكن ينظر فيها من خلال الأساليب المعروضة هنا، مثل: القياس التاريخي، والتجربة، ونحوهما .

وبعد : فإنْ كان الإسلام قد منع الأساليب الاستشرافية التي لا تقوم على حقائق، فقد أباح أساليب أخرى، ودلَّ على أساليب تغني وتكفي عما هو ممنوع، فمنع الطيرة والتشاؤم وشَرَع التفاؤل، ومنع الكهانة وأباح الاستشارة والاستخارة؛ «ذلك أن العقول البشرية لها في إدراك الأشياء طريق معيَّنٌ تسلكه، وحَدٌّ محدود تقف عنده ولا تتجاوزه. فكل شيء لم يقع تحت الحس الظاهر أو الباطن مباشرة، ولم يكن مركوزًا في غريزة النفس ، إنما يكون إدراك العقول إياه عن طريق مقدمات معلومة توصل إلى ذلك المجهول، إما بسرعة كما في الحَدْس وإما ببطء كما في الاستدلال والاستنباط والمقايسة. وكل ما لم تمهّد له هذه الوسائل والمقدمات لا يمكن أن تناله يد العقل بحال . وإنما سبيله الإلهام، أو النقل عمن جاءه ذلك الإلهام»[1].

---

(١) دراز، مرجع سابق، ص٤٢.

الفصل الخامس

ملامح المنهج الإسلامي في النظرة المستقبلية

المبحث الأول : الملامح الاعتقادية

المبحث الثاني : الملامح التشريعية

المبحث الثالث: الملامح الزمانية

المبحث الرابع: الملامح المتعلقة بمزايا المنهج الإسلامي وخصائصه

تمهيد:

هذا الفصل يُعدُّ محصلة للفصول السابقة في هذا الباب، رأى الباحث أهميـــة إفـــراده؛ ليكون مدخلاً لتتابع الجهود في بناء منهج إسلامي متكامل للدراسات المستقبلية؛ ومن خلال هذا الفصل يضع الباحث الأسس التي يقوم عليها المنهج الإسلامي في الدراسات المســـتقبلية حسبما توصل إليه؛ لتَكُون منطلقـــاً للزِّيادة إليها، والبناء العملي عليها، أو التوسع في بحثها.

المبحث الأول

الملامح الاعتقادية

المطلب الأول : التزام المنهج الإسلامي بالأدب الجم مع الله سبحانه وتعالى، والاعتراف له بالعلم المحيط، والقدرة التامة، والمشيئة النافذة:

لئن كان دارسو المستقبل فرحوا بما تيسر لهم من مناهج وأساليب مكنتهم من النظرة الجيدة إلى المستقبل، فقد ضلوا وشطحوا في نظرهم إلى الربِّ، الخالق، المريد، المدبِّر؛ فتفوهوا بكلمات تدل على سوء الأدب مع الله -سبحانه وتعالى- والجهل التام بعلم الخالق، وقدرته، وإرادته، ومشيئته، تقشعر لها أبدان المؤمنين، وكانت بعض الكلمات شركًا في الربوبية، وقد أفتى ابن إبراهيم: بأنه أعظم من الشرك في الإلهية[(١)]، ومن تلك الكلمات ما يأتي:

١-يقول (يونك): «وملكة الخيال هذه التي ينعم بها الإنسان لها قوتها التي جعلت الإنسان، وقد حفزته ثمار طاقاته الخلاقة، يبدأ في تغيير موقفه حيال التسليم بمصير محتوم، فلم يعد للقوى الغيبية النائبة عن الناس سلطان على حياة هذا الجيل أو الأجيال المقبلة كذلك، وبالمثل انقضى سلطان قوانين التاريخ وتقلبات الحظ وأهواؤه، وإنما يتحكم في هذه الحياة رؤى الإنسان نفسه التي تتراءى أمامه ...[(٢)] وسواء رضينا أم كرهنا فإن المستقبل يبدأ في ذهن الإنسان»[(٣)].

٢-يقول (توفلر) بعد أن أشار إلى قصة من قصص الخيال العلمي، تتخيل عالمًا ذا مؤسسة سياسية مركزية « في (مجلس للجو) يضم ممثلين لمختلف الأمم، ويتولى هذا المجلس وضع السياسة الجوية، ويتحكم من خلالها في الشعوب من خلال تعديل المناخ، وإطلاق عاصفة هنا، وإرسال ريح هناك، ليضطر الشعوب إلى الخضوع»[(٤)]. وبعد أن علَّقَ: بأن

---

(١) **فتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ**، جمع وتحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٣٩٩هـ)، ج١، ص٣٢.

(٢) النقط في المرجع.

(٣) روبرت يونك، "الخيال والمستقبل"، ترجمة محمد جمال الدين الفندي، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، مرجع سابق، العدد ١، (شعبان/١٣٩٠هـ)، ص٢٤؛ والكاتب من المهتمين بالكتابات المستقبلية، له بالاشتراك مع آخر كتاب : (الإنسان عام ٢٠٠٠) . (ينظر: المرجع نفسه، ص٢٥، الحاشية العليا).

(٤) **صدمة المستقبل**، مرجع سابق، ص١٩٨.

الوقت لا يزال مبكرًا لحصول مثل هذا قال: « ولكن مما لا شك فيه أنه قد مضى ذلك الزمان الذي كنا نتقبل فيه بالنسبة للجو كل ما تتفضل به علينا السماء»[1]. ومعنى كلامه: أنهم ليسوا بحاجة إلى رحمة الله بإنزال المطر، وسكون الجو من الأعاصير والعواصف المدمرة، بل هم سيمارسون هذا الفعل. فانظر كيف وصلت بهم الغطرسة والغرور!

٣-قال (كورنيش) : «وبات واضحًا، في أواخر الستينات، أن تغييرين هامين يحدثان في نظرة الناس إلى المستقبل...والتغيير الهام الآخر هو الاعتراف بأن عالم المستقبل عالم طيّع وقابل للتشكل، فالكائنات البشرية لا تسير نحو عالم جبري مقرر سلفًا، ولكنها بدل ذلك شركاء فعالون في تكوين عالم المستقبل»[٢].

٤-يتحدث عبد الدائم عن إنسان اليوم فيقول :« إنه يريد أن يتحدى هذا القلق، كما يتحدى كل شيء في الكون، يريد أن يسيطر على المستقبل، وعلى المستقبل البعيد، كما يسيطر على كثير من معالم الحاضر. يريد بكلمة واحدة أن يكون حقًا خالق مصيره، ومبدع غده... ومن هنا يتطلع إلى المستقبل... ليسير بحضارة الإنسان إلى حيث يريد لا إلى حيث تريد أقدار وصدف غريبة عنه »[٣].

٥- يقول غالي: «فلا يزال الوجود العربي مقيدًا بضرورة المشيئة الإلهية. لذلك يغلب عليه طابع اليأس... وقد أكدت الفلسفة الغربية الحديثة على فاعلية الذات بينما ظلت الفلسفة العربية ترد هذه الفاعلية إلى المشيئة الإلهية، بل ظلت الفلسفة العربية في عمومها الأعم انتحارًا للذات»[٤].

بل تُدرس في الولايات المتحدة الأمريكية تلك الكويكبات الخطرة المحتمل اصطدامها بالأرض، من ذلك: الدراسات المستقبلية التي أعدها (جون إيكسون)، بعنوان : (الأرض هي الهدف)[٥]، ومنها دراسات تشير إلى أنَّ بداية الخطر ستكون عام (٢٠٢٧م) وما بعده، وتسعى لإيجاد خطة فاعلة وآمنة لتلافي خطرها، ومن المقترحات: إنشاء مركبات فضائية

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ١٨٣.

(٣) **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص١٦-١٧.

(٤) وائل غالي، **أوهام المستقبل**، (القاهرة، دار الثقافة، ١٩٩٨م)، ص١٠.

(٥) الخولي، مرجع سابق، ص٢٠٠-٢٠١ .

قادرة على ردِّ الأجرام السماوية المنطلقة نحو الأرض، ومنها: توجيه صواريخ ذاتية الـدفع عابرة للقارات لتفتيت هذه الأجرام[1] .

ويبحث الغرب في تهيئة سكن للإنسان على كوكب آخر، ومن المؤلفات في هذا ما كتبه (كارل ساجان) -وهو قيادي في برنامج الفضاء الأمريكي- بعنوان: (كوكب الأرض: نقطة زرقاء باهته: رؤية لمستقبل الإنسان في الفضاء)[2]، وجاؤوا بأفكار خرافية، إعجازية الحدوث، مَجَّدها كاتبون مسلمون[3]، قال تعالى: ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾[4].

أما المسلمون المتأدبون بالكتاب والسنة، وإن بلغوا من العلم أعلى درجاته فإن حالهم مع الله -عز وجل- كما قال الخضر -وقد آتاه الله من علم المستقبل شيئًا عجبًا- لموسى -عليه السلام- نبي الله وكليمه، أحد أولي العزم، الـمُنـزل عليه أحد أعظم الكتب : «وَاللَّهِ مَا عِلْمِي وَمَا عِلْمُكَ فِي جَنْبِ عِلْمِ اللَّهِ إِلا كَمَا أَخَذَ هَذَا الطَّائِرُ بِمِنْقَارِهِ مِنْ الْبَحْرِ»[5].

«العلم بـحر منتهاه يَـبْعُدُ   ليس له حـدٌّ إليه يُـقْصَـدُ
وليس كل العلم قـد حويته   أجل . ولا العُشْر ولو أحصيته
وما بـقي عليك منه أكـثر   مـما علمت والجواد يعثر»[6].

---

(١) الشرق الأوسط، مرجع سابق، العدد: ٨٢٨٦، (١٥/٥/١٤٢٢هـ) ص٣؛ وهذا التعامل في رأي الباحث بعيد عن الإسلام، فالمشروع أن المسلمين إذا رأو من آيات الله التي يخوف بها عباده أن يفزعوا إلى الصلاة والـدعاء حتى تنجلي، لا أن تُصرف الأوقات، وتُهدر الأموال، وتُستنـزف الجهود، في المجاهة .

(٢) تُرجم الكتاب إلى العربية، ونشر ضمن سلسلة عالم المعرفة، (٢٥٤)، (شوال، ١٤٢٠هـ).

(٣) ينظر: خالص جلبي، "استيطان المجرة: مشروع لعشرة ملايين من السنين"، الشرق الأوسط، مرجع سابق، العدد: ٨٦٨١، (٢٦/٦/١٤٢٣هـ) ص٢٣ .

(٤) سورة الرحمن، الآيات: ٣٣-٣٥.

(٥) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (فلما بلغا مجمع بينهما)، ج٥، ص٢٧٧، ح٤٧٢٦؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الفضائل، باب مـن فـضائل الخـضر، ج٤، ص١٨٥٠، ح٢٣٨٠.

(٦) ابن عبد البر، ونسبه للؤلؤي، **جامع بيان العلم وفضله**، مرجع سابق، ج١، ص٥٨٣ .

ومن أدب الخضر الجم مع الله تعالى قوله في خرق السفينة : ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾[(1)]، وقوله في الغلامين : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾[(2)]، فأضاف العيب إلى نفسه، ونسب الأمر الآخر إلى الله سبحانه.

وذو القرنين لـمَّا بنى السدَّ العظيم، وحمى سكان عصره والأجيال المتلاحقة من بعده، من شرور يأجوج ومأجوج، وكان عمله في غاية من القوة، "فما زَهَا، وما سَهَا، وما تكبَّر، ولم يقل: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾[(3)]، بل رد الفضل في كل ذلك إلى الله تعالى، ولم يعتقد أن عمله دائم خالد، وأن السدَّ لا سبيل إليه، بل قال في فقه المؤمن العليم، المؤمن بالآخرة، والعليم بضعف الإنسان، وتقلُّبات الزمان، ﴿ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾[(4)]"[(5)].

وكان نبينا ﷺ يُخبرُ بأمور مستقبلة كثيرة، فلمَّا قالت جارية - مع جُوَيْرِيَات يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ-: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تَقُولِي هَكَذَا وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ»[(6)].

والمسلم كلما ازداد علمه ازداد تواضعه لله تعالى؛ لأنه يطلع بذلك على سعة علم الله وعلى جهل الإنسان أمام علم الله، بل من صفات المسلم أنه يُسلِم ويستسلم لله سبحانه، عندما ينفي الحول والقوة عن نفسه إلا بالله، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أعلمك أو أدلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة لا حول ولا قوة إلا بالله. يقول الله عز وجل أسلم عبدي واستسلم»[(7)].

---

(1) سورة الكهف، من الآية: ٧٩.

(2) سورة الكهف، من الآية: ٨٢.

(3) هذا ما قاله قارون، كما قصه الله تعالى في سورة القصص، من الآية: ٧٨.

(4) سورة الكهف، الآية: ٩٨.

(5) أبو الحسن علي الحسني الندوي، **الصراع بين الإيمان والمادية: تأملات في سورة الكهف**، (دمشق، دار القلم، ١٤١٨هـ)، ص١٠٩.

(6) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا، ج٥، ص١٩، ح٤٠٠١؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب ما جاء في إعلان النكاح، ج٣، ص٣٩٩، ح١٠٩٠؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب في النهي عن الغناء، ج٥، ص٢٢٠، ح٤٩٢٢؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب الغناء والدف، ج١، ص٦١١، ح١٨٩٧.

(7) البيهقي، **شعب الإيمان**، ج١، ص٢١٦، ح١٩٣.

قال ابن تيمية في آخر حياته -وهو من المستقبليين المسلمين المبرِّزين-:

« لا أستطيع لنفسي جلب منفعة ... ولا عن النفس في دفع المضرات
وليس لي دونه مولى يُدبِّرني ... ولا شفيع إلى رب البريَّات
إلا بإذن من الرحمن خالقنا ... رب السماء، كما قد جاء في الآيات
ولست أملك شيئًا دونه أبدًا ... ولا شريك أنا في بعض ذراتي
ولا ظهيرٌ له كيما أعاونه ... كما يكون لأرباب الولايات
والفقر وصفُ ذات ، لازم أبدًا ... كما الغنى أبدًا وصف له ذاتي
وهذه الحالُ حالُ الخلقِ أجمعهم ... وكلهم عنده عبد له آتي
فمن بغى مطلبًا من دون خالقه ... فهو الجهول الظلوم المشرك العاتي»[1].

وقال ابن خلدون -وهو من المستقبليين المسلمين[2]- معترفًا لله تعالى بالعلم المحيط، وقلة علم الإنسان: «وفوق كل ذي علم عليم، ومرد العلم كله إلى الله، والبشر عاجز قاصر، والاعتراف متعين واجب؛ ومن كان الله في عونه تيسرت عليه المذاهب، وأُنجِحَت له المساعي والمطالب»[3].

فأين هذا التواضع الجم، ونفي الحول والطول، مِنْ تعالي المستقبليين الغربيين، ومَن تبعهم من العرب، وغطرستهم وتحديهم ؟

بل إن استخدام أسلوب الدعاء -وهو أحد أساليب الاستشراف في المنهج الإسلامي- يورث ويثمر التواضع والخضوع والخشوع والذل لله سبحانه وتعالى، وهو بهذا عكس الدراسات المستقبلية المجردة؛ إذ قد تورث استعظام النفس، والطغيان بما جرى التوصل إليه من ظن السيطرة على أحوال المستقبل، يقول ابن رجب : «السؤال فيه إظهار الذل من

---

(١) ابن عبد الهادي، مرجع سابق، ص٣٧٥.

(٢) لكن لديه بعض الشطحات في الاستشراف، منها: استشهاده بأقوال المنجمين في بعض المواطن، وغلوه في شأن الرؤى حتى جاوز بها الحدود الشرعية، عندما ذكر بعض ألفاظ غير معلومة المعنى؛ تُستجلَب بها الرؤى. (ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، **التعريف بابن خلدون ورحلته شرقًا وغربًا**، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، (د.م، لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ت)، ص٣٧٢ .

(٣) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج١، ص٣٢٦.

السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على دفع هذا الـضر، ونيل المطلوب، وجلب المنافع، ودرء المضار»[1].

فينبغي للعبد أن يعترف أن جميع ما به من نعمةٍ هي مِن الله سبحانه، وأن يحذر خداع النفس والشيطان، بما يوسوسانه من خطرات العُجب باستعظام هذا المقام، فيدعوانه إلى أن يضيف ذلك إلى نفسه، وأنه إنما وصل إلى ذلك بعقله وفطنته وعمله، وفقهه، وحزمه، وقوته، فرحًا منه بقوته على ذلك، وأنه بعد عزمه لن يغلب، فذلك لنفسه حمد مع نسيان منّة ربه بذلك وتفضله عليه، فإن غفل وسها فأضاف ذلك إلى نفسه، أنه هو الذي وصل إلى ذلك وحمد عقله وفطنته، وتخلصه وطلبه، ونسي نعمة ربه، استحق عند ذلك أن يوكل إلى نفسه، وينسى التوكل على ربه عز وجل، فلا يؤمن عليه من الخذلان[2] .

المطلب الثاني : يعلق المنهج الإسلامي المستقبل ويردُّه كلّه، قريبه وبعيده، قليله وكثيره، جليه وخفيه، إلى الله تعالى، ومن ذلك ما يَنوي الإنسان فعله ويريده، ويخطط له، وما يعزم عليه، ويُعلِّق ذلك على مشيئته سبحانه وإرادته، ويكل العلم كله، والصنع والتدبير له :

أوصى الله تعالى نبيه ﷺ وأمته[3] «بتفويض الأمر والقوّة إلى الله تعالى في المستقبل، وفي ما ينويه ويريده في المستقبل، وأن يشترط كل إرادة وعزم بمشيئة الله تعالى، فقال: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾[4]»[5].

---

(١) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، مرجع سابق، ج١، ص٤٨١.

(٢) المحاسبي، مرجع سابق، ص١٠٧-١٠٨.

(٣) أبو الحسن الندوي، **الصراع بين الإيمان والمادية: تأملات في سورة الكهف**، مرجع سابق، ص٧٦.

(٤) سورة الكهف، الآيتان: ٢٣-٢٤.

(٥) أبو الحسن الندوي، **الصراع بين الإيمان والمادية: تأملات في سورة الكهف**، مرجع سابق، ص٧٦.

«وهاتان –ما شاء الله، وإن شاء الله– كلمتان خفيفتان على اللسان يكثر النطق بهما من غير شعور وتعقُّل، ولكنهما كلمتان ثقيلتان عميقتان، زاخرتان بالمعاني، حاسمتان للمادية الرعناء، والاعتماد على النفس والإرادة»[1] .

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾[2]، ومما قيل في معنى ﴿ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ في الآية : إنها «على سبيل التعليم لمن أراد أن يفعل شيئاً مستقبلاً»[3]. كالآيتين السابقتين.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[6].

والمسلم فرح فخور بذلك الكنــز الذي وهبه الله عبادَه المؤمنين : «لا حول ولا قوة إلا بالله».

وما أجمل أدب الصحابة ﷺ، وحسن جوابهم للنبي ﷺ عندما يسألهم، فيقولــون: «الله ورسوله أعلم».

بل من مزايا المنهج الإسلامي: أنه يفوض اختيار المستقبل إلى الله عز وجــل، ويضــع خيرته فيما اختاره له ربُّه؛ فهو أعلم بما يُصلح الإنسان مــن الإنســان، وهــذا جلــي في الاستخارة، التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه ﷺ كما يعلمهم السورة من القرآن .

(١) المرجع نفسه، ص٧٦-٧٧.
(٢) سورة الفتح، من الآية: ٢٧.
(٣) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٢، ص٣٧٩ .
(٤) سورة الإنسان، الآية: ٣٠.
(٥) سورة التكوير، الآية: ٢٩.
(٦) سورة يونس، الآية: ١٠٧.

المطلب الثالث : إقرار المنهج الإسلامي باختصاص الله بعلم الغيب، وإنما البشر يدورون في فلك تعدد الاحتمالات وعدم الجزم بوقوع احتمال منها، فمجالهم في التوقع والعزم على الفعل بما أمدهم الله تعالى من نظر، وفِكْرٍ، وتفكر، وتدبر، واستخلاص العبر، وما أعطاهم من إرادة :

«هناك فرق شاسع بين «الغيب» والذي هو من علم علام الغيوب سبحانه وحده، وبين مفهوم «المستقبل» كما يوظفه الخبراء في مجال الدراسات المستقبلية. فمفهوم المستقبل حسب هؤلاء انعكاس على الزمن لآثار ونتائج أعمالنا أو عدم عملنا اليوم. وواضح من مضمونه ودلالته أن الأمر لا يتعلق لا بنبوءة ولا بكهانة. وإذا تمعنا في مفهوم الآيات... أدركنا أن المنهي عنه تكهن صورة واحدة للمستقبل، يدعي متزعمها معرفتها سلفًا. أما تصور تجلي ذلك الغد في صور متعددة، فهذا نحن مطالبون به، حتى نحشد القوى لدفع الشر الذي نتوقعه، ونكثف الجهد لجلب الخير الذي نستبشره»[1]، وهذا نحو ما يعبر عنه الفقهاء: بالنظر في مآلات الأفعال، وهو معتبر مقصود شَرعًا[2].«إن دور المستقبلية لا يكمن في إصدار نبوءات، إذ يتجلى هدفها في تحديد الاتجاهات، وتخيل مستقبل مرغوب فيه، واقتراح استراتيجيات لتحويله إلى مستقبل ممكن. فالأمر يتعلق بتسليط الأضواء على الاختيارات قصد مساعدة صانعي القرارات للتوجه نحو الأهداف طويلة[3] المدى، مع إطلاعهم على التدابير الواجب اتخاذها في الحين قصد الوصول إليها»[4]؛ «فالمستقبلية إذن منهج للتفكير والتقدير والتعامل مع الأزمنة القادمة وليست معرفة موضوعية مطلقة بحقائق المستقبل»[5].

وفي حديث جبريل لـمَّا قَال: فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ قَالَ ﷺ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ

---

(١) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٢٧٣-٢٧٤؛ وينظر: الخولي، مرجع سابق، ص٣٣.

(٢) الشاطبي، **الموافقات**، مرجع سابق، ج٤، ص١٤٠ .

(٣) في المرجع (الطويلة)، ولا يصح لغويًا .

(٤) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٢٧٧ .

(٥) خلاف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص٤٠.

رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ »[1]. ففي الحديث نفي العلم عن الساعة، وإثبات العلم بأماراتها، فلا يلزم من نفي العلم بالشيء نفي العلم أو الظن بأماراته، والدراسات المستقبلية تشبه هذا مع الفارق من وجهين: أن النبي ﷺ يوحى إليه، وغيره لا يوحى إليه؛ وأن أمارات الساعة لا تُدرَك إلا بالوحي، أما أمارات حوادث الدنيا المستقبلية فقد تدرك بالتجربة السابقة، واستقراء التاريخ، والعادة، والسنن المطَّردة، ونحو ذلك؛ فحقيقة ما يقع في المستقبل غير معلومة لأحد، لكنَّ أمارات هذا المستقبل وعلاماته يعرفها بعض الناس ممن أوتوا العلم، والتجربة، والبصيرة؛ قال الحسن : «إن الفتنة إذا أقبلت عرفها العالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل »[2].

المطلب الرابع : المنهج الإسلامي يربط العبد بربه: خشية، وإنابة، وخوفًا، ورجاءً، ويقطع عنه المخاوف الأخرى:

فهو منهج يبعث الأمن في النفوس، ويُبعد عنها المخاوف، التي تتسبب في قلقها ونكدها، وليس كغيره من طرق الضلال، التي تفرِّق الهموم على الإنسان، وتُكثر عليه المخاوف من الإنس والجان، وطوارق الليل والنهار.

لـمَّا لقي سفيانُ الثوري المنجمَ اليهودي (ما شاء الله) قال له: «أنت تخاف زحل وأنا أخاف رب زحل، وأنت ترجو المشتري وأنا أرجو رب المشتري، وأنت تغدو بالاستشارة[3] وأنا أغدو بالاستخارة، فكم بيننا؟ فقال له ما شاء الله: كثير بيننا ؟ حالك أرجى، وأمرك أنجح وأحجى»[4].

«أصبحتُ لا أرجو ولا أخشى سوى الـ ... ـجبارِ في الدنيا ويوم المحشرِ
وأراك تخشى ما يُقدَّرُ أنَّه ... يأتي به زُحلٌ وترجو المشتَري

---

(١) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (إن الله عنده علم الساعة)، ج٦، ص٢٤، ح٤٧٧٧؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ج١، ص٣٧-٣٨، ح٨.

(٢) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، مرجع سابق، ج٩، ص٢٤.

(٣) لعل المقصود -والله أعلم-: استشارة النجوم .

(٤) أبو حيان التوحيدي، **المقابسات**، تحقيق حسن السندوبي، (مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٤٧هـ)، ص١٢٣.

شتان ما بيني وبينك فالتزمْ طُرْقَ النجاة وخلِّ طُرْقَ المنكرِ»[1].

فكلما تأتي على الإنسان مخاوف مستقبلية سلبية، فإن الإسلام يسعى إلى إزالتها، ويفتح أبواب الأمل أمامه، ويحثه على التفاؤل، ويربطه بخالقه. عن أَبِي سَلَمَةَ قال: لَقَدْ كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا فَتُمْرِضُنِي، حَتَّى سَمِعْتُ أَبَا قَتَادَةَ يَقُولُ: وَأَنَا كُنْتُ لأَرَى الرُّؤْيَا تُمْرِضُنِي حَتَّى سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنْ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلا يُحَدِّثْ بِهِ إِلا مَنْ يُحِبُّ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَلْيَتْفِلْ ثَلاثًا وَلا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ»[2]. وفي رواية: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: «وَإِنْ كُنْتُ لأَرَى الرُّؤْيَا أَثْقَلَ عَلَيَّ مِنْ الْجَبَلِ فَمَا هُوَ إِلا أَنْ سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ[3] فَمَا أُبَالِيهَا»[4]، قال ابن حجر: «وقوله: «أَثْقَلَ عَلَيَّ مِنْ الْجَبَلِ» أي لما كان يتوقع من شرها»[5].

قال ابن القيم: «نهى من رأى رؤيا يكرهها أن يتحدث بها، فإنه ذريعة إلى انتقالها من مرتبة الوجود اللفظي إلى مرتبة الوجود الخارجي كما انتقلت من الوجود الذهني إلى اللفظي، وهكذا عامة الأمور تكون في الذهن أولاً ثم تنتقل إلى الذكر ثم تنتقل إلى الحس، وهذا من ألطف سد الذرائع وأنفعها، ومن تأمل عامة الشر رآه متنقلاً في درجات الظهور طبقًا بعد طبق من الذهن إلى اللفظ إلى الخارج»[6].

---

(١) البغدادي، **القول في علم النجوم**، مرجع سابق، ص٢١٢؛ والأبيات لعبد الله بن محمد البخاري، المعروف بالباقي، من أصحاب الوجوه في مذهب الشافعي، قالها لما قيل له: "إن منجمًا لقي رجلاً مُسلمًا، فقال له: كيف أصبحتَ؟ فقال: أصبحتُ أرجو اللهَ، وأخافه، وأصبحتَ أنت ترجو المشتريَ وتخافُ زُحل". (المرجع نفسه).

(٢) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب التعبير، باب إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها، ج٨، ص١٠٦، ح٧٠٤٤؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الرؤيا، بابٌ، ج٤، ص١٧٧٢، ح٢٢٦١.

(٣) وهو نحو الحديث المذكور.

(٤) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الطب، باب النفث في الرقية، ج٧، ص٣٢، ح٥٧٤٧؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الرؤيا، بابٌ، ج٤، ص١٧٧٢، ح٢٢٦١.

(٥) **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٠، ص٢٢٠ .

(٦) **إعلام الموقعين**، مرجع سابق، ج٣، ص١٥٢-١٥٣.

ومِن كرم الله تعالى أنّ الرؤيا المليحة يتأخر تفسيرها، فيُبشِّرُ عبده بالخير قبل وقوعه؛ لتفرح النفس بوصوله، بينما الرؤيا الرديئة تُرى في الغالب قبيل وقوعها، أو بعده؛ لئلا يضيق صدر الرائي قبل ذلك(١)، بل دَلَّ الحديث السابق أنها لا تضره إذا أتى بالآداب المذكورة.

«سَهِرَتْ أعينٌ ونامت عيون   من أمورٍ تكون أو لا تكون

فاطرح الهمّ ما استطعت عن القلْـ   ـب فحِمْلانك الهموم جنون

إنّ ربًّا كفاكَ بالأمس ما كا   ن سيكفيكَ في غدٍ ما يكون»(٢).

المطلب الخامس : من المتعين في الدراسات المستقبلية معرفة ما هو من خصائص الرَّبِّ سبحانه التي لا يشاركه فيها أحد، المتعلقة بأفعاله وإرادته، ومعرفة حدود عمل الإنسان ومجالاته:

معرفةُ هذا الأمر في الدراسات المستقبلية مهم جدًا، ويقضي على إشكالات كثيرة: فبه تحدد الموضوعات المستقبلية الجديرة بالدراسة، وبه تحدد مداخل التصورات المقترحة لعلاج القضية، ويَحفظ -بإذن الله تعالى- من الزلل في ذلك، وتجاوز الحدود.

فبعض الأمور المستقبلة قد تكفل الله بها و لم يجعل أمرها إلى البشر؛ فلا يحق لهم أن يتسببوا في منع أشياء، أو تقليلها، والحدِّ منها؛ بسبب أن رؤيتهم المستقبلية تقتضيها، ولكن بالسعي إلى فعل الأسباب الأخرى التي تحقق ما تكفل الله به، وذلك مثل (الرزق) -بمعناه الواسع : من إيجاد الموارد المتنوعة في الأرض، وإنزال ما شاء الله من السماء ما يُخرج به خيراتها- فإنه من خصائص الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾(٣). وقد هيأ سبحانه للإنسان سُبل طلبه والسعي في تحصيله وتنميته وتكثيره، وهي سُبل تتنوع وتختلف من عصر إلى عصر، ويوجد منها في عصر ما لم يوجد في عصور قبله.

---

(١) أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم الحنبلي (الشهاب العابر)، **البدر المنير في علم التعبير**، تحقيق حسين بن محمد جمعة، (بيروت، مؤسسة الريان، ١٤٢١هـ)، ص١٤١-١٤٣.

(٢) جميل بن مصطفى بك العظم، **الصُّبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات**، ط١، (بيروت، دارالبشائر، ١٤٢٠هـ)، ص٣٧، وجدها على ظهر نسخة من (خطب ناصر الدين ابن المـَيْلَق الشافعي).

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٢٢.

فعندما تتحدث بعض الدراسات المستقبلية عن (حدود النمو)، وأن الأرض ستكون عاجزة عن إمداد الناس بما يسد حاجتهم من الموارد؛ بسبب الكثرة العددية لسكان الأرض وعوامل أخرى، ثم يكون من التوصيات : (الحد من النسل)، فإن هذا من التعدي على ما هو من خصائص الله تعالى، وهي لا تُدرك أنه سبحانه قادر -إذا استنفد عباده الطرق الممكنة لاستثمار الأرض بالطرق المعلومة- أن يوجد سبلاً أخرى لم يعرفوها من قبل، قال تعالى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1]؛ وإذا كان الله تعالى نهى عن قتل الأولاد بسبب الفقر الحاضر، فكيف الحال بقتلهم خشية الفقر المتوقع لا الحاضر، وكلاهما قد نهى عنه القرآن.

هذه عقيدة إيمانية، يُضاف إليها ما يستدعيه منطق القوم من الاستدلال العقلي: وهو ما نعيشه هذه الأيام في مجال الهندسة الوراثية، من نجاح عمليات الاستنساخ[2] النباتي والحيواني في بعض الدول الغربية؛ مما يجعل الأمر كما يقول (باعوين): ثورة علمية متطورة في علاج الأمراض، وتحسين سلالات الحيوانات والنباتات، وفي مجال الصناعة، والبيئة[3].

المطلب السادس : ارتباطه عملياً بالاعتقاد والتشريع:

النظر إلى المستقبل في المنهج الإسلامي يتميز بأنه نظر عملي مباشر، ارتبط بالعقيدة والتشريع، والإخلال بهما خلل ينعكس على المستقبل، فالبناء على القبور، وشدُّ الرحال إليها، واتخاذها مساجد، والدعاء عندها، والذبح لله تعالى عندها، وموالاة الكافرين، والتشبه بهم، كل ذلك إثمٌ، وهوخلل عقدي تنعكس آثاره في المستقبل؛ والاستغفار، والتوبة،

---

(١) سورة التوبة، من الآية: ٢٨.

(٢) الاستنساخ: "استخراج كائن حي تام النضج من خلية جسدية واحدة من جسد واحد يكون مطابقًا تمامًا لأصله" . عبد الله المطلق، "الاستنساخ أنواعه وأحكامه"، صحيفة الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض: العدد: ١٢٦٣٩، (١٤٢٣/١١/٢٨هـ)، ص٣٠.

وجاء في توصيات الندوة الفقهية التاسعة المنعقدة في الدار البيضاء خلال المدة من ٨ إلى ١٤١٨/٢/١١هـ: التوصية الثامنة: "لم تر الندوة حرجًا في الأخذ بتقنية الاستنساخ والهندسة الوراثية في مجالي النبات والحيوان في حدود الضوابط المعتبرة". عبد الله المطلق، "الاستنساخ أنواعه وأحكامه"، الرياض ، مرجع سابق، العدد: ١٢٦٣٩، (١٤٢٣/١١/٢٨هـ)، ص٣٠.

(٣) محسن بن سليمان باعوين، "الاستنساخ بين الخوف والأمل"، مجلة الأمانة، أكاديمية شرطة عمان السلطانية، عُمان: العدد ١٠، (شعبان/١٤١٩هـ)، ص١١٦.

والدعاء، والوقف، والوصية، كل ذلك تشريع مندوب إليه، وله آثاره المستقبلية، والأمثلة على هذا الارتباط العقدي والتشريعي كثيرة يطول حصرها.

المطلب السابع: الإيمان بأشراط الساعة واجب، لكنه لا يُسوِّغ انتظارها، ولا يدعو إلى ترك العمل وإيجاد المخارج والرقي بالأمة؛ والإيمان بالكرامة للصالحين من عقيدة أهل السنة والجماعة، ولا يُسوِّغ طلبها وانتظارها، أو انتظار من تظهر على يديه:

عند الفتن وفي أزمنه الاستضعاف، تتشوف النفوس إلى من يعيد للأمَّة تاريخًا، ويبني لها مجدًا، مِن ظهور المهدي، أو القحطاني، أو نزول عيسى عليه السلام، أو ظهور رجل تظهر على يديه الكرامات الخارقة للعادة؛ ويدعوها ذلك إلى الخمول، والقعود، والانتظار، وترك العمل المثمر في إزاحة أسباب الاستضعاف وتلمس أسباب اكتساب القوة، بل يكون هذا الحال مرتعًا خصبًا لاستنبات أدعياء مهدية وغيرها، و" يا ويل مسلمي اليوم من انتظارهم لخوارق العادات في دنيا كشرت عن أنيابها لاستئصال شأفتهم"[1]؛ فالواجب على أبناء الأمة الإسلامية أنْ ينكفؤوا على العمل المثمر، ويبدأوا بخطوات الإصلاح التي تنتهي إلى ما يريده الله ويرضاه، مستعينين بالله في ذلك متوكلين عليه، متَّبعين ما أودعه الله في الكون من سنن للتغيير .

---

(١) محمد الغزالي، **فقه السيرة**، مرجع سابق، ص٥٢.

المبحث الثاني

الملامح التشريعية

المطلب الأول : من خصائص المنهج الإسلامي: أنه يقف على ما يدل عليه الدليل، ولا يتجاوزه إلى أوهام وظنون ضعيفة :

من خصائصه أنه يقف على ما يدل عليه الدليل، ولا يتجاوز في دراساته إلى توقعات لأزمان متطاولة تضعف فيها قوة الدليل إلى درجة إلغائه، ويُراد بالدليل ما تستند إليه الدراسات المستقبلية من القياس التاريخي، أو مدّ الاتجاه التاريخي، وغيرهما .

فليس من المنهج الإسلامي دراسة (المليون سنة القادمة)، ولا (الخمسمائة سنة القادمة)، بل ولا (المائة سنة القادمة)[1]؛ لأنها تضعف فيها قوة الدليل، إلا ما كان منها مستندًا إلى الوحي .

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[2]، وقال سبحانه : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[3].

وقعَّد المقري قاعدة مهمة في هذا المطلب فقال : « الذرائع القريبة جدًا ولا معارض معتبرة إجماعًا، كحفر بئر في الطريق . والبعيدة ملغاة إجماعًا»[4]، فلا يُمنع من زراعة العنب خشية اتخاذها خمرًا . وما بين القريبة والبعيدة محل اجتهاد[5] .

المطلب الثاني : عصمته في تشريعاته، وفي كثير من قواعده ونظرياته :

يَعُدُّ الباحثُ المبادئَ والقواعد والنظريات من الأسس الرئيسة في نجاح الدراسات المستقبلية، فالدراسات التي تَعتمد على مبدأ أو قاعدة أو نظرية صحيحة، تتحقق لها مقومات النجاح، وهذا في غاية الأهمية، فليس النجاح مقصورًا على بنية الدراسة ومعلوماتها، بل إلى ما تستند إليه من قواعد ونظريات .

---

(١) حملت هذه العناوين دراساتٌ غربية.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١١.

(٤) مرجع سابق، ج٢، ص٤٧١-٤٧٢.

(٥) المرجع نفسه، ج٢، ص٤٧٢.

والمنهج الإسلامي يَعتمد في تشريعاته وفي كثير من قواعده ونظرياته على وحي إلهي قد سلم من التحريف والتبديل، والزيادة والنقصان، ذلكم الكتاب والسنة؛ مما يقتضي عصمة التشريع، وسلامة القاعدة والنظرية، وصحتهما ودقتهما، قال الغزالي وابن تيمية : لاخلاف في عصمة الأنبياء عليهم السلام بما يتعلق بتبليغ الشرع والرسالة[١]، فالشريعة معصومة، وصاحبها ﷺ معصوم، وأمته معصومة فيما اجتمعت فيه[٢]. وغير الأنبياء ليسوا بمعصومين، ولو كانوا أولياء لله[٣]، فإنهم يُصيبون ويُخطئون في اجتهاداتهم؛ لذا فقواعدهم المستقبلية اجتهادية، تخطئ وتصيب.

ولتأكيد هذه العصمة، جاء استخدام بعض الأساليب الدقيقة في القرآن عند الإخبار ببعض المستقبليات، منها: الإخبار بالمستقبل بصيغة الماضي للدلالة على صدق وقوعه، ولهذا أدلة متعددة في القرآن الكريم، منها: قول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾[٥] ، «كأنه ماض وهو منتظر لصدقه في المَعْنى»[٦]، ونحو ذلك قول الله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾[٧]، والعرب لا تكاد تُوقع (ربّ) على مستقبل، وإنما يوقعونها على الماضي من الفعل[٨]، و«مودة الذين كفروا إنما تكون في الآخرة»[٩]، قال الكسائي: «الباب في (ربما) أن تدخل على الفعل الماضي، ودخلت هنا

---

(١) الغزالي، **المستصفى**، مرجع سابق، ج٢، ص٢١٤؛ وابن تيمية، **الفتاوى الكبرى**، (بيروت، دار المعرفة، د.ت)، ج٢، ص٣٣٥.

(٢) صبحي الصالح، **معالم الشريعة الإسلامية**، ط٤، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٢م)، ص٥٧.

(٣) ابن تيمية، **الفتاوى الكبرى**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٣٥.

(٤) سورة السجدة، الآية: ١٢.

(٥) سورة سبأ، الآية: ٥١.

(٦) يحيى بن زياد الفرَّاء، **معاني القرآن**، ط٣، (بيروت، دار عالم الكتب، ١٤٠٣هـ)، ج٢، ص٨٢ .

(٧) سورة الحجر، الآية: ٢.

(٨) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٧، ص٦٠.

(٩) الفرَّاء، مرجع سابق، ج٢، ص٨٢ .

على المستقبل إذ هذه الأفعال المستقبلة من كلام الله تعالى لما كانت صادقة حاصلة ولا بد، جرت مجرى الماضي الواقع»[1] .

ومن أمثلة فساد المبدأ أو الفرضية : ما توقعه مؤلفا كتاب (what futurists believe) : مِن أنَّ «مشاركة النساء للرجال في العمل ستكشف عن الصفات الحسنة لكلا الجنسين والتي ستؤدي إلى زواج من نتاجه خلق صفوة مؤثرة في الحياة المستقبلية »[2]. ولا يتسع المجال هنا لبيان فساد هذا المبدأ، وإنما يكفي أن يُقال: إن المبدأ المعصوم يقول:«إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»[3]؛ وهذا يدل على فساد تلك النتيجة من نتائج الدراسة، وذهاب ما بُني على هذا المبدأ من جهد هباءً .

و«كل الدلائل تؤكد أن (مصباح العقل) وحده لا يكفي لحماية المسيرة الإنسانية التي تحيط بها الأهواء والأضاليل والانحرافات من كل جانب، فإن الإنسانية - بالتالي- لا تستطيع أن تستغني عن (هداية الدين) الصحيح»[4]. وقد أظهرت نتائج الحضارة الحديثة التي قامت على العقل وحده، الفرق الشاسع «بين القدرة الاجتماعية للعقل، والقدرة التشريعية التي سمت فيها الأديان بالإنسان إلى مركزه اللائق به في الكون، فإن المنهجية الصحيحة للتشريع تقتضي إلمامًا واسعًا بفطرة الإنسان وخصائصه، وموقعه التاريخي والحضاري في الموكب البشري، وهذا لا يستطيع فرد أو مجموعة من الأفراد أن يدركوه، ولا أن يتخلصوا -وهم المشرعون- من العوامل المتحكمة فيهم، والتي توجه أفكارهم وعواطفهم، بطريق مباشرة وغير مباشرة إلى اتجاهات خاصة تحول دون التجرد الكامل، والتشريع المحايد، لكن الأديان- وحدها- قادرة على التشريع، لأنها نزلت من المحيط بكل شيء علمًا، والعالم بدقائق الأشياء»[5] .

---

(١) علي بن حمزة الكسائي، **معاني القرآن**، تحقيق عيسى شحاتة عيسى، (القاهرة، دار قباء، ١٩٩٨م)، ص١٧٤؛ وينظر: الفراء، مرجع سابق، ج٢، ص٨٢ .

(٢) ينظر: هوبكنز، في "الثقافة العالمية"، مرجع سابق، العدد ٥٢، (شوال/ ١٤١٠هـ)، ص٢٠٥، وتوقعهما كان ضمن خاتمة الكتاب، أما جل الكتاب فكان استطلاعًا لآراء سبعة عشر خبيرًا .

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة، ج٦، ص١٩٤، ح٥٢٣٢؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب السلام، باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، ج٤، ص١٧١١، ح٢١٧٢.

(٤) عويس، **تفسير التاريخ علم إسلامي**، مرجع سابق، ص٧٣.

(٥) المرجع نفسه، ص٧٤.

وإذا كانت الدول تُعنى بوضع دساتيرها وصياغتها أكثر من صياغة أي شيء آخر، فإنها لا تلبث بعد فترة إلا أن تعود إلى هذه الدساتير بالإكمال، أو التعديل والتغيير؛ فالنقص طبيعة لازمة للعقل البشري، يحتاج إلى وحي معصوم ينيره ويأخذ به نحو الكمال .

المطلب الثالث : امتلاكه الأسس والقواعد العلمية في الحكم على الأخلاق والتصرفات من حيث تأثيرها في المستقبل:

تفتقر مناهج الدراسات المستقبلية الغربية إلى أسس علمية تَحْكُم بها على الأخلاق والتصرفات من حيث تأثيرها في المستقبل؛ ويُرجِع (ويندل بيل) ذلك إلى اعتماد الدراسات المستقبلية بدرجة كبيرة على العلوم المختلفة، ويقول: «وهذا الاعتماد هو السبب الرئيسي الذي يفسر تأخر دراسات المستقبلات المفضلة عن دراسة الممكن والمحتمل: حيث إن المستقبليين في دراستهم يفتقرون للخطوط الأساسية التي تقود خطاهم، لأن جميع العلوم بما فيها العلوم الاجتماعية تتجاهل إلى حد كبير مسألة القيمة. فأحكام القيمة على عكس التقارير الحقيقية لا يمكن إثبات صحتها من عدمه بالأساليب العلمية. وكانت تلك هي النظرة السائدة في الخمسين سنة الماضية»[1].

أمَّا عند المسلمين فإن الأوامر والنواهي الصادرة عن الشارع الحكيم تُعدّ طريقًا علميًّا في الحكم على الصلاح والفساد، وقد نهى الشارع عن بعض الأعمال واتخاذ أشياء لأنها تؤدي في المستقبل الى انحراف عقدي أو أخلاقي أو هما معًا، مثل: نهيه عن اتخاذ القبور مساجد، ونهيه عن البناء على القبور؛ لأن ذلك داعيًا إلى أن يعبد الناس أهل القبور بعد تطاول الزمن، كما أرشد الشارع إلى أمور فيها نفع مستقبلي، مثل: برّ الآباء، فإنَّه ينفع البارَّ في برِّ أبنائه له، وغير ذلك في أمور كثيرة دل عليها الشارع؛ وبهذا كان منهج الإسلام متينًا، وحمايته للأخلاق والعقائد قويًّا، وهو يَرى أن الأخلاق والتصرفات يمكن النظر إليها من جهة المستقبل، ويُجرِي الشارع أحكامه وفق ما يعلم من نتائجها المستقبلية .

---

(١) ويندل بيل، "استحضار ما هو جيد في القيم، والحقيقة الموضوعية، والمستقبل "، ترجمة محمود فهمي، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، مرجع سابق، العدد ١٣٧، (أغسطس/ ١٩٩٣م)، ص ١٣.

المطلب الرابع: المنهج الإسلامي يوازن بين الأمور المختلفة في الحياة، بحيث لا يؤثر مكسب مستقبلي في خسارة جانب آخر، والموازنة فيه أمر أصيل:

"يشمل هذا المنهج الرباني كل حياة الإنسان وكل نفس الإنسان لا يأخذ عقله دون روحه، ولا يأخذ وعيه والقوى المعنوية فيه ويترك الجانب الفكري . لا يأخذ دنياه ويترك آخرته ولا يأخذ اقتصادياته أو اجتماعياته أو سياسياته ويهمل أخلاقياته- كلا إنه شامل لكل كيان الإنسان النفسي، وشامل كذلك لكل واقعه العظيم"(١).

المنهج الإسلامي يوازن بين الإيمان والمادة، فلا يؤثّر كسب مستقبلي مادي في نقصان إيمان العبد وخسارته؛ فيصبح عبدًا لديناره ودرهمه ودنياه، وتتشعب به الهموم، ولا يبالي الله به في أي الأودية هلك.

ولا يَفصل المنهج الإسلامي بين الدين والدنيا، بين السياسة والمسجد، بل الكل لله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾(٢). يقول (شمتز): "لا يوجد دين آخر غير الإسلام يربط الحياة السياسية والدينية ببعضها، ويوحد بين الطبيعة الروحية والدنيوية في الفرد"(٣). فالإسلام يخالف الطريقة الغربية التي فصلت بين الكنيسة والدولة وقالت: (ما لقيصر لقيصر، وما لله لله).

ويوازن المنهج الإسلامي بين المصالح العامة والمصالح الخاصة، فلا يطغى جانب على جانب، ولك أن تتخيل كثيرًا من تشريعات الإسلام التي تظهر فيها حكمة إيجاد التوازن بين الأمور، كفريضة الزكاة، والنهي عن الربا والاحتكار، وإباحة تعدد الزوجات؛ وقد أدرك هذه الحقيقة أحد رجال الأعمال حين صرَّح : بأنَّ السعي إلى مستقبل أفضل لشركته يؤثّر سلبًا في بعض نواحي المجتمع، وأن الشركة كلما ركزت على كفاءتها وفائدتها أصبحت

---

(١) محمد قطب،"الفكر الإسلامي كبديل عن الأفكار والعقائد والأيديولوجيات المستوردة"، (محاضرة)، من قضايا الفكر الإسلامي: أبحاث ووقائع اللقاء الثاني للندوة العالمية للشباب الإسلامي، ٢٣/١١-٣/١٢/١٣٩٣هـ، ط٤، (الرياض، دار الندوة العالمية، ١٤٢٠هـ)، ص٣٨٦. حديث المُحَاضر هنا عن: خصائص التصور الإسلامي بعامة .

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٣) مرجع سابق، ص ٣٢٩.

غير أخلاقية، ويُحِسُّ بتأنيبٍ حيال ذلك فيتساءل : «إلى أي مدى استخدمت إدارة الأعمال الاعتبارات طويلة المدى من أجل إسعاد المجتمع؟»(١).

«القرآن الكريم -إذن- يطرح قاعدة التوازن العريضة لكي يحمي التجربة البشرية في العالم من التفكك والتشتت والدمار، ولكي يمنح الإنسان، فردًا وجماعة، الطريق الذي ينسجم تمامًا مع تكوينه من أجل التقدم صعدًا لأداء مهمته الأساسية في الأرض.. وهذا -بالمقابل- يقدم لنا، على المستوى التاريخي، أحد الأسباب الكبرى التي تفسر نشوء الحضارات ونموها من جهة، وتوقفها وتحللها وانهيارها من جهة أخرى»(٢).

المطلب الخامس : المنهج الإسلامي يستوعب الثقافات الأخرى ، ويسمح بالإفادة منها بضوابط تتلخص في عدم معارضتها للشريعة الإسلامية:

ليس «في الإسلام معاداة للواقع، أو محاولة للبدء من نقطة الصفر، لذا فإن المنهج الإسلامي الحضاري منهج واقعي، يعتمد على ما أنجزه الآخرون، لأن العلم لا وطن له، والإسلام لا يجد غضاضة في الاستفادة من جهود الآخرين وما يتفق مع أساليبه وأدواته وتطلعاته وأصالته الفريدة التي تتبنى ما هو خير، وتقلع عن كل ما فيه دمار وشر»(٣).

«إن ما نهينا عنه من أعمال غيرنا هو ما كان على خلاف مقتضى شرعنا. أما ما فعلوه على وفق الندب أو الإيجاب أو الإباحة فإنا لا نتركه لأجل تعاطيهم إياه، لأن الشرع لم ينه عن التشبه بمن يفعل ما أذن الله فيه»(٤).

«والعلوم في أصلها ليست مباحة فقط بل هي مطلوبة شرعًا إما بالنص أو بالدلالة لأنها وسيلة لتحقيق الواجبات والأهداف العليا للرسالة الإسلامية ومن الأهداف العليا للأمة الإسلامية أن تكون هذه الأمة أعلى من غيرها ... إذا كانت العلوم وسيلة لتحقيق الواجبات والأهداف العليا فهي إذن واجبة لأن وسيلة الواجب واجبة بناء على القاعدة الشرعية»(٥).

---

(١) Katsuhiko Yazaki, "The Future Generations Alliance Foundation", in Slaughter, **The Knowledge Base**, Vol. 2, Pp. 36-37 .

(٢) عماد الدين خليل، **التفسير الإسلامي للتاريخ**، ط٤، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٣م)، ص٣٠١.

(٣) من جواب سؤال وُجه إلى وهبة الزحيلي عن حُكْم الإفادة من الغرب في مجال الدراسات المستقبلية، "تأملات في منهج المستقبلية الإسلامية"، حاوره: سرمد الطائي، في "المستقبلية"، مرجع سابق، العدد: ١، ص١٥٨.

(٤) جدعان، مرجع سابق، ص١٢٧؛ نقلاً عن : المواق المالكي صاحب (سنن المهتدين)، و لم أجده فيه .

(٥) يالجن، **أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون**، مرجع سابق، ص٧٧.

وإذا كان الغرب جعل الدراسات المستقبلية من الوسائل الحديثة التي يغزو بها العالَم، فليس للمسلمين مناص من اللحاق بركبه في هذا المجال، والتفوق عليه، ومجابهته بسلاح مثل سلاحه، «فخذ ما أحماه الفهم ودع ما أنماه الوهم. أما علمت أن الحكمة ضالة للمؤمن ينشدها ولا يبالي أين يجدها، وأن الحرب خدعة- وليست الخدعة إلا بدعة وأن المكر والخداع أمس بتلك الطباع . فلا غرو أن يدفع الشر بالشر ويتداوى من الخمر بالخمر، وقد قبل ﷺ إشارة الرام هرمزي بخندق مدينة الطائف وإشارة سلمان بمنجنيق الطائف. هذا وأولئك الأعراب من تلك البزة[1] معازيل، فكيف بنا مع هؤلاء الذين اتخذوا الأسلحة النارية سرابيل![2]»[3].

« فكل أمر ينفع الناس فإن القرآن لا يمنعه، بل يدل عليه لمن أحسن الاستدلال والانتفاع به[4] »[5].

«حتى قال الحجاج بن يوسف الثقفي في بعض خطبه ما معناه أيها الناس إن الله كفانا أمر الرزق وأمرنا بالعبادة فسعينا لما كفيناه وتركنا السعي للذي أمرنا به فليتنا أمرنا بطلب الرزق وكفينا العبادة حتى نكون كما أراده الله منا. هذا معنى كلامه لا لفظه. فلما بلغ كلامه هذا بعض السلف المعاصرين له قال إن الله لا يخرج الفاجر من هذه الدار وفي قلبه حكمة ينتفع بها العباد إلا أخرجها منه وإن هذا مما أخرجه من الحجاج »[6].

وعلى هذا فالدراسات المستقبلية الإسلامية ينبغي أن تكون واعية للأساليب والمناهج الغربية والشرقية، وتفيد بما يصلح منها .

---

(١) "البِزَّةُ: السلاح". (ابن منظور، مرجع سابق، ج٥، ص٣١٢، مادة : (بزز)).

(٢) "السِّربال: القميص والدِّرع، وقيل: كل ما لُبس فهو سربال ". (المرجع نفسه، ج١١، ص٣٣٥، مادة: (سربل)).

(٣) فهمي جدعان، **أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث**، ط٢، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م)، ص١٢١، نقلاً عن: ديوان الشيخ قبادو التونسي، جمع أبي عبد الله السيد محمد السنوسي، (تونس، مطبعة الدولة التونسية، ١٢٩٤هـ)، ص٤٧.

(٤) أي: بالقرآن.

(٥) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص٣٦.

(٦) الشوكاني، **أدب الطلب ومنتهى الأرب**، مرجع سابق، ص ٩١.

المطلب السادس : لا يهم التوقع، ولا متى زمن وقوعه، ولكن يهم العمل المثمر وعقد النية عليه، سواء وقع التوقع أو لم يقع:

عَنْ أَنَس ﷺ : «أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ : مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ : مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاةٍ وَلا صَوْمٍ وَلا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»(١). فعدَلَ النبي ﷺ عن إجابته فيما لا فائدة منه، إلى إرشاده لما هو أهم من سؤاله، وهو العمل لها .

ومِثْل هذا يُقال في الدراسات المستقبلية؛ فالعمل والإعداد للمستقبل هو الهدف الذي تسعى إليه، وهو ثمرتها؛ وإذا كان العمل بإتقان ممكنًا من غير استشراف فهو أولى؛ فليس المهم أن نستشرف المستقبل، ولكن المهم أن نُعدَّ له، ونعمل على تغيير المنكر وإقرار المعروف، وفعل الخير .

ويَشهد لهذا الملمح قول النبي ﷺ في الدَّجال: «إِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ»(٢). فمع عِلم الله عز وجل أنَّ الدَّجَّال لا يَخرج إلا في أُمَّة محمد ﷺ، فقد أُوحى إلى نوح عليه السلام والنبيين من بعده بخبر الدَّجَّال وفتنته؛ مما جعلهم يُنذرونه أقوامهم، فيعقدوا النية على توقي فتنته والحذر منه .

وقوله ﷺ : «إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا، فَلْيَفْعَلْ»(٣). فهنا يحض النبي ﷺ على قطع النظر إلى المستقبل ما دام أن الفعل محمود، ولا ينتج عنه ضرر.

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب علامة حب الله عز وجل، ج٧، ص١٤٦، ح٦١٧١؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، ج٤، ص٢٠٣٢، ح٢٦٣٩.

(٢) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي، ج٤، ص٤١، ح٣٠٥٧؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، ج٤، ص٢٢٤٥، ح٢٩٣١.

(٣) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٢٠، ص٢٩٦، ح١٢٩٨١؛ وقال المحقق: "إسناده صحيح على شرط مسلم".

المطلب السابع : إذا وعد الله عز وجل أو رسوله ﷺ بأمر، فلا بُدَّ للناس من الإتيان بالأسباب المحقِّقَة له:

قبل أن يُغادر البدريون المدينة أنزل الله تعالى: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾(١)، وقال الرسول ﷺ: "سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين"(٢)، فهذا وعد من الله عز وجل بانتصار المسلمين في بدر، والوعد لا يعني القعود وانتظار تحققه؛ لأنَّ "الأشياء المقدرة، تفتقر إلى أسبابها المعلومَة"(٣)؛ ولهذا جاء النبي ﷺ بجملة من الأسباب المتنوعة للحصول على هذا الوعد، وكان من آخرها استغاثته ربه وهو في العريش يوم بدر، "فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ «اللَّهُمَّ! أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي. اللَّهُمَّ! آتِ مَا وَعَدْتَنِي. اللَّهُمَّ! إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ لا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ» فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ"(٤)؛ فلم "يترك استغاثته بربه لعلمه أن الأمور المقدَّرة لا بد أن تقع بأسبابها اللازمة لها، المعروفة بها"(٥).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾(٦). ومع أن الله سبحانه تكفل بحفظ كتابه، إلا أنَّ النبي ﷺ وجَّه عنايته لهذا الحفظ، واتخذ له الأسباب الحسية، ليحميه من الضياع في زمنه ﷺ ومن بعده، فاتخذ كُتَّابًا للقرآن، يكتبونه، ونهى أن يُكتب غير القرآن ولو كان حديثه ﷺ؛ حتى لا يختلط القرآن بغيره، وأذن في التحديث عنه، قال ﷺ: «لا تَكْتُبُوا عَنِّي. وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ. وَحَدِّثُوا عَنِّي، وَلا حَرَجَ . وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ -

---

(١) سورة القمر، الآية: ٤٥.

(٢) ابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٦١٥؛ وينظر: الترمذي، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنفال، ج٥، ص٢٥١، ح٣٠٨٠ .

(٣) "رسالة من الشيخ أحمد بن محمد بن مُرِّي الحنبلي إلى تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية"، في : شمس والعمران، مرجع سابق، ص١٠٤.

(٤) مسلم، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، ج٣، ص١٣٨٤، ح١٧٦٣؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنفال، ج٥، ص٢٥١، ح٣٠٨١.

(٥) ابن مُرِّي، في : شمس والعمران، مرجع سابق، ص١٠٤.

(٦) سورة الحجر، الآية: ٩.

قَالَ هَمَّامٌ أَحْسِبُهُ قَالَ- مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ»[1]. كما عُني أبو بكر ﷺ بحفظ القرآن، فجمعه، ثم عُني به عثمان بن عفان ﷺ . فَتكَفَّلُ الله تعالى بحفظ كتابه لم يمنع الرسول ﷺ والخلفاء من بعده ﷺ من مباشرة الحفظ بالوسائل الحسية، بل إنَّ ما يفعله المسلم من وسائل الحفظ للوحي هو من حفظ الله تعالى .

كما أنَّ سُنَّته ﷺ من الوحي، وحِفْظها من حِفْظه، فكان ﷺ حريصًا على أن تُحفظ سنته عنه، فحث على حفظها، ورغب فيه، ودعا لمن يقوم بذلك، قال ﷺ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»[2]. فحُفظت سنته ﷺ في عهده وعهد أصحابه ﷺ في الصدور، ثم دُوِّنت في السطور لَـمَّا تميز القرآن عن غيره، وأُمن ما كان يخشاه النبي ﷺ.

يقول ابن تيمية : «العلم بأن الشيء سيكون والخبر عنه بذلك وكتابة ذلك لا يوجب استغناء ذلك عما به يكون من الأسباب التى لا يتم إلا بها . كالفاعل وقدرته ومشيئته؛ فإن اعتقاد هذا غاية فى الجهل، إذ هذا العلم ليس موجبًا بنفسه لوجود المعلوم باتفاق العلماء؛ بل هو مطابق له على ما هو عليه لا يكسبه صفة و لا يكتسب منه صفة»[3].

المطلب الثامن : ما أغلق الله أمرًا إلا فتح ما يغني عنه، وما أَدْخَلَ في أمر إلا جَعَلَ منه مخرجًا:

لـمَّا حرَّم الله الزنى جعل الزواج والتسري مباحين، ولـمَّا حرم الخبائث من الخمر وغيرها أحلَّ لعباده الطيبات من الرزق، ولـمَّا حرَّم التطير وإتيان الكهان والعرافين شرع لعباده الاستخارة والاستشارة، ولـمَّا حرَّم الربا أحلَّ البيع، وهكذا ما من مجال للناس فيه أَرَبٌ وحاجة فيغلقه الله سبحانه لحكمة يريدها إلا فتح مقابله ما يغنى عنه، وهو خير منه.

---

(١) مسلم، مرجع سابق، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، ج٤، ص٢٢٩٩، ح٣٠٠٤.

(٢) الترمذي وحسَّنه، مرجع سابق، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، ج٥، ص٣٣، ح٢٦٥٦؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، ج٤، ص٦٨، ح٣٦٦٠؛ وابن ماجه، مرجع سابق، المقدمة، باب من بلغ علمًا، ج١، ص٨٤، ح٢٣٠.

(٣) **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٨، ص٢٨٠.

كذلك ما وضع الله من مدخل إلا جعل له مخرجًا، ومـــن أمثلتـــه الجـــدول الآتي، إلا الإسلام فمن دخل فيه فليس له منه مخرج، فمن ارتدَّ قُتل بعد أن يُستتاب :

شكل رقم ٦ :

المدخل	المخرج
الرق	الكفارات، والترغيب في الإعتاق
الزواج	الطلاق، والخلع
التكليف	سقوطه أو بعضه عند العجز
إيجاب الوضوء والغسل بالماء	التيمم عند الضرورة أو فقد الماء

وذلك لأن أحكام الخالق المبدع مبنية على اليُسر والسماحة، ورفع الحـــرج والمشـــقة، «وهذه سنة الله كلما ازداد أمر عبده حرجًا زاد له فرجًا ومخرجًا»[(١)]، قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[(٢)].

وفي هذين الأمرين -الفتح وإيجاد المخارج- نظر مستقبلي حصيف؛ حيث يُمنع بهمـــا ظهور كثير من المشكلات، ويضع حلاً حاســـمًا لها.

فعلى المستقبلي المسلم أن يُعنى بهذا الجانب مما دلَّ عليه هذا المنهج، فعندما يجتهد فيمـــا يسوغ فيه الاجتهاد فيضع بعض الأنظمة والضوابط والشروط، يحسن به ألا يشقَّ على الناس فيدخلهم في أمر ولا يجعل لهم منه مخرجًا وفسحة، أو يُغلق عليهم أبوابـــًا ولا يَفتح ما يقوم مقامها، وإنْ فعل ذلك فقد شقَّ على الناس، وكان النظام نفسه عُرضة للفشـــل، واضـــطر الناس إلى التحايل عليه، وعدم الانصياع له، وفتحوا ما أُغلق عليهم بطرق مختلفة.

وهذا الملمح مهم؛ لأن كثيرًا من الأنظمة والضوابط والشروط إنما توضع بناءًا على نظرة أو دراسة مستقبلية معيَّنة، فالالتزام بمدلول هذا الملمح يكون داعمًا لهذه النظرة ومقوِّيـــًا لها.

وليس هذا بجديد في مجال مناهج البحث، «فقد طوعها العلماء المســـلمون في عصـــور الإسلام المبكرة للمنهج العلمي السليم شكلاً، وموضوعـــًا، وأسلوبـــًا»[(٣)]، مستفيدين مـــن

---

(١) محمد بن عبد الرحمن البخاري، **محاسن الإسلام وشرائع الإسلام**، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ص١٠.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ١٨٥.

(٣) أبو سليمان، مرجع سابق، ص٢٥.

منهج القرآن، من العناية بمصالح الناس، وتقرير ما ينفعهم، والارتباط بالواقع، وتفهم العلاقات بين الأشياء[1].

المطلب التاسع : إيجاد البديل المناسب للمحظور من مستجدات العصر منهج إسلامي أصيل:

هذا الملمح يندرج تحت الملمح السابق، ولكن أُفرد هنا لأهميته .

قال ابن تيمية : "النفوس لا تترك شيئًا إلا بشيء"[2]. وقال السعدي: "إذا منع الله عباده المؤمنين شيئًا تتعلق به إرادهم، فتح لهم بابًا أنفع لهم منه، وأسهل وأولى . وهذا من لطفه... ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾[3]... ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾[4]"[5] .

وقال ابن القيم : "من فقه المفتي ونصحه إذا سأله المستفتي عن شيء فمنعه منه وكانت حاجته تدعوه إليه، أن يدله على ما هو عوض له منه، فيسد عليه باب المحظور، ويفتح له باب المباح، وهذا لا يتأتى إلا من عالم ناصح مشفق قد تاجر الله وعامله بعلمه، فمثاله في العلماء مثال الطبيب العالم الناصح في الأطباء يحمي العليل عما يضره، ويصف له ما ينفعه، فهذا شأن أطباء الأديان والأبدان... ورأيت شيخنا[6] قدس الله روحه يتحرى ذلك في فتاويه مهما أمكنه، ومن تأمل فتاويه وجد ذلك ظاهرًا فيها، وقد منع النبي ﷺ بلالاً أن يشتري صاعًا من التمر الجيد بصاعين من الرديء، ثم دله على الطريق المباح، فقال : "بِعْ الْجَمْعَ بِالدَّرَاهِمِ ثُمَّ ابْتَعْ بِالدَّرَاهِمِ جَنِيبًا"[7] فمنعه من الطريق المحرم، وأرشده إلى الطريق المباح"[8].

---

(١) صابر طعيمة، **المعرفة في منهج القرآن الكريم : دراسة في الدعوة والدعاة**، (بيروت، دار الجيل، د.ت)، ص١٧٢- ١٧٣.

(٢) **اقتضاء الصراط المستقيم**، مرجع سابق، ج٢، ص٦٢١.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ١٠٦.

(٤) سورة النساء، من الآية: ١٣٠.

(٥) **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص١٥٠.

(٦) يعني ابن تيمية.

(٧) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب البيوع، باب إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه، ج٣، ص٤٦، ح٢٢٠٢؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب المساقاة، باب بيع الطعام مثلاً بمثل، ج٣، ص١٢١٥، ح١٥٩٣.

(٨) **إعلام الموقعين**، مرجع سابق، ج٤، ص١٥٩ .

وعصرنا أحوج ما يكون إلى تطبيق هذا الملمح، والعناية به؛ لكثرة المستجدات المحرمة، وتهافت الناس عليها، وقلة تورعهم عنها.

المطلب العاشر : شروط النظر المستقبلي في الإسلام :

١- اتِّباع المنهج العلمي القائم على الوحي، أو حقائق المعرفة التجريبية، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾(١).

٢- عدم تجاوز الحدود المسموح بها شرعًا للدراسات المستقبلية، سواء في المناهج والأساليب، أو في الخيارات والحلول المقترحة، أو في غيرها.

٣- أن ترتبط الدراسات بالواقع، وتبتعد عن الأوهام، والتخيلات، والمبالغات، والمخاوف التي لا أساس لها.

المطلب الحادي عشر : مِن المواضع التي تلغى فيها النظرة المستقبلية:

ليس دائمًا النظر إلى المستقبل يكون صحيحًا ومقبولاً، بل هناك مواضع تُلغى فيها النظرة المستقبلية، ويكون العمل على وفق الأدلة الشرعية، أو على وفق اقتضاء الأحوال الحاضرة، وأهم تلك المواضع ما يأتي:

١- إذا كانت النظرة تؤدي إلى ترك بعض ما أمر الله به أو أمر به رسوله ﷺ، وهذا يحتاج إلى حكمة بالغة، وفقه في الدين عميق، وتقى وورع، مثال ترك النظر المستقبلي لذلك: إنفاذ أبي بكر ﵁ جيش أسامة ﵁ مع كل الأخطار المستقبلية التي ذكرها له أصحابه ﵃ ، ومنهم عمر بن الخطاب المحدَّث ﵁، وكانت رؤية الصديق واضحة إذ صرَّح بأنه يَقْبل بكل احتمال يحلُّ به ولا يترك جيش أسامة إلا أن ينفذ إلى ما وجهه رسول الله ﷺ، وما دعاه إلى ذلك إلا الاستجابة لأمر رسول الله ﷺ فحسب، وقَطَعَ النظر عما سواه . ومثال ترْك الأمر: أن النبي ﷺ لما عزم على السفر لفتح مكة بعد نقض العهد، أمر أن يُخفى هذا؛ حتى يبغت قريشًا، فأرسل حاطب ﵁ كتابًا مع امرأة، «فيه مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنْ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلا ارْتِدَادًا وَلا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلامِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَقَدْ صَدَقَكُمْ»[1].

٢- إذا كانت النظرة المستقبلية تستدعي الإضرار بالحاضر وبخاصة إذا تعلق الأمر بحقوق الغير و لم يبيحوا ذلك، فإن النظرة هنا تُلغى؛ لأن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.

٣- إذا كانت النظرة المستقبلية لا تعود على صاحبها بخير، فيحصل له منها تشاؤم، أو قلق واكتئاب، أو انهزام نفسي، أو خذلان وقعود عن العمل، ونحوها من المظاهر السيئة التي تَحدث لدى بعض الأفراد بسبب النظرة المستقبلية .

المطلب الثاني عشر: ينبغي توخي الحكمة عند محادثة الناس عن الدراسات المستقبلية أو نتائجها:

تَخفى حقيقة الدراسات المستقبلية على كثير من الناس، وكونها أداة تخطيط، وليست تكهنًا ورجمًا بالغيب، ويتطلب اتضاح حقيقتها واستقرارها وقتًا ليس بالقصير، إذا اجتهد المستقبليون للتعريف بها، وبيان حقيقتها، وإزالة اللبس والإشكالات في مفاهيم الناس نحوها. وحتى ذلك الحين ينبغي توخي الحكمة عند محادثة الناس عن الدراسات المستقبلية ونتائجها، وبخاصة إذا كان من يُحدِّثُ الناس هم الدعاة إلى الله وأهل العلم الشرعي؛ إذ هُم الموقعون عن رب العالمين، قال علي ﷺ : «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ[2] أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟»[3]، و قال عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إلا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»[4].

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، ج٤، ص٢٣، ح٣٠٠٧؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أهل بدر ﷺ، ج٤، ص١٩٤١، ح٢٤٩٤.

(٢) "أي يفهمون". (ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٢) .

(٣) البخاري تعليقًا، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ج١، ص٤٦ .

(٤) مسلم، مرجع سابق، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، ج١، ص١١، أثر ٥ .

المطلب الثالث عشر : عدم توسع السلف في النظرة المستقبلية لا يعني إهمالها:

تَبيَّن من خلال عرض المباحث السابقة أنّ السلف كان لديهم نظرات مستقبلية، لكنهم لم يتوسعوا فيها كما توسعوا في دراسة كثير من العلوم والفنون، وهذا لا يجعلنا نُعرض عن ميدان الدراسات المستقبلية ونهملها؛ لأنّ عدم توسع السلف يَرجع -والله أعلم- إلى طبيعة العصور التي عاشوا فيها، وطبيعة القضايا التي واجهوها، والمطلع على عوامل نشأة الدراسات المستقبلية في العصر الحاضر، وطبيعة العصر الذي ظهرت فيه، يدرك ذلك تماماً .

فينبغي على المسلمين اليوم أن يُعنوا بها، وأن تتضافر جهودهم في تأصيل أسسها وفق تصور إسلامي متكامل؛ وقد أصاب من قال: إن الدولة التي سينجح علماؤها في تكوين مناهج متكاملة للدراسات المستقبلية ستمتلك سلاحًا قويًّا، ذا فاعلية مرتفعة جدًا في كثير من المجالات المهمة[(١)].

المطلب الرابع عشر : أهداف الدراسات المستقبلية الإسلامية:

قرر علماء الإسلام أن «العلم النافع هو الذي يتوسل به إلى عبادة الله -سبحانه وتعالى، حسب مفهوم العبادة الشامل كما وضحه قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[(٢)]...فالعلم إذا لم يكن مؤدياً إلى هذه الغاية في وسائله وأهدافه ونتائجه لا يعتبر علماً نافعًا»[(٣)].

ويرى (لاسويل) : أن امتلاك ملكة التخمين الجيد لنتائج الأفعال أمر عديم الفائدة ما لم يكن لدينا وسيلة ما في الحكم على صلاح النتائج المختلفة أو سوئها[(٤)]، ويوافقه الباحث

---

(١) قاله: لادا، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ١، (شعبان/١٣٩٠هـ)، ص٥٧.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢-١٦٣.

(٣) محمد بن صامل السلمي، **منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه**، (المنصورة: مصر، دار الوفاء، ١٤٠٨هـ)، ص ٢٧.

(٤) Bell, **Foundations of Futures Studies**, Op. Cit., Vol. 1, P. 52.

نقلاً عن:

Lasswell, "The world revolution of our time: A framework for basic policy research." Pp 29-96 in H.D. Lasswell and D. Lerner (eds.), (World Revolutionary Elites. Cambridge, MA: MIT Press, 1965).

على ذلك، ووسيلة الحكم على صلاح النتائج وفسادها في الإسلام: الكتاب والسنة، وقد دلاَّ على جملة من الأهداف، وفيما يلي إشارة إلى أبرزها:

١- حفظ الضرورات الخمس للمسلمين، وهي الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، وهو حفظ أصبح -في أكثر هذه الضرورات- أصعب من ذي قبل بسبب الانفتاح العالمي، وسرعة التواصل وسهولته بين الشرق والغرب .

٢- حماية المسلمين من أن تُستباح بيضتهم .

٣- التعرف على الخطط العالمية الموجهة ضد المسلمين، وفضحها؛ فتَكُون الدراسات المستقبلية (النذير العريان)[1] للمسلمين.

٤- التعرف على الوسائل التي تُمَكِّن للمسلمين في العالم، وتجعلهم قادة يُمارسون مهمتهم في تقديم السعادة للإنسانية دون أي عائق .

٥- تقديم الإسلام للعالم أجمع، وإنقاذ البشرية من النار، ومن الانحطاط الأخلاقي الذي أخذ يسري في الأمم .

وإجمالاً : ينبغي أن تكون الدراسات المستقبلية أسباباً تسعى لنقل المسلمين من حال إلى حال أحسن منها، أو تُبيِّن كيفية نقلهم؛ أو تسعى لدرء فتن عنهم، أو تبين كيفية درئها.

---

(١) "قال العلماء: أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يُوجب المخافة نزع ثوبه، وأشار به إليهم إذا كان بعيدًا منهم ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم، وهو طليعتهم ورقيبهم". (النووي، المنهاج، مرجع سابق، ص١٦٩٤).

المبحث الثالث

الملامح الزمانية

المطلب الأول : المنهج الإسلامي استغرق اهتمامُه أقسامَ المستقبل جميعها:

عُني الإسلام عناية دقيقة بشأن المستقبل، حتى إنه احتوى أزمنته جميعها: فشملت عنايته للَّحظة الحاضرة، والمستقبل اليومي، والشهري، والسنوي، والعُمري، والدنيوي، والأخروي الأبدي.

أ–اللحظة الحاضرة :

«كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»(١). وهذا فيه الحث على استثمار اللحظة الحاضرة بالأعمال النافعة، وقطع النظر عن الآمال التي تسبب التراخي، والفتور، والتسويف، والتأجيل؛ "وهو متضمن لنهاية قصر الأمل، وأن العاقل ينبغي له إذا أمسى لا ينتظر الصباح وإذا أصبح لا ينتظر المساء، بل يظن أن أجله مدركه قبل ذلك»(٢).

ب– مستقبل اليوم والليلة :

قال ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه تعالى أنه قال: «ابْنَ آدَمَ، ارْكَعْ لِي مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ أَكْفِكَ آخِرَهُ»(٣).

ودلَّ النبي ﷺ أمته على أوراد متنوعة تُقال في كل صباح وكل مساء، وهذه الأدعيـــة منها ما هو متوجه ليوم الإنسان وليلته بالحفظ فيهما، وطلب الخير الذي فيهما، والاستعاذة من الشر الذي فيهما، من ذلك ما رَوى عبد الله بن مسعود ﷺ قال : كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ . لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَــهُ».

---

(١) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ : "كن في الدنيا كأنك غريـــب"، ج٧، ص٢١٩، ح٦٤١٥؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب الزهد، باب ما جاء في قصـــر الأمـــل، ج٤، ص٤٩١، ح٢٣٣٣ .

(٢) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١١، ص٢٣٩؛ نقلاً عن بعض العلماء .

(٣) الترمذي، وقال: "حسن غريب"، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب ما جاء في صلاة الضحى، ج٢، ص٣٤٠، ح٤٧٥؛ وصححه الألباني، **صحيح سنن الترمذي**، مرجع سابق، ج١، ص١٤٧.

قَالَ: أُرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا . وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا . رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ . رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ». وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ»(١). وقال ﷺ : «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ»، فَكَانَ أَبَانُ قَدْ أَصَابَهُ طَرَفُ فَالِجٍ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ أَبَانُ: مَا تَنْظُرُ؟ أَمَا إِنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثْتُكَ وَلَكِنِّي لَمْ أَقُلْهُ يَوْمَئِذٍ لِيُمْضِيَ اللَّهُ عَلَيَّ قَدَرَهُ(٢).

وقد نالت هذه الأدعية والأوراد عناية علماء الإسلام فألفوا فيها المؤلفات، مثل: (عمل اليوم والليلة)، ألَّف بهذا العنوان عدد من علماء الإسلام، و(دعوات الأيام والليالي)(٣)، و(داعي الفلاح في أذكار المساء والصباح)(٤)، وغيرها كثير.

ج-مستقبل الشهر

كَانَ ﷺ إِذَا رَأَى الْهِلالَ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ وَالإِيمَانِ وَالسَّلامَةِ وَالإِسْلامِ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ»(٥). وفي سند ضعيف(٦) : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا رَأَى الهِلالَ قال: «اللَّهُ أَكْبَرُ،

---

(١) مسلم، مرجع سابق، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ج٤، ص٢٠٨٩، ح٢٧٢٣؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، ج٥، ص٤٣٥، ح٣٣٩٠؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، ج٥، ص٣١٣، ح٥٠٧١.

(٢) الترمذي وقال : "حسن صحيح غريب"؛ وأبو داود؛ وابن ماجه؛ والحاكم -دون قصة أبان- وصححه ووافقه الذهبي؛ سبق تخريجه، ص٤٧٠، حاشية ١ .

(٣) لأبي العباس أحمد بن علي بن يوسف البوني القرشي، ت (٦٢٢هـ).

(٤) لجلال الدين السيوطي.

(٥) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٣، ص١٧، ح١٣٩٧؛ والترمذي وقال: "حسن غريب"، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال، ج٥، ص٤٧٠، ح٣٤٥١؛ وصححه الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، ج٤، ص٤٣٠، ح١٨١٦.

(٦) الألباني، **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، ط٢، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ)، ج٤، ص١٨٩، ح٤٤١٠.

الْحَمْدُ لِلَّهِ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الشَّهْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْقَدَرِ، وَمِنْ سُوءِ الْمَحْشَرِ»[1].

د- مستقبل العام :

قال تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴾[2]. قال ابن القيم: "وهذه هي ليلة القدر قطعًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾[3]"[4]. "قَالَ الْعُلَمَاء: وَسُمِّيَتْ لَيْلَة الْقَدْر؛ لِمَا يُكْتَب فِيهَا لِلْمَلائِكَة مِنْ الأَقْدَار وَالأَرْزَاق وَالآجَال الَّتِي تَكُون فِي تِلْكَ السَّنَة"[5]، وقد شُرع تحري هذه الليلة بالقيام والدعاء.

وكان ﷺ يدَّخر لأهله قُوت سَنَة، عن عمر ﷺ قال: «كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِمَّا لَمْ يُوجِفْ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلا رِكَابٍ، فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِ، ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السِّلاحِ وَالْكُرَاعِ[6] عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[7].

هـ- المستقبل العمري الذي يستغرق حياة الإنسان كلها :

قال ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ، ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ. ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ»[8]. وهذا هو التقدير العمري.

---

(١) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٣٧، ص٤٥٣، ح٢٢٧٩١.

(٢) سورة الدخان، الآيات: ١-٥.

(٣) سورة القدر، الآية: ١.

(٤) **شفاء العليل**، مرجع سابق، ج١، ص٦٩.

(٥) يقرفون، أي: "يخلطون فيه الكذب". (النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٦٦١).

(٦) "الكُراع: اسم لجميع الخيل". (ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج٤، ص١٦٥، مادة: (كرع)).

(٧) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب المجن ومن يترس بترس صاحبه، ج٣، ص٢٩٩، ح٢٩٠٤؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء، ج٣، ص١٣٧٦، ح١٧٥٧.

(٨) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ج٤، ص٩٤، ح٣٢٠٨؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، ج٤، ص٢٠٣٦، ح٢٦٤٣.

وقال ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»(١).

وعن أنس ﷺ قال : كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»(٢). وغيرها من الأدعية الجامعة التي مضى ذِكْرُها في أسلوب الدعاء.

و- المستقبل الدنيوي:

وإبداع خلق السموات والأرض بمكوناتهما قائم على ذلك، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾(٥).

« قال الحسن: لم يزل الليلُ والنهار سريعين في نقص الأعمار، وتقريب الآجال، هيهات قد صحبا نوحًا وعادًا وثمودَ وقرونًا بين ذلك كثيرًا، فأصبحوا قَدموا على ربهم، ووردوا على أعمالهم، وأصبح الليل والنهار غضَّيْن جديدين، لم يُبلِهُما ما مرَّا به، مستعدَّين لمن بقي بمثل ما أصابا به من مضى»(٦).

ولـمَّا أراد الله إغراق من في الأرض بالطوفان أمر نبيه نوحًا عليه السلام: ﴿ ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ﴾(٧)، وهذا من العناية بالمستقبل الدنيوي؛ حتى لا تخلو الأرض من الحياة.

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها، ج٨، ص٢١٤، ح٧٣٩٦؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع، ج٢، ص١٠٥٨، ح١٤٣٤.

(٢) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة)، ج٧، ص٢١٠، ح٦٣٨٩؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة...، ج٤، ص٢٠٧٠، ح٢٦٩٠.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢٩.

(٤) سورة النازعات، الآيات: ٣٠-٣٣.

(٥) سورة عبس، الآيات: ٢٤-٣٢.

(٦) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٨٣.

(٧) سورة هود، من الآية: ٤٠.

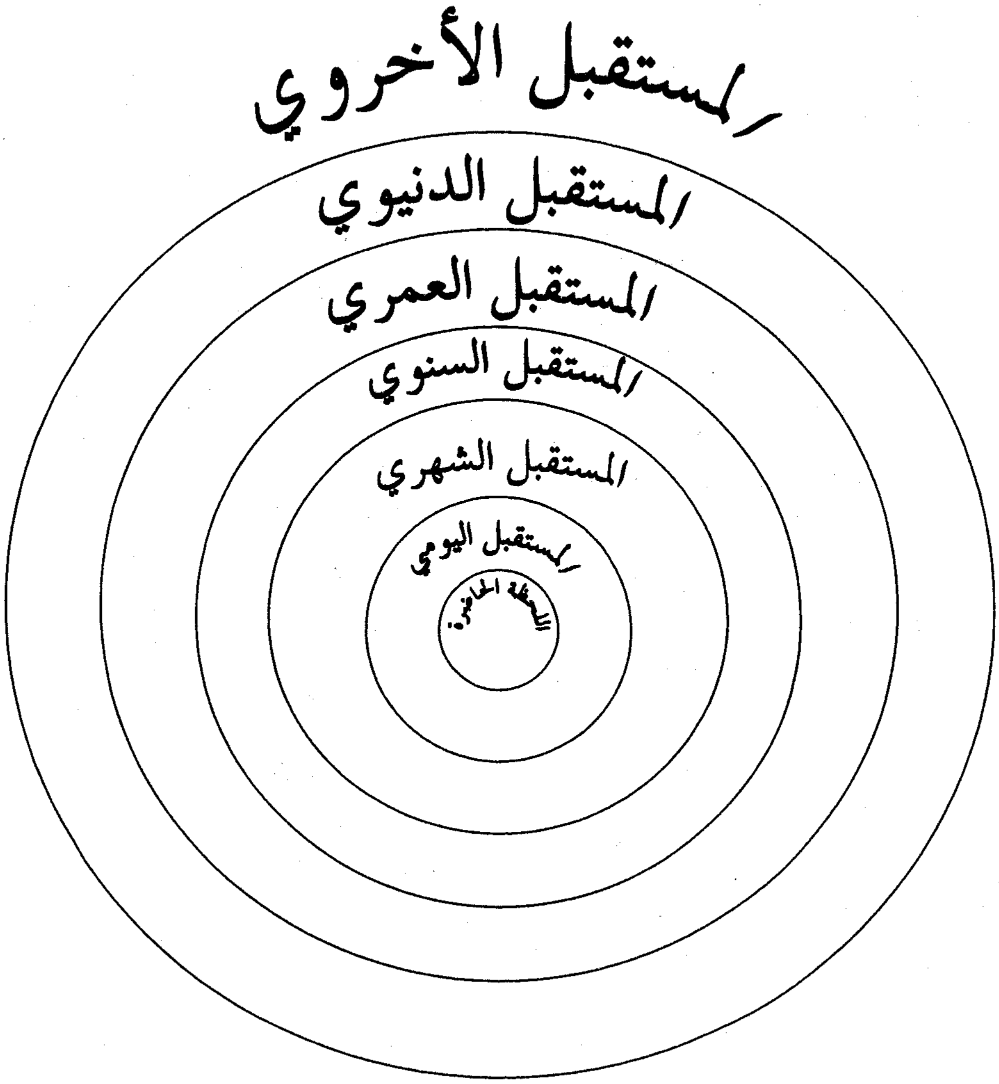
ز- المستقبل الأخروي :

وأدلته متضافرة في الكتاب والسنة، من ذلك الوصف الدقيق للجنة والنـــار، ووصـــف أهلهما، وحواراهم، والعذاب والنعيم، ووصف مشاهد البعث والقيامة .

قال رسول ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ وَ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ وَ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ »[1].

إنَّ في تلك الأقسام جميعها دليلاً على عظمة المنهج الإسلامي، وكمال علم الله سبحانه، وقدرته، وحكمته .

شكل رقم ٧ :



(١) الترمذي وقال: "حسن غريب"، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة إذا الشمس كورت، ج٥، ص٤٠٣، ح٣٣٣٣.

المطلب الثاني: المنهج الإسلامي يغلب المستقبل الأخروي على المستقبل الدنيوي، ويُعنى بالقسْمَين:

قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾[3]. وقد "قدم الأولياء والأصفياء مصالح الآخرة على مصالح هذه الدار لمعرفتهم بتفاوت المصلحتين، ودرءوا مفاسد الآخرة بالتزام مفاسد بعض هذه الدار لمعرفتهم بتفاوت الرتبتين"[4].

وهذا التغليب يدل على ثقابة النظر المستقبلي في الإسلام، وامتداده بعيدًا في أغوار الزمن الأبدي، عن علم يقيني، ولهذا التغليب أسباب، منها ما يأتي:

١-أن المستقبل الأخروي أبدي دائم، والدنيوي منقطع زائل.

٢-أن الأخروي أطول من الدنيوي بل لا مقارنة بينهما ألبتة، قال تعالى: ﴿ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[5]. فمن العقل أن تكون العناية بمكان يعيش فيه المرء ملايين السنين أكبر بكثير من العناية بمكان يعيش فيه نحو ستين سنة، وعلى تخوف ألا يبلغها.

٣-أن المستقبل الأخروي فيه جزاء وحساب، فيه جنة ونار، والإنسان فيه إما سعيد منعم، وإما شقي معذّب.

٤-أن الإيمان بالآخرة يحفظ التوازن والاستقرار الداخلي للإنسان، فيحميه من القلق حول حياته ومنقلبه بعد مماته[6]؛ وفقدان هذا التوازن أحد ما تفسر به حوادث الانتحار في الغرب والشرق.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الضحى، الآية: ٤.

(٤) ابن عبد السلام، مرجع سابق، ج١، ص٧.

(٥) سورة التوبة، من الآية: ٣٨.

(٦) العاني، مرجع سابق، ص٢٠٠.

وهذا التغليب لا يعني الإلغاء وإهمال الدنيا تماماً، بل شرع للإنسان أن يأخذ نصيبه منها، قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾[1]. بل قد دلَّ عدد من النصوص على عناية الإسلام بالمستقبل الدنيوى، وتفضيله على الحاضر والماضي، ففي دعاء استفتاح الصلاة: «اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنْ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ»[2]، قال ابن حجر: "وكأن تقديم المستقبل للاهتمام بدفع ما سيأتي قبل رفع ما حصل"[3] . وقال ﷺ: «سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ وَالْمُعَافَاةَ فإنه مَا أُوتِيَ عَبدٌ بَعْدَ يَقِينٍ خَيْرًا مِنْ مُعَافَاةٍ»[4]، قال ابن مفلح: "فالشَّرُّ الماضي يزولُ بالعفو، والحاضر بالعافية، والمستقبل بالمعافاة؛ لتضمنها دوام العافية، فالعافية من أجَلِّ نِعَم الله على عبده، فيتعين مراعاتها وحفظها"[5] .

فلئن كانت الدراسات المستقبلية الغربية تحاول أنْ تُوجِّه همها لما يهم الإنسان في الدنيا، وتقف عند هذا الحد؛ فإن الدراسات المستقبلية الإسلامية تجعل همها سلامة الإنسان في الدنيا؛ ليصل إلى بر الأمان في الآخرة؛ وليس صحيحًا ما ذهب إليه زُريق[6]، والكحلاني[7]: من أن الإسلام لا يُعنى بالحاضر الدنيوي .

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٢) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأذان، باب ما يقول بعد التكبير، ج١، ص٢٠٣، ح٧٤٤؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، ج١، ص٤١٩، ح٥٩٨.

(٣) **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٦٩ .

(٤) أحمد بن شعيب النسائي، **عمل اليوم والليلة**، تحقيق فاروق حمادة، ط١، (الرياض، الرئاسة العامة للإفتاء والبحوث العلمية والدعوة والنشر، ١٤٠١هـ)، ص٥٠٢، ح٨٨١.

(٥) مرجع سابق، ج٢، ص٣٥٥.

(٦) **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٢٤-٢٥.

(٧) مرجع سابق، ص٥٣-٥٤.

المطلب الثالث : قدرة المنهج الإسلامي على تغيير ما مضى وانتهى:

يرى بعض المستقبليين الغربيين أن القدرة على تغيير الأمور تنحصر في المستقبلة منها، وهذا -في رأي الباحث- صحيح في الجانب الحسي فقط، وهو ما يعبر عنه بعض الفقهاء: بارتفاع الواقع[١]؛ لكنَّ المنهج الإسلامي يتميز بما عجزت عنه المناهج الغربية، من حيث المقدرة على تغيير الماضي، بتقدير ارتفاع الأحكام المتعلقة به، فالإسلام يهدم ما قبله، والهجرة تهدم ما قبلها، والتوبة تجب ما قبلها، وأنواع من العبادات تُكَفِّر ما مضى، قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[٢]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً -قَالَ أَحْسِبُهُ قَالَ هُنَيَّةً- فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِسْكَاتُكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: «أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنْ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ»[٣]، قال الكرماني : «وأما تثليث الدعوات فيحتمل أن يكون نظرًا إلى الأزمنة الثلاثة فالمباعدة للمستقبل والتنقية للحال والغسل للماضي»[٤]أ.هـ. ولا يكاد يخلو باب من أبواب الفقه عن تقدير ارتفاع الواقع[٥]، مثل: «تقدير ملك الدية في قتل الخطأ من قبل الموت ليصح الإرث»[٦]. ومن القواعد الفقهية التي وُضعت في هذا : «إعطاء الموجود حكم المعدوم، وإعطاء المعدوم حكم الموجود»[٧] .

---

(١) القرافي، مرجع سابق، ج٢، ص٣٤.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٤.

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأذان، باب ما يقول بعد التكبير، ج١، ص٢٠٣، ح٧٤٤؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، ج١، ص٤١٩، ح٥٩٨.

(٤) **صحيح أبي عبد الله البخاري بشرح الكرماني**، ط٢، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ)، ج٥، ص١١٢.

(٥) جزم القرافي : بأنه لا يخلو باب من أبواب الفقه منه. (مرجع سابق، ج٢، ص٣٤).

(٦) القرافي، المرجع نفسه، ج٢، ص٣٤.

(٧) نفسه، ج٢، ص١٩٣.

بل ومن عَظمة المنهج الإسلامي أنه يقلب السيئات الماضية إلى حسنات عند توبة العبد وإحسانه، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1]. أَرْجَح القولين في معنى هذه الآية: «أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات، وما ذاك إلا لأنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار فيوم القيامة وإن وجده مكتوبًا عليه فإنه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته كما ثبتت السنة بذلك وصحت به الآثار المروية عن السلف ﷺ»[2].

المطلب الرابع : المنهج الإسلامي في النظرة المستقبلية يفيد الحاضر مع إفادته المستقبل:

بعض الأعمال التي دلَّ عليها الشرع لتحقيق أهداف مستقبلية، تتضمن نفعًا في الحاضر قبل توجهها إلى المستقبل، مثل: الإيمان، فإنه يوفِّر الأمن للمؤمن في الحاضر والمستقبل، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[3]. ومثل: الحث على قراءة عشر آيات من سورة الكهف؛ لتحفظ المسلم من فتنة الدَّجال، وفي هذا دعوة إلى تعلم هذه السورة أو بعض آياها، وحفظها، فإذا كان مقصود العبد في هذا لتحفظه من الدجال، فهذا هدف مستقبلي، ويحصل العبد في نفس الوقت على أجر التلاوة، والانتفاع بدلالة آياها وهدايتها؛ وزيادة الإيمان بذلك، واكتساب النور، وهذا كله نفع حاضر .

المطلب الخامس : قدرة المنهج الإسلامي على الامتداد في المستقبل البعيد جدًا :

يتميز المنهج الإسلامي بقدرته على النظر إلى المستقبل البعيد والتأثير فيه بعد مئات السنين بل آلاف السنين، وهو منهج تعجز عنه المناهج الأرضية قاطبة مهما أُوتيت من قوة؛

---

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٦٨-٧٠.

(٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، ج٣، ص٣٣٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

ذلك أن المنهج الإسلامي يرتكز على الوحي، ووعْدُه صادق لا يتخلف، وقد انقطع الوحي منذ أربعة عشر قرنًا وفيه كثير من الأخبار المستقبلية لم تقع بعد، وستقع كما أُخبر عنها تمامًا، لا يتخلف من ذلك وصف.

والدعاء من المنهج الإسلامي، وله امتداد في المستقبل غير محدود، ومنه أدعية النبي ﷺ لأمته، ودعاء الخليل عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(1)، فكان نبينا محمد ﷺ، وبين هذا الدعاء وبعثته ﷺ آلاف السنين .

المطلب السادس : المنهج الإسلامي لا يستعجل الأمور قبل أوانها :

النَّفس مولعة بحب العاجل، ومن طبعها العجلة، قال تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾(2)، وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً ﴾(3)، ومع ذلك لم يُسْلِم الله تعالى العبدَ إلى طبيعته، بل نهاه عن العجلة : ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾(4)، وأمر سبحانه نبيه ﷺ بإن يمهل الكافرين، وألا يتعجل عذابهم، وأن يصبر كما صبر من قبله من الرسل عليهم السلام، فقال سبحانه: ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾(5)، وقال سبحانه: ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾(6)، أي : لا تعجل عليهم في وقوع العذاب بهم، بل أمهلهم فإن لهم أجلاً معدودًا مضبوطًا(7)، وقال سبحانه: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾(8).

---

(1) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

(2) سورة الأنبياء، الآية: ٣٧.

(3) سورة الإسراء، الآية: ١١.

(4) سورة الأنبياء، الآية: ٣٧.

(5) سورة الطارق، الآية: ١٧.

(6) سورة مريم، الآية: ٨٤.

(7) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، ج٣، ص١٤٤.

(8) سورة الأحقاف، من الآية: ٣٥.

و"يأمر الله بالتثبت وعدم العجلة في الأمور التي يخشى من سوء عواقبها...قال تعالى...: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾[1]... وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ ﴾[2] وقد عاب الله المتسرعين إلى إذاعة الأخبار التي يخشى من إذاعتها...فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[3]... وقال تعالى ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ ﴾[4] ومن هذا الباب : الأمر بالمشاورة في الأمور، وأخذ الحذر، وألا يقول الإنسان ما ليس له به علم . وفي هذا آيات كثيرة"[5]. بل حتى المشْي، حث القرآن على القصد فيه وعدم العجلة، فمن وصايا لقمان في القرآن: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾[6].

وعدَّ النبي ﷺ الأناة من الخصال التي يحبها الله ورسوله ﷺ ، قال ﷺ لأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ : «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ»[7]. وقال ﷺ: «السَّمْتُ الْحَسَنُ وَالتُّؤَدَةُ وَالاقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ»[8].

وقال ﷺ : «مَنْ يُحْرَمْ الرِّفْقَ يُحْرَمْ الْخَيْرَ»[9]، «أي من جعله اللّه تعالى محرومًا من الرفق ممنوعًا منه فقد جعله محرومًا من الخير كله إذ الخير لا يكتسب إلا بالرفق والتأني وترك الاستعجال في الأمور»[10].

---

(١) سورة النساء، من الآية: ٩٤.

(٢) سورة الحجرات، من الآية: ٦.

(٣) سورة النساء، من الآية: ٨٣.

(٤) سورة يونس، من الآية: ٣٩.

(٥) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص١٤٢.

(٦) سورة لقمان، من الآية: ١٩.

(٧) مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، ج١، ص٤٨، ح١٧؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة، ج٤، ص٣٢٢، ح٢٠١١؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب في قبلة الرجل، ج٥، ص٣٩٦، ح٥٢٢٥.

(٨) الترمذي وقال : "حسن غريب"، مرجع سابق، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة، ج٤، ص٣٢٢، ح٢٠١٠.

(٩) مسلم؛ وأبو داود؛ وابن ماجه؛ سبق تخريجه، ص٤٧١، حاشية ٢ .

(١٠) السندي، مرجع سابق، طبعة دار الجيل، ج٢، ص٣٩٥.

«وقيل: التَّأني في الأمور أول الحزم والتسرع في الأمور عين الجهل وقيل: إذا لم تُـدرك الحاجة بالرفق والدَّوام فبأي شيء تدرك»[1].

والأناة تسمح للإنسان «بأن يُحْكم أموره، ويضع الأشياء في مواضعها، بخلاف العجلة فإنها تعرضه للكثير من الخطأ والإخفاق، وتعرضه للتعثر والارتباك، ثم تعرضه للتخلف مـن حيث يريد السبق، ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه»[2].

وقد أكَّد أحد الأطباء[3] بأن كثيرًا من المكتئبين الذين رآهم، بدأ اكتئابهم بسبب العجلة في الدخول في الأمر من غير استشارة ولا استخارة، وأن أكثر ما يقع هذا في أمور الـزواج والتجارة .

وليس المعنى مما سبق أنَّ الإسلام لا يدعو إلى التهيؤ، ولا أن يُؤخذ للأمر عدَّته، فهناك فرق بين الاستعجال والإعداد، بل إنَّ الله عز وجل «يأمر ويحث على المبادرة على أمور الخير التي يخشى فواتها»[4]، فليس من الاستعجال المسارعة إلى الطاعات، قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[6].

ولا تأنـِّي في المعاصي والفتـن، بل المشروع اجتنابها وسرعة الهروب منها، قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ ﴾[7]، فكان يوسف عليه السلام هو السابق، فسبق الفتنة وجعلها خلفه.

فالأناة في موضع الاستعجال عجز وكسل .

---

(١) القلعي، مرجع سابق، ص٢٢١.

(٢) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **الأخلاق الإسـلامية وأسسـها**، ط١، (دمشـق وبـيروت، دار القلـم، ١٣٩٩هـ)، ج٢، ص٣٥٣ .

(٣) هو محمد الصغير (استشاري في الطب النفسي)، **أنواع الحزن ودروب السعادة**، (الرياض، المؤلف،١٤٢٠هـ)، ص٥٩ .

(٤) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص١٤٢.

(٥) سورة البقرة، من الآية: ١٤٨؛ سورة المائدة، من الآية: ٤٨.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٧) سورة يوسف، من الآية: ٢٥.

وفي رأي الباحث: إن الدراسات المستقبلية قد تصطدم بطبيعة الإنسان العجولة؛ لكن من المترجح أنه إذا اعتُني بها فإنها تقضي على كثير من مظاهر الاستعجال، وتُعلِّم الصبر والحلم، وأخذ الأمور بالغدوة، والروحة، وشيء من الدلجة، والسير غير منبت.

المبحث الرابع

الملامح المتعلقة بمزايا المنهج الإسلامي وخصائصه

المطلب الأول : المنهج الإسلامي كله مكاسب، سواء وقع هذا المشهد أم ذاك:

يضع المستقبلي أكثر من مشهد للمستقبل، ويختار مشهدًا يكون عليه العمل، وإذا لم يتحقق المشهد الذي أراد فإنه لا يحقق المكاسب المرجوة، أما المؤمن صاحب المنهج الإسلامي فإن أي مشهد يقع له ففيه مكسب، سواء كان محببًا للنفس أو كان كريهًا عليها، قال ﷺ: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ . إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ . وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ . إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ . فَكَانَ خَيْرًا لَهُ . وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(١)، وقال ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلا وَصَبٍ وَلا هَمٍّ وَلا حُزْنٍ وَلا أَذًى وَلا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»(٢).

بل أحيانًا إذا طلب المؤمن -بصدق- المشهدَ المرغوب فيه، ولم يتحقق واقعًا، أعطاه الله سبحانه ثمرة هذا المشهد ونتائجه التي كان يطلبها ويرجوها، أو أعطاه مثلها، أو خيرًا منها، قال ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا، أُعْطِيَهَا، وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ»(٣)، وقال ﷺ : «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْقَتْلَ فِي سَبِيلِهِ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ الشَّهَادَةِ»(٤)، وقال ﷺ: «مَا مِنْ

---

(١) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٣١، ص٢٦٤، ح١٨٩٣٤؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، ج٤، ص٢٢٩٥، ح٢٩٩٩.

(٢) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، ج٧، ص٣، ح٥٦٤٢؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن، ج٤، ص١٩٩٣، ح٢٥٧٣.

(٣) مسلم، مرجع سابق، كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، ج٣، ص١٥١٧، ح١٩٠٨.

(٤) الترمذي، وقال: "حسن صحيح"، مرجع سابق، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فيمن سأل الشهادة، ج٤، ص١٥٧، ح١٦٥٤؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب ثواب من قاتل في سبيل الله فواق ناقة، ج٦، ص٣٣٣، ح٣١٤١؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب فيمن سأل الله تعالى الشهادة، ج٣، ص٤٦، ح٢٥٤١.

مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إلا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاث: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهَا»(١).

المطلب الثاني : المنهج الإسلامي يربي الفرد المسلم والمجتمع على مواجهة الأحوال المستقبلة جميعها، حسنها وسيئها:

لا يُعنى المنهج الإسلامي بنشر الوعي تجاه المستقبل الدنيوي بقدر ما يُعنى بخصالٍ وأعمالٍ تُفعل في الحاضر، وفي المداومة عليها ضمانٌ للتصرف الصحيح الصائب تجاه أمور المستقبل عند وقوعها، وفي تبدل الأحول، وتقلبات الأيام، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾(٢)، «المراد من الشر والخير الفقر والغنى أو المرض والصحة، فالمعنى أنه إذا صار فقيرًا أو مريضًا أخذ في الجزع والشكاية، وإذا صار غنيًا أو صحيحًا أخذ في منع المعروف وشح بماله و لم يلتفت إلى الناس... واعلم أنه استثنى من هذه الحالة المذكورة المذمومة من كان موصوفًا بثمانية أشياء:»(٣) ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾(٤). « وهذه الصفات لا يشاركهم المشركون في معظمها بالمرة، وبعضها قد يتصف به المشركون ولكنهم لا يراعونه حق مراعاته باطراد»(٥).

---

(١) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج١٧، ص٢١٣-٢١٤، ح١١١٣٣؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الدعاء والتكبير، ج١، ص٦٧٠، ح١٨١٦؛ وقال المنذري : "رواه أحمد والبزار وأبو يعلى بأسانيد جيدة"، مرجع سابق، ج٢، ص٤٧٨-٤٧٩؛ وصححه ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١١، ص٩٨ .

(٢) سورة المعارج، الآيات: ١٩-٢١.

(٣) الرازي، **التفسير الكبير**، مرجع سابق، ج٣٠، ص٦٤٤.

(٤) سورة المعارج، الآيات: ٢٢-٣٤.

(٥) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج٢٩، ص١٧١.

ومن ذلك جملة الأدعية التي أرشد إليها النبي ﷺ؛ ليَتحرز المسلم بها من فتن المستقبل وشروره، "والنبي ﷺ إذا دعا بدعاء أو أرشد أمته إلى دعاء، فهو يحث مع الاستعانة بالله ، والطمع في فضله ، على الجد والاجتهاد في التحقق لحصول ما يدعو بحصوله، والتخلي عما كان يدعو لدفعه، لأن الدعاء مقارن للعمل، فالعبد يجتهد فيما ينفعه في الدين والدنيا، ويسأل ربه نجاح مقصده»[1].

وإذا حقق العبد الإيمان فإن تصرفاته في تقلبات الأحوال تكون حسنة، قال ﷺ : «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ . إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ . وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إلا لِلْمُؤْمِنِ . إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ . فَكَانَ خَيْرًا لَهُ . وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[2]، وهذا لا يكون إلا للمؤمن ؛ لأن النبي ﷺ نفاه عن غيره . كما أن العبد إذا اتَّصف بالإيمان أو الإسلام كان أبصرَ من غيره في الفتن : فقد ورد في الحديث في وصف الدجال : «مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ »[3]؛ فاشترط لذلك الإيمان، وفي رواية اشترط الإسلام.

المطلب الثالث : العمل والاستشراف المستقبلي في المنهج الإسلامي يجاري السنن الإلهية ويوافقها، ويجمع بين الأسباب المعنوية والحسية :

لما كان المسلمون مضطهَدين في مكة في بداية الدعوة الإسلامية، دعا النبي ﷺ ربه: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ »[4].

وفي هذا الحديث ما يأتي:

١- معرفته ﷺ بالقدرات والقيادات المؤثِّرة.

---

(١) السعدي، **المجموعة الكاملة لمؤلفاته**، مرجع سابق، ج٥ ، مج٢، ص٤٨٧-٤٨٨ .

(٢) مضى تخريجة في المطلب السابق.

(٣) مسلم، مرجع سابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ج٤، ص٢٢٤٩، ح٢٩٣٤؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى عليه السلام، ج٢، ص١٣٦٠، ح٤٠٧٧.

(٤) الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقال: "حسن صحيح غريب"، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب ﷺ، ج٥، ص٥٧٦، ح٣٦٨١؛ وقال ابن حجر: "وفي إسناده خارجة بن عبد الله صدوق فيه مقال، لكن له شاهد من حديث ابن عباس أخرجه الترمذي أيضًا ومن حديث أنس "ﷺ. (**فتح الباري**، مرجع سابق، ج٧، ص٥٩) .

٢- استشرافه ﷺ : أنَّ إسلام أحد هذه القيادات سيَنتج عنه عزٌّ للإسلام وأهله، على نحو قوله ﷺ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ: خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ إِذَا فَقِهُوا»[(١)]، وقد وقع الأمر كما توقعه الرسول ﷺ، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ»[(٢)].

٣- إدارته ﷺ لأمور الدعوة بما يوافق السنن الإلهية؛ فإنَّ عزَّ الإسلام لا بد له من رجال أقوياء ينصرونه، فكان دعاؤه بإسلام أحدهما جاريًا مع السُّنن، ومثله : تلمسه الوفود في الحج عامًا إثر عام، يعرض عليهم دعوته، ويطلب منهم حمايته ونصرته، إلى أن لقي الأنصار وأخذ منهم البيعتين.

فالله "سبحانه جلَّت حكمته قد رتَّب أحكام هذه الدنيا على أسباب ظاهرة، ولم يجعلها قدريَّة محضة"[(٣)]؛ فالعمل للمستقبل لا بد أن يوافق السنن ويجاريها، ويُتخذ لكل شيء سببه الموصل إليه، وهذا من الفقه المستقبلي شيء عظيم، ما لم يطغ التعلق بالأسباب على جانب التوكل على الله، والاستنصار به، والتبرؤ من الحول والقوة.

ولما شكى الصحابة ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَقَالُوا لَهُ: أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا قَالَ ﷺ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ. وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلا اللَّهَ، أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[(٤)]. فالنبي ﷺ يقول هذا، في مقابل من يريد أن تسير الأمور قفزًا على الواقع، ويستعجل النصر قبل استكمال الأسباب المؤدية إليه . ويُظهِرُ هذا النص

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ الآية، ج٤، ص١٨٦، ح٣٤٩٣؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب فضائل الصحابة، باب خيار الناس، ج٤، ص١٩٥٨، ح٢٥٢٦.

(٢) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب إسلام عمر بن الخطاب ﷺ، ج٤، ص٢٩٢، ح٣٨٦٣.

(٣) بكر بن عبد الله أبو زيد، **خصائص جزيرة العرب**، (الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤١٢هـ)، ص٦.

(٤) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج٤، ص٢١٧، ح٣٦١٢؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب في الأسير يكره على الكفر، ج٣، ص١٠٨، ح٢٦٤٩.

ثقة الرسول ﷺ بربه سبحانه، وحسن ظنه به، وتوكله عليه، وقوة يقينه بانتصار الإسلام، ومع ذلك يسلك في الأمور مسلكًا حسيًّا، ويفعل الأسباب الموصلة إلى الغاية التي يرجوها، فهو ﷺ يجمع بين الأسباب المعنوية والحسية معًا، ويسير وفق ما أودعه الله في الكون من سنن .

ومن العمل وفق السنن الإلهية: العمل على وفق ما يقتضيه ترتيب الأمور، وتقديم بعضها على بعض، والتخطيط المحكم في ذلك، وعدم ترك الأمور تسير على أعنتها، يشهد لذلك مواطن من سيرة الرسول ﷺ، منها: موقف النبي ﷺ في قصة إسلام أبي ذر ﷺ عندما جاءه في بدء الدعوة المكية يطلب الإسلام، فعرض عليه النبي ﷺ الإسلام فأسلم، وقال له رسول الله ﷺ : «يَا أَبَا ذَرٍّ اكْتُمْ هَذَا الأَمْرَ، وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ»[(١)]. ومثله موقفه ﷺ في قصة إسلام عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ ﷺ لما قدم على النبي ﷺ في مكة وقال له: إنّي مُتَّبِعُكَ قَالَ: «إِنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا. أَلا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ؟ وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ. فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي». فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، قال عمرو: «فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ نَعَمْ. أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ؟ قَالَ فَقُلْتُ : بَلَى»[(٢)]، ثم أخذ يسأل النبي ﷺ عن الصلاة ثم الوضوء. ومثلهما الطفيل بن عمرو الدوسي ﷺ[(٣)] .

فلم يطلب النبي ﷺ منهم البقاء بمكة وهم غرباء عنها، فيتعلمون ما يتنزل به الوحي من الإيمان والتشريع، فهذا لم يَحن وقته بعد في حقهم، بل هو مؤجل الآن، وهذا من التخطيط المستقبلي المرحلي؛ ولهذا -والله أعلم- عَرَفَ النبيُّ ﷺ عَمْرًا لما قدم عليه في المدينة.

لقد «كان راسخًا في نفس النبي ﷺ أن الأخذ بالأسباب بعد التوكل على الله تعالى من أهم العوامل المساعدة على تغيير الواقع المرير والنهوض بالأفراد والمجتمعات وهذا يلاحظ في بعض مجريات... الهجرة النبوية، حيث جرى التخطيط للأمر الكبير وللجزئية الصغيرة، وكان الحذر والحيطة في كل حال وشأن، وحركة وسكون...[وفيما يأتي أمثلة لذلك]:

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب قصة زمزم، ج٤، ص١٩٣، ح٣٥٢٢؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أبي ذر ﷺ، ج٤، ص١٩٢٤، ح٢٤٧٤.

(٢) مسلم، مرجع سابق، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة ﷺ، ج١، ص٥٦٩، ٥٧٠، ح٨٣٢.

(٣) ابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٣٨٤ .

-أعد النبي عليه الصلاة والسلام الزاد والراحلة...قبل أيام من بدء الهجرة.

-كتم خبر هجرته إلا عن خاصته...

-أمر عليـــًا [رضي الله عنه] أن يبيت في فراشه تمويهًا على قريش.

-اختار أبا بكر [رضي الله عنه]... ليصحبه...

-اختار غار ثور (جنوبي مكة) ليمكث فيه أيامـــًا يضلل فيها قريشًا عن طلبه، مع أن طريق المدينة الأقصر هو بالاتجاه شمالي مكة لا جنوبها.

-مكث في الغار ثلاثة أيام حتى يخف البحث عنه وييأس العدو من الوصول إليه...

-جند أبو بكر بعض أبنائه للإتيان بأخبار قريش وإمداده مع النبي [ﷺ] بالماء والطعـــام ولوازم السفر.

-أعد النبي عليه الصلاة والسلام عبد الله بن أريقط دليلاً في الطرق...

وهكذا فإن اتخاذ الأسباب واعتماد سنن الله الكونية في النهوض والبناء أمر ضــروري، بل هو واجب شرعي. ولو شاء الله تعالى لحمل رسوله وانتقل به إلى المدينة كما حــدث في الإسراء من مكة إلى بيت المقدس، ولكنه سبحانه لم يفعل، ليتعلم المسلمون درسًا بليغًا في أن بناء الأوطان ونوال المجد والوصول إلى الآمال في النهوض والتنميــة والرخــاء تحتــاج إلى التخطيط المتقن والعمل الجاد والأخذ بالأسباب المادية المستطاعة»[(1)].

وهكذا ترى أن الله تعالى نَظَمَ للنّبي ﷺ حياته ودعوته وفق نِظام الأسباب والمسببات[(2)]، «فإن رسول الله ﷺ أحكم خطة هجرته، وأعد لكل فرض عدتــه، ولم يــدع في حســبانه مكانـــًا للحظوظ العمياء. وشأن المؤمن مع الأسباب المعتادة، أن يقوم بها كأنها كل شــيء في النجاح ثم يتوكل -بعد ذلك- على الله، لأن كل شيء لا قيام له إلا بالله. فإذا استفرغ المرء جهوده في أداء واجبه فأخفق بعد ذلك، فإن الله لا يلومه على هزيمة بلي بها... وكثيرًا ما يرتب الإنسان مقدمات النصر ترتيبًا حسنًا. ثم يجيء عون أعلى يجعل هذا النصر مضاعف

---

(1) حسن أبو غدة، في "الأمن والحياة"، مرجع سابق، العدد ٢٢٤، (محرم / ١٤٢٢هـ)، ص٢٧-٢٨؛ وما بين كل معكوفين من الباحث؛ وينظر : رزق الله أحمد، مرجع سابق، ص٢٦٦-٢٦٩.

(2) محمد الغزالي، **فقه السيرة**، مرجع سابق، ص٥٢.

الثمار»[1]. ولم يعكف النبيُّ ﷺ على الأسباب الحسية فحسب، بل كان للأسباب المعنوية ثُقل آخر؛ ومن «سلك هذين الطريقين حصل على خير الدارين»[2] .

ولا يقال : إنَّ «النصر بالريح والجنود غير المرئية خاص برسول الله ﷺ ومن معه، فكل من اهتدى بهديه وسار على نهجه لابد أن يحصل له من النصر والتأييد بحسب تمسكه بكتاب الله وسنة نبيه، كما حصل لصحابته بعده من النصر والظفر الذي لم يعرف له نظير في الدنيا مع قلة عددهم وعُدَدِهم بالنسبة لأعدائهم»[3].

وبذلك يُفارق المنهجُ الإسلامي المنهجَ الغربي، الذي اعتمد على الأسباب الحسية فقط، وألغى الأسباب المعنوية .

المطلب الرابع : أنه سهل ممتنع :

يتميز المنهج الإسلامي بأنه سهل من حيث أساليبه ووسائله فإنها سهلة التناول، تخلو من التعقيد؛ وبالتالي يستطيع الإفادة منه كل مسلم، قارئ وغير قارئ، فهو منهج مفتوح، ليس مقصورًا على المختصين والعلماء المبرزين، وهو سهل ميسور في كثير من شُعَبِه يتناوله المسلم في نهاره وليله .

ويخول المنهج الإسلامي الفرد الواحد من أبنائه التأثير في مستقبل الأمة، وليس المقصود بهذا الاستبداد الفردي، ولكن المسلم إذا دعا بإخلاص بأن يحقق الله أمرًا يعود بالنفع على الأمة وجاء بأسباب من أسباب قبول الدعاء وابتعد عن أسباب موانع إجابته، كان حريًا بأن يستجيب الله دعاءه وإن كان فردًا واحدًا . والرؤى المنامية أسلوب من أساليب الاستشراف، وتكون من الفرد الواحد، ولا يتطلب ذلك فريق بحث متكامل .

بينما هو ممتنع على غير المؤمنين، إذ إنَّه منهج مرتبط بالدين وتشريعاته، لا يمكن الإفادة منه -كاملاً- بمعزل عنهما، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى

---

(١) محمد الغزالي، **فقه السيرة**، مرجع سابق، ص١٦٩.

(٢) أحمد القرطبي، مرجع سابق، ج٦، ص٦٨٣.

(٣) عبد الله بن محمد الغنيمان، **لا يصلح هذه الأمة إلا ما أصلح أولها**، ط١، (دمنهور: مصر، دار لينة، ١٤١٧هـ)، ص ٤٣ .

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٢.

ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2]، وقال تعالى : ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾[3].

قال محمد القرطبي: «الكافر والفاجر والفاسق والكاذب وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات لا تكون من الوحي ولا من النبوة؛ إذ ليس كل من صدق في حديث عن غيب يكون خبره ذلك نبوّة؛ وقد تقدّم... أن الكاهن وغيره قد يخبر بكلمة الحق فيصدق، لكن ذلك على الندور والقلة، فكذلك رؤيا هؤلاء»[4] .

المطلب الخامس: معرفته بالأسباب الحقيقية لنشوء المشكلات، وعنايته بتلك الأسباب:

عُني المنهج الإسلامي أشد العناية بالأسباب الحقيقية التي تؤثر في مستقبل البشر، مثل: العناية بالدين والمحافظة على الالتزام به، والتحذير من مخالفة أمر الله سبحانه وأمر رسوله ﷺ، « فالإسلام يَفضل ما سواه من الشرائع والدعايات بأنه أقام مبانيه على أساس جميع الفضائل الحقة»[5]، مثل : مكارم الأخلاق، والعدالة، والإنصاف، والمواساة، والاتحاد[6].

أمَّا الدراسات المستقبلية الغربية فإنها لا تُقيم وزنًا لتوحيد الله وما دونه من الأسباب المؤثّرة في مستقبل الأمم، والشعوب، والأفراد؛ بل يتردى قلة علمها، بل عدم إدراكها في أن الشرك وما دونه من المعاصي تُؤثّر في مستقبل الجمادات، فضلاً عن الإنس، والجن، والحيوان، قال سبحانه :﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾[7]. وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[8]، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ مُرَّ عَلَيْه بِجِنَازَةٍ فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠١.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٤.

(٣) سورة الرعد، من الآية: ١٤.

(٤) مرجع سابق، ج٩، ص٨٣ .

(٥) ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص٢١٠.

(٦) المرجع نفسه، ص١٩٩.

(٧) سورة مريم، الآيات: ٨٨-٩٢.

(٨) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ »[1]، فالكون كله قائم على التوحيد، ويُحدث الشرك خللاً في الحياة .

إنَّ أكثر ما يُقلق المستقبليين الغربيين -عالميًّا- تلك المظاهر المحسوسة، مثل: هل تستطيع الأرض احتمال هذا العدد الهائل من السكان الآخذ بالمضاعفة خلال هذا القرن؟ أو هل سوف تَستهلك هذه الأعداد الهائلة كل الغذاء المتيسر ثم تموت بأعداد كبيرة جدًا؟[2]، وعندما ينظرون في العلاجات الممكنة لمثل هذه الأَزَمات لا يكادون يجدون مثل (تحديد النسل) حلاًّ، بحيث يخفض معدل النمو السكاني، فلا يكاد يشغل بالهم قضايا مثل: قضية الإيمان، والتقوى، بصفتهما حلاًّ في دفع الأزمة أو في كشفها؛ أو البعد عن الدين، والتردي الأخلاقي، وانطماس الفطرة، بصفتها مسببات لحدوث الأزمة وامتناع حلها؛ ولو شَغَلَت بالهم فلن يروا مالها من تأثير كما يراه المنهج الإسلامي، سواء كان تأثيرًا للتقوى أم تأثيرًا للعصيان.

واختار مؤلفَا كتاب (what futurists believe) من بين مئة وخمسة وعشرين شخصية سبعة عشر شخصًا من المختصين ممن نالوا قدرًا من الشهرة بصفتهم محللين للاتجاهات الاجتماعية والتقنية، وتناولوا أبرز المشكلات والمؤثرات المستقبلية على مستوى العالم، وفي الولايات المتحدة خاصة، ولم يُعنوا بالتغيرات الاجتماعية والدين[3].

يقول أديب تونسي، ممتدحًا العلوم الإسلامية، ومُعَرِّضًا بقصور الفهم الغربي: "كم للعلوم الرياضية والطبيعية في الصحائف الإسلامية من خيرات حسان لم يطمثها من أفكار الفرنج إنس ولا جان ! فطال ما عرض عليّ من عيون كلامهم، ما وصف لي قصور أفهامهم"[4].

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، ج٧، ص٢٤٦، ح٦٥١٢؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الجنائز، باب ما جاء في مستريح ومستراح منه، ج٢، ص٦٥٦، ح٩٥٠.

(٢) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٢١٩.

(٣) ينظر: هوبكنز، في "الثقافة العالمية"، مرجع سابق، العدد ٥٢، (شوال/ ١٤١٠هـ)، ص٢٠٥.

(٤) جدعان، مرجع سابق، ص١٢٠، نقلاً عن: ديوان الشيخ قبادو التونسي، مرجع سابق، ص٤٢.

فالغربيون « لخبرهم الحسنة بالواقع يستطيعون مد البصر نحو المستقبل في المجالات التقنية والتنموية المادية بصورة خاصة. لكن لاعتقادهم أن العلم هو الذي يكيف سلوك البشر، وليس الدين فإن كثيرًا من توقعاهم سوف تكون مخيبة للآمال... وإذا كانت وظيفة الإنسان في الحياة هي الالتزام بشرع الله والقيام بإعمار الأرض فإن القرآن الكريم يحدثنا أن هلاك الأمم الماضية لم يكن أبدًا بسبب القصور العمراني، وإنما بسبب التقصير في جانب العبودية لله تعالى والانحراف عن منهجه. وهذا ما لا يستطيع الغربيون اليوم فهمه؛ ومن ثم فإن كثيرًا من دراسات المستقبل لديهم سيظل جهادًا في غير عدو! »(١).

إنَّ المنهج الإسلامي يُعمل علاقة الإنسان بربه، وأنَّ لها أثرًا في حاضره ومستقبله سلبًا وإيجابًا؛ فهو يعي أن المعاصي سبب لكثير من المشكلات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية؛ كما أن الطاعة، والتوبة، والاستغفار، سبب لجلائها وجلب ما هو مرغوب؛ لذا : «المنهجية الإسلامية...أصيلة، لاستقلالها عن غيرها من المناهج، واستمدادها من الأصول الشرعية، ورجوعها للمصادر الأصيلة»(٢).

ولما أقام المسلمون الإيمان وحققوا التقوى انخرقت لهم السنن الجارية؛ فذلت لخدمتهم وحوش الأسود الكاسرة، وأنارت الطريق لهم الجمادات الجامدة، ويبست تحت أقدامهم الأنهار الجارية.

المطلب السادس : عناية الإسلام بأصول الأشياء وجوامعها، وعدم إهماله فروعها ومفرداها:

يتعامل الإسلام في تنظيمه ومعالجته للأشياء بتركيز الاهتمام والعناية بالأمر الأساس منها، الذي بصلاحه تصلح جميعها؛ فالإيمان شعبه كثيرة، لكن أركانه ستة؛ والإسلام فروعه كثيرة لكن أركانه خمسة، توجهت لها العناية والمطالبة والإلزام، وقاتل لأجل بعضها الرسولُ

---

(١) عبد الكريم بكار، "ولن تجد لسنة الله تحويلا"، البيان، مرجع سابق، العدد: ٥٦، (ربيع الآخر، ١٤١٣هـ)، ص١١.

(٢) السلمي، مرجع سابق، ص٩١.

ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده ﷺ؛ والإنسان له جوارح متعددة، وتركزت عناية الإسلام على القلب، قال ﷺ: «أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ »[1].

كذلك تركزت عناية الإسلام بالجوامع من الأمور، فالرسول ﷺ أوتي جوامع الكلم، وكان يعجبه الجوامع من الدعاء، ومن دقائق ذلك أنه ﷺ كان يقول في تشهد الخطبة: «وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا»[2]؛ إذ إن «منشأ الأعمال السيئة من شر النفس فشر النفس يولد الأعمال السيئة فاستعاذ من صفة النفس ومن الأعمال التي تحدث عن تلك الصفة وهذان جماع الشر وأسباب كل ألم فمتى عوفي منهما عوفي من الشر بحذافيره»[3]. ونوّه النبي ﷺ بخُلق الحياء، وجعله من شعب الإيمان؛ «فإنه يصرف المتخلّقَ به عن لذات كثيرة مشتهاة صرفًا ملاكُه عدمُ استطاعته خرقَ معتاد الحياء، فلا جرم أنه في حالة إعراضه وانصرافه عن المشتهيات قد آثر ما يأمر به الحياء على ما تأمر به الشهوة، مع أن الشهوة أقوى دوافع الإنسان إلى العمل»[4]. وجاء في القرآن الدلالة على أصول الطِّب، وهي: «حفظ الصحة باستعمال الأمور النافعة، والحمية عن الأمور الضارة، ودفع ما يعرض للبدن من المؤذيات، ومسائل الطب كلها تدور على هذه القواعد»[5]، وكان ﷺ يدل في الطِّب على الجامع منه، قال ﷺ : «إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ خَيْرٌ فَفِي شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ لَذْعَةٍ مِنْ نَارٍ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ »[6].

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ج١، ص٢٢-٢٣، ح٥٢؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ج٣، ص١٢٢٠، ح١٥٩٩.

(٢) الترمذي وحسّنه، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، ج٣، ص٤١٣، ح١١٠٥؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب الجمعة، باب كيفية الخطبة، ج٣، ص١١٦، ح١٤٠٣؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، ج٢، ص٥٩١، ح٢١١٨؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، ج١، ص٦٠٩، ح١٨٩٢.

(٣) ابن القيم، **بدائع الفوائد**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٠٩ .

(٤) ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص٢٠٣.

(٥) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص١٣٤.

(٦) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الطب، باب الحجم من الشقيقة والصداع، ج٧، ص٢٠، ح٥٧٠٢؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، ج٤، ص١٧٣٠، ح٢٢٠٥.

بينما يجد الباحث أن المنهج الغربي لا يفرق بين أصل وفرع، بل ربما غلَّب جانب الفرع مع إضراره بالأصل، وأمثلة هذا واضحة لكل ذي لُبٍّ، منها: العناية بالحريات الشخصية وإهمال تأثيرها على المجتمع ككل، ومنها: العناية بحقوق المرأة وإهمال تأثير هذه الحقوق الوضعية على بناء الأسرة وتماسكه، بل تأثير ذلك على المجتمع بعامة.

وهذا الملمح يفيد في الدراسات المستقبلية في أمور، أهمها ما يأتي:

١-ترتيب الأوليات، وتقديم ما هو أولى بالدراسة ووضع الخطط له، وتأخير غيره .

٢-اختصار الجهود، وحفظ الأوقات، والأموال.

٣-إذا كان إدراك الأعمال جميعها متعذر، ودونه الأعمار تنقضي، فإن الحصول على أصولها يغني ويكفي، وما لا يدرك كله لا يترك جله .

المطلب السابع : سهولة الإقناع بمستقبلياته الصريحة :

إن الاقتناع بالمستقبليات الصريحة في الكتاب والسنة سهل ميسور، لا يحتاج إلى عناء ما يعانيه المستقبليون في سبيل إقناع الناس أو القادة بمسألة واحدة فضلاً عن مسائل كثيرة متشابكة متداخلة؛ لأن الإيمان والتصديق بما دل عليه الكتاب والسنة أمر واجب، ومن نفى شيئًا صريحًا منه بلا شبهة فقد خرج من الإسلام.

المطلب الثامن : المسلم المطبقُ شرع الله، الداعي إلى تطبيقه في شؤون الحياة جميعها شخص مستقبلي:

وحيث قد تقرر أن تطبيق شريعة الإسلام فيه تحقيق المستقبل المشرق، وفي نبذها أو التهاون بها نذير شؤم بمستقبل تعيس ضنك؛ فإنَّ كل من يدعو إلى تطبيق الإسلام شريعة ومنهاجًا فإنه يدعو إلى مستقبل مشرق، فهو مستقبلي وإن لم يعرف عن الدراسات المستقبلية الحديثة شيئًا، وإنَّ كل من يدعو إلى نبذ الإسلام أو تنحية شرعه أو حصره فإنه يدعو إلى تدمير المستقبل وزيادة المشكلات المرهقة للإنسان، فهو أبعد عن أن يكون مستقبليًّا، وإن كان من كبار المختصين في الدراسات المستقبلية.

والمسلم الحريص على دينه شخص مستقبلي؛ لتحرِّيه الأوقات والساعات المباركة، وقصده الأماكن المباركة.

بل المسلم نفسه إنسان مبارك، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ جُلُوسٌ، إِذَا أُتِيَ بِجُمَّارِ نَخْلَة فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَـةِ الْمُسْلِمِ»، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِي النَّخْلَةَ . فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ الْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا عَاشِرُ عَشَرَةٍ أَنَا أَحْدَثُهُمْ، فَسَكَتُّ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هِيَ النَّخْلَةُ »[1].

«قال العلماء : وشبَّهَ النخلة بالمسلم، في كثرة خيرها، ودوام ظلّها، وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام، فإنَّه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبس، وبعد أن ييبس يُتخذ منه منافع كثيرة، ومن خشبها، وورقها، وأغصانها، فيُستعمل جذوعًا، وحطبًا، وعِصيًّا، ومخاصر، وحُصرًا، وحبالاً، وأواني وغير ذلك، ثم آخر شيء منها نَوَاها، ويُنتفع به علفًا للإبل، ثم جمال نباتها، وحسن هيئة ثمرها، فهي منافع كلها، وخير وجمال، كما أنَّ المؤمن خير كله، من كثرة طاعاته ومكارم أخلاقه، ويواظب على صلاته، وصيامه، وقراءته، وذكره، والصدقة، والصلة، وسائر الطّاعات، وغير ذلك»[2].

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الأطعمة، باب أكل الجُمَّار، ج٦، ص٢٦٠، ح٥٤٤٤؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة، ج٤، ص٢١٦٥، ح٢٨١١.

(٢) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٩٦٧.

خاتـــمة :

يَخرج الباحث – من خلال هذا العرض لملامح المنهج الإسلامي، وبثقة ويقين تام– بأن المنهج الإسلامي أعظم المناهج قاطبة، والمهيمن عليها في تحقيق المســـتقبل المرغــوب، ودرء المستقبل المخوف.

وصدَقَ ابن مفلح في قوله : "واعلم أنَّ طريق رسول الله ﷺ في كل شيء أكمل الطرق، وحاله أكمل الأحوال"[١] .

إن "التصور الإسلامي فريد متميز لا يشابهه شيء على وجه الأرض على الإطلاق ممـــا صنعه البشر في ماضيهم أو حاضرهم أو ما يتصور أن يصنعوه في مستقبلهم"[٢].

ولعل هذا الفصل قد فتح الباب لبداية تأصيل منهج إسلامي، يُعتمد عليه في استشراف المستقبل، ويكون ضابطًا لعلمية الاستشراف، وموجِّهًا لسيرها .

(١) مرجع سابق، ج٢، ص٣٥٥ .

(٢) محمد قطب، في "أبحاث ووقائع اللقاء الثاني للندوة العالمية للشباب الإسلامي"، مرجع سابق، ص٣٨٥.

الباب الثالث

أهمية الدراسات المستقبلية للدعوة الإسلامية

الفصل الأول: الدراسات المستقبلية وفقه الدعوة

الفصل الثاني : الدراسات المستقبلية والداعي إلى الله والمدعو

الفصل الثالث: الدراسات المستقبلية ووسائل الدعوة وأساليبها

الفصل الرابع: الدراسات المستقبلية ومستقبل الإسلام

تمهيد :

يتحدث هذا الباب عن بعض الفوائد التي يمكن أن تجنيها الدعوة الإسلامية من الدراسات المستقبلية، أو من استخدام بعض أساليبها.

ولا يسهل على مجموعة من المؤلَّفات أن تجمع ما يمكن أن تفيده الدراسات المستقبلية للدعوة الإسلامية، لكن بحسب الباحث أن يذكر في هذا الباب أمثلة على ذلك، يمكن أن يُتوسع فيها بالتفصيل، ويُقاس عليها الشبيه والمثيل، ويُستنبط غيرها كثير.

الفصل الأول

الدراسات المستقبلية وفقه الدعوة

المبحث الأول : أثر الدراسات المستقبلية في الفتوى، والاجتهاد، والرأي

المبحث الثاني : أثر الدراسات المستقبلية في فقه الموازنات والأولويات

المبحث الثالث : أثر الدراسات المستقبلية في الإقناع، وأهمية ذلك للدعوة

المبحث الرابع: أثر الدراسات المستقبلية في معالجة الاختلاف وتلافيه

المبحث الخامس : أثر الدراسات المستقبلية في الإبداع والتجديد لمصلحة الدعوة، والإفادة من تجاربها، وعلاج بعض مشكلاتها

تمهيد:

تعريف فقه الدعوة :

الفقه في اللغة : «العلم بالشيء، والفهم له»[1].

والفقه في اصطلاح الفقهاء : «هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية»[2].

وعُرِّف فقه الدعوة في الاصطلاح بأنه : استنباطٌ، وفهمٌ لتاريخ الدعوة، وأسباها، وأركاها، وأساليبها، ووسائلها، وأهدافها، ونتائجها، من الكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح[3].

ويعرف الباحث فقه الدعوة اصطلاحًا بأنه : علمٌ بأحكام حث الناس على الإسلام، وترغيبهم فيه، وربطهم به، ووسائل ذلك، وأساليبه.

ويقوم فقه الدعوة على الكتاب والسنة صراحة، أو فهمًا منهما واستنباطًا اجتهاديًّا.

---

(١) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١٦١٤، مادة: (فقه) .

(٢) الجرجاني، مرجع سابق، ص٢١٦.

(٣) سعيد بن علي بن وهف القحطاني، **فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري: دراسة دعوية للأحاديث من أول كتاب الوصايا إلى نهاية كتاب الجزية والموادعة**، (الرياض، المؤلف، ١٤٢٠هـ)، ج١، ص٦.

المبحث الأول

أثر الدراسات المستقبلية في الفتوى، والاجتهاد، والرأي

المطلب الأول : تعريف الفتوى، والاجتهاد، والرأي، وأهمية المفتي والمجتهد :

الفتيا والفتوى في اللغة: ما أفتى به الفقيه، وأفتاه في الأمر: أبانه له(١).

والفتوى في الاصطلاح : «الجوابُ عمَّا يُشكِلِ من الأحكام»(٢).

والاجتهاد في اللغة : «بذل الوُسع»(٣).

والاجتهاد في الاصطلاح: بذل المجهود في طلب حكم النازلة، من الأدلة، بالفكر والتأمل(٤).

وقيل : «استفراغ الفقيه الوسع ليحصل له ظنٌّ بحكم شرعي»(٥).

والرأي في اللغة : «الاعتقاد»(٦).

والرأي في الاصطلاح : «اعتقاد النَّفْسِ أحدَ النقيضين عن غلبة الظن»(٧).

وتبرز أهمية المفتي والمجتهد في أنهما يتناولان في الإفتاء والاجتهاد شؤون الحياة كلها(٨)، كما أن للفتوى أثرًا في رشاد الأمة، فهي تزيل عنها الجهل، وتصحح المسار للفرد والمجتمع، وتوثق صلة الأمة بعلمائها(٩)، ومما يدل على أهمية المفتي، وأن حاجة الناس إليه من الضرورات: أن بعض العلماء أوجب الرحلة إليه إذا لم يجد المستفتي في بلده من يفتيه، قال

---

(١) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١٧٠٢، مادة: (فتاء) .

(٢) الراغب، **مفردات القرآن**، مرجع سابق، ص٦٢٥، مادة: (فتى).

(٣) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص٣٥١، مادة: (جهد) .

(٤) محمد بن عمر بن الحسين الرازي، **الكاشف عن أصول الدلائل وفصول العلل**، تحقيق أحمد حجازي السقا، (بيروت، دار الجيل، ١٤١٣هـ)، ص٥٥ .

(٥) الجرجاني، **التعريفات**، مرجع سابق، ص٢٣.

(٦) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١٦٥٩، مادة: (رأى) .

(٧) الراغب، **مفردات القرآن**، مرجع سابق، ص٣٧٤-٣٧٥، مادة : (رأى).

(٨) أبو فارس، في ندوة "الشورى في الإسلام"، مرجع سابق، ج٣، ص ٩٩١.

(٩) محمد فؤاد البرازي، "مسؤولية الفتوى الشرعية"، في "البيان"، مرجع سابق، العدد: ١٧٩، (٧/١٤٢٣هـ)، ص٢٣-٢٤.

النووي في آداب المستفتي: «ويجب عليه الاستفتاء إذا نزلت به حادثة يجب عليه علم حكمها: فإن لم يجد ببلده من يستفتيه وجب عليه الرحيل إلى من يفتيه وإن بعدت داره وقد رحل خلائق من السلف في المسألة الواحدة الليالي والأيام»(١). وقال الشافعي: «لا ينبغي لأحدٍ أن يسكن بلدة ليس فيها عالم ولا طبيب»(٢).

المطلب الثاني: حاجة المفتي والمجتهد إلى امتلاك النظر والفكر المستقبلي:

يُفيد النظر والفكر المستقبلي المفتي والمجتهد في أمور متعددة، أهمها ما يأتي:

١- من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المفتي: «فهم الواقع والفقه فيه:

إن من واجب المفتي أن يكون بصيرًا بزمانه، عارفًا بأوانه، فاهمًا لواقعه، حتى تكون فتاواه مبنية على تصور سليم، واستنباط قويم... والمفتي الذي لا يعرف الواقع الذي يفتي فيه، يخطئ في كثير من فتاويه، ويعرض الناس إلى النفرة من الدين، والبعد عن محجة المتقين»(٣).

وفقه الواقع «مِن قواعد الفتيا بخاصة، وأصول العلم بعامة»(٤)، وقد انشغل أكثر طلبة العلم والمتفقهين في طلب الفقه الماضي(٥)، وقصروا في الفقه الحاضر الذي يحتاجه أكثر الناس اليوم(٦)، وهذا تقصير في النظر، يؤثّر على حاجة الناس الحاضرة والمستقبلة.

«إن المفتي البصير يجب أن يكون واعيًا للواقع، غير غافل عنه، حتى يربط فتواه بحياة الناس، فهو لا يكتب نظريات، ولا يلقي فتواه في فراغ، ومراعاة الواقع تجعل المفتي يراعي أمورًا معينة، ويضع قيودًا خاصة، وينبه على اعتبارات مهمة»(٧).

قال ابن القيم: «ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم: أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات

---

(١) **المجموع شرح المهذب**، مرجع سابق، ج١، ص٥٤.

(٢) ابن عبد البر، **الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء**، مرجع سابق، ص١٥٧.

(٣) البرازي، في "البيان"، مرجع سابق، العدد: ١٧٩، (٧/١٤٢٣هـ)، ص٢٢.

(٤) محمد ناصر الدين الألباني، **سؤال وجواب حول فقه الواقع**، ط٢، (عمّان، المكتبة الإسلامية، ١٤٢٢هـ)، ص٢٩.

(٥) أي المسائل المشهورة المبثوثة في كتب الفقهاء السابقين.

(٦) صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، "الفقهاء ومتطلبات العصر"، شريط سمعي.

(٧) يوسف القرضاوي، **الفتوى بين الانضباط والتسيب**، ط٢، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١٥هـ)، ص٣٣.

والعلامات حتى يحيط به علمـــًا، والنوع الثاني : فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه، أو على لسان رسوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر، فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجرًا، فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله... ومن تأمل الشريعة وقضايا الصحابة وجدها طافحة بهذا، ومن سلك غير هذا أضاع على الناس حقوقهم، ونسبه إلى الشريعة التي بعث الله بها رسوله»[1] ﷺ.

«ومن الناس من يجازف بالفتوى في أمور المعاملات الحديثة، مثل التأمين بأنواعه، وأعمال البنوك، والأسهم والسندات، وأصناف الشركات، فيحرم أو يحلل، دون أن يحيط بهذه الأشياء خبرًا، ويدرسها جيدًا . ومهما يكن علمه بالنصوص، ومعرفته بالأدلة، فإن هذا لا يغني ما لم يؤيد ذلك بمعرفة الواقع المسؤول عنه، وفهمه على حقيقته»[2].

فلابد «أن يتكامل فقه الشرع، وفقه الواقع، حتى يمكن الوصول إلى الموازنـــة العلميـــة السليمة، البعيدة عن الغلو والتفريط»[3].

«غير أنه لا تصح مخالفة النصوص، ولا تأويلها تأويلاً متعسفًا، ولا تطويعها لواقع غير إسلامي بدعوى فهم الواقع، فهذا تحريف للكلم عن مواضعه، واستسلام لضغوط واقع غير إسلامي، نتيجة ضعف النفس، وعجز الإرادة»[4].

وتُقدِّمُ الدراسات المستقبلية بعامة، وأسلوب (التشاور المتميز) بخاصة، فهمًا متميزًا للواقع، يفيد المجتهد والمفتي، بالتعرف على حقيقة الواقع كما هو، سياســيًّا كان، أو اجتماعيـــًّا، أو اقتصاديـــًّا، أو غير ذلك . كما أن أسلوب (التشاور المتميز) يعد مصدر معلومات يُفيد منه المفتي والمجتهد كل احتياجاتهما، ويُزيلا به جميع إشكالاتهما بإذن الله تعالى.

وتتأكد الحاجة لذلك في هذا الزمن؛ حيث صار فيه الخداع مهنة، والتزويـــر نحلـــة، لا سيما في المسائل الكبرى، وبتأثير من العدو الداخلي، والعدو الخارجي، فالمضِلون «في هـــذا

(١) **إعلام الموقعين**، مرجع سابق، ج١، ص٨٧-٨٨.

(٢) القرضاوي، **الفتوى بين الانضباط والتسيب**، مرجع سابق، ص٦٩.

(٣) القرضاوي، **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**، مرجع سابق، ص٣١.

(٤) البرازي، في "البيان"، مرجع سابق، العدد: ١٧٩، (١٤٢٣/٧هـــ)، ص٢٢.

العصر قد هُيأ لهم من وسائل الدعاية ما لم يتهيأ لإخوانهم الغابرين: فمن نوادٍ تفتح، وصحف تنشر، وجمعيات تعقد، وأموال تنفق، وجاه يبذل، وسلطات تُمالئُ وتستبد»[1].

وينبغي الاعتدال في المطالبة بفقه الواقع؛ «ففقه الواقع بمعناه الشرعي الصحيح هو واجب بلا شك، ولكن وجوبًا كفائيًا؛ إذا قام به بعض العلماء سقط عن سائر العلماء، فضلاً عن طلاب العلم، فضلاً عن عامة المسلمين! فلذلك يجب الاعتدال بدعوة المسلمين إلى معرفة «فقه الواقع»، وعدم إغراقهم بأخبار السياسة، وتحليلات مفكري الغرب»[2].

٢-ذَكَرَ الإمام أحمد من خصال المفتي: معرفة الناس[3]، وهو أخص من السابق، وهو «أصل عظيم يحتاج إليه المفتي والحاكم فإن لم يكن فقيهًا فيه، فقيهًا في الأمر والنهي ثم يطبق أحدهما على الآخر، وإلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح، فإنه إذا لم يكن فقيهًا في الأمر له معرفة بالناس تصور له الظالم بصورة المظلوم وعكسه، والمحق بصورة المبطل وعكسه، وراج عليه المكر والخداع والاحتيال، وتصور له الزنديق في صورة الصديق، والكاذب في صورة الصادق، ولَبِسَ كل مبطل ثوب زور تحتها الإثم والكذب والفجور، وهو لجهله بالناس وأحوالهم وعوائدهم وعُرفياتهم لا يميز هذا من هذا، بل ينبغي له أن يكون فقيهًا في معرفة مكر الناس وخداعهم واحتيالهم وعوائدهم وعُرْفياتهم، فإن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعوائد والأحوال، وذلك كله من دين الله»[4].

وأسلوب (التشاور المتميز) وسيلة مناسبة وفاعلة لتعريف المفتي بحال الأفراد، والجماعات، وشؤونهم، وتصرفاتهم.

٣-من شروط المفتي والمجتهد أن يكون متيقظًا[5]، وهذا مما توفره الدراسات المستقبلية.

٤-تحقيق مبدأ الشورى للمفتي والمجتهد والحاكم بأحسن صورة ممكنة، عن طريق استخدام أسلوب (التشاور المتميز)، فإنهم مهما بلغوا «من رجاحة العقل وسداد الرأي،

---

(١) محمد الخضر حسين، **الدعوة إلى الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وعبر تاريخ الأمة**، تحقيق علي بن حسن الحلبي الأثري، (الرياض، دار الراية، ١٤١٧هـ)، ص٢٤.

(٢) الألباني، **سؤال وجواب حول فقه الواقع**، مرجع سابق، ص٤٧.

(٣) ابن القيم، **إعلام الموقعين**، مرجع سابق، ج٤، ص١٩٩؛ نقلاً عن ابن بطة في الخلع.

(٤) المرجع نفسه، ج٤، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٥) عثمان بن الصلاح، **أدب الفتوى وشروط المفتي وصفة المستفتي وأحكامه وكيفية الفتوى والاستفتاء**، تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٣هـ)، ص٣٥.

وسعة الاطلاع، وكثرة التجارب...فإنهم أقل صوابـًا فيما لو استبدوا برأيهم، ولم يستشيروا غيرهم ممن هو أهل للاستشارة»[1] . قال ابن القيم في آداب المفتي: «إن كان عنده من يثق بعلمه ودينه فينبغي أن يشاوره، ولا يستقل بالجواب، ذهابـًا بنفسه وارتفاعـًا بها، أن يستعين على الفتاوى بغيره من أهل العلم، وهذا من الجهل، فقد أثنى الله سبحانه على المؤمنين بأن أمرهم شورى بينهم، وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[2]»[3].

وكان من فقه ابن باز : أنه «إذا عُرض عليه بعض الأسئلة ولم يتبين له فيها شيء قال: اكتبوها بسؤال لهيئة كبار العلماء نتشاور فيها معهم»[4].

إن كثيرًا من الاجتهادات والفتاوى تمس المستقبل أكثر من إمساسها بالحاضر أو الماضي؛ لذا تأتي الشورى لتحقق الاقتراب من الصواب؛ فتحمي المستقبل من أخطاء الإفتاء والاجتهاد؛ وبالتالي تتحسن صناعة المستقبل الإسلامي .

٥-الأحوال الاجتماعية المعاصرة تتغير بسرعة كبيرة؛ وهذا يستدعي من المفتي والمجتهد أن يطلع على هذه التغيرات؛ لتكون فتاواه ملائمة لها، ولا يجمد على القديم من الآراء، فقد كان للإمام الشافعي جديد وقديم، وقد نصَّ العلماء على أنه ينبغي للمفتي أن يلاحظ تغير الأعراف والعادات والأحوال، يقول القرافي : «وعلى هذا القانون تراعى الفتاوى على طول الأيام، مهما تجدد في العرف اعتبره، ومهما سقط أسقطه، ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمرك، بل إذا جاءك رجل من غير أهل إقليمك يستفتيك، فلا تجره على عرف بلدك، واسأله عن عرف بلده وأجره عليه، وأفته به دون عرف بلدك، والمقرر في كتبك، فهذا هو الحق الواضح، والجمود على المنقولات أبدًا ضلال في الدين، وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين»[5].

وعقد ابن القيم فصلاً بعنوان: «فصل في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد»، وقال: «هذا فصل عظيم النفع جدًا، وقع بسبب

(١) الغامدي، مرجع سابق، ص٥٧.

(٢) سورة آل عمران، من الآية: ١٥٩.

(٣) **إعلام الموقعين**، مرجع سابق، ج٤، ص٢٥٦.

(٤) عمر بن سعود العيد، "سماحة الشيخ ابن باز ومنهجه في الفتوى"، شريط سمعي.

(٥) مرجع سابق، ج١، ص١٩٧-١٩٨ .

الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به؛ فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحِكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها»[(١)] .

وإذا عرف المفتي أحوال الناس في زمنه، وما يشق عليهم وما لا يشق، صارت فتاواه موافقة لمراد الشرع، من الرفق بالمستفتي، واختيار المناسب له؛ إذْ « المفتي البالغ ذِروة الدرجة هو الذي يَحمل الناس على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب بهم مذهب الشدة، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال...؛ لأن المستفتي إذا ذُهب به مذهب العنت والحرج بُغض إليه الدين، وأدى إلى الانقطاع عن سلوك طريق الآخرة. وهو مشاهد. وأما إذا ذهب به مذهب الانحلال كان مظنة للمشي مع الهوى والشهوة، والشرعُ إنما جاء بالنهي عن الهوى، واتباع الهوى مُهلك»[(٢)] .

ويمكن بأسلوب (التشاور المتميز) أن يطلع المفتي -بين حين وآخر- على التغيرات الجديدة في المجتمع، وفي أحوال الناس .

٦-من الأمور المهمة للمجتهد: النظر في مآلات الأفعال، وهذا هو ميدان الدراسات المستقبلية ومجالها الأساس.

يقول الشاطبي : «النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا كانت الأفعال موافقة أو مخالفة. وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل؛ [فقد يكون][(٣)] مشروعًا لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه؛ وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك. فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية فربما أدى استجلاب المصلحة فيه إلى مفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعًا من إطلاق القول بالمشروعية؛ وكذلك إذا أطلق القول في الثاني

(١) **إعلام الموقعين**، مرجع سابق، ج٣، ص٣ .

(٢) الشاطبي، **الموافقات**، مرجع سابق، ج٤، ص١٨٨-١٨٩.

(٣) إضافة يقتضيها السياق.

بعدم المشروعية ربما أدى إلى استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد، فلا يصح إطلاق القول بعدم المشروعية، وهو مجال للمجتهد صعب المورد؛ إلا أنه عذب المذاق، محمود الغِب جار على مقاصد الشريعة»[١]. وهذه الصعوبة تسهلها له الدراسات المستقبلية، أو بعض أساليبها، وأهمها في هذا أسلوب (التشاور المتميز)، وأسلوب (مصفوفة التأثير المتقاطع Gross Impact)[٢].

٧-من شروط المفتي عند بعض العلماء: أن يكون فقيه النفس[٣]، وهو التدرب في مآخذ الظنون في مجال الأحكام، ويُعد وصف (فقه النفس) من أنفس صفات علماء الشريعة[٤]، وهي رتبة يصل إليها العالم عند تقدمه في العلم والطلب[٥]،يقول الشاطبي: «ويسمى صاحب هذه المرتبة الرَّباني، والحكيم، والراسخ في العلم، والعالم والفقيه، والعاقل»[٦]، ويرى الغزالي : أن فقه النفس «غريزة لا تتعلق بالاكتساب»[٧]. ومن خاصة هذا العالم أمران: أحدهما: أنه يجيب السائل على ما يليق به في حالته على الخصوص إن كان له في المسألة حكم خاص؛ بخلاف من دونه من الفقهاء فإنهم إنما يجيبون من رأس الكلية من غير اعتبار بخاص؛ والثاني: أنه ناظر في المآلات قبل الجواب عن السؤالات؛ بخلاف من دونه من الفقهاء، فإن الواحد منهم لا ينظر في ذلك، ولا يبالي بالمآل إذا ورد عليه أمر أو نهي أو غيرهما، وكان في مساقه كليًّا[٨].

---

(١) **الموافقات**، مرجع سابق، ج٤، ص١٤٠-١٤١.

(٢) يأتي تعريف به ص٧٤٣ .

(٣) شرطه الغزالي والنووي، **المنخول من تعليقات الأصول**، تحقيق محمد حسن هيتو، (د.م، المحقق، د.ت)، مرجع سابق، ص٤٦٤؛ **والمجموع شرح المهذب**، مرجع سابق، ج١، ص٤١.

(٤) الزركشي، مرجع سابق، ج١، ص٦٨؛ وينظر : عبد الملك بن عبد الله الجويني، **الغياثي**: **غياث الأمم في التياث الظُّلم**، تحقيق عبد العظيم الديب، ط٢، (قطر، المحقق، ١٤٠١هـ)، ص٨٩، أوردها في صفات الإمام القوام على أهل الإسلام، وأفاد منه الزركشي في تقريرها للمجتهد .

(٥) ينظر: الشاطبي، **الموافقات**، مرجع سابق، ج٤، ص١٦٨.

(٦) المرجع نفسه، ج٤، ص١٦٩.

(٧) **المنخول من تعليقات الأصول**، مرجع سابق، ص٤٦٤.

(٨) الشاطبي، **الموافقات**، مرجع سابق، ج٤، ص١٦٩.

وفقه النفس قريب مما يُطلق عليه في الدراسات المستقبلية (الحدس)، وإذا كانت لدى المفتي القدرة عليه فإنه يفيده في حدس حال من يستفتيه، قال ابن القيم : «إن كان عقل السائل لا يحتمل الجواب عما سأل عنه وخاف المسئول أن يكون فتنة له، أمسك عن جوابه»[1] . وقال الخطيب: «إذا رأى المفتي من المصلحة عندما تسأله عامة أو سوقة أن يفتي بما له فيه تأول، وإن كان لا يعتقد ذلك بل لردع السائل وكفه فعل فقد روي عن ابن عباس أن رجلاً سأله عن توبة القاتل فقال لا توبة له وسأله آخر فقال له توبة ثم قال: أما الأول فرأيت في عينيه إرادة القتل فمنعته، وأما الثاني فجاء مستكينًا قد قتل فلم أويسه»[2]. وكذا «إن سأل رجل فقيهًا فقال إن قتلت عبدي أعلي القتل؟ جاز أن يقول له إن قتلت عبدك قتلناك»[3]؛ بقصد منعه من الفعل.

المطلب الثالث : حكم الاجتهاد والإفتاء في حوادث مستقبلية :

ينبغي التفريق بين الاجتهاد في حوادث لم تقع بعد، ولا يترتب على الاجتهاد فيها عمل في الحاضر، وبين الاجتهاد فيما يترتب عليه عمل في الحاضر، أو هيئة وتهيؤ لما هو مستقبل؛ وبين ما يُستبعد وقوعه وما هو محتمل الوقوع.

قال ابن القيم : «إذا سأل المستفتي عن مسألة لم تقع، فهل تستحب إجابته أو تكره أو تخير؟ فيه ثلاثة أقوال، وقد حكي عن كثير من السلف أنه كان لا يتكلم فيما لم يقع...والحق التفصيل، فإن كان في المسألة نص من كتاب الله أو سنة عن رسول الله ﷺ أو أثر عن الصحابة لم يكره الكلام فيها، وإن لم يكن فيها نص ولا أثر فإن كانت بعيدة الوقوع أو مقدرة لا تقع لم يستحب له الكلام فيها، وإن كان وقوعها غير نادر ولا مستبعد وغرض السائل الإحاطة بعلمها ليكون منها على بصيرة إذا وقعت استحبَّ له الجواب بما يعلم، لاسيما إن كان السائل يتفقه بذلك ويعتبر بها نظائرها، ويفرِّع عليها، فحيث كانت مصلحة الجواب راجحة كان هو الأولى»[4].

---

(١) **إعلام الموقعين**، مرجع سابق، ج٤، ص١٥٨ .

(٢) أحمد بن علي الخطيب البغدادي، **الفقيه والمتفقه**، تحقيق إسماعيل الأنصاري، ط٢، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ)، ج٢، ص١٩٢.

(٣) المرجع نفسه، ج٢، ص١٩٣.

(٤) ابن القيم، **إعلام الموقعين**، مرجع سابق، ج٤، ص٢٢١-٢٢٢ .

ولا شك أن النظر في هذا يحتاج إلى الحكمة والتوازن، من غير إفراط ومبالغة، ولا تفريط وتضييع وإهمال.

ويُستأنس لجواز الاجتهاد والتحدث بأحكام ليست واقعة في الحال مما هي محتملة الوقوع، بتبيين النبي ﷺ أحكامًا لحوادث لم تقع في زمنه ﷺ، مثل : قوله ﷺ : «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلا تَدْخُلُوهَا وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا»[١].

وقد قَدَّم فقهاء الأمة الإسلامية للمستجدات من القضايا ما استطاعوا من حلول، بل ولما يماثلها مما يُتوقع أن يقع مستقبلاً[٢].

المطلب الرابع : الاجتهاد الجماعي وأثر أسلوب (التشاور المتميز) فيه:

١-تعريف الاجتهاد الجماعي :

عُرِّف الاجتهاد الجماعي بتعريفات متعددة، من أحسنها أنه : «استفراغ أغلب الفقهاء الجهد لتحصيل ظن بحكم شرعي بطريق الاستنباط، واتفاقهم جميعًا أو أغلبهم على الحكم بعد التشاور»[٣].

ومن تعريفاته أنه : «اتفاق أكثر من مجتهد بعد تشاور بينهم على حكم شرعي مع بذل غاية وسعهم في استنباطه من أدلته.

كما يطلق الآن على اتفاق أكثر من فقيه أو باحث متخصص في الفقه، وإن لم يبلغ مرتبة الاجتهاد، بعد بذلهم غاية وسعهم في استنباط حكم شرعي من أدلته، سواء استعانوا بخبراء ومتخصصين أم لم يستعينوا بأحد منهم»[٤].

ولا يُعد الاجتهاد الجماعي إجماعًا؛ لذا لا يكون ملزمًا.

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، ج٧، ص٢٧، ح٥٧٢٨؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، ج٤، ص١٧٣٧، ح٢٢١٨.

(٢) الغامدي، مرجع سابق، ص١٦٢.

(٣) عبد المجيد السوسه الشرفي، **الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي**، سلسلة كتاب الأمة، العدد: ٦٢، (قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ذو القعدة ١٤١٨هـ)، ص٤٦.

(٤) عبد الناصر توفيق العطار، "التعريف بالاجتهاد الجماعي"، في "ندوة الاجتهاد الجماعي في العالم الإسلامي"، الإمارات، كلية الشريعة والقانون بجامعة الإمارات، (١١-١٣/شعبان/ ١٤١٧هـ)، ج١، ص٣١.

٢-الحاجة إلى الاجتهاد بعامة :

الحاجة إلى الاجتهاد «دائمة ما دامت وقائع الحياة تتجدد، وأحوال المجتمع تتغير وتتطور، وما دامت شريعة الإسلام صالحة لكل زمان ومكان، وحاكمة في كل أمر من أمور الإنسان»[١].

قال ابن القيم : «إذا حدثت حادثة ليس فيها قول لأحد من العلماء، فهل يجوز الاجتهاد فيها بالإفتاء والحكم، أم لا؟ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها : يجوز، وعليه تدور فتاوى الأئمة وأجوبتهم؛ فإنهم كانوا يسألون عن حوادث لم تقع قبلهم فيجتهدون فيها، وقد قال النبي ﷺ : «إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِن اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»[٢] وهذا يعم ما اجتهد فيه مما لم يعرف فيه قول من قبله وما عرف فيه أقوالاً واجتهد في الصواب منها، وعلى هذا درج السلف والخلف، والحاجة داعية إلى ذلك لكثرة الوقائع واختلاف الحوادث، ومن له مباشرة لفتاوى الناس يعلم أن المنقول وإن اتسع غاية الاتساع فإنه لا يفي بوقائع العالم جميعًا، وأنت إذا تأملت الوقائع رأيت مسائل كثيرة واقعة وهي غير منقولة، ولا يعرف فيها كلام لأئمة المذاهب، ولا لأتباعهم»[٣].

وقال بعد أن ذكر القولين الآخرَين : «والحق التفصيل، وأن ذلك يجوز -بل يستحب أو يجب- عند الحاجة وأهلية المفتي والحاكم، فإن عدم الأمران لم يجز، وإن وجد أحدهما دون الآخر احتمل الجواز، والمنع، والتفصيل، فيجوز للحاجة دون عدمها»[٤].

٣-أهمية الاجتهاد الجماعي في الوقت الحاضر، وفوائده، ودواعيه:

كثُرَت دعوات العلماء المسلمين في العصر الحديث إلى الاجتهاد الجماعي، وتبعها ظهور عدد من المجامع الفقهية؛ ثمرة لهذه الدعوة، حيث يجتمع عدد من العلماء المجتهدين، ومعهم فريق من الباحثين المختصين، والمفكرين المبدعين في شتى العلوم والمعارف الإنسانية، بحسب ما تتطلبه القضية المنظورة للاجتهاد، وينتظمون في مؤسسة أو هيئة اجتهادية واحدة، ليقوموا بمهمتهم الاجتهادية على أكمل وجه ممكن[٥].

(١) شعبان محمد إسماعيل، **الاجتهاد الجماعي ودور المجامع الفقهية في تطبيقه**، (بيروت، دار البشائر، ١٤١٨هـ)، ص١١٨.

(٢) متفق عليه، ينظر تخريجه ص٧٣٦، حاشية ٥.

(٣) **إعلام الموقعين**، مرجع سابق، ج٤، ص٢٦٥-٢٦٦.

(٤) المرجع نفسه، ج٤، ص٢٦٦.

(٥) الشرفي، مرجع سابق، ص٥٦.

وللاجتهاد الجماعي أهمية كبيرة، وفوائد متعددة، وتستدعيه الأحوال المستجدة الحديثة، وذلك لما يأتي :

أ-ظهور كثير من النوازل[١]، التي ليس فيها رأي للعلماء السابقين، وعجز الاجتهاد الفردي عن التصدي لها[٢].

ب-توجه التعلم والتعليم في الزمن المعاصر إلى الاختصاص، واستحالة تجمع علوم كثيرة في رجل واحد؛ لكثرة العلوم العصرية، وصعوبة الإحاطة بها.

فما جد من مشكلات في عصرنا الحاضر يحتاج إلى اختصاصات علمية مختلفة؛ ليُدْرس دراسة علمية وافية، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره، وقد يحتاج تصوره إلى دراسات متنوعة، ولهذا كان الاجتهاد الجماعي أمثل وسيلة لدراسة هذه المشكلات دراسة علمية، حيث يُسهم فيه إلى جانب الفقهاء علماء وباحثون ممن لاختصاصاتهم علاقة وثيقة بالمشكلات المطروحة[٣]؛ ولذا «فإن تجزؤ الاجتهاد يصبح أمرًا واقعًا، لأن الإنسان مهما يمتد به الأجل ومهما يكثر اطلاعه لا يمكنه أن يحيط بكل شيء علمًا، فكان التعاون بين الفقهاء وأهل الاختصاص في فروع العلوم المختلفة ضرورة للوصول إلى حكم شرعي صحيح»[٤]؛ و«لا يلزم المجتهد في الأحكام الشرعية أن يكون مجتهدًا في كل علم يتعلق به الاجتهاد على الجملة»[٥] .

ج-اتسام كثير من المشكلات العصرية بالتعقيد[٦]، وصعوبة فهمها لغير المختص:

يتميز العالم اليوم بظاهرة (الانفجار المعرفي)، فالمعرفة الإجمالية العالمية تتضاعف اليوم كل سبع أو ثمان سنوات؛ وأدى هذا الانفجار إلى تعقيد متصاعد لكثير من القضايا، فبقدر ما

---

(١) "يراد بالنوازل: الوقائع والمسائل المستجدة والحادثة". (بكر بن عبد الله أبو زيد، **فقه النوازل**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ)، ج١، ص٩، الحاشية).

(٢) العطار، في "ندوة الاجتهاد الجماعي في العالم الإسلامي"، مرجع سابق، ج١، ص٣٧؛ والشرفي، مرجع سابق، ص٥٦.

(٣) علي يوسف المحمدي، "إعداد الممارسين للاجتهاد الجماعي"، في "ندوة الاجتهاد الجماعي في العالم الإسلامي"، مرجع سابق، ج٢، ص١٠٢٧.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) الشاطبي، **الموافقات**، مرجع سابق، ج٤، ص٧٨.

(٦) العطار، في "ندوة الاجتهاد الجماعي في العالم الإسلامي"، مرجع سابق، ج١، ص٣٤.

تتسع المعرفة في ميدان ما، بقدر ما تتسع شجرة المعارف والاختصاصات في هذا الميدان، وبقدر ما تكون نتائج ذلك وانعكاساته على الواقع متعددة المسالك، مستعصية في حجمها وتعقيدها على المدارك[١].

«وإذا كانت المستجدات اليوم كثيرة، فإنها أيضًا ذات تعقيدات وملابسات وتداخلات بعلوم ومعارف أخرى، مما جعل الاجتهاد فيها يحتاج إلى علم موسوعي في التشريع الإسلامي والمعارف الإنسانية الأخرى، حتى يكون الاجتهاد في تلك القضايا متكاملاً وناضجًا ومستوعبًا كل جوانب القضية المجتَهد فيها، ويكون حكمه عليها صحيحًا. وهذا القدر الكبير من العلوم والمعارف لا يمكن توفره -في عصرنا- في عالم واحد، وإنما يحتاج إلى عدد من العلماء ليكمل بعضهم بعضًا»[٢].

ولئن قال السابقون : إنه «ومنذ دهر طويل طُوي بساط المفتي المستقل المطلق والمجتهد المستقل وأفضى أمر الفتوى إلى الفقهاء المنتسبين إلى أئمة المذاهب المتبوعة»[٣]، فإن هذا العصر قد تأكد فيه تجزؤ الاجتهاد، وأنه لا يمكن أن يقوم به الفرد بصورة صحيحة، مهما أوتي من سعة علم، وتنوع ثقافة، بل لا بد له من الرجوع إلى أهل الفنون، والاختصاصات. فالاجتهاد «حالة تقبل التجزؤ والانقسام، فيكون الرجل مجتهدًا في نوع من العلم مقلدًا في غيره، أو باب من أبوابه، كمن استفرغ وسعه في نوع العلم بالفرائض وأدلتها واستنباطها من الكتاب والسنة دون غيرها من العلوم، أو في باب الجهاد أو الحج، أو غير ذلك؛ فهذا ليس له الفتوى فيما لم يجتهد فيه، ولا تكون معرفته بما اجتهد فيه مُسوغة له الإفتاء بما لا يعلم في غيره»[٤].

«إن تعقد المشكلات المعاصرة يحتاج إلى تعاون كل المختصين، ولهذا يصبح تجزؤ الاجتهاد أمرًا ضروريًا يحقق التكامل بين التخصصات العلمية»[٥].

---

(١) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص ٢٧٧ – ٢٧٨؛ وينظر : الشرفي، مرجع سابق، ص٨٧؛ ونصار، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص٢١٥.

(٢) الشرفي، مرجع سابق، ص١٠٩.

(٣) ابن الصلاح، **أدب الفتوى**، مرجع سابق، ص٤٠.

(٤) ابن القيم، **إعلام الموقعين**، مرجع سابق، ج٤، ص٢١٦ .

(٥) المحمدي، في "ندوة الاجتهاد الجماعي في العالم الإسلامي"، مرجع سابق، ج٢، ص١٠٢٨.

د-الحفاظ على الاجتهاد والفتوى من الاختلال، والضعف، والخطأ :

فالاجتهاد والفتوى قد يعتورهما الضعف والخطأ؛ بسبب عدم استنادهما إلى رأي جمعي، بل -أحيانـــًا- بسبب استنادهما إلى رأي جمعي غير كاف، أو غير متكامل بحيث إنه لا يشمل جميع المختصين ممن يُحتاج إليهم في الاجتهاد والإفتاء .

صدرت فتوى عن لجنة العقيدة والفلسفة بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في جمهورية مصر العربية، في شأن المرتد : بأنه يستتاب أبدًا، دون تحديد مدة معينة؛ معللين : بأن هذا الرأي ينسجم مع الظروف الدولية التي يواجهها العالم الإسلامي في الوقت الحاضر[(١)].

إنَّ هذه الفتوى فيها اجتهاد فيما لا يسوغ فيه الاجتهاد؛ لتصريح الدليل القطعي الدلالة والثبوت بوجوب قتل المرتد، كما في قوله ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[(٢)]، وغيره من الأحاديث؛ ولأن الإجماع عن الأئمة قد حكي بوجوب ذلك؛ وجمهور أهل العلم لم يختلفوا في وجوب قتل المرتد، وإنما في استتابته هل هي واجبة أم مستحبة أم لا تجب؟ ثم اختلفوا في المدة على أقوال، ولم يقل أحد منهم بإطلاقها؛ إذن فالفتوى لا تستند إلى حجج معتبرة، ولا صلة لها بمنهج علمي في البحث، وإنما هي مثال جديد لأثر النوازل النفسية الحادثة على معيار العلم، منذرة بخطر يهدد بلاغ الدين بعامة، إذ هي بمنـــزلة تعطيل النص أصلاً؛ ثم إن الوقائع التاريخية تؤكد على أن الاحترام لا يُنال بتقديم التنازلات، وإنما بالانتماء الحقيقي إلى القيم وخصوصيات الهوية[(٣)].

إنَّ «الحديث عن التغير والتطور، ومجاراة العادات والأعراف، لا يعني أن هـــم المجتهـــد والفقيه تبرير الواقع، وتلمس السند الشرعي له والتعسف وسوء التأويل بدعوى أن ذلك هو مفهوم المرونة والتطور. فالإسلام لم يأت ليخضع لأهواء الناس، ومجريات حياتهم، ولكنــــه

(١) الشرق الأوسط، مرجع سابق، العدد ٨٦٥٣، (٢٨/٥/١٤٢٣هـــ)، ص١.

(٢) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعـــذاب الله، ج٤، ص٢٧، ح٣٠١٧؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب الحدود، باب ما جاء في المرتد، ج٤، ص٤٨، ح١٤٥٨؛ والنسائي، **الســـنن**، مرجع سابق، كتاب تحريم الدم، باب الحكم في المرتد، ج٧، ص١٢٠-١٢١، ح٤٠٧٠-٤٠٧٦؛ وأبـــو داود، مرجع سابق، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن ارتد، ج٤، ص٥٢٠، ح٤٣٥١؛ وابن ماجه، مرجـــع ســـابق، كتاب الحدود، باب المرتد عن دينه، ج٢، ص٨٤٨، ح٢٥٣٥.

(٣) سليمان بن عبد العزيز الربعي، "في ذكرى ١١ سبتمبر : فقه النوازل النفســـية"، الريـــاض، العـــدد١٢٤٩٧، (٤/٧/١٤٢٣هـــ).

جاء ليرفع الناس إلى ميزان الحق، والعدل، والمصلحة الحقيقية، ويكف عنهم الإثم والظلم، ويرفع الآصار والأغلال . إن هذا التشريع لم يضعه المجتمع حتى يخضع له ويستجيب لظروفه وأوضاعه، إنه تشريع إلهي وضع ليرقى بالمجتمع، وتخضع أوضاعه لهدايته، فكلمة هذا التشريع هي العليا. إن مهمة التشريع أن يصوب الخطأ، ويقوِّم العوج، لا أن يبرر الأوضاع، ويسوغ التصرفات، إنه يستعصي على الذوبان والتمييع»[١].

وهناك محاذير تواجه الفتوى في النوازل، ويقع الفقيه والمفتي فيها تحت طائلة الاتهام بالجمود، وعدم الفهم، وعدم مواكبة العصر، والتضييق على الناس، بل ومصادمة الشريعة ذاتها التي تدعو إلى التيسير ورفع الحرج؛ فيُطالَب بضرورة الخروج بحكم شرعي يُجيز بعض النوازل، دون أن يكون له اجتهاد شرعي حر، فينحصر اجتهاده في مجرد إيجاد تسويغ شرعي لقضية جاهزة صاغها الآخرون بالفعل قبل ذلك بلغة المصطلح الفكري العلماني، وألقوها إلى المفتي طلبًا للتسويغ والصياغة الشرعية فقط؛ وليس طلبًا لحكم الدين فيها بعد التمحيص والفحص الذي قد ينتهي بالرفض. والأمر قد ينتهي إلى إهدار كامل أو انهيار لعملية الاجتهاد الفقهي ودور الفقيه فيها؛ ليتحول إلى مجرد عملية تسويغ سطحي، وتمرير لمسائل وقضايا من شأنها أن تدمر الأسس الإسلامية[٢].

ومن المحاذير التي تواجه الإفتاء : العوامل النفسية، فإنها تؤثِّر على اجتهادات بعض المجتهدين أو اختياراتهم للنصوص الشرعية[٣]، قال النووي في أحكام المفتين: "ينبغي ألا يفتي في حال تغير خلقه... وكل حال يشتغل فيه قلبه ويخرج عن حد الاعتدال»[٤].

فالاجتهاد الجماعي يأتي ليحمي الدين والمجتمع من المحاذير والآفات التي يمكن أن يتعرض لها منصب الاجتهاد والإفتاء، وما يخلفه ذلك من آثار، وقد قال زياد بن حُدَيْرٍ : "قال لي

(١) صالح بن عبد الله بن حميد، "الضوابط العامة في النظر في المتغيرات"، الدعوة، مرجع سابق، العدد : ١٨٥١، (٨/جمادى الأولى/١٤٢٣هـ)، ص٣٩.

(٢) محمد يحيى، "حقيقة الفتاوى العصرية"، في "البيان"، مرجع سابق، العدد ١٧٤، (٢/١٤٢٣هـ)، ص١١١.

(٣) أحمد كمال أبو المجد، "وظيفة السنة في البناء الفكري والثقافي والحضاري للأمة"، في "ندوة السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة"، مرجع سابق، ص ٧٥٩.

(٤) **المجموع شرح المهذب**، مرجع سابق، ج١، ص٤٦.

عمر : هل تعرف ما يهدم الإسلام ؟ قال : قلت : لا، قال : يهدمه زلةُ العـالم، وجـدال المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين»[1]، فعدّ (زلة العالم) مما يهدم الإسلام.

و«الاجتهاد الجماعي ليس جديدًا في حياة الأمة، بل إنه وسيلة لتقليل الخطأ في الاجتهاد، وإبراز لعناصر الوحدة والتنوع في الأمة... وهو أمر لقي قبولاً في الأمة منذ عصر الصحابة»[2] ﷺ ، بل لقي -قبل ذلك- ممارسة عملية في حياة النبي ﷺ، «ولا ريب أن هذا الرأي العلمي الذي يصدر عن الشورى المجتمعة والتمحيص والتحقيق المشترك يكون أضمن للصواب والمصلحة من الآراء الفردية»[3]. قال الإمام مالك : «إذا كان أصحاب رسول الله ﷺ تصعب عليهم مسائل ولا يجيب أحد منهم في مسألة حتى يأخذ رأي صاحبه. قال: مع ما رزقوا من السداد والتوفيق مع الطهارة فكيف بنا الذين قد غطت الخطايا والذنوب قلوبنا؟»[4]. وكان الخليل بن أحمد يقول: «إن الرجل ليسئل عن المسألة ويعجل في الجواب فيصيب فأذمُّه، ويسئل عن مسألة فيتثبت في الجواب، فيخطئ فأحمده»[5]، فالتحري خير وإن أخطأ الإنسان.

«إن الحاكم أو العالم أو المجتهد أو المفتي، أو القاضي مهما بلغ من رجاحة العقل، وسداد الرأي، وسعة الاطلاع، وكثرة التجارب فإنه يكون أقل صوابـاً لو استبد برأيه، ولم يستشر غيره من أصحاب العقول والأفهام والعلم، ولم يشركه في أموره، ذلك لأن الاستبداد بالرأي غالبـاً ما يكون بفعل الهوى، ومن تأثر بهواه فقد ابتعد عن الحق والصواب»[6].

---

(١) الدارمي، مرجع سابق، المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، ج١، ص٢٩٥، أثر ٢٢٠؛ وصححه المحقق.

(٢) محمد كمال الدين إمام، "إعداد الممارس للاجتهاد الجماعي : رؤية فقهية وتاريخية"، في "ندوة الاجتهاد الجماعي في العالم الإسلامي"، مرجع سابق، ج٢، ص١٠٤٣.

(٣) الزرقاء، مرجع سابق، طبعة مطبعة الحياة، ج١، ص١٩٤.

(٤) ابن الصلاح، **أدب الفتوى**، مرجع سابق، ص٣١.

(٥) المرجع نفسه، ص٣٣.

(٦) أبو فارس، في ندوة "الشورى في الإسلام"، مرجع سابق، ج٣، ص ٩٩٧.

هـ- حماية منصب الاجتهاد والإفتاء من الدخلاء والجهلاء، وحصول الأمان للناس من الرجوع إليهم في مسائلهم :

دخل في «الاجتهاد الفردي من ليسوا بأهله، ومنهم من جمد على نصوص الفقه القديمة ولو بنيت على أعراف تغيرت، ومنهم من تساهل فضيّع الضوابط وكاد يعصف بالأصول، ومنهم من تاجر بالدين طمعًا في تقلد منصب أو حرصًا على البقاء فيه أو جلبًا لشهرة وذيوع صيت! ولا شك أن وجود مؤسسات تقوم على الاجتهاد الجماعي يقتضي أن لن يقبل فيها إلا كبار العلماء أو من عرف عنه دقة البحث مع حفظه ورعايته لأمانة استنباط حكم الله عز وجل»(١).

«إن الاجتهاد الجماعي -إذا أحسن اختيار القائمين به في مؤسساته ووضعت الضوابط والشروط الملائمة لصدور الفتاوى والتوصيات عنه وجرى الإعلام الكافي بما تصدره المجامع الفقهية من فتاوى تتعلق بما يهم الناس في حياتهم اليومية- يمكن أن يسد بابًا كبيرًا من أبواب الشر في المجتمعات الإسلامية وهو اقتحام باب الاجتهاد الفردي من بعض الجهلاء أو أصحاب الأهواء في هذا العصر»(٢)؛ «لذلك لابد أن يكون الاجتهاد جماعيًا، حتى يسد الباب على هؤلاء الأدعياء، ويحقق للأمة معرفتها بشرع الله على أكمل وجه وأدق بيان، وليس في هذا حجر على الآراء أو حكر على التفكير، وإنما هو حماية للأمة من البلبلة والتشويش في أمر دينها»(٣).

وإنَّ إشاعة الإفتاء الجماعي أمان للناس من اتخاذ رؤوسًا جهالاً يسألونهم فيُفتونهم بغير علم، فيَضلون، ويُضلون، فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال : «إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»(٤).

---

(١) العطار، في "ندوة الاجتهاد الجماعي في العالم الإسلامي"، مرجع سابق، ج١، ص٣٥.

(٢) جمال الدين محمود، "الاجتهاد الجماعي في المملكة العربية السعودية"، في "ندوة الاجتهاد الجماعي في العالم الإسلامي"، مرجع سابق، ج١، ص٣٩٦.

(٣) الشرفي، مرجع سابق، ص٨٦.

(٤) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم؟ ج١، ص٣٩، ح١٠٠؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ج٤، ص٢٠٥٨، ح٢٦٧٣.

وبعد قيام الاجتهاد الجماعي المتكامل فإنه لا يلبث بعد فترة إلا أن يتخلى صغار طلبة العلم، والمتطفلين على الإفتاء، ويَدَعوه، ويُسندوا الأمر لأهله، بعدما صارت لهم هذه القوة والتميز، ويقل الاختلاف في الأُمة أو يتلاشى، قال أحدهم : «لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف»(١).

ولا شك أن كثرة العلماء في الأمة مؤشر خير، لكن الأمة ابتليت بأن لباس الإفتاء صار يتقمصه أي أحد، دون امتلاك ولا إتقان للأسس التي تستند إليها الفتوى، حتى صار ممن يفتي: الصحفيون، والذين لم يدرسوا الشريعة والفقه، بل حتى المرأة الأُمية التي أمضت أكثر عمرها في شؤون بيتها و لم تطلب العلم و لم تتفرغ له؛ فَجَرَّ هؤلاء على الأمة وبالاً كثيرًا، وأحدثوا فيها خلافات وانقسامات وكثرة آراء لا فائدة من وراءها، بل هي سبب شر.

و- رفع الحرج والحيرة التي وُجِدت لدى بعض المسلمين بسبب تضارب آراء العلماء واختلافهم تجاه بعض المستجدات والنوازل، إذ يمكن بالاجتهاد الجماعي إزالة هذا الاختلاف، أو إيجاد رأي أغلبي يطمئن المسلم للأخذ به.

ز- إكساب الفقه الإسلامي قوة ومكانة علمية، حيث يرى الزرقاء : أنه «أصبح من مصلحة الفقه الإسلامي نفسه أن يقوم فيه اجتهاد من نوع آخر، هو اجتهاد الجماعة على طريقة الشورى العلمية في مؤتمرات فقهية تضم فحول العلماء ومن مختلف المذاهب والأقطار، ليفوا حاجة العصر من هذا الفقه الفياض الذي لا ينضب معينه»(٢).

ح-«الاجتهاد الجماعي سبيل إلى توحيد الأمة:

الأمة الإسلامية أحوج ما تكون إلى اجتماع كلمتها، واتحاد رؤيتها في ما يحل مشاكلها، لتبني على ذلك توحدها في المواقف والتعاملات، ولن يأتي ذلك إلا إذا كانت حلولها لمشاكلها وقضاياها العامة نابعة من رؤية جماعية تسعى إلى جمع الكلمة وتوحيد الصف، بعيدًا عن الرؤى الفردية المتنافرة، التي تأتي على الأمة بالتفرق في الأفكار والتشتت في الصف والتضارب في الأحكام، مما يجعل الناس في حيرة من أمرهم، وفيما ينبغي أن يعملوا به في

---

(١) أسامة بن منقذ، **لباب الآداب**، تحقيق أحمد محمد شاكر، (بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ)، ص٤٣٣.

(٢) الزرقاء، مرجع سابق، طبعة مطبعة الحياة، ج١، ص١٩٢.

القضايا العامة التي تحتاج إلى توحيد في الموقف، واتحاد في الحكم»[1]، «كما أن الاجتهاد الجماعي يعتبر من أنجح السبل إلى توحيد النظم التشريعية للأمة»[2].

وكان الهدف الأول من إنشاء مجمع الفقه الإسلامي، التابع لمنظمة المـؤتمر الإسـلامي: «تحقيق الوحدة الإسلامية نظريًا وعملـيًا»[3]. فالاجتهاد الجماعي يمكن به جمع كلمة الأمة الإسلامية، والتقريب بين رؤاها.

٤-أثر أسلوب (التشاور المتميز) في الاجتهاد الجماعي :

يفيد أسلوب (التشاور المتميز) في نَواحٍ كثيرة للاجتهاد الجماعي، منها : أنه يَسهل فيه- وبسرعة مناسبة- تجميع آراء الخبراء والمختصين المتباعدي الاختصاصات، وتقريب آرائهم لعلماء الشريعة، ويُعد تطبيق المؤسسات العلمية الفقهية لهذا الأسلوب خطوة فاعلة ومهمة في قيادة الأمة نحو الاجتهاد الجماعي، وتسهيل هذه المهمة لها.

ولا يشك الباحث في أن تنظيم إصدار الفتاوى باستخدام هذا الأسلوب، وإشراك العدد والنوع المناسب لموضوع الفتوى من العلماء والمختصين، يعد أمرًا مهما في الحفاظ على الفتوى من الضعف والجنوح؛ فتطبيق هذا الأسلوب يحمي -بإذن الله تعالى- من مزالق المفتي، كالجهل ببعض النصوص أو الغفلة عنها، أو الغلط في التأويل، أو الجنوح نحو الهوى، أو عدم فهم الواقع على حقيقته، أو التأثر بضغط الواقع المنحرف، وغير ذلك، ويوصد الباب أمام المتطفلين على منصب الإفتاء، والمتجرئين عليه.

قال الطبري : المؤمنون «إذا تشاوروا في أمور دينهم متبعين الحق في ذلك، لم يُخْلهم الله عز وجل من لطفه وتوفيقه للصواب من الرأي والقول فيه»[4]أ.هـ. وإذا حصل من الاجتهاد الجماعي إصابة الحق في الغالب، ومجانبة الخطأ، حصل لهؤلاء المجتهدين الأجران، قال ﷺ :«إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»[5]، كما

(١) الشرفي، مرجع سابق، ص٨٨-٨٩.

(٢) المرجع نفسه، ص١٤٤.

(٣) مجمع الفقه الإسلامي، **النظام الأساسي لمجمع الفقه الإسلامي**، (جدة، منظمة المؤتمر الإسلامي، د.ت)، ص١، المادة الرابعة.

(٤) **تفسير الطبري**، مرجع سابق، ج٧، ص ٣٤٥ .

(٥) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهـد فأصاب أو أخطأ، ج٨، ص١٩٨، ح٧٣٥٢؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، ج٣، ص١٣٤٢، ح١٧١٦.

أنه -في سبيل تحقيق الأجرين- تَهُون عليهم المشقة التي يلاقونها بسبب ما يتطلبه الاجتهاد الجماعي من إجراءات، وما يتطلبه أسلوب (التشاور المتميز) من مراجعات ومتابعات.

وذلك كله يُفضي إلى أن تستعيد بعض مؤسسات الفتوى الثقة المفقودة بينها وبين جماهير المسلمين.

وإذا نجحنا في إدارة آرائنا وأفكارنا للنهوض بأمتنا، وحصلنا على تقارب وتوافق، وصارت أفكارنا جماعية، اقترحتها الجماعة، وهذبتها، ورجحتها، وقدمت ماحقه التقديم، وأخرت ما حقه التأخير، فإذا ما وصلنا إلى هذه المرحلة من صياغة المشاريع الإسلامية، صياغة جماعية عن تبصر واقتناع، ودون مؤثرات على ما يعتقده الشخص ويراه، فإن هذه المرحلة تعد خطوة عملية في العمل والإنجاز الجماعي، «وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»[(١)].

المطلب الخامس : الرأي العام الإسلامي :

١-تعريف الرأي العام :

التعريف المختار لدى الباحث : «أن الرأي العام في الإسلام يشير إلى اتجاهات جماهير المسلمين نحو قضية تهم هذه الجماهير في وقت ومجتمع معين بعد مشاورة وحوار ونقاش يحكمه كتاب الله وسنة رسوله»[(٢)].

وعُرِّف بأنه : «اتفاق جماعي[(٣)] قولي أو فعلي، معبر عن ظن راجح في مسألة كلية خلافية، مثارة بعد فكر وتأمل، وحوار ونقاش معلن، محكوم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ في وقت معين، لتحقيق نتائج تتفق مع أحكام ومقاصد الشريعة الإسلامية»[(٤)].

٢-أهمية الرأي العام :

«يعتبر الرأي العام الإسلامي ثمرة التفكير السليم، في المجتمع المسلم، وهو يهدف إلى تحديد المصلحة الشرعية، وإشراك الناس في شؤونهم العامة مما لا نص فيه، حتى يزداد التآلف

---

(١) حديث مرفوع، رواه الترمذي وقال: "غريب من هذا الوجه"، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، ج٤، ص٤٠٥، ح٢١٦٧؛ وصححه الألباني، **صحيح سنن الترمذي**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٣٢.

(٢) محيي الدين عبد الحليم، **الرأي العام في الإسلام**، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٣هـ)، ص٥١.

(٣) وليس إجماعيًّا .

(٤) سعيد بن علي بن ثابت، **الرأي العام : دراسة تأصيلية تطبيقية على عصر الخلافة الراشدة**، (الرياض، دار الحضارة، ١٤٢٤هـ)، ص٤٢.

والترابط بين المسلمين... فالمناقشة والحوار والمشاورة في المسائل العامة مما لا نص فيه، تُظهر أفضل الحلول بعد تقابل مختلف الآراء، وظهور أوجه وأسباب الخلاف بينها، وما ينطوي عليه كل منها، من فوائد ومثالب في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية، كما أن الرأي العام يعتبر ضرورة للحفاظ على الترابط، والتضامن في المجتمع الإسلامي. والرأي العام ليس تفكيرًا مجردًا، فذلك افتئات على حق الله تعالى في التشريع، ولو كان جهدًا عقليًا جادًا غير مدفوع بالهوى، وإنما الرأي العام المستنير هو الذي يستند إلى منطلقات أساسية، أهمها: الكتاب والسنة، والاجتهاد العام في الشريعة الإسلامية، ومبدأ الشورى في الإسلام ومبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[1].

وبما أنّ «الظواهر الاجتماعية تعتمد في سيرورتها وشدتها على (الكم)، لا الكيف فإن لمواقف عامة الناس وآرائهم سلطان مؤثر في البيئة الاجتماعية بصورة عامة، ولهم ضغوطهم الملموسة على الخاصة من القادة والحكام والمثقفين. ويبدو أن الناس حين تجتمع أعداد وفيرة منهم على رأي أو موقف يتولد من ذلك الإجماع قوة إقناعية متبادلة بينهم»[2].

«ولخطورة الرأي وأهميته في حياة الناس لاحظ سلفنا الارتباط الوثيق بين سلامته وأثره في وحدة كلمة الأمة، وتمكين قيادتها من تحقيق وظائفها على الوجه الأكمل مما يمكن أن يجعل غاية أساسية للسياسة الشرعية»[3].

وكان النبي ﷺ واعيًا للرأي العام وأثره؛ ولذلك امتنع عن قتل المنافقين، قال: «لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»[4].

كما كان الصحابة رضي الله عنهم واعين لأثر الرأي العام، من ذلك ما أبداه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، لعمر رضي الله عنه وهما في الحج، فعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: «كُنْتُ أُقْرِئُ رِجَالاً مِنْ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَبَيْنَمَا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بِمِنًى وَهُوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا إِذْ رَجَعَ إِلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: لَوْ رَأَيْتَ رَجُلاً أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ لَكَ فِي فُلانٍ يَقُولُ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ لَقَدْ بَايَعْتُ فُلانًا فَوَاللَّهِ

---

(١) المرجع نفسه، ص٤٥.

(٢) بكار، **فصول في التفكير الموضوعي**، مرجع سابق، ص٢٥٦.

(٣) سيد محمد ساداتي الشنقيطي، **الرأي العام في ضوء الإسلام**، ط٣، (الرياض، دار المسلم، ١٤١٤هـ)، ص٣١.

(٤) متفق عليه؛ ينظر تخريجه ص٤٤٢، حاشية ٣ .

مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلاَّ فَلْتَةً فَتَمَّتْ، فَغَضِبَ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ : إِنِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَقَائِمٌ الْعَشِيَّةَ فِي النَّاسِ فَمُحَذِّرُهُمْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ أُمُورَهُمْ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لا تَفْعَلْ فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رَعَاعَ النَّاسِ وَغَوْغَاءَهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمْ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى قُرْبِكَ، حِينَ تَقُومُ فِي النَّاسِ وَأَنَا أَخْشَى أَنْ تَقُومَ فَتَقُولَ مَقَالَةً يُطَيِّرُهَا عَنْكَ كُلُّ مُطَيِّرٍ، وَأَنْ لا يَعُوهَا وَأَنْ لا يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا، فَأَمْهِلْ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ فَإِنَّهَا دَارُ الْهِجْرَةِ وَالسُّنَّةِ، فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الْفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ فَتَقُولَ : مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا فَيَعِي أَهْلُ الْعِلْمِ مَقَالَتَكَ وَيَضَعُونَهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا فَقَالَ عُمَرُ : أَمَا وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لأَقُومَنَّ بِذَلِكَ أَوَّلَ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ»[1]. وهذا يدل على فقه عبد الرحمن بن عوف ﷺ لأثر الرأي العام في الأمة، كما يدل على فقه عمر ﷺ أيضًا لذلك؛ ولذلك استحسن ما أُشير به عليه مباشرة.

٣-أثر الدراسات المستقبلية في الرأي العام :

تُقدِّم الدراسات المستقبلية صورًا ومشاهد للمستقبل؛ -وسواء أخذ بها متخذو القرارات أو لم يأخذوا بها- فإن هذه الصور تسهم في حسم كثير من المناقشات، وتساعد في تكوين رأي عام حول الصورة المقبولة للمستقبل، وسبل صناعته[2].

كما أن الجهد العلمي في الدراسات المستقبلية، وما يصاحبه من نقاش، سيكون له أثر إعلامي وتربوي، يؤثر في الرأي العام، مثل ما أثَّرت بعض الدراسات الدولية في الرأي العام في البلدان الصناعية[3].

واستخدام أسلوب (التشاور المتميز) يؤثر في الرأي العام، إذا جرى توسيع دائرة المشاركين فيه.

المطلب السادس : المجامع الفقهية ومؤسسات الاجتهاد الجماعي في العالم الإسلامي وحاجتها إلى التطوير والإفادة من أساليب الدراسات المستقبلية :

هيئات الفتوى والاجتهاد الجماعي كثيرة في العالم الإسلامي، منها ما يتبع منظمات كبرى، ومنها ما يتبع إدارات الإفتاء، ومنها ما يتبع بعض القطاعات الأخرى، مثل المجالس

---

(١) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم الحبلى من الزنى إذا أحصنت، ج٨، ص٣٢، ح٦٨٣٠.

(٢) عبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص١٧٥.

(٣) المرجع نفسه.

القضائية، وبيوت الزكاة، والمصارف، وغيرها. ومن أهم المجامع الفقهية ومؤسسات الاجتهاد الجماعي في العالم الإسلامي ما يأتي :

١- مجمع الفقه الإسلامي، التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة.

٢- المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

٣- هيئة كبار العلماء في الرياض .

٤- اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في الرياض.

٥- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة .

٦- مجمع البحوث الإسلامية في القاهرة.

٧- مجلس الفكر الإسلامي في إسلام آباد .

٨- المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في الكويت، وهي خاصة بدراسة أحكام ما يستجد من شؤون طبية.

تمثل المجامع الفقهية ومؤسسات الاجتهاد الجماعي الحالية جزءًا محدودًا من الاجتهاد الجماعي، يحتاج إلى توسيع في أعضائه المشاركين فيه، وزيادة في انعقاد جلساته أكثر من مرة كل عام، ومرونة تصاحبها سرعة في التشاور وإصدار الفتاوى.

ويفيد أسلوب (التشاور المتميز) في جميع مؤسسات الاجتهاد الجماعي؛ فإنه يتميز بتعدد استخداماته، فهو ليس محصورًا بالدراسات المستقبلية، بل يمكن استخدامه في جميع شؤون الحياة، سواء كانت مستقبلة، أم حاضرة، أم ماضية. وسواء استخدمته المجامع الفقهية تمهيدًا لاجتماعاتها، أو استُخدِم بصورة مستقلة، وصار له مؤسسته المستقلة؛ فاستخدامه يفيد في كثير من الأمور، وفيما يلي بيان لأهميته في ذلك :

١-حاجة الوقت إلى الإفتاء السريع :

تنــزل النازلة، وتأتي بعض المسائل الحديثة، وتصعب على الاجتهاد الفردي، ولا يتسنى لمؤسسات الإفتاء والاجتهاد الجماعي الاجتماع للنظر والإفتاء فيها سريعًا -بل إن بعضها لا تجتمع إلا مرة واحدة في العام[1]- مما يؤدي إلى تأخر معرفة حكم هذه المسائل لدى المسلمين، وقد تتعطل مصالحهم.

---

(١) مثل : مجمع الفقه الإسلامي، ينظر : مجمع الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص٤، المادة الثانية عشرة.

ومع خطر التعجل في الاجتهاد والفتوى، وذمه، وأهمية التريث والنظر، إلا أن اكتمال النظر في الفتوى بصورة مناسبة، وإصدارها دون تأخير أمر مهم، تستدعيه الأحوال المعاصرة؛ لئلا تتعطل المصالح، وتُفوّت الفرص على الناس، في زمن السرعة، وألا يَجرّهم عدم وجود فتوى إلى الدخول في الأمور على غير بينة، ويصبح التجرؤ على الدخول في الأمور المشتبهة ديدنًا لهم، ثم يستسيغون المعصية، وتصير أمرًا طبعيًّا فيهم، ولا شك أن المجامع الفقيهة ومؤسسات الاجتهاد الجماعي -بصورتها الحالية- غير مؤهلة إداريًّا للإفتاء السريع؛ وهذا يحتم إيجاد وسيلة فاعلة لتسريع عملية الإفتاء الجماعي في النوازل والمستجدات، ويعد أسلوب (التشاور المتميز) وسيلة فاعلة ومهمة في تحقيق ذلك، إذا لقي تعاونًا من الفقهاء والمختصين لإنجاحه، ويجدر بالمجامع الفقهية، وإدارات الإفتاء إيجاد قسم فيها يعنى بهذا الأسلوب، ويُدرَّب له فريق عمل[1]؛ ليتعرف عليه، وكيفية استخدامه، وتخير البرامج الحاسوبية المناسبة فيه؛ فهذا الأسلوب مرن، ويحقق سهولة في التواصل، وتستطيع كل مؤسسة استخدامه بتكلفة معقولة، ودون الحاجة إلى الخوض في سلسلة من الإجراءات النظامية والإدارية لجمع العلماء أو الاجتماع بهم.

وليس معنى ذلك أن الأسلوب يحقق سرعة مطلقة، بل إن إجراءاته تأخذ وقتًا، لكنه يضاعف من سرعة إجراء الاجتهاد الجماعي المتبع بالطرق المستخدمة حاليًا.

٢-تمكين العالِم من التأمل والنظر في القضية -بصورة واسعة- لأكثر من مرة:

يقترح الباحث أن تُطبِّق هذه المؤسسات أسلوب (التشاور المتميز) في القضايا التي تريد دراستها، حتى إذا اكتمل التشاور في القضية المراد بحثها اجتمع العلماء والمختصون ليُقِرُّوا النتيجة، فكان تطبيق هذا الأسلوب -بهذه الصورة- سبيلاً إلى التدرج والتهيئة للحكم النهائي في القضية، كما يفيد تطبيقه في اختصار الاجتماعات التي يعقدها المجمع، اختصارًا في العدد وفي الوقت. فإنَّه يُلحظ أن القضايا التي يدرسها المجتهد قبل حضوره اجتماع المجمع الفقهي، ويُصدر لها الحكم الذي يراه، ثم إذا حضر الاجتماع قد تطرأ إضافات وتفريعات من العلماء المشاركين، وفي بعض هذه المسائل يحتاج المجتهد إلى وقت من التأمل والمراجعة

---

(١) يقدِّم معهد الخليج للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية في الكويت دورات تدريبية في كيفية استخدام هذا الأسلوب.

والبحث، فإما أن يَحسم فيها الخلاف، أو يَطلب تأجيله إلى دورة جديدة من الجلسات، بينما يسهل عند استخدام أسلوب (التشاور المتميز) تلافي هذا الأمر، وسرعة إنجاز الأعمال.

٣-إمكانية الجمع بين الصورة الحالية للمجامع الفقيهة وبين اجتهاد جماعي أوسع:

يُلحظ أن الاجتهاد الجماعي لم يَتكوَّن -حتى الآن- بالصورة المطلوبة، التي تشمل كثيرًا من العلماء المسلمين، وتنسق بينهم بصورة مستمرة، وما المجامع الفقهية إلا صورة جزئية من هذا المطلب، لا تؤدي إلى الغرض الكامل، فإذا كان مجمع الفقه الإسلامي بجدة يضم دول العالم الإسلامي جميعها، ويشير نظامه إلى أن لكل دولة عضوًا واحدًا[1]، بينما في المسلمين آلاف الفقهاء والعلماء فإن هذا يقلل من فوائد الاجتهاد الجماعي، وبخاصة ما يعود منها على العلماء أنفسهم.

وإذا كان اجتماع عدد كبير من العلماء بصورة دورية يعد أمرًا صعبًا، فإن إمكانية إقامة اجتهاد جماعي موسَّع دون اجتماع هؤلاء العلماء أمر ممكن، باستخدام أسلوب (التشاور المتميز). فيمكن أن يشترك من كل دولة من أعضاء المجمع مئة عالِم مثلاً، وبعد انتهاء جولات التشاور يُنتدب العضو الرئيس في المجمع لحضور الاجتماع وإقرار النتائج، ويمكن أن ينتدب معه ممثل عن آخرين ممن لهم وجهات نظر مختلفة، تَستند إلى أدلة قوية، أظهرتها جولات التشاور.

والجمع بين طريقة المجامع الفقهية، وأسلوب (التشاور المتميز)، يحقق فوائد هذا الأسلوب للمجمع، ويسد باب الشك في صدق الإدارة القائمة على هذا الأسلوب، ونزاهتها، فعندما يجتمع العلماء -أو جملة ممن شارك في استبانات الأسلوب- ويطلعوا على نتائج الأسلوب بشأن القضية ويُقرُّوها، ينتفي أي شك تجاه القائمين عليه، وتُتلقى النتائج بالقبول.

٤-بعد تحقق الاجتهاد الجماعي المتكامل، الذي يُشرَك فيه أغلب الفقهاء، فإن مؤسسة الاجتهاد والفتوى لا تلبث أن تستعيد قوَّتها ومكانتها الاجتماعية المتميزة، وقبولها بين عامة الناس وثقتهم فيها، بعد أن اهتزت هذه المكانة لها وضعفت في نظر طائفة من الناس، وسيصبح لها من التأثير فيهم ما لم يكن من قبل؛ فإعادة مكانة العلماء لدى الناس أمر مهم،

---

(١) مجمع الفقه الإسلامي، مرجع سابق، ص٣، المادة السابعة.

فقد سماهم القرآن : أولي الأمر، وقُرنت طاعتهم بطاعة الله ورسوله ﷺ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[1].

٥-من أساليب الدراسات المستقبلية المفيدة لعمل المجامع الفقهية ومؤسسات الإفتاء الجماعي: أسلوب (مصفوفة التأثير المتقاطع)، وهو أسلوب -كما يقول زاهر- : يعتمد على نتائج أسلوب التشاور[2] .

في هذا الأسلوب تُجمع أهم العناصر التي يؤثر بعضها على بعض فيما يرتبط بالظاهرة محل الاهتمام[3]، ثم توضع هذه العناصر في قائمة متكونة من صفوف وأعمدة مصفوفة أفقيًّا ورأسيًّا، وتوضح خلايا المصفوفة التفاعلات بين هذه العناصر، ويجري ذلك بأن يبدأ المخطط بأول عناصر المصفوفة ويحدد تأثيرات هذا العنصر على العناصر الأخرى، وبعد تحديد هذه التأثيرات، ينتقل إلى العنصر الثاني ويدرس تأثيره على باقي العناصر التالية له حتى نهاية المصفوفة، وهكذا، ولا تقدم هذه المصفوفات أية إجابات حاسمة، ولكنها تخدم أغراض طرح الأسئلة، وإثارة المناقشات حول طبيعة التداخلات بين الأحداث ودرجتها، وكيفية تأثير كل منها على الآخر[4]، فهو يساعد في توضيح الآثار المستقبلية على الظاهرة وما يرتبط بها، ودرجة هذا الأثر لكل عنصر[5].

---

(١) سورة النساء، من الآية: ٥٩.

(٢) في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص٣٢ .

(٣) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص ٣٨.

(٤) زاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص٣١، ٣٣.

(٥) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص٣٨؛ وكورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ٢٣٠-٢٣١.

المبحث الثاني

أثر الدراسات المستقبلية في فقه الموازنات والأولويات

المطلب الأول : تعريف الموازنات، ومشروعيتها :

الموازنة في اللغة : بمعنى المعادلة، والمقابلة، والمحاذاة[١].

ويمكن تعريفها اصطلاحًا -بكلام مقتبس من كلام ابن تيمية- بأنها : ترجيح خير الخيرين وشر الشرين، وتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، ودفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما[٢].

«وقد غلب في القرآن استعمال الحسنات في المصالح والسيئات في المفاسد»[٣]. والموازنة تكون تارة بين المصالح بعضها مع بعض، وتارة بين المفاسد بعضها مع بعض، وتارة بين المصالح والمفاسد.

قال ابن تيمية : «فالتعارض إما بين حسنتين لا يمكن الجمع بينهما؛ فتقدم أحسنهما بتفويت المرجوح، وإما بين سيئتين لا يمكن الخلو منهما؛ فيدفع أسوأهما باحتمال أدناهما. وإما بين حسنة وسيئة لا يمكن التفريق بينهما؛ بل فعل الحسنة مستلزم لوقوع السيئة؛ وترك السيئة مستلزم لترك الحسنة؛ فيرجح الأرجح من منفعة الحسنة ومضرة السيئة»[٤].

وقال ابن القيم : «فإذا وصف العمل بما فيه من الفساد مثل كونه من عمل الشيطان لم يمنع ذلك أن يدفع به مفسدة شر منه وأكبر وأحب إلى الشيطان منه فيدفع بما يحبه الشيطان ما هو أحب إليه منه ويحتمل ما يبغضه الرحمن لدفع ما هو أبغض إليه منه، ويفوت ما يحبه لتحصيل ما هو أحب إليه منه وهذه أصول من رزق فهمها والعمل بها فهو من العالمين بالله وبأمره»[٥].

---

(١) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١٥٩٧، مادة: (وزن).

(٢) **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٠، ص٤٨.

(٣) ابن عبد السلام، مرجع سابق، ج١، ص٤.

(٤) **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٠، ص٥١.

(٥) **الكلام على مسألة السماع**، تحقيق راشد بن عبد العزيز الحمد، (الرياض، دار العاصمة، ١٤٠٩هـ)، ص٣١١-٣١٢.

ومن الموازنات : ما فعله الخضر من خرق سفينة المساكين، وعلل فعله بقوله : ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴾[1]؛ فوازَن بين بقاء السفينة لأهلها وبها عيب، وبين تركها سليمة وتعرضها للاغتصاب.

وقال الله تعالى : ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ ﴾[2].

وقال الله تعالى : ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا ﴾[3].

قال الشافعي : «ليس العاقل الذي يقع بين الخير والشر، فيختار الخير، إنما العاقل الذي يقع بين الشرَّين فيختار أيسرهما»[4].

وقد عُني فقهاء الإسلام بوضع بعض القواعد الضابطة في الموازنات، ومعرفة الأَوْلى من غيره، ومن ذلك ما يأتي :

١ –«إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمهما ضررًا بارتكاب أخفهما»[5].

٢ –« درء المفاسد أولى من جلب المصالح»[6].

٣ –«إذا اجتمع الحلال والحرام غلب الحرام»[7].

٤ –«إذا تعارض دليلان: أحدهما يقتضي التحريم والآخر الإباحة، قدم التحريم»[8].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ٢١٧.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢١٩.

(٤) ابن عبد البر، **الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء**، مرجع سابق، ص١٥٧.

(٥) السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مرجع سابق، ص٨٧.

(٦) المرجع نفسه .

(٧) نفسه، ص١٠٥.

(٨) نفسه، ص١٠٦.

٥-«المتعدي أفضل من القاصر»[١].

٦-«الفرض أفضل من النفل»[٢].

٧-«الواجب لا يترك إلا لواجب»[٣]، فلا يترك لأداء سُنَّة.

٨-«ما ثبت بالشرع مقدم على ما ثبت بالشرط»[٤].

المطلب الثاني : تعريف الأولويات، ومشروعية ترتيبها :

الأولويات جمع الأوْلى، وهو في اللغة : الأقرب، والأدنى، والأحرى[٥]، والأحق[٦].

والأولويات في الاصطلاح : «هي الأعمال والأنشطة التي حقها التقديم على غيرها»[٧].

وفقه الأولويات اصطلاحًا هو : العلم بالأعمال الشرعية المقدَّمة على غيرها، بناء على العلم بمراتبها وبالواقع الذي يتطلبها[٨].

« وتقديم الأهم على المهم والفاضل على المفضول حقيقة شرعية، وبدهية عقلية... فإذا تعارضت الأعمال أو المصالح، أو تعسر الجمع بينهما؛ فإن الواجب تقديم الأوْلى فالأولى؛ فلا يجوز تقديم الواجب على الركن؛ كما لا يجوز تقديم النفل على الواجب»[٩].

قال تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ

---

(١) نفسه، ص١٤٤.

(٢) نفسه، ص١٤٥.

(٣) نفسه، ص١٤٨.

(٤) نفسه، ص١٤٩.

(٥) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١٧٣٢، مادة: (ولي) .

(٦) الفيومي، مرجع سابق، ص٢٥٨، مادة: (ولي) .

(٧) عادل بن محمد السليم، "الأوليات وضوابط تحديدها"، في "البيان"، مرجع سابق، العدد١٧٧، (٥/١٤٢٣هـ)، ص٢٢.

(٨) محمد الوكيلي، **فقه الأولويات : دراسة في الضوابط**، (الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٦هـ)، ص ١٦.

(٩) السليم، في "البيان"، مرجع سابق، العدد١٧٧، (٥/١٤٢٣هـ)، ص٢٢-٢٣.

ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾(١).

وقال رسول الله ﷺ : «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً. فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ . وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ»(٢). فبيَّن ﷺ أن هناك أفضل، وهناك أدنى، وجميعها من شعب الإيمان، وإنما يظهر الفقه فيها وفي تقديم بعضها على بعض عند مواطن العمل، وبخاصة عندما يتنازع الوقت اثنان فأكثر ولا يمكن الإتيان بها جميعها، أو عندما تتعلق مصلحة الدعوة بتقديم شيء وتأجيل آخر.

وعن عبد اللَّه بن عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ : أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قَالَ : نَعَمْ. قَالَ : فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»(٣). فقدَّم النبي ﷺ ما هو أولى في حق هذا الرجل؛ لأن الجهاد فرض كفاية، وبر الوالدين فرض عين.

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ : «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ. فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»(٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : «سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ : أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ : إِيمَانٌ بِاللَّهِ

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ١٩-٢٠.

(٢) متفق عليه: البخاري مختصرًا، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، ج١، ص١٠، ح٩؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، ج١، ص٦٣، ح٣٥.

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد بإذن الأبوين، ج٤، ص٢٣، ح٣٠٠٤؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، ج٤، ص١٩٧٥، ح٢٥٤٩.

(٤) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، ج٢، ص١٦٥، ح١٤٩٦؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ج١، ص٥٠، ح١٩.

وَرَسُولِهِ. قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ : جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ»[1].

قال العز بن عبد السلام: «لا يخفى على عاقل قبل ورود الشرع أن تحصيل المصالح المحضة، ودرء المفاسد المحضة عن نفس الإنسان وعن غيره محمود حسن، وأن تقديم أرجح المصالح فأرجحها محمود حسن، وأن درء أفسد المفاسد فأفسدها محمود حسن، وأن تقديم المصالح الراجحة على المفاسد المرجوحة محمود حسن. وأن درء المفاسد الراجحة على المصالح المرجوحة محمود حسن، واتفق الحكماء على ذلك...واعلم أن تقديم الأصلح فالأصلح ودرء الأفسد فالأفسد مركوز في طبائع العباد نظرًا لهم من رب الأرباب... ولا يقدم الصالح على الأصلح إلا جاهل بفضل الأصلح أو شقي متجاهل لا ينظر إلى ما بين المرتبتين من التفاوت»[2].

المطلب الثالث : أثر غياب فقه الموازنة والأولويات على الدعوة :

إن غياب فقه الموازنة والأولويات يؤدي إلى مفاسد عظيمة، واضطراب واسع في كثير من البرامج والمناشط الدعوية، على مستوى الأفراد والمؤسسات[3]، ويرى أحد الباحثين: أن الأولويات تُعد «قضية العصر في مجتمع الدعاة اليوم، فعلى قدر اهتمامهم بها وإدراكهم لأبعادها وحسن تقديرهم لملابساتها فإنهم يقتربون من تحقيق النجاح في مهمتهم»[4]، «ولا يقف الإخلال بالأولويات اليوم عند جماهير المسلمين، أو المنحرفين منهم، بل الإخلال واقع من المنتسبين إلى التدين ذاته، لفقدان الفقه الرشيد، والعلم الصحيح»[5]. ومن الأمثلة على مفاسد غياب فقه الموازنة والأولويات ما يأتي:

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، ج٢، ص١٧٢، ح١٥١٩؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، ج١، ص٨٨، ح٨٣.

(٢) ابن عبد السلام، مرجع سابق، ج١، ص٤-٥.

(٣) السليم، في "البيان"، مرجع سابق، العدد١٧٧، (٥/١٤٢٣هـ)، ص٢٣-٢٤.

(٤) موسى إبراهيم الإبراهيم، **الفقه الحركي في العمل الإسلامي المعاصر**، (عمّان، دار عمار، ١٤١٨هـ)، ص١٩٦.

(٥) يوسف القرضاوي، **في فقه الأولويات: دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة**، ط٢، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٦هـ)، ص١٥.

١-«استهلاك كبير لكثير من الطاقات البشرية والموارد المادية في أمور غيرها أولى منها»[١]، وينتج عن هذا إهدار للأوقات[٢]، وإضاعة للجهود[٣].

٢-اختلاف الدعاة والمؤسسات الإسلامية في تحديد الأولويات يضعف مناشطها، ويقلل من ثمرة أعمالها، ويجعلها تسير في طرق متباينة متباعدة[٤]. يقول القرضاوي : رأيت شباباً «يقيمون معارك يومية يحمى وطيسها من أجل مسائل جزئية أو خلافية، مهملين معركة الإسلام الكبرى مع أعدائه الحاقدين عليه، والكارهين له، والطامعين فيه، والخائفين منه، والمتربصين به»[٥].

٣-«الاستغراق بالجزئيات والتفاصيل والانشغال عن الكليات والعجز عن رد الجزئيات إلى الكليات والفروع إلى الأصول وفهم العلاقة الدقيقة بينها»[٦]، ومن أمثلة ذلك: «اشتغال كثير من الناس بمحاربة المكروهات، أو الشبهات، أكثر مما اشتغلوا بحرب المحرمات المنتشرة، أو الواجبات المضيعة...ومن ذلك : انصراف الكثيرين إلى مقاومة الصغائر مع إغفال الكبائر والموبقات»[٧]. «قال بعض الأكابر: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهومغرور»[٨].

٤-ضعف رسالة الدعوة الإسلامية في بعض مجالاتها؛ فتجد كثيرًا ممن وسع الله عليهم في الرزق لا يكادون يجعلون إسهامهم في العمل الدعوي، ومصارف صدقاتهم ووصاياهم وأوقافهم إلا في مجالات محددة، مع أن هناك مجالات أَوْلى منها وأنفع للمسلمين ولدينهم، فمنهم من يُصرُّ على بناء مسجد في حي مليء بالمساجد، ويمتنع عن كفالة دعاة ينشرون الإسلام، أو يذودون عنه، مع أن كفالة الدعاة أشد حاجة، وأعظم هدفًا .

---

(١) السليم، في "البيان"، مرجع سابق، العدد١٧٧، (٥/١٤٢٣هـ)، ص٢٤.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) البيانوني، مرجع سابق، ص٣٥٨.

(٤) السليم، في "البيان"، مرجع سابق، العدد١٧٧، (٥/١٤٢٣هـ)، ص٢٤.

(٥) القرضاوي، **في فقه الأولويات**، مرجع سابق، ص٢٠.

(٦) طه جابر العلواني (تقديم)، الوكيلي، مرجع سابق، ص (ت).

(٧) القرضاوي، **في فقه الأولويات**، مرجع سابق، ص٢٣.

(٨) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١١، ص ٣٥١.

٥-"العزوف عن الأخذ بالأسباب"[١]، فإن "من يتجاوز الأولويات قد يتجاوز الواقع كله إذا كان مرًّا ويهرب من مضايقاته إلى الخيال ليرسم لنفسه من خلال الخيال الصورة المرغوبة أو المناسبة، وقد يهرب إلى الماضي ويتجاوز الحاضر والمستقبل والواقع للغرض نفسه"[٢].

٦-"حين لا تستحضر الأولويات ينشغل الناس بالشعارات والتهاويل ويتجاوزون المضامين، ويستعجلون النتائج"[٣].

٧- إن تزاحم الأولويات في العقل، وعدم القدرة على ترتيبها وإعطائها أزمانًا مقدرة لإنجازها، يؤدي إلى رفضها جملة، وعدم القدرة على تحقيق شيء منها[٤]، بينما "إدراك الأولويات يعتبر درعًا وحماية من الكسل أو الفتور النفسي أو العقلي"[٥].

٨-"من يتجاوز الأولويات كثيرًا ما يفقد الموازين الدقيقة لما يأخذ ولما يدع ويعمد إلى التعميم، وإيقاف المعايير، والانحياز دون مبرر إلى الذات أو إلى الفئة أو الحزب أو سواها"[٦].

المطلب الرابع: كيف تفيد الدراسات المستقبلية في الموازنة وترتيب الأولويات؟

"كثيرًا ما تزدحم الأعمال الشرعية في واقع المسلم نظرًا لكثرة اختلاط المفاسد بالمصالح، فيحتار في معرفة الحكم الذي يستحق التقديم على غيره"[٧]. كما أن الحكمة تقتضي في عملية الدعوة أن يكون ترتيبها على نسق معين، حسب طبيعة المدعويين والبيئة الدعوية، حتى تصل إلى الهدف النهائي، وهذا وذاك يقتضي فقهًا في الموازنة والأولويات، وتمكنًا فيهما.

والتمكن من ذلك "يتطلب فقهًا لترتيبات مطالب الشريعة ومقاصدها، كما يتطلب

---

(١) العلواني (تقديم)، الوكيلي، مرجع سابق، ص (ت).

(٢) المرجع نفسه، (تقديم)، ص (خ).

(٣) نفسه، (تقديم)، ص (ث).

(٤) سام هورن، **التركيز مهارتك الثمينة للتميز والإبداع**، ترجمة مفيد ناجي عودة، (الرياض، دار المعرفة للتنمية البشرية، ١٤٢١هـ)، ص٢٦.

(٥) العلواني (تقديم)، الوكيلي، مرجع سابق، ص (ث).

(٦) المرجع نفسه، (تقديم)، ص (خ).

(٧) الوكيلي، المرجع نفسه، ص٢ .

فقهًا بالواقع المعاش، ونوعًا من البصيرة المسلحة بالخبرة في عواقب الأمور المترتبة على الإقدام على أمر ما، والإحجام عنه. وهذا الفقه تشتد الحاجة إليه كلما ساءت الظروف والأحوال التي تمر بها الأمة، حيث تكثر الخيارات الصعبة، وتضيق سبل الحلول المطروحة، وتصبح التضحية ببعض الخير، وارتكاب بعض الشر أمرًا لا مفر منه»[١].

«إن من السهل على أكثر الدعاة والمؤسسات الإسلامية أن يفرقوا بين الحسن والرديء، ولكن التفريق بين الحسن والأحسن يحتاج إلى فقه راسخ، وأفق واسع، وبصر عميق.

والموازنة بين المصالح والمفاسد من المسائل الاجتهادية التي قد تختلف فيها الأنظار والآراء، وتقديرها يتطلب أمورًا في غاية الأهمية »[٢]. فعقْد الموازنة بين أمرين، منه حالات بيِّنة يستطيع عقدها كثير من طلبة العلم بصورة صحيحة، ومنه حالات تحتاج إلى فقه عميق وتكامل رؤى، واجتماع أكثر من اختصاص، فهذا تفيد فيه الدراسات المستقبلية؛ فتتحقق الموازنة بأكبر دقة ممكنة؛ لذا تأتي الحاجة إلى الدراسات المستقبلية بعامة، وإلى بعض أساليبها بخاصة، كأسلوب (المشاهد)، و(التشاور المتميز)؛ وفيما يأتي أمثلة على أهمية الحاجة إليها في مجال الموازنات والأولويات :

١-الإسهام في دراسة الواقع بشكل أعمق :

يرتبط ترتيب الأولويات بالواقع، والواقع يتغير؛ فلذلك لابد من إعادة النظر في الترتيب كل فترة، ومن هنا يتضح أهمية هذا الفقه، وأنه يحتاج إلى سبر مستمر للواقع ومدى تغيره، ومدى تحقق الأوْلى، حتى ننتقل إلى غيره. ومن ينظر في المدني من سور القرآن، يجد أنه يتميز عن المكي في أسلوبه، وفي أحكامه وموضوعاته من حيث الجملة؛ لأن الواقع تغير، من بلد شرك وكفر وسِلْم، إلى بلد إيمان وإسلام وجهاد؛ «فدراسة الواقع بمفهومه الواسع وفهمه هو السبيل لحسن تطبيق نظام الأولويات. وكلما كان هذا الفهم أعمق كلما كان تحديد سلم الأولويات أسلم وأصلح»[٣]. وتُعدُّ الدراسات المستقبلية من أحسن المجالات لدراسة الواقع واستجلاء حقائقه، مع ما تضيفه من بُعد مستقبلي.

---

(١) بكار، **فصول في التفكير الموضوعي**، مرجع سابق، ص١٦٧-١٦٨.

(٢) السليم، في "البيان"، مرجع سابق، العدد١٧٧، (١٤٢٣/٥هـ)، ص٢٧.

(٣) الوكيلي، مرجع سابق، ص١٧٥ .

٢-التوصل إلى طريقة أمثل في نشر الوعي نحو ترتيب أولويات دعاة أو مؤسسات دعوية:

«إن تقرير المبدأ سهل، ولكن ممارسته صعبة، لأن فقه الموازنات يصعب على العوام وأمثالهم من القادرين على التشويش لأدنى سبب»[1]، بل إنه يَستصعب حتى على بعض الدعاة العاملين في مجال الدعوة؛ ولذلك تواجِه كثيرٌ من القيادات الدعوية صعوبة كبيرة وعراقيل لمسيرة دعوتهم؛ بسبب عدم إدراك من دونهم لهذا الفقه، وإذا كان نبي الله موسى عليه السلام لم يستطع صبرًا مع الخضر فمَن دونه من باب أولى. وعندما نجري الدراسات المستقبلية ونوضح فيها ترتيب أولويات الدعوة، وننشر نتائج هذه الدراسات، أو نُشرك فيها المستهدفين؛ فإنها تقود تلقائـيًّا لوعي المُطلِع عليها والمشارِك بأهمية ترتيب الأولويات، والإسهام في تحقيقها مُرتَّبة، دون تقديم ما حقه التأخير، أو تأخير ما حقه التقديم.

٣-المساعدة في الوصول إلى صحة الترتيب للأولويات :

لكل دعوة أهداف تسعى لتحقيقها، وينبغي أن تكون واضحة جلية، ولا يتحقق الوصول إلى هذه الأهداف بصورة سليمة إلا وفق سلم أولويات مرحلية متدرجة، «وهذه الأوليات هي محطات على الطريق تمكن السائرين فيها من التأكد من أنهم على الطريق الصحيح، وتوفر لهم نقاط استراحة وتقويم لما يقومون به من عمل. ولا بأس أن تكون هذه الأوليات متواضعة في البداية، ولكن تحقيقها يعني التقدم في الاتجاه الصحيح»[2]. وإذا نظرت في واقع الدعوة الإسلامية تجد أن العاملين للإسلام «لا يختلفون على المبادئ العامة ولا على الشعارات، ومع ذلك لم تثمر الجهود المضنية المبذولة في سبيل الرقي والتقدم نتائج إيجابية فاعلة على الساحة الإسلامية، ذلك أن الفوضى في ترتيب أولويات المعالجة هي إحدى سمات العمل الإسلامي المعاصر»[3].

وعند بناء الـمَشاهد في الدراسات المستقبلية، يقوم المختصون فيها بترتيب الأولويات

---

(١) القرضاوي، **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**، مرجع سابق، ص٣٣.

(٢) مانع بن حماد الجهني، **الصحوة الإسلامية: نظرة مستقبلية**، (الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤١٣هـ)، ص٦٦.

(٣) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، "مخطط ندوة مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل"، في "أبحاث ندوة مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل"، مرجع سابق، ص٢٤.

لتحقيق المشهد؛ وهذا يُسهم -بجلاء ووضوح- في مساعدة العاملين في معرفة ما حقه التقديم، وما حقه التأخير، في كل مرحلة من مراحل العمل، فعندما نطرق بتفكيرنا ورؤانا أبواب المستقبل، ونلجها، ونخطو خطوات فيها، ثم ننظر من داخلها إلى حاضرنا، عندها نستطيع أن نميز بوضوح بين الأول وغير الأول، ونرتب الأولويات باطمئنان أكثر، واتفاق أشمل.

٤-رفع الخلاف بين الدعاة أو تخفيفه :

كثيرًا ما يقع الاختلاف بين الدعاة بسبب إعمال بعضهم لفقه الموازنات وإهمال بعضهم لها، وترتيب بعضهم للأولويات وإهمال بعضهم لها؛ فمتى ما اجتمع الدعاة على فقه الأولويات في الدعوة الإسلامية، وصار عندهم ترتيب لها، وحرصٌ على أدائها؛ فإنه سيقف التناحر بينهم حول الخلافات، التي في أغلبها مما يسوغ فيه الاجتهاد، وسيُشغلوا أوقاتهم بما هو أولى منها، وفيما يحقق مصلحة الدعوة الإسلامية.

وإذا استطعنا تقديم دراسات، نستخدم فيها أساليب الدراسات المستقبلية، يشترك فيها أكثر الدعاة والقائمين على شؤون الدعوة، ونستجلي فيها الموازنات بين المصالح والمفاسد في المشاركات الدعوية في المجالات المتنوعة المعاصرة، استطعنا -بمشيئة الله تعالى- أن نحسم كثيرًا من خلافاتنا بشأنها، أو إيجاد رأي عام يؤيد أو يعارض هذه المشاركات، مثل: مشاركة الدعاة في وسائل الإعلام المنحرفة، من صحافة وتلفزة محلية وفضائية، ومجلاّت غير إسلامية، وغيرها، ومشاركتهم في المناشط الاجتماعية، أو السياسية، أو الاقتصادية، ونحو ذلك.

المبحث الثالث

أثر الدراسات المستقبلية في الإقناع، وأهمية ذلك للدعوة

المطلب الأول : تعريف الإقناع، وعناصره :

الإقناع في اللغة يأتي لمعان، منها : الإرضاء، والإمالة، يُقال : أقنعه الشيء، أي: أرضاه، وقَنَعَت الإبلُ: مالت للمرتع(١)، «وأقنعت الإناء، إذا أملته لتصبَّ ما فيه واستقبلت به جِرية الماء ليمتلئ»(٢).

والإقناع في الاصطلاح : «عمليات فكرية وشكلية يحاول فيها أحد الطرفين التـــأثير في الآخر وإخضاعه لفكرة ما»(٣).

وعُرِّف أيضًا بأنه : عملية تغيير المواقف، والمعتقدات، والسلوك، أو تعزيزها(٤).

وعملية الإقناع لها أربعة عناصر(٥) :

١-المصدر. وهو الطرف الأساس الذي يبدأ عملية الإقناع.

٢-المستقبِل.

٣-الرسالة. وهي فحوى القضية التي يراد الإقناع بها.

٤-الهدف. وهو ما تقوم عملية الإقناع من أجله .

المطلب الثاني : أهم أساليب الإقناع في الدراسات المستقبلية، وأهميتها للدعوة :

الوصول إلى الإقناع ليس بالأمر السهل، بل يعده بعض الناس -كما يقول (ميلز)- ضربًا من السحر لا يقدر عليه إلا السحرة(٦)، وليس هو كذلك، بل هو قُدرة يمنحها الله من يشاء من عباده، ويمكن اكتسابها بالتعلم .

---

(١) الجوهري، مرجع سابق، ج٣، ص١٢٧٣-١٢٧٤، مادة : (قنع)؛ والفيروزآبادي، مرجـــع ســـابق، ص٩٧٧-٩٧٨، مادة: (قنع) .

(٢) الجوهري، مرجع سابق، ج٣، ص١٢٧٤، مادة : (قنع).

(٣) عبد الله بن محمد العوشن، **كيف تقنع الآخرين؟** (الرياض، دار العاصمة، ١٤١٤هـــ)، ص١٧-١٨.

(٤) هاري ميلز، **فن الإقناع : كيف تسترعي انتباه الآخرين وتغير آراءهم وتؤثر عليهم؟** (الرياض، مكتبة جرير، ٢٠٠١م)، ص٢ .

(٥) العوشن، مرجع سابق، ص٢٣-٣٦.

(٦) مرجع سابق، المقدمة .

وتقوم الدعوة الإسلامية على مخاطبة العقل والفكر والوجدان، وتحاول الوصول إلى الإقناع بما تدعوا إليه من عقائد وشرائع وآداب، مستخدمة في هذه العملية أساليب كثيرة متنوعة؛ للإقناع والاستمالة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾(٢).

فالوقوف على أساليب الإقناع، وإجادة استخدامها يُعدُّ من الركائز المهمة في نجاح الدعوة، واقتناع المدعو بها.

وتمتلك الدراسات المستقبلية بعض الأساليب الإقناعية، التي إنْ أُحسن استخدامها، وقُدِّمت بصورة مفهومة لدى المتلقي، كانت ناجحة في عمليات الإقناع.

ومن أهم أساليب الإقناع في الدراسات المستقبلية ما يأتي:

١-الصور والمشاهد المستقبلية :

لقد أدرك الأذكياء قديمًا ما للصور المستقبلية والمَشاهد من تأثير في الإقناع، وتغيير الآراء والمواقف، ففي الحديبية لما جاء عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، مُوفَدًا من قريش للتفاوض مع النبي ﷺ، فجعل يكلم النبي ﷺ، فخيره النبي ﷺ بين أمرين: الصلح، أو القتال. «فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيْ مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنْ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟ وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللَّهِ لأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لأَرَى أَشوَابًا مِنْ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ»(٣).

فعروة هنا يجعل مستقبل المسلمين في أحد مشهدين:

أما المشهد الأول: فانتصار المسلمين، واستئصال أهل مكة، الذين هم أهل النبي ﷺ، فهو يَعْرض هذا المشهد بصورة منفرة، تنافي الآداب العامة، والأخلاق السامية؛ مما يجعل المتصور لهذا المشهد لا يرغب فيه.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٩.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٤.

(٣) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب، ج٣، ص٢٣٧، ح٢٧٣١، ٢٧٣٢.

وأما المشهد الثاني: ففرار المسلمين وانهزامهم .

ولا شك أنَّ هذا العرض للمشهدين مقنعًا لو صادف أُمَّة غير متوكلة على ربها، وهو ما أراد عروة الوصول إليه، وإلا فإنه يَعلم أن مشهد النصر حليف للمسلمين؛ لأنه لما رجع "إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ . وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا»[1]، إلا أنْ تَكون هذه الصورة صارت إليه بعد ما قال للنبي ﷺ ما قال.

ومثال قوة الصور المستقبلية في الإقناع : ما روته عائشة رضي اللّه عنها قالت: قلت : يا رسول الله «أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْتَ وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا، وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا، فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ بَعِيرَكَ؟ قَالَ: فِي الَّتِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا. تَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا»[2]. فعائشة رضي الله عنها تَعرض هنا للنبي ﷺ صورة مستقبلية؛ لتصل إلى حالة من الإقناع بمكانتها، ومن المؤكد أن عائشة رضي الله عنها تعلم مكانتها عند الرسول ﷺ، فلعلها أرادت أن تؤكد هذا المعنى، وتحاول الوصول إلى أعماق قلب النبي ﷺ، قال ابن حجر : «وفيه بلاغة عائشة وحسن تأتيها في الأمور... ويحتمل أن تكون عائشة كنت بذلك عن المحبة بل عن أدقّ من ذلك»[3].

ومثال آخر على قوة الصور المستقبلية : أنَّ التابعي الأحنف بن قيس ذهب "إلى قوم في دم، فتكلم فيه، وقال : احتكموا. قالوا: نحتكم ديتين قال: ذاك لكم . فلمَّا سكتوا قال : أنا أُعطيكم ما سألتم، فاسمعوا : إن الله قضى بدية واحدة، وإن النبي ﷺ قضى بدية واحدة، وإن العرب تعاطى بينها دية واحدة وأنتم اليوم تطالبون، وأخشى أن تكونوا غدا مطلوبين، فلا

(١) المرجع نفسه، ج٣، ص٢٣٨.

(٢) نفسه، كتاب النكاح، باب نكاح الأبكار، ج٦، ص١٤٦، ح٥٠٧٧.

(٣) **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٩، ص٢٣.

ترضى الناس منكم إلا بمثل ما سننتم، قالوا : رُدَّها إلى دِية»[1]. فالأحنف توصل إلى إقناعهم بقبول دية واحدة، مستخدمًا في الإقناع عَرْض صورة مستقبلية.

٢-التدرج :

إن المعتقدات والعادات المستحكمة تحتاج إلى وقت لتغييرها، فلا بد فيها من انتهاج التدرج؛ حتى تقتنع النفوس بمفارقة ما ألفته، وتغيير ما اعتقدته، فمِن «حُسن النظر: أن تكون الدعوة إلى المَطالب العظيمة بطرق الترقِّي، كأن يبتدئ المصلِح بما هو أيسر عملاً، أو أقرب إلى المألوف لدى الأمة، أو أظهر حكمة لعقولهم. وعلى هذه القاعدة وضع الإسلام سياسته»[2]، عن عائشة رضي الله عنها قالت عن تنزل القرآن: «إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنْ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلامِ نَزَلَ الْحَلالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا : لا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ لا تَزْنُوا لَقَالُوا لا نَدَعُ الزِّنَى أَبَدًا»[3]. ومما يدل على أهمية التدرج في إقناع النفوس، وتغيير ما ألفته وتعودت عليه، أنَّ الله سبحانه -وهو العلي الكبير- تدرَّج في تحريم الخمر على ثلاث مراحل، كل مرحلة أقوى من التي قبلها في التنفير منه.

وكثيرٌ من الناس عجز عن التغيير إلى الأحسن؛ لأهم لم يعوا أن التغيير إنما يحصل -في الغالب- بالتدريج، بينما تجد أن أعداء الإسلام أجادوا هذا الأسلوب في إفساد المسلمين والكيد لهم، فتدرجوا بهم من حسن إلى سيء، ومن سيء إلى أسوأ، مطيلين النَّفَس في ذلك، «فبدؤوا بوضع لبنة الاختلاط بين الجنسين في رياض الأطفال، وبرامج الأطفال في وسائل الإعلام، وركن التعارف بين الأطفال...وهكذا يُختَرق الحجاب، ويؤسَّسُ الاختلاط، بمثل هذه البدايات التي يستسهلها كثير من الناس!! وكثير من الناس تغيب عنهم مقاصد البدايات، كما تغيب عنهم معرفة مصادرها، كما في تجدد : «الأزياء» -الموضة- الفاضحة، الهابطة... ومن البدايات المحرمة: إلباس الأطفال الملابس العارية؛ لما فيها من إيلاف الأطفال على هذه الملابس والزينة بما فيها من تشبه وعُريٍّ وهتك»[4].

---

(١) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج٤، ص٩٣.

(٢) محمد الخضر حسين، مرجع سابق، ص٨١.

(٣) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ج٦، ص١٢٣، ح٤٩٩٣.

(٤) بكر بن عبد الله أبو زيد، **حراسة الفضيلة**، (الرياض، دار العاصمة، ١٤٢١هـ)، ص٧-٨.

وفي الدراسات المستقبلية يسعى المختصون لرسم خطوات الوصول إلى الأهداف بصورة متدرجة مقنعة، تتلافى الاصطدام بالعقبات، بل تتخذ الوسيلة المناسبة لتذليلها؛ فهذه الدراسات دليل ومرشد عملي في طريقة التدرج نحو ما نريد تحقيقه من الخير .

٣-الدعاء :

يعد بعض الباحثين الدعاء من أساليب الإقناع، وأن له أثرًا نفسيًّا قويًّا في الإقناع[١]، والدعاء من أهم أساليب الاستشراف الإسلامي، ويغلب استخدامه في المنهج الاستهدافي .

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال له : «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[٢]. ففي هذا الدعاء أثر نفسي قوي في الإقناع بطلب العلم؛ إذ إن ابن عباس رضي الله عنهما سيسعى يلتمس بركة دعوة النبي ﷺ؛ لإيمانه بأنها متحققة بإذن الله[٣].

إن استخدام الداعية الدعاء لمن يدعوهم، يضيف إلى دعوته قوة إقناعية بقبولها .

فالدعاء للمدعو تأليفًا له، من الأساليب المهمة والنافعة في الدعوة إلى الله تعالى، وقد استخدمه النبي ﷺ في دعوته كثيرًا[٤]، وبوَّب البخاري على أن الدعاء من التأليف للمدعو فقال: «باب الدعاء للمشركين بالهُدَى ليتألَّفهم»[٥].

٤-التكرار[٦] :

«أحيانًا تفتقر الرسالة الإقناعية إلى التكرار، فالدعاية التجارية أو السياسية مثلاً لا تؤثر التأثير المطلوب لمجرد عرضها مرة واحدة بل التكرار عنصر مهم لنجاحها ووصولها إلى الناس الموجهة إليهم»[٧]. وهكذا ترى المربي مطالَبًا بالاستمرار والتكرار في أمر أولاده بالصلاة لمدة ثلاث سنوات، من سن السابعة، ثم يتخذ الإقناع منحى آخر بالضرب عليها.

---

(١) منهم: سالم بن سعيد بن جبار، **الإقناع في التربية الإسلامية**، (جدة، دار الأندلس الخضراء، ١٤١٩هـ)، ص٤٩.

(٢) متفق عليه: سبق تخريجه، ص٤٣٢، حاشية ٣.

(٣) ابن جبار، مرجع سابق، ص٤٩.

(٤) القحطاني، **فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري**، مرجع سابق، ج١، ص١٧٦.

(٥) **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، ج٣، ص٣٠٨ .

(٦) ممن عدّه في أساليب الإقناع: العوشن، مرجع سابق، ص٦٦.

(٧) المرجع نفسه، ص١٥١ .

والتكرار في القرآن سمة ظاهرة، مع تغير في العرض والأسلوب، فلا تكاد تخلو سورة في القرآن الكريم من معنى للتوحيد؛ إذ هو أساس الخلق، والداعي إلى بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولأهمية الصبر تكرر ذكره في أكثر من سبعين موضعًا في القرآن، وتتكرر قصص الأنبياء عليهم السلام في أكثر من موضع من القرآن، ومن أبرزها: قصة آدم، ونوح، وصالح، وهود، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وموسى عليهم السلام، ولها في كل موضع ذكرت فيه ما يميزها عن المواضع الأُخر، فالقصة الواحدة ترد في القرآن الكريم، بسياقات وألفاظ متعددة، حسب اختلاف المواضع التي ترد فيها، وهذا من بلاغة القرآن العظيم .

وعن أَنَسٍ ﷺ عن النبيِّ ﷺ، «أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ»[1]، وفي رواية الترمذي : «لِتُعْقَلَ عَنْهُ».

فالتكرار فيه فوائد، "فهو يشعر بالأهمية ويحرك العقل والوجدان"[2]، ويساعد على الإقناع، وينبغي أن يَسلم التكرار من الإملال، فيجري فيه التنويع[3]، قال الزهري: "نقل الصخر أيسر من تكرير الحديث"[4]، وقال قتادة: "إذا أعدت الحديث في مجلس ذهب نوره"[5].

"فقد أثبتت بعض الدراسات أن الفكرة إذا ذُكرت مرة واحدة للمستمع، فإنه في نهاية الشهر يتذكر ١٠٪ منها ولكن إذا ذكرت ٦ مرات على فترات مختلفة، فإنه في نهاية الشهر يتذكر ٩٠٪ منها"[6].

وإذا كان بعض الدعاة يتخلون عن محاولة الإقناع إذا لم ينجحوا للمرة الأولى، فإن أهل الدنيا من "رجال الإعلانات يدركون أن تكرار الرسالة أمر مهم للإقناع الناجح. فيزعم بعض رجال الإعلانات أن الإصغاء لأي إعلان ثلاث مرات خليق بالقيام بمهمة الإعلان"[7].

---

(١) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثًا ليفهم عنه، ج١، ص٣٧، ح٩٥؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب في كلام النبي ﷺ، ج٥، ص٥٦١،ح٣٦٤٠.

(٢) غلوش، مرجع سابق، ص٤٣٠.

(٣) محمد عبد الغني حسن هلال، **مهارات التوعية والإقناع**، (القاهرة، مركز تطوير الأداء والتنمية، د.ت)، ص١٤٦ .

(٤) ابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، مرجع سابق، ج١، ص٥١٢، أثر٨٢٦.

(٥) المرجع نفسه، ج١، ص٥١٢، أثر٨٢٧.

(٦) محمد ديماس، **فنون الحوار والإقناع**، (بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ)، ص١٩٤؛ وينظر : محمد هلال، مرجع سابق، ص١٤٦.

(٧) ميلز، مرجع سابق، ص١٦٥ .

«وكثيرًا ما يستخفُّ الناسُ بالأمر تلقى له الخطبة أو تؤلَّف فيه المقالة، فإذا تتابع الترغيب فيه، أو التحذير منه -ولو من المرشد الواحد- أخذوا يُعنون بشأنه، ويتداعون إلى العمل به أو الإقلاع عنه»[1].

وإذا كان الداعية يريد أن تظل المعلومات التي يلقيها على المدعوين أطول وقت ممكن، فهو بالتكرار المناسب غير الممجوج يطيل من مدة بقاء المعلومات لدى المدعوين، ولعلها بعد مدة تُحدِث فيهم ما لم تحدثه وقت إلقائها .

كما أنه أحيانًا تكون هناك فجوة بين الداعية والمدعو، فيرفض الأخير ما دعاه الداعي إليه، لكن رسالة الداعي قد استقرت لدى المدعو، «وقد أثبتت الممارسة أن المستهدَفين بعد فترة من الزمن سوف يتذكرون المضمون دون أن يتذكروا المصدر»[2].

والتكرار في الدراسات المستقبلية يحدث عندما نتناول دراسة موضوعات مستقبلية، فتناولها قبل وقوعها يحدث معه تكرار، كما أن التكرار يحدث عندما توجه رسائل متكررة للمشتركين في جولات الاستطلاع في (التشاور المتميز)، كما يحدث تكرار الشيء بقصد الحصول على كسب مستقبلي كالاستجابة للدعوة، أو الاقتناع بالشراء، أو الفعل .

٥-الرسوم والرموز المختصرة، والصور المرئية :

« الرسومات الإيضاحية: تساعد المستقبِل على الاستيعاب بشكل أفضل، حيث تسهل عملية الفهم والتذكر أيضًا»[3]، وتقرِّب المعاني إلى الأذهان، و«تزيد من القدرة على الإقناع»[4].

ويُعدُّ من الأساليب المساعِدة في الدراسات المستقبلية : (التحليل بالرسم)، ويقوم بتحليل الظواهر من خلال رسم أشكال وخرائط توضيحية لبيان التفاعلات والتشابكات بين الأجزاء المختلفة التي يتكون منها النظام، مع الاستعانة بالأسهم لتوضيح اتجاهات التفاعل وعلاقات السببية القائمة؛ وهذا الأسلوب يساعد في تحسين الفهم لهيكل النظام المعقد وآلياته، وتوضيح الخصائص العامة للظاهرة محل البحث[5].

---

(١) محمد الخضر حسين، مرجع سابق، ص٣٦.

(٢) محمد هلال، مرجع سابق، ص١٤٢.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٦.

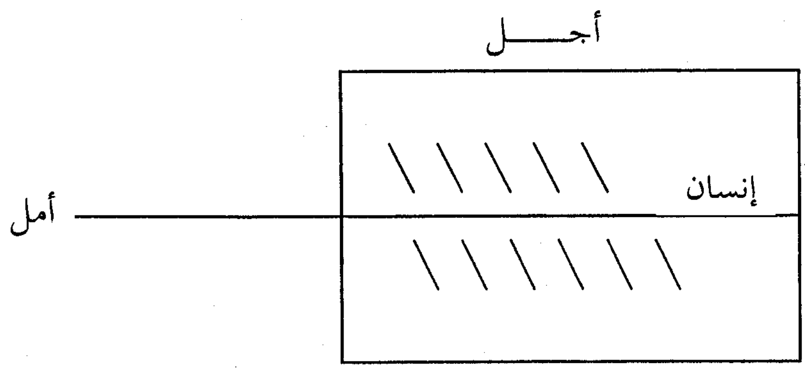
(٤) ميلز، مرجع سابق، ص١٧٧ .

(٥) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص٣٨.

وفي رأي الباحث أنّ هذا الأسلوب لا يوجّه رسالة إقناعية بذاتـــه، ولكنـــه يرمـــز إلى الرسالة الإقناعية، التي يحتاج بيالها -أحيانـــًا- إلى صفحات كثيرة يصـــعب علـــى العقـــل تذكرها، فيأتي الرسم الواحد أو الرمز ويختزلها، فيكون تذكر الرسم واسترجاعه سهل على العقل، وإذا تكرر استعراض العقل له يحدث معه الإقناع، فهو وسيلة مساعدة للإقناع.

وقد جاءت السنة النبوية باستخدام هذا الأسلوب، فعن عبد اللَّه بن مسعود ﷺ قَالَ: «خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ، وَقَالَ: هَذَا الإِنْسَانُ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، -أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ- وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَـــأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا»(1).

شكل رقم ٨ (2):



« ذلك أن الحديث بهذه الطريقة يعمل على إثارة الشوق للمعرفة، ويشجع على الانتباه، ويساهم في تثبيت الأفكار في الأذهان، لأنه من عادة الإنسان أن ينسى المسموع ولا ينسى المنظور، فالمناظر والمشاهد التي يراها الواحد تبقى عالقة بذهنـــه دهـــرًا طـــويلاً، وأمـــدًا

---

(1) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، ج٧، ص٢١٩، ح٦٤١٧؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، ج٤، ص٥٤٨، ح٢٤٥٤؛ وابن ماجه، مرجـــع سابق، كتاب الزهد، باب الأمل والأجل، ج٢، ص١٤١٤، ح٤٢٣١.

(2) محمود بن أحمد العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخـــاري**، (د.م، دار الفكـــر، د.ت)، ج٢٣، مـــج١٢، ص٣٥.

عريضًا»[1]. وقد أثبتت بعض الدراسات العلمية الغربية أن قدرة الإنسان على التذكر على النحو الآتي تقريبًا :

يتذكر ١٠ ٪ مما قرأه .

يتذكر ٢٠ ٪ مما سمعه .

يتذكر ٣٠ ٪ مما شاهده .

يتذكر ٥٠ ٪ مما شاهده وسمعه في نفس الوقت[2].

إن استخدام الداعية للرسوم والصور المشروعة في عرض دعوته، آكد لها، وأقوى تأثيرًا في نفوس المدعوين، وأقدر على الإقناع، والإفهام، مع التميز بالعرض الحسن الجذّاب.

٦-حجب بعض العوامل المؤثرة في عدم حصول الإقناع :

لا تعتمد عملية الإقناع على المصدر له، ومهارته في الإقناع، بل لا بد لحصول الاقتناع من وجود بعض الاستعداد لدى المستقبِل، أو مساعدته لإيجاد هذا الاستعداد[3]؛ ولذا توجهتْ بعض آداب حضور الجمعة إلى تحقيق هذا الاستعداد، مثل الإنصات، وعدم الكلام، والدنو من الخطيب، وعدم اللغو، وعدم مس الحصى ونحوه.

ويتميز من أساليب الدراسات المستقبلية أسلوب (التشاور المتميز) في توفير بيئة من الاستعداد للتحاور والاقتناع، كما يتميز بعنايته في تلافي كل ما يمكن أن يؤثر على الرأي ويشوش عليه، من أسباب نفسية، أو تحيزية، أو تسلطية من آخرين أقوياء؛ لأنه مع وجود مثل هذه الأشياء قد لا نحصل إلا على اقتناع ظاهري، يخالف ما يعتقده الشخص ويراه .

(١) ديماس، مرجع سابق، ص١٤٣.

(٢) المرجع نفسه، ص١٤٤.

(٣) محمد هلال، مرجع سابق، ص١٢٩ .

المبحث الرابع

أثر الدراسات المستقبلية في معالجة الاختلاف وتلافيه

المطلب الأول : تعريف الاختلاف، وخطره :

الاختلاف في اللغة : «ضد الاتفاق»[1].

والاختلاف في الاصطلاح : «أن يأخذ كلٌّ واحدٍ طريقًا غير طريق الآخر في حالـه أو قوله»[2].

يكفي في بيان خطر الاختلاف والتفرق أن الله تعالى ذمَّه في كتابه، ونهى عنه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3]، وقـال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[4]، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[6]، قال ابن كثير : «أي أوصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والاختلاف»[7].

وحذَّر رسول الله ﷺ أصحابه رضي الله عنهم من الاختلاف فيمـا بينـهم[8]، وحـذَّرهم مـن الاختلاف في الكِتاب[9]، «وكان التنازع والاختلاف أشد شيء على رسول الله ﷺ، وكان

---

(١) الفيومي، مرجع سابق، ص٦٩، مادة: (خلف)؛ وينظر: الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١٠٤٥، مادة: (خلف).

(٢) الراغب، **مفردات القرآن**، مرجع سابق، ص٢٩٤، مادة: (خلف).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

(٤) سورة آل عمران، من الآية: ١٠٣.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

(٦) سورة الشورى، من الآية: ١٣.

(٧) **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، ج٤، ص١١٨.

(٨) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم، ج٣، ص١٢١، ح٢٤١٠.

(٩) مسلم، مرجع سابق، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، ج٤، ص٢٠٥٣، ح٢٦٦٦.

إذا رأى من الصحابة اختلافًا يسيرًا في فهم النصوص يظهر في وجهه حتى كأنما فقئ فيه حب الرمان»[1].

فالخلاف المفضي إلى التعادي والتنازع والتفرق باب شر عظيم، لا يعلم مداه إلا رب العالمين، وهو «مناف لما بعث الله به رسوله»[2] ﷺ. «عن الشعبي قال: ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها»[3]. وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: صلى بنا عثمان بن عفان ﷺ بمنى أربع ركعات، فقيل ذلك لعبد الله بن مسعود ﷺ، فاسترجع ثم قال: «صليت مع رسول الله ﷺ بمنى ركعتين، وصليت مع أبي بكر ﷺ بمنى ركعتين، وصليت مع عمر بن الخطاب ﷺ بمنى ركعتين، فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان»[4]، ولما قيل له: عبت على عثمان ثم صليت أربعًا؟ قال: الخلاف شر[5]؛ فترك ﷺ السنة التي علمها من النبي ﷺ؛ تقديرًا لمصلحة الائتلاف، وتجنبًا لأسباب الخلاف؛ إذ «لا يستقيم للناس حال في دنياهم، ومآلهم إلا بالاتفاق، والائتلاف واجتناب التنابذ والاختلاف»[6].

«وإذا بقي للإسلام إيمانه والمؤمنون به على هدى وبصيرة فلا خطر عليه من أقوياء اليوم ولا من أقوياء الغد المجهول، وأخطر من كل خطر أن يتخلف مكان العلم والبصيرة ويتقدم مكان الجهل والغباء. ومثل من أمثلة الجهل والغباء أن يطول اللجاج ويحتدم الهياج على التحريم والتحليل، ومحصول ذلك كله أهون من خطر اللجاج وخطر الشقاق والهياج»[7].

---

(١) ابن القيم، **إعلام الموقعين**، مرجع سابق، ج١، ص٢٥٩.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، مرجع سابق، ج٤، ص٣١٣.

(٤) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب تقصير الصلاة، باب الصلاة بمنى، ج٢، ص٤٤، ح١٠٨٤؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب قصر الصلاة بمنى، ج١، ص٤٨٣، ح٦٩٥.

(٥) أبو داود، مرجع سابق، كتاب المناسك، باب الصلاة بمنى، ج٢، ص٤٩٢، ح١٩٦٠.

(٦) عبد الله بن محمد الغنيمان، **ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة**، (دمنهور، مكتبة لينة، ١٤١٠هـ)، ص٥.

(٧) العقاد، **الإسلام في القرن العشرين : حاضره ومستقبله**، مرجع سابق، ص٢٠٣.

"ومعرفة الجماعة وأهميتها في الدين، وكذلك معرفة حكم الفرقة وعظيم ضررها مما ينبغي الاعتناء به، وكذلك معرفة منشأ الفرقة وأسبابها، فإن بالفرقة يحصل التلاعن والتباغض، والتقاطع، ثم القتال، وهذا أصل محرم في الشرائع كلها التي أنزلها الله على رسله، وإنما ترتكب بظلم الناس وجهلهم"[1].

وإنْ كان الخلاف بين عامة المسلمين مذمومًا، فإنه بين الدعاة إلى الله تعالى أشدّ ذمًا؛ لأن نتائجه أكبر وأخطر، وتتعطل بسببه مصالح شرعية كثيرة.

المطلب الثاني : أهمية الائتلاف بين المسلمين ورفع خلافاتهم :

"الاجتماع والائتلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[2] -إلى قوله- ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[3] "[4].

"وهذا الأصل العظيم: وهو الاعتصام بحبل الله جميعًا، وأن لا يتفرق، هو من أعظم أصول الإسلام، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه. ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم. ومما عظمت به وصية النبي ﷺ في مواطن عامة وخاصة"[5]؛ "فلهذا حرم السب، والسخرية، واللمز، والتنابز بالألقاب، وما أشبه ذلك مما يسبب الفرقة بجلب العداوة، والبغضاء، وتنافر القلوب... وأمر بعكس ذلك مما يدعو إلى الألفة، والمحبة كطيب الكلام، ولين الجانب وإفشاء السلام، والدعاء بأحسن الأسماء وأحبها إلى المدعو، والهدية، وما أشبه ذلك مما يجلب المحبة، ويجمع القلوب، ويشعر بالأخوة الصادقة"[6].

---

(١) الغنيمان، **ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة**، مرجع سابق، ص١٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢؛ ومن الآية: ١٠٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥؛ ومن الآية : ١٠٦.

(٤) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٢، ص٣٥٨.

(٥) المرجع نفسه، ج٢٢، ص٣٥٩.

(٦) الغنيمان، **ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة**، مرجع سابق، ص٤٦-٤٧.

والنصوص الواردة في ذم الاختلاف والتفرق، والأمر بالائتلاف والاجتماع[1] «تدل على وجوب جمع كلمة المسلمين واجتناب كل ما يكون سببًا للخلاف»[2]، ولا يمنع من ذلك ما جاء من نصوص تدل على أن الخلاف مقدر وكائن بين البشر، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾[4]. ومثل قوله ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا»[5]؛ لأننا مأمورون بأن ننازع القدر المكروه -وهو الخلاف والتفرق- بالقدر المحبوب -وهو الاجتماع والائتلاف، كيف لا، وقد نهانا الله عز وجل عن أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا، ورضي لنا أن نجتمع ولا نتفرق، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا . فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا . وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا»[6].

«وفي القرآن: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[7] الآية! وهذه الآية صريحة في رفع التنازع والاختلاف، فإنه ردّ المتنازعين إلى الشريعة، وليس ذلك إلا ليرتفع الاختلاف»[8].

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٠.

(٢) نفسه.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٩.

(٤) سورة هود، الآيتان: ١١٨-١١٩.

(٥) الترمذي وقال: "حسن صحيح"، مرجع سابق، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، ج٥، ص٤٣، ح٢٦٧٦؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، ج٥، ص١٣، ح٤٦٠٧؛ وابن ماجه، مرجع سابق، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ج١، ص١٦، ح٤٣.

(٦) مسلم، مرجع سابق، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، ج٣، ص١٣٤٠، ح١٧١٥.

(٧) سورة النساء، من الآية: ٥٩.

(٨) الشاطبي، **الموافقات**، مرجع سابق، ج٤، ص٨٦.

فيجب على الدعاة إلى الله تعالى أن يكون مِن أهمِّ أهـدافهم[١] : «الاتحـاد والألفـة، واجتماع القلوب، والتئام الصفوف، والبعد عن الاختلاف والفرقة، وكل ما يمزق الجماعـة أو يفرق الكلمة، من العداوة الظاهرة، أو البغضاء الباطنة، ويؤدي إلى فساد ذات البين، ممـا يوهن دين الأمة ودنياها جميعًا. فلا يوجد دين دعا إلى الأخوة الـتي تتجسـد في الاتحـاد والتضامن، والتساند والتآلف، والتعاون والتكاتف، وحذر من التفرق والاختلاف والتعادي، مثل الإسلام في قرآنه وسنته»[٢]، «فالاتحاد يقوي الضعفاء، ويزيد الأقوياء قوة، على قوتهم... ونبهت عليه الآية الكريمة ، حيث يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[٣]»[٤]، «والاتحاد كذلك عصمة من الهلكة، فـالفرد وحـده يمكن أن يضـيع، ويمكن أن يسقط، ويفترسه شياطيـن الإنـس والـجن، ولكنـه في الجماعة محمي بها كالشاة في وسط القطيع، لا يجترئ الذئب أن يهجم عليها، فهي محميـة بالقطيع كله»[٥].

المطلب الثالث : أثر الدراسات المستقبلية في معالجة الاختلاف :

تُعدُّ الدعوة الإسلامية، وأساليبها، من المجالات التي تكثر فيها المرونة؛ فمن الطبعـي أن تتعدد الآراء بين القائمين عليها، ويحصل الخلاف بينهم[٦]؛ «فإن المدارك تتفاوت؛ إما بحسب فطرتها، وإما بالنظر إلى استعدادها المكتسب من التجارب، فترى الرجل يستحسن عين مـا يستقبحه غيره. بل النفس الواحدة قد يبدو لها الأمر حسنًا في حال، فإن لم يوافق غرضها في وقت آخر انقلب في رأيها شيئًا نكرًا»[٧].

---

(١) يوسف القرضاوي، **الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم**، (بيروت، مؤسسة الرسـالة، ١٤١١هـ)، ص٢١ .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) سورة الصف، الآية: ٤.

(٤) القرضاوي، **الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم**، مرجع سابق، ص٢٨ .

(٥) المرجع نفسه، ص٢٩ .

(٦) سعد الدين العثماني، **في الفقه الدعوي : مساهمة في التأصيل**، (القاهرة - الكويت، دار القلم، ١٤١٥هـ)، ص٧٦.

(٧) محمد الخضر حسين، مرجع سابق، ص٢١.

والاختلاف الواقع في الساحة الدعوية تارة يكون من باب التنوع لا التضاد، ويُعَد وجوده علامة نضج وصحة، وهو يغني العمل الإسلامي بالبدائل والحلول المتعددة في القضية الواحدة، ويوفر رؤية للأمور من زوايا مختلفة[1]، وهذا الاختلاف ينبغي استثماره، والتعاون فيه، وتنظيمه، والتنسيق فيه بين مختلف العاملين فيه، ولا يصح أن نسعى لإلغاء هذا الاختلاف؛ لأنه بالتكامل فيه يتم الواجب ويتحقق المقصود بإذن الله[2]. لكنْ قد يكون اختلاف التنوع سببًا للفرقة والتقاطع؛ لعدم إدراك أنه من اختلاف التنوع، فيحتاج العاملون في حقل الدعوة إلى استبيان حقيقته، واستجلاء مصالح هذا التنوع وأهمية التعاون فيه، ومعرفة مضار فرقتنا بسببه.

وتارة يكون اختلاف الدعاة من باب التضاد السائغ؛ وهو «ما لا يخالف نصًّا من كتاب أو سنة صحيحة، أو إجماعًا قديمًا، أو قياسًا جليًا، وهذا سواء كان في الأمور العلمية الاعتقادية- وهذا نادر- أو في الأمور العملية، وهذا هو الأغلب»[3]، وينشأ هذا الاختلاف من مسلك اجتهاد كل فريق، وهذا الاختلاف يجب احتماله وأن يسعنا كما وسع سلفنا الصالح، ولا يفسد وجوده الود والمحبة بيننا[4]، ولا يمنع من تدارسه، ومعرفة أقرب الاجتهادات إلى الصواب.

وتارة يكون الاختلاف من باب التضاد غير السائغ[5]، قال الشافعي: «الاختلاف المحرم...كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصًا بيِّنًا - : لم يحلَّ الاختلاف فيه لمن علمه»[6]أ.هـ. وهذا يجب علاجه، وذلك ببيان البدع والضلالات والأقوال الباطلة، والاجتماع على منهج أهل السنة والجماعة[7].

---

(١) العثماني، مرجع سابق، ص٧٦.

(٢) ياسر حسين برهامي، **فقه الخلاف بين المسلمين : دعوة إلى علاقة أفضل بين الاتجاهات الإسلامية المعاصرة**، (الرياض، دار المسلم، ١٤١٥هـ)، ص١٢٥-١٢٦.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٠.

(٤) نفسه، ص١٢٥-١٢٦.

(٥) نفسه .

(٦) مرجع سابق، ص٥٦٠.

(٧) برهامي، مرجع سابق، ص١٢٥-١٢٦.

إن رفع الخلاف -إن أمكن- مطلب شرعي، وإن السعي لإزالة الخلاف بين العلماء والدعاة من فقه الدعوة الرصين؛ لأن الخلافات بين الدعاة أو بين العلماء تعدُّ عائقًا من عوائق مسيرة الدعوة، وهناك مشاريع إسلامية لها أهمية كبيرة، تتوقف وتنقطع، أو تضعف؛ بسبب اختلاف الدعاة فيما بينهم. ومن القواعد التي قعَّدها الفقهاء: أن «الخروج من الخلاف مستحب»[1].

والقرآن الكريم يُرشد إلى أن يكون دعاة الإصلاح جماعة، وأن يكون أدب هذه الجماعة الاتحاد والتعاضد، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2]. فالتعبير عن الدعاة بلفظ (الأمة) دون (القوم) يُشعر باجتماعهم واتحادهم وتآلفهم، وهو الوجه في إيثار التعبير به في قوله تعالى: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾[3]. [4].

«وإنما تفيد كثرة الدعاة عند اتحادهم وقصدهم إلى إقامة المصالح ونصرة الحقيقة في نفسها، وبذلك أوصى النبي ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل حين بعثهما إلى اليمن، قال لهما: «يَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا»[5] »[6] .

ولو لم يكن من خطر النزاع إلا الفشل لكفى به زاجرًا ومنفرًا، ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[7].

---

(١) السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مرجع سابق، ص١٣٦؛ وشرطوا ثلاثة شروط: ١-ألا يوقع مراعاته في خلاف آخر. ٢-ألاّ يخالف سنة ثابتة. ٣-أن يقوى مدركه، بحيث لا يعد هفوة. (المرجع نفسه، ص١٣٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٩.

(٤) محمد الخضر حسين، مرجع سابق، ص٤٥-٤٦.

(٥) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، ج٥، ص١٢٧، ح٤٣٤٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، ج٣، ص١٣٥٩، ح١٧٣٣.

(٦) محمد الخضر حسين، مرجع سابق، ص٤٥.

(٧) سورة الأنفال، من الآية: ٤٦.

والإسلام اليوم أحوج ما يكون إلى الدعاة الذين يُقْصُون من طريقه الحواجز التي شَعَّبت أهله، وقسمتهم طوائف، ومذاهب[١].

ويؤمَّل في الدراسات المستقبلية أن تسهم إسهامـًا إيجابيًّا في الاختلافات السابقة بجميع أنواعها.

إن المتأمل لواقع الدعوة الإسلامية اليوم من حيث ائتلاف دعاتها والعاملين لها أو اختلافهم، يرى أن اختلاف التضاد ظاهر فيها، ويصحبه تقاطع وفرقة مع أنه اختلاف سائغ مستند إلى اجتهاد؛ كما يرى أن التعاون والتنسيق في اختلاف التنوع ضعيف جدًا، ومنعدم في بعض المجالات[٢]، بل قد يصحبه فرقة، مع أنه اختلاف تنوع لا يسوغ فيه الافتراق.

والدعاة إلى الله مدعوون قبل غيرهم إلى تجاوز عقبات الخلاف[٣]، والوصول إلى ائتلاف، وتعاون، واجتماع؛ لذلك تظهر «ضرورة تواصل الحوار بين المخلصين من الفريقين، لتصحيح المفاهيم، وإزالة الشبهات، وتقريب الشقة، ومحاولة توسيع مساحة المتفق عليه، وتأكيد التعاون فيه، والمناقشة الجادة في المختلف فيه، والعمل على تضييقه، والاجتهاد في الوصول إلى الصواب أو الصحيح أو الأصح، ما وجدنا لذلك سبيلاً، وإلا وسعنا التسامح والتماس الأعذار للمخالفين وإن اعتبرناهم نحن مخطئين»[٤].

وما زالت الدعوات تترى -منذ زمن- من خلال المؤتمرات والندوات وغيرها؛ ليقوم الدعاة بتجاوز خلافاتهم، وإيجاد وسائل فاعلة للتقارب، والتفاهم، والتنسيق، والتعاون، ومن أمثلة ذلك ما جاء في توصيات المؤتمر العالمي الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة المنعقد في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية خلال المدة (من ٢٤ إلى ١٣٩٧/٢/٢٩هـ) :

---

(١) محمد الغزالي، **مع الله : دراسات في الدعوة والدعاة**، مرجع سابق، ص١٠.

(٢) يُعدُّ التعاون والتنسيق بين المؤسسات الإسلامية من أهم مقومات نجاح العمل الإسلامي وتكامله، ويعترف عدد من المسؤولين في المؤسسات الخيرية الإسلامية بأن التعاون بينها ضئيل ومحدود. (ملحق بمناسبة عقد الملتقى الأول للجمعيات الخيرية، خلال المدة من ١٦-١٤٢٣/٨/١٨هـ، في مدينة الرياض، في "الدعوة"، مرجع سابق، العدد: ١٨٦٥، (١٨/شعبان/١٤٢٣هـ)، ص٤٧، ٥٢).

(٣) الجهني، مرجع سابق، ص٧٤.

(٤) القرضاوي، **الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة**، مرجع سابق، ص١٦٣.

«تظهر بين الدعاة أفرادًا وجماعات خلافات متنوعة منها ما هو في أمور العقيدة ومـــنها ما هو في فروع الفقه، ومنها ما هو في أسلوب العمل ولذلك فإن المؤتمر يوصي بما يلي:...

-وضع مناهج عمل مشتركة لتوحيد المفاهيم والأفكار لدى الدعاة على ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح من قبل لجان متخصصة تدعو إليها أمانة المؤتمر تشترك فيهـــا بعض الحركات والهيئات الإسلامية العاملة في ميدان الدعوة»[1].

وما تزال الوسائل العملية التي تقوم بها المؤسسات الدعوية، أو العلماء؛ لتحقيق ذلك – على مستوى الدعوة الإسلامية– ضعيفة، ودون أدنى مستوى مأمول لها؛ لذا «لا بد أن يطور الناس وسيلة متحضرة للتعامل مع خلافاتهم لما فيه مصلحة الجميع»[2].

«إن بعض المتحاورين في مسائل العلم والدين، يخيل إليـــك أنهـــم يتقـــاتلون لا أنهـــم يتجادلون، وإن الذي في أيمانهم ليس قلـــمًا يقطر مدادًا أسود بل سيفًا يقطر دمًـــا أحمـــر. وكان الأولى أن يغلب الجو العلمي بهدوئه ورزانته على الجو الانفعالي بشدته وسخونته، وأن تهب الكلمات من الجانبين نسائم تنعش، لا أعاصير تدمر. إن الكلمة العنيفة لا لزوم لها، ولا ثمرة تجتنى من ورائها، إلا أنها تجرح المشاعر، وتغير مودة القلوب...إن حسن اختيار بعـــض الجمل أو العبارات المناسبة في بعض الأحيان يحل مشكلات ويفض اشـــتباكات»[3]؛ فمـــن «الدعائم الأساسية في أدب الاختلاف: الحوار بالحسنى، وإذا استخدمنا التعبير القرآني قلنـــا: الجدال بالتي هي أحسن، وهو ما أمر الله تعالى به في كتابه حين قال: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[4]. وهنا نجد تفرقة في التعبير بين المطلوب في الموعظة والمطلوب في الجدال. ففي الموعظة اكتفى بأن تكون حـــسنة، أمـــا في الجدال فلم يرضَ إلا أن يكون بالتي هي أحسن، بمعنى أنه إذا كـــان هنـــاك أســـلوبان، أو طريقتان إحداهما حسنة، والأخرى أحسن منها وأفضل، فالمأمور به أن نتبـــع الـــتي هـــي

(١) أحمد بن عطية الغامدي، وآخرون، **الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة**، (المدينة المنـــورة، الجامعة الإسلامية، ١٤١٩هـ)، ص٢٤٣، توصية رقم ٣٧ .

(٢) الجهني، مرجع سابق، ص٧٤.

(٣) القرضاوي، **الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم**، مرجع سابق، ص١٥٠ .

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

أحسن»[1]؛ لذا فكل وسيلة أنجح في إدارة الحوار، وتقريب وجهات النظر، تكون أولى وأجدر بتطبيقها واستخدامها.

ويؤمل من الدراسات المستقبلية وبعض أساليبها أن تسهم في إزالة هذا الخلاف ورفعه، وتكون أعمالنا وآراؤنا موحَّدة. ومن أهم هذا الإسهام : أن اشتغال الأمة بالهموم الكبيرة - التي تنبه إليها الدراسات المستقبلية- يمنع التفاتها إلى الخلافات، وأنه بالإمكان استباق ظهور الخلافات من خلال مناقشة الموضوعات التي يتوقع ظهورها ويتوقع أن ينشأ عنها خلاف بين الدعاة، وأن أسلوب (التشاور المتميز) أداة فاعلة في إدارة الحوار بين الدعاة، ومناقشة الاختلافات بينهم، في جو ملائم. وبيان هذه الثلاثة ما يأتي :

١-اشتغال الأمة بالهموم الكبيرة:

«من أكثر ما يوقع الناس في حفرة الاختلاف، وينأى بهم عن الاجتماع والائتلاف: فراغ نفوسهم من الهموم الكبيرة، والآمال العظيمة، والأحلام الواسعة. وإذا فرغت الأنفس من الهموم الكبيرة، اعتركت على المسائل الصغيرة، واقتتلت -أحيانًا- فيما بينها على غير شيء! ولا يجمع الناس شيء كما تجمعهم الهموم والمصائب المشتركة، والوقوف في وجه عدو مشترك... ولهذا كان من الواجب على الدعاة والمفكرين الإسلاميين أن يشغلوا جماهير المسلمين بهموم أمتهم الكبرى، ويلفتوا أنظارهم وعقولهم وقلوبهم إلى ضرورة التركيز عليها والتنبيه لها، والسعي الجاد ليحمل كل فرد جزءًا منها، وبذلك يتوزع العبء الثقيل على العدد الكبير، فيسهل القيام به»[2].

فإذا كان من أسباب الخلاف : فراغ النفوس من الهموم العظيمة للأمة، فإن الدراسات المستقبلية الدعوية، من خلال ما تحدثه من حوارات بين العاملين في الدعوة الإسلامية، ترقى بهم إلى مستوى الهموم العظيمة للأمة، تدبرًا، وتفكرًا، وتخطيطًا، وتنظيمًا، وعملاً، ودعوة؛ وإذا شُغلت النفوس بذلك، لم تجد وقتًا لإثارة خلاف، أو دندنة حول نزاع.

٢-استباق نشوء الخلافات بين العلماء أو الدعاة أو المسلمين بعامة :

تَبنِّي الموقف أو اعتقاد المبدأ يجعل المرء يتمسك به، وقد يدعو إليه، وإذا تبين خطأ هذا

---

(١) القرضاوي، **الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم**، مرجع سابق، ص١٤٦-١٤٧ .

(٢) المرجع نفسه، ص٨٤-٨٥ .

الموقف أو المبدأ فإن من الناس من يعود وهو المنصف العالم، ومنهم من يستمسك بموقفه ومبدئه ويستمر عليه، وكثيرًا ما يكون تبني الموقف استنادًا إلى اجتهاد فردي، أو قاصر. وحتى نعالج هذه القضية ابتداءً قبل تبني المعتقد وأخذ الموقف، نحتاج إلى استباق بعض القضايا المتوقع حدوثها، وأن نطرح دراستها بين أهل الاختصاص، مشركين في النقاش والدراسة كل من نستطيع من العلماء والدعاة وغيرهم؛ فإذا تبين الموقف وجلي من خلال هذه الدراسات المستقبلية اتضح الموقف المطلوب اتخاذه، مما يسهل اعتقاده ابتداء للناس قبل حدوث القضية ووقوعها، ومن المهم ألا يكون بيننا وبين القضية سنوات كثيرة؛ لأن طول المدة كفيل بنسيان هذه الدراسات، حتى من المشتركين أنفسهم.

إن الدراسات المستقبلية تعطينا حكمًا للحدث، أو لكيفية التعامل معه عند وقوعه، فإذا وقع الحدث صار الحكم معلومًا فيأخذ حيز التنفيذ. أما إذا أُهملت هذه الدراسات فإن الحدث يفجؤنا، ويقع التخبط والتحير للكثيرين، وربما تنبتُ نابتة سوء، وتقع فتن من جرّائه، وإن استباق الأحداث ودراسة ما يتوقع حدوثه منها دراسة متأنية، يشارك فيها عدد من العلماء والمفكرين في جو ملائم لحوار هادئ، خالٍ من ردود الأفعال، يُكسب القضية الخروج برأي حصيف مستنير، مسبور الغور، ويجنب الأمة عند وقوع هذه الأحداث الخلافات والجدل العقيم، ويجنبها اتخاذ آراء سطحية غير مسبورة أغوارها لأن الوقت لا يسمح بذلك، ولذلك -وغيره- جاءت الأحاديث بلزوم السكوت وقت الفتن وكف اللسان، والاعتزال والبعد.

فإذا تشاورنا في بعض الأمور قبيل وقوعها، كانت "الشورى فيها إجراء وقائي لتلاحم الأمة وتعاونها ومعرفة أسباب الخلاف مبكرًا والقضاء عليها قبل تفاقم الأمر وتوسيع دائرة الشقاق والخلاف الذي يؤدي إلى الاضطراب والتنازع ثم الفشل وذهاب الريح"[1].

وتأثير الدراسات المستقبلية في مجال ترشيد الحوار وسبر الأغوار لا يقتصر على أصحاب التوجه الإسلامي فيما بينهم، وإنما أيضًا قد يُسهم في تقريب وجهة نظر غيرهم إلى نظرتهم ممن لهم أثر في صنع القرار واتخاذه.

---

(١) الغامدي، مرجع سابق، ص٢١٢-٢١٣.

٣-أسلوب (التشاور المتميز) أداة فاعلة في إدارة حوار هادئ بين الدعاة، ومناقشة الاختلافات:

«إن للرجوع إلى الحق وتصحيح ما يبدر من الإنسان من خطــأ، وســائل وأســاليب متنوعة. وعملية التصحيح تدور على أركان ثلاثة: المصــحِح، والمصــحَح لــه، ووســيلة التصحيح»[١]، ويجمعها في الدراسات المستقبلية أسلوب (التشاور المتميز)، فهو يدير عمليــة التصحيح بين المصحِح والمصحَح له، لكنه لا يُعالج الاختلافات الــتي ترجــع إلى أســباب أخلاقية، مثل : الإعجاب بالرأي والإصرار عليه، وسوء الظن بــالغير، واتبــاع الهــوى، والتعصب، بل يعالج الاختلافات ذات الأسباب الفكرية، التي ترجع إلى اختلاف وجهــات النظر، وما يعتبره المجتهد من الأدلة.

ومما ينبغي على الدعاة أن يحرصوا على الاهتداء إلى الصواب من الاختلافات، وتمحيص ما هم عليه، فقد كان النبي ﷺ يفتتح صلاتَهُ من الليل :«اللَّهُمَّ! رَبَّ جَبْرَائِيــلَ وَمِيكَائِيــلَ وَإِسْرَافِيلَ . فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ . عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ . أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَــاءُ إِلَــى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[٢]، ومن علامات الحرص على الاهتداء إلى الصواب تقبُّلُ الحوار والمداولات لاستجلاء الصواب في بعض القضايا، وقبول التصحيح الذي ظهر وبان صوابه.

إنّه يمكن بأسلوب (التشاور المتميز) إزالة الخلاف ورفعه، وقد أثبت هــذا الأســلوب نجاحًا كبيرًا فيه، أو -إذا بقي الخلاف- نحصل على مكسب آخر، وهو تنظيم عملية التفكير التي قادت إلى المواقف المختلفة، وتوضيح القضايا والمشكلات محل النظر والأســباب الــتي يستند إليها كل موقف[٣]، وإطْلاع المختلِفين على ذلك، فيَعرِف كل فريق مسلك الفريــق الآخر في الاجتهاد ويعذره.

---

(١) محمد بن عبد الله الوائلي، **دعوة الخلق للرجوع إلى الحق**، (الرياض، دار طيبة، ١٤١٨هـــ)، ص٥١.

(٢) مسلم، مرجع سابق، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صــلاة الليــل وقيامــة، ج١، ص٥٣٤، ح٧٧٠؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصــلاة بالليــل، ج٥، ص٤٥٢، ح٣٤٢٠؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب بأي شيء تستفتح صلاة الليل؟ ج٣، ص٢٣٥، ح١٦٢٤؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، ج١، ص٤٨٧، ح٧٦٧؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جــاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل، ج١، ص٤٣١، ح١٣٥٧.

(٣) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص ١٣ — ١٤.

وقد ينشأ الخلاف بين العلماء أو بين الدعاة عن سوء تحرير لموضع النـــزاع، ويصر كلٌّ على موقفه دون محاولة التحرير، «فكثيرًا ما يحتد النـــزاع حول معنى أو مفهوم معين، لـــو حدد بدقة وشرح بجلاء لأمكن للطرفين أن يلتقيا عند حد وسط. ومن ثم كـــان علماؤنـــا السابقون يحرصون على (تحرير موضع النـــزاع) في المناظرات والخلافيات، حتى لا تنصـــب معركة على غير شيء»[(١)]، ويُوفِّر أسلوب (التشاور المتميز) مجالاً مناسبًا جدًا؛ ليقف كـــل طرف ويحرر موضع النـــزاع .

وقد ينشأ الخلاف، أو يستفحل، بسبب غياب آداب الحوار والمناقشة؛ فينفـــرط عِقـــد العلاقات الحميمة بين الأصدقاء، وتتحول الصداقة إلى عداوة، وتضعف المؤسسات، وتفشل الندوات والمؤتمرات[(٢)]، فهنا يأتي استخدام أسلوب (التشاور المتميز) في كل حوار نتوقع أن تغيب فيه آدابه؛ وهذا أحد دواعي استخدامه الرئيسة؛ وبذلك نحافظ «على العلاقات الطيبة بين الأطراف المتناقشة أو المتناظرة»[(٣)]، ونمنع نشأة خلاف، أو استفحاله.

ومما يعوق أمام الاهتداء إلى الحق وتقبله: اتخاذ موقف مسبق ضد صاحب القول وآرائه، لكن لو أتى القول الصواب مدلَّلاً ومعلَّلاً مجردًا من اسم صاحبه لقبِله الشخص واعتقـــده، فمن الحكمة في هذه الحال أن نعرض الآراء والأدلة من غير نسبتها إلى أصـــحابها، وهـــذه الفكرة من الأسباب التي أنشئ لأجلها أسلوب (التشاور المتميز)، وقـــد أثبتـــت جـــدواها تاريخـــيًّا، وفي الزمن المعاصر، عن عبد الله بن المبارك قال: «قدمت الشام على الأوزاعـــي، فرأيته ببيروت، فقال لي: ياخراساني، من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يكنى أبا حنيفـــة؟ فرجعت إلى بيتي، فأقبلت على كتب أبي حنيفة، فأخرجت منها مسائل من جياد المســـائل، وبقيت في ذلك ثلاثة أيام، فجئت يوم الثالث، وهو مؤذن مسجدهم وإمامهم، والكتاب في يدي، فقال: أي شيء هذا الكتاب؟ فناولته فنظر في مسألة منها وقعت عليها [عينه][(٤)] قال النعمان فما زال قائمًا بعد ما أذن حتى قرأ صدرًا من الكتاب . ثم وضع الكتاب في كمـــه،

(١) القرضاوي، **الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم**، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٢) مقداد يالجن، **تربية الأجيال على أخلاقيات وآداب المناقشة والمحاورة والمناظرة العلمية**، (الرياض، دار عـــالم الكتب، ١٤٢٥هـــ)، ص٢١ .

(٣) المرجع نفسه، ص٢٥ .

(٤) إضافة يقتضيها الكلام.

ثم أقام وصلى، ثم أخرج الكتاب حتى أتى عليها . فقال لي : يا خراساني من النعمان بن ثابت هذا؟ قلت : شيخ لقيته بالعراق . فقال : هذا نبيل من المشايخ، اذهب فاستكثر منه. قلت : هذا أبو حنيفة، الذي نهيت عنه»[1].

فإخفاء أسماء المختلفين وعدم التصريح بها له أثر مهم في رفع الخلاف، في بعض صوره.

إنه متى التزمنا العلمية والموضوعية في خلافاتنا، واجتنبنا كل سبب خارج عنهما، فإن كثيرًا من خلافاتنا سيزول، من خلال التمحيص العلمي الدقيق، وإرجاع مفردات المسألة الواحدة إلى أهلها المختصين، وما تبقى من خلافاتنا سيعذر بعضنا بعضًا فيها؛ لأنه تبين أنها تستند إلى اجتهاد معتبر، وليست عن أهواء، أو تعصب، أو شذوذ.

وإذا استطعنا من خلال ما سبق أن نُصلح بين المختلفين، ونهتدي إلى ما اختلف فيه من الحق، ونَهدي إليه، صارت أعمالنا من خير الأعمال، قال تعالى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[2].

فالدراسات المستقبلية تعدُّ مدخلاً مناسبًا وفاعلاً في الإصلاح بين الناس، ومعالجة خلافاتهم، والحصول على الأجر العظيم.

وأسلوب (التشاور المتميز) يعد أسلوبـًا حديثًا فاعلاً في التعامل مع الخلافات، تجدر العناية باستخدامه وتطبيقه.

المطلب الرابع : حتى ننجح في حواراتنا وإدارة خلافاتنا :

لكي ننجح في حواراتنا وإدارة خلافاتنا ينبغي أن نراعي بعض الضوابط، ونتحلى ببعض الآداب، ومن أهم ذلك ما يأتي :

١-ينبغي التفريق بين ما حسم فيه الوحي حسمًا قطعيًا، فلم يدع فيه مجالاً للاجتهاد، وبين ما وسَّعه الله من أحكام ظنية أو مسكوت عنها، حيث يَسوغ فيها الخلاف، ويكون الواجب التعامل مع المخالف بالتسامح وعدم التعصب، والتضحية بكل خلاف في سبيل المحافظة على الأخوّة والمحبة[3].

---

(١) البغدادي، **تاريخ بغداد**، مرجع سابق، ج١٣، ص٣٣٨.

(٢) سورة النساء، من الآية: ١١٤.

(٣) العثماني، مرجع سابق، ص٧٥.

٢-أهمية وضوح المعايير التي تُرَدُّ إليها الخلافات، ومنها: أن الردَّ يكون إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ومنها: إعمال فقه المصالح والمفاسد، كما فعل ابن مسعود رضي الله عنه عندما ترك السُّنَّة لئلا يختلف مع عثمان رضي الله عنه .

٣-«القدرة على تقبل الرأي الآخر»[(١)]، واحترامه، وبخاصة رأي المختص[(٢)]، فالإنسان مهما بلغ من العلم فإنه ليس معصومًا، وإذا أقرّ بذلك علم أن الحق قد يكون مع غيره؛ فيتواضع لآرائهم، ولا يتعصب لرأيه، فالمختلفون من علماء ودعاة «وهم في جملتهم أهل سنة وجماعة يعذر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا فيه، بحيث لا يكون هذا الخلاف سبب نفرة ووحشة، أو نزاع ومخاصمة، أو مفاصلة وهجران بل تبقى الأخوة الإسلامية والمودة قائمة وثابتة»[(٣)]، «فكل مسألة حدثت في الإسلام فاختلف الناس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا أنه من مسائل الإسلام، وكل مسألة طرأت فأوجبت العداوة والتنافر والتنابز والقطيعة علمنا أنه ليست من أمر الدين في شيء... فإذا اختلفوا وتقاطعوا كان ذلك لحدثٍ أحدثوه من اتباع الهوى»[(٤)]؛ لأن «الاجتهاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة، إلا مع البغي والعدوان، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾[(٥)] . وقوله تعالى : ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾[(٦)]. فبين تعالى أن الاختلاف الموجب للفتنة والفرقة إنما هو بغي، وعدوان، فلا تكون فتنة وفرقة مع الاختلاف السائغ في الشرع. ولهذا نهى النبي ﷺ عن القتال في الفتنة، وصار هذا من أصول أهل السنة التي تذكر في العقائد لأهميته»[(٧)].

---

(١) ياسر العيتي، **الذكاء العاطفي: نظرة جديدة في العلاقة بين الذكاء والعاطفة**، (دمشق، دار الفكر، ١٤٢٤هـ)، ص٧٧.

(٢) يالجن، **تربية الأجيال على أخلاقيات وآداب المناقشة والمحاورة**، مرجع سابق، ص٣٦.

(٣) عبد الله بن إبراهيم الطريقي، **فقه التعامل مع المخالف**، (الرياض، دار الوطن، ١٤١٥هـ)، ص٥١.

(٤) الشاطبي، **الموافقات**، مرجع سابق، ج٤، ص١٣٤-١٣٥؛ نقلاً عن بعض المفسرين.

(٥) سورة آل عمران، من الآية: ١٩.

(٦) سورة الجاثية، من الآية: ١٧.

(٧) الغنيمان، **ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة**، مرجع سابق، ص٢١.

وإذا كانت «الشريعة راجعة إلى قول واحد»[١]، « فليس الاختلاف في الحقيقة إلا في الطريق المؤدي إلى مقصود الشارع الذي هو واحد... ومن هنا يظهر وجه الموالاة والتحاب والتعاطف فيما بين المختلفين في مسائل الاجتهاد، حتى لم يصيروا شيعًا ولا تفرقوا فرقًا، لأنهم مجتمعون على طلب قصد الشارع، فاختلاف الطرق غير مؤثر. كما لا اختلاف بين المتعبدين لله بالعبادات المختلفة، كرجل تقربه الصلاة، وآخر تقربه الصيام، وآخر تقربه الصدقة، إلى غير ذلك من العبادات. فهم متفقون في أصل التوجه لله المعبود وإن اختلفوا في أصناف التوجه. فكذلك المجتهدون لما كان قصدهم إصابة مقصد الشارع صارت كلمتهم واحدة وقولهم واحدًا...وبهذا يظهر أن الخلاف -الذي هو في الحقيقة خلاف- ناشئ عن الهوى المضل، لا عن تحري قصد الشارع باتباع الأدلة على الجملة والتفصيل. وهو الصادر عن أهل الأهواء. وإذا دخل الهوى أدى إلى اتباع المتشابه حرصًا على الغلبة والظهور بإقامة العذر في الخلاف، وأدى إلى الفرقة والتقاطع والعداوة والبغضاء، لاختلاف الأهواء وعدم اتفاقها. وإنما جاء الشرع بحسم مادة الهوى بإطلاق. وإذا صار الهوى بعض مقدمات الدليل لم ينتج إلا ما فيه اتباع الهوى، وذلك مخالفة الشرع، ومخالفة الشرع ليست من الشرع في شيء»[٢] .

«إن الذين يضيقون بالخلاف، وبالرأي الآخر ضيقو الأفق، قليلو التجربة والممارسة، سهل على أحدهم أن ينكر القول الذي لم يعتد عليه و لم يألفه، ولو أنه تبصر في الأمر لوجد الباب واسعًا، وما وسع من سبقه من علماء المسلمين وأتباعهم، يسعه ويسع غيره»[٣].

٤ -«وليس معنى تسويغ هذا الخلاف وتجويزه تصويب الآراء المختلفة كلها، بل الصحيح أن الحق واحد لا يتعدد... وإذا تقرر ذلك فإن بحث المسائل الاجتهادية المختلف فيها وتحقيق

---

(١) الشاطبي، **الموافقات**، مرجع سابق، ج٤، ص١٥٩.

(٢) المرجع نفسه، ج٤، ص١٦٠-١٦١.

(٣) عبد الله بن عبد المحسن التركي، **أسباب اختلاف الفقهاء**، ط٣،(لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ)، ص (هـ).

القول الراجح فيها مطلب شرعي لا غبار عليه»[1]، ومن الخلاف ما يجوز إنكاره، بل يتعين أحيانـــًا؛ وذلك مثل الخلاف الشاذ، والضعيف[2]، مع بقاء الود والمحبة.

٥-«القدرة على الاعتراف بالخطأ وتغيير الرأي»[3]، والتواضع للحق وعدم مكابرته[4]، «إن قبول الحق ممن جاء به، والاعتراف بالخطأ من أبين علامات العدل مع الـــنفس ومـــع الآخرين»[5]، وفي كتاب عمر ﷺ لأبي موسى الأشعري ﷺ في القضاء، قال: «لا يمنعـــك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن تراجع الحق فإن الحق قديم وإن الحق لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل»[6].

«فدونك رب الخلق، فاقصده ضارعا مريدًا لأن يهديك نحو الـــحقيقة
وذلل قياد النفس للحق، واســـمعن ولا تـــعرضن عن فكرة مستقيمة
وما بـــان مـــن حق فلا تـــتركنه ولا تعص من يدعو لأقوم شرعة»[7].

٦-«ومما يقرب المسافة بين الداعين إلى الإسلام في الأمور الخلافية : تجنب القطـــع في المسائل الاجتهادية، التي تحتمل وجهين أو رأيين أو أكثر »[8]، قال محمد بن سلمة : «وليس أجد في رأي على حقيقته أنه الحق، وإنما حقيقته الاجتهاد»[9]، «فالواجب على كل عالم من

---

(١) الطريقي، مرجع سابق، ص٥٤-٥٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٥٥.

(٣) العيتي، مرجع سابق، ص٧٨.

(٤) يالجن، **تربية الأجيال على أخلاقيات وآداب المناقشة والمحاورة**، مرجع سابق، ص٥٣.

(٥) الوائلي، **دعوة الخلق للرجوع إلى الحق**، مرجع سابق، ص١٦.

(٦) البيهقي، **السنن الكبرى**، مرجع سابق، كتاب آداب القاضي، باب من اجتهد ثم رأى أن اجتهاده خالف نصًا أو إجماعًا، ج١٠، ص٢٠٤، أثر ٢٠٣٧٢.

(٧) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٨، ص٢٥٢ .

(٨) القرضاوي، **الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم**، مرجع سابق، ص٦٩ .

(٩) ابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، مرجع سابق، ج٢، ص٨٨٥، أثر١٦٦٨.

علماء المسلمين اتهام رأيه في الدين وخاصة في أمور السياسة الشرعية والدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وما يستجد من أمور في حياة الناس»[1].

٧-التفكير ملـيًا بفوائد ارتفاع خلافاتنا، وفوائد ائتلافنا واجتماعنا. لقد كان في المسجد الحرام إلى عهد قريب أربعة محاريب، خلف كل محراب إمام، وكل إمام يصلي ببعض الناس الصلوات الخمس، تمثّل هذه المحاريب المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة! أما الآن فإن مئات الألوف تصلي خلف إمام واحد. فما أجمل هذه الصورة من الاجتماع! وما أجمل ارتفاع خلافاتنا السابقة وانقطاعها !

٨-«إحسان الظن والنية من البداية»[2]، و«عدم اتهام النيات والمقاصد وتأويلها إلى سيئات»[3].

٩-«ينبغي العمل مع الجماعة ما دام الهدف واحدًا»[4].

١٠-«ينبغي على كل مناقش أن يضع نفسه موضع الطرف الآخر فيما يحبه وفيما يكرهه»[5].

١١-«ينبغي على صاحب الفكرة أن تكون لديه رحابة صدر»[6].

١٢-«القدرة على الهدوء عند الاختلاف»[7].

١٣-«القدرة على الخلاف البناء»[8]؛ وذلك باستثماره للوصول إلى أفضل الآراء[9]، ويوضح الجدول التالي أبرز الفروق بين الخلاف البناء والخلاف الهدام[10] :

---

(١) عبد الرحمن عبد الخالق، **خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية**، ط٢، (الكويت، الدار السلفية، ١٤٠٦هـ)، ص٨١.

(٢) يالجن، **تربية الأجيال على أخلاقيات وآداب المناقشة والمحاورة**، مرجع سابق، ص٣٣.

(٣) المرجع نفسه، ص٥٤.

(٤) نفسه، ص٣٤.

(٥) نفسه، ص٣٥.

(٦) نفسه، ص٣٦.

(٧) العيتي، مرجع سابق، ص٧٨.

(٨) المرجع نفسه، ص٨١.

(٩) نفسه .

(١٠) نفسه، ص٨٢.

شكل رقم ٩ :

الخلاف البناء	الخلاف الهدام
يتناول الأفكار أو الأقوال أو الأفعال ويحترم الأشخاص	يتجه إلى تجريح الأشخاص والتهجم عليهم
تحرك أطرافه الرغبة في الوصول إلى الحقيقة وإرشاد الآخرين إليها	تحرك أطرافه الرغبة في الانتصار على الآخر وإفحامه
يهتم أطرافه بمشاعر بعضهم ويحرصون على عدم إيذائها	لا يلقي أطرافه بالاً للمشاعر وقد يتعمدون الجرح والإساءة

المبحث الخامس

أثر الدراسات المستقبلية في الإبداع والتجديد لمصلحة الدعوة، والإفادة من تجاربها، وعلاج بعض مشكلاتها

المطلب الأول : حاجة الدعوة الإسلامية إلى التفكير الإبداعي، وأثر الدراسات المستقبلية فيه :

الدعاة بحاجة في التجديد الدعوي إلى التفكير الإبداعي بعد اكتمال تسلحهم بالعلم الشرعي، وبخاصة في الزمن المتغير، الذي تضعف في بعض جوانبه إمكانية الإفادة من التجارب السابقة؛ فصناعة المستقبل لا تحصل إلا بإطالة الفكر والتأمل فيه، وفي كيفية ولوجه؛ وينتج عن هذا التفكر أفكار ومشاريع إبداعية، تدعو إلى العمل بها، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «التفكر في الخير يدعو إلى العمل به»(١)، وقال أبو الدرداء ﷺ: «ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشرَّ يُوقه»(٢).

والنبي ﷺ لم يجمد في دعوته على أسلوب معين، أو وسائل محددة، بل جدد ونوَّع، فدعا «سرًا وجهرًا، وسلمًا وحربًا، وجمعًا وفردًا، وسفرًا وحضرًا، كما أنه عليه الصلاة والسلام قصَّ القصص، وضرب الأمثال، واستخدم وسائل الإيضاح بالخط على الأرض، وغيره، كما رغَّب وبشَّر، ورهَّب وأنذر»(٣).

وتزداد الحاجة إلى التجديد والابداع بسبب كثرة العُصاة في المسلمين، إضافة إلى تطور أساليب التبليغ ووسائل الإعلام، التي استغلها أعداء الإسلام لبث الأفكار الشاذة، وغرس السلوكيات المنحرفة، فلابد للدعاة من التجديد والنشاط باستثمار كل وسيلة نافعة مما يظهر في الحياة المعاصرة مما لا يخالف الشرع، أو يعارض مصلحة الدعوة(٤)، بل يسعون بأنفسهم، ويُعملون عقولهم وأفكارهم في استنباط كل ما من شأنه أن يضيف للدعوة تجديدًا يرتقي بها،

---

(١) ابن القيم، **مفتاح دار السعادة**، مرجع سابق، ج١، ص١٨٠ .

(٢) ابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، مرجع سابق، ج١، ص٥٤٥، أثر٩٠٣؛ وصححه المحقق.

(٣) علي بن عمر بادحدح، **مقومات الداعية الناجح**، ط٢، (جدة، دار الأندلس الخضراء، ١٤١٨هـ)، ص١٢٣.

(٤) المرجع نفسه، ص١٢٤-١٢٥.

ويوصلها للناس في أبهى حلة، وأقوى رسالة، مستعينين -بعد الله سبحانه- بما توفره الدراسات المستقبلية من أساليب في هذا المجال .

وإذا كان الفقهاء "يقدرون مسائل يعلم أنها لا تقع لتحرير القواعد، وتمرين الأذهان على ضبطها"(١)، فإن حاجة الدعوة إلى مثل هذا أشد، والثمرة المرجوة منه أنفع وأكمل؛ فإن الدعوة تَجني من الدراسات المستقبلية (عصفًا ذهنيًّا) يفيد الدعوة، ويثمر في إيجاد أفكارٍ إبداعية جديدة، ما كانت لتَظهر -في الغالب- من خلال التفكير العادي(٢)، وتَعتمد في ذلك على أسلوب "العصف الذهني"(٣)، أو "الاستثارة الفكرية "(٤)، "Brain Storming"(٥)، وهو "من الأساليب الشائعة لتوليد الأفكار الإبداعية "(٦)، والجديدة "عن طريق الاستفادة من مصادر الجماعة بدلاً من الاعتماد على أفكار فرد واحد قائد أو عدد قليل من الأفراد"(٧)، وعندما يعتصر العقل في التفكير في المستقبل، فإنه يخرج عن إطاره المألوف ويبدأ يفكر بأشياء ما كانت تدور في العقل من قبل؛ فيثمر حفز العقل وتحريضه على التفكير في المستقبل، في إيجاد أفكار إبداعية، واكتشاف وسائل دعوية جديدة، وأساليب حديثة .

وعملية (العصف الذهني) "مفيدة في تفهم أو استكشاف أبعاد جديدة لمشكلة معينة والحلول الممكنة لها. حيث يطلب من المشتركين في العملية الإسهام بأفكار حول المشكلة المعروضة، حتى ولو لم تكن هذه الأفكار وثيقة الصلة وعلى علاقة مباشرة بالمشكلة المطروحة، وحتى لو كانت أفكارًا غير جيدة. وتطرح هذه الأفكار في البداية دون نقد أو مناقشة أو تعمق، حيث من المعتقد أن ذلك قد يقيد العملية ويتعارض مع الهدف منها. لكن يمكن تنظيم هذه الأفكار ومناقشتها في مرحلة لاحقة. وقد أثبتت التجارب أنه يمكن

(١) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٤، ص٢٥٧.

(٢) يُنظر مثال لذلك في مجال المواصلات والنقل: صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص١٥١.

(٣) زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٦٠.

(٤) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١١؛ وزاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٦٠.

(٥) زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٦٠.

(٦) علي الحمادي، **٣٣٣ تقنية للتدريب والإلقاء المؤثر**، (بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ)، ص٥٩.

(٧) زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٦١.

الحصول على عدد أكبر من الأفكار الجيدة، إذا لم يشترط ابتداء أن تكون الأفكار المقدمة من المشتركين في الحديث جيدة»[1] .

«كما يساعد تأجيل الحكم أيضًا على وضوح خصائص الفكرة المطروحة من خلال الحوار الحر غير الناقد الذي يبنى على الفكرة أو على جزءمنها، أو الذي يهملها إن لم تكن لها قيمة بارزة. وهذا يساعد على كثرة الأفكار المطروحة وتنوعها، وبالتالي يمكن أن تنجح أفكار أو حلول قد تبدو لصاحبها أنها لا قيمة لها، ولكنها في الواقع قد تكون جيدة، وبخاصة إذا استخدمها أشخاص آخرون كمفتاح لفكرة أخرى، أو حل آخر للمشكلة»[2].

ولضمان تدفق سيل الأفكار الأصيلة والجديدة لحل المشكلة المعروضة في جلسة العصف الذهني، ينبغي مراعاة ما يأتي[3] :

١-ضرورة تجنب النقد .

٢-إطلاق حرية التفكير .

٣-العناية بالعرض الأكثر للأفكار؛ فكلما زاد عدد الأفكار المقترحة من قبل الأعضاء كلما زاد احتمال بلوغ قدر أكبر من الأفكار الإبداعية الأصيلة أو المعينة على الحل المبتكر للمشكلة.

٤-البناء على أفكار الآخرين وتطويرها.

ويستحسن أن يكون عدد المشاركين ما بين ستة إلى اثني عشر شخصًا، وليس من الضروري أن يكونوا من أهل الخبرة في المشكلة، بل قد يكون العكس هو المطلوب أحيانًا؛ لأن من هم خارج المشكلة يمكن أن يسهموا بأفضل الأفكار، ولا تعوقهم المعرفة بالتفاصيل الفنية الدقيقة للمشكلة[4].

وهناك أسلوب آخر يسهم في التفكير الإبداعي وإيجاد الأساليب المبتكرة للدعوة الإسلامية، وهو أسلوب (التشاور المتميز)، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثير الاستشارة، ومنها: أنه «استشار المسلمين في تدوين الدواوين، فقال له علي بن أبي طالب : تقسم كل

(١) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص١١.

(٢) الحمادي، **٣٣٣ تقنية للتدريب والإلقاء المؤثر**، مرجع سابق، ص٥٩-٦٠.

(٣) المرجع نفسه، ص٦٠-٦١؛ نقلاً عن: (بارنز) وزملاؤه.

(٤) نفسه، ص٦٤-٦٥.

سنة ما اجتمع إليك من مال، فلا تمسك منه شيئا . وقال عثمان بن عفان : أرى مالا كثيرًا يسعُ الناس، وإن لم يحصوا حتى تعرف مَن أخذ ممن لم يأخذ، خشيتُ أن ينتشر الأمر. فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : يا أمير المؤمنين قد جئت الشام، فرأيت ملوكها قد دوَّنوا ديوانًا، وجندوا جندًا، فدوِّن ديوانًا، وجند جندًا . فأخذ بقوله»[1]. وهكذا عندما تكون الشورى رئة القائد التي يتنفس بها، تثمر لنا أفكارًا دعوية جديدة، ووسائل مساعدة تخدم الدعوة الإسلامية.

المطلب الثاني : التجديد لمصلحة الدعوة :

تُقدِّم الدراسات المستقبلية جوانب متعددة، يمكن الإفادة منها في التجديد الدعوي، وفيما يأتي أمثلة لذلك :

١-التجديد في أسلوب البحث والتأليف:

يفيد تعلم أسلوب (التشاور المتميز) وممارسته مع مرور الزمن نقلة نوعية في طريقة التأليف، حيث يَتوقع الباحث انتشار استخدامه في مؤلَّفات دعوية، ومؤلَّفات في بقية العلوم الشرعية، لا تناقش قضايا مستقبلية؛ فيسهم في تمحيص الآراء في هذا المؤلَّف وقوتها، وتعددها، والتأثير في أصحابها، بإمدادهم بمعلومات جديدة، وغيرها من الأمور المفيدة التي يقدمها هذا الأسلوب . فمَن يستوعب هذا الأسلوب، ويُحسن استخدامه، ويجد تعاونًا من العلماء والدعاة معه، يعلم أن الشورى ليست مرهونة بقرار من السلطان، فيعطل هذه الشريعة حتى يصدر فيها تنظيم خاص، مع إمكانية الإتيان بها، فإنه يمكن للفرد الواحد استخدامها بجدارة، وتوسيع دائرتها كيفما شاء . ويأمل الباحث من العلماء والدعاة التعاون مع الباحثين الذين يستخدمون هذا الأسلوب في التأليف، وإعطاءهم شيئًا من أوقاتهم؛ لما يثمره هذا النوع من التأليف من أثر إيجابي في العلم والدعوة.

٢-استثمار تعبير الرؤى في الدعوة :

يُلحظ انصراف كثير من الناس عن العلم الشرعي والتفقه في دينهم، فلا يحضرون الدروس في المساجد ولا يتابعونها في وسائل الإعلام، ولا يقرأون الكتب، فهم بحاجة إلى من يعرض عليهم الدين، ويفقههم فيه، ومن حكمة الداعية وفقهه أن يأتيهم من الطرق التي

---

(١) **تاريخ الطبري**، مرجع سابق، ج٤، ص٢٠٩ .

يحبونها ويَثنون ركبهم -راغبين- فيها، ومن هذا تعبير رؤاهم، فإنه من الأمور الـتي تُقبل الناس عليها بكثرة، فحُب التعرف على المستقبل واستطلاعه من الأمور التي فطرت النفوس عليها، واستثمار التعبير -من الداعية العالم به- فيه خير كثير -إن شاء الله- على نحو قوله ﷺ: «عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَوْمٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي السَّلاسِلِ»[1]. وعن أبي هريرة ﷺ في معنى قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2]، قال: «خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام»[3].

فالعناية بتعبير الرؤى -في رأي الباحث- يُعد مدخلاً جيدًا للدعوة إلى الله تعالى، إذا كان المعبر فطنًا أريبًا، ذا مقدرة على استخدامه في الدعوة بأسلوب مناسب جذَّاب، من غير إفراط فيه، ولا انسياق وراءه، فلا يصير مهنة للداعية، وينقطع له .

والناظر في واقع المسلمين اليوم يجد أنه قد انتشر بينهم الكهان والمنجمون وراجت سوقهم، وفي التصدي لتعبير الرؤى صرف للناس عن المحرم إلى المباح، وتذكير لهم، وبيان بحرمة إتيان هؤلاء وتصديقهم.

ومن المناسب أن يجمع المعبر بين ثلاثة أمور خلال تعبيره لرؤى الناس:

أ-التعبير، مع بيان مكانته من أساليب الاستشراف، وأن غيره هو المعتمد في الأمور العملية، كالشورى، وغيرها؛ فإنه قد كثر في الآونة الأخيرة تعلق الناس بالرؤى في استشراف المستقبل، وجعلوها الأسلوب الوحيد في ذلك، وبنوا عليها عددًا من تصوراتهم المستقبلية، واتخذوا بموجبها قرارات مهمة في حياتهم، وقد يكون لها نتائج غير طيبة، وبخاصة إن لم تصدق الرؤيا.

وقد دأب القادة المسلمون من الخلفاء الراشدين ﷺ ومن بعدهم إلى أنهم في الرخاء والشدة وعند المدلهمات إنما يلجؤون بشأن المستقبل إلى الله عز وجل، ثم الشورى، ولا يسألون عن الرؤى؛ لأنها ليست مصدرًا لاتخاذ القرار، والفعل.

---

(١) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب الأسارى في السلاسل، ج٤، ص٢٥، ح٣٠١٠؛ وأبو داود وهذا لفظه، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب في الأسير يوثق، ج٣، ص١٢٧، ح٢٦٧٧.

(٢) سورة آل عمران، من الآية: ١١٠.

(٣) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب (كنتم خير أمة أخرجت للناس)، ج٥، ص٢٠١، ح٤٥٥٧.

ب-الدعوة والتفقيه في الدين، قبل تعبيره الرؤى، أو بعده، أو أثناءه.

ج-إجابة السائلين عن أمور دينهم.

ومن المهم الحذر هنا من دخول الكهان بصورة المعبرين فيتكهنون للناس بلباس تعبير الرؤى.

٣-إيجاد منهج في اتخاذ القرار الدعوي قائم على الشورى والرجوع لأهل الاختصاص، والالتزام به يؤدي إلى التحلي بالأناة وترك العجلة، والسير وفق منهج منضبط :

كثير من الذي يتصدون لإصدار القرارات بشأن الدعوة، ويضعون الخطط والمناهج، لم يبلغوا درجة الاجتهاد، وأحياناً تكون أعمالهم وقراراتهم (كإيراد إبل سعد)، من غير دراية ولا معرفة، وعندما يكون اتخاذ القرار الدعوي له نتائج كبيرة أو خطيرة، فإن اتخاذه من صغار الدعاة، وعدم إرجاعه إلى العلماء، بل إلى هيئة تضم كبارهم، قد يؤدي إلى نتائج سلبية عظيمة، ويصيب الواقع الدعوي بأخطار جسيمة، أو -على الأقل- يُضعف الدعوة، ويُفوِّت عليها الفرص .

ومن الشواهد التي اطَّلع عليها الباحث بنفسه : أن مؤتمر وزراء الأوقاف دعا إلى وضع استراتيجية للدعوة الإسلامية . فكيف أُعدت هذه الاستراتيجية التي ستخرج باسم مؤتمر وزراء الأوقاف في الدول الإسلامية؟

قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية بإعداد هذه الاستراتيجية وصياغتها، والشاهد أنه لما أُرسل هذا المشروع المعد، إلى الدول المشاركة في المؤتمر لمراجعته، ومنها المملكة العربية السعودية، فإن المشروع لما أحيل إلى المملكة العربية السعودية لم يجمع له الدعاة، ولا القائمين على شؤون الدعوة الخبيرين بها، بل روجع من موظف واحد مختص بالإدارة، وليس له أي اختصاص دعوي أو شرعي، ثم أعيد المشروع إلى أمانة المؤتمر بإقراره.

وهنا تَبرز أهمية أسلوب (التشاور المتميز) وفائدته، بصفته أسلوبًا لتمحيص القرار -من قِبل الخبراء به- قَبل اتخاذه. ولا يَعني إرجاع تمحيض القرار إلى مجموعة من العلماء أنهم معصومون، ولكنهم أكثر علمًا، وتجربة، وخبرة، وباجتماعهم يكونون أقرب إلى الصواب؛ لذا من المهم أن يُعنى أصحاب القرار الدعوي بأن يجعلوا هذا الأسلوب من الأساليب المهمة في إدارتهم، واتخاذ قراراتهم؛ حتى تصبح قراراتهم وأعمالهم متسمة بالبصيرة والحكمة.

إن التزام الإدارة الدعوية بمنهج واضح في اتخاذ القرار، قائم على الشورى والرجوع لأهل الخبرة والاختصاص، وجعْل هذا منهجًا ثابتًا في أسس إدارتها، يعد من التجديد الدعوي، والالتزام به يؤدي إلى التحلي بالأناة وترك العجلة، التي كثيرًا ما أضرَّت بالعمل الإسلامي، يقول خان: «ونحن نتبين من القرآن أن ميزة الإنسان هي عدم الصبر والاستعجال، ويعتبر الاستعجال أكبر ضعف في الإنسان، وطريق الصواب هو -دائمًا- طريق الأناة والصبر والجلد وعدم التعجل في الوصول إلى النتيجة .

والاستعجال هو تمني الحصول على النتيجة دون استيفاء الشروط اللازمة للحصول عليها»[1].

وقال ابن القيم : للحكمة «ثلاثة أركان: العلم، والحلم، والأناة. وآفاتها وأضدادها: الجهل، والطيش، والعجلة. فلا حكمة لجاهل ، ولا طائش، ولا عجول»[2].

والاستشارة من العوامل المساعدة على الأناة والتثبت وعدم العجلة؛ فهي سبب لحصول الأناة الممدوحة في قوله ﷺ لأَشَجِّ عبدِ القَيْسِ : «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ»[3].

«قد يدرك المتأني بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل»[4].

وإذا كانت العجلة لدى الإنسان طبيعة فيه، فإن الدراسات المستقبلية تكسبه ترتيب الأمور وتنظيمها وتوقيتها، مما يعطيه منهجًا واضحًا في التدرج خطوة خطوة فيما يريد، وتجعله يضبط من طبيعته المتعجلة فيما ينفع المدعو والدعوة، وتقوده إلى الرفق الذي يُحَسِّن العمل ويُزيِّنه، قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ. وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ»[5].

(١) وحيد الدين خان، **قضية البعث الإسلامي: المنهج والشروط**، ترجمة محسن عثمان الندوي، (القاهرة، دار الصحوة، ١٤٠٥هـ)، ص٨١.

(٢) ابن القيم، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج٢، ص٤٨٠.

(٣) مسلم؛ والترمذي؛ وأبو داود؛ سبق تخريجه ص ٦٩٨، حاشية ٧.

(٤) ابن منقذ، مرجع سابق، ج١، ص٤٢٦؛ نسبه لعمير بن شييم القطَامي، من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز.

(٥) مسلم؛ وأبو داود، سبق تخريجه ص٤٧١، حاشية ١.

٤-تعميق استفادة علم الدعوة من العلوم والفنون الأخرى :

إن علم الدعوة علم واسع، يستفيد من كثير من العلوم والفنون، ولا تزال استفادته من كثير منها ضعيفة، أو دون المستوى المأمول، ويُرجى من استخدام أسلوب (التشاور المتميز) في الدراسات الدعوية تعميق الاستفادة من هذه العلوم، وتوسيعها، وصقلها، وإثارة نقاش هادئ موضوعي فيما بين المختصين في الدعوة والمختصين في العلوم والفنون الأخرى، بما يوجِد تفاعلاً جيدًا لدى الباحثين والدعاة تجاه تلك العلوم، ويُحسِّن استفادة علم الدعوة من العلوم الأخرى، ويثريه مخزونًا معرفيًا جديدًا، يدعم علم الدعوة ويُقوي أركانه.

فعند مراسلة مجموعة من الخبراء مختلفي الاختصاصات؛ لاستفتاء في موضوع له علاقة بالدعوة، فإنك تحصل على آراء من غير المختصين بالدعوة، وهذا يثري المختصين بالدعوة، حيث تجتمع لديهم آراء من الفلكي، والاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، والتاريخي، والقانوني، وغيرهم من أهل الخبرة والاختصاص، وما كانت هذه الآراء لتتوافر لدى المختصين بالدعوة – إلا نادرًا جدًا – مما يثري في عملية فهم القضية من أكثر جوانبها وبالتالي معرفة اتجاهها نحو المستقبل.

«إن من الموضوعية بمكان أن يعرف الفضل لأهله، وأن يعترف بالتقدم لكل من تبحر في معرفة حقيقة من الحقائق سواء أكانت شرعية أم كونية أم تاريخية. ومن المعلوم أنه لولا تقسيم العمل، لما أمكن أن نرى التقدم العلمي الذي أنجزته البشرية اليوم على هذه الصورة؛ فلا خيار أمام من يريد التقدم الرأسي في علم من العلوم سوى أن يخصص أكثر جهده ووقته له... والإسلام حين يوجهنا إلى التسليم لأهل الاختصاص فيما يجمعون عليه، إنما يغرس فينا مكرمة الإذعان للحقيقة، ولمن نظن أنه أكثر إدراكًا لها منا، وهذا من الموضوعية التي تعبدنا الله -تعالى- بها»[1].

وحتى ننجح في إيجاد التفاعل بين علم الدعوة وبعض العلوم والفنون الأخرى فمن المهم أن نقوم بإجراء دراسات مستقبلية، أو إيجاد مشاريع بحثية تتبناها مراكز بحوث، يكون هدفها إيجاد هذا التفاعل في المشروع .

---

(١) بكار، **فصول في التفكير الموضوعي**، مرجع سابق، ص٨٤-٨٥.

٥-من ضرورات التجديد للدعوة : إنشاء مركز للدراسات المستقبلية الدعوية :

يعترف كثير من الدعاة والقيادات الدعوية بأهمية الشورى، وحاجة المجتمعات المسلمة إليها، لكن ما يزال تنظيم الشورى -حتى الآن- ضعيفًا جدًّا في البلدان الإسلامية، على الرغم من القناعة بأهميتها. وإن كان الدعاة والمصلحون يطالبون الحكومات الإسلامية باعتماد مبدأ الشورى، وجعله الصيغة المثلى للتعامل مع قضايا الأمة المصيرية، فإن من المهم أن يبدؤوا هم بتطبيق هذا المبدأ على أنفسهم، في مؤسساهم ومراكزهم(١).

يقول الجهني : «إن ضرورة تأصيل مبدأ الشورى بين قطاعات الصحوة الإسلامية تفرضها عوامل كثيرة. فبالإضافة إلى وجوبها الشرعي الذي خوطب به الرسول ﷺ ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾(٢) هي أيضًا الوسيلة الناجعة للتنسيق بين قطاعات الصحوة الإسلامية في أنحاء العالم. فلو وجد مجلس شورى فعال للحركة الإسلامية يوجه نشاطها ويبت في قضايا الأمة المصيرية ويوحد المواقف وينسق الإجراءات لجنبت الصحوة نفسها وجنبت الأمة بعض الممارسات والسلوكيات التي لا ترضاها لنفسها والتي أثبت الواقع أنها لم تكن موفقة ولم تكن واعية... إن تطبيق مبدأ الشورى سيجنب الأمة كثيرًا من المزالق التي قد تقع فيها . كما أنه سيكون وسيلة لربط شباب الصحوة بقيادهم من الدعاة والعلماء ويجعلهم مشاركين في صنع القرار الذي ينبغي أن يتحمل الجميع تبعاته»(٣).

ويوافقه الباحث، لكن يقترح إنشاء مركز للدراسات المستقبلية، يكون بمثابة مجمع إسلامي في فقه الدعوة، يُعنى بدراسة ما يتعلق بعلم الدعوة، وأساليبها، ووسائلها، وواقعها، ومستقبلها، وما يتعلق بها من تخطيط وتنظيم، معتمدًا في ذلك على أساليب الدراسات المستقبلية.

وهذا المركز كفيل بالمهمة التي أشار إليها الجهني، ويغني عن المجلس، ويزيد عليه قوة؛ لكونه يستوعب -في الاستشارة- عددًا أكبر من العلماء والدعاة والعاملين للدعوة الإسلامية، كما أنَّه يقوم باستخلاص التجارب، ودراسة الحاضر، واستشراف المستقبل،

---

(١) الجهني، مرجع سابق، ص٨٥-٨٦.

(٢) سورة آل عمران، من الآية: ١٥٩.

(٣) مرجع سابق، ص٨٦.

ووضع الخطط، وإدارة الاستشارات؛ فمهمته تفوق مهمة المجلس، ونتائجه أرجى وأنفع إن شاء الله تعالى .

إن قيام مركز للدراسات المستقبلية الدعوية يعده الباحث ضرورة من ضرورات الحاضر، ينبغي أن يتداعى المسلمون على إنشائه، ويقترح ما يأتي :

أ-وجود جهة مرموقة تتولى إنشاءه والقيام بأعماله.

ب-أن تكون له مصادر مالية ثابتة، قادرة على الإنفاق عليه باستمرار.

ج-أن يتميز بالاستقلالية الكاملة.

د-أن توفر له مقومات الأمن في حاضره ومستقبله.

هـ-أن يرأسه أحد الشخصيات الإسلامية المعروفة في العالم الإسلامي، ممن لهم قبول واسع بين دعاة الأمة الإسلامية وعلمائها؛ ليكون محل ثقة لديها، ولضمان استجابة جيدة في مراحل التشاور واستجلاب الآراء.

و-من المستحسن أن يكون في بلدان المسلمين أكثر من مركز، فكل إقليم إسلامي تجمع دوله قواسم مشتركة يستحسن أن يقام فيه مركز للدراسات المستقبلية يُعنى فيه، ومن المهم ألا نبالغ في هذا الجانب، فينبغي أن تقدر حاجتنا لهذه المراكز بقدرها، ونلزم منهج التوسط والاعتدال؛ حتى لا نُضرَّ بحاضرنا بسبب توجه عنايتنا لمستقبلنا.

إنَّ مجرد قيام مركز للدراسات المستقبلية الدعوية، يعني أشياء كثيرة، من أهمها ما يأتي :

أ-أننا أوجدنا (مصانع للفكر الدعوي)، تُنتج لنا أفكارًا مبدعة.

ب-أننا بدأنا خطوة عملية في تحقيق التنسيق للأفكار الإسلامية، وصقلها، وترشيدها.

ج-أننا بدأنا خطوة عملية في تحقيق التنسيق للعمل الإسلامي.

د-أننا أصبحنا ننظر إلى هيكل الدعوة الإسلامية بشموله العام، فالعالِم والمفتي يشغلهما التعليم والإفتاء عن التأمل للهيكل العام والشامل للدعوة، والخطيب البارع وجه اهتمامه إلى حسن الإعداد لخطبته والتعرف على مشكلات مجتمعه، والداعية تزاحمت لديه الأولويات فما يزال يتبعها أولى فأولى، والباحثون تخصصوا في قضايا جزئية، وهكذا غيرهم؛ فكلهم قد شغلته مهماته التي انبرى لها، يَسدُّ ثغرة من الثغور؛ فكانت الحاجة ظاهرة ومُلحَّة إلى مؤسسة مختصة مؤهلة في الأساليب والوسائل والإدارة، تنظر إلى الدعوة بشمولها، فتبصر المشكلات التي لا تُرى بوضوح إلا بهذه النظرة، وتنظر أماكن النقص من هذا الهيكل فتسدها وتكملها،

ومواضع الضعف والخلل والخطأ فتصلحها وتعالجها، وتستكشف ما هو مفيد وإيجابي في بناء هيكل الدعوة.

المطلب الثالث : الإفادة من التجارب السابقة للدعوة الإسلامية :

تُعدُّ تجارب العلماء والدعاة المنضبطة بالكتاب والسنة[1] من أدلة الدعوة الإسلامية ومصادرها، كما أنها من الأدلة التي تستند إليها الدراسات المستقبلية، وهي الرصيد والمخزون الذي يؤدي إلى نجاح الدراسات المستقبلية الدعوية، وتُعدُّ «التجربة أكبر برهان على نجاح عمل ما وأقوى تأثيرًا»[2]؛ فالعمل إذا كان مستفيدًا من التجارب السابقة، الناجحة منها والفاشلة، يكون أقرب إلى تحقيق النجاح، وأكثر اطمئنانًا للنفوس تجاه مستقبله، وأقل إهدارًا للجهود والأموال.

«وقد أخطأ بعض الناس حين غفلوا عن أهمية هذا المصدر، فزهدوا به وأعرضوا عن الإفادة منه، مُستغنين بزعمهم بالكتاب والسنة!! كما أخطأ آخرون في إنزال هذا المصدر منزلة الكتاب والسنة المعصومين عن الخطأ، تقديرًا بزعمهم للعلماء واحترامًا لآرائهم واجتهاداتهم!... فليست الدعوة الإسلامية نصوصًا جامدة، أو أعمالاً وأحكامًا ثابتة، وإنما هي بجانب النصوص الشرعية والأحكام الفقهية أفهامٌ بشرية، واستنباطات علمية، وموازنات دقيقة لا يُحسنها إلا أهلها»[3].

إن وجود الأخطاء أمر طبعي في كل عمل بشري، ولكن المستنكر تكرار الخطأ في طريق الدعوة، وعدم الإفادة من التجارب السابقة، والأخطاء الماضية[4]، وكثيرًا ما يقوم الدعاة بإعادة تجارب سابقة قام بها غيرهم وثبت فشلها، دون اعتبار ولا استفادة من تلك التجارب، وهذا من الأخطار العملية التي تهدد نجاح الدعوة الإسلامية[5].

وأولى من ينبغي أن نستفيد من تجاربهم، وتصرفاتهم : الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فهم أصفياء الله من البشر، اختارهم سبحانه لتبليغ رسالاته إلى العالمين، ثم يليهم «الصحابة

---

(١) البيانوني، مرجع سابق، ص١٢٠.

(٢) العوشن، مرجع سابق، ص٧٦.

(٣) البيانوني، مرجع سابق، ص١٤٨.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٥٥.

(٥) الإبراهيم، مرجع سابق، ص٢٩٣-٢٩٤.

الكرام رضوان الله عليهم، لأنهم أعلم الناس بالمنهج الرباني، والأسلوب الحكيم، وذلك لصحبتهم لرسول الله ﷺ، ومعايشتهم لسيرته الدعوية... ثم يأتي بعدهم التابعون لهم بإحسان... ثم يأتي مِن بعدهم علماء الأمة ودعاتها على مختلف العصور... ومع الاعتراف بأولوية وأهمية وقائع علماء السلف ودعاتهم، فإنه لا ينبغي للدعاة أن يَزهدوا بوقائع علماء عصرهم، وتجارب الدعاة المعاصرين، فقد يكون فيها من الوقائع والأحداث ما يشابه وقائع العصر الذي يعيشون فيه، وما هو أكثر مطابقة لها، فكلما تقاربت العصور تشابهت الوقائع والأحداث فيها، والعلماء الموثّقون في كل عصر، هم أدرى الناس باحتياجات عصرهم، وبالأساليب النافعة فيه، فلا يغني شيء عن شيء»[1]، والقرن الماضي مليء بالعبر، والعظات، والتجارب، والمآسي، التي لو أُحسن جمعها، ودراستها، وترتيبها، والاستفادة منها، لتحسنت صناعة المستقبل الإسلامي، والعمل له.

وفي استلهام العبر من التجارب، ينبغي أن نتعرف على خصوصية بعض التجارب وعمومها، فلكل عصر طبيعته، ولكل بلد خصوصيته، ولكل أشخاص توجهاتهم، وردود أفعال خاصة بهم، فالإفادة من التجارب ينبغي أن يكون مقتضيًا للحكمة، ومعرفة التجارب التي يصلح نقلها، وتعميمها، والتي لا يصلح، فتجربة تنجح في بلد ليس من الضروري أن تنجح في آخر، وأخرى تفشل في بلد، قد تكون ناجحة في آخر.

فالإفادة من الخبرات والتجارب السابقة سمة الداعية الموفق الناجح، صاحب النفس السوية، أما من يهمل الخبرات السابقة في حركة الصراع بين الحق والباطل -القديم منها والحديث- فإنه يجني بذلك على نفسه، وعلى دعوته، ويُعد فعله هذا سلوكًا مَرضيًّا؛ لأن من صفات الشخصية السوية نفسيًّا: الإفادة من الخبرة السابقة[2]؛ فالجدير «بأُولي النُّهى ألا يَجُرُّوا أخطاء الماضي وهم يمهدون لمستقبل مرموق»[3].

وحتى لا يقع الدعاة مواقع الفشل، والتخبط والحيرة، ويعيدون الأخطاء مرة تلو المرة، ينبغي أن نُعنى بجمع التجارب الدعوية، وحفظها من الضياع، وتقريبها للمستفيدين.

---

(١) البيانوني، مرجع سابق، ص١٥٠-١٥١.

(٢) محمد محمد أبو زيد، **أثر الظروف النفسية والاجتماعية في سلوك الداعية**، (المنصورة، دار الوفاء، ١٤١٢هـ)، ص١٥٠، ١٥٤.

(٣) محمد الغزالي، **مع الله : دراسات في الدعوة والدعاة**، مرجع سابق، ص٤١.

دعا المؤتمر العالمي الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة المنعقد في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عام (١٣٩٧هـ)، في توصياته، إلى العمل على إقامة مراكز معلومات متكاملة، تقوم بالإحصاء والجمع، وتُقدِّم تجارب الحركات الإسلامية في العصر الحديث للعاملين في ميدان الدعوة[١]. وهي توصية مهمة، ينبغي العناية بها، وتضافر الجهود لتحقيقها، والقيام بتوثيق التجارب، وتوريثها؛ حتى لا تضيع العبرة من تجاربنا، ونستطيع أن نخطط لمستقبلنا بوضوح، وحتى يفيد منها الدعاة بعدنا. ومن المهم أن نوجِد أساليب ووسائل جديدة أكثر كفاءة، نقوم من خلالها بجمع المعلومات، وتنظيمها، وتخزينها، وتحديثها باستمرار، وتجهيزها للاسترجاع في أية لحظة.

وقد أكد عدد من المستقبليين على أن المعلومات شرط ضروري للدراسات المستقبلية، وليست أمرًا مطلوبًا فحسب[٢].

قد «يحدث أن تلم بالمجتمع ظروف أليمة، كأن يحدث فيضان أو تقع حرب، فتمحو منه (عالم الأشياء) محوًا كاملاً، أو تفقده إلى حين ميزة السيطرة عليه، فإذا حدث في الوقت ذاته أن فقد المجتمع السيطرة على (عالم الأفكار) كان الخراب ماحقًا. أما إذا استطاع أن ينقذ (أفكاره) فإنه يكون قد أنقذ كل شيء، إذ أنه يستطيع أن يعيد بناء (عالم الأشياء)»[٣].

وقد فطن لهذا عمر بن الخطاب ﷺ، فإنه لما رأى أن القتل قد كثر في حملة القرآن، أشار على أبي بكر ﷺ بجمع القرآن وحِفْظه، فلم يزل يراجع أبا بكر في ذلك حتى شرح الله صدره لجمعه، ورأى فيه رأي عمر رضي الله عنهما[٤].

لكن فاعلية (الأفكار) تخضع لشبكة العلاقات بين الأشخاص والأفكار والأشياء، وكلما كانت هذه الشبكة أوثق كان العمل أكثر فاعلية، فإذا كانت ثروة مجتمع معين يتوقف تقديرها على كمية أفكاره من ناحية، فإنها مرتبطة بأهمية شبكة علاقاته من ناحية أخرى[٥].

---

(١) أحمد الغامدي وآخرون، مرجع سابق، ص٢٤٣، التوصيات ٣٨-٤١ .

(٢) مسعد، في "ندوة الدراسات المستقبلية العربية"، مرجع سابق، ص ٣٤.

(٣) مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، (دمشق، دار الفكر، ١٤٢٠هـ)، ص٣٧.

(٤) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ج٦، ص١٢٠، أثر٤٩٨٦؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، ج٥، ص٢٦٤، أثر٣١٠٣.

(٥) ابن نبي، **ميلاد مجتمع**، مرجع سابق، ص٣٨.

وفي التاريخ الحديث مرَّت ألمانيا وروسيا -قبل التفكك الأخير- بحروب دمرت (عالم الأشياء) فيهما، حتى أتت على كل شيء تقريبًا، ولكنهما سرعان ما أعادتا بناء كل شيء؛ لامتلاكهما رصيدًا من الأفكار[1].

ومن التجارب الدعوية ما هي حبيسة عقول أصحابها، ويتطلب حفظها استخراجها من العقول وإثباتها في السطور؛ ليرثها اللاحق، على نحو قوله ﷺ: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»[2]، وقوله ﷺ لوفد عبد القيس لما أرشدهم إلى بعض أمور دينهم: «احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ»[3].

وقضية التوريث في الدعوة إلى الله تعالى تعني أن يقدم السابق للاّحق خلاصة تجاربه، وعصارة حياته الدعوية، ليبدأ اللاحق من نقطة انتهاء السابق؛ فتوفر الجهود، وتسدد المسيرة، ويؤمن معها من الزلل إن شاء الله تعالى. ومما يُلحظ أن المؤسسات الإسلامية لا تكاد تلتفت إلى هذه القضية المهمة، ويضعف امتلاكها لشيء من وسائل التوريث الصحيحة[4]، وعدد من هذه المؤسسات لديها تجارب كثيرة مهمة، تستحق التقييد والتوريث .

و«هناك أنواع من التوريث يحسن إظهارها والاعتناء بها حتى تتم الاستفادة منها، ولأجل أن تتناقلها الأجيال تناقلاً حسنًا، وجيل اليوم – بل المسلمون منذ أجيال – مقصرون في الاعتناء بها وتوريثها لمن بعدهم توريثًا حسنًا، وهذه مشكلة من المشكلات الكبيرة في مجتمعاتنا الإسلامية عامة، وفي البيئات الدعوية الشرعية خاصة...فمن هذه الأنواع»[5] :

١ – ملازمة العلماء والدعاة والحفظ عنهم.

٢ – أن يُعنى العلماء والدعاة بكتابة ذكرياتهم ومذكراتهم يسطرون فيها خلاصة تجاربهم.

---

(١) المرجع نفسه، ص٣٧.

(٢) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ : (رُب مبلَّغ أوعى من سامع)، ج١، ص٢٩، ح٦٧؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، ج٣، ص١٣٠٦، ح١٦٧٩.

(٣) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب العلم، باب تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من وراءهم، ج١، ص٣٥، ح٨٧.

(٤) محمد موسى الشريف، **التوريث الدعوي**، ط١، (جدة، دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٢هـ)، ص ١١–١٢.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٧.

٣ – وضع اللوائح التنظيمية.

٤ – الاعتناء بمؤلفات الدعاة الأوائل(١).

«أما كتابة الذكريات والمذكرات فإنه أكثر العظماء عندنا – وما أكثرهم مقارنة بغيرنا من الأمم والشعوب – منصرفون عن هذه الكتابة لسبب أو لآخر، فيموت الواحد منهم عندما يموت وقد خلف حسرة في النفوس من ضياع تجارب كثيرة تناقلتها الألسن والأذهان ثم أصبحت في طي النسيان كلها أو أكثرها»(٢). فينبغي على من انصرفت همته لكتابة ذكرياته أن يعجل بكتابتها قبل الهرم والشيخوخة؛ فإن المرء الهرم يملُّ ويكلُّ، وينسى كثيرًا من الأمور المهمة التي مرت عليه في حياته،كما ينبغي أن يسطر الوقائع كما وقعت، مع التعليق عليها بما يناسب المقام؛ فإن بعض الوقائع لا يكاد القارئ يفقه المراد منها، أو يجهل سبب وقوعها، أو مجريات أحداثها، لذلك لابد من كتابة الوقائع مع التعليق المناسب، واستخلاص العبر والعظات مما جرى، فإن ذكريات الدعاة ليست كغيرها من الذكريات(٣).

أيها الداعية : «لا تكرر أخطاء القرون... واستفد من عظات التاريخ ودروسه... واعمل بمنطق الحقائق لا الأوهام... ابتدئ الخطوة الصحيحة تكن نتائجها في مثل صحة مقدماتها... من أجل جيل مسلم قادم، استخلص دروس الأجيال السالفة، واعمل بما علمت»(٤).

المطلب الرابع : علاج بعض مشكلات الدعوة :

مشكلات الدعوة هي: « مجموعة الأخطاء والمعوقات التي يقع فيها الدعاة، أو يواجهونها في طريق دعوتهم داخلية كانت أو خارجية، وتشكل عقبة أو مشكلة في سبيلهم...

إنه من التفريط أن تُهمَل المشكلات والعقبات الدعوية، ويُتجاهل أمرها حتى تتمكن في طريق الدعوة ويصعب علاجها»(٥)، ومن المشاكل الدعوية ما يجري إهمالها بسبب عدم

---

(١) الأربعة جميعها : نفسه، ص ٣٩-٦٠.

(٢) نفسه، ص ٤٨.

(٣) نفسه، ص ٥٠ – ٥٢.

(٤) إبراهيم علي الوزير، **على مشارف القرن الخامس عشر الهجري: دراسة للسنن الإلهية والمسلم المعاصر**، (القاهرة وبيروت، دار الشروق، ١٤٠٩هـ)، ص١٥٥؛ والنقط في المرجع.

(٥) البيانوني، مرجع سابق، ص٣٤٦-٣٤٨.

وجود وسائل سهلة معروفة لحلها، فلا بد من إعمال العقل وإدامة التفكير في وسائل حلها، ويفيد أسلوب العصف الذهني في ذلك، باقتراح البدائل الجيدة بأنواعها، كما أن إجراء بعض الدراسات المستقبلية الدعوية يفيد أيضًا .

ومن المشكلات التي يمكن تلافيها من خلال الدراسات المستقبلية : المشكلات التي قد تحدث بين القيادة الدعوية مع من دونها، فهناك مشكلات تحدث بينهما؛ بسبب عدم معرفة المرؤوس أهداف القيادة الدعوية، أو عدم وضوحها، فالدراسات المستقبلية تجلّي الأهداف وتوضحها، وترتبها حسب أولويتها، وتبيِّن الأهداف المرحلية، والأهداف بعيدة المدى، وتُحدِّد الطرق الموصلة إلى تحقيقها؛ فيكون القائد ومَن دُونه على بصيرة منها، ويُحسُّ كل شخص بأهميته في هذه المؤسسة، ويحصل بينهم التعاون في استقرار وثبات، حتى وصولهم إلى الغاية المأمولة .

ومن العلاجات التي تقدمها الدراسات المستقبلية : التخلص من حساسية بعض القيادات الدعوية نحو تقويم عملها السابق ورفضها للنصيحة بشأنه، وبالتالي استمرارها على النهج نفسه، دون تقويم أو مراجعة[1]؛ مما يُؤثر في تأخر الدعوة وجمودها، ويمكن تلافي هذا من خلال تقديم خطة مستقبلية لهذا القائد، ويُطلب منه -دوريًّا- أن يقيس مدى نجاحه فيها، وهو ما يُعبَّر عنه أحيانًا: (الإدارة بالأهداف)؛ وبذلك نكون قد نقلنا هذا العمل الدعوي إلى حالة أفضل، فتجاهَلْنا الماضي وسلوك القائد ومن معه خلاله، وركزنا على المنجزات المستقبلة، وأحسسنا القيادات ومن دونها بالرقابة الذاتية لأعمالهم، دون الخوض في جرح مشاعرهم، وإلقاء اللوم عليهم، ووصمهم بالتقصير، وربما نتج عن هذا خلافات وانشقاقات داخل الصف الإسلامي . عن أنس ﷺ قال: خدمت النبي ﷺ «فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَوَاللَّهِ مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا وَلا لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا

(١) رأى (ماكجريجور) من خلال مناقشته لبرامج تقويم الأداء: أن من أهم أسباب فشلها: المعارضة التي صادفتها من جانب القادة والمرؤوسين، وتَوَصَّل إلى أنَّ حلَّ هذه المشكلة يكون بالإدارة بالأهداف، وهي تعتمد على التقويم الذاتي، ويُركِّز فيها على المنجزات أكثر من تركيزه على شخصية المرؤوس، ويهتم بالتصرفات المستقبلة أكثر من السلوك في الماضي. (نواف كنعان، **القيادة الإدارية**، (الرياض، دار العلوم، ١٤٠٠هـ)، ص٣٤٤).

هَكَذَا؟»[1]. قال ابن حجر: «ويستفاد من هذا ترك العتاب على ما فات؛ لأنَّ هناك مندوحة عنه باستئناف الأمر به إذا احتيج إليه... وكل ذلك في الأمور التي تتعلق بحظ الإنسان، وأما الأمور اللازمة شرعًا فلا يتسامح فيها لأنها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[2]أ.هـ. لكن من الحكمة : إذا رؤي أن النصيحة لا تُصلح من الحال، فإنه ينبغي اتباع ما سبق بيانه.

وذلك من التجديد في نقد الدعوة، وإصلاحها، وعلاج مشكلاتها. والله سبحانه «الخبير بشؤون عباده، يعرف قصورهم، ولذلك فتح لهم باب التوبة والتغيير كي يتركوا ماضيهم وراءهم، ويستأنفوا وضعًا جديدًا متى ما أحسوا بضرورة ذلك، وكثير من الناس يستجيب لهذه الدعوة، ويغير الكثير من سلوكه في مرحلة النضج والرشد؛ لكن كثيرًا منا يأبى أن يستوعب هذه الحقيقة، ويعامل الناس على أساس ما يعرفه عنهم منذ عشرين سنة! والسبب في ذلك هو افتقاد المرونة العقلية الكافية لالتقاط صور جديدة عن حياة الآخرين!... هذه الوضعيات الخاطئة أثارت كثيرًا من الشكوك من غير مسوغ مقبول، وجعلت من يرغب في تأسيس وضع جديد، لا يجد أي حافز لذلك من مجتمعه... لنحاول منح الثقة لمن يعلن التوبة؛ إذ إن بإمكان الثقة أن تستخرج أفضل ما في نفسية البشر من نوازع الخير؛ فلا ينبغي أن نبخل بمنحها، ولا أن نتوانى في تدريب إخواننا ومن يلوذ بنا على أن يكونوا أهلاً لها.

لا يعني هذا الكلام ترك الحذر، وتصديق كل مدعٍ، فمن حق التائب علينا أن ننظر إليه نظرة جديدة، ومن حقنا أن نراقب مدى صحة وضعنا لتلك النظرة في موضعها الصحيح»[3].

و«من الملاحظ : أن الجهة الدعوية الواحدة، فردًا كانت أو جماعة، قد لا تنتبه إلى خطئها بسهولة، وإذا تنبهت إليه، قد لا تهتدي إلى دوائه وكيفية معالجته كما هو الواقع

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الديات، باب من استعان عبدًا أو صبيًا، ج٨، ص٥٩، ح٦٩١١؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقًا، ج٤، ص١٨٠٤، ح٢٣٠٩.

(٢) **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٠، ص٤٧٥ .

(٣) عبد الكريم بكار، **مدخل إلى التنمية المتكاملة: رؤية إسلامية**، (الرياض، دار المسلم، ١٤١٨هـ)، ص٢٢٦-٢٢٧.

غالـــبًا نتيجة للقرب الشديد من الخطأ وإلفته...[1] لذا، كان لابــد للنجــاح في معالجــة الأخطاء والمشكلات الدعوية من تعاون وثيق بين الدعاة والعاملين على مختلف مســتوياتهم وانتماءاتهم»[2]، وفي إجراء الدراسات المستقبلية يمكن التعرف على المشكلات والأخطــاء، وطرق علاجها، مع إيجاد نوع مناسب من الحوار والتدارس والمراجعات، مع علماء وخــبراء ومختصين من خارج هذه المؤسسة الدعوية؛ وبذلك تنجح المؤسسة في التعرف على أخطائها وتتجاوز العقبات النفسية التي تعيق التصحيح من جرَّاء النقد المباشــر؛ فتنــهض بالعمــل الإسلامي، متلافين ما نستطيع من سلبياتنا، ومحققين أقصى ما يمكن من إيجابياتنا، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[3].

ويعترف كبار القادة في المنظمات والحكومات بالحاجة إلى التخطيط للتغيرات العالمية في السنوات المقبلة، لكن قلة منها يخطط لذلك، والسبب هو انهماكها بأزمات اليــوم، حــتى شعرت بأنه لا وقت لديها لمنع أزمات الغد، فهي تجاهد لتبقى سليمة في الحاضر، ولكنها قد تجد نفسها عاجزة عن التعامل مع ظروف المستقبل إذا جعلت همها الحاضر فقــط[4]؛ لــذا يجدر بكل مؤسسة دعوية ألاَّ تشغلها المشكلات الحاضرة عن التخطيط لمستقبلها، بل توازن بين أعمالها، وتعطي نصيبًا منها للتخطيط لمستقبلها، إذْ المستقبل سيصير حاضرًا فتجد نفسها عنده وقد قَلَّت مشاكلها أو تلاشت وانتهت.

---

(١) النقط في المرجع .

(٢) البيانوني، مرجع سابق، ص٣٥٠.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٤) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٣٦٣.

خـــاتـــمة :

أظهر هذا الفصل أهمية عدد من أساليب الدراسات المستقبلية للدعوة الإسلامية، حيث أبرز أهمية أسلوب (التشاور المتميز) للمجتهد والمفتي، والمجامع الفقهية ومؤسسات الاجتهاد الجماعي؛ وعند تطبيقهم لهذا الأسلوب، وجعْله من الأسس المهمة التي يعتمدون عليهـا في اجتهاداتهم وفتاويهم، وعنايتهم به، فإنَّ هذا يحقق عددًا من المكاسب المهمـة للمؤسسـة، وللمجتهدين، وللمجتمع، كما أن تطبيقه يثمر في قيادة الأمة نحو الاجتهاد الجمـاعي. وأن هذا الأسلوب يمكن به رفع الخلافات بين المسلمين، أو تضييق شقتها. ويمكن استخدامه في البحث والتأليف، واتخاذ القرارات، وإذكاء التواصل بين علم الدعوة والعلوم الأخرى.

إن استخدام أسلوب (التشاور المتميز) في مجالات الدعوة الإسـلامية يجعلنـا نرتقـي بالشورى إلى ما يناسب تقدم العصر؛ ثم ترقى الشورى بنا إلى أحسن فأحسن.

وإن الشورى الإسلامية يمكن تطبيقها بسهولة مع هذا الأسـلوب، دون الحاجـة إلى انتظار تنظيمها من الجهات الرسمية.

وأشار الفصل إلى أهمية أسلوب (مصفوفة التأثير المتقاطع)، حيث يسـاعد في دراسـة الموضوعات التي يتشعبها أكثر من اختصاص، أو يتصعب على المجتهد تقدير مآلاتها.

وبيَّن أهمية أسلوب (العصف الذهني) للتجديد والإبداع في الدعوة الإسلامية.

كما بيَّن أهمية الدراسات المستقبلية بعامة في فقه الموازنات، وترتيب الأولويات، وعلاج بعض المشكلات الدعوية، ورفع الخلافات، واستباق نشوئها.

وبيَّن أن في الدراسات المستقبلية أساليب إقناع يجدر استخدامها في الدعوة الإسلامية، وأهمها : الصور والمشاهد المستقبلية، والتدرج، والدعاء، والتكرار، والرسوم البيانية.

وبيَّن أهمية إنشاء مركز إسلامي للدراسات المستقبلية الدعويـة، وأهميـة التجـارب الإسلامية السابقة في صناعة المستقبل الإسلامي .

الفصل الثاني

الدراسات المستقبلية والداعي إلى الله والمدعو

المبحث الأول : اكتساب النظر المستقبلي

المبحث الثاني : علم الداعي وثقافته وتأهيله

المبحث الثالث : أهمية المشاهد المستقبلية للداعية

المبحث الرابع : القدرة على التكيف الإيجابي، والحماية من بعض المواقف السلبية

المبحث الخامس : أهمية النظر المستقبلي للتفكير، والتفكر، والعمل، والتدبير

تمهيد :

تعريف الداعي:

الداعي في اللغة : من ينادي إلى بيعة هدى أو ضلال، ويقال : داعية، للمبالغة، والرسول ﷺ داعي الله، والمؤذن أيضًا[1].

والداعي في الاصطلاح : هو المؤهَّل من المسلمين، القائم بنشر الإسلام، وترغيب الناس فيه .

«فالمسلم لا يسمى داعية إلا إذا كانت دعوته إلى الإسلام، فأي دعوة أخرى يدعو إليها لا يسمى داعية اصطلاحًا»[2].

والتأهيل في التعريف درجات؛ ولذلك الدعاة يتفاوتون، كل بحسب علمه واستطاعته.

تعريف المدعو:

المدعو: مَن تُوَجَّه إليه عملية الدعوة، وهو «الإنسان أي إنسان كان»[3].

ولا يُستثنى من جنس الإنسان «أي إنسان مخاطب بالإسلام ومكلف بقبوله والإذعان له وهو البالغ العاقل مهما كان جنسه ونوعه ولونه ومهنته وإقليمه وكونه ذكرًا أو انثى إلى غير ذلك من الفروق بين البشر»[4].

---

(١) محمد بن أحمد الأزهري، **تهذيب اللغة**، تحقيق عبد الحليم النجار، (د.م، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت)، ج٣، ١٢٠-١٢٢.

(٢) حمد بن ناصر العمار، **إعداد الداعية في ضوء سورة فُصِّلت**، ط١، (الرياض، دار إشبيليا، ١٤١٩هـ)، ص٤٧.

(٣) زيدان، مرجع سابق، ص٣٧٣.

(٤) المرجع نفسه .

المبحث الأول

اكتساب النظر المستقبلي

إن الدعاة من أوائل الناس الذين ينبغي عليهم أن يكونوا ذوي نظرة مستقبلية؛ لِمَا تحملوه من رسالة عظيمة، في دلالة الناس على الرشد والخير، وتحذيرهم من الضلال والغي؛ إذْ يُثمر اكتساب النظر المستقبلي في حسن أداء هذه الرسالة؛ ولأنهم يتعاملون مع القلوب وهي ذات حساسية، وإذا نفرَ القلبُ تولَّى وانصرف، وصعبت إعادته، والقلوب كالزجاج كسره لا يجبر .

لذا كان من الأهمية بمكان أن يُعنى الداعية باكتساب النظر المستقبلي، وصقله؛ وهناك فوائد عامة، يفيدها الداعية من هذا الاكتساب، وهي بعض ما سبق ذكره في أهمية الدراسات المستقبلية بعامة، وفي مواطن متفرقة؛ ويَعرض هذا المبحث المسوغات المبدئية لطلب اكتساب النظر المستقبلي :

المطلب الأول : العمل للمستقبل عبادة:

المؤمن يَعُدُّ نظره وعمله من أجل المستقبل عبادة وطاعة لله سبحانه، قال ابن تيمية: «ومن عبادته وطاعة أمره : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الإمكان، والجهاد فى سبيله لأهل الكفر والنفاق، فيجتهدون فى إقامة دينه مستعينين به دافعين مزيلين بذلك ما قدر من السيئات، دافعين بذلك ما قد يخاف من ذلك كما يزيل الإنسان الجوع الحاضر بالأكل ويدفع به الجوع المستقبل، وكذلك إذا أزال البرد ودفعه باللباس، وكذلك كل مطلوب يدفع به مكروه، كما قالوا للنبى ﷺ : «أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا ؟ فقال : هي من قدر الله»[1]... فهذا حال المؤمنين بالله ورسوله العابدين لله، وكل ذلك من العبادة»[2].

---

(١) الترمذي وقال: "حسن صحيح"، مرجع سابق، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى والأدوية، ج٤، ص٣٤٩، ح٢٠٦٥؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، ج٢، ص١١٣٧، ح٣٤٣٧.

(٢) **العبودية**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ)، ص١٢.

المطلب الثاني : الدراسات والنظرة المستقبلية تُريد من الداعية أن يكون بصيرًا لا أعمى، ويكون حذرًا لا غِرًّا[1]:

الدعاة إلى الله متفاوتون في النظر إلى المستقبل، فمنهم الأعمى، ومنهم الأعشى، ومنهم البصير، ومنهم من بصره حديد:

«سُبحانَ مَن قَسَمَ الحظـــو ظ فَلا عتابَ ولا مَلامَةْ
أعـــمى وأعْـــشَى ثمَّ ذو بَصَرٍ وزرقاءُ اليمامَـــةْ»[2].

يمتاز البصير عن الأعمى: بأن البصير يرى الجدار فلا يرتطم به، والأعمى يرتطم بالجدار فيبصره[3]، ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾[4].

إنَّ المسلم والداعية بخاصة ينبغي له أن يكون للمستقبل أبصر من زرقاء اليمامة، رؤية وعملاً، بما حباه الله تعالى وأرشده إليه، مِن الطرق والوسائل التي تُحَصِّل ذلك، مما هو أصل في شريعته، ومما فُسح المجال فيه للتعلم المضبوط من الغير والإفادة من تقدمه وما تَوصَّل إليه في مهارات الاستشراف، وأنْ يكون ذا ذهن وقَّاد، «يعرف بغريزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده، وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره، فيُعدُّ لكل أمر عُدتــه وعتاده، ويُهيِيء لكل وجه هيئته وعادته»[5]. وللأمور أشباه وبعضها دليل علـى بعـض، فيستدل على مُؤْتَنَف عمله بما سبقت إليه تجربته، ثم يسلك من مسالك التـدبير أوضـحها محجّة، وأصدقها حجة، وأحمدها عاقبة[6]. إنَّ «حال الداعية في دعوته، كحال المـزارع في زراعته، فإن المزارع يقوم ببعض الأعمال الإجرائية والاحتياطية قبل الزراعة، وفي أثنائهـا، وبعدها حتى تكون زراعته صالحة»[7].

---

(١) الغِرُّ : هو الجاهل بالأمور، الغافل عنها. (الفيومي، مرجع سابق، ص١٦٩، مادة : (غرر)).

(٢) أحمد بن محمد المقّري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، (بيروت، دار صـادر، ١٤٠٨هـ)، ج١، ص٧.

(٣) خالص جلبي، "دروس من التاريخ: إنزال النورماندي"، الفيصل، العدد: ٢٤٠، (جمادى الآخرة / ١٤١٧هـ)، مرجع سابق، ص ٥٨.

(٤) سورة فاطر، الآية: ١٩.

(٥) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج٢، ص٦٨٢-٦٨٣ ؛ نقلاً عن: عبد الحميد الكاتب، رسالته إلى الكُتّاب.

(٦) المرجع نفسه، ج٢، ص٦٨٦؛ النقل نفسه .

(٧) حمد بن ناصر العمار، **أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة**، ط٢، (الريـاض، دار إشـبيليا، ١٤١٨هـ)، ص٦٤٨.

والداعي حين يخطو في طريق الدعوة الطويل، ينبغي عليه أن ينظر إلى الخطوة الألف ويُعدَّ لها، كما ينظر إلى الخطوة الأُولى ويتهيأ لها، أو يهيئ الموضع لها . وإذا كان الداعي لا ينظر إلى الخطوة الأُولى فلن ينظر إلى ما بعدها من باب أولى.

مَدَح أحد الشعراء رجلاً فقال:

«يَستهدِفُ المستقبَلاتِ بِظَنِّه   فيكادُ يُصْمِي اليومَ ما يَرْمي غَدا»[1].

« فهذا الممدوح قادر على قراءة طبيعة واقعه المعاش، فيستطيع أن يتوقع ما قد يحدث في المستقبل، واعتماده في ذلك إنما يكون على عقله وتفكيره، لا على أدوات الظنون الكاذبة فيجتهد في التماس الأسباب المؤدية به إلى ما يريد في مستقبله، فما يريد أن يصيبه غدًا يلتمس أسباب إصابته ونيله اليوم.

ويرد هذا النموذج الإيجابي الرشيد مواجهًا لنموذج سلبي عاجز لا يكتشف أصحابه ما تنطوي عليه الأيام من تحول وصيرورة، فيركنون إلى حاضرهم دون تفكير في مجيء المستقبل ولا في أثر مرور الأيام والليالي، وهو ما يكشف مظهرًا من مظاهر الاغترار والانخداع، يقول الشاعر:

أحسنتَ ظَنَّكَ بالأيام إذْ حسنت   ولم تَخَف غِب ما يأتي به القدرُ

وسالمتك الليالي فاغتررت بها   وعند صفو الليالي يحدثُ الكَدَرُ[2]»[3].

والمؤمن كَيِّس فطن، متيقظ حذر، يحترز ويحتاط، ولا يُلدغ من جحر مرتين، وتتعدد عند المؤمن الفطن جوانب الحذر والاحتياط، ومنها ما يأتي:

١-الحذر من النَّفْس: فقد كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من نفس لا تشبع[4]، وسأل أبو بكر رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِشَيْءٍ أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ

---

(١) محمد بن غالب، **ديوان الرصافي البلنسي**، جمع إحسان عباس، (بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٠م)، ص٦٣.

(٢) الراغب، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، مرجع سابق، ج٤، ص٣٨٨؛ نقلاً عن الأصمعي، ونسب البيتين لسعيد بن وهب.

(٣) ابن تنباك، **موسوعة القيم ومكارم الأخلاق**، مرجع سابق، (٤) اجتناب سوء الظن، ص٣٦.

(٤) مسلم، مرجع سابق، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ج٤، ص٢٠٨٨، ح٢٧٢٢؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من العجز، ج٨، ص٦٥٣، ح٥٤٥٨.

قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، قَالَ: قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»(١). وقال أبو بكر ﷺ في وصيته لعمر ﷺ بعد أن أوصى له بالخلافة من بعده: "إن أول من أحذرك نفسك»(٢). فالنفس لها شرور، ينبغي على المسلم الحذر منها، فيلاحظها في العُجب، والرياء، والكِبْر، وغيرها، فالمؤمن دائم التفقد لأحوال نفسه، وإصلاح خللها، وتصحيح مقاصدها.

٢-الحذر من أن يقع في السوء، أو يُظنَّ به ظن سوء: فإن الداعية إذا وَجد "في سيرته سيئة أو سيئات، فتُلقى في نفسه الذلة والرهبة، ويترك الإرشاد؛ حذرًا من أن يلمزه بها الناس حين يقوم بينهم مقام الواعظ الأمين. والعادة: أن من يخرج للناس في ثوب مرشد، وقد علقت بسيرته وصمة؛ لم يلبثوا أن يُذكروه بها... فينبغي للعالم أن يكون ذا نفس زكية، وساحة نقية؛ حتى لا يكون الخلل في سيرته كالشجا يقف له في لهاته، ويمنعه من هداية المسرفين، وعلى أي حال كان: لا يليق به الإحجام عن الإرشاد»(٣).

والداعية حري به أن يبتعد عن أماكن الشُّبه والريبة، ويتجنب الأمور التي قد تُوقعه في التهمة، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ رضي الله عنها قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفًا، فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلاً، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلَبْتُ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي -وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ- فَمَرَّ رَجُلانِ مِنْ الأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ. فَقَالا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا. أَوْ قَالَ: شَيْئًا»(٤).

«لا تَترُكَنْ للناس مَوضِعَ شُبهةٍ   واحزِمْ فمِثلك في العَظائمِ أحزَمُ»(٥).

---

(١) الترمذي وقال: "حسن صحيح"، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب منه، ج٥، ص٤٣٦، ح٣٣٩٢؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، ج٥، ص٣١١، ح٥٠٦٧.

(٢) ابن شبّة، مرجع سابق، ج٢، ص ٦٧٣؛ وابن الجوزي، **مناقب عمر بن الخطاب**، مرجع سابق، ص٧٦.

(٣) محمد الخضر حسين، مرجع سابق، ص١٠٨-١٠٩.

(٤) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ج٤، ص١١١، ح٣٢٨١؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خاليًا بامرأة...أن يقول: هذه فلانة ليدفع ظن السوء به، ج٤، ص١٧١٢، ح٢١٧٥.

(٥) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن زيدون المخزومي، **ديوان ابن زيدون ورسائله**، شرح وتحقيق علي عبد العظيم، (القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت)، ص٣٠٩.

٣- الحذر من الذنوب:

« الذنوب من أخطر ما تحصل به الغفلة التي تعيق السائرين في دروب المجد وصناعة المستقبل المشرق، والغد المأمول»[١]؛ «ومن عقوبتها : أنها تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة، أو تعوقه أو توقفه وتقطعه عن السير، فلا تدعه يخطو إلى الله خطوة، هذا إن لم ترده عن وجهته إلى ورائه، فالذنب يحجب الواصل، ويقطع السائر، وينكس الطالب، والقلب إنما يسير إلى الله بقوته، فإذا مرض بالذنوب ضعفت تلك القوة التي تُسيِّره، فإن زالت بالكلية انقطع عن الله انقطاعًا يصعب تداركه»[٢].

٤-الحذر من خصوم الدعوة ومكائدهم:

المؤمن ليس بمعصوم، بل هو عرضة لأن يخدعه غيره، وبخاصة إذا صاحب الخديعة أقسم بالله تعالى، قال قتادة: «وقد يُخْدع المؤمن بالله»[٣]، «وكان بعض أهل العلم يقول: «من خادَعنا بالله خُدِعْنا»»[٤]. وقد كثر في هذا الزمان خصوم الدعاة، وتنوعت مشاربهم، وأصبح لهم منابر إعلامية ينشرون من خلالها أفكارهم؛ مما يستدعي الداعي بأن يكون على حذر منهم.

المطلب الثالث : اكتساب النظر المستقبلي يمنح قوة في معرفة الحاضر والعمل فيه :

لقد كان لفقدان النظر المستقبلي البعيد بين الدعاة والمؤسسات الدعوية أثر في ضعف رسالتهم، وتدني مردودها، فتَراجَعَ دعاة وتركوا الدعوة، وأغلقت مؤسسات دعوية أبوابها وانسحبت، وضعفت الدعوة هنا وهناك[٥]، بينما إذا وُجدت النظرة المستقبلية الحصيفة لدى الدعاة والمؤسسات كانوا من النجاح أقرب، وفي الاستمرار أمكن، وفي التأثير أقوى؛ فوجود

---

(١) صقر، مرجع سابق، ص١٠١.

(٢) ابن القيم، **الداء والدواء**، مرجع سابق، ص١٤٠.

(٣) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٢، ص٣٥١.

(٤) المرجع نفسه .

(٥) وقف الباحث -قبل الحملة الغربية على ما يسمونه الإرهاب- في الفلبين وبعض الدول الإفريقية، على عدد من المنشآت الدعوية والتعليمية المغلقة، ولـمَّا يتجاوز بناؤها بضع سنين، وقد أنشأها مؤسسات سعودية، ويرجع أكبر الأسباب في إغلاقها إلى ضعف النظرة المستقبلية عند إنشائها، مثل: عدم وجود دراسة لتحديد الموقع المناسب حاضرًا ومستقبلاً للمنشأة في البلد، أو عدم وجود خطة تشغيلية للمنشأة بعد انتهاء بنائها .

النظر المستقبلي يعود على حاضر الدعوة بفوائد كثيرة، وغيابه يعود على حاضر الدعوة بصورة سلبية.

دارَ حديث بين بعض الدعاة عن أهمية أن يهتم الداعية بالمستقبل ويَعمل له، فقال أحد الدعاة: نحن لم نفهم حاضرنا، فإذا كنا كذلك فمن الصعب أن نُطالَب بفهم المستقبل.

نَعَمْ، مِنَّا من لم يُدرِك الواقع الحاضر ويفهمه على حقيقته، ولكنَّ الدراسات المستقبلية الرصينة تعطينا فهم الحاضر بأوضح صورة ممكنة، وتسبر أغواره بعمق علمي، إضافة إلى كونها تنير لنا المستقبل الذي نحن متوجهون إليه؛ فهي مرآة لحاضرنا، تشحذ هممنا فيه، وتزيد من استبصارنا.

قد يُعلِّل بعض الدعاة غياب النظر المستقبلي لديه : بأن تبني هذا النظر يجعله يلغي توكله على الله تعالى، ويجلب عليه الهموم المناقضة للتوكل، والجالبة للقلق ونحوه من الأمراض النفسية؛ فحالُ هذا الداعية كحال أحد فُتَّاك العرب، الموصوف بأنه:

«إذا همَّ ألقى بين عينيه عزمه ... ونَكَّب عن ذِكر العواقب جانبًا

و لم يستشر في رأيه غيرَ نفسِه ... و لم يَرض إلا قائم السيف صاحِبًا»[1].

وهذا التعليل ليس بمستقيم، فإنَّ النظر المستقبلي لا ينافي التوكل، وليس فيه جلب للهموم السلبية إذا أُخذ بحكمة واعتدال، يقول الحليمي: الهم يحصل من الحرص الشديد، فلا يزال أحدهم -جده واجتهاده- مهمومًا قلقًا يخشى أن يضيع ما عنده، ولا يأتيه ما ليس عنده، وذلك خلاف التوكل، والهم منهي عنه، لكن طلب الأمور من وجهها الصحيح مأذون فيه[2]، والنظر المستقبلي المعتدل، المبني على أصول الاستشراف المعتمدة، هو من طلب الأمور من وجهها. يقول الشاطبي : «النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا... وهو مجال للمجتهد صعب المورد؛ إلا أنه عذب المذاق، محمود الغِب جار على مقاصد الشريعة»[3].

---

(١) محمد القرطبي، مرجع سابق، ج٤، ص ١٦٢ .

(٢) مرجع سابق، ج٢، ص١١.

(٣) **الموافقات**، مرجع سابق، ج٤، ص ١٤٠-١٤١ .

لكن إذا أفرط الداعي في هذا النظر، فصار كثير الحدس عن غير دليل، ودون الاعتماد على أساليب الاستشراف المعتمدة، ورأى أن الحدس قد يؤثّر عليه بصورة سلبية، فيجعله يضعف ويجبن في الدعوة، أو ينعزل ويتركها، فإنَّ هذا يصير وبالاً عليه، ويكون نظره وحدسه منافيًا لهدف الدعوة، و لم يستثمره بصورة إيجابية، بل ينعكس سلبًا على عمله؛ فهنا يقال له: إذا كنت تدعوا بالحكمة، على فهم صحيح عن الله تعالى ورسوله ﷺ، فاستمر في هذا ولا يضرك ما حدست، ولا يُوقفك، أو يضعفك، أو يثنيك.

فهكذا : إذا كان النظر المستقبلي يتحول سلبًا على الشخص، فإنه ينصرف عنه ولا يعبأ به؛ ومِثْله : إذا كان دافعًا للتسويف، فإنَّه يُلغى ولا ينظر إليه، رُوي عن الحسن البصري أنه قال: «إياك والتسويف، فإنك بيومك ولست بغدك»(١).

المطلب الرابع: ما يَصرِفُ عن النظر المستقبلي، وتدبر العاقبة، والعمل لها:

هناك أمور تصرف الناس عن النظر المستقبلي، أو عن العمل وفق مقتضاه، أو تُضعف هذا النظر، وأهمها ما يأتي:

١-اتّباع الهوى:

و«الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه»(٢)، وأُطلقَ ذمه؛ لأن صاحبه لا يقف به عند الحد الذي ينتفع به(٣)، وهو ناتج عن ضعف الدين والعقل، «ومطلق الهوى يدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في عاقبة، ويحث على نيل الشهوات عاجلاً، وإن كانت سببًا للألم والأذى في العاجل ومنع لذاتٍ في الآجل»(٤)، «والمروءة والدين والعقل ينهى عن لذة تعقب ألمًا، وشهوة تورث ندمًا، فكل منها يقول للنفس إذا أرادت ذلك : لا تفعلي، والطاعة لمن غلب، ألا ترى أن الطفل يؤثر ما يهوى وإن أداه إلى التلف لضعف ناهي العقل عنده، ومن لا دين له يؤثر ما يهواه وإن أداه إلى هلاكه في الآخرة لضعف ناهي الدين»(٥).

---

(١) هنّاد بن السَّري الكوفي التميمي، **الزهد**، تحقيق محمد أبو الليث الخيرآبادي، (قطر، عبد الله الأنصاري، د.ت)، ج١، ص٥٩٨، أثر٥١٢.

(٢) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، **ذم الهوى**، ط٢، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ)، ص١٨.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) ابن القيم، **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط١، (الرياض، دار الصميعي، وبيروت، دار الخير، ١٤١٦هـ)، ص٤٠١-٤٠٢.

قال حكيم: «غلبة التنعم تُعودك إيثار الراحة والمماطلة بالأمور، وتُكرِّه إليك ركـوب المشقة في مصلحة عواقب أمرك»[1].

«ومَنْ أطَاعَ هَوَاهُ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِمَا يَكُونُ؛ فعُقْبَى أَمْرِهِ نَدَمُ»[2].

«ولما امتحن المكلف بالهوى من بين سائر البهائم وكان كل وقت تحدث عليه حوادث جُعل فيه حاكمان : حاكم العقل وحاكم الدِّين، وأمر أن يَرفع حوادث الهوى دائمـًا إلى هذين الحاكمين وأن ينقاد لحكمهما»[3]، «وينبغي للعاقل أن يتمرن على دفع الهوى المـأمون العواقب ليستمر بذلك على ترك ما تؤذي غايته»[4]؛ «فإن اتباع الهوى يطمس نور العقـل. ويعمي بصيرة القلب . ويصد عن اتباع الحق. ويضل عن الطريق المستقيم . فـلا تحصـل بصيرة العبرة معه ألبتة . والعبد إذا اتبع هواه فسدَ رأيه ونظره . فأرته نفسه الحسنَ في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن. فالتبس عليه الحق بالباطل . فأنى له الانتفاع بالتذكر، أو بالتفكر، أو بالعظة؟»[5].

٢-فقْدُ الحكمة العلمية، أو العملية، أو هما معًا :

الحكمة نوعان:

أ- حكمة علمية : وهي الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفـة ارتبـاط الأسـباب بمسبباها، خَلْـقًا وأمرًا، قدرًا وشرعًا[6]. وهذه حقيقة الدراسات المستقبلية الـتي تحـاول التوصل إليها.

ب- حكمة عملية[7] : وهي وضع الشيء في موضعه[8]. وهذه هي التطبيق العملـي لنتيجة الدراسات المستقبلية والاستشراف . ومن درجات الحكمة العملية: « أن تعطي كـل

(١) ابن منقذ، مرجع سابق، ص٤٦٠.

(٢) البارودي، مرجع سابق، ص٥٠٤.

(٣) ابن القيم، **روضة المحبين**، مرجع سابق، ص٤٠٢.

(٤) ابن الجوزي، **ذم الهوى**، مرجع سابق، ص١٩.

(٥) ابن القيم، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج١، ص٤٤٩.

(٦) المرجع نفسه، ج٢، ص٤٧٨.

(٧) ويُطلق عليها أيضًا: الإرادة.

(٨) نفسه، ج٢، ص٤٧٩؛ نقلاً عن : أبي إسماعيل الهروي، **منازل السائرين**.

شيء حقه، ولا تعدِّيه حَدَّه، ولا تعجله عن وقته، ولا تؤخره عنه»[1]. وبتعبير آخر: « فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي»[2].

« فالحكمة النظرية مرجعها إلى العلم والإدراك، والحكمة العملية مرجعها إلى فعل العدل والصواب، ولا يمكن خروج الحكمة عن هذين المعنيين؛ لأن كمال الإنسان في أمرين: أن يعرف الحق لذاته، وأن يعمل به، وهذا هو العلم النافع والعمل الصالح »[3].

إنَّ المرء قد يتقن فنون الدراسات المستقبلية ومبادئها، ولكن شخصيته تنقصها الحكمة العملية وحسن التدبير؛ فلا يُوظِّف ما تعلمه في التطبيق؛ ومن الناس من ليس لديه أدنى اطلاع على الدراسات المستقبلية ومع ذلك قد رُزق حسن تدبير فاق به كبار المستقبليين.

٣-الذنوب والمعاصي؛ فإنها تحجب القلب عن الرؤية الصحيحة؛ فمن يريد أن يرى بنور الله وبصره، فلابد له من الإقلاع عن المعاصي، والمداومة على النوافل بعد الفرائض.

٤-إلف الحاضر، والتشبث به، ورفض كل إصلاح أو تجديد؛ ولذلك يواجه المجدِّد معاناة شديدة، ورفضًا لدعوته وإصلاحه، يصل أحيانًا إلى حد المواجهة والعداء .

٥-الإهمال، وتمشية الأمور، وتهوينها:

قال ابن القيم: ترك المحاسبة، والاسترسال، وتسهيل الأمور وتمشيتها، يؤول بالإنسان «إلى الهلاك، وهذه حال أهل الغرور : يغمض عينيه عن العواقب، ويُمَشِّي الحال، ويتكل على العفو، فيهمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة . وإذا فعل ذلك سهل عليه مواقعة الذنوب، وأنس بها، وعسر عليها فِطامها، ولو حضره رشده لعلم أن الحمية أسهل من الفطام وترك المألوف والمعتاد»[4]، وقد يسير في مِثل هذا السلوك في تصرفاته في شؤون حياته الدنيوية.

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) سعيد بن علي بن وهف القحطاني، **مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة**، (الرياض، المؤلف، ١٤١٥هـ)، ص٤٢ .

(٤) **أغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، مرجع سابق، ج١، ص١٣٦.

٦-عدم الصبر:

إذا حصل للمرء استشراف صحيح للمستقبل، وحصل له يقين بالوسائل الموصلة إلى الغايات، وأراد أن يعمل لتحقيق المستقبل الذي يصبو إليه، فلا بد له من قوة "صبر يوطّن به نفسه على تحمُّل مشقة الطريق لِما يؤمل عند الغاية، فإذا فقد اليقين والصبر تعذر عليه ذلك، وإذا قوِي يقينه وصبره هان عليه كل مشقة"[1]. "فالعلم بالمطلوب وبطريقه لا يحصلان المقصود إلا مع الإرادة الجازمة . والإرادة الجازمة لا تكون إلا مع الصبر، ولهذا قال سبحانه وتعالى... : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[2]"[3].

وعدم الصبر داء مستعص، أعاق كثيرين عما ينفعهم في حاضرهم ومستقبلهم، من أمثلته : أن كثيرًا من المدخنين لديهم يقين بأضرار التدخين، ولديهم رغبة في تركه، لكنهم لا يتركونه؛ وسبب ذلك عدم الصبر .

٧- تأثير الهواء الحار على الناس:

لحظ ابن خلدون أن الناس الذين يعيشون في المناطق الحارة تغلب عليهم الغفلة عن العواقب، وعن العمل للمستقبل؛ لكنَّ الذين يعيشون في المناطق الباردة يُفْرِطون في النظر إلى العواقب، حتى إن الرجل منهم ليدَّخِر قُوْت سنتين[4] .

وجملة من الأمور السابقة يمكن التغلب عليها بالتربية الذاتية للمرء؛ فيقوى على مخالفة هواه، وتُوجَد لديه الإرادة للعمل المستقبلي، ويصل إلى قوةٍ مِن صبر توصله إلى الغاية.

المطلب الخامس : أهمية التوسط في النظر إلى المستقبل، والحذر من المبالغة فيه:

يجدر التأكيد عند مطالبة المرء بأن يكون ذا نظر مستقبلي، أن ينهج فيه التوسط والاعتدال، وألا يجره هذا النظر إلى الإضرار بحاضره، أو يُفْرِط في نظره فَيُحمِّل المستقبل مشكلات أكثر مما هي متوقعة، فيُضر بذلك جسمَه ونفسه ولمَّا يصل إلى تلك

(١) ابن القيم، **الفوائد**، مرجع سابق، ص٢٤٧.

(٢) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٣) ابن تيمية، **جامع الرسائل**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٢٧.

(٤) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج١، ص٣٩٢ .

المشكلات، مع كونها متوهمة؛ لأن التفكير بهذه الصورة يزيد من شدة التعب الجسمي والنفسي؛ ثبت عن عدد من أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم، وعن بعض التابعين أنهم كانوا يُسألون عن المسألة، فإنْ كانت واقعة أجابوا، وإن لم تكن واقعة لم يجيبوا[1]، ولمَّا سأل عبد الملكُ بن مروان، ابنَ شهاب، قال له: «أكان هذا يا أمير المؤمنين؟ قال : لا، قال: فدعه؛ فإنه إذا كان؛ أتى الله عز وجل له بفرج»[2]. فيا أيها المسلم الغارق في التفكير بالمستقبل: رويدك! «إنك تنغمس بشدة في أفكارك حتى أنك تنزع نفسك من اللحظة الحاضرة، وبهذا تؤجل العيش بأسلوب فعال وسعيد»[3].

إن التفكير المستقبلي المتسم بالقلق يؤدي -في بعض الأحيان- إلى إيجاد مشكلات لم تكن موجودة فعلا، وإذا كان التفكير المستقبلي جزء مهم من النجاح، فإن الإفراط والانغماس فيه يؤدي إلى التضحية بلحظات الحاضر القائم في مقابل لحظات لا توجد سوى في خيالنا، فعندما نُفْرِط في التركيز على ما يجب علينا القيام به بدلاً من القيام بما نستطيع في اللحظة الحاضرة، فإننا سنشعر بالضيق الذي يصاحب مثل هذا التفكير[4].

ومن المهم أن يركِّزَ على تقوى الله، فإن من اتقى الله في حاضره حفظه الله في مستقبله، وأن يُعنى العبد بتقوية إيمانه بالله تعالى، وأسمائه، ومدلولاتها، والتوكل عليه سبحانه، ونحو ذلك من أمور الإيمان، ويعنى بتقوية الجانب العبادي لديه، وبخاصة المحافظة على الصلاة، وأدائها بصورة صحيحة، والإكثار منها.

والقلق أمر طبعي لدى الإنسان، لكنَّه يصبح مرضًا عندما يتجاوز حده ويؤثر سلباً على حياة الإنسان وأعماله. فإذا أحس المرء بأنه بدأ يخرج عن حد الاعتدال، وأخذ الهمُّ والقلق يتسللان إليه، فينبغي له أن يتدارك ذلك، «ومما يدفع به الهم والقلق اجتماع الفكر كله على الاهتمام بعمل اليوم الحاضر، وقطعه عن الاهتمام في الوقت المستقبل، وقد استعاذ النبي ﷺ من الهم، وهو ما يصيب الإنسان بسبب الخوف من المستقبل، فيكون العبد ابن

---

(١) تُنظر الآثار في هذا : ابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، مرجع سابق، ج٢، ص١٠٦١، أثر٢٠٥١، ص١٠٦٥، أثر٢٠٥٧، ٢٠٥٨، ص١٠٦٧، أثر٢٠٦٧، ص١٠٦٨، أثر٢٠٦٨.

(٢) المرجع نفسه، ج٢، ص١٠٦٧، أثر٢٠٦٦.

(٣) ريتشارد كارلسون، **لا تهتم بصغائر الأمور في العمل**، ط٢، (الرياض، مكتبة جرير، ٢٠٠٠م)، ص٢٨٧.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٨٩-٢٩١.

يومه، يجمع جده واجتهاده في إصلاح يومه ووقته الحاضر، فإن جمع القلب على ذلك يوجب تكميل الأعمال، ويتسلى به العبد عن الهم والحزن»[1]. وعلى المسلم أن يجاهد «قلبه عن قلقه لما يستقبله، مما يتوهمه من فقر أو خوف، أو غيرهما من المكاره التي يتخيلها في مستقبل حياته، فيعلم أن الأمور المستقبلة مجهول ما يقع فيها من خير وشر، وآمال وآلام، وأنها بيد العزيز الحكيم، ليس بيد العباد منها شيء إلا السعي في تحصيل خيراتها، ودفع مضراتها، ويعلم العبد أنه إذا صرف فكره عن قلقه من أجل مستقبل أمره، واتكل على ربه في إصلاحه، واطمأن إليه في ذلك، إذا فعل ذلك اطمأن قلبه وصلحت أحواله، وزال عنه همه وقلقه»[2].

(١) السعدي، **المجموعة الكاملة لمؤلفاته**، مرجع سابق، ج٥ ، مج٢، ص٤٨٧ .

(٢) المرجع نفسه، ج٥ ، مج٢، ص ٤٨٩-٤٩٠ .

المبحث الثاني

علم الداعي وثقافته وتأهيله

قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِى ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾(١). وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»(٢)، وبوَّب البخاري: «العلم قبل القول والعمل»(٣).

«وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه بل لابد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه السعي»(٤)، والعلم من أهم العناصر في نجاح الداعي إلى الله، وتؤثِّر الدراسات المستقبلية والنظرة المستقبلية، في التحصيل العلمي والثقافي له، كمًّا وكيفًا، وفي العناية بتأهيله للمرحلة العملية، وتُبيِّن المطالب الآتية بعض هذا الأثر:

المطلب الأول: العناية بركائز الإعداد الشامل، والتركيز عليها في مرحلة الطلب:

أجرت مؤسسة بحثية في عام (١٩٥٣م) دراسة على دفعة تخرجت في جامعة (ييل) في الولايات المتحدة الأمريكية، وسألتهم عن أهدافهم وخطتهم للعشرين سنة القادمة . وكانت النتيجة : أن ٣٪ فقط لديهم أهداف واضحة وخطة عمل مدروسة. ثم بعد عشرين سنة في عام (١٩٧٣م) أتت المؤسسة نفسها، وأجرت مسحًا على العينة نفسها، فوجدت أن الثلاثة بالمئة أصبحوا أكثر من غيرهم نجاحـًا، وسعادة، ونفوذًا، ودخلاً(٥) . ويرى الباحث أن هذه النظرة العشرينية لم تُولد لديهم بعد تخرجهم، بل من المرجح أنها وُلدت وقت اختيارهم الجامعة والتخصص، وأخذت تُصقل خلال مراحل الدراسة؛ لأنَّ مثل هذه الخطط لا تولد فجأة.

---

(١) سورة الزمر، من الآية: ٩.

(٢) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، ج١، ص٣٠، ح٧١؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، ج٢، ص٧١٨، ح١٠٣٧.

(٣) **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب العلم، ج١، ص٢٩ .

(٤) ابن القيم، **مفتاح دار السعادة**، مرجع سابق، ج١، ص١٥٤ .

(٥) سليمان بن علي العلي، "أيقظ العملاق وأطلقه"، شريط سمعي .

ومن هذا يستفاد أنَّ النظرة المستقبلية في مرحلة إعداد الداعية تثمر فوائد إيجابية في مرحلة الإعداد، وفي المرحلة العملية؛ فالنظرة المستقبلية تزيد من نجاح الداعية وتَمَيزه؛ إذْ يَعدُّ الباحثون أنَّ من صفات الناجحين والمتميزين: أنهم "يعرفون ماذا يريدون وإلى أين يذهبون لتحقيق ما يريدون"[1]، وأنَّ الفرد منهم لا يستطيع أن يؤدي دوره في الحياة بنجاح، إلا إذا كانت لديه توقعات اجتماعية ملائمة[2].

ويحتاج الداعية -ليكون ناجحًا في دعوته- إلى ركائز في إعداد نفسه أو إعداد غيره له؛ ليتمكن من الدعوة "على الوجه الصحيح فلا يزيغ في عقيدة، ولا يخطئ في حكم، ولا يعجز عن إقناع النفوس المتطلعة إلى معرفة أسرار الأحكام الشرعية، فيكون الإذعان له أتم، والقبول منه أكمل"[3]، وتؤثِّر النظرة المستقبلية في مرحلة الطلب في العناية بهذه الركائز، والاهتمام بها، والتركيز عليها، وتمحيصها، سواء من قِبل الداعية نفسه، أو مِن قِبل مَن يقوم على إعداده من المؤسسات، والعلماء، والأساتذة، ومِن تلك الركائز ما يأتي:

١- تربية النفس على الصدق والإخلاص، والعمل بالعلم، والعدل في الأقوال والأفعال، ومشابة الظاهر للباطن؛ حتى يكون حسن الطريقة، مرضي السيرة[4]. "ومن أهم جوانب هذه التربية أن تتعهد الغرائز الصالحة بالصقل، وغير الصالحة بالتهذيب، وأن تتهيأ البيئة التي تمد بكافة الصفات السوية وأن يمهد الطريق المؤدي إلى تكوين شخصية متكاملة"[5]. "ولنعلم أن الخطبة البليغة المُعجبة، والكتاب المبين الذكي، والجماهير العاشقة المتعصبة لا تساوي كلها قشرة نواة، إذا كانت علاقة المرء بربه واهية"[6].

٢- العلم بأصول العقيدة الصحيحة.

٣- العلم بفقه الأحكام.

---

(١) يحى عبد الحميد إبراهيم، **استراتيجيات النجاح وأسرار التميز**، (القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢٢هـ)، ص٩١.

(٢) توفلر، **صدمة المستقبل**، مرجع سابق، ص ٤٤.

(٣) محفوظ، مرجع سابق، ص٩٩.

(٤) ابن القيم، **إعلام الموقعين**، مرجع سابق، ج١، ص١٠.

(٥) غلوش، مرجع سابق، ص٤٣٨.

(٦) محمد الغزالي، **مع الله : دراسات في الدعوة والدعاة**، مرجع سابق، ص٢١٢.

٤- اكتساب القدرة على استحضار النصوص الشرعية، والآثار، والنصوص الجمالية لدعوته، والتمييز بين الصحيح وغيره.

٥- اكتساب ثقافة عامة.

٦- اكتساب القدرة على التواصل والتآلف مع الناس، واحترامهم[1].

٧- اكتساب القدرة على الإقناع.

٨- اكتساب القدرة على العرض الحسن للدعوة.

٩- اكتساب القدرة على التأثير بالترغيب، والترهيب.

١٠- اكتساب القدرة على التأثير بالمنهج العقلي، والحسي.

١١- اكتساب قوة الشخصية.

١٢- توطين النفس على تحمل أعباء الدعوة.

وقد ضَرب ابن عباس رضي الله عنهما مثالاً عمليـًّا رائعًا في ذلك، يدل على نظرته المستقبلية المبكرة في صغره؛ فنفعته -بعد توفيق الله تعالى- في اكتساب ركائز العلماء، فكان- مع توافر صحابة كبار ﷺ- أحد خمسة صارت إليهم الفتوى منذ مقتل عثمان ﷺ إلى أن توفوا، كما ذكره غير واحد[2]. وقال طاووس : «ما رأيتُ رجلاً أعلم من ابن عباس»[3]، وقال مجاهد: «كان ابن عباس يُسمَّى البَحْر لكثرة علمه»[4]، وقال: «ما رأيت مثل ابن عباس قط، ولقد مات يوم مات وهو حبر هذه الأمة»[5]، وقال : «ما سمعت فتيا أحسن من فتيا ابن عباس إلا أن يقول قائل: قال رسول الله ﷺ»[6]. والسِّرُّ في هذا -بعد توفيق الله عز وجل، ثمَّ دعاء النبي ﷺ له بالفقه في الدِّين، ثمَّ توافر الملكة والاستعداد للتعلم- : أنَّ ابن عباس رضي الله عنهما كان ينظر إلى المستقبل نظرًا حصيفًا؛ فكان ذا همة عالية في طلب

---

(١) غلوش، مرجع سابق، ص٤٤٧.

(٢) ابن سعد، مرجع سابق، ج٢، ص٣٧٢.

(٣) المرجع نفسه، ج٢، ص٣٦٦.

(٤) الحاكم، مرجع سابق، كتاب معرفة الصحابة، ج٣، ص٦١٦، أثر٦٢٨٣ .

(٥) المرجع نفسه، ج٣، ص٦١٦، أثر٦٢٨٤ .

(٦) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج٣، ص٣٥٠-٣٥١.

العلم في صغره؛ فحفظ الْمُفَصَّلَ[1] وهو ابن عشر سنين عند وفاة النبي ﷺ[2]، أو ثلاث عشرة سنة على المشهور[3]، وقال: «إنْ كنتُ لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ»[4]. وكأنه يتمثل في هذا مقولة ابن مسعود رضي الله عنه: «عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لا يَدْرِي مَتَى يُفْتَقَرُ إِلَيْهِ أَوْ يُفْتَقَرُ إِلَى مَا عِنْدَهُ»[5]؛ وفي رواية: «تَعَلَّمُوا، فَإِنَّ أحدَكُم لا يَدري متى يُختَلفُ إليه»[6]؛ فكان ابن عباس رضي الله عنهما يضع في حسبانه احتمال اختلاف الناس إليه، وافتقارهم إلى ما عنده . وأدخله عمر رضي الله عنه في الشورى مع أشياخ بدر، وهو فتى[7] . كل ذلك يدل على عنايته رضي الله عنه الشديدة بطلب العلم وقت صغره . وتتجلى نظرته المستقبلية أثناء طلبه العلم، من خلال عقد مقارنتين بينه وبين غيره:

الأولى: يرويها هو رضي الله عنه، قال : «لما توفي رسول الله ﷺ، قلت لرجل من الأنصار : يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ، فإنهم اليوم كثير . فقال : وا عجبًا لك يا ابن عباس، أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى؟ فترك ذلك، وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه، وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه، فتسفي الريح على وجهي التراب، فيخرج، فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول : لا، أنا أحق أن آتيك. فأسأله عن الحديث.

---

(١) المفصل: "من الحجرات إلى آخر القرآن على الصحيح". (ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٨، ص٧٠٢).

(٢) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب فضائل القرآن، باب تعليم الصبيان القرآن، ج٦، ص١٣٤، ح٥٠٣٥.

(٣) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٨، ص٧٠٢.

(٤) الذهبي وقال: "إسناده صحيح"، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج٣، ص٣٤٤.

(٥) الدارمي، مرجع سابق، كتاب المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، ج١، ص٢٥٢، أثر ١٤٥؛ وقال المحقق: "إسناده ضعيف لانقطاعه"، حاشية١.

(٦) المرجع نفسه، ج١، ص٢٥٨، أثر ١٥٨؛ وقال المحقق: "إسناده صحيح"، حاشية٢.

(٧) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المغازي، باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح، ج٥، ص١١١، ح٤٢٩٤؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النصر، ج٥، ص٤١٩، ح٣٣٦٢.

قال : فبـــقي الرجل حتى رآني وقد اجتـــمع الناس علي، فـــقال : كان هذا الفـــتى أعقل مني»[1].

والثانية : عند مقارنته بابن عمر ﷺ، وكلاهما إمام في الفتوى، وكان ابن عمر أكـــبر منه؛ فأخذ عن النبي ﷺ ما لم يأخذ ابن عباس رضي الله عنهما، فعن عُبيد بن جُريج قـــال : «كنت أجلس بمكة إلى ابن عمر -ﷺ- يومًا وإلى ابن عباس -رضي الله عنهما- يومًا فما يقول ابنُ عمر فيما يُسأل لا عِلم لي أكثرُ مما يُفتي به»[2]؛ وقال نافع: «كان ابنُ عمر وابـــن عباس يجلسان للناس عند مقدم الحاج، فكُنتُ أجلسُ إلى هذا يومًا، وإلى هذا يومًا، فكـــان ابنُ عباس يُجيب ويفتي في كل ما سُئِلَ عنه، وكان ابنُ عمر يرُدُّ أكثرَ مما يُفتي»[3] أ.هـــــ. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «إليكم عنِّي؛ فإني كنتُ مع مَن هو أعلم مني، ولـــو علمتُ أني أبقى حتى تَفتقروا إليَّ، لتعلَّمتُ لكم»[4].

فالنظر المستقبلي جعل ابن عباس رضي الله عنهما يحرص -وقـــت الطلـــب- علـــى اكتساب فنون العلم المتنوعة، ويتبحَّر فيها، وبصيرته تشق الأُفق، وتتجاوز الحُجُب؛ حـــتى يَصْدُق عليه في هذا قول عليٍّ فيه رضي الله عنهما: «إنه ليَنظُر إلى الغيب من سِتْر رقيق»[5] .

ويصدق فيه قول الشاعر:

«عليمٌ بأعقاب الأمور برأيه   كأنّ له في اليوم عَيْـــنًا على الغد»[6].

---

(١) الدارمي، مرجع سابق، كتاب المقدمة، باب الرحلة في طلب العلم واحتمال العناء فيه، ج١، ص٤٦٧، أثر٥٩٠؛ والحاكم وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب معرفة الصحابة، ج٣، ص٦٢٠، أثر ٦٢٩٤.

(٢) الدارمي، مرجع سابق، كتاب المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، ج١، ص٢٥٨، أثـــر١٥٧؛ وقال المحقق: "إسناده حسن"، حاشية١.

(٣) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج٣، ص٢٢٢.

(٤) المرجع نفسه، ج٣، ص٢٣٨.

(٥) ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، مرجع سابق، ج١، ص٩١؛ وابن مفلح، مرجع سابق، ج١، ص٧٧.

(٦) ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، مرجع سابق، ج١، ص٩٢، ولم يُسمِّ قائله.

المطلب الثاني : تأهيل الداعية للمرحلة العملية، وتهيئته لها :

«أوجب الله على الأمة أن تهيئ من بنيها طائفة لتقوم بالدعوة إلى دين الله والتهيئة ليست أمرًا هينًا. وليست سريعة الإيجاد . ولكنها تحتاج لإمكانيات مكثفة . ومتنوعة. ذلك أن صناعة الإنسان هو أصعب الصناعات في هذا الوجود»(١).

«إن تكوين الدعاة يعني تكوين الأمة. فالأمم العظيمة ليست إلا صناعة حسنة لنفر من الرجال الموهوبين. وأثر الرجل العبقري فيمن حوله كأثر المطر في الأرض الموات، وأثر الشعاع في المكان المتألق»(٢).

وإنّ تأهيل الداعية تأهيلاً مناسبًا، من الأمور المهمة في قيام الدعوة وقوتها، وبناء مجتمع إسلامي؛ لأن قيام الدعوة وقوتها مبني على التأهيل المناسب للدعاة. «وقد ظهر في العهد الحديث أفراد ينتسبون إلى الدعوة كدعاة. ومع ذلك فإنهم يضرون ولا يفيدون. وسبب ذلك يرجع إلى قصور في تكوينهم كدعاة إلى دين الله»(٣).

وهناك ارتباط إيجابي بين الرصيد المهني للداعية وفاعليته الدعوية، فالداعية المؤهل مهنيًا في مجال الدعوة تأهيلاً جيدًا يغدو أكثر فعالية من الداعية غير المؤهل؛ ولذلك عُني القرآن بتزويد الدعاة بالتوجيهات والخبرات الدعوية، وبيان طبائع المدعوين، وكيفيات التعامل معهم، وتحديد غايات الدعوة ووسائل الوصول إليها. وكذلك الرسول ﷺ كان يدرِّب أصحابه ﷺ، ويزودهم بالخبرات والتوجيهات اللازمة، والمعلومات، ويصحح أخطاءهم كل ذلك بطريقة علمية توجيهية، وبمواقف عملية تطبيقية؛ حتى تَخرَّج في مدرسته علماء ذوو خبرة تربوية عالية، أتقنوا التفاعل والاتصال، ونجحوا في كسب الأفراد والجماعات، وإدخالهم في الإسلام، وتعليمهم إياه، فأحبهم الناس وأقبلوا عليهم(٤).

وإذا كانت المؤسسات التعليمية الدعوية بأنواعها، تخرج الداعية من أجل أن يعمل وينطلق في ميادين الحياة، فلا يجدر بها أن تؤهل الداعية نظريًّا وتهمل تأهيله في الجوانب

---

(١) غلوش، مرجع سابق، ص٤٣٤.

(٢) محمد الغزالي، **مع الله : دراسات في الدعوة والدعاة**، مرجع سابق، ص٩.

(٣) غلوش، مرجع سابق، ص٤٣٥.

(٤) عبد العزيز بن محمد النغيمشي، **علم النفس الدعوي : دراسات نفسية تربوية للآباء والمعلمين والدعاة**، (الرياض، دار المسلم، ١٤١٥هـ)، ص٢٨١.

العملية، بل ينبغي أن تؤهله عمليـــا أيضًا بالتدريب والتأهيل؛ ليكـــون متـــهيئا للمرحلـــة العملية.

وهذه سُنَّة الله سبحانه في إعداد أنبيائه، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلا رَعَى الْغَنَمَ . فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ»[1]. «قال العلماء : الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى ونقلها من مسرح إلى مسرح ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها فجبروا كسرها ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم، وخصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقيادًا من غيرها»[2].

ولَمَّا اختار الله موسى عليه السلام نبـيًّا، وكلَّمه عندما سار بأهله، أعطاه تدريبًا على دعـوته لفرعون وقـومه وذلك قبل أن يأمره بالدعوة، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۝٢١ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ۝٢٢ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾[3]. بعد هذا التدريب العملي على الآيات المعجزات التي سيستخدمها عليه السلام في دعوته لفرعون وملائه، جاءه الأمر بعده: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾[4].

---

(١) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، ج٣، ص٦٥، ح٢٢٦٢؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب التجارات، باب الصناعات، ج٢، ص٧٢٧، ح٢١٤٩.

(٢) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٤، ص٥١٦.

(٣) سورة طه، الآيات: ١٧-٢٣.

(٤) سورة طه، الآية: ٢٤.

وهكذا ينبغي على الدعاة أن يتلقوا التدريب المناسب قبل القيام بالدعوة: التدريب على الخطابة، والحوار، والإقناع، والصبر والتحمل، وكيفية استخدام الوسائل العصرية، وما يحتاجون إليه.

وقد يتنقل الداعية في مراحله العملية بين عدة مجالات، ومن المهم أن يُعنى بالإعداد الجيد لنفسه قبل أن يخوض المجال الجديد .

"ولابد أن تدرك المؤسسات الإسلامية والمؤسسات العلمية أن تأهيل الدعاة وإكساهم المهارات اللازمة للدعوة جزء أساسي في الدعوة، ويتطلب ذلك الوقوف على البرامج التأهيلية والتدريبية المتاحة للدعاة في الجامعات والمعاهد وتقويمها وتصميم البرامج المناسبة للدعاة وإيجاد السبل الكفيلة بإنجاحها.

إن الدعوة إلى الله تعالى... تحتاج إلى جهد كبير في تأهيل الدعاة وتدريبهم، وتأهيلهم علميًا، وتدريبهم على طرائق الدعوة وفنونها، وعلى التنظيم في الأداء وإكساهم المهارات اللازمة التي تعينهم على حسن العرض للمبادئ التي يحملونها، وكذلك توفير الأسباب المعينة للداعية على أداء دعوته، كل ذلك ينبغي أن يكون الهاجس الأكبر للمؤسسات الإسلامية، وينبغي أن تتضافر الجهود بين المؤسسات الإسلامية وبين الجامعات على وجه الخصوص في سبيل تطوير وتنمية مهارات الدعاة، فالدعاة اليوم بحاجة ماسة إلى أوقات يقفون بها مع أنفسهم في ظلال محاضرة تدريبية تُلقى، أو دورة قصيرة أو حلقة نقاش أو غير ذلك من البرامج التي يكون فيها التقييم الصحيح للأساليب والوسائل ويكون فيها التبادل المعرفي بين الدعاة أنفسهم"(1).

والمستقبل ليس كالحاضر، بل نحن في تغير مستمر، فينبغي أن نعلم ونحن نضع المناهج والبرامج في إعداد الدعاة؛ لنؤهِّلم بها للحياة الدعوية فيما بعد، أن في متطلبات تأهيلهم ثوابت ومتغيرات، ولعل الـمُشَاهِد لأكثر المؤسسات التي تؤهِّل الدعاة، يَلحظ أنها تُعنى بالثوابت، وتقلّ عنايتها بالمتغيرات، ومن المهم أن نُعنى بكليهما، فنؤهل الدعاة لزمانهم العملي، لا لزمان مضى وانقضى. والدراسات المستقبلية مجال جيد في معرفة المتغيرات التي ينبغي أن يُعنى بها الداعية، والمجالات المستقبلية المحتملة التي ينبغي أن يُعدَّ بعض الدعاة للعمل في ميدانها.

---

(1) عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، "الدعاة بين التأهيل والتدريب"، الدعوة، مرجع سابق، العدد: ٨٦٢، (٢٦/رجب/١٤٢٣هـ)، ص ٧٤.

وينبغي أن يُعوَّد الدعاة خلال تأهيلهم على التعلم الذاتي؛ فإنه من أكبر عوامل النجاح في الإعداد والتأهيل المستمر، وتجد الداعية الممارس للثقافة الذاتية أنجح من غيره[1]، إنك «إذا أعطيت الإنسان سمكة؛ فإنك تُطعمه ليوم واحد، أما إذا أعطيته صنارة صيد؛ فإنك تطعمه مدى حياته. وعندما تُعلِّم الإنسان كيف يصنع الصنارة فإنك تمنحه حياة جديدة، وليس مجرد طعام»[2].

«إن التعليم المستمر الذي يعتمد التعليم والتثقيف الذاتي أساساً أصبح ركيزة أولى في برامج التدريب والتطوير لدى كل المؤسسات الناجحة»[3].

وفي نحو هذا المجال يُطالِب عبد الدائم بالعناية في التجديد لأعضاء هيئة التدريس في التعليم العالي، بما يواكب التغير السريع للمجتمع، وذلك بتبادل الأساتذة بين الجامعات، وتيسير مهمات الاطلاع والبحث لهم بين البلدان المختلفة، والعناية بالمحاضرات واللقاءات العلمية، وأن يتخذ التجديد شكل خطة منهجية منظَّمة[4].

لقد أصبح غياب أهل العلم الشرعي عن المشاركة الفاعلة في الوسائل العصرية الحديثة، وضعف مشاركتهم فيها ظاهرة ملحوظة، بينما كان الحضور الفاعل -غالبًا- لدعاة غير مختصين في الدعوة من المهندسين والمبرمجين وغيرهم؛ وتَساءَلَ عن هذه الظاهرة الأفراد والمؤسسات التابعة للدولة؛ والسبب في هذه الظاهرة -حسب رأي الباحث- أنَّ غيابهم ليس بسبب مسألة جواز المشاركة فيها أو لا، بقدر السبب الرئيس وهو: أنَّ جُل العلماء في العالم الإسلامي لم يكونوا متهيئين للتحول التقني الحديث الذي شهده العالم، وبخاصة في مجال الإعلام والاتصالات، وهو تحول حث على التهيؤ له عدد من المستقبليين[5]. وبعد زمنٍ استطاع شبابٌ أن يخففوا من هذه الهوة بين العلماء وتطورات العصر المتلاحقة؛ فقربوا العلماء إليها، وأقنعوهم بالمشاركة فيها.

---

(١) إبراهيم غراية، "التثقيف الذاتي للمشاركين في الدعوة"، www.Islamtoday.net .

(٢) السويدان وباشراحيل، مرجع سابق، ص٣٥؛ نقلاً عن : ستيفن كوفي.

(٣) غراية، مرجع سابق، www.Islamtoday.net.

(٤) في "مجلة اتحاد الجامعات العربية"، مرجع سابق، العدد ٢٠، (ذو الحجة/ ١٤٠٥هـ)، ص٣٣.

(٥) مثل: توفلر، **صدمة المستقبل**، مرجع سابق.

المطلب الثالث: العناية بنوع القراءة وطريقتها، وكيفية التدوين :

يؤثر اكتساب النظر المستقبلي لدى طالب العلم في طريقة قراءته للكتب والمراجع العلمية، فصاحب النظر المستقبلي يتميز في قراءته، فترى أكثر قراءته في مجال التخصص، وتراه يقرأ قراءة مفهرِسة لما يقرأ، إما بفهرَسة ما يقرأ بفهرس خاص، أو في برنامج حاسوب. بينما فاقد النظر المستقبلي تراه يخبط في قراءته خبط عشواء، ولا تجد لديه تنظيمًا مفهرسًا لجزئيات الموضوعات التي يقرأها، حتى يَرجع إليها عند الحاجة، فإذا احتاج موضوعًا أخذ زمنًا يبحث عنه، وربما وقف على بِضْعَة مواطن لموضوعه، وفاته العشرات مما هو أهم مما وقف عليه.

ويؤثِّر النظر المستقبلي في اختيار حجم خطوط الكتب التي يريد الداعي وطالب العلم اقتناءها؛ فيبتعد صاحب هذا النظر عن اقتناء ما كان خطه صغيرًا، ويتجنب كتابة تعليقاته ومذكراته بخط صغير؛ لأنَّه تضعف الاستفادة من ذلك في حال الكبر، وضعف البصر، «فقد قالوا : اكتبوا الكتاب لأواخر أعماركم»[١]. «رأى أبو حنيفة رحمه الله، كاتبًا يُقرمطُ في الكتابة، فقال لا تُقرمط[٢] خطك، إن عشت تندم، وإن مت تُشتم. يعني : إذا شِخت، وضعف بصرك ندمت على ذلك»[٣]. ورأى أحمد بن حنبل رحمه الله أحد طلابه يكتب بخط دقيق فقال له: «لا تفعل. أحوجُ ما تكون إليه يخونك»[٤]. «يعني إذا كبرت سنه وضعف بصره، واحتاج أن يعود إلى ما سمع في شبابه ليسمعه منه تلاميذه: خانه الكتاب الدقيق، فعسُرتْ عليه قراءته»[٥]. وكان العلماء يُعنَون باختيار نوع الأحبار التي يكتبون بها، ففضلوا

---

(١) محمد بن عبد الغفور الكلاعي الأشبيلي، **إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس**، تحقيق محمد رضوان الداية، ط٢، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٥هـ)، ص٥٣.

(٢) "القرمطة : دقة الكتابة". (الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص٨٨١، مادة: (قرمط)).

(٣) برهان الدين الزرنوجي، **تعليم المتعلم في طريق التعلم**، تحقيق صلاح الخيمي ونذير حمدان، (دمشق - بيروت، دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ)، ص٥٢.

(٤) أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، تحقيق محمد رأفت سعيد، (الكويت، مكتبة الفلاح، ١٤٠١هـ)، ج١، ص١٩٠.

(٥) عبد الفتاح أبو غدة (تعليق)، أحمد شاكر، **تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة وكيفية ضبط الكتاب وسبق المسلمين الإفرنج في ذلك**، ط٢، (القاهرة، مكتبة السنة، ١٤١٥هـ)، ص١٨، حاشية٢.

الحبر على المِداد، والسواد على غيره؛ «لأنَّ السواد أصبغ الألوان والحبر أبقاها على مَر الدهور، والأزمان»[1].

المطلب الرابع : معرفة خطط الأعداء وأهدافهم :

عَدَّ أحد الباحثين: أنَّ من آداب طالب العلم: «معرفة مخططات أعداء الإسلام»[2].

وعلى هذا تُعَدُّ الدراسات المستقبلية الغربية مصدرًا مهمًا في معرفة خطط الأعداء، وتُجلِّي للمسلم أهداف الخطط والتصرفات التي يُجريها أعداء الإسلام، ومراميها التي تسعى للوصول إليها، وبخاصة الخطط بعيدة المدى، فهناك بعض التصرفات تُعَدُّ جزئية، لكنها تسعى لأهداف خطيرة، تفتك بالمجتمع الإسلامي، مثل الخطط لتحديد النسل، وتوجههم مبدئـيًّا إلى دول محددة، يُطالبونها بذلك؛ فاطِّلاع الداعية على ذلك مهم؛ لتحذير الناس من بعض الخطط التي تُضِرُّ بمستقبل المسلمين، بل إن اطلاعه على ذلك يزيد من اهتمامه هو لأمر المسلمين، وزيادة همته، وعزيمته، وإنتاجيته .

المطلب الخامس : التعرف على نتائج الأفعال ومداها:

تفيد النظرة والدراسات المستقبلية في التعرف على نتائج الأفعال، وينبني على هذا فقهُ للداعية، في الفعل أو التَّرْك، وفي الإقدام أو الإحجام؛ فيفعل ما يفعل على بصيرة، ويترك ما يترك على بصيرة؛ وقد يتساهل المسلم ويهمل التعرف على نتائج الأفعال، فيفعل فعلاً مباحـًا، مِن غير نظر في النتائج المحتملة لهذا الفعل؛ فينتج عن فعله أضرار سيئة، تُلحق الأذى ببعض المسلمين، قَالَ رسول الله ﷺ : «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»[3]. وهذا «فيه دليل على أن من عمل ما فيه إضرار بغيره

---

(١) عبد الكريم بن محمد السمعاني، **أدب الإملاء والاستملاء**، تحقيق أحمد محمد محمود، (جدة، المحقق، ١٤١٤هـ)، ج٢، ص٥٤٥.

(٢) عبد الواحد بن عبد الله المهيدب، **العلم**: **فضله، أسباب تحصيله، آداب طلابه**،(الرياض، دار العاصمة، ١٤١٠هـ)، ص٦٤-٦٥ .

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، ج٨، ص١٨٠، ح٧٢٨٩؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله، ج٤، ص١٨٣١، ح٢٣٥٨.

كان آثمـــًا»[١]، فالسُّؤال ليس بجريمة، لكن «السؤال عن الشيء بحيث يصير ســببًا لتحــريم شيء مباح هو أعظم الجرائم لأنه صار سببًا لتضييق الأمر على جميع المسلمين»[٢].

« إن المسلم ليس مطالبـــًا في أن يكون دقيقًا في إدراك تفـــاعلات محيطـــه وعـــصره فحسب، بل إن عليه أن ينظر إلى التفاعلات المستقبلية التي قد تُحـــدثها أقوالـــه وأعمالـــه ومبادآته ومواقفه؛ وقد قال بعض المفسرين: إن المراد من ﴿ ءَاثَـٰرَهُمْ ﴾ في قوله –سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ﴾[٣] : كل ما يبقى بعد الإنسان من خير أو شر؛ كعلم علموه أو كتاب صنفوه، أو مسجد بنوه، أو شيء أحدثوه فيه ضرر على المسلمين، أو صد عن سبيل الله »[٤].

وقد امتنع النبي ﷺ عن فعل أمور؛ خشية من بعض نتائجها السلبية، كامتناعه عن قتـــل المنافقين، وتركه ﷺ بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام.

وقال عثمان بن عَفَّانَ ﷺ –وَهُوَ يَخْطُبُ– : «لا تُكَلِّفُوا الأَمَةَ، غَيْـــرَ ذَاتِ الـــصَّنْعَةِ الْكَسْبَ . فَإِنَّكُمْ مَتَى كَلَّفْتُمُوهَا ذَلِكَ، كَسَبَتْ بِفَرْجِهَا . وَلا تُكَلِّفُوا الصَّغِيرَ الْكَسْبَ. فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَجِدْ سَرَقَ»[٥].

وعن عمرو بن عبسة ﷺ، قال: «لولا أن يُقال فعل أبو نَجيح السلمي لألحقت مـــالي لسبيله، ثم عمدت إلى واد من أودية لبنان فعبدتُ الله عز وجل فيه لما أرى من النقص»[٦].

وعن العرباض بن سارية ﷺ، قال: «لولا أن يقول الناس فعل أبو نجيح فعل أبو نجيح، يعني نفسه»[٧].

«وأفضلُ الناس مَن لم يرتكب سببًا حتى يميز ما تجني عواقـــبُه»[٨].

---

(١) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص١٧٢٤–١٧٢٥؛ نقلاً عن : صاحب (التحرير) وغيره.

(٢) الكرماني، مرجع سابق، ج٢٥، ص٣٩.

(٣) سورة يس، من الآية: ١٢.

(٤) عبد الكريم بكار، **العيش في الزمان الصعب**، (دمشق، دار القلم، ١٤٢٠هـ)، ص١١٥.

(٥) مالك، مرجع سابق، كتاب الاستئذان، باب الأمر بالرفق بالمملوك، ج٢، ص٧٤٧، أثر٤٢.

(٦) ابن أبي عاصم أحمد بن عمرو الضحاك الشيباني، **الآحاد والمثاني**، تحقيق باسم فيصل الجـوابرة، (الريـاض، دار الراية، ١٤١١هـ)، ج٣، ص٣٨، أثر١٣٢٥.

(٧) ابن سعد، مرجع سابق، ج٤، ص٢٧٦.

(٨) ابن الجوزي، **ذم الهوى**، مرجع سابق، ص٢٠؛ نسبه لبعض الحكماء.

فالرسول ﷺ كان يدرك نتائج الأفعال، فيترك أمورًا فاضلة؛ لما فيها من نتائج سلبية، وأتسى به أصحابه ﷺ، فيجب على المسلم وعلى الداعية بخاصة أن يجتنب كل ما قد يكون سببًا في جلب شر على المسلمين أو الدعوة الإسلامية؛ وهذا يجعله يتبصر في نتائج أفعاله قبل الإقدام عليها، قال السعدي: «من الحزم إذا أراد العبد فعلاً من الأفعال أن ينظر إليه من جميع نواحيه ويقدر كل احتمال ممكن»[1] أ.هـ، ويَستخدم أساليب استشراف المستقبل - وبخاصة الشورى المتميزة- إذا لم تترجح له الحال. فعند قيامه بأي خطوة ينبغي له أنْ ينظر إلى ما يُتوقع من النتائج المترتبة عليها، فإن كانت خيرًا أقدم، وإن كانت شرًّا أحجم، وإن كانت عاقبتها خيرًا شرعًا ولكن يلحقه أذىً لا يصبر عليه أحجم كذلك، وإن كان يلحقه أذى يطيقه ويصبر عليه أقدم، كما أقدم الغلام المؤمن فأَرشَدَ الـمَلِكَ إلى طريقة يقتله بها بعد أن عجز عن قتله؛ لِمَا تَوَقَّعَ الغلامُ من النتائج الإيجابية في قتله بالكيفية التي شرحها للملك؛ فدخل الناس في دين الله أفواجًا[2] .

المطلب السادس: تمحيص الرأي، والإفادة من أهل الاختصاص :

إنَّ ما يجهله الإنسان -وإن كان أعلم أهل عصره- أكثر مما يعلمه؛ ولذلك يخطئ كثيرًا، ويتعثَّر كثيرًا، ولو انكشفت للإنسان حقائق الحياة، وبواطن الأمور وعواقبها، لتغير حكمه كثيرًا، ونَقَضَ ما أبرم، وتثبت أنه لا ثقة بأحكامه وأقضيته، وميوله وانطباعاته. وهذه حقيقة قررها الله عز وجل في تأديبه موسى عليه السلام، عندما«قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ : أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ فَقَالَ: أَنَا . فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : بَلَى، لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ »[3]. وتبدأ رحلته مع الرجل الذي آتاه الله من عنده رحمة، وعلمه من لدنه علمـًا، فيصطدم علمه وفهمه بالحقيقة الراهنة، ويتعارض حكمه ورأيه واتجاهه مع واقع الأمر الذي يجهله، ثلاث مرات، ثم يتجلى له أنَّ الخضر كان مصيبًا محسنًا،

---

(١) السعدي، **المجموعة الكاملة لمؤلفاته**، مرجع سابق،ج٥، م١، ص١١٧.

(٢) تنظر قصته كاملة: مسلم، مرجع سابق، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود، ج٤، ص٢٢٩٩، ح٣٠٠٥؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البروج، ج٥، ص٤٠٧، ح٣٣٤٠.

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، ج٤، ص١٥٤، ح٣٤٠١؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، ج٤، ص١٨٤٧، ح٢٣٨٠.

حكيمًا في تصرفاته الثلاثة، وأنه لم يكن مسيئًا في موضع إحسان، ولا محسنًا في موضع إساءة(١).

«وما أكثر ألغاز الحياة، وما أجرأ الإنسان في ادِّعائه أنَّه أحاط بكل شيء علمًا، ووصل إلى الحقيقة في كل قضية!! ما أبعد الخَضِر عن الصواب، وسبيل الرشاد في أوائل الأمور، وما أقربه إليه وما أرشده في عواقب الأمور!! لقد تحقق أنَّ هذه الحياة لا تزال تطلع بكل جديد، وتهجم بكل غريب، وتحقق أنَّ العلم البشري لم ينته إلى الحد الأخير، ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾(٢)»(٣).

وطريقة الدراسات المستقبلية تُبرِز أن الرأي الفردي يعتوره الضعف، وأن صاحبه عُرضةٌ للخطأ ولو كان من أعلم الناس؛ ولذلك هي تُعنى بالرأي الجمعي؛ فينبغي أن يُقِرَّ الإنسان بأن رأيه صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيره خطأ يحتمل الصواب، فلا يتبرم من جولات استطلاع الرأي التي يجريها المختصون في الدراسات المستقبلية، بل يحاول أن يجعل منها أداة لتمحيص رأيه، وأن يتجرد للحق في ذلك، ويتعاون ويتلاين للوصول إليه؛ فيستفيد ويُفيد غيره.

المطلب السابع : حث الطلاب على الأخذ عن العالم المتمكن قبل موته :

من النظر المستقبلي للعالم المتمكن: أن يحث طلابه على الأخذ عنه، قبل ارتحاله، فإن تذكيرهم بذلك يُحْدِث عندهم مزيدًا من الرغبة والحرص على التعلم والفهم، عن جابر ﷺ قال : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ . فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»(٤). وفي الحديث "حثهم على الاعتناء بالأخذ عنه، وانتهاز الفرصة من ملازمته، وتعلم أمور الدين"(٥).

---

(١) أبو الحسن الندوي، **الصراع بين الإيمان والمادية: تأملات في سورة الكهف**، مرجع سابق، ص ٩٣-٩٦.

(٢) سورة يوسف، من الآية: ٧٦.

(٣) أبو الحسن الندوي، **الصراع بين الإيمان والمادية: تأملات في سورة الكهف**، مرجع سابق، ص ٩٨.

(٤) مسلم، مرجع سابق، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبًا، ج٢، ص٩٤٣، ح١٢٩٧؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب مناسك الحج، باب الركوب إلى الجمار واستظلال المحرم، ج٥، ص٢٩٨، ح٣٠٦٢؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب المناسك، باب في رمي الجمار، ج٢، ص٤٩٥، ح١٩٧٠؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب المناسك، باب الوقوف بجمع، ج٢، ص١٠٠٦، ح٣٠٢٣.

(٥) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص٩٨٦.

وعَنْ أَبي أُمَامَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «خُذُوا الْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ. قَالُوا: وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَفِينَا كِتَابُ اللَّهِ؟ قَالَ فَغَضِبَ، ثُمَّ قَالَ: ثَكِلَتْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ أَوَلَمْ تَكُنِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمْ شَيْئًا؟ إِنَّ ذَهَابَ الْعِلْمِ أَنْ يَذْهَبَ حَمَلَتُهُ، إِنَّ ذَهَابَ الْعِلْمِ أَنْ يَذْهَبَ حَمَلَتُهُ»[(١)].

وكان أبو الدرداء ﷺ يقول: «سلوني فوالله لئن فقدتموني لتفقدن رجلاً عظيمًا من أمة محمد ﷺ»[(٢)]. وقال ﷺ: «ما لي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون؟! تعلموا قبل أن يرفع العلم، فإن رفع العلم ذهاب العلماء»[(٣)].

ولما قدم عليٌّ ﷺ الكوفة قام خطيبًا، وكان مما قال: «سلوني قبل أن تفقدوني، فإني عن قليل مقتول»[(٤)].

وقد فطن لهذا عروة بن الزبير -ولا غرو فهو أحد الفقهاء السبعة- فحرص على الأخذ عن العلماء قبل وفاقم، فلم يلهه الأمل، و لم يُسوِّف، قال: «لقد رأيتني قبل موت عائشة بأربع حجج وأنا أقول لو ماتت اليوم ما ندمت على حديث عندها إلا وقد وعيته ولقد كان يبلغني عن الصحابي الحديث فآتيه فأجده قد قال فأجلس على بابه ثم أسأله عنه»[(٥)].

وعن أبي العالية قال: «سألت ابن عباس -رضي الله عنهما- عن شيء فقال: يا أبا العالية، أتريد أن تكون مفتيًا؟ فقلت: لا، ولكن لا آمن أن تذهبوا ونبقى. فقال: صدق أبو العالية»[(٦)].

---

(١) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٣٦، ص٦٢١، ح٢٢٢٩٠؛ والدارمي، مرجع سابق، كتاب المقدمة، باب في ذهاب العلم، ج١، ص٣٠٩، أثر٢٤٦؛ وحسنه محقق الدارمي لشواهده، حاشية٣.

(٢) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٤٢.

(٣) الدارمي، مرجع سابق، كتاب المقدمة، باب في ذهاب العلم، ج١، ص٣١٢، أثر٢٥١؛ وضعفه المحقق، لكن رواه ابن عبد البر من طريق آخر، **جامع بيان العلم وفضله**، مرجع سابق، ج١، ص٦٠٢، أثر١٠٣٦؛ وصححها محقق الدارمي، وقال محقق ابن عبد البر: "إسناده لا بأس به".

(٤) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، (بيروت، دار صادر، ودار بيروت، ١٣٧٩هـ)، ج٢، ص١٩٣.

(٥) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج٤، ص٤٢٤.

(٦) الدارمي، مرجع سابق، كتاب المقدمة، باب البلاغ عن رسول الله ﷺ وتعليم السنن، ج١، ص٤٥٧، أثر٥٦٣؛ وقال المحقق: "إسناده صحيح"، حاشية١.

فينبغي على طالب العلم اهتبال العالم، والتضلع من علمه، والمجاهدة في ملازمته؛ حتى يكون من العدول؛ فإنَّ هذا العلم يحمله من كل خَلَف عدوله .

المطلب الثامن : العناية بتخير العلم النافع، والعناية بالحفظ :

من النظر المستقبلي لطالب العلم والداعية : «أن يختار من كل علم أحسنه، وما يَحتاج إليه في أمر دينه في الحال، ثم ما يحتاج إليه في المآل»[١]؛ فالعلم بحر واسع، لا ساحل له، لكن الفطن يختار ما ينفعه في حاضره، وما يتوقع أنه يحتاج إليه في مستقبله، حسب هدفه الذي يطمح إليه، من تخصص وتبحر في نوع معين من العلم، أو علم من الدين يحتاجه لحرفة ينوي احترافها في مستقبله.

ومن النظر المستقبلي للداعية أن يعنى في مرحلة الطلب بحفظ الكتاب والسنة وما يستطيع من المتون العلمية؛ لأنها هي التي تبقى معه، وقد اهتم العلماء قديمًا وحديثًا بذلك، قال ابن الجوزي: «فليس العلم إلا ما حصل بالحفظ»[٢]. وقال ابن عثيمين: «قرأنا كثيرًا فلم يبق معنا إلا ما حفظنا»[٣]، فالحفظ مهم في حق الداعية؛ فإنه قد يُعنى بالجانب الثقافي والوسائل، ويُهمل جانب الحفظ، وبخاصة مع إغراءات تيسر الوصول إلى النصوص بسرعة فائقة؛ «فاحفظ فكل حافظ إمام»[٤].

وينبغي على الداعية أن يجتنب برامج الحفظ المركزة، كحفظ القرآن كاملاً في شهر وحفظ الصحيحين في مثل ذلك؛ قال الزهري: «من طلب العلم جملة فاته جملة وإنما يدرك العلم حديث وحديثان»[٥]. وقال أيضًا: «إن هذا العلم إن أخذته بالمكابرة له غلبك، ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذًا رفيقًا تظفر به»[٦]. وقال ابن الجوزي: «ولقد تأملت على المتفقهة أنهم يعيدون الدرس مرتين أو ثلاثًا، فإذا مر على أحدهم يومان نسي ذلك، وإذا

---

(١) الزرنوجي، مرجع سابق، ص٤٠.

(٢) ابن الجوزي، **الحث على حفظ العلم**، مرجع سابق، ص١٣.

(٣) محمد بن صالح المنجد، "١٠٠ فائدة من العلامة الشيخ ابن عثيمين"، شريط سمعي .

(٤) محمد بن علي بن محمد الرحبي، **متن الرحبية في علم المواريث والفرائض**، (القاهرة، مكتبة القاهرة، د.ت)، ص٤ .

(٥) الخطيب البغدادي، **الجامع لأخلاق الرواي وآداب السامع**، مرجع سابق، ج١، ص١٦٦.

(٦) المرجع نفسه ؛ وينظر : ابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، مرجع سابق، ج١، ص٤٣١، أثر٦٥٢، ٦٥٣.

افتقر إلى شيء من تلك المسألة في المناظرة لم يقدر على ذلك، فذهب زمان الأول نايـــعًا، ويحتاج أن يبتدئ الحفظ لما تعب فيه أولاً، والسبب أنه لم يحكمه»[١].

المطلب التاسع : الاهتمام ببيئة تعليم الداعية:

تُعنى الدورات التدريبية العسكرية بتدريب القوات في بيئة مشابهة للبيئة التي يتوقعون أنهم سيخوضون حربًا فيها، من حيث تضاريسها ومناخها وبيئتها؛ وهذا عامل رئيس في نجاحها عند خوضها الحروب؛ لذا من المهم أن يكون تعليم الدعاة وتدريبهم في بيئات تشابه بيئاتهم التي سينتقلون إليها في مرحلة الدعوة، وقد حَدَثَ أنَّ كثيرًا من الطلاب الذين أتوا من بلاد فقيرة متواضعة، وتعلموا في بلاد غنية، فيها كثير من وسائل الراحة، أنَّ الكسل وحب الراحة أصبح طبعًا فيهم، حتى إذا عادوا لم يكن لديهم الاستعداد لمفارقة تلك الحياة، وخلدوا إلى الراحة[٢]، وقد فطن لهذا بعض المؤسسات التي تُقَدِّم المنح للطلاب المسلمين، لمواصلة تعليمهم، فأخذت تبعثهم إلى بيئات يتعلمون فيها، تكون قريبة الشبه ببيئتهم الأصلية؛ رجاء أن يعودوا إلى بلادهم بصورة أحسن من سابقيهم؛ وهو عمل جيد إذا توافر في أماكن تعليمهم علماء أكفاء. ويَقترح الباحث أن تُعنى الجامعات أيضًا بتدريس الطلاب المسلمين في بلدانهم، بابتعاث الأساتذة والمربين إليها، بصورة لا تشق على المعلِّمين، كأن يكون الابتعاث لفصل دراسي واحد أو أقل، ثم يُبتعث آخر مكانه، وهكذا؛ حتى يستمر التعليم ولا ينقطع.

المطلب العاشر : التعرف على البيئة الدعوية عن كثب:

يُنمِّي النظرُ المستقبلي لدى الداعية الحرص على التعرف على البيئة التي سيمارس فيهـــا عملية الدعوة، وفي تخيره الأساليب والوسائل المناسبة، فعندما يريـــد الداعيـــة -ذو النظـــر المستقبلي- أن يتوجه للدعوة في بيئة، أو بلد جديد عليه، تجده يتعرف على البلد قبل انتقاله إليها، ويجمع المعلومات المتنوعة عنها، ويقابل في بلده من يستطيع من أهلها، أو يتصل بهم؛ حتى يذهب وهو على بصيرة بواقع البيئة الدعوية؛ مما يؤدي إلى نجاح دعوتـــه، وتحقيقهـــا أهدافها.

---

(١) **الحث على حفظ العلم**، مرجع سابق، ص١٢.

(٢) وقف الباحث على بعض هذه الحالات في بعض البلدان الإفريقية.

المبحث الثالث

أهمية المشاهد المستقبلية للداعية

يمر بناء المشاهد عبر مرحلة من التأمل البنَّاء، وليست المشاهد من قبيل الأماني وأحـــلام اليقظة . و«التأمل - كما يعرفه بعض علماء النفس-: هو الدرجة العليا من درجات الفكر الإنساني... وأما أحلامُ اليقظة فهي حالة من حالات التخلي وملجأ يلجأ إليه الضعفاء»(١)، و«هي رؤوس أموال المفاليس . بها يقطعون أوقاتهم، ويلتذون بها كالتذاذ مـــن زال عقلـــه بالمسكر، أو بالخيالات الباطلة»(٢).

فبناء المشاهد عملية بَنَّاءة، وليست أماني . واستحضار الداعية للمشاهد المستقبلية لـــه فوائد مهمة، وكثيرة، والمطالب الآتية تُعدُّ أمثلة لها :

المطلب الأول : التعرف على الإمكانات والبدائل :

إنَّ استحضار الداعية المشاهدَ المستقبلية لعملية الدعوة التي سيقوم بها، يُعِينه في التعرف على الإمكانات المتاحة له، وما هو صالح منها، وما يحتاج منها إلى تكميل، كما يتعرف على البدائل المختلفة ليختار الأصلح منها.

يـــتجلى هذا في موقـــف موسى عليه السلام حين أَمَـــرَهُ الله عز وجل بدعوة فرعون: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾(٣)، فطلب موسى عليه السلام عددًا من الأمور، مما يدل على أنه استحضر مشهد دعوة فرعون، وبعض احتمالات الموقف، وتَعرَّفَ موسى عليه السلام على الإمكانات المتاحة له، ونواقصها؛ فكانت طلباته بناء على ما استحضره، ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴾(٤)، فعملية الدعوة تحتاج إلى وعي للوحي، واجتراء

---

(١) مأمون حـــمّوش، **الأمراض النفسية وعوامل الشد إلى الخلف**، (دمشق، دار المأمون، ١٤٢٤هـــ)، ص١٦٤.

(٢) ابن القيم، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج٣، ص٩٤.

(٣) سورة طه، الآية: ٢٤.

(٤) سورة طه، الآيتان: ٢٥-٢٦.

على خطاب فرعون الطاغية، وهذا يتطلب شرح الصدر؛ فلذلك طلبه موسى عليه السلام، وطلب أن يسهل الله له القيام بذلك[1]، وهذه الوسيلة الأولى التي أراد موسى عليه السلام الحصول عليها في دعوته، وهي القوة الباطنة القلبية، ثم طلب تكميل وسيلة ثانية، تتعلق بالقوة الظاهرة المتصلة، ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾[2]، وطلب وسيلة ثالثة تتعلق بالقوة الظاهرة المنفصلة، ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾[3]، فأعطاه الله ما طلب، ﴿ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[4]، وزاده سبحانه وسيلة رابعة: آيات بينات من معجزات الرسل، ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴾[5].

وجاءت هذه القصة في سياق آخر تؤكِّد أنَّ موسى عليه السلام استحضر مشهدًا أو أكثر في دعوة فرعون، قال تعالى:﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ۝١٣ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ۝١٤ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ۝١٥ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾[6].

إنَّ تَعرُّفَ الداعية والقيادة الدعوية على الإمكانات المتاحة، واستحضارهم للخيارات والبدائل المختلفة مهم في نجاح الدعوة، والرقي بها إلى الأحسن، ويُعدُّ أسلوب المشاهد من الأساليب المهمة للكشف عن هذه الأمور.

---

(١) ينظر: الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٨، ص ٢٩٩.

(٢) سورة طه، الآيتان: ٢٧-٢٨.

(٣) سورة طه، الآيات: ٢٩-٣٢.

(٤) سورة طه، الآية: ٣٦.

(٥) سورة طه، الآية: ٤٢.

(٦) سورة الشعراء، الآيات: ١٠-١٧ .

المطلب الثاني : الإسهام في تحسين أداء الداعية :

يُعدُّ استحضار مشهد ما يريد الداعي فعله -ولو في دقائق- من أفضل الأمور في تحسين أدائه؛ لأنه يحقق له عددًا من الأمور الإيجابية، أهمها ما يأتي:

١- يَكتسب باستحضار المشهد، وتكراره، ممارسة متكررة ناجحة تعزز لديه الثقة بالنفس.

٢- يُخفف لديه القلق والاضطراب؛ لأنَّ استحضار المشهد يجعله يفكر فيما يريد عمله، لا فيما لا يريد؛ وهذا يُذهب عنه التفكير في الشكوك والمخاوف.

٣- استحضار المشهد يرفع من مستوى الأداء، بالتعريف ببيئة العمل؛ حتى لا تكون عامل تشتيت للشخص.

٤- من يستحضر المشهد يكتسب قوة في التركيز، ويصبح هدفه واضحًا[١].

وهناك عشرات القصص لأشخاص حققوا النجاح عندما استحضروا المشهد بشكل صحيح[٢]، وهنا مثال[٣] يصلح لاستخدام الدعاة المبتدئين، أو مَن هُمْ تحت الإعداد والتمرين، فإذا ما طُلِب من أحدهم إلقاء خطبة أو كلمة أمام جمع من الناس، وساوره القلق والخوف من الوقوف في هذا الموقف، مع أنه محضِّرٌ موضوعه، ومستعدٌ لإلقائه، لكنه لم يسبق له أن واجه الجماهير، فمِثل هذا يُنصح أن يقوم باستحضار مشهد إلقاء الخطبة يوميًّا، في نحو أسبوعين، ويستحضر في المشهد شكل المكان الذي سيُلقي فيه خطبته، وكيفية دخوله ومشيه إليه، ومكان وقوفه، ويستحضر نظراته وهو يُصوبها نحو المستمعين، ونظراتهم إليه، وإنصاتهم له، وكيفية بداية خطبته بجمل بطيئة الإيقاع، وصوت واضح، ثم ارتفاع نبرات صوته، وانخفاضها، ويستحضر كيف وصل إلى قلوب المستمعين وعقولهم، بطريقة تتميز بالتنظيم والتشويق، ويستحضر كيف أنهى خطبته بطريقة فاعلة ومؤثِّرة، كل ذلك يُستحضر لمدة عشر دقائق كل ليلة طيلة الأسبوعين؛ فإذا ما ألقى خطبته الحقيقية

---

(١) النقاط الأربع جميعها: هورن، مرجع سابق، ص٨٢.

(٢) المرجع نفسه، ص٨٥.

(٣) نفسه، ص٨٦-٨٧؛ ذكر المؤلف المثال لشخص حقيقي، طُلب منه أن يلقي كلمة في جمعية المعلمين، بحضور نحو خمسمئة شخص، وقد أفاد الباحثُ من المثالَ لصالح الدعوة. وينظر : محمد حمدي حجار، **العلاج النفسي الذاتي بقوة التخيل**، (الرياض، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ١٤١٠هـ)، ص١٠٤-١٠٥.

فسيشعر وكأنه قد خطب مئة خطبة قبل ذلك، وصار لديه ثقة بالنفس، فألقى الخطبة كما أرادها بالفعل .

وإذا كان السياسيون والمحامون يستخدمون شيئًا من هذه الطريقة[١]، فالداعية أولى باستخدامها؛ ليقدِّم دعوته بصورة أكثر نجاحًا، عن عبد الجبَّارِ بن الوَرْدِ قال : سمعت ابن أبي مُلَيْكَةَ يقول : قال عُبيد اللَّه بن أَبي يزيدَ : «مَرَّ بنا أبو لُبَابَةَ فَاتَّبعناه حتى دخل بيته، فدخلنا عليه، فإذا رَجل رَثٌّ البيت رَثٌّ الهيئة، فسمعته يقول: سمعت رسول اللَّهِ ﷺ يقول : «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ» قال: فقلت لابن أَبي مُليكةَ : يا أبا محمد، أرأيت إذا لم يكن حَسَنَ الصوت؟ قال: يُحَسِّنُه ما استطاع»[٢].

المطلب الثالث : التعرف على العيوب البيانية وإصلاحها، والتهيؤ للمواقف المفاجئة؛ لتنجح الدعوة، ويَسلم الداعية :

تُعدُّ قوة البيان، وفصاحة اللسان من الصفات المهمة للداعية، وضعفهما عيب على الدعوة وأهلها؛ فإن مدار الدعوة على البيان والتبيين، والإفهام والتفهيم[٣].

واستحضار المشهد بصورة جهرية، يُفيد الداعية والخطيب في التعرف على العيوب البيانية، وإصلاحها، كالتمتمة[٤]، والفأفأة[٥]، واللفف[٦]، والحُبْسَة[٧]، وكلها عيوب يرى محمد أبو زهرة: أنه يمكن معالجتها بالإرادة والرياضة البيانية[٨].

---

(١) ديماس، مرجع سابق، ص٢٦.

(٢) أبو داود، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة، ج٢، ص١٥٦، ح١٤٧١؛ والحديث متفق عليه : البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : (وأسروا قولكم أو اجهروا به)، ج٨، ص٢٦٢، ح٧٥٢٧؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ج١، ص٥٤٥، ح٧٩٢.

(٣) محفوظ، مرجع سابق، ص١١٠.

(٤) هي: "ردُّ الكلام إلى التاء والميم". (الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١٤٠٠، مادة: (تم)).

(٥) هي: ترديد الفاء وإكثارها في الكلام. (المرجع نفسه، ص٦٠، مادة: (فأفأ)).

(٦) هو: بُطؤ الكلام، إذا تكلم صاحبه ملأ لسانُه فمَه. (نفسه، ص١١٠٣، مادة: (لفَّهُ)).

(٧) هي: "تعذر الكلام عند إرادته" . (نفسه، ص٦٩٢، مادة: (حبس)).

(٨) **الخطابة: أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب**، ط٢، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٠م)، ص٦٣.

كما يفيد استحضار المشاهد بأن يكون المتحدِّث متهيئًا لكل ما قد يطرأ ويقطع عليه دعوته أو خطبته، فيحصل له رتج[1] أو حصر[2]، و"قد يعتري الحَصَر الخطيب فيبرد جسمه، وتخور قوته، ويتصبب عرقه، ويدور رأسه، وتطن أذنه، ويشحب لونه، وتسرع ضربات قلبه، وربما يعتريه الحصر حين يعتلي المنبر، وربما يصيبه وهو يخطب، لحادث يعرض من السامعين، أو لوهم يتوهمه... وقد يَحْصَر الخطيب مرة فيهجر من بعدها المنابر، ويخجل من لقاء الجماهير"[3]؛ ولذلك فإنَّ الحصيف ذا النظر المستقبلي هو من يملك أساليب الخروج بسرعة من هذه المواقف، ويكون مستحضرًا للتصرف الصحيح لعدد من المواقف التي يمكن أن تحدث، فيعالجها بحكمة وثقة، فلا تَقطع عليه عمله؛ "ولقد يكون سداد الخطيب في الرد على مقاطع أو معارض أقوى تأثيرًا في نفوس السامعين من الخطبة كلها"[4] . وفي هذا الشأن تُعقد دورات مختصة لمثل هذه المواقف يحسن بالداعية والخطيب أن يحضرها، ويُفيد منها.

ويحتاج الحوار والمناظرة إلى تهيؤ واستعداد أكثر من غيرها، فينبغي للداعي عند إرادة الدخول في حوار مع الآخرين أن يضع في خُلْده بعض المواقف والاعتراضات المحتملة، و"المفاجآت المتوقعة من قِبل خصومه في الحوار، ومعارضيه في الرأي.. فإن لم يكن متهيئًا للموقف، ومستعدًّا لمواجهة أي احتمال.. فسوف يقع على الأغلب في الحرج والارتباك.. بل ربما يصاب بصدمة نفسية تسبب له عقدة اليأس، وروح الانهزام.. فيقعد مع اليائسين المنهزمين"[5].

وإذا دُعي الداعية للمشاركة في أحد برامج الإعلام، فمن المهم أنْ يَطلب بعض ما سبق نشره وعَرْضه من هذا البرنامج، ويسأل عنه وعن طريقة القائم عليه، ليدخل في مشاركته

---

(١) رَتِجَ : "استغلق عليه الكلام" . (الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص٢٤٣، مادة: (رَتَج))؛ "وأُرتِجَ على فلان إذا أراد قولاً وشعرًا فلم يصل إلى تمامه". (الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ط٢، (بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٦م)، ج٦، ص٩١).

(٢) حَصِرَ: "أي عَيَّ فلم يقدر على الكلام". (الفراهيدي، المرجع نفسه، ج٣، ص١١٣).

(٣) أحمد محمد الحوفي، **فن الخطابة**، ط٤، (د.م، دار الفكر العربي، د.ت)، ص١٤، ١٥.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٣.

(٥) عبد الله ناصح علوان، **سلسلة مدرسة الدعاة: فصول هادفة في فقه الدعوة والداعية**، (القاهرة، دار السلام، ١٤١٨هـ)، ج١، ص٥٠٤.

على بينة وتهيؤ لما قد يطلب منه أثناء البرنامج، أو يعتذر عن المشاركة إذا رأى أنه قد لا ينجح في البرنامج . وقد كان لغياب هذا النظر أثر سلبي على بعض من اشتركوا في بعض برامج القنوات الفضائية؛ فظهروا بصورة لا تُحمد، وانطلى زيغ الباطل على الحق، وبلغت هذه الظاهرة حدًّا دعا إلى تكوين لجان رسمية، وعقد اجتماعات؛ لعلاج هذه الظاهرة، وإيجاد الحلول المناسبة.

وإذا أراد الداعي أن يتوجه إلى دعوة قوم أو شخص، فإنَّه ينبغي عليه أن يكون لديه مشهدًا متفائلاً باستجابتهم، وقبولهم دعوته، ويكون هذا المشهد هو المرجح عنده[1]، وفي مقابله يكون لديه مشهدًا يَتَوقع فيه أنه سيلاقي صدودًا منهم، وإعراضًا عن دعوته، وربما ألحقوا به الأذى؛ فإذا استحضر هذه الاحتمالات، فإن معاناته عند وقوع الاحتمالات السلبية ستكون أقل مما لو خاض الدعوة بالمشهد الإيجابي فقط؛ فهو بذلك يحمي نفسه من قدر كبير من الإحباط، ويجعل عقله يُسلِّم بحدوث هذه المشكلات المتوقعة، ويتصرف بشيء من الاتزان الدعوي؛ فالتوقع المتعدد يُسهم في حماية الداعية من الشعور بالإحباط، ويجعله يتهيأ لتحمُّل المشاق، والصبر عليها . يقول حجار: إذا استحضر الرجل في نفسه إمكانية حدوث بعض الاحتمالات؛ فإنه يحمي نفسه مِن قدر كبير مِن الإصابة بالاكتئاب[2]، ويقول: إنَّ كثيرًا من الاضطرابات النفسية المشاهدة تكون بسبب توجيه الإنسان مشاعرَه تجاه رغبة واحدة، يجعلها محور حياته، من غير أن يكون له رغبات بديلة في حال فشله في تحقيق رغبته الأساس[3]. ويقول الغنيمان : لابد لمن يريد أن يترسم خطى النبي ﷺ وأصحابه ﷺ[4] «بنشر رسالة الحق بين الخلق، والوقوف في وجه الباطل والشر والفساد، أن يهيئ نفسه لتحمل المكاره، والصبر على ما يناله في سبيل الله كما صبر المؤمنون على البلايا والمحن»[5].

---

(١) لأن "النظرة التفاؤلية تساعد الأفراد في التركيز على التوقعات الأدائية الإيجابية". (عبد اللطيف وحمادة، في "العلوم الاجتماعية"، مرجع سابق: العدد ١، (ربيع ١٩٩٨م)، ص٨٨).

(٢) مرجع سابق، ص٢٣١.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٣٧.

(٤) **لا يصلح هذه الأمة إلا ما أصلح أولها**، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٥) المرجع نفسه .

المطلب الرابع : الإفادة من المشاهد في الوعظ :

هناك أمور بدهية من مَشاهد المستقبل تصلح أن تكون مادة وعظية، ومِن المفيد أن يستخدمها الداعية، ومن ذلك: لفت أنظار الشباب إلى حال الشيوخ الذين يشاهدونهم صباح مساء ممن ابتلاهم الله بأنواع من الأمراض فأقعدهم عن القيام في صلاتهم، أو منعتهم عن الصيام الفرض والتطوع. ويحثهم على تدارك أيام شبابهم، وما بقي من قوتهم وصحتهم بالاجتهاد في العبادات، قبل أن يحل بهم ما حل بغيرهم.

فاستحضار المشاهد المستقبلية يُسهم في تعزيز تفكر المرء بحاله، وتعزيز الاتعاظ والعبرة بالآخرين، فإذا كان لدى المرء تقصيرًا في بعض الجوانب العبادية أو ارتكابًا لبعض المخالفات الشرعية، وهو يسوِّف التوبة ويؤجلها، فإنَّ استحضاره لبعض المشاهد المستقبلية يُسهم في تعزيز التفكر لديه بحاله، وبخاصة إذا شاهد مِن المُسنِّين مَن هو في مثل حاله من المعصية وعلى سيرته، ومِن هؤلاء المسنين مَن كان يسوف التوبة ويؤجلها فهل أفادهم التأجيل ؟ أم جعل الأمور لديهم عادة مستحكمة لا يقدرون على مفارقتها وقد ضعفت عزيمتهم ؟

وقد أصبحت المشاهد بعامة، والمشاهد المستقبلية بخاصة، أسلوبًا علاجيًّا ووقائيًّا فاعلاً، يستخدمه الأطباء النفسيون، لعلاج كثير من الأمراض العضوية والنفسية، والانحرافات السلوكية؛ وأورَدَ حجّار[1] كثيرًا من الوقائع والعلاجات الناجحة التي أجراها هو أو غيره، مستخدمين فيها أسلوب المشاهد، مثل : علاج الميول الانتحارية، والاكتئاب والقلق، والرهاب الاجتماعي، وإدمان التدخين، وبعض الانحرافات الجنسية، والعادات الاجتماعية السيئة.

وبعض هذه الأمثلة التي يُستخدم فيها أسلوب المشاهد في المعالجة، تعد مدخلاً وعظيًّا جيدًا، بإمكان الداعية -إذا تعلمه وأجاد استخدامه- أن يستثمره في الدعوة، ويؤثِّر من خلاله، كما فعل النبي ﷺ مع الفتى الذي استأذنه في الزنى، فَقَالَ له النبي ﷺ: «ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّه، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ:

---

(١) مرجع سابق، ص٢٣٧.

وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّه، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ : لا وَاللَّه، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّه، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْه، وَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ قال: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ»[1]. يرى عدد من الباحثين[2] أن الرسول ﷺ استخدم أسلوب (الحوار الهادئ) مع الفتى للوصول إلى إقناعه، لكن الباحث يرى أنَّ الرسول ﷺ زاد على ذلك باستخدام أسلوب المشاهد -بصورة مختصرة بليغة، وبصيغة استفهامية- لوعظ الفتى، وتنفيره من هذه المعصية، مع الدعاء له.

المطلب الخامس : تصحيح صور الناس السلبية عن المستقبل :

لما كانت الأمة ترى نفسها مسؤولة عن إقامة الحق والعدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، كان لها تاريخ مجيد في الجهاد والتجديد، والبطولات والمغامرات. بينما لَّما قعدت الأمم والطوائف -الإسلامية وغيرها- تنتظر قوة غيبية، أو نبيًا جديدًا، وتمسكت[3] «بمثل هذه العقائد، لم تعتبر نفسها مسؤولة ولا مكلفة لمحاربة الباطل وقوى الشر، وإقامة الحق والعدل، وعاشت في عالم الخيال والأماني والأحلام قرونًا طويلة، واستسلمت للأوضاع الفاسدة، وأخلدت إلى الدعة والراحة والتواكل، وضعفت في تاريخها حركة الإصلاح والتجديد، وخفتت أصوات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويحار المتتبع لتاريخها في فهم السر في هذا الفراغ الذي لا يحمل على مجرد مصادفة، ويعجز عن تعليله، وما ذلك إلا لاعتماد هذه الطائفة الاعتماد الزائد على شخصية غامضة مقدسة... وستفاجئ العالم بظهورها في وقت مناسب، وتقلب الأوضاع»[4].

ففي أذهان الناس صور عن المستقبل، وهي تؤثِّر على تصرفاتهم في أفعالهم الحاضرة؛ فمن المهم إذن أن تصحح الصور السلبية نحو المستقبل؛ حتى لا تؤثر على الحاضر، مثال ذلك: أنه عند تعرض المسلمين لأزمات ومضايقات بسبب دينهم، تنشأ عند بعض الناس

---

(١) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٣٦، ص٥٤٥، ح٢٢٢١١؛ وصحح إسناده محققو هذا الجزء.

(٢) منهم : جبار، مرجع سابق، ص١٠٠؛ وديماس، مرجع سابق، ص٦١.

(٣) أبو الحسن الندوي، **النبوة والأنبياء في ضوء القرآن**، مرجع سابق، ص١٥٠.

(٤) المرجع نفسه، ص١٥٠-١٥١.

صور سلبية تجاه المستقبل، فيرون أنه لا مخرج للمسلمين من أزمتهم إلا بظهور المهدي، ونزول عيسى عليه السلام؛ فيتركون العمل للمستقبل والإعداد له، ويعلقون الآمال على الأماني، وكانت هذه الصور المستقبلية سلبية في حقهم، فإذا صحح الداعية هذه الصورة إلى صور إيجابية، وعززها بذكر عدد من المشاهد الإيجابية التي يمكن للمسلمين أن يعملوا فيها، استطاع أن يستنهض الروح المعنوية، وأن ينقل أمة يائسة أو حالمة إلى أمة عاملة بإذن الله.

المطلب السادس : اكتساب مقدرة نوعية في تحقيق الأهداف، ونبذ اليأس :

المستقبل ليس مشهدًا واحدًا حتميًّا، بل هو عدة مشاهد محتملة وممكنة، واستيعاب الداعية هذا المبدأ من مبادئ الدراسات المستقبلية يمنحه المرونة في التغيير، وعدم تقبّل الواقع على ما هو عليه وكأن الإنسان مشلول الحركة: فإنّ المرء يُحِسُّ تارة أمام بعض القضايا الحاضرة بالحيرة، ويشعر بأنه مكتوف الأيدي والأرجل لا يستطيع حراكاً تجاهها، ويَظْهَر - والله أعلم- أن السبب في ذلك أنه قـيَّد نفسه وحاصرها بالزمان الحاضر وحدوده الضيقة، مستحضِرًا مَشهدًا وحيدًا، ثم عاد إلى الزمان الماضي بكل ما فيه، يأخذ منه ما يزيد قعوده ويشد وثاقه ويقيد حركته، فيقول: قد أصاب هذا من قبلنا فصبروا ! وهذان الأمران — أي معرفة الحاضر وأخذ دروس الماضي — وإن كان فيهما كثير من الصواب إلا أنهما لا يحلان المشكلة كما ينبغي، فما لم نتعد حدود الزمانين ونخترق حجب المستقبل، لا رجمًا به، ولكن بأدلة الزمانين، وغيرها من الأساليب المشروعة، فإنا لن نستطيع أن نصل إلى الحل الأمثل تجاه القضية.

فاستيعاب الداعي للأزمنة الثلاثة يجعله دائم السعي لا يوقفه شيء، وكلما اعترضه أمر لم يقعد به بل يتجاوزه، متنقلاً من مشهد إلى مشهد؛ ومَن يستعرض سيرة النبي ﷺ - وبخاصة السيرة المكية- يجد أنه ﷺ كثير البحث عن الحلول والمخارج، فتنقَّل من دعوة قوم إلى غيرهم، في مواسم الحج، حتى لما ضاقت به مكة، وكاد ييأس من قبول أهلها دعوتَه، ذهب إلى الطائف وحده، يعرض دعوته في هذا المكان الجديد، ويبحث عمن يقبلها، وينصره؛ ليبلغها؛ فالنظرة المستقبلية -بعد الثقة بالله عزَّ وجل- تَبْنِي في الداعية روح التحدي أمام العوائق والصعوبات، وتجعله يبحث عن أساليب اجتيازها؛ للوصول إلى أهدافه، وهذه صفة من صفات الناجحين والمتميزين، فإنَّهم "لا يخافون الهوة بين أحلامهم وأرض الواقع...

لديهم مقدرة على تحدي الصعاب»[1]، ويجعلون اجتيازها وسيلة للتميز[2]، كما أنهم «لا ينتظرون الفرص ولكن يبحثون عنها، ولا ينتظرون قدوم المستقبل ولكن يستقدمونه»[3].

يقول (كورنيش): «ينزع الناس، بدون معرفتهم أن أمامهم بدائل، إلى قبول تيارات سائدة بوصفها قدرًا جليًا، ولكنهم، بتمييز تطورات ممكنة أخرى، يحرزون حرية الاختيار ويستطيعون تجنب التقبل الخانع لهذه التيارات التي قد تؤدي إلى اتجاه تعيس وحتى كارثي. فبدون التنبؤ بالمستقبل لا تكون ثمة حرية اختيار المستقبل: فهو ببساطة مفروض علينا. ولكننا، بدراسة احتمالات المستقبل، نبدأ ندرك الاحتمالات الجديدة المفتوحة أمامنا، فلا نبقى سجناء وضعنا الحالي»[4].

---

(١) يحيى عبد الحميد إبراهيم، مرجع سابق، ص ٩١-٩٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ٩٢.

(٣) نفسه، ص ٩٤.

(٤) مرجع سابق، ص ٤٢٥.

المبحث الرابع

القدرة على التكيف الإيجابي، والحماية من بعض المواقف السلبية

المطلب الأول : تنمية قُدرة الدعاة على التكيف الإيجابي في الزمن المتغير:

لم يَحْدُث فيما مضى من تاريخ البشرية أن يواجِه المجتمع تغيرات جذرية متتالية، في فترات قصيرة من الزمن، مثل ما حدث في الزمن المعاصر؛ وكان لها تأثيرات عنيفة في العادات والمعتقدات لدى الملايين[١]، «فبينما كان الرجل في الماضي يشب في مجتمع ما وهو يتوقع أن نظام القيم في المجتمع سوف يبقى طوال فترة عمره دون تغير يذكر، فإننا لا نجد اليوم لمثل هذا المبدأ المضمر وجودًا إلا في أشد المجتمعات عزلة وأكثرها تخلـفًا من الناحية التكنولوجية. ومعنى هذا أن اللاثبات والتغير الدائم في البنية قد أصبح سمة غالبة لكل نظم القيم لدى الأفراد والجماعات»[٢].

«إن جانبـًا هامـًا من السلوك الإنساني يتأثر بالانجذاب أو العداء حيال سرعة الحياة التي تفرض على الفرد بواسطة المجتمع أو المجموعة التي يعيش وسطها»[٣]؛ فالتيارات «المتعارضة المتلاطمة التي تولدها موجات التغير هذه تنعكس في عملنا، وحياتنا الأسرية، وسلوكياتنا الجنسية، وأخلاقنا الشخصية، وتظهر تجلياتها في أساليب الحياة»[٤]. ويرى الناسُ الذين عاشوا وعانوا هذه التغييرات الكثيرة، أنَّ الحياة كانت تبدو في نظرهم فوضى، ولكن التغييرات كلها كانت – في الحقيقة – وثيقة الترابط، ولم تكن إلا خطوات نحو تطور مكتمل[٥].

وكلما تسارع التغيير، ووتائر التجديد، ازدادت حاجتنا إلى نوعية عالية من العلماء، والقادة، والدعاة، من ذوي البصيرة؛ لكي تتبين التغيير وتستبقه[٦]. ومن صفات الإنسان

---

(١) توفلر، **صدمة المستقبل**، مرجع سابق، ص٢٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٣١٨.

(٣) نفسه، ص ٤٥.

(٤) توفلر، **بناء حضارة جديدة**، مرجع سابق، ص ٢٤ .

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٠.

(٦) قال نحو هذا الكلام –منذ زمن، في غير الدعاة– (أرجي ميلر) أحد رؤساء شـركة فـورد الأمريكيـة، بـأن المؤسسات في المستقبل ستتميز بعضها عن بعض بشكل أساسي بصفة الناس الذين تستطيع اجتذابهم. (هيتمان، مرجع سابق، ص٢٥٩).

الناجح والمتميز: أنه لا يخاف من التغيير والتطوير بل يعتبر ذلك من عوامل النجاح والتفوق والتقدم(١).

وفي ظل سرعة التغيرات التقنية التي تعصف بالمجتمعات، يصبح التفكير المستقبلي الواعي في حق الداعية أساساً من أسس التجديد الدعوي المعاصر، وبدونه يفقد الداعية كثيرًا من الفرص الدعوية المواتية، والمؤثِّرة، وقد يكون هذا التفكير أحد متطلبات تقدم الدعوة، وفاعليتها في المجتمع المتغير .

وتُعدُّ مقاومة التغير ومحاولة الحفاظ على الوضع الراهن من عقبات التفكير الإبداعي(٢). فمنذ حقبة من الزمن " راحت جماعة من المسلمين تولي وجهها شطر الماضي بنظرة تكرارية، وكأنها تريد إعادة الدورة الحضارية الماضية بكل عناصرها وتحدياتها وأبطالها وحبكتها ومقدماتها ونهايتها، ولهذا فهي لا تريد أن تقف من هذا الماضي العظيم (النموذجي) -كما ينبغي- موقف الاحتذاء والتأسي والإضافة إليه، والانطلاق منه نحو المستقبل.. كلا.. بل راحت تلغي (الحاضر) وتستنكف رصد (المستقبل)»(٣).

ومن يتأمل مواقف الدعاة -في نجد بخاصة- وقت ظهور المذياع، ومثله التلفاز، ومواقف كثير منهم الآن نحوهما، يشعر بفرق شاسع بين الموقفين، ففي بداية الظهور كان الرفض القاطع لوجودهما فضلاً عن المشاركة فيهما.

«إن الإنسان المبدع هو إنسان مرن، فالمرونة هي التي تدفع الإنسان إلى تغيير تفكيره ومعاينة كل جديد. إن الناس العاديين يكرهون كل جديد، أما المبدع فهو يحب الجديد، وهو يعيد ترتيب أولوياته بحسب المتغيرات من حوله أو في نفسه، كما أنه إذا صادف عقبة التف حولها وغير وسائله للوصول إلى هدفه... إن المتصلب يكره التجديد لأنه لا يتحمل القلق الذي يحمله كل جديد»(٤).

«ومن أجل البقاء، ومن أجل أن نتفادى ما سميناه صدمة المستقبل، لابد وأن يصبح الفرد أكثر قدرة على التكيف منه في أي وقت مضى، ولابد من أن يبحث عن مسالك جديدة

---

(١) يحيى عبد الحميد إبراهيم، مرجع سابق، ص٩٥.

(٢) فتحي عبد الرحمن جروان، **تعليم التفكير: مفاهيم وتطبيقات**، (عَمَّان، دار الفكر، ١٤٢٣هـ)، ص٩٠.

(٣) عويس، **فقه التاريخ وأزمة المسلمين الحضارية**، مرجع سابق، ص١٤٨.

(٤) العيتي، مرجع سابق، ص٦٣-٦٤.

تمامًا توصله إلى بر الأمان، حيث إن كل الجذور القديمة الثابتة: الدين، والأمة، والمجتمع والأسرة، والمهنة تهتز الآن كلها بقوة تحت التأثير العاصف لدفعة التغيير المتسارعة، وهو لن يستطيع أن يفعل ذلك ما لم يفهم بتفصيل أكثر كيف تتغلغل تأثيرات التسارع إلى حياته الخاصة، وكيف تتسلل إلى سلوكه»(١).

إنَّ هذا العصر يتميز بالتغير السريع، وكثرة المستجدات، وهو أمر يتطلب من الداعي إلى الله تعالى أن يواكب هذا التغير ويتعرف عليه من بابه، وألا يعيش على هامش التاريخ، ويتغاضي عن حاضره، وعن احتياجات الناس الجديدة، وإنْ كان هذا يصعب على كثير من الدعاة، فينبغي على المؤسسات العليا القائمة على شؤون الدعوة، إيجاد أقسام للتعليم والتدريب المستمر على حسن التعامل الفاعل مع مستجدات العصر من الوسائل، ومع المسائل العلمية من النوازل التي تحتاج إلى اجتهادات العلماء الكبار والمجامع الفقهية.

وقد سَبقت مصرُ إلى الجانب الأخير، فأخذت تعقد أربع دورات سنوية، مدة كل دورة شهر ونصف، تَستهدِف الدعاة والقيادات الدعوية في المجتمع، ويحاضِر فيها العلماء والمختصون، يتناولون مجالات متنوعة لما يظهر من قضايا الحياة المعاصرة(٢).

يقول توفلر: «إن المعلومات تنتقل خلال المجتمع بسرعة فائقة. والتغييرات التكنولوجية تتوالى بشكل جعل من الضروري استحداث أشكال من المنظمات تستطيع الاستجابة الفورية لتغيرات المستقبل»(٣).

يجب أن ندرك أن الحياة المعاصرة تتقدم بسرعة مذهلة، وأن من يقف في مكانه ولا يُحاول أن يلحق بها، ويُغيِّر في أساليبه ووسائله، فإنه يتراجع وتتراجع معه دعوته، ويتخلف عن الرَّكْب، ويعيش في هامش التاريخ. يقول بكار: العيش خارج العصر، لا يحتاج إلى تخطيط، ولا جُهد، لكنَّ العيش داخل العصر هو الذي يتطلب الكثير من الفهم، والعناء، والبذل(٤).

---

(١) توفلر، **صدمة المستقبل**، مرجع سابق، ص ٣٦.

(٢) رشاد علي موسى، **علم نفس الدعوة بين النظرية والتطبيق**، (الإسكندرية، المكتب العلمي، ١٩٩٩م)، ص٢٤٠-٢٤١.

(٣) **صدمة المستقبل**، مرجع سابق، ص١٤٨.

(٤) بكار، **العيش في الزمان الصعب**، مرجع سابق، ص٢٠.

قال أحد أئمة القراءات[1] : «أشكل عليَّ باب من النحو، فأنفقت ثمانين ألف درهم حتى حَذَقْته»[2]، إنَّ على الداعية ألاَّ يتكل على ما يتلقى في المؤسسات التأهيلية، بل يضع لنفسه برنامجًا تكميليـًّا يواكب تقدم الحياة وتطورها، ويستشير في ذلك العلماء والمختصين، ويبذل من ماله في سبيل ذلك ما يستطيع؛ ليحيا في التاريخ، ويكون من صُنَّاع المستقبل، «ممتطيـًا على بصيرة صهوة جواد الواقع الحاضر، مشدودًا إليه بثقة وحزم، مستنيرًا بتعاليم الوحي، متلهفًا لسنن الكون، مقلبـًا صفحات الماضي يستوعبه، وملقـيًا الضوء على كثبان المستقبل يستكشفه ويسائله»[3]. وفي هذا المجال يمكن إجراء دراسات مستقبلية إرشادية في كيفية إعداد الداعية نفسه في الزمن المتغير .

إنَّ اكتساب الداعية النظر المستقبلي، والقدرة على الاستشراف، من خلال اطلاعه على أساليب استشراف المستقبل، أو على الدراسات المستقبلية الموثوقة، يغرس في نفسه الاستعداد للتغير الإيجابي بما تتطلبه الدعوة وتحتاجه حسب الزمان والأحوال، ودون أن يتخلف عن الركب، يقول توفلر: النظرة المستقبلية تجعل صاحبها أسرع خُطى، وأقدر على الحركة من غالبية الناس، ومُجاريًا للحياة[4]. ومن المهم ألاَّ يتوهم الداعية بأنه غير جدير بمنازل جديدة من التطور الإيجابي، ولا يخالجه شعور بالضعف أو الهوان، بل عليه أن يستعد واثقًا بأنه ناجح بعون الله، ويسعى بكل ما أوتي من قوة إلى التغيير؛ ليواكب كل المتغيرات، وقد يكون من الحكمة أن نعوّد أنفسنا الاستمرارية مع الراحة بين كل مرحلة وأختها حتى نصل سالمين غانمين، لا غانمين دون سلامة[5].

«إننا نستطيع من خلال فهم أوضح للمشكلات، وتحكم أذكى في عمليات رئيسية معينة، أن نحول المحنة إلى منحة، وأن نساعد الناس، لا على مجرد البقاء ولكن على اعتلاء أمواج التغيير، وعلى النمو واكتساب معنى جديد لامتلاك زمام مصائرهم»[6]، بإذن الله تعالى.

---

(١) هو خلف بن هشام بن ثعلب.

(٢) الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، ج١٠، ص٥٧٨.

(٣) بريش، **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص ١٦ .

(٤) توفلر، **صدمة المستقبل**، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٥) صقر، مرجع سابق، ص ٩٤.

(٦) توفلر، **صدمة المستقبل**، مرجع سابق، ص ٣٩٢.

إن النظر المستقبلي الحصيف، المبني على أسسه الصحيحة، يُمَكِّن -بإذن الله تعالى- الداعية والقائمين بشؤون الدعوة من التعامل الإيجابي الحكيم مع التغيرات العاتية المفسدة، فيكون الواحد منهم كالمتزلج الماهر على الأمواج العالية في البحر، عندما يتزلج ضد هذه الأمواج فتحمله في اتجاهها هي لكنه يعلوها وإن أخذته إلى وجهتها، ولا يكون الداعية كمن لا يحسن السباحة أو التزلج ضد الأمواج فإنه يتخبط أو يغرق في لججه(١).

المطلب الثاني : تحصين الدعاة وحمايتهم من بعض المواقف السلبية :

هناك مظهرٌ سلبي عام، ينتج من ضعف التكيف مع المستقبل، ويُسبب التشاؤم والعزلة الاجتماعية وغيرهما من الأمراض النفسية، يُطلَق عليه (صدمة المستقبل)، وهو أشبه ما يكون (بصدمة الثقافة) التي أصبحت تعبيرًا شائعًا لدى كثير من الكاتبين والمفكرين(٢)، و(صدمة الثقافة) تعني : «ذلك التأثير الذي يحدث للغريب عندما يجد نفسه فجأة، وبلا استعداد سابق، وسط ثقافة غريبة عليه»(٣). «إنها تسبب القطيعة والإدراك الخاطئ للواقع وعدم القدرة على المواجهة»(٤). وقد أدركت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الخطر المحدق بمن يسافر من هذه البلاد لتلقي العلم في البلاد الغربية، فصارت تعقد دورات؛ لتحصين من يراد بعثه، بالعلم الشرعي، وبيان حقيقة ثقافة القوم وحضارتهم؛ وبذلك أسهمت في تلافي حدوث صدمة ثقافية للمبتعَثين .

وتُعدُّ (صدمة الثقافة) «شيئًا هينًا إذا ما قورنت بذلك المرض الأحدث والأخطر، صدمة المستقبل، فصدمة المستقبل هي العجز المذهل عن التكيف الذي يأتي في ركاب الميلاد المبتسم للمستقبل . ومن ثم فقد تكون هذه الصدمة هي أخطر أمراض الغد»(٥).

«وتختلف طرق الاستجابة لصدمة المستقبل باختلاف الأشخاص، وتختلف أعراضها أيضًا تبعًا للمرحلة التي وصل إليها المرض وحدة الإصابة به . وهذه الأعراض تمتد على طول الطريق من القلق، ومعاداة السلطة أيـًا كانت، والعنف الذي يبدو بلا معنى، إلى المرض

---

(١) الفكرة أُفيدت من توفلر، **بناء حضارة جديدة**، مرجع سابق، ص ١٠٥.

(٢) ينظر: توفلر، **صدمة المستقبل**، مرجع سابق، ص١٠ .

(٣) المرجع نفسه، ص١٠.

(٤) نفسه، ص١١.

(٥) نفسه .

البدني، والكآبة، وفتور الشعور . كما يبدي ضحاياها تذبذبًا غريبًا بين مختلف الاهتمامات وأساليب الحياة يتبعه نزوع إلى التقوقع من خلال الانسحاب الاجتماعي، والثقافي، والعاطفي. إنهم أيضًا يشعرون بحالة مستمرة من الضيق والانزعاج وبرغبة ملحة في إنقاص عدد ما ينبغي لهم أن يتخذوه من قرارات»(١).

«لو كانت صدمة المستقبل مرضًا بدنيًا فقط لسهل أمر الوقاية منه وعلاجه. ولكن صدمة المستقبل تهاجم النفس كما تهاجم الجسم . وكما يتصدع الجسم تحت ضغط زيادة المنبهات البيئية، كذلك «العقل» وما يقوم به من عمليات يتوه ويشرد عندما يحمل بما فوق طاقته . وعندما نعمل بلا تمييز على الإسراع بآلة التغيير، فإننا لا نخرب فقط صحة أولئك الأقل قدرة على التكيف، بل أيضًا قدرتهم على التصرف في شئونهم برشد . إن ما نشهده فيما حولنا من تفاقم لحالات الانهيار والاضطرب النفسي...نستطيع أن نفهمه فهمًا أحسن إذا ما تعرفنا إلى العلاقة بين كل هذه الظواهر وبين صدمة المستقبل»(٢).

ومن أمراض (صدمة المستقبل)، المؤثرة على عمل الداعية: (الشعور بالوحدة النفسية)، وهو " واحد من كثير من المشكلات التي نجمت عن التغيرات السريعة والتقدم في كثير من نواحي الحياة، وتردي التزام الأفراد بالقيم الدينية والأخلاقية. ويعتبر مفهوم الشعور بالوحدة النفسية من المفاهيم التي لاقت اهتمامًا كبيرًا من الباحثين في مجال علم النفس وتناولته دراسات عديدة. ويرى شميدت (Schmidt, 1991) أن الشعور بالوحدة النفسية يتمثل في النفور النفسي والبعد عن الآخرين والملل، وانخفاض الشعور بقيمة الذات، وعدم التقبل، وشعور الفرد بأنه غير محبوب من المحيطين به، ويعرف كريك وجاري (Crick & Gary, 1993) الشعور بالوحدة بأنه عدم قدرة الفرد على المشاركة الاجتماعية، وتمركزه حول ذاته، والبعد والنفور عن الآخرين "(٣). وقد برهنت دراسات علمية عربية وغربية على وجود علاقة ارتباطية موجبة بين الشعور بالوحدة والتشاؤم، ووجود علاقة ارتباطية سالبة بين

---

(١) نفسه، ص٣٤٢.

(٢) نفسه، ص٣٦١.

(٣) أحمد السيد محمد إسماعيل، "التفاؤل والتشاؤم وبعض المتغيرات النفسية لدى عينة من طلاب جامعة أم القرى"، المجلة التربوية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت : العدد٦٠، (صيف ٢٠٠١م)، ص٥٦.

التفاؤل والشعور بالوحدة[1]؛ فهناك إذن علاقة بين تفاؤل الداعية ومشاركته في المجتمع إيجابًا، كما أن هناك علاقة بين تشاؤم الداعية وانعزاله عن المجتمع والتأثير فيه . وعندما يَعتزل الداعيةُ المجتمعَ، فإنه لا يعتزله مجتمَعًا، ولكنه يهجر أماكن ووسائل دعوية فاعلة ومؤثِّرة، فتبقى معطلة، بل مستثمَرة في الشر، من قِبل المنافقين وأهل الشهوات، أو يتواكب عليها أنصاف المتعلمين، وتفقد الدعوة بذلك شيئًا كثيرًا. ولن يُعدَم الداعية أن يجد باختلاطه مجالاً يُؤثِّر فيه ولا يتأثر، ويعطي فيه ويبذل ولا ينجر إليه وينساق وراءه، فمن المهم في حقه أن يكون دائم التفاؤل، وألا يسري إليه التشاؤم بسبب تغير الزمان؛ فيأخذ يردد قول الشاعر:

«ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم وبقيتُ في خلفٍ كجلدِ الأجربِ»[2].

والعزلة لها منافع، كما أن لها مضار، وللخلطة منافع، كما أن لها مضار، والأمر يحتاج إلى تقدير وموازنة، وعدم تعطيل مصالح، وترك واجبات. والعزلة المشروعة التي دعا إليها جمع من السلف ليس معناها « مفارقة الناس في الجماعات والجُمُعات وترك حقوقهم في العبادات وإفشاء السلام ورد التحيات وما جرى مجراها من وظائف الحقوق الواجبة لهم ووضائع السنن والعادات المستحسنة فيما بينهم فإنها مستثناة بشرائطها جارية على سبلها ما لم يحل دونها حائل شغل ولا يمنع عنها مانع عذر. إنما نريد بالعزلة ترك فضول الصحبة ونبذ الزيادة منها وحط العلاوة التي لا حاجة بك إليها »[3]. فالعزلة في النصوص« تابعة للحاجة وجارية مع المصلحة»[4].

«والضابط النافع في أمر الخلطة : أن يخالط الناس في الخير -كالجمعة والجماعة، والأعياد والحج، وتعلم العلم، والجهاد، والنصيحة- ويعتزلهم في الشر، وفضول المباحات. فإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في الشر، ولم يمكنه اعتزالهم : فالحذر الحذر أن يوافقهم. وليصبر على أذاهم، فإنهم لا بد أن يؤذوه إن لم يكن له قوة ولا ناصر. ولكن أذى يعقبه عز ومحبة له وتعظيم، وثناء عليه منهم ومن المؤمنين ومن رب العالمين. وموافقتهم يعقبها ذل

---

(١) المرجع نفسه، ص٦١، ٦٨-٦٩، ٧٨.

(٢) الراغب، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، مرجع سابق، ج٤، ص٣٩٤؛ ونسبه لِلَبيد.

(٣) أبو سليمان الخطابي، **العزلة**، (القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، د.ت)، ص١٥-١٦.

(٤) المرجع نفسه، ص١٥.

وبُغْض له، ومقت وذم منهم ومن المؤمنين، ومن رب العالمين. فالصبر على أذاهم خير وأحسن عاقبة، وأحمد مآلا، وإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في فضول المباحات . فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس طاعة لله، إن أمكنه، ويشجع نفسه ويقوي قلبه، ولا يلتفت إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك، بأن هذا رياء ومحبة لإظهار علمك وحالك، ونحو ذلك، فليحاربه، وليستغن[1] بالله، ويؤثر فيهم من الخير ما أمكنه . فإن أعجزته المقادير عن ذلك، فليسُلّ قلبه من بينهم كسلّ الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضرًا غائبًا، قريبًا بعيدًا، نائمًا يقظانًا. ينظر إليهم ولا يبصرهم، ويسمع كلامهم ولا يعيه، لأنه قد أخذ قلبه من بينهم، ورقى به إلى الملأ الأعلى، يسبح حول العرش مع الأرواح العلوية الزكية. وما أصعب هذا وأشقه على النفوس، وإنه ليسير على من يسره الله عليه . فبين العبد وبينه أن يَصْدُق الله تبارك وتعالى، ويديم اللجأ إليه، ويلقي نفسه على بابه طريحًا ذليلاً »[2].

ويفيدُ إجراء الدراسات المستقبلية في منع تسلل التشاؤم -الذي تحدثه (صدمة المستقبل)- إلى نفس الداعية، وفي نقل الداعية المتشائم من المستقبل إلى التفاؤل المثمر، من خلال عرض (مشاهد المستقبل) عليه، وإقناعه بأن المستقبل في عقل الإنسان ليس واحدًا بل مستقبلات، وإعلامه بأن له أثرًا فاعلاً في جميع هذه المشاهد : إمَّا أثرًا إنطلاقيًا، أو دفاعيًا، أو محافظيًا، أو هجوميًا؛ فهي تفتح عينيه على طرق عديدة يمكن أن يسلكها بدل الدرب الضيق الذي كان يراه حتمًا؛ وبذلك نحافظ على فاعلية الدعاة، واختلاطهم في المجتمع بصورة إيجابية، وحمايتهم من العزلة السلبية، وعددٍ من المظاهر والأمراض الناتجة عن صدمة المستقبل، يقول بكار : «إن على المسلم أن يعتقد اعتقادًا جازمًا أنه ما من ظرف أو حالة أو موضوع إلا يمكن إدخال شيء من الإصلاح عليه بإكثار ما فيه من خير وإيجابية، أو بتقليل ما فيه من شر وسلبيات. إن إدخال مثل هذا الاعتقاد في مركّبنا العقلي ضروري جدًا لمقاومة سلسلة الإحباطات التي يتعرض لها المسلم في حياته»[3].

وحري بالمؤسسات الدعوية الآن أن تعنى ببرامج لجميع فئات المجتمع، تُسهم في تلافي

---

(١) هكذا، ولعل الصواب: (وليستعن).

(٢) ابن القيم، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج١، ص٤٥٥-٤٥٦. وذكر ابن القيم في الموضع : الوسائل المعينة على التمكن من الاختلاط بالناس، وسل الروح من بينهم.

(٣) **فصول في التفكير الموضوعي**، مرجع سابق، ص٢٧.

الصدمة الجديدة : (صدمة المستقبل) .

إنَّ التفكير السليم أساس التصرف السليم؛ لأن التصرفات الإيجابية، أو السلبية، والمشاعر الوجدانية، نابعة أساسًا من التفكير ذاته؛ فالشخص الذي لا يعرف كيف يفكر بطريقة سليمة، لا تكون تصرفاته سليمة. ويؤثِّر تفكير الإنسان -من حيث الصحة أو الخطأ، والتفاؤل أو التشاؤم- في سعادة الإنسان أو شقاءه. إذن : فالتفكير السليم يوجه الإنسان إلى التصرفات والحركات السليمة، كما يوجهه إلى الطريق السليم والمستقيم[1]. قال الشافعي: «صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور»[2].

وإذا تأملت في تفكير بعض الناس، رأيت أنه «تسيطر على سلوك بعض الأفراد أحيانًا نزعة إلى توقع الخير، وأحيانًا أخرى تسيطر عليهم نزعة إلى توقع الشر، وتوصف النزعة الأولى بالتفاؤل ويسمى صاحبها متفائلاً، بينما توصف النزعة الثانية بالتشاؤم ويسمى صاحبها متشائمًا. ويتداول الناس الكلمتين، ويعبرون بهما عن اعتقاداتهم، وحالتهم الوجدانية تجاه بعض الناس أو بعض المواقف أو الأشياء، أو تجاه بعض النتائج المرتقبة. وتنعكس هذه النزعة التفاؤلية أو تلك التشاؤمية على سلوكياتهم، وعلاقتهم الاجتماعية وعلى صحتهم النفسية وربما صحتهم الجسمية»[3].

ويُعرَّف التفاؤل: بأنه « نظرة استبشار نحو المستقبل تجعل الفرد يتوقع الأفضل وينتظر حدوث الخير، ويرنو إلى النجاح، ويستبعد ما خلا ذلك»[4]. و«أعلى مراتب التفاؤل توقع الشفاء عند المرض، والنجاح عند الفشل، والنصر عند الهزيمة، وتوقع تفريج الكروب، ودفع المصائب، وزوال النوازل عند وقوعها»[5]، ويُعدُّ التفاؤل والانبساط وعدم الانطواء من

---

(١) يالجن، **التربية الذاتية القيادية النموذجية ومضاعفة الإنتاجية**، مرجع سابق، ص٢٥٩.

(٢) الغزالي، **مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب**، مرجع سابق، ص١٦٧.

(٣) إسماعيل، في "المجلة التربوية"، مرجع سابق، العدد٦٠، (صيف ٢٠٠١م)، ص٥٢.

(٤) المرجع نفسه، ص٥٤؛ نقلاً عن: أحمد محمد عبد الخالق، **دليل تعليمات القائمة العربية للتفاؤل والتشاؤم**، ص٦.

(٥) عبد العزيز بن عبد الله الأحمد، **الطريق إلى الصحة النفسية عند ابن قيم الجوزية وعلم النفس**، (الرياض، دار الفضيلة، ١٤٢٠هـ)، ص٩٩؛ نقلاً عن بعض المختصين النفسيين، ولم يذكر مرجعًا.

سمات الشخصية القوية المؤثّرة[١]. كما أنّ التفاؤل والتفكير الإيجابي، وتوقع النصر والنجاح، من صفات الإنسان الناجح والمتميز[٢]. والداعي ذو النظر المستقبلي -كما يراه المنهج الإسلامي- إنسان متفائل، معتدل النفس، ليس للتشاؤم إليه سبيل؛ وتفاؤله يجعله يَسْلم -بإذن الله- من كثير من الآثار التي يحدثها التشاؤم .

بينما يعرف التشاؤم: بأنه « توقع سلبي للأحداث القادمة يجعل الفرد ينتظر حدوث الأسوأ، وتوقع الشر والفشل، وخيبة الأمل، ويستبعد ما خلا ذلك »[٣].

والدراسات المستقبلية تصبغ المرء شعورًا بالتفاؤل؛ بجعلها أحد المشاهد يتصف بالتفاؤل، ومِن خلال تعدد نظرها إلى المستقبل فهي تدل على مستقبلات وليس مستقبلاً واحدًا، وفيها يتبين الإنسان قدرته على تغيير المسار السلبي في توجهات الأحداث، أو تخفيفه، أو مجابهته بطرق مناقضة له؛ كما أنها تُولِّد التفاؤل تجاه المستقبل والقدرة على الفعل فيه.

« ربطت دراسة أجريت في أمريكا على مجموعة من مديري التسويق ما بين نجاح المدير وقدرته على التحكم في القلق الذي يسببه العمل، وعندما سئل المديرون القادرون على التحكم في قلقهم، وأولئك الأقل قدرة عن نمط التفكير الذي يتبعونه عندما تصادفهم مشكلة ما، تبين أن الفريق الأول عندما تصادفه مشكلة يفكر بطريقة ما هو الحل، أما الفريق الثاني فيفكر بطريقة ما هي العواقب»[٤].

«فالإنسان المتفائل يفكر بطريقة النظر إلى النصف المليء من الكأس، وبالتالي يتولد في نفسه شعور التفاؤل والإنسان المتشائم يفكر بطريقة النظر إلى النصف الفارغ من الكأس، وبالتالي يتولد في نفسه شعور التشاؤم، كما أن الشعور بدوره يؤثر على تفكير الإنسان، فالإنسان المتشائم يكون في حالة من القلق والتوتر لا تمكنه من التفكير الإيجابي أو لا تمكنه من التفكير على الإطلاق!»[٥].

---

(١) أشرف هميسة، **سبيلك للسعادة**، (الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٠هـ)، ص٢٤١.

(٢) يحيى عبد الحميد إبراهيم، مرجع سابق، ص٩٢.

(٣) إسماعيل، في "المجلة التربوية"، مرجع سابق، العدد٦٠، (صيف ٢٠٠١م)، ص٥٤؛ نقلاً عن: أحمد محمد عبد الخالق، **دليل تعليمات القائمة العربية للتفاؤل والتشاؤم**، ص٦.

(٤) العيني، مرجع سابق، ص٤٨؛ نقلا عن: Daniel Golman, Working With Emotional Intelligence (Audio Dawonload), Chapter 5, Audio Renaissence, 1998, Audible. com.

(٥) المرجع نفسه، ص١٩.

وكثير من الناس يكون مغرقا في التشاؤم؛ ويؤثر هذا - سلبـًا - على عمله ونفسه؛ فيقعد عن العمل والبذل، ويخلد إلى الركون والانطواء، وقد يصاب بالاكتئاب بسبب النظرة التشاؤمية، لكن الدراسات المستقبلية تعيد للنفس توازنها في النظرة، فلا إغراق في التشاؤم، ولا إفراط في التفاؤل، بل وسطية وهي من صميم دعوة الإسلام، يقول السعدي : "واعلم أن حياتك تبع لأفكارك، فإن كانت أفكارًا فيما يعود عليك نفعه في دين أو دنيا، فحياتك طيبة سعيدة، وإلا فالأمر بالعكس"[١] .

ومن المهم البعد عن التفاؤل غير الواقعي، وهو: "شعور الفرد بقدراته على التفاؤل إزاء الأحداث دون مبررات منطقية أو وقائع أو مظاهر تؤدي إلى هذا الشعور، مما قد يتسبب أحيانـًا في حدوث النتائج غير المتوقعة وبالتالي يصبح الفرد في قمة الإحباط مما قد يعرضه للمخاطر والإصابة بالأمراض"[٢].

إذن فالدراسات المستقبلية تُحْدِثُ تغيرًا جيدًا في التفكير، وتُذكِّر بقدرة الإنسان على الفعل والتغيير، وبخاصة لدى أصحاب التفكير السلبي تجاه المستقبل.

المطلب الثالث: إهمال النظرة المستقبلية والدراسات المستقبلية يؤدي إلى ترك استباق المشكلات، ومنعها قبل نشوئها؛ مما يؤدي إلى استفحالها وتَمَنُّع علاجها :

من المواقف السلبية للدعاة : ترك بعض المشكلات حتى تحدث وتظهر، ثم يسعون في علاجها، لكنَّ القاعدة الشرعية تقول: "المنع أسهل من الرفع"[٣]، و"الدفع أولى من الرفع"[٤]، أي : "أن بعض التصرفات يمكن منعها من أول الأمر لسبب من الأسباب، فإذا تَلَبَّس أصحابها بها وأريد إخراجهم عن هذه التصرفات قد يصعب ذلك"[٥]؛ فمدافعة "الشيء قبل وقوعه تكون من حيث السهولة وقلة المؤونة وضآلة المفسدة ما لا تكون بعد وقوع الشيء ورجحان مفسدته"[٦]. وقيل في المَثَل: درهم وقاية خير من قنطار علاج، وهو مَثَل مُعَبِّر،

---

(١) **المجموعة الكاملة لمؤلفاته**، مرجع سابق، ج٥، مج٢، ص٤٩٤.

(٢) إسماعيل، في "المجلة التربوية"، مرجع سابق، العدد٦٠، (صيف ٢٠٠١م)، ص٥٥؛ وهو تعريف تايلور وبراون، نقلاً عن: بدر محمد الأنصاري، **التفاؤل والتشاؤم: المفهوم والقياس والمتعلقات**، ص١٧-٢٣.

(٣) ابن رجب، **القواعد**، مرجع سابق، ص٣٢٥.

(٤) المقّري، مرجع سابق، ج٢، ص٥٩٠ .

(٥) الندوي، مرجع سابق، ص٣٩٦.

(٦) محمد بن عبد الله الخضيري، "دور الخطباء في الارتقاء بخطبة الجمعة"، ندوة صحفية، في "البيان"، مرجع سابق، العدد: ٢٠٣، (رجب/ ١٤٢٥هـ)، ص ٤٨.

يدل على خطورة الإهمال حتى تحدث المشكلة، وأن السعي في الوقاية منها ولو كان ذلك مكلفًا أفضل بكثير من انتظارها حتى تحدث ثم علاجها. ويَشرح المثال الآتي القاعدةَ والـمَثَلَ دعويًّا، وهو : أنه بعد اندحار الشيوعية في أفغانستان وانتصار المجاهدين عليها وقطعهم لشأفتها، ثم انقطاع الجهاد وحدوث الفتنة بين الفصائل المسلمة هناك، ومع بدء ملامح عودةٍ لكثير من المجاهدين إلى بلدانهم، بادر عبد المجيد الزنداني العالِم اليمني -وهو ممن يدعو إلى أن يكون للمسلمين دراساتهم المستقبلية، وقال عنه أحد المحررين: «أحكم أهل اليمن -فيما أحسب-»[1]- فسافر إلى أفغانستان، والتقى المجاهدين اليمنيين لقاءات مهد فيها عودتهم إلى اليمن، ولما عادوا كان في استقبالهم في المطار، ثم استحوذ عليهم فكرًا وسلوكًا[2]، وقد كان اليمن عند عودتهم مهيأً لحدوث فتن ليس لها حد، تقع من المجاهدين اليمنيين العائدين من أفغانستان، المدرَّبين على فنون القتال؛ لسهولة تداول الأسلحة فيه، وصعوبة تضاريسه، وضعف الحكم بشريعة الله؛ إلا أن الله اجتث بذرة هذه الفتن، وحسم مادة نشوئها وحدوثها، بِمنِّه ورحمته، ثم بفضل مبادرة هذا العالم على ذلك النحو، ولم يقع فيما بعد إلا حوادث قليلة جدًّا، وحوادث لم يكن المجاهدون العائدون طرفًا فيها.

وقد وقع في حبائل هذه الفتنة عدد من غير أهل اليمن ممن عادوا إلى بلادهم بعد جهادهم في أفغانستان، مثل الجزائر، والمملكة العربية السعودية، وانتشر خبرهم، وعلم بهم القاصي والداني، ورُصد لعلاج هذه الفتنة الملايين، وكان درهم العالم اليمني في الوقاية خيرًا من قناطيرنا في تلمس العلاج[3] .

فنحن بحاجة إلى كثير من الدعاة والقيادات الدعوية، ممن يحملون نظرًا مستقبليًّا، يستبقون به المشكلات قبل حلولها، ويحسمون مادة وجودها، لاسيما المشكلات الكبرى، والفتن العظمى، وإلا فإننا سنظل نركِّز جهودنا «في محاولة التصدي للأحوال الطارئة أكثر من التخطيط للمستقبل... وهذا الأسلوب في العمل يُقلِّص إمكانيات التفكير المنهجي ذي

(١) خالد حيدر الهزاع، "أيام في اليمن"، في "السمو"، دار السمو للنشر والتوزيع، الكويت: العدد ٨، (جمادى الأولى/١٤٢٣هـ)، ص ١٣ .

(٢) علي محمد الصَّلاَّبي، "اتصال شخصي"، وهو أستاذ ليبي في إحدى جامعات اليمن.

(٣) ليس هذا الكلام تشخيصًا لأسباب هذه الفتنة؛ إذ إن أسبابها كثيرة، ومتنوعة، لكن إشارة إلى أسلوب، نابع من النظرة المستقبلية، كان يمكن به -بمشيئة الله- تلافي هذه الفتنة، أو تخفيفها وحصرها .

المدى البعيد ويشجع على أسلوب حل كل مشكلة بعد نشوئها لا الاحتياط من نشوئها... وبدون التفكير المنهجي المرتكز على الرؤية التخطيطية يتزايد ضغط المشاكل الطارئة، وهذا الضغط – بدوره – يعرقل التفكير على المدى البعيد»[1].

(١) عبد الله النفيسي، (تحرير وتقديم)، **الحركة الإسلامية : رؤية مستقبلية : أوراق في النقد الذاتي**، ط١، (القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٤١٠هـ)، ص ١٤.

المبحث الخامس

أهمية النظر المستقبلي للتفكير، والتفكر، والعمل، والتدبير

المطلب الأول : تُثمر الدِّراسات المستقبلية في إيجاد أهداف عالية؛ تسهم في تنشيط الفكر والعقل:

تُوجِدُ النظرةُ والدراسات المستقبلية للمرء أهدافــًا عالية يسعى لتحقيقها؛ وهذا يثمر في تنشيط عقله وجسمه، « يقول بعض المربين إنه بقدر ما تكون أهداف المرء وغايته بقدر مـــا ينشط عقله ثم جسمه وإن عقل المرء يعمل بقدر علو أهدافه السامية ولهذا فمن أراد أن يعمل عقله أكثر فليتخذ لنفسه أهدافــًا عالية. ولكي تكون الأهداف طاقة دافعة فعالة أكثر لابد من تحقق الشروط الآتية:

١- أن تكون واضحة وممكنة.

٢- أن تكون متفقة مع عقيدته واتجاهاته وقيمه.

٣- أن يكون الطريق إليها مرسومًا مقنعًا.

٤- أن تكون كبيرة وعظيمة لا تنتهي في مدة قصيرة »[(١)].

المطلب الثاني : الخروج من عجز الحاضر إلى إمكان المستقبل:

تَمُرُّ بالإنسان أحوال لا يستطيع فيها أن يعمل لما ينفع وقته الحاضر، لكنه يستطيع أن يعمل لينفع المستقبل، فحري به ألا يُذْهَل عنه، فالمؤمن كالنخلة، مباركٌ كله: مبارك في ماضيه، مبارك في حاضره، وتسري بركته إلى المستقبل، فإذا كان لا يستطيع العمل للآن، فليعمل الآن للمستقبل .

لـــمَّا وقع خُبَيْبٌ ﷺ في أسْرِ المشركين بعد هجرة النبي ﷺ، وعَلم أهم قاتلوه، لم يَغفل عن العمل للمستقبل، فقال بعد أن صلى ركعتين : «اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا، وَلا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا»[(٢)].

---

(١) ياجلن، **التربية الذاتية القيادية النموذجية ومضاعفة الإنتاجية**، مرجع سابق، ص٥٨.

(٢) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرًا، ج٥، ص١٦، ح٣٩٨٩.

ولمّا أَمَر الحجاج بقتل سعيد بن جُبير -وقد قَتل قبله خَلقًا كثيرًا- قال سعيد: "اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي"[1]. فما قَتل بعده إلا رجلاً واحدًا[2].

وكان في الشام أحجار يزورها الناس، ويتبركون بها، ويُقبّلونها، وينذرون لها النذور، ويلطخونها بالخَلُوق، ويطلبون عندها قضاء الحاجات؛ وجميع ذلك يتعمده الناس عند (العمود المخلّق)، في موضع معروف بالشام؛ ولمّا عجز النووي -المتوفى عام (٦٧٦هـ)- عن إزالة هذا المنكر قال: "اللهم أقم لدينك رجلاً يكسر العمود المخلّق، ويخرب القبر الذي في جيرون"؛ فما أذهله عجز الحاضر عن العمل للمستقبل. وما هي إلا سنوات حتى خرج تقي الدين أحمد بن تيمية -المتوفى عام (٧٢٨هـ)- هو وأخوه شرف الدين، فأخذا المعاول وضربا فيه، وقالا: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[3]، وتابعهما الناس بالضرب حتى كسروه، ووجدوا خلفه صنمين مجسدة. وقال شرف الدين: هذا من كرامات الشيخ محيي الدين النووي[4].

فإذا رأى الداعية منكرًا وعجز عن إنكاره، فإنه ينظر في سبب العجز، ويتمنى وجود ما يمكّنه من إزالة المنكر، قال لوطٌ عليه السلام: ﴿ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً ﴾[5]، "وإنما أراد لوط عليه السلام العدة من الرجال، وإلا فهو يعلم أن له من الله ركنًا شديدًا؛ ولكنه جرى على الحكم الظاهر... وتضمنت الآية البيان عما يوجبه حال المؤمن إذا رأى منكرًا لا يقدر على إزالته، أنه يتحسر على فقد المعين على دفعه، ويتمنى وجوده حرصًا على طاعة ربه وجزعًا من استمرار معصيته، ومن ثم وجب أن ينكر بلسانه ثم بقلبه إذا لم يطق الدفع"[6]؛ وذلك يدفعه للعمل المستقبلي المثمر بإذن الله، وتحيّن الفرص.

---

(١) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، مرجع سابق، ج٤، ص٢٩٤.

(٢) المرجع نفسه، ج٤، ص٢٩٠.

(٣) سورة الإسراء، من الآية: ٨١.

(٤) ينظر: إبراهيم بن أحمد الغياني، "فصل فيما قام به ابن تيمية وتفرد به وذلك في تكسير الأحجار"، في: شمس والعمران، مرجع سابق، ص٧٨-٨١.

(٥) سورة هود، من الآية: ٨٠.

(٦) ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج١٣، ص٢٤٠؛ نقلاً عن ابن بَطّال.

إن السرور بالبلاء إذا وقع بالمسلمين ليس من الإسلام في شيء، بل هو من البدع المخالفة للسنة[1]، و«إن الخضوع والاستكانة للأحوال القاسرة والأوضاع القاهرة والاعتذار بالقضاء والقدر من شأن الضعفاء والأقزام... أما المؤمن القوي فهو بنفسه قضاء الله الغالب وقدره الذي لا يرد»[2]؛ لأنه يستمد قوته من إلهه وخالقه، وهو معه، فالأبواب لا تُسدُّ دون المؤمن الفطن، ولئن سُدَّت عنه أبواب الحاضر، فأبواب المستقبل مفتوحه، يستثمر فيها ما شاء، وهذا المجال واسع جدًّا، يمكن للداعي والمسلم بعامة أن يبدع فيه ويأتي بالعَجب مما يحبه الله تعالى ويرضاه. والأمثلة السابقة جميعها تؤكّد قوة أسلوب الدعاء، وأهميته في العمل للمستقبل .

المطلب الثالث : أن الدراسات المستقبلية تُورث التنظيم، وحسن التدبير والتخطيط والإدارة للأمور، وتحمي -بإذن الله- من عدد من الأمراض النفسية :

يُعدُّ «النظام وسيلة جيدة لابد منها لحسن استخدام الجهود وتوجيهها على نحو مثمر في مجال الدعوة إلى الله، وبالتالي زيادة فرص النجاح للداعي في بلوغ هدفه. وبدون النظام تتبعثر الجهود ويكون السير على غير هدى»[3].

والداعية بخاصة، والمسلم بعامة في حاجة إلى تنظيم الوقت، والابتعاد عن العشوائية، لكنَّ كثيرًا من الناس يتعاملون مع الحياة بشكل عشوائي، من غير سياسة جيدة لأمورهم؛ وهذا يؤثِّر في نظام حياهم، وصحتهم . والإلمام بالدراسات المستقبلية يمنح المقدرة على تنظيم الوقت في السنة، والشهر، والأسبوع، واليوم؛ والمقدرة على توزيع المهام على ما يناسبها من الأيام، ومجانبة تراكمها؛ والمقدرة على تحديد الأهداف ومعرفة الأولويات.

ذَكر أحد الأطباء[4]: أنَّ هذا التعامل الإيجابي مع الحياة يمنحُ صاحبَه اعتدالاً نفسيًّا، بينما العشوائية والتردد والتراخي الزائد والإهمال مجال لحصول القلق، والاكتئاب، والكمد، وضعف المعنويات، وتثبيط العزائم، وفوات الفرص.

---

(١) المحاسبي، مرجع سابق، ص١٣١.

(٢) أبو الحسن علي الحسني الندوي، **شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال**، (القاهرة، مطبعة دار الكتاب العربي، ١٩٥١م)، ص٦٨؛ نقلاً عن: محمد إقبال.

(٣) زيدان، **أصول الدعوة**، مرجع سابق، ص٤٦٣.

(٤) هو محمد الصغير: استشاري الطب النفسي، مرجع سابق، ص ٥٨-٥٩ .

إنَّ الإغراق في النظر المستقبلي مضر بالإنسان، كما أن الغفلة عن تذكر بعض احتمالات المستقبل قد تضر به، يقول حجار: «ولا نغالي أن معظم الاضطرابات النفسية المشاهدة في الممارسة السريرية مصدرها عدم إعداد المريض لذاته مسبقًا للتعامل مع متاعب مستقبلية»(١).

لكن الاعتدال والتوسط في التعامل مع المستقبل وعدم طغيان النظرة المستقبلية مهم للإنسان؛ ويحميه من الوقوع في اليأس والقنوط، وتراكم الهموم، وحصول القلق.

وحمى الله سبحانه العبد من بعض الأضرار التي يورثها التطلع إلى المستقبل، فأرشد عباده إلى التوكل عليه سبحانه، وأمرهم به، وأخبر أنه يحب المتوكلين، وبيَّن أنه هو حسبهم ونصيرهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(٣). وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾(٤).

«ومتى اعتمد القلب على الله، وتوكل عليه، ولم يستسلم للأوهام، ولا ملكته الخيالات السيئة، ووثق بالله، وطمع في فضله، اندفعت عنه بذلك الهموم والغموم، وزال عنه كثير من الأسقام البدنية والقلبية، وحصل للقلب من القوة والانشراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، فكم ملئت المستشفيات من مرضى الأوهام والخيالات الفاسدة، وكم أثرت هذه الأمور على قلوب كثير من الأقوياء، فضلا عن الضعفاء... قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾(٥). أي كافيه جميع ما يهمه من أمر دينه ودنياه، فالمتوكل على الله قوي القلب لا تؤثر فيه الأوهام، ولا تزعجه الحوادث»(٦).

---

(١) مرجع سابق، ص٢٣٧.

(٢) سورةالأنفال ، الآية: ٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٤) سورة الشعراء، الآيتان: ٦١-٦٢.

(٥) سورة الطلاق، الآية: ٣ .

(٦) السعدي، **المجموعة الكاملة لمؤلفاته**، مرجع سابق، ج٥ ، مج٢، ص ٤٩١-٤٩٢ .

المطلب الرابع : أهمية فقه الأثر التراكمي:

التراكمات من الأمور التي تُعنى بها الدراسات المستقبلية، وإذا أَلَمَّ الداعية بأبعادها وأثرها، واهتم بها؛ كان لذلك أثر كبير في نجاح دعوته، ومرحليتها، وعمقها في التأثير، واستمرارها وعدم انقطاعها.

فيكتسب الداعية من ذلك نظرة أوسع، وأشمل، وأعمق تجاه من يتوجه إلى دعوتهم؛ فلا يكون همه إزالة المنكرات الظاهرة، ونصيحة أصحاب المعاصي، ليؤدي الواجب عليه، ويقيم الحجة عليهم، بل يتوجه إلى تلك النفوس وفق خطة مستقبلية، تهدف إلى انتزاع أسباب المعصية من قلوبهم، حتى تستضيء بنور الإيمان، وتجد من نفسها رادعًا أمام المعاصي والآثام.

إنَّ تجزئة إيصال الخصال الحميدة التي يراد غرسها في المدعو تجزئة تكاملية تعطي أثرها المنظم والبالغ والمستوعب للخصال الكثيرة، وإذا صَاحَبَها تربية عليها كان لها أثر أبلغ، وأنتجت لنا مدعوًّا يتصف بخصال الإسلام الكثيرة؛ واتصاف المرء بعدد أكبر من الخصال يُولِّد لديه خصالاً أخرى تصاعدية، وعلى العكس من تراكم الخصال الحميدة تراكم الخصال السيئة . قال رسول الله ﷺ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا . فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ . وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ . حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا. فَلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ. وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا، كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلا يُنْكِرُ مُنْكَرًا . إلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»[(١)]. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ» وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلاً : كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلاةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ، فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا، فَأَجَّجُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا»[(٢)]. وقال عروة بن الزبير : «إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها عنده أخوات فإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها عنده أخوات، فإن الحسنة تدل على أخواتها وإن السيئة تدل على أخواتها»[(٣)].

---

(١) مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، ج١، ص١٢٨، ح١٤٤.

(٢) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٦، ص٣٦٧، ح٣٨١٨؛ وحسّنه لغيره محققو الجزء، ص٣٦٨، حاشية٣.

(٣) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، مرجع سابق، ج٢، ص١٧٧.

وتركّز النظرة المستقبلية على أهمية العمل الدائم، وتبرز أثره التراكمي، وقد جاء الحث على العمل الدائم، وبيان أنه أحب العمل إلى الله تعالى، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها : «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ : أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ»[1]. ومن فوائد هذا الحديث أن الداعية يكتسب منه التبصر بالآثار التراكمية للأعمال؛ فيحصل لديه اتساعًا في أُفق التفكير، فيختار من الأعمال ما يكون ديمة، فأحب العمل إلى الله أدومه، وأنفع المطر على الأرض ما كان ديمة، ودعوة الداعي مطر، والناس أرض، فكل ما كان عمل الداعي مرتبطًا بزمن معين يتكرر، أو بحجم يمكن قياسه ويُنجَز في زمن معين، كلما كان هذا أنفع للمدعويين، وأفضل للداعية، فمِن القواعد الفقهية: «ما كان أكثر فعلاً، كان أكثر فضلاً»[2]؛ ولذلك تجد أن هذا هو منهج العلماء المباركين، يكون لهم منهج معلوم ثابت دائم، طوال العام. وتجد أنَّ كثيرًا من الدعاة المنتجين هم ممن ارتبطت دعوتهم بأمور منتظمة مستمرة، مثل: خطبة الجمعة، والتدريس في المدارس والجامعات . وفي دوام العمل الدعوي فائدة للمدعو؛ لأنه إذا انقطع تذكيره أو فتر، غفلَ المدعو ولَهى، لكن إذا استمر التذكير؛ حيي قلبه، وزاد إيمانه بإذن الله، وتجدد نشاطه.

وحتى يكون العمل ديمةً، وينتفع به صاحبه والناس، ولا ينقطع، فلا بد فيه من التوسط والاعتدال، وعدم تكليف النفس ما يشقُّ عليها، فينبغي على المسلم الحريص على الخير ألا يسوقه حرصه، على الافراط في العبادة، وترك الاقتصاد فيها؛ فقد وَجَّه النبيُّ ﷺ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بالاقتصاد في الصيام والقيام، وصرَّح عبدُ الله رضي الله عنه بالندم عند كِبَره؛ لعدم أخذه بهذه الوصية في شبابه[3]. وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت : «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ . فَقَالَ مَنْ هَذِهِ؟ فَقُلْتُ : امْرَأَةٌ. لا تَنَامُ . تُصَلِّي . قَالَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ . فَوَاللَّهِ! لا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، ج٧، ص٢٣٣، ح٦٤٦٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، ج١، ص٥٤١، ح٧٨٢.

(٢) السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مرجع سابق، ص١٤٣؛ وينظر: ابن رجب، **القواعد**، مرجع سابق، ص٢٢.

(٣) متفق عليه، مضى تخريجه، ص٤٤٣، حاشية ٣.

صَاحِبُهُ»[1]. قال النووي: «وفيه الحث على المداومة على العمل، وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع. وإنما كان القليل الدائم خيرًا من الكثير المنقطع؛ لأن بدوام القليل تدوم الطاعة، والذكر، والمراقبة، والنية، والإخلاص، والإقبال على الخالق سبحانه تعالى، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة»[2]. وقالَ في مقدار ما يَقرأ المسلم من القرآن: «والمختار أنه يستكثر منه ما يمكنه الدوام عليه، ولا يعتاد إلا ما يغلب على ظنه الدوام عليه في حال نشاطه وغيره»[3].

المطلب الخامس : تهذيب كلمات الداعي وعباراته، وتمحيص آثارها المستقبلية:

إذا كان النبي ﷺ يُعنى بإطلاق الكلمات ذات المعنى المستقبلي الإيجابي[4]، فينبغي على الداعي إلى الله أن يُعنى بذلك، ويُمحِّص كلماته، وألفاظه، ويتخير من الكلمات، والجُمَل، ما يغذي المعاني الإيجابية.

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : «كُنْتُ أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا غُلامُ، هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ، قَالَ: فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟ فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا، فَنَزَلَ لَبَنٌ، فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ، فَشَرِبَ، وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: اقْلِصْ فَقَلَصَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ: فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ»[5]. وفي رواية: «قُلْتُ: عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ، قَالَ: إِنَّكَ غُلامٌ مُعَلَّمٌ، قَالَ: فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً»[6]. فانظر إلى ثناء النبي ﷺ على ابن مسعود رضي الله عنه : «إِنَّكَ غُلامٌ مُعَلَّمٌ»، وكيف أثمر في عنايته بالتعلم.

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله عز وجل أدومه، ج١، ص١٩، ح٤٣؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد، ج١، ص٥٤٢، ح٧٨٥.

(٢) **المنهاج**، مرجع سابق، ص٦٤٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٨٦٩.

(٤) ينظر ص ٤٢٨.

(٥) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٦، ص٨٢، ح٣٥٩٨؛ وحسن إسناده محققو هذا الجزء.

(٦) المرجع نفسه، ج٦، ص٨٣، ح٣٥٩٩؛ وحسن إسناده محققو هذا الجزء.

«إن كلمة تقدير وتكريم من أستاذ له قدر في شأن أحد تلاميذه، قد تصنع منه -بتوفيق الله- نابغة من نوابغ العلم. ومن طلاب العلم من أوتي الموهبة والذكاء والقدرة على الفهم والتحليل والتحصيل، ولكن تنقصه الثقة بالنفس والأمل في الغد، فما أحوجه إلى كلمة من أستاذ مرشد تنفعه وترفعه»[1].

ولا يتحرج الداعية من إطلاق بعض الكلمات الإيجابية استنادًا إلى أحاديث النهي عن المدح؛ فإنه قد «جاءت أحاديث كثيرة في «الصحيحين» بالمدح في الوجه. قال العلماء: وطريق الجمع بينها: أن النهي محمول على المجازفة في المدح والزيادة في الأوصاف، أو على من يخاف عليه فتنة من إعجاب، ونحوه إذا سمع المدح. وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه، ورسوخ عقله ومعرفته، فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كنشطه للخير، والازدياد منه، أو الدوام عليه، أو الاقتداء به كان مستحبًا»[2].

«ولما كان الاسم الحسن يقتضي مسمَّاه، ويستدعيه من قرب، قال النبي ﷺ لبعض قبائل العرب وهو يدعوهم إلى الله وتوحيده: «يا بَني عبد الله إنَّ الله قد حَسَّنَ اسمكم واسم أبيكم» فانظر كيف دعاهم إلى عبودية الله بحسن اسم أبيهم، وبما فيه من المعنى المقتضي للدعوة»[3].

وبالمقابل يحرص الداعية على أن يتجنب الألفاظ ذات المعاني المستقبلية السلبية، التي تؤثر في نفس المدعو، وتدعوه إلى الابتعاد عن الدين وأهله، أو تسوقه إلى الانهزام النفسي، أو تحرك فيه دافع المعصية والفاحشة. ألقى أحد الدعاة محاضرة، أورَد فيها كلمات أشبه بالمَثَل، فقال وهو يصف انتشار الفاحشة، وأن مِن النساء مَن يطلبن الفاحشة سدًّا لحاجتهن المالية، وصار شعارهن: (ادفع فاتورتي وارفع تنورتي)، (طلّع لي بطاقة سوا[4] حتى نطلع سوا)، فمِثل هذا العبارات تُكوِّن معاني سلبية لدى مستمعها، رجلاً كان أو امرأة، فتَفتح على المرأة باب شر، وتُحدِث لديها خطرات، ثم هَمٌّ، ثم إرادة، وربما تطورت إلى فعل، وتؤجج في الرجل الشهوة، وتجعله ينظر إلى كثير من النساء بهذه الصورة، ويبحث

---

(١) يوسف القرضاوي، **الرسول والعلم**، ط٣، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ)، ص١٣١.

(٢) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص٢٠٤٩.

(٣) ابن القيم، **زاد المعاد**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٣٩ .

(٤) هي: بطاقة هاتف جوال مسبوقة الدفع.

عن مَن يدفع لها فاتورها؛ فمثل هذه الكلمات السلبية تطير مَطار الـمَثَل، وتفعل فعله، فتُمَكِّن للمعنى في نفس السامع، وتجعل المعاني السلبية ماثلةً أمامه .

«لا تَحقرنَّ من الكلام قليلَه   إنَّ الكلام له سيوف تكْلِمُ»(١).

وإذا تكرر إطلاق الألفاظ السلبية مرارًا، أصبح مدلولها صفة لازمة لمن نُعت بها، "وكم من أولاد اكتسبوا صفات العناد أو الكسل أو الكذب لأن أهلهم ظلوا ينعتونهم بهذه الصفات ليلاً نهارًا حتى أصبحت صفات حقيقية لازمة لهم... والأخطر من ذلك هو أن ما ينطبق على الفرد ينطبق على المجتمع، فعندما تكون صورة المجتمع سلبية في أذهان أفراده، فإن ذلك سيدفع بالمجتمع في طريق الهبوط دائمًا... لقد حذرنا رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام من أن ننعت المجتمع بأوصاف سلبية، وذكر أن من يفعل ذلك إنما يساهم في إهلاك المجتمع قال عليه الصلاة والسلام :«إِذَا قَالَ الرَّجُلُ : هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكَهُمْ»(٢) »(٣).

فالحرص على انتقاء الكلمات، وتخير العبارات، واستحضار أثرها في النفوس قبل إطلاقها، أمر مهم في حق الداعية ينبغي أن يُعنى به أشد العناية.

المطلب السادس : تفيد النظرةُ المستقبلية خطيبَ الجمعة في وضع برنامج خطب متكامل :

"عُني الإسلام بالخطابة، فشرع الخطب أيام الجمع والأعياد؛ ليقوم فيها الخطيب بإرشاد يراعي فيه حال الأمة، فيقرع أسماعها بالموعظة الحسنة، ويستنهضها للأعمال الكافلة بعزها في الدنيا وسعادتها في الآخرة"(٤)، وقد كان النبي ﷺ "يُعلِّمُ أصحابَه في خطبته قواعد الإسلام، وشرائعه "(٥)، وتمتاز خطبة الجمعة بعَودها كل أسبوع، وبأن جميع الذكور من المسلمين يحضرونها، ولا يتخلف عنها إلا المتأخرون وأهل الأعذار والفساق . وتجد أن كثيرًا من الناس لا يحضر الدروس العلمية، ولا المحاضرات والكلمات، لكن يحضر خطبة الجمعة ويتأثر بها؛ فالأثر

---

(١) **ابن زيدون**، مرجع سابق، ص٣٠٦.

(٢) مسلم، مرجع سابق، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن قول: هلك الناس، ج٤، ص٢٠٢٤، ح٢٦٢٣؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب لا يقال خبثت نفسي، ج٥، ص٢٦٠، ح٤٩٨٣.

(٣) العيتي، مرجع سابق، ص٣٧-٣٩.

(٤) محمد الخضر حسين، مرجع سابق، ص٦٦.

(٥) ابن القيم، **زاد المعاد**، مرجع سابق، ج١، ص٤٢٧.

«الذي تصنعه الخطبة الناجحة عظيم وإن لم يعلمه الخطيب، والجمهور المستفيد من الخطبة كبير وإن لم يحصهم الخطيب»(١)؛ وهذا مهم في استثمار هذا الحضور الجيد والمستمر في إيصال مجمل تعاليم الإسلام، حسب الإمكان؛ فالخطابة «-منذ كانت- سلاح المجتمع الإنساني في سلمه وحربه، وفي ترقيته والإسراع به نحو المثل الأعلى الذي يجب أن يقصد إليه»(٢)، وتفيد النظرة المستقبلية الخطيب في وضع نظام متكامل لموضوعات خطبه، تُسهم – مع مرور الأيام والأعوام – في بناء شخصية إسلامية مُلِمَّة بمجمل أحكام الإسلام عقيدة وشريعة، «ولا ريب أن مقصود الدعوة إلى الله تعالى نشر الهداية الإسلامية بتصحيح العقائد واستقامة الأعمال، وتهذيب النفوس وتوثيق عرى الوحدة والإخاء بين المسلمين، ومقاومة الإلحاد ودفع الشبهات عن الدين»(٣)، وبدون وجود النظرة المستقبلية بعيدة المدى، لا يُدرِك الخطيب هذه الميزة المهمة لوضع نظام متكامل، بل يظل يطرق موضوعات مُلحَّة من موضوعات الساعة والأحداث الراهنة مما يحتاجه الناس، ويَغفل عن موضوعات مهمة: عقدية، وفقهية، وتربوية، تكون حاجة الناس إليها ضرورية، وهم يحضرون عنده ربما عشرات السنين، حيث إنَّ كثيرًا منهم يلزمون مسجدًا واحدًا كثيرًا من حياتهم. وإذا تتبعت فهارس خطب بعض الخطباء، ممن أمضوا زمنًا طويلاً في الخطابة، ونظرت فيها، تدرِك -من خلال مدى شمول الموضوعات التي تَطرَّقَ إليها لمجمل أحكام الدين- مَن كان لديه في هذا المجال نظرة مستقبلية من غيره، وتجد أن بعض الخطباء قد غابت عنهم هذه الفكرة تمامًا فتجد خطبه مكررة، يعيدها في كل عام، وفاته التطرق لعدد من الموضوعات المهمة لكل مسلم، ولاشك أنَّ الإعادة مهمة؛ لأن الناس ينسون ويحتاجون للتذكير في الأمور التي تعود وتتكرر، لكن الشمول أيضًا مهم.

والنظر المستقبلي المطلوب هنا، ليس أن تشمل موضوعات الخطيب مجمل أحكام الدين، خلال حياته الخطابية، بل تشملها في حقب زمنية محددة، يكررها مرات، مغايرًا ومنوعًا في أسلوبه، يُلْبِسُ كل حقبة ثوبًا جديدًا؛ يتناول فيها موضوعات عقدية، وفقهية، وتربوية،

---

(١) سليمان بن حمد العودة، "دور الخطباء في الارتقاء بخطبة الجمعة"، ندوة صحفية، في "البيان"، مرجع سابق، العدد: ٢٠٣، (رجب، ١٤٢٥هـ)، ص ٥١.

(٢) الحوفي، مرجع سابق، ص٦.

(٣) محفوظ، مرجع سابق، ص١٦-١٧.

واجتماعية، ويُعنى بسلوك يُقوِّمه، ومنكر ينكره، ويُعالج قضية نازلة، ويبعث هِممًا فاترة، أو يُسكِّن نفوسًا ثائرة؛ فمن المهم في تخير موضوع الخطبة أن يوسِّع الخطيب أُفقه؛ ويضع موضوعات خطبه في إطار خطة؛ ليُقدِّم في كل حقبة زمنية موضوعات متكاملة، ويقترح الباحث أن يكون مقدار الحقبة عشر سنوات؛ إذ يتطرق فيها الخطيب إلى ما بين (٤٥٠) إلى (٥٠٠) موضوع، وهي كافية لتربي مسلمًا تربية متكاملة، وتصنع أمَّة مؤمنة مترابطة، بإذن الله تعالى . وليس معنى هذا أن يعيش الخطيب خارج زمانه، بل بإمكانه أن يناقش الهموم الحاضرة للناس، مع مسار الخطة بشكل صحيح . ويَحسُن في المساجد التي يتناوب فيها أكثر من خطيب، أن يكون بينهم تنسيق في وضع مخطط الخطب خلال الحقبة الزمنية، ويتعاونون في إنجاحه وإكماله.

وهذه الطريقة تُستمد من النظر إلى الحاضر من خلال شرفة المستقبل، فالخطيب هنا يذهب إلى المستقبل، ومنه ينظر إلى حاضره فيختار موضوع خطبته؛ وهي تعتمد على المنهج الاستهدافي، الذي يقوم بتحديد الأهداف المراد الوصول إليها في وقت محدد، وهي هنا : عشر سنوات، ثم يضع الموضوعات التفصيلية لِخُطبه؛ للوصول لتلك الأهداف، مع تقديره للأحوال الحالية والمستقبلية، وأن يكون في خطته مجال مرن للموضوعات المستجدة والنوازل.

كما أن وضع الخطيب خطة لخطبه يعود عليه بعدد من الفوائد، منها:

"١-عدم حيرته في اختيار موضوع الخطبة، ولا سيما إذا ضاق الوقت عليه.

٢-نضج الموضوعات التي يطرحها، إذ قد يمر عليه شهور وهي تدور في مخيلته، وكلما حصل ما يفيده فيها من مطالعاته وقراءاته قيَّده، أو استذكره.

٣-سهولة بحثه عدة موضوعات، إذا كانت في فن واحد، وتوفير كثير من الوقت"(١)، في إعداد خطبه.

---

(١) إبراهيم بن محمد الحقيل، "كيف تختار موضوع الخطبة؟"، في "البيان"، مرجع سابق، العدد: ٢٠٩، (١/ ١٤٢٦هـ)، ص٣٠.

المطلب السابع : حديث الخطيب عن قضايا متوقعة:

يرى بعض الدعاة أن من عوامل نجاح الخطبة وأثرها في النفوس: «أن تناقش إضافة إلى القضايا الحاضرة القضايا التي يتوقع وقوعها وحدوثها، أو الأحداث والفتن التي يُخشى وقوعها؛ وذلك توضيحًا لأحكامها إن كانت مناسبات ومواسم، أو تحذيرًا من أسبابها إن كانت مصائب وفتنًا ومنكرات»[١]؛ فينبغي للخطيب «أن يحرص جاهدًا حينما يشعر أن هناك ثمة أمورًا يخشى من وقوعها في المجتمع، أو من زيادة خطرها بعد الوقوع، أن يطرحها في خطبة قبل تفاقمها، وأن يحذر من مغبة الوقوع فيها، وهذه المبادرة تعد أمرًا مهمًا مبنيًا على قاعدة فقهية مشهورة وهي «أن الدفع أولى من الرفع» لأن مدافعة الشيء قبل وقوعه تكون من حيث السهولة وقلة المؤنة وضآلة المفسدة ما لا تكون بعد وقوع الشيء ورجحان مفسدته»[٢].

ويوافقهم الباحث لكن بشروط، يراها مهمة، وهي:

١-أن منبر الخطبة منبر شريف، تُقام عليه عبادة عظيمة، تَستمد مادتها من كتاب الله تعالى، وسنة رسولهﷺ، وليس منبرًا لإصدار توقعات قد يتضح إخفاقها فيما بعد، فينبغي أن يصان هذا المنبر، ويُحتاط لمكانه الشريف.

«وَلاَ تَحْسَبَنَّ الْحَدْسَ يُدرِكُ مَا نَأَى فَمَا كُلَّ حينٍ قَائِفُ الْحَدْسِ يَصْدُقُ»[٣].

٢-أن يَعتمد الخطيب في الحديث عن الأمور المستقبلة على الوحي، ولا يُنزِّله على وقائع ليست له.

٣-أو يعتمد على حقائق واقعة، فهناك أعمال ومشاريع تُقرّ من جهاتها، ويُبدأ بالعمل على إنشائها، ولكنها لا تصبح واقعًا ممارسًا إلا بعد سنوات تقتضيها مرحلة الإنشاء والإعداد، فالحديث عن مثل هذا ليس من التوقعات؛ ونحوه الحديث عن أمور يُعتاد حصولها في أزمان معلومة، مثل بعض البدع والمنكرات المرتبطة بأزمان أو مناسبات معينة.

---

(١) محمد بن عبد الله الخضيري، "دور الخطباء في الارتقاء بخطبة الجمعة"، ندوة صحفية، في "البيان"، مرجع سابق، العدد: ٢٠٣، (رجب/ ١٤٢٥هـ)، ص ٤٨.

(٢) سعود بن إبراهيم الشريم، **الشامل في فقه الخطيب والخطبة**، ط١، (الرياض، دار الوطن، ١٤٢٣هـ)، ص ٧٩.

(٣) البارودي، مرجع سابق، ص٣٨٦ .

٤-ألاّ يعتمد الخطيب على الاستشراف الاجتهادي إلا بالشروط التالية:

أ-أن يكون الاستشراف معتمدًا على أساليبه المعتمدة.

ب-أن ترتفع نسبة وقوع ما جرى استشرافه.

ج-أن يبين ويؤكد على أن هذه اجتهادات بشرية قابلة للخطأ والتخلف.

د-أن يَحذر من صياغة بعض التوقعات -مما هو منكَرٌ- بصورة الحض عليه، وتسويغه لدى الناس، وتهيئتهم لقبوله، فإن هذا مزلق خطير، قد يغفل عنه كثيرون.

المطلب الثامن : استثمار النظر المستقبلي لتَثْبيت النفس في سيرها إلى الله تعالى:

تُواجِه النفسُ خلال سيرها إلى الله تعالى عددًا من العقبات، والضغوط، والمغريات، والصوارف، التي تصرف عن السير أو تضعفه، سواء كان سيرًا في أداء فرائض وعبادات، أو في طلب علم، أو في الثبات على الحق، وعدم الرجوع عنه، أو الضعف فيه؛ وتلك الضغوط ونحوها تحتاج من العبد دوام المجاهدة؛ للتخلص منها وعدم تأثيرها فيه، وهو خلال هذه المجاهدة يحتاج إلى وسائل تعينه وتثبته وتُصبِّره، ومنها النظر المستقبلي، فيمكن استثماره في تثبيت النفس خلال سيرها إلى الله تعالى، قال ابن رجب: «من سار في طريق العبودية إلى لقاء الحبيب فلابد من مواصلة السير حتى يصل، فإن وقف في الطريق أو رجع هلك، فإن أشتد عليه ألم السير فليذكر راحة الوصول وقد زال التعب»[(١)]، وقال ابن الجوزي: «وإنما الاعتبار بالعواقب، ومن تأمل العاقبة هان عليه البلاء»[(٢)].

«إذا اشتكت من كلال السير أوعدها روح القدوم فتحيا عند ميعاد»[(٣)].

قال الحسن البصري: «أخوان طلب أحدهما العلم في صغره، وآثر الآخر البطالة، واجتمعا عند علو السن وجلسا في مكان، فلاحَ على هذا أثر التعب وقد حصل العلم والتقوى، وأما الآخر فليس بيده من آثار الراحة شيء، بل إن تفكر تحسر. فأف لعاقل يستعجل البطالة ولا يستعجل الحسنى»[(٤)].

---

(١) عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، **شرح حديث شداد بن أوس**، تحقيق إياد بن عبد اللطيف القيسي، (الرياض، دار العاصمة، ١٤١٩هـ)، ص ٢٧.

(٢) **الثبات عند الممات**، تحقيق عبد الله الليثي الأنصاري، (بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦هـ)، ص٥١ .

(٣) ابن رجب، **شرح حديث شداد بن أوس**، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٤) ابن الجوزي، **حفظ العمر**، مرجع سابق، ص٣٣-٣٤.

وقال الشوكاني: "وما أحسن ما حكاه بعض أهل العلم عن الحكيم أفلاطون فإنه قال الفضائل مُرة الأوائل حلوة العواقب . والرذائل حلوة الأوائل مُرة العواقب . وقد صدق فإن من شغل أوائل عمره وعنفوان شبابه بطلب الفضائل لابد له أن يفطم نفسه عن بعض شهواهّا ويحبسها عن الأمور التي يشتغل بها أترابه ومعارفه من الملاهي ومجالس الراحة وشهوات الشباب . فإذا انتهى إليه ما هم فيه من تلك اللذات والخلاعات وجد في نفسه بحكم الشباب وحداثة السن وميل الطبع إلى ما هناك مرارة واحتاج إلى مجاهدة يرد جامح طبعه ومتفلت هواه ومتوثب نشاطه لا يتم له إلا بإلجام شهوته بلجام الصبر ورباطها بمربط العفة...

وإذا انضم لذلك الطالب إلى هذه المرارة الحاصلة له بعزف النفس عن شهواهّا مرارة أخرى هي إعواز الحال وضيق المكسب وحقارة الدخل . فإنه لابد أن يجد من المرارة المتضاعفة ما يعظم عنده موقعه لكنه يذهب عنه ذلك قليلاً قليلاً، فأول عقدة تنحل عنه من عقد هذه المرارة عند أن يتصور ما يؤول به الأمر وينتهي إليه حاله من الوصول إلى ما قد وصل إليه من يجده في عصره من العلماء... ويزداد ذلك بما يحصل له من لوازم العلم من الجلالة والفخامة وبُعد الصيت وعظم الشهرة ونبالة الذكر ورفعة المحل والرجوع إليه في مسائل الدين وتقديمه على غيره في مطالب الدنيا وخضوع من كان يزري عليه ويستخف بمكانه من بني عصره فإذا جمعهم مجلس من مجالس الدنيا كانوا له بمنـــزلة الخدم، وإن كان على غاية من الإفلاس والعدم. ثم إذا تناهى حاله وبلغ من الحظ في العلم إلى مكان علي انثال عليه الطلبة للعلوم، وأقبل إليه المستفتون في أمر الدين، واحتاج إليه ملوك الدنيا فضلاً عن غيرهم، فيكون عند هذا عيشه حلوًا محضًا، وعمره مغمورًا باللذات النفسانية والجسمانية ويرتفع أمره عن هذه الدرجة ارتفاعـــًا لا يقادر قدره إذا تصور ما له عند الله من عظيم المنـــزلة وعلي الرتبة وعظيم الجزاء الذي هو المقصود أولاً وبالذات من علوم الدين"(1).

قال ابن القيم: "والعاقل الكيِّس دائمًا ينظر إلى الغايات من وراء ستور مبادئها فيرى ما وراء تلك الستور من الغايات المحمودة والمذمومة"(2).

---

(١) **أدب الطلب ومنتهى الأرب**، مرجع سابق، ص ٩٢ – ٩٣.

(٢) **الفوائد**، مرجع سابق، ص٢٤٦-٢٤٧.

المطلب التاسع : استثمار النظرة المستقبلية في التذكير بأن الأحوال لا تدوم، وأن المرء عرضة لتبدل الحال وتغير الزمان؛ فيغتنم حاله الحاضرة بما يعود عليه بالنفع:

من فوائد النظرة المستقبلية لتقلبات الأحوال : أنها تهيئ نفسيًّا لتقبُّل القدر، كالتحول من الغنى إلى الفقر، ومن الصحة إلى المرض، وكل تحول من أحسن إلى أسوأ، وهذه النظرة تؤدي إلى عدم الاسترسال في الإسراف أو الطغيان في الصحة والغنى وما تحقق لدى الإنسان من أمجاد، بل يكون متواضعًا شاكرًا باذلاً؛ ذَكَرَتْ بعض كُتب الحِكم والآداب عن سليمان عليه السلام أنه قال: «لا تفتخر بما فعلت في يومك، فإنك لا تدري ما يُنتج الغد»[١].

كما تحمي هذه النظرة -بإذن الله تعالى- من الجزع والسخط عند المصيبة، ومن الوقوع في براثن بعض الأمراض النفسية التي تنشأ عند التعرض لهذه الأحوال.

«ومن يتأمّلِ الأيّامَ تَسهُلْ عليهِ النّائباتُ، وإنْ بَخسنَه»[٢].

«ومن عرفَ الأيامَ لم ير خفضَها نعيمًا و لم يعدد تصرفَها بلوى»[٣].

وهذه النظرة المستقبلية لتقلبات الأحوال نبَّه إليها النبي ﷺ بقوله: «اِغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْل خَمْس، شَبَابك قَبْل هَرَمك، وَصِحَّتك قَبْل سَقَمك، وَغِنَاك قَبْل فَقْرك، وَفَرَاغك قَبْل شُغْلك، وَحَيَاتك قَبْل مَوْتك»[٤]. ومَن يفقد هذه النظرة يكون عرضة لأن يحصل له ما سبق ذِكْره هنا، كما أنه يُشغَل عن فعل ما ينفعه وما فيه مصلحته، قال ابن الجوزي: "إني رأيت جمهور الناس إذا طرقهم المرض اشتغلوا، تارة بالجزع منه والشكوى، وتارة بالتداوي، إلى أن يشتد، فيشغلهم اشتداده عن الالتفات إلى المصالح، من وصية، أو فعل للخير، أو تأهب للموت، فكم له من ذنوب، لا يتوب منها، أو عنده وديعة لا يردها، أو عليه دين، أو زكاة، أو في ذمته ظلامة لا يخطر له تداركها، وإنما حزنه على فراق الدنيا، إذ لا همة له سواها وربما أفاق فأوصى بجور... فينبغي للمتيقظ أن يتأهب في حال صحته، قبل هجوم المرض، فربما ضاق الوقت عن عمل، أو استدراك فارط أو وصية»[٥].

---

(١) ابن منقذ، مرجع سابق، ص٤٤٤.

(٢) أبو العلاء المعري، **لزوم ما لا يلزم**، شرح نديم عدي، ط٢، (دمشق، دار طلاس، ١٩٨٨م)، ج٣، ص١٥٦٧.

(٣) الراغب، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، مرجع سابق، ج٤، ص٣٩٠؛ و لم ينسبه لمعين.

(٤) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الرقاق، ج٤، ص٣٤١، ح٧٨٤٦ .

(٥) **الثبات عند الممات**، مرجع سابق، ص٤٣.

المطلب العاشر : التعرف على شخصية المدعو؛ لتحسين تعامل الداعية معه :

قال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(١). «فذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو، فإنه إما أن يكون طالبًا للحق راغبًا فيه محبًا له مؤثرًا له على غيره، إذا عرفه، فهذا يدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة ولا جدال، وإما أن يكون معرضًا مشتغلاً بضد الحق ولكن لو عرفه عرفه وآثره واتبعه فهذا يحتاج مع الحكمة إلى الموعظة بالترغيب والترهيب وإما أن يكون معاندًا معارضًا فهذا يجادل بالتي هي أحسن فإن رجع إلى الحق وإلا انتقل معه من الجدال إلى الجلاد، إن أمكن»(٢).

تحثنا النظرة المستقبلية على دراسة شخصية المدعو وتحليلها، والتعرف على واقع حاله؛ لتَوَقُّع ردة فعله تجاه أسلوب معين من أساليب الدعوة؛ ليعرف الداعية كيف يسوس نفوس مدعويه، ويقودها إلى الحق، بأحسن الأساليب، ومن النظرة المستقبلية: اشتراط العلماء في الهجر أن يكون له فائدة عائدة على المدعو، واشتراطهم في إنكار المنكر ألا يترتب على إنكاره منكر أعظم منه؛ فهم قبل قيامهم بالهجر أو الإنكار يُقدِّرون المآلات لهذا وذاك.

ومن وسائل التعرف على المدعو بما يصلح حاله: « معرفة طموحاته وتطلعاته المستقبلية وما يستشرف الوصول إليه؛ فإن معرفة ذلك تعطينا مؤشرات على نفسية المدعو التي نجتهد للوصول إلى معرفة ما يؤثر عليها»(٣)، فالنظرة المستقبلية في هذا تُحسِّن من تعامل الداعية مع مدعوِّيه، بتلمس العوامل التي قد تصد أو تقلل من قبول المدعو الدعوة، وتأثره بها، فإذا كان المدعو قد أعوزته الحاجة، ودقه الفقر، سعى الداعي إلى سدِّ ذلك قبل الدعوة أو أثنائها، على نحو قول الشاعر: «يَسْبِقُ بالفعل ظَنَّ سائله»(٤). وكثيرة تلك المشكلات التي يعاني منها المدعو، وتكون سببًا في صدوده، ويكون السعي في سدها سببًا في إقباله على الدعوة، وقبوله لها، وقد فَطن لهذا المنصِّرون -وبخاصة في إفريقيا وبعض دول شرق آسيا- فاهتموا

---

(١) سورة النحل، من الآية: ١٢٥.

(٢) ابن القيم، **الصواعق المرسلة**، مرجع سابق، ج٤، ص١٢٧٦ .

(٣) محمد زين الهادي، **علم نفس الدعوة**، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٥هـ)، ص٢٦٩.

(٤) إبراهيم بن هرمة، **شعر ابن هرمة القرشي**، تحقيق محمد نافع، وحسن عطوان، (دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٩٦٩م)، صدر بيت له، ص ١٦٤.

بالحاجات الجسدية لأهل تلك البلدان، من شراب وطعام وعلاج ودواء، وأضلوا بها أممًا، حَمَلَ منها أُناسٌ لواء دعوتهم.

وقد كان لتَلَمُّس النبيِّ ﷺ حاجات الناس أثرٌ مهم فيهم، فعن أَنَسٍ ﷺ: «أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ. فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ. فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ! أَسْلِمُوا. فَوَاللَّه! إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ. فَقَالَ أَنَسٌ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلاَّ الدُّنْيَا. فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الإِسْلامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»(١).

المطلب الحادي عشر: العناية بالمدعو بعد الهداية:

من أهم وظائف الداعية: تعاهد المدعو بعد الهداية؛ لتقوية إيمانه، وتعليمه دينه، وتهذيب سلوكه، وحمايته من الارتداد والنكوص(٢)، فمِن فقه الداعية، الدال على نظره المستقبلي: متابعة المدعو حتى يستقر فيه الإيمان، بل ويغرس في نفسه ما يزيد في إيمانه، ويحرسه من العَود إلى سابق عهده.

وقد نشأت مشكلة في كثير من بلدان أفريقيا -بخاصة- بسبب نشاط الدعوة الموجهة لغير المسلمين، فإذا ما أسلم الإنسان، تُرك ولم يتعاهد بالتعليم والتربية وتقوية الإيمان، ثم فُطن لهذا مؤخرًا؛ فنشأت جمعيات خاصة بالعناية بالمسلم الجديد.

«فلا يجوز للداعي أن يترك المستجدين وشأنهم بمجرد أنهم قبلوا الإسلام وصاروا من عداد المسلمين، فقد تبقى فيهم بقايا كثيرة أو قليلة من دائهم القديم»(٣). «ولا يكفي أن يقوم الداعي المسلم بتعليم المستجيب معاني الإسلام وإنما عليه أن يحمله على العمل بها وصياغة سلوكه بموجبها ومقتضاها، وهذا هو ما نريده بالتربية والعلم.. وهكذا كان نهج المسلمين الأولين»(٤).

و«ليس المصلح المعصوم بالذي يقصر دعوة إصلاحه على تعليم الفضائل وتمييزها من أضدادها وغرسها في نفوس أتباعه ومريديه وتدريبهم على العمل بما تقتضيه، ثم يطمئن إذا

---

(١) مسلم، مرجع سابق، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا، ج٤، ص١٨٠٦، ح٢٣١٢.

(٢) القحطاني، **مقومات الداعية**، مرجع سابق، ص ٩٩.

(٣) زيدان، **أصول الدعوة**، مرجع سابق، ص٤٤٢.

(٤) المرجع نفسه، ص٤٤٤.

رآهم دربوا على العمل بها وصارت لهم خُلــقًا. بل المصلح الإلهي موفق ومحدث بخبايا وأسرار تخفى على من لم يكن مثله من دعاة الخير وأعلام الإصلاح وأساطين الحكمة، فهو يقتضي مشايعة تعاليمه في النفوس، ويقيم لها ما يجددها ويحرسها من أن تتلاعب بها عواصف الأهواء . ويظهر تميزه عن غيره من دعاة الإصلاح في هذا المقام، وهو مقامُ الحياطة والحراسة وسد ثغور قد يخفى أكثرها أو بعضها عن بقية دعاة الإصلاح. ذلك أن للنفوس عاهات باطنية تعتادها وتعاودها، تقضي بتقلص ما هي عليه من التعاليم الصالحة والتسلل مما طُبعت عليه رويدًا رويدًا : تعاودها في ابتداء التخلق مصارعة بين حالتها السابقة الموروثة وحالتها الملقنة المبثوثة... ثم يعاود النفس النـــزوع إلى العكر السابق الذي طال عليه الأمد، فإن للنفوس حنينًا إلى أحوالها المتقادمة لما يقارن تلك الأحوال من تذكرات جميلة في أوقاتها وأحوالها... فلأجل ذلك كله كان الصلاح بحاجة إلى ما يشبه الحارس يذب عن النفس ما يتسرب إليها من دواعي نقض الإصلاح، وإن شئت فقل من دواعي الفساد»[1].

المطلب الثاني عشر : تمحيص النظر إلى النهايات السلبية، والاعتدال في معالجتها:

النظر إلى النهايات السلبية يؤدي بالمرء إلى السعي والحرص الشديد على عدم حصولها، وذلك بمنع أسبابها وقطع بداياتها؛ لكن شدة الحرص، والإفراط في الانفعال تجاه ذلك، يَصدّ عن تخير الأساليب الصحيحة المناسبة لذلك في ظل الجهل بها، ويَبعد بالداعية والمربي عن الحكمة في علاج الموقف، مثال ذلك: حرص المربي على حماية من يربيه من رفقة السوء، فتجده يُحجر عليه واسعًا، فيمنعه من كل رفقة، ولا يوجد له وسائل بديلة، فتكون النتيجة في الغالب سلبية . لكن إلمام المربي بطريقة استشراف المستقبل، أو اطلاعه على الدراسات التربوية التي تُعنى بجوانب المستقبل، يعطيه توازنًا بين النظر إلى النهايات والأساليب الصحيحة النافعة في المنع من الوصول إليها، وبين النظر إلى النتائج والأساليب الصحيحة في منع أسبابها.

(١) ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص ١٣٥ — ١٣٦.

خاتمة:

توصل الباحث خلال هذا الفصل إلى أن استشراف المستقبل، سواء كان تفكرًا ونظرًا، أو كان دراسات، إذا جرى استخدامه باعتدال، ورُوعيت فيه الحكمة، فإنه مفيد لكل من الداعي والمدعو، ويثمر ثمرات طيبة كثيرة -بإذن الله- : في الفكر والتفكر، والفصاحة والبيان، والتدبير والتخطيط، والتصبر والتثبيت، والتهيؤ للمواقف، والتعرف على البيئات والأشخاص، واستباق المشكلات، وفي العلم والثقافة، وفي التكيف الإيجابي مع الزمن المتغير، ومستجدات العصر، وفي حماية المسلم من التشاؤم المفضي إلى عدد من المشكلات.

وأظهرَ الفصل أهمية أسلوب المشاهد للداعي والمدعو، في أمور كثيرة، تستوجب عناية الدعاة بهذا الأسلوب المهم .

وما عرضه هذا الفصل يُعَدُّ أمثلة -فحسب- لفوائد النظرة المستقبلية للداعي والمدعو، وما يمكن أن تقدمه الدراسات المستقبلية لصالحهما.

الفصل الثالث

الدراسات المستقبلية ووسائل الدعوة وأساليبها

المبحث الأول : أثر الدراسات المستقبلية في سـرعة المشـاركة في الوسائل المستجدة، وفوائد ذلك

المبحث الثاني : التخطيط للدعوة الإسلامية

المبحث الثالث : الـجـهـاد في سبيل الله

المبحث الرابع: الـمـال

المبحث الخامس : التربية والتعليم

المبحث السادس : الترغيب والترهيب

تمهيد:

تعريف الوسيلة في اللغة والاصطلاح :

الوسيلة مفرد الوسائل، وهي في اللغة : «ما يتقرَّب به إلى الغير»[(١)]، وقيل : هي «التوصل إلى الشيء برغبة»[(٢)].

ويُعرِّف الباحث الوسيلة في الاصطلاح بأنها : ما يستخدمه الداعي في إيصال الكلمات، والمعاني، والأفكار، إلى المدعو.

تعريف الأسلوب في اللغة والاصطلاح :

الأُسلوب في اللغة : «الفَنُّ؛ يقال : أخذ فلانٌ في أساليبَ من القول، أي في فنونٍ منه»[(٣)].

والأسلوب في الاصطلاح : «طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير»[(٤)].

الفرق بين الوسيلة والأسلوب:

« الوسيلة غالبًا تكون من أشياء مادية محسوسة، والشيء الواحد قد يكون وسيلة من وجه، ومن وجه آخر أسلوبًا، وهذا عائد إلى أن الوسائل أوعية الأساليب وحاملة لها»[(٥)].

أقسام الوسائل، ومواطن استخدامها :

الوسائل قسمان: وسائل معنوية، وهي الصفات الحميدة المطلوبة في الداعية، مثل: الصدق، والإخلاص، والأمانة، والاستقامة، وحسن الخلق، والتواضع، والزهد، ونحو ذلك؛ ووسائل حسية، وهي ما يستعين بها الداعية في دعوته من المحسوسات، مثل: الأقوال،

---

(١) الجوهري، مرجع سابق، ج٥، ص١٨٤١، مادة: (وسل).

(٢) الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص٨٧١، مادة: (وسل).

(٣) الجوهري، مرجع سابق، ج١، ص١٤٩، مادة: (سلب).

(٤) أحمد الشايب، **الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية**، ط٧، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٩٦هـ)، ص٤٤.

(٥) عبد الله بن رشيد الحوشاني، **منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة**، (الرياض، دار إشبيليا، ١٤١٧هـ)، ج٢، ص ٥٤٤.

والحركات، والأدوات، والأعمال، كالخطبة، والمحاضرة، والندوة، والإذاعة، والمسجد، والجمعية[1].

وتنقسم من حيث تقسيم آخر إلى وسائل سمعية، ومرئية، ومقروءة، وشخصية كالمجاملات ونحوها[2]، ويزيد الباحث: وسائل ملموسة محسوسة، واستخدامها في جانب الأكِفَّاء أكثر، وتستخدم لغيرهم، كالتذكير بالجنة باستخدام اللمس لبعض الأشياء الناعمة، والتحذير من النار باستثمار بعض المواقف التي يتعرض فيها الإنسان للأشياء الحارة.

وهذه الوسائل يُستعمل منها ما تقتضيه الحكمة، فإن كان من الحكمة إلقاء محاضرة، استعمل الداعي هذه الوسيلة، وإن كانت الحكمة تقتضي كتابة في صحيفة، استخدمها الداعي؛ فاستخدامها يكون بحسب ما يقتضيه الحال، فالبيئات تختلف، ومستويات الناس تتعدد، ونفوسهم تتباين، والموضوعات تتنوع، والأوقات تتفاوت، ومثل ذلك يقال في استخدام الأساليب.

بعض الضوابط في الوسائل :

١-يجب أن تكون منضبة بحكم الشرع، فالغاية لا تبرر الوسيلة، بل لابد أن تكون موافقة لمقاصد الشريعة، ولا يعني هذا أن نقتصر على ما استخدمه النبي ﷺ وكان متوافقًا مع زمنه ﷺ، ونقف عند ذلك، فإن الشريعة أوسع من هذا[3] .

٢-التطور والتجدد خصيصة من خصائص الوسائل والأساليب، تبعًا لتطور عادات الناس وأعرافهم، وتقدم العلم والتقنية؛ لذا من المهم أن يجدد الداعية وسائله وأساليبه تبعـًا لذلك، بالضابط السابق[4].

أهمية العناية بالوسائل :

يشكو كثير من المهتمين بالدعوة من عجز الدعاة عن امتلاك الوسائل الدعوية التي يسخرونها لنشر الدعوة، ويتكرر النقاش حول تَخلُّف وسائلهم وتقدم وسائل الآخرين، ولا

---

(١) محمد إبراهيم الجيوشي، **وسائل الدعوة**، ط٣، (القاهرة، المؤلف، ١٤١٥هـ)، ص٢٩-٧٤؛ والبيانوني، مرجع سابق، ص٢٨٣.

(٢) الواعي، **الدعوة إلى الله: الرسالة، الوسيلة، الهدف**، مرجع سابق، ص٢٤٦.

(٣) البيانوني، مرجع سابق، ص٣٣٩-٣٤٠.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٤٠-٣٤١.

شك أن العمل الدعوي يعاني من نقص ظاهر في الوسائل بأنواعها، والسبب الأساس في ذلك أن الدعاة لا يملكون الأهداف الواضحة لحركتهم الدائبة، إنَّ الهدف الجيد الواضح المدروس يجعل من نفسه أداة لتحرض الذين كوَّنوه على إيجاد الأساليب والوسائل التي تبلغهم إياه(١).

والوسائل هي طريق إلى إيصال الدعوة؛ وكل يوم يقذف لنا العلم التقني بوسيلة جديدة، وقد تفوق وسيلة سابقة من حيث قوة التأثير، وسعة الانتشار؛ لذا من المهم أن نعنى باستخدام الوسائل الأنفع والأقوى في إيصال الدعوة وبيانها، وقد كان النبي ﷺ يوصل دعوته مستخدمًا ما يراه أقوى لتحقيق الغاية، ففي مكة صعد على الصفا وجعل ينادي كفار مكة ويعرض الدعوة عليهم، وفي المدينة اتخذ المنبر وصعد عليه.

ويعرض الباحث في هذا الفصل أمثلة لما يمكن أن تقدمه الدراسات المستقبلية من فوائد لوسائل الدعوة الإسلامية، القائمة والمستجدة .

لقد تغير الزمان بصورة كبيرة عن الزمن السابق، فتقدمت المعرفة الإنسانية، وتقاربت البلدان، واختلطت الثقافات؛ وهذا يلقي بمسؤولية خاصة، وتبعة جديدة على الدعوة الإسلامية، يقتضي منها تطويرًا في الأساليب، وتجديدًا في التعامل مع الناس، مسلمهم وكافرهم(٢).

---

(١) بكار، "أزمة وسائل أم أزمة أهداف؟"، www.Islamtoday.net.

(٢) الجهني، مرجع سابق، ص٨٢.

المبحث الأول

أثر الدراسات المستقبلية في سرعة المشاركة في الوسائل المستجدة، وفوائد ذلك

المطلب الأول : أهمية الوسائل المستجدة، وواقع الدعوة الإسلامية معها :

تأتي الوسيلة الجديدة مما أحدثته التقنية الحديثة، وما توصل إليه التقدم العلمي المعاصر، وتبقى هذه الوسيلة مدة -قد تطول- غير مستثمرة في الدعوة إلى الله تعالى، ونشر الإسلام، والدفاع عنه، ورد الشبهات. كما تأتي بعض التنظيمات المعاصرة، والأساليب الإدارية الحديثة، ويبقى الدعاة في معزل عن الإفادة منها، والمشاركة فيها، والتأثير من خلالها. فمما يزيد على أكثر من نصف قرن وهذه ظاهرة واضحة بيِّنة، بدأت مع ظهور المذياع وما تلاه من وسائل اتصال عامة حديثة.

ويتميز بعض الوسائل المستجدة بأكثر من عنصر من عناصر التأثير والإقناع، وبقوة في نقل الرسالة من الداعي ووصولها إلى المدعو، فمنها ما يجمع بين عنصر السمع والبصر في آن واحد، فيرسل الصوت والصورة المرئية، واللون، والحركة، ويكون تأثيره في هذه الحالة أقوى على المستهدف؛ ومن الوسائل ما لا يحده الزمان والمكان، فتمتلك قوة في الوصول إلى مستهدفين أكثر، وعلى مدى زمني أوسع؛ ومنها ما يستقطب جمهورًا أكثر، فتدخل أكثر البيوت؛ بسبب عناصر التنوع فيها وقوة تأثيرها؛ لذا فإن إهمال مثل هذه الوسائل، أو التأخر في استخدامها -مع الإقرار بجوازها- يضر في مسيرة الدعوة الإسلامية، وتخلو ساحة هذه الوسائل من دعاة الحق، وتمتلئ بدعاة الباطل. وتارة تكون الوسيلة الإعلامية قائمة، ومهيأة لبث أي مادة دعوية، ولكنها لا تجد من الدعاة من يقوم بهذا، فيُملأ هذا الفراغ بأي شيء، كما هو الحال في بعض القنوات الفضائية، فتُترك -كما يقول النملة- لآخرين ليستغلوها فيما يغوي الناس، وينشر الرذيلة بينهم. وقد صرَّح أحد الإعلاميين المسؤولين عن مرفق إعلامي مهم بأن المسؤولية يتحملها الدعاة، الذين لم يبادروا إلى استثمار هذا المرفق

الإعلامي المهم الذي يبث الساعات الطوال، فإن هؤلاء المسؤولين إذا لم يجدوا المواد الدعوية فإنهم يملؤون هذه الساعات بما هو متوافر في السوق الإعلامية[1].

والعلماء والدعاة أمام الوسائل والتنظيمات الحديثة أقسام، فمنهم من يؤديه اجتهاده إلى حكمٍ بعدم جواز المشاركة في بعض هذه الوسائل والتنظيمات، ومنهم من يتوقف ولا يدرك أهميتها إلا بعد مضي زمن، ومنهم من يجتهد فيرى جواز المشاركة في ذلك وأهميته، لكن ليس لديه رؤية تمكنه من المشاركة بسرعة فيها.

لذا تأتي الدراسات المستقبلية لتكون عاملاً مساعدًا في التمكين من استجلاء رؤية واضحة للأمور؛ تُمكّن من سرعة دراسة حكم هذه الوسائل والتنظيمات، وكيفية الإفادة منها بالسرعة المطلوبة؛ وتُقدِّم التهيئة المطلوبة للمشاركة الإيجابية، دون تأخر في المشاركة، ولا قصور في التأثير .

ولا يُفهم من هذا أن الدعوة عامة للمسلمين جميعهم لسرعة المشاركة في الوسائل المستجدة، بل المقصود المؤسسات الدعوية الكبرى، ومن يرى من نفسه القدرة على المشاركة الفاعلة مع سلامة دينه وخلقه؛ ويدور الحديث في هذا المبحث حول هؤلاء فحسب.

المطلب الثاني : أهمية السبق والمسارعة إلى الخيرات :

السبق في اللغة : التقدم[2]. والسرعة في اللغة : «نقيض البُطء»[3].

إنّ السرعة في المشاركة النافعة، في الوسائل الجائزة، والسبق إليها أمر عظيم في الإسلام، فقد ندب الله عباده المؤمنين «إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارعة إلى نيل القربات فقال تعالى ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[4].»[5]. وقال تعالى : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ

(١) علي بن إبراهيم النملة، "الإفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة: الفضائيات"، الدعوة، مرجع سابق، العدد١٧٠٢، (١٦/٤/١٤٢٠هـ)، ص١٥.

(٢) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١١٥٢، مادة: (سبق) .

(٣) المرجع نفسه، ص٩٣٩، مادة: (سرع) .

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٥) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، ج١، ص٤١٢.

ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[٣].

قال ابن كثير : «المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا»[٤].

وامتدح الله سبحانه نبيه زكريا عليه السلام ومن معه بصفات، منها : المسارعة «في عمل القربات والطاعات»[٥]، قال تعالى : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[٦].

وأقسم الله بالملائكة الذين سبقوا بالإيمان والتصديق به[٧]، فقال سبحانه : ﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴾[٨].

وفَضُلَ الصحابةُ ﷺ بعضهم بعضًا بالسبق في الهجرة، والسبق في الإسلام والنصرة، قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٩].

---

(١) سورة الحديد، من الآية: ٢١.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ١٤٨.

(٣) سورة الواقعة، الآيات: ١٠-١٢.

(٤) **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، ج٤، ص٣٠٤.

(٥) المرجع نفسه، ج٣، ص٢٠٣.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٧) رُوي هذا عن عدد من الصحابة ﷺ والتابعين . (ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، ج٤، ص٤٩٧-٤٩٨).

(٨) سورة النازعات، الآية: ٤.

(٩) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

وقال رسول الله ﷺ يمتدح سبْق أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالإسلام : «أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَـذَا فَقَدْ غَامَرَ»(١). قال البخاري : "غَامَرَ سَبَقَ بِالْخَيْرِ"(٢).

وصار عُكَّاشة رضي الله عنه من السبعين ألـفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب عندما سبق بسؤال ذلك، عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هِيَ سَبْعُونَ أَلْفًا تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ» فَقَامَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الأَسَدِيُّ يَرْفَعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ قَالَ : ادْعُ اللَّهَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَقَالَ : «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَبَقَكَ عُكَاشَةُ»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «أمر رسول الله ﷺ بسرية تخرج فقالوا: يا رسول الله أنخرج الليلة أم حتى نصبح؟ فقال: أو لا تحبون أن تبيتوا في خريف من خراف الجنة». والخريف : الحديقة(٤).

ولو لم يكن من فوائد الدراسات المستقبلية إلا كونها وسيلة إلى تحقيق السبق؛ رجاء الحصول على أجره وفضيلته، لكفى بها فائدة، وأعظِمْ بها من فائدة!

قال شيخ أهل الشام خالد بن معدان الكَلاعي الحمصي : "إذا فتح لأحدكم باب خير فليسرع إليه، فإنه لا يدري متى يغلق عنه"(٥).

والوسائل المستقبلية الصالحة للاستخدام الدعوي التي يحدثها التقدم التقني، كثيرًا ما يكون التصور عنها واضحًا جدًا، ولا تحتاج إلى كبير توقع، فإنها بمثابة المشاريع التي تبذر الآن ويحدد له زمن لتصبح قيد الاستعمال؛ فتبقى مدة زمنية تحت البناء والإعداد، فهي

---

(١) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا)، ج٥، ص٢٣٥، ح٤٦٤٠.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب اللباس، باب البرود والحبرة والشملة، ج٧، ص٥٢، ح٥٨١١؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، ج١، ص١٩٧، ح٢١٦.

(٤) الحاكم وقال : "صحيح على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الجهاد، ج٢، ص٨٤، ح٢٤٠١.

(٥) أبو نعيم، **حلية الأولياء**، مرجع سابق، ج٥، ص٢١١.

ليست مثل التوقع العام، الذي يتطلب الحصول عليه جهدًا كبيرًا، وتكون نتائجه ليست عالية اليقين، وهذه الميزة للوسائل المستقبلية تفيد في أمور، منها: استعدادنا الكامل لاستخدام الوسائل الجديدة قبل كونها واقعًا، دون أن يتسلل إلينا الشعور باحتمال ضعف توقع حصولها، بل نعمل وكأنها حاصلة بالفعل؛ لأنها مبنية على حقائق لا استنتاجات. ويستفاد من كلام ابن تيمية : أن الاستعداد على هذا النحو من باب المسارعة إلى طاعة الله تعالى وعبادته، فقد قال -بعد تقريره أن تحديد وقت الكسوف والخسوف من أهل الحساب ليس من باب علم الغيب- : "ولو أخبر مخبر بوقت الصلاة وهو مجهول لم يقبل خبره، ولكن إذا تواطأ خبر أهل الحساب على ذلك فلا يكادون يخطئون، ومع هذا فلا يترتب على خبرهم علم شرعي، فإن صلاة الكسوف والخسوف لا تصلى إلا إذا شاهدنا ذلك، وإذا جوز الإنسان صدق المخبر بذلك، أو غلب على ظنه فنوى أن يصلي الكسوف والخسوف عند ذلك، واستعد ذلك الوقت لرؤية ذلك، كان هذا حسنًا من باب المسارعة إلى طاعة الله تعالى وعبادته"[1].

وإذا كان الداعية لا يجيد استخدام وسيلة ما، أو لا تميل نفسه إليها، ولم ينشرح صدره للمشاركة عبرها، من غير أن يكون له اجتهاد معيَّن فيها، فلا أقل من أن يدعم مَن يشارك فيها، بالكلمة والنصح والتوجيه، والأفكار، والدعم المادي والمعنوي، فإذا لم يكن الشِعر مستعملاً في الدعوة في الكتاب والسنة، ولم يكن الرسول ﷺ شاعرًا، فإنه ﷺ حض الشعراء على استخدامه في الدعوة . وبعض الوسائل الحديثة ربما يعدل أثرها أثرَ ألف شاعر، وألف خطيب.

المطلب الثالث : أهمية الدراسات المستقبلية في سرعة المشاركة في الوسائل المستجدة، وخطر التباطؤ عن المشاركة فيها :

إذا درسنا بعض الوسائل دراسات مستقبلية قبل وجودها في الساحة فإننا نحصل على فوائد متعددة، من أهمها ما يأتي:

١-تُمكّننا الدراسات المستقبلية من تأهيل فريق للعمل في الوسيلة المتوقعة، وتدريبه -بطرق علمية- بأحسن صورة ممكنة، تجعله قادرًا على استخدام الوسيلة بإتقان، والتأثير من

---

(١) **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٤، ص٢٥٨.

خلالها بمهارة . فوسيلة (الشبكة العالمية للمعلومات)، ووسيلة (القنوات الفضائية)، أدْرَكْنا بعد وجودهما حاجتنا إلى دعاة يجيدون أسلوب الحوار بلغات مختلفة، وحاجتنا إلى دعاة يتقنون فن الجدل والمناظرة، وحاجتنا إلى أمور أخرى عديدة لم نُعدَّ لها كفايتها من الكوادر الدعوية المطلوبة، و لم نُهيئهم للمشاركة فيها .

فالدراسات المستقبلية إذن تُمكِّننا من التعرف -قبل مدة كافية- على جوانب النقص، وجوانب الاحتياجات، سواء من الموارد البشرية المؤهلة، أو من الأمور المادية والحسية.

٢-أن الدراسات المستقبلية تُمكِّن -بإذن الله- من العمل فور وجود وسيلته في أرض الواقع؛ وبذلك قد ندرِك أممًا فننقذها من الشرك، ونتوجه بالدعوة إلى جماعات من العصاة فتُقلع عن معاصيها، وتُقبِل على باريها، فإذا لم نسرع إليهم، فقد يكون الموت إليهم أسرع. وقد يَنتج عن التباطؤ والتأخر في المشاركة في بعض الوسائل الحديثة أن تنحرف جماعات في بحثها عن الحق؛ بسبب وقوعها في أيدي فرق ضالة سبقت إلى استخدام الوسيلة الجديدة، وجِهات مشبوهة عدوَّة، انتحلت التعريف بالإسلام؛ للصَّد عنه، مستغلة غفلة أهله، ويأتي في المطلب التالي أمثلة على هذا.

إن الاستهانة بشأن الزمن أمر خطير، وغبن فاحش، وفيه ضياع لفرص، وموت لنفوس على ضلالها وعصيانها، وحرمان مِن خير كثير.

٣-السبق يُمَكِّن للخير بإثبات نفسه، وانتشاره، وتكاثر أهله وأتباعه؛ فالتاجر القديم ليس كالتاجر المبتدئ، فالأول قد كسب العملاء وأصبح له زبائن كثر، وثقوا به، واطمأنوا للتعامل معه، أما الأخير فيحتاج إلى وقت طويل للوصول إلى ما وصل إليه الأول، وقد لا يصل، بل يخرج من دائرة المنافسة. حتى الحيوانات المنوية تكون الغلبة والنصر للسابق منها -بإذن الله- قال ﷺ : «وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا»(١).

٤-السبق يؤدي إلى قطع الطريق أمام الباطل، أو إعاقته ومغالبته؛ لأن الباطل إذا سَبق جعل العقبات أمام الخير، وصَدَّ الناس عنه، لكن كل دعوة خير تعيق دعوة الباطل وتهزمها.

---

(١) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم عليه السلام وذريته، ج٤، ص١٢٤، ح٣٣٢٩.

أَلَّف بعض الغربيين كتاباً بعنوان: (السريع يلتهم البطيء : ليس الكبير الذي يأكل الصغير إنما السريع الذي يلتهم البطيء...)[1]، وهو معنى يمثل بعض الجوانب في بطء العمل الدعوي، حيث أن السريع الفاسد سيطر على الساحة، وأثر فيها في ظل تباطؤ الصالح؛ وفي جانب الخير بعضه مع بعض، سيطر السريع الأقل علماً على مكانة البطيء الأكثر علماً.

٥-تَحمل بعض الوسائل الحديثة خصائص جديدة غير مألوفة سابقاً، وتستدعي المشاركة الفاعلة فيها أن تكون مصحوبة بتجديد يتوافق مع خصائصها. ومن الملاحظ أن كثيرًا من العلماء لما قرروا المشاركة في بعض الوسائل الحديثة، لم يصاحب مشاركتهم فيها تجديدًا يتناسب مع الوسيلة، بل نقلوا إليها أعمالهم كما هي من غير تجديد ولا إضافة؛ وهذا نتيجة لعدم الاستعداد والتهيؤ للمشاركة في الوسائل المستجدة. ومن الملاحظ أيضًا -كما يقول البشر- : إن الجهود في المواقع الإسلامية المنشأة في الشبكة العالمية ارتكزت على اللغة العربية والإنجليزية، وضعفت جدًا في اللغات الأخرى[2]؛ ما يدل على عدم الإدراك المبكر لطبيعة هذه الوسيلة، وما تحتاج إليه من كوادر مهيأة. والدراسات المستقبلية تقوم بتوضيح خصائص الوسائل الجديدة، وتبين كيفية المشاركة الفاعلة فيها، وتُهيئ لها؛ فتَكون المشاركة على وجهها المطلوب، المنسجم مع الخصائص .

٦-بإمكان الدراسات المستقبلية أن تقدم لنا تصورًا عن موقف المسلمين بعامة من وسائل جديدة تحتوي على محرمات، فإذا كان التصور أن كثيرًا منهم لن يمتنع عن اقتنائها، عند ذلك يمكن دراسة إيجاد بديل سالم من المحرمات، ومدى أثره في صرف الناس عن الحرام، فالمسلمون بإمكانهم استخدام هذه الوسائل مع القدرة على السيطرة عليها، والحفاظ فيها على خصوصيتهم، وأُسَرِهم، من خلال تقديم الإسلام بشموله، والاحتراز من المخالفات التي تعج بها أكثر الجهات المشاركة فيها، وقد قدَّمت بعض التجارب الإسلامية -بعد تأخر نسبي- صورًا ناجحة، لقيت الاحترام والتقدير، وأوضحت أنه بالإمكان العمل بالمحافظة الكاملة على دين المسلم وخلقه، وذلك مثل : إذاعة القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية، وقناة المجد الفضائية.

---

(١) تأليف جيسون جيننغر، ولورنس هوتون، ترجمة وليد شحادة، (الرياض، مكتبة العبيكان، ٢٠٠١م).

(٢) خالد بن عبد الله البشر، "الدعوة إلى الله عبر الشبكة العنكبوتية"، الجندي المسلم، الإدارة العامة للشؤون الدينية بالقوات المسلحة، وزارة الدفاع والطيران، الرياض : العدد١٠٩، (رمضان/١٤٢٣هـ)، ص٤٢.

«لم يعد في وسعنا أن ندع مثل هذه التأثيرات الاجتماعية والثقافية حتى «تحدث» . بـل يجب أن نحتسبها مقدمًا، وأن نقدر بأقصى دقة ممكنة طبيعتها وقوتها وتوقيتـها. وحيثمـا رجحت الاحتمالات الضارة لهذه التأثيرات يجب أن نكـون مسـتعدين للحجـر علـى التكنولوجيا الجديدة المقترحة. إن المسألة هي بمنتهى البساطة: أن أي تكنولوجيا جديـدة لا يمكن أن يسمح لها بأن تمضي معربدة مدمرة في المجتمع. حقيقة إننا لا يمكـن مطلـقًا أن نعرف مقدمـًا كل التأثيرات التي يمكن أن تترتب على أي عمل تكنولوجـيًّا كان أو غيره. ولكن ليس صحيحًا أننا عاجزون تمامـًا في هذا الشأن»[1].

٧-تفيد الدراسات المستقبلية في بيان الفرص، وتجلية آثارها الحميدة، وتوضيح الآثـار السلبية من فواتها وعدم إمكانها؛ مما يدعو إلى انتهاز الفرصة وعدم تفويتـها؛ «لأن الفَـوْت صعب، وغائلة التفريط رديَّة، وانتهاز الفرص من أهم الأمور وأجمعها لمصالح الدنيا والآخرة، وما يعقلها إلا العالمون»[2].

وبعض الوسائل والأساليب يمثل فرصة، وإذا لم يُدرِك أهل الخير إمكانها، فإنها قد تفوت ولا تعود، أو يتأخر عَودها، ويكون في عدم اغتنامها آثار سلبية على الدعوة الإسلامية.

فما «وضح فيه وجه الصواب والسداد وأمن في عواقبه دواعي الفساد، فينبغي أن ينتهز فيه الفرصة عند إمكانها ويبادرها قبل تعذرها وفواتها. قال السفاح: الأناة محمودة إلا عنـد إمكان الفرصة... قال الشاعر :

وإن فـرصةٌ أمكنتْ مرةً فلا تَـبْدَ فعلك إلا بها

فإن لم تلج بابَها مُسرعـًا أتاك عـدوٌّك من بابها ...

قال بعض الحكماء: مَن انتظر الفرصة، مؤاجلة الاستقصاء سلبته الأيـام فرصـته لأنَّ صناعة الأيام السلب وشرط الزمان الإفاتة»[3].

وقال ابن عاشور : «وأما المبادرة بالعمل فلخشية طريان الموانع... ثم إن المبادرة تؤذن بالحزم»[4].

---

(١) توفلر، **صدمة المستقبل**، مرجع سابق، ص٤٦١-٤٦٢.

(٢) "رسالة من الشيخ أحمد بن محمد بن مُرِّي الحنبلي (بعد ٧٢٨هـ) إلى تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية"، في: شمس والعمران، مرجع سابق، ص٩٩.

(٣) القلعي، مرجع سابق، ص٢٢٣-٢٢٤.

(٤) **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص١٣٠-١٣١.

وقال السعدي : «الكمال الذي أرشد الله عباده إليه : هو أن يكونوا حازمين لا يفوتون فرص الخيرات . وأن يكونوا متثبتين خشية الوقوع في المكروهات والمضرات»(١).

المطلب الرابع : (الشبكة العالمية للمعلومات) مثال لواقع الدعوة الإسلامية مع الوسائل الحديثة:

الشبكة العالمية للمعلومات هي: «شبكة ضخمة من أجهزة الحواسيب التي يرتبط بعضها ببعض والمنتشرة حول العالم»(٢). ويطلق عليها اختصارًا : (الإنترنت).

تَبرز الأهمية الدعوية الكبيرة للشبكة العالمية للمعلومات بسبب تعدد الوسائل والأساليب الدعوية التي يمكن استخدامها فيها، وبسبب كثرة المستخدمين لهذه الشبكة على مستوى العالم، وأنها لا تحدها حدود جغرافية، وهي باب مفتوح، لا يُمنع من دخول شيء إليه؛ فيستطيع الداعية وهو في بيته -وبحرية مطلقة- أن يتصل بالعالَم، معلمًا ومرشدًا وداعية، وقد يصل إلى أماكن لم تصل أهلها دعوة الإسلام من قبل، و لم تتوافر لهم مراجع إسلامية يمكنهم الرجوع إليها، وقد دلت قصص متعددة على آثار طيبة في دعوة هؤلاء(٣).

وبإمكان الداعية والمؤسسات الدعوية أن تُنشئ لها مواقع على الشبكة بيسر، وسهولة، وقلة نسبية في التكاليف، وفي هذه المواقع يستقبلون الزوار ويقدمون لهم خدمات هذه المواقع الدعوية؛ كما بإمكانهم أن يبادروا هم بالدعوة إلى الإسلام، وبيان محاسنه عبر عدد من الوسائل في هذه الشبكة، من أهمها ما يأتي :

١-غرف الحوار بالكتابة، وبها مع الصوت، وبهما مع الرؤية بين الأشخاص، يقول عويس: والحوار في الشبكة يعتوره تحريم الحلال، وتحليل الحرام، ونشر البدع والشبهات، وبث الأفكار المسمومة، ولا مناص للداعية العصري من الحضور المكثف في ساحات الحوار

---

(١) **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص١٤٣.

(٢) http://www.alhandasa.net/forum/archive/index.php/t-2264.html

(٣) ينظر أمثلة لها : تركي بن أحمد العصيمي، **كيف نخدم الإسلام من خلال الإنترنت؟** (الرياض، دار المعارج، ١٤٢١هـ)، ص٢١-٢٢.

والمنتديات الإسلامية وغير الإسلامية؛ ليقوم بصيانة الأفكار ودرء الشبهات[1]، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢-البريد الإلكتروني : وهو وسيلة فاعلة في الدعوة إلى الله تعالى، إذا استخدم بأسلوب صحيح ومناسب، مبني على أسس علمية مدروسة ومجربة[2] . وهناك قوائم بريدية تقدمها بعض الشركات، يتجاوز بعضها (٢٠) مليون عنوان، يمكن أن تُرسَل إليها رسائل دعوية، وقد جرى استخدامها في الدعوة، وأسلم من خلالها عدد لا بأس به من مختلف أنحاء العالم[3].

وتدل الإحصاءات على أن المواد الدينية -إسلامية، أو نصرانية، أو غيرها- من أكثر المواد التي تحظى بإقبال واسع، وأن الباحثين عنها كثير؛ وهذا يدل على وجود فراغ عقدي في نفوس كثير من الناس في العالم، وهم يبحثون عن مَلئه[4].

وتزداد أهمية الشبكة بعامة للدعوة الإسلامية؛ بسبب كثرة عدد مستخدمي الشبكة، فقد بلغوا في إحصاء أجري عام (١٤٢٢هـ)، نحو تسعة وعشرين وأربع مئة مليون مستخدم[5]. وليس من يستخدم هذه الشبكة يستطيع أن يصل إليهم كلهم، لكن إذا استطاع أن ينظم عمله وفق معرفة بطبيعة هذه الشبكة وكيفية التعامل معها، استطاع أن يصل إلى كثيرين جدًا، لا إلى ألوف بل إلى ملايين. يذكر العصيمي : أن عدد الزيارات لموقع (إسلام أون لاين www.islamonline.net) خلال ثمانية أشهر من افتتاحه بلغت واحدًا وستين مليون زيارة، وهو موقع كبير متنوع، يتناول الحياة المعاصرة من وجهة نظر إسلامية[6].

---

(١) عبد الحليم عويس، "الداعية والحوار، والوسائل العصرية"، الدعوة، مرجع سابق، العدد ١٩٥٣، (١٤٢٥/٦/١٢هـ)، ص٨٢.

(٢) البشر، الجندي المسلم، مرجع سابق، العدد١٠٩، (رمضان/١٤٢٣هـ)، ص٤١؛ وأبو عبد القادر البدوي، "تسخير تقنية البريد الإلكتروني في الدعوة إلى الله ونشر الدين الإسلامي"، الأسرة، مرجع سابق، العدد١١٦، (ذو القعدة/١٤٢٣هـ)، ص٥٧.

(٣) البشر، الجندي المسلم، مرجع سابق، العدد١٠٩، (رمضان/١٤٢٣هـ)، ص٤٢؛ والعصيمي، مرجع سابق، ص٩٢ .

(٤) العصيمي، مرجع سابق، ص٢٣.

(٥) صحيفة الرياض، مرجع سابق، الملحق، العدد١٢٠٥٤، (١٤٢٢/٤/٤هـ)، ص٢.

(٦) مرجع سابق، ص١٩٠.

وقد أدرك أعداء الإسلام، والفرق الضالة، أهمية هذه الوسيلة فبادروا إلى استخدامها ضد الإسلام، وحازوا قصب السبق فيها؛ لصد من يريد التعرف على الإسلام، وإضلاله، والدعوة إلى باطلهم.

فسجلت الفرق الضالة، مثل: الرافضة، والقاديانية، والبهائية، مواقع كثيرة باسم الإسلام، ونشطوا فيها، في ظل تفريط أهل السنة في السبق إلى المشاركة، فسبقهم أولئك، وشوهوا حقيقة الإسلام باسم الإسلام، أما أهل السنة فهم قلة إذا ما قورنوا بهؤلاء[(١)].

ولمنكري السنة سبق في إنشاء موقع لهم باسم (Submission)، وهو الترجمة الحرفية لكلمة (إسلام)، وتذكر الصفحة الأولى في موقعهم : أنهم أفضل مرجع للإسلام على الشبكة العالمية! وقاموا بترجمة موقعهم إلى اللغة الإنجليزية، والتركية، والصينية، والفرنسية، والسويدية، والأسبانية، واليابانية، والروسية[(٢)].

و«استغل اليهود والنصارى وغيرهم من ملل الكفر هذه الشبكة استغلالاً سيئًا... وذلك في خدمة عقائدهم الباطلة وتشويه صورة الإسلام والمسلمين»[(٣)].

وأخذت الكنائس والمنظمات النصرانية مواقع مهمة على الشبكة، باهتمام شخصي من بابا الفاتيكان نفسه، وأنشأ الفاتيكان موقعًا كبيرًا، وفيه ركن تفاعلي للإجابة عن أسئلة الزوار. ولليهود أيضًا مواقعهم الدينية، وغيرهم من الديانات الباطلة والنحل المنحرفة[(٤)].

ومن أخطر ما جرى أنهم أنشأوا مواقع تناقش الإسلام بتلبيس علمي، بقصد تشويهه، وإثبات بطلانه، ويقوم بذلك بعض المستشرقين، وأكثرهم من النصارى، ومن أمثلة هذه المواقع: موقع (ردود على الإسلام Answering Islam)، وموقع (سورةٌ من مثله Sura like it). وأخطر من ذلك المواقع التي تسمت باسم الإسلام، تستقطب الراغبين في الحصول على معلومات عن الإسلام، وتقوم بدس معلومات مغلوطة عن الإسلام، وتحريف بعض آيات القرآن، والأحاديث النبوية[(٥)].

---

(١) البشر، في "الجندي المسلم"، مرجع سابق، العدد١٠٩، (رمضان/١٤٢٣هـ)، ص٤٢؛ والعصيمي، مرجع سابق، ص(أ)، ٤١.

(٢) العصيمي، مرجع سابق، ص٤٦-٤٧.

(٣) المرجع نفسه، ص١٤.

(٤) نفسه، ص١٥-١٧.

(٥) نفسه، ص٣١-٤١.

"وحينما يريد شخص الدخول في الإسلام أو الحصول على معلومات عنه فقد يقع في موقع من ضمن هذه المواقع يظن أنه الموقع الصحيح فيحصل على معلومات مضلله، قد تحرمه من نعمة الإسلام"[1]. فكم من طالب للهداية قد صدته وقطعت بحثه وتنقيبه! أو أضلته فصار من أهلها!

وكأن المسلمين لا يحسون بأهمية وسيلة من الوسائل إلا بعد أن ينجح الأعداء في استغلالها لصالحهم، وتوجيهها ضد المسلمين.

تلك المجالات المتعددة، والأهمية الكبيرة للشبكة العالمية للمعلومات، وسبق الأعداء إليها، كل ذلك يشير إلى مدى ما خسرته الدعوة الإسلامية وتخسره كل يوم من تأخرها في المشاركة فيها، والإفادة منها .

فقد بقيت هذه الوسيلة معطلة عدة سنوات، لم يدخلها أصحاب المنهج الصحيح من أهل الإسلام، وبخاصة المؤسسات والوزارات الإسلامية في العالم الإسلامي، وأصحاب الجهود الكبيرة، وكان أوائل المشاركين فيها هم من الأفراد، يقول العصيمي: عدد كبير من المواقع الإسلامية أقيمت بجهود فردية، إلا أنها بسبب الفردية كثيرًا ما تضعف وتتوقف[2]؛ لذا فحاجة الدعوة الإسلامية تحتاج إلى الجهد القائم على المؤسسات الكبرى .

وعند استعراض تاريخ انطلاق الشبكة العالمية للمعلومات في العالم، يتبين مدى تأخر كثير من المؤسسات الدعوية الكبرى عن المشاركة فيها، واستثمارها في الدعوة إلى الله تعالى.

فقد بدأ تقديم خدمة الشبكة العالمية للناس عمليًّا في سنة (١٩٨٥م)[3]، [الموافق ١٤٠٦هـ]، وفي عام (١٩٩٢م) [الموافق ١٤١٢/١٤١٣هـ] قفزت إلى تطور جديد بعد استخدام الأنظمة التي تمكن من استخدام الصوت والصورة المشهورة بـ (**WWW**)، وبهذا النظام سهل كثيرًا الوصول إلى الوثائق والمعلومات المتوافرة في الشبكة وتحديثها[4]، وهناك أفراد ومؤسسات في المملكة العربية السعودية قامت بإنشاء مواقع لها على الشبكة قبل بدئها رسميًّا في المملكة، وأول جهة في المملكة ارتبطت بشبكة (الإنترنت) العالمية : مستشفى الملك

---

(١) نفسه، ص٤١.

(٢) نفسه، ص٥٩.

(٣) http://www.opendirectorysite.info/274.htm

(٤) http://www.alkhawarizmi.net/networking/inthstry.htm

فيصل التخصصي في الرياض، في شعبان (١٤١٤هـ) الموافق (يناير/ ١٩٩٤م)، ثم صدر في تاريخ (٢٤/١٠/١٤١٧ هـ ، الموافق ٣/٣/١٩٩٧م) قرار مجلس الوزراء رقم (١٦٣) القاضي بالموافقة على إدخال خدمة (الشبكة العالمية للمعلومات) إلى المملكة تحت إشراف مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية[1].

وقدَّم العصيمي ترتيبًا لظهور المواقع الإسلامية في الشبكة، على النحو الآتي :

١-«أول المواقع الإسلامية هو موقع لطيف والذي بدأ في عام ١٩٩٣م»[2]، الموافق (١٤١٣/١٤١٤هـ).

٢-«بدأت المواقع الإسلامية الجيدة تأخذ مكانها على شبكة الإنترنت بحلول عامي ١٩٩٦م و١٩٩٧م، [الموافق ١٤١٧هـ] وكانت في الغالب جيدة المضمون ولكنها تفتقر إلى الكثير من الإمكانيات، وقد نشأ أغلب هذه المواقع في الغرب ومن قبل الطلاب والمتعلمين، لذلك فقد كانت أغلب الجهود هي جهود فردية تفتقر إلى الاحتراف والتخصص»[3].

٣-بدأت المؤسسات والمراكز الإسلامية بالحضور الجيد على الشبكة في عام (١٩٩٨م، الموافق ١٤١٨/١٤١٩هـ)، وكان قبل ذلك محدودًا[4].

ومن واقع إحصاء للمواقع المنشأة على الشبكة، أُجري في بداية عام (١٩٩٦م، الموافق ١٤١٦هـ) ، بلغ عدد المواقع التي تشغلها الدول الإسلامية مجتمعة : (٩٤٠٠) موقع، في حين أن إسرائيل وحدها لديها (٢٠٠,٠٠٠) موقع، ممثلة في مؤسسات وأفراد[5] .

ومن أوائل المواقع الإسلامية الكبرى موقع (إسلام أون لاين www.islamonline.net)، ويعد هذا الموقع-بحسب طاش- «أول خدمة عالمية تحاول

---

(١) إياس بن سمير الهاجري، "تاريخ الإنترنت في المملكة العربية السعودية"، http://www.isu.net.sa/ar/saudi-internet/local-information/time-line-ar.htm

(٢) مرجع سابق، ص٥٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٥٨-٥٩.

(٤) نفسه، ص٥٩.

(٥) الدعوة، مرجع سابق، العدد١٦٦٢، (١٨/٦/١٤١٩هـ)، ص٥١؛ نقلاً عن: نبيل علي، رئيس مجلس إدارة إحدى شركات الحاسب الآلي في القاهرة.

استخدام الإنترنت للتعريف بالإسلام وبيان محاسنه»[1]. وأطلق في الأول من أكتوبر عام (١٩٩٩م[2]، الموافق ٢١/٦/١٤٢٠هـ).

وفي المملكة العربية السعودية -رائدة الدعوة الإسلامية في العصر الحديث- هناك عدد من الجهات التي لها أثر في الدعوة والإرشاد والإفتاء والتعليم، ما تزال غائبة عن هذه الوسيلة، وتُعدُّ (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) أكبر جهة إسلامية تعنى بشؤون الدعوة، وكان يجدر بها أن تكون سبَّاقة إلى استخدام هذه الوسيلة في الدعوة، إلا أنها لم تُطلق موقعها على الشبكة إلا عام (١٤٢٦هـ، الموافق ٢٠٠٥م)، أي بعد أكثر من عشر سنوات من الانطلاقة الفاعلة للشبكة العالمية للمعلومات.

يؤكد الاستعراض التاريخي السابق تأخر المؤسسات الدعوية الإسلامية عن المشاركة في هذه الوسيلة . وإذا مكثنا عشر سنوات منذ انطلاق العمل في الشبكة ونحن ندرس ونخطط : كيف نبني لنا موقعًا على هذه الشبكة؟ ونحدد مواصفاته، وأهدافه، وكيفية عمله؟ فإن هذه المدة هي ما يقارب نصف عمر الدعوة النبوية؛ فإذن قد خسرنا ما يعادل نصف زمن الدعوة، وعطلناه تعطيلاً، ونحن قادرون على العمل والدعوة فيه. إن عشر سنين في المدينة، كَوَّن خلالها النبي ﷺ أُمَّة، وأقام أعظم دولة .

إن الأمة الإسلامية مأمورة بإحسان البلاغ، وليس من الإحسان تأخره عن وقت الحاجة، فالتأخر -مع إمكان التقدم والسبق- غير مقبول ولا لائق بالأمة السابقة يوم القيامة؛ لذا من المهم أن تُعنى الأمة بالدراسات المستقبلية، وتفيد منها في استكشاف احتمالات تطور الوسائل القائمة وكيفية الإفادة منها، واستكشاف الوسائل والأساليب القادمة والمستقبلية، وإعداد العدة للسبق فيها، والإفادة الكاملة منها، بالضوابط الشرعية؛ فالدراسات المستقبلية هي رائد القوم، الذي يتقدمهم، ويتفقد المكان، ويهيئه لهم قبل وصولهم .

---

(١) عبد القادر طاش، "الإسلام على الإنترنت"، المدينة، مرجع سابق، العدد١٣٣٢١، (٢٩/٦/١٤٢٠هـ).

(٢) المرجع نفسه .

المبحث الثاني

التخطيط للدعوة الإسلامية

المطلب الأول : تعريف التخطيط :

التخطيط في اللغة : «التسطير»[1].

والتخطيط للدعوة في الاصطلاح : «وضع الخطط والنظم لها، ويقابله : الفوضى والارتجالية فيها»[2].

المطلب الثاني : أهمية التخطيط للدعوة الإسلامية :

الحاجة للتخطيط في الدعوة الإسلامية من الأمور البدهية؛ إذْ «الدعوة ليست كائنًا متحركًا بذاته حتى تصل وحدها إلى الناس، ولكنها مفهوم معنوي يطبقه مخلوق مكلف بعد أن يدركه ويحيط به»[3]. وقد جعل الله تعالى لكل أمة شريعة ومنهاجًا تسير عليه، وتلتزم به؛ مما يدل على أهمية التخطيط في الدعوة، قال تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[4][5]. «إن للتخطيط أثره وتأثيره وفعاليته طالما كان الإصلاح رائده والإيمان بالله سياجه والإخلاص تاجه والصدق عماده»[6]. و«إن التخطيط الواعي للدعوة هو الذي يوصل إلى النتائج المثمرة بأقصر الطرق بعد توفيق الله سبحانه وتعالى وهو الذي ينقل الدعوة من قالبها التقليدي الجامد إلى روح عصرية جديدة تستخدم أفضل الوسائل، وتستخدم أرقى الأساليب وتفيد من وسائل الاتصال المعاصرة والتقنية الحديثة المتطورة لتصل إلى كل قلب، من خلال محبوبات الناس ورغباتهم»[7].

---

(١) ابن منظور، مرجع سابق، ج٧، ص٢٨٧، مادة: (خطط).

(٢) البيانوني، مرجع سابق، ص٣٠٦.

(٣) غلوش، مرجع سابق، ص٢٣٣.

(٤) سورة المائدة، من الآية: ٤٨.

(٥) البيانوني، مرجع سابق، ص٣٠٦.

(٦) الحليسي، مرجع سابق، ص٩.

(٧) حمد بن ناصر العمار، **صفات الداعية**، (الرياض، دار إشبيليا، ١٤١٧هـ)، ص٩٢.

وقد اتضحت -في فصل النظرة المستقبلية في السنة النبوية- عناية النبي ﷺ بالتخطيط للدعوة الإسلامية، مع أنه مؤيد بالوحي، وأن هذا التخطيط بعد توفيق الله عز وجل كان سببًا في نجاح الدعوة النبوية صلى الله وسلم على صاحبها، وأن استخدام التخطيط في الدعوة هو من باب الأخذ بالأسباب.

ثم «أتى على الناس حين من الدهر، أغفل المسلمون فيه التخطيط، وغفلوا عن أهميته، فاضطربت دعوتهم، وتعثرت خطاهم، وتمكن منهم أعداؤهم، فحاكوا لهم من الخطط ما أعجزهم، فقابلوا تخطيطهم بنوع من الفوضى وردود الأفعال، والارتجال...[1] فكثرت الأخطاء الدعوية، وتكررت في حياة الدعاة والعاملين»[2]؛ حيث أصبحت العشوائية في الأمور وسوء التخطيط آفة كثير من الدعاة، بل منهم من يرى أن العشوائية دينًا يدين الله به[3]؛ «وهناك ممن يشتغل بالدعوة من يغلب عليه الحس العملي، وينظر إلى التخطيط وبناء الاستراتيجيات وبلورة الأهداف على أنه مضيعة للوقت وليس هناك ما يدعو إليه، وهو في نظره قد يكون مظهرًا من مظاهر الفرار من العمل وتحمل المسؤوليات الكبيرة، وهذه الشريحة واسعة جدًا وإلى حد لا يُصدَّق!

ومن المؤسف أن فيمن يشنّع على التخطيط الدعوي من لا يخطط وينظر، كما أنه في الوقت نفسه لا يعمل ولا ينتج، فهو في الحقيقة يعاني من عطالة شاملة... وهناك من يعمل من غير رؤية راشدة ولا أهداف واضحة ولا فقه للأولويات، وهؤلاء أسوأ حالاً من أولئك؛ لأن حركتهم قد تفضي إلى حوادث وكوارث»[4].

وإذا كانت «العشوائية لا تحقق هدفًا ولا توصل إلى غاية»[5]، فإن «أولى الناس بالتخطيط لغدهم: رجال الحركة الإسلامية، فلا يدعون الأمور تجري في أعنتها، من غير انتفاع بتجارب الأمس، ولا رصد لوقائع اليوم، ولا تقويم للصواب والخطأ في الاجتهادات، ولا مقدار المكاسب والخسائر في المسيرة بين الأمس واليوم، ولا معرفة دقيقة بما لدينا من طاقات

(١) النقط في المرجع.

(٢) البيانوني، مرجع سابق، ص٣٠٧.

(٣) الشريف، مرجع سابق، ص ٦١.

(٤) بكار، "أزمة وسائل أم أزمة أهداف؟"، www.Islamtoday.net.

(٥) الحليسي، مرجع سابق، ص٧.

وإمكانات، مادية أو معنوية، ظاهرة أو كامنة، مُستغَلة أو مهدَرة. وما هي مصادر القوة ونقاط الضعف عندنا، وكذلك عند خصومنا. ومن هم خصومنا الحقيقيون؟ من الخصوم الدائمون والخصوم العارضون؟ من منهم يمكن كسبه؟ ومن لا يمكن كسبه؟ من يمكن محاورته ومن لا يمكن؟»[1].

نحن بحاجة إلى «دراسة أفضل الأساليب والوسائل في تسخير الإمكانات الدعوية البشرية والمادية في دعوة الأمة... لتحقيق أكبر قدر من استيعاب الأمة دعويًا -كمًّا وكيفًا-... ودراسة الأخطار المحدقة بالدعوة من المتربصين بها من الأعداء، وبحث كل ما يمكن عمله تجاه ذلك على كافة المستويات، للذب عن دين الله»[2]، ودراسة مدى كفاية العمل الدعوي المبذول[3]، و«الدراسة المستمرة لنتائج العمل الدعوي -كمًّا وكيفًا- لتقويمه وتعديل الخطأ، وتقوية الصواب وتثبيته»[4]، «واعتماد مبدأ النقد الذاتي، والعمل الجاد على متابعة الخطط، وتطوير الأساليب، وتقوية الوسائل وتصحيح الأخطاء..فبغير هذا لا يوصف العمل الدعوي بالعمل الصالح الذي وُعد عليه المؤمنون بالنصر والتمكين، بمثل قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[5] »[6].

إننا بحاجة إلى الكشف عن مواطن الضعف في حياتنا، فالعاملون للإسلام كثير، وأكثرهم يعملون في أعمال معادة، ولا يُقدمون جديدًا . حياتنا بحاجة إلى دراسات في التخطيط، تُلقِي بأضوائها الكاشفة على مواطن العمل المثمر، بعد أن تشعبت بنا السبل .

وإذا كان العمل على وفق السنن الكونية، من منهج النبي ﷺ ، وحصل لدينا علم بهذا المنهج، وآمنا به، فإنه ينمو لدينا الشعور بأهمية التخطيط وفق السنن، ومسؤوليتنا تجاهه؛ ويكون هذا حافزًا للعمل الجاد، المتأني، المخطط له؛ إذ إننا كثيرًا ما نقعد عن العمل الموافق للسنن؛ بحجة أن هذا لسنا مطالبين به، فنكتفي بالقيام بالعبادات الظاهرة .

---

(١) القرضاوي، **في فقه الأولويات: دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة**، مرجع سابق، ص٧٣-٧٤.

(٢) مفيد خالد عيد أحمد عيد، **العلاقة بين الفقه والدعوة**، (بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٦هـ)، ص١٦٤-١٦٥.

(٣) المرجع نفسه، ص١٦٥.

(٤) نفسه .

(٥) سورة النور، من الآية: ٥٥.

(٦) البيانوني، مرجع سابق، ص٣٦٤-٣٦٥.

وخلاصة القول : إن التخطيط يحقق النجاح للدعوة الإسلامية، وقد أثبتت بعض الدراسات[1] التي قامت بتقويم أهمية التخطيط في وظائف الإدارة، ومدى صلته بنجاح المشروعات أو فشلها، وقاسوا ذلك بعدة معايير، وكانت النتيجة: أن المدراء الذين يهتمون بالتخطيط يقودون مؤسساتهم إلى النجاح والربحية.

المطلب الثالث : ما تفيده الدراسات المستقبلية للتخطيط للدعوة الإسلامية :

تعدُّ الدراسات المستقبلية مفيدة للتخطيط للدعوة الإسلامية حتى وإن كانت هذه الدراسات مبنية على نظرة غائمة أو ضبابية، ومن أهم ما تفيد فيه ما يأتي :

١-**محاولة التعرف على التغيرات المستقبلية المهمة**[2]، فنفيد من الدراسات المستقبلية في محاولة التخطيط، والتهيؤ، والاستعداد؛ لتوظيف هذه التغيرات لصالح الدعوة، وفي تلافي ما ينتج عن هذه التغيرات من سلبيات، فمثلاً : تشير التوقعات إلى أن سكان مدينة الرياض قد يبلغ عام (١٤٤٢هـ) أكثر من عشرة ملايين نسمة[3]، ومِن المُشاهَد أن الاكتظاظ السكاني يُعدُّ مسرحًا لنشوء كثير من المنكرات، بسبب عوامل مختلفة، تربوية، واقتصادية، واجتماعية، وغيرها؛ والتعرف على المنكرات قبل وجودها مهم لمعرفة ما يمكن تلافيه منها، باحتياطات وأعمال نعملها في الحاضر، فنحافظ على دين الفرد المسلم، ونسهم في حماية المجتمع من الفساد، ونوفِّر كثيرًا من الجهود والأموال . وإذا كان هناك هيئات قامت؛ لتعمل على تلافي مشكلات دنيوية تنتج عن كثرة السكان، فمشكلات الدين أولى أن يحتاط لها، وهذه مسؤولية المؤسسات الدعوية.

إن التفكير في هذا ودراسته، يجعلنا نستكشف بعض الأهداف المطلوبة من الدعوة الإسلامية للمرحلة القادمة، والتي قد تكون غائبة كليًّا من التفكير والعمل. وقد لا يُعير البعض لهذا أهمية؛ لأن «المشكلة لا تجتذب الانتباه إلا حين تصل إلى مرحلة الأزمة، أي حين يصبح ألم الوضع غير محتمل، ولكنها في تلك الحالة يمكن حلها والتغلب عليها بإنفاقات خيالية بالمال والوقت، وفي حالات كثيرة لا يمكن حلها قط، فالخراب يكون قد وقع، وعلى

---

(١) زويلف والقريوتي، مرجع سابق، ص١٢١، نقلاً عن :

R. Stagner, "Corporate Decision Making: An Empirical Study". Journal of Applied Psychology, Vol. 53. (1969), Pp. 1-13 .

(٢) توفلر، **صدمة المستقبل**، مرجع سابق، ص٤٨٩.

(٣) الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، نشرة "تطوير"، مدينة الرياض، العدد ٣٥، عام (١٤٢٤هـ)، ص٢٤.

الناس أن يتعايشوا معه . ومن ناحية أخرى يمكن لتغيير بسيط يتم اليوم بعقلانية أن ينتج تحسينات رئيسة في السنوات القادمة . وتغيير كهذا يمكن تشبيهه ببذرة زرعت في تربة صالحة ونمت بذاتها تقريبًا لتصبح شجرة عظيمة . وهكذا، فالزمن عنصر حاسم يمكن أن يجعل الأشياء سهلة الإنجاز أو مستحيلته»[1].

٢-تقديم بدائل متنوعة لأي خطة[2] : فالدراسات المستقبلية «تعرفنا باحتمالات المستقبل واختياراته لا لنفهمها فحسب، بل لنختار منها الاحتمال الأفضل ولنصنع الاختيار الأفضل»[3]. فمما يقوم به مُعدُّ المشهد المستقبلي أنه يجيب عن السؤالين الآتيين :

أ-كيف تحدث الحالة الافتراضية خطوة بعد خطوة وعلى وجه الدقة؟

ب-ما المستقبل البديل عند كل خطوة وذلك لوقف العملية، أو تحويل مجراها، أو تسهيل سيرها؟[4] وهذه الطريقة تفيد المخطِّط ، وتُوسِّع دائرة اختياراته، وتتفحص له الخطة، والخطة البديلة.

٣- تفيد الدراسات المستقبلية في تحقيقٍ أكثر للأعمال المستهدفة : فإننا «عادة ما نحقق أقل مما نخطط له في الخطط قصيرة المدى، وأكثر مما خططناه في الخطط بعيدة المدى»[5]، وهذا أمر مجرب ومُشاهد، فالحاضر «سيظل أقرب إلى التسيب والضياع ما لم نضغط عليه بطموحات وآمال مستقبلية تتطلب استثماره والتصرف فيه بحكمة وبصيرة»[6].

٤-إفادة التخطيط قصير المدى، فالخطط الدعوية التي نضعها على المدى القريب، ينبغي أن تستند إلى تصورات مستقبلية أبعد، فتكون الدراسات المستقبلية ذات المدى المتوسط أو البعيد موجِّهة للخطط قصيرة المدى، يقول سالم ومن معه : «كثير من المديرين يوجهون اهتمامهم للخطط قصيرة الأجل ويعتبرون أن الخطط طويلة الأجل لا تؤثر في مجال

---

(١) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص١٩٦.

(٢) توفلر، **صدمة المستقبل**، مرجع سابق، ص٤٨٩.

(٣) صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص٨؛ وينظر : كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٤٢٤.

(٤) زايد، في "الفكر العربي"، مرجع سابق، العدد١٠، (أبريل/ ١٩٧٩م)، ص٣٣.

(٥) صلاح الراشد، "استراتيجية التغيير الفعال"، "شريط سمعي"، الشريط الأول؛ نقلاً عن: ستيفن كافي، **الأوْلى أولاً**.

(٦) بكار، **مدخل إلى التنمية المتكاملة**، مرجع سابق، ص٧٣.

مسؤولياتهم ويمكن القول بأن التخطيط الناجح لا يمكن أن يتوافر إذا كانت الخطط قصيرة الأجل لا تساهم ولا تتلاءم مع الخطط طويلة الأجل»[1]، ويقول عبد الدائم : «ولم يعد من الجائز اليوم، في عرف التخطيط العلمي، أن نبني خططنا القريبة الأجل أو المتوسطة الأجل استنادًا إلى تجربة الحاضر والماضي أو استنادًا إلى تصورنا للمستقبل القريب . ولا بد أن نبنيها استنادًا إلى تصورات بعيدة الأجل، بل إلى دراسات تحسبية مستقبلية، تقدم لنا التصور الإجمالي الكلي الذي نريد عليه مجتمعنا، والذي ننطلق منه لتحديد الخطط المرحلية الموصلة إليه»[2].

٥-التخطيط المرحلي في بناء المؤسسة الدعوية :

كثير من المؤسسات الدعوية تنشأ بحجم معين، وتستمر بنفس حجمها لا تزيد ولا تتطور. ويرى الباحث أنه يمكن للمؤسسة الدعوية أن تتوسع وتنمو إذا اعتمدت قُبيل إنشائها على مبدأ (المرحلية)، فإن هذا يعطيها هدفًا توسعيًا في الحجم، والمناشط، ومع مرور المراحل -إنْ جرى الإعداد لها بإحكام- تجد المؤسسة نفسها قد صارت من مؤسسة صغيرة إلى مؤسسة لها شأن وأثر، بحسب أهدافها المرحلية؛ فالدراسات المستقبلية تسهم في البناء الدعوي على أساس ثابت وواضح .

وهذا المبدأ يُسهِّل عملية تبنِّي الدخول في المشاريع الدعوية وإنشائها، وبخاصة لأولئك الذين يحجمون أو يترددون عن تبني مشاريع دعوية بسبب تصورهم الكلي والنهائي للمشروع دون أخذه بمرحلية متزنة، وكما قال رسول الله ﷺ : «وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا»[3].

٦-علاج بعض جوانب القصور في العمل الدعوي :

من جوانب الخلل في أعمالنا التي نقوم بها في الدعوة الإسلامية: «الجزئية، والسطحية، والقطرية، والآنية، والتلفيقية والتبريرية»[4]. وهي تناولات في أغلبها ضعيفة، ويمكن للدراسات المستقبلية -بطبيعتها- أن تنقل النظرة الجزئية إلى كلية، والسطحية إلى عميقة، والقطرية إلى عالمية، والآنية إلى بعيدة المدى، وهي لا تدع مجالاً للتلفيق والتبرير المراد منه التخلي عن المسؤولية والرضا بالواقع السيئ .

---

(١) مخامرة وآخرون، مرجع سابق، ص٩٦.

(٢) **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، مرجع سابق، ص٤٧.

(٣) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، ج٧، ص٢٣٣، ح٦٤٦٣.

(٤) القرضاوي، في سعد الدين، **الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي**، مرجع سابق، ص١٧.

٧- تُمكّن الدراسات المستقبلية من الإفادة -عند التخطيط- من التجارب السابقة:

من الأساليب في الدراسات المستقبلية : أسلوب "المشابهة أو المغايرة"[(١)]، وهو أسلوب يُفيد استخدامه الدعوة عند إحداث مؤسسة دعوية جديدة أو إرادة تطويرها، أو إيجاد منشط دعوي، فإننا ننظر فيما هو قائم منها أو شبيهًا بها، أو ليس فيها شَبَه ولكن فيها جوانب يمكن الإفادة منها فيما يخدم العمل الجديد المراد إقامته، حتى وإن كانت مؤسسات لا تمت إلى الإسلام بصلة – مثل استفادة الدول الإسلامية حين نشأتها ببعض تنظيمات الفرس والروم – ويفاد من هذا الأسلوب بإحدى طريقين، هي ما يأتي:

أ – بمحاكاة تجربة المؤسسة والمنشط القائم، واتباع الخطوات التي سِير عليها، وتقليدها في ذلك.

ب – بتحليل تجربة المؤسسة القائمة، والتعرف على خطواتها إلى أن حققت هدفها، ومحاولة التعرف على إمكانية استخدام الخطوات نفسها، في المؤسسة الجديدة، أو أن الأمر يتطلب خطوات مغايرة.

والطريقة الثانية -في رأي الباحث- أكثر نفعاً؛ لأنها تُدخل في حسابها الفروق بين المؤسستين، وتراعي التطورات الجديدة، وتغير الأحوال.

ويُتنبه إلى أنه ليس دائمًا تكون الخبرة والتجربة السابقة دليلاً على صحتها مستقبلاً؛ لأن ما حدث في الماضي قد لا يتكرر حدوثه في المستقبل[(٢)].

٨-لا ندع الطريق لغيرنا ليرسم مستقبلنا بل نحن نرسمه :

إن مستقبل الدعوة الإسلامية لا يصح أن يترك نهبًا للقوى المختلفة، أو للمصادفة التاريخية، فإذا لم يسارع رجال الدعوة إلى رسم الصورة المستقبلية المرغوب فيها لمجتمعهم من المنظور الشرعي المنتظم مع متطلبات العصر وتطوراته، فسوف يتولى الآخرون تلك المهمة عنهم، لكن مع فارق رئيس، وهو أنهم سيرسمون المستقبل طبقًا لمصالحهم هم، "قال بعض الحكماء: من كانت الليالي والأيام مطاياه، سارت به وإن لم يسر"[(٣)]. ولا شك أن من

---

(١) العيسوي، في : معهد التخطيط القومي، مرجع سابق، ص ١٩.

(٢) مخامرة وآخرون، مرجع سابق، ص٩٣؛ وينظر : كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٤٢٨؛ وزريق، **نحن والتاريخ**، مرجع سابق، ص٢١٣-٢١٤.

(٣) ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٨٣.

المصائب لأي أمة أو مجتمع أن تَرسم صورته المستقبلية قوى خارجية، لا يهمها ديــن، ولا مصلحة لذلك المجتمع .

٩-تفيد الدراسات المستقبلية في استيضاح أهداف الخطة الدعوية وتمحيصها :

الأهداف هي محور التخطيط، والقائد إلى البرامج، والسياسات، والإجراءات، والقواعد، ووضع الميزانيات التقديرية[١]؛ «فوجود الهدف ضروري ويكون التخطيط بدونه نوعًا من العبث. فالخطة يجب أن تتضمن الأهداف العامة والنهائية»[٢]؛ وكل «خطة عامة... يلزمها تحديد أهدافها الرئيسية وكذا الأهداف الخاصة والمتفرعة منها وما يتبعها من تحديد علاقة الأهداف ببعضها البعض»[٣] ؛ و«على قدر وضوح الأهداف يكون الإحساس بالمسؤولية.. ويكون الحرص على تخطي العقبات وعدم الوقوف عند المنعطفات.. وتكون الواجبات أكثر من الأوقات»[٤]. وقد نص (توفلر) على أن الدراسات المستقبلية تفيد في استيضاح أهداف الخطط[٥].

و«النشاط الدعوي نشاط اتصالي هادف، وعليه فالممارسة السليمة تتطلب تحديد الهدف الدعوي بدقة متناهية، وبيان سبل تحقيقه، ومتطلبات ذلك التحقيق من الإمكانات المادية والبشرية والمعنوية قبل ذلك، وهذا ما يعني ضرورة التخطيط له بإحكام، ومعلوم أن مثل هذا يتطلب النظر بعمق إلى الحاضر، وكذلك النظر إلى المستقبل في ظل القدرة على التوقع»[٦].

لكن عندما نفشل في تَبيُّــن الأهداف التي نسعى من أجلها، ونعجز عن تحديــدها وتوضيحها بدقة، فإن كثيرًا من أعمالنا ستكون ضعيفة الآثار، قليلة النتائج .

١٠-التخطيط لإعداد كفاية الدعوة من الدعاة المؤهَلين :

نص بعض المستقبليين الغربيين على أنه يمكن توقع الاحتياجات من دعاة الأديان[٧]،

---

(١) زويلف والقريوتي، مرجع سابق، ص١٢٥.

(٢) المرجع نفسه، ص١٢٢.

(٣) الحليسي، مرجع سابق، ص٣٠٣.

(٤) خفاجي، مرجع سابق، ص٣٦.

(٥) **صدمة المستقبل**، مرجع سابق، ص٤٨٩.

(٦) ساداتي، **الدعوة إلى الله "الواقع والأمل" دراسة عن إفريقيا**، مرجع سابق، ص ٥٥.

(٧) ينظر : كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص ٣٦٧ – ٣٦٨.

فبإمكان المؤسسات الدعوية تقدير احتياجات الدعوة الإسلامية من الدعاة خلال فترة قادمة، والتخطيط لتلبيتها؛ حتى لا تجد الدعوة نفسها في نقص شديد منهم، وتتأثر الدعوة سلبًا بذلك، ويُحْرم المجتمع من خير كثير .

وعندما نخطط للدعوة، فإن تخطيط الموارد البشرية من الدعاة، ينبغي أن يكون أهم ما نُعنى به؛ لأنه هو الذي يقدم المردود الإيجابي للدعوة، وهو الأمر الذي توجَّهت إليه عناية النبي ﷺ في بداية الإسلام .

إن الاستثمار في التنمية البشرية هو سلاح هذا القرن، وإن نوعية هذا الاستثمار هو المحور الرئيس لطريق النمو الذي يمكن أن ترتاده الأمة(١). «لقد وعت أوروبا أن الإنسان هو القوة الفعالة في الأرض . وأن الطاقة البشرية هي أداة الإصلاح . من أجل ذلك اتجهت همتهم لتجنيد هذه الطاقة، وتوجيهها إلى العمل المنتج في واقع الحياة . ووصلوا في ذلك إلى درجة معجِبة من النشاط والتنظيم والدأب المنتج العجيب . ذلك ما نسيه المسلمون اليوم وهم يتواكلون ويتقاعسون، وينتظرون وهم قاعدون»(٢).

فالداعية هو العنصر الأساس في عملية الدعوة؛ لذا ينبغي العناية بالتخطيط لموارد الدعوة من الدعاة، كمًّا، وكيفًا.

ومن المهم أن ندفع الدعاة إلى العناية بالمستقبل والاهتمام به، بل ونحوِّلهم من مجرد مهتمين به إلى صُنَّاع أساسيين فيه، ولا يَكلوا صناعته لغيرهم، أو يساقون إليه كما هو بغير صناعة.

ومن أساليب تحقيق هذا : أن تُعنى المؤسسات الإسلامية أشد العناية، بأن يكون دعاتها هم المخططون لمستقبلها، فيشتركون في وضع الأهداف، واقتراح البرامج والسياسات، وتصميم الخطط. إن إشراكهم في ذلك تفعيل لأثرهم، وإناطة بالمسؤولية تجاههم: ممارسة، وتفكيرًا، وتخطيطًا . أو على الأقل أن يُختار منهم عدد مناسب لمجموعهم يكونون معنيين بالإسهام في التخطيط للمستقبل، حتى لو استدعى الأمر عقد دورات دراسية لهم في مقدمات الدراسات المستقبلية والتخطيط، وبيان أهمية مشاركتهم في صنع المستقبل.

---

(١) مصطفى رضا عبد الرحمن، **التنمية البشرية**، (طنطا، أكاديمية السادات للعلوم الإدارية، ١٩٩٨م)، ص٥، ١٢.

(٢) محمد قطب، **قبسات من الرسول ﷺ**، ط١٣، (القاهرة، دار الشروق، ١٤١٨هـ)، ص٦١-٦٢.

المبحث الثالث

الـــجـــهـــاد في سبيل الله

المطلب الأول : تعريف الجهاد :

الجهاد في اللغة : من الـــجُهْد والـــجَهْد، وهو الطاقة والمشقة[1].

وفي الاصطلاح: «بذل المسلم طاقته وجهده في نصرة الإسلام ابتغاء مرضاة الله»[2].

والجهاد أنواع، لكن المراد به في هذا المبحث القتال بالسلاح وما يتبعه ويتعلق به، وهو المراد به -غالـــبًا- عند إطلاقه في الشريعة .

والجهاد في سبيل الله وسيلة من وسائل الدعوة؛ «لأنه وسيلة لحماية الدعوة، ومواجهـــة المتصدين لها»[3].

والحرب فنون وأنواع، ويستلزم لها استعدادات متنوعة، من عـــدة وعتـــاد، ورؤيـــة وتخطيط، وتهيؤ إيماني ونفسي، وكل ذلك يدخل في الجهاد، والدراسات المستقبلية جزء من ذلك.

المطلب الثاني : أهمية الجهاد في الإسلام، وغايته :

الأدلة على فضائل الجهاد وأهميته في الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر، وهو أفضل ما تطوع به الإنسان، وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة، ومن التطوع بالصلاة والصيام[4].

قـــال الله تـــعـــالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[5]. وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾[6]. وقـــال تعالى : ﴿ ٱنفِرُوا۟

---

(١) الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص٢٠٨، مادة: (جهد)؛ والفيروزآبـــادي، مرجـــع ســـابق، ص٣٥١، مادة: (جهد).

(٢) زيدان، **أصول الدعوة**، مرجع سابق، ص٢٧٢.

(٣) **الموسوعة الفقهية**، مرجع سابق، ج٢٠، ص٣٣٣.

(٤) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج٢٨، ص٣٥٢.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

(٦) سورة الأنفال، من الآية: ٦٥.

خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[١].

وقال رسول الله ﷺ : «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»[٢].

فالجهاد مرتبته في الإسلام عظيمة، والقياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التي هي وسائل؛ لأنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره، وإخمال الكفر ودحضه، فالعبادات على قسمين: منها ما هو مقصود لنفسه، ومنها ما هو وسيلة إلى غيره، وفضيلة الوسيلة بحسب فضيلة المتوسل إليه[٣].

لقد "وضع الجهاد المسلمين أمام واجب مفروض هو الدعوة إلى الله وقتال من يصد الدعوة أو يقف في طريقها . وفي ذلك دعامة مؤثرة . لأن الحق إذا لم تسنده القوة تغلب الباطل عليه، بل إن الحق القوي يجعل الناس ينظرون إليه بفهم وإعجاب»[٤].

والجهاد ضرورة تقتضيها حاجة الإنسان وإن لم يدركها هذا الإنسان . وهو في الإسلام ليس كأي قتال عُرف من خلال الحروب البشرية بل هو قتال رحمة وإنقاذ[٥]، فأهدافه سامية، تسعى لتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

و"الغاية التي يتوقف عندها الجهاد : هي إسلام أهل الأرض كلهم واعتناقهم عقيدة الإسلام»[٦]. قال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٧]، في هذه الآية "الأمر بمقاتلة المشركين إلى غاية هي ألا تكون

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤١.

(٢) الترمذي وقال : "حسن صحيح"، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، ج٥، ص١٣، ح٢٦١٦؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، ج٢، ص١٣١٤، ح٣٩٧٣.

(٣) ابن دقيق العيد، **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، مرجع سابق، ج١، ص١٣٢-١٣٣.

(٤) غلوش، مرجع سابق، ص٢٦٢.

(٥) صالح بن سعد اللحيدان، **الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع**، ط٥، (الرياض، دار الصميعي، ١٤١٨هـ)، ص٧٧.

(٦) جماز بن عبد الرحمن الجماز، "الجهاد شرعة باقية"، البيان، مرجع سابق، العدد ١٨٣، (١١/١٤٢٣هـ)، ص٢٧.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٩٣.

فتنة وأن يكون الدين لله، وهو الدخول في الإسلام، والخروج عن سائر الأديان المخالفة له، فمن دخل في الإسلام وأقلع عن الشرك لم يحل قتاله»[١].

«هذا ونصرُ الدِّين فرضٌ لازم   لا للكفاية بل على الأعــيانِ
بيَدٍ وإما باللسان فإن عجــز   ت فبالتوجه والدعا بــجَنَانِ
ما بعد ذا والله للإيمان حبـــ   ــة خــردل يا ناصرَ الإيمان»[٢].

المطلب الثالث : الإعداد:

قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[٣].

«فمن مقاصد الإسلام أن تكون الأمة الإسلامية مرهوبة الجانب، محترمة، منظورًا إليها في أعين الأمم الأخرى نظرة المهابة والوقار، يخشون بأسها، ليردعهم ذلك عن مناوشتهم إياها وتكدير صفو الأمن فيها»[٤]. والأمر الإلهي للمسلمين جاء بإعداد ما يستطيعون من عدة، لمجابهة أعدائهم، وهذا الأمر للعدة والاستعداد التام يراد به تحقيق أمر الله في الأرض. فالإعداد وسيلة توصل المجاهد إلى إنقاذ الإنسان من كل معبود غير الله [٥].

«ولم يزل رسول الله [ﷺ] طول حياته يقوي عُدد المسلمين بإكثار السلاح والشِّكَّة[٦] والظهر والأزواد، يزيد ذلك كله نماء عامًا فعامًا. روى الترمذي عن عمر بن الخطاب[ﷺ] قال : «كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِه ﷺ مِمَّا لَمْ يُوجِفْ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلا رِكَابٍ، فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً، يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِه منها نَفَقَةَ سَنَة، ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السِّلاحِ وَالْكُرَاعِ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّـهِ»[٧]... وكان استعداد

(١) الشوكاني، **فتح القدير**، مرجع سابق، ج١، ص١٩١.
(٢) ابن القيم، **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**، مرجع سابق، ص٤٠٨ .
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.
(٤) ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص٣٣٨.
(٥) اللحيدان، مرجع سابق، ص٧٧.
(٦) "الشكة، ما يُحمل أو يُلبس من السلاح". (محقق المرجع، ص٣٤٠، حاشية ٢).
(٧) متفق عليه: سبق تخريجه ص٤٦٣، حاشية ٣.

المسلمين استعداد من يتهيأ لحرب أمتين عظيمتين، وهما الفرس والروم... ثم سار خلفاء المسلمين على ذلك السنن، فلم يكونوا يقصرون عن مباراة الأمم المعاصرة لهم في الاستعداد الحربي والتفوق عليهم في ذلك بما اخترعه المسلمون من الأسلحة والنظام»[1].

ويخطئ من يظن أن الجهاد يقوم على غير إعداد أو تخطيط، قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلاثَةً الْجَنَّةَ : صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِيَ بِهِ وَالْمُمِدَّ بِهِ، وَقَالَ... كُلُّ مَا يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ بَاطِلٌ إِلاَّ رَمْيَهُ بِقَوْسِهِ وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ وَمُلاعَبَتَهُ أَهْلَهُ فَإِنَّهُنَّ مِنْ الْحَقِّ»[2]. فهذا الترغيب النبوي في الصناعة الحربية، والتدرب في أعمالها، يدل على أن الإعداد ذو شأن عنده ﷺ.

ولم يُعن الإسلام بجانب المستقبل النظري فحسب، بل اهتم -أيضًا- وعُني عناية شديدة بالجانب العملي، الذي إذا قام المجتمع به، وأتى به كاملاً، عن فهم صحيح، تحقق له المستقبل المطلق، دون منافسة. ومن أهم الجوانب العملية التي دعا إليها الإسلام، وأهملها المسلمون إهمالاً شديدًا؛ فكانت عائقًا لهم عن تحقيق المستقبل، جانبَ إعدادَ القوة الحربية، وواكبها بالمقابل إعدادٌ لها من الأعداء، إعدادًا مضاعفًا جنونيًا.

ويرتكز الإعداد المطلوب على عدد من الأمور، يعرفها المختصون في الشؤون العسكرية والسياسية، والمختصون في العلوم الشرعية.

ومن ركائز الإعداد المأمور به: إعداد الجندي المسلم، جسميًّا، ونفسيًّا، وشرعيًّا، وعسكريًّا. فمن الأشياء المهمة التي ينبغي أن تُعنى الكليات العسكرية بتقديمها لطلابها، وتدريسها لهم : باب الإيمان، وباب الجهاد، وحفظ السور والآيات المتعلقة بالجهاد، ومعرفة تفسيرها، ومن أهمها سورة الأنفال، قال الطبري : «ومن السُّنة التي سن رسول الله ﷺ بعد بدر أن تقرأ سورة الجهاد عند اللقاء؛ وهي الأنفال، ولم يزل الناس بعد ذلك على ذلك»[3].

---

(١) ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص٣٤٠-٣٤١.

(٢) الترمذي وقال: "حسن صحيح"، مرجع سابق، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله، ج٤، ص١٤٩، ح١٦٣٧؛ والنسائي، مرجع سابق، كتاب الخيل، باب تأديب الرجل فرسه، ج٦، ص٥٣٢، ح٣٥٨٠؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب في الرمي، ج٣، ص٢٨، ح٢٥١٣؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب الرمي في سبيل الله، ج٢، ص٩٤٠، ح٢٨١١.

(٣) **تاريخ الطبري**، مرجع سابق، ج٣، ص٣٩٧.

فكان الصحابة ﭫ في جهادهم يقيمون من يدور على الجيش ويقرأ عليه آيات الجهاد وسورة الأنفال، ففي اليرموك روى الطبري: أن القارئ كان المقداد بن الأسود ﭬ[1]، وفي القادسية لـمَّا صلى سعد بن أبي وقاص ﭬ «الظهر أمر الغلام الذي كان ألزمه عمر إيّاه -وكان من القرّاء- أن يقرأ سورة الجهاد، وكان المسلمون يتعلمونها كلهم، فقرأ على الكتيبة الذين يلونه سورة الجهاد، فقرئت في كل كتيبة»[2].

إن ذلك يمنح الجندي المسلم معرفة إيمانية بربه ودينه، وفقهًا شرعـيًّا بما يُحتمل أن يتعرض له في ميادين الجهاد.

والعناية بالإعداد الإيماني أمر مهم؛ فإذا كان النظر إلى القوة الغربية وإعدادها المتفوق باعثًا على اليأس من الوصول إلى عُشر ما وصلت إليه، فإن تبين حقيقة الإعداد، وأن الجزء الأهم فيه هو الإعداد المعنوي؛ فإن هذا يبعث على الأمل، ويدفع للعمل، إذ التوجه إلى إعداد عقائد الرجال، وصقل إيمانهم بالله تعالى، والتوكل عليه هو أهم أنواع الإعداد، ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[3].

ومن جوانب الإعداد: العناية بتدريب المجاهدين على استخدام الخيل، والبراعة فيها، فقد صرح الله بذكرها في أمره بالإعداد، وأقسم بها في كتابه: ﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾[4]. قال عدد من الصحابة ﭫ والتابعين: إن القَسَم في هذه الآيات وقع على الخيل التي يغزا عليها، ويغار بها على العدو[5].

وعن أنس ﭬ قال: «لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ النِّسَاءِ مِنْ الْخَيْلِ»[6]. « فيسن لكل مسلم حُب الخيل لهذا الحديث اقتداء بالنبي ﷺ»[7].

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) نفسه، ج٣، ص٥٣٦.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ١٩٧.

(٤) سورة العاديات، الآيات: ١-٥.

(٥) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج٢٤، ص٥٥٧-٥٦٤.

(٦) النسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب الخيل، باب حب الخيل، ج٦، ص٥٢٧، ح٣٥٦٦.

(٧) أحمد بن إبراهيم الدمشقي الدمياطي ابن النحاس، **مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام**، تحقيق إدريس محمد علي، ومحمد خالد إسطنبولي، (بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٠هـ)، ج١، ص٣٣٧.

ولأهمية الخيل في السنة النبوية عقد النسائي للخيل كتابًا في سننه، وألَّف فيها عدد من العلماء كتبًا مفردة.

ولا يمنع من تغير وسائل الحرب في العصر الحديث، وتطورها، من استخدام الخيل أيضًا في الحروب المعاصرة، فإن الرسول ﷺ قال: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ»[1]. ومن المهم أن يرث هذا الجيل مهارات الفروسية الحربية، ويورثها لمن بعده، وألا يذهب هذا العلم ويُنسى؛ بسبب طغيان الوسائل الحديثة في الحروب؛ فإن هذه الوسائل قد تتعطل يومًا من الأيام بسبب نفاد المخزون من الطاقة التي تسيرها، والله أعلم؛ فعندها تظهر الحاجة إلى الخيل وأهميتها في الحروب، وإن لم يكن فينا -وقتئذ- مَن هو ماهر بالفروسية فإنا نكون قد أهملنا في الإعداد.

المطلب الرابع: التفوق على العدو بأساليب القتال، أو جهاده بما يكافئ أساليبه بقدر المستطاع:

لقد أثبتت المواقع العظمى التي خاضها المسلمون الأوائل، كمعركة اليرموك والقادسية وغيرهما، مواقف بطولية للصحابة رضي الله عنهم والتابعين، لم تقف عند حد الشجاعة والإقدام، بل شملت العناية بالأساليب الحربية، ووضع الخطط، وترتيب المناورات.

من ذلك: أنه لما التقت خيل المسلمين بالفرس، نفرت خيل المسلمين من الفيلة، ولم تستقر في أرض المعركة، «فعمد رجل منهم فصنع فيلاً من طين وأنَّس به فرسه حتى ألِفه، فلما أصبح: لم ينفر فرسه من الفيل فحمل على الفيل الذي كان يقدُمها فقيل له: إنه قاتلك. قال: لا ضير أن أُقتل، ويُفتح للمسلمين»[2].

فالحروب كما تحتاج إلى العدة وإلى الشجعان من الرجال، تحتاج أيضًا إلى التخطيط، والتوقع، وبناء المشاهد، وافتراض الاحتمالات، واستنباط الحيلة. قال الوليد بن عُقبة رضي الله عنه: «الرأي في بعض الحالات خيرٌ من جند كثيف»[3].

«الرَّأيُ قبل شجاعةِ الشجعانِ هو أولٌ وهي المحلُّ الثاني

---

(١) متفق عليه، سبق تخريجه ص٤٦١، حاشية ٣.

(٢) محمد القرطبي، مرجع سابق، ج٢، ص٢٤٢ ؛ نقلاً عن: ابن خُويز مَنْداد.

(٣) **تاريخ الطبري**، مرجع سابق، ج٣، ص٣٧٧.

فإذا هما اجتمعا لنفسٍ مِــرَّةٍ[1] بلغت من العلياء كــل مكان

ولربـــما طَـــعن الفتى أقرانه بالرأي قبل تطـــاعن الأقران»[2].

والدراسات المستقبلية من الرأي، بل هي الرأي إذا أُحسن فيها استخدام أساليبها. «ومن أمثال العرب : إذا لم تَغلب فاخلِبْ»[3]، أي : اخدع[4].

وأصبحت المؤسسات العسكرية في العالم الغربي تعتمد اعتمادًا كبيرًا على الدراســـات المستقبلية في قراراتها العسكرية، وخططها الحربية . والدراسات التي تقوم بها هذه المؤسسات أفضل بكثير -كمًّا وكيفًا- من الدراسات التي تقوم بها غيرها مـــن مراكـــز الدراســـات المستقبلية، ومع أن عملها سري إلى حد كبير، إلا أنَّ المطلعين يَبدون متفقين على ذلك[5].

«وقد يسبق غير العارفين بأدب الشرع إلى بعض نُظم مدنية أو فنون حيوية، فلا حـــرج على إخوان الإسلام أن يحاكوا غير المسلمين، ويعملوا على مثالهم فيما يحسن في نظرهم من هذه النظم والفنون؛ فإن إحجامنا عن أخذ ما بأيدي المخالفين من المعارف والنظم المفيـــدة في هذه الحياة يفضي بنا -كما قال أبو حامد الغزالي- إلى أن نُحرَم من كل صالح ســـبقونا إليه. فمن واجب دعاة الإصلاح: أن يُجيدوا البحث عن أحوال الأمم الأخـــرى؛ لعلـــهم يقتبسون منها ما يليق بحياة أمتهم»[6].

فإذا كانت الدوائر العسكرية الغربية تعتمد في جملة من أعمالهـــا علـــى الدراســـات المستقبلية، فإن المسلمين إذا أرادوا أن يكونوا على دراية بتفكير عدوهم، وكيـــف يقـــوم بالتخطيط، ويضع الأهداف، ويتعرفوا على دوافعه من تحركه هنا وهناك، فلزامـــًا عليهم أن يتعرفوا على أساليبه في التخطيط، والتي من أهمها الدراسات المستقبلية؛ فإن «مما لا شك فيه أن معرفة العدو وطبيعته وأساليبه المتعددة لها أثرها في الوقاية من العدو ومكائده وخطره»[7].

---

(١) أي: ذات قوة وشدة . ينظر شرح المرجع التالي .

(٢) **ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري**، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفـــيظ شلبي، ط٢، (مصر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٦هـ)، ج٤، ص١٧٤.

(٣) القلعي، مرجع سابق، ص٢٤٤.

(٤) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١٠٤، مادة: (خلب) .

(٥) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٣٦٨؛ وينظر: المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٢٧٥ .

(٦) حسين، **الدعوة إلى الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وعبر تاريخ الأمة**، مرجع سابق، ص١٢٦-١٢٧.

(٧) منصور محمد محمد عويس، **الرسول ﷺ والحرب النفسية**، (طرابلس=ليبيا، مكتبة النجاح، د.ت)، ص٢٦٣.

و«لقد قال أحد المؤلفين الأوربيين العالمين بالسياسات الحربية: «إن الممالك التي لا تنسج على منوال مجاوريها فيما يستحدثون من الآلات الحربية والتراتيب العسكرية توشك أن تكون غنيمة لهم ولو بعد حين»»(١).

والمسلمون مطالبون بالإعداد لعدوهم، والتفوق عليه في ذلك؛ لتحصل إخافته، وتكون الأمة الإسلامية مرهوبة الجانب. وإذا لم يكونوا كذلك فلا أقل من أن يجاروا عدوهم في أساليبه ووسائله التي يستخدمها، ومن ذلك العناية بالدراسات المستقبلية.

المطلب الخامس : العناية بالدعاء:

مع أهمية بذل الأسباب الحسية في الجهاد وقتال الأعداء، إلا أنها وحدها لا تكفي، بل لابد من وجود الأسباب المعنوية من الإيمان، والتوكل، والدعاء، ولا يغني أحد السببين عن الآخر فكلاهما مطلوب من المسلمين الإتيان به، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا : إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾(٢)»(٣).

والدعاء من أهم الأساليب في تحقيق المستقبل، وصناعة النصر، فمن المهم ان نُعلّم القائد والجندي المسلم الدعاء وأهميته في النصر، وقد كان النبي ﷺ يدعو ربه عند لقاء العدو، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتْ الشَّمْسُ ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيُوفِ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ »(٤).

---

(١) جدعان، مرجع سابق، ص١٢٨.

(٢) سورة آل عمران، من الآية: ١٧٣.

(٣) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب (إن الناس قد جمعوا لكم) الآية، ج٥، ص٢٠٣، ح٤٥٦٣.

(٤) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، ج٤، ص١١-١٢، ح٢٩٦٥-٢٩٦٦؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الجهاد، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، ج٣، ص١٣٦٢، ح١٧٤٢.

ويستفاد من هذا الحديث: "استحباب الدعاء عند اللقاء والاستنصار"(1). وثبت عنه ﷺ أنه دعا ربه قبل التحام الصف في غزوة بدر(2)، ودعا يوم الأحزاب على المشركين فقال: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمْ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ»(3). وكان ﷺ يدعو أثناء القتال(4). وعن ابن عباسٍ قال : «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو يَقُولُ رَبِّ أَعِنِّي وَلا تُعِنْ عَلَيَّ وَانْصُرْنِي وَلا تَنْصُرْ عَلَيَّ وَامْكُرْ لِي وَلا تَمْكُرْ عَلَيَّ وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى لِي وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ»(5).

وكان عمر ﷺ يستنصر للمجاهدين، وهو في المدينة، وكان الناس يرون من استنصاره(6).

وكان أبو سفيان ﷺ يوم اليرموك يقول:" اللهم هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك"(7).

وقيل لموسى بن نصير :"ما كنتَ تفزع إليه عند الحرب؟ قال : الدعاءُ والصبر"(8).

ولا يقتصر الدعاء، والاستنصار على الأعداء، عند ملاقاتهم فحسب، بل يشرع في كل وقت، ومن فضل الله تعالى على عباده المسلمين أن تفضل عليهم بأوقات فاضلة، حري فيها قبول دعوتهم، واستجابة مطلبهم، يُستحسن أن يستثمروها بالدعوات العامة للإسلام والمسلمين . ورمضان وقت مبارك، وموسم عظيم، يتعرض فيه المسلمون لنفحات الرحيم،

---

(1) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص1340.

(2) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي ﷺ، ج3، ص303، ح2915.

(3) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، ج3، ص307، ح2933؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو، ج3، ص1363، ح1742.

(4) ابن هشام، مرجع سابق، ج2، ص627 .

(5) الترمذي وقال: "حسن صحيح"، مرجع سابق، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ، ج5، ص517، ح3551؛ وأبو داود، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا سلم، ج2، ص175، ح1510؛ وابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ، ج2، ص1259، ح3830.

(6) الذهبي، **سير أعلام النبلاء** ، مرجع سابق، ج2، ص357، وقال المحقق: رجاله ثقات، ص358، حاشية1.

(7) المرجع نفسه، ج2، ص106.

(8) نفسه، ج4، ص499.

السميع القريب المجيب، حري بالمسلمين أئمة ومأمومين ومنفردين أن يعنوا بالاجتهاد بالدعاء فيه لما فيه الخير لمستقبل الخاصة والعامة، والأمة الإسلامية، ودفع شرور الأعداء، والنصرة عليهم، قال الأَعْرَجُ : «مَا أَدْرَكْتُ النَّاسَ إلا وَهُمْ يَلْعَنُونَ الْكَفَرَةَ فِي رَمَضَانَ»(١).

المطلب السادس : أثر التوقعات في الحروب، وأهميتها :

تؤثِّر التوقعات الإيجابية في رفع نفسيات الجنود، وتثبيتهم، وبث الثقة والتفاؤل بينهم، كما تؤثر التوقعات السلبية في إحداث هزيمة نفسية لهم، فتُزعزع نفوسهم، ويغلب التشاؤم عليهم، وتحدث ثغرات في صفوفهم؛ مما يضعف من إقدامهم، ومقاومتهم أعداءهم . يقول أحد المختصين العسكريين : «ترتبط العوامل المعنوية ارتباطًا وثيقًا مع الانتصارات التي تحققها القوات المسلحة في الحروب، وكان رفع الروح المعنوية في صفوف القوات المسلحة هو أحد الركائز الأساسية التي تعتمد عليها القيادات في شتى العصور لتحقيق النصر»(٢).

وهناك حروب تَقوم وتُسعَّر بناءًا على توقعات تستند إلى أمر حق، أو أمر باطل، فقد ذكر ابن خلدون : أنه شاهد كثيرًا من الحروب والثورات نشأت بسبب توقعات مبنية على التنجيم(٣).

ولما وفد أبو سفيان ﷺ -قبل إسلامه- إلى الشام، وسأله (هرقل) عن أوصاف النبي محمد ﷺ، وأوصاف أتباعه ﷺ، وأبو سفيان يجيبه، قال (هرقل) : «فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ». وقال أبو سفيان لما خرج من عنده : «لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ . فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الإِسْلامَ»(٤). فهذا التوقع من (هرقل) أثَّر في أبي سفيان ﷺ، وهو من دهاة العرب، وأهل الرأي والشرف فيهم كما وصفه الذهبي(٥).

---

(١) مالك، مرجع سابق، كتاب الصلاة في رمضان، باب ما جاء في قيام رمضان، ج١، ص١١٤، أثر ٦.

(٢) صالح بن علي المحيا (تقديم)، علي شايخ الشهري، **بناء المعنويات في القوات المسلحة**، (د.م، مكتبة دار الطحاوي، ١٤٢٢هـ)، ص (هـ).

(٣) **مقدمة ابن خلدون**، مرجع سابق، ج٣، ص١٢٢١ .

(٤) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ج١، ص٦، ح٧؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، ج٣، ص١٣٩٣، ح١٧٧٣.

(٥) **سير أعلام النبلاء** ، مرجع سابق، ج٢، ص١٠٦.

وفي معركة القادسية لما وفد المغيرة ﷺ رسولاً إلى رستم، ودار بينهما الحوار، أرسل رستم «مع المغيرة رجلاً، وقال له: إذا قطع القنطرة، ووصل إلى أصحابه، فنادِ: إن الملك كان منجّمًا قد حسب لك ونظر في أمرك، فقال : إنك غدًا تُفقأ عينك. ففعل الرسول، فقال المغيرة: بشّرتني بخير وأجر؛ ولولا أنْ أجاهد بعد اليوم أشباهكم من المشركين، لتمنيت أنّ الأخرى ذهبت أيضًا. فرآهم يضحكون من مقالته، ويتعجبون من بصيرته؛ فرجع إلى الملك بذلك»[1]. وهذا فيه علم الملك بأثر التوقعات في إضعاف معنويات الخصوم، وفيه نباهة المغيرة ﷺ، حيث لم يسمح له بالتأثير في معنوياته أو معنويات المسلمين.

والإسلام يتميز دون غيره بأنه لا يستند إلى توقعات جائزة فحسب، بل يستند أيضًا إلى وحي صادق حق، وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يستخدمانه في بث العزيمة في الجنود، ورفع معنوياتهم، فكان «أبو بكر ﷺ إذا أغزَى جيوشه عرَّفهم ما وعدهم الله في إظهار دينه، ليثقوا بالنصر، وليستيقنوا بالنُّجْح، وكان عمر يفعل ذلك؛ فلم يزل الفتح يتوالى شرقًا وغربًا، برًا وبحرًا، قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[2]»[3].

وكان حسان بن ثابت ﷺ يُرهب العدو بأشعاره، فيذكر بعض المشاهد، التي يصور بها ما سيحققه المسلمون من نصر على أعدائهم، وكيف سينهزم الأعداء. ومن ذلك ما قاله في أبيات يهجو فيها هُذيلاً لمقتل خبيب بن عدي ﷺ بمكة بعد أحد:

«لعل هذيلاً أن يروا بمصابه   مصارع قتلى أو مقامًا لمأتم
ونُوقع فيهم وقعة ذات صولةٍ   يُوافي بها الركبان أهل المواسم»[4].

وكان بعض الصحابة ﷺ يستخدم مثل هذه الأساليب النفسية الحربية، من ذلك ما قاله كعب بن مالك ﷺ، بعد غزة بدر في أبيات، منها:

---

(١) **تاريخ الطبري**، مرجع سابق، ج٣، ص٥٢٤.

(٢) سورة النور، من الآية: ٥٥.

(٣) محمد القرطبي، مرجع سابق، ج١، ص٥٤.

(٤) ابن هشام، مرجع سابق، ج٣، ص١٨١ .

«فلا تعجل أبا سفيان وارقب جياد الخيل تطلعُ من كَداء

بنصر الله روح القدس فيها وميكالٌ، فيا طيب الـمَلاء»[1].

وكان ابن تيمية يدرِك ما يحدثه التوقع الإيجابي من شحذ همم الجنود ورفع معنوياتهم؛ لذا «أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام: أن الدائرة والهزيمة عليهم . وأن الظفر والنصر للمسلمين . وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينًا . فيقال له : قل إن شاء الله . فيقول : إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا»[2]، وقام بإطعام حلوى النصر لبعض الأمراء والعسكر قبل خروجهم إلى لقاء العدو[3].

وقد كانت ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية تلقي من طائراتها على المدن الفرنسية بفقرات من كهانة كاهن مشهور[4] وتضيف إليها تفسيرات خاصة توحي بانتصار ألمانيا؛ للإضعاف من عزيمة الفرنسيين، وكان الحلفاء أيضًا يُلقون على ألمانيا من ذلك بالفقرات التي تناسبهم[5].

ولذلك لا يلبث الغرب، ومَن يسعى لمصالحه من الشرق، من التشكيك في مستقبل الإسلام والمسلمين، وأنه لا مستقبل لهم إلا في ظل مستقبل الغرب[6].

ولِما سبق؛ يكون إجراء الدراسات المستقبلية العلمية، التي تبين أن المستقبل الغربي قد بدأ يأفل نجمه، وأن المستقبل للإسلام، ونشر نتائج هذه الدراسات بقوة في وسائل الإعلام الغربية يُعدُّ من الوسائل الحربية الحديثة التي تؤتي ثمارها، ويجدر بالمسلمين العناية بها

---

(١) المرجع نفسه، ج٣، ص٢٦ .

(٢) ابن القيم، **مدارج السالكين**، مرجع سابق، ج٢، ص٤٨٩.

(٣) المرجع نفسه .

(٤) هو: (نوستراداموس)، ولد في فرنسا عام (١٥٠٣م)، وتوفي عام (١٥٦٦م)، اشتُهر بكتابه (القرون)، وهو سلسلة من التنبؤات المنظومة شعرًا. (**الموسوعة العربية العالمية**، مرجع سابق، ج٢٥، ص٤٧٥).

(٥) محمد العزب موسى، "الباراسيكلوجي أو ما وراء علم النفس"، في "الدوحة"، وزارة الإعلام، قطر: العدد٩٥، (محرم / ١٤٠٤هـ)، ص٢٧؛ وشهلا، **قصة التنبؤ بالغيب عبر التاريخ**، مرجع سابق، ص١٣٦.

(٦) ينظر: حسان محمد حسان، **وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي**، سلسلة دعوة الحق، العدد: ٥، (مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، شعبان/ ١٤٠١هـ)، ص٥٨-٦٣.

واستخدامها بجدراة؛ فقد أمر الله نبيه ﷺ بأن يقول للكفار: ﴿ سَتُغْلَبُونَ ﴾، ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾(١). وهو كلامٌ حقٌ، يكون له أثر وفعل في نفوس الكافرين، ويقذف الرعب في صدورهم .

يقول ياجن : «ومن خلال دراستي لأسباب قوة الأمم ونهوضها وأسباب سقوطها وجدت أن من عوامل النهوض والتغلب على المشكلات التي تصادف حياة الشعوب والأمم هو حسن استخدام الطاقة العقلية والفكرية، حتى الانتصار في الحروب والمفاوضات، والانتصار الثقافي والغزو الفكري»(٢).

وينبغي على القائد المسلم أن يكون ذا نظر مستقبلي، وأن يتحسس أفكار جنوده، ويترقب كلماتهم؛ لئلا تخرج كلمة تفت في عضد المسلمين، وتهزمهم قبل أن ينهزموا، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٣). وقد كان خالد بن الوليد ﷺ من هذا النوع، فعندما قال أحد جنود المسلمين قبيل معركة اليرموك: «ما أكثرَ الرومَ وأقل المسلمين! فقال خالد : ما أقلَّ الروم وأكثر المسلمين! إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان؛ لا بعدد الرجال»(٤).

ومما يقتضيه النظر المستقبلي في القائد : أن يضع الخطة، ويضع الخطط البديلة، وبمعنى آخر : يضع أكثر من مشهد مستقبلي لمسار معاركه، ويكون جاهزًا للتحول من مشهد إلى آخر حسب توجه حال المعركة. «إن القائد الناجح في الميدان العسكري هو الذي يخطط للنصر من خلال وضعه في منظوره جميع الاحتمالات المنتظرة، وكيفية التعامل معها، يعد

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢.

(٢) **التربية الذاتية القيادية**، مرجع سابق، ص٣٣٧ .

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

(٤) **تاريخ الطبري**، مرجع سابق، ج٣، ص٣٩٧-٣٩٨.

نفسه ومرؤوسيه بل وجنوده لجميع الاحتمالات المرتقبة، وإن سر احتفاظ أفراده بمعنوياتهم وقدراتهم القتالية العالية هي أنهم أعدوا مسبقًا لمواجهة جميع الاحتمالات وطرق التعامل مع هذه الاحتمالات، فالمفاجأة تنعدم رهبتها ووقعها، ومعروف أن المفاجأة هي أخطر عامل على المردود القتالي والمعنويات في القتال»[١].

والعرب تصف الرجل الفطن واسع الحيلة، بالحوَّل القُلَّب، بمعنى القادر على تقليب الأمور على أوجهها المختلفة، واحتيال الحيل لإصابة الهدف، وإدراك النيات الخفية التي يبيتها العدو، ومن أهم مقومات سعة الحيلة: الذكاء والدهاء، وتوقع الأحداث، والحساب لكل ما يمكن أن يحدث أو يتوقع حدوثه[٢]؛ «فمن نظر في العواقب سلِم من المعاطب، ومن أخر تدبيره تقدّم تدميره»[٣].

وحتى نحصل على قائد يتميز بالرؤية المستقبلية، ينبغي أن تتضمن مناهج إعداد القادة العسكريين ما يناسبهم من أساليب الدراسات المستقبلية وفنونها.

وإذا كان أقصى احتمال يمكن أن يواجهه الجندي في المعركة هو الموت، فإن تهيئة النفس له، وتوطينها على تلقيه، له أثر في نفسية الجندي، ورباطة جأشه، وشجاعته، وإقدامه، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «تُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ فَيَخْرُجُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَعُمُّونَ الأَرْضَ وَيَنْحَازُ مِنْهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى تَصِيرَ بَقِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِي مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ وَيَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ حَتَّى أَنَّهُمْ لَيَمُرُّونَ بِالنَّهَرِ فَيَشْرَبُونَهُ حَتَّى مَا يَذَرُونَ فِيهِ شَيْئًا فَيَمُرُّ آخِرُهُمْ عَلَى أَثَرِهِمْ فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ لَقَدْ كَانَ بِهَذَا الْمَكَانِ مَرَّةً مَاءٌ وَيَظْهَرُونَ عَلَى الأَرْضِ فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ هَؤُلاءِ أَهْلُ الأَرْضِ قَدْ فَرَغْنَا مِنْهُمْ وَلَنُنَازِلَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَهُزُّ حَرْبَتَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ مُخَضَّبَةً بِالدَّمِ فَيَقُولُونَ قَدْ قَتَلْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ دَوَابَّ كَنَغَفِ الْجَرَادِ فَتَأْخُذُ بِأَعْنَاقِهِمْ فَيَمُوتُونَ مَوْتَ الْجَرَادِ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَيُصْبِحُ الْمُسْلِمُونَ لا يَسْمَعُونَ لَهُمْ حِسًّا فَيَقُولُونَ مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي نَفْسَهُ وَيَنْظُرُ مَا فَعَلُوا فَيَنْزِلُ مِنْهُمْ رَجُلٌ قَدْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى

---

(١) حجار، مرجع سابق، ص٢٣٧.

(٢) بتصرف يسير: الفهداوي، مرجع سابق، ص١١٥.

(٣) القلعي، مرجع سابق، ص٢٣٦ .

أَنْ يَقْتُلُوهُ فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى فَيُنَادِيهِمْ أَلا أَبْشِرُوا فَقَدْ هَلَكَ عَدُوُّكُمْ»[1]. فالتوطين على القتل يُكسب المرء شجاعة وإقداماً.

المطلب السابع : فائدة أسلوب (تمثيل الأدوار، أو المباريات) للشؤون العسكرية :

من أساليب الدراسات المستقبلية أسلوب (تمثيل الأدوار)، أو (المباريات)، وفي هذا الأسلوب توزَع الأدوار المختلفة التي تعبر عن القوى والأطراف المرتبطة بالمشكلة موضع الرصد والتوقع، فإذا كان الموضوع مثلاً أزمة دولية، وكان المطلوب هو التعرف على أرجح التوقعات والاحتمالات الواردة لتطور هذه الأزمة، فهنا يتقمص كل باحث دور أحد الأطراف الضالعة في هذه الأزمة، أو المؤثرة فيها، فيأخذ باحث دور روسيا، والثاني دور أمريكا، والثالث منظمة عالمية، وهكذا . وتؤثر -بشكل رئيس- المعلومات المتوافرة عن الجهة التي يراد القيام بدور عنها، إذ يلتزم صاحب كل دور من الأدوار السابقة في آرائهم وقراراتهم بما في هذه المعلومات. وهناك مؤسسات مختصة بجمع المعلومات اللازمة، وتخزينها، وتقديمها للمستفيدين، مثل مؤسسة (راند) الأمريكية. وقد يحتاج صاحب الدور إلى القيام بدراسة تاريخية متعمقة للجهة التي يقوم بتمثيلها، ليستنتج منها، ويقيس عليها[2].

واستخدام هذا الإسلوب في الشؤون العسكرية يفيد في التعرف على كيفية تفكير العدو، وكيفية تخطيطه، ويُوصل إلى أحسن الآراء الممكنة، وأنجح الخطط التي ينبغي تقديمها. وإذا أدركنا أهمية هذا الأسلوب في التخطيط العسكري، فهذا يقود إلى أن نعنى بإيجاد مؤسسة معلومات عسكرية حديثة، تُمد المستفيدين بالمعلومات المطلوبة .

ولا يقتصر استخدام هذا الأسلوب في الجانب العسكري، بل يمكن استخدامه في عدد من المجالات.

---

(١) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج١٨، ص٢٥٧، ح١١٧٣١؛ ابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ج٢، ص١٣٦٣، ح٤٠٧٩؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الفتن والملاحم، ج٤، ص٥٣٥، ح٨٥٠٤.

(٢) خلاف، **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص٢٧-٢٩.

المبحث الرابع

المال

المطلب الأول : تعريف المال وأهميته :

المال في اللغة : «ما ملكته من كل شيء»[1].

وهو في الاصطلاح : «ما يقع عليه الملك ويستبد به المالك عن غيره إذا أخذه من وجهه»[2].

يُعدُّ المال عصب مهم في حياة الأفراد والأمم، فبه تقوم مصالحهم، وبه تصلح معايشهم، والنفس بطبعها تنجذب إليه، وتشقى في طلبه وجمعه.

وبالمال تبلغ الأمة الأمدَ الأسمى من السيادة، فبه تحفظ دينها، وتنمي معارفها وعلومها، وتصون أعراضها، وتحيي لغتها، وتحمي أوطانها، وتقوِّي اتحادها[3].

والمال للمرء الصالح خير وفلاح، قال رسول الله ﷺ : «نِعِمَّا بالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجلِ الصَّالِحِ»[4]، وقد حثَّ العقلاءُ على استصلاحه، قال قيس بن عاصم رضي الله عنه في وصيته عند موته -وقد جمع بنيه- : «وعليكم باستصلاح المال، فإنه منبهة للكريم، ويُستغنى به عن اللئيم، وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب المرء»[5].

والمال مهم في تمويل الدعوة الإسلامية، فهو «الصخرة التي تُؤسِّسُ للبناء، أو تصطدم بها وتتحطم عليها الجهود»[6].

المطلب الثاني : وجوب حفظ المال، وعدم تضييعه والإسراف فيه :

المال إحدى الضرورات التي جاء الإسلام بحفظها، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾[7]، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ

---

(١) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١٣٦٨، مادة: (مول) .

(٢) الشاطبي، **الموافقات**، مرجع سابق، ج٢، ص١٤.

(٣) محمد الخضر حسين، **رسائل في إصلاح المجتمع**، (بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٦هـ)، ص٤٨.

(٤) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٢٩، ص٢٩٩، ح١٧٧٦٣؛ وقال المحقق: "إسناده صحيح على شرط مسلم".

(٥) الربعي، **وصايا العلماء عند حضور الموت**، مرجع سابق، ص٦٠.

(٦) محمد حسين الذهبي، **مشكلات الدعوة والدعاة**، (القاهرة، مطابع دار الشعب، ١٣٩٧هـ)، ص١٣ .

(٧) سورة النساء، من الآية: ٢٩.

﴿ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا ﴾(1)، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾(2).
وقال النبي ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا : قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ»(3)، وقال ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»(4).

و"لما كانت المعاملات المالية وسيلة لتنمية المال وحمايته... عمل الإسلام على الاهتمام بها ورعايتها فهي واجبة التنظيم لصيانة المال على قاعدة «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»"(5).

والأمة المسلمة مطلوب منها أن تحافظ على الثروات؛ لأجل الجيل الحاضر، وأجيال المستقبل، وألاَّ تبذِّرها، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴾(6).

"إن حفظ المال فيه حفظ الدين والعرض والشرف، والأمم التي لا تمتلك المال لا يحترمها الآخرون، والشخص الذي ليس له قوة من مال أو جاه لا ينظر الناس إليه ولا يأبهون به"(7)، "وكان يقال : من حفظ مالَه فقد حفظ الأكرمَيْن : الدِّين، والعِرْض"(8)؛ لذا يدعو بعض العلماء إلى أن يكون الغطاء الذهبي لأموال الأمة الإسلامية محفوظًا في بلادها، وليس في بلد عدوها، فإنها لو فكرت في حربه، أو حرب حليف له، فلن تستطيع الوصول

---

(1) سورة النساء، من الآية: ٥.

(2) سورة الأنعام، من الآية: ١٤١.

(3) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: (لا يسألون الناس إلحافًا)، ج٢، ص١٥٩، ح١٤٧٧؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، ج٣، ص١٣٤١، ح٥٩٣.

(4) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المظالم والغصب، باب من قاتل دون ماله، ج٣، ص١٤٨، ح٢٤٨٠؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه، ج١، ص١٢٥، ح١٤١.

(5) بركات أحمد بني ملحم، **مقاصد الشريعة الإسلامية في الشهادات**، (عمَّان، دار النفائس، ١٤٢٥هـ)، ص٧٣.

(6) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.

(7) إبراهيم محمد الحقيل، "السرف في الأموال والمتاع"، البيان، مرجع سابق، العدد ١٨٣، (١٤٢٣/١١هـ)، ص٢٣.

(8) ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، مرجع سابق، ج١، ص٣٥١.

إلى أموالها. ومما يقتضيه حفظ أموالها في بلادها أن تُمكّن للأمن في بلادها، وتقيم النظام العادل فيها، بحيث يحفظ حقوق الناس ويحمي أموالهم(١).

المطلب الثالث : أثر الدراسات المستقبلية في حفظ الأموال، وتنميتها، وتقليل الهدر فيها :

إن تمويل الدعوة تمويلاً يمكنها من الانطلاق دون معوقات، يعد من أوائل ما يجب أن نُعنى به، ونركّز عليه، ونتخذ قرارت وتدابير بشأنه(٢)؛ ومن المهم أن نعنى بالمال من ناحية حمايته والحفاظ عليه، وصرفه في وجهه المستحق، من غير هدر، ولا سرف، ولا تفريط وإهمال، ومن ناحية تنميته واستثماره، ومن ناحية البحث عن مصادر جديدة تتمول منها الدعوة، وتُقدِّم الدراسات المستقبلية فوائد إيجابية في هذه المجالات.

والعناية بهذه الدراسات الحديثة في إصلاح المال والمحافظة عليه وتثميره يعد امتداد لعناية المسلمين الأوائل به، حيث يقول العمري : إن المسلمين كانوا أول أمة عرفت التخطيط الاقتصادي نظريًا وعمليًا، ومنذ القرن الثاني الهجري ظهرت مؤلفات في المالية العامة والتخطيط الاقتصادي، تعنى بترشيد الواقع، ولم تكن كتابات نظرية، فقد ألف عدد من العلماء كتبًا في الخراج والمالية العامة، بلغت ستة وعشرين مؤلفًا في القرنين الثاني والثالث، وهو زمن مبكر، ولم تكن للغربيين آنذاك أية مساهمة في الفكر الاقتصادي(٣).

ومن أمثلة ما يمكن أن تقدمه الدراسات المستقبلية من فوائد مالية واقتصادية ما يأتي :

١-التوصل إلى مشاريع استثمارية جديدة، تُمد الدعوة الإسلامية بما تحتاج إليه من أموال، وقد دعا بعض العلماء إلى "إقامة المشاريع الاقتصادية الاستثمارية الكبرى التي تسد حاجات الدعوة المادية المتنامية، وتجعل الدعاة في غنى عن السؤال وجمع الصدقات، وتحررهم من آثار الضغوط المتنوعة"(٤). ويعد أسلوب (العصف الذهني) أسلوبًا مهمًا في استنباط مشاريع جديدة، نوعية، وكمية، ومكانية.

---

(١) عبد الخالق، مرجع سابق، ص١٠٦.

(٢) محمد حسين الذهبي، مرجع سابق، ص١٨ .

(٣) **التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام**، مرجع سابق، ص٣١٤.

(٤) البيانوني، مرجع سابق، ص٣٦٥.

٢- مما لا شك فيه أن النفط الذي تملكه عدد من الدول الإسلامية كان لعائداته أثر كبير ومهم في سير الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، وانتشارها شرقًا وغربًا، ولا يكاد يوازي أثر عائداته شيء آخر، سوى إخلاص بعض الدعاة الذين بذلوا أنفسهم لخدمة الدعوة الإسلامية، بمنٍّ من الله سبحانه وتعالى.

إنه ينبغي -لزامًا علينا- التفكير مليًّا -من الآن- ببدائل تنوب عن (النفط) لدعم الدعوة الإسلامية؛ حيث إن التقدم العلمي الذي يشهده العصر، وحرص الدول الغربية على إيجاد بديل للطاقة عن النفط، يهدد باستمرار قيمته على ما هي عليه، كما أن هناك عددًا من المخاوف تجاه استمرار المخزون منه، فهو مهدد بالنفاد، يقول خَلَّاف: تُقدِّر بعض الدراسات الغربية أن يحدث النفاد التدريجي لاحتياطات النفط في العالم العربي خلال المدة من (٢٠٢٥ إلى ٢٠٣٥م)[١] .

٣- تحسين الاستفادة من نوع الوقف . فعلى الرغم من التقدم العصري، وتغير الأحوال، فإنَّ أكثر المُوقِفين يُوقِفون على أمور متوارثة، ويقل من يوقف في أمور جديدة، وفي رأي الباحث: يُعد استخدام أسلوب (التشاور المتميز) عالي الفائدة، لبحث أنواع الأوقاف المناسبة في العصر الحاضر، وما يمكن أن تقدمه من فوائد، ودلالة الراغبين في الوقف عليها، فيما يحقق مصالحهم هم، ويعود بالمصلحة على الدعوة الإسلامية، والناس بعامة .

٤-تتميز المشاكل المتوقعة التي سيواجهها العالم في المستقبل بتعقدها وتشابكها، وإن الاستعداد منذ الآن لمواجهتها، سيكون أكثر فاعلية، وأقل تكلفة، بينما تأجيل التعرف عليها، وعلى طرق مواجهتها، وترك ذلك حتى تقع؛ فإن ذلك يكلف كثيرًا، وتكون فاعليتنا في المواجهة أضعف[٢].

٥- لقد ضاعت الملايين من أموالنا هدرًا، بسبب قراراتنا الارتجالية، التي لم تُبن على تخطيط للمستقبل، ولا توقع له[٣]، ويمكن أن تقدم الدراسات المستقبلية حماية من هدر أموال كثيرة يراد صرفها في مشاريع، تُرى الحاجة إليها حاضرًا، وقد تُثبت الدراسات المستقبلية

---

(١) **المستقبلية والمجتمع المصري**، مرجع سابق، ص٩٦؛ وينظر: عبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص١٤٠-١٤١.

(٢) هلال، في إبراهيم وآخرين، مرجع سابق، ص ٢٨.

(٣) كرم الله، في "الإدارة العامة"، مرجع سابق، العدد٣٢، (ربيع الآخر/١٤٠٢هـ)، ص١٨٩.

عدم الحاجة إليها مستقبلاً، أو أن الحاجة المستقبلية أقل من المشاريع المقترحة، وفي الحالتين تقوم الدراسات المستقبلية بالحماية من هدر الأموال، وبخاصة أن من المشاريع ما يُرصد لها الأموال الطائلة؛ فتكون الدراسات المستقبلية كالمدقق الحسابي لأموال الأمة.

٦-«في عام ١٨٣١ سأل المؤرخ الفرنسي «دي توكفيل» بحارًا أمريكيًا: لماذا تبنى السفن بحيث لا تعمر إلا فترة وجيزة؟! فأجابه البحار: بأن فن الملاحة يتقدم تقدمًا سريعًا تصبح معه أفخم سفينة عديمة الفائدة إذا تجاوز عمرها بضع سنوات»[١].

وفي الزمن الحديث أشياء كثيرة مثل هذا، ينبغي للقائمين على الإدارة الدعوية التنبه لها، عند إبرامهم عقود المشاريع، وأن تقوم بالبحث عن أنسب الحلول للحفاظ على الأموال وعدم إهدارها، مثل أن يجري استئجار الأشياء التي يجري فيها التطور سريعًا، وعدم تملكها، وإذا اضطرت لشراء شيء منها فتختار ما يكون سعره مناسبًا ولا تبحث عن الجودة. وقد توجهت المقاولات المعمارية -منذ أمد- «إلى صنع أشياء مصممة بحيث يخدم الواحد منها سلسلة من الأغراض القصيرة الأمد بدلاً من غرض واحد، هذه ليست أشياء للرمي بعد الاستعمال، لأنها غالبًا ما تكون ضخمة وعالية التكاليف، ولكنها مبنية بحيث يمكن عند اللزوم فكها وإعادة تركيبها في مكان آخر»[٢].

٧-الإسهام في توضيح مخاطر احتياج الدول الإسلامية ماليًّا إلى غيرها، وحثها على إصلاح اقتصادها، فإن «أهم ما يقتضيه النظر في نظام أموال الأمة أن يتوجه النظر إلى وسائل توفير المال وحفظه بالاقتصاد لتكون الأمة في غنى عن طلب الإسعاف من غيرها عند حاجتها، لأن الحاجة ضرب من العبودية كما قال المثل: «الحُمى أضرعتني إليك»»[٣].

وتعد المديونية لصندوق النقد الدولي من المشاكل التي تعيشها الدول الإسلامية في العصر الحديث، فإن الصندوق عندما يجري التفاوض معه فإنه لا يطلب إجراء إصلاحات جزئية، وإنما يطلب تنفيذ اختيارات استراتيجية، فأصبح الصندوق يهيمن على مستقبل الدول

---

(١) شرف، مرجع سابق، ص٢٦٥.

(٢) توفلر، **صدمة المستقبل**، مرجع سابق، ص٥٨.

(٣) ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص٣١١.

المدينة. كذلك المساعدات الثنائية بين الدول، فإن الدولة المانحة تشترط شروطًا لما تقدمــه، تكون مؤثرة في مستقبل هذه الدول[1].

وتقوم الدراسات المستقبلية باستجلاء تلك المخاطر ونحوها، وتقديمها للقيادات السياسية والاقتصادية.

---

(١) المنجرة، **الحروب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٣٣.

المبحث الخامس

التربية والتعليم

المطلب الأول : تعريف التربية والتعليم :

التربية في اللغة : الزيادة والنمو، أو النشأة والرعاية[1].

وفي الاصطلاح : «صيانة الإنسان وإصلاحه وتقويمه منذ نشأته وحتى نهايته»[2].

وعرفها الراغب بأنها : «إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام»[3].

والتعليم في اللغة : الإعلام والتعريف[4].

وفي الاصطلاح : «قال بعضهم: التعليم : تنبيه النَّفسِ لِتَصوُّر المعاني»[5]، «واختَصَّ بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلّم»[6].

المطلب الثاني : أهمية التربية والتعليم وعلاقتهما بالمستقبل وبالدعوة :

نظام التربية والتعليم من أقوى العوامل في بناء الأمة، ونقل عقيدتها وأخلاقها إلى الأجيال الصاعدة[7]. وقد «ثبت عند كبار الحكماء أن الأمم يمكن رفعها وخفضها بالإرادة. أما الآلة الرافعة أو الخافضة لها فقد اتفقوا على أنها العلم أو الجهل، وقال ليبنيز الحكيم : «لو كان أمر التعليم موكولاً إليّ لغيرت وجه أوروبا في أقل من قرن» »[8].

فالتربية لها دور رائد في تطوير المجتمعات ونموها، إذ إن قوة الأمم والشعوب لا تقاس بما تملكه من أسلحة حربية، وإنما المعول الأول هو القوة البشرية القادرة والمدربة بحيث يمكن

---

(١) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١٦٥٩، مادة: (ربا) .

(٢) فاروق عبد المجيد السامرائي، **أهداف وخصائص التعليم الإسلامي**، (عَمَّان، دار النفائس، ١٤١٩هـ)، ص١٠.

(٣) **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص٣٣٦، مادة: (رب).

(٤) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١٤٧١-١٤٧٢، مادة: (علم) .

(٥) **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص٥٨٠، مادة: (علم).

(٦) المرجع نفسه.

(٧) أبو الحسن الندوي، **الأمة الإسلامية : وحدتها ووسطيتها وآفاق المستقبل**، مرجع سابق، ص١٣.

(٨) البكري، في "المنار"، مرجع سابق، (شعبان/١٣٢٠هـ)، ص٦١٩.

لهذه أن تحدث تجديدًا في جميع مناشط الحياة في المجتمع[1]. فبالتربية والتعليم نُعدُّ العقول الجديدة، ونعدُّ القيادات الجديدة[2]، ونحصل على تنمية الموارد البشرية[3] .

والتربية -في جوهرها- عمل مستقبلي؛ لأنها تهيئ للحياة المقبلة، وتؤهل الفرد للإسهام في صنعها[4]، «فالأطفال الذين هم في مدارسنا اليوم سوف يتخرجون ويؤثرون في الحياة العامة بعد ٢٠ إلى ٣٠ سنة»[5].

والتربية والتعليم من أقوى الوسائل الدعوية إيجابية؛ لما تتيحه للداعية من إيصال شرائع الإسلام وآدابه إلى المدعو، بشرح وتفصيل، وبيان لمحاسنه؛ مما يزيد المدعو اقتناعًا وتمسكًا بهذا الدين، وفهمًا أعمق له، ولما تتيحه التربية من تعاهد للمدعو حتى يتربى تربية إسلامية، فيتعلم ويعمل، فالداعية الناجح لا يقيس الآثار التعليمية في المتعلم بما حفظ وفهم، بل بما كان لها من تأثير في السلوك والعمل[6].

لذا ينبغي أن تكون التربية والتعليم من أساليب الداعية المهمة؛ فالقلوب والعقول أوعية لما يلقى فيها، فإذا استقر فيها الخير أعطت ثمارها الطيبة، وإذا تركت للشياطين أقفرت وأجدبت وأخرجت الحنظل والزقوم[7]، قال ﷺ : «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[8].

---

(١) محمد علي المرصفي، **مقدمة في أصول التربية**، (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٩هـ)، ص٢٢.

(٢) صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص٣٦.

(٣) شرف، مرجع سابق، ص٢٠٤.

(٤) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص١٢؛ وزاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص١٨.

(٥) زاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص١٨.

(٦) أحمد بن عبد العزيز الخلف، **منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله تعالى**، (الرياض، مكتبة أضواء السلف، ١٤١٩هـ)، ج١، ص٣٦٣-٣٦٤.

(٧) الواعي، **الدعوة إلى الله: الرسالة، الوسيلة، الهدف**، مرجع سابق، ص١١٧.

(٨) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ج٢، ص١٢٧، ح١٣٨٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب القدر، باب معنى (كل مولود يولد على الفطرة)، ج٤، ص٢٠٤٧، ح٢٦٥٨.

المطلب الثالث : أهمية الدراسات المستقبلية للتربية والتعليم :

تكمن أهمية الدراسات المستقبلية للتربية والتعليم في أمور كثيرة، منها ما يأتي :

١-تفيد الدراسات المستقبلية في تخطيط التربية :

يثمر التخطيط التربوي في تنظيم العمل، والاستثمار الأمثل للموارد والطاقات، والتحكم والضبط في عملية الإنماء وتوجيهه نحو المسارات المرغوبة، والأهداف المنشودة، بالصور الملائمة لكل مجتمع(١).

ومما يُلحظ، أن «الكثير من القرارات التربوية ما زالت تعتمد على التخمين والأحكام الذاتية أكثر منها على العقلانية التخطيطية الحقيقية، وهي قرارات تستند إلى توقعات قصيرة المدى شبيهة بالحاضر مما يجعل المستقبل التربوي... شبيهًا بالحاضر دون تغيير حقيقي، ودون أن تستند إلى أفكار كلية غير مباشرة يوفرها لها التخطيط الاستراتيجي والطويل المدى والذي يعتمد على رؤى مستقبلية واسعة وممتدة ومشروطة»(٢). «فمتخذو القرارات التربوية وصانعو السياسات التعليمية نادرًا ما يأخذون بعين الاعتبار النظر إلى المستقبل في مداه الطويل، ومتطلباته في أفعالهم، أو عدم أفعالهم، وقراراتهم، كما لا يلتفتون إلى الطبيعة البينية... لمشكلات التعليم، فهناك تشابكات وتقاطعات بين التعليم وباقي قطاعات المجتمع، وبينه وبين التطور التعليمي في العالم لا يمكن تغافلها أو التقليل من شأنها»(٣).

وإذا «كانت التنمية عملية مجتمعية شاملة تستهدف الاستخدام الرشيد لكل موارد المجتمع المتاحة البشرية منها والمادية... وإذا كانت التربية هي العملية التي يتم بمقتضاها تنمية قدرات الأفراد واستعداداتهم وإكسابهم القيم والأفكار والاتجاهات، ليمارسوا أدوارهم بكفاية وفعالية، وبما يمكن من تحقيق أهداف التنمية، فإن التخطيط هو الأداة التي يتم بمقتضاها التوجيه والتحكم في مجريات هذه العمليات وضبطها وفقًا لأولويات وبدائل، وتنظيم الأنشطة وتعيين مجالات الحركة والعمل»(٤)؛ والدراسات المستقبلية هي بوابة للتخطيط الجيد؛ ولذا -في رأي زاهر- فإن التخطيط التربوي المعاصر يجب أن يدخل في

(١) محمد، مرجع سابق، ص٦.

(٢) زاهر، في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص٢٠.

(٣) المرجع نفسه، ص٩.

(٤) محمد، مرجع سابق، ص٥.

حسابه التأثير الذي يمكن أن يحدث بعد ٢٠ سنة، والدراسات المستقبلية في هذا تمثل الأساس المعلوماتي الذي على أساسه تقوم عملية التخطيط الحقيقي للتعليم، وهو الذي يزود المخططين التربويين بشتى صور المستقبلات التربوية والمجتمعية البديلة (المحتملة، والممكنة)، وما يترتب على كل صورة؛ مما يسهل اختيار أفضلها(١).

«تأسيسًا على ما سبق فإن سرعة التغير التكنولوجي الحديث، وحجم التحديات الاجتماعية الناتجة والمشكلات الناجمة المترتبة عليها داخل التعليم والمجتمع، تدعو التربويين والمخططين إلى التفكير المستقبلي التوقعي والمسبق وذلك لفهم تأثير القرارات الحالية على مختلف البيئات في المستقبل، فهناك العديد من القرارات التي تؤخذ اليوم وسوف تنفذ في الغد والتي سوف يكون لها تأثير على عالم آخذ في التغير، لا يلاحظ تغيره إلا قليلاً»(٢).

فيمكن الإفادة من الدراسات المستقبلية؛ لاستخدامها في التخطيط التربوي، بشكل يسهم في بناء الفرد المسلم الذي نرغب فيه، ونوع المجتمع الذي نبغيه، وأيضًا في المحافظة على الثقافة والأخلاق، وتوجيه الفرد والمجتمع على نحو يضمن لهما أن يتقيا (صدمة المستقبل) بما تحمله من أزمات ومفاجآت يمكن أن تهدد كيانهما معًا(٣).

إن «مستقبل التعليم هو الركيزة الرئيسة لمستقبل الأمة العربية، فإذا صلح مستقبل التعليم، صلح مستقبل الأمة، وإذا أخفق أخفق معها. ومن هنا تأتي أهمية النظر في مستقبل التعليم والاستشراف الواعي لآفاقه»(٤).

٢-تقويم حاجات المجتمع من الاحتياجات التربوية، والتخطيط المبكر لتلبيتها :

«فالتخطيط التربوي للمستقبل ينبغي أن يبنى على تقويم حاجات المجتمع»(٥)؛ وحاجات المجتمع التي ينبغي تقويمها في التربية هي مستقبلية، سواء كانت في المهن والحرف والأعمال، أو في المشكلات الأخلاقية، أو في المتطلبات المستقبلية من الاحتياجات التقنية المتجددة، أو

---

(١) في "المجلة العربية للتربية"، مرجع سابق، العدد ٢، (ديسمبر/ ١٩٩١م)، ص١٩.

(٢) المرجع نفسه، ص٩-١٠.

(٣) نفسه، ص١١.

(٤) زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٢٧.

(٥) محمد عبد الله الصوفي، وعبد الغني قاسم، **أهم التحديات المستقبلية التي ستواجه أمتنا ودور التربية في حلها**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ)، ص١٤٦.

غير ذلك؛ وحتى تستطيع التربية أن تضع الخطط الكفيلة بالنجاح لا بد من أن تعتمد على الدراسات المستقبلية . يقول المنجرة : «كل شخص يهتم بالتربية والتعليم يفهم بأن التكوين هو شيء على أمد طويل، وبالتالي فعندما يبدأ الطفل دراسته في سن السادسة أو السابعة خلال الطور الابتدائي، يجب تصور نظام على مدى جيل على الأقل، وفهمت خلال تجربتي باليونسكو بأن أي إصلاح في مجال التربية والتعليم لا يمكنه أن يتصور إلا إذا خطط له على أمد طويل»(١).

ومن هنا تبرز أهمية العناية بالحياة المستقبلة عند صياغة أهداف التعليم؛ فتكون الأهداف جزءاً من محاولة متعمدة لإعداد الطالب لمهامه المقبلة في المجتمع؛ وهنا تُقدِّم الدراسات المستقبلية حلقة الوصل بين التعلم والحياة(٢)؛ ولذا فالدول التي تنشد التغيير الحقيقي، المحقق لتقدمها وتنميتها، لا تَبني خططها وفق خطط خمسية قصيرة، بل تخطط على مدى عشرين سنة، وتُعدُّ ماليزيا من الدول الإسلامية الرائدة في هذا المجال، من خلال خطتها العشرينية الماضية، وخلال خطتها الحالية الممتدة إلى عشرين سنة.

٣-تفيد الدراساتُ المستقبلية في تمحيص بعض مداخل تخطيط التعليم :

ويُقصد بمداخل تخطيط التعليم : «الطريقة التي يتبعها المخططون للتعليم عند محاولتهم وضع خطة له»(٣)، «وتحديد قنوات مسارها، واستراتيجية تنفيذها على مستوى قطاع التعليم وعلى المستوى القومي وحدود علاقتهما»(٤).

ويتبع تخطيط التعليم مداخل رئيسة، وقد يستخدم فيه أكثر من مدخل، ومن مداخله :
(مدخل الدراسات المقارنة) :
«يبنى هذا المدخل على أخذ نظام تعليمي أو أجزاء منه، أو مرحلة فيه في بلد متقدم كنموذج يطور على أساسه نظام تعليمي آخر في بلد متقدم ثاني، أو بلد نام يراد الوصول

---

(١) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٣٠٥؛ وينظر : محمد، مرجع سابق، ص١١٩.

(٢) بتصرف، كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٤٠٤.

(٣) محمد سيف الدين فهمي، **التخطيط التعليمي: أسسه وأساليبه ومشكلاته**، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م)، ص٤٢.

(٤) محمد، مرجع سابق، ص١٤٣.

إليه كهدف نهاية خطة محددة . وهنا يتم تخطيط التعليم في البلد الآخر على نفس التجربة السابقة في الدولة المتقدمة»[1].

ويواجه هذا المدخل أوجه نقد متعددة، أهمها ما يأتي :

أ-أنه لا يراعي الواقع الاجتماعي والاقتصادي للبلد المستفيد، حيث إن نظام التعليم جزء من مكونات الأمة، وينشأ من حاجات المجتمع .

ب-أن نجاح النظام التعليمي في بلد لا يعني نجاحه في بلد آخر.

ج-اختلاف الإمكانات البشرية والمادية وظروف تفاعلها[2].

وتقدم الدراسات المستقبلية هنا خدماتها في تقويم هذا المدخل، وتمحيص إيجابياته وسلبياته، وملاءمته لحاضر الأمة ومستقبلها. «وقد اتفق أعظم علماء التربية في العهد الحاضر على (أن عملية التربية في أمة وبلاد ليست بضاعة تصدر إلى الخارج، أو تستورد إلى الداخل، كالمصنوعات أو المواد الخام، أو الحاجيات أو المخترعات التي لا تختص ببلد دون بلد، وإنما هو لباس يُفصَل على قامة هذه الشعوب وملامحها القومية، وتقاليدها الموروثة، وآدابها المفضلّة، وأهدافها التي تعيش لها، وتموت في سبيلها)»[3].

فينبغي على الأمة الإسلامية أن يكون لها طابعها التعليمي الخاص، المناسب مع تقدم العصر وتطوره، وألا تكون عالة في رسم منهجها التعليمي على الدول الغربية، ومناهجها التعليمية، وألا ترضخ للمطالبات السياسية الدولية، التي تحاول أن توجه التعليم الإسلامي إلى وجهة أخرى، فقد ذكر عدد من الباحثين[4] : أن التقارير الوطنية الغربية تلاحقت تنتقد الأوضاع التعليمية السائدة داخل دولها المختلفة، ومن أشهرها التقرير الأمريكي : (أمة في خطر Nation at Risk)، الذي صدر عام (١٩٨٣م)، يتهم فيه التعليم الأمريكي بالتخلف

---

(١) المرجع نفسه، ص١٤٤.

(٢) الثلاثة جميعها: نفسه، ص١٤٤-١٤٥.

(٣) أبو الحسن الندوي، **الأمة الإسلامية : وحدتها ووسطيتها وآفاق المستقبل**، مرجع سابق، ص١٧.

(٤) منهم مؤلفا كتاب (what futurists believe)، المنشور عام (١٩٨٩م)، هوبكنز، في "الثقافة العالمية"، مرجع سابق، العدد٥٢، (شوال/ ١٤١٠هـ)، ص٢٠٥؛ ونوفل، مرجع سابق، ص١١-١٢؛ وزاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص٥٢.

والعجز عن تحقيق التفوق العالمي والامتياز، وما تلاه من تقارير أخرى تؤكد على ذلك، وأن التعليم الأمريكي يسير في اتجاه التدهور.

فكيف تقبل الأمة الإسلامية أن يرسم منهجها التعليمي دول قد أثبتت التقارير فشل مناهجها هي؟

وكيف تقبل الأمة الإسلامية أن يرسم منهجها التعليمي دول عدوَّة مبغِضَة ؟

إن العدو وإن أبدى مودته   إذا رأى فيك يومًا فرصة وثبا

ومن أجل مستقبل الأمة الإسلامية يجب أن يكون التخطيط للتعليم قائمًا على أمرين :

أ-إصلاح التعليم الحالي في بلاد المسلمين ، على منهج الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، وما يمكن أن يُفيد الأمة من العلوم والتجارب الحديثة، في موازنة موائمة، وحدود محددة.

ب-التصدي للتعليم غير المنضبط بمنهج الإسلام، وقوفًا في وجهه قبل وجوده، كالمدارس الغربية التي تنشأ في بلاد المسلمين، وإغلاقًا لما هو قائم منها. وتصحيحًا لما يصلح حاله بتصحيح مناهجه .

٤- تُنبِّه الدراساتُ المستقبلية إلى العناية بالكفاية الخارجية للتعليم:

(الكفاية الخارجية للتعليم) تعني : «ارتباط مخرجات التعليم بسوق العمل وبخطط التنمية أي تختص بمدى العائد أو المردود الذي يؤديه التعليم للمجتمع بعامة»(١).

فإذا ركزنا على (الكفاية الداخلية للتعليم)(٢)، وأهملنا الكفاية الخارجية، فإنه يحصل من هذا عدد من المشاكل، وقد يكون منها مشاكل يتولد عنها مشكلات متعددة.

وقد أدى إهمال العناية بالكفاية الخارجية للتعليم إلى ظهور مشكلات في بعض الجامعات الإسلامية التي تُدرِّس طلابًا من مختلف دول العالم؛ حيث ركزت على الكفاية الداخلية في تعليمهم، وأهملت الكفاية الخارجية، فعاد بعض هؤلاء إلى بلدانهم عاطلين، لا يؤدون رسالة دعوية هيأتهم الجامعات لها. وهنا تقدم الدراسات المستقبلية خدمات مفيدة، تُمكِّن من العناية بالكفاية الخارجية للتعليم.

---

(١) زاهر، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** مرجع سابق، ص١٣٢.

(٢) وهي : "مطابقة مخرجات النظام التعليمي لأهدافة المرسومة أو المبتغاة". (زاهر، المرجع نفسه، ص١٣٣).

٥-صورة المستقبل تؤثر في تحصيل الطالب :

يشغل بال المتعلم ما سيكون له من دور في المستقبل. وتصوره لدوره المستقبلي يؤثر في سلوكه اليوم. فإذا كان تصوره واضحًا وإيجابـيًّا استقام سلوكه في الحيـاة، وانـتظم في دراسته. وإذا اختل تصوره لدوره المستقبلي اختل سلوكه واضطربت حياته(١). «لقد أثبـت البحث أن الأطفال الذين لديهم رؤية واضحة لمستقبلهم هم أكثر نجاحـًا مـن الناحيـة الدراسية، كما أنهم أقدر ممن سواهم في مواجهة تحديات الحياة»(٢). كما أثبتـت إحـدى الدراسات : أنَّ تَصور طلاب المدارس الثانوية لمستقبل سلبي، له أثر رئيس في تسربهم مـن المدارس، وضعف تحصيلهم الدراسي، ورسوبهم، فإذا كان ما سيتعلمه يعد في نظره مضيعة للوقت فليس ثمة معنى من حرصه على التعلم(٣). فلا بد للطالب حتى يكون جيدًا في تحصيله الدراسي أن يشعر أنه يتحرك نحو عالم سيكون له فيه مكان مرغوب ومهم(٤). ومع حداثـة الدراسات المستقبلية في المدارس والجامعات، إلا أنه يمكن للمعلمين أن يقومـوا بمـساعدة الطلاب في تنمية مواقف بنَّاءة تجاه المستقبل، ودفعهم إلى إقامة مجتمع أفضل(٥)؛ فينبغـي أن نُعنى في مدارسنا بإيجاد صور مستقبلية إيجابية لدى المتعلمين، ورؤية واضحة لمستقبلهم، تحمل التفاؤل؛ حتى نحصل على انضباط إيجابي منهم، يدفعهم إلى التحصيل والالتزام. فمن الواجب على المعلم «أن يغرس الأمل في نفس التلميذ...لأنه هو المحرك له نحو العطاء، والدافع له نحو العمل، وإذا تخلف في نفسه لم يجد همةّ تدفعه إلى الدرس والبحث، وفَقَدَ جـدَّهُ ونـشاطه، وأظلمت الدنيا في عينيه، وظن أنه لن يفلح في دراسته، ولن يحصل فيها شيئاً، وعندها؛ فلن تكون عنده القابلية للدرس والتحصيل، فتنطوي نفسه حزينة، ويتأخر عن أقرانه، وقد يفوته القطار في التحصيل»(٦).

---

(١) صعب، **المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، مرجع سابق، ص١٠٨-١٠٩؛ نقلاً عن : (بنجامن سنجر). و Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 128.

(٢) السويدان وباشراحيل، مرجع سابق، ص١٣٥.

(٣) كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٤١١؛ نقلاً عن دراسة قام بها (Arther Stinchcombe).

(٤) المرجع نفسه، ص٤١٢ .

(٥) نفسه، ص٤١٥ .

(٦) محمد عبد الله أبو صعيليك، **الأمل وأثره في حياة الأمة**، ط١، (دمشق، دار القلم، وبيروت، الـدار الـشامية، ١٤١٧هـ)، ص ٥٧.

٦-صورة المستقبل تؤثر إيجابـًا على أداء المعلم والمربي، كما أن ضعف النظر المستقبلي يؤدي إلى ضعف أداء مهمتهما :

يتنوع المعلمون في تصورهم لأهداف ما يقومون به من تربية وتعليم، فمنهم من لا يتجاوز تصوره إيصال ما في الكتاب إلى أسماع الطلاب، ومنهم من يدرك جيدًا الأهداف الدنيوية والأخروية، القريبة والبعيدة؛ فهم يدركون أهم يسهمون في إنشاء جيل وبناء أمة، وهذا التصور (يسمى في التعليم: المهارات التصورية)، ويُحدث في نفس من يُوجد لديه آثارًا حسنة إيجابية تنعكس على المعلم ونفسيته وأدائه، وتجعله يتحمل الصعاب ويصبر على مرارها، والآثار المنعكسة على المعلم تنعكس بدورها على المتعلم .

٧- استشراف مستقبل المتعلم من خلال طبيعته وميوله، وتوجيهه نحو مصالحه :

ليس كل مجال ينجح فيه الشخص، بل هناك مجالات تتوافق مع أشخاص، وينفر منها آخرون، وهنا يأتي دور المربين والمؤسسات التربوية، في توجيه كل شخص إلى الوجهة المستقبلية التي يُظن أنها تتلاءم معه، ولديه الاستعدادات للنجاح فيها؛ فالتعليم "يتوخى أهدافـًا متعددة تتراوح بين تنمية القابليات وبين تكوين الشخصية وبين تهيئة الفرد للحياة العاملة وبين التدريب الاجتماعي للفرد"[1]. يقول الشاطبي: خلق الله الخلق غير عالمين بوجوه مصالحهم، لا في الدنيا ولا في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾[2]. ثم وضع فيهم العلم بذلك على التدرج والتربية، تارة بالإلهام، وتارة بالتعليم، وأثناء نشأة الإنسان يقوى في كل واحد ما فطر عليه، وما ألهمه من أعمال يصلح لأن يقوم بها، فيظهر في بعضهم حب طلب العلم، وبعضهم يميل إلى طلب الرياسة، وبعضهم يميل إلى الاحتراف في المهن المتنوعة؛ فيتعين على الناظرين فيهم العناية بذلك، فيراعونها، ويعينون على القيام بها، ويحرضونهم على الدوام فيها؛ حتى يبرز كل واحد فيما غلب عليه ومال إليه؛ فإذا صارت لهم كالأوصاف الفطرية والمدركات الضرورية، فعند ذلك يحصل الانتفاع وتظهر نتيجة تلك التربية. وحيث وقف السائر وعجز عن السير فقد وقف في مرتبة محتاج إليها في الجملة وإن كان به قوة زاد في السير إلى أن يصل إلى أقصى

---

(١) هيتمان، مرجع سابق، ص١٧٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٨.

الغايات في المفروضات الكفائية، وفي التي يندر من يصل إليهـا كالاجتـهاد في الشـريعة والإمارة؛ فبذلك تستقيم أحوال الدنيا وأعمال الآخرة[1].

٨-الحفاظ على المكاسب التربوية :

قد يُسْلِم بعض الناهين من أهل الكفر، ثم تَعرض عليه جامعة إسلامية، في بلد إسلامي، منحة دراسة للقدوم والدراسة فيها، وهذا يعد مكسبًا للدعوة. لكن عددًا منهم ما إن يـأتي ويمكث عدة أشهر إلا وسرعان ما يعود؛ لكونه صُدم بالمجتمع الذي جـاء إليـه فوجـده مخالـفًا لما رسمه في ذهنه، إذ ظن أنه سيجد المجتمع الذي يقرأ عنه في سـيرة النبـي ﷺ وأصحابه ﷺ؛ وهذا يستدعي من القائمين على ترشيح طلاب المنح تهيئة الطالب قبل قدومه وتقريب الوضع له، إما من خلال جلسات خاصة، أو بعقد دورة لهذا الغرض .

٩-تهيئة المتعلم للعلم الجديد :

الدارس حينما يأتي ليطلب العلم يكون كالوعاء، يَسكب فيه المعلم ما يريـد، وحـتى يحقق المعلم مقصده ويكون السكب على وجهه الصحيح فلا بد من إفراغ الإناء مما ينـافي العلم الجديد، وتنظيفه مما علق به من الشبهات والشهوات؛ لذا يكون من النظر المستقبلي أن يكون لدى المؤسسة التعليمية برنامج تمهيدي -قد يستوعب فصلاً دراسيًّا كاملاً- تقدمـه للمتقدمين إليها قبل أن تبدأ بمنهجها الدراسي؛ تحقق من خلاله عملية الإفراغ؛ ليتحقق جزء من التكامل التعليمي، وليتهيأ الراغب، ولينصرف من ليس أهلاً .

١٠-التشديد على أهمية التعليم والتدريب المستمر :

إذا كنا نعيش في زمن تزداد وتيرة تسارعه، وتنمو بصورة كبيرة علومه ومعارفه، وتتغير وتتجدد باستمرار أساليبه ووسائله، فإن المتخرجين في كثير من الاختصاصات يواجهون خلال سنين قليلة بعد تخرجهم باغتراب في مجالاتهم، بسبب سرعة التغير والنمو، ويشعرون بحاجتهم للعودة إلى مقاعد الدراسة مرة أخرى؛ للاستزادة من الجديد في مجالات اختصاصاتهم، أو فيما يسندها من الفنون الأخرى، والوسائل الحديثة. يقول داغستاني : إن إعادة تأهيل خريجي الاختصاصات النظرية مطلب حيوي، قد لا تقتصر أهميته على الشأن

---

(١) **الموافقات**، مرجع سابق، ج١، ص١٢٩-١٣٠ .

الاقتصادي فحسب، بل تتجاوزه إلى كثير من النواحي الاجتماعية والأمنية[1] أ.هـ؛ «لذا كان الاهتمام بالمعلم وتطوير إعداده إحدى القضايا الدائمة في محيط اهتمام رجالات التربية»[2].

«فنحن بحاجة ماسة إلى الارتقاء بكفايات وقدرات معلمي العلوم الشرعية في مجتمعاتنا، حتى يسهموا في تضييق الفجوة بين إمكانات التعليم ومخرجاته»[3]. وهذا يتطلب «التدريب المتنوع والمتجدد والمستمر والجيد لمعلمي العلوم الشرعية أثناء الخدمة، استجابة للاحتياجات المتطورة والمتجددة للمعلمين، والمساعدة على تجديد وتنشيط وتطوير معارفهم ومهاراتهم واتجاهاتهم، بما تقتضيه التطورات والتغيرات التي تطرأ على النظام التعليمي»[4].

لذا، من المهم أن تتوافر الجهود الدعوية، والتعليمية، والتنظيمية، والإدارية، في ابتكار مؤسسات تعليم مستمر، تلاحق الجديد الصالح، وتقدمه لأهل الاختصاص، وتجمع بين سهولة الالتحاق بها والانتظام فيها، وبين الحوافز التي تمكّن من استقطاب المعنيين بهذا التعليم والتدريب من المستفيدين.

وحتى نستطيع الرقي بأُمَّتنا «لا بد من نشر ثقافة التعلم المستمر بين الناس، وتوفير الأطر والمراكز التي تؤمن لهم ذلك؛ حتى يستطيع الواحد منهم الاستمرار في الترقي الإنساني والمهني والتربوي»[5].

المطلب الرابع : تضمين المقررات الدراسية بعض القضايا في الدراسات المستقبلية :

من المهم أن نُعنى في المقررات الدراسية في التعليم العام بما يحقق مستقبل الفرد والأمة، ويُوصل إلى الغايات المحمودة، ويجنب النهايات السيئة. لكن «ما نوعية المسائل والمشكلات

---

(١) عبد العزيز داغستاني، "خريجو التخصصات النظرية : بين البطالة وإعادة التأهيل"، في "التدريب والتقنية"، المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني، الرياض: العدد ١٨، (٦/١٤٢١هـ)، ص١٧ .

(٢) محمد سالم، "مطلوب عقد دورات تدريبية لمعلمي العلوم الشرعية أثناء الخدمة"، في "الدعوة"، مرجع سابق، العدد ١٨٧٤، (٢٩/١٠/١٤٢٣هـ)، ص٢٣.

(٣) محمد بن عبد الله الدويش، "هل لمناهجنا صلة بالتطرف والإرهاب؟"، في "البيان"، مرجع سابق، العدد: ١٧٣، (١/ ١٤٢٣هـ)، ص٣٩.

(٤) محمد سالم، في "الدعوة"، مرجع سابق، العدد ١٨٧٤، (٢٩/١٠/١٤٢٣هـ)، ص٢٣.

(٥) بكار، **مدخل إلى التنمية المتكاملة**، مرجع سابق، ص١٦٢.

المحورية التي علينا أن ننمي معارف أطفالنا وشبابنا حولها؛ حتى يتمكنوا من خلالها من معايشة المستقبل بطريقة فاعلة ومؤثرة؟»(١).

يرى عدد من المستقبليين(٢) : أهمية أن تتضمن المقررات الدراسية، تعليم الطالب تأمل المستقبل وتوقعه، فيوجه المعلم بعض الأسئلة لطلابه، مثل: ماذا تظنون أنه سيحدث في المستقبل؟ ونحو ذلك مما يركِّز التفكير المستقبلي لدى المتعلمين في جميع مراحل التعليم العام، ويُقدِّم لهم التثقيف والتعليم ليفهموا مستقبلهم، وترتفع قدرتهم على التكيف مع المستقبل الآتي.

ويخالفهم الباحث من حيث المضمون الذي ينبغي أن تحتويه المقررات في مراحل ما قبل الجامعة، فلا يرى تكريس الاهتمام بأحداث المستقبل، والعناية بضرب الاحتمالات بعيدة المدى حول المستقبل، ولا أن تحتوي المقررات الدراسية على أي توقع، مهما ارتفع فيه عنصر الوقوع، بل هذا إنما يكون مهمًا في شأن القيادات، وأصحاب القرار، وإدارات التخطيط والتنظيم، والأقسام الدراسية المختصة، أمَّا في التعليم العام، فإن تشويشه على تصورات الطلاب ونفسياتهم سيكون أكثر من نفعه؛ لكن يرى الباحث ويدعو إلى أن تشتمل مقررات التعليم العام بيان بعض القضايا العامة، والطرق المفيدة من مجال الدراسات المستقبلية، من التي تُكسب المتعلم ما يحتاجه في مستقبله، وتؤهله لبناء مستقبل صالح، وتَسير به نحو هذا المستقبل باتزان نفسي وعملي، وذلك على النحو الآتي :

١-من الأهمية أن نُعنى بتدريس ما يفيد الدارسين في مستقبلهم الدنيوي أو الأخروي، وألاَّ نُقصِّر في تزويدهم بما يحتاجونه مستقبلاً من أمور دينهم ودنياهم، ويكتسبون به مهارة في التعامل مع شؤون حياتهم المستقبلة، في المنزل، والعمل، والمجتمع، وفي عبادتهم ربهم بوجه عام. إن من المؤسف حقًّا أن يتخرج الطبيب والمهندس في بلاد المسلمين ولا يَعلمان كثيرًا من أحكام الصلاة، وواجباتها، وشروطها. ومن المؤسف أن تتخرج المرأة، ثم تتزوج ولم تتلق في تعليمها شيئًا عن تربية الأولاد والعناية بهم، ولا عن حقوق الزوج وواجباته،

---

(١) المرجع نفسه، ص١٥٥-١٥٦.

(٢) منهم: كورنيش وآخرون، مرجع سابق، ص٤٠٥؛ وخلاف، في "السياسة الدولية"، مرجع سابق، العدد ٥٠، (أكتوبر/ ١٩٧٧م)، ص١٨-١٩؛ وتوفلر، **صدمة المستقبل**، مرجع سابق، ص٤٢٤؛ و Masini, **Why Futures Studies**, Op. Cit., P. 3.

وكيفية التعامل في الحياة الأسرية، بينما نجدهم قد تعلموا أشياء نعلم أنَّ أكثرهم لن يستفيد منها في مستقبله؛ إن عنايتنا بذلك تحفظ أوقات كثير من الدارسين أن تضيع فيما لا نفع فيه، ولا يستفيدون منه لا دنيا ولا دين. عن جابر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «سَلُوا اللَّـهَ عِلْمًا نَافِعًا. وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ»[1]. واستعاذ النبي ﷺ «مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ»[2]. وقيل: «علمٌ لا يَعْبُر معك الوادي، لا تعمِّر معه النادي»[3].

٢-أن تتضمن المقررات ما يؤدي إلى صيانة المسلم، وتحصين عقيدته، وفكره، وأخلاقه، بما يمكنه من مواجهة الغزو الموجه إلى هذه الثلاثة؛ فقد أصبحنا في عالم القرية الواحدة؛ يتأثر أدناه بأقصاه؛ فمن المهم أن نضع في مناهجنا ما يرسخ عقيدة الناشئ المسلم، ويثبتها في قلبه، ويستمر هذا التثبيت طيلة المراحل الدراسية .

٣-غرس كل خلق يؤثر إيجابـًا في تحقيق المستقبل، كالعدل، والصبر، والجد والعزيمة، والاعتزاز بالانتماء للدين، والاستعداد للتضحية في سبيله، والفهم السليم للقضاء والقدر، ونحو ذلك.

٤-مقاومة كل خُلُق يؤثر سلـبًا على المستقبل، والتحذير منه، والتربية على اجتنابه والابتعاد عنه، كالغلو في الدين، والتشاؤم، والزنى، والربا، والكذب، والبخل والشح، والإسراف، والتبذير، والجبن، والخمول، والكسل، والاتكال، والضعف والانهزام، والجزع والهلع، ونحو ذلك .

٥-تربية الطلاب في المدارس والجامعات على آداب المناقشة والحوار والمناظرة والجدال، بأساليب نظرية وعملية. فهذا العنصر بحد ذاته يعد مكسبًا مستقبليًّا كبيرًا؛ يقول يالجن: إن المناقشة السيئة لا يترتب عليها مشكلات في الندوات والمؤتمرات فحسب، بل تترتب عليها مشكلات في الأسرة والمجتمع بعامة، وقد يترتب على ذلك حوادث وجرائم، فرأيت من جراء ذلك أن الأمر يحتاج إلى تربية خاصة للأجيال[4].

---

(١) ابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الدعاء، باب ما تعوذ منه رسول الله ﷺ، ج٢، ص١٢٦٣، ح٣٨٤٣. وقال البوصيري : "هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات". (مرجع سابق، طبعة دار العربية، ج٤، ص١٤٠).

(٢) مسلم، مرجع سابق، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ج٤، ص٢٠٨٨، ح٢٧٢٢.

(٣) ابن عبد البر، ونسبه لغيره، **جامع بيان العلم وفضله**، مرجع سابق، ج١، ص٥٨٤، قول٩٩٩ .

(٤) **تربية الأجيال على أخلاقيات وآداب المناقشة والمحاورة**، مرجع سابق، ص٥-٦.

٦-من المهم أن تُعنى المقررات بتأصيل مبدأ الشورى لدى المتعلمين في جميع المراحل، وتحبيبهم فيها، وتبصيرهم بفوائدها، وبيان عواقب تعطيلها، وتربيتهم عمليًّا عليها؛ لما للشورى من فوائد كثيرة تعود على الفرد والمجتمع.

٧-تضمين المقررات بعض ما ثبت في الكتاب والسنة مما قد يتعرض له المسلم في مستقبله، ومن أهم ذلك: أن تتضمن المقررات الحديث عن المسيح الدجال، فلئن كان كل نبي عليهم السلام قد حذره أمته، فإن التحذير من فتنته في هذا الزمان من أوجب الواجبات، فمن المهم أن نعنى به، وبتحفيظ الآيات التي تعصم من فتنته، وبعض الأحاديث الواردة فيه.

٨-تدريس بعض القواعد المستقبلية في الكتاب والسنة، والقواعد الاجتهادية الصحيحة، وبعض أساليب الاستشراف، بعد التأكد من أنها تعود بالنفع على المتعلم، ولا تؤثر عليه بحسب سِنِّه.

٩-ألاَّ نُعنى في المقررات الدراسية بتقرير نتائج دراسات مستقبلية، ولكن بتقرير منهج عملي عام في التعامل مع مؤثرات المستقبل. ففي مشكلة نقص المياه، لا تُضَمَّن المقررات نتائج الدراسات المستقبلية المتعلقة بها، وأنَّ وضع مستقبل المياه في البلد الفلاني وضع سيئ، ولكن تُضمَّن تقرير المنهج الصحيح في استخدام الموارد بشكل عام، والمياه بشكل خاص، وبيان مضار الإخلال به، والتركيز على هذا المنهج بذكر الأدلة النقلية والعقلية .

أما نشر الدراسات المستقبلية ونتائجها فيكون بين المعنيين بهذا الأمر أولاً، ثم أصحاب التخصصات العلمية ذات العلاقة بالموضوع، ثم في المرحلة الجامعية فما فوقها بعد التأكد من مناسبة الموضوع للتخصص، ويمكن نشر الموضوع في وسائل النشر العامة.

١٠-أن يتضمن النشاط المدرسي محاكاة للمجتمع، في بعض الصور التي تفيد المتعلم في مستقبل حياته، مثل تهيئة الطالب للمستقبل الدعوي من خلال النشاط المدرسي، ويمكن ذلك من خلال جمعية (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، بحيث يكون تصوير المدرسة بين أفراد هذه الجمعية على أنها مجتمع مصغر: الطلاب يمثلون الناس، والمدرسون والإداريون يمثلون أصحاب المناصب الرفيعة في المجتمع كالوزراء ونحوهم، والمدير يمثل الحاكم، ثم يُدرَّب ويمرن أفراد الجمعية على كيفية التعامل مع هؤلاء وما الأساليب المناسبة لكل منهم.

وهذه المحاكاة شبيهة بما جاءت به السُّنَّة، من السماح للبنات باللعب بالدمى المصورة؛ لما فيه من تهيئة للبنت في تحمل أعباء الأمومة، والعناية بالأطفال وتربيتهم.

المبحث السادس

الترغيب والترهيب

المطلب الأول : تعريف الترغيب والترهيب، وعلاقتهما بالدراسات المستقبلية:

الترغيب في اللغة : مِن رغِبَ، وهو إرادة الشيء، يقال : رغِبَ فيه أي : أراده[1].

والترغيب في الاصطلاح الدعوي : «كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه»[2].

والترهيب في اللغة : التخويف[3].

والترهيب في الاصطلاح الدعوي : «كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله»[4].

وعلاقة الترغيب والترهيب بالمستقبل ظاهرة، فَهُما إما تشويق لحسن المجازاة في المستقبل، أو تخويف بسوء المجازاة في المستقبل. ويَكُونان أُخرويين، ودنيويين، والدراسات المستقبلية وسيلة للترغيب بأنواعه، والترهيب بأنواعه.

المطلب الثاني : أهمية أسلوب الترغيب والترهيب، وأمثلته :

الترغيب والترهيب أسلوبان لهما أثر مهم في النفوس؛ حيث إن سيرها يكون بين جناحي الرغبة والرهبة، فمن النفوس ما يكفي فيها الترغيب؛ فتنشط لفعل الخير، ومنها ما تحتاج إلى ترهيب؛ حتى تنشط على الخير وتقلع عن الشر.

وفي القرآن الكريم يكثر الترغيب في الجنة ونعيمها، والترهيب من النار وجحيمها، وهو «مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب... في الدعوة إلى الله تعالى»[5]، وأنه ينبغي عدم إهماله من قبل الداعي[6].

---

(١) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١١٥، مادة: (رغب) .

(٢) زيدان، **أصول الدعوة**، مرجع سابق، ص٤٣٧.

(٣) الفيروزآبادي، مرجع سابق، ص١١٨، مادة: (رهب) .

(٤) زيدان، **أصول الدعوة**، مرجع سابق، ص٤٣٧.

(٥) المرجع نفسه، ص٤٣٧.

(٦) نفسه، ص٤٣٧.

ولم يقتصر المنهج القرآني على الترغيب والترهيب الأخروي، بل استخدم الترغيب والترهيب الدنيوي، وكثرت في الكتاب والسنة الأخبار والقصص عن السابقين؛ بقصد الترغيب في مثل أعمالهم الحسنة، والترهيب من مثل أعمالهم السيئة، قال الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾(١). وقال تعالى حكاية عن هود عليه السلام : ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾(٢).

وقد يكون الترغيب بما يصيب الناس في الدنيا من الخير العميم، عند الاستقامة على أمر الله، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٣). وقال تعالى : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾(٤).

وقد يكون الترهيب من غضب الله ونقمته على العصاة في الدنيا، وقد يكون بالتخويف من تغليف القلوب والختم عليها وفساد الفطرة، وقد يكون بالترهيب من فساد الذرية؛ لأن الآثام تنسحب على النفس والولد، وعلى الحاضر والمستقبل، فعقوق الوالدين يحرض على عقوق الأولاد، وقد يكون بالتخويف من تبدل الحال من خير إلى شر، ومن نعيم إلى بؤس، ومن رخاء إلى قحط وبلاء(٥).

وبذلك يكون الإسلام قد وضع الضمير المسلم بين حدَّي العمل المؤثر، وهما : الوعد والوعيد، وهما الحدان اللذان ينطبقان على مفهوم الآيتين الكريمتين في قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(٦)، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ

---

(١) سورة نوح، الآيات: ١٠-١٢.

(٢) سورة هود، الآية: ٥٢.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٤) سورة الجن، الآية: ١٦.

(٥) الواعي، **الدعوة إلى الله: الرسالة، الوسيلة، الهدف**، مرجع سابق، ص٢٠٨-٢١٣.

(٦) سورة الأعراف، من الآية: ٩٩.

ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1]. وبين هذين الحدين تقف القوة العقدية متناسبة مع الجهد الفاعل، الذي يبذله مجتمع يعمل لغاية معيَّنة. وفي هذه الحالة العقدية صبر بلال ﷺ على ما كان يلقاه من عذاب ومحن، فكان -وهو في قمة المحنة- يرفع إصبعه وهو يكرر إجابته على تحدي قريش: (أحد، أحد)، ولم تستطع قوة في الأرض، وما كان لها أن تستطيع أن تخفض إصبعه. وقصة المـــرأة التي طلبت من الرسول ﷺ إقامة حد الزنى عليها تُبرز قيمة الوعيد في توجيه الطاقات النفسية في حالة معينة. فالقوة العقدية التي تتطابق مع العمل المثمر الفاعل تقع بين حالين من أحوال النفس، لا يوجد وراءهما إلا الخمول والرخاوة في جانب، واليأس والعجز في جانب آخر[2].

فالإسلام بنى هذا الوازع النفساني في الإنسان[3]، « فأوجد في النفوس الخوف والرجاء اللذين أشار إليهما قولـــه تعـــالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾[4]. وهذا الأسلوب أفضل سياسة للنفوس لأنه يجمع إثارة عامليْ الخشـــية والمحبة، وبدوام الارتياض على ذلك يتغلب عامل المحبة لأن المحبة من شأنها النماء، فإذا غلب عامل المحبة صارت الخشية وقارًا واقتضت الطاعة الاختيارية»[5].

«فالترهيب ليس يأسًا أو قنوطًا أو رهبة تشل التفكير، وإنما هو تحذير مـــن الأخطـــاء ودلالة على الصواب، وترشيد للأعمال حتى تنطلق الطاقات القوية إلى الغاية بغير تعويق أو عقبات.

كما أن الترغيب ليس هو من أحلام اليقظة ولا من الوعود المعسولة، وإنما هو تنشيط للهمم، وتشجيع للطاقات، وشحذ للعزائم، فهو كالجائزة للمتسابقين في مضمار الإحسان والإنتاج والاجتهاد، وهذا هو طريق الـــمتقين وأسلوب الدعاة العاملين والفاقهين وصدق الله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[6] »[7].

(١) سورة يوسف، من الآية: ٨٧.

(٢) ابن نبي، **ميلاد مجتمع**، مرجع سابق، ص٢٤-٢٥.

(٣) ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص١٤٠.

(٤) سورة الحجر، الآيتان: ٤٩-٥٠.

(٥) ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص١٤٠.

(٦) سورة الأنبياء، من الآية: ٩٠.

(٧) الواعي، **الدعوة إلى الله: الرسالة، الوسيلة، الهدف**، مرجع سابق، ص٢١٤.

المطلب الثالث : أهمية الدراسات المستقبلية في الترغيب والترهيب، وأمثلة ذلك:

الدراسات المستقبلية وما دونها من عمليات الاستشراف الفردي تعد أسلوباً من أساليب الترغيب والترهيب؛ مثل تذكير الناس بما هم فيه من نعم، وأن دوامها يكون بالشكر، وأن زوالها يكون بالمعاصي والكفر؛ حتى ينشطوا لشكرها بطاعة المنعم المتفضل بها عليهم، ويحذروا من مغبة كفرها، وهذا منهج قرآني ونبوي، قال تعالى : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾[١]. وقال هود عليه السلام لقومه : ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٢].

ويمكن استخدام الدراسات المستقبلية في الترغيب والترهيب في أكثر المجالات، الدينية والدنيوية. فالترغيب : «وسيلة استرضاء واستعطاف لما لدى الإنسان من طمع بمنافع ولذات وخيرات معجلة أو مؤجلة، فمتى استرضيت النفس بشيء من ذلك سكنت عن الإنسان الصوارف له عن طريق الخير، وغدا سهل الانقياد فيه، وانفتحت نفسه للاقتناع به، والتعلق الشديد بأسبابه»[٣]. والترهيب وسيلة تخويف وتهديد وتحذير يُفيد في زجر النفوس التي لا تَجدُ الترغيب، أو لا تنتفع به؛ فتجرؤ على المعاصي وتتمادى فيها. يقول السعدي : «عند ميل النفوس أو خوف ميلها إلى ما لا ينبغي: يذكرها الله ما يفوتها من الخير، وما يحصل لها من الضرر بهذا الميل . وهذا في القرآن كثير . وهو من أنفع الأشياء في حصول الاستقامة، لأن الأمر والنهي المجرد لا يكفي أكثر الخلق في كفهم عما لا ينبغي، حتى يقرن بذلك ما يفوت من المحبوبات التي تزيد ثمراتها الطيبة أضعافاً مضاعفة على الذي يكرهه الله، وتميل إليه النفس، وما يحصل من المكروه المرتب عليه... والآيات في هذا المعنى الجليل كثيرة جداً»[٤] .

---

(١) سورة قريش .

(٢) سورة الأعراف، من الآية: ٦٩.

(٣) عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، **أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها**، ط٢، (دمشق، دار القلم، ١٤٠٠هـ)، ص٢٥٦.

(٤) السعدي، **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، مرجع سابق، ص١٤٣-١٤٤.

«وقد يكون الإرهاب عن المعصية ببيان شؤمها في العاجلة وضررها الذريع في جسم الإنسان وأهله وولده ومكانته. وبذلك ينـــزجر الإنسان عن مواقعتها خشية ما يصيبه من بلائها، كأنه طائر أبصر الحَبَّ في الفخ فعلم أن حتفه فيه لو وقع عليه، فهو يتركه نجاة بنفسه، وطلبًا للسلامة... ولولا أن الله يهب الخلائق فُسحة ليستفيقوا ويُقلعوا لكان المَحْقُ هو الجزاءَ السريع لمخازيهم. وتلك رحمة من الله، فهل يستغلها العصاة؟ ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ﴾(١). وهذا التأخير لا يعني إرجاء العذاب إلى يوم القيامة. فإن لكل سيرة رديئة أجلاً موقوتًا تستحق عنده العــقوبة . ثم تنــزل بالفرد أو الجماعــة، في هذه الدنــيا، قــبل الآخرة. ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٢)»(٣).

فيمْكن استخدام الاستشراف، في الترهيب من مواقعة بعض المعاصي، التي لهــا أضــرار متوقعة، فيفيد استشراف الأمراض المتوقعة لبعض المعاصي في زجر نفوس المدعويــين قبــل تَمَكُّن المعصية من قلوبهم؛ فيكونون أقوى على اجتنابها، ومفارقتها؛ لأن المعصية إذا أصبحت عادة صعبت مفارقتها، حتى مع العلم بالأضرار؛ ولأن الدفع أولى من الرفع . ويمكن للدعاة اصطحاب بعض الأطباء ممن وقفوا على أسرار واقعية لبعض المعاصي من خلال مرضــاهم، فيشترك الداعية والطبيب في استخدام أسلوب الترهيب.

«وقد نخوّف من الذنوب ومواقعتها، ببيان خطرها على الإيمان نفسه. فالمعاصي بريــد الكفر»(٤). قال ﷺ :«تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا . فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْــرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ . وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ . حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَــيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا . فَلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ . وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا،

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٥.

(٢) سورة السجدة، الآية: ٢١.

(٣) محمد الغزالي، **مع الله : دراسات في الدعوة والدعاة**، مرجع سابق، ص٣٠٧-٣٠٨.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٠٦.

كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلا يُنْكِرُ مُنْكَرًا . إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَـوَاهُ»[١]. «معنى الحديث أن الرجل إذا تبع هواه وارتكب المعاصي دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمـة، وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام، والقلب مثل الكوز، فإذا انكب انصب مـا فيه، و لم يدخله شيء بعد ذلك»[٢] .

ومِثْله : تذكير الإنسان بأن حاله مع المعصية كالغرس الصغير من الزرع، إذا أراد الإنسان اقتلاعها بُعيد غرسها فإنه يسهل عليه ذلك، أما إذا تركها حتى تنمو وتثبت في الأرض ويقوى أصلها، فإنه يتعسر عليه اقتلاعها، فالزمن قد أعطاها قوة وتمكـنًا، وفي جانب الإنسان قد يكون الزمن أضعفه فلم يكن في سابق قوَّته.

ونحو ذلك الترغيب في فعل الحسنة، والترهيب من فعل السيئة، من خلال ذكر النتائج المستقبلية طويلة الأمد للخير أو الشر، قال رسول اللّه ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ . مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ . وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ . مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[٣]. وقال ﷺ : «لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»[٤].

فهذا الأسلوب من الترهيب يقوي دافع اجتناب المعصية؛ بسبب النظر لأثرها المستقبلي التراكمي؛ ذلك أن النفوس قد تضعف أمام المعصية، وتنساق وراء الشيطان والشـهوات. وبعكس ذلك الحسنة .

---

(١) مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبـًا وسيعود غريبـًا، ج١، ص١٢٨، ح١٤٤.

(٢) النووي، **المنهاج**، مرجع سابق، ص٢٣٠؛ نقلاً عن صاحب التحرير.

(٣) مسلم، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، ج٢، ص٧٠٥، ح١٠١٧؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب العلم، باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة، ج٥، ص٤٢، ح٢٦٧٥؛ والنسائي، **السنن**، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة، ج٥، ص٨٠، ح٢٥٥٣؛ وابن ماجه، مرجع سابق، المقدمة، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ج١، ص٧٤، ح٢٠٣.

(٤) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم عليه السلام وذريته، ج٤، ص١٢٥، ح٣٣٣٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب بيان إثم من سن القتل، ج٣، ص١٣٠٤، ح١٦٧٧.

وقد جرى استخدام الدراسات المستقبلية في الترغيب السياسي، لاستقطاب أكبر عدد من الناخبين، فاستخدمتها بعضُ الأحزاب السياسية المتنافسة في الوصول إلى السلطة في بعض الدول اللاتينية(١)؛ لتستميل الجمهور، وتقنعهم بمنهجها. ومن الممكن أن يَستخدم علماء الشريعة الدراسات المستقبلية للترغيب في تطبيق الشريعة الإسلامية في الدول الإسلامية التي لا تطبقها، وهذا من باب الدعوة إلى الله بالحكمة؛ إذْ إن تطبيق الشريعة واجب فوري، لا يجوز تركه أو تأجيله حتى تُثبت دراسات جدواه .

ومن أساليب الترغيب الاستشرافي في فعل الخيرات: ما يفعله الداعية عندما يعود مريضًا قد أنهكه المرض، وخالط نفسه إحساس باليأس، فيعوده الداعي وقد حمل بين جوانحه أملاً يحييه في نفس المريض، فيمسح عنه شعوره المحبط، فيرجو الله أن يشفيه، ويزيده آمالاً، بفعل صنوف من الطاعات، من جهاد، وتعليم، وتربية، وصدقة، وغيرها، والداعية بهذا لا يفتح باب الأمل أمام المريض فحسب، بل يزيده بدلالته على طاعات قد لا يكون مستشعرًا لها، وليس في نيته فعلها، فَيُحْدث عنده رغبة فيها، وقد تنشأ عنده عزيمة على فعلها، قال رسول الله ﷺ : «إِذَا جَاءَ الرَّجُلُ يَعُودُ مَرِيضًا فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا أَوْ يَمْشِي لَكَ إِلَى جَنَازَةٍ»، وفي رواية: «إِلَى صَلاةٍ»(٢).

وينبغي انتهاج الاعتدال في استخدام أسلوب الترغيب والترهيب، سواء كان معتمدًا على الوحي، أو على الدراسات المستقبلية والاستشراف الشخصي؛ لأنَّ "المبالغة في الترهيب بذكر النار والعقاب المنتظر يؤدي إلى اليأس عند المتلقي كما أن المبالغة في الترغيب بالعفو المطلق والنعيم الدائم يؤدي إلى التساهل والاستهانة بأمر ما وبالتالي لا يحصل المرسل على اقتناع المستقبِل في الكثير من الأحيان"(٣)؛ ولأنه يقل تأثير الرسائل التي تعمل على إثارة الخوف كلما زادت درجة التخويف أو قدره؛ لارتفاع درجة توتر المستهدفين؛ ويؤدي ذلك إلى التقليل من شأن التهديد أو أهميته، وقد يؤدي إلى الابتعاد عن محتوى الرسالة كليًّا .

---

(١) ينظر: فيرو، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ١٣٧، (أغسطس/ ١٩٩٣م)، ص٤٢.

(٢) أبو داود، مرجع سابق، كتاب الجنائز، باب الدعاء للمريض عند العيادة، ج٣، ص٤٨٠، ح٣١٠٧؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الدعاء والتكبير، ج١، ص٧٣٤، ح٢٠١٣ .

(٣) العوشن، مرجع سابق، ص٧١-٧٢.

وأكدت التجارب أن نسبة كبيرة من المجموعات التي تعرضت لتخويف أقل، كانت أكثر أخذًا بالنصائح التي استمعت إليها، بينما أخذت هذه النسبة تقل كلما زادت درجة التخويف[1].

وفي المنهج القرآني تلحظ منهج التوسط والاعتدال بين التخويف والتبشير، والوعد والوعيد، بين ذكر النار وأوصافها وأحوال أهلها، وبين ذكر الجنة ونعيمها وأحوال أهلها، وكثيرًا ما تقرن الآيات بينهما في موضع واحد.

(١) محمد هلال، مرجع سابق، ص١٣٧ .

خاتــمة :

أكد هذا الفصل أهمية الدراسات المستقبلية في تحقيق السرعة المطلوبة والسبق في العمل الإسلامي. وأن هذه الدراسات تُعدُّ رافدًا مهمًا للتخطيط للدعوة الإسلامية . كما أن لهــا أهمية كبيرة في مجال الجهاد والإعداد العسكري بأنواعه. وبــيَّن هذا الفصل أهمية الدراسات المستقبلية في الإسهام بالحفاظ على المال العام، وحمايته من الإسراف فيه والتبذير، أو الصرف منه في غير وجه نافع . كما أكد على أهميتها في التربية والتعليم في مجال التخطــيط لهمــا، وبيان تأثير الصور المستقبلية على كل من المعلم والمتعلم، وما ينبغي أن تتضـــمنه المقــررات الدراسية من مجال الدراسات المستقبلية . وأوضح الفصل أن هذه الدراسات تعد أسلوبًا من أساليب الترغيب والترهيب، وأن استخدامها في هذا أمر نافع للمدعويــين.

وبالإمكان أن تفيد الدراسات المستقبلية في كثير من وسائل الدعوة وأســاليبها غــير المذكورة هنا .

الفصل الرابع

الدراسات المستقبلية ومستقبل الإسلام

المبحث الأول : أهمية الحديث عن مستقبل الإسلام

المبحث الثاني : أسس في بناء مستقبل الإسلام

المبحث الثالث : عالمية الإسلام، وأهليته لقيادة العالم

المبحث الرابع : المستقبل للإسلام

تمهيد:

من اطّلع على ما سبق عرضه من هذا البحث، يعلم أن الباحث هنا لن يُقــدِّم دراســات مستقبلية عن مستقبل الإسلام؛ فهذا جهد تقتضي طبيعة الدراسات المستقبلية وجود فريق عمل كبير جدًا للقيام به.

وإنما يعرض الباحث هنا جوانب من أهمية الحديث عن مستقبل الإسلام، ويبين أهمية القيام بإجراء دراسات عن مستقبل الإسلام؛ ويذكر بعض الأسس المهمة عند إجراء هذه الدراسات، وهي في أغلبها ليست أُسسًا نهائية، ولا قاطعة، ولا مُلزمة، بل هي اجتهادات رآهــا بعــض العلماء والباحثين، أو رأي للباحث؛ ويبيِّن أن الإسلام رسالة عالمية، وأنه مؤهل لقيادة العالم في زمن أصبحت البشرية أشد ما تكون إلى قيادته الحكيمة، ومهما طال الــزمن فــإن المســتقبل للإسلام.

المبحث الأول

أهمية الحديث عن مستقبل الإسلام، وإجراء دراسات مستقبلية عنه

الحديث عن مستقبل الإسلام أو إجراء دراسات مستقبلية عنه لا يُعدُّ تعليقًا للأمة بأماني وأحلام ليس لها رصيد من الواقع، ولا هو التخدير ضد مشاكل الحاضر، وترحيلها إلى المستقبل، فالدراسات«المستقبلية ليست ترفًا عقليًا يتلهى به بعض المثقفين، ولا فرارًا من الواقع ومشكلاته المعقدة بحثًا عن عالم أفضل، بل إن لها فائدة عملية ومباشرة من حيث التمكن من معرفة النتائج البعيدة المدى لما يجري في بلادنا الآن: ما نتخذه من قرارات، وما نمارسه من تغير في العادات، وما ننشئه، أو أن ندعمه من علاقات... ولهذا، فإن الامتناع عن محاولة استهداف صورة معينة للمستقبل لا يعني بقاء الحال على ما هي عليه، وإنما قد يصل بالمجتمع إلى درجات أدنى أو يفرض عليه تغيرات عنيفة ذات تكلفة اجتماعية باهظة»[١]؛ والحديث عن مستقبل الإسلام له هدف عظيم، وفوائد كثيرة متعددة، يَعرضها المطلبان الآتيان.

المطلب الأول : أهمية نابعة من خارج العالم الإسلامي :

١- الرصد العالمي الغربي للمسلمين وانتشار الإسلام، وانتقال نتائج هذا الرصد إلى برامج عمل واقعة، فالعالم الإسلامي يقع تحت مرأى ومسمع من الأجهزة الغربية البحثية والعسكرية[٢]، حتى وصل الحد إلى أن يُقدِّم الغرب السياسات السياسية، والاجتماعية، والتعليمية، التي ينبغي أن تسير عليها البلدان الإسلامية، وبصورة شبه إلزامية؛ وهذه إحدى نتائج الرصد الغربي للعالم الإسلامي.

إن الغرب حينما تشير بعض دراساته المستقبلية إلى أن الإسلام في صعود مستمر من ناحية كثرة أهله والداخلين فيه، وأن اليهودية والنصرانية في انحدار مستمر-كما في الشكل الآتي[٣] بالنسبة المئوية- فلن يقف أمام ذلك مكتوف الأيدي، بل سيخترع التدابير المختلفة لقلب نتائج التوقع .

---

(١) عبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص ١١ — ١٣.

(٢) اهتمام الغرب بدراسة مستقبل العالم الإسلامي أو جوانب منه يستدعي مجلدات في الحديث عنه .

(٣) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص ٢٨٩؛ نقلاً عن:
Jean Bourgeois-Pichat, Les Scientifiques Parlent, Hachette, Paris,1987.

شكل رقم ١٠ :

التيارات الروحية	١٩٨٠م	٢٠٠٠م	٢٠٢٥م	٢١٠٠م	٢١٢٥م
اليهودية-المسيحية	٣١	٢٨	٢٥	٢٠	١٥
الصينية	٢٣	٢١	١٨	١٤	١٥
تيارات أخرى	٢٨	٢٨	٢٦	٢٦	٢٧
الإسلام	١٨	٢٣	٣١	٤٠	٤٣
المجموع :	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

وما كان قبل بُرهةٍ دراساتٌ في مراكز الأبحاث الغربية أصبح الآن قيد التنفيذ، في ظل صمت عالمي، بل ومؤازرة في تنفيذ الأسس الجديدة للمستقبل الغربي في البلدان الإسلامية.

وعدد من المستقبليين المسلمين القلائل -من خلال اختصاصهم في الدراسات المستقبلية- يدركون مبكرًا تلك الأخطار، ومدى ما يمكن أن تصل إليه، قبل غيرهم من المختصين في المجالات الأخرى[1]، يقول المنجرة -عندما بدأ الجيش الأمريكي ومن معه بتحرير الكويت في (١٧/ يناير / ١٩٩١م)- : «هنالك مرحلة عسكرية بدأت يوم ١٧ يناير.. وهذا اندلاع حرب عالمية حقيقية.. وحرب ستدوم ما بين ١٥ إلى ٢٠ سنة بعدة وسائل، وليس بالوسائل العسكرية فقط»[2]. ومن يتتبع ما حدث بعد ذلك يرى مصداق هذا الكلام تمامًا، فبعد هذه الحرب مباشرة انهال الغزو الثقافي الفضائي، وظهرت قيود وتنظيمات اقتصادية جديدة، وجاءت -بعد أكثر من عقد من الزمان- حملة عسكرية جديدة باسم (تحرير العراق)، حاملة معها أنظمة سياسية وتربوية جديدة للبلاد الإسلامية.

(١) من هؤلاء : المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٩٤، ٣٠٣، وغيرهما، ومن ينظر في كتاباته ومقابلاته إبان القدوم الأمريكي لتحرير الكويت عام ١٤١٢هـ، يرى فيها ما يحدث خلال هذه الأعوام، أي بعد تلك المقالات بأكثر من عشر سنوات؛ ومنهم : خلاَّف، في "السياسة الدولية"، مرجع سابق، العدد ٥٠، (أكتوبر، ١٩٧٧م)، ص٨.

(٢) **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٩٤، وقد أُرِّخ المقال في الحاشية بتاريخ (٣٠ يناير ١٩٩١م).

ويقول بريش: «ويتبين لنا أن الطوق سيشتد على العالم الإسلامي، وهذا ليس بالأمر الجديد، فقد اشتدت عمليات الغزو والتمزيق والتفرقة منذ ما يقارب القرنين من الزمان أو يزيد، وهي في استحكام للطوق مستمر»[1].

إن الاطلاع الواسع للمسلمين على الدراسات المستقبلية التي أجريت في المؤسسات الغربية المهمة، عن موضوعات تهم المسلمين مباشرة أو من وجه ما، أو على الأقل معرفة المناهج والأساليب للدراسات المستقبلية والاطلاع على أهدافها، لاشك أن ذلك يثري المطَّلع عليه في معرفة أسس اتخاذ القرار وصنعه في العالم الغربي، ووسائله، ومؤسساته، ويقترب به كثيرًا من الوقوف على الحقيقة.

وإن تسلط العين الغربية علينا، وما تبعها من امتداد اليد، يُحتِّم علينا أن ندرس مستقبل الإسلام بعناية؛ لحمايته من الخطط الغربية، الظاهرة والخفية؛ «فعلى المسلمين... أن يوطنوا أنفسهم على أن يعيشوا حياة الخطر والتحدي لا حياة الأمن، وأن يظلوا قائمين في مواجهة الخطر وفي حالة الحذر، وأن يكونوا في رباط دائم»[2].

٢-أنَّ النظام العالمي الجديد لا يحمل للمسلمين سوى مزيد من التهميش والتفتت والتشرذم، في ظل غياب سياسات بديلة للتعبئة والنهوض[3] بالأمة الإسلامية، وسيُخضِع الشعوب ويسيطر على ثرواتها من خلال الإعلام الموجه، والنظام التعليمي، فإذا تمكن من صياغة الفكر، وتحريف الوجدان، جاءت المكاسب الاقتصادية والسياسية له على طبق من فضة، دون جهد يبذله[4]؛ لأن العالم الإسلامي ما يزال مرهونًا للقوى الغربية، وواقعًا تحت سيطرتها عن قرب وبعد، فهو لا يتحكم في مصيره، وما يزال استقلاله عن القوى الغربية شكليًّا[5]، «فنحن نعيش في نظام اقتصادي وسياسي واجتماعي وحضاري عالمي له قلب...يتحكم في مسيرته، ويتكون من عدد محدود من الدول الغربية ويفرض سياساته على التخوم...أي بلدان العالم

---

(١) **في سبيل استشراف محكم لمستقبل الثقافة في العالم الإسلامي** مرجع سابق، ص١٥.

(٢) أنور الجندي، **الإسلام والغرب**، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٠٢هـ)، ص٢٨٩.

(٣) ينظر: عبد الفضيل، **حوار مع المستقبل**، مرجع سابق، ص٤٠؛ نقلاً عن: دانييل برشتين، **الزلزال الأوروبي**.

(٤) ينظر: عبد الفضيل، المرجع نفسه، ص٤٠-٤١.

(٥) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص ٢٨٢؛ وعبد الله وآخرون، مرجع سابق، ص١٤.

الثالث»[1]، و«لن تدور الدائرة على أهل البغي والظلم والعدوان إلا إذا التمس المسلمون الطريق الصحيح ونفضوا أيديهم من الأهواء والمطامع وقدموا أنفسهم وأموالهم لله وباعوها إليه تبارك وتعالى»[2]، فلا بد من وجود خطة علمية حضارية إسلامية تأخذ البعد الموضوعي في التنفيذ وجودًا على الساحة العالمية[3] .

٣- على الرغم من الحالتين السابقتين، إلا أن القوى الغربية وغيرها ليست بشيء لو وَجَدتْ إسلامـًا مُطَبَّقًا، وثلة من المسلمين الصادقين، وهذه حقيقة ينبغي أن نبثها في نفوس المسلمين؛ لنرفع من مستوى الاعتزاز النفسي بقوتهم وعزتهم، ونتتشلهم من الانهزام النفسي أمام الانبهار بقوة العدو وسيطرته، فالغرب على الرغم من رصده الكثير للعالم الإسلامي، وعقده مئات المؤتمرات عنه، ووضعه كثيرًا من الخطط لإبقاء الهيمنة عليه، نجده قد أخفق في تحقيق أهدافه أمام قوى صغيرة، والتاريخ كل يوم يُسطِّر أمثلة لهذا، لو كنا نرى ونبصر ! وما أطفال الحجارة في فلسطين إلا أقل الشواهد على ذلك، وكانت الغارات الاستشهادية حالة فريدة في مقاومة الاحتلال الغربي، ربما لم يحسب لها أي حساب. « وبقدر من الله تعمل الظروف العالمية كلها لتمكين الصحوة الإسلامية وتأصيلها، وجعلها هي الخط البارز في مستقبل البشرية.. وبقدر من الله يُسَخَّر أعداء الله كلهم للقيام بهذه المهمة، مهمة تمكين الصحوة الإسلامية وتأصيلها، من خلال أعمالهم «الطبيعية» التي يقومون بها، وبدافع من الحقد الأسود الذي يملأ صدورهم تجاه الإسلام»[4].

وقد أرشد النبي ﷺ على ألاَّ نقول من الكلام ما يجعل العدو يرى قوته، وسيطرته؛ وذلك عندما عَثَرَت دابَّة رجل فقال : تَعِسَ الشَّيطَان، فقال له النبي ﷺ : «لا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ؛ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ : بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ : بِسْمِ اللَّـهِ؛ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ»[5].

---

(١) عبد الله وآخرون مرجع سابق، ص١٥.

(٢) أنور الجندي، **مستقبل الإسلام بعد سقوط الشيوعية**، ط٢، (جدة، دار العمير، ١٤١٢هـ)، ص١١.

(٣) عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **الحضارة الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين**، (القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٤١٥هـ)، ص١٣٦.

(٤) محمد قطب، **واقعنا المعاصر**، ط٣، (جدة، مؤسسة المدينة للصحافة، ١٤١١هـ)، ص٥٤١-٥٤٢.

(٥) أبو داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب لا يقال خبثت نفسي، ج٥، ص٢٦٠، ح٤٩٨٢؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الأدب، ج٤، ص٣٢٤-٣٢٥، ح٧٧٩٢.

«لأن تضخيم التآمر سيكون له رد فعل خاطئ، والاستهانة به ستؤدي إلى عدم مواجهته، وكلا الأمرين ضرر وخطر!»[1].

وليس معنى ذلك أن ننظر إلى القوى الغربية أنها لا شيء ألبتة، لكن المراد أن نصل إلى حالة من التوازن؛ لأن النظرة إلى الأشياء على أنها سهلة تضر، كما تضر النظرة إليها على أنها مستحيلة، وكلتا النظرتين تُنقصان من الحركة والنشاط، لأن السهولة تقود إلى نشاط أعمى، وأما الاستحالة فتصيب النشاط بالشلل[2].

«إن القرآن الكريم يعلمنا أن أساس المشكلة لا ينبثق من وجود الآخر، فالآخر موجود، لكن بوجودنا الخاطئ الضعيف المقصر: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[3]. ويقول -جل وعلا- : ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾[4]. والقارئ لتاريخنا يخرج بانطباع واضح هو أن أهل القرون المفضلة وعوا مفهوم هذه الآيات وعيًا جليًا، ومن ثم فإنا نجد تحليلاتهم لأزماتهم وانكساراتهم كانت تلقي بالتبعية على القصور الذاتي، ولذا فإن أدب الشكوى قديمًا لم يكن يتمحور حول تآمر الأعداء على نحو ما نجده اليوم، إنما كان يتركز على إشكالات الخروج على المنهج الرباني الذي أمرنا بالسير عليه!»[5].

«وقد انظم إلى الجبن والهلع اللذين أصابا المسلمين اليأس والقنوط من رحمة الله، فمنهم فئات قد وقر في أنفسهم أن الإفرنج هم الأعلون على كل حال، وأنه لا سبيل لمغالبتهم بوجه من الوجوه، وأن كل مقاومة عبث، وأن كل مناهضة خرق في الرأي. ولم يزل هذا التهيب يزداد ويتخمر في صدور المسلمين»[6].

فالحديث عن مستقبل الإسلام «مطلوب، لأن المسلمين عامَّة -والعاملين للإسلام خاصة- يمرون بمرحلة عصيبة من مراحل تاريخهم المعاصر، وتكاد تغلب في هذه المرحلة عوامل اليأس،

---

(١) بكار، **فصول في التفكير الموضوعي**، مرجع سابق، ص٢٣٠.

(٢) باطاهر، مرجع سابق، ص٤٢.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٤) سورة آل عمران، من الآية: ١٦٥.

(٥) بكار، **فصول في التفكير الموضوعي**، مرجع سابق، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٦) شكيب أرسلان، **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟** (القاهرة، دار الكلمة الطيبة، ١٤١٠هـ)، ص٧٥.

ومشاعر الإحباط، وهذا الشعور إذا استسلمت له الأنفس، قتل فيها الهمم، وخدَّر العزائم، ودمَّر الطموحات، وهذه المعاني هي التي تحرك الإرادات للعمل، وبذل الجهد»(١).

«وهو مطلوب، لأن القوى المعادية للإسلام... أعلنت... على الإسلاميين حربًا نفسية، تُيْئِسُهم من الأمل في غدٍ أفضل، والرجاء في مستقبل مشرق. وبدأت حملات مسعورة، تحركها قلوب موتورة، وتقودها أقلام مأجورة، وأبواق مأمورة، تتهم وتلطخ وتشوِّه كل ما هو إسلامي، وتتهم دعاة الإسلام وأبناء الصحوة بالتطرف حينًا، وبالعنف أحيانًا، وبالإرهاب طورًا، وبالأصولية أطوارًا...لهذا كان علينا أن نقاوم هذه الحملات المعادية بسلاح مضاد، وهو نشر الأمل بانتصار الإسلام، وإحياء الرجاء في مستقبله، وشحن نفوس الجيل الصاعد بهذا الشعاع الذي يبدد ظلمات اليأس، وغيوم الإحباط»(٢).

والحديث عن المبشرات بمستقبل الإسلام، وأن النصر حليفه، والقيادة له، يُعيد للمسلم النظرة الكلية السليمة، وأن حال المسلمين اليوم ما هي إلا استثناءة من تاريخ مجيد طويل، قوامه نحو ثلاثة عشر قرنًا، وأن ما تَعرَّض له المسلمون في تاريخهم، وما يتعرضون له الآن، إنما هي مُوقظات، تنبههم من نومهم؛ ليستيقظوا، ويبحثوا عن مجدهم .

٤- على الرغم من أن حركة النماذج العالمية من الدراسات المستقبلية كان لها أثر كبير في توجيه سياسات عالمية، وتحريك قرارات، واعتلاء أولويات عدد من المؤتمرات العالمية، فإن المسلمين عن إجراء النماذج العالمية في غياب تام، بل وعن المشاركة فيها؛ مما يجعل الأمور تُختار لهم ولا يختارونها، وتُفرض عليهم ولا يُستشارون فيها. ولا يزعم الباحث أن المسلمين إذا أجروا دراسات مستقبلية عالمية سيَختارون ويَفرضون على العالم ما يريدون، لكن من المرجح أن يكون لها تأثير مناسب، لا سيما عندما يشارك مندوبون من العالم الإسلامي في المؤتمرات الدولية؛ فاطِّلاعهم على دراسات مستقبلية عالمية، أعدّها باحثون مسلمون، يعطيهم قوة في المشاركة، وأراء أكثر حصافة، ويتضح للغرب أنه ليس وحده يهتم بمستقبل العالم، ويُعنى بشؤونه؛ فهناك إذن حاجة وأهمية لبناء نموذج إسلامي عالمي ينطلق من النظرة الإسلامية؛ ليسهم في درء شر يكتنف المستقبل الإسلامي، أو يقلل من الشرور .

---

(١) القرضاوي، **المبشرات بانتصار الإسلام**، (دمشق، دار القلم، ١٤١٨هـ)، ص٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦-٧.

٥- إنَّ تحقق المستقبل الإسلامي يعد خدمة للناس في الأرض كلها[١]، بجميع أدياهم ونحلهم؛ لما فيه من تحصيل لمصالحهم، وإقامة العدل فيهم، وحمايتهم من الانحراف والظلم العالمي؛ إذ إنَّ الغاية من الدعوة الإسلامية : «صلاح العالَم، وانتظام شؤونه على منهج السعادة»[٢]، «فإن الله جل ثناؤه...جعل الإسلام عصمة لمن لجأ إليه، وجنة لمن استمسك به وعض بالنواجذ عليه، فهو حرمه الذي من دخله كان من الآمنين، وحصنه الذي من لجأ إليه كان من الفائزين، ومن انقطع دونه كان من الهالكين»[٣]. «إن العالم يلهث ويلهث ويتطلع في خضّم تِيْهِهِ وشقائه على منقذ وحاله حال أهل جهنم ﴿ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾[٤]»[٥]؛ لذا فمن المهم أن يعنى أولو العقل في العالم، مهما كان مذهبهم، وأياً كانت نحلتهم، بتقديم ما يحقق مستقبل الإسلام في العالم . والمقصود بالإسلام هنا شريعته من حيث هي منهج في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وليس المقصود دول قائمة، أو جماعة منتسبة. «وقد كان لهذه الشريعة السيادة القانونية المطلقة في المجتمع الإسلامي، فقامت الدولة على أساسها، ونظمت شؤون المجتمع على مقتضى أصولها وقواعدها، وتحددت حقوق الأفراد وواجباهم بموجب أحكامها وأنظمتها ولم يخرج عن حكمها أي شأن من شؤون الحياة . وقد سعد الناس بها ما شاء الله أن يسعدوا ووجدوا في أحكامها الخير والعدل وحفظ حقوقهم ومصالحهم المشروعة»[٦]؛ «فالحل الإسلامي -إذن- ليس إنقاذاً للمسلمين مما هم فيه من تخلف وضعف ومشكلات دون سواهم، ولكنه إنقاذ للبشرية كلها من أوزار الحضارة المعاصرة والذين يحاربون هذا الحل لا يحاولون منع الخير عن المسلمين، وإنما يعملون على أن تظل البشرية غارقة في دياجير المادية، تتخبط في تلمس الطريق لإخراجها من تلك الظلمات التي أطبقت عليها، وكادت أن تؤدي بحاضرها ومستقبلها.

---

(١) عبد الحميد أحمد أبو سليمان، **أزمة العقل المسلم**، ط٢، (الأردن، مكتبة المنار، ١٤١٢هـ)، ص٢١٩.

(٢) محمد الخضر حسين، مرجع سابق، ص٥٩.

(٣) ابن القيم، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٤هـ)، ص٦.

(٤) سورة الأعراف، من الآية: ٥٠.

(٥) علي عبد الخالق القرني، "ما حقيقةٌ كخيال"، شريط سمعي .

(٦) عبد الكريم زيدان، **المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية**، ط٦، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ)، ص٥-٦.

إن تخلف المسلمين وانحطاطهم في العصر الحديث لم يرتد عليهم وحدهم بالضعف وفقد منزلة الريادة والشهادة، وإنما ارتد على العالم كله بعبادة الشهوات والصراع على حطام الدنيا، فكانت الجاهلية المعاصرة على الرغم من المنظمات الدولية والمنجزات الحضارية الخلابة»[1]؛ و«هذا ما يجعل مسئولية الأمة الإسلامية والعلماء والمفكرين والمثقفين المسلمين مضاعفة، لأنهم إن أقاموا مفاهيم الدين الصحيح، وأقاموا مجتمعًا نموذجيًا يقدم القدوة والمثال، فإنهم بذلك لن ينقذوا أنفسهم وحدهم، ولم يصلحوا بناء حضارتهم ومجتمعهم فحسب، ولكنهم بذلك يصلحون حال الإنسانية قاطبة ويستنقذون حضارة الإنسان على الأرض ورسالته في الإصلاح والإعمار، ويحققون لأنفسهم ولكل الناس مجتمع الحق والأمن والسلام»[2].

٦-الإسلام باق إلى قرب قيام الساعة، وليس عليه خطر الاندثار والتلاشي والزوال؛ لأن الله تكفل بحفظه وبلوغه كل بيت، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[3]، ومن أقوال الإمام الشافعي في مدلول الآية الأخيرة : «ليظهرن الله دينه على الأديان، حتى لا يدان الله إلا به، وذلك متى شاء الله»[4]أ.هـ. والمؤمنون لا يخيفهم أمر المستقبل وهم يأوون بشأنه إلى ركن شديد، قال ﷺ في صلح الحديبية:«إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا»[5]، وكان من مواقف النبي ﷺ وأصحابه ﷺ ما قصه الله تعالى في كتابه : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ

---

(١) محمد الدسوقي، **الحل الإسلامي بين النظرية التطبيق**، (المنصورة: مصر، دار الوفاء، ١٤١٥هـ)، ص١٣١.

(٢) عبد الحميد أبو سليمان، مرجع سابق، ص٢٣٤.

(٣) سورة التوبة، الآيتان: ٣٢-٣٣.

(٤) أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (جمع)، **أحكام القرآن للإمام الشافعي**، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، ط١، (بيروت، دار إحياء العلوم، ١٤١٠هـ)، ص٣٩٠ .

(٥) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجزية، باب إثم من عاهد ثم غدر، ج٤، ص٨٤، ح٣١٨٢؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، ج٣، ص١٤١٢، ح١٧٨٥.

يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[١].

وحِفْظ الله لهذا الدين متين، لا تقدر على رده قوى الأرض جمعاء، والله سبحانه "إذا أراد شيئًا يسر له الأقدار وأعمى عنه الأبصار، وهيأ لأجله جنده وأنفذ وعده"[٢]. لكن يغيب عن الأعداء "سر القدر في حفظ هذا الدين بسبب جديد كل فترة من الزمان ولو فطنوا لأسقطوا الجنين قبل أن يصير مولودًا أو لوأدوا المولود قبل أن يصبح موسى.. ولو حاولوا ما استطاعوا لأنه كان يصنع على عين الله "[٣].

ولو كان الإسلام يواجه هذا الخطر لانتهى أمره خلال ما تعرض له من حوادث شنيعة خلال تاريخه الطويل، لكنَّ الخطر هو أن تظل أمم العالم تموت على الكفر والجهل، وتكون حطب جهنم، في ظل ضعف المسلمين، وعجزهم عن القيام برسالتهم العالمية؛ "إنَّ الرسالات لا تنتصر وحدها، إنما تنتصر بأهلها، والحق لا يعلو وحده، إنما يعلو -وفق سُنن الله- بدعاته ورجاله الذين جمعوا بين العلم والعمل والإخلاص"[٤].

فالدراسات المستقبلية عن مستقبل الإسلام هي محاولة لتمكين المسلمين من مصادر القوة، وإعادة القيادة العالمية لهم، وتأهيلهم لتسلم زمامها، والاقتراب بهم من استحقاق الوعد الإلهي لهم: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[٥]. وألاَّ يكونوا من القوم المستبدل بهم غيرهم: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾[٦]. وإذا حصل للمسلمين التمكين في الأرض، استطاعوا أن يحموا بيضتهم،

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٧٣-١٧٥.

(٢) عبد العزيز كامل، في "البيان"، مرجع سابق، العدد ١٧٠، (شوال، ١٤٢٢هـ)، ص١٠٤-١٠٥.

(٣) خفاجي، مرجع سابق، ص١٧.

(٤) القرضاوي، **المبشرات بانتصار الإسلام**، مرجع سابق، ص١٠٠.

(٥) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٦) سورة محمد، من الآية: ٣٨.

ويقوموا بواجب الدعوة على وجه أكمل، وكانوا رحمة للعالمين كما أرادهم الله، منقذين البشرية من ضلالاتها .

٧- الحديث عن أن المستقبل للإسلام، وأن النصر والغلبة له، من الأسباب الـتي ترغّـب الكافر في الدخول في الإسلام . عن عَديِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ قال : «دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّـه ﷺ، فَقَالَ لِي : يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ ثَلاثًا . قَالَ : قُلْتُ : إِنِّي عَلَى دِينٍ، قَالَ : أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ فَقُلْتُ : أَنْتَ أَعْلَمُ بِدِينِي مِنِّي؟! قَالَ : نَعَمْ، أَلَسْتَ مِنْ الرَّكُوسِيَّةِ[1]، وَأَنْتَ تَأْكُلُ مِرْبَاعَ قَوْمِكَ؟[2] قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : فَإِنَّ هَذَا لا يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ . قَالَ : فَلَمْ يَعْدُ أَنْ قَالَهَا، فَتَوَاضَعْتُ لَهَا . فَقَالَ : أَمَا إِنِّي أَعْلَمُ مَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنْ الإِسْلامِ . تَقُولُ إِنَّمَا اتَّبَعَهُ ضَعَفَةُ النَّاسِ، وَمَنْ لا قُوَّةَ لَهُ، وَقَدْ رَمَتْهُمْ الْعَرَبُ، أَتَعْرِفُ الْحِيرَةَ؟[3] قُلْتُ : لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ سَمِعْتُ بِهَا . قَالَ : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى تَخْرُجَ الظَّعِينَةُ[4] مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارِ أَحَدٍ، وَلَيَفْتَحَنَّ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ قَالَ : قُلْتُ : كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ؟! قَالَ : نَعَمْ، كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ، وَلَيُبْذَلَنَّ الْمَالُ حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ. قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ : فَهَذِهِ الظَّعِينَةُ تَخْرُجُ مِنْ الْحِيرَةِ، فَتَطُوفُ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارٍ، وَلَقَدْ كُنْتُ فِيمَنْ فَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكُونَنَّ الثَّالِثَةُ لأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَهَا»[5]. ففي هذه الدعوة، رغّب النبي ﷺ عدياً بمبشرات المستقبل؛ فأسلم ﷺ.

المطلب الثاني : أهمية نابعة من داخل العالم الإسلامي :

١- يوجَد في علم النفس الاجتماعي مصطلح عام يُدعى : وجهة الضبط، "يستخدم للإشارة إلى موقع التحكم في سلوك الفرد كما يدركه ذلك الفرد... وتعني الدرجة المرتفعة على الضبط الداخلي أن أصحابه يميلون إلى تحمل مسؤولية أفعالهم وينظرون إلى أنفسهم أنهم يمتلكون التحكم في مصائرهم الخاصة، أما أصحاب الدرجة المرتفعة على الضبط الخارجي فإنهم

---

(١) "هو دين بين النصارى والصابئين". (ابن الأثير، **النهاية**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٥٩، مادة: (ركس)).

(٢) أي : يأخذ ربع أموالهم . (المرجع نفسه، ج٢، ص١٨٦، مادة: (ربع)).

(٣) "البلد القديم بظهْر الكوفة". (نفسه، ج١، ص٤٦٧، مادة: (حير)).

(٤) الظعينة : هي المرأة . (نفسه، ج٣، ص١٥٧، مادة: (ظعن)).

(٥) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٣٠، ص١٩٦، ح١٨٢٦٠؛ وقال محقق سير أعلام النبلاء : "إسناده قوي"، مرجع سابق، ج٣، ص١٦٤.

يميلون إلى النظر إلى التحكم أو الضبط على أنه يكمن في مكان آخر، ويميلون إلى عزو نجاحهم أو فشلهم إلى قوى خارجية»[1].

وبرهنت دراسات علمية عربية وغربية على: «أنه كلما ارتفعت درجة الأفراد على مقياس التفاؤل كانت وجهة الضبط لديهم داخلية، وكلما ارتفعت درجة الأفراد فى مقياس التشاؤم كانت وجهة الضبط لديهم خارجية»[2]؛ لذا فالحديث عن مستقبل الإسلام يعد إسهامًا في بث التفاؤل في النفوس؛ ليثمر التأثير المشار إليه. فالعلم بأن المستقبل للإسلام والتفاؤل بذلك ورصد الجوانب الحسنة من واقع المجتمع، والنظر إلى الجوانب السيئة بأنها عَرَض سيزول، كل ذلك يبعث في نفس المسلم روح العمل الدؤوب للإسلام، ويُشعره بقدرته -بعد مشيئة الله تعالى- في الإسهام في صنع المستقبل الإسلامي. يقول جريشة : «إن كل فجور يحدث الآن في العالم الإسلامي يحدث له رد فعل أكبر منه قوة، وأدفع منه مضادة في الاتجاه»[3].

٢- كثر الداعون والعاملون لتحقيق مستقبل الإسلام، فمنهم من يرى أن مستقبل الإسلام لا يتحقق إلا بإعادة الخلافة الإسلامية؛ فصارت تعقد لذلك المؤتمرات المتواصلة. ومنهم من يرى أنه لا يتحقق إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية في شؤون الحياة. ومنهم من يرى أنه لا يقوم ولا يعود إلا بالجهاد وحده . ومنهم من يرى أنه يكون بالدعوة والتعليم والتربية. ومنهم من يراه في الوحدة الإسلامية . ومنهم من يراه بامتلاك أدوات التقدم التقني . ومنهم من يرى شيئًا من هذا، وذاك.

«والموضوع برمته، هو موضوع دعوات الإصلاح والتجديد، وما يسعى إليه المصلحون والغيورون على دينهم وأمتهم وأوطانهم، عبر التاريخ الإسلامي كله، بما فيه من مد وجزر، وتقدم وتراجع.

إن نجاح أي دعوة أو مصلح، وتأثيرها في النهوض بأمته ومجتمعه، مرتبط بالمنهاج الذي يرتفقه: فكرة وأسلوبًا، وما يحيط به من ظروف، وما يتوفر لديه من الوسائل والأسباب، وليس من شأن الداعية أو المصلح أن ينجح في عمله، ولكن من شأنه أن يبلغ ما يريد للناس، وأن يجد في الأخذ بكل سبب صالح متاح له، وفي سير الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام) مع

---

(١) إسماعيل، في "المجلة التربوية"، مرجع سابق، العدد٦٠، (صيف ٢٠٠١م)، ص٥٧-٥٨ .

(٢) المرجع نفسه، ص٦٢، ٦٨-٦٩، ٧٨.

(٣) قاله في أوائل هذا القرن الهجري، علي جريشة، "الأخطار التي تهدد الدعوة"، شريط سمعي.

أقوامهم وأممهم العبرة»[1].

وعندما نجري دراسات عن مستقبل الإسلام تتمحص لدينا الآراء والمناهج والطرق المؤدية لتحقيق مستقبل الإسلام، وما هو الأولى الذي ينبغي أن نركز عليه، وما هو دونه، وما يُبدؤ به، وما يأتي لاحقًا.

٣- رسم مستقبل الإسلام وبيان الأخطار المحدقة به من قبل نخبة العلماء في العالم الإسلامي، وبيان الخيارات المتاحة له، ومجالات العمل، والمطالبة بها بصدق وإخلاص، يَعني الإسهام في تفعيل مؤسسات الدول الإسلامية جميعها، الرسمية فيها والشعبية، سواء كانت المنظمات التي تجمعها، أو مؤسسات كل دولة على حدة، وهذا التفعيل من المرجح أنه كائن إن عاجلاً أو آجلاً، اختيارًا أو اضطرارًا، إذا استمر إصرارنا، وتوالت دراساتنا بصورة جماعية منتظمة. هذا إذا أُجريت بصورة مستقلة عن مؤسسات الدولة، أما إذا أجرتها بعض المؤسسات الرسمية للدولة فإنه يتأكد أكثر حصول التفعيل.

٤- عندما تُجرى دراسات مستقبلية عن مستقبل الإسلام، ويُرسم له عددًا من المشاهد، كطريقة الدراسات المستقبلية، ويكون من مشاهدها: مشهد (استمرار الأوضاع الحالية)، ثم نعمل على تحقيق مستقبل الإسلام من خلال هذا المشهد؛ فإنَّ هذا يُنشئ تفاعلاً جيدًا، من قِبَل العاملين للإسلام، فيجتهدون لتحقيق أحسن صورة ممكنة في هذا المشهد، باعتباره مشهد واقعي، يبتعد عن المثالية، التي تقود إلى الأحلام، والتمني، والقعود، والانصراف، والعجز، والقنوط، واليأس .

٥- إن دراسة القضايا المستقبلية للدعوة الإسلامية -وبخاصة الفكرية منها- تسهم في وضع تصور واضح لها، يتكون وينضج من خلال المناقشات والمراجعات، والتي تسهم بدورها برسم

(١) عبد الله بن عبد المحسن التركي، "ثوابت الماضي والحاضر والمستقبل"، في : وزارة المعارف، **كيف نقتحم متغيرات المستقبل من خلال ثوابت الماضي؟** سلسلة كتاب المعرفة، (٥)، الرياض، وزارة المعارف، ص٨٤.

طريقة العمل ووسائله؛ حتى إذا ما صار المستقبل حاضرًا، صار هذا الوقت وقت عمل لا وقت نظر[1]؛ وبهذا تحصل لنا أمور، منها :

أ – غلق باب المناقشات الانفعالية التي يذكيها كون القضية حاضرة، أو على الأقل الإقلال منها.

ب – كسب الوقت بالعمل لا بالنظر على حساب العمل.

ج – الإقلال من الخلافات وتعدد المناهج.

فعلى ذلك يبدأ العمل بقدَمٍ ثابتة لا تزعزعها أغاليط الناس، ولا يفت من عضدها نقد من لم يسبر أغوار القضية، فقد آمن أصحاب هذا العمل بمبدأ تم تمحيصه ومراجعته لسنوات، فليس هو مبدأً أتخذ ارتجالاً أو من مجرد عقد اجتماع أو مؤتمر.

٦– نقل المبشرات بمستقبل الإسلام إلى برامج عملية، فنخرج من الاتكال عليها والقعود عن العمل، وانتظار النصر دون جهد وإصلاح، إلى الجهد المثمر، والعمل البنَّاء. «ولو كان الحق يقوم بنفسه وينتشر بذاته، لأنه الحق، لما فرضت علينا الدعوة إليه، ولما كان ثم حاجة إلى الأنبياء والمرسلين، وورثتهم من العلماء العاملين والمرشدين الناصحين الداعين إلى الهدى ودين الحق»[2].

«إن المبشرات بانتصار الإسلام يجب أن تمنحنا وقودًا متجددًا، لمزيد من العطاء والعمل الذي تحتاج إليه أمتنا على كل صعيد»[3].

٧– لقد أصبح معدل التغير السريع لا يسمح للمجتمعات الإسلامية في تقويم حاضرها، والتخطيط لمستقبل إسلامي قابل للتطبيق[4]، فالحاجة إلى استشراف المستقبل أصبحت ضرورة من ضرورات التخطيط لمستقبل الإسلام والمجتمعات الإسلامية.

والتحكم «في المستقبل استشرافًا وتخطيطًا أسلم للإنسان والإنسانية من ولوج المستقبل صدامًا وكارثة»[5] . و«يؤمن دعاة التربية الأساسية أن كل عمل أو مشروع مادي لابد أن

---

(١) إلا النظر المراد منه متابعة سير العمل كما هو مرسوم له، ومدى تحقيقه للثمرة المرجوة منه.

(٢) محفوظ، مرجع سابق، ص١٤.

(٣) القرضاوي، **المبشرات بانتصار الإسلام**، مرجع سابق، ص١٠١.

(٤) Sardar, **Islamic futures**, Op. Cit., P. 4.

(٥) بريش، **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص١١.

يسبقه ويصاحبه ويتبعه تغيير في تفكير الناس، وفي الاتجاهات الفكرية والنفسية، حتى يمكن أن يكون العمل منتجًا إنتاجًا كاملاً »[1]، والدراسات المستقبلية وسيلة فاعلة في إحداث تغيير في تفكير الناس وتوجهاتهم . «ولا نعدم في عالمنا المعاصر، والجزء الإسلامي منه على الخصوص، من يسير السير العشوائي يخوض في مجالات الحياة بشكل تلقائي، ملتزمًا أسلوب الإدارة بالكوارث، ناقلاً عن غيره، مفتخرًا بماضيه، معرضًا عن واقعه، متفائلاً بحسن مستقبله، لا يستيقظ من سباته إلا بالكوارث، بل حتى الكوارث لا تكاد تؤثر في غيبوبته الفكرية واستقالته الحضارية، فهو قد اعتاد أن يقلب الهزيمة نصرًا، والكارثة خيرًا، فإن أتت على هلاك ٩٩ ٪ مما لديه، فإنه يعتبر نفسه في حل من كل محاسبة، ويستشعر الراحة التامة، لأن المصيبة لم تكن مائة بالمائة»[2] .

٨- الحديث عن مستقبل الإسلام، والتفاعل معه، ينقلنا من الركود، ومن تسلط الماضي علينا، إلى العمل والتحرك المستمر الفاعل لصالح مستقبل الإسلام ورفعة المسلمين، «فالمجتمعات الراكدة يغلب عليها التعلق بالماضي، وهذا التعلق الغالب يزيد بدوره في ركودها. وكذا شأن المجتمعات المتحركة التي تتسم بالحس المستقبلي، فإن هذا الحس يعمل من جهته في تقوية حركيتها»[3]، فالمجتمعات ترتبط من حيث جمودها وتحركها بنظرتها الزمنية التاريخية، ارتباط فعل وانفعال في آن[4]، «فكلما أمعن مجتمع في ركوده قوي تسلط الماضي عليه، وبالعكس، وكلما حميت ديناميته احتدّ تشوفه إلى المستقبل، وبالعكس كذلك»[5]. إن الإنسان الفاعل تتجاذبه اهتمامات الحاضر، وآمال المستقبل، وذكريات الماضي؛ وكلما كان هذا التفاعل نيرًا إيجابيًّا مثمرًا، ارتقى الإنسان بصورة إيجابية، فلا غرق في الماضي يشل النشاط والحيوية، ولا غرق في الحاضر يضيق مجال النظر ويعمي عن أصول الأشياء وعللها، ولا غرق في المستقبل تضيع فيه الحقيقة في أعماق الأحلام الخادعة، بل يخرج منها جميعًا بأفضل النتائج، وأخصب

---

(١) محمد محمد حسين، **حصوننا مهددة من الداخل**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ)، ص٢٠؛ نقلاً عن: حامد عمار، بحث مقدم لمؤتمر عُقد في الجامعة الأمريكية في بيروت، وطبعت أبحاث المؤتمر عام (١٩٥٦م)، ص٨٥.

(٢) بريش، **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص١٠-١١.

(٣) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٢٢.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٢-٢٣.

(٥) نفسه، ص٣٨.

الثمار[1]. و«إذا كان الدعاة إلى العلمانية أو إلى "التقدمية" يكادون يلغون النظرة إلى الماضي، فإن من الدعاة الإسلاميين فئة يكادون يلغون النظرة إلى المستقبل، ويعيشون متقوقعين على الماضي، واجترار ما فيه، والدوران في ساقيته، دون اهتمام كاف بمشكلات اليوم، وتطلعات الغد، شعارهم: ما ترك الأول للآخر شيئاً! وليس في الإمكان أبدع مما كان!. والواجب يفرض علينا أن نكون عدولاً بين أمسنا ويومنا وغدنا، فنقتبس من الأمس ونعمل لليوم، ونستعد للغد، وهو ما يؤمن به تيار الوسطية الإسلامية. وقد قص علينا القرآن الكريم من أنباء الرسل والصالحين ما فيه عبرة لأولي الألباب، في مواجهة احتمالات المستقبل، وتقلبات الأيام»[2].

و«إذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سَكَنَ سكن المجتمع والتاريخ»[3].

وإذا أصبح المستقبل الإسلامي همًّا للمسلمين، كان له نصيب من تفكير كثير من المؤسسات العلمية والتعليمية، وظهرت ملامح هذا الهم على المنهج، والكتاب، والمؤلف، والمحاضر، والطالب، والمناشط العلمية والثقافية، وموضوعات الرسائل العلمية؛ لتصبح أدلة عمل لدراسة مشكلة الأمة، ووضع سبل النهوض بها[4].

فتحقيق الفاعلية في الأمة مهم لبدء صنع المستقبل الإسلامي، وبذل الجهد المطلوب، وتسخير الإمكنات المتاحة؛ ويسهم في ذلك -إسهاماً قوياً- القيام بدراسات عن مستقبل الإسلام.

٩- يتحدث كثير من الباحثين عن أن الحضارة الغربية أصبحت عاجزة عن تلبية احتياجات الإنسان، وهي آيلة إلى السقوط، وسيكون الإسلام البديل الصالح لها، فيتولى قيادة الحضارة[5]؛ وفي المقابل تشير الدراسات المستقبلية الغربية عندما تتحدث عن احتمال سقوط الأنظمة السياسية المسيطرة في العالم خلال هذه العقود، إلى أن الزعامة ستنتقل إلى إحدى

---

(١) زريق، **نحن والتاريخ**، مرجع سابق، ص ١٦١.

(٢) القرضاوي، "الإطار العام للصحوة الإسلامية المعاصرة"، في سعد الدين، **الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي**، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٣) مالك بن نبي، **تأملات**، (لبنان، دار الفكر، ١٣٩٩هـ)، ص ١٢٥.

(٤) عمر عبيد حسنه، **من فقه التغيير : ملامح من المنهج النبوي**، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١٥هـ)، ص٩.

(٥) من أمثلة ذلك: أنور الجندي، **مستقبل الإسلام بعد سقوط الشيوعية**، ط٢، (جدة، دار العمير، ١٤١٢هـ)، ص١٣٥؛ والقرضاوي، **المبشرات بانتصار الإسلام**، مرجع سابق، ص٩١؛ وغيرهما كثير .

وجهتين : إلى أوروبا الموحدة، أو إلى أقصى الشرق بصورة اتحاد محتمل بين اليابان ومجموعة دول في محيطه[1]؛ ويُهمل الاحتمال الإسلامي.

وشريعة الإسلام وإن كانت أصلح للناس، وفيها الحل لجميع مشاكلهم، وهم بحاجة إليها، وإن أثنى عليها باحثو الغرب، وإن اعتنقها بعضهم، لن تقود البشرية ما لم يهب أهلها وينبروا لهذه المهمة، وإلا فلن تقوم وحدها، وإذا سقطت الحضارة الغربية أو القيادة الأمريكية، فإن الانتقال يكون لمن هو مؤهل له، ومستعد لتسلم زمامه، وليس بالضرورة أن يكون المسلمين ما دام أنهم غير مؤهلين، بل تنتقل إلى غيرهم، كما أن القيادة في الزمن الماضي القريب لم تنتقل من أوروبا إلى العالم الإسلامي، بل انتقلت إلى أمريكا، فإنها إنْ انتقلت من أمريكا قد تعود إلى أوروبا، أو تنتقل إلى غيرها، وهذا الانتقال لا يخدم العالَم، ولا ينقذه، «فما دام المجداف واحد فلا فرق بين يمينه وشماله، وليست بريطانيا وأمريكا وروسيا إلا أيدي رجل واحد تتداول دفة الحياة، وتتناوب تجديف السفينة على خط واحد إلى جهة واحدة. إن التحول المؤثر الواضح هو تحول القيادة من أوروبا -بالمعنى الواسع الذي يشمل بريطانيا وأمريكا وروسيا ومن كان على شاكلتها من الأمم الآسيوية والشرقية- التي تقودها المادية والجاهلية، إلى العالم الإسلامي الذي يقوده سيدنا ﷺ برسالته الخالدة ودينه الحكيم . هذا هو التحول الذي يغير وجه التاريخ، ويحول مجرى الأمور وينقذ العالم من الساعة الرهيبة التي ترقبه»[2].

فمن المهم إذن أن نتلمس أسباب الاستحقاق، وأن نرتفع لنكون في مستوى الدين؛ فتكون لنا أهلية حقيقية لقيادة العالم.

١٠- رغبة المسلمين بالمستقبل، وجهلهم -إجمالاً- بالطريق الموصلة إليه، فإنَّ «أهم مسألة تستقطب عقول المسلمين اليوم في العالم كله هي مسألة البعث الإسلامي من جديد، ولكن لو رأينا ما اتخذوا من مناهج لاستعادة المجد الغابر لعرفنا أن لدى المسلمين تطلعًا غامضًا منغرسًا في قلوبهم، ولكن ليست لديهم الطرق المرسومة المدروسة لاسترجاع الماضي وتحويله إلى حقيقة واقعة في الحاضر.. ويفتقرون إلى التوعية الصحيحة الواضحة»[3]، وقد أثبت تاريخ الفرد المسلم

---

(١) أتالي، مرجع سابق، ص٦٦-٧٠ .

(٢) أبو الحسن الندوي، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟** ط٨، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ)، ص٢٦٢.

(٣) خان، مرجع سابق، ص ٥٧.

المعاصر «من خلال جهاده وكفاحه، ومن خلال عدم جنيه مرارًا لثمار ذلك الجهد والكفاح، أنه إن كان يتقن ويتحمل عملية الفداء، فإنه لا يحسن ولا يطيق عملية البناء»[1].

لقد تحقق المجتمع الإسلامي المنشود في زمن النبي ﷺ، واكتملت إنجازاته في (٢٣) سنة فقط، وذهب ضحيته (١٠١٨) شخص فقط: (٢٥٩) من المسلمين، و(٧٥٩) من المشركين[2]؛ «لقد قتل ألف شخص في الحركة الإسلامية الأولى قبل أربعة عشر قرنًا وانتشرت هذه الحركة مشرّقة ومغرِّبة على وجه الأرض وغيرت مجرى التاريخ وتأثر بها العالم قاطبة ولا يزال متأثرًا بها على مر العصور.. ولكن الحركات الإسلامية التي أثيرت في العصر الحديث قتل فيها مائة مليون مسلم تقريبًا ولكن لم تخرج إلى حيز الوجود قطعة من الأرض حيث يمكن لنا أن نشاهد فيها الثورة الإسلامية الحقيقية ناجحة ومجدية»[3]. وليس هدف هذه الدراسة بحث هذه المشكلة، وإنما هذا يَعني عددًا من الأمور، منها ما يأتي:

أ- هذه النتائج تحتم علينا ألا نخوض المستقبل إلا بتخطيط رصين، يقوم على مناهج استشراف المستقبل وأساليبه.

ب- أن التاريخ الإسلامي الحديث مليء بالتجارب التي يمكن الاستفادة منها في استبصار المستقبل بوضوح عند التخطيط له، ولا نحتاج إلى التجريب من جديد.

ج- أن التاريخ الإسلامي العام مليء بالتجارب التي يمكن الإفادة منها في بناء مستقبل الإسلام، فننظر «إلى الفترات التي استقامت فيها هذه الأمة على الإسلام، كي تكون منارة تهدينا في دنيانا وأخرانا، ولنسير في حياتنا على ذلك النهج كما هو الحال في عهد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وعهد الخلفاء الراشدين وغيرهم من الحكام المسلمين الذين استقاموا وحكموا بالإسلام، ونريد أن ندرس فترات الضعف والوهن والبعد عن الإسلام، وكيف جرت سنة الله في هذه الأمة حيث طمع فيها أعداؤها، فدمرت الحضارة الإسلامية على يد التتار، ثم كانت هجمات الصليبيين، ثم ضياع الأندلس، ثم زوال الخلافة الإسلامية، واحتلال الكفرة ديار الإسلام، وتقسيم دوله وتجزئتها، ثم احتلال الأرض المباركة فلسطين من قبل أعداء الله

---

(١) بريش، **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص ١٦ — ١٧.

(٢) خان، مرجع سابق، ص١١٨-١١٩.

(٣) المرجع نفسه، ص١٢٠.

اليهود . إن هذه الأحداث لها مسبباتها، فلم تكن هكذا بدون سبب، والفكر الثاقب هو الذي يغوص في باطن الأحداث، ويتعرف على عللهاوأسبابها»[1].

فإذا كان «الشغل الشاغل للدعاة المسلمين في المشارق والمغارب هو أن يستعيد المسلمون أمجادهم، وأن يعودوا -كما أراد الله- خير أمة أخرجت للناس»[2]، فإن «البعث الإسلامي الجديد يقتضي منا الآن (العقل المفكر) و(التخطيط الصائب) و(العمل الجاد) وليس الأعمال التافهة ولا مجرد الآمال العريضة والأماني الفارغة»[3]. وفي الحديث عن مستقبل الإسلام تعريفٌ بضخامة البناء، واتساع المشروع، ووعورة المسلك، وكثرة الصعاب؛ وهذا التعريف يعطينا إحساساً بحجم المشروع الإسلامي، وأنه يحتاج إلى وقت مديد ليقوم ثم يكتمل؛ فيرتفع عنَّا استعجال النتائج، فنسير وفق خطى متزنة، هادئة، على خط مرسوم واضح؛ فنأتي الأمور من أبوابها وإن كانت الطريق إليها طويلة .

وإنَّ قيام مشروع دراسات مستقبلية إسلامية، يتجاوز مسألة البحوث النظرية، إلى إيجاد تفاعل مثمر بين المهتمين ببناء مستقبل الأمة، ومعرفة مدى استعدادهم للمشاركة في البناء، والتعرف على حجم العمل الذي سيناط بهم، وتثبيت وسائل للتعاون بينهم كلٌّ في مجاله، فليست الدراسات المستقبلية محاولة للتعرف على مشاهد المستقبل فحسب، بل ولمعرفة قدراتنا تجاهه، ومدى استعدادنا لصنعه .

---

(١) الأشقر، **محاضرات إسلامية هادفة**، مرجع سابق، ص٨٩.

(٢) السيد رزق الطويل، **لكي تعود خير أمة**، (القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، د.ت)، ص٣.

(٣) خان، مرجع سابق، ص٨.

المبحث الثاني

أسس في بناء مستقبل الإسلام

المطلب الأول : أسس تشريعية وفقهية :

١-مستقبل الإسلام لن يكون على غير كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وكل من حاول أن يبنيه على غيرهما فقد ضل السبيل، وكان بنيانه على شفا جرف هار، قال تعالى : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ ﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾[٦]. وقال ﷺ : «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»[٧]. وقال عمر رضي الله عنه : "كنتم أقل الناس فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله تعالى"[٨].

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٣-٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٣) سورة النور، الآية: ٥٤.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ١٢٠.

(٥) سورة آل عمران، من الآية: ٧٣.

(٦) سورة الإسراء، من الآية: ٩.

(٧) مالك، **الموطأ**، مرجع سابق، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، ج٢، ص٦٨٦؛ وحسنه الألباني، **مشكاة المصابيح**، مرجع سابق، ج١، ص٦٦، ح١٨٦، حاشية١.

(٨) الحاكم، مرجع سابق، كتاب معرفة الصحابة، ج٣، ص٨٨، أثر٤٤٨١.

«فلا تفلح أمة مهما أوتيت من الحول والطَّول والذكاء والوسائل، ومهما تقدم الزمان وتقدمت الحضارة وتنوعت الفلسفات وتغيرت الأحوال، إلا باتباع هذا النبي والحب له والانتصار لدعوته، رضيت بذلك أم أبت، وكل أمة تحاول أن تنال العزة والسؤدد والكرامة والقوة الحقيقية عن غير هذا الطريق، معتمدة على سياستها الحكيمة، أو الانضمام إلى معسكر من المعسكرات القوية، فلن يكون ذلك، وليس عاقبتها إلا الذل والهوان والإخفاق الذريع والانشقاق الداخلي والخيبة عاجلاً أو آجلاً»[1]. «وعندما ضعفت صلة المسلمين بالله عز وجل، وتقطعت حبالهم بالله، ووجهوا وجوههم إلى غير الله في هذا العصر، فمرة إلى روسيا، ومرة أمريكا، ومرة إلى هيئة الأمم، ومرة مجلس الأمن، ومرة مجموعة السوق الأوروبية... [2]توالت عليهم الهزائم، ونال أعداؤهم منهم مرادهم، وهزموهم وأذلوهم»[3].

«إن المشروع الحضاري الذي نتطلع إليه هو الذي ينطلق في أسسه وركائزه، في أصوله وفروعه، في ثوابته ومتغيراته، في مقاصده وأهدافه، في نظمه وقوانينه من الإسلام... ومن يفهم الإسلام فهمًا حضاريًا سليمًا يكتشف قدرته الفعالة على الإصلاح والتغيير والإحياء والتجديد، من خلال أحكامه وآدابه وعقائده وتعاليمه وقيمه ومبادئه. وقد برهنت التجربة الزمنية على فشل الخيارات والبدائل والمناهج والمشاريع غير الإسلامية، التي جربها العالم العربي والإسلامي خلال القرن الأخير، فلم يتحقق التقدم الاجتماعي ولا التنمية الاقتصادية ولا التطور السياسي ولا الارتقاء العلمي. وما حصل يبعث على الإحباط، والقلق الشديد في مواجهة المستقبل بالشكل الذي يرضي أو يعبر عن الطموح أو يبعث على بعض الأمل»[4].

«إن الشجرة الحقيقية تنمو ببذورها ولا تنمو ببذور غيرها»[5]؛ فينبغي ألا نربط مستقبلنا ومصيرنا بأمة أو شعب، بل بدين الله سبحانه، فإنْ كَفَر الناس جميعًا لم يسعنا الكفر، ولم يجز لنا التقليد، وقد عاهدنا الله تعالى أن نثبت على دينه[6].

---

(١) أبو الحسن الندوي، **النبوة والأنبياء في ضوء القرآن**، مرجع سابق، ص٦٨-٦٩.

(٢) النقط في المرجع.

(٣) الأشقر، **محاضرات إسلامية هادفة**، مرجع سابق، ص٧٧.

(٤) الميلاد، مرجع سابق، ص٩٦.

(٥) خان، مرجع سابق، ص٥٦.

(٦) أبو الحسن الندوي، **العرب والإسلام**، مرجع سابق، ص١٠٢.

إن المنهج الإسلامي بنفسه يمتلك مقومات الصلاح والنجاح، فمن الخطأ الفادح أن نُخضع مستقبل المسلمين للتجارب الجديدة، البعيدة عن شريعته؛ وإذا حصل هذا -لا قدَّره الله- فإنه سينال الجيل الحاضر والقادم من الشعوب الإسلامية ضنك في العيش، وبؤس في الحياة؛ لقد كانت ثمرة التجربة الشيوعية، التي أوهمت شعوبها برخاء العيش، في المساواة المالية بين أفراد المجتمع، أن دقّت الشعوب من الفقر دقًّا، فراح مئات الملايين منهم يستجدون ولا يجدون، وكان داؤهم في دوائهم؛ حيث أرادوا من الشيوعية أن توفر لهم العيش الرغيد، والأمة المتماسكة، فكان ذلك سراب ووهم كبير.

٢-التواضع لله تعالى، والتعلق به في تحقيق الآمال، في حال القوة والضعف، في حال التمكين والاضطهاد، وذلك ليس مختصًّا بأفراد الأمة دون مؤسساتها، ولا بعامتها دون قادتها، يقول أبو الحسن الندوي: "ليست كلمة «إن شاء الله» والوصية بالتكلم بها محدودة في الأعمال الفردية ... وليس الفرد هو المخاطب الوحيد بقوله: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[1]، بل المجتمعات، والحكومات، والمنظمات، والمؤسسات كلُّها معنية مكلَّفة بها"[2]. وقال شعيب عليه السلام : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[3].

٣-الوصول إلى التطبيق الكامل للشريعة الإسلامية في بلدان المسلمين، أمر مهم لإقامة بناء المستقبل الإسلامي؛ لأن الشريعة الإسلامية -كما يقول زيدان- : هي الوحيدة التي تتحقق فيها المعاني التي تتطلع إليها الأمة مستقبلاً، وهي جزء من ضميرها ومرآة لآمالها، وضماناً لعقيدتها ومصالحها، ومستقرًا لتقاليدها، ومثلها العليا، وأفكارها في الحياة[4].

٤-من المهم جدًا أن نحافظ على شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بمؤسستها الرسمية، وبأفعالنا التطوعية؛ لأنها قوى أمن السفينة، ومن المهم أن نصبغ رسالتها بالعالمية؛ لأن المنكر أصبح عالميًّا، وينالنا شرُّه، فكما وصلت منكراتهم إلينا، فيجب أن يصل إنكارنا إليهم.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٣ ومن الآية: ٢٤.

(٢) **الصراع بين الإيمان والمادية: تأملات في سورة الكهف**، مرجع سابق، ص٧٨.

(٣) سورة هود، من الآية: ٨٨.

(٤) زيدان، **المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية**، مرجع سابق، ص٧.

٥-التزام الأصالة والمعاصَرة، والتخلص من مظاهر الجمود المخالفة لحقيقة الإسلام، فالجمود سبب في إعاقة العمل للإسلام في ظل عالم نام متطور؛ لذا من المهم أن يصحح ما علق بالأذهان من مظاهر وتصرفات وعادات ألصقت بالإسلام، وهو أشمل منها، ورحابه أوسع.

ينبغي في بناء المستقبل الإسلامي ألا نكون كالطبيب الذي يرفض مبدأ نقل الدم من السليم إلى المريض المحتاج إليه، بل نكون كالطبيب الحاذق الذي يرى أهمية نقل الدم، ولكنه يتأكد من ملاءمته للفصيلة التي يراد نقله إليها، ويتأكد من سلامته من أنواع الأمراض المعدية، وخلوه من التلوث والفساد؛ وهذا مَثلٌ لأهمية استفادتنا من كافة العلوم والتقنيات العصرية، ونقلها بصورة تسمح لنا باستخدامها، في ضوء ضوابط الإسلام.

والجمع بين الأصالة والمعاصرة ممكن في الإسلام، وإنما تتعارضان «إذا فُهمت الأصالة على أنها الاحتباس الاختياري في سجن الماضي، والمعاصرة على أنها الدوران في رحى الغرب. لهذا يجب أن نتفق على رفض اتجاهين متطرفين:

الاتجاه الأول: الذي ينتهي بالأصالة إلى الجمود والتحجر، ورفض كل جديد، ومقاومة التجديد في الدين، والاجتهاد في الفقه، والإبداع في الأدب، والابتكار في فنون الحضارة، وإبقاء كل قديم على قدمه. والتسوية بين وحي الله تعالى وأفكار المسلمين، وإضفاء القداسة على تراث السابقين كله، ومعاداة كل نزعة إلى تطوير الحياة والمجتمع، وإن كانت على أسس إسلامية، وحظر الاقتباس من الآخرين، ولو كان نافعًا للمسلمين، غير مخالف لشريعتهم.

الاتجاه الثاني: اتجاه الذين ينحون بالمعاصرة نحو الفناء في الغرب، واتباع سننه «شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه»، ولا يكتفون بأخذ العلم والتكنولوجيا وحسن الإدارة والتنظيم منه، واقتباس كل ما تنهض به الحياة مما لا يتعارض مع ديننا وقيمنا وشريعتنا، بل هم يصرون على نقل الأنموذج الغربي إلينا بكل عناصره ومقوماته، وبخاصة جذوره الفلسفية، ومفاهيمه الفكرية، ومجالاته الأدبية، وتقاليده الاجتماعية، وقوانينه التشريعية، ومؤثراته الثقافية.

إن كِلا الاتجاهين مرفوض، فأولهما يمثل الإفراط، والآخر يمثل التفريط، ولا خير في واحد منهما، إنما الخير في التوسط والتوازن»[1].

---

(١) القرضاوي، **الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة**، مرجع سابق، ص١٨٨.

وقد واجه تأسيس المملكة العربية السعودية أنواعًا من مظاهر الجمود، تغلب عليها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وما تزال بعض هذه المظاهر حتى هذا الزمان في قِلة من الناس؛ فظهر في زمن الملك عبد العزيز من يعارض إدخال الهاتف والبرق إلى الجزيرة العربية، والدَّراجات -وسموها: عربة الشيطان، أو حصان إبليس- وادَّعوا أنها تسير بقوة السحر وعمل الشيطان، ومثله الهاتف فإن الكلام لا ينتقل منه إلا بقرابين تُقدَّم للشياطين، وأنكروا اقتناء الساعة المنبهة، وعدّوها من عمل الشيطان، ولما جمعهم الملك عبد العزيز في الرياض في رجب عام (١٣٤٥هـ)، وناقشهم في هذه المسائل ونحوها، عادوا إلى الصواب، وقالوا في مسألة (البرق): إن هذا حادث لا نعلمه فيمن سبق، فتوقفنا في مسألته، ولا نقول على الله ورسوله بغير علم، والجزم بالإباحة والتحريم يحتاج إلى الوقوف على حقيقته، ثم بعد بضع سنوات عارضوا تدريس مادة الجغرافيا؛ لتضمنها القول: بكروية الأرض ودورانها[١].

إنَّ «من أكبر عوامل انحطاط المسلمين الجمود على القديم فكما أن آفة الإسلام هي الفئة التي تريد أن تلغي كل شيء قديم بدون نظر فيما هو ضار منه أو نافع، كذلك آفة الإسلام هي الفئة الجامدة التي لا تريد أن تغير شيئًا، ولا ترضى بإدخال أقل تعديل... فقد أضاع الإسلام جاحد وجامد»[٢].

وإنَّ مستقبل الإسلام لا يصلح أن يعيقه ويؤخره، كوننا لا نعلم من مستجدات العصر حُكمًا ناصًّا عليها من الذين سبقوا، و«الذين يفهمون الإسلام حق الفهم يرحبون بكل جديد لا يعارض العقيدة، ولا تخشى منه مفسدة»[٣] .

و«المشروع الحضاري الإسلامي من شروطه أن يكون معاصرًا، بمعنى أن يكون مستوعبًا للعصر وحاجاته ومتطلباته... والمشروع الحضاري لكي يكون معاصرًا عليه أن يكون منفتحًا لا منغلقًا، اجتهاديًا لا تقليديًا، شوريًا لا آحاديًا، متحركًا لا ساكنًا... ومن شروط المعاصرة الاهتمام باستشراف المستقبل»[٤].

---

(١) ينظر: عبد المتعال الصعيدي، **المجددون في الإسلام: من القرن الأول إلى الرابع عشر**، (القاهرة، مكتبة الآداب، د.ت)، ص٥٦٧-٥٧٠، ٥٧٣.

(٢) أرسلان، مرجع سابق، ص٨٥.

(٣) المرجع نفسه، ص١٠٩-١١٠.

(٤) الميلاد، مرجع سابق، ص٩٦-٩٧.

« إن أصالتنا الإسلامية هي التي تهيئ لنا أفضل مناخ نفسي وعقلي، يمكن أن تزدهر فيه نهضة علمية تكنولوجية راسخة، يقوم عليها مجتمع يرى هذه النهضة عبادة وفريضة وضرورة. وهذا المناخ هو الذي ترعرعت في ظلاله حضارتنا العربية الإسلامية، التي مزجت بين الدين والدنيا، وجمعت بين العلم والإيمان، ووصلت الإبداع المادي بالسمو الروحي والخُلُقي.

وهذا ما يجب أن نحرص عليه حين نسعى للحصول على علم العصر وتكنولوجيا العصر: أن نربط ذلك بقيم الإيمان والدين والأخلاق، حتى لا يكون العلم معول دمار، بل أداة عمار، وألا يعين الإنسان على عمارة دنياه بخراب آخرته، وإشباع شهواته البهيمية، بجوع روحه الإنسانية»[١].

وتُعد الدراسات المستقبلية وسيلة فاعلة في معالجة حالات الجمود، واللحاق بركب المعاصَرة المنضبطة المحافِظة .

٦-مستقبل الإسلام لا يكون على أيدي أعدائه من أصحاب الفرق الضالة والمذاهب المنحرفة، ويخطئ من يظن أن مستقبل الإسلام يمكن أن يتحقق على أيديهم، فعندما قامت الثورة الإيرانية وحكم الخميني إيران، مجّدها بعض المسلمين[٢]، وعلّق عليها آمالاً عريضة بأنها ستحقق مستقبلاً مشرقاً للمسلمين، ومثل هذه الآمال عُلقت أيضًا على حزب البعث العراقي، والحقيقة : أن الفرق والمذاهب الضالة لا يمكن أن تحقق مستقبل الإسلام؛ لأن أساسها باطل، وما بُني على باطل فلن يحقق نصرًا للإسلام الحق. بل إن ضررها أشد على المسلمين من ضرر الكافرين المعادين للإسلام وأهله .

٧-«هناك حاجة ماسة إلى تطوير العلاقة بين القوى الشعبية والأنظمة الحاكمة في البلاد الإسلامية، وإلى تطوير وسائل الحوار وأساليبه بينها، وتجاوز مرحلة التجاهل والتصادم والصراع التي لم يستفد ولن يستفيد منها إلا أعداء الأمة»[٣].

(١) القرضاوي، **الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة**، مرجع سابق، ص١١٧-١١٨.

(٢) مثل: الوزير، مرجع سابق، ص٢٦، الحاشية .

(٣) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٢٩٦؛ نقلاً عن توصية من توصيات ندوة قضايا المستقبل الإسلامي، الجزائر، (شوال/ ١٤١٠هـ)، مركز دراسات المستقبل الإسلامي، لندن.

٨-صناعة المستقبل الإسلامي تتطلب العناية بكافة المجالات الرئيسة لقيام المجتمعات، كالمجال الديني، والسياسي، والاقتصادي، والتربوي، والعلمي، والاجتماعي، والعسكري، والإعلامي، والإداري، وعدم قصر الاهتمام في جوانب محددة.

ومن ينظر في الأحداث المعاصرة، سياسية كانت، أو اقتصادية، أو اجتماعية، أو ثقافية، أو غيرها، يلحظ أنها تؤثر على سير الدعوة الإسلامية سلبًا أو إيجابًا، حسب نوع الحدث ودرجته، فنواحي الحياة أصبحت مشتبكة مترابطة يؤثر بعضها في بعض؛ لذا فإن الدعوة لا يمكن أن تنأى بنفسها عن مجريات الأحداث، وتنعزل عما يدور حولها، ولا يمكن أن تُقيم مستقبلها منكفئة على ذاتها دون اهتمام بكافة المجالات.

ومَن يتأمل السيرة النبوية بعد الهجرة إلى فتح مكة، يدرك أن دولة الإسلام في المدينة لم تقم على الإيمان فقط، بل قامت عليه، وعلى السياسة الشرعية، والتنظيمات الاجتماعية، والتدابير الاقتصادية، والتربية، والتعليم، والدعوة، والعبادة، والإعداد العسكري، والجهاد؛ وهذا التأمل جدير بالعناية؛ إذ قد تنطلق فئة من المسلمين للإصلاح من جانب واحد، مُغفلين الجوانب الأخرى، فلا يتحقق لهم ما أرادوا؛ لأن عنصر التكامل بين جميع الجوانب مهم جدًا في نجاح البناء والتكوين والإصلاح.

وذلك "يقتضي معرفة القدرات والإمكانيات المستطاعة، وتقدير القوة اللازمة، واحتمالات التفاعل والمواجهة، وكل ذلك أمر يتعلق بدراسة بدائل المستقبل، واستشراف شكله وأبعاده، وتحديد المسارات التي تؤدي إلى أحسن تجلياته"(١) . ومن الخطأ ما يذهب إليه البعض من الظن بأن "الإصلاح لا يأتي إلا من إصلاح الحكم فقط فيجعل همه ذلك ويحطم كل إصلاح قبل هذا وهذا خطأ فاحش، وآخر يظن الإصلاح إنما هو إزالة بدعة ما، أو منكر ما، فيدعو لذلك، ويسفه أحلام من دعا إلى غير ذلك بل قد يحول دعوته من غايتها الجزئية إلى تحطيم من يخالفونه الرأي ويختلف معه في الطريقة...

إن الدعوة لبعث الأمة وإحيائها يجب أن تكون في كل نواحي حياتها... والذي يملك الشمول هم الحكام -هداهم الله- ولا يجوز بتاتًا أن يهدم مصلحٌ عمل آخر بل يجب أن يتم البناء في جميع النواحي دون هدمٍ من بعضنا البعض"(٢).

---

(١) بريش، **المنهج في استشراف المستقبل**، مرجع سابق، ص١٠.

(٢) عبد الخالق، مرجع سابق، ص١١٦-١١٧.

ومن يريد مستقبلاً للإسلام عبر الإتيان بحلول جزئية، فيأخذ بعض شريعة الإسلام ويترك بعضها، وباستطاعته أن يأخذ أكثر مما أخذ فقد ظل السبيل، ومستقبل الإسلام لا يتحقق بذلك، فلا بد من أخذ شريعة الإسلام بكليتها، فإنه لَمَّا عَرَضَ الرسول ﷺ نفسه -في موسم الحج- على قبيلة (شيبان بن ثعلبة) ودار الحوار بين الرسول ﷺ وبين أكثر مِن واحدٍ منهم، وعَرَضَ عليه أحدهم أن ينصروا الرسول ﷺ في حدود معينة من جزيرة العرب لا يتجاوزونها، فقال الرسول ﷺ: «إنَّ دِينَ اللهِ عز وجل لن يَنصُره إلا مَن حَاطَهُ مِن جَمِيعِ جَوَانِبِه»[1]. ومن يرى أخذ الشريعة الإسلامية تدرجًا، حتى نصل إلى التطبيق المطلوب، فهذا ممكن بشرط أن يرى الراسخون في العلم أن التدرج مطلب ضروري، أما أن يكون ذلك بالأهواء فهذا ضد المستقبل.

فمستقبل الإسلام لن يكون إلا بالتكامل، والإتيان بأهم المجالات المحققة له، وقد يكون من المهم التركيز على مجالٍ أكثر من غيره؛ لحاجة الوقت إليه، أو لعظيم أثره، وحميد عاقبته.

ومن هنا ينبغي على طائفة من الدعاة والمختصين أن يكونوا بصيرين بمجريات الأحداث جميعها، وأن يكون لهم تأثير في مجرياتها؛ للتقليل من مصادر العوامل السلبية على الدعوة، ودعم المصادر الإيجابية وتكثيرها، وأن يكون منهجهم في ذلك هو الرجوع إلى العلماء الراسخين في العلم، بمشورتهم والصدور عن رأيهم.

٩-لكل مستقبل شروطه، وإذا كان الإسلام يريد أن يكون سائدًا، فلابد من الإتيان بشروط السيادة، ومنها ما هو واضح يعرفه كثير من الناس، ومنها ما يتضح من خلال استطلاع آراء العلماء والمختصين والمجربين؛ أما أن يتحقق مستقبل الإسلام على طبق من ذهب، دون بذل، وجهد، وجهاد، وتضحية، فهذا غير ممكن، قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[3]، وقال الله

---

(١) البيهقي، **دلائل النبوة**، مرجع سابق، ج٢، ص٤٢٦؛ وحسن إسناده ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٧، ص٢٦١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦.

تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[١].

وليس المقصود أن نتعرَّض للابتلاء لتحقيق مستقبل الإسلام، لكن عند السعي والإتيان بشروط مستقبله، يأتي الابتلاء معها.

١٠-مستقبل الإسلام لن يكون إلا بتوفيق الله تعالى، على وفق سنن الله الكونية، «فإذا ما عرفنا السنة، وجب علينا أن نهيئ الشروط اللازمة لها، إن كنا حقًّا نريد إنجاز العمل المطلوب»[٢]؛ وهذا يحتم علينا أن نسير في الأرض، وننظر كيف سارت حياة الأمم التي سبقتنا، فنعتبر بها، ونأخذ السنن التي تعيننا على أداء أمانة الاستخلاف، وأن نتعامل مع الوجود من حولنا تعاملاً واقعيًا يراعي سنن الله في هذا الوجود[٣].

«إننا من غير فهم هذه السنن، ومعرفة شروطها، وأحكامها، لا نستطيع أن نسخرها على الوجه الصحيح»[٤].

١١-مما يعوق -نفسيًّا- عن العمل، والسعي لتحقيق مستقبل الإسلام: أننا نريد تحقيق المستقبل المثالي، ونطلبه وفق خطوات مختصرة، سريعة. فهل المثالية مطلوبة في تحقيق مستقبل الإسلام ؟

من ينظر إلى دعوة الرسول ﷺ في مكة، ودعوته في المدينة، يدرك أن دعوته في مكة لم تكن مرتكزة على المثالية، والتي فيها يطالبهم بتحقيق كل ما يريده الإسلام منهم؛ بينما كانت دعوته ﷺ في المدينة طلبًا للمثالية، بتركيز عليها، ومطالبة بها حسب القدرة والاستطاعة، روى أبو هريرة رضي الله عنه -وهو ممن أسلم متأخرًا بعد الهجرة- أن رسول الله ﷺ قال : «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ قَالَ أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه : أَنَا. قَالَ فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ قَالَ أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه : أَنَا. قَالَ فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ قَالَ أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه : أَنَا. قَالَ فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ قَالَ أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٥].

---

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ١-٣.

(٢) أحمد كنعان، مرجع سابق، ص١٦٩.

(٣) المرجع نفسه، ص١٧٢-١٧٣.

(٤) نفسه، ص٥٤.

(٥) مسلم، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، ج٢، ص٧١٣، ح١٠٢٨.

فكذلك الحال في زمن ضعف المسلمين، وتكالب الأعداء عليهم، وهيمنتهم، وسيطرتهم، تكون المطالبة بالمثالية من الأمور العائقة عن العمل الصحيح لمستقبل الإسلام. فالمطالبة بإعادة الخلافة الإسلامية، وعقد المؤتمرات والندوات -على المستوى الشعبي- يعدُّ أمرًا مثاليًا، مهدرًا للطاقات والجهود، وقائدًا إلى اليأس والقنوط؛ فينبغي البعد عن المثالية النظرية، والتزام النظرة الواقعية العملية، والعمل بالتدرج، والمرحلية .

١٢-الوحدة الإسلامية مهمة في بناء مستقبل الإسلام والمسلمين، ولا يجادِل أحد في أن الوحدة الإسلامية إذا تحققت وفق أسس سليمة فإنها مكسب رئيس في تحقيق مستقبل الإسلام، لكنها ليست الأساس الوحيد، ولا الأول، ومما يدل على أهميتها قول الله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[١]. وقال بعد هذه بآية : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾[٢]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾[٣].

وجاء في توصيات ندوة قضايا المستقبل الإسلامي : «إن الوحدة الإسلامية مطلب مستقبلي للأمة، وهي واجب يفرضه الإسلام، ورصيد ضخم لن تتمكن الأمة من مواجهة ما يكتنفها من أخطار إلا به، وعلى الأمة بجميع فئاتها أن تجعله من أهم مرتكزات مشروعها الحضاري المستقبلي»[٤]. والوحدة الأوفر حظًا بالنجاح هي التي يُمَهَّد لها بأطول وقت ممكن، بعيدًا عن السرعة الزائدة، والاندفاع غير المتعقل[٥].

١٣-«إن هناك حاجة ماسة إلى العناية بفقه الوحدة وفقه الاختلاف وتطويرهما ونشرهما في جميع أوساط المجتمعات الإسلامية . كما أن هناك حاجة ماسة إلى فتح أبواب الحوار بين جميع الفئات سواء بين المسلمين بعضهم بعضا، أم بين المسلمين وغيرهم، وإن هذا الحوار ليس

---

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٠٣.

(٢) سورة آل عمران، من الآية: ١٠٥.

(٣) سورة الأنعام، من الآية: ١٥٩.

(٤) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٢٩٥؛ نقلاً عن توصيات ندوة قضايا المستقبل الإسلامي، الجزائر، (شوال/ ١٤١٠هـ)، مركز دراسات المستقبل الإسلامي، لندن.

(٥) أتالي، مرجع سابق، ص١١١.

ضرورة يفرضها الواقع ويتاثر بها المستقبل فقط، وإنما هو قبل كل ذلك واجب شرعي ينبع من رسالة الإسلام وعدالته»[1].

١٤-من السنن: «أن لكل عمل ثمرة، ولكل جهد جزاء، في الدنيا قبل الآخرة. كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾[2]، ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[3] »[4]. فلا نظن أن جهدنا في تحقيق مستقبل الإسلام غير مجد، ولا مثمر، بل نستمر في السعي والعمل حتى نحصل على الثمرة، أو يحصل عليها أولادنا، أو أولادهم .

١٥-أن تكون أهدافنا من صنع مستقبل الإسلام أهدافًا عالمية، تسعى لإسعاد البشرية، فيكون كل مستقبلي مسلم رحيمًا بالإنسانية والأمم الضعيفة، حاميًا للحق، "يستخدم كل قوّته وجهده ومواهبه، وجميع وسائله وذخائره، لخدمة الإنسانية وتكوين المجتمع الصالح، وإعلاء كلمة الله، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الناس والمادة إلى عبادة الله»[5]. ولنا في نبي الله يوسف عليه السلام أسوة حسنة، فقد شملت خطته المستقبلية -في الزراعة والادخار- الدول المجاورة لمصر من شعوب وقبائل؛ فلما ظهرت حاجتهم، وفاقتهم -بعد الله- إليه، كان رؤوفًا رحيمًا بالبشر، معينًا لهم في أزماتهم، ولم يكن أنانيًّا قاسيًا، بل كان عطوفًا، أعطى الآخرين مما رزقه الله وكان مستعدًّا له[6].

وينبغي ألاّ تكون نظرتنا قاصرة على هذا الجيل، بل تتجاوزه إلى جيل لم يولد بعد، وما في صُلبه، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ . وَأَنَا مَهْمُومٌ،

---

(١) المنجرة، **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص٢٩٦؛ نقلاً عن توصية من توصيات ندوة قضايا المستقبل الإسلامي، الجزائر، (شوال/١٤١٠هـ)، مركز دراسات المستقبل الإسلامي، لندن.

(٢) سورة الكهف، من الآية: ٣٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٠.

(٤) يوسف القرضاوي، **الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة**، مرجع سابق، ص١٥٣.

(٥) أبو الحسن الندوي، **الصراع بين الإيمان والمادية: تأملات في سورة الكهف**، مرجع سابق، ص١٠٩-١١٠.

(٦) بتصرف: الحليسي، مرجع سابق، ص٢٦٥.

عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِب، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الأَخْشَبَيْنِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[(١)]. فما أبعدها من نظرة مستقبلية إيجابية! تتجاوز الأحياء صغارًا وكبارًا إلى الذرية في ظهور الرجال، ومما يُثير العجب أنها تكون من إنسان في حال غمٍّ شديد، وتُعرض عليه قُوى جبارة، وتُسخَّر بين يديه؛ للانتقام ممن أعرضوا عنه و لم يُجيبوا دعوته، لكنَّها نظرة نبي كريم، رؤوف رحيم، على خلق عظيم، أُرسل رحمة للعالمين .

١٦-التخلص من نظرة: (أن المستقبل امتداد للحاضر)، التي ترى أن الغرب قد أحكم قبضته على المسلمين، وساسهم بما يريد؛ فالمستقبل امتداد لقبضته، وهي نظرة صحيحة إذا قعدنا و لم نغير ما بأنفسنا، لكن إذا واكب الحاضر تغييرات وإصلاحات -حسية ومعنوية، دينية ودنيوية- نقوم بها، فإن المستقبل ليس امتدادًا للحاضر الغربي، ولا يُقاس المستقبل بالحاضر، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾[(٢)]. يقول (أتالي) -وهو من المستقبليين- بعد أنْ تَوقَّعَ سقوط أمريكا، ورَشَّح قوَّتين عالميتين للسيطرة العالمية، هما : أوروبا الموحدة، أو إتحاد محتمل بين اليابان ومجموعة دول في محيطه[(٣)]، وألغى مقدرة الهند والصين : «إن العديد من الأحداث غير المتوقعة سوف يجري، والعديد من الأشخاص والأفكار سوف يبرز في أقل الأمكنة توقعًا لها. وفي الماضي استطاع النبي محمد تحقيق انعطاف تاريخي في الاتجاه والسرعة اللتين لم يكن في مقدور أي منطق أن يتنبأ بهما»[(٤)].

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ج٤، ص٩٩، ح٣٢٣١؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ج٣، ص١٤٢٠، ح١٧٩٥.

(٢) سورة الرعد، من الآية: ١١.

(٣) مرجع سابق، ص٦٦-٧٠.

(٤) المرجع نفسه، ص١٥٨.

١٧-من المهم التعرف على معوقات المستقبل الإسلامي، من قِبل نفوسنا، أو من أعـــداء انبعاث المستقبل الإسلامي، من بني جلدتنا، والأعداء الخارجيين، والحذر منهم، ومن كيدهم، يقول محمد الغزالي : "ولئن كان الحذر والحيطة من سنن النبوة، إن الإعداد واستنفاد الجهد فيه من آكد هذه السنن، وبماذا تحسب محمدًا عليه الصلاة والسلام انتصر على الناس؟"[١].

أما المعوقات داخل الصف الإسلامي فمن أخطرها : تفرق العلماء والدعاة، وعدم توحـــد كلمتهم، وتوسع الخلاف بينهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[٢]. ومن المعوقات : إرادتنا الدنيا خلال سعينا لمستقبل الإسلام، والركون إليها، يقول الغنيمان : ما بَنى الرسول ﷺ وأصحابه ﭬ المجد الإسلامي إلا بالصبر على المحن، وعدم الركون إلى الدنيا، فلـــم يكن أملهم الترأس، وطلب السلطة، والحصول على الوظائف التي يترفعون بها على الخلـــق، أو يجنون ثمارها[٣].

وأما المعوقات من بني جلدتنا : فأخطرهم المنافقون، الذين يفسدون ولا يُصلحون، وقـــد أمـــرنا الله سبحانه بالحـــذر منهم فقـــال ســـبحانه : ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[٤]؛ وكذلك أهل الأهواء؛ وفئات الإعلاميين المفسدين المنتمين إلى إحدى الطائفتين السابقتين، ممن يتكلمون بلغتنا، ويمتلكون وسائل إعلامية، مرئية، ومسموعة، ومقروءة، يعيثون بها في الأرض فسادًا.

وأما الأعداء الخارجيين : فمن أخطرهم : المؤسسات والمـــذاهب اليهوديـــة بأنواعهـــا، والمؤسسات السياسية والعسكرية الغربية بأنواعها، والمنظمات العالمية، ومن أخطرهـــا : هيئـــة

(١) **فقه السيرة**، مرجع سابق، ص٥١.

(٢) سورة الأنفال، من الآية: ٤٦.

(٣) **لا يصلح هذه الأمة إلا ما أصلح أولها**، مرجع سابق، ص ٤٤ .

(٤) سورة المنافقون، من الآية: ٤.

الأمم المتحدة؛ فإنَّ هذه الهيئة تُكَوِّن سلسلة من الأنظمة والاتفاقيات، الإلزامية والاختيارية على مستوى العالم، تصبح حجر عثرة أمام التسلسل للمستقبل الإسلامي(١).

١٨-الحذر من المعاصي أساس متين من أسس مستقبل الإسلام، فيقوى تحقق المستقبل بقلَّتها، ويضعف بكثرتها وإعلانها؛ لَمَّا ولَّت فلول الروم منهزمة أمام جهاد الصحابة ﷺ في معركة اليرموك، قال هرقل لقادته: «ويلكم! أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم، أليسوا هم بشرًا مثلكم؟! قالوا: بلى. قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافًا في كل موطن. قال: فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم؟! فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويُوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر، ونزني، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغصِب ونظلم، ونأمر بما يسخط الله، وننهى عما يرضى الله، ونفسد في الأرض . فقال : أنت صدقتني»(٢).

وقد كان الرعيل الأول أصحابُ النبي ﷺ، يدركون ما للمعاصي من آثار، فكان أحدهم إذا وقع في ذنب أو شكَّ أنه وقع فيه، جاء إلى النبي ﷺ وقال له : (هلكتُ!)، (احترقتُ!)، (نافقتُ!) .

---

(١) من أمثلة هذه الأنظمة والاتفاقيات ما يأتي:
أ-أُقرَّ بروتوكول اختياري للعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، يهدف إلى إلغاء عقوبة الإعدام، وتنص الفقرة الأولى من المادة الأولى على أنه "لا يعدم أي شخص خاضع للولاية القضائية لدولة طرف في هذا البروتوكول"، وتنص الفقرة الثانية على أن "تتخذ كل دولة طرف جميع التدابير اللازمة لإلغاء عقوبة الإعدام داخل نطاق ولايتها القضائية". وتُلغِي المادة الثانية أي تحفُّظ للدول على هذا البروتوكول، إلا في حالة الحرب وفق ضوابط معينة (الأمم المتحدة، **مجموعة صكوك دولية: حقوق الإنسان**، (نيويورك، الأمم المتحدة، ١٩٩٣م)، مج١، ج١، ص٦٤-٦٥). وإن كان التوقيع على هذا البروتوكول اختياريـًا إلا أنه لا يُستبعد أن يكون بعد زمن إلزاميًّا لجميع الدول؛ فيؤدي إلى تعطيل حدود الله تعالى.
ب- في الإعلان السابع عشر بشأن القضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقد، تشير الفقرة الثانية من المادة الأولى إلى أنه "لا يجوز تعريض أحد لقسر يحدّ من حريته في أن يكون له دين أو معتقد من اختياره" . (المرجع نفسه، مج١، ج١، ص١٧٠). وهذا أمر يدعو لتعطيل حد الردة، ويفسح المجال لانتشار الردة بين المسلمين، ونشر الأفكار المنحرفة، استنادًا لهذه الحرية؛ مما يهدد مستقبل الإسلام والتمكين له.

(٢) ابن كثير، **البداية والنهاية**، مرجع سابق، ج٩، ص٥٦٩.

المطلب الثاني : أسس تربوية، وعملية، وتاريخية :

١-معرفة الإسلام معرفة صحيحة، وتربية النفس والآخرين عليه؛ ليعيشوه واقعًا في حياهم. ويطلق عليهما بعض العلماء : "التصفية والتربية"[١].

يرى الدسوقي[٢]، وحَسَنه[٣]، وغيرهما : أن القدر المشترك من أقوال العلماء والباحثين لسُبل تحقيق مستقبل الإسلام يكاد "يدور في نطاق نشر الوعي الصحيح بتعاليم الإسلام، وليس مجرد الفهم لهذه التعاليم؛ لأن الوعي يعبر عن معاني الإدراك والحفظ والصيانة والحماية، فهو فهم وتطبيق وجهاد... فالوعي الصحيح بالإسلام لدى جمهور المفكرين هو أقصر الطرق للنهوض والاستقلال الكامل"[٤]. وينبغي أن تكون الأولوية للعقيدة؛ لأنها الأساس الذي بُعثت من أجله الرسل عليهم السلام .

فالعقيدة الإسلامية: ينبغي تخليصها مما علق بها عبر القرون من الانحراف والتأويل المشوه لحقيقتها، وتخليصها من الخرافة، ونقلها من بين الآيات والأحاديث وبطون الكتب إلى الصدور[٥].

والشريعة : ينبغي تنقيتها مما أُلحق بها من البدع والانحراف، والتأويل الباطل، والغلو والتفريط؛ ووضعها موضع العمل والتنفيذ[٦]. و"الجهاد لإحلال هذه الشريعة الغراء مكان الفوضى التشريعية التي نستوردها من الشرق والغرب. وهذا واجب دعاة الإسلام الذين سيُبتلون ويُحاربون في سبيل ذلك. وستكون الغلبة لهم إن شاء الله"[٧].

"وهذا يوجب علينا أن نتوجه إلى الإسلام نستمد منه عقائدنا وتصوراتنا، ونرسم أهدافنا وغاياتنا في ضوء تعاليمه، ونقيم سلوكنا وأعمالنا وعلاقاتنا مهتدين بهديه. وهذا يقتضي أن نطرح أهواءنا جانبًا ونحن نعمل بالإسلام ونُربِّي عليه، نحن لا نريد أن نربي نفوسنا ونفوس

---

(١) منهم : محمد ناصر الدين الألباني، **سؤال وجواب حول فقه الواقع**، مرجع سابق، ص٤١.

(٢) الدسوقي، مرجع سابق، ص١٠٣-١٠٤.

(٣) **من فقه التغيير**، مرجع سابق، ص١١٣.

(٤) الدسوقي، مرجع سابق، ص١٠٣-١٠٤.

(٥) عبد الخالق، مرجع سابق، ص٤٤؛ والألباني، **سؤال وجواب حول فقه الواقع**، مرجع سابق، ص٤١.

(٦) المرجعان نفساهما، عبد الخالق، ص٤٥؛ والألباني ص٤١.

(٧) عبد الخالق، مرجع سابق، ص٧٢.

الآخرين بأهوائنا وبمناهجنا نحن، وإنما نريد أن نُصبغَ بالصبغة الإلهية الربانية، وأنى نكون كذلك ما لم نتوجه إلى الإسلام بكليتنا نستمد منه ونستقي منه، ملقين عنا الهوى، كما نلقي تصوراتنا ومقـــرراتنا، التي تلقيناها من غير الإســـلام بعيـــدًا! ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾[1]»[2].

«أما المزج بين الحياة الحالية وبين «قدر» من التدين، فقد كان النقطة الخطرة التي بدأ عندها الانفصام الحالي، والتمزق، والحيرة، والاضطراب!

إن الحياة لا تصلح بعبادة إلهين مختلفين . أو إلــهًا في السماء وآلهــة متعــددة في الأرض! نهايتها الحتمية هي ما وصلت إليه أوروبا اليوم من تمزق وفساد»[3].

فلا بد «أن يتوافر لدينا مؤثر الدين الذي يغير النفس الإسلامية»[4]؛ فنتربى على الإســـلام حتى ترسخ تعاليمه وحقيقته في النفوس، لا أن نمارسه على صورة رسوم وهيئات عُوِّدنا عليها، ونشأنا على تطبيقها دون أن تصل إلى قلوبنا؛ فنتحلى بالصورة ونفقد الجوهر والحقيقة، فهناك -كما يقول أبو الحسن الندوي- : فرق شاسع بين الحقيقة والصورة، فصـــورة الأســـد -وإن كانت أعظم ما تكون- لا ترعب أحدًا، ولا الطفل الصغير . لقد أصبح كثير من المجتمعـــات الإسلامية صورة إسلامية وفقدت الحقيقة الإسلامية[5].

«والمسلمون في حاجة إلى فترة طويلة من الجهاد والجهد لكي يستطيعوا أن يؤدوا دورهم للبشرية. في حاجة أولاً إلى تفهم دينهم.. فإنهم لا يفهمونه!... وهم في حاجة ثانيًا إلى أن يعيشوه! فالمعرفة النظرية وحدها لا تكفي! لا تعطي الطعم الحقيقي لشيء من الأشياء! إنما يعرف الإنسان حقيقة الفكرة حين يعيشها بالفعل، ويتفاعل معها في واقع الحياة»[6].

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢٠٨.

(٢) عمر سليمان الأشقر، **معالم الشخصية الإسلامية**، (عمّان، دار النفائس، ١٤١١هـ)، ص١٨-١٩.

(٣) محمد قطب، **التطور والثبات في حياة البشرية**، ط٨، (القاهرة، دار الشروق، ١٤١١هـ)، ص٢٩٥.

(٤) مالك بن نبي، **شروط النهضة**، (دمشق، دار الفكر، ١٤٢٠هـ)، ص٦٥.

(٥) **أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين**، (القاهرة، دار الصحوة، ١٤٠٥هـ)، ص٤١.

(٦) محمد قطب، **التطور والثبات في حياة البشرية**، مرجع سابق، ص٣١٠-٣١١.

قال أحد المصلحين في العصر الحاضر[١] : «أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تُقم لكم على أرضكم»[٢].

«ولا تطمع الأمة أن يمدها الله بنصره، على ما بها من سيِّئ الخصال، وسيِّئ الفعال، بل لا بد للأمة أن تغير ما بأنفسها حتى يغير الله ما بها»[٣].

إن كسب المستقبل دون تغيير في أنفسنا لـن يكـون؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[٤].

٢- من الـمُشَاهَد الـمُسَلَّم به أن الاستعجال أمر غير مأمون العاقبة، وقـد يقـود إلى محاولة إقامة نظام إسلامي على أسس غير سليمة، وعلى دعائم ضعيفة وقواعد متـزلزلة، فمن المهم الصبر في هذا الشأن؛ لأن الأهداف التي نريد تحقيقها أهداف ضخمة كبيرة، تهـدف إلى تصحيح القيم الإنسانية في أفهام الناس، وإلى إعادتهم إلى حظيرة الإسلام بعد أن بعـدوا عنـه زمانـًا طويلاً. ومثل هذا العمل الجليل يحتاج إلى مثابرة، ومصابرة، وتفكير عميق . كما يجب علينا أن نخطو كل خطوة بحساب، وحكمة، وتبصر، وألا نخطو خطوة جديـدة إلا بعـد أن نراجع نتائج خطواتنا السابقة، وندرس ثمارها : هل سارت في الطريق المرسوم؟ وهل جـاءت بالنتائج المرجوة؟[٥].

إن مستقبل الإسلام أَسَّسَهُ، ووَضَعَ قواعده ولَبِناته الخليلُ إبراهيم عليه السلام، في واد غير ذي زرع، وأسكن فيه إسماعيل عليه السلام، « الذي انحدرت منه هذه الأمة، مرتبطة بالبيـت حسًا ومعنى؛ ليخرج منها فيما بعد الرسول الخاتم في وقت تكون فيه هذه الأمة مؤهلة لقيـادة البشر على طريق الرحمن، ومنهجه القويم حتى يرث الله الأرض ومن عليها»[٦]، وكـان بـين وضع القواعد، والبناء عليها آلاف السنين؛ وهذا يُـعطينا درسـًا في التـأني، وعـدم استعجال النتائج.

---

(١) محمد ناصر الدين الألباني، **التصفية والتربية وحاجة المسلمين إليهما**، (عمَّان، المكتبة الإسلامية، ١٤٢١هـ)، ص٣٣.

(٢) المرجع نفسه .

(٣) القرضاوي، **المبشرات بانتصار الإسلام**، مرجع سابق، ص١٠١.

(٤) سورة الرعد، من الآية: ١١.

(٥) أبو الأعلى المودودي، **واجب الشباب المسلم اليوم**، ط٢، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ)، ص٢٩-٣٠.

(٦) الطويل، مرجع سابق، ص١٩.

« وقد تكون المشكلة، كل المشكلة، في أن مشاريع التغيير والنهوض، دخلت الميدان بدون امتلاك وسائله، وإدراك آلياته.. دخلت ميدان التغيير بأمنيات، ولم تدخل بإمكانيات.. دخلت في عملية التغيير، دون أن تفقه السنن الاجتماعية، التي تهدي إليها القيم ، وتمنحها الحركة التاريخية.. دخلت وهي تمتلك الإحساس بالأزمة، دون أن تمتلك الإحاطة بعلمها، والإدراك لسبب نشوئها، ووسائل معالجة أسبابها.. دخلت ساحة التغيير، وهي مفتونة بنفسها، دون أن تدرك كامل المساحات المطلوبة تغطيتها وخلاصة القول: إنها دخلت بحماس، وتمنٍ، ورغبات، دون أن تعد للأمر عدته، من الاختصاص، والإمكانيات، واستقراء حركة التاريخ، وتحقيق عبرة القصص النبوي»[1]؛«لذلك فأية محاولة للاستعجال، والقفز من فوق سنة الأجل، وحرق المراحل، وتعطيل عامل الزمن، وعدم حسابه بدقة، في ضوء الإمكانات المتوفرة، وعدم الانتباه إلى المعوقات التي قد تحول دون الوصول إلى الثمار، وتسهم بتأجيل الأجل أو بمد الأجل، قد تؤدي إلى لون من اليأس والإحباط... فالرغبة في القفز فوق الزمن، وطي المسافة الزمنية للفعل الحضاري، ورغبة الوصول إلى النتائج بسرعة، وبقليل من المعاناة، والتمني السريع، بعيدًا عن توفر الإمكانات، التي يشكل الزمن حيزًا أساسيًا فيها، يعتبر ظاهرة بشرية طبيعية، لم يخل منها عصر ولا زمان.. وكثيرًا ما تقود الناس في طريقهم إلى التغيير، الحسابات المخطئة، والتورطات غير المحسوبة بدقة، بسبب نزعة الاستعجال، وإلى ضروب من المجازفات والممارسات، التي تمكّن لخصومهم، وتساهم سلبيًا في التراجع والارتكاس.. قال تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾[2] »[3].

٣-العناية بالأبوين، بتدريبهما تدريبًا يؤهلهما لمسؤولية تربية أولادهما، وبخاصة الآباء الشباب، ومن هم بصدد تكوين أسرة، وإعطاؤهم الأساليب والوسائل في تربية أولادهما على العقيدة السليمة، والآداب والفضائل الإسلامية الحسنة؛ فالأبوان هما المسؤولان المباشران عن

(١) حسنه، **من فقه التغيير**، مرجع سابق، ص٧.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٧.

(٣) عمر عبيد حسنه، "مناهج التغيير ووسائله في ضوء الكتاب والسنة"، في "الندوة الثالثة لمستجدات الفكر الإسلامي المعاصر: مناهج التغيير في الفكر الإسلامي المعاصر"، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (١٢-١٦ / شعبان/ ١٤١٥هـ)، ص٣٤٥.

تربية الفرد، قال رسول الله ﷺ : «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»(١)، فلهما أهمية عظمى في توجيه الفرد، وإنما يقوم المستقبل الإسلامي على مجموع الأفراد، فإذا صلحوا صلح المستقبل وقام، وإذا فسدوا لم يكن للمستقبل قيام.

وقد ظهر في الآونة الأخيرة دورات قصيرة متخصصة تعنى بالبيت والأسرة، وكان لها نتائج إيجابية حسنة، ينبغي الإفادة منها في هذا المجال، وتكثيفها، ونشرها على نطاق واسع، ودراسة إمكانية جعلها إلزامية، بصورة لا تشق على الناس، وتحقق الهدف المرجو منها.

٤- قد يتوقف بناء المستقبل الإسلامي على إعداد جيل جديد له، مُعد إعدادًا سليمًا: علميًّا ونفسيًّا، ولا يكون المستقبل لجيل اليوم، ويرى عبد الحميد أبو سليمان وغيره : أن يقوم جيل اليوم بالإعداد والتكوين لجيل المستقبل؛ وبهذا ينجح في أداء مهمته، أما إذا ظن في نفسه القدرة على الأداء الصحيح، فإنه بهذا قد يخطئ الهدف ويستنزف الطاقة المحدودة المتوافرة للجيل، بسبب أخطاء في تكوينه النفسي، يصعب تصحيحها في هذه المرحلة، إلا في حدود ضيقة لا تؤهل لإخراج الأمة من أزمتها .

إذن مهمة جيل اليوم : العمل والإعداد المستقبلي، وتهيئة المنطلقات السليمة والوسائل المناسبة لإعداد الجيل المقبل(٢).

وتَبَنِّي هذه الفكرة -في رأي الباحث- يُفيد في اتباع التدرج المنضبط والمتقن في العمل لمستقبل الإسلام، وموافقة السنن الكونية في التغيير، والحصول على طول النَّفَس، وعمق التأثير، وصلابة التربية. لكن تطبيق هذه الفكرة على مستوى الأمة يتوقف على صلاحية الأحوال في بلدان العالم الإسلامي للتَّمكين لها في المدارس النظامية، وعدم وأدها(٣)؛ ولذلك يرى عبد الحميد أبو سليمان أهمية الحصول على قناعة الآباء، وحسن نقل القضية التربوية إليهم؛ حتى يقوم المنزل والأبوان بدورهما في تحقيق الغايات، وإنجاح الجهود المطلوبة(٤).

---

(١) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ج٢، ص١٢٧، ح١٣٨٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب القدر، باب معنى (كل مولود يولد على الفطرة)، ج٤، ص٢٠٤٧، ح٢٦٥٨.

(٢) مرجع سابق، ص٢٢٠.

(٣) وضعت الدوائر الغربية خططًا، تهدف إلى فصل الجيل المسلم المولود في الغرب عن آبائه، ودمجه في المجتمع الغربي. (يحيى أبو زكريا، "مستقبل الإسلام في الغرب"، www.Islamtoday.net)؛ وما تزال الخطط تتوالى على معظم العالم الإسلامي؛ لمنع نشوء جيل جديد يتحلى بالإسلام الحق، وتزداد هذه الخطط شراسة مع مطلع القرن الميلادي الجديد .

(٤) مرجع سابق، ص٢٢٣.

٥-حماية المرأة المسلمة من الدعوات المفسدة، والدعايات المضللة، ومن حركات تحريرها من عفتها وحيائها ودينها، وهذه الأمور يشتد أوارها كل يوم؛ فينبغي الوقوف أمامها، وتحصين المرأة والناشئات ضدها .

٦-توجيه أفراد المسلمين إلى الهدف المحقق لمستقبل الإسلام، واستثمار الطاقات المعطلة في الأمة بما يخدم هذا الهدف، «فهناك ملايين السواعد العاملة والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية، صالحة لأن تستخدم في كل وقت؛ والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل المكون من ملايين السواعد والعقول، في أحسن ظروفه الزمنية والإنتاجية المناسبة لكل عضو من أعضائه. وهذا الجهاز حين يتحرك يحدد مجرى التاريخ نحو الهدف المنشود، وفي هذا تكمن أساساً فكرة توجيه الإنسان الذي تحركه دفعة دينية، وبلغة الاجتماع: الذي يكتسب من فكرته الدينية معنى (الجماعة) ومعنى (الكفاح)»[١].

٧-الابتعاد عن حصر الإسلام بتنظيمات صغيرة، بل ينبغي أن يكون تكوين مستقبل الإسلام، والعمل له، ضمن جماعة المسلمين، وعدم حصر العمل في تنظيمات وأسماء، تقصر بالإسلام عن شموله واتساعه.

٨-عند دراستنا لمستقبل الإسلام، ينبغي أن تتوجه العناية إلى كيفية تحويل الأفكار والمقترحات إلى برامج عمل واقعة؛ فالأفكار كثيرة لكنها حبيسة أوراق حفظت على أرفف المكتبات وأراشيف الوزارات . وكثيرٌ مما «صدر عن المفكرين والباحثين في هذا لم ينتقل من عالم الفكر والنظر إلى الواقع والتطبيق»[٢].

ومن ذلك : أن نُعنى -في دراساتنا- بإشراك من يقول ويفعل؛ حتى ننقل مستقبل الإسلام من النظرية إلى خطوات العملية، ولئن أشركنا من لديهم قدرة العمل ولو كان يسيرًا، أو جزئـيًّا خير من أن نجتهد في التنظير ونُلقي عواهننا عن إناطة العمل بأحد يفعل.

ومن ذلك : عند بناء مستقبل الإسلام نظريـاًّ، فلا بد من تحديد قائد يسوسه عملـيًّا؛ حتى ننطلق في البناء، وليس بالضرورة أن يكون القائد هو الحاكم السياسي، بل قد يكون العلماء الكبار، أو الدعاة بعامة، أو إمام المسجد وخطيبه، أو المؤسسات التعليمية، أو المنظمات

(١) ابن نبي، **شروط النهضة**، مرجع سابق، ص٨٤.

(٢) الدسوقي، مرجع سابق، ص١٢٧.

الإسلامية الكبرى بمستوياها جميعها، أو يكون البيت والأسرة، أو الواحد من النـــاس؛ وأيــــًّا كان القائد فلا بد ونحن نُنظِّر لمستقبل الإسلام أن نحدد قادة هذا البناء، وندعوهم للعمل باسم الله تعالى.

٩-انتهاج التدرج المرحلي المنضبط؛ فالتدرج أسلوب حكيم، دل عليه ربنا الحكيم سبحانه، وهو المنهج المقبول -لدى النفوس- في اجتثاث العادات المستحكمة، والأمراض المستعصية، والظواهر الاجتماعية السلبية المتجذرة؛ والقرآن نزل منجمًا على حسب الحوادث والوقائع، فلم ينـــزل جملة واحدة، بل نزل متدرجًا، مربِّيـــًا بأحكام وتشريعات جديدة كل حين، قال تعالى : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ﴾(١)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : «إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنْ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلامِ نَزَلَ الْحَلالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ لَقَالُوا : لا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ لا تَزْنُوا لَقَالُوا لا نَدَعُ الزِّنَى أَبَدًا»(٢).

وقد قامت دعوة النبي ﷺ على التدرج والمرحلية، فبدأت بمرحلة الدعوة السرية، ثم مرحلة الدعوة العلنية، ثم جاءت بعدهما مرحلة الجهاد بالسنان، وليس معنى هذا أن تكون هذه مراحل الدعوة في كل حين، بل لكل زمان وحال ما يناسبه من المراحل.

وخلص أحد الباحثين من خلال دراسة الوثائق السياسية التي عقدها الرســـول ﷺ إلى: «أن التدرج سنةٌ دائمة، وأن السياسي الحاذق لا يمكنه أن يطالب الناس بـــنفس معـــايير الالتـــزام والانضباط للصف المسلم فلكلٍّ مستواه ونصيبه»(٣).

«إن العمل من أجل التمكين لدين الله، لابد أن يتم خطوة خطوة. إذ لا يمكن فعل كـــل شيء دفعة واحدة. أما الرأي القائل بالتطبيق الفوري والكلي دفعة واحدة، فلا تقبله سُنة الحياة. كما أنه لا يمكن تنفيذه ما دام دعاة المشروع الإسلامي ليس بيدهم القرار والنفوذ»(٤).

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.

(٢) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ج٦، ص١٢٣، ح٤٩٩٣.

(٣) الفهداوي، مرجع سابق، ص٢٦٧.

(٤) الوكيلي، مرجع سابق، ص١٤٢ .

فالتغيير «النوعي في المجتمع يتطلب فترة زمنية كافية حتى يكتمل، ويؤتي ثماره ناضجة سائغة.. وأما محاولة حرق المراحل، واستعجال التغيير، قبل استكمال شروطه وأركانه، فإنه غالبًا ما يجهض المحاولة من أساسها، وينسف الشروط الأولية التي بدأت منها، وقد يحول دون توفر هذه الشروط مرة أخرى.. ولا غرو في هذا، فإن التغيير الاجتماعي يرتبط أساسًا بتغيير ما بالأنفس، وفق السنة الربانية التي عنوانها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]، ومن المعلوم أن النفس البشرية ذات تركيب معقد، ومن ثم يتطلب تغيير ما فيها شروطًا كثيرة، كما أن هناك عوامل عديدة يمكن أن تؤثر في النفس، وتحول دون التغيير، ومن ذلك مثلاً: تأثير الأهواء الشخصية، والنزاعات العصبية، والصراعات الفكرية.. وغيرها»[2]؛ ولا يعني اعتماد المرحلية والتدرج «بحال من الأحوال تجزيء المنهج، وتقطيعه، بمقدار ما يعني استصحاب المراحل كلها... للوصول إلى مرحلة الاكتمال والكمال، والإدراك الكامل لأبعاد حركة النهوض الشاملة، ومستلزماتها، من خلال المرحلة والموقع، الذي يكون عليه المجتمع اليوم، لتجيء هذه المرحلة في عمرها وموقعها ومكانها مستقبلاً، لبنة في البناء الكامل المأمول»[3].

١٠-قد يكون من أهم ما ينبغي أن نعنى به لمستقبل الإسلام: العناية بالمشكلات الاجتماعية الحاضرة، أو اللائحة في الأفق؛ لأن إهمالها يزيد من تأصلها وازديادها، وفساد أفراد المجتمع، وانحرافهم، وبخاصة الشباب منهم، فإنهم مادة مستقبل الإسلام وأساسه. يقول المنجرة: يتميز مستقبل العالم الإسلامي بكثرة الشباب فيه، وهم أكثر سكانه، بخلاف الغرب فإن سن الكهولة هو الأغلب في مستقبله[4] أ.هـ.

١١-«يلزم لصناعة المستقبل، للإسلام، في عصرنا هذا تضافر جهود العاملين في ميادين العمل للمستقبل، ومجالاته، لتلتقي، وتجتمع، وتتحرك إلى قبلتها، منشرحة الصدور، بتوحيد الله، مجتمعة القلوب، متحدة الكلمة»[5]. فإذا أردنا فعلاً أن نجعل المستقبل للإسلام، فأهم الخطوات

---

(١) سورة الرعد، من الآية: ١١.
(٢) أحمد كنعان، مرجع سابق، ص١٦١.
(٣) حسنه، **من فقه التغيير**، مرجع سابق، ص١٦-١٧.
(٤) **الحرب الحضارية الأولى**، مرجع سابق، ص ٢٧٨.
(٥) الإمام، مرجع سابق، ص٣٦.

وأوْلاها أن يُخلص العلماء والدعاة في ذلك، ويتخلوا عن حظوظ النفس في سبيل رفع خلافاتهم، والتقارب بين وجهات نظرهم، والسبيل المهم والأقوى في ذلك أن يتقبلوا المشاركة في استطلاعات الرأي التي يجريها المختصون في الدراسات المستقبلية، وأن تكون مشاركتهم فيها فاعلة، غير صورية، وأن يصبروا على جولات إعادة استطلاع الرأي؛ فإنها تحقق فوائد عامة كبيرة بإذن الله تعالى.

« على مفكري الأمة وعلمائها ومثقفيها أن يعلموا أن المسئولية في وضع الأمة على جادة القدرة والتقدم تقع على عواتقهم قبل سواهم، وأن سواهم في ذلك إنما هو تبع لرؤيتهم ومشورتهم ونتاج لها، وأنهم بقدر صمودهم وصبرهم ونجاحهم في تقديم الرؤية والمشورة الصحيحة ووضعها بالأسلوب العلمي السليم المقنع، بقدر نجاحهم في تحريك الأمة لخدمة رسالتها وبناء حياتها. إن مدى تحرك الأمة نحو القدرة الإسلامية المبدعة لبناء الحياة هو مقياس نجاحهم في أداء دورهم وأداء واجبهم. وبقدر تقصيرهم في إنجاز هذا الدور؛ بقدر ما تتعاظم معاناة الأمة ويزداد تخبطها واستعصاؤها على الاهتداء إلى الجادة وبناء الحياة»[(١)].

١٢-من المهم أن نعنى بجمع التجارب التي مرّ بها العالم الإسلامي خلال القرن الماضي، ودراستها، وفرز التجارب الناجحة، ومعرفة عوامل نجاحها، وفرز التجارب الفاشلة، ومعرفة عوامل فشلها.

المطلب الثالث : أسس تنظيمية في حقل الدراسات المستقبلية :

١-إن تسلحنا بأدوات الدراسات المستقبلية الرصينة، يعد بداية منهجية صحيحة في بناء المستقبل الإسلامي؛ لأنها تُسند المهام -في البحث، والدراسة، والرأي، والعمل- إلى أهلها الثقات المبرِّزين، ولا تعطي الحداد الخشب، كما لا تعطي النجار الحديد، بل لكلٍ مادة صنعته؛ لذا من المهم أن يكون بناء المستقبل الإسلامي مبني على أسس الدراسات المستقبلية .

٢-لابد أن يسبق إجراء الدراسات المستقبلية عن الإسلام، جهود حثيثة للتعريف بحقيقة الدراسات المستقبلية، وأن مستقبل الإسلام لن يُرسم إلا بالحوار المتكامل، الهادئ، المتزن؛ وهذا يتطلب نشر أدب الخلاف، وكيفية حصره، أو رفعه، والتعريف بأسلوب (التشاور المتميز)، وأهميته في إدارة الحوار، والتقريب بين وجهات النظر .

---

(١) عبد الحميد أبو سليمان، مرجع سابق، ص٢٢٢-٢٢٣.

٣-التغلب على مشكلة اختلاط مفهوم الدراسات المستقبلية بعلم الغيب الخاص بالله تعالى، والتغلب على سوء فهم المقصود من التقديرات الزمنية في الدراسات المستقبلية؛ فمن المتوقع أن يقف عدد من العلماء والدعاة موقف الرفض من إجابات أسئلة عن تقدير زمني لنتائج بعض التصرفات .

فمن المهم إجراء تعريف بحقيقة الدراسات المستقبلية، ونشر الثقافة بها بين العلماء والدعاة والمختصين، وبيان أنها لا تدعي علم الغيب، وأن تقديراتها يراد منها معرفة السبب ومسببه، وتحديد الزمن فيها من أجل ضبط الدراسات بحيث لا تكون مطلقة غير محددة بزمن، ثم هي في النهاية لا تصف مستقبلاً واحدًا، بل مستقبلات، وهذا يباعدها عن ادعاء علم الغيب.

٤-القيام بالتنسيق لإجراء دراسات مستقبلية عن مستقبل الإسلام يحتاج إلى شخصيات فذة، تتحلى بالإخلاص، وحفظ الأسرار، وتتميز بالقبول في الأوساط العلمية والاجتماعية، وتستطيع القيام بالتنسيق لكافة أنواع الحوار والمتطلبات، وتمتلك المقدرة على المرونة، والاستيعاب لآراء الآخرين، والأمانة نحوها.

٥-مراعاة أسس النجاح للدراسات المستقبلية، التي سبق عرضها في الباب الأول.

٦-النظرة المنطقية : أن يكون النظر إلى مستقبل الإسلام من خلال واقع الحياة المعاصرة، حسبما هو متمثل وقائم، بمؤسساته القائمة في كل بلد إسلامي، ومؤسساته التي تجمعه ككل.

وقد تقتضي الدراسات المستقبلية أن يكون الحديث عن مستقبل الإسلام من خلال رؤى جديدة، يُغفل فيها الواقع القائم حاليًّا أيًّا كان.

وطريق الوصول إلى هذا أو ذاك، يقرره المختصون، أثناء القيام بالدراسات عن مستقبل الإسلام.

٧-ينبغي أن تعنى المؤسسات والمشاريع الكبرى في العالم الإسلامي التي لها أثر في مستقبل الإسلام -ضرورةً- بالدراسات المستقبلية في أعمالها، ومن أهم هذه المؤسسات :

أ- منظمة المؤتمر الإسلامي.

ب-رابطة العالم الإسلامي.

ج- مؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية.

د- المجالس العليا للشؤون الإسلامية والدعوة .

هـ- الجامعات الإسلامية.

و- البنك الإسلامي للتنمية، في جدة.

٨-عند بناء المستقبل الإسلامي من المهم أن يكون أحد المشاهد، ينطلق من نظرة واقعية للمجتمع المحلي، والمحيط الخارجي، والحال العالمي؛ فالعالم الإسلامي لا يعمل في فراغ، ولا يعمل في غفلة من نظر العالم، والعدو الحاقد؛ فمستقبل العالم الإسلامي ينبغي أن يرسم في هذا المشهد بما يستدعيه الواقع القائم، فلا يتضمن برامج عمل كبيرة نعلم أنه سيجري وأدها، بل يكون مسايرًا للأوضاع، مع برامج ملائمة ترتقي بالمجتمع شيئًا فشيئًا .

٩- ليس العالم الإسلامي قطعة عجين، يمكن تشكيلها كيف نشاء[1]، فبلدان العالم الإسلامي متفاوتة، ومختلفة، في حاضرها، وماضيها، وفي طموحاتها، وتوجهاتها؛ لذا قد يكون من المهم أن نعنى برسم مستقبل للإسلام في كل بلد على حدة، أو في بلدانٍ تجمعها جملة من الأمور، تتوافق فيها، وتتقارب؛ وهذا يستدعي عناية المخلصين من أبناء الأمة الإسلامية بالعمل لتحقيق مستقبل الإسلام في محيط بلدهم؛ لأنه إذا أمكن التحقيق الكامل لمستقبل الإسلام في هذا البلد، أمكن منه التوسع والانتشار، وصار هذا البلد قوة، تخطو خطاه البلدان الأخرى. ويرى (سردار) : أن الانطلاق في رسم مستقبل للإسلام، قد يكون من خلال ما تتميز به بلدان العالم الإسلامي، فإن بعضها يملك مقومات وأسس في بناء المستقبل الإسلامي، وتنقصه مقومات أخرى، تملكها بلدان أخرى، وفي تعاون هذه البلدان جميعًا تتكامل المقومات، ويصبح لديها اكتفاء واعتماد ذاتي يكفيها لصناعة مستقبل مشرق[2].

---

(١) بكار، **مدخل إلى التنمية المتكاملة**، مرجع سابق، ص١٢٧.

(٢) ينظر: Sardar, **Islamic futures**, Op. Cit., P. 275.

المبحث الثالث

عالمية الإسلام، وأهليته لقيادة العالم

المطلب الأول : عالمية الإسلام :

مما يدعو إلى الاهتمام بعالمية الإسلام، وعَقْد هذا المطلب، ما ذكره زريق وغيره: أن مشكلات المستقبل تزداد اتصافاً بالعالمية والشمول؛ بسبب تقارب العالم، وتفاعل مناشط الحياة الإنسانية فيما بينها[1]، بل حتى حياة الرخاء الخالية من المشكلات بدأت تتصف بالعالمية، وصار الحديث عن ضوابط وتنظيمات عالمية، ولأول مرة في التاريخ البشري -كما يقول بروكان- : يمكن الحديث في العصر الحاضر -حقيقة- عن (سياسة عالمية)[2].

و«العدم وجود مركز للسلطة والقوة، قادر على تنظيم وضم كل مكونات النظام العالمي، تكفلت الرأسمالية بهذه الوظيفة في المجال الاقتصادي حتى وقتنا الحاضر. فأسلوب الإنتاج الرأسمالي هو الذي حفز على اتساع التجارة لتشمل العالم بأسره، وتكوين السوق العالمية، وبذلك أنهى عزلة البلاد والقارات...ومن النظام الرأسمالي نشأ نظام النقد الدولي، وهو الذي حدد قواعد التجارة الدولية والمبادلات النقدية بين الدول، وأنشأ المؤسسات والمنظمات الدولية التي تكفل أداء هذه الأجهزة مهمتها»[3].

ويرى (أتالي) : أن مؤسسات منظمة الأمم المتحدة التي أفرزتها الحرب لا تتلاءم مع مهمة القيام بسلطة عالمية قابلة للتطبيق، والرقابة، والحل للمشاكل الإنسانية العالمية؛ لذا يجب إيجاد تنظيم دولي بإنشاء مؤسسات ديمقراطية ذات صلاحيات عالمية حقيقية. يكون لها سياسات حقيقية على مستوى العالم، وتفرض بصورة ديمقراطية قواعد في كل مجال تكون فيه الحياة مهددة[4].

---

(١) **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص١٤٠.

(٢) سلفيو بروكان، "الدولة/ الأمة: هل مصيرها البقاء أم الزوال؟"، ترجمة أحمد رضا، في "المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية"، مرجع سابق، العدد ٣٣، (ذو القعدة/ ١٣٩٨هـ ، أكتوبر/ ١٩٧٨م)، ص١٣.

(٣) المرجع نفسه، ص١٥.

(٤) مرجع سابق، ص١٧٢.

ومنذ نصف قرن ومئات الكتاب، ومئات الندوات والمؤتمرات تنادي بضرورة إيجاد نظـــام عالمي جديد، يقود الإنسانية، ويحكمه أرباب العقول والقلوب لا رجال المصارف والمال[1].

وعلى أرض الواقع نجد سباقـــًا محمومًا لتسلم زمام العالمية الشاملة، والمسلمون في غفلـــة لاهون، أو لضعفهم وقلة حيلتهم يندبون.

فلا بد أن نتسلح برؤية عالمية؛ فالمسافات تتقلص، والحواجز الحمائية ترتفع، والعدو – بإلحاده وظلمه- قاب قوسيـــن أو أدنى من تسلم عالـــميتنا، التي دعانا الله تعالى إليها في كتابه، وامتثلها النبي ﷺ في سيرتـــه، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[2]. وقـــال تعـــالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[3]. وقـــال تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾[4]. وقـــال تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[5]. وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[6]. وقـــال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[7]. وقـــال تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[8].

وكانت سُنَّة النبي ﷺ تطبيقًا عملـــيًّا لهذه الآيات، فكاتب الملوك خارج جزيرة العرب، يدعوهم وأقوامهم إلى الإسلام.

وإذا كنا نؤمن بأن الإسلام دين عالمي، فعلينا إذن أن نجعله عالمـــــيًّا، بـــالبلاغ بأوســـع الوسائل انتشارًا، فضائـــيًّا، وكتابـــيًّا، وإذاعـــيًّا، وكل وسيلة حديثة، وبما نستطيع من نشره بأهم اللغات الحية في العالم .

وعالمـــيًّا في مؤسساته، واهتماماته، ومشاركاته.

---

(١) عبد الدائم، (تقديم)، في أتالي، مرجع سابق، ص١٢.

(٢) سورة الأعراف، من الآية: ١٥٨.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٤) سورة الأنعام، من الآية: ٩٠.

(٥) سورة يوسف، من الآية: ١٠٤؛ وسورة ص، الآية: ٨٧؛ وسورة التكوير، الآية: ٢٧.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٧) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٨) سورة القلم، الآية: ٥٢.

وعالميًّا بالإنكار؛ لإحقاق الفضيلة، وقمع الرذيلة، ونصرة المظلومين، وقد يُعزى كثير من الضعف في مواجهة منكرات العصر ومآسيه إلى بُعدنا عن التحرك العالمي، ومعرفة الأنظمة العالمية التي يمكن الإنكار من خلالها، والتخفيف من سيل المنكرات والبلايا.

ومن المؤكد أن هذه الرسالة العالمية لا يمكن أن تسير بصورة صحيحة إلا بوجود قوة تحميها، وتدافع عنها ، وتُمكِّن لها، فالسعي لإيجاد هذه القوة مهم .

ولن تتأتى لنا العالمية حتى نكون قدوة وأنموذجًا حيًا فريدًا للعالم، بديننا، وأخلاقنا، وتعاملاتنا، فنكون قرآنـًا يمشي على الأرض، «فالرسالة الإسلامية مهما كانت عالميَّةً آفاقيَّةً، لا بدّ لها من مركز يُعدُّ مقياسـًا وميزانـًا لعمليتها وواقعيتها»[1]، فلا نكون أهل تنظير وادِّعاء، دون أن نكون أهل عمل واستحقاق حقيقي، ولن يقبلنا العالم وأفعالُنا تخالفُ أقوالنا، وحالنا يفارق ما تنص عليه شريعتنا؛ فالإنسان «مفطور على البحث عن المقياس الصحيح، والبلد المثالي، والموئل الذي يأوي إليه، والمصدر الذي يستمد منه القوة والثقة والحماسة والاندفاع»[2] .

المطلب الثاني : أهلية الإسلام لقيادة العالم :

يُعدُّ الإسلام المؤهَّل الوحيد لقيادة العالم، وإخراجه من الظلمات إلى النور، ويكتسب أهليته لقيادة العالم من خصائص وميزات كثيرة، أهمها ما يأتي:

١-أنه دين إلهي رباني، وليس نحلة بشرية، ولا مذهب سياسي. وإذا كان الله تعالى هو خالق الكون وما فيه، فهو أعلم بما يُصلحه، ويَصلح له، «إن صانع أي آلة يضع معها تعليمات تشغيلها وصيانتها فالثلاجة والطائرة والسيارة يضع مهندسها تعليمات لأعمالها، ولا يمكن أن تعمل الآلة إلا بالطريقة التي أراد مهندسها. ولله المثل الأعلى فهو خالق هذا الإنسان ويعلم ما يصلحه ويسعده فأنزل إليه الكتاب والحكمة وأرسل إليه الرسل صلوات الله عليهم وبذلوا جهدهم لإنقاذ هذا الإنسان فما لم يطع الإنسان خالقه فلن يقطف ثمار عمله ولن يذوق طعم الراحة ولا السعادة على هذه الأرض»[3].

---

(١) أبو زيد، **خصائص جزيرة العرب**، مرجع سابق، ص٧٧.

(٢) المرجع نفسه، ص٧٨.

(٣) عزام، مرجع سابق، ص٩.

«فالإسلام بهذه الخصيصة يختلف اختلافـًا جوهريًا عن جميـع الشـرائع الوضـعية لأن مصدرها الإنسان، أما الإسلام فمصدره رب الإنسان . إن هذا الفرق الهائل بين الإسلام وغيره لا يجوز إغفاله مطلـقًا ولا التقليل من أهميته»[1].

٢-أنّ مصدره سلم من التحريف والتبديل، و لم يعتوره ما طرأ علـى مصـدر اليهوديـة والنصرانية من تحريف، وتبديل، وحذف.

٣-أنه دين عالمي، غير مرتبط بزمان، ولا مكان، ولا أمة، «فالدين الإسلامي حق مشاع، وثروة مشتركة لجميع الأمم والشعوب، والعناصر والأجناس، والأسـر والبيوتـات، والـبلاد والأوطان، ليس فيه احتكار»[2]. قـال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾[3]، وقـال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[4]، وقـال تعـالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[5].

وقد هُيِّئ لهذا الدين في أزمان متطاولة عبر رسالات الأنبياء لأن يكون دينـًا عالميـًّا[6]، يقول ابن عاشور عن دعوة الإسلام العالمية : «إنا لا نتردد ولا نضطرب إذا قلنا إن هذه الدعوة لم يسبق الإسلامَ إليها سابق، وإن الإسلام هو الذي فتح أعين الناس إلى هذه الفضيلة في إبـان التهيؤ لتلقيها، وإن هذه المعجزة لهذا الدين دالة على أنه حقيق بكونه دينًا عامـًّا وباقيـًا»[7].

٤- «إن جماعة المسلمين لما هُيئ لها أن تكون داعيةً الناس كلهم إلى الإسلام كانت بحاجة إلى القرار بوطن متميز سيكون منه انتشار الدين، فيكون هو القلب لهيكل ذلك المجتمع»[8]، وقد دلّت العلوم الحديثة على أن مكة تقع في وسط اليابسة من الأرض كلها، وأن الكعبة المشـرفة

---

(١) زيدان، **أصول الدعوة**، مرجع سابق، ص٤٦.

(٢) أبو الحسن الندوي، **النبوة والأنبياء في ضوء القرآن**، مرجع سابق، ص١٢٣.

(٣) سورة القلم، الآية: ٥٢.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٦) ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص ١٧٨.

(٧) المرجع نفسه، ص ١٧٩.

(٨) نفسه، ص ١٨٨.

هي المركز تحديدًا[1]، «فالبيت الحرام : هو النقطة الوحيدة التي تميزت دون سائر بقاع الدنيا، وتمركزت فيها وحدها ركائز الحق، وتغلغل في أعماقها جوهر التوحيد، وكأنها تفردت لتمثل بؤرة للضوء، صالحة لإشعاع الهداية في الضمير الإنساني»[2]، قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[3]. كما أن بلاد المسلمين تقع «في مناطق تشتبك مع حضارات العالم وطرقه الرئيسة»[4]، فمع توسطها العالم، تمتلك الموقع الاستراتيجي فيه؛ وهذا يجعل الإسلام -وحده- المؤهل لقيادة العالم .

٥-أن شريعته متميزة، وصالحة لكل أحد، في أي زمان، وأي مكان، وهي شريعة "لا تضيق بحاجات الناس وما يستجد من أحوالهم وأمورهم ومحققة لمصالحهم المشروعة. وقد تفطن لهذه الحقيقة المعنيون بدراسة القانون وأعلنتها المؤتمرات الدولية»[5]، كمؤتمر القانون المقارن، الذي عقد في (لاهاي) عام (١٩٣٨م)، وكان من قراراته ما يأتي[6] :

أ-اعتبار الشريعة الإسلامية مصدرًا من مصادر التشريع .

ب-اعتبارها حية، ومرنة قابلة للتطور .

ج-اعتبارها قائمة بذاتها غير مأخوذة عن غيرها.

٦-أن الله تعالى جعل القرآن العظيم مهيمنًا على جميع الكتب السابقة، أي : أمينًا عليها[7]، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[8]، فهذا الدين مهيمن على جميع الأديان، والمذاهب، والنحل.

---

(١) أحمد عبد الرحيم السايح، **هذا هو الإسلام : سماته وحاجة الإنسانية إليه**، (الدوحة، دار الثقافة، د.ت)، ص٤٦-٤٧؛ نقلاً عن: عبد الرزاق، "أم القرى مركز الوسط الأمين"، مقال بمجلة: العرب، باكستان: المجلد ٥١، العددان: (رجب وشعبان/ ١٤٠٧هـ)، ص٤١ .

(٢) السايح، المرجع نفسه، ص٤٨-٥٠.

(٣) سورة الأنعام، من الآية: ٩٢.

(٤) عويس، **فقه التاريخ**، مرجع سابق، ص١٧٥.

(٥) زيدان، **المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية**، مرجع سابق، ص٧.

(٦) محمد يوسف موسى، **تاريخ الفقه الإسلامي**، (القاهرة، دار المعرفة، د.ت)، ج١، ص٩.

(٧) هذا من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما للآية. الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، ج١٠، ص٣٧٩، أثر١٢١١٤.

(٨) سورة المائدة، من الآية: ٤٨.

كما أن الله سبحانه جعل أهل الإسلام شهداء على الناس، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[1]، إن الوسطية، والشهادة على الناس، تثير «الاعتزاز في حملة رسالة الإسلام وأتباع هذا الدين، والشعور بالكرامة والمسئولية والتَّبعة في آن واحد، فإنها تستلزم معنى الوصاية على الأمم، والإشراف على العالم، والنهوض بالحسبة الخلقية، والرقابة المعنوية، وقيادة الركب الإنساني في كل فترة من فترات التاريخ، وبقعة من بقاع العالم، وبالإخلال بذلك أو التنازل عنه يحرمون نفوسهم من كونهم أمة وسطًا، وجدارتهم لأن يكونوا شهداء على الناس، وذلك شبه انتحار معنوي جماعي وكفران بنعمة الله»[2].

٧-أنه دين يرتكز على العدل والمساواة بين بني البشر، والعدل أساس قيام الحضارات والدول، وفقده سبب في اندثار الحضارات وسقوط الدول، فالإسلام لا يفرق بين جنس وجنس، ولا لون ولون، ولا ينظر إلى الأحساب، ولكن يفضل أفراده بعضهم بعضًا بالتقوى، فليس للعنصرية مكان فيه، بل يقوم على أساس العدل؛ ولذلك قال وفد نصارى نجران للنبي ﷺ -وهم على دينهم- : «ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضًا»[3].

٨-أنه دين شامل لجميع نواحي الحياة، ونظرته شاملة، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[4][5]، وهو -وحده- الذي ينسق للبشرية «خطاها في الإبداع المادي وخطاها في الاستشراف الروحي. وهو -وحده- الذي يملك أن يقيم لها نظامًا واقعيًّا للحياة يتم فيه هذا التناسق الذي لم تعرفه البشرية قط إلا في النظام الإسلامي -وحده- على مدى التاريخ»[6].

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ١٤٣.

(٢) أبو الحسن الندوي، **الأمة الإسلامية: وحدتها ووسطيتها وآفاق المستقبل**، (القاهرة، دار الصحوة، ١٤٠٩هـ)، ص١٢.

(٣) ابن هشام، مرجع سابق، ج٢، ص٥٨٤ .

(٤) سورة النحل، من الآية: ٨٩.

(٥) القرضاوي، **المبشرات بانتصار الإسلام**، مرجع سابق، ص٧٦ .

(٦) قطب، مرجع سابق، ص٨٩.

٩-مناسبته للفطرة البشرية، فهو -وحده- القادر على منح البشرية المنهج الملائم لفطرتها ولاحتياجاتها الحقيقية[(١)]؛ «ولـمَّا كان الإسلام نابتًا على أعراق الفطرة كانت جامعته فطرية، مقبولة في النفوس، سهلةَ التسرب إلى القلوب النيرة، لأن مبناها على سهولة الحق ووضوحه وبساطته»[(٢)].

١٠-«وفاؤه بحاجة الإنسانية جميعًا، فيما... يرعى إنسانيتها، ويحمي أفرادها في العاجل والآجل»[(٣)].

١١- تميزت رسالة الإسلام «بخصيصتها الوسطية ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[(٤)] فهي توازن بين المادة والروح، بين العقل والقلب، بين الدنيا والآخرة، بين الحقوق والواجبات، بين الفرد والمجتمع، بلا طغيان ولا إخسار»[(٥)].

١٢- تميُّزُ هذا الدين بالنزعة الأخلاقية[(٦)]، قال ﷺ: «إنَّما بُعثتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخلاقِ»[(٧)]، «فالإسلام يَفضل ما سواه من الشرائع والدعايات بأنه أقام مبانيه على أساس جميع الفضائل الحقة[(٨)] دون الوهمية»[(٩)]. «ولا يكاد ينتظم أمر الاجتماع كمال انتظامه، ولا ترى الأمة عقدها مأمونًا من انفصامه، ما لم تكن مكارم الأخلاق غالبة على جمهورها، وسائدة في معظم تصاريفها وأمورها»[(١٠)]؛ ولذلك يرى (سردار) أن تأليف أبي حامد الغزالي لكتابه (إحياء علوم الدين) -وقد حوى كثيرًا من الآداب والأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم- هو بحث -بحسب اجتهاده- في إعادة بناء الحضارة الإسلامية[(١١)]، التي ضعفت في زمنه.

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص ١٨٠.

(٣) الراوي، مرجع سابق، ط٣، (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١١هـ)، ص٥٦.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ١٤٣.

(٥) القرضاوي، **المبشرات بانتصار الإسلام**، مرجع سابق، ص٧٦ .

(٦) المرجع نفسه .

(٧) الحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ج٢، ص٦٧٠، ح٤٢٢١.

(٨) مثل : مكارم الأخلاق، والعدالة، والإنصاف، والمواساة، والاتحاد، (كما في ص١٩٩ من المرجع).

(٩) ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص٢١٠.

(١٠) المرجع نفسه، ص٢٠١.

(١١) Sardar, **Islamic futures**, Op. Cit., Pp. 34-35.

١٣- لأنه دينٌ يُمكِّن أصحابه من تمييز الصالح النافع، الذي يعود نفعه على البشرية، وتمييز المهلك الضار، الذي يعود بهلاك الإنسان، والحيوان، والبيئة، فالإسلام "هو -وحده- القادر على إنقاذ البشرية مما يحدق بها من أخطار ماحقة، تدلف إليها مقودة بسلاسل الحضارة المادية البراقة"[(١)]؛ "فإن البشر إذا ساروا في حياتهم بمجرد عقولهم وأهوائهم وغرائزهم، لا يستطيعون توقي ما يضرهم، ويؤدي بهم إلى الفساد في الغالب، والشرائع الإلهية جاءت بالتحليل والتحريم والقواعد التي تكفل لمتبعيها السعادة والصلاح واستقامة الأمور . قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[(٢)]"[(٣)].

١٤-المسلمون المتصفون حقًّا بهذا الاسم هم أجدر الأمم بقيادة العالم؛ "لما لهم من معارف عن الخالق والخلق حواها القرآن، ولتجربتهم التاريخية في القيادة، حيث سادت حضارتهم وهيمنت على الدنيا ما يزيد عن أحد عشر قرنًا، فما اشتكى من ظلمهم عدو ولا صديق بحق"[(٤)]. فهم أهل إعجاز الغد، كما كانوا أهل إعجاز الأمس[(٥)]. لقد ربى الإسلام أهله على الخصال الحميدة، ونبذِ الأوهام والخرافات؛ فزكت نفوسهم، واستنارت عقولهم، فأمة ربتها شريعتها على مثل هذا السداد لخليقة بأن ترث الأرض، وتقود العالم[(٦)]. "وإذا كان لنا من الماضي ما يسوغ ثقتنا بأنفسنا، فإن لنا أيضًا من انفتاح المستقبل ومن إمكاناتنا... ما يجب أن يدعم هذه الثقة... فالمستقبل هو ملك أهله، وأهله هم أولئك الذين يستحقونه. وخليق بالتوق إلى هذا الاستحقاق أن يبدل باليأس أملاً وطموحًا، وبالقلق والخوف صفاء وجرأة، وأن يقلب ما نعانيه من عجز عزيمة وقدرة"[(٧)]، مستعينين بالله تعالى، متوكلين عليه، منطرحين بين يديه، خاضعين له سبحانه.

---

(١) قطب، مرجع سابق، ص٨٩.

(٢) سورة الأنفال، من الآية: ٢٤.

(٣) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**، مرجع سابق، ج٢٠، ص٣٢٤.

(٤) هيشور، مرجع سابق، ص٢٢؛ نقلاً عن: **تفسير المنار** .

(٥) صعب، **العرب يبدعون مستقبلهم**، مرجع سابق، ص١٢؛ وسياق كلامه عن العرب.

(٦) ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص ٦٩.

(٧) زريق، **نحن والمستقبل**، مرجع سابق، ص٢٣٩.

المبحث الرابع

المستقبل للإسلام

متى أراد المسلمون أن يكون المستقبل لهم، وأتوا بأهم متطلباته، فإن المستقبل -بإذن الله تعالى- لهم، ولدينهم، "ومستقبله باهر جدًا يفوق أمل أعظم المتفائلين أضعافًا مضاعفة"[1]، فهناك وُعود إلهية، ومبشرات نبوية، وأدلة كثيرة متضافرة، تدل على أن المستقبل للإسلام، تَعرض أهمها المطالب الآتية .

المطلب الأول : المبشرات من القرآن الكريم بمستقبل الإسلام :

"في القرآن آيات كثيرة تتحدث عن المستقبل، حاملة البشرى والأمل للأمة بظهور الدين، والتمكين له، واستخلاف أهله في الأرض"[2]، ومن أصرحها دلالة ما يأتي :

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[3].

وقال تعالى:﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[5].

وقال تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[6].

---

(١) مصطفى أحمد الرفاعي اللبان، **مستقبل الإسلام**، (القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٥٢هـ)، ص٩.

(٢) القرضاوي، **الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة**، مرجع سابق، ص١٢٣.

(٣) سورة الصافات، الآيات: ١٧١-١٧٣.

(٤) سورة غافر، الآية: ٥١.

(٥) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٦) سورة الحج، من الآية: ٤٠ إلى الآية: ٤١.

وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[5] .
والكبت: «الردُّ بعنف وتذليل»[6] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[7] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[8] . وفي مقابلهم قال تعالى:﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[9] .

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٣٢-٣٣.

(٢) سورة الصف، الآيتان: ٨-٩.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٨.

(٤) سورة الأنفال، الآيتان: ٣٦-٣٧.

(٥) سورة المجادلة، من الآية: ٥.

(٦) الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص٦٩٥، مادة : (كبت).

(٧) سورة المجادلة، الآيتان: ٢٠-٢١.

(٨) سورة المائدة، من الآية: ٥٦.

(٩) سورة المجادلة، من الآية: ١٩.

وقال تعالى : ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾[3].

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ وَلِۦِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[5]. قال ابن تيمية: «فالمسلم المتبع للرسول : الله تعالى حسبه وكافيه، وهو وليّه حيث كان ومتى كان»[6].

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[7].

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[8].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[9].

وقال تعالى : ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[10].

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٣٨-١٣٩.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٩٦.

(٦) **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١٨، ص٢٩٣.

(٧) سورة الصف، الآيات: ١٠-١٣.

(٨) سورة الفتح، الآيتان: ٢٢-٢٣.

(٩) سورة هود، من الآية: ٤٩.

(١٠) سورة طه، من الآية: ١٣٢.

وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]. وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾[2]. وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3].

وقال تعالى عن كيد المنافقين : ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[4].

قال ابن تيمية : وإذا اعتقد العبد «أن صاحب الحق لا ينصره الله في الدنيا، بل قد تكون العاقبة في الدنيا للكفار على المؤمنين، ولأهل الفجور على أهل البر– فهذا من جهله بوعد الله تعالى »[5]، الذي تضافرت به الآيات السابقة . ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[6].

ومتى تمكنَتْ الثقة بالله تعالى، وفي وعده، انبعثت همة العبد، وقوي نشاطه وتنبه إلى انتهاز كل فرصة بما يناسبها موقنًا بأنه إن لم يظهر تأثير عمله اليوم، فغدًا يظهر، مؤمنًا بأن الباطل زهوق، ولا بد من يوم يتغلب فيه الحق على الباطل، فإن دولة الباطل مؤقتة لا ثبات لها في ذاتها وإنما بقاؤها في نوم الحق عنها، ودولة الحق هي الثابتة بذاتها فلا يغلب أنصاره ما داموا معتصمين به مجتمعين عليه[7].

المطلب الثاني : المبشرات من السنة النبوية بمستقبل الإسلام :

جاء في السنة النبوية كثير من الأحاديث الخاصة[8] والعامة، المبشرة باستمرار قيام الإسلام إلى قيام الساعة، وأن المستقبل حليفه؛ ومن أصرح هذه الأحاديث وأعمِّها ما يأتي:

قال رسول الله ﷺ : «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[9].

---

(١) سورة الأنفال، من الآية: ١٩.

(٢) سورة محمد، من الآية: ٣٥.

(٣) سورة العنكبوت، من الآية: ٦٩.

(٤) سورة آل عمران، من الآية: ١٢٠.

(٥) ابن تيمية، **جامع الرسائل**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٢٧.

(٦) سورة الحجر، من الآية: ٥٦.

(٧) محفوظ، مرجع سابق، ص١١٥.

(٨) كالتبشير بفتح مُدن معيَّنة، وظهور مصلحين مهديين.

(٩) مسلم، مرجع سابق، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ : (لا تزال طائفة...)، ج٣، ص١٥٢٤، ح١٩٢٣.

وقال ﷺ: «وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»[1].

وقال ﷺ: «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ»[2].

وقال ﷺ: «بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ، وَالنَّصْرِ، وَالتَّمْكِينِ»[3].

وقال ﷺ: «لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»[4].

وعن عبد اللّه بن عمرو بن العاص قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلاً : قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ قال ﷺ: «مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلاً» يَعْنِي قُسْطَنْطِينِيَّةَ[5].

وقال ﷺ : «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ ثُمَّ سَكَتَ»[6].

---

(١) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي)، ج٨، ص١٨٩، ح٧٣١٢ .

(٢) الترمذي وقال: "حديث حسن غريب من هذا الوجه"، مرجع سابق، كتاب الأمثال، باب مثل الصلوات الخمس، ج٥، ص١٤٠، ح٢٨٦٩؛ وحسنه ابن حجر، **فتح الباري**، مرجع سابق، ج٧، ص٨؛ وصححه الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، ج٥، ص٣٥٩، ح٢٢٨٦.

(٣) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٣٥، ص١٤٧، ح٢١٢٢٣؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الرقاق، ج٤، ص٣٤٦، ح٧٨٦٢ .

(٤) متفق عليه: البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية، ج٤، ص٢٢٥، ح٣٦٤١؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي)، ج٣، ص١٥٢٤، ح١٠٣٧.

(٥) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج١١، ص٢٢٤، ح٦٦٤٥. والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الفتن والملاحم، ج٤، ص٥٩٨، ح٨٦٦٢؛ وقد فتحت القسطنطينية عام (٨٥٧ من الهجرة النبوية) على يد محمد الفاتح.

(٦) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٣٠، ص٣٥٥، ح١٨٤٠٦؛ وقال الهيثمي: "رواه أحمد في ترجمة النعمان، والبزار أتم منه، والطبراني ببعضه في الأوسط، ورجاله ثقات". (**مجمع الزوائد**، مرجع سابق، ج٥، ص٣٤٢، ح٨٩٦٠)؛ وصححه الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، ج١، ص٨، ح٥.

وقال ﷺ: «لَتُقَاتِلُنَّ الْيَهُودَ . فَلَتَقْتُلُنَّهُمْ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ : يَا مُسْلِمُ ! هَذَا يَهُودِيٌّ. فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ»[(١)].

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»[(٢)] .

وقال ﷺ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ إِلا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلامَ وَذُلا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»[(٣)] .

«هذه الأحاديث تطمئن القلب أن هذا الدين سيعود لينقذ الإنسان المعذب ويأخذ بيده من الهوة السحيقة إلى المرتقى السامق، سيطهره ويريحه، ويقدم إليه إنسانيته التي فقدها سيجد الإنسان أنه ولد من جديد، سيتذوق السعادة والطمأنينة ويشعر أنه مخلوق كريم -إن شاء الله-»[(٤)].

ولا يُعكِّر على معاني هذه الأحاديث مثل الحديث المرفوع : «لا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلاَّ الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ»[(٥)]؛ «فهذا الحديث ينبغي أن يفهم على ضوء الأحاديث المتقدمة وغيرها مثل أحاديث المهدي ونزول عيسى عليه السلام فإنها تدل على أن هذا الحديث ليس على عمومه بل هو من العام المخصوص، فلا يجوز إفهام الناس أنه على عمومه فيقعوا في اليأس الذي لا يصح أن يتصف به المؤمن ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[(٦)]»[(٧)].

---

(١) متفق عليه : البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود، ج٣، ص٣٠٥، ح٢٩٢٥؛ ومسلم، مرجع سابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، ج٤، ص٢٢٣٨، ح٢٩٢١.

(٢) مسلم، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه، مضى تخريجة ص٣١٤، حاشية ٢ .

(٣) أحمد، مرجع سابق، ج٢٨، ص١٥٤-١٥٥، ح١٦٩٥٧ ؛ والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، مرجع سابق، كتاب الفتن والملاحم، ج٤، ص ٤٧٧، ح٨٣٢٦ .

(٤) عزام، مرجع سابق، ص٣٧.

(٥) البخاري، **الصحيح**، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، ج٨، ص١١٥، ح٧٠٦٨؛ والترمذي، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب ما جاء في أشراط الساعة، ج٤، ص٤٢٦، ح٢٢٠٦.

(٦) سورة يوسف، من الآية: ٨٧.

(٧) الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، مرجع سابق، ج١، ص١٠؛ وينظر : ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١٨، ص٢٩٦.

المطلب الثالث : الأدلة العامة على أن المستقبل للإسلام :

١- لأن الله تعالى تكفل بحفظ هذا الدين.

٢- لأن الله تعالى يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد للناس دينهم.

٣- لأن الإسلام دين التوحيد، وهو متسق مع الفطرة، أما غير التوحيد فلا يتسق معها؛ وما كان كذلك كان الإقبال عليه أكثر، والتشبث به أقوى[١] .

٤- بقاء القرآن الكريم كما أنزل على الرسول ﷺ لم يطاله تحريف ولا تبديل[٢].

٥- حض الإسلام على الجهاد؛ فبه تتحقق حماية الدعوة الإسلامية، ونشرها في الأرض[٣].

٦- لأن الإسلام أسس على علم مستقبلي، ونظر مستقبلي؛ فإذا كان عمل المسلمين على وفق هذا العلم والنظر كان المستقبل لهم ولدينهم.

٧- قوة الإسلام الذاتية: فعلى الرغم من ضعف المسلمين سياسيًّا واقتصاديًّا، وتفريطهم في تعاليم دينهم، إلا أن الإسلام ينتشر، ويتغلغل في أراض جديدة، ويسري إلى قلوب جديدة، وهو بهذه القوة سيكون له المستقبل إن شاء الله تعالى[٤].

٨- لأنه الدين الذي يوافق الإنسان، ويتوافق مع الفطرة[٥].

٩- «انهيار الحضارة الغربية»[٦]، وثبات فشلها بجميع قياداتها المتعاقبة؛ حتى أوصلت العالم إلى الهاوية.

١٠- «المبشرات الواقعية في الأرض وعودة الإنسان إلى الله»[٧].

١١- سهولة الدخول فيه، وامتناع الخروج منه؛ وهذا يؤدي إلى تكثير سواد أتباعه، وإذا «خلع المسلمُ ربقة الإسلام وأعلن الخروج عن دائرة الجامعة الإسلامية فقد فرض الدين له أعظم عقوبة، وهي عقوبة القتل بعد أن يُستتاب ثلاثة أيام»[٨].

---

(١) اللبان، مرجع سابق، ص٩.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٢-٢٣.

(٣) نفسه، ص٢١.

(٤) نفسه، ص٢٠.

(٥) عزام، مرجع سابق، ص٧.

(٦) المرجع نفسه .

(٧) نفسه، ص٨.

(٨) ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص ١٨٥.

١٢- لأن طبيعة الشعوب الإسلامية طبيعة أبية، ترفض الذل، وتأبى الهوان وتسليم الزمـــام للقوى الغازية، ولا يَعرف هذه الطبيعة إلا من درس عقائـــد هـــذه الشـــعوب، وأخلاقهـــا، وتاريخها[١].

١٣- لأن الإسلام حـــقٌّ، والحق ثابت، راســـخ، باق؛ والباطل مُنجَثٌّ، زائـــل، زاهق، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[٣]، وقـــال تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[٤].

١٤- أن المسلمين «-وحدهم في كل الأرض- الذين يملكون المنهج الصالح للحياة..المنـــهج الهادي من الضلال . هم -وحدهم- الذين يملكون المنهج الذي يرأب صدع البشرية ويداوي انحرافاتها المدمرة . المنهج الذي يرأب الفصام الذي أحدثته أوروبا بين الإنسان والله! بين الدين والحياة . بين الدنيا والآخرة . بين الجسم والروح . بين الواقع والمثال»[٥].

١٥- لَـــمّا كانت مكة نقطة ارتكاز للإسلام، وأُسُّه الأساس؛ أحاطها الله بالحفظ والحماية، والصيانة، على مر التاريخ، حتى قبل بعثة النبي ﷺ، قال الله تعالى ممتـــنًا على قريش ما حبى بلادهم به من الأمن : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾[٦]، وحمى سبحانه بيته من (أبرهة) وجيشه، وأهلكهم بسبب من عنده، ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ

---

(١) شمتز، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٢) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٤-٢٥.

(٣) سورة الرعد، الآية: ١٧.

(٤) سورة الأنبياء، من الآية: ١٨.

(٥) محمد قطب، **التطور والثبات في حياة البشرية**، مرجع سابق، ص٣٠٨.

(٦) سورة قريش، الآيتان: ٣-٤.

فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[1]. وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّمَا سُمِّيَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ لأَنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ جَبَّارٌ»[2]. وكانت العرب تعرف للبلد الحرام هذه المكانة من الحماية الإلهية له، ويرون أن قريشًا : هم أهل الله، وقالوا يوم أهلك الله (أبرهة) : أهل الله دافع الله عنهم، وكفاهم مؤونة عدوهم[3]. وقال رسول الله ﷺ بعد فتح مكة : «لا تُغزَى مَكَّةُ بعدَ هَذَا العَامِ أَبَدًا»[4]. وجعل الله تعالى اجتماع الإسلام وانضمامه -حال غربته- بين مكة والمدينة، قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ الإِسْلامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ . وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا»[5].

ومكة في شبه جزيرة العرب، وقد "حماها الله تعالى بثلاثة أبحر من جهاتها الثلاث: غربـًا، وجنوبـًا، وشرقـًا»[6]، كما أن البيئة المكية -بنفسها- طاردة نافية لمن يأتيها؛ ولذا سُمي هذا البلد: (بكة)، من البك، وهو الطرد والنفي، فهي تدفع الناس إلى غيرها من البلدان والأقطار[7]؛ قــال إبــراهيم عليــه الســلام : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾[8]؛ فهي بيئة مقفرة، متحجرة، ملتهبة الجو، منخفضة المكان، تحيط بها الجبال مــن كل جهاتها، فإذا تسعرت الشمس، كانت نيرانها مسلطة على مكة من كل أقطارها، فالصخور على أرضها، ومن حولها تلفح الأجساد، إلى جانب اللهب المسلط على أهلــها، مــن أشــعة

---

(١) سورة الفيل.

(٢) الترمذي وقال : "حسن صحيح"، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب ومن ســورة الحــج، ج٥، ص٣٠٤، ح٣١٧٠.

(٣) ابن هشام، مرجع سابق، ج١، ص٥٧.

(٤) أحمد، **المسند**، مرجع سابق، ج٢٤، ص١٣٣، ح١٥٤٠٨؛ وقال الهيثمي : "رجاله ثقات". (**مجمع الزوائد**، مرجع سابق، ج٣، ص٦١٧، ح٥٦٩٧).

(٥) مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، ج١، ص١٣١، ح١٤٦.

(٦) أبو زيد، **خصائص جزيرة العرب**، مرجع سابق، ص١٧.

(٧) عبد القادر أحمد عطا، **لماذا بعث الرسول في مكــة ولم يبعــث في غيرهــا مــن البلــدان؟** ط١، (د.م، د.ن، ١٣٩٩هـ)،ص١٥.

(٨) سورة إبراهيم، من الآية: ٣٧.

الشمس المباشرة لرؤوسهم من فوق، فلا ماء، ولا زرع، ولا ثمر؛ ومن ثم فلم تكن مكة بلـدًا يهاجر إليها الغريب، إلا لأسباب مادية بحتة، أما قريش: فقد كان منصبها اللغوي والديني سببًا رئيسًا في بقائها بمكة[1]؛ و«كأن الله سبحانه وسعدانه أراد أن لا تنـزع هذه البلاد الجميلة من أيدي المسلمين إذا أعجزهم الضعف يومًا ما عن صونها حتى يؤوبوا إلى القدرة على حفظهـا فجعلها شبه وقف عليهم»[2].

فإذا حمى الله سبحانه مركز الإسلام وما حوله، حماية إلهية، وحماية طبعية، وقد كانت له السيادة على مر الزمان منذ الفتح، ففي حال ضعف أهله، يبقى المركز محميًّا، فإذا عاد أهلُه إلى رشدهم، يعود المستقبل لهم؛ لأن مركزهم باق لم يُستأصل، أو يذوب في غيره، فهذه الحماية الإلهية؛ «لتبقى هذه المنطقة[3] قاعدة الإسلام دائمًا؛ كما كانت قاعدته أولاً، ومعقل الإيمـان آخرًا؛ كما كانت سابقًا»[4] .

وبعد : فإن المستقبل للإسلام إذا أتينا بأسبابه، وحققنا شروطه، والفرصة متاحـة أمامـه «اليوم ليصبح الديانة الأولى للقرن الجديد في العالم كله، لكن هذه الفرصة تظل قابلة للـضياع إذا لم نضطلع نحن المسلمون بوضع الأساس القوي لعمل تعاوني مخلص بين علماء الإسلام»[5].

إن وُعود الله تعالى تحتاج منّا العمل لتحقيقها، أما إذا قعدنا وأردنا أن يتحقق مستقبل الإسلام بنفسه، فإن حالنا يصبح كحال بني إسرائيل لما قال لهم موسى عليه السلام : ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ

(١) عطا، مرجع سابق، ص١٥-١٦.

(٢) البكري، في "المنار"، مرجع سابق، (شعبان/١٣٢٠هـ)، ص٦٠٤.

(٣) أي : جزيرة العرب .

(٤) أبو زيد، **خصائص جزيرة العرب**، مرجع سابق، ص٢٩-٣٠.

(٥) مراد هوفمان، www.islammemo.com .

إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1]. فإذا قلنا ما قالوا –حالاً أو مقالاً– فإنَّا –لا محالة– سنتيه كما تاهوا.

ولقد واكب تبشير النبي ﷺ بمستقبل الإسلام بالعمل له، و لم يكن تأميلاً بلا عمل، « إنَّ تربية الأمة عل أملٍ محلقٍ بلا عمل، إنما هو قتل لها، وتخريب لنفوسها، وإهدار لأوقاتها، ودغدغة لعواطفها، ولذا لا بد من اقتران الأمل بالعمل عند الأمة الجادة التي تنشد المجد، وتبحث عنه»[2]، «فحقيق بكل من امتلأ قلبه حرقة على هذه الأمة أن يراوح في حديثه بين الأمل والعمل، فلا ينادي بعمل يائس، ولا يدعو إلى أمل ناقص إن أراد لها الخير والتمكين والعز والنصر في حياتها، ومستقبل أيامها »[3].

(١) سورة المائدة، الآيات: ٢١-٢٦.

(٢) أبو صعيليك، مرجع سابق، ص٨٨.

(٣) المرجع نفسه، ص٩١.

خاتمة الفصل :

تبيَّن في هذا الفصل أنَّ تحدُّث العلماء والدعاة عن مستقبل الإسلام مهم جدًا؛ لأسباب خارجية وداخلية؛ ويواكب أهمية الحديث عنه أهمية إجراء دراسات مستقبلية له، وهو جهد لا يقوم به فرد ولا أفراد، بل هو منوط بالأمة جمعاء، أو على الأقل بالنخبة منها، في شتى المجالات، وما هذا الفصل إلى قطرة من بحر، يمكن الإفادة منه بتوسيع دائرة المشاركة والاقتراح على مستوى علماء العالم الإسلامي، والمصلحين، والمختصين.

وتبيَّن أن الإسلام دين عالمي، وهو المؤهل الوحيد لقيادة العالم؛ لميزات كثيرة لا توجد في غيره، وأنَّ المستقبل له متى عمل المسلمون على تحقيقه وفق الأسس السليمة.

الخاتمة

الخـــــاتـــــمة

الحمد لله أعان عبدًا، وذَلَّل صعبًا، وأنجز أمرًا، تكرمًا وفضلاً؛ أحمده سبحانه على تتالي نعمائه، وأشكره على توفيقه، ولطفه، وإحسانه، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[1].

لقد احترم علماء الإسلام تراث الأمة الإسلامية، فأحسنوا تعاملهم مع الماضي؛ فنجحوا معه نجاحًا منقطع النظير، فوضعوا مناهج رصينة للتعامل مع الأخبار الماضية، وتمييز المقبول منها والمردود، وتشددوا فيما يخص سنة النبي ﷺ، وتميز محمد بن إسماعيل البخاري في هذا، وبرع مسلم بن الحجاج النيسابوري، كما وضع العلماء مناهج أخرى في تحقيق مؤلفات علماء الإسلام وإخراجها أقرب ما تكون إلى مراد مؤلفيها؛ وهذا الاحترام للماضي ينبغي أن يواكبه احترامٌ مثله عند ولوج أبواب المستقبل، من حيث التفكير، وكيفية التعامل، إذْ لا يزال عدد من الدعاة، والمؤسسات الدعوية، تتعامل مع المستقبل كما يتعامل المربي السيء مع الطفل، فتريد أن يكون المستقبل خاضعًا لها مسايرًا لها، من خلال عشوائية، وارتجالية، دون تخطيط، ولا استفادة من أهل الرأي والخبرة، ولا رجوع إلى أهل الاختصاص، مع إهمالٍ للعمل وفق السنن الكونية، واستعجالٍ للنتائج، دون تفهم للمستقبل، ولا حوار معه، ولا رفق ولين وتدرج، ولا استحضار للمَشاهد ونظر في البدائل.

إذن فكما احترمنا الماضي؛ فنجحنا، علينا أن نحترم المستقبل؛ لننجح، فلا نخوضه إلا بأدواته.

وإنَّ الدراسات المستقبلية ليست كُلاً لا يتجزأ، بل يمكن الاستفادة من بعض الأساليب فيها وتوظيفها توظيفًا فاعلاً في مجال الدعوة، في الأمور الحاضرة، والماضية، فمَن كان له تحفظ على الدراسات المستقبلية فلا يَحسن به أن يهمل الإفادة من بعض أساليبها، التي ثبت أن لها أثرًا فاعلاً ومهمًّا .

ولقد توصل الباحث من خلال هذا البحث إلى جملة من النتائج، ويقترح عددًا من التوصيات وآليات تنفيذها، ومن أهم ذلك ما يأتي :

---

(١) سورة النحل، من الآية: ٥٣.

أولاً : النتائج :

١- الدراساتُ المستقبليةُ: جهدٌ علميٌ مُنــظَّم، يَسعى إلى تحديدِ احتمالاتٍ وخياراتٍ مختلفةٍ مشروطةٍ لمستقبلِ قضيةٍ، أو عددٍ من القضايا، خلالَ مدةٍ مستقبلةٍ محددة، بأســاليبَ متنوعة، اعتمادًا على دراساتٍ عن الحاضرِ والماضي، وتارةً بابتكارِ أفكارٍ جديدةٍ منقطعــةِ الصلةِ عنهما .

٢- ظهرت الدراسات المستقبلية في منتصف القرن العشرين المــيلادي، في الولايــات المتحدة الأمريكية، ثم في أوروبا؛ وأذكتها عوامل الدفاع العسكري.

٣- تتنوع أهداف الدراسات المستقبلية، وهي ترجع إلى هدف عام، هــو : محاولــة تحسين القرار.

٤- تقوم الدراسات المستقبلية بتنظيم المعلومات بين العلوم والاختصاصات المتنوعــة؛ للخروج بتصور مكتمل عن القضية.

٥- للدراسات المستقبلية أربعة مناهج، هي :

أ-المنهج الاستكشافي.

ب-المنهج الاستهدافي.

ج-المنهج الحدسي.

د-منهج التحليل المستقبلي.

٦- للدراسات المستقبلية أساليب كثيرة، من أهمها : أسلوب التشاور المتميز (دلفــي)، والــمَشَاهد، والنماذج، والقياس التاريخي، وتميز المنهج الإسلامي عن المنهج الغربي بزيــادة أساليب أخرى رصينة، منها : الوحي، والدعاء، والرؤى.

٧- اتضح أن للأنبياء فقهًا مستقبلــيًّا، ليس بمعنى أنهم يعلمون بالوحي ما في غد، وإنما يعملون للغد الدنيوي، ويخططون له، وفق سنن الله الكونية، وعن رؤية مستقبلية واضحة.

٨- للمنهج الإسلامي –في استشراف المستقبل والعمل له– ملامح متميزة، رصــينة، تَعرف لكل ذي حق حقه، ولا تتجاوز الحدود الشرعية.

٩- للدراسات المستقبلية وأساليبها فوائد كثيرة للمؤســسة الإســلامية، والعلمــاء، والداعي، والمدعو، ووسائل الدعوة.

١٠- برز في مواطن متعددة من البحث أن أسلوب التشاور المتميز (دلفي) لـه أهمية كبيرة في مجالات كثيرة من مجالات الدعوة الإسلامية، وأنه تجدر الإفادة منه، والعناية به.

١١- للدراسات المستقبلية الإسلامية أهداف متعددة، أعلاها : هداية الناس، وتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة .

١٢- لا يزعم الباحث أنه فتح الباب أمام الدعوة الإسلامية لسلوك سبيل الدراسات المستقبلية، لكن حاول أن يضع المفتاح في الباب، لعلّ الجهود أن تتضافر؛ لِيُفتح؛ فالدراسات المستقبلية بحر كبير، يحتاج إلى جهد أُمَّة، في التنظير، والتطبيق .

١٣- أن الدراسات المستقبلية مجال ناشئ، آخذ في التطور، قابل للزيادة، ينبغي أن يسهم في تكميله العلماء المسلمون.

ثانيًا : التوصيات وآليات تنفيذها :

١- ينبغي الاعتدال في طلبنا للدراسات المستقبلية، فليست كثرة العناية الغربية بها وكثرة المراكز التي فُتحت لها، علامة صحة، بل هي علامة على مدى فقدهم للرؤية المستقبلية؛ لذلك احتاجوا للعناية بالدراسات المستقبلية، أما المسلمون فقد أغناهم الله بكتاب من عنده، يرشدهم في حاضرهم ومستقبلهم، فلا يحتاجون إلى كثير من الدراسات المستقبلية، إلا ما كان فيه مجال للاجتهاد، فيحتاجون في بعضه إلى إجراء دراسات مستقبلية.

٢- أهمية إنشاء مركز للدراسات المستقبلية الدعوية، حسبما هو مشروح في صفحة (٧٩٠-٧٩١)، ومن المستحسن أن يشترك في إنشائه كل من : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ورابطة العالم الإسلامي، وكليات الدعوة؛ ويتطلب إنشاء هذا المركز ابتعاث طلاب يُختَارون بعناية؛ للدراسة في مجال الدراسات المستقبلية في بعض الجامعات الأمريكية، أو غيرها .

٣- من المهم جدًا إنشاء مراكز للدراسات المستقبلية في وزارات الدفاع في البلدان الإسلامية، تُعنى بالدراسات المستقبلية العسكرية، وتَرصد دراسات الأعداء، وخططهم، وتقدِّم الخطط لحماية بيضة المسلمين .

٤- يوصي الباحث بتحويل مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني في المملكة العربية السعودية إلى (مركز للدراسات المستقبلية الاجتماعية)، مع بقاء أهدافه كما هي؛ إذ تتيح له أساليب الدراسات المستقبلية مضاعفة عملية وعلمية، مع تحقيق أهدافه الأصلية .

٥- يوصي الباحث بجمع التجارب الدعوية وحفظها، بطريقة يسهل معها استرجاع معلوماتها بسهولة، سواء كانت تجارب ناجحة، أو فاشلة، ومحاولة معرفة أسباب النجاح والفشل وتدوين ذلك . ولعل أهم من يُناط به هذا : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وكليات الدعوة .

٦- من المهم التدرج في تطبيق الدراسات المستقبلية عند المسلمين، فيُبدأ ببث الوعي بشأنها بين العلماء والدعاة والمختصين، وتوضيح أهميتها للمسلمين؛ فالتدرج طريق للمحافظة على بناء الأمة، وألاّ يكون تطبيق الدراسات المستقبلية، والدعوة إليها، سببًا في انقسام الأمة وهدم بنائها.

٧- أهمية إشاعة أسلوب (التشاور المتميز) بين العلماء والدعاة، والتعريف به وبمزاياه، وحثهم على التعاون مع الجهات التي تطبقه وتطلب آراءهم؛ حتى يمكن الاستفادة منه بصورة جيدة . فيقترح الباحث أن يُكتب عنه في المجلات الإسلامية، وأن تُلقى فيه محاضرات، وتُعقد للتعريف به ندوات.

٨- يوصي الباحث المؤسسات الإسلامية الكبيرة، والدعوية بخاصة، وإدارات الإفتاء، ومَجْمَعَيْ الفقه الإسلامي في مكة المكرمة وجدة، بإحداث إدارات فيها للتشاور المتميز، وتدريب موظفين على إجادة تطبيق هذا الأسلوب، والحصول على البرامج الحاسوبية الجاهزة التي تسهل عملية تطبيقه، وتعريبها، وهي كثيرة في الغرب.

٩- عند تطبيق مَجْمَعَيْ الفقه الإسلامي للتوصية السابقة، فإن الباحث يوصيهما بزيادة أعضائهما ضعف الأعضاء الحاليين بمئة مرة على الأقل؛ للأسباب المشروحة في صفحة (٧٣٦-٧٣٧، ٧٣٩-٧٤٣)، متدرجين في هذه الزيادة .

١٠- يوصي الباحث بإجراء بحوث في العلوم الإسلامية بعامة، لقضايا حاضرة أو ماضية، باستخدام أسلوب (التشاور المتميز)، والتوسع في ذلك، للحصول على رأي جمعي كبير، واختبار مدى نجاح هذا الأسلوب، وأثره في هذه البحوث، وفي من يشترك فيها من

العلماء والباحثين، ومدى نجاحه في رفع الخلاف في المسائل الخلافية أو تقليله. ويمكن لباحث فرد القيام به، كما يمكن لمراكز البحوث الإسلامية.

١١- القيام بفضح أهداف بعض الدراسات المستقبلية العالمية والعربية، التي تحاول أن تنزع عن المجتمع المسلم لباسه الإسلامي، وتلبسه لباساً غير لباسه، وتسعى إلى تغريبه، وعزله عن دينه؛ وبيان ما ترمي إليه مخططاتها؛ وذلك من خلال كتابة الأبحاث والمقالات في المجلات العلمية، والصحف اليومية، ومن خلال البرامج الإذاعية والتلفازية.

١٢- يوصي الباحث زملاءه الباحثين للبحث في الموضوعات الآتية:

أ- التفاؤل والتشاؤم وأثرهما على الداعية.

ب- تطبيقات عملية لأسلوب المشاهد في الوعظ.

ج- جمع القواعد المستقبلية في القرآن الكريم، وشرحها.

د- جمع القواعد المستقبلية في السنة النبوية، وشرحها.

ولا يسع الباحث في خاتمة هذا البحث إلا أن يقتبس مقولة ابن خلدون في خاتمة كتابه (المقدمة) - أساس علم الاجتماع في الزمن الحديث - يقول : " ولعل من يأتي بعدنا ممن يؤيده الله بفكر صحيح وعلم مبين يغوص من مسائله على أكثر مما كتبنا فليس على مستنبط الفن إحصاء مسائله، وإنما عليه تعيين موضع العلم وتنويع فصوله وما يتكلم فيه. والمتأخرون يلحقون المسائل من بعده شيئًا فشيئًا إلى أن يكمل ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ [(١)]﴾[(٢)].

وما كان فيه من خير وصواب فمن الله وحده سبحانه، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، أعوذ بالله من شرورهما، وأستغفر الله وأتوب إليه.

والحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك، وأتوب إليك.

---

(١) سورة البقرة، من الآية : ٢١٦.

(٢) مرجع سابق، ج٣، ص١٣٦٥.

الفهارس العامة

فهرس المراجع والمصادر(1)

أولاً : الكتب :

القرآن الكريم .

إبراهيم، سعد الدين (تحرير)، **تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين : الكارثة أو الأمل؟** التقرير التلخيصي لمشروع مستقبل التعليم في الوطن العربي، (عمان، منتدى الفكر العربي، ١٩٩١م).

إبراهيم وآخرون، سعد الدين إبراهيم (تحرير) وآخرون، **مستقبل النظام العالمي وتجارب تطوير التعليم**، (عمّان، منتدى الفكر العربي، ١٩٨٩م).

ابن إبراهيم، **فتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ**، جمع وتحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، (مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٣٩٩هـ).

إبراهيم = يحيى عبد الحميد

الإبراهيم، موسى إبراهيم، **الفقه الحركي في العمل الإسلامي المعاصر**، (عمّان، دار عمار، ١٤١٨هـ).

أتالي، جاك، **آفاق المستقبل**، ترجمة محمد زكريا إسماعيل، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٢م).

الأثري، محمد بهجة، **الاتجاهات الحديثة في الإسلام**، (القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، د.ت).

ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري :

١- **جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ**، تحقيق أيمن صالح شعبان، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).

٢-**الكامل في التاريخ**، ط٣، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٠هـ).

٣-**النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق محمود محمد الطناحي، وطاهر أحمد الزاوي، ط٢، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ).

(١) (ال)، و(ابن)، و(أبو) مهملة في ترتيب المراجع .

أحمد بن حنبل :

١-**الزهد**، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٩هـ).

٢-**فضائل الصحابة**، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، (مكة، جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ).

٣-**مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق مجموعة باحثين بإشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣-١٤٢١هـ).

أحمد القرطبي، أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، تحقيق محيي الدين مستو، ويوسف بديوي، وأحمد السيد، ومحمود بزّال، (دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٧هـ).

أحمد بن محمد المقّري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٤٠٨هـ).

أحمد كنعان، **أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق**، (بيروت، دار النفائس، ١٤١٨هـ).

أحمد = رزق الله أحمد .

الأحمد، عبد العزيز بن عبد الله، **الطريق إلى الصحة النفسية عند ابن قيم الجوزية وعلم النفس**، (الرياض، دار الفضيلة، ١٤٢٠هـ).

أرسلان، شكيب، **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟**، (القاهرة، دار الكلمة الطيبة، ١٤١٠هـ).

الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق عبد الحليم النجار، (د.م، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت).

ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار، **سيرة ابن إسحاق: المبتدأ والمبعث والمغازي**، تحقيق محمد حميد الله، (الرباط، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ١٩٧٩م).

إسماعيل، شعبان محمد، **الاجتهاد الجماعي ودور المجامع الفقهية في تطبيقه**، (بيروت، دار البشائر، ١٤١٨هـ).

الأشبيلي، محمد بن عبد الغفور الكلاعي، **إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس**، تحقيق محمد رضوان الداية، ط٢، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٥هـ).

الأشقر، عمر سليمان :

١-**محاضرات إسلامية هادفة**، (عَمّان، دار النفائس، ١٤١٨هـ).

٢-**معالم الشخصية الإسلامية**، (عمّان، دار النفائس، ١٤١١هـ).

الأصفهاني، محمد بن محمد العماد، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، تحقيق محمد محمود صبح، (د.م، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م).

الأطرابلسي، خيثمة بن سليمان القرشي، **من حديث خيثمة بن سليمان القرشي الأطرابلسي**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٠هـ).

أفلاطون، **جمهورية أفلاطون**، ترجمة حنا خباز، (مطبعة المقتطف والمقطم، ١٩٢٩م).

الألباني، محمد ناصر الدين :

١-**إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، ط٢، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ).

٢-**التصفية والتربية وحاجة المسلمين إليهما**، (عَمّان، المكتبة الإسلامية، ١٤٢١هـ).

٣-**سؤال وجواب حول فقه الواقع**، ط٢، (عمّان، المكتبة الإسلامية، ١٤٢٢هـ).

٤-**سلسلة الأحاديث الصحيحة**، الجزء الأول والثاني: ط٤، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ)، والجزء الثالث: ط٢، (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٧هـ)، والجزء الرابع: ط٢، (عمّان، المكتبة الإسلامية، والكويت، المكتبة السلفية، ١٤٠٤هـ)، والجزء الخامس: ط١، (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٢هـ).

٥-**سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، ط١، (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ)، وطبعة أخرى: ط٢، (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٢٠هـ).

٦-**شرح العقيدة الطحاوية**، (تخريج)، ط٩، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ).

٧-**صحيح الأدب المفرد**، ط٢، (الجبيل، دار الصديق، ١٤١٥هـ).

٨-**صحيح الجامع الصغير وزيادته**، ط٢، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ) .

٩-**صحيح سنن ابن ماجه**، ط١، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ) .

١٠-**صحيح سنن الترمذي**، ط١، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ) .

١١-**صحيح سنن النسائي**، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ).

١٢-**ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، ط٢، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ).
١٣-**فقه السيرة**، لمحمد الغزالي، (تخريج)، ط٧، (القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٦م).
١٤-**مشكاة المصابيح**، لمحمد بن عبد الله التبريزي، (تحقيق)، ط٣، (بيروت ودمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ).

الألوري، آدم عبد الله، **تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم**، ط٢، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٣٩٩هـ).

الإمام، أحمد علي، **المستقبل للإسلام**، كتاب الأمة، العدد ٤٦، (قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ربيع الأول ١٤١٦هـ).

الآمدي، علي ابن أبي علي بن محمد، **الإحكام في أصول الأحكام**، (د.م، د.ن، د.ت).

الأمم المتحدة، **مجموعة صكوك دولية: حقوق الإنسان**، (نيويورك، الأمم المتحدة، ١٩٩٣م).

الأندلسي، عبد الملك بن حبيب السُلمي، **تفسير غريب الموطأ**، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ).

أنطونيوس، جورج، **يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية** ، ترجمة ناصر الدين الأسد، وإحسان عباس، ط٧، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٢م).

الباجي، سليمان بن خلف بن سعد :

١-**كتاب الحدود في الأصول**، تحقيق نزيه حماد، (القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٤٢٠هـ).
٢-**المنتقى شرح موطأ الإمام مالك**، ط٣، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ).

بادحدح، علي بن عمر، **مقومات الداعية الناجح**، ط٢، (جدة، دار الأندلس الخضراء، ١٤١٨هـ).

البارودي، محمود سامي، **ديوان محمود سامي البارودي**، شرح علي عبد المقصود عبدالرحيم، (بيروت، دار الجيل، ١٤١٥هـ).

البارودي = محمد سعيد .

ابن باز عبد العزيز بن عبد الله، **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**، جمع محمد بن سعد الشويعر، (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٣هـ).

باشميل، محمد أحمد، **من معارك الإسلام الفاصلة: صلح الحديبية**، ط٤، (د.م، دار الفكر، ١٤٠٣هـ).

الببلاوي، حازم، **التغيير من أجل الاستقرار**، (القاهرة، دار الشروق، ١٤١٢هـ).

البخاري، محمد بن إسماعيل :

١-**الأدب المفرد**، (بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦هـ).

٢-**صحيح البخاري**، ط١، (بيروت، دار الفكر، ١٤١١هـ).

البخاري = محمد بن عبد الرحمن .

بدر، أحمد، **أصول البحث العلمي ومناهجه**، ط٧، (الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٤م).

بدوي، السيد محمد، **نظريات ومذاهب اجتماعية**، (مصر، دار المعارف، ١٩٦٩م).

بدوي = عبد الرحمن .

بدير، بدير محمد بدير، **مقومات الدعوة والداعية في ضوء سيرة السلف الصالح**، ط١، (القاهرة، دار نور الإسلام، ١٤١٦هـ).

براون، هاريسون، **مشكلات المستقبل**، ترجمة محمود محمد موسى، (القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٣م).

برسا، رولان، **معجم مصطلحات الديموغرافيا**، ترجمة حلا نوفل رزق الله، (بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات، ١٤١٠هـ).

البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، **قواعد الفقه**، ط١، (باكستان، الصدف ببلشرز، ١٤٠٧هـ).

برنيري، ماريا لويزا، **المدينة الفاضلة عبر التاريخ**، ترجمة عطيات أبو السعود، سلسلة عالم المعرفة: ٢٢٥، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤١٨هـ).

برهامي، ياسر حسين، **فقه الخلاف بين المسلمين : دعوة إلى علاقة أفضل بين الاتجاهات الإسلامية المعاصرة**، (الرياض، دار المسلم، ١٤١٥هـ).

بريش، محمد :

١-**في سبيل استشراف محكم لمستقبل الثقافة في العالم الإسلام**، ضمن كتابه التالي.

٢-**المنهج في استشراف المستقبل**، (الرباط، د.ن، ١٩٩٠م).

البزار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، **البحر الزخار**، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، ط١، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٥هـ).

البعلبكي، منير، **المورد**، ط٢٠، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٦).

البغدادي، أحمد بن علي الخطيب :

١-**تاريخ بغداد**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ).

٢-**الجامع لأخلاق الرواي وآداب السامع**، تحقيق محمد رأفت سعيد، (الكويت، مكتبة الفلاح، ١٤٠١هـ).

٣-**الفقيه والمتفقه**، تحقيق إسماعيل الأنصاري، ط٢، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ).

٤-**القول في علم النجوم**، تحقيق يوسف بن محمد السعيد، (الرياض، دار أطلس، ١٤٢٠هـ).

بك العظم، جميل بن مصطفى، **الصُّبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات**، ط١، (بيروت، دارالبشائر، ١٤٢٠هـ).

بكار، عبد الكريم :

١-**رؤى ثقافية**، (الرياض، دار المسلم، ١٤٢١هـ).

٢-**العيش في الزمان الصعب**، (دمشق، دار القلم، ١٤٢٠هـ).

٣-**فصول في التفكير الموضوعي**، ط١، (دمشق، دار القلم، وبيروت، الدار الشامية، ١٤١٣هـ).

٤-**مدخل إلى التنمية المتكاملة: رؤية إسلامية**، (الرياض، دار المسلم، ١٤١٨هـ).

بلفن، بروس، **بُناة المستقبل**، ترجمة إحسان أحمد القوصي، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، د.ت).

بني ملحم، بركات أحمد، **مقاصد الشريعة الإسلامية في الشهادات**، (عمَّان، دار النفائس، ١٤٢٥هـ) .

البهي، محمد، (تقديم) = شمتز.

البورنو، محمد صدقي بن أحمد، **موسوعة القواعد الفقهية**، ط٢، (الرياض، مكتبة التوبة، ١٤١٨هـ).

البوصيري، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل، **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، تحقيق كمال يوسف الحوت، (بيروت، دار الجنان، ١٤٠٦هـ)، وطبعة أخرى : تحقيق محمد المنتقى الكشناوي، (بيروت، دار العربية، ١٤٠٥هـ).

بوفر، أندريه، **بناء المستقبل**، ترجمة أكرم ديري وبسام العسلي، (بيروت، المؤسسة العربية، ١٩٧٦م).

البيانوني، محمد أبو الفتح، **المدخل إلى علم الدعوة**، ط١، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ).

البيهقي، أحمد بن الحسين :

١-**أحكام القرآن للإمام الشافعي**، (جمع)، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، ط١، (بيروت، دار إحياء العلوم، ١٤١٠هـ).

٢-**دلائل النبوة**، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ).

٣-**السنن الكبرى**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ).

٤-**شعب الإيمان**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ).

التركي، عبد الله بن عبد المحسن، **أسباب اختلاف الفقهاء**، ط٣، (لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ).

الترمذي، محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق كمال يوسف الحوت، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).

ابن تنباك وآخرون، مرزوق بن صنيتان، وآخرون، **موسوعة القيم ومكارم الأخلاق** : (٤) اجتناب سوء الظن، (الرياض، دار رواح، ١٤٢١هـ).

التهانوي، محمد علي بن علي، **كشاف اصطلاحات الفنون**، (استانبول، دار قهرمان، ١٤٠٤هـ).

التوحيدي، أبو حيان، **المقابسات**، تحقيق حسن السندوبي، (مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٤٧هـ).

توفلر، ألفين :

١- **بناء حضارة جديدة**، ترجمة سعد زهران، (القاهرة، مركز المحروسة، ١٩٩٦م).

٢- **صدمة المستقبل**، ترجمة محمد علي ناصف، (القاهرة، دار النهضة، ١٩٧٤م).

التويجري، حمود بن عبد الله، **كتاب الرؤيا**، (الرياض، دار اللواء، ١٤١٢هـ).

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم :

١-**اقتضاء الصراط المستقيم**، تحقيق ناصر بن عبد الكريم العقل، ط٢، (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١١هـ).

٢-**جامع الرسائل**، "رسالة في تحقيق مسألة علم الله"، تحقيق محمد رشاد سالم، (الرياض، دار العطاء، ١٤٢٢هـ).

٣-**الصفدية**، تحقيق محمد رشاد سالم، ط٢، (د.م، د.ن، ١٤٠٦هـ).

٤-**العبودية**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ).

٥-**الفتاوى الكبرى**، (بيروت، دار المعرفة، د.ت). ابن تيمية،

٦-**قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، (الرياض، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٢٠هـ).

٧-**مجموع الفتاوى**، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، د.ت).

٨-**النبوات**، تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان، ط١، (الرياض، أضواء السلف، ١٤٢٠هـ).

ابن ثابت، سعيد بن علي، **الرأي العام : دراسة تأصيلية تطبيقية على عصر الخلافة الراشدة**، (الرياض، دار الحضارة، ١٤٢٤هـ).

الثبيتي والوذيناني، جويبر ماطر الثبيتي، ومحمد معيض الوذيناني، **الأساليب الكمية للدراسات المستقبلية في التعليم العالي**، (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ).

الجاحظ، عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣، (القاهرة، مؤسسة الخانجي، د.ت).

ابن جبار، سالم بن سعيد، **الإقناع في التربية الإسلامية**، (جدة، دار الأندلس الخضراء، ١٤١٩هـ).

جدعان، فهمي، **أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث**، ط٢، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م).

الجديع، ناصر بن عبد الرحمن، **التبرك: أنواعه وأحكامه**، ط٢، (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٣هـ).

الجرجاني، علي بن محمد بن علي، **التعريفات**، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط٢، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ).

جروان، فتحي عبد الرحمن، **تعليم التفكير: مفاهيم وتطبيقات**، (عَمَّان، دار الفكر، ١٤٢٣هـ).

الجصاص، أحمد بن علي :

١-**أحكام القرآن**، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، (بيروت، إحياء التراث العربي، ١٤١٢هـ).

٢-**الفصول في الأصول**، تحقيق عجيل جاسم النشمي، ط١، (الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٠٥هـ).

الجميْل، سيّار، **المجايلة التاريخية: فلسفة التكوين التاريخي: نظرية رؤيوية في المعرفة العربية الإسلامية**، ط١، (عَمَّان، الأهلية، ١٩٩٩م).

الجندي، أنور، **مستقبل الإسلام بعد سقوط الشيوعية**، ط٢، (جدة، دار العمير، ١٤١٢هـ).

الجهني، مانع بن حماد، **الصحوة الإسلامية: نظرة مستقبلية**، (الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤١٣هـ).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد :

١-**تلبيس إبليس**، تحقيق السيد الجميلي، (بيروت، دار الكتاب العربي،١٤٠٥هـ).

٢-**الثبات عند الممات**، تحقيق عبد الله الليثي الأنصاري، (بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦هـ).

٣-**الحث على حفظ العلم**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ) .

٤-**حفظ العمر**، تحقيق محمد رياض المالح، (دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ).

٥-**ذم الهوى**، ط٢، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ).

٦-**زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق أحمد شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ).

٧-**صفة الصفوة**، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ).

٨-**مناقب الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط٢، (القاهرة، هجر، ١٤٠٩هـ).

٩-**مناقب عمر بن الخطاب**، تحقيق سعيد محمد اللحّام، (بيروت، دار الهلال، ٢٠٠٣م).

١٠-**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق محمد ومصطفى ابني عبد القادر عطا، ط٢، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

الجولاني، فادية عمر، **مبادئ علم الاجتماع**، (الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، ١٩٩٧م).

الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ).

الجويني، عبد الملك بن عبد الله، **الغياثي: غياث الأمم في التياث الظُّلم**، تحقيق عبد العظيم الديب، ط٢، (قطر، المحقق، ١٤٠١هـ).

الجيوشي، محمد إبراهيم :

١-**مسار الدعوة في العهد المكي**، ط٢، (د.ن، د.م، ١٤١١هـ).

٢-**وسائل الدعوة**، ط٣، (القاهرة، المؤلف، ١٤١٥هـ).

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٢هـ)، وطبعة أخرى : (بغداد، مكتبة المثنى، د.ت).

حافظ، سعد، **مدى فعالية نموذج التشابك القطاعي (المدخلات والمخرجات) في التنبؤ**، مذكرة خارجية رقم ١٣٨٩، (القاهرة، معهد التخطيط القومي، يناير ١٩٨٤م).

الحاكم محمد بن عبد الله، **المستدرك على الصحيحين**، وبهامشه تضمينات الذهبي في التلخيص، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ).

حبنكة، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، ط١، (دمشق وبيروت، دار القلم، ١٣٩٩هـ). **أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها**، ط٢، (دمشق، دار القلم، ١٤٠٠هـ).

ابن الحبيب، محمد بن سيدي، **الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل**، ط٢، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د.ت).

حجار، محمد حمدي، **العلاج النفسي الذاتي بقوة التخيل**، (الرياض، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ١٤١٠هـ).

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني :

١-**فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق محب الدين الخطيب، ط١، (القاهرة، دار الريان، ١٤٠٧هـ).

٢-**المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، تحقيق مجموعة باحثين، تنسيق سعد بن ناصر الشثري، ط١، (الرياض، دار العاصمة ودار الغيث، ١٤١٩-١٤٢٠هـ).

٣-**هدي الساري مقدمة فتح الباري**، تحقيق محب الدين الخطيب، ط١، (القاهرة، دار الريان، ١٤٠٧هـ).

حسام الدين، كريم زكي، **الزمان الدلالي**، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٤١٠هـ).

حسان، حسان محمد، **وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي**، سلسلة دعوة الحق، العدد:٥، (مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، شعبان/ ١٤٠١هـ).

أبو الحسن الندوي، علي الحسني الندوي :

١-**أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين**، (القاهرة، دار الصحوة، ١٤٠٥هـ).

٢-**الأمة الإسلامية: وحدتها ووسطيتها وآفاق المستقبل**، (القاهرة، دار الصحوة، ١٤٠٩هـ).

٣-**شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال**، (القاهرة، مطبعة دار الكتاب العربي، ١٩٥١م).

٤-**الصراع بين الإيمان والمادية: تأملات في سورة الكهف**، (دمشق، دار القلم، ١٤١٨هـ).

٥-**العرب والإسلام**، (لكهنؤ: الهند، المجمع الإسلامي العلمي- ندوة العلماء، ١٣٨٤هـ).

٦-**ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟** ط٨، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ).

٧-**النبوة والأنبياء في ضوء القرآن**، ط٧، (دمشق، دار القلم، ١٤٢٠هـ).

حسن، محمد أمين، **خصائص الدعوة الإسلامية**، ط١، (الزرقاء، الأردن، مكتبة المنار، ١٤٠٣هـ).

حسنه، عمر عبيد، **من فقه التغيير : ملامح من المنهج النبوي**، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١٥هـ).

حسيب وآخرون، خير الدين حسيب (مشرف)، وسعد الدين إبراهيم، وإبراهيم سعد الدين، وعلي نصار، وعلي الدين هلال، **مستقبل الأمة العربية التحديات والخيارات**، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨م).

حسين، محمد محمد، **حصوننا مهددة من الداخل**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ).

حسين = محمد الخضر

الحسيني، محمد يونس، **المدن الفاضلة**، (القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٧٠هـ).

أبو حطب وصادق، فؤاد أبو حطب، وآمال صادق، **مناهج البحث وطرق التحليل الإحصائي في العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية**، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩١م).

الحفني، عبد المنعم، **المعجم الفلسفي**، (بيروت، دار ابن زيدون، والقاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٢م).

الحليسي، نواف بن صالح، **المنهج الاقتصادي في التخطيط لنبي الله يوسف عليه السلام**، ط٤، (الرياض، المؤلف، ١٤١٤هـ).

الحليمي، الحسين بن الحسن، **المنهاج في شعب الإيمان**، تحقيق حلمي محمد فودة، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ).

الحمادي، علي، **٣٣٣ تقنية للتدريب والإلقاء المؤثر**، (بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ).

ابن حمزة الحسيني، محمود بن محمد، **الفرائد البهية في القواعد والفوائد الفقهية**، ط١، (دمشق، دار الفكر، ١٤٠٦هـ).

حمّوش، مأمون، **الأمراض النفسية وعوامل الشد إلى الخلف**، (دمشق، دار المأمون، ١٤٢٤هـ).

الحمود، محمد بن حمد، **النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى**، (الكويت، مكتبة الإمام الذهبي، ١٤١٣هـ).

الحوشاني، عبد الله بن رشيد، **منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة**، (الرياض، دار إشبيليا، ١٤١٧هـ).

الحوفي، أحمد محمد، **فن الخطابة**، ط٤، (د.م، دار الفكر العربي، د.ت).

حوى، سعيد، **الأساس في السنة وفقهها: السيرة النبوية**، (القاهرة، دار السلام، ١٤٠٩هـ).

حيدر، علي، **درر الحكام شرح مجلة الأحكام**، تعريب فهمي الحسيني، (الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ).

خان، وحيد الدين، **قضية البعث الإسلامي: المنهج والشروط**، ترجمة محسن عثمان الندوي، (القاهرة، دار الصحوة، ١٤٠٥هـ).

الخرائطي، محمد بن جعفر بن محمد، **اعتلال القلوب**، تحقيق حمدي الدمرداش، ط٢، (مكة المكرمة، مكتبة نزار الباز، ١٤٢٠هـ).

الخرقي، عمر بن الحسين، **مختصر الخرقي**، ط٣، (د.م، مؤسسة الخافقين، ١٤٠٢هـ).

خضر، عبد العليم عبد الرحمن، **المسلمون وكتابة التاريخ: دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ**، ط٢، (الرياض، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٤١٥هـ).

الخطابي، حمد بن محمد :

١-**شأن الدعاء**، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، (دمشق، دار المأمون، ١٤٠٤هـ).

٢-**العزلة**، (القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، د.ت).

٣-**معالم السنن**، بحاشية سنن أبي داود.

الخطيب، محمد عجاج الخطيب، **لمحات في المكتبة والبحث والمصادر**، ط١٧، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ).

الخطيب = عمر.

الخطيب = نمر .

خفاجي، عبد الحليم، **دور أوروبا في مستقبل العمل الإسلامي**، (ميونخ- ألمانيا، مؤسسة بارفايا، ١٤١٣هـ).

خلاّف، هاني عبد المنعم، **المستقبلية والمجتمع المصري**، كتاب الهلال، العدد ٤٢٤، (القاهرة، دار الهلال، ١٤٠٦هـ).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد :

١-**التعريف بابن خلدون ورحلته شرقًا وغربًا**، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، (د.م، لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ت).

٢-**مقدمة ابن خلدون**، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط٣، (القاهرة، دار نهضة مصر، ١٤٠١هـ).

الخلف، أحمد بن عبد العزيز، **منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله تعالى**، (الرياض، مكتبة أضـــواء السلف، ١٤١٩هـــ).

خليل، خليل أحمد، **معجم المصطلحات الاقتصادية**، (بيروت، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٧م).

خليل = عماد الدين .

الخولي، محمد، **القرن الحادي والعشرون : الوعد والوعيد**، كتـــاب الهـــلال، العـــدد ٥٢٨، (القاهرة، دار الهلال، رجب ديسمبر/ ١٩٩٤م).

الخياط، عبد العزيز، **وأمرهم شورى**، (عمّان، مؤسسة آل البيت،١٩٩٣م).

الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، **المسند**، تحقيق حسين سليم الداراني، (الريـــاض، دار المغـــني، ١٤٢١هـــ).

أبـــو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، تحقيق عزت عبيد دعاس، (حمص، دار الحديث، د.ت).

الدبوسي، عمر بن عيسى، **تأسيس النظر**، تحقيق مصطفى محمد القباني، (بيروت، دار ابن زيدون، والقاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت).

الدجاني، أحـــمد صدقي :

١-**تجديد الفكر استجابة لتحديات العصر**، ط١، (القاهرة، دار المســـتقبل العـــربي، ١٩٩٦م).

٢- **عن المستقبل برؤية مؤمنة مسلمة**، ط١، (عَمَّان، دار البشيـــر، ١٤١٢هـــ).

دراز، محمد عبد الله، **النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن**، تخـــريج عبـــد الحميـــد أحمـــد الدخاخني، (الإسكندرية، دار المرابطين، ١٤١٧هـــ).

الدسوقي، محمد، **الحل الإسلامي بين النظريـــة التطبيـــق**، (المنصـــورة: مصـــر، دار الوفـــاء، ١٤١٥هـــ).

ابن دقيق العيد، **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، (بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت).

الدميري، محمد بن موسى، **حياة الحيوان الكبرى**، ط٢، (بيروت، دار إحياء التـــراث العـــربي، ١٤٢٠هـــ).

ابن أبي الدنيا، **القناعة والتعفف**، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، (القاهرة، مكتبة القرآن، د.ت).

الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم :
١-**حجة الله البالغة**، تحقيق عثمان جمعة ضميرية، ط١، (الرياض، مكتبة الكوثر، ١٤٢٠هـ).
٢-**الفوز الكبير في أصول التفسير**، ترجمة سلمان الحُسيني الندوي، ط٢، (بيروت، دار البشائر، ١٤٠٧هـ).

الديك،محمود إبراهيم، **المعاهدات في الشريعة والقانون الدولي العام**، ط٢، (عَمَّان، دار الفرقان، ١٤١٨هـ).

ديماس، محمد، **فنون الحوار والإقناع**، (بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ).

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان :
١-**تلخيص المستدرك**، مختصرًا بهامش المستدرك على الصحيحين للحاكم .
٢-**سير أعلام النبلاء**، تحقيق مجموعة باحثين بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط٧، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٠هـ).

الذهبي = محمد حسين

الرازي، محمد بن عمر بن الحسين :
١-**التفسير الكبير**، ط٢، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ).
٢-**الكاشف عن أصول الدلائل وفصول العلل**، تحقيق أحمد حجازي السقا، (بيروت، دار الجيل، ١٤١٣هـ).
٣-**المحصول في علم أصول الفقه**، تحقيق طه جابر العلواني، ط١، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ).

الراغب، حسين بن محمد الراغب الأصفهاني :
١-**محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، (بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٦١م).
٢-**مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق صفوان عدنان داودي، ط١، (دمشق، دار القلم، ١٤١٢هـ).

الراوي، محمد، **الدعوة الإسلامية دعوة عالمية**، ط١، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٥هـ)، وطبعة أخرى : ط٣، (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١١هـ) .

ابن رجب، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي :

١-**جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ط٣، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ).

٢-**شرح حديث شداد بن أوس**، تحقيق إياد بن عبد اللطيف القيسي، (الرياض، دار العاصمة، ١٤١٩هـ).

٣-**القواعد**، ط٢، (بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ).

٤-**لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، تحقيق ياسين محمد السّواس، (دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٣هـ).

الرجبي، محمد بن علي بن محمد، **متن الرحبية في علم المواريث والفرائض**، (القاهرة، مكتبة القاهرة، د.ت).

رزق الله أحمد، مهدي، **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، ط١، (الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ١٤١٢هـ).

رشوان، حسين عبد الحميد أحمد، **علم الاجتماع وميادينه**، ط٢، (الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٣م).

الرصافي، محمد بن غالب، **ديوان الرصافي البلنسي**، جمع إحسان عباس، (بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٠م)، ص٦٣.

روي وآخران، نيجل كروس، ودافيد أليوت، وروبن روي، **مستقبل يصنعه الإنسان : قراءات في المجتمع والتكنولوجيا والتصميم**، ترجمة وليد شحادة، (دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٦م).

زادة، أحمد بن مصطفى (طاش كبري زادة)، **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).

زاهر، ضياء الدين عبد الشكور، **كيف تفكر النخبة العربية في تعليم المستقبل؟** (عَمَّان، منتدى الفكر العربي، ١٩٩٠م).

الزبيدي، محمد مرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق علي شيري، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ).

الزرقاء، مصطفى أحمد، **المدخل الفقهي العام**، ط٨، (دمشق، مطبعة الحياة، ١٣٨٣هـ). وطبعة أخرى : ط١، (دمشق، دار القلم، ١٤١٨هـ).

الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط١، (د.م، دار قتيبة، ١٤١٨هـ).

الزركشي، بدر الدين بن محمد بهادر، **المنثور في القواعد الفقهية**، تحقيق تيسير فائق أحمد محمود، ط٢، (الكويت، وزارة الأوقاف، ١٤٠٥هـ) .

الزرنوجي، برهان الدين، **تعليم المتعلم في طريق التعلم**، تحقيق صلاح الخيمي ونذير حمدان، (دمشق - بيروت، دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ).

زريق، قسطنطين :

١- **نحن والتاريخ**، ط٢، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٣م).

٢- **نحن والمستقبل**، ط٢، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م).

الزعبي، محمد أحمد، **التغير الاجتماعي بين علم الاجتماع البرجوازي وعلم الاجتماع الاشتراكي**، ط٣، (دمشق، جامعة دمشق، ١٤١٩-١٤٢٠هـ).

الزمخشري، محمود بن عمر:

١-**أساس البلاغة**، ط٣، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م).

٢-**الكشاف**، (بيروت، دار المعرفة، د.ت).

أبو زهرة، محمد، **الخطابة: أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب**، ط٢، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٠م).

زويلف والقريوتي، محمد قاسم القريوتي، ومهدي حسن زويلف، **المفاهيم الحديثة في الإدارة: النظريات والوظائف**، ط٣، (عَمَّان، دار الشروق، ١٤١٣هـ).

أبو زيد، بكر بن عبد الله :

١-**تصحيح الدعاء**، (الرياض، دار العاصمة، ١٤١٩هـ).

٢-**حراسة الفضيلة**، (الرياض، دار العاصمة، ١٤٢١هـ).

٣-**خصائص جزيرة العرب**، (الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤١٢هـ).

٤-**فقه النوازل**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ).

زيدان، عبد الكريم :

١-**أصول الدعوة**، ط٩، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٣هـ).

٢-**المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية**، ط٦، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ).

٣-**المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ).

ابن زيدون، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن زيدون المخزومي، **ديوان ابن زيدون ورسائله**، شرح وتحقيق علي عبد العظيم، (القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت).

زين الهادي، محمد، **علم نفس الدعوة**، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٥هـ).

ساداتي، سيد محمد ساداتي الشنقيطي :

١-**الدعوة إلى الله : الواقع والأمل : دراسة عن إفريقيا**، (الرياض، دار عالم الكتب، ١٤١٥هـ).

٢-**الرأي العام في ضوء الإسلام**، ط٣، (الرياض، دار المسلم، ١٤١٤هـ).

السامرائي، فاروق عبد المجيد، **أهداف وخصائص التعليم الإسلامي**، (عَمَّان، دار النفائس، ١٤١٩هـ).

السايح، أحمد عبد الرحيم، **هذا هو الإسلام : سماته وحاجة الإنسانية إليه**، (الدوحة، دار الثقافة، د.ت).

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن :

١-**الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، تحقيق محمد عثمان الخشت، (الرياض، مكتبة الساعي، د.ت).

٢-**التبر المسبوك في ذيل السلوك**، (القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت).

السدحان، عبد العزيز بن محمد، **الإمام ابن باز: دروس ومواقف وعبر**، (د.م، د.ن، ١٤٢١هـ).

السرخسي، محمد بن أحمد :

١-**شرح السير الكبير**، اعتمادًا على شركة حرف، برنامج "جامع الفقه الإسلامي"، قرص ليزر، الإصدار الأول، ١٩٩٨م .

٢-**المبسوط**، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ).

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري، **الطبقات الكبرى**، (بيروت، دار بيروت، ١٤٠٠هـ).

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر :

١-**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).

٢-**القواعد الحسان لتفسير القرآن**، (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٢٠هـ).

٣-**المجموعة الكاملة لمؤلفاته**، ط٢، (عنيزة، مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤١٢هـ).

أبو السعود، عبد رب النبي علي، **التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته**، ط١، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٢هـ).

السفاريني، محمد بن أحمد، **نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار**، تحقيق عبد العزيز بن سليمان الهبدان، وعبد العزيز بن إبراهيم الدخيل، (الرياض، دار الصميعي، ١٤١٦هـ).

السلمي، محمد بن صامل، **منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه**، (المنصورة: مصر، دار الوفاء، ١٤٠٨هـ).

أبو سليمان، عبد الوهاب إبراهيم، **كتابة البحث العلمي: صياغة جديدة**، ط٥، (جدة، دار الشروق، ١٤١٤هـ).

أبو سليمان = عبد الحميد

سليمان بن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، ط٣، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٧هـ).

السمالوطي، نبيل محمد توفيق، **المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع**، ط٢، (جدة، دار الشروق، ١٤٠٦هـ).

السمعاني، عبد الكريم بن محمد، **أدب الإملاء والاستملاء**، تحقيق أحمد محمد محمود، (جدة، المحقق، ١٤١٤هـ).

السمناني، علي بن محمد بن أحمد، **روضة القضاة وطريق النجاة**، تحقيق صلاح الدين الناهي، ط٢، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ).

السمهودي، علي بن أحمد، **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ).

السندي، أبو الحسن الحنفي، **شرح سنن ابن ماجه القزويني**، (بيروت، دار الجيل، د.ت)، وطبعة أخرى : تحقيق خليل مأمون شيحا، (بيروت، دار المعرفة، ١٤١٦هـ).

السويدان وباشراحيل، طارق محمد السويدان، وفيصل عمر باشراحيل، **صناعة القائد**، (الرياض، مكتبة جرير وغيرها، ١٤٢٣هـ).

السيد نوفل، أبو المجد، **الدعوة إلى الله تعالى: خصائصها، مقوماتها، مناهجها**، ط١، (القاهرة، مطبعة الحضارة العربية، ١٣٩٧هـ).

سيلا، عبد القادر محمد، **المسلمون في السنغال: معالم الحاضر وآفاق المستقبل**، سلسلة كتاب الأمة: ١٢، (قطر، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤٠٦هـ).

السيوطي، عبد الرحمن :

١-**الأشباه والنظائر**، (القاهرة، مكتبة مصطفى البابي، ١٣٧٨هـ).

٢-**تاريخ الخلفاء**، تحقيق سعيد محمود عقيل، (بيروت، دار الجيل، ١٤٢٤هـ).

٣-**اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٣هـ).

الشاذلي، عبد الله يوسف، **الدعوة والإنسان**، (طنطا، المكتبة القومية الحديثة، د.ت، تاريخ المقدمة ١٤٠٥هـ).

الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي المالكي :

١-**الاعتصام**، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، (الخُبر، دار ابن عفان، ١٤١٢هـ).

٢-**الموافقات في أصول الشريعة**، تحقيق عبد الله دراز وآخرَين، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).

الشافعي، محمد بن إدريس، **الرسالة**، تحقيق أحمد محمد شاكر، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).

الشايب، أحمد، **الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية**، ط٧، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٩٦هـ).

ابن شبّة، عمر بن شبّة النميري البصري، **تاريخ المدينة المنورة**، تحقيق فهيم محمد شلتوت، (قم:إيران، دار الفكر، د.ت).

شرف، عبد العزيز، **اللغة العربية والفكر المستقبلي**، (بيروت، دار الجيل، د.ت).

الشرفي، عبد المجيد السوسه، **الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي**، سلسلة كتاب الأمة، العدد: ٦٢، (قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ذو القعدة ١٤١٨هـ).

الشريف، محمد موسى، **التوريث الدعوي**، ط١، (جدة، دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٢هـ).

الشريم، سعود بن إبراهيم، **الشامل في فقه الخطيب والخطبة**، ط١، (الرياض، دار الوطن، ١٤٢٣هـ).

شلبي، رؤوف، **الدعوة الإسلامية في عهدها المكي (مناهجها وغاياتها)**، ط٣، (الكويت، دار القلم، ١٤٠٢هـ).

شمتز، باول، **الإسلام قوة الغد العالمية**، ترجمة محمد شامة، (القاهرة، مكتبة وهبة، د.ت).

شمس والعمران، محمد عزيز شمس، وعلي بن محمد العمران، **الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية**، (مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، ١٤٢٠هـ).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٣هـ).

الشنقيطي = ساداتي .

الشهاب العابر، أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم الحنبلي، **البدر المنير في علم التعبير**، تحقيق حسين بن محمد جمعة، (بيروت، مؤسسة الريان، ١٤٢١هـ).

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل**، تحقيق محمد سيد كيلاني، (القاهرة، مكتبة البابي الحلبي، ١٤٠٦هـ).

شهلا، إيلي منيف، **قصة التنبؤ بالغيب عبر التاريخ**، (دمشق، الأهالي، ١٩٩٩م) .

الشوربجي، مجدي، **التنبؤ الكمي للمشروعات والحكومات: الأساليب والنماذج والتطبيقات**، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٤هـ).

الشوكاني، محمد بن علي :

١-**أدب الطلب ومنتهى الأرب**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ).

٢-**فتح القدير**، ط٢، (القاهرة، مكتبة البابي الحلبي، ١٣٨٣هـ).

٣-**إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول**، تحقيق محمد سعيد البدري، (مكة المكرمة، مكتبة الباز، ١٤١٣هـ).

٤- **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار**، (بيروت، دار الكتب العملية، د.ت).

شيبة الحمد، عبد القادر، **تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما لحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل**، (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٤هـ).

ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي، **المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق مختار أحمد الندوي، (الهند، الدار السلفية، ١٤٠٣هـ). وطبعة أخرى : تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، (بيروت، دار التاج، ١٤٠٩هـ).

شيل، جونثال، **مصير كوكب الأرض في الحرب النووية**، ترجمة موسى الزعبي وعيسى طنوس، (دمشق، مكتب الخدمات، ١٩٨٦م).

شين، هارولد، **التغيير المنهجي للقرن الواحد والعشرين**، ترجمة عبد اللطيف بن حسين فرج، (مكة المكرمة، المترجم، ١٤١٤هـ).

الصاحب ابن عباد، إسماعيل، **المحيط في اللغة**، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط١، (بيروت، عالم الكتب، ١٤١٤هـ).

الصالح، صبحي، **معالم الشريعة الإسلامية**، ط٤، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٢م).

صبحي، أحمد محمود، **فن فلسفة التاريخ**، (الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٧٥م).

صعب، حسن :

١-**العرب يبدعون مستقبلهم**، (بيروت، دار العلم للملايين،١٩٩٠م).

٢-**المقاربة المستقبلية للإنماء العربي**، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م).

الصعيدي، عبد المتعال، **المجددون في الإسلام: من القرن الأول إلى الرابع عشر**، (القاهرة، مكتبة الآداب، د.ت).

أبو صعيليك، محمد عبد الله، **الأمل وأثره في حياة الأمة**، ط١، (دمشق، دار القلم، وبيروت، الدار الشامية، ١٤١٧هـ).

الصغير، محمد، **أنواع الحزن ودروب السعادة**، (الرياض، المؤلف،١٤٢٠هـ).

صفي الرحمن المباركفوري، **الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية**، (بيروت، دار مكتبة المتنبي، د.ت).

صقر، خليل، **صناعة المستقبل**، (بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ).

ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري :

١-**أدب الفتوى وشروط المفتي وصفة المستفتي وأحكامه وكيفية الفتوى والاستفتاء**، تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٣هـ).

٢-**فتاوى ومسائل ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه**، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٦هـ).

الصواف، محمد محمود، **من القرآن وإلى القرآن: الدعوة والدعاة**، ط٣، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ).

الصوفي وقاسم، محمد عبد الله الصوفي، وعبد الغني قاسم، **أهم التحديات المستقبلية التي ستواجه أمتنا ودور التربية في حلها**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ).

صيني، سعيد إسماعيل، **قواعد أساسية في البحث العلمي**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ).

الطاهر، عبد الجليل، **مسيرة المجتمع: بحث في نظرية التقدم الاجتماعي**، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٦م).

الطبراني، سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، (د.ن، د.م، د.ت) .

الطبري، محمد بن جرير :

١-**تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت، د.ن، د.ت).

٢-**تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق محمود محمد شاكر، تخريج أحمد محمد شاكر، (مصر، دار المعارف، د.ت).

الطبري = المحب .

الطرطوشي، محمد بن الوليد الفهري، **سراج الملوك**، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، (القاهرة، الدار المصرية البنانية، ١٤١٤هـ).

الطريقي، عبد الله بن إبراهيم، **فقه التعامل مع المخالف**، مرجع سابق، (الرياض، دار الوطن، ١٤١٥هـ).

طعيمة، صابر، **المعرفة في منهج القرآن الكريم : دراسة في الدعوة والدعاة**، (بيروت، دار الجيل، د.ت).

الطوير، حسن مسعود، **الدعوة إلى الله تعالى على ضوء الكتاب والسنة**، ط١، (بيروت، دار قتيبة، ١٤١٣هـ).

الطويل، السيد رزق، **لكي تعود خير أمة**، (القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، د.ت).

ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، **حاشية ابن عابدين: رد المحتار على الدر المختار**، تحقيق حسام الدين ابن محمد فرفور، (دمشق، دار الثقافة والتراث، ١٤٢١هـ).

العاتي، إبراهيم، **الزمان في الفكر الإسلامي**، (بيروت، دار المنتخب العربي، ١٤١٣هـ).

ابن عاشور، محمد الطاهر :

١-**أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، تحقيق محمد الميساوي، (الأردن ، دار النفائس، ١٤٢١هـ).

٢-**التحرير والتنوير**، (تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م).

ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو الضحاك الشيباني، **الآحاد والمثاني**، تحقيق باسم فيصل الجوابرة، (الرياض، دار الراية، ١٤١١هـ).

عباس، إبراهيم، **مقدمة في ظاهرة التغيير**، (د.م، مكتبة الصفدي، ١٤١٢هـ).

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن عبد البر الأندلسي :

١-**الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء**، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، (بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٧هـ).

٢-**التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق محمد الفلاح، (د.م، مكتبة الغرباء، ١٤٠٠هـ) .

٣-**جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ط٦، (الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢٤هـ) .

عبد الحليم، محيي الدين، **الرأي العام في الإسلام**، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٣هـ).

عبد الحميد أحمد أبو سليمان، **أزمة العقل المسلم**، ط٢، (الأردن، مكتبة المنار، ١٤١٢هـ).

عبد الخالق، عبد الرحمن، **خطوط رئيسية لبعث الأمة الإسلامية**، ط٢، (الكويت، الدار السلفية، ١٤٠٦هـ).

عبد الدائم، عبد الله، **الثورة التكنولوجية في التربية العربية**، ط٣، (بيروت، دار العلم للملايين،١٩٨١م).

عبد الرحمن بدوي، **مناهج البحث العلمي**، ط٣، (الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٧م).

عبد الرحمن، مصطفى رضا، **التنمية البشرية**، (طنطا، أكاديمية السادات للعلوم الإدارية، ١٩٩٨م).

عبد الرزاق، عبد الرزاق بن هَمَّام الصنعاني، **المصنف**، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، (جنوب إفريقيا، المجلس العلمي، ١٣٩٢هـ).

ابن عبد السلام، عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، مرجع سابق، (بيروت، دار المعرفة، دت).

عبد الظاهر، حسن عيسى، **فصول في الدعوة الإسلامية**، ط١، (قطر، دار الثقافة، ١٤٠٦هـ).

عبد الفضيل، محمود، **حوار مع المستقبل**، كتاب الهلال، العدد ٥٣١، (القاهرة، دار الهلال، شوال مارس ١٩٩٥م).

عبد الكريم، محمد الغريب، **البحث العلمي : التصميم والمنهج والإجراءات**، ط٢، (الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، د.ت).

عبد الله وآخرون، إبراهيم سعد الدين، وعلي نصار، ومحمود عبد الفضيل، وإسماعيل صبري عبد الله، **صور المستقبل العربي**، ط٣، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩م).

عبد المعطي، عبد الباسط محمد، **البحث الاجتماعي: محاولة نحو رؤية نقدية لمنهجه وأبعاده**، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م).

ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد، **العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، تحقيق محمد حامد الفقي، (الرياض، مكتبة المؤيد، د.ت).

ابن عبد الوهاب، محمد، **كتاب التوحيد**، (د.م، د.ن، د.ت) .

العبده، محمد، **أيعيد التاريخ نفسه؟ دراسة لأحوال العالم الإسلامي قبل صلاح الدين مقارنة مع واقعنا المعاصر**، (لندن، المنتدى الإسلامي، ١٤١١هـ).

أبو عبيد، القاسم بن سلام، **كتاب الأموال**، تحقيق محمد عمارة، (بيروت، دار الشروق، ١٤٠٩هـ).

عتر، حسن ضياء الدين، **المعجزة الخالدة**، ط٢، (د.م، المؤلف، ١٤٠٩هـ).

العثماني، سعد الدين، **في الفقه الدعوي : مساهمة في التأصيل**، (القاهرة – الكويت، دار القلم، ١٤١٥هـ).

العثيمين، محمد بن صالح، **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**، (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٥هـ).

ابن العربي، محمد بن عبد الله، **أحكام القران**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).

عريفج وآخرَين، سامي عريفج، وخالد حسين مصلح، ومفيد نجيب حواشين، **في مناهج البحث العلمي وأساليبه**، (عَمَّان، دار مجدلاوي، ١٩٨٧م).

عزام، عبد الله، **الإسلام ومستقبل البشرية**، (بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٠هـ).

العساف، صالح بن حمد، **المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية**، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ).

ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ).

العصيمي، تركي بن أحمد، **كيف نخدم الإسلام من خلال الإنترنت؟** (الرياض، دار المعارج، ١٤٢١هـ).

عطا، عبد القادر أحمد، **لماذا بعث الرسول في مكة ولم يبعث في غيرها من البلدان؟** ط١، (د.م، د.ن، ١٣٩٩هـ).

عطيات أبو السعود (مترجمة)، برنيري.

عطية الله، أحمد، **القاموس السياسي**، ط٣، (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٨م).

العظيم آبادي، محمد شمس الحق، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ).

العقاد، عباس محمود :

١-**الإسلام في القرن العشرين : حاضره ومستقبله**، ط٢، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م).

٢-**مع عاهل الجزيرة العربية**، (بيروت، المكتبة العصرية، د.ت).

علوان، عبد الله ناصح، **سلسلة مدرسة الدعاة: فصول هادفة في فقه الدعوة والداعية**، (القاهرة، دار السلام، ١٤١٨هـ).

علي، محمد فتحي محمد، **التنبؤ التجاري والاقتصادي**، (القاهرة، مكتبة عين شمس، د.ت).

عماد الدين خليل، **التفسير الإسلامي للتاريخ**، ط٤، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٣م).

العمار، حمد بن ناصر :

١-**أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة**، ط٢، (الرياض، دار إشبيليا، ١٤١٨هـ).

٢-**إعداد الداعية في ضوء صورة فُصِّلت**، ط١، (الرياض، دار إشبيليا، ١٤١٩هـ).

٣-**صفات الداعية**، (الرياض، دار إشبيليا، ١٤١٧هـ).

عمر الخطيب، **الوطن العربي عام ٢٠٠٠: محاولة لاستشراف الأوضاع السياسية**، (القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٨٥م).

عمر، محمد زيان، **البحث العلمي مناهجه وتقنياته**، ط٥، (جدة، دار الشروق، ١٤٠٧هـ).

العمري، أكرم ضياء :

١-**التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام**، (الرياض، دار إشبيليا، ١٤١٧هـ).

٢-**عصر الخلافة الراشدة : محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين**، (المدينة النبوية، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٤هـ).

عميره، عبد الرحمن، **أضواء على البحث والمصادر**، ط٦، (بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ).

العوشن، عبد الله بن محمد، **كيف تقنع الآخرين؟** (الرياض، دار العاصمة، ١٤١٤هـ).

عويس، عبد الحليم :

١-**تفسير التاريخ علم إسلامي**، (مصر، دار الوفاء، ١٤١٨هـ).

٢-**فقه التاريخ وأزمة المسلمين الحضارية**، (القاهرة، دار الصحوة، ١٤٠٧هـ).

عويس = منصور محمد محمد

العيتي، ياسر، **الذكاء العاطفي: نظرة جديدة في العلاقة بين الذكاء والعاطفة**، (دمشق، دار الفكر، ١٤٢٤هـ).

عيد، مفيد خالد عيد أحمد، **العلاقة بين الفقه والدعوة**، (بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٦هـ).

العيني، محمود بن أحمد، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (د.م، دار الفكر، د.ت).

غالي، وائل، **أوهام المستقبل**، (القاهرة، دار الثقافة، ١٩٩٨م).

الغامدي، علي بن سعيد، **فقه الشورى: دراسة تأصيلية نقدية**، (الرياض، دار طيبة، ١٤٢٢هـ).

الغامدي وآخرون، أحمد بن عطية، وآخرون، **الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة**، (المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ١٤١٩هـ).

أبو غدة عبد الفتاح، (تعليق)، أحمد شاكر، **تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة وكيفية ضبط الكتاب وسبق المسلمين الإفرنج في ذلك**، ط٢، (القاهرة، مكتبة السنة، ١٤١٥هـ).

الغرناطي، أحمد بن الزبير، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، تحقيق محمود كامل أحمد، (بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ).

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد :

١-**إحياء علوم الدين**، (بيروت، دار المعرفة، د.ت).

٢-**المستصفى من علم الأصول**، (بيروت، دار صادر، مصورة عن طبعة المطبعة الأميرية عام ١٣٢٢هـ) .

٣-**مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ).

٤-**المنخول من تعليقات الأصول**، تحقيق محمد حسن هيتو، (د.م، المحقق، د.ت).

الغزالي = محمد

غلوش، أحمد أحمد، **الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها**، ط٢، (القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٤٠٧هـ).

غنيم وآخران، مريم أحمد مصطفى، والسيد عبد العاطي السيد، والسيد رشاد غنيم، **التغير ودراسة المستقبل**، (د.م، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م).

الغنيمان، عبد الله بن محمد :

١-**ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة**، (دمنهور، مكتبة لينة، ١٤١٠هـ).

٢-**لا يصلح هذه الأمة إلا ما أصلح أولها**، ط١، (دمنهور: مصر، دار لينة، ١٤١٧هـ).

الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، **الحضارة الإسلام وتحديات القرن الحادي والعشرين**، (القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٤١٥هـ).

غيث ومحمد، محمد عاطف غيث، ومحمد علي محمد، **دراسات في التنمية والتخطيط الاجتماعي**، (بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٦هـ) .

الفارابي، أبو نصر محمد، **آراء أهل المدينة الفاضلة**، ط٢، (القاهرة، مكتبة الحسين، ١٣٦٨هـ).

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، ط٣، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، (مصر، مكتبة الخانجي، ١٤٠٢هـ).

فراج، عز الدين، **عجائب النمل**، (د.م، د.ن، ١٩٧٥م).

الفراهي، عبد الحميد، **مفردات القرآن : نظرات جديدة في تفسير ألفاظ القرآن**، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، ط١، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢م).

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **العين**، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ط٢، (بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٦م).

الفرّاء، يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، ط٣، (بيروت، دار عالم الكتب، ١٤٠٣هـ).

الفراء = أبو يعلى .

فريد، أحمد، **وقفات تربوية مع السيرة النبوية**، (الرياض، دار طيبة، ١٤١٤هـ).

الفقي، محمد أبو زيد، **المذخورية: الفكر المستقبلي عند المسلمين**، ط١، (القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٤١٤هـ).

الفهداوي، خالد سليمان، **الفقه السياسي للوثائق النبوية**، (عَمَّان، دار عمار، ١٤١٩هـ).

فهمي، محمد سيف الدين، **التخطيط التعليمي: أسسه وأساليبه ومشكلاته**، (القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٨٤م).

فودة وعبد الله، حلمي محمد فودة، وعبد الرحمن صالح عبد الله، **المرشد في كتابة الأبحاث**، ط٤، (جدة، دار الشروق، ١٩٨٣م).

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، ط٢، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧).

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، **المصباح المنير**، (بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م).

ابن القيم، محمد بن أبي بكر الدمشقي :

١-**إعلام الموقعين**، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، (بيروت، دار الجيل، د.ت).

٢-**إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، تحقيق محمد عفيفي، ط٢، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٩هـ).

٣-**بدائع الفوائد**، (بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت).

٤-**التبيان في أقسام القرآن**، تحقيق محمد شريف سكر، (بيروت، دار إحياء العلوم، ١٤٠٩هـ).

٥-**تحفة المودود بأحكام المولود**، تحقيق عبد اللطيف آل محمد الفواعير، ط١، (عمَّان، دار الفكر،١٤٠٨هـ).

٦-**تعليقات ابن القيم على سنن أبي داود**، بحاشية العظيم آبادي.

٧-**حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، تحقيق يوسف علي بدوي، (بيروت، دار ابن كثير، ١٤١١هـ).

٨-**الداء والدواء**، تحقيق يوسف علي بديوي، ط٤، (المدينة المنورة، مكتبة دار التراث، ١٤١٢هـ).

٩-**رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه**، تحقيق عبد الله بن محمد المديفر، (الرياض، المحقق، ١٤٢٠هـ).

١٠-**الروح**، تحقيق يوسف علي بديوي، ط١، (دمشق وبيروت، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ).

١١-**روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط١، (الرياض، دار الصميعي، وبيروت، دار الخير، ١٤١٦هـ).

١٢-**زاد المعاد**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، ط٢٣، (بيروت، مؤسسة الرسالة، والكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠٩هـ).

١٣-**شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، تحقيق مصطفى أبو النصر الشلبي، ط١، (مكتبة السوادي، جدة، ١٤١٢هـ).

١٤-**الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، تحقيق علي بن محمد الدخيل الله، ط٢، (الرياض، دار العاصمة، ١٤١٢هـ).

١٥-**الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، تحقيق محمد حامد الفقي، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).

١٦-**عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، تحقيق محمد علي قطب، (بيروت، دار القلم، ١٤٠٧هـ).

١٧-**الفوائد**، تحقيق بشير محمد عيون، ط٢، (الرياض، مكتبة المؤيد، ١٤٠٨هـ).

١٨-**الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**، تحقيق عبد الله بن محمد العمير، (الرياض، دار ابن خزيمة، ١٤١٦هـ).

١٩-**الكلام على مسألة السماع**، تحقيق راشد بن عبد العزيز الحمد، (الرياض، دار العاصمة، ١٤٠٩هـ).

٢٠-**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق محمد حامد الفقي، (القاهرة، مكتبة السنة المحمدية، ١٣٧٥هـ) .

٢١-**مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، (د.م، دار الفكر، د.ت).

٢٢-**المنار المنيف في الصحيح والضعيف**، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط٦، (بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٤هـ) .

٢٣-**هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٤هـ) .

القاري، عليّ بن سلطان، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، تحقيق صدقي العطار، (مكة المكرمة، المكتبة التجارية، د.ت).

القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، (بيروت، دار إحياء التراث، ١٤١٥هـ).

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، **عيون الأخبار**، تحقيق يوسف علي طويل، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).

القحطاني، سعيد بن علي بن وهف :

١-**فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري: دراسة دعوية للأحاديث من أول كتاب الوصايا إلى نهاية كتاب الجزية والموادعة**، (الرياض، المؤلف، ١٤٢٠هـ).

٢-**مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة**، (الرياض، المؤلف، ١٤١٥هـ).

ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي،

١-**المغني**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، (القاهرة، دار هجر، ١٤١٢هـ).

٢-**المقنع**، ومعه كتاب الشرح الكبير، والإنصاف، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة، دار هجر، ١٤١٥هـ).

القرافي، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، **الفروق**، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ).

القرضاوي، يوسف :

١-**أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**، ط١٢، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١١هـ).

٢-**الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة**، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٤).

٣-**الخصائص العامة للإسلام**، ط٤، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٠٩هـ).

٤-**الرسول والعلم**، ط٣، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ).

٥-**الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١١هـ).

٦-**الفتوى بين الانضباط والتسيب**، ط٢، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١٥هـ).

٧-**في فقه الأولويات: دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة**، ط٢، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٦هـ).

٨-**المبشرات بانتصار الإسلام**، (دمشق، دار القلم، ١٤١٨هـ).

القرطبي = أحمد القرطبي.
القرطبي = محمد القرطبي.
القزويني، زكريا بن محمد، **عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات**، مع كتاب الدميري.
القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن**، ط١٤، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ).
قطب، سيد، **المستقبل لهذا الدين**، ط١٤، (القاهرة، دار الشروق، ١٤١٣هـ).
قطب = محمد قطب .
القلعي، محمد بن علي، **تهذيب الرياسة وترتيب السياسة**، تحقيق: إبراهيم يوسف عجو، (الزرقاء: الأردن، مكتبة المنار، ١٤٠٥هـ).
القيرواني، إبراهيم بن على الحصري، **زهر الآداب**، تحقيق زكي مبارك، ط٤، (بيروت، دار الجيل، د.ت).
كارلسون، ريتشارد، **لا تهتم بصغائر الأمور في العمل**، ط٢، (الرياض، مكتبة جرير، ٢٠٠٠م).
الكاساني، مسعود بن أحمد، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م).
الكافيجي، محمد بن سليمان، **المختصر في علم التاريخ**، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، (بيروت، عالم الكتب، ١٤١٠هـ).
كامل، عبد العزيز بن مصطفى، **حمى سنة ٢٠٠٠**، (الرياض، دار السليم، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
ابن كثير، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي :
١-**البداية والنهاية**، تحقيق عبد الرحمن اللادقي، ومحمد غازي بيضون، (بيروت، دار المعرفة، ١٤١٦هـ). وطبعة أخرى: تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، (القاهرة، دار هجر، ١٤١٨هـ)، وهي المعتمدة عند عدم الإشارة إلى الطبعة الأخرى.
٢-**تفسير القرآن**، ط١، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٧هـ).
٣-**الفتن والملاحم الواقعة في آخر الزمان**، تحقيق يوسف علي بديوي، ط١، (دمشق وبيروت، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ).
كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ).

الكحلاني، حسن محمد، **فلسفة التقدم:دراسة في اتجاهات التقدم والقوى الفاعلة في التـــاريخ**، (الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، ١٩٩٧م).

الكرخي، عبيد الله بن الحسين، **رسالة في الأصول**، مطبوعة مع تأسيس النظر، لعبيد الله بن عمر الدبوسي، (القاهرة، نشر زكريا علي يوسف، د.ت).

الكرماني، **صحيح أبي عبد الله البخاري بشرح الكرماني**، ط٢، (بيروت، دار إحيـــاء التـــراث العربي، ١٤٠١هـــ).

الكسائي، علي بن حمزة، **معاني القرآن**، تحقيق عيسى شحاتة عيســـى، (القـــاهرة، دار قبـــاء، ١٩٩٨م).

كنعان= أحمد كنعان.

كنعان= نواف كنعان.

كورنيش وآخرون، إدوارد كورنيش وأعضاء جمعية المستقبل العالمية وهيئتها الإدارية، **المستقبلية: مقدمة في فن وعلم: فهم وبناء عالم الغد**، ترجمة محمود فلاّحة، (دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٤م).

كيلاني، محمد سيد، **ذيل الملل والنحل**، ضمن الشهرستاني .

الكيّالي وآخرون، عبد الوهاب، **موسوعة السياسة**، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٣م).

اللبان، مصطفى أحمد الرفاعي، **مستَقبل الإسلام**، (القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٥٢هـــ).

اللجنة التحضيرية العليا لمؤتمر القمة الإسلامي الخامس، **الإسلام والمستقبل**، (الكويت، اللجنـــة الإعلامية لمؤتمر القمة الإسلامي الخامس، ١٤٠٧هـــ).

اللحام، ماجد، **معجم المعارك الحربية**، (دمشق، دار الفكر المعاصر، ١٤١٠هـــ).

اللحيدان، صالح بن سعد، **الجهاد في الإسلام بـــين الطلـــب والـــدفاع**، ط٥، (الريـــاض، دار الصميعي، ١٤١٨هـــ).

لي برا، هرفيه، **العالم وحدوده: الأساطير الشائعة حول الطبيعة والسكان**، ترجمة حليم طوسون، (القاهرة، دار المستقبل العربي، ١٩٩٧م).

ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (القـــاهرة، دار الريان للتراث، د.ت).

مالك بن أنس، **الموطأ**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط٢، (القاهرة، دار الحديث، ١٤١٣هـــ).

الماوردي، علي بن محمد بن حبيب :

١-**الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ).

٢-**أدب الدنيا والدين**، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، ط٢، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١١هـ).

٣-**قوانين الوزارة وسياسة الملك**، ط٢، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٤هـ).

المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، ط٢، (المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ١٣٨٥هـ)، وطبعة أخرى : تحقيق علي معوض، وعادل عبد الموجود، ط٣، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ).

المباركفوري = صفي الرحمن

المتنبي، **ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري**، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، ط٢، (مصر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٦هـ).

مجمع الفقه الإسلامي، **النظام الأساسي لمجمع الفقه الإسلامي**، (جدة، منظمة المؤتمر الإسلامي، د.ت).

مجمع اللغة العربية :

١- **المعجم الفلسفي**، (القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٤٠٣هـ).

٢-**المعجم الوسيط**، ط٣، (القاهرة، مجمع اللغة العربية، د.ت) .

مجموعة باحثين بإشراف اليونسكو، **معجم العلوم الاجتماعية**، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م).

مجموعة مؤلفين، **الموسوعة العربية العالمية**، (الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة، ١٤١٦هـ).

مجموعة من علماء الدولة العثمانية، **مجلة الأحكام العدلية**، في (حيدر) .

المحاسبي، الحارث بن أسد، **الرعاية لحقوق الله**، تحقيق عبد الرحمن عبد الحميد البر، (المنصورة، دار اليقين، ١٤٢٠هـ).

المحب الطبري، أحمد، **الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرين بالجنة**، (بيروت، دار الندوة الجديدة، ١٤٠٨هـ).

محفوظ، علي، **هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة**، ط٧، (المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ١٣٩٥هـ).

محمد، أحمد على الحاج، **التخطيط التربوي: إطار لمدخل تنموي جديد**، (بيروت، المؤسسة الجامعية، ١٤١٢هـ).

محمد حسين الذهبي، **مشكلات الدعوة والدعاة**، (القاهرة، مطابع دار الشعب، ١٣٩٧هـ).

محمد الخضر حسين، **الدعوة إلى الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وعبر تاريخ الأمة**، تحقيق على بن حسن الحلبي الأثري، (الرياض، دار الراية، ١٤١٧هـ).

محمد سعيد البارودي، **الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان**، ط١، (جدة، دار الوفاء، ١٤٠٧هـ).

محمد بن عبد الرحمن البخاري، **محاسن الإسلام وشرائع الإسلام**، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).

محمد الغزالي :

١-**فقه السيرة**، ط٧، خرّج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، (القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٦م).

٢-**مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة**، ط٢، (دار القلم، دمشق، ١٤١٧هـ).

محمد قطب :

١-**التطور والثبات في حياة البشرية**، ط٨، (القاهرة، دار الشروق، ١٤١١هـ).

٢-**قبسات من الرسول ﷺ**، ط١٣، (القاهرة، دار الشروق، ١٤١٨هـ).

٣-**واقعنا المعاصر**، ط٣، (جدة، مؤسسة المدينة للصحافة، ١٤١١هـ).

محمد القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ).

محمد محمد أبو زيد، **أثر الظروف النفسية والاجتماعية في سلوك الداعية**، (المنصورة، دار الوفاء، ١٤١٢هـ).

محمد نعمان الدين الندوي، **الروائع والبدائع في البيان النبوي**، (بيروت، دار الشهاب، ١٤٢٠هـ).

محمد هلال، محمد عبد الغني حسن هلال، **مهارات التوعية والإقناع**، (القاهرة، مركز تطوير الأداء والتنمية، د.ت).

محمد ولي الله عبد الرحمن الندوي، **نبوءات الرسول ﷺ : ما تحقق منها وما يتحقق**، ط٦، (القاهرة، دار السلام، ١٤٢٤هـ).

محمد يوسف موسى، **تاريخ الفقه الإسلامي**، (القاهرة، دار المعرفة، د.ت).

المحيا، صالح بن علي (تقديم لكتاب)، علي شايخ الشهري، **بناء المعنويات في القوات المسلحة**، (د.م، مكتبة دار الطحاوي، ١٤٢٢هـ).

مخامرة وآخرون، فؤاد الشيخ سالم، وزياد رمضان، وأميمة الدهان، ومحسن مخامرة، **المفاهيم الإدارية الحديثة**، ط٣، (عمَّان، دار المستقبل، ١٩٨٩م).

المرشد، علي بن صالح، **مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر**، ط١، (دمنهور، مصر، مكتبة لينة، ١٤٠٩هـ).

المرصفي، محمد علي، **مقدمة في أصول التربية**، (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٩هـ).

مركز المعلومات بالمعهد العربي للتخطيط، **قائمة المطبوعات ١٩٩٦م**، (الكويت، المعهد العربي للتخطيط، ١٩٩٦م).

مركز دراسات المستقبل الإسلامي، **المستقبل الإسلامي**، كتاب غير دوري، العدد٣، (محرم/ ١٤١٣هـ)، (الجزائر، دار المستقبل، ١٤١٣هـ).

مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب :

١- **تجارب الأمم**، تحقيق أبو القاسم إمامي، ط٢، (طهران، دار سروش، ٢٠٠١م).

٢- **الهوامل والشوامل**، ومعه أبو حيان التوحيدي، تحقيق أحمد أمين، والسيد أحمد صقر، (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٠هـ).

مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ).

مشاعل، علي، **الدعوة إلى الله في العصر العباسي الأول: مشكلاتها وأساليب مواجهتها**، ط١، (الرياض، دار العاصمة، ١٤١٤هـ).

المشيقح، عبد الرحمن بن صالح، **إطلالة على دراسات المستقبل**، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ).

مصطفى، محمد جميل، **المستقبل الحق: خطواته من الدنيا إلى الجنة**، ط١، (جدة، دار المنارة، ١٤١٩هـ).

المعري، أبو العلاء، **لزوم ما لا يلزم**، شرح نديم عدي، ط٢، (دمشق، دار طلاس، ١٩٨٨م).

معهد التخطيط القومي، **الأساليب الحديثة في التخطيط طويل المدى للبلاد العربية**، ضمن مجلد : مفهوم ومشكلات وأساليب التخطيط طويل المدى للعالم العربي، الجزء الثاني، (القاهرة، معهد التخطيط القومي، ديسمبر ١٩٧٨م).

ابن مفلح، محمد بن مفلح المقدسي، **الآداب الشرعية**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعمر القيَّام، ط١، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ).

المقّري، محمد بن محمد بن أحمد، **القواعد**، تحقيق أحمد بن عبد الله بن حميد، (مكة، جامعة أم القرى، د.ت).

المقري = أحمد بن محمد.

ممدوح، محمود سعيد، **بشارة المؤمن بتصحيح حديث (اتقوا فراسة المؤمن)**، (د.م، د.ن، ١٤١٦هـ).

ابن المناوي، عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، ط١، (القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٠هـ).

المناوي، محمد عبد الرؤوف، **فيض القدير**، تحقيق أحمد عبد السلام، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

المنجرة، المهدي، **الحرب الحضارية الأولى**، ط٤، (الدار البيضاء، عيون، ١٩٩٢م).

المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي، **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، تحقيق مصطفى محمد عمارة، (القاهرة، دار الحديث، ١٤٠٧هـ) .

منصور محمد محمد عويس، **الرسول ﷺ والحرب النفسية**، (طرابلس=ليبيا، مكتبة النجاح، د.ت).

ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ط١، (بيروت، دار صادر، ١٤١٠هـ).

ابن منقذ، أسامة، **لباب الآداب**، تحقيق أحمد محمد شاكر، (بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ).

ابن المنير، ناصر الدين، **المتواري على أبواب البخاري**، تحقيق علي حسن عبد الحميد، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١١هـ).

المهيدب، عبد الواحد بن عبد الله، **العلم: فضله، أسباب تحصيله، آداب طلابه**،(الرياض، دار العاصمة، ١٤١٠هـ).

المودودي، أبو الأعلى، **واجب الشباب المسلم اليوم**، ط٢، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ).

موسى، رشاد علي، **علم نفس الدعوة بين النظرية والتطبيق**، (الإسكندرية، المكتب العلمي، ١٩٩٩م).

آل موسى، عبد الله بن محمد، **أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي**، ط١، (الرياض، عالم الكتب، ١٤٠٥هـ).

موسى = محمد يوسف

ميدوز وآخرون، دونيللا هـ.، **حدود النمو : تقرير لمشروع نادي روما عن مأزق البشرية**، ترجمة محمد مصطفى غنيم، (القاهرة، دار المعارف، د.ت).

الميلاد، زكي، **المسألة الحضارية: كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟** (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩م).

ميلز، هاري، **فن الإقناع : كيف تسترعي انتباه الآخرين وتغير آراءهم وتؤثر عليهم؟** (الرياض، مكتبة جرير، ٢٠٠١م).

أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني :

١-**حلية الأولياء**، (د.م، دار الفكر، د.ت).

٢-**دلائل النبوة**، تحقيق محمد قلعه جي، وعبد البر عباس، ط٣، (بيروت، دار النفائس، ١٤١٢هـ).

النابلسي، عبد الغني، **تعطير الأنام في تعبير المنام**، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).

ابن نبي، مالك :

١-**تأملات**، (لبنان، دار الفكر، ١٣٩٩هـ) .

٢-**شروط النهضة**، (دمشق، دار الفكر، ١٤٢٠هـ).

٣-**ميلاد مجتمع**، (دمشق، دار الفكر، ١٤٢٠هـ).

ابن نجيم، زين العابدين بن إبراهيم، **الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ).

ابن النحاس، أحمد بن إبراهيم الدمشقي الدمياطي، **مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام**، تحقيق إدريس محمد علي، ومحمد خالد إسطنبولي، (بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٠هـ).

النحلاوي، عبد الرحمن، **التربية بالعبرة**، (دمشق، دار الفكر، ١٤١٥هـ).

النحوي، عدنان علي رضا، **ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية**، ط٢، (د.م، د.ن، ١٤٠٤هـ).

الندوة العالمية للشباب الإسلامي، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، ط٢، (الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤٠٩هـ).

الندوي، علي بن أحمد، **القواعد والضوابط المستخلصة من التحرير** لجمال الدين الحصيري شرح الجامع الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، ط١، (القاهرة، المؤسسة السعودية، ١٤١١هـ).

الندوي = أبو الحسن الندوي .

الندوي = محمد نعمان الدين .

الندوي = محمد ولي الله عبد الرحمن .

النديم، محمد بن إسحاق، **الفهرست**، تحقيق رضا تجدد، (طهران، مكتبة الأسدي، ١٣٩١هـ).

النسائي، أحمد بن شعيب :

١-**عمل اليوم والليلة**، تحقيق فاروق حمادة، ط١، (الرياض، الرئاسة العامة للإفتاء والبحوث العلمية والدعوة والنشر، ١٤٠١هـ).

٢-**سنن النسائي** مع شرح السيوطي وحاشية السندي، ط٢، (بيروت، دار المعرفة، ١٤١٢هـ).

النغيمشي، عبد العزيز، محمد **علم النفس الدعوي : دراسات نفسية تربوية للآباء والمعلمين والدعاة**، (الرياض، دار المسلم، ١٤١٥هـ).

النفراوي الأزهري، أحمد بن غنيم بن سالم، **الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، (بيروت، دار المعرفة، د.ت).

النفيسي عبد الله، (تحرير وتقديم)، **الحركة الإسلامية : رؤية مستقبلية : أوراق في النقد الذاتي**، ط١، (القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٤١٠هـ).

نمر الخطيب، محمد نمر الخطيب، **مرشد الدعاة**، ط١، (بيروت، دار المعرفة،١٤٠١هـ).

نواف كنعان، **القيادة الإدارية**، (الرياض، دار العلوم، ١٤٠٠هـ).

نوفل، محمد نبيل، **تأملات في مستقبل التعليم العالي**، (القاهرة والكويت، مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية ودار سعاد الصباح، ١٩٩٢م).

النووي، محيي الدين بن يحيى بن شرف :

١-**رياض الصالحين**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، (الرباط، مكتبة المعارف، ١٤١٩هـ).

٢-**المجموع شرح المهذب**، (د.م، دار الفكر، د.ت).

٣-**المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط١، (بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ).

ابن هرمة، إبراهيم، **شعر ابن هرمة القرشي**، تحقيق محمد نافع، وحسن عطوان، (دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٩٦٩م).

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، ط٢، (القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ) .

أبو هلالة، يوسف محي الدين، **الإحكام بين مراحل العمل في دعوة النبي ﷺ** ، (الرياض، دار العاصمة، د.ت).

هميسة، أشرف، **سبيلك للسعادة**، (الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٠هـ).

هنَّاد، هنَّاد بن السَّرِي الكوفي التميمي، **الزهد**، تحقيق محمد أبو الليث الخيرآبادي، (قطر، عبد الله الأنصاري، د.ت).

هورن، سام، **التركيز مهارتك الثمينة للتميز والإبداع**، ترجمة مفيد ناجي عودة، (الرياض، دار المعرفة للتنمية البشرية، ١٤٢١هـ).

هيتمان، فرانسوا، **السيطرة على المستقبل**، ترجمة كمال خوري، (دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨١م).

الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر :

١-**الزواجر عن اقتراف الكبائر**، ط٣، (القاهرة، مكتبة البابي الحلبي، ١٣٩٨هـ).

٢-**الفتاوى الحديثية**، (القاهرة، مكتبة محمود توفيق، ١٣٥٣هـ).

الهيثمي، علي بن أبي بكر :

١-**كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة**، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ).

٢-**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٢هـ)، وهي المعتمدة في الإحالات، ما لم يُصرَّح بالطبعة الأخرى: (القاهرة، دار الريان، د.ت).

هيشور، محمد، **سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها**، (المنصورة، دار الوفاء، ١٤١٧هـ).

هيكل، عبد العزيز فهمي، **موسوعة المصطلحات الاقتصادية والإحصائية**، (بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٦هـ).

الوائلي، محمد بن عبد الله، **دعوة الخلق للرجوع إلى الحق**، (الرياض، دار طيبة، ١٤١٨هـ).

الواحدي، علي بن أحمد، **كتاب أسباب النزول**، (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢١هـ).

الواعي، توفيق :

١-**الدعوة إلى الله: الرسالة، الوسيلة، الهدف**، ط٢، (القاهرة، دار اليقين، ١٤١٦هـ).

٢-**النساء الداعيات**، ط٢، (المنصورة، مصر، دار الوفاء، ١٤١٢هـ).

وافي، علي عبد الواحد، -**المدينة الفاضلة للفارابي**، (القاهرة، نهضة مصر، د.ت). - مقدمته على **مقدمة ابن خلدون**.

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**، ط٢، (الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٠هـ).

وزارة المعارف، ، **كيف نقتحم متغيرات المستقبل من خلال ثوابت الماضي؟** سلسلة كتاب المعرفة، (٥)، الرياض، وزارة المعارف .

الوزير، إبراهيم علي، **على مشارف القرن الخامس عشر الهجري: دراسة للسنن الإلهية والمسلم المعاصر**، (القاهرة وبيروت، دار الشروق، ١٤٠٩هـ).

ابن الوزير، محمد بن المرتضى اليماني، **ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان**، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ).

وصفي، عاطف، **كوندرسيه**، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، العدد ١٨، (مصر، دار المعارف، د.ت).

الوكيل، محمد السيد، **أسس الدعوة وآداب الدعاة**، ط٢، (دار الوفاء، القاهرة، ١٤٠٦هـ).

ابن الوكيل، محمد بن عمر بن مكي، **الأشباه والنظائر**، تحقيق أحمد بن محمد العنقري، وعادل بن عبد الله الشويخ، ط٢، (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ).

الوكيلي، محمد، **فقه الأولويات : دراسة في الضوابط**، (الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٦هـ).

الونشريسي، أحمد بن يحيى، **إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك**، تحقيق الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، ط١، (طرابلس: ليبيا، كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، ١٩٩١م) .

أبو يوسف، **كتاب الخراج**، تحقيق أحمد محمد شاكر، (بيروت، دار المعرفة، د.ت).

اليافعي، عبد الله بن أسعد، **الدعاء :آدابه وأسبابه**، تحقيق مسعد عبد الحميد السعدني، مع كتاب: **الترشيح لبيان صلاة التسبيح**، لمحمد بن علي بن طولون، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

ياقوت، ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ).

يالجن، مقداد :

١-**أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون**، ط١، (الرياض، دار عالم الكتب، ١٤١٦هـ).

٢-**تربية الأجيال على أخلاقيات وآداب المناقشة والمحاورة والمناظرة العلمية**، (الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٥هـ).

٣-**التربية الذاتية القيادية النموذجية ومضاعفة الإنتاجية**، (الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٥هـ).

يحيى عبد الحميد إبراهيم، **استراتيجيات النجاح وأسرار التميز**، (القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢٢هـ).

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، **تاريخ اليعقوبي**، (بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٩هـ).

أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي، **مسند أبي يعلى الموصلي**، تحقيق حسن سليم أسد، (دمشق، دار المأمون، ١٤٠٧هـ).

أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين الفراء، **العدة في أصول الفقه**، تحقيق أحمد بن علي سير المباركي، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ).

ثانـــيًا : الدوريات والمجلات العلمية والنشرات :

الإدارة العامة، مـــعهد الإدارة العامـــة، الرياض: العدد ٣١، (نوفمبر/١٤٠٢هـــ)؛ العدد ٣٢، (ربيع الآخر/ ١٤٠٢هـــ).

الأسرة، مؤسسة الوقف الإسلامي، الرياض: العدد١١٦، (ذو القعدة/١٤٢٣هـــ).

الأمانة، أكاديمية شرطة عُمان السلطانية، عُمان : العدد ١٠، (شعبان/١٤١٩هـــ).

الأمن والحياة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنيـــة، الريـــاض: العـــدد ١٧٥، (ذو الحجـــة/ ١٤١٧هـــ)؛ والعدد ٢٢٤، (محرم/ ١٤٢٢هـــ).

الباحثون، (نشرة إعلامية)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشـــاد، الريـــاض: العدد: ٥، (١٤١٨هـــ).

البحوث الفقهية المعاصرة، عبد الرحمن بن حسن النفيسة، الريـــاض: العـــدد ٤٨، (رجـــب – رمضان، ١٤٢١هـــ).

البيان، المنتدى الإسلامي، لندن : العدد ٥٦، (ربيع الآخر، ١٤١٣هـــ)؛ العدد ١٧٠، (شـــوال، ١٤٢٢هـــ)؛ والعدد ١٧٣، (١/ ١٤٢٣هـــ)؛ والعـــدد ١٧٤، (٢/١٤٢٣هـــــ)؛ والعدد ١٧٧، (٥/١٤٢٣هـــ)؛ والعدد ١٧٨، (جمادى الآخرة، ١٤٢٣هـــ)؛ والعدد ١٧٩، (٧/١٤٢٣هـــ)؛ والعدد ١٨٣، (١١/١٤٢٣هـــ)؛ والعدد ٢٠٣، (رجـــب، ١٤٢٥هـــ)؛ والعدد ٢٠٩، (١/ ١٤٢٦هـــ)؛

التدريب والتقنية، المؤسسة العامة للتعليم الفـــني والتـــدريب المهـــني، الريـــاض: العـــدد ١٨، (٦/١٤٢١هـــ).

تطوير، الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، الرياض : العدد ٣٥، عام (١٤٢٤هـــ).

الثقافة العالمية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويـــت: العـــدد ٢، (ربيـــع الأول/ ١٤٠٢هـــ)؛ والعدد ٥٢، (شوال/ ١٤١٠هـــ)؛ والعدد ١٠٢، (٩/٢٠٠٠م).

الجديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: العدد ١٦، (سبتمبر/ ١٩٧٢م).

الجندي المسلم، الإدارة العامة للشؤون الدينية بالقوات المسلحة، وزارة الدفاع والطيران، الرياض: العدد١٠٩، (رمضان/١٤٢٣هـــ).

دراسات مستقبلية، مركز دراسات المستقبل، جامعة أسيوط، أســـيوط : العـــدد ١، (يوليـــو/ ١٩٩٦م).

الدعوة، مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية، الرياض : العـــدد١٦٦٢، (١٤١٩/٦/١٨هـــ)؛ والعـــدد١٧٠٢، (١٤٢٠/٤/١٦هـــ)؛ والعـــدد: ١٨٥٧، (٢٠/جمـــادى الآخرة/١٤٢٣هـ)؛ والعدد : ١٨٥١، (٨/جمادى الأولى/١٤٢٣هـــ)؛ والعـــدد: ١٨٦٢، (٢٦/رجب/١٤٢٣هـ)؛ والعدد : ١٨٦٥، (١٨/شـعبان/١٤٢٣هـــ)؛ والعدد ١٨٧٤، (٢٩/١٠/١٤٢٣هـ)؛ والعدد: ١٨٨٩، (٢٢/صفر/١٤٢٤هـــ)؛ والعدد ١٩٥٣، (١٤٢٥/٦/١٢هـ) .

الدوحة، وزارة الإعلام، قطر: العدد: ٩٥، (محرم / ١٤٠٤هـ) .

رسالة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض: العـــدد ٢٥، (١٤٠٨هـــ)؛ والعدد ٤٥، (رمضان/ ١٤١٣هـ).

رسالة اليونسكو، هيئة اليونسكو، باريس- القاهرة: العدد ١١٩، (مايو/١٩٧١م).

السمو، دار السمو للنشر والتوزيع، الكويت: العدد ٨، (جمادى الأولى ١٤٢٣هـ).

السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، القاهرة: العدد ٥٠، (أكتوبر/ ١٩٧٧م)؛ والعدد ٧٥، (يناير/ ١٩٨٤م) .

عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، العدد ٤، (يناير-مارس / ١٩٨٨م).

العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الكويت: العدد ١، (ربيع ١٩٩٨م).

الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، طرابلس- ليبيا؛ بيروت-لبنـــان: العـــدد ١٠، (١٥/أبريـــل/ ١٩٧٩م).

الفيصل، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض: العدد: ٢٤٠، (جمـــادى الآخرة ١٤١٧هـ).

القافلة، شركة أرامكو السعودية، الظهران، المملكة العربية السعودية: العدد ٤، (ربيـــع الآخـــر/ ١٤١٤هـ).

مجلة اتحاد الجامعات العربية، الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية، عمَّان، الأردن: العـــدد ٢٠، (ذو الحجة/ ١٤٠٥هـ).

المجلة التربوية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت : العدد٦٠، (صيف ٢٠٠١م).

المجلة الدولية للعلوم الاجتماعيـــة، اليونســـكو، القـــاهرة: العـــدد١، (شـــعبان/١٣٩٠هـــــ، أكتوبر،١٩٧٠م)؛ والعدد ٣٣، (ذو القعدة/ ١٣٩٨هـ ، أكتوبر/ ١٩٧٨م)؛ والعدد ٤٧، (أبريل- يونيه/ ١٩٨٢م)؛ والعدد ١٣٧، (أغسطس/ ١٩٩٣م) .

المجلة العربية للتربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية، تونس: العدد١، (صفر/ ١٤١٨هـ)؛ والعدد ٢، (ديسمبر/١٩٩١م).

المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: العدد ٥٣، (١٩٨٣/٧م).

المستقبلية، المركز الإسلامي للدراسات المستقبلية، بريطانيا: العدد ١، (ربيع/ ١٤٢١هـ).

المسلم المعاصر، مؤسسة المسلم المعاصر، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، الكويت: العدد ٥٤، (ربيع الآخر-جمادى الآخرة/ ١٤٠٩هـ) .

المنار، القاهرة: (١٦/ شعبان/ ١٣٢٠هـ)، الجزء السادس عشر، المجلد الخامس.

المنهل، دارة المنهل للصحافة والنشر، جدة: العدد ٥٠٧، المجلد ٥٥، (صفر/ ١٤١٤هـ).

الهلال، مؤسسة دار الهلال، القاهرة : عدد (يناير/ ١٩٨٥م).

الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت : العدد ٣٧٤، (شوال ١٤١٧هـ).

ثالــثًا : المؤتمرات والندوات :

أبحاث ووقائع اللقاء الثاني للندوة العالمية للشباب الإسلامي: من قضايا الفكــر الإســلامي، ٢٣/١١-٣/١٢/١٣٩٣هـ، ط٤، (الرياض، دار الندوة العالمية، ١٤٢٠هـ).

الدراسات المستقبلية وتحديات العصر، "حلقة نقاشية"، الكويت، المعهــد العــربي للتخطــيط، (ديسمبر١٩٨٧ إلى أبريل١٩٨٨م)، (دمشق، دار طلاس، ١٩٨٨م).

ندوة الاجتهاد الجماعي في العالم الإسلامي، الإمارات، كلية الشريعة والقانون بجامعة الإمارات، (١١-١٣/شعبان/ ١٤١٧هـ).

الندوة الثالثة لمستجدات الفكر الإسلامي المعاصر: مناهج التغيير في الفكرالإسلامي المعاصــر، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (١٢-١٦ /شعبان/ ١٤١٥هـ) .

ندوة الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي، تــونس، ٢٩-٣٠/أكتــوبر/١٩٨٤م، منتدى العالم الثالث (مكتب الشرق الأوسط) في القــاهرة، ط٣، (بــيروت، مركــز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٥م).

ندوة الدراسات المستقبلية العربية: نحو استراتيجية مشتركة، القاهرة، تحرير: نيفين عبد المــنعم مسعد، معهد البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافــة والعلــوم، (١٤-١٦ أبريل/ ١٩٩٨م).

ندوة الدراسات المستقبلية وواقع العالم الإسلامي، (شريط سمعي)، (الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية).

ندوة السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة .

ندوة الشورى في الإسلام، عَمَّان، مؤسسة آل البيت، (١٩٨٩م).

ندوة الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي، عَمَّان، تحرير: سعد الدين إبراهيم، منتدى الفكر العربي بالتعاون من مؤسســة آل البيــت لبحــوث الحضــارة الإســلامية، (١٤-١٦/٣/١٩٨٧م) .

ندوة مستجدات الفكر الإسلامي والمستقبل، ط ١، (الكويت، وزارة الأوقــاف والشــؤون الإسلامية، ١٤١٣هـ).

رابعـــا : الصحف اليومية :

الاقتصادية، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، الرياض: العدد: ٣٣٠٠، (١٤٢٣/٨/١٧هـ).

الجزيرة، مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، الرياض: العدد: ١٠١٤٣، (١٤٢١/٤/٤هـ).

الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض: العدد: ١٢٦٣٩، (١٤٢٣/١١/٢٨هـ)؛ العدد١٢٤٩٧، (١٤٢٣/٧/٤هـ)؛ العدد١٢٠٥٤، (١٤٢٢/٤/٤هـ)؛

الشرق الأوسط، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، لندن: الأعداد: ٦٩٧١، (١٩٩٧/١٢/٢٩م)؛ ٧٥٦٠، (١٤٢٠/٤/٢٨هـ)؛ ٧٨٨٨، (٢٠٠٠/٧/٣م)؛ ٨٢٨٦، (١٤٢٢/٥/١٥هـ)؛ ٨٦٨١، (١٤٢٣/٦/٢٦هـ)؛ ٨٦٥٣، (١٤٢٣/٥/٢٨هـ)؛

المدينة، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، جدة: العدد: ١٤٣٦٠، (١٤٢٣/٦/٨هـ)؛ العدد١٣٣٢١، (١٤٢٠/٦/٢٩هـ).

خامساً : الأشرطة السمعية :

١-جريشة، علي، "الأخطار التي تهدد الدعوة".

٢-الراشد، صلاح، "استراتيجية التغيير الفعال".

٣-آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز، "الفقهاء ومتطلبات العصر".

٤-العلي، سليمان بن علي، "أيقظ العملاق وأطلقه" .

٥-العيد، عمر بن سعود، "سماحة الشيخ ابن باز ومنهجه في الفتوى".

٦-المنجد، محمد بن صالح، "١٠٠ فائدة من العلامة الشيخ ابن عثيمين" .

سادساً : المراجع الشخصية :

١-الصَّلاَّبي، علي محمد، "اتصال شخصي" .

٢-مطبقاني، مازن صلاح، "تعليق على مسودة هذا البحث".

سابعاً : أقراص الليزر :

١- شركة حرف، برنامج "جامع الفقه الإسلامي"، قرص ليزر، الإصدار الأول، ١٩٩٨م؛ اعتُمِد عليه في **شرح السير الكبير**، لمحمد بن أحمد السرخسي، فقط .

٢- American Council for The United Nations University, The Millennium Project, **Futures Research Methodology**, CD-ROM (Washington, D.C, American Council for The United Nations University, 1999).

ثامـــنًا : مواقع الشبكة العالمية للمعلومات :

1- http://forumtiersmonde.net.
2- http://slate.msn.com .
3- www.alhandasa.net
4- www.alkhawarizmi.net
5- www.arab-api.org.
6- www.arabdecision.org.
7- www.caus.org.
8- www.gulf-futures.org.
9- www.inplanning.gov.eg.
10- www.islamicfuture.net
11- www.islam-online.net
12- www.Islamtoday.net.
13- www.isu.net.sa
14- www.opendirectorysite.
15- www.swissinfo.org/sar.

تاســعًا : المراجع الإنجليزية :

Ascher, William, **Is There Progress In The Art of Forecasting?**, discussion paper no. 129, (--, Institute of Public Policy Studies, November, 1978).

Bell, Wendell, **Foundations of Futures Studies**, Second printing, (New Brunswick U.S.A., Transaction Publishers, 1997).

Linstone & Turoff, Harold A. Linstone, & Murray Turoff, **The Delphi Method: Techniques and Applications**, (Reading, Massachusetts, U.S.A, Addison-Wesley Publishing Company, 1975).

Martino, Joseph P. **Technological Forecasting for Decision Making,** (New York, Elsevier Science Publishing, 1983).

Masini, Eleonora Barbieri, **Why Futures Studies**, Second printing, (London, Grey Seal, 1994).

Ringland, Gill, **Scenario Planning : Managing for the Future**, (Chichester: UK, John Wiley & Sons, 1998).

Sardar, Ziauddin, **Islamic futures** : The Shape of Ideas to Come, First published, (London and New York, Mansell Publishing Limited, 1985).

Schwartz, Peter, **The Art of the Long View** : Planning for the Future in an Uncertain World, (New York: USA, Currency Doubleday, 1996).

Slaughter, Richard A.1- **Futures: Tools and Techniques**, (Australia, Futures Study Centre, 1995, 1998). 2- "Series Editor", **The Knowledge Base of Futures Studies**, First published, (Australia, DDM Media Group, 1996).

World Future Society, **The Futurist Directory**, (Bethesda, Maryland, USA, World Future Society, 2000).

فهرس الآيات القرآنية

٥٥	٤٠٨
٦٩	٣٩٠
٧٣	٩٦٥
٨٥	٣٣
١٠٠	٣٨٩
١٠٢	٤، ٧٦٥
١٠٣	٧٦٣، ٧٦٥، ٩٧٤
١٠٤	٧٦٩
١٠٥	٧٦٣، ٧٦٥، ٩٧٤
١٠٦	٧٦٥
١١٠	٥، ٧٨٦
١١١	٤٠٦
١١٢	٤٠٨
١١٨	٣٩٠
١٢٠	٣٨٧-٣٨٨، ١٠٠١
١٢٦	٤٠٥
١٢٧-١٢٨	٣٨٨
١٣٣	٣٩٧، ٦٩٩، ٨٧٩
١٣٧	٣٦٩، ٣٧٢، ٣٧٣
١٤٠	٤٠٥
١٤٤	٦٢١
١٤٩	٣٨٩
١٥١	٣٨٥
١٥٦	٤٠٧
١٥٩	٦٠٤، ٧٢٣، ٧٩٠، ٨٥٨

سورة المائدة	
٣	٣٨٩، ٥٧٩، ٦٣٥
٢١-٢٦	١٠٠٧-١٠٠٨
٢٧-٣١	١٢٩
٤٤	٣٦١
٤٥	٣٦١
٤٧	٣٦١
٤٨	١٤٢، ٦٩٩، ٨٩٢، ٩٩٤
٥٠	٣٦١
٥٦	٤٠٦، ٩٩٩
٦٧	٦٢١
٩٠	٥٧٩
١٠٩	٣٥٠
سورة الأنعام	
١١	٣٦٩
٢١	٤٠٤
٣٢	٦٩٣
٣٤	٣٦٨
٤٤	٣١٣، ٣٧١
٥٩	٣٥١، ٥٦١
٨٢	٦٩٦
٨٤	٣٩٨
٩٠	٩٩١
٩٢	٩٩٤
١١٠	٣٩٦

٥٥	٥٨٨، ٨٩٤، ٩١١، ٩٥٥، ٩٩٨
سورة الفرقان	
١	٤٣، ٩٩١، ٩٩٣
٣٧	٣٧٥
٥٨	٣٤٨
٦٨-٧٠	٦٩٦
سورة الشعراء	
١٠-١٧	٨٣٣
٦١-٦٢	٨٥٨
٦٧، ١٠٣، ١٢١، ١٣٩، ١٥٨، ١٧٤، ١٩٠	٣٦٦
١٦٠-١٧٤	٣٦٧
٢٢١-٢٢٣	٥٦٣
سورة النمل	
٤٠	٤٠٠
٤٥-٤٧	٥٧٣
٦٥	٣٥٠، ٥٦١، ٥٦٣
٦٩	٣٦٩
٧٤-٧٥	٣٥٠
سورة القصص	
٣	٣٨٠
٣٧	٤٠٤
٤٥-٤٦	٣٨٠
٤٧	٣٩٣
٦٨	٣٨٥

١٠٥	٣٩٨
١٧١-١٧٣	٤٠٦، ٩٩٨
سورة ص	
٨٧	٩٩١
سورة الزمر	
٩	٨١٥
٣٠	٦٢١
٣٦	٣٨٧
٣٨	٣٨٧
٥٥	٣٧١
سورة غافر	
٥١	٩٩٨
٥٥	٣٩٨
٦٠	٥٩٢
٧٧	٣٩٨
٢١، ٨٢	٣٧٠
٨٥	٣٧٢
سورة فصلت	
٣٣	٤
سورة الشورى	
١٣	٧٦٣
٣٠	٧٠٨، ٩٥١
٣٦	٦٩٣
٣٦-٣٩	٦٠٥
٥١	٥٨٣

سورة الطور	
٢٩	٥٦٣
سورة النجم	
٣-٤	٥٨٤
سورة القمر	
٤٣	٣٧٧
٤٥	٦٨٠
٤٩	٣٨٥
سورة الرحمن	
٣٣-٣٥	٦٦١
سورة الواقعة	
١٠	٣٩٨
١٠-١٢	٨٨٠
سورة الحديد	
٢١	٨٧٩-٨٨٠
٢٨	٦٤٦
سورة المجادلة	
٥	٩٩٩
١٩-٢١	٩٩٩
٢١	٣٣٥، ٤٠٦
سورة الحشر	
٢	٣٧٤-٣٧٥
٦-٩	٦١١
٧	٤٧٧، ٦١٤
٢٢	٣٥٠

سورة الشرح	
٥-٦	٤٠٧
سورة القدر	
١	٦٩٠
سورة العاديات	
١-٥	٩٠٥
سورة الفيل	
جميعها	١٠٠٥-١٠٠٦
سورة قريش	
جميعها	٩٣٩
٣-٤	١٠٠٥

فهرس الأحاديث النبوية

«اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».	٧٥٨ ،٤٣٢
«اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمْ».	٩٠٩
«اللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ الْخَيْرِ كُلِّه، عَاجِله وَآجِله».	٥٩٩
«اللَّهُمَّ! رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ . فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ».	٧٧٤
«اللَّهُمَّ! مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ».	٤٧١
«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ».	٤٣٥
«أُمِرْتُ بِقَرْيَة تَأْكُلُ الْقُرَى، يَقُولُونَ: يَثْرِبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ».	٤٢٨
«أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ».	٨٨١
«إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا».	٥٩٦
«إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانـــًا ودارًا تأمنون بها».	٤١٨
«إن بأرض الحبشة ملكًا لا يظلم أحد عنده».	٤١٥
«إِنْ بَيَّتَكُمْ الْعَدُوُّ فَقُولُوا (حم) لا يُنْصَرُونَ».	٤٢٩
«إِنْ تَصْدُقْ اللَّهَ يَصْدُقْكَ».	٤٥٣
أن رسول الله ﷺ مُرَّ عَلَيْه بِجنَازَة فَقَالَ: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ».	٧٠٨
«أَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا».	٤٣٧
«إِنْ قَامَتْ السَّاعَةُ وَبِيَد أَحَدكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ».	٦٧٩
«إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ خَيْرٌ فَفِي شَرْبَةِ عَسَلٍ».	٧١١
«أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ».	٥٩٧
«إنا قليل».	٤٢٢
«أَنَّ أَبَا الْمُسَيَّب جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا اسْمُكَ؟ قَالَ :حَزْنٌ».	٤٦٧
«إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّه أَرْبَعِينَ يَوْمًا».	٦٩٠
«إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ».	٨٢٥
«إِنَّ الإِسْلامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ».	١٠٠٦
«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ أَحَدٌ إِلا غَلَبَهُ».	٤٧٨
«إِنَّ الرُّؤْيَا تَقَعُ عَلَى مَا تُعَبَرُ بِهِ».	٦٣٠

«إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ».	٤٧١، ٧٨٨
«إِنَّ الرُوح الأمين نَفَثَ فِي رُوعِي إنه ليس».	٥٨٣
«إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ».	٥٧٠
«إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ».	٤٥٢
«إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ».	٦٤٨
«إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا».	٣١٤، ١٠٠٣
«إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ».	٣٩٩
«إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا : قِيلَ وَقَالَ».	٩١٧
«إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ».	٧٣٤
«إِنَّ اللَّهَ لَيُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلاثَةً الْجَنَّةَ».	٩٠٤
«إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ».	٤٧١
«إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثــًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا».	٧٦٦
«إِنَّ الله قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ».	٦٤١
«إِنَّ الله يَبْعثُ لهذه الأُمَّة على رأسِ كُلِّ مائة سَنة مَنْ يُجدِّدُ لها دِينَها».	٣٥٦
«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ».	٤٦٦
«إِنَّ النَّذْرَ لا يُقَرِّبُ مِنْ ابْنِ آدَمَ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ قَدَّرَهُ لَهُ».	٤٣٨
«إِنَّ أَوَّلَ ثُلَّة تَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ».	٤٥٩
«إِنَّ أَمْرَكُنَّ مِمَّا يُهِمُّنِي بَعْدِي».	٤٣٢
«إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلا وَضَعَهُ».	٤٧٨
«إِنَّ دِين الله عز وجل لن يَنصُره إلا مَن حَاطَهُ».	٩٧٢
«أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ . فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ».	٨٧١
«أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : مَا أَعْدَدْتَ».	٦٧٩
«أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي قَالَ: لا تَغْضَبْ».	٤٥٤
«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ . فَأَخَذَهُ».	٤١٢
«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَامَ الْفَتْحِ مِنْ كَدَاءٍ».	٤٩١

«تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا».	٨٥٩، ٩٤٠
«تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ».	٤٥٢
«تُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ فَيَخْرُجُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى».	٩١٤
«تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ».	١٠٠٢
«ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ».	٤٠١، ٤٦٩، ٤٧٥
«ثَلاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ : الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».	٤٠٢
«الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ».	٤٤١
«جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ : أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟».	٧٤٧
«حُجَّ بِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ».	٤٣٤
«الحرب خدعة».	٥٥٥
«حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا : إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».	٩٠٨
«حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلا وَضَعَهُ».	٤٧٨
خدمت النبي ﷺ «فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَوَاللَّهِ مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ».	٧٩٧
«خُذُوا الْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ».	٨٢٩
«خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ».	٤٣١
«خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ صَلاةُ اللَّيْلِ . فَتَعْجِزُوا عَنْهَا».	٤٣٤، ٤٤١
«خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ».	٧٦١
«خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا».	١٣٢
«خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُمِائَةٍ».	٤٢٤
«خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».	١٣٢
«الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ».	٤٦١، ٩٠٦
«دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ لَهَا: لَعَلَّكِ أَرَدْتِ الْحَجَّ».	٤٣٩
«الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ».	٥٩٢

«عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَوْمٍ يُقَادُونَ إِلَى».	٧٨٦
«عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ . إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ».	٧٠٣ ،٧٠١
«عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ التَّشَهُّدَ».	٤٣١
«عَلِّمُوا، وَيَسِّرُوا، وَلا تُعَسِّرُوا».	٤٥٥
«عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلائِكَةٌ، لا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلا الدَّجَّالُ».	٤٧٤
«عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ . فَقَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟».	٦٢٥
«عَلَيْكُمْ مِنْ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ».	٨٦٠
«الْعِيَافَةُ وَالطِّيَرَةُ وَالطَّرْقُ مِنْ الْجِبْتِ».	٥٧٧
«عَيْنَانِ لا تَمَسُّهُمَا النَّارُ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ».	٤٣٠
«فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ «اللَّهُمَّ! أَنْجِزْ لِي».	٦٨٠
«فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلافــًا كَثِيرًا».	٧٦٦
«فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنْ اللَّهِ».	٦٣٥
«فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ».	٤٣
«فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنَكْتُبُ هَذَا ؟ قَالَ نَعَمْ».	٤٢٥
«فَلا تَأْتُوا الْكُهَّانَ».	٥٦٤
«فِي الَّتِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا».	٧٥٦
«قَالَ اللَّهُ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي».	٤٦٨ ،٤٦٧
«قَالَ اللَّهُ: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ، أُنْفِقْ عَلَيْكَ».	٤٠١
«قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ : أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ فَقَالَ: أَنَا».	٨٢٧
«قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا . مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ».	٥٨٨
«قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا، فَأَخْبَرَنَا بِمَا يَكُونُ».	٥٨٩
«قُلْ: اللَّهُمَّ ! اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي».	٥٩٩
«قُلْ: اللَّهُمَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ».	٨٠٦
«كَانَ ﷺ إِذَا رَأَى الْهِلالَ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ».	٦٨٩
«كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً».	٦٩١

«لا تزالُ أُمَّتي على مَسَكَة من دينها ما لم يَكلوا الجنائز».	٤٣٧
«لا تَزَالُ طَائفَةٌ منْ أُمَّتي يُقَاتلُونَ عَلَى الْحَقِّ».	٤٧٩، ١٠٠١
«لا تَزَالُ عصَابَةٌ منْ أُمَّتي يُقَاتلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّه قَاهرِينَ لعَدُوِّهِمْ».	١٣٢
«لا تَزَالُ هَذه الأُمَّةُ بخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا هَذه الْحُرْمَةَ».	٤٣٧
«لا تُصَاحبْ إِلا مُؤْمنًا».	٤٥٧
«لا تعجلوا بالبلية قبل نزولها».	٤٩٧
«لا تُغزَى مَكَّةُ بعدَ هَذَا العَامِ أَبَدًا».	١٠٠٦
«لا تُقْتَلُ نَفسٌ ظُلْمًا إِلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ».	٩٤١
«لا تُقْطَعُ الأَيْدي في الْغَزْوِ».	٤٤٠
«لا تَقلْ تَعسَ الشَّيْطَانُ؛ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلكَ».	٩٥٠
«لا تَقُولي هَكَذَا وَقُولي مَا كُنْت تَقُولينَ».	٦٦٢
«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتلُوا الْيَهُودَ».	٥٩٠
«لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتلَ الْمُسْلمُونَ التُّرْكَ».	٥٨٩
«لا تَكْتُبُوا عَنِّي. وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآن فَلْيَمْحُهُ».	٦٨٠
«لا تُلْحفُوا بالمَسْأَلة».	٤٦٠
«لا طيرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ».	٤٦٦
«لا عَدْوَى وَلا هَامَةَ وَلا نَوْءَ وَلا صَفَرَ».	٥٦٩
«لا عَدْوَى، وَلا طيَرَةَ، وَلا هَامَةَ، وَلا صَفَرَ».	٥٧٤
«لا يَأْتي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلاَّ الَّذي بَعْدَهُ شَرٌّ منْهُ».	١٠٠٣
«لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ».	٤٤٢، ٧٣٨
«لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ منْ ضُرٍّ أَصَابَهُ».	٥٩٦
«لا يَدْخُلُ هَذَا بَيْتَ قَوْمٍ إِلا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الذُّلَّ».	٤٧٧
«لا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللاتُ وَالْعُزَّى».	٣٨٣
«لا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلا الدُّعَاءُ».	٤٥٢، ٤٦٩، ٥٩٤

«يَا عَدِيُّ بْنَ حَاتِمٍ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ».	٩٥٦
«يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ».	٣٨٨، ٤٥٦
«يَا غُلامُ، هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟».	٨٦١
«يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لا تُؤْذُوا».	٤٧٢
«يا ويح قريش! لقد أكلتهم الحرب».	٦٢٣
«يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ تَكُونُ الْغَنَمُ فِيهِ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ».	٤٩٦
«يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هِيَ سَبْعُونَ أَلْفًا تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ».	٨٨١
«يَسِّرَا وَلا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا».	٧٦٩
«يُعْجِبُهُ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَةٍ أَنْ يَسْمَعَ يَا رَاشِدُ يَا نَجِيحُ».	٤٦٦
«يَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ».	٤٧٤
«يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا» .	٣١٠

فهرس الآثار

«أمر الله سبحانه بالنكاح، ورغَّبهم فيه».	ابن عباس رضي الله عنهما	٤٠٢
«أن احتازوا فيئكم فإنكم إن لم تفعلوا فتقادُم الأمر يلحج».	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٤٨٥
«إن الفتنة إذا أقبلت عرفها العالم، وإذا أدبرت».	الحسن البصري	٦٦٧
«إن المشورة والمناظرة بابا رحمة، ومفتاحا بركة».	عمر بن عبد العزيز	٦١٨
«إن أول من أحذرك نفسك».	أبو بكر رضي الله عنه	٨٠٦
«إن بني إسرائيل قد مضوا، وإنكم أنتم تُعنَونَ بهذا ».	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٣٦٥
«أَنْ دَعْهَا حتى يغزو منها حَبَلُ الــحَبَلة».	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٦١٤
«أن رجلاً دخل على عثمان وقد نظر امرأة أجنبية».	عثمان بن عفان رضي الله عنه	٦٤٢
«أن رجلاً سأله عن توبة القاتل فقال لا توبة له».	ابن عباس رضي الله عنهما	٧٢٦
«أن عثمان بن عفان أعتق عشرين مملوكًا، ودعا بسراويل».	مسلم أبي سعيد مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه	٦٣٤
«أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه استشار الناس».	الزهري	٦١١
«أن قاضيًا من قضاة أهل الشام أتى عمر فقال : يا أمــير المؤمنين! رأيت رؤيا أفظعتني».	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٦٣٣
«إن كان عمر -رضي الله عنه- ليستشير فــي الأمر حتى».	محمد بن سيرين	٦٠٩
«إنْ كنتُ لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين».	ابن عباس رضي الله عنهما	٨١٨
«إن للشيطان لــمة وللملك لــمة».	ابن مسعود رضي الله عنه	٦٤٦
«إن هذا العلم إن أخذته بالمكابرة له غلبك».	الزهري	٨٣٠
«أنت تخاف زحل وأنا أخاف رب زحل».	سفيانُ الثوري	٦٦٧
«إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم».	خالد بن الوليد رضي الله عنه	٤٨٨
«إنما أجيبه بالظن، والظن يخطئ ويصيب».	محمد بن سيرين	٦٣٦
«إنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ كَانَ نَحَلَهَا جَادَّ عِشْرِينَ وَسْقًا».	عائشة رضي الله عنها	٦٥٠
«أنَّ ابني آدم كان أحدهما راعيــًا الآخر حرَّاثًا».	عدد من الصحابة رضي الله عنهم	١٢٩
«إنَّ الله -تعالى- إنما خَلَقَ هذه النجوم لثلاث خصال».	قتادة	٥٧٠
«أنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَان قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ يُغَازِي».	أنس بن مالك رضي الله عنه	٤٨٩

«إنَّ له علي طاعة، وإنها ستكون أمور وفتن لا أحب».	ابن مسعود رضي الله عنه	٤٨٩
«إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنْ الْمُفَصَّلِ».	عائشة رضي الله عنها	٧٥٧، ٩٨٥
«أنه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم».	جعفر الصادق	٦٥١
«إنه ليس من وعاء ذهب أو فضة يُوكى عليه».	أبو ذر الغفاري رضي الله عنه	٤٨٨
«إنه ليَنظُر إلى الغيب من سِتْر رقيق».	علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٨١٩
«إني لأظنك ستُقتل غدًا بين نسائك وبناتك كما قُتل».	ابن عباس رضي الله عنهما	٤٩٣
«إياك والتسويف، فإنك بيومك ولست بغدك».	الحسن البصري	٨٠٩
«أيها الناس لا تقتلوني واستتيبوني».	عثمان بن عفان رضي الله عنه	٤٨٥
«أيها الناس، تقوَّوا بهذه النعم التي أصبحتم فيها».	الأوزاعي	٤٩٩
«بشّرتني بخير وأجر؛ ولولا أنْ أجاهد بعد اليوم أشباهكم».	المغيرة رضي الله عنه	٩١١
«تذاكرتُ: ما جماع الخير؟ فإذا الخير كثير».	مطرف بن عبدالله الشخّير	٥٩٨
«تَعَلَّمُوا، فَإِنَّ أَحدَكُم لا يَدرِي متى يُختَلفُ إليه».	ابن مسعود رضي الله عنه	٨١٨
«تعوَّدوا الصبر فإنه يوشك أن ينـــزل بكم البلاء».	حذيفة بن اليمان رضي الله عنه	٤٩٠
«التمسوا الغنى في النكاح».	ابن مسعود رضي الله عنه	٤٠٢
«ثَلاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ».	عائشة رضي الله عنها	٥٦٣
«الجبت : السحر».	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٥٧٧
«جهزني يا أنس وقال للناس إني خارج إلى ثلاث».	أبو موسى الأشعري رضي الله عنه	٤٩٢
«حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ».	علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٦٨٥
«خطبنا علي، فقال: مَنْ خير هذه الأمة بعد نبيها ؟».	وهب السُّوائي	٦٥١
«الخلاف شر».	ابن مسعود رضي الله عنه	٧٦٤
«خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل».	أبو هريرة رضي الله عنه	٧٨٦
ذهب «إلى قوم في دم، فتكلم فيه، وقال : احتكموا».	الأحنف بن قيس	٧٥٦
«الرأي في بعض الحالات خيرٌ من جند كثيف».	الوليد بن عُقبة رضي الله عنه	٩٠٦

«رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامٍ بِالْمَدِينَةِ وَقَفَ عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ».	عمرو بن ميمون	٦١٢
«سئل عمار -ﷺ- عنه عن مسألة فقال: كان هذا بعد؟».	عمار ﷺ	٤٩٧
«سألت ابن عباس ﷺ عن المتعة فأمَرني بها».	أبو جمرة	٦٣٤
«سألت أبي بن كعب عن مسألة فقال : أكانت هذه بعد».	مسروق	٤٩٧
«سلوني فوالله لئن فقدتموني لتفقدن رجلاً عظيمًا».	أبو الدرداء ﷺ	٨٢٩
«سلوني قبل أن تفقدوني، فإني عن قليل مقتول».	علي بن أبي طالب ﷺ	٨٢٩
«صليت مع رسول الله ﷺ بمنى ركعتين، وصليت ».	ابن مسعود ﷺ	٧٦٤
الضنك : الشقاء	ابن عباس ﷺ	٣٨٤
«عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لا يَدْرِي مَتَى».	ابن مسعود ﷺ	٨١٨
«غَزَوْنَا مَعَ أَبِي بَكْرٍ ﷺ زَمَنَ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ شِعَارُنَا».	سَلَمَةَ بن الأكوع ﷺ	٤٢٩
«فإنكم أعوان الله؛ والله ناصر من نصره، وخاذل».	أبو بكر ﷺ	٤٨٣
«فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ».	أُمُّ سَلَمَةَ ﷺ	٤٠١
«قدم على عمر رجل، فجعل عمر يسأله عن الناس».	ابن عباس ﷺ	٤٩٢
كان «أبو بكر ﷺ إذا أغزَى جيوشه عرَّفهم ما وعدهم».	أبو بكر ﷺ	٩١١
«كان ابن سيرين يسأل عن مائة رؤيا فلا يجيب».	محمد بن سيرين	٦٣١
«كان ابن عباس يُسمَّى البَحْر لكثرة علمه».	مجاهد	٨١٧
«كان ابنُ عمر وابن عباس يجلسان للناس عند مقدم».	نافع	٨١٩
«كَانَ أَبُو بَكْرٍ - ﷺ - إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ الْخَصْمُ نَظَرَ فِي».	ميمون بن مهران	٦٠٦
«كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيرِ، وكُنتُ».	حذيفة بن اليمان ﷺ	٤٨٩
«كان زيد بن ثابت إذا سأله إنسان عن شيء قال : آللهِ! أكانت هذا؟».	زيد بن ثابت ﷺ	٤٩٧
«كَانَ عِنْدِي شَطْرُ شَعِيرٍ آكُلُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكِلْته ».	عائشة ﷺ	٤٦٢
«كنا نتحدث أن عمر بن الخطاب ينطق على لسانه ملك».	طارق بن شهاب	٦٥١
«كنت أجلس بمكة إلى ابن عمر -ﷺ- يومًا وإلي».	عُبيد بن جُريج	٨١٩

«كُنْتُ أُقْرِئُ رِجَالاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ».	ابن عباس رضي الله عنهما	٧٣٩
«كنتم أقل الناس فأعزكم الله بالإسلام».	عمر رضي الله عنه	٩٦٥
«كُنَّا مع النبي ﷺ ونحن فتيانٌ حَزَاوِرَةٌ . فتعَلَّمنا الإيمان».	جندب رضي الله عنه	٤٩٢
«لا آمن أن يجيء من بعدك أمير فيغير الذي صنعت».	ابن عباس رضي الله عنهما	٤٩٢
«لا تفتخر بما فعلت في يومك، فإنك لا تدري».	سليمان عليه السلام	٨٦٩
«لا تكرهوا إمرة معاوية».	علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٤٨٦
«لا تُكَلِّفُوا الأَمَةَ، غَيْرَ ذَاتِ الصَّنْعَةِ الْكَسْبَ».	عثمان بن عفان رضي الله عنه	٨٢٦
«لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك».	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٧٧٩
«لَتُخْضَبَنَّ هَذِه مِنْ هَذَا، فَمَا يَنْتَظِرُ بِي الأَشْقَى؟».	علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٤٨٦
«لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ».	أبو سفيان رضي الله عنه	٩١٠
«لقد رأيتني قبل موت عائشة بأربع حجج وأنا أقول لو».	عروة بن الزبير	٨٢٩
«اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا».	خُبَيْبٌ رضي الله عنه	٨٥٥
«لم أر للعبد مثل التقدم في الدعاء».	علي بن الحسين	٥٩٥
«لم يزل الليلُ والنهار سريعين في نقص الأعمار».	الحسن البصري	٦٩١
«لما توفي رسول الله ﷺ، قلت لرجل من الأنصار : يا فلان هلم فلنسأل».	ابن عباس رضي الله عنهما	٨١٨
«لما ثقل أبو بكر واستبان له من نفسه. جمع الناس إليه».	أبو بكر رضي الله عنه	٦٠٧
«لما قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشُ العراق من قِبل سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه شاور».	أبو يوسف عن غير واحد من علماء المدينة	٦٠٩
«لما كان من أمر هذا الرجل ما كان يعني عثمان قلت».	ابن عباس رضي الله عنهما	٤٠٤
«اللهم إني أَسأَلُكَ إيمانــًا لا يَرْتَد».	ابن مسعود رضي الله عنه	٤٨٩
«اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي».	سعيد بن جُبير	٨٥٦
«اللهم هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك».	أبو سفيان رضي الله عنه	٩٠٩
«لو أن لي دعوة مستجابة ما صيرتها إلا في الإمام».	الفضيل بن عياض	٥٠٠
«لَوْلا آخِرُ الْمُسْلِمِينَ مَا فَتَحْتُ قَرْيَةً إلا قَسَمْتُهَا بَيْنَ».	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٦١٢

«لولا أن يُقال فعل أبو نَجيح السلمي لألحقت مالي».	عمرو بن عبسة رضي الله عنه	٨٢٦
«لولا أن يقول الناس فعل أبو نجيح فعل أبو نجيح».	العرباض بن سارية رضي الله عنه	٨٢٦
«ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها».	الشعبي	٧٦٤
«مَا أَدْرَكْتُ النَّاسَ إِلا وَهُمْ يَلْعَنُونَ الْكَفَرَةَ».	الأَعْرَجَ	٩١٠
«ما أقلَّ الروم وأكثر المسلمين! إنما تكثر الجنود بالنصر».	خالد بن الوليد رضي الله عنه	٩١٣
«مَا أَنْتَ بِمُحَدِّث قَوْمًا حَدِيثًا لا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلا كَانَ».	ابن مسعود رضي الله عنه	٦٨٥
«ما رأيتُ رجلاً أعلم من ابن عباس».	طاووس	٨١٧
«ما رأيت مثل ابن عباس قط، ولقد مات يوم مات وهو».	مجاهد	٨١٧
«مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ».	ابن مسعود رضي الله عنه	٧٠٤
«مَا سَمِعْتُ عُمَرَ لِشَيْءٍ قَطُّ يَقُولُ إِنِّي لأَظُنُّهُ كَذَا إِلا ».	عبد الله بن عمر رضي الله عنهما	٦٤٢
«ما سمعت فتيا أحسن من فتيا ابن عباس».	مجاهد	٨١٧
«ما لي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون؟».	أبو الدرداء رضي الله عنه	٨٢٩
«من أراد العلم فَلْيُثَوِّر القرآن، فإن فيه علم».	ابن مسعود رضي الله عنه	٣٦١
«من طلب العلم جملة فاته جملة».	الزهري	٨٣٠
«نقل الصخر أيسر من تكرير الحديث».	الزهري	٧٥٩
«هل تدري ما قال الأول؟ أحبب حبيبك هونًا ما».	علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٤٨٧
«هل تعرف ما يهدم الإسلام ؟ قال : قلت : لا».	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٧٣٣
«وإلا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت، كما تحبون شرب».	خالد بن الوليد رضي الله عنه	٤٨٨
«وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبون».	خالد بن الوليد رضي الله عنه	٤٨٨
«وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على غلب».	خالد بن الوليد رضي الله عنه	٤٨٨
«والسعيد من وعظ بغيره... وخير الأمر ناجزه».	ابن مسعود رضي الله عنه	٤٨٩
«والله إذا ليكونن ما تكره، إنك إن قسمتها صار».	معاذ بن جبل رضي الله عنه	٦١٤
«والله لا يفتح بعدي بلد فيكون فيه كبير نيل».	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٦٢٥
«والله ما استشار قوم قط إلا هُدُوا لأفضل ما بحضرتهم».	الحسن البصري	٦١٨
«والله ما ذاك يبكيني، وتالله ما أعطَى الله هذا قومًا إلا».	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٤٨٥

«والله يا أبا الدرداء لئن مات عمر لترين أمورًا تنكرها».	خالد بن الوليد رضي الله عنه	٤٨٨
«وعليكم باستصلاح المال، فإنه منبهة للكريم».	قيس بن عاصم رضي الله عنه	٩١٦
«وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِه كُهُولاً».	ابن عباس رضي الله عنهما	٦٠٩
«وكان علي بن الحسين إذا خاف شيئًا اجتهد في الدعاء».	علي بن الحسين	٥٩٥
«ولد أبي من بطن أمه مثقوب الأذنين».	علي بن راهويه	٥٠٠
«وليس أحد في رأي على حقيقته أنه الحق».	محمد بن سلمه	٧٧٩
«ومن يتحر الخير يعطه».	أبو الدرداء رضي الله عنه	٧٨٢
«ويحك يا عمرو أطعني واتَّبعه، فإنه والله لعلى الحق».	النجاشي	٣٧٨
«ويلكم! أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم».	هرقل	٩٧٨
«يا أبا العالية، أتريد أن تكون مفتـــيًا؟».	ابن عباس رضي الله عنهما	٨٢٩
«يا أبا عبد الله، إني لك ناصح ومشفق، وقد بلغني».	أبو سعيد الخدري رضي الله عنه	٤٩٤
«يا أمير المؤمنين ما أنت قائل لربك غدًا إذا سألك».	عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز	٤٩٨
«يا أمير المؤمنين، إن أردت ذلك، فسر سيرة الصحابة».	سليمان بن عبد الملك	٤٩٨
«يا أيها الناس! لا تسألوا عما لم يكن؛ فإن عمر».	عبد الله بن عمر رضي الله عنهما	٤٩٧
«يا سارية الجبل، يا سارية الجبل».	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٦٥١
«يا قوم؛ والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون».	عبد الله بن رواحة رضي الله عنه	٤٨٧
«يا معشر الخزرج، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟».	العباس بن عبادة بن نَضْلَة الأنصاري رضي الله عنه	٦٢٦
«يا معشر خولان زوجوا شبابكم وأيامكم».	أبو مسلم الخولاني	٤٥١
«يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك».	أبو بكر رضي الله عنه	٤٢٢
«يَرْصُد لما هوَ آت عَتَادَه من الحذر والطاعة».	أبو بكر رضي الله عنه	٦١٤

فهرس الأبيات الشعرية

صدر البيت	قافيته	قائله	الصفحة
ثَكِلْتُ بُنَيَّتي	كَدَاءِ	حسان بن ثابت ﷺ	٤٩٠
فلا تعجل أبا سفيان	كَداء	كعب بن مالك ﷺ	٩١٢
مُتَـمَطِّرَات	النِّسَاءُ	حسان بن ثابت ﷺ	٤٩١
وَإِلاَّ فَاصْبِرُوا	يَشَاءُ	حسان بن ثابت ﷺ	٤٩١
فَإِنْ أَعْرَضْتُمُوا	الْغِطَاءُ	حسان بن ثابت ﷺ	٤٩١
بنصر الله روح القدس	المَلاء	كعب بن مالك ﷺ	٩١٢
يُبَارِينَ الأَعِنَّةَ	الظِّمَاءُ	حسان بن ثابت ﷺ	٤٩٠
إن العدو وإن أبدى	وثبا	؟	٩٢٨
ولم يستشر في رأيه	صاحبًا	؟	٨٠٨
إذا همَّ ألقى	جانبًا	؟	٨٠٨
يَستهدِفُ المستقبَلات	غَدا	محمد بن غالب الرصافي	٨٠٥
فإن لم تلج بابَها	بابها	؟	٨٨٥
وإن فرصةٌ أمكنتْ	بها	؟	٨٨٥
وربما كان	سببُ	؟	٤٢٥
ذهبَ الذين يُعاشُ	الأجربِ	لبيد	٨٤٨
وما الدهر إلا	سيذهبُ	حارثة بن بدر	٥١١
لا أستطيع لنفسي	المضرات	ابن تيمية	٦٦٣
إلا بإذن من	الآيات	ابن تيمية	٦٦٣
ولا ظهيرٌ له	الولايات	ابن تيمية	٦٦٣
وليس لي دونه	البريَّات	ابن تيمية	٦٦٣
وما تمنَّيت	هُديتِ	ابن رواحة ﷺ	٤٨٧
يانفس إلا	صَليتِ	ابن رواحة ﷺ	٤٨٧

وما بـــان مـــن حق	شرعة	ابن تيمية	٧٧٩
فدونك رب الخلق	الــحقيقة	ابن تيمية	٧٧٩
أعـــمى وأعْـــشَى	اليمامَـــةْ	أحمد بن محمد المقّري	٨٠٤
سُبحانَ مَن قَسَمَ	مَلامَةْ	أحمد بن محمد المقّري	٨٠٤
وذلل قياد النفس	مستقيمة	ابن تيمية	٧٧٩
إذا اشتكت من كلال	ميعاد	؟	٨٦٧
العلم بـــحر	يُـــقْـصَـــدُ	اللؤلؤي	٦٦١
عليمٌ بأعقاب الأمور	الغد	؟	٨١٩
في الذاهبين	بصائر	قس بن ساعدة	٥١٣
وأراك تـــخشـــى	الـــمشتَري	عبد الله البخاري الباقي	٦٦٧
وما بـــقي	يعثر	اللؤلؤي	٦٦١
أحسنتَ ظـــنَّكَ	القدرُ	سعيد بن وهب	٥٠١، ٨٠٥
وسالـــمَتْكَ الليالي	الكَدَرُ	سعيد بن وهب	٥٠١
وسالـــمتك الليالي	الحذَرُ	سعيد بن وهب	٨٠٥
أصبحتُ لا أرجو	المحشرِ	عبد الله البخاري الباقي	٦٦٧
وتـــحسبه قـــد	الذكر	القاضي الإرجاني	٥١٣
شـــتان ما بـــيني	المنكرِ	عبد الله البخاري الباقي	٦٦٨
فقد عاش	العمر	القاضي الإرجاني	٥١٣
إذا عـــلم الإنسان	الدهـــر	القاضي الإرجاني	٥١٣
ما طار شيءٌ	وقـــع	ابن المبارك	٤٧٨
وَلاَ تَحْسَبَنَّ الْحَدْسَ	يَصْدُقُ	البارودي	٨٦٦
قد يدرك المتأني	الزلل	عمير بن شييم القطَامي	٧٨٨
إذا تمَّ أمر	تم	؟	٤٧٨
لعل هذيلاً أن	لـــمَاتم	حسان بن ثابت رضي الله عنه	٩١١

ومن عرفَ الأيامَ	بلوى	؟	٨٦٩
يَسْبقُ بالفعل ظَنَّ	——	إبراهيم بن هرمة	٨٧٠

فهرس بأهم أساليب الاستشراف المستقبلي المشروعة والممنوعة[1]

(١) الأرقام المحـــبَّـــرة تتضمن التعريف بالأسلوب.

فهرس الأسماء

فهرس الأماكن

فهرس الغزوات والمعارك والأحداث

فهرس المؤسسات

فهرس مواقع الشبكة العالمية للمعلومات الواردة في صلب الرسالة

فهرس الكتب الواردة في صلب الرسالة

فهرس المجلات الواردة في صلب الرسالة

فهرس الصحف الواردة في صلب الرسالة

فهرس المذاهب والفرق والأديان والنحل

فهرس الأمثال

فهرس الأشكال والجداول

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات